

مُخْتَصَرٌ

نَفْسِ الْبَغْوِيِّ

المُسَمَّى بِـ «مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ»

لِلإِمَامِ مُحَمَّدِي السُّنَّةِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِ بْنِ مَسْعُودٍ

الْفَرَّاءِ الْبَغْوِيِّ الشَّافِعِيِّ

المتوفى سنة (٥١٦ هـ)

اِخْتِصَارٌ وَتَعْلِيقٌ

الدكتور عبد الله بن أحمد بن علي الزيد



بِإِذْنِ السَّلَامِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْبِ



مُخْتَصَرُ
تَفْسِيرِ الْبَغْوِيِّ

المُسْتَقْبَلُ «مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ»



دار السلام للنشر والتوزيع

شارع الأمير عبدالعزيز بن جلوي
(الضباب سابقاً)

مقابل الغرفة التجارية

ص.ب ٢٢٧٤٣ الرياض ١١٤١٦
المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٠٣٣٩٦٢ - ٠٠٩٦٦١ / ٤٠٤٣٤٣٢

فاكس: ٠٠٩٦٦١ / ٤٠٢١٦٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الناشر

فلما كان تفسيره بهذه المكانة العظمى وأثنى على اختصاره غير واحد من أهل العلم، أعدنا طبعه من جديد بعد التنسيق مع المختصر. عملنا في هذا الكتاب :

١- طبع الكتاب في مجلد واحد لأول مرة بلونين.

٢- وضع المصحف كاملاً، وكذلك أخذ الآيات القرآنية المفسرة برسم المصحف من الحاسب الآلي تجنباً للأخطاء المطبعية.

٣- تصحيح الأخطاء التي نبه عليها فضيلة الدكتور عبدالله الزيد، فضلاً عن الأخطاء التي استدرکها أعضاء لجنة البحث العلمي بدار السلام.

٤- تم طباعة الكتاب على ورق شمواه . ونحن عندما نقدم هذا السفر الجليل بين يدي القارئ الكريم، نتضرع إلى الله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم. هذا... ونشكر كل من سعى لإخراج هذا العمل في ثوبه الجديد. وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

خادم الكتاب والسنة
عبدالمالك مجاهد

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على النبي الأمي وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فهذا اختصارٌ تفسيريٌ اختصره فضيلة الدكتور/ عبدالله بن أحمد بن علي الزيد، حفظه الله، من تفسير الإمام الحافظ الفقيه المجتهد أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء، البغوي المسمى بـ «معالم التنزيل».

وتفسيره الكامل الذي منه هذا الاختصار من أجل كتب التفسير بالمأثور، يسرد فيه التفسير بالقرآن - أي يجمع بين الآيات ذات المعنى الواحد ليوضح معنى الكلمة التي تضمنتها - ويأتي بالأحاديث مع أسانيدھا كما يذكر أقوال الصحابة ومن بعدهم من أئمة التفسير وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة؟ الزمخشري أم القرطبي أم البغوي أو غير هؤلاء؟ فأجاب قائلاً:

«وأما التفاسير الثلاثة المستول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة - البغوي» وعنه قال: «تفسيره مختصر من تفسير الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلد الثامن
في تفسير الإمام أبي عبد الله عليه السلام

الرقم

التاريخ

الملاحظات

الموضوع

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وجهله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
والصلاة والسلام على عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والبرهان . وعلى آله وأصحابه
أولى العلم والعرفان . وبعد : فإنه تفسير الإمام محمد بن أبي محمد الحسين بن مسعود
البغوي تفسير جيد يشهد العلماء بمجودته وإتقانته وتمشيده على من ذهب السلف
في المنهج والاعتقاد . وبالطويل بالنسبة لحاجة غالب الناس اليوم ، فإن الناس
اليوم بحاجة إلى تفسير مختصر موثوق . فلذلك اتجهت همة أخينا الشيخ الدكتور
عبدالله به أحمد بن علي الزيد إلى اختصار هذا التفسير وتقديمه للناس .
وقد اطلعت على نموذج من عمله فوجدته عملاً عظيماً . ومنهجا سدياً .
حيث إنه يختار من هذا التفسير ما يوضح الآيات بأقرب عبارة
وأسهلها . فهو مختصر جيد مفيد . جزى الله أخانا الشيخ عبدالله على عمله
هذا خيراً . وغفر الله للإمام البغوي ورحمه جزاء ما ترك للمسلمين من علم
نافع ومنهج قويم . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه
كاتبه :

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

صالح
١٠/١٢/١٤١٤هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقريظ لفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان آل فوزان

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وجعله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والبرهان، وعلى آله وأصحابه أولي العلم والعرفان. وبعد:

فإن تفسير الإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي تفسير جيد، شهد العلماء بجودته وإتقانه وتمشييه على مذهب السلف في المنهج والاعتقاد، إلا أنه طويل بالنسبة لحاجة غالب الناس اليوم، فالناس اليوم بحاجة إلى تفسير مختصر موثوق.

لذلك اتجهت همة أخينا الشيخ الدكتور/ عبدالله بن أحمد بن علي الزيد إلى اختصار هذا

التفسير وتقريبه للناس. وقد اطلعت على نموذج من عمله فوجدته عملاً جيداً ومنهجاً سديداً، حيث إنه يختار من هذا التفسير ما يوضح الآيات بأقرب عبارة وأسهلها، فهو مختصر جيد مفيد. جزى الله أخانا الشيخ/ عبدالله على عمله هذا خيراً وغفر الله للإمام البغوي ورحمه، جزاء ما ترك للمسلمين من علم نافع ومنهج قويم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه:

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

في (١٣/١٠/١٤١٣هـ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

النظر، ومنها ما يستطرد لعلوم أخرى لا يُحتاج إليها في فهم القرآن.

ولما كان تفسير الإمام البغوي - رحمه الله - المسمى (معالم التنزيل) يجمع بين علمي الرواية والدراية مع وضوح العبارة، وجمعه لكثير من المعاني التي يذكرها المفسرون بأسلوب سهل مقتضب بعيداً عن الألغاز والتعمية مع ما يتميز به من الالتزام بمذهب السلف الصالح في المجال العقدي وما خص به من ثناء العلماء والأئمة، وما حظي به من القبول لدى الأمة، فقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : أي التفسير أقرب إلى الكتاب والسنة، الزمخشري؟ أم القرطبي؟ أم البغوي؟ فأجاب في فتاواه (ج ٢ - ص ١٩٣) ما نصه: «أسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة: البغوي».

وقال محمد رشيد رضا في مقدمة طبعته له عام ١٣٤٣ هجرية: «هذا التفسير من أشهر كتب التفسير في العناية بما روي عن مفسري السلف وبيان معاني الآيات وأحكامها»

وهو من أجود التفاسير وأنفعها وأشملها أيضاً، إلا أنه يشتمل على روايات كثيرة وبعض القصص الإسرائيلية والأمور التي يغني بعضها عن بعض، ولم يسبق حسب علمي أن قام أحد باختصاره، لذا قمت بهذا العمل لنفسي أولاً، وحرصاً مني على تقريبه وتسهيله لمن يرغب في تفسير موثق لإمام من أئمة أهل السنة والجماعة، أسأل الله الإعانة والتوفيق والسداد والقبول.

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، ولمن استمسك به هدى ونوراً... والصلاة والسلام على من أرسله بالهدى والبيّنات سراجاً منيراً، نبينا محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه الذين حفظوا كتاب ربهم وعملوا على جمعه وضبطه وتدوينه ليصل إلى من بعدهم بصورته التي بها نزل.

وبعد: فإن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الدالة على صدق رسالة محمد ﷺ والدعوة العظمى من الله تعالى إلى التوحيد الخالص والطريق المستقيم، وقد تولى الله حفظه من التحريف والتبديل والتغيير والمعارضة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

وها هو قد مضى على نزوله أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ولا يزال كما وعد الله محفوظاً كما أنزل لم يتغير فيه عما نزل حرف ولا كلمة، ولا ترتيب، وسيبقى كذلك إلى آخر الدهر.

وقد ظهر لي من خلال عملي حاجة الناس إلى تفسير مختصر يجمع بين علمي الرواية والدراية، يكون في متناول الكل، يتميز بخلوه من المخالفات الشرعية والعقدية، وذلك لأن الوقت في هذا العصر أصبح قليلاً جداً بسبب تزاخم المعلومات في كل العلوم، فرأيت من المناسب اختيار تفسير مختصر يلبي حاجة من أراد الاطلاع على معاني كلام الله سبحانه وتعالى. وقد اطلعت على كثير من المختصرات فوجدت بعضها يهتم بجانب واحد من جوانب إعجاز القرآن كمباحث الإعراب ونكت البلاغة، والبعض الآخر لا يخلو مما يستوجب

- منهج البغوي في تفسيره:
- ٦ - يتحاشى ذكر المسائل الكلامية ويكتفي بإيراد منهج السلف فيها.
- ٧ - يذكر البغوي بعض الأخبار الإسرائيلية عند تفسير بعض الآيات التي تحكي قصص أهل الكتاب وهو مُقلّ منها بالنسبة لغيره من المفسرين.
- ٨ - يذكر بعض الأحكام الفقهية والقراءات المشهورة، وأسباب النزول في تفسيره.
- عملي في التفسير:
- ما يجده القارئ في هذا المختصر هو كله من كلام البغوي فقد التزمت بنصه التزاماً تاماً ولم أتصرف فيه بالزيادة إلا ما استدعى السياق إضافته لربط كلام البغوي بعضه ببعض كواو العطف ونحوها، ليبقى التفسير بأسلوبه السهل الميسر وجماله الناصع مع تمام الترابط والانسجام، وقد جعلت ما أضفته بين قوسين تمييزاً له عن كلام البغوي... ومن هذا يعلم أن جميع ما في هذا المختصر هو من كلام البغوي، فإذا ورد فيه قوله: (قد روينا أو حدثنا) أو نحو ذلك فالقائل هو: البغوي، وقد حرصت على هذا المنهج لما لكلام الإمام البغوي - رحمه الله - من ميزة لدى العلماء تجعل الاطمئنان إليه أكثر والثوق به أحرى، وما عملته في الاختصار لا يخرج في الغالب عن أحد الأمور التالية:
- ١ - استبعاد ما لا ضرورة له في بيان معاني الآيات من الروايات والأسانيد المطولة والأحكام التي لا حاجة لها والاختصار من سند الحديث عند ذكره على اسم الصحابي الذي روى الحديث عن رسول الله ﷺ وترك لمن أراد الاستزادة الرجوع إلى الأصل المختصر.
- ٢ - إذا تعددت الأحاديث التي يوردها المؤلف على وفق معاني الآيات الكريمة اقتصر على ذكر حديث واحد منها وقد أقصر على
- ١ - من المعلوم أن أحسن طرق التفسير هي تفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فُسر في موضع آخر، ثم بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، ثم بأقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك حيث إنهم حضروا التنزيل وشاهدوا من القرائن والأحوال ما لم يعلمه غيرهم، ثم بأقوال التابعين الذين تعلموا على الصحابة وأخذوا عنهم، وهذا ما اتخذه البغوي منهجاً له في تفسيره.
- ٢ - سلك البغوي - رحمه الله - مسلكاً متوسطاً بلفظ موجز وسهل بعيداً عن الاستطراد والحشو، جاء في مقدمة تفسيره: (جمعت بعون الله تعالى وحسن توفيقه فيما سألتوا كتاباً متوسطاً بين الطويل الممل والقصير المخل) اهـ.
- ٣ - ما ذكره من الأحاديث النبوية الشريفة فغالبا يسوقها بأسانيدھا التي اشترط فيها الصحة أو الحسن، وقد وضع ذلك بقوله: (ما ذكرت من أحاديث رسول الله ﷺ - في أثناء الكتاب على وفق آية أو بيان حكم فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة، وعليها مدار الشرع وأمور الدين، فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث، وأعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير).
- ٤ - ما ذكره عن الصحابة والتابعين فغالبا يذكره بلا إسناد وذلك لأنه ذكر في مقدمته إسناده إلى كل من يروي عنهم.
- ٥ - يذكر أقوال السلف في تفسير الآية ولا يرجع بعضها على بعض في كثير من الأحيان إشارة منه - رحمه الله - إلى أن معنى الآية قد يحتمل جميع المعاني أو أكثرها، وهذه ميزة تميز بها تفسير البغوي قلما توجد في غيره.

أشكل فيها على طبعة عام (١٣٤٣) هجرية التي طبعت على حاشية تفسير الإمام ابن كثير. وبعد فراغي من العمل خرجت الطبعة الجديدة التي حققها الإخوة محمد عبدالله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش فاستفدت منها في مقابلة بعض العبارات المشككة وفي بعض التخریجات للأحاديث النبوية الشريفة واكتفيت بذلك عن المقابلة على مخطوطة الكتاب وذلك لأن هذه الأخيرة طبعة مقابلة على مخطوطة الكتاب كما جاء في مقدمتها^(١).

أسأل الله الكريم أن ينفع بعلمي هذا وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم. وجزى الله خيراً من ينهني على خطأ يجده فليراسلني على ص.ب (٣٤٠٦٥٥) الرياض (١١٣٣٣)، ومن ينتفع بما فيه فيدعو لي من وراء الغيب دعوة خير صادقة، والله الموفق وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الرياض في (١٤٢٢/٩/٢٢) هجرية

د. عبدالله بن أحمد بن علي الزيد

موضع الشاهد من الحديث إذا كان يؤدي المعنى المقصود.

٣ - جرى تخريج الأحاديث الشريفة التي وردت في المختصر.

٤ - الإبقاء ما أمكن على الآيات التي استشهد بها المؤلف على طريقته في تفسير القرآن بالقرآن مع جعلها بين قوسين مختلفين عن أقواس الآيات المفسرة.

٥ - تجريد المختصر من الإسرائيليات ما أمكن إلا ما روى منها عن رسول الله ﷺ أو أقره.

٦ - عند تعدد ذكر الآثار أكتفي منها بما يكشف معنى الآية.

٧ - جرى حذف بعض القراءات وخاصة إذا لم يترتب على المحذوف منها تغير المعنى.

الطبعة التي اعتمدت عليها:

اعتمدت في عملي هذا على الطبعة المستقلة الكاملة لتفسير الإمام البغوي في طبعها الثانية عام (١٤٠٧) هجرية التي حققها الأستاذان خالد عبدالرحمن العك، ومروان سوار، وقد قابلت ما

(١) وقد جرى إعادة صف الكتاب في هذه الطبعة الثانية التي استدرك فيها كثير مما فات في الطبعة الأولى وجرى تنقيح الطباعة وتدقيقها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة الإمام البغوي

وعلومهما، وصفه من ترجم له: بشيخ الإسلام ومحيي السنة وعلامة زمانه وأنه ديناً ورعاً عابداً حافظاً ثباتاً ثقة حجة صحيح العقيدة.

وهو من أئمة الحديث الشريف، واسع المعرفة بمتونه وأسانيده وأحوال رجاله. كما أنه إمام في الفقه والأحكام. وإمام في التفسير وعلوم القرآن الكريم.

وقد خلف مؤلفات كثيرة منها شرح السنة، ومصابيح السنة، ومعالم التنزيل وهو أصل هذا المختصر والتهذيب في فقه الإمام الشافعي. وغير ذلك كثير.

وأخذ الإمام البغوي العلم عن أئمة عصره وكبار الحفاظ والمحدثين في زمانه منهم: الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المروزي المتوفى سنة (٤٦٢هـ)، ومحدث مرو عبد الواحد بن أحمد المليحي الهروي المتوفى سنة (٤٦٣هـ)، والإمام علي بن يوسف الجويني شيخ الحجاز المتوفى (٤٦٣هـ) وغيرهم.

وقد روى عنه تلاميذ عدة منهم مجد الدين العطاردي الأصولي والمحدث الطائي الهمداني وآخرون. رحم الله البغوي رحمة واسعة ورحمنا معه بمنه وكرمه إنه على ذلك قدير.

هو الإمام العلامة الحافظ المفسر المحدث الفقيه محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي من أئمة السلف الصالح المتمسكين بالكتاب والسنة.

ولد في بلدة (بغشور أو: بغ) وإليها نسبته وهي من بلاد خراسان، وذلك في أوائل العقد الرابع من القرن الخامس الهجري.

ونشأ البغوي شافعي المذهب غير متعصب لإمامه ولا مندب غيره من العلماء، بل سلك مسلك أهل الاختيار والترجيح والتصحيح.

ومنهجه في العقيدة منهج السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم فلم يشغل نفسه بنظريات المتفلسفة وخلافات المتكلمين من الجهمية والمعتزلة وغيرهم، وإنما التزم بمنهج أهل السنة والجماعة ناشراً له ومدافعاً عنه.

وقد تنقل البغوي في كثير من البلاد طلباً للعلم إلى أن استقر في (مروالروذ) الوطن الثاني للبغوي، وبقي فيها إلى أن وافته المنية عن نيف وثمانين سنة فيما بين عام (٥١٠هـ) إلى (٥١٦هـ) على خلاف في ذلك.

وقد أجمع علماء أهل السنة على جلالة قدر الإمام البغوي ورسوخ علمه بالكتاب والسنة

(١) سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

أي يفزعون إليه في الشدائد ويلجؤون إليه في الحوائج كما يوله كل طفل إلى أمه، وقيل: هو من الوله وهو ذهاب العقل لفقد من يعز عليك.

قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، واختلفوا في آية التسمية فذهب قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة إلى أنها ليست من فاتحة الكتاب، ولا من غيرها من السور والافتتاح بها للثمين والتبرك، وذهب قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز إلى أنها ليست من الفاتحة وليست من سائر السور، فإنما كتبت للفصل، وذهب جماعة إلى أنها من الفاتحة ومن كل سورة إلا سورة التوبة، واتفقوا على أن الفاتحة سبع آيات والآية الأولى عند من يعدها من الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم وابتداء الآية الأخيرة صراط الذين، ومن لم يعدها من الفاتحة قال: ابتداءها الحمد لله رب العالمين وابتداء الآية الأخيرة غير المغضوب عليهم.

[٢، ٣] قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لفظه خبر كأنه يخبر عن المستحق للحمد هو الله عز وجل، وفيه تعليم الخلق تقديره: قولوا الحمد لله، والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة، يُقال: حمدت فلاناً على ما أسدى إليّ من نعمة، وحمدته على علمه وشجاعته، والشكر لا يكون إلا على النعمة، والحمد أعم من الشكر إذ لا يقال: شكرت فلاناً على علمه، فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامداً.

قوله: ﴿اللَّهُ﴾ اللام فيه للاستحقاق كما يُقال الدار لزيد. قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، فالرب يكون بمعنى المالك كما يُقال لمالك الدار: رب الدار، ويقال: رب الشيء إذا ملكه، ويكون بمعنى التربية والإصلاح يقال: رب

ولها ثلاثة أسماء معروفة: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، وهي مكية على قول الأكثرين، وقال مجاهد: مدنية، وقيل: نزلت مرتين، مرة بمكة ومرة بالمدينة. والأول أصح أنها مكية لأن الله تعالى منّ على الرسول ﷺ بقوله: (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني)، والمراد منها: فاتحة الكتاب، وسورة الحجر مكية، فلم يكن يمنّ عليه بها قبل نزولها.

[١] قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الباء زائدة يخفّض ما بعدها، مثل مِنْ وَعَنْ، والمتعلق به محذوف لدلالة الكلام عليه، تقديره: ابدأ بسم الله أو قل بسم الله، وأسقطت الألف من الاسم طلباً للخفة لكثرة استعمالها، فإن قيل: ما معنى التسمية من الله لنفسه؟ قيل: هو تعليم للعباد كيف يستفتحون القراءة.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ﴾ قال الخليل وجماعة: هو اسم علم خاص لله عز وجل لا اشتقاق له كأسماء الأعلام للعباد، مثل زيد وعمرو، وقال جماعة: هو مشتق، ثم اختلفوا في اشتقاقه فقول: من أله إلهة أي: عبد عبادة، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما «ويدرك وإلاهتك» أي: عبادتك. معناه أنه المستحق للعبادة دون غيره، وقيل: أصله إله، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لُدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خُلِقَ﴾، قال المبرد: هو قول العرب: ألّهت إلى فلان أي سكنت إليه، قال الشاعر:

ألّهت إليها والحوادث جمّة

فكان الخلق يسكنون إليه ويطمثنون بذكره، يقال: ألّهت إليه أي: فرغت إليه. وقيل: أصل الإله ولاه، فأبدلت الواو بالهمزة مثل وشاح وأشاح، اشتقاقه من الوله لأن العباد يولّهون إليه،

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ أَهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

أي: مُذِلِّل، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا.

[٦] قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، اهْدِنَا: أرشدنا، وقال علي وأبي بن كعب: ثَبَّتْنَا، كما يُقال للقائم: قم حتى أعود إليك، أي: دم على ما أنت عليه، وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية، بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية، لأن اللطاف والهدايات من الله تعالى لا تنتهي على مذهب أهل السنة.

﴿الصِّرَاطَ﴾: وصراط قُرئ بالسين وهو الأصل، سمي سراطاً لأنه يسرط السابلة، ويُقرأ بالزاي وقرأ حمزة بإشمام الزاي وكلها لغات صحيحة، والاختيار الصاد عند أكثر القراء لموافقة المصحف.

والصراط المستقيم: قال ابن عباس وجابر: هو

فَلَانُ الضِّيعَةِ يربها إذا أتمها وأصلحها، فالله تعالى مالك العالمين ومُرْتَبِهِمْ، ولا يقال للمخلوق: هو الرب معرفاً، إِنَّمَا يُقَالُ: رَبُّ كَذَا مضافاً، لَأَنَّ الألف واللام للتعميم، وهو لا يملك الكل.

والعالمين: جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه، واختلفوا في العالمين، قال ابن عباس: هم الجن والإنس، لأنهم مكلفون بالخطاب، قال الله تعالى: (ليكون للعالمين نذيراً): وقال قتادة ومجاهد والحسن: جميع المخلوقين، قال الله تعالى: (قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما).

[٤] قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قرأ عاصم والكسائي ويعقوب ﴿مَلِكِ﴾ وقرأ الآخرون «ملك» قال قوم: معناهما واحد مثل فرهين وفارهيين وحذرين وحاذرين، ومعناهما الرب، يقال: رب الدار ومالكها، وقيل: المالك هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود، ولا يقدر عليه أحدٌ غير الله، قال ابن عباس ومقاتل والسدي: ملك يوم الدين قاضي يوم الحساب، وقال قتادة: الدين الجزاء، ويقع على الجزاء في الخير والشر جميعاً، كما يقال: كما تدين تُدان، قال محمد بن كعب القرظي: ملك يوم لا ينفع فيه إلا الدين، وقال يَمَانُ بن رباب: الدين القهر، يُقال: دِنْتَهُ فدان، أي: قهرته فذل، وقيل: الدين الطاعة، أي: يوم الطاعة، وإنما خُصَّ يومُ الدين بالذكر مع كونه مالِكاً للأيام كلها لأن الأملاك يومئذٍ زائلة فلا ملك ولا أمر إلا له، قال الله تعالى: (الملك يومئذٍ الحق للرحمن).

[٥] قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾، إِيَّا كلمة ضمير خُصِّتْ بالإضافة إلى المضمَر.

قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ أي: نوحذك ونطيعك خاضعين، والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع، وسمي العبد عبداً لذته وانقياده يقال: طريق معبد

بسكته، وهو مخفف ويجوز ممدودًا ومقصورًا، ومعناه اللهم اسمع واستجب.

(فصل في فضل فاتحة الكتاب)

قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها وإنما لهي السبع المثاني التي آتاني الله عز وجل»، هذا حديث حسن صحيح^(٢).

وعن ابن عباس قال: بينا رسول الله ﷺ وعنده جبريل إذا سمع نقيضًا من فوقه، فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: هذا باب فتح من السماء ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ فقال: «أبشُرْ بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفًا منهما إلا أعطيته»، صحيح^(٣).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج غير تمام».

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني ولعبدني نصفين نصفها لي ونصفها لعبدني والعبد ما سأل» قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول الله: حمدني عبدي، يقول العبد: ﴿الْكَافِرُ الْكَافِرُ﴾ يقول الله: أثنى عليّ عبدي، يقول العبد: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾، يقول الله: مجدني عبدي، يقول العبد:

الإسلام وهو قول مقاتل، وقال ابن مسعود: هو القرآن وروي عن علي مرفوعًا: «الصراط المستقيم كتاب الله»^(١) وقال سعيد بن جبير: طريق الجنة، وقال سهل بن عبد الله: طريق السنة والجماعة، وقال بكر بن عبد الله المزني: طريق رسول الله ﷺ، وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصحابه، وأصله في اللغة الطريق الواضح.

[٧] ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: مننت عليهم بالهداية والتوفيق، قال عكرمة: مننت عليهم بالثبات على الإيمان والاستقامة وهم الأنبياء عليهم السلام، وقيل: هم كل من ثبته الله على الإيمان من النبيين والمؤمنين. وقال ابن عباس: هم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن يغيروا دينهم، وقال عبد الرحمن: هم النبي ومن معه، وقال أبو العالية: هم الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال عبد الرحمن بن زيدان: رسول الله ﷺ وأهل بيته، وقال شهر بن حوشب: هم أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته.

قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: غير صراط الذين غضبت عليهم.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أي: وغير الضالين عن الهدى، وأصل الضلال الهلاك والغيوبة، يقال: ضل الماء في اللبن إذا هلك وغاب، و«غير» ههنا بمعنى لا، ولا بمعنى غير، وقيل: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود والضالون هم النصارى، لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠] وحكم على النصارى بالضلال فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ [المائدة: ٧٧] وقال سهل بن عبد الله: غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة.

والسنة للقارئ أن يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة ﴿آمِينَ﴾، مفصلاً عن الفاتحة

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١٧٢/١ وضعفه أحمد شاكر في تعليقه عليه. (٢) رواه الترمذي في فضائل القرآن باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ١٧٨/٨-١٨٠، وأحمد في المسند ٤١٢/٢-٤١٣، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم. انظر الترغيب والترهيب للمنزدي ٣٦٧/٢، وأخرجه المصنف في شرح السنة ٤٤٦/٤، ٤٤٧ (٣) رواه مسلم في صلاة المسافرين برقم (٨٠٦) ٥٥٤/١، والنسائي في افتتاح الصلاة ١٣٨/٢ والمصنف في شرح السنة ٤٦٦/٤.

مقطعة لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم، ألا ترى أنك تقول المَرَّ وحمَّ ونَّ فيكون الرحمن، وكذلك سائرهما إلا أنا لا نقدر على وصلها.

وقال قتادة: هذه الحروف أسماء القرآن، وقال مجاهد وابن زيد: هي أسماء السور، ويبانه أن القائل إذا قال قرأت المَصَّ عرف السامع أنه قرأ السورة التي افتتحت بالمَصَّ، وروي عن ابن عباس: أنها أقسام، وقال الأخفش: إنما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لأنها مباني كتبه المنزل ومبادئ أسمائه الحسنى.

[٢] قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ أي: هذا الكتاب وهو القرآن، وأصل الكتاب الضم والجمع، وسُمي الكتاب كتاباً لأنه جمع حرف إلى أحرف. قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، أي: لا شك فيه أنه من عند الله وأنه الحق والصدق، وقيل: هو خبر بمعنى النهي أي: لا ترتابوا فيه.

قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: هو هدى، أي: رشد وبيان لأهل التقوى، وقيل: هو نصب على الحال، أي: هادياً تقديره لا ريب فيه، في هدايته للمتقين، والهدى ما يهتدي به الإنسان. للمتقين، أي: للمؤمنين، قال ابن عباس: المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش، وهو مأخوذ من الاتقاء، وأصله الحجز بين شيئين، ومنه يُقال: اتقى بترسه أي: جعله حاجزاً بين نفسه وبين ما يقصده. فكان المتقي يجعل امتثال أمر الله والاجتناب عما نهاه حاجزاً بينه وبين العذاب وتخصيص المتقين بالذكر تشريف لهم أو لأنهم هم المتفعون بالهدى.

[٣] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ موضع (الذين)

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، يقول الله عز وجل: هذه الآية بيني وبين عبدي، ولعبدني ما سأل، يقول العبد: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، يقول الله: (فهؤلاء لعبدني ولعبدني ما سأل)، صحيح^(١).

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ

[١] ﴿الْم﴾ قال الشعبي وجماعة: المّ وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وهي سرّ القرآن، فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها، قال أبو بكر الصديق: في كل كتاب سرّ وسرّ الله في القرآن أوائل السور، وقال علي: إن لكل كتاب صفة وصفة هذا الكتاب حروف التهجي.

وقال جماعة: هي معلومة المعاني، فقليل: كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه كما قال ابن عباس في كهيعص، الكاف من كافي والهاء من هادي والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق، وقيل في المَصَّ أنا الله الملك الصادق، وقال الربيع بن أنس في المّ: الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف والميم مفتاح اسمه المجيد، وقال محمد بن كعب: الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه، وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال: معنى المّ أنا الله أعلم، ومعنى المَصَّ أنا الله أعلم وأفضل، ومعنى الرّ أنا الله أرى، ومعنى المّ أنا الله أعلم وأرى. قال الزجاج: وهذا حسن فإن العرب تذكر حرفاً من كلمة تريدها كقولهم:

قلت لها قفي فقالت لي قاف^(٢)

أي: وقتت.

وعن سعيد بن جبيرة قال: هي أسماء الله تعالى

(١) رواه مسلم في الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة رقم (٣٩٥) ١/٢٩٦، والمصنف في شرح السنة ٣/٤٧.

(٢) هذا الرجز للوليد بن عتبة انظر تفسير الطبري ١/٢١٢.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا

أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝

أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝

خفض؛ نعمًا للمتقين، يؤمنون يصدقون، وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب، قال الله تعالى: (وما أنت بمؤمن لنا) أي: بمصدق لنا، وهو في الشريعة: الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، فسمي الإقرار والعمل إيمانًا لوجه من المناسبة لأنه من شرائعه، والإسلام هو الخضوع والانقياد فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيمانًا إذا لم يكن معه تصديق، وذلك لأن الرجل قد يكون مستسلمًا في الظاهر غير مصدق في الباطن ويكون مصدقًا في الباطن غير منقاد في الظاهر، والإيمان مأخوذ من الأمان فسمي المؤمن مؤمنًا لأنه يؤمن نفسه من عذاب الله، والله تعالى مؤمن لأنه يؤمن العباد من عذابه.

﴿بِالْغَيْبِ﴾ ما كان مغيبًا من العيون، قال ابن عباس: الغيب ههنا كل ما أمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان، وقيل: الغيب ههنا هو الله تعالى، وقيل: القرآن وقال الحسن: الآخرة، وقال ابن جريج: الوحي.

قوله: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، أي: يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها وأركانها وهيئاتها، يقال: قام بالأمر وأقام الأمر إذا أتى به معطيًا حقوقه، أو المراد بها الصلوات الخمس، ذكر بلفظ الواحد. والصلاة في اللغة: الدعاء، قال الله تعالى: (فصلّ عليهم) أي: ادعُ لهم، وفي الشريعة اسم لأفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء وثناء.

قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾، أي: أعطيناهاهم، والرزق اسم لكل ما يُنتفع به حتى الولد والعبد، وأصله في اللغة: الحظ والنصيب.

﴿يُنفِقُونَ﴾: يتصدقون، قال قتادة: ينفقون في سبيل الله وطاعته، وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد والملك، وهذه الآية في المؤمنين من مشركي

العرب.

[٤] قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، يعني:

القرآن. ﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: من التوراة والإنجيل

وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة

والسلام وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتب.

قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾، أي: بالدار الآخرة، سُميت

الدنيا: دنيا لدنوها من الآخرة، وسُميت الآخرة:

آخرة لتأخرها وكونها بعد الدنيا ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾،

أي: يستيقنون أنها كائنة، من الإيقان وهو العلم،

وقيل: الإيقان واليقين علم عن استدلال، ولذلك

لا يُسمى الله موقنًا ولا علمه يقينًا إذ ليس علمه عن

استدلال.

[٥] قوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي: أهل هذه الصفة ﴿عَلَىٰ

هُدًى﴾، أي: رُشد وبيان وبصيرة. ﴿مِنْ رَبِّهِمْ

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الناجون والفائزون فازوا

بالجنة ونجوا من النار، ويكون الفلاح بمعنى البقاء، أي باقون في النعيم المقيم، وأصل الفلاح: القطع والشق، ومنه سُمي الزَّراع: فلاحًا لأنه يشق الأرض، فهم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة.

[٦] قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني مشركي العرب، قال الكلبي: يعني اليهود، والكفر هو الجحود، وأصله: من الستر ومنه سُمي الليل كافرًا لأنه يستر الأشياء بظلمته، وسُمي الزَّراع كافرًا لأنه يستر الحب بالتراب، فالكافر يستر الحق بجحوده، والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق، فكفر الإنكار هو أن لا يعرف الله أصلًا ولا يعترف به، وكفر به، وكفر الجحود هو أن يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه ككفر إبليس وكفر اليهود، وكفر العناد هو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب، وأما كفر النفاق فهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب.

وجميع هذه الأنواع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له.

قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ متساوٍ لديهم ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾: خوفتهم وحذرتهم، والإنذار: إعلام مع تخويف وتحذير، فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرًا. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف على الاستفهام، ﴿كَمْ﴾: حرف جزم لا يلي إلا الفعل، لأن الجزم يختص بالأفعال. ﴿نُنْذِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله.

ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال:

[٧] ﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾ أي: طبع الله ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فلا تعني خيرًا ولا تفهمه، وحقيقة الختم: الاستيثاق من الشيء كيلا يدخله ما خرج منه ولا يخرج عنه ما فيه، ومنه الختم على الباب، قال أهل السنة أي:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ فَمَا رَجِحتُ بِتَحْرِتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

حكم على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الأول فيهم، وقال المعتزلة: جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة بها، ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾، أي: على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به، وأراد على أسماعهم كما قال على قلوبهم، وإنما وحده لأنه مصدر والمصدر لا يُثنى ولا يُجمع. ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾: هذا ابتداء كلام، غشاوة أي: غطاء فلا يرون الحق.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: في الآخرة، وقيل: القتل والأسر في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى، والعذاب: كل ما يعني الإنسان ويشق عليه، قال الخليل: العذاب ما يمنع الإنسان عن مراده، ومنه الماء العذب لأنه يمنع العطش.

[٨] قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ نزلت في المنافقين وأكثرهم من اليهود، والناس:

﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ أنفسهم بالكفر، والناس بالتعويق عن الإيمان، ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون أنهم مفسدون، لأنهم يظنون أن الذي هم عليه من إبطان الكفر صلاح، وقيل: لا يعلمون ما أعد الله لهم من العذاب.

[١٣] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: للمنافقين، وقيل: لليهود: ﴿ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾: عبدالله بن سلام وغيره من مؤمني أهل الكتاب، وقيل: كما آمن المهاجرون والأنصار، ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ أي: الجاهل، فإن قيل: كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء؟ قيل: إنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين، فأخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بذلك فردَّ الله عليهم فقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أنهم كذلك، والسفيه خفيف العقل رقيق الحلم، من قولهم: ثوب سفیه أي: رقيق، وقيل: السفيه: الكذاب الذي يتعمد بخلاف ما يعلم.

[١٤] ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، يعني: هؤلاء المنافقين إذا لقوا المهاجرين والأنصار: ﴿قَالُوا ءَامِنًا﴾ كإيمانكم ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ رجعوا، ويجوز أن يكون من الخلوة، و﴿إِلَى﴾، بمعنى: الباء أي: بشياطينهم، وقيل: إلى بمعنى مع، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: مع أموالكم ﴿شَيْطَانِيهِمْ﴾، أي: رؤسائهم وكهنتهم، ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان تابع له، والشيطان المتمرد العاتي من الجن والإنس ومن كل شيء، وأصله البعد، يقال: بثر شطون، أي: بعيدة العمق، سُمي الشيطان شيطاناً لامتداده في الشر وبعده من الخير، وقال مجاهد: إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين، ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾، أي: على دينكم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ بمحمد ﷺ وأصحابه بما نَظَّهَر من الإسلام.

جمع إنسان، وسمي به لأنه عُهد إليه فَنَسِي، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾، وقيل: لظهوره من قولهم أي أبصرت، وقيل: لأنه يستأنس به. ﴿وَبِالْأَيْمُونِ الْآخِرِ﴾ أي: بيوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

[٩] ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ أي: يخالفون الله، وأصل الخداع في اللغة الإخفاء، ومنه المخدع للبيت الذي يُخْفِي فيه المتاع، فالمخداع يظهر خلاف ما يضمّر. وقيل: أصل الخداع: الفساد، معناه: يفسدون ما أظهروا من الإيمان بما أضمروا من الكفر ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أي: ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم آمنوا وهم غير مؤمنين. ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾، لأن وبال خداعهم راجع إليهم لأن الله يُطْلِع نبيه ﷺ على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون أنهم يخدعون أنفسهم وأن وبَالَ خداعهم يعود عليهم.

[١٠] ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾: شك ونفاق، وأصل المرض الضعف، سُمي الشك في الدنيا مرضاً لأنه يُضْعِف الدين كالمرض يضعف البدن، ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾، لأن الآيات كانت تنزل ترى آية بعد آية، كلما كفروا بآية ازدادوا كفراً ونفاقاً ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم يخلص وجعه إلى قلوبهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: ما للمصدر، أي: بتكذيبهم الله ورسوله في السر.

[١١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾، يعني: للمنافقين، وقيل: لليهود، أي: قال لهم المؤمنون: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾، بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن، وقيل: معناه لا تكفروا، والكفر أشد فساداً في الدين، ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: يقول هذا القول كذباً كقولهم آمننا وهم كاذبون.

[١٢] ﴿أَلَا﴾: كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب،

النار نورٌ وحرارةٌ فيذهب نورُهم وتبقى الحرارة عليهم، وقال مجاهد: إضاءة النار إقبالهم إلى المسلمين والهدى، وذهب نورهم إقبالهم إلى المشركين والضلالة، وقال عطاء: نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي ﷺ واستفتاحهم به على مشركي العرب، فلما خرج كفروا به.
ثم وصفهم الله فقال:

[١٨] ﴿صُمٌّ﴾ أي: هم صُم عن الحق لا يقبلونه، وإذا لم يقبلوا فكأنهم لم يسمعوا، ﴿بُكْمٌ﴾ خرسٌ عن الحق لا يقولونه، أو أنهم لما أبطنوا خلاف ما أظهروا فكأنهم لم ينطقوا بالحق، ﴿عُتًى﴾ أي: لا بصائر لهم، ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له، ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلالة إلى الحق.

[١٩] ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ أي: كأصحاب صيب، وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين، بمعنى: إن شئت مثلهم بالمستوقد، وإن شئت بأهل الصيب، والصيب: المطر وكل ما نزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيب، فعيل من صاب يصوب، أي: نزل ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من السحاب، وقيل: هي السماء بعينها، والسماء كل ما علاك فأظلك، وهي من أسماء الأجناس يكون واحدًا وجمعًا. ﴿فِيهِ﴾ أي: في الصيب، وقيل: في السماء، أي: في السحاب ﴿ظُلُمَتِ﴾ جمع ظلمة ﴿وَرَعَدُ﴾: وهو الصوت الذي يسمع من السحاب، ﴿وَرَقَّ﴾: وهو النار التي تخرج منه ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءَآذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ﴾: جمع صاعقة، وهي الصيحة التي يموت من يسمعها أو يُغشى عليه، ويقال لكل عذاب مُهلك: صاعقة.

قوله: ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾، أي: مخافة الهلاك، ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، أي: عالم بهم، وقيل: جامعهم، قال مجاهد: يجمعهم فيعذبهم، وقيل: مهلكهم، دليله قوله تعالى: (إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ) أي: تُهلكوا جميعًا.

[١٥] ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُدُّهُمُ﴾: يتركهم ويمهلهم، والمد والإمداد واحد، وأصله الزيادة إلا أن المدَّ كثيرًا ما يأتي في الشر، والإمداد في الخير، قال الله تعالى في المدَّ (وَنَمُدُّ لَكُم مِّنَ الْعَذَابِ مَدًّا)، وقال في الإمداد: (وَأَمَدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ)، (وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ). ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ أي: في ضلالتهم، وأصل الطغيان: مجاوزة الحد، ومنه: طغى الماء ﴿بِقَمْعِهِمْ﴾، أي يترددون في الضلالة متحيرين.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَاطَةَ بِالْهُدَى﴾: بالإيمان ﴿فَمَا رِيحَتْ بِحَدْرِهِمْ﴾، أي: استبدلوا الكفر، أي: ما ربحوا في تجارتهم ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: من الضلالة، وقيل: مصيبين في تجارتهم.

[١٧] ﴿مَثَلُهُمْ﴾: شبهتهم، وقيل: صفتهم، والمَثَلُ قولٌ سائر في عُرف الناس يعرف به منه الشيء، وهو أحد أقسام القرآن السبعة، ﴿كَتَلٍ أَلَدَى﴾: يعني الذين بدليل سياق الآية ﴿أَسْتَوْفَدَ نَارًا﴾: أَوْفَدَ نَارًا، ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ النار ﴿مَا حَوْلَهُ﴾، أي: حول المستوقد ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَكَّاهُمْ فِي ظُلُمَتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾، قال ابن عباس: نزلت في المنافقين، يقول: مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد نارًا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفاً ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف، فبينما هو كذلك إذ طُفئت ناره فبقي في ظلمة خائفاً متحيراً، فكذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمِنُوا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين، ووارثوهم وقاسموهم الغنائم، فذلك نورهم، فإذا ماتوا عادُوا إلى الظلمة والخوف، وقيل: ذهب نورهم في القبر، وقيل: في القيامة حيث يقولون للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم، وقيل: ذهب نورهم بإظهار عقيدتهم على لسان النبي ﷺ، فضرِب النار مثلاً، ثم لم يقل: أطفأ الله نارهم لكن عبَّر بإذهاب النور عنه، لأن

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

٤

الْبَقَرَةِ

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
 ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ
 بِكُمْ عَمَى فَعَمَى لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ
 ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْصِعَةً فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصُّوَاعِقِ
 حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ
 أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَاهُ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَتَأَيَّمُوا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
 وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
 الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
 بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا
 فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا
 النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

تأخروا وقاموا، أي: وقفوا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ
 بِسَمْعِهِمْ﴾، أي: بأسماعهم ﴿وَأَبْصَرَهُمْ﴾ الظاهرة،
 كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة، وقيل:
 لذهب بما استفادوا من العز والأمان الذي لهم
 بمنزلة السمع والبصر ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:
 قادر.

[٢١] قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا النَّاسُ﴾، قال ابن
 عباس: يا أيها الناس: خطاب أهل مكة، ويا أيها
 الذين آمنوا خطاب أهل المدينة، وهو هنا عام إلا
 من حيث إنه لا يدخله الصغار والمجانين
 ﴿اعْبُدُوا﴾: وحدوا، قال ابن عباس: كل ما ورد
 في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد، ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي
 خَلَقَكُمْ﴾: والخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق
 ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، أي وخلق الذين من قبلكم
 ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لكي تنجوا من العذاب،

[٢٠] ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾، أي: يقرب، يقال: كاد
 يفعل إذا قرب ولم يفعل، ﴿يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ﴾:
 يختلسها، والخطف استلاب بسرعة ﴿كُلَّمَا﴾ متى
 ما، ﴿أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَاهُ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾، أي:
 وقفوا متحيرين، فالله تعالى شبههم في كفرهم
 ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة وسواد في ليلة مظلمة
 أصابهم مطر فيه ظلمات، من صفتها أن الساري لا
 يمكنه المشي فيها، ورعد من صفتها أن يضم
 السامعون أصابعهم إلى آذانهم من هوله، وبرق من
 صفتها أن يقرب من أن يخطف أبصارهم ويعميها من
 شدة توقده، فهذا مثل ضربه الله للقرآن، وصنيع
 الكافرين والمنافقين معه، فالمطر: القرآن لأنه حياة
 الجنان كما أن المطهر حياة الأبدان، والظلمات:
 ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك، والرعد ما
 خوَّفوا به من الوعيد، وذكر النار، والبرق ما فيه من
 الهدى والبيان والوعد، وذكر الجنة، فالكافرون
 يسدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب
 إليه، لأن الإيمان عندهم كفر، والكفر موت، يكاد
 البرق يخطف أبصارهم أي: القرآن يُبهر قلوبهم.
 وقيل: هذا مثل ضربه الله للإسلام، فالمطر:
 الإسلام، والظلمات: ما فيه من البلاء واليأس،
 والرعد: ما فيه من الوعيد والمخاوف في الآخرة،
 والبرق: ما فيه من الوعد، (يجعلون أصابعهم في
 آذانهم) يعني: أن المنافقين إذا رأوا في الإسلام
 بلاءً وشدةً هَرَبُوا حَذَرًا مِنَ الْهَلَاكِ، والله محيط
 بالكافرين: جامعهم، يعني: لا ينفعهم هربهم لأن
 الله تعالى من ورائهم يجمعهم فيعذبهم، (يكاد
 البرق) يعني: دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر
 لولا ما سبق لهم من الشقاوة (كلما أضاء لهم مشوا
 فيه) يعني: أن المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان
 آمنوا فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة، وقيل: معناه
 كلما نالوا غنيمةً وراحةً في الإسلام ثَبُتُوا وقالوا:
 إِنَّا مَعَكُمْ، وإذا أظلم عليهم يعني: رأوا شدةً وبلاءً

وَالْحِجَارَةُ»، قال ابن عباس وأكثر المفسرين: يعني حجارة الكبريت لأنها أكثر النهابا، وقيل: جمع الحجارة، وهو دليل على عِظَم تلك النار، وقيل: أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت منحوتة من الحجارة، كما قال: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)، «أُعِدَّتْ»: هيئت «لِلْكَافِرِينَ».

[٢٥] قوله تعالى: «وَبَيَّرَ الَّذِينَ آمَنُوا»، أي: أخبر، والبشارة: كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويُستعمل في الخير والشر وفي الخير أغلب، «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»، أي: الفعلات الصالحات، يعني: المؤمنين الذين هم من أهل الطاعات قال معاذ: العمل الصالح الذي فيه أربعة أشياء: العلم والنية والصبر والإخلاص، «أَنَّ لَهُمْ جَنَّتٍ»: جمع الجنة، والجنة: البستان الذي فيه أشجار مثمرة، سُميت بها لاجتنانها وتسترها بالأشجار، وقال الفراء: الجنة ما فيه النخيل، والفردوس ما فيه الكرم «تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا» أي: من تحت أشجارها ومساكنها «الْأَنْهَارُ»، أي: المياه في الأنهار، لأن النهر لا يجري، وقيل: من تحتها أي: بأمرهم، والأنهار جمع نهر، سُمي به لسعته وضياؤه، ومنه النهار «كُلَّمَا»: متى ما، «رُزِقُوا»: أُطعموا «مِنْهَا» أي: من الجنة، «مِنْ ثَمَرَةٍ» أي: ثمرة، ومن: صلة. «رِزْقًا»: طعامًا، «قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ» قيل: من قبل في الدنيا، وقيل: الثمار في الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم، فإذا رُزِقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى، «وَأُتُوا بِهِ»: رزقًا «مُتَشَبِهًا»، قال ابن عباس ومجاهد والربيع: متشابهًا في الألوان مختلفًا في الطعوم، وقال الحسن وقتادة: متشابهًا أي: يشبه بعضها بعضًا في الجودة، أي: كلها خيار لا رذالة فيها، وقال محمد بن كعب: يشبه ثمر الدنيا، غير أنها أطيب، وقيل: متشابهًا في

وقيل: معناه كونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله، وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء.

[٢٢] «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا»، أي: بساطًا، وقيل: منامًا، وقيل: وطاءً، أي: ذلها ولم يجعلها حَزَنَةً لا يمكن القرار عليها، والجعل هنا بمعنى: الخلق، «وَالسَّمَاءَ بَنَاءً»: سقفاً مرفوعًا، «وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ»، أي: من السحاب، «مَاءً»، وهو المطر، «فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ»: من ألوان الثمرات وأنواع النبات، «رِزْقًا لَكُمْ»: طعامًا لكم وعلفًا لدوابكم، «فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا»، أي: أمثالًا تعبدونهم كعبادة الله، وقال أبو عبيدة: الندّ الضدّ، وهو من الأضداد، والله تعالى بريء من المثل والضدّ، «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»: أنه واحد خالق هذه الأشياء.

[٢٣] «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ»، أي: وإن كنتم في شك، لأن الله تعالى علم أنهم شاكون «مِمَّا نَزَّلْنَا»، يعني: القرآن، «عَلَى عَبْدِنَا»: محمد، «فَأْتُوا»: أمر تعجيز، «سُورَةٍ»، والسورة قطعة من القرآن معلومة الأول والآخر. «مِنْ مِثْلِهِ»، أي: مثل القرآن، ومن: صلة، كقوله تعالى: (قل للمؤمنين يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)، وقيل: الهاء في مثله راجعة إلى محمد ﷺ، يعني: من مثل محمد ﷺ أمي لا يُحسن الخط والكتابة، «وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ»، أي: واستعينوا بالهتكم التي تعبدونها، «مِنْ دُونِ اللَّهِ»، وقال مجاهد: ناسًا يشهدون لكم، «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»: أن محمدًا ﷺ تقوله من تلقاء نفسه، فلما تحداهم عجزوا، فقال:

[٢٤] «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا»، فيما مضى «وَلَنْ تَفْعَلُوا» أبدًا فيما بقي، وإنما قال ذلك لبيان الإعجاز، وأن القرآن كان معجزة النبي ﷺ حيث عجزوا عن الإتيان بمثله، قوله: «فَأْتُوا النَّارَ»، أي: فآمنوا واتقوا بالإيمان النار، «الَّتِي وَوَدَّهَا النَّاسُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ
رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتَاهُ مِثْسَبُهَا
وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا
فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ
بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا
وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَتَقَضَّوْنَ عَهْدَ
اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ
الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى
السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

(قالوا بلى)، وقيل: أراد به العهد الذي أخذه على
النبيين وسائر الأمم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ في قوله:
(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين)، الآية، وقيل: أراد به
العهد الذي عهد إليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد
ﷺ ويؤمنوا نعتهم، ﴿يَنْبَغِي مِيثَاقَهُ﴾: توكيده،
والميثاق: العهد المؤكد، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ﴾
أن يُوصَلَ، يعني: الإيمان بمحمد ﷺ وبجميع
الرسل عليهم السلام وقيل: أراد به الأرحام،
﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بالمعاصي وتعويق الناس
عن الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ﴾: المغبونون.

ثم قال لمشركي العرب على وجه التعجب:
[٢٨] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ؟﴾ بعد نصب
الدلائل ووضوح البرهان.
ثم ذكر الدلائل فقال: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾: نطفًا

الاسم مختلفًا في الطعم، قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنه: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا
الأسامي.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾: في الجنان
﴿أَزْوَاجٌ﴾: نساء وجوار، يعني: من الحور العين،
﴿مُطَهَّرَةٌ﴾: من الغائط والبول والحيض والنفاس
والبصاق والمخاط والمني والولد وكل قدر،
وقيل: مطهرة عن مساوئ الأخلاق ﴿وَهُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ﴾، دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون
منها.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ أَنْ يَضْرِبَ
مَثَلًا يذكر شبهها، ﴿مَّا بَعُوضَةً﴾، ما: صلة، أي:
مثلاً بالبعوضة، وبعوضة: نصب بدل عن المثل،
والبعوض صغار البق، سُميت بعوضة لأنها كانت
بعض البق، ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾، يعني: الذباب
والعنكبوت، وقال أبو عبيدة: أي: فما دونها، كما
يُقَال: فلان جاهل، فيقال: وفوق ذلك، أي:
وأجل. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: بمحمد والقرآن،
﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾، يعني: المثل هو ﴿الْحَقُّ﴾:
الصدق ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا
أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا؟﴾ أي: بهذا المثل، فلما حذف
الألف واللام نصب على الحال والقطع، ثم
أجابهم فقال: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ من الكفار،
وذلك أنهم يكذبون فيزدادون ضلالاً، ﴿وَيَهْدِي
بِهِ﴾، أي بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ من المؤمنين
فيصدقونه، والإضلال هو الصرف عن الحق إلى
الباطل، وقيل: هو الهلاك، يقال: ضلَّ الماء في
اللبن إذا هلك، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾:
الكافرين، وأصل الفسق: الخروج، يقال: فسقت
الرطبة إذا خرجت عن قشرها، ثم وصفهم فقال:

[٢٧] ﴿الَّذِينَ يَتَقَضَّوْنَ﴾: يخالفون ويتركون،
وأصل التقض: الكسر، ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾: أمر الله الذي
عهد إليهم يوم الميثاق بقوله: (أأست بربكم)؟

سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وقيل: لأنه كان آدم اللون، فلما خلقه الله عز وجل علمه أسماء الأشياء، وذلك أن الملائكة قالوا لما قال الله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة) ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منّا وإن كان غيرنا أكرم عليه فنحن أعلم منه لأننا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره، فأظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم، قال ابن عباس: علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة، وقيل: اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وقال الربيع بن أنس: أسماء الملائكة، وقيل: أسماء ذريته، وقيل: صنعة كل شيء ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾، إنّما قال: (عَرَضَهُمْ)، ولم يقل عرضها، لأن المسميات إذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل يُكنى عنها بلفظ من يعقل، كما يُكنى عن الذكور والإناث بلفظ الذكور، وقال مقاتل: خلق الله كل شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخص على الملائكة، فالكناية راجعة إلى الشخص، فلذلك قال عرضهم ﴿فَقَالَ أَنِ يُؤْمِنُ﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، إني لا أخلق خلقاً إلّا وكنتم أفضل وأعلم منه.

فقالت الملائكة إقراراً بالعجز:

[٣٢] ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾: تزيهاً لك، ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾، معناه: إنك أجل من أن نحيط بشيء من علمك إلّا ما علمتنا، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ بخلقك ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أمرك، والحكيم له معنيان: أحدهما الحاكم وهو القاضي العدل، والثاني المحكم للأمر كي لا يتطرق إليه الفساد، وأصل الحكمة في اللغة: المنع فهي تمنع صاحبها من الباطل.

فلما ظهر عجزهم.

[٣٣] ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿يَتَقَدَّمُ أَيْنَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾، أخبرهم بأسمائهم فسمى آدم كل شيء وذكر الحكمة التي لأجلها خلق، ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمُ

في أصلاب آبائكم، ﴿فَأَخْبِئْكُمْ﴾: في الأرحام والدنيا، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: للبعث، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، أي: تُردون في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم.

[٢٩] قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، لكي تعتبروا وتستدلوا، وقيل: لكي تنتفعوا، ﴿ثُمَّ أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ﴾، قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: أي ارتفع إلى السماء ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾: خلقهن مستويات لا فطور فيها ولا صدوع، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٣٠] ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾، أي: وقال ربك وإذ زائدة، وقيل: معناه واذكر إذ قال ربك، وكذلك كل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله، إذ وإذا: حرفا توقيت إلّا أن إذ للماضي وإذا للمستقبل، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر. ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾، جمع ملك، وأراد به الملائكة الذين كانوا في الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، أي: بدلاً منكم، والمراد بالخليفة ههنا آدم ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾: بالمعاصي، ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ بغير حق ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾، قال الحسن: نقول سبحان الله وبحمده هو صلاة الخلق وصلاة البهائم وغيرهما سوى الآدميين ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، أي: نشني عليك بالقدس والطهارة عمّا لا يليق بعظمتك وجلالك، وقيل: ونظهر أنفسنا لطاعتك، وقيل: وننزهك، واللام: صلة، وقيل: لم يكن هذا من الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل بل على سبيل التعجب وطلب الحكمة فيه، ﴿قَالَ﴾ الله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من المصلحة فيه، وقيل: إني أعلم أن في ذريته من يطيعني ويعبدني من الأنبياء والأولياء والصلحاء، وقيل: إني أعلم أن فيكم من يعصيني وهو إبليس، وقيل: إني أعلم أنهم يذنبون وأنا أغفر لهم.

[٣١] قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾:

وَاِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّیْ جَاعِلٌ فِی الْاَرْضِ خَلِیْفَةً
 قَالُوْۤا اَجْعَلْ فِیْهَا مَنْ یُّفْسِدُ فِیْهَا وَیَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَیُخْسِفُ
 السُّبْحُ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ قَالَ اِنِّیْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٣٠﴾
 وَعَلَّمَ اٰدَمَ الْاَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَی الْمَلٰٓئِكَةِ
 فَقَالَ اَنْۢیْۤیُّوْنِیْ بِاَسْمَآءِ هٰۤؤُلَآءِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِیْنَ ﴿٣١﴾ قَالُوْۤا
 سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَاۤ اِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا اِنَّكَ اَنْتَ الْعَلِیْمُ الْحَكِیْمُ
 ﴿٣٢﴾ قَالَ یٰۤاٰدَمُ اَنْۢیْۤیُّوْهُمْ بِاَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا اَنْۢبَاَهُمْ بِاَسْمَآئِهِمْ قَالَ
 اَلَمْ اَقُلْ لَّكُمْ اِنِّیْۤ اَعْلَمُ غَیْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاَعْلَمُ مَا
 تُبْدُوْنَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ ﴿٣٣﴾ وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْۤا
 لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْۤا اِلَّاۤ اِبْلِیْسَ اَنِیْۤ وَاَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِیْنَ
 ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا یٰۤاٰدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَعَدًا
 حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُوْنَا مِنَ الظَّٰلِمِیْنَ ﴿٣٥﴾
 فَازْلٰهُمَا الشَّیْطٰنُ عَنْهَا فَاخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِیْهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوْۤا
 بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِی الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ اِلَیۤمٍ ﴿٣٦﴾
 فَلَقِیۤءَ اٰدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَمَنتَ فَنَابَ عَلَیْهِ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِیْمُ ﴿٣٧﴾

فقال ابن عباس وأكثر المفسرين: كان إبليس من الملائكة، وقال الحسن: كان من الجن ولم يكن من الملائكة لقوله تعالى: (إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه)، فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس، ولأنه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور، ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة، والأول أصح لأن خطاب السجود كان مع الملائكة، وقوله: (كان من الجن)، أي من الملائكة الذين هم خزنة الجنة، وقال سعيد بن جبیر: من الذين يعملون في الجنة وقيل: إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار سموا جنًا لاستتارهم عن الأعين، وإبليس كان منهم.

قوله: ﴿إِنِّي﴾ أي: امتنع فلم يسجد، ﴿وَأَسْتَكْبَرُ﴾ أي: تكبر عن السجود لآدم، ﴿وَكَانَ﴾ أي: وصار ﴿مِنَ الْكٰفِرِیْنَ﴾، وقال أكثر المفسرين:

بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿أَلَمْ اَقُلْ لَّكُمْ﴾ يا ملائكتي ﴿إِنِّيۤ اَعْلَمُ غَیْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾، ما كان منهما وما يكون ﴿وَاَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ﴾، قال الحسن وقتادة: يعني قولهم أنجعل فيها من يفسد فيها، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ﴾: قولكم لن يخلق الله خلقًا أكرم عليه منا، قال ابن عباس هو: إن إبليس مرّ على جسد آدم لا روح فيه، فقال: لأمر ما خلق هذا، ثم دخل في فيه وخرج من دبره، وقال: إنه خلق لا يتماسك لأنه أجوف، ثم قال للملائكة الذين معه: أرايتم إن فضل هذا عليكم وأمرتم بطاعته ماذا تصنعون؟ قالوا: نطيع أمر ربنا، فقال إبليس في نفسه: والله لئن سلطت عليه لأهلكته ولئن سلط علي لأعصيه، فقال الله تعالى: ﴿وَاَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ﴾ يعني ما تبديه الملائكة من الطاعة، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ﴾ يعني إبليس من المعصية.

[٣٤] وقوله تعالى: ﴿وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْۤا لِاٰدَمَ﴾ اختلّفوا في هذا الخطاب مع الملائكة، فقال بعضهم: مع الذين كانوا سكان الأرض والأصح أنه مع جميع الملائكة، لقوله تعالى: (فَسَجَد الملائكة كلّهم أجمعون)، وقوله: (اسجدوا)، فيه قولان: الأصح أن السجود كان لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله عزّ وجلّ وامتنال أمره، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة، كسجود إخوة يوسف له في قوله عزّ وجلّ: (وخرّوا له سُجَّدًا)، ولم يكن فيه وضع الوجه على الأرض إنما كان انحناءً فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام، وقيل معنى قوله: (اسجدوا لآدم) أي: إلى آدم فكان آدم قبلّة والسجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلّة للصلاة والصلاة لله عزّ وجلّ، ﴿فَسَجَدُوْۤا﴾ يعني: الملائكة، ﴿اِلَّاۤ اِبْلِیْسَ﴾، وكان اسمه عزازيل بالسرّانية وبالعرية الحارث، فلما عصى غير اسمه وصورته، فقيل: إبليس لأنه أبلس من رحمة الله تعالى، أي: يئس، واختلفوا فيه،

فاغفر لي، وقيل: هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبقاء قوله: ﴿فَنَابَّ عَلَيْهِ﴾: فتجاوز عنه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَّابُّ﴾: يقبل توبة عباده ﴿الرَّحِيمُ﴾: بخلقه.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿فَلَنَّا أَهْطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾، يعني: هؤلاء الأربعة وقيل الهبوط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا، والهبوط الثاني من السماء الدنيا إلى الأرض ﴿فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾، أي فإن يأتكم يا ذرية آدم ﴿مِنِّي هُدًى﴾، أي: رشد وبيان شريعة، وقيل: كتاب ورسول، ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلقوا، وقيل: لا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: جحدوا ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالقرآن ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: يوم القيامة، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لا يخرجون منها ولا يموتون فيها.

[٤٠] قوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ يا أولاد يعقوب، ومعنى إسرائيل: عبدالله ﴿أَذْكُرُوا﴾: احفظوا، والذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، وقيل: أراد به الشكر، وذكر بلفظ الذكر، لأن في الشكر ذكراً وفي الكفران نسياناً، قال الحسن: ذكر النعمة شكرها، ﴿نِعْمَتِي﴾، أي: نعمي، لفظها واحد ومعناها جمع ﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، أي: على أجدادكم وأسلافكم، قال قتادة: هي النعم التي خصت بها بنو إسرائيل: فلق البحر، وإنجاؤهم من فرعون بإغراقه، وتظليل الغمام عليهم في التيه، وإنزال المَنَّ والسلوى، وإنزال التوراة، في نعم كثيرة لا تحصى، وقال غيره: هي جميع النعم التي لله عز وجل على عباده، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾: بامتثال أمري ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: بالقبول والثواب ﴿وَأِتَيْنِي فَأَرْهَبُونِ﴾: فخافوني في نقض العهد.

[٤١] ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلْتُ﴾ يعني القرآن، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾، أي: موافقاً لما معكم من التوراة في التوحيد والنبوة والأخبار ونعت النبي

وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة. قوله تعالى:

[٣٥] ﴿وَقُلْنَا يَكَادُمْ أَتُكَّنُ أَنْتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ وَكُلًّا مِنْهَا رَعْدًا﴾: واسعاً كثيراً، ﴿حَيْثُ شِئْنَا﴾: كيف شئنا ومتى شئنا وأين شئنا، ﴿وَلَا نَقْرَبُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾، يعني: بالأكل، قال بعض العلماء: وقع النهي على جنس من الشجر، وقال آخرون: على شجرة مخصوصة ﴿فَتَكُونَا﴾: فتصيرا ﴿بَيْنَ الظَّلِيلِينَ﴾، أي: الضارين أنفسكما بالمعصية، وأصل الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

[٣٦] ﴿فَأَذَلَّهُمَا﴾: استزل ﴿الشَّيْطَانُ﴾ آدم وحواء، أي: دعاهما إلى الزلة ﴿عَنَّا﴾ عن الجنة ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾: من النعيم ﴿وَقُلْنَا أَهْطُوا﴾: انزلوا إلى الأرض: يعني: آدم وحواء وإبليس والحية ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أراد العداوة التي بين ذرية آدم والحية، وبين المؤمنين من ذرية آدم وبين إبليس، وقوله تعالى: ﴿وَلَكَّرَ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفِرًّا﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَّعُ﴾: بُلغة ومستمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ إلى انقضاء آجالكم.

[٣٧] ﴿فَلَنَلَقَى﴾ التلقي: هو قبول عن فطنة وفهم، وقيل: هو التعلم، ﴿ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ﴾: اختلفوا في تلك الكلمات، قال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن: هي قوله: (ربنا ظلمنا أنفسنا) الآية، وقال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي: هو قوله لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين، وقال عبيد بن عمير: هي أن آدم قال: يا رب أرأيت ما أتيت، شيء ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدرته عليّ قبل أن تخلقني؟ قال الله تعالى: لا بل شيء قدرته عليكم قبل أن أخلقك، قال يا رب فكما قدرته قبل أن تخلقني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ
هَذَا يَفْلَحْ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي
أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارِهُونَ ﴿٤٠﴾ وَعَامِنُوا إِنَّمَا أُنْزِلَتْ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
وَتَكُنُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ
وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ
﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَاوَرِهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

﴿وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ بِدِّ﴾، أي: بالقرآن، يريد من أهل الكتاب، لأن قريشاً كفرت قبل اليهود بمكة، معناه ولا تكونوا أول من كفر بالقرآن فتتابعكم اليهود على ذلك فتبوءوا بآثامكم وآثامهم، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾، أي ولا تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي﴾: بيان صفة محمد ﷺ، ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: عوضاً يسيراً من الدنيا، وذلك أن رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم مأكلة يصيبنها من سفلتهم وجهالهم يأخذون كل عام منهم شيئاً معلوماً من زروعهم وضروعهم ونقودهم، فخافوا أنهم إن بينوا صفة محمد ﷺ وتابعوه أن تفوتهم تلك المأكلة، فغيروا نعتهم وكنموا اسمه، فاختاروا الدنيا على الآخرة ﴿وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾: فاحشوني.

[٤٢] ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾، أي لا تخلطوا الحق الذي أنزلت عليكم من صفة محمد ﷺ بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغيير صفة محمد ﷺ، والأكثرون على أنه أراد لا تلبسوا الإسلام باليهودية والنصرانية، وقال مقاتل: إن اليهود أقرؤا ببعض صفة محمد ﷺ وكنموا بعضاً ليصدّقوا في ذلك، فقال ولا تلبسوا الحق الذي تغيرون بالباطل، يعني: بما تكتبونه، فالحق بيانهم والباطل كتمانهم، ﴿وَتَكُنُوا بِالْحَقِّ﴾، أي: لا تكتبوه، يعني: نعت محمد ﷺ، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أنه نبي مرسل.

[٤٣] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، يعني: الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها، ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ أدوا زكاة أموالكم المفروضة، فهي مأخوذة من زكاة الزرع إذا نما وكثر، وقيل: من تركى، أي تطهر، وكلا المعنيين موجودان في الزكاة لأن فيها تطهير أو تنمية للمال، ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، أي صلوا مع المصلين محمد ﷺ وأصحابه، وذكر بلفظ الركوع لأن الركوع ركن من أركان الصلاة، ولأن صلاة اليهود لم يكن فيها ركوع، وكأنه قال صلوا

صلاة ذات ركوع، قيل: وإعادته بعد قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، لهذا أي: صلوا مع الذين في صلواتهم ركوع، فالأول مطلق في حق الكل، وهذا في حق أقوام مخصوصين، وقيل: هذا حث على إقام الصلاة جماعةً كأنه قال لهم: صلوا مع المصلين الذين سبقوهم بالإيمان.

[٤٤] ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾، أي: بالطاعة، نزلت في علماء اليهود وذلك أن الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المؤمنين إذا سأله عن أمر محمد ﷺ: اثبت على دينه فإن أمره حق، وقوله صدق، وقيل: هو خطاب لأخبارهم حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة، ثم خالفوا وغيروا نعت محمد ﷺ، ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾، أي: تتركون أنفسكم فلا تتبعونه، ﴿وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: تقرأون التوراة فيها نعته وصفته، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أنه

حقاً لزمها، وقيل لا تغني، وقيل لا تكفي شيئاً من الشدائد ﴿وَلَا يَقِيلُ مِنْهَا شَفَعَةً﴾ إذا كانت كافرة ﴿وَلَا يُؤَخِّدُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾، أي فداء، ﴿وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾: يمنعون من عذاب الله.

[٤٩] ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾، أي أسلافكم وأجدادكم فاعتدها ميتة عليهم، لأنهم نجوا بنجاتهم، ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: أتباعه وأهل دينه، وفرعون هو الوليد بن مصعب بن الريان، وكان من القبط ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ﴾: يكلفونكم ويذيقونكم سوء العذاب: أشد العذاب وأسوأه، وقيل: يصرفونكم في العذاب مرة هكذا كالإبل السائمة في البرية، وذلك أن فرعون جعل بني إسرائيل خدماً وخولاً، وصنفهم في الأعمال فصنف بينون، وصنف يحرثون ويزرعون، وصنف يخدمونه، ومن لم يكن منهم في عمل وُضِعَ عليه الجزية، وقيل: تفسير قوله: (يسومونكم سوء العذاب): ما بعده وهو قوله تعالى: ﴿يُذَيِّبُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾، فهو مذكور على وجه البذل من قوله: (يسومونكم سوء العذاب) ﴿وَيَسْخِیُونَ بِسَاءِكُمْ﴾ يتركونهم أحياء، وذلك أن فرعون رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي فيها، ولم يتعرض لبني إسرائيل، فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا: يُولد ولدٌ في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك، فأمر فرعون بقتل كل غلام يُولد في بني إسرائيل ﴿وَفِي ذَلِكَكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾، قيل البلاء: المحنة، أي: في سؤمهم إياكم سوء العذاب محنة عظيمة، وقيل: البلاء: النعمة، أي في إنجائي إياكم منهم نعمة عظيمة، فالبلاء يكون بمعنى النعمة وبمعنى الشدة، فالله تعالى قد يختبر على النعمة بالشكر، وعلى الشدة بالصبر، قال الله تعالى: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة).

[٥٠] ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾، قيل: معناه فرقنا

حق فتتبعون، والعقل مأخوذ من عقال الدابة، وهو ما يُشد به ركة البعير فيمنعه عن الشرود، فكَذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود.

[٤٥] ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾: على ما يستقبلكم من أنواع البلاء، وقيل: على طلب الآخرة، ﴿بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾: أراد حبس النفس عن المعاصي، وقيل: أراد بالصبر: الصبر على أداء الفرائض، وقال مجاهد: الصبر: الصوم، ومنه سُمي شهر رمضان شهر الصبر، وذلك لأن الصوم يزهده في الدنيا والصلاة ترغبه في الآخرة، وقيل: الواو بمعنى «على» أي: واستعينوا بالصبر على الصلاة كما قال الله تعالى: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)، ﴿وَإِنَّا﴾، ولم يقل وإنهما، رد الكناية إلى كل واحد منهما، أي: وإن كل خصلة منهما وقيل: معناه واستعينوا بالصبر وإنه لكبير، وبالصلاة وإنها لكبيرة، فحذف أحدهما اختصاراً، ﴿لِكَبِيرَةٍ﴾، أي: لثقلية ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، يعني: المؤمنين، وقال الحسن: الخائفين، وقيل: المطيعين، وقال مقاتل بن حيان: المتواضعين، وأصل الخشوع: السكون، قال الله تعالى: (وخشعت الأصوات للرحمن)، فالخاشع ساكن إلى طاعة الله تعالى.

[٤٦] ﴿الَّذِينَ يَبْطِئُونَ﴾: يستيقنون، فالظن من الأضداد يكون شكاً ويقيناً، كالرجاء يكون أمناً وخوفاً. ﴿أَنَّهُمْ مُّلتَفُوا﴾: مُعَانِينَا ﴿رَبِّهِمْ﴾: في الآخرة، وهو رؤية الله تعالى، وقيل: المراد من اللقاء الصيرورة إليه، ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: فيجزئهم بأعمالهم.

[٤٧] ﴿يَتَّبِعِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، أي: عالمي زمانكم، وذلك التفضيل وإن كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف في حق الأبناء.

[٤٨] ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا﴾: واحشوا عقاب يوم، ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ﴾: لا تقضي نفس ﴿عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي:

الْبَقَرَةُ

٨

الْبَقَرَةُ

وَإِذْ يَخِينَكُم مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُم الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ
وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا مِنَ الْعِجْلِ مَن بَعْدَهُ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ
﴿٥٣﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٤﴾
وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٥﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ إِنَّا كُنتُمْ ظَالِمِينَ أَنفُسَكُمْ
يَا أَخِي أَخَذَ كُفِّي الْعِجْلَ فَتَوَبُّوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَفَاتَبَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ هُوَ الْوَّابُ الرَّجِيمُ
﴿٥٦﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ
بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا
رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٩﴾

لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليهما فوعدهم الله موسى ينزل عليهم التوراة، فقال موسى لقومه: إني ذاهب لميقات ربكم آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذررون، وواعدهم أربعين ليلة، ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة، واستخلف عليهم أخاه هارون، فلما أتى الوعد جاء جبريل على فرس ليذهب بموسى إلى ربه، فلما رآه السامري وكان رجلاً صائغاً ورأى موضع قدم الفرس تخضر من ذلك، وكان منافقاً أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر فصاغ لهم عجلًا في ثلاثة أيام فقال السامري: هذا إلهكم وإله موسى، وكانت بنو إسرائيل قد أخلفوا الوعد فعذبوا اليوم مع الليلة يومين، فلما مضى عشرون يومًا ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة، وقيل: كان موسى قد وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت

لکم، وقيل: فرقنا البحر بدخولکم إياه، وسمي البحر بحرًا لاتساعه، ومنه قيل للفرس: بحر إذا اتسع في جريه، وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسير ببني إسرائيل من مصر ليلاً وخرج موسى عليه السلام في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره، وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين إنسانًا ما بين رجل وامرأة، فخرج فرعون في طلب بني إسرائيل، وعلى مقدمة عسكره هامان في ألف وسبعمئة ألف، وكان فيهم سبعون ألفًا من دهم الخيل سوى سائر الشيات فسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر ونظروا فإذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس، فبقوا متحيرين فقالوا: يا موسى كيف نصنع وأين ما وعدتنا؟ هذا فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا والبحر أمامنا إن دخلناه غرقنا، قال الله تعالى: (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون، قال كلا إن معي ربي سيهدين) فأوحى الله إليه (أن اضرب بعصاك البحر)، فضربه وظهر فيه اثنا عشر طريقًا لكل سبط طريق حتى عبروا البحر سالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾: من آل فرعون والغرق ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾، وذلك أن فرعون لما وصل إلى البحر فرآه منفلقًا خاض البحر فأمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم وأغرقهم أجمعين، وذلك بمرأى من بني إسرائيل، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ إلى مصارعهم، وقيل: إلى إهلاكهم.

[٥١] ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى﴾: اسم عبري غريب وهو بالعبرانية الماء والشجر، وسمي به لأنه أخذ من بين الماء والشجر، ثم قلبت الشين المعجمة سينًا في العربية، ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، أي: انقضاءها، ثلاثون من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة وذلك أن بني إسرائيل لما أمنوا من عدوهم ودخلوا مصر

فنتهم في تلك العشرة، فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا أنه قد مات، ورأوا العجل وسمعوا قول السامري، فعكف ثمانية آلاف رجل منهم على العجل يعبدونه، وقيل: كلهم عبده إلا هارون مع اثني عشر ألف رجل وهذا أصح، وقال الحسن: كلهم عبده إلا هارون وحده، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾، أي: إلهًا ﴿مِّنْ بَعْدِهِ﴾ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾: ضارون لأنفسكم بالمعصية واضعون العبادة في غير موضعها.

[٥٢] ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾: محونا ذنوبكم ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: من بعد عبادتكم العجل، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لكي تشكروا عفوي عنكم وصنيعي إليكم، قيل: الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية، وقال الحسن: شكر النعمة ذكرها. قوله تعالى:

[٥٣] ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، يعني التوراة، ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾، قال مجاهد: هو التوراة أيضًا ذكرها باسمين، قال الكسائي: الفرقان نعت الكتاب، والواو زائدة، يعني الكتاب الفرقان، أي: المفروق بين الحلال والحرام، وقال يمان بن ريان: أراد بالفرقان انفراق البحر كما قال: (وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم)، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: بالتوراة.

[٥٤] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾: الذين عبدوا العجل ﴿يَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: ضررتم بأنفسكم: ﴿بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾: إلهًا قالوا: فأي شيء نصنع؟ قال: ﴿فَتَوْبُوا﴾: فارجعوا ﴿إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾: خالفكم، قالوا: كيف نتوب؟ قال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾، يعني: ليقتل البريء منكم المجرم، ﴿ذَلِكَ﴾، أي: القتل، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾، فلما أمرهم موسى بالقتل، قالوا: نصبر لأمر الله فجلسوا بالأفنية محتبين، وقيل لهم: من حلّ حبوته أو مدّ طرفه إلى قاتله أو اتقاه يبدؤ رجل فهو ملعون مردودة توبته، وأصلت القوم

عليهم الخناجر، وكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره، فلم يمكنهم المضي لأمر الله تعالى، قالوا: يا موسى كيف نفعل؟ فأرسل الله تعالى عليهم ضيابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضًا فكانوا يقتلونهم إلى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهارون عليهما السلام وبكيا وتضرعا وقالوا: يا رب هلك بنو إسرائيل، البقية البقية، فكشف الله تعالى السحابة وأمرهم أن يكفوا عن القتل، فكشف عن ألوف من القتلى فكان من قُتل منهم شهيدًا ومن بقي مكفر عنه ذنوبه، فذلك قوله تعالى: ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾، أي: ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم فتجاوز عنكم، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْتَوَّابُ﴾: القابل للتوبة، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

[٥٥] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾، وذلك أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى سبعين رجلًا من قومه من خيارهم فقالوا لموسى: اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا، فقال: أفعل وسمعه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه، وأسمعهم الله إني أنا الله لا إله إلا أنا، فلما فرغ موسى أقبل إليهم فقالوا له: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة معانية، وذلك أن العرب تجعل العلم بالقلب رؤية، فقال: جهرة ليُعلم أن المراد منه العيان، ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّعِقَةَ﴾، أي: الموت، وقيل: نار جاءت من السماء فأحرقتهم، ﴿وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ﴾، أي: ينظر بعضكم لبعض حين أخذكم الموت، وقيل: تعلمون، والنظر يكون بمعنى العلم، فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول: ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد هلك خيارهم؟ لو شئت أهلكتهم من قبل وإيتي، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا، فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله تعالى رجالًا رجالًا، بعدما ماتوا يومًا

وقال ابن كيسان: الشام، ﴿تَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: موسعاً عليكم ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾، يعني: باباً من أبواب القرية، وكان لها سبعة أبواب ﴿سُجَّدًا﴾، أي: رُكْعاً خضعاً منحنين، وقال وهب: فإذا دخلتموه فاسجدوا شكرًا لله تعالى، ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، قال قتادة: حط عنا خطايانا، أمروا بالاستغفار، وقال ابن عباس: لا إله إلا الله، لأنها تحط الذنوب ﴿فَنُفِّرْ كَثْرَ حَطَايِكُمْ﴾: من الغفر وهو الستر، فالمغفرة: تستر الذنوب ﴿وَسَرَّيْذُ الْمُحْسِنِينَ﴾: ثواباً من فضلنا.

[٥٩] ﴿فَبَدَّلَ﴾: فغير ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أنفسهم، وقالوا: ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، وذلك أنهم بدّلوا قول الحطة بالحنطة استخفافاً بأمر الله تعالى ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، قيل: أرسل الله عليهم طاعوناً فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً، ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْسُفُونَ﴾: يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى.

[٦٠] ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾: طلب السقيا ﴿لِقَوْمِهِ﴾، وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى أن يستسقي لهم ففعل، فأوحى إليه كما قال: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ﴾ وكانت من آس الجنة حملها آدم من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب عليه السلام، فأعطاها موسى عليه السلام، قوله تعالى: ﴿الْحَجَرُ﴾، اختلفوا فيه قال وهب: لم يكن حجراً معيناً بل كان موسى يضرب أي حجر كان من عرض الحجارة فينفجر عيوناً، لكل سبط عين، وكانوا اثني عشر سبطاً ثم تسيل كل عين في جدول إلى السبط الذي أمر أن يسقيهم، وقال الآخرون: كان حجراً معيناً بدليل أنه عرفه بالألف واللام، وقال ابن عباس: كان حجراً خفيفاً مربعاً على قدر رأس الرجل، كان يضعه في مخلاته فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه، قوله تعالى: ﴿فَأَنفَجَرَتْ﴾، أي:

وليلة ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى:

[٥٦] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ﴾: أحييناكم، والبعث: إثارة الشيء عن محله، يقال: بعثت البعير وبعثت النائم فانبعث، ﴿مَرَّةً بَعْدَ مَوْتِكُمْ﴾، قال قتادة: أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم، ولو ماتوا بآجالهم لم يُبعثوا إلى يوم القيامة، ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

[٥٧] ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾، في التيه تقيكم حرَّ الشمس والغمَام من الغم، وأصله: التغطية والستر، سُمي السحاب غماماً لأنه يُغطي وجه الشمس، وذلك أنه لم يكن لهم في التيه كن يستترهم فشكوا إلى موسى فأرسل الله تعالى غماماً أبيض رقيقاً أطيب من غمام المطر، وجعل لهم عموداً من نور يُضيء لهم الليل إذ لم يكن لهم قمر، ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَاسْلَوْا﴾ أي: في التيه، والأكثرون: عن أن المن هو الترنجيبين، وقال مجاهد: هو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار طعمه كالشهد، وقال وهب: هو الخبز الرقاق، قال الزجاج: جملة المنّ من يمن الله به من غير تعب ﴿كُلُوا﴾: أي: وقلنا لهم كلوا: ﴿مِنَ طَيِّبَاتِ﴾: حلالات، ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ولا تدخروا لغد، ففعلوا فقطع الله ذلك عنهم، ودوّد وفسد ما ادخروا، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، أي: وما بخسوا بحقنا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستيجابهم عذابي، وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة في الدنيا ولا حساب في العقبى.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾، سميت القرية قرية لأنها تجمع أهلها، ومنه المقررة للحوض لأنها تجمع الماء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي أريحاء وقيل: بلقاء، وقال مجاهد: بيت المقدس، وقال الضحاك هي الرملة والأردن وفلسطين وتدمر، وقال مقاتل: إيليا،

الْبَقَرَةُ

٩

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ
وَسَارِيزُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا
غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِنْ
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى
لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ
أَنْتَاعَ شَرَةٍ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا
وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَتَعَوَّافِ الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَنْ نَضِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعَ لَنَا رَبَّنَا
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا
وَعَدْسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَنْتَبِذُوا الَّذِي هُوَ آذَنٌ
بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَأْتُمْ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ
اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ فِيهِمُ الْحَقَّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

قوله تعالى:

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَنْ نَضِيرَ عَلَى طَعَامٍ
وَاحِدٍ﴾، وذلك أنهم أجمعوا وسموا من أكل المن
والسلوى وإنما قال: على طعام واحد وهما اثنان،
لأن العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبر
عن الواحد بلفظ الاثنين وقيل: كانوا يأكلون
أحدهما بالآخر فكانا كطعام واحد ﴿فَادْعَ لَنَا﴾:
فسل لأجلنا ﴿رَبَّنَا يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ
بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾، قال ابن عباس: الفوم
الخبز، وقال عطاء: الحنطة، وقال القتيبي رحمه
الله تعالى: الحبوب التي تؤكل كلها، وقال
الكلبي: الثوم، ﴿وَعَدْسِهَا وَبَصِلَهَا﴾، ﴿قَالَ﴾، لهم
موسى عليه السلام: ﴿أَنْتَبِذُوا الَّذِي هُوَ آذَنٌ﴾:
أخس وأردأ ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾: أشرف وأفضل
﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾، يعني: فإن أبيتم إلا ذلك فانزلوا
مصرًا من الأمصار، وقال الضحاك: هو مصر
موسى وفرعون، والأول أصح لأنه لو أراده لم
يصرفه، ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَآ سَأَلْتُمْ﴾: من نبات
الأرض، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾: جعلت عليهم،
وألزموا: ﴿الذِّلَّةُ﴾ الذل والهوان، قيل: بالجزية
﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾: الفقر، سمي الفقير مسكينًا لأن الفقر
أسكنه وأقعده عن الحركة، فترى اليهود وإن كانوا
مياسير كأنهم فقراء، وقيل: الذلة هي فقر القلب
فلا ترى في أهل الملل أذل وأحرص على المال

من اليهود، ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾: رجعوا، ولا
يقال: باء إلا بالشر، وقال أبو عبيدة: احتملوا
وأقروا به، ومنه الدعاء أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء
بذنبي، أي: أقر، ﴿ذَلِكَ﴾، أي: الغضب،
﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بصفة محمد ﷺ
وآية الرجم في التوراة، ويكفرون بالإنجيل
والقرآن، ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ﴾، تفرد نافع بهمز النبي
وبابه، فيكون معناه: المخبر، من أنبا يُنبى،
والقراءة المعروفة تَرْكُ الهمزة، وله وجهان:
أحدهما هو أيضًا من الأنباء تركت الهمزة فيه
تخفيفًا لكثرة الاستعمال، والثاني: هو بمعنى
الرفيع مأخوذ من النبوة، وهي المكان المرتفع،
فعلى هذا يكون (النبين) على الأصل، ﴿يَغْيِرُ
الْحَقَّ﴾، أي: يلا جرم ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
يَعْتَدُونَ﴾: يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

١٠

الْمِائَةِ

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ
 مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ
 أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ
 بِقُوَّةٍ وَآذِكُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ
 بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ
 الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ ءَاعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ
 فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا
 بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ
 مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنَا نَذِّنَا
 هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا
 ادْعُ لَنَارِكُ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِصَ
 وَلَا يَكَرُّ عَوَانُ يَبْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
 قَالُوا ادْعُ لَنَارِكُ يَبْنَ لَنَا مَا لَوْ هِيَ قَالَتْ إِنَّهُ يَقُولُ
 إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾

فيهم فقال: بعضهم الذين آمنوا بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل: أراد بهم المنافقين الذين آمنوا بالستتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهودية والنصرانية بعد التبديل، والصابئون بعض أصناف الكفار، من آمن بالله واليوم الآخر من هذه الأصناف بالقلب واللسان، ﴿وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، وإنما ذكر بلفظ الجمع لأن (من) يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: في الدنيا ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: في الآخرة. [٦٣] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: عهدكم يا معشر اليهود ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾، وهو الجبل بالسريانية قال ابن عباس: أمر الله تعالى جبلاً من جبال فلسطين فأنقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم، وذلك أن الله تعالى أنزل التوراة

[٦٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾، يعني: اليهود، سُموا به لقولهم إنا هُندنا إليك، أي: ملنا إليك، وقيل: لأنهم هادوا، أي: تابوا عن عبادة العجل، وقيل: لأنهم مالوا عن دين الإسلام وعن دين موسى عليه السلام ﴿وَالنَّصَارَى﴾، سُموا به لقول الحواريين: نحن أنصار الله، وقال مقاتل: لأنهم نزلوا قرية يقال لها ناصرة، وقيل: لاعتزائهم إلى نصرة وهي قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ قرأ أهل المدينة والصابين والصابون بترك الهمزة، والباقون بالهمزة، وأصله الخروج، يقال: صبا فلان أي خرج من دين إلى دين آخر، قال عمر بن الخطاب وابن عباس: هم قوم من أهل الكتاب، قال عمر: تحل ذبائحهم مثل ذبائح أهل الكتاب، وقال ابن عباس: لا تحل ذبائحهم ولا مناكتهم، ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فإن قيل: كيف يستقيم قوله من آمن بالله وقد ذكر في ابتداء الآية إن الذين آمنوا؟ قيل: اختلفوا في حكم الآية فقال بعضهم: أراد بقوله إن الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين، فقال قوم: هم الذين آمنوا بمحمد ﷺ قبل المبعث وهم طلاب الدين، مثل حبيب النجار، وقس بن ساعدة، وسلمان الفارسي، فمنهم من أدرك النبي ﷺ وتابعه، ومنهم من لم يدركه، وقيل: هم المؤمنون من الأمم الماضية، وقيل هم المؤمنون من هذه الأمة، والذين هادوا الذين كانوا على دين موسى عليه السلام ولم يبدلوا؛ والنصارى الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ولم يغيروا وماتوا على ذلك والصابئون زمن استقامة أمرهم، من آمن أي: من مات منهم وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان بالوفاة، ويجوز أن يكون الواو مضمراً، أي: ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة.

وقال بعضهم: إن المذكورين بالإيمان في أول الآية على طريق المجاز دون الحقيقة، ثم اختلفوا

إليها الأنهار، فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فأقبل الموج بالحيثان إلى الحياض فلا يقدرون على الخروج لبعدها وعمقها وقلة مائها، فإذا كان يوم الأحد أخذوها، وقيل: كانوا يسوقون الحيثان إلى الحياض يوم السبت ولا يأخذونها، ثم يأخذونها يوم الأحد، وقيل كانوا ينصبون الحبائل والشخوص يوم الجمعة، ويخرجونها يوم الأحد، ففعلوا ذلك زماناً ولم تنزل عليهم عقوبة، فتجروا على الذنب وقالوا: وقد أحل لنا، فأخذوا وأكلوا وملحوا وباعوا واشتروا وكثر مالهم، فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية - وكانوا نحواً من سبعين ألفاً - ثلاثة أصناف: صنف أمسك ونهى، وصنف أمسك ولم ينه، وصنف انتهك الحرمه، وكان الناهون اثني عشر ألفاً، فلما أبى المجرمون قبول نصحتهم قالوا: والله لا نساكنكم في قرية واحدة، فقسموا القرية بحدار وعبروا بذلك ستين، فلعنهم داود عليه السلام وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية، فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم، فلما أبطؤوا تسوروا عليهم الحائط فإذا هم جميع قردة لها أذنان يتعاونون، قال قتادة: صار الشبان قردة والشيخ خنازير، فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ يَتْلُو آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُهْتَدُونَ﴾: أمر تحويل وتكوين، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ يَتْلُو آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُهْتَدُونَ﴾: مُبْعِدِينَ مطرودين والخسأ: الطرد والإبعاد.

[٦٦] ، أي: جعلنا عقوبتهم بالمشخ **مَكْنَالاً**، أي: عقوبة وعبرة، والنكال: اسم لكل عقوبة ينكل الناظر من فعل ما جعلت العقوبة جزاءً عليه، ومنه النكول عن اليمين، وهو الامتناع، وأصله من النكل وهو القيد **﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾**، قال قتادة: أراد بما بين يديها يعني: ما سبق من الذنوب، أي: جعلنا تلك العقوبة جزاءً لما تقدم من ذنوبهم قبل نهيمهم عن أخذ الصيد، **﴿وَمَا**

على موسى عليه السلام، فأمر موسى قومه أن يقبلوها ويعملوا بأحكامها، فأبوا أن يقبلوها للأصار والأنفال التي هي فيها، وكانت شريعة ثقيلة، فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع جبلاً على قدر عسكرهم فرفعه فوق رؤوسهم مثل قامة الرجل كالظلة، وقال لهم: إن لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم **﴿حُدُوا﴾**، أي: قلنا لهم خذوا **﴿مَا آتَيْنَكُمْ﴾**: أعطيناكم **﴿يَقُودُوا﴾**: بجذ واجتهاد ومواظبة، **﴿وَأَذْكُرُوا﴾**: وادرسوا **﴿مَا فِيهِ﴾**، وقيل: احفظوا واعملوا **﴿تَمَنَّكُمُ تَنْتَنُونَ﴾**، لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى، فإن قبلتم وآلا رضختكم بهذا الجبل فلما رأوا أن لا مهرب لهم عنها قبلوا وسجدوا، وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجدوا فصار سنة في اليهود لا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع العذاب عنا.

[٦٤] : أعرضتم من بعدما قبلتم التوراة، يعني بالإمهال والإدراج وتأخير العذاب عنكم، لصرت المغبونين بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة، وقيل: من المعذبين في الحال كأنه رحمهم بالإمهال.

[٦٥] قوله تعالى: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ يَتْلُو آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُهْتَدُونَ﴾**، أي: جاوزوا الحد، وأصل السبت القطع، قيل: سمي يوم السبت بذلك لأن الله تعالى قطع فيه الخلق، وقيل: لأن اليهود أمروا فيه بقطع الأعمال والقصة فيه أنهم كانوا زمن داود عليه السلام حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فكان إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع، فإذا مضى السبت تفرق ولزم قعر البحر فلا يرى شيء منها، ثم إن الشيطان وسوس إليهم وقال: إنما نهيتهم عن أخذها يوم السبت، فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر، وشرعوا منه

[٦٨] ﴿قَالُوا أَذُعُ لَنَا رَيْكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ﴾، أي: ما سئها ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّهُ يَقُولُ﴾، يعني فسأل الله تعالى فقال إنه يعني: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكُرُّ﴾، أي لا كبيرة ولا صغيرة، والفارض: المسنة التي لا تلد، والبكر: الفتية الصغيرة التي لم تلد قط، ﴿عَوَانُ﴾: وسط نصف ﴿يَبْنَ ذَلِكَ﴾، أي: بين السنين، يقال: عونت المرأة تعويئاً إذا زادت على الثلاثين ﴿فَأَقْصَوُا مَا تُؤْمَرُونَ﴾: من ذبح البقرة ولا تكثرُوا السَّوَالِ.

[٦٩] ﴿قَالُوا أَذُعُ لَنَا رَيْكَ يَبْنَ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾، قال ابن عباس: شديدة الصفرة، وقال قتادة: صاف، وقال الحسن: الصفراء السوداء، والأول أصح لأنه لا يقال أسود فاقع، إنما يقال أصفر فاقع، وأسود حالك وأحمر قاني وأخضر ناضر وأبيض بقق للمبالغة، ﴿تَسْرُ النَّظِيرِ﴾: إليها يعجبهم حُسنها وصفاء لونها.

[٧٠] ﴿قَالُوا أَذُعُ لَنَا رَيْكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ﴾ أسائمة أم عاملة؟ ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾، ولم يقل تشابهت لتذكير لفظ البقر، كقوله تعالى: (أعجاز نخل منقعر)، وقال الزجاج: أي جنس البقر تشابه، أي: التبس واشتبه أمره علينا فلا نهتدي إليه ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾: إلى وصفها، قال رسول الله ﷺ: «وإِئْمُ اللَّهِ لَوْ لَمْ يَسْتَنُوا لَمَا بَيَّنَّتْ لَهُمْ إِلَى آخِرِ الْأَبَدِ»^(١).

[٧١] ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولَ﴾: مذلة بالعمل، يقال: رجل ذلول بين الذل ودابة ذلولة بينة الذل، ﴿تَثِيرُ الْأَرْضَ﴾: تقلبها للزراعة، ﴿وَلَا سَقَى الْحَرْثَ﴾، أي: ليست بسانية، ﴿مُسْلَمَةٌ﴾: بريئة من العيوب، ﴿لَا رِيَّةَ فِيهَا﴾: لا لون لها سوى لون

خلفها: ما حضر من الذنوب التي أخذوا بها، وهي العصيان بأخذ الحيتان، وقال أبو العالية والربيع: عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم أن يَسْتَنُوا بِسَنَّتِهِمْ، و(مَا) الثانية بمعنى: من، وقيل: جعلناها أي: جعلنا قرية أصحاب السبت عبرة لما بين يديها، أي: القرى التي كانت مبنية في الحال، وما خلفها وما يحدث من القرى بعد ليتعظوا ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: للمؤمنين من أمة محمد ﷺ، فلا يفعلون مثل فعلهم.

[٦٧] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾: البقرة هي الأنثى من البقر، يقال: هي مأخوذة من البقر وهي الشق، سُميت به لأنها تبقر الأرض، أي: تشقها للحرثة، والقصة فيه أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه، فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى وألقاه بفنائهم، ثم أصبح يطلب ثأره وجاء بناس إلى موسى يدعي عليهم القتل، فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه أمر القتل على موسى، قال الكلبي: وذلك قبل نزول قسامة في التوراة، فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم بدعائه، فأمرهم الله بذبح بقرة، فقال لهم موسى: (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة)، ﴿قَالُوا أَنْتَظِنَا هَؤُلَاءِ﴾، أي: تستهزئ بنا نحن نسألك عن أمر القتل وتأمرونا بذبح البقرة، وإنما قالوا ذلك لبعد ما بين الأمرين في الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾: أمتنع بالله ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: من المستهزئين بالمؤمنين، وقيل: من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال، لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل، فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزم من الله عز وجل استوصفوها، ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم.

(١) رواه الإمام الطبري في تفسيره ج ١/ ٢٧٥ وابن كثير ١/ ١٩٩ وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة.

الْبَقَرَةُ

١١

سُورَةُ

قَالُوا أَدْعُنَا لِنَارِكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ إِنْ أَلْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لِذُلُولٍ
 تُبْذَرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لِأَسِيَةِ فِيهَا قَالُوا
 أَتَنْتَحَى بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِذْ
 قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُوهَا وَاللَّهُ يَخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٣﴾
 فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتِ وَيُرِيكُمْ
 ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
 مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَنْسَقِقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ
 مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
 ﴿٧٥﴾ أَفَتُطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ
 يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
 وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِذْ الْقَوَّالُ الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا
 وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُوا لَهُمْ سَمْعًا
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِيَحْجُوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾

أو يزيدون) أي: بل يزيدون. وإنما لم يشبهها
 بالحديد مع أنه أصلب من الحجارة لأن الحديد
 قابل للين، فإنه يلين بالنار، وقد لأن لداود عليه
 السلام، والحجارة لا تلين قط، ثم فضل الحجارة
 على القلب القاسي فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا
 يَنْفَجِّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾، قيل: أراد به جميع الحجارة،
 وقيل: أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى
 للأسباط، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَنْسَقِقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾:
 أراد به عيوننا دون الأنهار، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾:
 ينزل من أعلى الجبل إلى أسفل، ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾:
 وقلوبكم لا تلين ولا تخشع يا معشر اليهود، فإن
 قيل: الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى؟ قيل:
 الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه، ومذهب أهل
 السنة والجماعة أن الله تعالى علماً في الجمادات
 وسائر الحيوانات، سوى العقلاء لا يقف عليه غير

جميع جلدتها، قال عطاء: لا عيب فيها، قال
 مجاهد: لا بياض فيها ولا سواد، ﴿قَالُوا أَتَنْتَحَى
 بِالْحَقِّ﴾، أي: بالبيان التام الشافي الذي لا إشكال
 فيه، وطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها إلا مع
 الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهباً ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا
 كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾: من غلاء ثمنها، وقال محمد بن
 كعب: وما كادوا يجدونها باجتماع أوصافها،
 وقيل: وما كادوا يفعلون من شدة اضطرابهم
 واختلافهم فيها.

[٧٢] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾: هذا
 أول القصة، وإن كان مؤخرًا في التلاوة، واسم
 القتيل عاميل، ﴿فَادَرَأْتُمُوهَا فِيهَا﴾ قال ابن عباس
 ومجاهد: معناه فاختلفتم، وقال الربيع بن أنس:
 تدافعتم، أي: يحيل بعضكم على بعض، من
 الدراء: وهو الدفع، فكان كل واحد يدفع عن
 نفسه، ﴿وَاللَّهُ يُخْرِجُ﴾، أي: مظهر: ﴿مَا كُنْتُمْ
 تَكْتُمُونَ﴾، فإن القاتل كان يكتُم القتل.

[٧٣] قوله عز وجل: ﴿فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ﴾، يعني:
 القتيل، ﴿بَعْضُهَا﴾ أي: ببعض البقرة ففعلوا ذلك
 فقام القتيل حيًا بإذن الله تعالى وأوداجه، أي:
 عروق العنق تشخب دمًا، وقال: قتلني فلان ثم
 سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث ﴿كَذَلِكَ يُخَيِّ
 اللَّهُ الْمَوْتِ﴾: كما أحيا عاميل، ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ
 لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، قيل: تمنعون أنفسكم من
 المعاصي.

[٧٤] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، أي
 يست وجفت، جفاف القلب: خروج الرحمة
 واللين عنه، وقيل: غلظت، وقيل: اسودت، ﴿مِنْ
 بَعْدِ ذَلِكَ﴾: من بعد ظهور الدلالات، قال الكلبي:
 قالوا بعد ذلك نحن لم نقتله، فلم يكونوا قط أعمى
 قلبًا ولا أشد تكذيبًا لنبيهم منهم عند ذلك، أي
 ﴿نَبِيِّ﴾: في الغلظة والشدة: ﴿كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ
 قَسْوَةً﴾، قيل: أو بمعنى الواو، كقوله: (مائة ألف

به فإنه حق، ثم قال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به؟. ويعني: لتكون لهم الحجة عليكم. ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة وقيل: إنهم أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به على الجنائيات، فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما أنزل الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند ربكم، ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله، وقال مجاهد: هو قول يهود قريظة، قال بعضهم لبعض حين قال لهم النبي ﷺ: يا إخوان القردة والخنازير، فقالوا: من أخبر محمدًا بهذا؟ ما خرج هذا إلا منكم^(١) ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

[٧٧] قوله عز وجل: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسِرُونَ﴾: يخفون، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: يبدون، يعني اليهود.

[٧٨] وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾، أي: من اليهود أميون لا يحسنون القراءة والكتابة جمع: أمي، ومنسوب إلى الأم كأنه باق على ما انفصل من الأم لم يعلم كتابة ولا قراءة، وروي عن الرسول ﷺ أنه قال: «إنا أمة أمية»^(٢) أي: لا نكتب ولا نحسب، وقيل: هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة، ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًا﴾، قرأ أبو جعفر: (أمان)، بتخفيف الياء، كل القرآن، حذف إحدى الياءين تخفيفًا، وقراءة العامة بالتشديد، وهو جمع: أمانة وهي التلاوة، وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا إِنَّا نَحْنُ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾، أي: في قراءته، قال أبو عبيدة: إلا تلاوة وقراءة عن ظهر القلب لا يقرؤونه من كتاب، وقيل: يعلمونه حفظًا وقراءة لا يعرفون معناه، قال

الله، فلها صلاة وتسبيح وخشية، كما قال جل ذكره: (وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) وقال: (والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) وقال: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) الآية، فيجب على المرء الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ﴾: بساء ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: وعيد وتهديد، وقيل: بتارك عقوبة ما تعملون، بل يجازيكم به.

[٧٥] قوله عز وجل: ﴿أَفَنظَمُونَ﴾: أترجون، يريد محمدًا وأصحابه، ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾: تصدقكم اليهود بما تخبرونهم به؟ ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾، يعني: التوراة، ﴿ثُمَّ يُخْرِفُونَهُ﴾: يغيرون ما فيها من الأحكام، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: علموه، غيروا صفة محمد ﷺ، وآية الرجم، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنهم كاذبون.

[٧٦] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال ابن عباس والحسن وقادة: يعني: منافقي اليهود الذين آمنوا بالستهم إذا لقوا المؤمنين المخلصين، ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾: كإيمانكم، ﴿وَإِذَا خَلَا﴾: رجع ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا وغيرهم من رؤساء اليهود، لأمرهم على ذلك، ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: بما قص الله عليكم في كتابكم أن محمدًا حق وقوله صدق، والفتاح: القاص، وقال الكسائي: بما بينه لكم من العلم بصفة محمد ﷺ ونعته، وقال الواقدي: بما أنزل الله عليكم وأعطاكم ﴿لِيَحْجُوكُمْ بِهِ﴾: ليخاصموكم به، ويعني: أصحاب محمد ﷺ ويحتجوا بقولكم عليكم، فيقولوا: قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم، ثم لا تتبعونه؟. وذلك أنهم قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد ﷺ: آمنوا

(١) أخرجه الطبري ٢/٢٥٢ تحقيق أحمد شاكر وذكره ابن كثير ١/٢٠٧ تحقيق الوداعي. (٢) رواه البخاري في الصوم باب قول النبي ﷺ: لا نكتب ولا نحسب ٤/١٣٦، ومسلم في الصيام رقم (١٠٨٠) ٢/٧٦١ والمصنف في شرح السنة ٦/٢٢٨.

ابن عباس: يعني غير عارفين بمعاني الكتاب، وقال مجاهد وقتادة: **إِلَّا كَذِبًا وَبَاطِلًا**، قال الفراء: **إِلَّا أُمَانِي**: الأحاديث المفتعلة وأراد بها الأشياء التي كتبها علماءهم من عند أنفسهم، ثم أضافوها إلى الله من تغيير نعت النبي ﷺ وغيره.

وقال الحسن وأبو العالية: هي من التمني وهي أمانيتهم الباطلة التي يتمنونها على الله عز وجل، مثل قولهم: (لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصاري)، وقولهم: (لن تمسنا النار إلا إيمانًا معدودة)، وقولهم: (نحن أبناء الله وأحباؤه)، فعلى هذا تكون (إلا) بمعنى (لكن)، أي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم، **وَإِنْ هُمْ**، وما هم **﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾**، يعني: وما يظنون إلا ظنًا وتوهمًا لا يقينًا قاله قتادة والربيع، وقال مجاهد: يكذبون.

[٧٩] قوله عز وجل: **﴿فَوَيْلٌ﴾**، قال الزجاج: ويل، كلمة تقولها العرب لكل واقع في هلكة، وقيل: هو دعاء الكفار على أنفسهم بالويل والشور، وقال ابن عباس: شدة العذاب، وقال سعيد بن المسيب: ويل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لانماعت ولذابت من شدة حرها **﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ بِأَيِّهِ ثُمَّ نَمَنَّا فَلَئْلَى﴾**، وذلك أن أحبار اليهود خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي ﷺ المدينة، فاحتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة، وكانت صفته فيها: حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة القامة فغيروها وكتبوا مكانها: طوال أزرق سبط الشعر، فإذا سألهم سفلتهم عن صفته قرؤوا ما كتبوه فيجدونه مخالفًا لصفته ويكذبونه، قال الله تعالى: **﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾**، يعني: كتبوه بأنفسهم اختراعًا من تغيير نعته ﷺ، **﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾**: من المآكل، ويقال: من

المعاصي.

[٨٠] **﴿وَقَالُوا﴾**، يعني اليهود **﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾**: لن تصيبنا النار، **﴿إِلَّا أَتَيْنَا مُعَذِّبَهُ﴾**: قدرًا مقدراً ثم يزول عنا العذاب، واختلفوا في هذه الأيام، فقال ابن عباس ومجاهد: كانت اليهود يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوماً واحداً ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام، وقال قتادة وعطاء: يعنون أربعين يوماً التي عبد فيها آبائهم العجل، وقال الحسن وأبو العالية: قالت اليهود: إن ربنا عتب علينا في أمرنا فأقسم الله ليعذبنا أربعين يوماً فلن تمسنا النار إلا أربعين يوماً تحلة القسم، فقال الله عز وجل تكذيباً لهم، **﴿قُلْ﴾**: يا محمد **﴿أَتُخَذَتُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾** ألف استفهام دخلت على ألف الوصل، **﴿عَهْدًا﴾** موثقاً أن لا يعذبكم إلا هذه المدة **﴿فَلَنْ**

والكسائي ويعقوب (حَسَنًا) بفتح الحاء والسين، أي: قولاً حسناً ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن العهد والميثاق، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾، وذلك أن قوماً منهم آمنوا، ﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾. كإعراض آبائكم.

[٨٤] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ﴾، أي: لا تريقون ﴿دِمَاءَكُمْ﴾، أي: لا يسفك بعضكم دم بعض، وقيل: لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكأنكم سفكتم دماء أنفسكم، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾: لا يُخرج بعضكم بعضاً من داره، وقيل: لا تسيئوا جوار من جاوركم فتلجئوهم إلى الخروج بسوء جواركم، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: بهذا العهد أنه حق وقبلتم، ﴿وَلَنْتُمْ لِّسَانَكُمْ﴾: اليوم على ذلك يا معشر اليهود وتعرفون بالقبول.

[٨٥] قوله عز وجل: ﴿لَنْ أَسْأَلَكُمْ عَنْكُمْ﴾، يعني: يا هؤلاء، وهؤلاء للتنبية، ﴿تَتَّبِعُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾، أي يقتل بعضكم بعضاً، ﴿وَتُخْرِجُونَ بَنِيكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: تتظاهرون والظهير: العون ﴿وَتُخْرِجُونَ بَنِيكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: بالمعصية والظلم، ﴿وَلَا تَقْرَأُ الْيَوْمَ حِمَازًا﴾، قرأ حمزة (أسرى)، وهما جمع أسير، ومعناها واحد، (تُفْدُوهُمْ): بالمال وتنقذوهم، وقرأ أهل المدينة وعاصم ﴿وَتُخْرِجُونَ بَنِيكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾، أي: تبادلوهم، أراد مفاداة الأسير بالأسير، وقيل: معنى القراءتين واحد، ومعنى الآية: قال السدي: إن الله تعالى أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً ولا يُخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، وأيما عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتقوه، وكانت قريظة حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج، وكانوا يقتتلون في حرب سنين، فيقاتل بنو قريظة مع حلفائهم وبنو النضير مع حلفائهم وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم

يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ، وعده ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ثم قال:

[٨١] ﴿بَلَى﴾، وبلى وبلى: حرفا استدراك، ومعناها نفي الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل، ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾، يعني الشرك ﴿وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ والإحاطة: الإحداق بالشيء من جميع نواحيه، قال ابن عباس وعطاء والضحاك وأبو العالية والربيع وجماعة: هي الشرك يموت عليه، وقيل: السيئة الكبيرة والإحاطة به أن يصر عليها فيموت غير تائب قاله عكرمة والربيع بن خيثم، قال الواحدي رحمه الله في تفسيره الوسيط: المؤمنون لا يدخلون في حكم هذه الآية لأن الله تعالى أوعد بالخلود في النار من أحاطت به خطيئته، وتقدمت منه سيئة وهي الشرك والمؤمن وإن عمل الكبائر لم يوجد منه الشرك، وقال مجاهد: هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل ذنباً ارتفعت حتى يغشى القلب، وهي الرين ﴿وَالَّذِينَ﴾

[٨٢] ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾، يعني: لا يرجعون إلى الله تعالى.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾: في التوراة والميثاق العهد الشديد، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ﴾، أي: وصيئناهم بالوالدين، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ﴾: براء بهما وعطفاً عليهما ونزولاً عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله تعالى، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ﴾، أي: وبذي القرابة، والقريب مصدر كالحسنى، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ﴾، جمع يتيم وهو الطفل الذي لا أب له ﴿وَالَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ﴾، يعني الفقراء، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: صدقاً وحقاً في شأن محمد ﷺ، فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته لا تكتموا أمره، وقال سفيان الثوري: مروهم بالمعروف وانهؤهم عن المنكر، وقيل: هو اللين في القول والمعاشرة بحسن الخلق، قرأ حمزة

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
 أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَزْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٦﴾
 ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
 مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِلَافِ وَالْعُدُوانِ
 وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْتُلُوهُمْ وَهُمْ مَحْرُومُونَ ﴿٨٧﴾
 إِخْرَاجُهُمْ أَفْئُوتٌ وَمُنُونٌ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ
 بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ
 وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ
 يُبْصَرُونَ ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ
 بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ
 بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ
 اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٩٠﴾ وَقَالُوا
 قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَأْثُورُونَ ﴿٩١﴾

وقيل: وصف جبريل بالقدس أي بالطهارة، لأنه لم
 يقترف ذنبًا، وقال الحسن: القدس هو الله وروحه
 جبريل، قال الله تعالى: (قل نزله روح القدس من
 ربك بالحق)، وقال ابن عباس وسعيد بن جبیر:
 روح القدس هو اسم الله تعالى الأعظم الذي كان
 يحيي به الموتى، ويرى الناس العجائب، وقيل:
 هو الإنجيل جعل له روحًا كما جعل القرآن روحًا
 لمحمد ﷺ، لأنه سبب لحياة القلوب.

فلما سمعت اليهود ذكر عيسى عليه السلام،
 فقالوا: يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت،
 ولا كما يُقَصُّ علينا من الأنبياء فعلت، فأتنا بما
 أتى به عيسى إن كنت صادقًا، قال الله تعالى:
 ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾: يا معشر اليهود ﴿رَسُولٌ بِمَا لَا
 تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تكبرتم وتعظمت عن
 الإيمان، ﴿فَفَرِيقًا﴾: طائفة ﴿كَذَبْتُمْ﴾: مثل عيسى

منها، وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى
 يفدوه وإن كان الأسير من عدوهم، فتعيرهم العرب
 ويقولون: كيف تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: إنا
 أمرنا أن نفديهم، فيقولون فلم تقاتلوهم؟ قالوا: إنا
 نستحي أن تذلل حلفاؤنا، فعيرهم الله تعالى بذلك
 ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾، فكان الله تعالى
 أخذ عليهم أربعة عهود: ترك القتال وترك الإخراج
 وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم وفداء أسراهم،
 فأعرضوا عن الكل إلا الفداء، قال الله تعالى:
 ﴿أَفْئُوتٌ وَمُنُونٌ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾،
 قال مجاهد يقول: إن وجدته في يد غيرك فديته
 وأنت تقتله بيدك، ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ
 مِنْكُمْ﴾: يا معشر اليهود ﴿إِلَّا خِزْيٌ﴾: عذاب
 وهوان، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فكان خزي بني
 قريظة القتل والسبي، وخزي بني النضير الجلاء
 والنفي من منازلهم إلى أذرعات وأريحاء من
 الشام، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾، وهو
 عذاب النار ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

[٨٦] قوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا﴾:
 استبدلوا ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ﴾. يهون
 عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ، لا يُمنعون من
 عذاب الله عز وجل.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾: أعطينا ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾:
 التوراة جملة واحدة، ﴿وَقَفَّيْنَا﴾: وأتبعنا، ﴿مِنْ
 بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾: رسولًا بعد رسول، ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى
 ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾: الدلالات الواضحات، وهي ما
 ذكر الله في سورة آل عمران والمائدة، وقيل: أراد
 الإنجيل، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾: قويناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾
 اختلفوا في روح القدس، قال الربيع وغيره: أراد
 الروح الذي لا نفخ فيه، والقدس هو الله نحو بيت
 الله وناقة الله، وقيل: أراد بالقدس: الطهارة،
 يعني: الروح الطاهرة، قال قتادة والسدي
 والضحاك: روح القدس جبريل عليه السلام،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾
يَسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يَزِيلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُ وَبَعْضٌ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْفُونَا بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقُولُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ يَفْقَهُوْا وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا يَا مُرْكُمُ بِهِ يَمْنَعُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

طالب الظلم والحاسد يظلم المحسود جهده طلباً لإزالة نعمة الله تعالى عنه ﴿أَنْ يَزِيلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، أي النبوة والكتاب ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: محمد ﷺ ﴿فَبَاءُ وَبَعْضٌ عَلَى غَضَبٍ﴾، أي مع غضب، قال ابن عباس ومجاهد: الغضب الأول بتضييعهم التوراة وتبديلهم، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن، وقال قتادة: الأول بكفرهم بعباسي والإنجيل، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن وقال السدي: الأول بعبادة العجل، والثاني بالكفر بمحمد ﷺ، ﴿وَاللْكَافِرِينَ﴾: الجاحدين بنبوة محمد ﷺ من الناس كلهم، ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: مخزٍ يهانون فيه.

[٩١] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، يعني: القرآن، ﴿قَالُوا تَوْفُونَا بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا﴾، يعني: التوراة، يكفيننا ذلك ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا

ومحمد ﷺ، ﴿وَفَرِيقًا تَقُولُونَ﴾ مثل زكريا ويحيى وشعيب، وسائر من قتلوا من الأنبياء عليهم السلام.

[٨٨] ﴿وَقَالُوا﴾، يعني اليهود، ﴿تُلُونَا غُلْفًا﴾، جمع أغلف وهو الذي عليه غشاوة، معناه: عليها غشاوة فلا تسمع ولا تفقه ما يقول، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ﴾: طردهم الله وأبعدهم عن كل خير ﴿يَكْفُرِهِمْ فَقِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾، قال قتادة: معناه لا يؤمن منهم إلا قليل، لأن من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود، أي: قليلاً يؤمنون، وقال معمر: لا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره، أي: قليل يؤمنون.

[٨٩] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، يعني القرآن ﴿مُصَدِّقٌ﴾: موافق ﴿لِمَا مَعَهُمْ﴾، يعني: التوراة، ﴿وَكَانُوا﴾، يعني: اليهود، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل مبعث محمد ﷺ، ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يستنصرون، ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: على مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا أحزنهم أمرٌ ودهمهم عدوٌّ اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة، فكانوا ينصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أطل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فقتلكم معه قتل عاد وثمود وإرم.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾، يعني محمداً ﷺ من غير بني إسرائيل وعرفوا نعتة وصفته، ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ بغيًا وحسدًا، ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٩٠] ﴿يَسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾، بشس ونعم فعلان ماضيان وُضعا للمدح والذم، لا يتصرفان تصرف الأفعال، معناه: بشس الذي اختاروا لأنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، يعني: القرآن، ﴿بَعِيًّا﴾ أي: حسداً، وأصل البغي: الفساد، يقال: بغى الجرح إذا فسد، والبغي: الظلم، وأصله الطلب، والباغي

لأن من علم أن الجنة مأواه حق إليها، ولا سبيل إلى دخولها إلا بعد الموت، فاستعجلوه بالتمني، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في قولكم، وقيل: فتمنوا الموت، أي: ادعوا بالموت على الفرقة الكاذبة.

[٩٥] قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَتَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ﴾، لعلمهم أنهم في دعواهم كاذبون، وأراد بما قدمت أيديهم ما قدموه من الأعمال، وأضاف العمل إلى اليد لأن أكثر جنایات الإنسان تكون باليد، فأضيف إلى اليد أعماله، وإن لم يكن لليد فيها عمل، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْقَلَامِينَ﴾.

[٩٦] ﴿وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ﴾، اللام لام القسم، والنون تأكيد للقسم، تقديره: والله لتجذثهم يا محمد، يعني: اليهود ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، قيل: هو متصل بالأول، أي: وأحرص من الذين أشركوا، وقيل: تم الكلام بقوله: (على حياة)، ثم ابتداء (ومن الذين أشركوا)، وأراد بالذين أشركوا المجوس ﴿يَوَدُّ﴾: يريد ويتمنى، ﴿أَحْذَهُمْ تَوْبِعَ رَوْفٍ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، يعني: تعمير ألف سنة، وهي تحية المجوس فيما بينهم يقول الله تعالى: اليهود أحرص على الحياة من المجوس الذين يقولون ذلك، ﴿وَمَا هُوَ بِمُرْخِجِهِ﴾: مباعده ﴿مَنْ أَلْعَابِ﴾: من النار ﴿أَنْ يُعْمَرَ﴾، أي: طول عمره لا يبعده من العذاب ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

[٩٧] قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن حبراً من أحبار اليهود، يقال له عبدالله بن صوريا قال للنبي ﷺ: أي ملك يأتيك من السماء؟ قال: جبريل، قال: ذلك عدونا من الملائكة، ولو كان ميكائيل لآمتنا بك، إن جبريل ينزل العذاب والقتال والشدة وإنه عادانا مراراً ﴿فَإِنَّهُ﴾، يعني: جبريل ﴿زَلَّ لَهُ﴾، يعني: القرآن، كناية عن غير مذكور، ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾: يا محمد ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بأمر الله ﴿مُصَدِّقًا﴾: موافقاً ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: لما قبله من

وراءه، أي بما سواه من الكتب، وقال أبو عبيدة: بما بعده، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾، يعني القرآن، ﴿مُصَدِّقًا﴾، نُصِبَ على الحال، ﴿لِمَا مَعَهُمْ﴾: من التوراة، ﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﴿فَلَمْ تَقْنَلُونَهُ﴾، أي قتلتم، ﴿أَنْبِيََاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: بالتوراة، وقد نهيتهم فيها عن قتل الأنبياء عليهم السلام.

[٩٨] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة، ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾، أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾.

[٩٩] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا﴾، أي استجبوا وأطيعوا، سميت الطاعة والإجابة: سمعاً على المجاز، لأنه سبب للطاعة والإجابة، ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾: قولك، ﴿وَعَصَيْنَا﴾: أمرك، وقيل: سمعنا بالأذن، وعصينا بالقلوب ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾، أي: حب العجل، أي معناه: أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها، كإشراب اللون لشدة الملازمة، قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَسْمَا بِأَمْرِكُمْ بِهِ إِيمَنُكُمْ﴾: أن تعبدوا العجل من دون الله، أي: بئس إيمان يأمر بعبادة العجل، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: بزعمكم وذلك أنهم قالوا: نؤمن بما أنزل علينا، فكذبهم الله عز وجل.

[١٠٠] قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، وذلك أن اليهود ادعوا دعاوى باطلة مثل قولهم: (لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة)، (ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى)، وقولهم: (نحن أبناء الله وأحباؤه) فكذبهم الله عز وجل وألزمهم الحجة فقال: قل لهم يا محمد إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله، يعني: الجنة، ﴿عَالِصَةً﴾، أي خاصة ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾، أي: فأريدوه أو اسألوه،

الكتب، ﴿وَهْدَىٰ وَبَشَّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، قوله عز وجل:

[٩٨] ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ﴾: خصهما بالذكر من جملة الملائكة مع دخولها في قوله: (وملائكته)، تفضيلاً وتخصيصاً والواو فيهما بمعنى «أو» يعني: من كان عدوًّا لأحد هؤلاء فإنه عدو للكل، لأن الكافر بالواحد كافر بالكل، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾. قال ابن صوريا: ما جئنا بشيء نعرفه فأنزل الله تعالى:

[٩٩] ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والأحكام، ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن أمر الله عز وجل.

[١٠٠] ﴿أَوْكُلَمَا﴾، واو العطف عليها ألف الاستفهام، ﴿عَهْدُوا عَهْدًا﴾، يعني: اليهود عاهدوا: لئن خرج محمد ﷺ لتؤمنن به، فلما خرج إليهم محمد ﷺ كفروا به، وقال عطاء: هي العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود: أن لا يعاونوا المشركين على قتاله، فنقضوها كفعل بني قريظة والنضير، دليله قوله تعالى: (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم)، ﴿يَبْذُوهُ﴾: طرحه ونقضه ﴿فَرِيقٌ﴾: طوائف ﴿مَنْهُمْ﴾؛ من اليهود، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٠١] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، يعني: محمداً ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَيِّنٌ مِّنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَىٰ ظُهُورَهُمْ﴾، يعني: التوراة، وقيل: القرآن، ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قال الشعبي: كانوا يقرأون التوراة ولا يعملون بها.

[١٠٢] ﴿وَاتَّبَعُوا﴾، يعني: اليهود ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾، أي: ما تلت، والعرب تضع المستقبل موضع الماضي، والماضي موضع المستقبل، وقيل: ما كانت تتلو، أي: تقرأ، قال ابن عباس

سورة البقرة

١٥

سورة البقرة

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٩﴾ وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ أَهْرَاصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَجَّحَةٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠١﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٣﴾ أَوْكُلَمَا عَهَدُوا عَهْدًا بَيِّنَةً فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَيِّنٌ مِّنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَىٰ ظُهُورَهُمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾

رضي الله عنه: تتبع وتعمل به، وقال عطاء: تحدث وتكلم به، ﴿عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنٌ﴾، أي: في ملكه وعهده ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنٌ﴾: بالسحر، وقيل: لم يكن سليمان كافراً يسحر ويعمل به ﴿وَلَنَكْنِ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ معنى لكن نفي الخبر الماضي وإثبات المستقبل، ﴿يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ﴾، قيل معنى السحر: العلم والحدق بالشيء قال الله تعالى: (وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك) أي: العالم، والصحيح أن السحر عبارة عن التمويه والتخييل، والسحر وجوده حقيقة عند أهل السنة وعليه أكثر الأمم، ولكن العمل به كفر.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابٍ﴾، أي: ويعلمون الذي أنزل على الملكين، أي: إلهاماً وعلماً، فالإنزال: بمعنى الإلهام والتعليم، وقيل: واتبعوا ما أنزل على الملكين

الْاِنشَاء

١٦

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرُ
 سَلِيمٍ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ
 السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَرُوتَ وَمَرْوُتَ
 وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ
 فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ
 وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ
 مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ
 مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَئِنَّ سَكَرُوا بِهِ
 أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا
 وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
 ﴿١٠٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا
 انظُرْنَا وَاسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾
 مَا يَوْذُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
 أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ
 بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

محمدًا سرًّا فأعلنوا به الآن، فكانوا يأتونه
 ويقولون: راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم
 فأنزل الله تعالى: (لَا تَقُولُوا رَاعِنَا) لكيلا يجد
 اليهود بذلك سبيلاً إلى شتم رسول الله ﷺ، ﴿وَقُولُوا
 انظُرْنَا﴾، أي انظر إلينا، وقيل: انتظرنا وتأن بنا
 ﴿وَاسْمِعُوا﴾: ما تؤمرون به وأطيعوا،
 ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾، يعني: اليهود، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[١٠٥] قوله تعالى: ﴿مَا يَوْذُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
 أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: ما يحب وما يتمنى الذين
 كفروا من أهل الكتاب يعني: اليهود، ﴿وَلَا الْمُشْرِكِينَ
 أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أي: خير
 ونبوة، و(من)، صلة، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾:
 بنبوته، ﴿مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾،
 والفضل ابتداء إحسان بلا علة، وقيل: المراد
 بالرحمة الإسلام والهداية.

﴿هَرُوتَ وَمَرْوُتَ﴾: هما اسمان سريانيان ﴿وَمَا
 يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾، أي: أحداً و﴿مِّن﴾ صلة ﴿حَتَّى﴾:
 ينصحاها أولاً، ﴿يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: ابتلاء
 ومحنة، ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾، أي: لا تتعلم السحر
 فتعمل به فتكفر، وأصل الفتنة: الاختبار والامتحان
 ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾
 وهو أن يؤخذ كل واحد عن صاحبه ويغض كل
 واحد إلى صاحبه قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ﴾، قيل:
 أي السحرة: وقيل: الشياطين، ﴿بِضَآرِّينَ بِهِ﴾،
 أي: بالسحر ﴿مِّنْ أَحَدٍ﴾، أي أحداً ﴿إِلَّا بِإِذْنِ
 اللَّهِ﴾، أي: بعلمه وتكوينه، فالساحر يسحر والله
 يكوّن، قال سفيان الثوري: معناه إلا بقضائه
 وقدرته ومشئته، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾، يعني:
 السحر يضرهم، ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾:
 يعني اليهود، ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾: أي اختار السحر،
 ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ﴾، أي: في الجنة، ﴿مِّنْ
 خَلْقٍ﴾، من نصيب ﴿وَلَئِنَّ سَكَرُوا بِهِ﴾:
 باعوا به ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾، حظ أنفسهم حيث اختاروا
 السحر والكفر على الدين والحق، ﴿لَوْ كَانُوا
 يَعْلَمُونَ﴾.

[١٠٣] ﴿لَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن،
 ﴿وَاتَّقَوْا﴾: اليهودية والسحر، ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ
 خَيْرٌ﴾: لكان ثواب الله إياهم خيراً لهم، ﴿لَوْ
 كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

[١٠٤] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا
 تَقُولُوا رَاعِنَا﴾، وذلك أن المسلمين كانوا
 يقولون: راعنا يا رسول الله، من المراجعة، أي:
 ارعنا سمعك، أي: فرغ سمعك لكل منا وكانت
 هذه اللفظة سباً قبيحاً بلغة اليهود، وقيل: كان
 معناها عندهم: اسمع لا سمعت، وقيل: هي من
 الرعونة كانوا إذا أرادوا أن يحمقوا إنساناً قالوا:
 راعنا، بمعنى: يا أحمق، فلما سمع اليهود هذه
 اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم: كنا نسب

سورة البقرة

١٧

الأنعام

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٠٧﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ نَسْأَلَكُمْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۖ وَمَنْ يَتَّبِعِ ٱلْكَفْرَ بِٱلْإِيمَانِ فَدَعَا إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝١٠٨﴾ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كِفَآرًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا ۚ إِنَّ ٱلَّهَ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا ٱلزَّكٰوةَ وَمَا تَقْدُمُوا لَٱنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَقِدُّوهُ عِنْدَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٠﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا ۚ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَنَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١١٢﴾

(أَمْ تَرِيدُونَ)، يعني: أتريدون، فالميم صلة، وقيل، بل تريدون أن تسألوا رسولكم محمدا ﷺ، ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾، سأله قومه (أَرِنَا الله جهرة) وقيل: إنهم سألوا رسول الله ﷺ، فقالوا: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً، كما أن موسى سأله قومه فقالوا: أَرِنَا الله جهرة، ففيه منعهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلائل والبراهين ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ ٱلْكَفْرَ بِٱلْإِيمَانِ﴾: يستبدل الكفر بالإيمان ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أخطأ وسط الطريق، وقيل: قصد السبيل.

[١٠٩] قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، أي تمنى وأراد كثير من أهل الكتاب من اليهود: ﴿لَوْ يَرُّوْكُمْ﴾، يا معشر المؤمنين ﴿مِّنْ بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كِفَآرًا حَسَدًا﴾، نُصِبَ على المصدر، أي: يحسدونكم حسداً، ﴿مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾،

[١٠٦] قوله عز وجل: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾، وذلك أن المشركين قالوا إن محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه، ويأمرهم بخلاف ما يقوله إلا من تلقاء نفسه، يقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً، كما أخبر الله: (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل)، قالوا إنما أنت مفتر فأنزل: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا)، فبين وجه الحكمة في النسخ بهذه الآية، والنسخ في اللغة شيثان، أحدهما: بمعنى التحويل والنقل، ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب، فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ، لأنه نسخ من اللوح المحفوظ، والثاني: يكون بمعنى الرفع، يقال: نَسَخْتُ الشَّمْسُ الظِّلَّ، أي: ذهبت به وأبطلته، فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخاً وبعضه منسوخاً، وهو المراد من الآية (أو ننسها) أي: ننسها عن قلبك وقيل: ننسها أي نأمر بتركها، يقال: أنسيت الشيء، إذا أمرت بتركه ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾، أي بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجركم، لا أن آية خير من آية، لأن كلام الله واحد وكله خير، ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾: في المنفعة والثواب، فكل ما نسخ إلى الأيسر فهو أسهل في العمل، وما نسخ إلى الأشق فهو في الثواب أكثر.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: من النسخ والتبديل، لفظه استفهام ومعناه تقرير، أي: إنك تعلم.

[١٠٧] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ﴾: يا معشر الكفار عند نزول العذاب، ﴿مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾: مما سوى الله ﴿وَلِيٍّ﴾: قريب وصديق، وقيل: وال، وهو القيم بالأمور ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: ناصر يمنعكم من العذاب.

[١٠٨] قوله: ﴿أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ نَسْأَلَكُمْ رَسُولَكُمْ﴾، نزلت في اليهود حين قالوا يا محمد اتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة، فقال تعالى:

مؤمن، وقيل: مخلص، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[١١٣] قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾، نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران، وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبي ﷺ أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت لهم اليهود: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعمى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بموسى والتوراة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ﴾، وكلا الفريقين يقرؤون الكتاب، وقيل: معناه ليس في كتبهم هذا الاختلاف، فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما فيه على كونهم على الباطل، ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يعني: آباءهم الذين مضوا، ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾، قال مجاهد: يعني عوام النصارى، وقال مقاتل: يعني مشركي العرب، كذلك قالوا في نبيهم محمد ﷺ وأصحابه: إنهم ليسوا على شيء من الدين، وقال عطاء: أمم كانت قبل اليهود والنصارى، مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، قالوا لنبيهم: إنه ليس على شيء، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: يقضي بين المحق والمبطل، ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: من الدين.

[١١٤] قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ﴾، الآية نزلت في الذين غزوا بني إسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس فكان خراباً إلى أن بناه المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه (وَمَنْ أَظْلَمُ) أي: أكفر (مَنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ) يعني: بيت المقدس ومحاربه ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾، وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى ومحل

أي: من تلقاء أنفسهم ولم يأمرهم الله بذلك، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾. في التوراة أن قول محمد ﷺ: صدق ودينه حق، ﴿فَاعْفُوا﴾: فاتركوا ﴿وَأَصْفَحُوا﴾، وتجاوزوا، فالعفو: المحو، والصفح: الإعراض، وكان هذا قبل آية القتال، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾، بعدابه القتل والسبي لبني قريظة والجلاء والنفي لبني النضير، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقال قتادة: هو أمره بقتالهم في قوله: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) إلى قوله: (وهم صاغرون) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١١٠] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا﴾: تأسفوا ﴿لِأَنفُسِكُمْ مِنْ حَيْرٍ﴾: طاعة وعمل صالح ﴿يَعْبُدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، وقيل أراد بالخير المال من زكاة أو صدقة تجوده عند الله حتى الثمرة واللقمة مثل أحد ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[١١١] ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾، أي يهودياً ﴿أَوْ نَصْرَى﴾، وذلك أن اليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ولا دين إلا دين اليهودية، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ولا دين إلا دين النصرانية قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾، أي: شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير الحق، ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﴿هَآتُوا﴾، أصله آتوا ﴿بِرُفْعَتِكُمْ﴾: حجتكم على ما زعمتم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. ثم قال رداً عليهم:

[١١٢] ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾، أي: ليس كما قالوا بل الحكم للإسلام، وإنما يدخل الجنة من أسلم وجهه ﴿لِلَّهِ﴾، أي: أخلص دينه لله، وقيل: أخلص عبادته لله، وقيل: خضع وتواضع لله، وأصل الإسلام الاستسلام والخضوع، وخص الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم ييخل بسائر جوارحه، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: في عمله، وقيل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٨﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَؤْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٩﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَنُونَ ﴿١٢٠﴾ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٢١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٢٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١٢٣﴾

زيارتهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يدخلها - يعني بيت المقدس - بعد عمارتها رومي إلا خائفاً لو علم به قتل ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: عذاب وهوان، قال قتادة: هو القتل للحربي والعجزة للذمي، قال مقاتل والكلبي: تفتح مدائنهم الثلاثة قسطنطينية ورومية وعمورية، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وهو النار.

وقال عطاء وعبد الرحمن بن زيد: نزلت في مشركي مكة، وأراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من حجه والصلاة فيه عام الحديبية، وإذا منعوا رسول الله ﷺ من أن يعمره بذكر الله فقد سعوا في خرابها (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين)، يعني: أهل مكة، يقول: أفتحها عليكم حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم، ففتحها عليهم وأمر النبي ﷺ منادياً ينادي ألا لا يحجج بعد هذا العام مشرك^(١)، فهذا خوفهم، وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم، ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ الذل والهوان والقتل والسبي والنفي.

[١١٥] ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾، ملكاً وخلقاً ﴿فَأَيْنَمَا تُولَؤْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾، أي غني يعطي من السعة، قال الفراء: الواسع: الجود الذي يسع عطاؤه كل شيء، قال الكلبي: واسع المغفرة ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتهم حيث ما صلوا ودعوا.

[١١٦] قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، قرأ ابن عامر (قَالُوا)، بلا واو، وقرأ الآخرون ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزيز ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا: المسيح ابن الله، وفي مشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله، ﴿سُبْحَنَهُ﴾، نزه وعظم نفسه، قوله تعالى: ﴿بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: عبيداً وملكاً، ﴿كُلٌّ لَّهُ قَنُونَ﴾، قال مجاهد وعطاء والسدي: مُطيعون، وقال عكرمة

ومقاتل: مُقَرَّبُونَ له بالعبودية، وقال ابن كيسان: قائمون بالشهادة، وأصل القنوت القيام، واختلفوا في حكم الآية فذهب جماعة إلى أن حكم الآية خاص، وقال مقاتل: هو راجع إلى عزيز والمسيح والملائكة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هو راجع إلى أهل طاعته دون سائر الناس، وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عام في جميع الخلق، لأن لفظ «كل» يقتضي الإحاطة بالشيء بحيث لا يشذ منه شيء وقيل: قاتنون مذلون مسخرون لما خلقوا له.

[١١٧] قوله عز وجل: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ

(١) أخرجه البخاري في الصلاة باب ما يستمر من العورة / ١
٤٧٧ وفي الحج والمغازي، ومسلم في الحج باب لا يحج بالبيت مشرك رقم (١٣٤٧) ٩٨٢/٢ والمصنف شرح السنة ٢١/٧.

ولست بمسئول عنهم ﴿عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾
والجحيم معظم النار.

[١٢٠] قوله عز وجل: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ أَتَيْوُدَ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هَذَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ﴾، وذلك أنهم يسألون النبي ﷺ الهدنة ويطمعونه أنه إن أمهلهم اتبعوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، معناه أنك وإن هادنتهم فلا يرجون بها، وإنما يطلبون ذلك تعللاً ولا يرضون منك إلا باتباع ملتهم ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ أَتَيْوُدَ﴾، إلا باليهودية، ﴿وَلَا النَّصْرَىٰ﴾ إلا بالنصرانية، والملة الطريقة، ﴿وَلَيْنَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾، قيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الأمة كقوله: (لئن أشركت ليحبطن عملك)، ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: البيان بأن دين الله هو الإسلام والقبلة قبله إبراهيم عليه السلام وهي الكعبة، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

[١٢١] ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أهل السفينة قدموا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانوا أربعين رجلاً اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا، وقال الضحاك: هم ممن آمن من اليهود عبدالله بن سلام وشعبة بن عمرو وتمام ابن يهودا وأسد وأسيد ابنا كعب وابن يامين وعبدالله ابن صوريا، وقال قتادة وعكرمة: هم أصحاب محمد ﷺ وقيل: هم المؤمنون عامة، ﴿يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾، قال الكلبي: يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس، والهاء راجعة إلى محمد ﷺ، وقال الآخرون: هي عائدة إلى الكتاب، واختلفوا في معناه فقال ابن مسعود رضي الله عنه: يقرؤونه كما أنزل ولا يحرفونه، ويحلون حلاله ويحرمون حرامه، وقال الحسن: يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون علم ما أشكل عليهم إلى عالمه، وقال مجاهد: يتبعونه حق اتباعه ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

وَأَي: مبدعها ومنشئها من غير مثال سبق، ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾، أي: قدره، وقيل: أحكمه وأتقنه، وأصل القضاء: الفراغ، ومنه قيل لمن مات: قضى عليه لفراغه من الدنيا، ومنه قضاء الله وقدره، لأنه فرغ منه تقديرا أو تدييرا ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، فإن قيل كيف قال: (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ) والمعدوم لا يُخاطب؟ قيل: قال ابن الأنباري معناه: فإنما يقول له، أي لأجل تكوينه، فعلى هذا ذهب معنى الخطاب، وقيل: هو وإن كان معدوماً ولكنه لما قدر وجوده وهو كائن لا محالة كان كالموجود فصح الخطاب.

[١١٨] قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: اليهود، وقال مجاهد: النصارى، وقال قتادة: مشركو العرب، ﴿لَوْلَا﴾: هلا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾: عياناً بأنك رسوله ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةً﴾: دلالة علامة على صدقك، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي: كفار الأمم الخالية، ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، أي: أشبه بعضهم بعضاً في الكفر والقسوة وطلب المحال، ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

[١١٩] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾، أي: بالصدق، قال ابن عباس رضي الله عنهما: بالقرآن وقال ابن كيسان: بالإسلام وشرائعه، وقال مقاتل: معناه لم نرسلك عبثاً إنما أرسلناك بالحق.

قوله عز وجل: ﴿بَشِيرًا﴾، أي: مبشراً لأولياي وأهل طاعتي بالثواب الكريم، ﴿وَنَذِيرًا﴾، أي: منذراً مخوفاً لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم.

قرأ نافع ويعقوب: ﴿وَلَا تُسْأَلُ﴾: على النهي وقيل: هو على معنى قولهم لا تسأل عن شر فلان فإنه فوق ما تحسب، وليس على النهي، وقرأ الآخرون ﴿وَلَا تُسْأَلُ﴾ بالرفع، على النفي بمعنى:

سورة البقرة

١٩

الأنعام

وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ وَلَهُمْ قُلُوبُ لَا تُفْقَهُونَ ۚ هُدًىٰ مِنَ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۚ وَلَئِنَّ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٢﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٣﴾ يَبْنَیٰٓ اِسْرَءِیْلَ اٰذْكُرُوْا نِعْمَتِیْ الَّتِیْ اَنْعَمْتُ عَلَیْكُمْ وَاَنۢتَوُا یَوْمًا ۚ وَلَآ تَجْرِیْ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئًا ۚ وَلَا یُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ ۚ وَلَا هُمْ یُنصَرُونَ ۚ ﴿١٢٤﴾ وَاِذْ اٰتٰنَا اِبْرٰهٖمَ رُبُّهُ بِكَلِمٰتٍ فَاتَمَمَّھُنَّ ۚ قَالَ اِنِّیْ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ اِمَامًا ۚ قَالَ وَمِنْ ذُرِّیَّتِیْ قَالَ لَا یَنَالُ عَهْدِیْ الظَّالِمِیْنَ ﴿١٢٥﴾ وَاِذْ جَعَلْنَا الْاٰیٰتِیْنَ مَثَآءِلَ لِلنَّاسِ اَوْ اَمَّا وَاتَّخِذُوْا مِنْ مَّقَامِ اِبْرٰهٖمَ مُصَلًّی ۚ وَعٰهَدْنَا اِلٰی اِبْرٰهٖمَ وَاِسْمٰعِیْلَ اَنْ طَهِّرَا بَيْتِیَ لِلطَّآیِفِیْنَ وَالْمُكَدِّیْنَ ۚ وَالرُّكَّعَ السُّجُوْدَ ﴿١٢٦﴾ وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهٖمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا اٰمِنًا وَاَرْزُقْ اَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرٰتِ ۚ مَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ الْاٰخِرَ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَاُتِمِّنَّہٗ قَلِیْلًا ثُمَّ اَضْطَرُّہٗٓ اِلَی عَذَابِ النَّارِ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِیْرُ ﴿١٢٧﴾

النخعي: الحرم كله مقام إبراهيم، وقيل: أراد بمقام إبراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة ومزدلفة وسائر المشاهد، والصحيح: أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي في المسجد يصلي إليه الأئمة، وذلك الحجر الذي قام عليه إبراهيم عند بناء البيت.

قوله عز وجل ﴿وَعٰهَدْنَا اِلٰی اِبْرٰهٖمَ وَاِسْمٰعِیْلَ﴾، أي: أمرناهما وأوصينا إلهما ﴿اَنْ طَهِّرَا بَيْتِی﴾، يعني: الكعبة إضافة إليه تخصيصاً وتفضيلاً، أي: ابنياء على الطهارة والتوحيد، وقال سعيد بن جبیر وعطاء: طهراه من الأوثان والريب وقول الزور ﴿لِلطَّآیِفِیْنَ﴾: الدائرين حوله، ﴿وَالْمُكَدِّیْنَ﴾: المقيمين المجاورين، ﴿وَالرُّكَّعَ﴾، جمع راع، ﴿السُّجُوْدَ﴾: ساجد، وهم المصلون، قال الكلبي ومقاتل: الطائفين هم الغرباء والعاكفين أهل مكة.

[١٢٦] ﴿وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهٖمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا﴾، يعني

[١٢٢] ﴿يَبْنَیٰٓ اِسْرَءِیْلَ اٰذْكُرُوْا نِعْمَتِیْ الَّتِیْ اَنْعَمْتُ عَلَیْكُمْ وَاَنۢتَوُا یَوْمًا ۚ﴾.

[١٢٣] ﴿وَلَآ تَجْرِیْ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئًا ۚ وَلَا یُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ ۚ وَلَا هُمْ یُنصَرُونَ ۚ﴾.

[١٢٤] ﴿وَاِذْ اٰتٰنَا اِبْرٰهٖمَ رُبُّهُ بِكَلِمٰتٍ فَاتَمَمَّھُنَّ ۚ﴾ وهو

إبراهيم بن تارخ هو آزر بن ناخور، ومعنى الابتلاء: الاختبار والامتحان والأمر، وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء لأنه عالم بهم، ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضاً، واختلفوا في الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم (فاتمهن) قال قتادة: أذاهن، قال الضحاك: قام بهن، وقال يمان: عمل بهن، قال الله تعالى: ﴿قَالَ اِنِّیْ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ اِمَامًا﴾: يقتدى بك في الخير، ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿وَمِنْ ذُرِّیَّتِیْ﴾ أي: ومن أولادي أيضاً فاجعل أئمة يقتدى بهم، ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿لَا یَنَالُ﴾ لا يصيب ﴿عَهْدِیْ الظَّالِمِیْنَ﴾ أي: من كان منهم ظالماً لا يصيبه، قال عطاء بن أبي رباح: عهدي رحمتي، وقال السدي: نبوتي، وقيل: الإمامة، قال مجاهد: ليس لظالم أن يطاع في ظلمه، ومعنى الآية: لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة من كان ظالماً من ولدك، وقيل: أراد بالعهد الأمان من النار، وبالظالم المشرك.

[١٢٥] قال الله تعالى: ﴿وَاِذْ جَعَلْنَا الْاٰیٰتِیْنَ﴾، يعني: الكعبة، ﴿مَثَآءِلَ لِلنَّاسِ﴾: مرجعاً لهم، قال مجاهد وسعيد بن جبیر: يثوبون إليه من كل جانب ويحججون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: معاذاً وملجأ، وقال قتادة وعكرمة: مجمعاً، ﴿وَأَمَّا﴾ أي: مأمناً يأمنون فيه من إيذاء المشركين فإنهم ما كانوا يتعرضون لأهل مكة، ويقولون هم أهل الله، ويتعرضون لمن حوله ﴿وَاتَّخِذُوا﴾، قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء على الخبر، وقرأ الباقر بكسر الخاء على الأمر، ﴿مِنْ مَّقَامِ اِبْرٰهٖمَ مُصَلًّی﴾، قال يمان: المسجد كله مقام إبراهيم، وقال إبراهيم

مكة، وقيل: الحرم، ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾، أي: ذا أمن يأمن فيه أهله، ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾، إنما دعا بذلك لأنه كان بوادٍ غير ذي زرع ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: دعا للمؤمنين خاصة، ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾، أي سأرزق الكافر أيضًا قليلًا إلى منتهى أجله، وذلك أن الله تعالى وعد الرزق للخلق كافة مؤمنهم وكافرهم، وإنما قيد بالقلّة لأن متاع الدنيا قليل، ﴿ثُمَّ أَصْطَرَّهُ﴾، أي: ألجئه في الآخرة: ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ﴾، أي: المرجع يصير إليه.

[١٢٧] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ يعني أسسه، واحداثها: قاعدة، وقال الكسائي: جُدر البيت ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾، فيه إضمار، أي ويقولان: ربنا تقبل منا بناءنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾، لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾: بنياتنا.

[١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾: موحدين مطيعين مخلصين خاضعين لك: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾، أي: أولادنا، ﴿أُمَّةً﴾: جماعة، والأمة: أتباع الأنبياء، ﴿مُسْلِمَةً لَكَ﴾: خاضعة لك، ﴿وَارْزُقْنَا﴾ علمنا وعرفنا ﴿مَنَاسِكَكَ﴾: شرائع ديننا وأعلام حجبنا، وقيل: مواضع حجبنا، وقال مجاهد: مذابحنا، والنسك: الذبيحة، وقيل: متعبداتنا، وأصل النسك: العبادة، والناسك: العابد، فأجاب الله تعالى دعاءهما فبعث جبريل فأراهما المناسك في يوم عرفة، فلما بلغ عرفات قال: عرفت يا إبراهيم؟ قال: نعم، فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات. ﴿وَبَشِّرِ عَلِيًّا﴾، تجاوز عنا، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٢٩] ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾، أي: في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل، وقيل: في أهل مكة، ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾، أي: مرسلًا منهم، أراد به محمدًا ﷺ ﴿يَتْلُوا﴾: يقرأ ﴿عَلَيْهِمْ ءَايَاتُكَ﴾،

[١٣٠] ﴿وَمَنْ يَرْغُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: يترك دينه وشريعته، يقال: يقال: رغب في الشيء إذا أراد، ورغب عنه إذا تركه، وقوله: ﴿مَنْ﴾: لفظة استفهام ومعناه التقرير والتوبيخ، يعني: ما يرغب من ملة إبراهيم ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، قال ابن عباس: من خسر نفسه، وقال الكلبي: ضل من قبل نفسه، وقال أبو عبيدة: أهلك نفسه، وقال ابن كيسان والزجاج: معناه جهل نفسه، والسفاهة: الجهل وضعف الرأي، وكل سفیه جاهل، وذلك أن مَنْ عبد غير الله فقد جهل نفسه لأنه لم يعرف أن الله خلقها، ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾: اخترناه في الدنيا، ﴿وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، يعني: أي مع الأنبياء في الجنة، وقال الحسين بن الفضل: فيه تقديم وتأخير، تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين.

[١٣١] ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾، أي استقم على الإسلام واثبت عليه، لأنه كان مسلمًا، قال ابن

عباس: قال له ذلك حين خرج من السرب، وقال الكلبي: أخلص دينك وعبادتك لله، وقال عطاء: أسلم نفسك إلى الله عز وجل وفوض أمورك إليه، ﴿قَالَ أَسَلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي: فوضت، قال ابن عباس: وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين أُلقي في النار.

[١٣٢] ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ معناه: ووصى بها إبراهيم ووصى يعقوب بنيه، قال الكلبي ومقاتل: يعني كلمة الإخلاص لا إله إلا الله ﴿يَبْنِي﴾، معناه أن يا بني: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى﴾: اختار ﴿لَكُمْ الدِّينَ﴾، أي: دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، مؤمنون، وقيل مخلصون، وقيل مفوضون، والنهي في ظاهر الكلام وقع على الموت، وإنما نهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام معناه: داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون.

[١٣٣] قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ يعني أكنتم شهداء يريد ما كنتم شهداء حضوراً ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبُ الْمَوْتَ﴾، أي: حين قرب يعقوب من الموت، قيل: نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ: أأنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية؟ فعلى هذا القول يكون الخطاب لليهود، وقال الكلبي: لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيران، فجمع ولده وخاف عليهم ذلك، فقال عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ لِبْنِهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾، وكان إسماعيل عمًّا لهم، والعرب تسمي العم أبا كما تسمي الخالة أمًّا ﴿إِلَهًا وَجِدًا﴾ نُصِبَ على البدل من قوله، (إلهك)، وقيل: نعرفه إلهاً واحداً، ﴿وَنَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

[١٣٤] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾: جماعة، ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: مضت، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل، ﴿وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، يعني: يسأل كل

﴿وَأِذْ رَفَعَ أَبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٣٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٣٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٣٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٤١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٤٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبْنِهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَجِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٤٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤٤﴾

عن عمله لا عن عمل غيره.

[١٣٥] ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾،

قال ابن عباس: نزلت في رؤساء يهود المدينة وفي نصارى أهل نجران وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعيسى والإنجيل وبمحمد ﷺ والقرآن، وقالت النصارى نبينا أفضل الأنبياء وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمد ﷺ والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك، فقال تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾، بل نتبع ملة إبراهيم ﴿حَنِيفًا﴾ أراد به ملة إبراهيم الحنيف قال مجاهد: الحنيفة أتباع إبراهيم فيما أتى به من

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

٢١

الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٦﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٧﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٨﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٩﴾ قُلْ أَتُحِبُّونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٤٠﴾ أَمْ نَقُولُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَظَرُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٢﴾

شِقَاقٍ ﴿١٣٦﴾، أي في خلاف ومنازعة، قال ابن عباس وعطاء: يقال شاق مشاقة إذا خالف، كان كل واحد أخذ في شق غير شق صاحبه، قال الله تعالى: (لا يجرمنكم شقاقى) أي: خلافي، وقيل: في عداوة، دليله قوله تعالى: (ذلك بأنهم شاقوا الله)، أي عادوا الله ﴿نَسِيكَهُمْ اللَّهُ﴾: يا محمد، أي يكفيك شرَّ اليهود والنصارى، وقد كُفي بإجلاء بني النضير، وقتل بني قريظة، وضرب الجزية على اليهود والنصارى، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم.

[١٣٨] ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس في رواية الكلبي وقتادة والحسن: دين الله، وإنما سماه صبغة لأنه يظهر أثر الدين على المتدين، كما يظهر أثر الثوب على الصبغ، وقيل: لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه كالصبغ يلزم الثوب، وقال مجاهد:

الشرعية التي صار بها إمامًا للناس، قال ابن عباس: الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وأصله من الحنف وهو ميل وعوج يكون في القدم ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

ثم علم المؤمنين طريق الإيمان فقال جل ذكره: [١٣٦] ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾، يعني القرآن، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾، وهو عشر صحف ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾، يعني: أولاد يعقوب، وهم اثنا عشر سبطًا: واحد منهم: سبط، سموا بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة، وسبط الرجل: حافده، والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب، من بني إسماعيل، والشعوب من العجم، وكان في الأسباط أنبياء، ولذلك قال: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾، وقيل: هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء. ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾، يعني التوراة، ﴿وَعِيسَى﴾، يعني الإنجيل، ﴿وَمَا أُوتِيَ﴾: أعطي ﴿النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾، أي: نؤمن بالكل لا نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله» الآية.

[١٣٧] ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ أي: بما آمنتُم به، وكذلك كان يقرؤها ابن عباس، و(المثل) صلة، كقوله تعالى: (ليس كمثله شيء) أي: ليس هو كشيء، وقيل: معناه فإن آمنوا بجميع ما آمنتُم به أي: أتوا بإيمان كإيمانكم وتوحيد كتوحيدكم، وقيل: معناه فإن آمنوا مثل ما آمنتُم، والباء زائدة كقوله تعالى: (وهزِّي إليك بجذع النخلة)، وقال أبو معاذ النحوي: معناه فإن آمنوا بكتابكم كما آمنتُم بكتابهم: ﴿فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي

كَسَبْتُمْ وَلَا تَنْتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»، كرهه تأكيداً. [١٤٢] قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ: الْجَاهِلُ مِنْ آلِ نَائِسٍ مَا وَلَّاهُمْ وَلَنَّهُمْ﴾، أي شيء صرفهم وحولهم ﴿عَنْ قِبَلِهِمُ إِلَهٌ كَانُوا عَلَيْهِ﴾، يعني بيت المقدس، والقبلة فعلة من المقابلة نزلت في اليهود ومشركي مكة، طعنوا في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة فقالوا لمشركي مكة: قد تردد على محمد أمره فاشتاق إلى مولده وقد توجه نحو بلدكم، وهو راجع إلى دينكم، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: ملكاً والخلق عبيده، ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[١٤٣] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: كما اخترنا إبراهيم وذريته واصطفيناهم، كذلك جعلناكم أمةً وسطاً، أي: عدلاً خياراً، قال الله تعالى: (قال أوسطهم) أي خيرهم وأعدلهم، وخير الأشياء أوسطها، وقال الكلبي: يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان في الدين قوله تعالى: ﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم، ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ﴾: محمد ﷺ ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾: مُعَدَّلاً مزيّناً لكم، قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾، أي: تحويلها، يعني عن بيت المقدس، فيكون من باب حذف المضاف، ويحتمل أن يكون المفعول الثاني للجعل محذوفاً على تقدير: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة، وقيل معناه التي أنت عليها وهي الكعبة، كقوله تعالى: (كنتم خير أمة) أي: أنتم ﴿إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾، فإن قيل: ما معنى قوله: (إِلَّا لِنُعَلِّمَ) وهو عالم بالأشياء كلها قبل كونها؟ قيل: أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب، فإنه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب، إنما يتعلق بما يُوجد معناه لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب، وقيل: إلا لنعلم أي: لنرى ونُميز من يتبع الرسول في

فطرة الله وهو قريب من الأول، وقيل: سنة الله، وقيل: أراد به الختان لأنه يصبغ صاحبه بالدم، وقال عباس: هي أن النصارى إذا ولد لأحدهم ولد وفاتت عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر، يقال له المعمودية، وصبغوه به ليطهره بذلك الماء مكان الختان، فإذا فعلوا به ذلك قالوا: الآن صار نصرانياً حقاً، فأخبر الله أن دينه الإسلام لا ما يفعله النصارى، وهو نصب على الإغراء، يعني الزموا دين الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾: ديناً وقيل: تطهيراً. ﴿وَتَحْنُ لَهُ عِبِيدُونَ﴾: مطيعون.

[١٣٩] ﴿قُلْ﴾: يا محمد لليهود والنصارى: ﴿أَتُحَاوِرُنَا فِي اللَّهِ﴾، أي في دين الله والمحاجة: المجادلة في الله لإظهار الحجة، وذلك بأنهم قالوا: إنّ الأنبياء كانوا منّا وعلى ديننا، وديننا أقدم فنحن أولى بالله منكم ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾، أي: نحن وأنتم سواء في الله فإنه ربنا وربكم، ﴿وَلَنَّا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾، أي: لكل واحد جزاء عمله فكيف تدعون أنكم أولى بالله، ﴿وَتَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾، وأنتم به مشركون، قال سعيد بن جبیر: الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله فلا يشرك به في دينه ولا يُرائي بعمله.

[١٤٠] قال الله تعالى: ﴿أَمْ نَقُولُونَ﴾، يعني: أنقولون، صيغة استفهام، ومعناه التوبيخ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ﴾: يا محمد ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ﴾ بدينهم ﴿أَمِ اللَّهُ﴾ وقد أخبر الله تعالى أن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾: أخفى ﴿شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ تعالى، وهي علمهم بأن إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين، وأن محمداً ﷺ حق ورسول أشهدهم عليه في كتبهم، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٤١] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

٢٢

الْمِائَةِ

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَدَهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٤٥﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِبَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالْكَاسِرِ لرءُوفٌ رَحِيمٌ ١٤٦﴾ قَدْ رَأَى ثَقْلُبُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِفَعْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٤٧﴾ وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الْفَاطِلِينَ ١٤٨﴾

أي به إبراهيم عليه السلام، وجعل رسول الله ﷺ يُدِيم النظر إلى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القبله، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ رَأَى ثَقْلُبُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ﴾، ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً﴾، فلنحولنك إلى قبله ﴿تَرْضَاهَا﴾، أي: تحبها وتهواها، ﴿فَوَلِّ﴾ أي: حول ﴿وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: نحوه، وأراد به الكعبة، والحرام: المحرم، ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾، من بر أو نحو شرق أو غرب: ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، عند الصلاة.

فلما تحولت القبله قالت اليهود: لو ثبت على قبلتنا لكننا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ يعني أمر الكعبة، ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾، ثم هذهم فقال: ﴿وَمَا اللَّهُ بِفَعْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، قرأ أبو

القبله، ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾، فيرتد، وقال أهل المعاني: معناه إلا لعلونا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبه، كأنه سبق في علمه أن تحويل القبله سبب لهداية قوم وضلالة قوم ﴿وَإِن كَانَتْ﴾، أي: وقد كانت، أي تولية الكعبة، وقيل: الكناية راجعة إلى القبله، وقيل: إلى الكعبة، قال الزجاج: وإن كانت التحويلة، ﴿لَكَبِيرَةً﴾: ثقيلة شديدة، ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾، أي: هداهم الله، قال سيبويه: (وإن) تأكيد شبيه باليمين، ولذلك دخلت اللام في جوابها، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِبَتَكُمْ﴾، وذلك أن حيي بن أخطب وأصحابه من اليهود، قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس إن كانت هدى، فقد تحولتم عنها، وإن كانت ضلالة فقد دتم الله بها؟ ومن مات منكم عليها فقد مات على الضلالة، فقال المسلمون إنما الهدى ما أمر الله به، والضلالة ما نهى الله عنه، قالوا: فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا؟ فانطلق عشائهم إلى النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله، قد صرفك إلى قبله إبراهيم فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِبَتَكُمْ)، يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْكَاسِرِ لرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الرأفة: أشد الرحمة.

[١٤٤] ﴿قَدْ رَأَى ثَقْلُبُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ﴾، هذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة فهي مقدمة في المعنى، فإنها رأس القصة، وأمر القبله أول ما نُسخ من أمور الشرع، وذلك أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة فلما هاجر إلى المدينة أمره أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس، ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم مع ما يجدون من نعته في التوراة وكان يحب أن يوجه إلى الكعبة لأنها كانت قبله

[١٤٨] قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾، أي: لأهل كل ملة قبله، والوجهة: اسم للمتوجه إليه ﴿هُوَ مُؤَلِّهَا﴾، أي: مستقبلها، ومقبل عليها، يقال: وليته، ووليت إليه إذا أقبلت عليه، ووليت عنه إذا أدبرت عنه، قال مجاهد: هو موليتها وَجْهَهُ، وقال الأخفش: هو كناية عن الله عز وجل، يعني: مولى الأمم إلى قبلتهم ﴿فَاسْتَقِمْوا الصِّرَاطَ﴾، أي: إلى الخيرات، يريد بادروا بالطاعات، والمراد: المبادرة إلى القبول، ﴿إِنَّ مَا تَكُونُوا﴾ أنتم وأهل الكتاب، ﴿يَأْتِي بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: يوم القيامة فيجزىكم بأعمالكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٤٩] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، قرأ أبو عمرو بالياء والباقون بالتاء.

[١٥٠] ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، وإنما كرهه لتأييد النسخ، ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، اختلفوا في تأويل هذه الآية، ووجه قوله: (إلا) فقال بعضهم: معناه حُولت القبلة إلى الكعبة لئلا يكون للناس عليكم حجة إذا توجهتم إلى غيرها، فيقولون: ليست لكم قبله، إلا الذين ظلموا وهم قريش واليهود، فأما قريش فتقول: رجع محمد إلى الكعبة لأنه علم أنها الحق وأنها قبله آبائه، فكذلك يرجع إلى ديننا، وأما اليهود فتقول لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه بأنه حق إلا أنه يعمل برأيه، وقال قوم: لئلا يكون للناس عليكم حجة يعني: اليهود، وكانت حججهم على طريق المخاصمة على المؤمنين في صلاتهم إلى بيت المقدس، أنهم كانوا يقولون: ما درى محمد ﷺ وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن، وقوله: (إلا الذين ظلموا)، وهم مشركو مكة، وحججهم أنهم قالوا لما صرفت قبلتهم إلى

جعفر وابن عامر وحزمة والكسائي بالتاء، قال ابن عباس: يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم، وقرأ الباقون بالياء، يعني: ما أنا بغافل عما يفعل اليهود فأجازهم في الدنيا وفي الآخرة.

[١٤٥] قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، يعني: اليهود والنصارى، قالوا: اتنا بآية على ما تقول، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾: معجزة، ﴿مَا تَتَّبِعُوا فِلْتَكُمْ﴾ يعني: الكعبة ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ فِلْتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ فِلْتَا بَعْضٍ﴾، لأن اليهود تستقبل بيت المقدس ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ مرادهم، الخطاب مع النبي ﷺ، والمراد به الأمة، ﴿وَمَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، من الحق في القبلة، ﴿إِنَّكَ إِذَا لَبِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

[١٤٦] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾، يعني: مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾، يعني: يعرفون محمدا ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾: من بين الصبيان، قال عمر ابن الخطاب لعبدالله بن سلام: إن الله قد أنزل على نبيه (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)، فكيف هذه المعرفة؟ قال عبدالله: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما عرفت ابني، ومعرفتي بمحمد ﷺ أشد من معرفتي بابني، فقال عمر: كيف ذلك؟ فقال أشهد أنه رسول حق من الله تعالى، وقد نعته الله في كتابنا، فقال عمر: وفكك الله يا ابن سلام فقد صدقت، ﴿وَإِنَّ قَرِيْبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾، يعني: صفة محمد ﷺ وأمر الكعبة ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

[١٤٧] ثم قال: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، أي: هذا الحق خير، مبتدأ مضمَر، وقيل: رُفِعَ بإضمار فعل، أي: جاء الحق من ربك، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: الشاكين.

الكعبة: إن محمداً قد تحير في دينه وسيعود إلى ملتنا كما عاد إلى قبلتنا، وهذا معنى قول مجاهد وعطاء وقتادة، وعلى هذين التأويلين يكون الاستثناء صحيحاً، وقوله: (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا) يعني: لا حجة لأحد عليكم إلا مشركو قريش فإنهم يحتاجونكم فيجادلونكم ويخاصمونكم بالباطل والظلم وموضع (الَّذِينَ) خفض كأنه قال: سوى الذين ظلموا، وقال الفراء: نُصِبَ بالاستثناء.

قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾، يعني: من الناس، وقيل: هذا استثناء منقطع عن الكلام الأول، معناه ولكن الذين ظلموا يجادلونكم بالباطل قال أبو روق: لئلا يكون للناس، يعني: اليهود عليكم حجة، وذلك أنهم عرفوا أن الكعبة لإبراهيم، ووجدوا في التوراة أن محمداً سيحول إليها، فحول الله تعالى إليها لئلا يكون لهم حجة فيقولوا: إن النبي الذي نجده في كتابنا سيحول إليها ولم تحول أنت، فلما حول إليها ذهبت حجتهم إلا الذين ظلموا، يعني: إلا أن يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق.

وقال أبو عبيدة: قوله (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا) ليس باستثناء، ولكن (إِلَّا) في موضع واو العطف، يعني: والذين ظلموا أيضاً لا يكون لهم حجة، فمعنى الآية: فتوجهوا إلى الكعبة لئلا يكون للناس - يعني لليهود - عليكم حجة فيقولوا: لِمَ تركتم الكعبة وهي قبله إبراهيم وأنتم على دينه ولا الذين ظلموا وهم مشركو مكة فيقولون لم ترك محمد قبله جده وتحول عنها إلى قبله اليهود؟ ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾: في انصرافكم إلى الكعبة، وفي تظاهركم عليكم بالمجادلة، فإني وليكم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة، ﴿وَاحْشَوْنِي وَلَا تَمْنَعْنِي عَلَيْهِمْ﴾، عطف على قوله: (لئلا يكون للناس عليكم حجة)، ولكي أتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى قبله إبراهيم، فتم به لكم الملة الحنيفية ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَمَنْ يَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَلِكُلِّ وُجْهٍ هُومٌ لَهَا فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ آيُنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٣﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٤﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِنَّمْ نَمُتْ عَلَيْكُمْ وَلَمَلَكْنَاهُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٥﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيَكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٦﴾ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٧﴾ يَتْلَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٨﴾

لكي تهتدوا من الضلالة، و(لعل وعسى) من الله واجب.

[١٥١] قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾، هذه الكاف للتشبيه، ويحتاج إلى شيء يرجع إليه، فقال بعضهم: يرجع إلى ما قبلها، معناه: ولأنتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم، وقال مجاهد وعطاء والكلبي: هي متعلقة بما بعدها وهو قوله: ﴿فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ معناه: كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم فادكروني، وهذه الآية خطاب لأهل مكة والعرب، يعني: كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب ﴿رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ يعني: القرآن، ﴿وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، قيل: الحكمة السنة، وقيل: مواعظ القرآن، ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾، من الأحكام وشرائع الإسلام.

بالمرض والشيب، ﴿وَالشَّرَبُ﴾، يعني: الجوائح في الثمار، وحكى عن الشافعي أنه قال: الخوف خوف الله تعالى، والجوع صيام رمضان، ونقص من الأموال أداء الزكاة والصدقات، والأمراض، والشرمات موت الأولاد، لأن ولد الرجل ثمرة قلبه، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾: على البلى والرزايا، ثم وصفهم فقال:

[١٥٦] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ عبيداً وملكاً، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾: في الآخرة.

[١٥٧] ﴿أُولَئِكَ﴾: أهل هذه الصفة: ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾، صلوات أي: رحمة، فإن الصلاة من الله الرحمة، والرحمة ذكرها الله تأكيداً، وجميع الصلوات، أي رحمة بعد رحمة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخُونَ﴾: إلى الاسترجاع، وقيل: إلى الحق والصواب، وقيل: إلى الجنة والثواب، قال عمر رضي الله عنه: نِعْمَ العَدْلَانِ ونعمت العلاوة فالعدلان: الصلاة والرحمة، والعلوة الهداية.

[١٥٨] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، الصفا جمع: صفاة، وهي الصخرة الصلبة الملساء، يُقال صفاة وصفاً، مثل: حصاةً وحصى ونواة ونوى، والمَرْوَةُ: الحجر الرخو، وجمعها: مَرَوَات، وجمع الكثير: مرو، مثل: تمر وتمرات وتمر، وإنما عنى بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى، ولذلك أدخل فيهما الألف واللام، وشعائر الله أعلام دينه، أصلها من الإشعار، وهو الإعلام، واحدها شعيرة، وكل ما كان مُعلِّماً لقرباب يُتقرب به إلى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة، فهو شعيرة، فالْمَطَاف والمَوْقف والنَّحْر كلها شعائر لله، ومثلها المشاعر، والمراد بالمشاعر ههنا: المناسك التي جعلها الله أعلاماً لطاعته فالصفا والمروة منها حتى يطاف بهما جميعاً، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾، فالحج في

[١٥٢] ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، قال ابن عباس: اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي، وقال سعيد بن جبير: اذكروني بطاعتي اذكركم بمغفرتي، وقيل: اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء، بيانه: (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) قوله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون﴾، يعني: واشكروا لي بالطاعة ولا تكفروا بالمعصية، فإن من أطاع الله فقد شكره، ومن عصاه فقد كفره.

[١٥٣] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: بالعون والنصرة.

[١٥٤] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ﴾، نزلت في قتلى بدر من المسلمين، وكانوا أربعة عشر رجلاً، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله: مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ﴾، ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾، كما قال في شهداء أحد: (ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون)، قال الحسن: إن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الرُّوح والفرح، كما تعرض النار على أرواح آل فرعون عُذوة وعشية، فيصل إليهم الوجع.

[١٥٥] قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: ولنختبرنكم يا أمة محمد، واللام، لجواب القسم المحذوف، تقديره: والله لنبلونكم، والابتلاء من الله لإظهار المطيع من العاصي، لا ليعلم شيئاً لم يكن عالمًا به، ﴿بَشِيرٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾، قال ابن عباس: يعني خوف العدو، ﴿وَالْجُوعِ﴾، يعني: القحط، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾: بالخسران والهلاك، ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾، يعني: بالقتل والموت، وقيل:

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٢٤

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَا وَلَكِنَّ
لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٩﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
﴿١٦٠﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
﴿١٦١﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٦٢﴾ إِنَّ الصَّافِيَ وَالْمُرَّةَ مِن سَعَابِ اللَّهِ
فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ
بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُهْذَبَاتِ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ
﴿١٦٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَاُولَئِكَ أَثُوبٌ
عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ
﴿١٦٧﴾ وَلِلَّهِ كُزَّةٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٨﴾

[١٦٠]

: من الكفر،

: أسلموا أو أصلحوا الأعمال فيما

بينهم وبين ربهم

: ما كتموا،

: أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم،

الرجاع بقلوب عبادي المنصرفة عني إلي.

: بهم بعد إقبالهم علي.

[١٦١]

: أي: لعنة الملائكة

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قال أبو العالية: هذا يوم

القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعه الملائكة ثم

يلعنه الناس، فإن قيل: فقد قال والناس أجمعين

والملعون هو من جملة الناس، فكيف يلعن نفسه؟

قيل: يلعن نفسه في القيامة، قال الله تعالى:

(ويلعن بعضكم بعضًا)، وقيل: إنهم يلعنون

الظالمين والكافرين، ومن يلعن الظالمين

اللغة: القصد، والعمرة: الزيارة، وفي الحج
والعمرة المشروعين: قصد زيارة، ﴿فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِ﴾، أي لا إثم عليه، وأصله من جنح، أي:
مال عن القصد، ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، أي: يدور
بهما، وأصله يتطوف أدغمت التاء في الطاء.

وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا والمروة
صنمان إساف ونائلة، وكان إساف على الصفا
ونائلة على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون
بين الصفا والمروة تعظيمًا للصنمين ويتمسحون
بهما، فلما جاء الإسلام وكُسرت الأصنام كان
المسلمون يتحرّجون عن السعي بين الصفا والمروة
لأجل الصنمين، فأذن الله فيه وأخبر أنه من شعائر
الله، قوله تعالى: ﴿وَسِرُّهُمَا جَزَاءُ

معناه فإن تطوع بالطواف بالصفا والمروة، وقال
مقاتل والكلبي فمن تطوع، أي: زاد في الطواف
بعد الواجب، وقيل: من تطوع بالحج والعمرة بعد
أداء الحجة الواجبة عليه، وقال الحسن وغيره:
أراد سائر الأعمال، يعني: فعل غير المفترض عليه
من زكاة وصلاة وطواف وغيرها من أنواع
الطاعات، ا، مجاز لعبد بعمله،

: بنيته، والشكر من الله تعالى أن يُعطي
لعبد فوق ما يستحق، يشكر اليسير ويعطي الكثير.

[١٥٩] قوله تعالى:

نزلت في علماء اليهود كتموا صفة محمد ﷺ وآية
الرجم وغيرهما من الأحكام التي كانت في
التوراة، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وأصل اللعن الطرد
والبعد، ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾، أي: يسألون الله أن
يلعنهم ويقولون: اللهم العنهم، واختلفوا في هؤلاء
اللاعنين، قال ابن عباس: جميع الخلائق إلا الجن
والإنس، وقال قتادة: هم الملائكة، وقال عطاء:
الجن والإنس، وقال الحسن: جميع عباد الله ثم
استثنى فقال:

والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه.

[١٦٢] ﴿خَلِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين في اللعنة وقيل: في النار، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ لا يمهلون ولا يؤجلون، وقال أبو العالية: لا ينظرون فيعتذروا، كقوله تعالى: (ولا يؤذن لهم فيعتذرون).

[١٦٣] قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّ إِلَهَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا: يا محمد صف لنا ربك وأنسبه، فأنزل الله تعالى هذه الآية وسورة الإخلاص، والواحد: الذي لا نظير له ولا شريك له، قال أبو الضحى: لما نزلت هذه الآية قال المشركون: إن محمداً يقول إن إلهكم إله واحد فليأتنا بآية إن كان من الصادقين فأنزل الله عز وجل.

[١٦٤] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكر السماوات بلفظ الجمع والأرض بلفظ الواحد لأن كل سماء من جنس آخر، والأرضون كلها من جنس واحد وهو التراب، فالآية في السماوات: سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة، وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم، والآية في الأرض: مدها وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الأشجار والأنهار، والجبال والبحار والجواهر والنبات. قوله تعالى: ﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾، أي: تعاقبهما في الذهاب والمجيء يخلف أحدهما صاحبه، إذا ذهب أحدهما جاء الآخر أي: بعده، نظيره: قوله تعالى: (هو الذي جعل الليل والنهار خلفة)، قال عطاء: أراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان، والليل جمع ليلة، والليالي جمع الجمع، والنهار جمع نهر، وقدم الليل على النهار في الذكر لأنه أقدم منه، قال الله تعالى: (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار)، ﴿وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾، يعني: السفن واحده وجمعه سواء، فإذا أريد به الجمع يؤنث، وفي الواحد

يذكر، قال الله تعالى في الواحد والتذكير: (إذ أبق إلى الفلك المشحون)، وقال في الجمع والتأنيث: (حتى إذا كتتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة)، (والفلك التي تجري في البحر) الآية في الفلك: تسخيرها وجريها على وجه الماء، وهي موقرة لا ترسب تحت الماء، ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾، يعني: ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب وأنواع المطالب، ﴿وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾، يعني: المطر، قيل: أراد بالسماء السحاب، يخلق الله الماء في السحاب ثم من السحاب ينزل، وقيل: أراد به السماء المعروفة، يخلق الله تعالى الماء في السماء ثم ينزل من السماء إلى السحاب ثم من السحاب ينزل إلى الأرض، ﴿فَأَخْبَا يَهُ﴾، أي: بالماء ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، أي: بعد يسها وجدوبتها، ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾، أي: فرق فيها ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ والريح يُذكر ويؤنث، وتصريفها أنها يتصرف إلى الجنوب والشمال، والقبول والذبور والنكباء، وقيل: تصريفها أنها تارة تكون ليثاً، وتارة تكون عاصفاً، وتارة تكون حارة، وتارة باردة، قال ابن عباس: أعظم جنود الله الريح والماء، وسميت الريح ريحاً لأنها تريح النفوس ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ أي: الغيم المذلّل، سمي سحاباً لأنه ينسحب، أي يسير في سرعة كأنه يُسحب أي يُجر ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَكُنْ لَكُمْ فِتْنَةٌ يَكْفُلُونَ﴾، فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقاً وصانعاً.

[١٦٥] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾، يعني: المشركين، ﴿مَنْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾، أي أصناماً يعبدونها، ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾، أي: يُحبون آلهمتهم كحب المؤمنين الله، وقال الزجاج: يحبون الأصنام كما يحبون الله لأنهم أشركوها مع الله، فسوّوا بين الله وبين أوثانهم في المحبة، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، أي: أثبت وأدوم على

الْبَقَرَةُ

٢٥

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَتَذَكَّرُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٦﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٧﴾
إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ أُتْبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوَ أَنَّا
لَنَآكِرَةٌ فَتَنَبَّرْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَنَبَّرَُوا وَمِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ
أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٩﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِن مَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٧٠﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ
بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧١﴾

مِنَّا: اليوم، ﴿كَذَلِكَ﴾، أي: كما أراهم
العذاب، كذلك ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ﴾، وقيل: كثيرو
بعضهم من بعض، يُرِيهِمُ الله: ﴿أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ
عَلَيْهِمْ﴾: ندامات، جمع حسرة، قيل: يُرِيهِمُ ما
ارتكبوا من السيئات فيتحسرون لِمَ عملوا، وقيل:
يريههم ما تركوا من الحسنات، فيندمون على
تضييعها، وقال ابن كيسان: إنهم أشركوا بالله
الأوثان رجاء أن تقربهم إلى الله عز وجل، فلما
عُذِّبُوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسروا وندموا،
قال السدي: تُرْفَعُ لهم الجنة فينظرون إليها وإلى
بيوتهم فيها لو أطاعوا الله فيقال لهم: تلك مساكنكم
لو أطعتم الله، ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين
يندمون ويتحسرون ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾.

[١٦٨] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِن مَّا فِي
الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾، نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر

حُبُه من المشركين، لأنهم لا يختارون على الله ما
سواه، والمشركون إذا اتخذوا صنمًا ثم رأوا أحسن
منه، طرحوا الأول واختاروا الثاني، قال قتادة: إن
الكافر يُعرض عن معبوده في وقت البلاء ويُقبل
على الله تعالى، كما أخبر الله عز وجل عنهم فقال:
(فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين)،
والمؤمن لا يُعرض عن الله في السراء والضراء
والشدّة والرخاء قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾
معناه: لو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية
العذاب، أي ولو رأوا شدة عذاب الله وعقوبته حين
يرون العذاب، لعرفوا مضرة الكفر، وأن ما اتخذوا
من الأصنام لا ينفعهم، قوله تعالى: ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾.

قرأ ابن عامر بضم الياء والباقون بفتحها،
﴿الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾
أي: بأن القوة لله جميعًا معناه: لرأوا وأيقنوا أن
القوة لله جميعًا.

[١٦٦] ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ أُتْبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا
وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾، هذا في يوم القيامة حين يجمع الله
القادة والأتباع، فيتبرأ بعضهم من بعض، هذا قول
أكثر المفسرين، وقال السدي: هم الشياطين
يتبرأون من الإنس، ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾، أي: عنهم
﴿الْأَسْبَابُ﴾، أي الصلّات التي كانت بينهم في
الدنيا، من القرابات والصدقات، وصارت
مخالطتهم عداوة، وقال ابن جريج: الأرحام، كما
قال الله تعالى: (فلا أنساب بينهم يومئذ)، وقال
السدي: يعني الأعمال التي كانوا يعملونها في
الدنيا، كما قال الله تعالى: (وقدمنا إلى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباءً منثورًا)، وأصل السبب ما
يُوصَلُ به إلى الشيء من ذريعة أو قرابة أو مودة
ومثّه، يقال للحبل: سبب، وللطريق: سبب.

[١٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾، يعني: الأتباع:
﴿لَوْ أَنَّا كُنَّا كَرَّةً﴾، أي: رجعة إلى الدنيا،
﴿فَتَنَبَّرْنَا مِنْهُمْ﴾، أي: من المتبوعين، ﴿كَمَا تَنَبَّرَُوا﴾

لا يعقلون شيئاً، لفظه عام ومعناه الخصوص، أي: لا يعقلون شيئاً من أمور الدين، لأنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ثم ضرب لهم مثلاً فقال جلّ ذكره:

[١٧١] ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾، والنعيق والنق: صوت الراعي بالغنم، معناه: مثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم إلى الله عزّ وجلّ كمثّل الراعي الذي ينق بالغنم، وقيل: مثل واعظ الكفار وداعيهم معهم كمثّل الراعي ينق بالغنم وهي لا تسمع، ﴿إِلَّا دُعَاءَ صَوْتًا وَنِدَاءَ﴾، فأضاف المثل إلى الذين كفروا، لدلالة الكلام عليه، كما في قوله تعالى: (واسأل القرية)، معناه كما أن البهائم تسمع صوت الراعي ولا تفهم ولا تعقل ما يقال لها، كذلك الكافر لا ينتفع بوعظك إنّما يسمع صوتك، وقيل: معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله وعن رسوله، كمثّل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي إلا الصوت وقيل: معناه مثل الذين كفروا في دعاء الأصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثّل الناقب بالغنم، فلا ينتفع من نعيقه بشيء، غير أنه في غناء من الدعاء والنداء، كذلك الكافر ليس له من دعاء الآلهة وعبادتها إلا العناء والبلاء، كما قال تعالى: (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم)، وقيل: معنى الآية ومثل الذين كفروا في دعاء الأوثان، كمثّل الذي يصيح في جوف الجبال، فيسمع صوتاً يقال له الصداء لا يفهم منه شيئاً، فمعنى الآية: كمثّل الذي ينق بما لا يسمع منه الناقب إلا دعاء ونداء. ﴿صُمٌّ﴾، تقول العرب لمن لا يسمع ولا يعمل: كأنه أصم، ﴿بُكْمٌ﴾، عن الخير لا يقولونه، ﴿عُمًى﴾، عن الهدى لا يبصرونه، ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

[١٧٢] قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَاسَمُوا كَلُوا

ابن صمصمة، وبني مدلج فيما حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام، والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فالحلال ما أحله الشرع. طيباً، قيل: ما يُستطاب ويستلذ، والمسلم يستطيب الحلال ويخاف الحرام، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ آثاره وزلاته، وقيل: هي النذور في المعاصي، وقال أبو عبيدة: هي المحقرات من الذنوب، وقال الزجاج: طُرقه، ﴿إِنَّكُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بين العداوة، وقد أظهر عداوته بإبائه السجود لآدم وغروره إياه، حتى أخرجه من الجنة، ثم ذكر عداوته فقال:

[١٦٩] ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾، أي: بالإثم، وأصل السوء ما يسوء صاحبه، وهو مصدر ساء يسوء سوءاً ومساءةً، أي: أحزنه، وسوؤاته فساء أي: حزنه فحزن، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾: المعاصي وما قُبِح من القول والفعل، وهو مصدر كالسراء والضراء عن ابن عباس قال: الفحشاء من المعاصي ما يجب فيه الحدّ، والسوء من الذنوب ما لا حدّ فيه، وقال السدي: هي الزنا، وقيل: هي البخل، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾، من تحريم الحرث والأنعام.

[١٧٠] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾، أي: ما وجدنا عليه آبائنا، من عبادة الأصنام، وقيل: معناه وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله في تحليل ما حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة، والهاء والميم عائدتان إلى الناس في قوله تعالى: (يا أيها الناس كلوا).

و(ما أَلْفَيْنَا) ما وجدنا عليه آبائنا من التحريم والتحليل، قال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ﴾ أي: كيف يتبعون آبائهم، وأبائهم ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا؟﴾ الواو في (أَوَلَوْ) واو العطف، ويُقال لها أيضاً: واو التعجب دخلت عليها ألف الاستفهام للتوبيخ، والمعنى: أيتبعون آبائهم وإن كانوا جهالاً

مِنْ طَيِّبَاتٍ: حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ: على نعمه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

ثم يبين المحرمات فقال:

[١٧٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ الميتة: كل ما لم تدرك ذكاته مما يذبح ﴿وَالْدَّمَ﴾، أراد به الدم الجاري واستثنى الشرع من الميتة السمك والجراد، ومن الدم الكبد والطحال فأحلها، ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾، أراد به جميع أجزائه، فحبر عن ذلك باللحم لأنه مُعْظَمُهُ، ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ يَغْيِرَ اللَّهُ﴾، أي: ما ذبح للأصنام والطواغيت، وأصل الإهلال رفع الصوت، وكانوا إذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون أصواتهم بذكرها، فجرى ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح وإن لم يجهر بالتسمية: مُهْلٌ، وقال الربيع بن أنس وغيره: ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ قال: ما ذكر عليه اسم غير الله، ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ معناه فمن اضطر إلى أكل الميتة، أي: أحوج وألجئ إليه، ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾، أصل البغي: قصد الفساد، يقال: بغى الجرح يبغي بغياً إذا ترامى إلى الفساد، وأصل العدوان: الظلم ومجاوزة الحد، يقال: عدا عليه عدواً وعدواناً إذا ظلم، واختلفوا في معنى قوله: (غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ)، فقال بعضهم: غير باغٍ أي: غير خارج على السلطان، ولا عادٍ: متعد، عاص بسفوره، بأن خرج لقطع الطريق أو لفساد في الأرض، وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، وقالوا: لا يجوز للعاصي بسفوره أن يأكل الميتة إذا اضطر إليها، ولا أن يترخص برخص المسافر حتى يتوب، وبه قال الشافعي، لأن إباحة الميتة له إعانة له على فساده، وذهب جماعة إلى أن البغي والعدوان راجعان إلى الأكل، واختلفوا في تفصيله، وقال الحسن وقتادة: غير باغٍ بأكله من غير اضطرار، ولا عادٍ، أي: لا يعدو لشبعه، وقيل: غير باغٍ أي: غير طالبا وهو يجد غيرها، ولا عادٍ أي: غير متعد ما حُدَّ له، فيأكل حتى

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

٢٦

الْآيَاتُ ١٧٣ وَ ١٧٤

وَلِإِذْ قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا أَفْنَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَّلُوكَآءَ آبَاؤِهِمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٥﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٦﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ يَغْيِرَ اللَّهُ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ أَلَّاهُ عَفْوَ رَحِيمٌ ﴿١٧٧﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٨٠﴾

يشبع، ولكن يأكل منها قوتاً مقدار ما يُمسك رمقه، وقال مقاتل بن حيان: غير باغٍ أي مستحل لها، ولا عادٍ أي متزود منها، وقيل: غير باغٍ أي غير مجاوز للقدر الذي أحلَّ له، ولا عادٍ أي لا يُقصر فيما أُبيع له فيدعه ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، فلا حرج عليه في أكلها، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفْوَ رَحِيمٌ﴾، لمن أكل في حال الاضطرار ﴿رَحِيمٌ﴾، حيث رخص للعباد في ذلك. [١٧٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني: صفة محمد ﷺ ونبوته، ﴿وَيَشْتُرُونَ بِهِ﴾ أي: بالمكتوم ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، أي: عوضاً يسيراً، يعني: المآكل التي يُصيبنها من سفلتهم ﴿أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾، يعني: إلا ما يؤديهم إلى النار وهو الرشوة والحرام وثمر الدين، فلما كان يفضي ذلك بهم إلى النار فكأنهم أكلوا النار، وقيل: معناه أنه يصير ناراً في

كان في ابتداء الإسلام قبل نزول الفرائض إذا أتى بالشهادتين وصلى الصلاة إلى أي جهة كانت، ثم مات على ذلك وجبت له الجنة، ولما هاجر رسول الله ﷺ ونزلت الفرائض، وحددت الحدود وصرفت القبلة إلى الكعبة، أنزل الله هذه الآية فقال: (ليس البر)، أي: كله أن تصلوا قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا على غير ذلك، ﴿وَلَكِنَّ الْآيَةَ﴾ ما ذكر في هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ اختلفوا في وجهه، قيل: لما وقع (من) في موقع المصدر جعله خبراً للبر، كأنه قال: ولكن البر الإيمان بالله، والعرب تجعل الاسم خبراً للفعل وقيل: فيه إضمار، معناه: ولكن البر [بر] من آمن بالله، فاستغنى بذكر الأول عن الثاني، كقولهم: الجود حاتم، أي: الجود جود حاتم، وقيل معناه: ولكن ذا البر من آمن بالله كقوله تعالى: (هم درجات عند الله)، أي: ذو[و] درجات، وقيل معناه: ولكن البار من آمن بالله، كقوله تعالى: (والعاقبة للمتقوى) أي: للمتقي، والمراد من البر ههنا الإيمان والتقوى، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ﴾ كلهم أجمع، ﴿أَعْطَى الْمَالَ﴾ أعطى المال، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ﴾ اختلفوا في هذه الكناية، فقال أكثر أهل التفسير: إنها راجعة إلى المال، أي: أعطى المال في حال صحته ومحبه المال وقيل: هي عائدة إلى الله عز وجل، أي: على حب الله تعالى، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ﴾ أهل القرابة ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ﴾ قال مجاهد: يعني المسافرين المنقطع عن أهله يمرّ عليك، ويقال للمسافر: ابن السبيل لملازمته الطريق، وقيل: هو الضيف ينزل بالرجل ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾، يعني: الطالبيين ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾، يعني: المكاتبين، قاله أكثر المفسرين، وقيل: عتق النسمة وفك الرقبة، وقيل: فداء الأسارى، ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ﴾: وأعطى الزكاة

بطونهم، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، أي: لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم، إنما يكلمهم بالتوبيخ، وقيل: أراد به أن يكون عليهم غضبان، كما يقال: فلان لا يكلم فلاناً إذا كان عليه غضبان، ﴿وَلَا يُرَكِّبُهُمْ﴾، أي: لا يطهرهم من دنس الذنوب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[١٧٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾، قال عطاء والسدي: هو (ما) الاستفهام معناه: ما الذي صبرهم على النار؟ وأي شيء صبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل؟ قال الحسن وقتادة: والله ما لهم عليها من صبر، ولكن ما أجراهم على العمل الذي يقربهم إلى النار؟ وقال الكسائي: فما أصبرهم على أهل النار، أي: ما أدومهم عليه.

[١٧٦] ﴿ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ الَّذِي لَا يُنْفَعُ الْمُشْرِكِينَ﴾، يعني: ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق فأنكروه وكفروا به، وحينئذ يكون (ذلك) في محل الرفع، وقال بعضهم: محله نصب، معناه: فعلنا ذلك بهم (بأن الله)، أي: لأن الله نزل الكتاب بالحق، فاختلفوا فيه، وقيل: معناه ذلك أي فعلهم الذين يفعلون من الكفر والاختلاف والاجترار على الله، من أجل أن الله نزل الكتاب بالحق، وهو قوله تعالى: (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ه ختم الله على قلوبهم)، ﴿وَالَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكُتُبِ﴾: فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، ﴿فَلْيَنفِقْ شِقَاقَ بَعْضٍ﴾، أي: في خلاف وضلال بعيد.

[١٧٧] قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ فَقَدْ أَلْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ البر: كل عمل خير يُفْضِي بصاحبه إلى الجنة، واختلفوا في المخاطبين بهذه الآية، فقال قوم: عنى بها اليهود والنصارى، وقال الآخرون: المراد بها المؤمنون، ذلك أن الرجل

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

٢٧

الْمُؤْمِنُونَ

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُ بَعْدَ هَمِّهِ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا كَذِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَّاهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْدَتِكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

العمد، وقوله: (من أخيه) أي: من دم أخيه، وأراد بالأخ: المقتول، والكنائياتان في قوله (له) ومن: (أخيه)، ترجعان إلى (من) وهو القاتل، وقوله: (شيء) دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا يسقط القود لأن شيئاً من الدم قد بطل. قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ﴾، أي: على الطالب للدية أن يتبع بالمعروف فلا يُطالب بأكثر من حقه، ﴿وَأَدَّاهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾، أي: على المطلوب منه أداء الدية بالإحسان من غير مباطلة، أمر كل واحد منهما بالإحسان فيما له وعليه ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾، أي: ذلك الذي ذكرت من العفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة، وذلك أن القصاص في النفس والجراح كان حتماً في التوراة على اليهود، ولم يكن لهم أخذ الدية، وكان في شرع النصارى الدية ولم يكن لهم

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾: فيما بينهم وبين الله عز وجل، وفيما بينهم وبين الناس، ﴿إِذَا عَاهَدُوا﴾، يعني: إذا وعدوا أنجزوا، وإذا حلفوا ونذروا أوفوا، وإذا عاهدوا أوفوا وإذا قالوا صدقوا وإذا ائتمنوا أدوا، واختلفوا في رفع قوله: (والمؤمنون)، قيل: هو عطف على خبر، معناه: ولكن ذا البر: المؤمنون والمؤمنون بعهدهم، وقيل تقديره: هم المؤمنون كأنه عد أصنافاً، ثم قال: هم والمؤمنون كذا، وقيل: رفع على الابتداء والخبر، يعني: هم المؤمنون، ثم قال: ﴿وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾، أي: الشدة والفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: المرض والزمانة، ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ أي القتال والحرب ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾: في إيمانهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾: محارم الله.

[١٧٨] قوله تعالى: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا كَذِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ أي: فرض عليكم القصاص، ﴿فِي الْقَتْلِ﴾، والقصاص: المساواة والمماثلة في الجراحات والديات، وأصله من قص الأثر إذا اتبعه، فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثله، ثم بين المماثلة فقال: ﴿الْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ وجملة الحكم فيه أنه إذا تكافأ الدمان من الأحرار المسلمين، أو العبيد من المسلمين، أو الأحرار من المعاهدين، أو العبيد منهم، قُتل من كل صنف منهم، الذكر إذا قُتل بالذكر وبالأُنثى وتقتل الأُنثى إذا قُتلت بالأُنثى وبالذكر، ولا يُقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد، ولا والد بولد ولا مسلم بذمي، ويُقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد، هذا قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم وذهب الشعبي والنخعي وأصحاب الرأي إلى أن المسلم يُقتل بالكافر الذمي، وإلى أن الحر يُقتل بالعبد ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾، أي: ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد، ورضي بالدية، هذا قول أكثر المفسرين، قالوا: العفو أن يقبل الدية في قتل

[١٨٢] قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ﴾، أي علم ﴿مِنْ مُوسٍ جَنَفًا﴾ أي: جَوْرًا وعدولًا عن الحق، والجَنَفُ: الميلُ، ﴿أَوْ إِنَّمَا﴾ أي: ظلمًا، وقال السدي وعكرمة والربيع: الجَنَفُ: الخطأ، والإثم: العمد، فأصلح بينهم، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، واختلفوا في معنى الآية قال مجاهد: معناها أن الرجل إذا حضر مريضًا وهو يُوصي فراه يميل إثمًا بتقصير أو إسراف أو وضع الوصية في غير موضعها، فلا حرج على من حضره أن يأمره بالعدل وينهاه عن الجنف، فينظر للموصى له والورثة، وقال الآخرون: إنه أراد به أنه إذا أخطأ الميت في وصيته أو جار متعمدًا فلا حرج على وليه أو وصيه أو والي أمور المسلمين أن يُصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم، ويردّ الوصية إلى العدل والحق (فلا إثم عليه)، أي: لا حرج عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٨٣] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي: فرض وأوجب الصوم، والصيام في اللغة: الإمساك، يُقال: صام النهار إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة، لأن الشمس إذا بلغت كبد السماء كأنها وقفت وأمسكت عن السير سريعة، ومنه قوله تعالى: (فقولني إني نذرتُ للرحمن صومًا) أي: صممتُ لأنه إمساك عن الكلام، وفي الشريعة: الصوم وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع مع النية في وقت مخصوص. ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: من الأنبياء والأمم، واختلفوا في هذا التشبيه، فقال سعيد بن جبیر: كان صوم من قبلنا من العتمة إلى الليلة القابلة، كما كان في ابتداء الإسلام، وقال جماعة من أهل العلم: أراد أن صيام رمضان كان واجبًا على النصارى، كما فرض علينا، فربما كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد، وكان يشق عليهم في أسفارهم ويضرهم في معاشهم، فاجتمع

القصاص، فخير الله هذه الأمة بين القصاص وبين العفو عن الدية تخفيفًا منه ورحمة، ﴿فَمَنْ أَعَدَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾، فقتل الجاني بعد العفو وقبول الدية، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وهو أن يقتل قصاصًا، قال ابن جريج: يتحتم قتله حتى لا يقبل بعد العفو.

[١٧٩] قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾، أي: بقاء، وذلك أن القاصد للقتل إذا علم أنه إذا قُتل يُقتل، يمتنع عن القتل، فيكون فيه بقاءه وبقاء من هم بقتله، وقيل في المثل: القتل أنفى للقتل، وقيل معنى الحياة: سلامته من قصاص الآخرة، فإنه إذا اقتُص منه في الدنيا حيي في الآخرة، وإذا لم يُقتص منه في الدنيا اقتُص منه في الآخرة، ﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَكُمْ تَتَفُونَ﴾، أي تنتهون عن القتل مخافة القود.

[١٨٠] قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾، أي: فرض عليكم، ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾، أي: جاء أسباب الموت وآثاره من العلل والأمراض، ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾، أي: مالا، نظيره قوله تعالى: (وما تنفقوا من خير)، ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾، كانت الوصية فريضة في ابتداء الإسلام للوالدين والأقربين على من مات وله مال، ثم نُسخَت بآية الميراث قوله تعالى: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، يريد: يوصي بالمعروف ولا يزيد على الثلث، ولا يُوصي للغني ويدع الفقير، قال ابن مسعود: الوصية للأخل فالأخل، أي: الأحوج فالأحوج ﴿حَقًّا﴾ نُصب على المصدر، وقيل: على المفعول، أي: جعل الوصية حقًا، ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: المؤمنين.

[١٨١] قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾، أي: غير الوصية عن الأوصياء أو الأولياء أو الشهود، ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾، أي: بعد ما سمع قول الموصي ﴿فَلَنَبَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾، والميت بريء منه ﴿إِنَّ اللَّهَ مَبِيعٌ﴾، لما أوصى به الموصي، ﴿عَلِيمٌ﴾: بتبديل المُبدِّل أو سميع لوصيته عليم بنيته.

رَأَى عِلْمَانَهُمْ وَرُؤُسَانَهُمْ عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا صِيَامَهُمْ فِي فِصْلِ مِنَ السَّنَةِ بَيْنَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَجَعَلُوهُ فِي الرَّبِيعِ وَزَادُوا فِيهِ عَشْرَةَ أَيَّامٍ كِفَارَةً لِمَا صَنَعُوا فَصَارَ أَرْبَعِينَ ثُمَّ أَتَمَّوْهُ خَمْسِينَ يَوْمًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، يعني: بالصوم، لأن الصوم وصلة إلى التقوى، لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات، وقيل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تحذرون عن الشهوات من الأكل والشرب والجماع.

[١٨٤] ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾، قيل: كان في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبًا، وصوم يوم عاشوراء، فصاموا كذلك من الربيع إلى شهر رمضان سبعة عشر شهرًا، ثم نُسخ بصوم رمضان، قال ابن عباس: أول ما نُسخ بعد الهجرة أمر القبلة والصوم وقيل: المراد من قوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: شهر رمضان، وهي غير منسوخة ونصب ﴿أَيَّامًا﴾ على الظرف، أي: في أيام معدودات ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ﴾، أي فأفطر فعدة ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، أي فعليه عدة، والعدد والعدة واحد، من أيام أخر، أي غير أيام مرضه وسفره ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾، اختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها، فذهب أكثرهم إلى أن الآية منسوخة، وهو قول ابن عمر وسلمة بن الأكوع وغيرهما، وذلك أنهم كانوا في ابتداء الإسلام مُخِيرِينَ بَيْنَ أَنْ يَصُومُوا وَبَيْنَ أَنْ يَفْطَرُوا أَوْ يَفْتَدُوا، خَيْرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لثَلَاثَةِ يَسَقِّ عَلَيْهِمُ، لأنهم كانوا لم يتعودوا الصوم، ثم نُسخ التخير ونزلت العزيمة بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ قال قتادة: هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي يطيق الصوم ولكن يشق عليه، رخص له في أن يفطر ويفدي، ثم نسخ، وقال الحسن: هذا في المريض الذي به ما يقع عليه اسم المرض وهو مستطيع للصوم، خَيْرَ بَيْنَ أَنْ يَصُومَ وَبَيْنَ أَنْ يَفْطَرَ أَوْ يَفْدِيَ، ثم نُسخ بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ

فَلْيَصُمْهُ﴾ وثبتت الرخصة للذين يُطِيقُونَ، وذهب جماعة إلى أن الآية محكمة غير منسوخة، ومعناه: وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب فعجزوا عنه في حال الكِبَر فعليهم الفدية بدل الصوم، وقرأ ابن عباس (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ) بضم الياء وفتح الطاء وتخفيفها وفتح الواو وتشديد هاء، أي: يُكَلِّفُونَ الصوم، وتأويله: على الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصوم، والمريض الذي لا يُرجى زوال مرضه، فهم يُكَلِّفُونَ الصوم ولا يُطِيقُونَهُ، فلهم أن يفطروا ويُطعموا مكان كل يوم مسكينًا، وهو قول سعيد بن جبیر، وجعل الآية محكمة. قوله تعالى: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، قرأ أهل المدينة والشام مضافًا، وكذلك في المائدة: (كفارة طعام مساكين)، أضاف الفدية إلى الطعام، وإن كان واحدًا لاختلاف اللفظين، كقوله تعالى: (وَحَبَّ الْحَصِيدِ)، وقولهم: مسجد الجامع، وربيع الأول، وقرأ الآخرون (فدية وكفارة) منونة، (وطعام) رفع، وقرأ (مساكين) بالجمع هنا، أهل المدينة والشام، وآخرون على التوحيد، فمن جمع نصب النون، ومن وحّد خفض النون ونونها، والفدية الجزاء ويجب أن يطعم مكان كل يوم مسكينًا مُدًّا من الطعام بِمُدِّ النَّبِيِّ ﷺ وهو رطل وثلاث من غالب قوت البلد، هذا قول فقهاء الحجاز، وقال بعض فقهاء أهل العراق: عليه لكل مسكين نصف صاع لكل يوم يفطر، وقال بعضهم: نصف صاع من قمح أو صاع من غيره، وقال بعض الفقهاء: ما كان المفطر يتقوته يومه الذي أفطره، وقال ابن عباس: يعطي كل مسكين عشاءً وسُحُورَه، ﴿فَمَنْ لَطَوَعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾، أي زاد على مسكين واحد فأطعم مكان كل يوم مسكينين فأكثر، قاله مجاهد وعطاء وطاوس، وقيل: من زاد على القدر الواجب عليه فأعطى صاعًا وعليه مُدٌّ فهو خير له، ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، فمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

جبرائيل كان يعارض محمداً ﷺ في رمضان ما أنزل الله إليه، فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء ويُنسيه ما يشاء قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾: من الضلالة، و(هدى) في محل نصب على القطع، لأن القرآن معرفة وهدى نكرة ﴿وَيَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى﴾، أي دلائل واضحات من الحلال والحرام، والحدود والأحكام، ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾، أي: الفارق بين الحق والباطل، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، أي: فمن كان مقيماً في الحضر فأدركه الشهر. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، أباح الفطر لعذر المرض والسفر، أعاد هذا الكلام ليعلم أن هذا الحكم ثابت في الناسخ ثبوته في المنسوخ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾، بإباحة الفطر في المرض والسفر ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ قال

ذهب إلى النسخ قال معناه: الصوم خير له من الفدية، وقيل هذا في الشيخ الكبير لو تكلف الصوم، وإن شق عليه فهو خير له من أن يفطر ويفدي ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ثم بين الله تعالى أيام الصيام فقال:

[١٨٥] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾، رفعه على معنى: هو شهر رمضان، وقال الكسائي كُتِبَ عليكم شهر رمضان، وسُمي الشهر شهراً لشهرته، وأما رمضان فقد قال مجاهد: هو من أسماء الله تعالى، يقال: شهر رمضان كما يقال شهر الله، والصحيح: أنه اسم للشهر سُمي به من الرمضاء، وهي الحجارة المحماة، وهم كانوا يصومونه في الحر الشديد، وكانت ترمض فيه الحجارة من الحرارة، قوله تعالى: ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، سمي القرآن قرآنًا لأنه يجمع السور والآي والحروف، وجمع فيه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، وأصل القرء: الجمع، وقد يحذف الهمزة فيقال: قرئت الماء في الحوض إذا جمعته، وقرأ ابن كثير القرآن بفتح الراء غير مهموز، وكذلك كان يقرأ الشافعي، ويقول: ليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والإنجيل، روي عن مقسم عن ابن عباس أنه سُئِلَ عن قوله عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، وقوله: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وقوله: (إنا أنزلناه في ليلة مباركة)، وقد نزل في سائر الشهور، وقوله عز وجل: (وقرآنًا فرقناه) فقال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ نجومًا في ثلاث وعشرين سنة، فذلك قوله تعالى: (فلا أقسم بمواقع النجوم)، قال داود بن أبي هند قلت للشعبي: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) أما كان ينزل في سائر الشهور؟ قال: بلى ولكن

الشعبي ما خَيْرَ رجلٍ بين أمرين فاختر أيسرهما إلّا كان ذلك أحبهما إلى الله عزّ وجلّ ﴿وَلْتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ الواو في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكْمِلُوا﴾ وَاوُ النَّسْقِ واللام لام كي، تقديره: ويريد لكي تكملوا العدة، أي لتكملوا عدة أيام الشهر بقضاء ما أفطرتُم في مرضكم وسفركم، وقال: (وَلْتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ) أي: عدة أيام الشهر، ﴿وَلْتَكْبِرُوا لِلَّهِ﴾: ولتعظموا الله، ﴿عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ﴾: أرشدكم إلى ما أرضى به من صوم شهر رمضان وخصكم به دون سائر أهل الملل، قال ابن عباس: هو تكبيرات ليلة الفطر، وروى الشافعي عن ابن المسيب وعروة وأبي سلمة أنه كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير، وشبه ليلة النحر بها إلّا من كان حاجًا وذكره التلبية، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: الله على نعمه.

[١٨٦] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ فيه إضمار، كأنه قال: فقل لهم إني قريب منهم بالعلم لا يخفى علي شيء ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾، قيل: الاستجابة بمعنى الإجابة، أي: فليجيبوا إلي بالطاعة، والإجابة في اللغة: الطاعة وإعطاء ما سئل، فالإجابة من الله تعالى العطاء، ومن العبد: الطاعة وقيل فليستجيبوا إلي أي: ليستدعوا مني الإجابة، وحقيقته فليطيعوني. ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، لكي يهتدوا، فإن قيل: فما وجه قوله تعالى: (أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ) وقوله: (ادعوني أستجب لكم)، وقد ندعو كثيرًا فلا يجيب؟ قلنا: اختلفوا في معنى الآيتين، قيل: معنى الدعاء ههنا: الطاعة، ومعنى الإجابة؟ الثواب، وقيل: معنى الآيتين خاص، وإن كان لفظهما عامًا تقديرهما: أجيب دعوة الداعي إن شئت، كما قال: (فيكشف ما تدعون إليه إن شاء)، وأجيب دعوة الداع إن وافق القضاء، أو أجيبه إن كانت الإجابة خيرًا له،

أو أجيبه إن لم يسأل محالًا وقيل: هو عام، ومعنى قوله أجيب أي: أسمع، ويقال: ليس في الآية أكثر من استجابة الدعوة، فأما إعطاء المنية فليس بمذكور فيها، وقد يجيب السيّد عبده والوالد ولده ثم لا يُعطيه سؤلّه، فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة، وقيل: معنى الآية أنه يُجيب دعاءه فإن قدر له ما سأل أعطاه وإن لم يُقدّر له ادخر له الثواب في الآخرة أو كفّ عنه به سوءًا. وقيل: إن الله تعالى يُجيب دعاء المؤمن في الوقت، ويُؤخر إعطاء من يجيب مراده ليدعوه فيسمع صوته، ويعجل إعطاء من لا يحبه لأنه يبغض صوته، وقيل: إن للدعاء آدابًا وشرائط وهي أسباب الإجابة، فمن استكملها كان من أهل الإجابة، ومن أخلّ بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء، فلا يستحق الإجابة.

[١٨٧] قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ﴾ الرَفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ، فالرفث كناية عن الجماع، قال ابن عباس: إن الله حيي كريم يكرمي، كلما ذكر في القرآن من المباشرة والملازمة والإفضاء والدخول والرفث، فإنما عنى به الجماع، وقال الزجاج: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجال من النساء أي: أبيع لكم ليلة الصيام الرفث إلى نساءكم: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ أي سكن لكم، ﴿وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، أي: سكن لهن، دليله قوله تعالى: (وجعل منها زوجها ليسكن إليها) وقيل: لا يسكن شيء إلى شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر، وقيل: سمي كل واحد من الزوجين لباسًا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد، حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه، وقال الربيع بن أنس: هن فراش وقيل: اللباس اسم لما يُؤاري الشيء، فيجوز أن يكون كل واحد منهما سترًا لصاحبه عما لا يحل، كما جاء في الحديث: «من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه»، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ

تَقْرَبُوهَا ﴿فَلَا تَأْتَوْهَا كَذَلِكَ﴾، هكذا ﴿يَبْتَئِثُ اللَّهُ بِمَا يَكْتُمُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، لكي يتقوها فينجوا من العذاب.

[١٨٨] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل، أي: من غير الوجه الذي أباحه الله وأصل الباطل: الشيء الذاهب، والأكل بالباطل أنواع قد يكون بطريق الغصب والنهب، وقد يكون بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني، وغيرهما وقد يكون بطريق الرشوة والخيانة، ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾، أي: تُلْقُوا أمور تلك الأموال بينكم وبين أربابها إلى الحكام، وأصل الإدلاء إرسال الدلو، وإلقاؤه في البئر، يُقال أدلى دلوه إذا أرسله، ودلاه يدلوه إذا أخرجه قال ابن عباس: هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال، ويخاصم فيه الحاكم وهو يعرف أن الحق عليه، وإنه أثم بمنعه قال مجاهد في هذه الآية: لا تخاصم وأنت ظالم، قال الكلبي هو أن يقيم شهادة الزور، وقوله: ﴿وَتُدْلُوا﴾ في محل الجزم بتكرير حرف النهي، معناه: ولا تدلوا بها إلى الحكام، وقيل: معناه ولا تأكلوا بالباطل وتنسبونه إلى الحكام، قال قتادة: لا تُدَلِّ بمال أخيك إلى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم فإن قضاءه لا يُحل حراماً، وكان شريح القاضي يقول: إني لأقضي لك وإني لأظنك ظالماً، ولكن لا يسعني إلا أن أقضي لك بما يحضرنني من البينة، وإن قضائي لا يُحل لك حراماً، ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا﴾: طائفة ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾: بالظلم، وقال ابن عباس: باليمين الكاذبة يقتطع بها مال أخيه ﴿وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أنكم مبطلون.

[١٨٩] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْهَلَالِ﴾ هي جمع هلال، مثل رداء وأردية، سُمِّيَ هلالاً لأن الناس يرفعون أصواتهم بالذكر عند رؤيته، من

كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾، أي تخونونها وتظلمونها بالمجاعة بعد العشاء، قال البراء: لما نزل صوم رمضان، كانوا لا يقربون النساء كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأُنزل الله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: تجاوز عنكم ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾: مَحَا ذُنُوبَكُمْ، ﴿فَالْفَنِّ بَشِيرُوهُمْ﴾: جامعوهن حلالاً، سميت المجاعة: مباشرة، لملاصقة بشرة كل واحد منهما صاحبه، ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، أي: فاطلبوا ما قضى الله لكم، وقيل: ما كتب الله لكم في اللوح المحفوظ، يعني: الولد، قاله أكثر المفسرين، قال مجاهد: ابتغوا الولد إن لم تلد هذه فهذه، وقال قتادة: وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم بإباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ، وقال معاذ بن جبل: وابتغوا ما كتب الله لكم، يعني: ليلة القدر ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ يعني في ليالي الصوم ﴿حَقَّ يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ يعني: بياض النهار من سواد الليل: سُمِّيَا خيطين لأن كل واحد منهما يبدو في الابتداء ممتداً كالخيط، ﴿ثُمَّ أَتُوا الصِّيَامَ إِلَى الْإِيلِ﴾، فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتد إلى غروب الشمس، وإذا غربت حصل الفطر ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنَكُمُونَ فِي السَّجْدِ﴾، العكوف هو الإقامة على الشيء، والاعتكاف في الشرع هو الإقامة في المسجد على عبادة الله، وهو سنة، ولا يجوز في غير المسجد ويجوز في جميع المساجد ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، يعني: تلك الأحكام التي ذكرها في الصيام والاعتكاف حدود الله: أي: ما منع الله عنها، قال السدي: شروط الله وقال شهر بن حوشب: فرائض الله، وأصل الحد في اللغة المنع، ومنه يُقال للبواب: حداد لأنه يمنع الناس من الدخول، وحدود الله ما يمنع الناس من مخالفتها، ﴿فَلَا

الْحَافِظُ

٢٩

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَّاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ وَأَبْغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنَافُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِلْثَمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

قاتله منهم بهذه الآية، وقال الربيع بن أنس: هذه أول آية نزلت في القتال، ثم أمره بقتال المشركين كافة، قاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله: (اقتلوا المشركين)، فصارت هذه الآية منسوخة بها، وقيل: نسخ بقوله: (اقتلوا المشركين) قريب من سبعين آية. وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾، أي لا تدبؤوهم بالقتال، وقيل: هذه الآية محكمة غير منسوخة، أمر النبي ﷺ بقتال المقاتلين، ومعنى قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير والرهبان، ولا من ألقى إليكم السلام (ولاً تعتدوا) فتبدؤوا بالقتال في الحرم محرمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. [١٩١] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ حَيْثُ يُفْتَنُوهُمْ﴾، قيل: نسخت

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر انظر الدر المثور للسيوطي ٤٩٢/١ وتفسير الطبري ٥٥٦/٣.

قولهم: استهل الصبي إذا صرخ حين يولد، وأهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية، ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾، جمع ميقات، أي: فعلنا ذلك ليعلم الناس أوقات الحج والعمرة والصوم والإفطار وأجال الديون وعدد النساء وغيرها، فلذلك خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة، ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾، قال أهل التفسير: كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة، لم يدخل حائطاً ولا بيتاً ولا داراً من بابه، فإن كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته ليدخل منه ويخرج، أو يتخذ سلماً فيصعد منه، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يحلّ من إحرامه، ويرون ذلك براً إلا أن يكون من الحمس، وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وخثعم وبنو عامر بن صعصعة وبنو نضر بن معاوية، شموأ أجمساً لتشددهم في دينهم، والحماسة الشدة والصلابة فدخل رسول الله ﷺ ذات يوم بيتاً لبعض الأنصار، فدخل رجل من الأنصار على أثره من الباب، وهو محرم فأنكروا عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «لِمَ دخلت من الباب وأنت محرم؟» قال: رأيتك دخلت فدخلت على أثرك، فقال رسول الله ﷺ: «إني أحمسي»^(١)، فقال الرجل: إن كنت أحمسياً فإني أحمسي رضيئتُ بهديك وسمتك ودينك، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾، أي: البرّ برّ من اتقى ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، في حال الإحرام، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

[١٩٠] ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: في طاعة الله ﴿الَّذِينَ يُفْتِلُونَكُمْ﴾، كان في ابتداء الإسلام أمر الله تعالى رسول الله ﷺ بالكف عن قتال المشركين، ثم لما هاجر إلى المدينة أمره بقتال من

الْحَرَامُ

٣٠

الْحَرَامُ

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَلُونَهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنَّهُوَا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنَّهُوَا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَن كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمِن تَمَنُّعٍ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

وسماه عدواناً على طريق المجازات والمقابلة، كما قال: (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ)، وكقوله تعالى: (وجزاء سيئة سيئة مثلها)، وسمي الكافر ظالماً لأنه يضع العبادة في غير موضعها.

[١٩٤] ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾، نزلت هذه الآية في عُمرَةِ القضاء، وذلك أَنَّ النبي ﷺ خرج معتمراً في ذي القعدة فصدّه المشركون عن البيت بالحديبية، فصالح أهل مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع العام المقبل فيقضي عمرته، فانصرف رسول الله ﷺ عامه ذلك، ورجع في العام القابل في ذي القعدة، وقضى عمرته سنة سبع من الهجرة، فذلك معنى قوله تعالى: (الشَّهْرُ الْحَرَامُ) يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه مكة، وقضيت فيه عُمرَتكم سنة سبع، بالشهر الحرام يعني: ذا القعدة الذي صُددتم فيه عن البيت سنة ست ﴿وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ﴾:

الآية الأولى بهذه الآية، وأصل الثقافة الجِدْقُ والبصر بالأمر، ومعناه: واقتلوهم حيث أبصرتم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم، ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾، وذلك أنهم أخرجوا المسلمين من مكة، فقال: أخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾، يعني: شركهم بالله عز وجل أشد وأعظم من قتلهم إياهم في الحرم والإحرام، ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ كان هذا في ابتداء الإسلام، كان لا يحلُّ بدايتهم بالقتال في البلد الحرام، ثم صار منسوخاً بقوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) هذا قول قتادة، وقال مقاتل بن حيان: قوله: (واقتلوهم حيث تقبضوهم)، أي: حيث أدركنموهم في الحِلِّ والحرم، صارت هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)، ثم نسختها آية السيف في براءة، فهي ناسخة منسوخة، وقال مجاهد وجماعة: هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم، ﴿كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٩٢] ﴿فَإِنْ أَنَّهُوَا﴾، عن القتال والكفر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أي غفور لما سلفَ رحيم بالعباد.

[١٩٣] ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾، يعني: المشركين، ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، أي شرك، يعني قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني إلا الإسلام فإن أبى قُتل، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾، أي: الطاعة والعبادة لله وحده فلا يُعبد شيء دونه ﴿فَإِنْ أَنَّهُوَا﴾: عن الكفر وأسلموا، ﴿فَلَا عُدُونَ﴾، فلا سبيل ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، قاله ابن عباس، يدل عليه قوله تعالى: (أَيُّمًا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدُونَ عَلَيَّ) أي: فلا سبيل عليّ، وقال أهل المعاني: العدوان: الظلم، أي: فإن أسلموا فلا نهب ولا أسر ولا قتل، إلا على الظالمين الذين بقوا على الشرك، وما يفعل بأهل الشرك من هذه الأشياء لا يكون ظلمًا،

رجال: أمرنا بالنفقة في سبيل الله، ولو أنفقنا أموالنا بقينا فقراء، فأنزل الله هذه الآية، وقال مجاهد فيها: لا يمنعكم من نفقة في حق خيفة العيلة، وقال زيد بن أسلم: كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة، فإذا أن يقطع بهم وإما أن يكونوا عيالاً، فأمرهم الله تعالى بالإنفاق على أنفسهم في سبيل الله، ومن لم يكن عنده شيء ينفقه، فلا يخرج بغير نفقة ولا قوت فيُلقي بيده إلى التهلكة، فالتهلكة: أن يهلك من الجوع والعطش أو بالمشي، وقيل: نزلت الآية في ترك الجهاد، قال أبو أيوب الأنصاري: نزلت فينا معشر الأنصار، وذلك أن الله تعالى لما أعزّ ونصر رسوله، قلنا فيما بيننا: إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الإسلام ونصر الله نبيه فلو رجعنا إلى أهلنا وأموالنا فأقمنا فيها فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)، فالتهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد، فما زال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية في زمن معاوية، فتوفي هناك وقال محمد بن سيرين وعبيدة السلماني: الإلقاء إلى التهلكة هو القنوط من رحمة الله تعالى، قال أبو قلابة: هو الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة، فيأس من رحمة الله وينهمك في المعاصي، فنهاهم الله تعالى عن ذلك قال الله تعالى: (إِنَّهُ لَا يَيْئَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)، ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[١٩٦] قوله عز وجل: ﴿وَأَتَيْنَا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ﴾ اختلفوا في إتمامها فقال بعضهم: هو أن يُتِمَّها بمناسكهما وحدودهما وستنهما، وهو قول ابن عباس وعلقمة وإبراهيم النخعي ومجاهد، وأركان الحج خمسة: الإحرام، والوقوف بعرفة، وطواف الزيارة، والسعي بين الصفا والمروة، وحلق الرأس

جمع حرمة، وإنما جمعها لأنه أراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام، وحرمة الإحرام والقصاص: المساواة والمماثلة، وهو أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل، وقيل: هذا في أمر القتال، معناه إن بدؤوكم بالقتال في الشهر الحرام فقاتلوهم فيه، فإنه قصاص بما فعلوا فيه، ﴿فَمَنْ أَعَدَّكُمْ عَلَيْهِمْ فَأَعَدُّوا عَلَيْهِمْ﴾، وقاتلوه ﴿بِمِثْلِ مَا أَعَدَّكُمْ عَلَيْهِمْ﴾، سُمي الجزاء باسم الابتداء على ازدواج الكلام، كقوله تعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا)، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

[١٩٥] قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أراد به الجهاد وكل خير هو في سبيل الله، ولكن إطلاقه ينصرف إلى الجهاد، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، قيل: الباء في قوله تعالى: (بِأَيْدِيكُمْ) زائدة، يُريد: ولا تلقوا أيديكم، أي: أنفسكم إلى التهلكة عبر عن الأنفس بالأيدي، كقوله تعالى: (بما كسبت أيديكم) أي: بما كسبتم، وقيل: الباء في موضعها، وفيه، حذف، أي: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة، أي الهلاك، وقيل: التهلكة كل شيء يصير عاقبته إلى الهلاك، أي: ولا تأخذوا في ذلك، وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه، والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه، والعرب لا تقول للإنسان: ألقى بيده إلا في الشر، واختلفوا في تأويل هذه الآية، فقال بعضهم: هذا في البخل وترك الإنفاق، يقول: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بترك الإنفاق في سبيل الله، وهو قول حذيفة والحسن وقتادة وعكرمة وعطاء، وقال ابن عباس في هذه الآية: أنفق في سبيل الله وإن لم يكن لك إلا سهم أو مشقص، ولا يقولن أحدكم: إني لا أجد شيئاً، وقال السدي فيها: أنفق في سبيل الله ولو عقلاً ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، ولا تقل: ليس عندي شيء، وقال سعيد بن المسيب ومقاتل بن حيان: لما أمر الله تعالى بالإنفاق قال

النصب، أي: فاهد ما استيسر، والهدي جمع هدية وهي اسم لكل ما يُهدى إلى بيت الله تقريباً إليه، وما استيسر من الهدى شاة، قاله علي بن أبي طالب وابن عباس لأنه أقرب إلى اليسر، وقال الحسن وقتادة أعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِفُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾، اختلفوا في المحل الذي يحل المحصر ببلوغ هديه إليه، فقال بعضهم: هو ذبحه بالموضع الذي أحصر فيه سواء كان في الحل أو في الحرم، ومعنى (محله) حيث يحل ذبحه فيه وقال بعضهم: محل هدي المحصر: الحرم، فإن كان حاجاً فمحله يوم النحر، وإن كان معتمراً فمحله يوم يبلغ هديه الحرم.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِوَيْهٍ أَدَّىٰ مِّنْ رَّأْسِهِ﴾، معناه لا تحلقوا رؤوسكم في حال الإحرام إلا أن تضطروا إلى حلقه لمرض أو لأذى في الرأس من هواء أو صداع ﴿فَفِدْيَةٌ﴾، فيه إضمار، أي: فحلق فعلية فدية يُطعم فرقاً بين ستة مساكين، أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام.

قوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّنْ صِّيَامٍ﴾، أي ثلاثة أيام، ﴿أَوْ صَدَقَةٌ﴾، أي ثلاثة أصع على ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع، ﴿أَوْ سُكُتٍ﴾، واحداً نسيكة، أي: ذبيحة أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة، أيتها شاء ذبح، فهذه الفدية على التخيير والتقدير، ويتخير بين أن يذبح أو يصوم أو يتصدق، وكل هدي أو طعام يلزم المحرم يكون بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم، إلا هدياً يلزم المحصر فإنه يذبحه حيث أحصر، وأما الصوم فله أن يصوم حيث يشاء، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا

أو التقصير، وقال سعيد بن جبير وطاوس: تمام الحج والعمرة أن تحرم بهما مُفْرَدَيْنِ مُسْتَأْنَفَيْنِ مِنْ دَوْرِيَّةٍ أَهْلَكَ وَقَالَ قَتَادَةُ: تمام العُمرة أن تعمر في غير أشهر الحج، فإن كانت في أشهر الحج ثم أقام حتى حج فهي تمتعه، وعليه فيه الهدى إن وجدته أو الصيام إن لم يجد الهدى، وتمام الحج أن يؤتي بمناسكه كلها حتى لا يلزمه عما ترك دم بسبب قرآن ولا منعة، وقال الضحاك: إتمامهما أن تكون النفقة حلالاً وينتهي عما نهى الله عنه، وقال سفيان الثوري: إتمامهما أن تخرج من أهلك لهما، ولا تخرج لتجارة ولا لحاجة أخرى. وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ اختلف العلماء في الإحصار الذي يبيح للمحرم التحلل من إحرامه، فذهب جماعة إلى أن كل مانع يمنعه عن الوصول إلى البيت الحرام والمضي في إحرامه من عدو أو مرض أو جرح أو ذهاب نفقة أو ضلال راحلة يُبيح له التحلل، وبه قال ابن مسعود، وإبراهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير، وإليه ذهب سفيان الثوري وأهل العراق، واحتجوا بما روي عن الحجاج بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: من كُسِرَ أو عرج فقد حلّ وعليه الحج من قابل^(١) وذهب جماعة إلى أنه لا يباح له التحلل إلا بحبس العدو، وهو قول ابن عباس، وقال: لا حصر إلا حصر العدو، وإليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق. ثم المحصر يتحلل بذبح الهدى وحلق الرأس، والهدي بشاة وهو المراد من قوله تعالى: (فما استيسر من الهدى) ومحل ذبحه حيث أحصر عند أكثر أهل العلم، لأن النبي ﷺ ذبح الهدى عام الحديبية بها، وذهب قوم إلى أن المحصر يقيم على إحرامه ويبعث بهديه إلى الحرم ويؤاعد من يذبحه هناك ثم يحل، وهو قول أهل العراق. ومعنى قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾، أي: فعليه ما تيسر من الهدى، ومحله رفع، وقيل: (مَا) في محل

(١) رواه أبو داود في المناسك باب الإحصار ٣٦٨/٢، والترمذي في كتب الحج (٩٦)، باب ما جاء في الذي يُهل بالحج فيكسر أو يعرج، وأحمد ٤٥٠/٣، والمصنف في شرح السنة ٢٨٨/٧.

من الرجوع المذكور في الآية، قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾: ذكرها على وجه التأكيد وهذا لأن العرب ما كانوا يهتدون إلى الحساب فكانوا يحتاجون إلى فضل شرح وزيادة بيان، وقيل: فيه تقديم وتأخير، يعني: فصيام عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجعت، فهي عشرة كاملة، وقيل: كاملة في الثواب والأجر، وقيل: كاملة فيما أريد به من إقامة الصوم بدل الهدى، وقيل كاملة شروطها وحدودها، وقيل: لفظه خبر ومعناه أمر، أي: فأكملوها ولا تنقصوها، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا الحكم، ﴿لَنْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، واختلفوا في حاضري المسجد الحرام، فذهب قوم إلى أنهم أهل مكة، وهو قول مالك، وقيل هم أهل الحرم، وبه قال طاوس، وقال ابن جريج: أهل عرفة والرجيع وضجنان، وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر، فهو من حاضري المسجد الحرام، وقال عكرمة: هم من دون الميقات، وقيل: هم أهل الميقات فما دونه، وهو قول أصحاب الرأي، وذم القران كدم التمتع، والمكي إذا قرَن أو تمتع فلا هدي عليه ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾: في أداء الأوامر، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، على ارتكاب المناهي.

[١٩٧] قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾، أي: وقت الحج أشهر معلومات، وهي: شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر، ويروى عن ابن عمر: شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، وكل واحد من اللفظين صحيح غير مختلف فيه، فمن قال: عشر عتبر به عن الليالي، ومن قال تسع عتبر به عن الأيام، فإن آخر أيامها يوم عرفة وهو يوم التاسع، وإنما قال: (أشهر) بلفظ الجمع وهي شهران وبعض الثالث لأنها وقت، والعرب تسمي الوقت تامةً بقليله وكثيره، فيقول أتيتك يوم الخميس،

أُنْتُمْ، أي: من خوفكم وبرأتكم من مرضكم، ﴿فَنَ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾، اختلفوا في هذه المتعة فذهب عبدالله بن الزبير إلى أن معناه: فمن أحصر حتى فاتة الحج ولم يتحلل فقدم مكة يخرج من إحرام بعمل عُمْرة واستمتع بإحلاله ذلك، فتلك العمرة إلى السنة المقبلة ثم حج، فيكون متمتعًا بذلك الإحلال إلى إحرامه الثاني في العام القابل، وقال بعضهم: معناه فإذا أتمتم وقد حللتكم من إحرامكم بعد الإحصار، ولم تقضوا عمرتكم وأخرتم العمرة إلى السنة القابلة فاعتزتم في أشهر الحج ثم حللتكم فاستمتعتم بإحلالكم إلى الحج ثم أحرمتكم بالحج، فعليكم ما استيسر من الهدى، وهو قول علقمة وإبراهيم النخعي وسعيد ابن جبير، وقال ابن عباس وعطاء وجماعة: هو الرجل يقدم معتمرًا من أفق الآفاق في أشهر الحج، ففضى عمرته وأقام حلالًا بمكة حتى أنشأ منها الحج، فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعًا بالإحلال من العمرة إلى إحرامه بالحج، فمعنى التمتع: هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظورًا عليه في الإحرام إلى إحرامه بالحج.

﴿فَنَ تَمَ يَحْدُ﴾: الهدى ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾، أي: صوموا ثلاثة أيام يصوم يومًا قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة، ولو صام قبله بعدما أحرمت بالحج جاز، ولا يجوز يوم النحر ولا أيام التشريق عند أكثر أهل العلم، وذهب بعضهم إلى جواز صوم الثلاثة في أيام التشريق، يروى ذلك عن عائشة وابن عمر وابن الزبير، وهو قول مالك والأوزاعي وأحمد وإسحق، قوله تعالى: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾، أي صوموا سبعة أيام إذا رجعتكم إلى أهليكم وبلدكم، فلو صام السبعة قبل الرجوع إلى أهله لا يجوز، وهو قول أكثر أهل العلم، روي ذلك عن ابن عمر وابن عباس، وقيل: يجوز أن يصومها بعد الفراغ من أعمال الحج، وهو المراد

مَنْ قَلَّدَ الْهَدْيَ»، قالوا: كيف نجعله عُمرَةً وقد سمينا الحج؟ فهذا جدالهم. وقال ابن زيد: كانوا يقفون مواقف مختلفة كلهم يزعم أن موقفه موقف إبراهيم، فكانوا يجادلون فيه، وقيل: هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي الحجة، فكل يقول: ما فعلته فهو الصواب، فقال جلّ ذكره: (وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) أي استقر أمر الحج على ما فعله رسول الله ﷺ، فلا اختلاف فيه من بعد ذلك ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾، أي: لا يخفى عليه فيجازيكم به، قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الْتَّقْوَى﴾، نزلت في ناس من أهل اليمن كانوا يخرجون إلى الحج بغير زاد ويقولون: نحن متوكلون، ويقولون: نحن نحج بيت الله فلا يطعمنا، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، وربما يُفْضِي بهم الحال إلى النهب والغصب، فقال الله جلّ ذكره: (وَتَزَوَّدُوا) أي: ما تبغون به وتكفون به وجوهكم، قال أهل التفسير: الكعك والزبيب والسويق والتمر ونحوها، ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الْتَّقْوَى﴾ من السؤال والنهب، ﴿وَالْتَّقْوَى يَكْأُولَى الْأَلْبَسِ﴾: يا ذوي العقول.

[١٩٨] قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: التجارة في مواسم الحج ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾: دفعتم، والإفاضة: دفع بكثرة، وأصله من قول العرب: أفاض الرجل ماءً، أي: صبّه، ﴿مِنْ عَرَفَتَيْ﴾، هي جمع عرفة، جُمعت عرفة بما حولها وإن كانت بقعة واحدة، كقولهم: ثوب أخلاق ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾: بالدعاء والتلبية، ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾، وهو ما بين جبلي المزدلفة من مَرْمَى عرفة إلى الْمُحَسَّر، وليس المأزمان ولا المحسّر من المشعر الحرام، وسُمي مشعرًا من الشعار، وهي

وإنما أتاه في ساعة منه وقال عروة بن الزبير وغيره: أراد بالأشهر شوالًا وذا القعدة وذا الحجة كما لا لأنه يبقى على الحاج أمور بعد عرفة يجب عليه فعلها مثل الرمي والذبح والحلق وطواف الزيارة والبيتوتة بمنى، فكانت في حكم الحج، ﴿فَمَنْ وَضَعَ فِيهِكَ الْحَجَّ﴾، أي: فمن أوجب على نفسه الحج بالإحرام والتلبية ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ اختلفوا في الرفث، قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر: هو الجماع، وهو قول الحسن ومجاهد وعمر بن دينار وقتادة وعكرمة والربيع وإبراهيم النخعي، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز وأن يعرض لها بالفحش من الكلام قال طاوس: الرفث التعريض للنساء بالجماع وذكره بين أيديهن، وقال عطاء: الرفث قول الرجل للمرأة في حال الإحرام إذا حللت أصبتك، وقيل: الرفث الفحش والقول القبيح، أما الفسوق فقد قال ابن عباس: هو المعاصي كلها، وهو قول طاوس والحسن وسعيد ابن جبيرة وقتادة والزهري والربيع والقرظي، وقال ابن عمر: هو ما نهى عنه المحرم في حال الإحرام من قتل الصيد وتقليم الأظفار وأخذ الأشعار وما أشبههما، وقال إبراهيم وعطاء ومجاهد: هو السباب وقال الضحاك هو التنازع بالألقاب ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، قال ابن مسعود وابن عباس: الجدال أن يماري صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه، وهو قول عمرو بن دينار وسعيد بن جبيرة وعكرمة والزهري وعطاء وقتادة، وقال القاسم بن محمد هو أن يقول بعضهم: الحج اليوم ويقول بعضهم: الحج غدًا، وقال القرظي: كانت قريش إذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء: حجنا أتم من حجكم، وقال هؤلاء: حجنا أتم من حجكم، وقال مقاتل: هو أن النبي ﷺ قال لهم في حجة الوداع وقد أحرّموا بالحج: «اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْعَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا إِجْدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَكَرَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يٰعَاذُكَ الْآلِيبُ ﴿٢٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَإِذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٩﴾ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ سَكَكُمُ فَإِذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْكَدَ ذِكْرًا فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٣٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آدَبَ النَّارِ ﴿٣١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٢﴾

وأحسن إليكم وإليهم، قال ابن عباس وعطاء معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء، وذلك أن الصبي أول ما يتكلم يلهج بذكر أبيه لا يذكر غيره، فيقول الله: فاذكروا الله لا غير، كذكر الصبي أباه، ﴿أَوْ أَشْكَدَ ذِكْرًا﴾، وسئل ابن عباس عن قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ فقيل: قد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر فيه أباه، قال ابن عباس: ليس كذلك ولكن أن تغضب الله إذا عصي أشد من غضبك لو لاديك إذا شتمًا، وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَشْكَدَ ذِكْرًا﴾ يعني: بل أشد، أي: وأكبر ذكرًا، ﴿فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا﴾، أراد به المشركين كانوا لا يسألون الله تعالى في الحج إلا الدنيا ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾: من حظ ونصيب.

[٢٠١] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا

العلامة لأنه من معالم الحج، وأصل الحرام من المنع، فهو ممنوع أن يفعل فيه ما لم يؤذن فيه، وسُمي المزدلفة جمعًا لأنه يُجمع فيه بين صلاة المغرب والعشاء، والإفاضة من عرفات تكون بعد غروب الشمس، ومن جمع قبل طلوعها من يوم النحر ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ﴾، أي: واذكروه بالتوحيد والتعظيم، كما ذكركم بالهداية، فهداكم لدينه ومناسك حجه، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ﴾، أي وقد كنتم، وقيل: وما كنتم من قبله إلا من الصالحين، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، أي: وما نَظُنُّكَ إلا من الكاذبين، والهاء في قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ راجعة إلى الهدى، وقيل إلى رسول الله ﷺ كناية عن غير مذكور.

[١٩٩] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾، قال أهل التفسير كانت قرش وحلفاؤها ومن دَانَ بدينها وهم الحُمس، يقعون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل الله وقُطَان حرمه، فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعظمون أن يقفوا مع سائر العرب بعرفات، وسائر الناس كانوا يقفون بعرفات، فإذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحُمس من المزدلفة، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها إلى جمع مع سائر الناس، وأخبرهم أنه سنة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٠٠] قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾، أي: فرغتم من حجكم وذبحتُم نَسَائِكُكُمْ، أي: ذبائحكم، يقال: نسك الرجل ينسك نَسْكًا إذا ذبح نسيكته، وذلك بعد رمي جمره العقبة والاستقرار بمنى، ﴿فَإِذْكُرُوا اللَّهَ﴾: بالتكبير والتحميد والثناء عليه، ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾، وذلك أن العرب كانت إذا فرغت من الحج وقفت عند البيت فذكرت مفاخر آبائها، فأمرهم الله بذكره، وقال: ﴿فَإِذْكُرُونِي﴾ فأننا الذي فعلت ذلك بكم وبآبائكم

الأيام في حق الحاج وغير الحاج عند عامة العلماء ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، أراد من نفر الحاج في اليوم الثاني من أيام التشريق، فلا إثم عليه، وذلك أنه على الحاج أن يبيت بمنى الليلة الأولى والثانية من أيام التشريق، ويرمي كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة، عند كل جمرة بسبع حصيات، ورخص في ترك البيوتة لرعاة الإبل وأهل سقاية الحاج، ثم كل من يرمي اليوم الثاني من أيام التشريق وأراد أن ينفر فيدع البيوتة الليلة الثالثة، ورمي يومها فذلك له واسع، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه أن يبيت حتى يرمي اليوم الثالث ثم ينفر، وقوله: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، يعني: لا إثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله، ومن تأخر حتى ينفر في اليوم الثالث فلا إثم عليه في تأخيره، وقيل معناه: فمن تعجل فقد ترخص فلا إثم عليه بالترخص، ومن تأخر فلا إثم عليه بترك الترخص، وقيل معناه: رجع مغفوراً له لا ذنب عليه تعجل أو تأخر ﴿لَمَنْ أَتَقَى﴾، أي: لمن اتقى أن يصيب في حجه شيئاً نهاء الله عنها، كما قال: «من حج فلم يرفث ولم يفسق»، قال ابن مسعود: إنما جعلت مغفرة الذنوب لمن اتقى الله تعالى في حجه، وفي رواية الكلبي عن ابن عباس معناه: لمن اتقى الصيد، لا يحل له أن يقتل صيداً حتى تنقضي أيام التشريق، وقال أبو العالية: ذهب أئمة أن اتقى فيما بقى من عمره، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تجمعون في الآخرة يجزيكم بأعمالكم.

[٢٠٤] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قال الكلبي ومقاتل وعطاء: نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة، واسمه أبي وسمي الأخنس لأنه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله

حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، يعني: المؤمنين، واختلفوا في معنى الحسنتين، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: في الدنيا حسنة امرأة صالحة، وفي الآخرة حسنة الجنة والحرور العين، وقال الحسن: في الدنيا حسنة العلم والعبادة، وفي الآخرة حسنة الجنة والنظر. وقال السدي وابن حيان: في الدنيا حسنة رزقاً حلالاً وعملاً صالحاً، وفي الآخرة حسنة المغفرة والثواب، وقال قتادة: في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية، وقال عوف: في هذه الآية من آناه الله الإسلام والقرآن وأهلاً ومالاً فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.

[٢٠٢] قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾: حظ ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾: من الخير والدعاء بالثواب والجزاء، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يعني: إذا حاسب عبده فحسابه سريع لا يحتاج إلى عقد يد، ولا وغي صدور ولا إلى رؤية ولا فكر، قال الحسن: أسرع من لمح البصر، وقيل: معناه إتيان القيامة قريب لأن ما هو آت لا محالة فهو قريب.

[٢٠٣] قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾، يعني التكبيرات أدبار الصلاة وعند الجمرات، يكبر مع كل حصاة وغيرها من الأوقات، ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ الأيام المعدودات هي أيام التشريق وهي أيام منى ورمي الجمار، سميت معدودات لقلتهن، كقوله (دراهم معدودة)، والأيام المعلومات: عشر ذي الحجة آخرهن يوم النحر، هذا قول أكثر أهل العلم، ورؤي عن ابن عباس: المعلومات يوم النحر، ويومان بعده والمعدودات أيام التشريق، وعن علي قال: المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده، وقال عطاء عن ابن عباس: المعلومات يوم عرفة، ويوم النحر وأيام التشريق، وقال محمد بن كعب: هما شيء واحد وهي أيام التشريق والتكبير أدبار الصلاة مشروع في هذه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٢

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٠٦) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٠٧) ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (٢٠٨) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْإِمْهَادُ﴾ (٢٠٩) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٢١٠) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحَةِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢١١) ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢١٢) ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٢١٣)

﴿وكان رجلاً حلوا الكلام حلوا المنظر، وكان يأتي رسول الله ﷺ فيجالسه ويظهر الإسلام، ويقول إني لأحبك ويحلف بالله على ذلك، وكان منافقاً فكان رسول الله ﷺ يدين مجلسه، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: تستحسنه ويعظم في قلبك، ويقال في الاستحسان أعجبني كذا، وفي الكراهية والإنكار: عجبْتُ من كذا، ﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ يعني: قول الأخنس المنافق: والله إني بك مؤمن ولك محب ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾، أي: شديد الخصومة، يقال: لددت يا هذا وأنت تلد لددا ولدادة، فإذا أردت أنه غلب على خصمه قلت: لده يلدّه لدّا وتأويله: أنه في أيّ وجه أخذ من يمين أو شمال، في أبواب الخصومة غلب، والخصام: مصدر خاصمه خصاماً ومخاصمةً، قاله أبو عبيدة، وقال الزجاج: وهو جمع خصم، يقال: خصم وخصام وخصوم: مثل: بحر وبحار وبحور، قال الحسن: ألد الخصام، أي: كاذب القول، قال قتادة: شديد القسوة في المعصية، جدل بالباطل يتكلم بالحكمة، ويعمل بالخطيئة.

[٢٠٥] ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾، أي: أدبر وأعرض عنك، ﴿سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: عمل فيها، وقيل: سار فيها ومشى، ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾، قال ابن جريج: قطع الرحم وسفك دماء المسلمين، ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾، وذلك أن الأخنس كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلة فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم، والنسل: نسل كل دابة، والناس منهم، وقال الضحاك: وإذا تولى، أي: ملك الأمر وصار والياً سعى في الأرض، قال مجاهد في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: إذا ولي يعمل بالعدوان والظلم، فأمسك الله المطر وأهلك الحرث والنسل، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾، أي: لا يرضى بالفساد.

[٢٠٦] قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾، أي: خف الله، ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾، أي: حملته العزة، حمية الجاهلية على الفعل بالإثم، أي: بالظلم والعزة والتكبر والمنعة، وقيل معناه: أخذته العزة للإثم الذي في قلبه، فأقام الباء مقام اللام، قوله: ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾، أي: كافيه، ﴿وَلَيْسَ الْإِمْهَادُ﴾ أي: الفراش، قال عبدالله بن مسعود: إن من أكبر الذنوب عند الله أن يقال للعبد: اتق الله فيقول: عليك بنفسك.

[٢٠٧] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، أي: لطلب رضا الله تعالى، ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

[٢٠٨] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحَةِ كَافَّةً﴾ نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب، عبدالله بن سلام النضيري

ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم، وقال مقاتل: كهيئة الضبابة أبيض، قال الحسن: في ستره من الغمام، فلا ينظر إليهم أهل الأرض، قوله: ﴿وَالْمَلَكُ﴾ قرأ أبو جعفر بالخفض عطفًا على الغمام، تقديره مع الملائكة، تقول العرب: أقبل الأمير في العسكر، أي: مع العسكر، وقرأ الباقرن الرفع على معنى إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام، والأولى في هذه الآية وفيما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهاها ويكل علمها إلى الله تعالى، أو يعتقد أن الله عز اسمه منزّه عن سمات الحدث، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة، قال الكلبي: هذا من المكتوم الذي لا يُفسر، وكان مكحول والزهري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد وإسحاق، يقولون فيه وفي أمثاله: أمرها كما جاءت بلا كيف، قال سفيان بن عُيينة: كلما وصف الله به نفسه في كتابه ففسيحه: قراءته والسكوت عليه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالى ورسوله. وقوله تعالى: ﴿وَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾، أي: وجب العذاب وفرغ من الحساب، وذلك فصل الله القضاء بالحق بين الخلق يوم القيامة، ﴿وَالِإِلَهُ تُرْجِعُ الْأُمُورَ﴾، قرأ ابن عامر وحمة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقرن بضم التاء وفتح الجيم.

[٢١١] قوله تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، أي: سل يا محمد يهود المدينة: ﴿كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ﴾: أعطينا آباءهم وأسلافهم، ﴿مِّنْ ءَايَمٍ يَبِينُ﴾: دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام، مثل العصا والبد البيضاء وقلق البحر وغيرها، وقيل: معناه الدلالات التي آتاهم الله في التوراة والإنجيل على نبوة محمد ﷺ، ﴿وَمَنْ يَبْدَلْ﴾، يعني: يُغير ﴿نِعْمَةً اللَّهِ﴾: كتاب الله، وقيل: عهد الله، وقيل: من يُنكر الدلالة على نبوة محمد ﷺ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ

وأصحابه، وذلك أنهم كانوا يعظمون السبت ويكرهون لحوم الإبل وألبانها بعد ما أسلموا وقالوا: يا رسول الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فَلَنَقُمْ بها في صلاتنا بالليل، فأنزل الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)، أي: في الإسلام، قال مجاهد: في أحكام أهل الإسلام وأعمالهم كافة أي: جميعًا وقيل: ادخلوا في الإسلام إلى منتهى شرائعه كافين عن المجاوزة إلى غيره، وأصل السلم من الاستلام والانقياد، ولذلك قيل: للصلح سلم، قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية: الإسلام ثمانية أسهم فعدّ الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال: قد خاب من لا سهم له، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، أي: آثاره فيما زَيّن لكم من تحريم السبت ولحوم الإبل وغيره، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

[٢٠٩] ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾، ضللتُم، وقيل: ملتم، يقال: زلت قدمه تزل زلاً وزَلَلًا إذا دحضت، قال ابن عباس: يعني الشرك، قال قتادة: قد علم الله أنه سيزل زالون من الناس، فتقدم في ذلك وأوعد فيه ليكون لديه الحجة عليهم، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾، أي: الدلالات الواضحات، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: في نعمته، ﴿حَكِيمٌ﴾: في أمره، فالعزيز: هو الغالب الذي لا يفوته شيء، والحكيم ذو الإصابة في الأمر.

[٢١٠] قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾، أي: هل ينتظرون، التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان، يقال نظرته وانتظرته بمعنى واحد، فإذا كان النظر مقرونًا بذكر الله أو بذكر الوجه أو إلى، لم يكن إلا بمعنى الرؤية، ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ﴾، جمع ظُلة، ﴿مِّنَ الْعَمَامِ﴾، وهو السحاب الأبيض الرقيق سُمي غمامًا لأنه يغم، أي يستر، وقال مجاهد: هو غير السحاب،

اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١٢﴾

[٢١٢] ﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْيَوْمَ الدُّنْيَا﴾، الأكثرون على أن المُرَّين هو الله تعالى، والتزيين من الله تعالى هو: أنه خلق الأشياء الحسنة والمناظر العجيبة، فظفر الخلق بأكثر من قدرها فأعجبهم حسنهما ففُتِنُوا بها، وقال الزجاج: زين لهم الشيطان، قيل: نزلت هذه الآية في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه، كانوا يتنعمون بما بسط الله لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد، ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: يستهزؤون بالفقراء من المؤمنين، قال ابن عباس: أراد بالذين آمنوا عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيبا وبلاّا وخبابا وأمثالهم، وقال مقاتل: نزلت في المنافقين عبدالله بن أبي وأصحابه كانوا يتنعمون في الدنيا ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين، ويقولون: انظروا إلى هؤلاء الذي يزعم محمد أنه يغلب بهم، وقال عطاء: نزلت في رؤساء اليهود من بني قريظة والنضير وبني قينقاع، سخروا من فقراء المهاجرين، فوعدهم الله أن يعطيهم أموال بني قريظة والنضير بغير قتال، ويسخرون من الذين آمنوا لفقرهم، ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، يعني: هؤلاء الفقراء، ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لأنهم في أعلى عليين وهم في أسفل السافلين ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، يعني: كثيرا بغير مقدار، لأن كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل، يريد يوسع على من يشاء ويسيطر لمن يشاء من عباده، وقال الضحاك: يعني: من غير تبعة يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة، وقيل: هذا يرجع إلى الله، معناه: يقتّر على من يشاء ويسيطر لمن يشاء، ولا يعطي لكل أحد بقدر حاجته بل يعطي الكثير من لا يحتاج إليه ولا يعطي القليل من يحتاج إليه، فلا يُعْتَرَضُ عليه ولا يُحَاسَبُ فيما يرزق، ولا يُقَالُ: لِمَ أُعْطِيَ هذا وحرمت هذا، ولم أعطيت هذا أكثر مما أعطيت

الْحَقُّ

٣٣

الْحَقُّ

سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَدَ اللَّهِ مِنْ أَيْمَنِ يَمْنَهُ وَمَنْ يُدِلْ نِعْمَةً اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١٣﴾ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْيَوْمَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٤﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِكُمْ الْبِئْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَرَزَلُوا حَقًّا يَقُولُ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّا نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أُنْفِقُهُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَالَّذِينَ فِي الْأَرْقَانِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٧﴾

ذاك، وقيل: معناه لا يخاف نفاذ خزائنه، فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها لأن الحساب من المعطي إنما يكون بما يخاف من نفاذ خزائنه.

[٢١٣] قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: على دين واحد، قال مجاهد: أراد آدم وحده كان أمة واحدة، قال: سُمِّي الواحد بلفظ الجمع، لأنه أصل النسل وأبو البشر، ثم خلق الله تعالى منه حواء ونشر منهما الناس فانتشروا، وكانوا مسلمين إلى أن قتل هابيل فاختلفوا، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ قال الحسن وعطاء: كان الناس من وقت وفاة آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة على ملة الكفر أمثال البهائم فبعث الله نوحا وغيره من النبيين، وقال قتادة وعكرمة: كان الناس من وقت آدم إلى مبعث نوح، وكان بينهما عشرة قرون، كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى، ثم اختلفوا في زمن

محمد ﷺ وكتابه، اختلف فيه أهل الكتاب (من بعد ما جاءتهم البينات)، صفة محمد ﷺ في كتبهم، ﴿بَعِيًّا﴾ ظلماً وحسداً ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، أي: إلى ما اختلفوا فيه، ﴿وَمِنَ الْحَقِّ يَازِيدُهُ﴾، بعلمه وإرادته فيهم، قال ابن زيد في هذه الآية: اختلفوا في القبلة فمنهم من يصلي إلى المشرق ومنهم من يصلي إلى المغرب، ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس، فهدانا الله إلى الكعبة، واختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا في الأيام، فأخذت اليهود السبت، والنصارى الأحد، فهدانا الله للجمعة، واختلفوا في إبراهيم عليه السلام، فقالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً، فهدانا الله للحق من ذلك، واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود القرية، وجعلته النصارى إلهاً، وهدانا الله للحق فيه، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٢١٤] قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾، قال قتادة والسدي: نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى، كما قال الله تعالى: (وبلغت القلوب الحناجر) [الأحزاب: ١٠]، وقيل: نزلت في حرب أحد، وقال عطاء: لما دخل رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة، اشتد عليهم الضر لأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين، وآثروا رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ﷺ، وأسروا قوم النفاق، فأنزل الله تعالى تطييباً لقلوبهم (أَمْ حَسِبْتُمْ)، معناه أحسبتم والميم صلة قاله الفراء، وقال الزجاج: بل حسبت، ومعنى الآية: أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة، ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾، أي: ولم يأتكم و(ما) صلة ﴿مِثْلَ الَّذِينَ خَلَوْا﴾، شبه الذين مضوا، ﴿وَمِنَ قَبْلِكُمْ﴾: من النبيين والمؤمنين، ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ﴾:

نوح، فبعث الله إليهم نوحاً فكان أول نبي بُعث، ثم بعث بعده النبيين، وقال الكلبي: هم أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين، ثم اختلفوا بعد وفاة نوح، وروى عن ابن عباس قال: كان الناس على عهد إبراهيم عليه السلام أمة واحدة كفاراً كلهم فبعث الله إبراهيم وغيره من النبيين، وقيل: كان العرب على دين إبراهيم إلى أن غيره عمرو بن لحي لعنة الله عليه، وروى عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال: كان الناس حين غرضوا على آدم وأخرجوا من ظهره، وأقروا بالعبودية لله تعالى أمة واحدة مسلمين كلهم، ولم يكونوا أمة واحدة قط غير ذلك اليوم، ثم اختلفوا بعد آدم، نظيره في سورة يونس [آية ١٩] (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين) ﴿مُبَشِّرِينَ﴾: بالثواب من آمن وأطاع، ﴿وَمُذْذِرِينَ﴾، محذرين بالعقاب من كفر وعصى، ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾، أي: الكتب، تقديره: وأنزل مع كل واحد منهم الكتاب، ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالعدل والصدق، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾، قرأ أبو جعفر (ليحكم) بضم الياء وفتح الكاف ههنا، وفي أول آل عمران وفي النور موضعين، لأن الكتاب لا يحكم في الحقيقة إنما يُحكم به، وقراءة العامة بفتح الياء وضم الكاف، أي: ليحكم الكتاب، ذكره على سعة الكلام، كقوله تعالى: (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) [الباقية: ٢٩]، وقيل معناه ليحكم كل نبي بكتابه، ﴿فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾، أي: في الكتاب ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾، أي: أعطوا الكتاب، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾، يعني: أحكام التوراة والإنجيل، قال الفراء: ولا اختلافهم معنيان: أحدهما كفر بعضهم بكتاب بعض، قال الله تعالى: (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) [النساء: ١٥٠]، والآخر: تحريفهم كتاب الله قال الله: (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) [النساء: ٤٦] وقيل: الآية راجعة إلى

[٢١٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾،
فارقوا عشائرهم ومنازلهم وأموالهم ﴿وَجَنَّهُدُوا﴾،
المشركين ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعة الله ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَتَ اللَّهِ﴾، أخبر أنهم على رجاء الرحمة ﴿وَاللَّهُ
عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[٢١٩] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ﴾، الآية نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ
ابن جبل ونفر من الأنصار أتوا إلى رسول الله ﷺ
فقالوا: يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر فإنهما
مذهبة للعقل مسلبة للمال، فأنزل الله هذه الآية،
وجملة القول في تحريم الخمر على ما قاله
المفسرون: إن الله أنزل في الخمر أربع آيات نزلت
بمكة وهي: (ومن ثمرات النخيل والأعناب
تتخذون منه سكرًا ورزقًا) فكان المسلمون يشربونها
وهي حلال يومئذ، ثم نزلت هذه الآية في مسألة
عمر ومعاذ بن جبل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ فتركها قوم لقوله ﴿إِثْمٌ
كَبِيرٌ﴾، وشربها أقوام لقوله: ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ ثم
أنزل الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا
الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون)
[النساء: ٤٣] فحرّم السكر في أوقات الصلاة، فلما
نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا: لا خير في شيء
يحول بيننا وبين الصلاة، وتركها قوم في أوقات
الصلاة وشربوها في غير حين الصلاة فقال عمر:
اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فأنزل الله تعالى
تحريم الخمر في سورة المائدة إلى قوله تعالى:
(فهل أنتم متهون) فقال عمر رضي الله عنه: انتهينا
يا رب. قوله تعالى: (والميسر) يعني: القمار
والمراد من الآية أنواع القمار كلها، قال طاوس
وعطاء ومجاهد: كل شيء فيه قمار فهو من
الميسر، حتى لعب الصبيان بالجوز والكعب،
وروي عن علي رضي الله عنه في النرد والشطرنج
أنهما من الميسر، (قل فيهما إثم كبير): وزر عظيم

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفَحْشِ
وَالْفَحْشَاءِ قُلْ فِيهَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَكُفْرًا بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْأَحَرَّ وَإِخْرَاجَ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ
عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ
حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ
مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ
هَاجَرُوا وَجَنَّهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا
أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ
كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٩﴾

من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش (ومنافع
للناس)، فمنفعة الخمر اللذة عند شربها والفرح
واستمرار الطعام، وما يصيبون من الربح بالتجارة
فيها، ومنفعة الميسر إصابة المال من غير كد ولا
تعب، وارتفاع الفقراء به، والإثم فيه أنه إذا ذهب
ماله عن غير عوض ساء ذلك فعادى صاحبه
فقصده بالسوء، ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾، قال
الضحّاك وغيره: إثمهما بعد التحريم أكبر من
نفعهما قبل التحريم، هو ما يحصل به من العداوة
والبغضاء. قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾؟
وذلك أن رسول الله ﷺ حثهم على الصدقة،
فقالوا: ماذا ننفق؟ فقال: ﴿قُلِ الْغَفْوُ﴾، قرأ أبو
عمرو والحسن وقتادة وابن أبي إسحاق (الغفو)
بالرفع، معناه أي: الذي ينفقون هو الغفو، وقرأ
الآخرون بالنصب على معنى: قل: أنفقوا الغفو،

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

٣٥

الْمِائَةُ الْخَامِسَةُ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَلْيَخَوِّنِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُنَافِقِينَ أَلْمُصْلِحِينَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمُ إِنَّا اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا مُمْسِكَةٌ بِهَا مَنِ الْمُشْرِكَةِ وَلَوْ أَعَجَبْتُمْ لَهُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعَجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحْضِيِّ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ مِمَّا عَنَّا لَوَالِ السَّاءِ فِي الْمَحْضِيِّ وَلَا تَقْرَبُوهُمْ حَتَّىٰ يَطْهَرُوا فَإِذَا تَطَهَّرُوا فَأَوْهُمْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْ شِئْتُمْ وَقَدْ مَوَّأَ لَأَنْفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْكُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

اليتيم وأكله بغير حق من الذي يقصد الإصلاح ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمُ﴾، أي: لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم، وقال ابن عباس: ولو شاء الله لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقاً لكم، وأصل العنت: الشدة والمشقة، ومعناه: كلفكم في كل شيء ما يشق عليكم، ﴿إِنَّا اللَّهُ عَزِيزٌ﴾، أي: عزيز في سلطانه وقدرته على الإعانات ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما صنع من تدبيره وترك الإعانات.

[٢٢١] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ قيل: الآية منسوخة في حق الكتابيات، لقوله تعالى: (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) [المائدة: ٥] وبخبر رسول الله ﷺ وبإجماع الأمة، روى الحسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ننزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا» فإن قيل: كيف أطلقتكم

واختلفوا في معنى العفو، فقال قتادة وعطاء والسدي: هو ما فُضِّلَ عن الحاجة، وكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم هذه الآية، ثم نسخ بآية الزكاة، وقال مجاهد: معناه التصديق عن ظهر غنى حتى لا يبقى كلاً على الناس، وقال عمرو بن دينار: الوسط من غير إسراف ولا إقتار وقال طاوس: ما يَسْرُ، والعفو اليسر من كل شيء ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

[٢٢٠] ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، قيل: معناه يبين الله لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة، فتحسبون من أموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا، وتتفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبى، وقال أكثر المفسرين معناها: هكذا يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون، وقيل: معناه يبين الله لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا فيها، وفي إقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها. قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾، أي: الإصلاح لأموالهم من غير أجرة ولا أخذ عوض خير وأعظم أجراً لمالكم في ذلك من الثواب، وخير لهم لما في ذلك من توفر أموالهم عليهم، قال مجاهد: يُوسِعُ عليه من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم، ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾، هذه إباحة المخالطة، أي: إن تشاركوهم في أموالهم وتخلطوا بأموالهم في نفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم، فتصيبوا من أموالهم عوضاً عن قيامكم بأموالهم أو تكافئوهم على ما تصيبون من أموالهم، ﴿فَإَخَوِّنِكُمْ﴾، أي: فهم إخوانكم، والإخوان يُعين بعضهم بعضاً ويصيب بعضهم من أموال بعض على وجه الإصلاح والرضا، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُنَافِقِينَ﴾: لأموالهم ﴿مَنِ الْمُصْلِحِ﴾: لها، يعني: الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وإفساد مال

اسم الشرك على من لم ينكر إلا نبوة محمد ﷺ؟ قال أبو الحسن بن فارس: لأن من يقول القرآن كلام غير الله فقد أشرك مع الله غيره، وقال قتادة وسعيد ابن جبير: أراد بالمشركات الوثنيات، فإن عثمان تزوج نائلة بنت فَرَافِصَةَ وكانت نصرانية فأسلمت تحته، وتزوج طلحة بن عبد الله نصرانية ﴿وَلَأَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾: بجمالها ومالها، ﴿وَلَا تُكِبُّوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَوْمُوا﴾، هذا إجماع لا يجوز للمسلمة أن تنكح المشرك، ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ﴾، يعني المشركين ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾، أي: إلى الأعمال الموجبة للنار، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾، أي: بقضائه وقدره وإراداته، ﴿يَسْتَبِينَ عَالِيَهُ لِلنَّاسِ﴾، أي: أوامره ونواهيه، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتعظون.

[٢٢٣] قوله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ مقبلات ومدبرات ومستقلات، (أنى) حرف استفهام يكون سؤالاً عن الحال والمحل، معناه: كيف شئتم وحيث شئتم بعد أن يكون في صمام واحد، وقال عكرمة أنى شئتم: إنما هو الفرج، ومثله لكم أي: مزرع لكم ومنبت الولد بمنزلة الأرض التي تزرع، وفيه دليل على تحريم الأدبار، لأن محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ﴿وَقَدِّمُوا لَأَنفُسِكُمْ﴾، قال عطاء: التسمية عند الجماع، قال مجاهد: وقدموا لأنفسكم يعني: إذا أتى أهله فليدع وقيل: قدّموا لأنفسكم يعني: طلب الولد وقيل: هو التزوج بالعفاف ليكون الولد صالحاً وقال الكلبي والسدي: وقدّموا لأنفسكم يعني: الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقَوْنَ﴾: صائرون إليه فيجزىكم بأعمالكم، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٢٢٤] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ أي: لا تجعلوا الحلف بالله سبباً مانعاً لكم من البر والتقوى، يدعى أحذكم إلى صلة رحم

[٢٢٢] قوله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ أي: عن الحيض، وهو مصدر حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً، كالسير والمسير، وأصل الحيض الانفجار والسيلان، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾ أي: قدر، والأذى كل ما يُكره من كل شيء، ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ أراد بالاعتزال ترك الوطء، ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾ أي: لا تجامعوهن، أما الملامسة والمضاجعة معها فجائزة ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾، قرأ عاصم برواية أبي بكر وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء، حتى يغتسلن، وقرأ الآخرون بسكون الطاء وضم الهاء مخفف، ومعناه: حتى يطهرن من الحيض وينقطع دمهن، ﴿فَإِذَا نَظَّهْنَ﴾ يعني: اغتسلن ﴿فَأَتَوْهُنَّ﴾، أي: فجامعوهن، ﴿مِّنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: من حيث أمركم أن تعتزلوهن منه وهو الفرج، قال مجاهد وقتادة وعكرمة وقال ابن عباس: طؤوهن في الفرج ولا تعدوه إلى غيره، أي: اتقوا الأدبار، وقيل: من حيث بمعنى في حيث أمركم الله تعالى وهو الفرج، وقيل: فأتوهن

فهو يمين اللغو عندهم.

[٢٢٦] قوله تعالى: ﴿لَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾، يؤلون أي: يحلفون، والآية: اليمين، والمراد من الآية اليمين على ترك وطء المرأة قال سعيد بن المسيب: كان ذلك من ضرار أهل الجاهلية، وكان الرجل لا يحب امرأته ولا يريد أن يتزوج بها غيره، فيحلف أن لا يقربها أبداً فيتركها لا أيماً ولا ذات بعل، وكانوا عليه في ابتداء الإسلام، فضرب الله له أجلاً في الإسلام قوله تعالى: (تَرِيصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ)؛ أي: انتظار أربعة أشهر، والتريص: الثبت والتوقف، ﴿فَإِنْ فَأَوْ﴾: رجعوا عن اليمين بالوطء، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾، وإذا وطئ في الفرج عن الإيلاء، وتجب عليه كفارة اليمين عند أكثر أهل العلم، وقال الحسن وإبراهيم النخعي وقتادة: لا كفارة عليه لأن الله تعالى وعد بالمغفرة، فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾، وذلك عند الأكثرين في سقوط العقوبة لا في الكفارة.

[٢٢٧] ﴿وَإِنْ عَرِمُوا طَلَّاقٌ﴾، أي: حققوه بالإيقاع، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لقولهم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بنياتهم، وفيه دليل على أنها لا تطلق بعد مضي المدة ما لم يطلقها زوجها، لأنه شرط فيه العزم، وقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، فدل على أنه يقضي مسموعاً، والقول هو الذي يسمع.

[٢٢٨] قوله تعالى: ﴿وَالطَّلَاقُ﴾، أي: المخليات من حبال أزواجهن، ﴿يَرِيصُ﴾: ينتظرون ﴿بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾، فلا يتزوجن، والقروء: جمع قرء مثل قرع، وجمعه القليل: أقرؤ، والجمع الكثير: أقرأ، واختلف أهل العلم في القرء فذهب جماعة إلى أنها الحيض، وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس، وبه قال الحسن ومجاهد، وإليه ذهب الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي، واحتجوا بأن النبي ﷺ قال

أو بر، فيقول: حلفت بالله أن لا أفعله فيعتل بيمينه في ترك البر، ﴿أَنْ تَبْرُوا﴾، معناه: أن لا تبروا، كقوله تعالى: (يبين الله لكم أن تضلوا) أي: لئلا تضلوا، ﴿وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٢٢٥] قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْنِكُمْ﴾ اللغو كل ساقطٍ مطروح من الكلام لا يعتد به، واختلف أهل العلم في لغو اليمين المذكورة في الآية، فقال قوم: هو ما يسبق إلى اللسان على عجلة لصلة الكلام من غير عقدٍ وقصد، كقول القائل لا والله وبلى والله وكلاً والله، ويروى عن عائشة أيمان اللغو: ما كانت في الهزل والمراء والخصومة، والحديث الذي لا يعقد عليه القلب، وقال قوم: هو أن يحلف عن شيء يرى أنه صادق فيه، ثم يتبين له خلاف ذلك، وقال علي: الغضب، وقال سعيد بن جبير: هو اليمين في المعصية لا يؤاخذ الله بالحنث فيها، وقال زيد بن أسلم: هو دعاء الرجل على نفسه، كقول الإنسان: أعمى الله بصري أن أفعل كذا، فهذا كله لغو لا يؤاخذ الله به، ولو آخذهم به لعجل لهم العقوبة ﴿وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ﴾، أي عزمتم وقصدتم إلى اليمين، وكسب القلب: العقد والنية، ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ حَلِيمٌ﴾، واعلم أن اليمين لا تنعقد إلا بالله أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته فاليمين بالله أن يقول: والذي أعبدته والذي أصلي له والذي نفسي بيده، ونحو ذلك، واليمين بأسمائه كقوله: والله والرحمن ونحوه، واليمين بصفاته كقوله: وعزة الله وعظمة الله وجلال الله وقدره الله ونحوهما، فإذا حلف بشيء منها على أمر في المستقبل، فحنث يجب عليه الكفارة، وإذا حلف على أمر ماضٍ أنه كان ولم يكن، أو على أنه لم يكن وقد كان، إن كان عالماً به حالة ما حلف فهو اليمين الغموس وهو من الكبائر وإن كان جاهلاً

يأخذ من امرأته شيئاً مما آتاها إلا يكون النشوز من قبلها، فقالت: لا أطيع لك أمراً ولا أطأ لك مضجعاً ونحو ذلك، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾، أي: فيما افتدت به المرأة نفسها منه، قال الفراء: أراد بقوله: (عليهما) الزوج دون المرأة، فذكرهما جميعاً لاقترانهما، كقوله تعالى: (نسيا حوتهما) وإنما الناسي فتى موسى دون موسى، وقيل: أراد أنه لا جناح عليهما جميعاً، لا جناح على المرأة في النشوز إذا خشيت الهلاك والمعصية، ولا فيما افتدت به وأعطت به المال لأنها ممنوعة من إتلاف المال بغير حق، وعلى الزوج فيما أخذ منها من المال إذا أعطته طائعة، وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الخلع جائز على أكثر مما أعطائها، وقال الزهري: لا يجوز بأكثر مما أعطائها من المهر، وقال سعيد بن المسيب: لا يأخذ منها جميع ما أعطائها بل يترك شيئاً، ويجوز الخلع على غير حال النشوز، غير أنه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب. قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، أي: هذه أوامر الله ونواهيه، وحدود الله ما منع الشرع من المجاوزة عنه، ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾، فلا تتجاوزوها، ﴿وَمَنْ يَعْصِ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٢٣٠] قوله تعالى: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا﴾، يعني: الطلقة الثالثة، ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾، أي: من بعد الطلقة الثالثة، ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾، أي: غير المطلق فيجامعها، والنكاح يتناول الوطء والعقد جميعاً قوله تعالى: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾، يعني: فإن طلقها الزوج الثاني بعدما جامعها فلا جُنَاحَ عليهما، يعني: على المرأة وعلى الزوج الأول أن يتراجعا، يعني: بنكاح جديد ﴿إِنْ طَلَّأَا﴾، أي: عَلِمَا، وقيل: رجوا، لأن أحداً لا يعلم ما هو

(١) رواه مختصرًا أبو داود في الطلاق ١٤٣/٣، والنسائي في الطلاق ١٨٦/٦ وابن جرير في التفسير ٥٥٤/٤.

ثم راجعها، بقصد مضارتها، فنزلت هذه الآية: ﴿أَطْلُقَ مَرَّتَانِ﴾، يعني: الطلاق الذي يملك الرجعة عقوبة مرتان، فإذا طلق ثلاثاً فلا تحل له إلا بعد نكاح زوج آخر، قوله تعالى: ﴿فَإِنْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ﴾، قيل: أراد بالإمساك الرجعة بعد الثانية، والصحيح أن المراد منه الإمساك بعد الرجعة، يعني: إذا راجعها بعد الطلقة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف، والمعروف كل ما يعرف في الشرع من أداء حقوق النكاح وحسن الصحبة، ﴿أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنٍ﴾، وهو أن يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾: أعطيتموهن شيئاً من المهور وغيرها، ثم استثنى الخلع، فقال: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: نزلت في جميلة بنت عبد الله ابن أبي أوفى، ويقال في حبيبة بنت سهل، كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس، وكانت تبغضه وهو يُحبّها أتت رسول الله ﷺ فشكت إليه زوجها وقالت: يارسول الله لا أنا ولا هو، فأرسل رسول الله ﷺ إلى ثابت بن قيس، قال ثابت: يارسول الله قد أعطيتها حديقة فقل لها تردها عليّ وأخلي سبيلها، فقال لها: ترددين عليه حديقته وتملكين أمرك، قالت: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «يا ثابت خذ منها ما أعطيتها، وخلّ سبيلها» ففعل^(١) قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾، أي: يعلما أن لا يقيما حدود الله، قرأ أبو جعفر وحمزة ويعقوب (إِلَّا أَنْ يَخَافَا) بضم الياء، أي: يعلم ذلك منهما، يعني: يعلم القاضي والوالي ذلك من الزوجين، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾، فجعل الخوف لغير الزوجين، ولم يقل: فَإِنْ خَافَا، وقرأ الآخرون (يَخَافَا) بفتح الياء، أي: يعلم الزوجان من أنفسهما أن لا يقيما حدود الله، تخاف المرأة أن تعصي الله في أمر زوجها، ويخاف الزوج إذا لم تطعه امرأته أن يعتدي عليها فنهى الله الرجل أن

يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

[٢٣٢] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجْلِهِنَّ﴾، أي:

انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾،

أي: لا تمنعهن عن النكاح، والعضل: المنع،

وأصله الضيق والشدة، يقال: عضلت المرأة: إذا

نشب ولدها في بطنها فضاق عليه الخروج، والداء

العضال الذي لا يطاق علاجه ﴿إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ

بِالْمَعْرُوفِ﴾، بعقد حلال ومهر جائز، ﴿ذَلِكَ﴾، أي:

الذي ذكر من النهي ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، وإنما قال ذلك موحداً والخطاب

للأولياء، لأن الأصل في مخاطبة الجمع ذلكم

﴿ذَلِكَ أَرْزَى لَكُمْ﴾، أي: خير لكم، ﴿وَأَطْهَرُ﴾:

لقلوبكم من الريبة وذلك أنه كان في نفس كل واحد

منهما علاقة حيث لم يؤمن أن يتجاوز ذلك إلى غير

ما أحل الله لهما، ولم يؤمن من الأولياء أن يسبق

إلى قلوبهم منهما ما لعلهما أن يكونا بريئين من

ذلك فيأثمون، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾،

أي: يعلم من حب كل واحد منهما لصاحبه ما لا

تعلمون أنتم.

[٢٣٣] قوله تعالى: ﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾،

أي: المطلقات اللاتي لهن أولاد من أزواجهن

(يُرْضَعْنَ) خبر بمعنى الأمر وهو أمر استحباب لا

أمر إيجاب، لأنه لا يجب عليهن الإرضاع إذا كان

يوجد من يرضع الولد، لقوله تعالى في سورة

الطلاق: (فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُمْ) فإن

رغبت الأم في الإرضاع فهي أولى من غيرها،

﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، أي: سنتين، وذكر الكمال

للتأكيد، كقوله تعالى: (تلك عشرة كاملة) وقيل:

إنما قال كامليين لأن العرب قد تسمى بعض الحول

حولاً وبعض الشهر شهراً، كما قال الله تعالى:

(الحج أشهر معلومات)، وإنما هي شهران وبعض

الثالث، وقال: (فمن تعجل في يومين فلا إثم

عليه)، وإنما يتعجل في يوم وبعض يوم ويقال أقام

كائن إلا الله عز وجل، ﴿أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾، أي:

يكون بينهما الصلاح وحسن الصحبة، وقال

مجاهد: معناه إن علما أن نكاحهما على غير

دلسة، وأراد بالدلسة: التحليل، وذهب جماعة إلى

أنه إذا لم يشترط في النكاح مع الثاني أنه يفارقها،

فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل، ولها صداق

مثلها غير أنه يكره إذا كان في عزمها ذلك ﴿وَتِلْكَ

حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، يعني يعلمون ما

أمرهم الله تعالى به.

[٢٣١] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجْلِهِنَّ﴾، أي: أشرفن على أن تبين بانقضاء العدة،

ولم يرد حقيقة انقضاء العدة لأن العدة إذا انقضت

لم يكن للزوج إمساكها، فالبلوغ ههنا بلوغ مقاربة،

وفي قوله تعالى بعد هذا (فَلَنْ أَجْلِهِنَّ فَلَا

تَعْضُلُوهُنَّ)، حقيقة انقضاء العدة والبلوغ يتناول

المعنيين، يقال: بلغت المدينة إذا قربت منها إذا

دخلتها، ﴿فَأَسْكُوهُنَّ﴾، أي: راجعهن،

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ قيل: المراجعة بالمعروف أن يشهد على

رجعتها وأن يراجعها بالقول لا بالوطة، ﴿أَوْ

سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾، أي: اتركوهن حتى تنقضي

عدتهن فيكن أملك لأنفسهن، ﴿وَلَا تُنْكِسُوهُنَّ ضَرَارًا

لِئْتَدُوا﴾، أي: لا تقصدوا بالرجعة المضارة

بتطويل الحبس، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾،

أي: أضمر بنفسه بمخالفة أمر الله تعالى، ﴿وَلَا

تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزْوَاً﴾ قال الكلبي: يعني قوله

تعالى: (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)،

وكل من خالف أمر الشرع فهو متخذ آيات الله

هزواً، وقال أبو الدرداء: هو أن الرجل كان يطلق

امراته ثم يقول كنث لأعباً، ويعتق ويقول مثل

ذلك، وينكح ويقول مثل ذلك ﴿وَأَذْكُرُوا يَمَنَتَ اللَّهِ

عَلَيْكُمْ﴾: بالإيمان ﴿وَمَا أَرْزَلْ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾،

يعني: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، يعني: السنة، وقيل:

مواعظ القرآن ﴿يَعْظُمُ بِهِ﴾ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

٣٧

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعَنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
 سِرِّهِنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُنْكِسُوهُنَّ ضُرَارَ اللَّعْنَةِ وَأَمِنْ يَفْعَلِ
 ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَادْكُرُوا
 يَمَنَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ
 يَعْظُمُ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾
 وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعَنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْصِلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ
 أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ
 مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ لَكُمْ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ
 يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ
 حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْوَلَدِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
 وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ
 وَلَدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ
 فَإِنْ أَرَادَ اِفْصَالًا عَنْ تَرَاثُصٍ مِنْهُمَا وَشَاوَرِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ
 أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوهُنَّ أُولَدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا
 ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَالْفُقُورُ وَاللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾

الباقى من والدي المولود، بعد وفاة الآخر عليه،
 مثل ما كان على الأب من أجرة الرضاع والنفقة
 والكسوة، وقيل: ليس المراد منه النفقة بل معناه
 وعلى الوارث ترك المضارة، وبه قال الشعبي
 والزهرى، ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾، يعني: الوالدين،
 ﴿فِصَالًا﴾: فطامًا قبل الحولين ﴿عَنْ تَرَاثُصٍ مِنْهُمَا﴾،
 أي: اتفاق الوالدين، ﴿وَشَاوَرِ﴾، أي: يشاورون
 أهل العلم به حتى يُخْبِرُوا أَنَّ الْفُطَامَ فِي ذَلِكَ
 الوقت لا يضر بالولد، والمشاورة استخراج
 الرأي، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾، أي: لا حرج عليهما
 في الفطام قبل الحولين، ﴿وَلَكِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوهُنَّ
 أُولَدَكُمْ﴾، أي: لأولادكم مرضع غير أمهاتهم إذا
 أبت أمهاتهم إرضاعهم، أو تعذر لعلته بهن أو
 انقطاع لبن أو أردن النكاح، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا
 سَلَّمْتُمْ﴾، إلى أمهاتهم، ﴿مَا ءَاتَيْتُمْ﴾، ما سميت

فلان بموضع كذا حولين، وإنما أقام به حولًا
 وبعض آخر، فبين الله تعالى أنهما حولان كاملان
 أربعة وعشرون شهرًا، ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ﴾،
 أي: هذا منتهى الرضاعة، وليس فيها دون ذلك حدّ
 محدود، وإنما هو على مقدار صلاح الصبي وما
 يعيش به. ﴿وَعَلَى الْوَلَدِ لَهُ﴾، يعني: الأب،
 ﴿رِزْقُهُنَّ﴾: طعامهن، ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾: لباسهن،
 ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، أي: على قدر الميسرة، ﴿لَا تُكَلَّفُ
 نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾، أي: طاقتها، ﴿لَا تُضَارَّ وَلَدَةٌ
 بِوَلَدِهَا﴾ فينزح الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت
 بإرضاعه، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾، أي: لا تلقية
 المرأة إلى أبيه بعدما ألفتها تضار به ذلك، وقيل:
 معناه لا تضار والدة فتكره على إرضاعه إذا كرهت
 إرضاعه، وقيل الصبي من غيرها، لأن ذلك ليس
 بواجب عليها، ولا مولود له بولده، فيحتمل أن
 يعطي الأم أكثر مما يجب لها إذا لم يرتضع الولد
 من غيرها وعلى هذه الأقوال يرجع الضرر إلى
 الوالدين، يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب
 الولد، ويجوز أن يكون الضرر راجعًا إلى الصبي،
 أي: لا يضار كل واحد منهما الصبي، ولا تُرضعه
 الأم حتى يموت، أو لا يُنْفَقَ الأب، أو يترعه من
 الأم حتى يضر بالصبي، فعلى هذا تكون الباء
 زائدة، ومعناه: لا تضار والدة ولدها، ولا أب
 ولده، وكل هذه الأقاويل مروية عن المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾، اختلفوا
 في هذا الوارث، فقال قوم: هو وارث الصبي،
 معناه: وعلى وارث الصبي الذي لو مات الصبي
 وله مال ورثه مثل الذي كان على أبيه في حال حياته
 وذهب جماعة إلى أن المراد بالوارث هو الصبي
 نفسه الذي هو وارث أبيه المتوفى، يكون أجرة
 رضاعه ونفقته في ماله، فإن لم يكن له مال فعلى
 الأم، ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان، وهو
 قول مالك والشافعي رحمهما الله، وقيل: هو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرَوْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ
 أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
 فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
 ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ
 أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
 وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا
 وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ
 وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ
 مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى التَّوَسُّعِ
 قَدْرُهُ وَعَلَى الْمَقْدُورَةِ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْحَسَنِينَ
 ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
 لَهُنَّ فَرِيضَةً فَصِصْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ أَوْ يَعْفُوا
 الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى
 وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

الولي، وقيل: فيما فعلن من التزني للرجال زينة لا ينكرها الشرع ﴿بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، والإحداؤ واجب على المرأة في عدة الوفاة، أما المعتدة عن الطلاق ففيها نظر، فإن كانت رجعية لا إحداد عليها في العدة، لأن لها أن تضع ما يشوق قلب الزوج إليها ليُراجعها، وفي البائنة بالخلع والطلقات الثلاث قولان، أحدهما: الإحداد كالمتوفى عنها زوجها، وهو قول سعيد بن المسيب، وبه قال أبو حنيفة، والثاني: لا إحداد عليها، وهو قول عطاء، وبه قال مالك.

[٢٣٥] قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ﴾، أي: النساء المعتدات، وأصل التعريض: هو التلويح بالشيء، والتعريض في الكلام بما يفهم به السامع مراده من غير تصريح والتعريض بالخطبة مباح في العدة،

لهن من أجرة الرضاع، بقدر ما أرضعن، وقيل: إذا سلمتم أجور المراضع إليهن، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، قرأ ابن كثير (ما أتيتم) وفي الروم (وما أتيتم من ربا) بقصر الألف، ومعناه: ما فعلتم، يقال: أتييت جميلاً إذا فعلته، فعلى هذه القراءة يكون التسليم بمعنى الطاعة والانقياد، لا بمعنى تسليم الأجرة، يعني إذا سلمتم لأمره وانقذتم لحكمه، وقيل: إذا سلمتم للاسترضاع عن تراض واتفق دون الضرار، ﴿وَأَلْفُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٢٣٤] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾، أي: يموتون ويتوفى آجالهم، وتوفى واستوفى بمعنى واحد، ومعنى التوفى: أخذ الشيء وافيًا، ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾: يتركون أزواجًا، ﴿يَرَوْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، أي: يعتدون بترك الزينة والطيب والنقطة على فراق أزواجهن هذه المدة، إلا أن يكن حوامل فعدتهن بوضع الحمل، وكانت عدة الوفاة في الابتداء حولًا كاملاً لقوله تعالى: (والذين يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ)، ثم نُسخَت بأربعة أشهر وعشراً وإنما قال عشراً بلفظ المؤنث لأنه أراد الليالي، لأن العرب إذا أبهمت العدد بين الليالي والأيام غلبت عليها الليالي، فيقولون صمنا عشراً، والصوم لا يكون إلا بالنهار، وقال المبرد: إنما أنث العشر لأنه أراد المدة، أي: عشر مدد، كل مدة يوم وليلة، وإذا كان المتوفى عنها زوجها حاملاً فعدتها بوضع الحمل عند أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم، وروي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما: أنها تنتظر آخر الأجلين من وضع الحمل أو أربعة أشهر وعشراً. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، أي: انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، خطاب للأولياء، ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾، أي: من اختيار الأزواج دون العقد فإن العقد إلى

تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع، فيقول: آتاك الأربعة والخمسة، وأشباه ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾، هو ما ذكرنا من التعريض بالخطبة. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾، أي: لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى يبلغ الكتاب أجله، أي: حتى تنقضي العدة، وسماها الله: كتابًا، لأنها فرض من الله، كقوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ) أي: فرض عليكم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ أي: فخافوا الله ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لا يعجل بالعقوبة.

[٢٣٦] وقوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرِمُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾، أي: ولم تمسوهن ولم تفرضوا، نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يُسم لها مهرًا، ثم طلقها قبل أن يمسهَا، فنزلت هذه الآية (أو تفرضوا لهن فريضة) أي: توجبوا لهن صداقًا، فإن قيل: فما الوجه في نفي الجُنَاح عن المطلق؟ قيل: الطلاق قطع سبب الوصلة، وجاء في الحديث: «أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق»، فنفي الجُنَاح عنه إذا كان الفراق أروح من الإمساك، وقيل: معناه لا سبيل للنساء عليكم إن طلقتموهن من قبل المسيس، والفرض بصدق ولا نفقة، وقيل: لا جُنَاح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في أي وقت شتمت حائضًا كانت المرأة أو طاهرًا لأنه لا سُنَّة ولا بدعة في طلاقهن قبل الدخول بها، بخلاف المدخول بها، فإنه لا يجوز تطليقها في حال الحيض، ﴿وَتَعَوُّهُنَّ﴾، أي: أعطوهن ما يملكن ما يتمتعن به، والمتعة والمتاع: ما يُبْلَغ به من الزاد، ﴿عَلَى الْكُوسِ﴾، أي: على الغني، ﴿قَدَرُهُ﴾ وَعَلَى الْمَقْتَرِ، أي: الفقير، ﴿قَدَرُهُ﴾، أي: إمكانه وطاقته (مَتَاعًا) نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ، أي: متعوهن، ﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾، أي: بما أمركم الله به

وهو أن يقول: رَبُّ رَاغِبٍ فِيكَ، من يجد مثلك، إنك لجميلة، وإنك لصالحة، وإنك عليّ لكريمة، وإني فيك لراغب، وإنّ من غرضي أن أتزوج، وإن جمع الله بيني وبينك بالحلال أعجبني، ولئن تزوجتُك لأحسن إليك، ونحو ذلك من الكلام من غير أن يقول أنكحيني، والمرأة تحبّه بمثله إن رغبت فيه والتعريض بالخطبة جائز في عدة الوفاة، أما المعتدة عن فرقة الحياة يُنظر إن كانت ممن لا يحل لمن بانّت من نكاحها كالمطلقة ثلاثًا، والمُبَانَةُ بِاللَّعَانِ والرضاع، فإنه يجوز خطبتها تعريضًا، وإن كانت ممن يحل للزوج نكاحها كالمختلعة والمفسوخ نكاحها، يجوز لزوجها خطبتها تعريضًا وتصريحًا، وهل يجوز للغير تعريضًا؟ فيه قولان، أحدهما: يجوز كالمطلقة ثلاثًا، والثاني لا يجوز لأن المعاودة ثابتة لصاحب العدة كالرجعية لا يجوز للغير تعريضًا بالخطبة، وهو قوله تعالى: (مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ) التماس النكاح وهي مصدر خَطَبَ الرجلُ المرأةَ يَخْطُبُ خِطْبَةً، وقال الأخفش: الخِطْبَةُ الذكر والخِطْبَةُ التشهد، فيكون معناه فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن ﴿أَوْ أَكَنَنْتُمْ﴾: أضمرتم، ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾، من نكاحهن، يقال: أَكَنَنْتُ الشَّيْءَ وَكَنَنْتُهُ لَغْتَانِ، وقال ثعلب: أَكَنَنْتُ الشَّيْءَ، أي: أخفيتُه في نفسي وكَنَنْتُهُ سَتَرْتُهُ، قال السدي: هو أن يدخل فيسَلِّمَ ويهدي إن شاء ولا يتكلم بشيء، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَرْتُمْ عَنْهَا قُلُوبَكُمْ﴾، وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا، اختلفوا في السر المنهي عنه، فقال قوم: هو الزنا، قال زيد بن أسلم: أي: لا ينكحها سرًّا فيمسكها فإذا حلّت أظهر ذلك، وقال مجاهد: هو قول الرجل لا تفوتيني بنفسك فإني ناكحُك، وقال الشعبي والسدي: لا يُؤخذ ميثاقُها أن لا تنكح غيره، وقال عكرمة: لا ينكحها ولا يخطبها في العدة، قال الشافعي: السرّ هو الجماع، وقال الكلبي: أي لا

من غير ظلم، ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾.

بعض بإعطاء الرجل تمام الصداق أو ترك المرأة نصيبها، حثهما جميعاً على الإحسان، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٢٣٨] قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾، أي: واطبوا وذاوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها، وإتمام أركانها، ثم خص من بينها الصلاة الوسطى بالمحافظة عليها دلالة على فضلها، ووُسْطَى تأنيث الأوسط، ووَسَطَ الشيء: خيره وأعدله، واختلف العلماء من الصحابة ومن بعدهم في الصلاة الوسطى فقال قوم: هي صلاة الفجر وذهب قوم إلى أنها صلاة الظهر وذهب الأكثرون إلى أنها صلاة العصر، رواه جماعة من رسول الله ﷺ، وقال قبيصة بن ذؤيب: هي صلاة المغرب لأنها وسط ليس بأقلها ولا أكثرها، وقال بعضهم: إنها صلاة العشاء، وقال بعضهم: هي إحدى الصلوات الخمس لا بعينها أبهما الله تعالى تحريضاً للعباد على المحافظة على أداء جميعها، كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان وساعة إجابة الدعوة في يوم الجمعة، وأخفى الاسم الأعظم في الأسماء ليحافظوا على جميعها. قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾، أي: مطيعين، والقنوت: الطاعة، وقيل: القنوت السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة وقال مجاهد: خاشعين، وقال: من القنوت طول الركوع، وغض البصر، والركود وخفض الجناح وقيل: المراد من القنوت طول القيام وقيل: قانتين أي: داعين وقيل: معناه مصلين.

[٢٣٩] قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا أَوْ رُكْبَانًا﴾، معناه: إن لم يُمكنكم أن تصلوا قانتين موفين للصلاة حقها لخوف، فصلّوا مشاةً على أرجلكم أو ركباناً على ظهور دوابكم، وهذا في حال المقاتلة والمُسايفة يصلي حيث كان وجهه، راجلاً أو راكباً مستقبل القبلة، وغير مستقبلها،

[٢٣٧] وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾، هذا في المطلقة بعد الفرض قبل المسيس، فلها نصف المفروض وإن مات أحدهما قبل المسيس فلها كمال المهر المفروض، والمراد بالمس المذكور في الآية: الجماع وقوله تعالى: (وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً) أي: سميت لهن مهراً فنصف ما فرضتم، أي: لها نصف المهر المُسمّى، ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ﴾، يعني: النساء، أي: إلا أن تترك المرأة نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج، قوله تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾، اختلفوا فيه فذهب بعضهم: إلى أن الذي بيده عُقْدَةُ النكاح هو الولي، معناه: أن لا تعفو المرأة بترك نصيبها إلى الزوج إن كانت ثيباً من أهل العفو أو يعفو وليها، فيترك نصيبها إن كانت المرأة بكرًا، أو غير جائزة العفو فيجوز عفو وليها وذهب بعضهم إلى أنه إنما يجوز عفو الولي إذا كانت المرأة بكرًا، فإن كانت ثيباً فلا يجوز عفو وليها، وقال بعضهم: الذي بيده عُقْدَةُ النكاح هو الزوج وقالوا: لا يجوز لوليها ترك الشيء من الصداق بكرًا كانت أو ثيباً كما لا يجوز له ذلك قبل الطلاق بالاتفاق، كما لا يجوز له أن يهب شيئاً من مالها، وقالوا: معنى الآية أن لا تعفو المرأة بترك نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج، أو يعفو الزوج بترك نصيبه فيكون لها جميع الصداق، فعلى هذا التأويل وجه الآية: الذي بيده عُقْدَةُ النكاح نكاح نفسه في كل حال قبل الطلاق أو بعده، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، أي: والعفو أقرب للتقوى أي: إلى التقوى، والخطاب للرجال والنساء جميعاً، لأن المذكر والمؤنث إذا اجتماعاً، كانت الغلبة للمذكر، معناه، وعفو بعضكم عن بعض أقرب للتقوى ﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، أي: إفضال بعضكم على

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٩

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِينَ ﴿٣٩﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤١﴾ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتْنَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٤٢﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَسْأَلُ النَّاسَ لَا يَسْكُرُونَ ﴿٤٤﴾ وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٥﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٦﴾

زوجها حولًا غير واجب عليها، خيرها الله تعالى بين أن تقيم حولًا ولها النفقة والسكنى، وبين أن تخرج فلا نفقة ولا سكنى، إلى أن نسخه بأربعة أشهر وعشرا، ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

[٢٤١] ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتْنَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، إنما أعاد ذكر المتعة ههنا لزيادة معنى وذلك أن في غيرها بيان حكم غير الممسوسة، وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة، وقيل: إنه لما نزل قوله تعالى: (ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) إلى قوله: (حقًا على المحسنين) قال رجل من المسلمين: إن أحسنت فعلت وإن لم أر ذلك لم أفعل، فقال الله تعالى: (وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتْنَعٌ)، جعل المتعة لهن بلام التملك، وقال: (حقًا على المتقين) يعني: المؤمنين المتقين الشرك.

ويومي بالركوع والسجود، ويجعل السجود أخفض من الركوع، وكذلك إذا قصده سبع أو غشيه سيل يخاف منه على نفسه فعدا أمامه مصليًا بالإيماء يجوز، والصلاة في حال الخوف على أقسام، فهذه أحد أقسام شدة صلاة الخوف ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾، أي: فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها، ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

[٢٤٠] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾: يا معشر الرجال، ﴿وَيَذَرُونَ﴾، أي: يتركون ﴿أَزْوَاجًا﴾ أي: زوجات، ﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾، قرأ أهل البصرة ﴿وَصِيَّةً﴾ بالنصب على معنى: فليوصوا وصية، وقرأ الباقون بالرفع، أي: كتب عليكم الوصية ﴿مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾، متاعًا نصب على المصدر، أي: متعوهن متاعًا، وقيل: جعل الله ذلك لهن متاعًا، والمتاع: نفقة سنة لطعامها وكسوتها وسكنيها وما تحتاج إليه، ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾، نصب على الحال وقيل: بنزع حرف على الصفة، أي: من غير إخراج وكانت عدة الوفاة في ابتداء الإسلام حولًا كاملاً وكان يحرم على الوارث إخراجها من البيت قبل تمام الحول، وكانت نفقتها وسكنيها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم تخرج، لم يكن لها الميراث، فإن خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها، وكان على الرجل أن يوصي بها، فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث، ففسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع والثمن، ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشرا. قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَرَجَ﴾، يعني: من قبل أنفسهن قبل الحول من غير إخراج الورثة، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت، ﴿فِي مِمَّا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾، يعني: التزين للنكاح، ولرفع الجناح عن الرجال وجهان، أحدهما: لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن إذا خرجن قبل انقضاء الحول والآخر: لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج، لأن مقامها في بيت

[٢٤٢] ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

[٢٤٣] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ (ألم تر) أي: ألم تعلم بإعلامي إياك، وهو من رؤية القلب، وقال أهل المعاني: هو تعجيب يقول: هل رأيت مثلهم كما تقول ألم تر إلى ما يصنع فلان ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾، جمع ألف، وقيل: مؤتلفة قلوبهم جمع ألف، مثل قاعد وقعود، والصحيح: أن المراد منه العدد، ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾، أي: خوف الموت، ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾، أمر تحويل، كقوله تعالى: (كونوا قردة خاسئين)، ﴿ثُمَّ أَخْبَهُمْ﴾، بعد موتهم ﴿إِنَّا اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾، قيل هو على العموم في حق الكافة، وقيل على الخصوص في حق المؤمنين، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، أما الكفار فلم يشكروا، وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية الشكر.

[٢٤٤] ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: في طاعة الله أعداء الله ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، قال أكثر أهل التفسير: هذا خطاب للذين أحيوا، أمروا بالقتال في سبيل الله فخرجوا من ديارهم فراراً من الجهاد فأماتهم الله ثم أحياهم وأمرهم أن يُجاهدوا، وقيل: الخطاب لهذه الأمة أمرهم بالجهاد.

[٢٤٥] قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، القرض: اسم لكل ما يعطيه الإنسان ليجازي عليه، فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له على رجاء ما عد لهم من الثواب قرضاً، لأنهم يعملونه لطلب ثوابه، قال الكسائي: القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سيئ، وأصل القرض في اللغة: القطع، سمي به القرض لأنه يقطع به من ماله شيئاً يُعطيه ليرجع إليه مثله، وقيل في الآية اختصار مجازه: من ذا الذي يقرض عباد الله

والمحتاجين من خلقه وقوله عز وجل: (يُقْرِضُ اللَّهُ) أي: يتفق في طاعة الله قرضاً حسناً، قال الحسين ابن علي الواقيدي يعني: محتسباً طيبة به نفسه. قال ابن المبارك: من مالٍ حلال، وقال لا يمن به ولا يؤذي ﴿فَيَضَعُكُمْ لَهُۥٓ أَصْحَافًا كَثِيرَةً﴾ قال السدي: هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله عز وجل وقيل سبعمائة ضعف، ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْطِطُ﴾ قيل: يقبض بإمساك الرزق والنفس والتقتير، ويسط بالتوسيع وقيل: يقبض بقبول التوبة والصدقة، ويسط بالخلف والثواب، وقيل: هو الإحياء والإماتة فمن أماته فقد قبضه ومن مد له في عمره فقد بسط له، وقيل هذا في القلوب لما أمرهم الله تعالى بالصدقة أخبر أنهم لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه، قال يقبض بعض القلوب فلا ينشط بالخير ويسط بعضها فيقدم لنفسه خيراً ﴿وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ﴾، أي: إلى الله تعودون فيجزىكم بأعمالكم، وقال قتادة، الهاء راجعة إلى التراب كناية من غير مذكور أي: من التراب خلقهم وإليه يعودون.

[٢٤٦] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِثْقَ إِسْرَءِيلَ﴾، والملائ من القوم: وجوههم وأشرفهم، وأصل الملائ: الجماعة من الناس، ولا واحد له من لفظه، كالقوم والرهط والإبل والخيول والجيش، وجمعه أملاء، ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾، أي: من بعد موت موسى، ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ﴾ واختلّفوا في ذلك النبي، فقال قتادة: هو يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف عليه السلام، وقال السدي: اسمه شمعون وقال سائر المفسرين هو أشمويل وهو بالعبرانية إسماعيل قال وهب بن منبه: بعث الله تعالى أشمويل نبياً فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال، ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان، فقالوا لأشمويل: ﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، جزم على جواب الأمر، فلما قالوا له ذلك، ﴿فَقَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ﴾، استفهام شك،

يقول: لعلكم ﴿إِنْ كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمْ﴾
 الْقِتَالُ، من ذلك الملك، ﴿أَلَا تَقْتُلُوا﴾، أن لا
 تَقُومُوا بما تقولون ولا تقاتلوا معه، ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا
 نَقْتُلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال الكسائي: معناه وما لنا
 في أن لا نقاتل، فحذف في، وقال الفراء: أي:
 وما يمنعنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقال
 الأخفش: أن ههنا زائدة معناه: وما لنا لا نقاتل في
 سبيل الله، ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَيْنَا﴾،
 أي: أخرج من غلب عليهم من ديارهم ظاهر
 الكلام العموم وباطنه الخصوص، لأن الذين قالوا
 لنبيهم: ابعث لنا ملكًا نقاتل في سبيل الله كانوا في
 ديارهم وأوطانهم، وإنما أخرج من أسر منهم،
 ومعنى الآية: أنهم قالوا مجيبين لنبيهم: إنما كنا
 نزهد في الجهاد إذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر
 علينا عدونا، فأما إذا بلغ ذلك منا فطبع ربنا في
 الجهاد، ونمنع نساءنا وأولادنا، قال الله تعالى:
 ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا عن
 الجهاد وضيعوا أمر الله، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾، وهم
 الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصرُوا على
 الغرفة، على ما سيأتي إن شاء الله تعالى، ﴿وَاللَّهُ
 عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

[٢٤٧] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ
 طَالُوتَ مَلِكًا﴾، وذلك أن أشمويل سأل الله تعالى
 أن يبعث لهم ملكًا فكان كذلك، ثم قال لبني
 إسرائيل: إن الله قد بعث لكم طالوت ملكًا،
 ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾، أي: من أين
 يكون له الملك علينا؟ ﴿وَيَخُذُ آخُذٌ﴾: أولى ﴿بِالْمُلْكِ
 مِنْهُ﴾؟ إنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل
 سبطان، سبط النوبة وسبط المملكة ولم يكن
 طالوت من أحدهما، إنما كان من سبط بنيامين بن
 يعقوب فلما قال لهم نبيهم ذلك، أنكروا عليه لأنه
 لم يكن من سبط المملكة، ومع ذلك قالوا: هو
 فقير، ﴿وَلَمْ يُوْتِ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالِ إِنَّ اللَّهَ

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا
 لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ
 هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا
 قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نَقْتُلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
 مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَيْنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا
 إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ
 لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
 قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ
 مِنْهُ وَلَمْ يُوْتِ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ
 عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ
 يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٨﴾
 وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
 التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
 تَرَكَ آءَالُ مُوسَى وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٩﴾

اصْطَفَاهُ﴾: اختاره ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾:
 فضيلة وسعة ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾، وذلك أنه
 كان أعلم بني إسرائيل في وقته، وقيل: إنه أتاه
 الوحي حين أوتي الملك، وقال الكلبي: (وَزَادَهُ
 بَسْطَةً) فضيلة وسعة في العلم بالحرب، وفي
 الجسم بالطول، وقيل: الجسم بالجمال، وكان
 طالوت أجمل رجل في بني إسرائيل وأعلمهم،
 ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
 عَلِيمٌ﴾، قيل: الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي
 عن غنى، والعليم بما يكون، فقالوا له: فما آية ملكه فقال
 لهم نبيهم: إن آية ملكه أن يأتكم التابوت.

[٢٤٨] فذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ
 إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾، وكانت
 قصة التابوت أن الله تعالى أنزل تابوتًا على آدم فيه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
 بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ
 مِنِّي إِلَّا مَنْ أَغْرَقَ عُرقَةً يَدِيهِ فَرَّسُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
 مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا
 لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ
 يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمَنْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٌ
 غَلَبَتْ فِتْنَةَ كَثِيرَةٍ إِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
 وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ
 عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
 الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَرَمُوهُمْ إِذْنِ اللَّهِ وَوَقَّتْ
 دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
 وَعَلَّمَهُ مَكَائِشَهُمْ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
 بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو
 فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ
 تَنْتَوَاهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

بِالْجُنُودِ، أي: خرج بهم، وأصل الفصل: القطع، يعني قطع مستقره شاخصاً إلى غيره، فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم يومئذ سبعون ألف مقاتل، وقيل: ثمانون ألفاً وكان في حرٍّ شديد فشكوا قِلَّةَ الماء بينهم وبين عدوهم، فقالوا: إن المياه قليلة لا تحملنا فادعُ الله أن يُجري لنا نهراً، ﴿قَالَ﴾ طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾: مختبركم ليرى طاعتكم وهو أعلم، (بنهر) قال ابن عباس والسدي: هو نهر فلسطين، وقال قتادة: نهر بين الأردن وفلسطين عذب، ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾، أي: من أهل ديني وطاعتي، ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾: لم يشربه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ إِلَّا مَنْ أَغْرَقَ عُرقَةً يَدِيهِ ﴿الغرفة بالضم الذي يحصل في الكف من الماء إذا غرف، والغرفة بالفتح: الاعتراف، فالضم اسم والفتح مصدر،

صورة الأنبياء عليهم السلام فكان عند آدم إلى أن مات ثم تداولته أنبياء بني إسرائيل وكان فيه ما ذكر الله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، اختلفوا في السكينة ما هي؟ فقيل هي ريح خجوج هفافة وقيل: شيء يشبه الهرة له رأس كراس الهرة فكانوا إذا سمعوا صوته يتقنوا بالنصرة وقيل: هي طشت من ذهب من الجنة وقيل: هي روح من الله يتكلم إذا اختلفوا في شيء يخبرهم ببيان ما يريدون وقيل: هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها وقيل: طمأنينة من ربكم، ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا، ﴿وَقِيَّتُهُ مِمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَى وَءَالُ هَارُونَ﴾، يعني: موسى وهارون نفسيهما، كان فيه لوحان من التوراة ورضاض الألواح التي تكسرت، وكان فيه عصا موسى ونعلاه، وعمامة هارون وعصاه، وقفير من المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل، فكان التابوت عند بني إسرائيل وكانوا إذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم، وإذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم، فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم العمالة فغلبهم على التابوت ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾، أي: تسوقه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت، وقال الحسن: كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعه بينهم، وقال قتادة: بل كان التابوت في التيه خلفه موسى فحملته الملائكة حتى وضعت في دار طالوت فأقروا بملكه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: لعبرة، ﴿لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية، وإنهما يخرجان قبل يوم القيامة.

[٢٤٩] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ

الملك والنبوة، ولم يكن كذلك من قبل كان الملك في سبط والنبوة في سبط، وقيل: الملك والحكمة هو: العلم مع العمل، قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُ مَكَا يَشْكَا﴾، قال الكلبي وغيره: يعني صنعة الدروع، وكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل إلا من عمل يده، وقيل: منطق الطير وكلام الجعل والنمل والذر وما أشبهها مما لا صوت لها، وقيل: هو الزبور، وقيل: هو الصوت الطيب والألحان ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: ولولا دفع الله الناس بجنود المسلمين لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد، وقال سائر المفسرين: لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار لهلكت الأرض بمن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر، وبالصالح عن الفاجر.

[٢٥٢] ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢٥٣] ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾، أي: كلمه الله تعالى يعني: موسى عليه السلام، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾، يعني: محمداً ﷺ ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنِينَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، أي: من بعد الرسل، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَنِينَ وَلَكِنْ أَخْلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ﴾، ثبت على إيمانه بفضل الله، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾، بخذلانته، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا لَوْ﴾، أعاده تأكيداً، ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، يوفق من يشاء فضلاً ويخذل من يشاء عدلاً.

[٢٥٤] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقِفُوا مِمَّا رَفَعْنَاكُمْ﴾، قال السدي: أراد به الزكاة المفروضة، وقال غيره: أراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير، ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بَيْعَ فِيهِ﴾ أي: لا فداء فيه، سمي بيعاً لأن الفداء شراء نفسه،

﴿فَتَرَبُّوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ لما وصلوا إلى النهر وقد ألقى الله عليهم العطش شرب منه الكل إلا القليل فمن اغترف غرفة كما أمر الله قوي قلبه وصح إيمانه، وعبر النهر سالماً وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه، والذين شربوا وخالفوا أمر الله اسودت شفاههم وغلبهم العطش، فلم يحضر القتال إلا الذين لم يشربوا، ﴿فَلَمَّا جَاؤُهُ﴾، يعني: النهر ﴿هُوَ﴾، يعني: طالوت، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، يعني: القليل، ﴿قَالُوا﴾، يعني: الذين شربوا وخالفوا أمر الله وكانوا أهل شك ونفاق، ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي: فانهرفوا ولم يجاوزوا، ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يستيقنون ﴿أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ﴾، وهم الذين ثبتوا مع طالوت ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ﴾: جماعة، وهي جمع لا واحد له من لفظه، وجمعها فئات وفؤن، في الرفع، وفئين في الخفض والنصب، ﴿قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِئَةُ كَثِيرَةٍ يَادِّينَ اللَّهُ﴾: بقضائه وقدره وإرادته، ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: بالنصر والمعونة.

[٢٥٥] ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾، يعني: طالوت وجنوده، يعني: المؤمنين، ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ المشركين، ومعنى برزوا: صاروا بالبراز من الأرض وهو ما ظهر واستوى منها، ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾: أنزل واصبب ﴿صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا﴾: قو قلوبنا، ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٥٦] ﴿فَهَزَمُوهُمْ يَادِّبُ اللَّهُ﴾، أي: بعلم الله تعالى، ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ قال الكلبي والضحاك: ملك داود بعد قتل طالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود. فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنسَأَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾، يعني: النبوة، جمع الله لداود بين

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾، ولا صداقة ﴿وَلَا شَفَعَةٌ﴾، إلا بإذن الله ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها.

[٢٥٥] قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الباقي الدائم على الأبد وهو من له الحياة، والحياة صفة الله تعالى القيوم قال مجاهد: القيوم القائم على كل شيء، قال الكلبي: القائم على كل نفس، وقيل: هو القائم بالأمور، وقال أبو عبيدة: الذي لا يزول ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، السنة النعاس، وهو النوم الخفيف، الوَسْنَانُ بين النائم واليقظان، يقال منه وَسِنٌ وَسَنٌ وَسَنًا وَسِنَّةً، والنوم هو: الثقل المزيل للقوة والعقل نفى الله تعالى عن نفسه النوم لأنه آفة وهو منزّه عن الآفات، ولأنه تُغير ولا يجوز عليه التغير ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ملكًا وخلقًا، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، بأمره ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، قال مجاهد وعطاء والسدي: ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة، وقال الكلبي: ما بين أيديهم، يعني: الآخرة لأنهم يقدمون عليها، وما خلفهم من الدنيا لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم، وقال ابن جريج: ما بين أيديهم: ما مضى أمامهم، وما خلفهم: ما يكون بعدهم، وقال مقاتل: ما بين أيديهم ما كان قبل الملائكة وما خلفهم، أي: ما كان بعد خلقهم، وقيل: ما بين أيديهم أي: ما قدموه من خير وشر، وما خلفهم ما هم فاعلوه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾، أي: من علم الله ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾، أن يطلعهم عليه، يعني: لا يحيطون بشيء من علم الغيب إلا بما شاء مما أخبر به الرسل، كما قال الله تعالى: (فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ) ومعنى قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، أي: سعة مثل سعة السموات والأرض ﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾، أي: لا يُثقله ولا يشق عليه، يقال: آدني الشيء أي أثقلني،

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

٤٢

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

﴿تِلْكَ الْأَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسُهَا مِمَّا رَزَقْنَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

﴿حِفْظُهُمَا﴾، أي: حفظ السموات والأرض، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾: الرفيع فوق خلقه، والمتعالي عن الأشياء والأنداد، وقيل: العلي بالملك والسلطنة، ﴿الْعَظِيمُ﴾: الكبير الذي لا شيء أعظم منه.

[٢٥٦] قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ لما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الأنصار فأرادت الأنصار استردادهم، وقالوا: هم أبناءنا وإخواننا، فنزلت هذه الآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «خَيِّرُوا أَصْحَابَكُمْ فَإِنْ اخْتَارُوكُمْ فَهُمْ مِنْكُمْ وَإِنْ اخْتَارَوْهُمْ فَأَجْلُوهُمْ مَعَهُمْ»^(١). وقال مجاهد: كان ناس مسترضعين في اليهود من الأوس فلما أمر النبي ﷺ بإجلاء بني النضير، قال الذين كانوا مسترضعين فيهم: لنذهبن

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٤٠٩/٥، والبيهقي في السنن ١٨٦/٩.

الْبَقَرَةُ

٤٣

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ
أَن ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَو كَالَّذِي مَرَّ
عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ
بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ
فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى
جَمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى
الْعِطَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

نمرود، وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض وادّعى الربوبية؟ ﴿أَن ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أي: لأن آتاه الله الملك فطغى أي: كانت تلك المحاجة من بطر الملك وطمغيانه واختلفوا في وقت هذه المناظرة، قال مقاتل: لما كسر إبراهيم الأصنام سجنه نمرود، ثم أخرجه ليحرقه بالنار، فقال له: من ربك الذي تدعون إليه؟ فقال: (ربّي الذي يحيي ويميت)، وقال آخرون: كان هذا بعد إلقائه في النار وذلك أن الناس فحطوا على عهد نمرود، وكان الناس يمتارون من عنده الطعام، فكان إذا أتاه الرجل في طلب الطعام سأله من ربك؟ فإن قال أنت باع منه الطعام، فأتاه إبراهيم فيمن أتاه، فقال له نمرود: من ربك؟ قال: (ربّي الذي يحيي ويميت) فاشتغل بالمحاجة ولم يعطه شيئاً قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي

مَعَهُم وَلَنَدِينَن بدينهم، فمنعهم أهلهم، فنزلت الآية ﴿فَدَتَّبَعْنَا الرَّسْدَ مِنَّا﴾ أي: الإيمان من الكفر والحق من الباطل، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾، يعني بالشیطان، وقيل: كل ما عبد من دون الله تعالى فهو طاغوت، وقيل: ما يطغى الإنسان فاعول، من الطغيان زيدت التاء فيه بدلاً من لام الفعل كقولهم: حانوت وتابوت، فالتاء فيها مبدل من هاء التانيث، ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾، أي: تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين، والوثقى: تأنيث الأوثق، وقيل: العروة الوثقى السبب الذي يوصل إلى رضا الله تعالى، ﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾: لا انقطاع لها ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لدعائك إياهم إلى الإسلام، ﴿عَلِيمٌ﴾: بحرصك على إيمانهم.

[٢٥٧] قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾:

ناصرهم ومعينهم، وقيل: محبهم، وقيل: متولي أمورهم لا يكلهم إلى غيره، وقال الحسن: ولي هدايتهم، ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، أي: من الكفر إلى الإيمان، قال الواقدى: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد منه: الكفر والإيمان غير التي في سورة الأنعام: (وجعل الظلمات والنور) فالمراد منه: الليل والنهار، سُمي الكفر ظلمة لانتباس طريقه، وسُمي الإسلام نوراً لوضوح طريقه، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾، قال مقاتل: يعني: كعب بن الأشرف وحبيبي بن أخطب وسائر رؤوس الضلالة، ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، يدعونهم من النور إلى الظلمات، والطاغوت يكون مذكراً ومؤنثاً وواحداً وجمعاً ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٥٨] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾، معناه: هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي حاج إبراهيم، أي خاصم وجادل، وهو

مَوْتَهَا ﴿٢٥٩﴾، ﴿فَأَمَّا اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثْنَا﴾، أي: أحياءه، ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾، أي: كم مكثت؟ يقال: لما أحياه الله بعث إليه ملكًا فسأله: كم لبثت ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾، وذلك أن الله تعالى أماته ضحى في أول النهار وأحياه بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيوبة الشمس، فقال كم لبثت؟ قال: لبثت يومًا وهو يرى أن الشمس قد غربت، ثم التفت فرأى بقية من الشمس، فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، بل بعض يوم، ﴿قَالَ﴾ له الملك: ﴿بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾، يعني: التين، ﴿وَسَرَابِكَ﴾، يعني: العصور، ﴿لَمْ يَنْسَنَّهُ﴾، أي: لم يتغير، فكان التين كأنه قُطف من ساعته، والعصير كأنه عُصر من ساعته، قال الكسائي: كأنه لم تأت عليه السنون، وإنما قال: (لم يتسنه) ولم يشنه مع أنه أخبر عن شيئين ردًا للمتغير إلى أقرب اللفظين به، وهو الشراب، واكتفى بذكر أحد المذكورين، لأنه في معنى الآخر ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى جِمَارِكَ﴾، فظن فإذا هو عظام بيض، فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض فكساه اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر، ﴿وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ معناه: ولنجعلك آية: عبرة ودلالة على البعث بعد الموت، قاله أكثر المفسرين، وقال الضحاك وغيره: إنه عاد إلى قريته شابًا وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز، وهو أسود الرأس واللحية، قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى أَعْظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا﴾، قرأ أهل الحجاز والبصرة: (نُشْرِهَا) بالراء، معناه: نحییها، يقال: أنشر الله الميت إنشارًا وأنشره نشورًا، قال الله تعالى: (ثم إذا شاء أنشره)، وقال في اللازم (وإليه النشور)، وقال الآخرون بالزاي، أي نرفعها من الأرض ونركب بعضها على بعض، وإنشاز الشيء: رفعه وإزعاجه، قال: أنشزته فنشز، أي: رفعته فارتفع، واختلفوا في معنى الآية، فقال الأكثرون: أراد به

الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴿٢٥٩﴾، وهذا جواب سؤال غير مذكور تقديره: قال له من ربك؟ قال إبراهيم: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، ﴿قَالَ﴾ نمروذ ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ قال أكثر المفسرين: دعا نمروذ برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل القتل إماتة، وترك القتل إحياء، فانتقل إبراهيم إلى حجة أخرى ليعجزه، فإن حجته كانت لازمة لأنه أراد بالإحياء إحياء الميت فكان له أن يقول فأحيي من أميت إن كنت صادقًا، فانتقل إلى حجة أخرى أوضح من الأولى ﴿قَالَ إِنْزِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِيهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾، أي: تحير ودُهِش وانقطعت حجته ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[٢٥٩] قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾، وهذه الآية مسوقة على الآية الأولى، تقديره: ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه، وهل رأيت كالذي مرَّ على قرية؟ وقيل: تقديره: هل رأيت كالذي حاج إبراهيم في ربه، وهل رأيت كالذي مرَّ على قرية؟ واختلفوا في ذلك المارِّ، فقال قتادة وعكرمة والضحاك: هو عزيز بن شرحيا، وقال وهب بن منبه: هو أرميا بن حلقيا، وكان من سبط هارون وهو الخضر، وقال مجاهد: هو كافر شك في البعث، واختلفوا في تلك القرية فقال وهب وعكرمة وقاتدة: هي بيت المقدس، وقال الضحاك: هي الأرض المقدسة وقيل: هي الأرض التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، وقيل: هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس، ﴿وَهِيَ خَآوِيَةٌ﴾: ساقطة، يقال: خوي البيت بكسر الواو يخوي، خوى مقصورًا إذا سقط وخوى البيت بالفتح خواء ممدودًا إذا خلا، ﴿عَلَى غُرُوشِهَا﴾: سقفها، واحدا عرش، وقيل: كل بناء عرش، ومعناه أن السقوف سقطت ثم وقعت الشيطان عليها، ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذَا اللَّهُ بَعْدَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٤

الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تَوْمِنَ قَالَ بَلَى وَلَئِن لِّيُطْمِئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾
مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَكْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا مِنَّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَآ بُطْلُوَا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ءَآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

به المشي دون الطيران وقيل: السعي بمعنى: الطيران، ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[٢٦١] قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فيه إضمار تقديره: مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم، ﴿كَمَثَلِ﴾، زارع ﴿حَبَّةٍ﴾، وأراد بسبيل الله: الجهاد، وقيل: جميع أبواب الخير، ﴿أَكْبَتَتْ﴾: أخرجت، ﴿سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾، جمع: سنبله، ﴿فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾، قيل: معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء، وقيل: معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾، غني يُعطي عن سعة، ﴿عَلِيمٌ﴾ بنية من ينفق ماله.

[٢٦٢] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: في طاعة الله ﴿ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا مِنَّا﴾ وهو أن يمنَّ عليه بعبادته، فيقول:

عظام حماره ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾، ثم كسى العظام لحماً فصار حماراً وقال قوم: أراد به عظام هذا الرجل، ذلك أن الله تعالى لم يُمت حماره بل أماته هو: فأحيا الله عينه، ورأسه وسائر جسده ميت، ثم قال: انظر إلى حمارك فنظر فرأى حماره قائماً واقفاً كهينة يوم ربطه حياً لم يُطعم ولم يشرب مائة عام، ونظر إلى الرمة في عنقه جديدة لم تتغير، وتقدير الآية: وانظر إلى حمارك وانظر إلى عظامك كيف ننشزها ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ذلك عياناً، ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾، قرأ حمزة والكسائي مجزوماً موصولاً على الأمر على معنى قال الله تعالى له: اعلم، وقرأ الآخرون (اعلم) بقطع الألف ورفع الميم على الخبر عن عزيز أنه قال لما رأى ذلك: أعلم، ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢٦٠] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ لأعين فازداد يقيناً فعاتبه الله تعالى، ﴿قَالَ أُولَئِمُ تَوْمِنَ قَالَ بَلَى﴾ يا رب علمت وآمنت، ﴿وَلَئِن لِّيُطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾، أي: ليسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة، أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين، لأن الخبر ليس كالمعاينة ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾، قرأ أبو جعفر وحمزة (فصُرهن إليك) بكسر الصاد، أي: قطعهن ومزقهن، يقال: صار يصير صيراً، إذا قُطع، وانصار الشيء انصاراً إذا انقطع، وقرأ الآخرون (فَصُرْهُنَّ) بضم الصاد، ومعناه: أملهن إليك ووجههن وقال عطاء معناه: اجمعهن واضمهن إليك ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ أراد بعض الجبال، قال المفسرون: أمر الله إبراهيم أن يذبح تلك الطيور، وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض، ففعل ثم أمره أن يجعل أجزاءها على الجبال ثم دعاهن فقال: تعالين بإذن الله فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾، قيل: المراد بالسعي الإسراع والعدو، وقيل: المراد

المنافق والمرايى والمؤمن الذي يمن بصدقة ويؤذي، ويُرى الناس في الظاهر أن لهؤلاء أعمالاً كما يرى التراب على هذا الصفوان، فإذا كان يوم القيامة بطل كله واضمحل لأنه لم يكن لله، كما أذهب الوايل ما على الصفوان من التراب فتركه صلياً ﴿لَا يَقْدُرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾، أي: على ثواب شيء مما كسبوا وعملوا في الدنيا ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٦٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ اتِّبَاعًا مَرَضَاتٍ أَلَّهِ﴾، أي: طلب رضا الله تعالى، ﴿وَتَثْبِيئًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، قال قتادة: احتساباً، وقال الشعبي والكلبي تصديقاً من أنفسهم، أي يخرجون الزكاة طيبة بها أنفسهم على يقين بالثواب، وتصديق بوعده الله، ويعلمون أن ما أخرجوا خير لهم مما تركوا، وقيل: على يقين بإخلاف الله عليهم ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾، أي: بستان، ﴿يَرْبُوهُ﴾ هي المكان المرتفع المستوي الذي تجري فيه الأنهار فلا يعلوه الماء ولا يعلو عن الماء، وإنما جعلها بربوة لأن النبات عليها أحسن وأزكى، ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ مطر شديد كثير، ﴿فَكَانَتْ أَكْثَلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾، أي: أضعفت في الحمل، قال عطاء: حملت في سنة من الربيع ما يحمل غيرها في سنتين، وقال عكرمة: حملت في السنة مرتين، ﴿فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾، أي: فطش وهو المطر الضعيف الخفيف، ويكون دائماً قال السدي: هو الندى، وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص، فيقول: كما أن هذه الجنة تُربع في كل حال ولا تُخلف سواء قلَّ المطر أو كثر، كذلك يُضعف الله صدقة المؤمن المخلص الذي لا يمن ولا يؤذي سواء قلت نفقته أو كثرت، وذلك أن الطل إذا كان يدوم يعمل عمل الوايل الشديد، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٢٦٦] ﴿أَبَدُ أَعْدَاكُمْ أَنْ تَكُونُوا لَكُمْ جَنَّةٌ مِّن

أعطيتك كذا، وَبَعْدَ نِعَمِهِ عَلَيْهِ فَيَكْذِبُهَا عَلَيْهِ ﴿وَلَا أَدَّى﴾، هو أن يُعيره فيقول: إلى كم تسأل وكم تؤذي؟ وقيل: من الأذى: وهو أن يذكر إنفاقه عليه عند من لا يحب وثوقه عليه، وقال سفيان: مثلاً ولا أذى، هو: أن يقول قد أعطيتك فما شكرت ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، أي: ثوابهم، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٢٦٣] ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾، أي: كلام حسن ورد على السائل جميل، وقيل، عدة حسنة، وقال الكلبي: دعاء صالح يدعو لأخيه بظهر الغيب ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: تستر عليه خلته ولا تهتك عليه ستره، وقال الكلبي والضحاك: يتجاوز عن ظالمه، وقيل: يتجاوز عن الفقير إذا استطال عليه عند رده، ﴿خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ﴾ يدفعها إليه، ﴿يَتَّبِعُهَا أَدَى﴾، أي: من وتعبير للسائل أو قول يؤذيه، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾، أي مستغن عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يُعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذي بالصدقة.

[٢٦٤] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَتَكُمْ﴾ أي: أجور صدقاتكم، ﴿بِالْمَنِّ﴾، على السائل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بالمن على الله تعالى، ﴿وَالْأَذَى﴾، لصاحبها ثم ضرب لذلك مثلاً فقال: ﴿كَأَلَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ﴾، أي: كإبطال الذي ينفق ماله ﴿رِقَاءَ النَّاسِ﴾، أي: مراة وسُمة ليروا نفقته ويقولوا: إنه كريم سخي، ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، يريد أن الرياء يُبطل الصدقة، ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين، وهذا للمنافقين لأن الكافر معلن بكفره غير مرايى، ﴿فَمَثَلُهُ﴾، أي: مثل هذا المرايى، ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾، وهو الحجر الأملس ﴿عَلَيْهِ﴾، أي على الصفوان، ﴿تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ﴾، وهو المطر الشديد العظيم القطر، ﴿فَتَرَكَهُ صَدَلًا﴾، أي: أملس، والصلد: الحجر الصلب الأملس الذي لا شيء عليه، فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة

تُخِيلُ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿٢٦٧﴾ يعني: أيحب أحدكم أن تكون له جنة أي: بستان، من نخيل وأعنان تجري من تحتها الأنهار؟ ﴿لَمْ يَكُنْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَمْ ذُرِّيَّةٌ مِّنْهُ﴾، أولاد صغار ضعاف عجزة، ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾، وهو الريح العاصف التي ترتفع إلى السماء كأنها عمود وجمعه أعاصير، ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ هذا مثل ضربته الله لعمل المنافق والمرائي، يقول: عمله في حسنه كحسن الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب الجنة بالجنة، فإذا كبر أو ضعف وصار له أولاد ضعاف أصاب جنته إعصار فيه نار فاحترقت، فصار أحوج ما يكون إليها وضعف عن إصلاحها لكبره وضعف أولاده عن إصلاحها لصغرهم، ولم يجد هو ما يعود به على أولاده ولا أولاده ما يعودون به عليه، فبقوا جميعاً متحيرين عجزة لا حيلة بأيديهم، كذلك يبطل الله عمل هذا المنافق والمرائي حين لا مغيث لهما ولا توبة ولا إقالة ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

[٢٦٧] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ من خيار ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾، بالتجارة والصناعة وفيه دلالة على إباحة الكسب، وأنه ينقسم إلى طيب وخبيث ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾، قيل: هذا أمر بإخراج العشور من الثمار والحبوب ﴿وَلَا تَيْمَمُوا﴾ معناه: لا تقصدوا، ﴿الْخَبِيثَاتِ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ قال الحسن ومجاهد والضحاك: كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورزالة أموالهم ويعملون الجيد ناحية لأنفسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَيْمَمُوا الْخَبِيثَاتِ﴾ الرديء (منه تُنْفِقُونَ) ﴿وَلَسْتُمْ بِخَافِيَةٍ﴾، يعني: الخبيث، ﴿إِلَّا أَنْ تُنْفِقُوا فِيهِ﴾ الإغماض: غرض البصر، وأراد ههنا: التجويز والمساهلة، معناه: لو كان لأحدكم على رجل حق فجاءه بهذا لم يأخذه إلا وهو يرى أنه قد أغمض له عن حقه وتركه، قال

الْبَقَرَةُ

٤٥

سُورَةُ

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنَسِيًّا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأْتَتْ أَكْثُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٨﴾ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعنان تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيْمَمُوا الْخَبِيثَاتِ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِخَافِيَةٍ﴾ إِلَّا أَنْ تُنْفِقُوا فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٩﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٧٠﴾

الحسن وقتادة: لو وجدتموه يُباع في السوق ما أخذتموه بسعر الجيد، وروي عن البراء قال: لو أهدي ذلك لكم ما أخذتموه إلا على استحياء من صاحبه وغيظ، فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن صدقاتكم، ﴿حَمِيدٌ﴾، محمود في أفعاله.

[٢٦٨] ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾، أي يخوفكم بالفقر، والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد، ومعنى الآية: أن الشيطان يخوفكم بالفقر، ويقول للرجل: أمسك عليك مالك فإنك إذا تصدقت به افتقرت، ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾، أي: بالبخل ومنع الزكاة، وقال الكلبي: كل الفحشاء في القرآن فهو الزنا إلا هذا، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ﴾، أي: لذنوبكم، ﴿وَفَضْلًا﴾ أي رزقاً وخلفاً، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾، غني ﴿عَلِيمٌ﴾.

[٢٦٩] قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾، قال السدي: هي النبوة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: عِلْمُ القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله، وقال الضحاك: القرآن والفهم فيه، وروى ابن أبي نجيح عنه: الإصابة في القول والفعل، وقال إبراهيم النخعي: معرفة معاني الأشياء وفهمها، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ حُكي عن الحسن قال: الورع في دين الله ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، قال الحسن: من أعطى القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لم يُوح إليه^(١). ﴿وَمَا يَذْكُرُ﴾: يتعظ، ﴿إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ذوو العقول.

[٢٧٠] قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾: فيما فرض الله عليكم، ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾، أي: ما أوجبتموه أنتم على أنفسكم في طاعة الله فوفيتم به، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُكُمْ﴾، يحفظه حتى يجازيكم به ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾، الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء ويتصدقون من الحرام ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾، من أعوان أن يدفون عذاب الله عنهم، وهي جمع نصير، مثل شريف أشرف.

[٢٧١] قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَصَدَّقْتُمْ﴾، أي: تُظهروها، ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾، أي: نعمت الخصلة هي، ﴿وَلِنْ تُخَفُّوْهَا﴾، تُسروها، ﴿وَتُؤْتُوْهَا الْفَقْرَاءَ﴾ أي: تؤتوها الفقراء في السر، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وأفضل وكل مقبول إذا كانت النية صادقة، ولكن صدقة السر أفضل وقيل: الآية في صدقة التطوع، أما الزكاة المفروضة فالإظهار فيها أفضل حتى يقتدي به الناس، كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل، والنافلة في البيت أفضل، وقيل: الآية في الزكاة المفروضة كان الإخفاء فيها خيرًا على عهد رسول الله ﷺ أما في زماننا فالإظهار أفضل حتى لا يُساء به الظن: قوله تعالى: ﴿وَيُكْفِّرُ﴾

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُكُمْ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧١﴾ إِنْ تَبَدُّوا لَصَدَّقْتُمْ فَإِنَّمَا هِيَ تَخَفُّوْهَا وَتُؤْتُوْهَا الْفَقْرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧٢﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٣﴾ لِلْفَقْرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٤﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالتَّهَارِيسِ زَكَاةً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٥﴾

عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي: ويكفر الله وقوله: (من سيئاتكم) قيل: (من) صلة، تقديره: نكفر عنكم سيئاتكم، وقيل: هو للتحقيق والتبعض، يعني: نكفر الصغائر من الذنوب، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٢٧٢] ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها، ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وأراد به هداية التوفيق ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: مال ﴿فَلَا تُنْفِسْكُمْ﴾، أي: تنفقونه لأنفسكم، ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ معناه نهي، أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾، شرط كالأول،

(١) روى الحاكم في المستدرک بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه»، الحديث.

ولذلك حذف النون منهما، ﴿يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ﴾، أي يوفر لكم جزاؤه، ومعناه: يؤدي إليكم، ولذلك دخل فيه إلى، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾، لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئاً، وهذا في صدقة التطوع أباح الله تعالى أن توضع في أهل الإسلام وأهل الذمة، فأما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها إلا في المسلمين.

[٢٧٣] قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اختلفوا في موضع هذه اللام، قيل: هي مردودة على موضع اللام من قوله: (فلأنفسكم) كأنه قال: وما تنفقوا من خير للفقراء، وإنما تنفقون لأنفسكم، وقيل: معناها الصدقات التي سبق ذكرها، وقيل: خبر محذوف تقديره: للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب وهم للفقراء المهاجرين، كانوا نحواً من أربعمئة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر وكانوا في المسجد يتعلمون القرآن وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ، وهم أصحاب الصفة، فحث الله تعالى عليهم الناس فكان من عنده فضل أتاهم به إذا أمسى، (الذين أحصرُوا في سبيل الله)، فيه أقاويل، قال قتادة: هم هؤلاء حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾، لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش، وهم أهل الصفة الذين ذكرناهم، وقيل: حبسوا أنفسهم على طاعة الله، وقيل: معناه حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله، وقيل: هؤلاء قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله ﷺ في الجهاد في سبيل الله فصاروا زَمَنِي أَحْصَرَهُم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله للجهاد، وقيل: من كثرة ما جاهدوا صارت الأرض كلها حرباً لهم فلا يستطيعون ضرباً في الأرض من كثرة أعدائهم، ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾، بحالهم، ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾، أي: من تعففهم عن

السؤال وقناعتهم يظن من لا يعرف حالهم أنهم أغنياء والتعفف الفعل من العفة وهي الترك، يقال: عف عن الشيء إذا كف عنه وتعفف إذا تكلف في الإمساك، ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾، السيماء والسمياء والسمة: العلامة التي يُعرف بها الشيء، واختلفوا في معناها ههنا، فقال مجاهد: هي التخشع والتواضع، وقال السدي: أثر الجهد من الحاجة والفقر، وقال الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع والضرر، وقيل: رثاءة ثيابهم، ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾، قال عطاء: إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاء وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداء، وقيل: معناه: لا يسألون الناس إلحافاً أصلاً، لأنه قال: (مِنَ التَّعَفُّفِ) والتعفف: ترك السؤال، ولأنه قال (تعرفهم بسيماهم)، ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت إلى معرفتهم بالعلامة حاجة، فمعنى الآية: ليس لهم سؤال فيقع فيه إلحاف، وإلحاف: الإلحاح واللجاج ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾، من مال، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، وعليه مجازي.

[٢٧٤] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالْهَرَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، قال الأخفش: جعل جواب الخبر بالفاء، لأن الذين بمعنى (من) وجوابها بالفاء في الخبر، أو معنى الآية: من أنفق كذا فله أجره عند ربه، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٢٧٥] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ أي: الذين يعاملون به، وإنما خص الأكل لأنه معظم المقصود من المال ﴿لَا يَقُومُونَ﴾، يعني يوم القيامة من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾، أي يصصره ﴿الشَّيْطَانُ﴾ أصل الخبط: الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء، يقال: ناقة خبوط للتي تطأ الناس وتضرب الأرض بقوائمها، ﴿مِنَ الْمَسِينِ﴾، أي: الجنون، يقال: مُسَّ الرجل

ولذلك حذف النون منهما، ﴿يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ﴾، أي يوفر لكم جزاؤه، ومعناه: يؤدي إليكم، ولذلك دخل فيه إلى، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾، لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئاً، وهذا في صدقة التطوع أباح الله تعالى أن توضع في أهل الإسلام وأهل الذمة، فأما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها إلا في المسلمين.

[٢٧٣] قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اختلفوا في موضع هذه اللام، قيل: هي مردودة على موضع اللام من قوله: (فلأنفسكم) كأنه قال: وما تنفقوا من خير للفقراء، وإنما تنفقون لأنفسكم، وقيل: معناها الصدقات التي سبق ذكرها، وقيل: خبر محذوف تقديره: للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب وهم للفقراء المهاجرين، كانوا نحواً من أربعمئة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر وكانوا في المسجد يتعلمون القرآن وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ، وهم أصحاب الصفة، فحث الله تعالى عليهم الناس فكان من عنده فضل أتاهم به إذا أمسى، (الذين أحصرُوا في سبيل الله)، فيه أقاويل، قال قتادة: هم هؤلاء حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾، لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش، وهم أهل الصفة الذين ذكرناهم، وقيل: حبسوا أنفسهم على طاعة الله، وقيل: معناه حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله، وقيل: هؤلاء قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله ﷺ في الجهاد في سبيل الله فصاروا زَمَنِي أَحْصَرَهُم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله للجهاد، وقيل: من كثرة ما جاهدوا صارت الأرض كلها حرباً لهم فلا يستطيعون ضرباً في الأرض من كثرة أعدائهم، ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾، بحالهم، ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾، أي: من تعففهم عن

الَّذِينَ

٤٧

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ
مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ
فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٦﴾
يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَالَّذِي لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٧﴾
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٩﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا
فَأَنذَرُا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رُدُّوهُ
أَمْوَالُكُمْ لَا تَطْلُمُونَ وَلَا تَظْلُمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَإِن كَانَتْ
ذُوعُسْرَةٌ فَنُظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ
اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨٢﴾

وليس إليه من أمر نفسه شيء ﴿وَمَنْ عَادَ﴾، بعد
التحريم إلى أكل الربا مستحلاً له، ﴿فَأُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٧٦] قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾، أي:
ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته، وقال الضحاك عن
ابن عباس رضي الله عنهما: يمحق الله الربا.
يعني: لا يقبل منه صدقة ولا جهاداً ولا حجاً ولا
صلة، ﴿وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾، أي: يثمرها ويبارك فيها
في الدنيا ويضاعف بها الأجر والثواب في العقبى،
﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾، بتحريم الربا، ﴿أَثِيمٍ﴾،
فاجر بأكله.

[٢٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٢٧٨] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا

فهو ممسوس إذا كان مجنوناً، ومعناه: أن أكل الربا
يُبعث يوم القيامة كمثله المصروع ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا
إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾، أي: ذلك الذي نزل بهم
لقولهم هذا واستحللهم إياه وذلك أن أهل
الجاهلية كان أحدهم إذا حلّ ماله على غريمه
فطالبه فيقول الغريم لصاحب الحق: زدني في
الأجل حتى أزيدك في المال، فيفعلان ذلك
ويقولون: سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح
أو عند المحل لأجل التأخير، فكذبهم الله تعالى
وقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾، واعلم أن
الربا في اللغة: الزيادة، والربا نوعان: ربا الفضل
وربا النسيء، فإذا باع مال الربا بجنسه مثلاً بمثل
بأن باع أحد النقدين بجنسه، أو باع مطعوماً
بجنسه، كالحنطة بالحنطة ونحوها يثبت فيه كلا
نوعي الربا، حتى لا يجوز إلا متساويين في معيار
الشرع، فإن كان موزوناً كالدرهم والدنانير فيشترط
المساواة في الوزن، وإن كان مكيلاً كالحنطة
والشعير بيع بجنسه، فيشترط المساواة في الكيل
ويشترط التقابض في مجلس العقد، وإذا باع مال
الربا بغير جنسه نُظر إن باع بما لا يوافقه في وصف
الربا مثل: إن باع مطعوماً بأحد النقدين فلا ربا
فيه، كما لو باعه بغير مال الربا، وإن باعه بما
يوافقه في الوصف مثل: إن باع الدراهم بالدنانير
أو باع الحنطة بالشعير أو باع مطعوماً بمطعوم آخر
من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا الفضل حتى يجوز
متفاضلاً أو جزافاً وثبت فيه ربا النسيء حتى يشترط
التقابض في المجلس ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾:
تذكير وتخويف، وإنما ذكر الفعل رداً إلى الوعظ،
﴿فَانتَهَى﴾، عن أكل الربا، ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي: ما
مضى من ذنبه، قبل النهي مغفور له، ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى
اللَّهِ﴾، بعد النهي إن شاء عصمه حيث يثبت على
الانتهاء، وإن شاء خذله حتى يعود، وقيل: أمره
إلى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه،

بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٩﴾

مدة معلومة الأول والآخر، والأجل يلزم في الثمن والمبيع في السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محله، وفي القرض لا يلزم الأجل عند أكثر أهل العلم، (فَاكْتُبُوهُ) أي: اكتبوا الذي تداينتم به بيعاً كان أو سَلَمًا أو قرضًا، واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم: هي واجبة، والأكثر على أنه أمر استحباب، فإن تُرِكَ فلا بأس بكفوله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ) وقال بعضهم: كانت كتابة الدين، والإشهاد والرهن فرضًا ثم نسخ الكل بقوله: (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي ائْتَمَنَّ أَمَانَتَهُ) وهو قول الشعبي، ثم بين كيفية الكتابة فقال جل ذكره: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْمَكْلِ﴾، أي: ليكتب كتاب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب بالعدل، أي: بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخير، ﴿وَلَا يَأْبَ﴾، أي لا يمتنع، ﴿كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾، واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد، فذهب قوم إلى وجوبها إذا طُوب، وهو قول مجاهد، وقال الحسن: يجب إذا لم يكن كاتب غيره، وقال قوم: هو على النذب والاستحباب، وقال الضحاك: كانت غريمة واجبة على الكاتب والشاهد، فنسخها قوله تعالى: (وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ)، ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي: كما شرعه الله وأمره، ﴿فَلْيَكْتُبْ وَيُلْبِسِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾، يعني: المطلوب يُقَرَّر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه، والإملاء والإملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد جاء بهما القرآن، فالإملاء هنا، والإملاء قوله تعالى: (فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بِكَرَّةٍ وَأَصِيلًا)، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾، يعني المملي، ﴿وَلَا يَخَسِرَ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أي: ولا ينقص منه أي من الحق الذي عليه شيئًا ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾، أي: جاهلاً بالإملاء، قاله مجاهد، وقال الضحاك والسدي: طفلًا صغيرًا، وقال الشافعي: السفه

بَقِيَ مِنَ الرِّبَا، إِذَا لَمْ تَقْعَلُوا، أي: إذا لم تذكروا ما بقي من الربا، ﴿فَاقْذَرُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، قرأ حمزة وعاصم برواية أبي بكر (فَاقْذَرُوا) بالمد، على وزن آمنوا، أي: فأعلموا غيركم أنكم حرب لله ورسوله، وأصله من الأذن، أي: وقعوا في الأذان وقرأ الآخرون (فَاقْذَرُوا) مقصورًا بفتح الذال، أي: فاعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله ﴿وَإِنْ ثَبُتَ﴾، أي: تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه، ﴿فَلََكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَطْلُبُونَ﴾، بطلب الزيادة ﴿وَلَا تَقْلُبُونَ﴾، بالنقصان عن رأس المال.

﴿٢٨٠﴾ ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾، يعني: وإن كان الذي عليه الدين مُعْسِرًا ﴿فَنَظَرَةٌ﴾ أمر في صيغة الخبر، تقديره: فعليه نظرة، ﴿إِلَّا مِيسَرَةً﴾، قرأ نافع (مِيسَرَةً) بضم السين، وقرأ الآخرون بفتحها، وقرأ مجاهد (مِيسَرَةً) بضم السين مضافًا، ومعناه: اليسار والسعة، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾، أي: تتركوا رؤوس أموالكم إلى المُعْسِر، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿٢٨١﴾ قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، قرأ أهل البصرة بفتح التاء، أي: تصيرون إلى الله، وقرأ الآخرون بضم التاء وفتح الجيم، أي: تُرْجَعُونَ إِلَى اللَّهِ تعالى، ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ.

﴿٢٨٢﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما حَرَّمَ الله الربا أباح السلم، وقال أشهد أن السلم المضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله تعالى في كتابه وأذن فيه، ثم قرأ هذه الآية.

قوله: (إِذَا تَدَايَنْتُمْ) أي: تعاملتم بالدين، يقال: دايته إذا عاملته بالدين (إلى أَجَلٍ مسمى)، الأجل

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

٤٨

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

يَتَّيْنَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَمْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَآكُتُبُوهُ وَيُكْتَبُ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا
فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَنْ يُعْلِلَ هُوَ فليُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ
مِنْ رِّجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ
مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا
أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَفْسَطُ
عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَقَلَّعُوا فَالْتَمُوا فُسُقٍ بِكُمْ وَأَتَّقُوا
اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

مخيرون، وهو قول الحسن، وقال قوم: هو أمر
ندب وهو مخير في جميع الأحوال وقال بعضهم؛
هذا في إقامة الشهادة وأدائها، فمعنى الآية: ولا
يأب الشهداء إذا ما دعوا لأداء الشهادة التي
تحملوها قال الشعبي: الشاهد بالخيار ما لم يُشهد
﴿وَلَا تَسْمَعُوا﴾ أي: ولا تملوا ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾، الهاء
راجعة إلى الحق، ﴿صَغِيرًا﴾ كان الحق، ﴿أَوْ
كَبِيرًا﴾، قليلاً كان أو كثيراً، ﴿إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾، إلى
محل الحق، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: الكتاب، ﴿أَفْسَطُ﴾،
أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾، لأنه أمر به، واتباع أمره أعدل
من تركه، ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ لأن الكتابة تُذكر
الشهود، ﴿وَأَدْنَىٰ﴾ وأحرى وأقرب إلى، ﴿أَلَّا
تَرْتَابُوا﴾ تشكوا في الشهادة ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً
حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ تقديره: إلا أن تكون
تجارة حاضرة دائرة بينكم، ومعنى الآية: إلا أن

المبذر المفسد لما له أو في دينه، قوله: ﴿أَوْ
صَغِيرًا﴾ أي: شيخاً كبيراً، وقيل: هو ضعيف
العقل لعتوه أو جنون ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْلِلَ هُوَ﴾،
لخرس أو عمى أو عجمة أو حبس أو غيبة لا يمكنه
حصول الكتابة أو جهل بما له وعليه، ﴿فليُمْلِلْ
وَلِيُّهُ﴾ أي: قيمه، ﴿بِالْعَدْلِ﴾ أي: بالصدق
والحق، وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل:
أراد بالولي صاحب الحق، يعني إن عجز من عليه
الحق من الإملال فيملل ولي الحق وصاحب الدين
بالعدل لأنه أعلم بالحق ﴿وَاسْتَشْهِدُوا﴾ أي:
وأشهدوا، ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ أي: شاهدين ﴿مِنْ
رِّجَالِكُمْ﴾ يعني: الأحرار المسلمين دون العبيد
والصبيان، وهو قول أكثر أهل العلم، وأجاز شريح
وابن سيرين شهادة العبيد، ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾
أي: لم يكن الشاهدان رجلين، ﴿فَرَجُلٌ
وَامْرَأَتَانِ﴾ أي: فليشهد رجل وامرأتان، وأجمع
الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في
الأموال واختلفوا في غير الأموال واتفقوا على أن
شهادة النساء غير جائزة في العقوبات. قوله تعالى:
﴿مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ﴾ يعني: من كان مرضياً في
ديانته وأمانته، وشرائط قبول الشهادة سبعة:
الإسلام، والحرية، والعقل، والبلوغ، والعدالة،
والمروءة، وانتفاء التهمة ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا
فَتُذَكَّرَ﴾ معنى الآية فرجل وامرأتان كي تذكر
﴿إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾، ومعنى تضل أي: تنسى، يريد
إذا نسيت إحداها شهادتها فتذكرها الأخرى،
فتقول: ألسنا حضرنا مجلس كذا، وسمعنا كذا
(وذكر) و(واذكر) بمعنى واحد، وهما متعديان، من
الذكر الذي هو ضد النسيان ﴿وَلَا يَأْبَ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا
دُعُوا﴾، قيل أراد به ما دُعوا لتحمل الشهادة،
سمّاهم شهداء على معنى أنهم يكونون شهداء،
وهو أمر إيجاب عند بعضهم، وقال قوم: تجب
الإجابة إذا لم يكن غيرهم، فإن وجد غيرهم فهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٩

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَهُ﴾
 فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ، وَلْيَتَّقِ
 اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ
 عِندَ اللَّهِ قَلْبُهُ عَالٍمٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ
 يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ
 وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾
 إِلَيْهِ مِنَ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ
 وَرُسُلِهِ لَا تَفْرِقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا
 وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾
 اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا دُسْعًا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
 رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
 عَلَيْنَا أَوْرَاقَ كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا
 تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
 أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

أداء الحق، ثم رجع إلى خطاب الشهود فقال:
 ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾، إذا دُعيتُم إلى إقامتها نهى
 عن كتمان الشهادة وأوعد عليه فقال: ﴿وَمَنْ
 يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ عِندَ اللَّهِ قَلْبُهُ عَالٍمٌ﴾ أي: فاجر قلبه، قيل:
 ما وعد على شيء كييعاده على كتمان الشهادة قال:
 ﴿فَإِنَّهُ أَمْرٌ قَلْبُهُ﴾ وأراد به مسح القلب نعوذ بالله من
 ذلك، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من بيان الشهادة وكتمانها
 عَلِيمٌ.

[٢٨٤] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً
 وأهلها له عبيد وهو مالكم، ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي
 أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ
 يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾،
 اختلف العلماء في هذه الآية فقال قوم: هي خاصة
 ثم اختلفوا في وجه خصوصها، فقال بعضهم: هي
 متصلة بالآية الأولى نزلت في كتمان الشهادة،

تكون تجارة حاضرة يداً بيد تُدبرونها بينكم ليس
 فيها أجل ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُمُوا﴾، يعني:
 التجارة. ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾، قال الضحاك:
 هو عزم من الله تعالى، والإشهاد واجب في صغير
 الحق وكبيره ونقده ونسيه وقال الآخرون: هو أمر
 ندب. قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾،
 هذا نهى للغائب، وأصله: يضارر، فأدغمت إحدى
 الرائين في الأخرى ونُصبت، لحق التضعيف
 لالتقاء الساكنين، واختلفوا فيه، فمنهم من قال:
 أصله يضارر بكسر الراء الأولى، وجعل الفعل
 للكاتب والشاهد، معناه: لا يضارر الكاتب فيأبى
 أن يكتب ولا الشاهد فيأبى أن يشهد، ولا يضار
 الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملي عليه ولا
 الشاهد فيشهد بما لم يستشهد عليه، وهذا قول
 طاوس والحسن وقتادة، وقال قوم: أصله يضار
 بفتح الراء على الفعل المجهول، وجعلوا الكاتب
 والشاهد مفعولين، ومعناه: أن يدعو الرجل الكاتب
 أو الشاهد وهما على شغل مهم فيقولان نحن على
 شغل مهم فاطلب غيرنا، فيقول الداعي إن الله
 أمركما أن تُجيبا ويلج عليهما فيشغلها عن
 حاجتهما فنهى عن ذلك، وأمر بطلب غيرهما،
 ﴿وَإِنْ تَقَعَلُوا﴾ ما نهيتكم عنه من الضرار، ﴿فَإِنَّهُ
 سُوءٌ بِكُمْ﴾ أي: معصية وخروج عن الأمر،
 ﴿وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ رَئِيفٌ﴾ أي: عليمٌ.

[٢٨٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ
 مَقْبُوضَهُ﴾ أي: وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً
 الآن فارتهنوا ممن تداينونه رهوناً لتكون وثيقة
 بأموالكم، واتفقوا على أن الرهن لا يتم إلا
 بالقبض ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يعني: فإن كان
 الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق فلم يرتهن
 منه شيئاً لحسن ظنه به ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ﴾
 أي: فليقضه على الأمانة، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في

قَدِيرٌ».

[٢٨٥] قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرُّسُلُ﴾ أي: صدق ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾، يعني: كل واحد منهم، ولذلك وَحَدَ الفعل، ﴿وَمَلَئِكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى، وفيه إضمار تقديره: يقولون لا تُفرق، وقرأ يعقوب: لا يفرق، بالياء فيكون خبراً عن الرسول، أو معناه: لا يُفرق الكل، وإنما قال (بَيْنَ أَحَدٍ) ولم يقل بين آحاد، لأن الأحاد يكون للواحد والجمع، قال الله تعالى: (فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين)، ﴿وَقَالُوا سَوَعْنَا﴾، قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك، روي عن حكيم عن جابر رضي الله عنهما أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ حين نزلت هذه الآية: إن الله قد أثنى عليك وعلى أمتك، فسل تعطه، فسأل بتلقين الله تعالى فقال: ﴿غُفِرَانَكَ﴾، وهو نصب على المصدر، أي: اغفر غفرانك، أو على المفعول به، أي: نسألك غفرانك ﴿رَبَّنَا وَإِنَّكَ أَكْبَرُ﴾.

[٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ظاهر الآية قضاء لحاجة، وفيها إضمار السؤال كأنه قال: وقالوا لا تُكلفنا إلا وُسْعًا، وأجاب: أي: لا يُكلفُ الله نفساً إلا وسعها أي: طاقتها، والوُسْعُ: اسم لما يسع الإنسان ولا يضيق عليه، واختلفوا في تأويله، فذهب ابن عباس رضي الله عنه وعطاء وأكثر المفسرين إلى أنه أراد به حديث النفس الذي ذكر في قوله (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) كما ذكرنا، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هم المؤمنون خاصة وَسَّعَ عليهم أمر دينهم ولم يُكلفهم فيه إلا ما يستطيعون، كما قال الله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)، وقال الله تعالى: (وما جعل عليكم في الدين من حرج)، وسئل سفيان بن عُيينة عن قوله عز وجل:

معناه: وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة أو تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله، وهو قول الشعبي وعكرمة، وقال بعضهم: نزلت فيمن يتولى الكافرين من دون المؤمنين، يعني: وإن تعلموا ما في أنفسكم من ولاية الكفار أو تُسروه يحاسبكم به الله وذهب الأكثرون إلى أن الآية عامة ثم اختلفوا فيها فقال قوم: هي منسوخة بالآية التي بعدها وقال بعضهم: الآية غير منسوخة لأن النسخ لا يرد على الأخبار، إنما يرد على الأمر والنهي، وقوله: (يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ) خبر لا يَرُدُّ عليه النسخ، ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم: قد أثبت الله تعالى للقلب كسباً فقال: (بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) فليس لله عبداً أسراً عملاً أو أعلنه من حركة من جوارحه أو همّة في قلبه إلا يُخبره الله به ويُحاسبه عليه، ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء. وقال الآخرون: معنى الآية، إن الله عز وجل يُحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعاقبهم عليه، غير أن معاقبته على ما أخفوه مما لم يعملوه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب، والأمور التي يحزنون عليها وقال بعضهم: (وإن تبدوا ما في أنفسكم) يعني: ما في قلوبكم مما عزمتم عليه أو تخفوه يحاسبكم به الله، ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فأما ما حدث به أنفسكم مما لم تعزموا فإن ذلك مما لا يُكلف الله نفساً إلا وسعها ولا يؤاخذكم به وقيل: معنى المحاسبة: الإخبار والتعريف، ومعنى الآية: (وإن تبدوا ما في أنفسكم) فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم، يُحاسبُكم به الله ويُخبركم به ويُعرفكم إياه، ثم يغفر للمؤمنين إظهاراً لفضله، ويُعذب الكافرين إظهاراً لعدله قوله تعالى: ﴿فَيَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويُعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قال: هو الغلظة، قيل: الغلظة: شدة الشهوة، وعن إبراهيم قال: هو الحب، وعن محمد بن عبد الوهاب قال: العشق، وقال ابن جريج: وهو مسخ القردة والخنازير، وقيل: هو شماتة الأعداء، وقيل: هو الفرقة والقطيعة نعوذ بالله منها، قوله تعالى: ﴿وَأَعِثْ عَنَّا﴾ أي: تجاوز وامنح عنا ذنوبنا، ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾ أي: استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا ﴿وَارْحَمْنَا﴾ فإننا لا ننال العمل إلا بطاعتك ولا نترك معصيتك إلا برحمتك، ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا وحافظنا ووليها، ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

[١، ٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ﴾. قوله تعالى: (الله) ابتداء وما بعده خبره، و(الحي القيوم) نعت له.

[٣] ﴿زَكَرَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي: القرآن، ﴿بِالْحَقِّ﴾، بالصدق، ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوة والأخبار وبعض الشرائع، ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

[٤] ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، وإنما قال: (وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) لأن التوراة والإنجيل أنزلا جملة واحدة، وقال في القرآن (نَزَلَ) لأنه نزل مفصلاً، والتنزيل: للتكثير، ﴿هُدًى لِّلْكَاسِ﴾، هادياً لمن تبعه، ولم يشته لأنه مصدر، ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ المفرق بين الحق والباطل ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

[٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) قال إلا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها، وهذا قوله حسن، لأن الوسع، ما دون الطاقة. قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: للنفس ما عملت من الخير لها أجره وثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر وعليها وزره ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ أي: لا تعاقبنا ﴿إِن نَّسِيْنَا﴾، جعله بعضهم من النسيان الذي هو السهو، أمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك، وقيل: هو من النسيان الذي هو الترك كقوله تعالى: (نسوا الله فسيهم)، قوله تعالى: ﴿أَوْ أَخْطَاْنَا﴾ قيل: معناه القصد والعمد، يقال: أخطأ فلان إذا عمد، قال الله تعالى: (إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) قال عطاء: إن نسينا أو أخطأنا يعني: إن جهلنا أو تعمدنا، وجعله الأكثرون: من الخطأ الذي هو الجهل والسهو، لأن ما كان عمداً من الذنب فغير معفو عنه بل هو في مشيئة الله، والخطأ معفو عنه، قال النبي ﷺ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنَّسْيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»^(١). قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ أي: عهداً ثقيلاً وميثاقاً ولا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه، ﴿كَمَا كُفِّرْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، يعني: اليهود، فلم يقوموا به فعذبهم، وقيل معناه: لا تُشَدِّدْ ولا تُغْلِظْ الأمر علينا كما شددت على من قبلنا من اليهود، وذلك أن الله فرض عليهم خمسين صلاةً وأمرهم بأداء رُبع أموالهم من الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها، ومن أصاب ذنباً أصبح ذنبه مكتوباً على بابه، ونحوها من الأثقال والأغلال يدل عليه قوله تعالى: (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم)، وقيل: الإصرُ ذنبٌ لا توبة له، معناه: اعصمنا من مثله، والأصل فيه العقل والإحكام. قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ أي: لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطبقه، وقيل: هو حديث النفس والوسوسة، حُكي عن مكحول أنه

(١) وفي رواية لابن ماجه بلفظ: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان»، الحديث / كتاب الطلاق / ١٦ / انظر إرواء الغليل (١/١٢٣).

[٦] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، من الصور المختلفة ذكرًا أو أنثى أبيض أو أسود حسنًا أو قبيحًا تامًا أو ناقصًا. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وهذا ردٌّ على وفد نجران من النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله، وكأنه يقول: كيف يكون ولدًا وقد صوره الله تعالى في الرحم؟

[٧] قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ مبینات مفصلات سميت محكمات من الإحكام كأنه أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها، ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، أي: أصله الذي يعول عليه في الأحكام، وإنما قال: هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، ولم يقل: أمهات الكتاب لأن الآيات كلها في تكاملها واجتماعها كآية الواحدة، وكلام الله تعالى واحد، وقيل معناه: كل آية منهنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، كما قال: (وجعلنا ابنَ مريمَ وأمَّهُ آيَةً)، أي: كل واحد منهما آية، ﴿وَأُخْرَى﴾، جمع أخرى، ولم يصرفه لأنه معدول عن الآخر مثل: عُمر وزُفر، ﴿مُتَشَبِّهَاتٌ﴾، فإن قيل: كيف فرّق ههنا بين المُحْكَم والمُتَشَابِه وقد جعل الله كلَّ القرآن مُحْكَمًا في مواضع أخر فقال: (الر كتابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ) وجعل كلّه متشابهًا فقال: (الله نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا)؟ قيل: حيث جعل الكل مُحْكَمًا أراد أن الكل حق ليس فيه عُبْثٌ ولا هَزَلٌ، وحيث جعل الكلَّ متشابهًا أراد أن بعضه يُشَبِّه بعضًا في الحق والصدق وفي الحُسن، وجعل ههنا بعضه مُحْكَمًا وبعضه متشابهًا. واختلف العلماء فيهما فقال ابن عباس رضي الله عنهما: المُحْكَمَاتُ هُنَّ الْآيَاتُ الثَّلَاثُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ)، ونظيرها في بني إسرائيل: (وقضى ربُّكَ ألاَّ تعبدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)، الآيات. وعنه أنه قال: المتشابهات حروف التهجي في أوائل السور. وقال مجاهد وعكرمة: المُحْكَم ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك متشابه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَمَّ ١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْقَيُّومُ ٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٣) مِنْ قَبْلِ هَٰذَا لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْقِصَامٍ ٤) إِنْ اللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٦) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَبِّهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَقْلُ الْأُولَى ٧) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ٩)

يُشَبِّه بعضه بعضًا في الحق ويُصَدِّق بعضه بعضًا، وقال قتادة والضحاك والسدي: المُحْكَمُ النَّاسِخُ الَّذِي يُعْمَلُ بِهِ، وَالمُتَشَابِهُ الْمُنْسُوخُ الَّذِي يُؤْمَنُ بِهِ وَلَا يُعْمَلُ بِهِ. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مُحْكَمَاتُ الْقُرْآنِ: نَاسِخُهُ، وَحَلَالُهُ، وَحَرَامُهُ، وَحُدُودُهُ، وَفَرَائِضُهُ، وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ، وَيُعْمَلُ بِهِ وَالمُتَشَابِهَاتُ: مَنْسُوخُهُ، وَمُقَدَّمُهُ، وَمُؤَخَّرُهُ، وَأَمَثَلُهُ، وَأَقْسَامُهُ، وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ وَلَا يُعْمَلُ بِهِ. وقيل: المُحْكَمَاتُ مَا أَوْقَفَ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى مَعْنَاهُ، وَالمُتَشَابِهُ مَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْلَمَهُ، وَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَى عِلْمِهِ، نَحْوُ الْخَبَرِ عَنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَخُرُوجِ الدَّجَالِ وَنَزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَقِيَامِ السَّاعَةِ، وَفَنَاءِ الدُّنْيَا. قال أحمد بن جعفر بن الزبير: المُحْكَم ما لا يحتمل من التأويل غير وجه

مع علمهم قائلين آمنا به، وذهب الأكثرون إلى أن الواو في قوله: (والراسخون) واو الاستئناف وتم الكلام عند قوله: (وما يعلم تأويله إلا الله) وقالوا: لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، ويجوز أن يكون في القرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يُطلع عليه أحدًا من خلقه، كما استأثر بعلم الساعة، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام، ونحوها. والخلق مُتَعَبِدُونَ في المتشابه بالإيمان به، وفي المحكم بالإيمان به والعمل، ومما يصدق ذلك قراءة عبدالله (إِنْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ)، وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية: انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا: آمنا به كل من عند ربنا. وهذا القول أقيس في العربية وأشبه بظاهر الآية. قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أي: الداخلون في العلم هم الذين اتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في معرفتهم شك، وأصله من رسوخ الشيء في الشيء وهو ثبوته، يقال: رسخ الإيمان في قلب فلان، يرسخ رسخًا ورُسُوخًا، وقيل: الراسخون في العلم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام وأصحابه، دليله قوله تعالى: (لكن الراسخون في العلم منهم) يعني: الدارسون علم التوراة والإنجيل، وسئل مالك بن أنس رضي الله عنه عن الراسخين في العلم، قال: العالم العامل بما علم المتبع لما علم. وقيل: الراسخ في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء: التقوى بينه وبين الله، والتواضع بينه وبين الخلق، والزهد بينه وبين الدنيا، والمجاهدة بينه وبين نفسه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والسدي: بقولهم آمنا به سَمَّاهُم الله تعالى راسخين في العلم، فرسوخهم في العلم قولهم آمنا به، أي: بالمتشابه، ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾: المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ،

واحد، والمتشابه ما يحتمل أوجهًا. وقيل: المحكم ما يُعرف معناه وتكون حجته واضحة، ودلائله لائحة لا يُشْتَبه، والمتشابه هو الذي يدرك علمه بالنظر، ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل. وقال بعضهم: المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى، والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره. ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: ميل عن الحق، وقيل: شك، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾، واختلفوا في المعنى بهذه الآية، قال الربيع: هم وفد نجران خاصموا النبي ﷺ في عيسى عليه السلام، وقالوا له: ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ قال: بلى، قالوا: حسبنا ذلك، فأنزل الله هذه الآية. وقال الكلبي: هم اليهود طلبوا علم أجل هذه الأمة واستخرجاه بحساب الجمل. وقال ابن جريج: هم المنافقون. وقال الحسن: هم الخوارج. وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) قال: إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري من هم؟ وقيل: هم جميع المبتدعة. قوله تعالى: ﴿أَتَبَغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾: طلبُ الشرك، قاله الربيع والسدي، وقال مجاهد: ابتغاء الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم، ﴿وَأَتَبَغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾: تفسيره وعلمه، دليله قوله تعالى: (سَأَنبِتْكَ تَأْوِيلَ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)، وقيل: ابتغاء عاقبته، وطلب أجل هذه الأمة من حساب الجمل، دليله قوله تعالى: (ذلك خيرٌ وأحسن تأويلًا) أي: عاقبة. قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْكُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، اختلف العلماء في نظم هذه الآية فقال قوم الواو في قوله (والراسخون) واو العطف، يعني: أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، وهذا قول مجاهد والربيع، وعلى هذا يكون قوله: (يَقُولُونَ) حالًا معناه: والراسخون في العلم

وأولادهم من عذاب الله شيئاً، ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[١٢] قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ قرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما، أي: أنهم يُغلبون ويُحشرون، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما على الخطاب، أي: قل لهم أنكم ستغلبون وتُحشرون، قال مقاتل: أراد مشركي مكة، معناه: قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون إلى جهنم في الآخرة، وقال بعضهم: المراد بهذه الآية اليهود (ستغلبون) تهزمون في الدنيا في قتالكم محمداً (وتُحشرون) في الآخرة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾، ﴿وَيَسَّرَ لِهَآذِهِ﴾ أي: الفراش، أي: بشئ ما مهد لهم، يعني: النار.

[١٣] قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾، ولم يقل كانت، والآية مؤنثة لأنه ردها إلى البيان، أي: قد كان بيان، فذهب إلى المعنى، وقال الفراء: إنما ذكر لأنه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل، وكل ما جاء من هذا النحو فهذا وجهه، فمعنى الآية: (قد كان لكم آية) أي: عبرة ودلالة على صدق ما أقول إنكم ستغلبون، (في فئتين): فرقتين، وأصلها في الحرب، لأن بعضهم يفىء إلى بعض، ﴿الْفَتْحَا﴾، يوم بدر، ﴿فَمَنْ تَفَتَّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، طاعة الله، وهم رسول الله ﷺ وأصحابه وهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلاً من الأنصار، قوله تعالى: ﴿وَأُخْرِئْ كَافِرًا﴾ أي: فرقة أخرى كافرة، وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً من المقاتلة، يرأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم مائة فارس، وكانت حرب بدر أول مشهد شهده رسول الله ﷺ، ﴿يَرَوْنَهُمْ مِّنْ جِهَتِهِمْ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب بالتاء، يعني: ترون يامعشر اليهود أهل مكة مثل عدد المسلمين، وذلك

وما علمنا وما لم نعلم، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾: ما يتعظ بما في القرآن ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، ذوو العقول.

[٨] قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُغِغْ قُلُوبَنَا﴾، أي: ويقول الراسخون ربنا لا تغرغ قلوبنا، أي: لا تملها عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾، وفقتنا لدينك والإيمان بالمحكم والمتشابه من كتابك، ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَّدُنكَ﴾: أعطنا من عندك، ﴿رَحْمَةً﴾، توثيقاً وتبييناً للذي نحن عليه من الإيمان والهدى. وقال الضحاك: تجاوزاً ومغفرة، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

[٩] قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ أي: لانقضاء يوم، وقيل: اللام بمعنى: في يوم، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك فيه، وهو يوم القيامة، ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾، وهو مفعول، من الوعد.

[١٠] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾، قال الكلبي: من عذاب الله، وقال أبو عبيدة: من بمعنى عند، أي: عند الله ﴿شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ﴾.

[١١] ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة ومجاهد: كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر والتكذيب. وقال عطاء والكسائي وأبو عبيدة: كسنة آل فرعون. وقال الأخفش: كأمير آل فرعون وشأنهم. وقال النضر بن شميل: كعادة آل فرعون، يريد عادة هؤلاء الكفار في تكذيب الرسل وجحود الحق كعادة آل فرعون، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: كفار الأمم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم، ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ﴾، فعاقبهم الله، ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ وقيل: نظم الآية: إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول النعمة والعقوبة، مثل آل فرعون وكفار الأمم الخالية، أخذناهم فلن تغني عنهم أموالهم ولا

سورة آل عمران

٥١

سورة آل عمران

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ تُخَفَّ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١١﴾ كَذَّبَ آلُ
 فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ
 وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُكُمْ
 وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٣﴾ قَدْ كَانَ
 لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ الْيَهُودِ تَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ
 يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي
 الْأَبْصَارِ ﴿١٤﴾ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
 وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
 وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴿١٥﴾ قُلْ
 أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ
 نَجْوَىٰ مِنْ تَحْتِهَا لَا تَسْمَعُ لَدُنْهُمْ سَوَاسٌ وَلَا أَذًى وَلَا
 وَرْضُونَ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٦﴾

ابن أنس: القنطار المال الكثير بعضه على بعض،
 وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: القنطار ألف
 ومائتا أوقية، لكل أوقية أربعون درهماً. وقال ابن
 عباس رضي الله عنهما والضحاك: ألف ومائتا
 مثقال، وقال أبو نصر: ملء مسك ثور ذهباً أو
 فضةً. وسُمي قنطاراً من الإحكام، يقال: قنطرت
 الشيء إذا أحكمته، ومنه سميت القنطرة. قوله
 تعالى: ﴿الْمُقَنْطَرَةُ﴾، قال الضحاك، المحصنة
 المحكمة، وقال قتادة: هي الكثيرة المنضدة بعضها
 فوق بعض. وقال يمان: هي المدفونة. وقال
 السدي: هي المضروبة المنقوشة حتى صارت
 دراهم ودنانير. وقال الفراء: المضعفة. فالقناطر
 ثلاثة، والمقنطرة تسعة، ﴿مِنَ الذَّهَبِ
 وَالْفِضَّةِ﴾، قيل: سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا
 يبقى، والفضة فضةً لأنها تنفض، أي: تفرق،

أن جماعة من اليهود كانوا حضروا قتال بدر
 لينظروا على من تكون الدائرة فأوا المشركين مثلي
 عدد المسلمين ورأوا النصر مع ذلك للمسلمين،
 فكان ذلك معجزة وآية، وقرأ الآخرون بالياء،
 واختلفوا في وجهه، فجعل بعضهم الرؤية
 للمسلمين، ثم له تأويلان، أحدهما: يرى
 المسلمون المشركين مثليهم كما هم، فإن قيل:
 كيف قال (مثليهم) وهم كانوا ثلاثة أمثال؟ قيل:
 هذا مثل قول الرجل وعنده درهم: أنا أحتاج إلى
 مثلي هذا الدرهم، يعني: إلى مثليه سواء، فيكون
 ثلاثة دراهم. والتأويل الثاني وهو الأصح: كان
 المسلمون يرون المشركين مثلي عدد أنفسهم قللهم
 الله تعالى في أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة
 وعشرين، ثم قللهم الله في أعينهم في حالة أخرى،
 حتى رأوهم مثل عدد أنفسهم، ثم قللهم الله تعالى
 أيضاً في أعينهم حتى رأوهم عدداً يسيراً أقل من
 أنفسهم، وقال بعضهم: الرؤية راجعة إلى
 المشركين، يعني: يرى المشركون المسلمين
 مثليهم، قللهم الله قبل القتال في أعين المشركين
 ليجترئ المشركون عليهم، ولا ينصرفوا، فلما
 أخذوا في القتال كثروا في أعين المشركين،
 ليجبنوا، وقللهم في أعين المؤمنين ليجترؤوا،
 فذلك قوله تعالى: (وَإِذَا يُرِيكُمُوهُمْ - إِذَ التَّقِيْتُمْ -
 فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ). قوله تعالى:
 ﴿رَأَى الْعَيْنُ﴾ أي: في رأي العين، نصب بنزع
 حرف الصفة ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي
 ذَلِكَ﴾، الذي ذكرته، ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي
 الْأَبْصَارِ﴾، لذوي العقول وقيل: لمن أبصر
 الجمعين.

[١٤] قوله تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾،
 جمع شهوة، وهي ما تدعو النفس إليه، ﴿مِنَ
 النِّسَاءِ﴾، بدأ بهن لأنهن حبايل الشيطان، ﴿وَالْبَنِينَ
 وَالْقَنَاطِيرِ﴾، جمع قنطار، واختلفوا فيه، فقال الربيع

المصلين بالأسحار وعن زيد بن أسلم أنه قال: هم الذين يصلون الصبح في الجماعة، وقيل: بالسكر لقربه من الصبح، وقال الحسن: مدّوا الصلاة إلى السحر، ثم استغفروا.

[١٨] قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، قيل: نزلت هذه الآية في نصارى نجران.

وقال الكلبي: قدم حبران من أحبار الشام على النبي ﷺ فلما أبصر المدينة بصفة مدينة النبي ﷺ الذي

ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة، فقالا له: أنت محمد؟ قال: نعم، قالا

له: وأنت أحمد؟ قال: أنا محمد وأحمد، قالا له: فإننا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنا بك

وصدقناك، فقال: نعم، قالا: فأخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل، فأنزل الله تعالى هذه

الآية، فأسلم الرجلان. قوله: (شَهِدَ اللَّهُ) أي بين الله، لأن الشهادة تبيين، وقال مجاهد: حكم الله،

وقيل: علم الله أنه لا إله إلا هو. وقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، أي: وشهدت الملائكة، قيل: معنى شهادة الله: الإخبار والإعلام، ومعنى شهادة

الملائكة والمؤمنين الإقرار، ﴿وَأُولُوا أَلْمِزٍ﴾، يعني: الأنبياء عليهم السلام، وقال ابن كيسان: يعني المهاجرين والأنصار. وقال مقاتل: علماء مؤمني

أهل الكتاب، عبدالله بن سلام وأصحابه. قال السدي والكلبي: يعني جميع علماء المؤمنين.

﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل، وقيل معنى قوله: (قَائِمًا بِالْقِسْطِ) أي: قائمًا بتدبير الخلق، كما

يقال: فلان قائم أمر فلان أي: مدبر له ومتعهد لأسبابه، وفلان قائم بحق فلان أي: مجاز له، فالله

تعالى مدبر ورازق ومجاز بالأعمال، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[١٩] ﴿إِنَّ الْبَيْتَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، يعني: الدين المرضي الصحيح، كما قال: (ورضيت لكم

﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾: الخيل جمع لا واحد له من لفظه، واحدها فرس، كالقوم والنساء ونحوهما،

والمُسومة قال مجاهد: هي المُطهمة الحسان. وقال عكرمة: تسويمها حُسْنُها، وقال سعيد بن

جبير: هي الراعية، يقال: أسام الخيل وسومها، وقال الحسن وأبو عبدة: هي المعلمة من السيماء

العلامة، ثم منهم من قال: سيماها الشبه واللون، وهو قول قتادة، وقيل: الكي، و﴿الْأَنْعَامِ﴾، جمع

النعم، وهي الإبل والبقر والغنم، جمع لا واحد له من لفظه، ﴿وَالْحَرْثِ﴾ يعني: الزرع، ﴿ذَلِكَ﴾،

الذي ذكرته، ﴿مَتَكُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾، يشير إلى أنها متاع يفنى، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ أي:

المرجع، فيه إشارة إلى التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة.

[١٥] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ﴾ أي: أخبركم ﴿بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِزْقٌ مِّنْ لَّدُنْهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

[١٦] ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾، إن شئت جعلت محل (الذين) خفضاً رداً على قوله: (للذين اتقوا) وإن

شئت جعلته رفعا على الابتداء، ويحتمل أن يكون نصبا تقديره: أعني الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا إِنَّا

ءَامَنَّاكَ﴾، صدقنا، ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ استرها علينا وتجاوز عنا، ﴿وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

[١٧] ﴿الْمُتَّقِينَ وَالْمُكْرِمِينَ﴾، إن شئت نصبتهما على المدح، وإن شئت خفضتهما على النعت،

يعني: الصابرين في أداء الأوامر، وعن ارتكاب النهي، وعن البأساء والضراء وحين البأس

والصادقين في إيمانهم، قال قتادة: هم قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وألستهم فصدقوا في السر

والعلانية، ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ المطيعين المصلين، ﴿وَالْمُسْتَجِيبِينَ﴾ أموالهم في طاعة الله، ﴿وَالْمُسْتَجِيبِينَ

بِالْأَسْحَارِ﴾، قال مجاهد وقاتادة والكلبي: يعني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٢

الَّذِينَ

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اِنْسَاْءَ اَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفِيْنَا
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٧﴾ الصَّٰدِقِيْنَ وَالصَّٰدِقِيْنَ وَالْقٰنِطِيْنَ
وَالْمُنْفِقِيْنَ وَالْمُسْتَغْفِرِيْنَ بِالْاَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
اَللّٰهُ اَنَّهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ وَالْمَلٰٓئِكَةُ وَاُوْلُو الْعِلْمِ قَاِيْمًا بِالْقِسْطِ
لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ﴿١٨﴾ اِنَّ الَّذِيْنَ عِنْدَ
اَللّٰهِ اِلَّا سَلَمٌ وَمَا اَخْتَلَفَ الَّذِيْنَ اُوْتُوْا الْكِتٰبَ اِلَّا مِنْ
بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيٰتِ
اَللّٰهِ فَاِنَّ اَللّٰهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَاِنْ حَاجُّوْكَ فَقُلْ اَسْلَمْتُ
وَجْهِيَ لِلّٰهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِّ وَقُلْ لِّلَّذِيْنَ اُوْتُوْا الْكِتٰبَ وَالْاُمِّيَّةَ
اَسْلَمْتُمْ فَاِنْ اَسْلَمُوْا فَقَدْ اَهْتَدَوْا وَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّكُمْ
عَلَيْكُمْ اَلْبَلٰغُ وَاللّٰهُ بِصِيْرٍ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ اِنَّ الَّذِيْنَ يَكْفُرُوْنَ
بِآيٰتِ اَللّٰهِ وَيَقْتُلُوْنَ النَّبِيَّةَ بَعِيْرَ حَقٍّ وَيَقْتُلُوْنَ
الَّذِيْنَ يَأْمُرُوْنَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ ﴿٢١﴾ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّصِيْرٍ ﴿٢٢﴾

الإسلام دينًا)، وقال: (ومن يتبع غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه) وفتح الكسائي الألف من ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ ردًا على أن الأولى، تقديره: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهد أن الدين عند الله الإسلام، أو شهد الله أن الدين عند الله الإسلام بأنه لا إله إلا هو، وكسر الباقون الألف على الابتداء، والإسلام: هو الدخول في السلم، وهو الانقياد والطاعة، يقال: أسلم، أي: دخل في السلم، واستسلم، قال قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ اِلْسَلَمُوا﴾، قال: شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه أوليائه، فلا يقبل غيره، ولا يجزي إلا به. قوله تعالى: ﴿وَمَا اَخْتَلَفَ الَّذِينَ اُوْتُوْا الْكِتٰبَ﴾ قال الكلبي: نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام، أي: وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد ﷺ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ يعني: بيان نعته في كتبهم، وقال الربيع بن أنس: إن موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلًا من أحبار بني إسرائيل فاستودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون، فلما مضى القرن الأول والثاني والثالث وقعت الفرقة بينهم وهم الذين أوتوا الكتاب من أبناء أولئك السبعين، حتى أهرقوا بينهم الدماء، ووقع الشر والاختلاف وذلك من بعد ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التوراة، ﴿بَعِيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي: طلبًا للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة، وقال محمد بن جعفر بن الزبير: نزلت في نصارى نجران ومعناها: وما اختلف الذين أوتوا الكتاب، يعني: الإنجيل في أمر عيسى عليه السلام، وفرقوا القول فيه، إلا من بعد ما جاءهم العلم بأن الله واحد، وأن عيسى عبده ورسوله، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيٰتِ اَللّٰهِ فَاِنَّ اَللّٰهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ﴾.

[٢٠] قوله تعالى: ﴿إِنْ حَاجُّوكَ﴾ أي: خاصموك يا محمد في الدين، وذلك أن اليهود والنصارى قالوا: ألسنا ما سميتنا به يا محمد إنما اليهودية والنصرانية نسب، والدين هو الإسلام ونحن عليه؟ فقال الله تعالى: ﴿فَقُلْ اَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّٰهِ﴾ أي: انقدت لله وحده بقلبي ولساني وجميع جوارحي، وإنما خص الوجه لأنه أكرم الجوارح للإنسان، وفيه بهاؤه فإذا خضع وجهه للشيء فقد خضع له جميع جوارحه. وقال الفراء: معناه أخلصت عملي لله، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِّ﴾ أي: ومن اتبعني فأسلم كما أسلمت ﴿وَقُلْ لِّلَّذِيْنَ اُوْتُوْا الْكِتٰبَ وَالْاُمِّيَّةَ﴾، يعني: العرب ﴿اَسْلَمْتُمْ﴾، لفظه استفهام ومعناه أمر أي: وأسلموا، كما قال: (فهل أنتم مهتدون) أي: انتهوا، ﴿فَاِنْ اَسْلَمُوْا فَقَدْ اَهْتَدَوْا﴾ فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقال أهل الكتاب: أسلمنا، فقال

مَعْدُودَاتٍ وَعَزَمُ فِي دِينِهِمْ، والغرور: هو الإطماع فيما لا يحصل منه شيء، ﴿مَا كَانُوا يَفْقَهُوا﴾، والافتراء: اختلاق الكذب.

[٢٥] قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ﴾، أي: فكيف حالهم أو كيف يصنعون إذا جمعناهم، ﴿يَوْمَ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وهو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ﴾، وفُتِرَتْ ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾، أي: جزاء ما كسبت من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ (قُلِ اللَّهُمَّ) قيل: معناه يا الله، فلما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره، وقال قوم: للميم فيه معنى، ومعناها اللهم أمّا بخير، أي: أقصدنا، حذف منه حرف النداء، كقولهم: هلم إلينا، كان أصله هل أم إلينا، ثم كثرت في الكلام فحذفت الهمزة استخفافاً وربما خففوا أيضاً فقالوا لاهم، قوله: (مَالِكُ الْمَلِكِ)، يعني: يامالك الملك، أي: مالك العباد وما ملكوا، وقيل: ياملك السموات والأرض، ﴿تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مَن تَشَاءُ﴾، قال مجاهد وسعيد بن جبير: يعني ملك النبوة، وقال الكلبي: تؤتي الملك من تشاء محمداً وأصحابه، ﴿وَتَنَزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾، أي: تجهل وصناديد قريش، وقيل: تؤتي الملك من تشاء: العرب، وتنزع الملك ممن تشاء: فارس والروم، وقال السدي: تؤتي الملك من تشاء، أتى الله الأنبياء عليهم السلام الملك وأمر العباد بطاعتهم، وتنزع الملك ممن تشاء، نزع من الجبارين، وأمر العباد بخلافهم، وقيل: تؤتي الملك من تشاء: آدم وولده، وتنزع الملك ممن تشاء: إبليس وجنوده، وقوله تعالى: ﴿وَنُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَنُزِّلُ مَن تَشَاءُ﴾، قال عطاء: نُعِزُّ من تشاء: المهاجرين والأنصار، وتذل من تشاء: فارس والروم، وقيل: نُعِزُّ من تشاء: محمداً ﷺ وأصحابه، حتى دخلوا مكة في عشرة آلاف

لليهود: أتشهدون أن عزيزاً عبده ورسوله؟ فقالوا: معاذ الله أن يكون عزيز عليه السلام عبداً، وقال للنصارى: أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله؟ قالوا: معاذ الله أن يكون عيسى عبداً، فقال الله عز وجل: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ﴾ أي: تبليغ الرسالة، وليس عليك الهداية، ﴿وَاللَّهُ بِبَصِيرٍ بِالْكَافِرِينَ﴾، عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن.

[٢١] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَأْتِيَتِ اللَّهَ﴾، يجحدون بآيات الله، يعني: القرآن، وهم اليهود والنصارى، ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال: رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ﴾، أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وجميع.

[٢٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾، وبطلان العمل في الدنيا أن لا يقبل وفي الآخرة أن لا يجازى عليه.

[٢٣] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾، يعني: اليهود، ﴿يَتَوَعَّوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾، اختلفوا في هذا الكتاب، فقال قتادة: هم اليهود دعوا إلى حكم القرآن فأعرضوا عنه، وقال الآخرون: هو التوراة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لنعيم والحارث: هلموا هلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم، فأبيا عليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فِرْقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾.

[٢٤] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا

ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان، وقلبه مطمئن بالإيمان دفعا عن نفسه من غير أن يستحل دمًا حرامًا أو مالا حرامًا أو يظهر الكفار على عورة المسلمين، والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية، قال الله تعالى: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)، ثم هذا رخصة، فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ على موالاة الكفار وارتكاب المنهي ومخالفة المأمور، ﴿وَإِلَّا اللَّهُ الْمَصِيرُ﴾.

[٢٩] ﴿قُلْ إِنْ تَحْفَوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾، قلوبكم من مودة الكفار، ﴿أَوْ تَبْدُوهُ﴾ من موالاتهم، قولاً وفعلًا، ﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾، قال الكلبي: إن تسروا ما في قلوبكم لرسول الله ﷺ من التكذيب، أو تظهروه بحربه وقاتله، يعلمه الله ويحفظه عليكم حتى يجازيكم به، ثم قال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: إذا كان لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الأرض؟ فكيف يخفى عليه موالاتكم الكفار وميلكم إليهم بالقلب؟ ﴿وَاللَّهُ عَلَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾، نصب (يوم) بنزع حرف الصفة أي: في يوم، وقيل: بإضمار فعل أي اذكروا واتقوا يوم تجد كل نفس، ﴿مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ لم يبخس منه شيء كما قال الله تعالى: (ووجدوا ما عملوا حاضراً) ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾، جعل بعضهم خيراً في موضع النصب، أي تجد محضراً ما عملت من الخير والشر، فتسر بما عملت من الخير، وجعل بعضهم خيراً مستأنفاً، ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود رضي الله عنهما (وما عملت من سوء ودت لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) قوله تعالى: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا﴾، أي: بين النفس ﴿وَبَيْنَهُ﴾ يعني وبين السوء ﴿أَمداً بعيداً﴾ قال السدي: مكاناً بعيداً، وقال مقاتل: كما بين المشرق والمغرب والأمد

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْحَرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْصَرِمُ أَنتَ لِي هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ رَزَقُنِي مِنْ شَاءٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

الأجل، والغاية التي ينتهي إليها، وقال الحسن: يسر أحدهم ألا يلقي عمله أبداً وقيل: يود أنه لم يعمل ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

[٣١] ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، حب المؤمنين لله اتباعهم أمره وإيثار طاعته، وابتغاء مرضاته، وحب الله للمؤمنين ثاؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قيل: لما نزلت هذه الآية قال عبدالله بن أبي لأصحابه: إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نجه كما أحببت النصارى عيسى ابن مريم، فنزل قوله تعالى: [٣٢] ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾:

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام ٢٤٩/١٣، والمصنف في شرح السنة ١٩٢/١.

وقيل: بعضها من بعض في التناصر، وقيل: بعضها على دين بعض، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٣٥] ﴿إِذْ قَالَتْ أَمْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾، وهي حنة بنت فاقوذا أم مريم، وعمران: هو عمران بن ماثان، وليس بعمران أبي موسى عليه السلام، لأن بينهما ألفا وثمانمائة سنة، وقيل كان بين إبراهيم وموسى عليهما السلام ألف سنة، وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألفا سنة، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأجبارهم وملوكهم، وقيل: عمران بن أشهم، قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ أي: جعلت لك الذي في بطني محرراً نذراً مني لك، ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ والنذر ما يوجهه الإنسان على نفسه محرراً أي: عتيقاً خالصاً لله مفرغاً لعبادة الله ولخدمة الكنيسة، لا أشغله بشيء من الدنيا، وكل ما أخلص فهو محرر، يقال: حررت العبد إذا أعتقته وخلصته من الرق.

[٣٦] ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ أي: ولدتها، إذا هي جارية، والهاء في قوله: ﴿وَضَعْتُهَا﴾ راجعة إلى النذيرة لا إلى (ما) ولذلك أنت، ﴿قَالَتْ﴾ حنة وكانت ترجو أن يكون غلاماً، ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ اعتذاراً إلى الله عز وجل، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾، بجزم التاء إخباراً عن الله تعالى عز وجل ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها للبنها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾، وهي بلغتهم العابدة والخادمة، وكانت مريم من أجمل النساء في وقتها وأفضلهن ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا﴾ أمنعها وأجيرها، ﴿بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ أولادها ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، والشيطان الطريد اللعين والرجيم المُرْمَى بالشهب.

[٣٧] قوله: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ أي: قبل الله مريم من حنة، مكان المحرر، وتقبل بمعنى: قبل ورضي، والقبول: مصدر قبل يقبل

أعرضوا عن طاعتهما، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي»، قالوا: ومن من أبي؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي^(١)».

[٣٣] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود نحن من أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونحن على دينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يعني: إن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام، وأنتم على غير دين الإسلام. اصطفى: اختار، افتعل من الصفوة، وهي الخالص من كل شيء، آدم أبا البشر ونوحاً، ﴿وَأَلَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عِمْرَانَ﴾، قيل: أراد بآل إبراهيم وآل عمران، إبراهيم عليه السلام وعمران أنفسهما، كقوله تعالى: (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون)، يعني: موسى وهارون، وقال آخرون: آل إبراهيم: إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وكان محمد ﷺ من آل إبراهيم عليه السلام، وأما آل عمران فقد قال مقاتل: هو عمران ابن يصر بن فاهت بن لاوي بن يعقوب عليه السلام، وآله: موسى وهارون، وقال الحسن ووهب: هو عمران بن أشهم بن عمون من ولد سليمان بن داود عليهما السلام، وآله: مريم وعيسى، وقيل: عمران بن ماثان، وإنما خص هؤلاء بالذكر لأن الأنبياء والرسل كلهم من نسلهم، ﴿عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾.

[٣٤] ﴿ذُرِّيَّةً﴾، اشتقاقها من ذرا بمعنى خلق، وقيل: من الذر لأنه استخرجهم من صلب آدم كالذر، ويسمى الأولاد والآباء ذرية، فالأولاد ذرية، لأنه ذراهم، والآباء ذرية لأنه ذرا الأبناء منهم، قال الله تعالى: (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أي: آباءهم، ﴿ذُرِّيَّةً﴾ نُصِبَ على معنى: واصطفى ذرية ﴿بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: بعضها من ولد بعض،

الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، ﴿قَالَ يَمْرُؤُا أَتَىٰ لَكَ هَذَا﴾، قال أبو عبيدة معناه: من أين لك هذا، وأنكر بعضهم عليه وقال: معناه من أي جهة لك هذا لأن (أَتَى) للسؤال عن الجهة، (وَأَيْنَ) للسؤال عن المكان، ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، أي: من قطف الجنة، وقال أبو الحسن: إن مريم من حين ولدت لم تلقم ثديها قط بل كان يأتيها رزقها من الجنة، فيقول لها زكريا أتى لك هذا؟ فتقول: (هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)، تكلمت وهي صغيرة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال أهل الأخبار: فلما رأى ذلك زكريا قال: إن الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب لقادر على أن يصلح زوجتي ويهب لي ولدًا في غير حينه على الكبر، فطمع في الولد وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقضوا، وكان زكريا قد شاخ وأيس من الولد.

[٣٨] قال تعالى: ﴿هَٰذَاكَ﴾، أي: عند ذلك. ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾، فدخل المحراب وغلق الأبواب وناجى ربه ﴿قَالَ رَبِّ﴾ أي: يا رب، ﴿هَبْ لِي﴾ أعطني ﴿مِنْ لَّدُنْكَ﴾ أي: من عندك، ﴿رُبِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ أي: ولدًا مباركًا تقيًا صالحًا رضيًا، والذرية تكون واحدًا أو جمعًا ذكرًا وأنثى، وهو ههنا واحد بدليل قوله عز وجل: (فهب لي من لدنك وليًا)، وإنما قال: طيبة لتأنيث لفظ الذرية، ﴿إِنَّكَ سَمِيعٌ الدُّعَاءِ﴾، أي: سامعه، وقيل: مجيبه، كقوله تعالى: (إني آمنت بربكم فاسمعون) أي: فأجيبوني.

[٣٩] ﴿فَدَاثُهُ أَلَمَلَكَةُ﴾ أراد بالملائكة ههنا جبريل عليه السلام وحده، كقوله تعالى في سورة النحل: (ينزل الملائكة) يعني جبريل بالروح والوحي، ويجوز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع، كقولهم: سمعت هذا الخبر من الناس وإنما سمع من واحد، نظيره قوله تعالى: (الذين قال لهم الناس) يعني: نعيم بن مسعود، (إن

قبولًا، مثل الولوغ والزوغ، ولم يأت غير هذه الثلاثة، وقيل معنى الثقل: التكفل في التربة والقيام بشأنها، ﴿وَأُنْبِتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾، معناه: وأنبتنا فنبت نباتًا حسنًا، ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾، قال أهل الأخبار: أخذت حنة مريم حين ولدتها، فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الأحبار أبناء هارون، وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجة من الكعبة، فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة، فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم، فقال لهم زكريا: أنا أحقكم بها، عندي خالتها وكان رأس الأحبار ونبئهم، فذلك قوله تعالى: (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا)، قرأ حمزة وعاصم والكسائي (وَكَفَّلَهَا) بتشديد الفاء، فيكون زكريا في محل النصب أي: ضمنها الله وضمها إليه بالقرعة، وقرأ الآخرون بتخفيف فيكون زكريا في محل الرفع، أي: ضمها زكريا إلى نفسه وقام بأمرها، وهو زكريا بن أذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ﴿زَكَرِيَّا﴾ مقصورًا، والآخرون يمدونه، فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتًا واسترضع لها، وقال محمد ابن إسحاق ضمها إلى خالتها أم يحيى حتى إذا شبت وبلغت مبلغ النساء، بنى لها محرابًا في المسجد وجعل بابه في وسطها لا يرقى إليها إلا بالسلم مثل باب الكعبة لا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودُهنها كل يوم، ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾، وأراد بالمحراب العُرفة، والمحراب أشرف المجالس ومقدمها، وكذلك هو من المسجد، ويقال للمسجد أيضًا محراب، وقال المبرد: لا يكون المحراب إلا أن يُرتقى إليه بدرجة، وقال الربيع بن أنس: كان زكريا إذا خرج يُغلق عليها سبعة أبواب، فإذا دخل عليها فتحها، ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ أي: فاكهة في غير حينها فاكهة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا لَكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيْعِينَ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادَّكَرَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَخَّرَ بِالْعُسَى وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمُ أَيُّهُمُ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

وآياته، تقول العرب: أنشدني كلمة فلان، أي: قصيدته: قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا﴾ هو فاعل من ساد يسود، وهو الرئيس الذي يتبع ويتبعه إلى قوله، قال المفضل: أراد سيدًا في الدين، قال الضحاك: السيد: الحسن الخلق، قال سعيد بن جبير: السيد الذي يطيع ربه عز وجل، وقال سعيد بن المسيب: السيد الفقيه العالم، وقال قتادة: سيد في العلم والعبادة والورع، وقيل: الحليم الذي لا يغضبه شيء، قال مجاهد: الكريم على الله تعالى، وقيل: السيد التقى قاله الضحاك، قال سفيان الثوري: الذي لا يحسد، وقيل: الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير، وقيل: هو القانع بما قسم الله له، وقيل: هو السخي، قوله تعالى: ﴿وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، والحصور: أصله من الحسر وهو الحبس، والحصور في قول ابن مسعود وابن عباس

الناس) يعني: أبا سفيان بن حرب، وقال المفضل ابن سلمة: إذا كان القائل رئيسًا يجوز الإخبار عنه بالجمع، لاجتماع أصحابه معه، وكان جبريل عليه السلام رئيس الملائكة، وقُلَّ ما يبعث إلا ومعه جمع، فجرى على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ أي: في المسجد، وذلك أن زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القران فيفتح باب المذبح، فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول، فبينما هو قائم يصلي في المحراب، يعني: في المسجد عند المذبح يصلي والناس ينتظرون أن يأذن لهم في الدخول، فإذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض تلمع ففرغ منه، فناده وهو جبريل عليه السلام: يا زكريا ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيْعِينَ﴾ هو الاسم لا يجر لمعرفته، وللزائد في أوله، واختلفوا في أنه لم سمي يحيى، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن الله أحيا به عقر أمه، قال قتادة: لأن الله تعالى أحيا به قلبه بالإيمان، وقيل: سمي يحيى لأنه استشهد، والشهداء أحياء، وقيل: معناه يموت، وقيل: لأن الله تعالى أحيا بالطاعة حتى لم يعص ولم يهجم بمعصية، ﴿مُصَدِّقًا﴾ نصب على الحال، ﴿بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني: عيسى عليه السلام، سُمِّيَ عيسى كلمة الله، لأن الله تعالى قال له كن من غير أب فكان، فوقع عليه اسم الكلمة، وقيل: سُمِّيَ كلمة لأنه يهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى، وقيل: هي بشارة الله تعالى لمريم بعيسى عليه السلام، بكلامه على لسان جبريل عليه السلام، وقيل: لأن الله تعالى أخبر الأنبياء بكلامه في كتبه أنه يخلق نبيًا بلا أب، فسماه كلمة لحصوله بذلك الوعد، وكان يحيى عليه السلام أول من آمن بعيسى عليه السلام وصدقه، وكان يحيى عليه السلام أكبر من عيسى بستة أشهر وكانا ابني خالة، ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليه السلام، وقال أبو عبيدة: بكلمة من الله، أي: بكتاب من الله

وسعيد بن جبير وقتادة رضي الله عنهم، وعطاء والحسن الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن، وهو على هذا القول: فعول بمعنى فاعل، يعني: أنه يحصر نفسه عن الشهوات، وقال سعيد بن المسيب، هو العنين الذي لا ماء له فيكون الحضور بمعنى المحصور، يعني: الممنوع من النساء، قال سعيد بن المسيب: كان له مثل هدبة الثوب، وقد تزوج مع ذلك ليكون أغض لبصره، وفيه قول آخر: أن الحضور الممتنع من الوطء مع القدرة عليه، واختار قوم هذا القول لوجهين أحدهما لأن الكلام خرج مخرج الثناء، وهذا أقرب إلى استحقاق الثناء، والثاني أنه أبعد من إلحاق الآفة بالأنبياء.

[٤٠] قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَيُّ سَيِّدِي، قَالَ لَجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، هَذَا قَوْلُ الْكَلْبِيِّ وَجَمَاعَةٍ، وَقِيلَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَنِّي يَكُونُ﴾ يعني: أين يكون، ﴿إِلَىٰ عُلْمٍ﴾ أي: أين ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾، هذا من المقلوب، أي: وقد بلغت الكبر وشخت، كما تقول: بلغني الجهد، أي: أنا في الجهد، وقيل معناه وقد نالني الكبر وأدركني وأضعفني، قال الكلبي: كان زكريا يوم بُشِّرَ بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة، وقيل: ابن تسع وتسعين سنة، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان ابن عشرين ومائة سنة، وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَآئِي عَاقِرٌ﴾ أي: عقيم لا تلد، ويقال: رجل عاقر وامرأة عاقر، وقد عقر بضم القاف يعقر عقرًا وعقارة، ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

[٤١] قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾، أي: علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي فأزيد في العبادة شكرًا لك، ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: تكف عن الكلام، ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾، وتقبل بكليتك على عبادتي لا أنه يُحْبَسُ لسانه عن الكلام، ولكنه نُهي عن الكلام، وهو صحيح سوي

كما قال في سورة مريم (أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) يدل على قوله تعالى: (وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ والإبكار) فأمره بالذكر ونهاه عن كلام الناس، وقال أكثر المفسرين: عقل لسانه عن الكلام مع الناس ثلاثة أيام، وقال قتادة: أمسك لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية، بعد مُشَافَهَةِ الملائكة إِيَّاهُ، فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام. وقوله: ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ أي: إشارة والإشارة قد تكون باللسان وبالعين واليد، وكانت إشارته بالأصبع المسبحة، قال الفراء: قد يكون الرمز باللسان من غير أن يبين، وهو الصوت الخفي شبه الهمس، وقال عطاء: أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزًا، ﴿وَأَذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾، قيل: المراد بالتسبيح الصلاة والعشي ما بين زوال الشمس إلى غروب الشمس، ومنه سميت صلاة الظهر والعصر صلاتي العشي، والإبكار ما بين صلاة الفجر إلى الضحى.

[٤٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ يعني: جبريل، ﴿يَمْرُؤٌ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾، اختارك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾، قيل: من ميسر الرجال، وقيل: من الحيض والنفاس، قال السدي: كانت مريم لا تحيض، وقيل: من الذنوب، ﴿وَأَصْطَفَاكِ عَلَىٰ سَائِِ الْعَالَمِينَ﴾، قيل: على عالمي زمانها، وقيل: على جميع نساء العالمين في أنها ولدت بلا أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء وقيل: بالتحريم في المسجد ولم تحرر أنثى.

[٤٣] قوله تعالى: ﴿يَمْرُؤٌ أَفْتَنِي لِرَبِّكَ﴾، قالت لها الملائكة شفاهاً أي: أطيعي ربك وقال مجاهد: أطيلي القيام في الصلاة لربك، والقنوت: الطاعة، وقيل: القنوت طول القيام، قال الأوزاعي: لما قالت لها الملائكة ذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدمها وسالت دمًا وقيحًا ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي﴾، قيل: إنما قدم السجود على

الْمُفَرِّقِينَ، عند الله.

[٤٦] ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَغِيرًا قَبْلَ أَوَانِ الْكَلَامِ﴾ وَكَهَلًا، قال مقاتل: يعني إذا اجتمعت قوته قبل أن يرفع إلى السماء، وقال الحسين بن الفضل: وكهلاً بعد نزوله من السماء، وقيل: أخبرها أنه يبقى حتى يكتهل وكلامه بعد الكهولة إخبار عن الأشياء المعجزة، وقيل: وكهلاً نبياً بشرها بنبوّة عيسى عليه السلام، وكلامه في المهد معجزة وفي الكهولة دعوة، وقال مجاهد: وكهلاً أي: حليماً، والعرب تمدح الكهولة، لأنها الحالة الوسطى في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الرأي والتجربة، ﴿وَمِنَ الصّٰلِحِينَ﴾، أي: هو من العباد الصالحين.

[٤٧] ﴿قَالَتْ رَبِّ يَا سَيِّدِي تُقُولُ لَجَبْرِيلَ، وَقِيلَ: تقول لله عز وجل، ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ ولم يصنني رجل، قالت ذلك تعجباً إذ لم تكن جرت العادة بأن يولد ولد لا أب له، ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾، أراد كون الشيء، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، كما يريد.

[٤٨] ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾، أي: الكتابة والخط، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، العلم والفقه ﴿وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ علمه الله التوراة والإنجيل.

[٤٩] ﴿وَرَسُولًا﴾ أي: ونجعل له رسولاً ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، قيل: كان رسولاً في حال الصبا، وقيل: إنما كان رسولاً بعد البلوغ، وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام، فلما بعث قال: ﴿أَنِّي﴾، قال الكسائي إنما فتح لأنه أوقع الرسالة عليه، وقيل: معناه بأني ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ﴾، علامة، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾، تصديق قولي، وإنما قال بآية وقد أتى بآيات لأن الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة، فلما قال ذلك عيسى عليه السلام لبني إسرائيل قالوا: وما

الركوع لأنه كان كذلك في شريعتهم، وقيل: بل كان الركوع قبل السجود في الشرائع كلها، وليس الواو للترتيب بل للجمع، ﴿مَعَ الرُّكُوعِ﴾، ولم يقل مع الركعات ليكون أعم وأشمل، فإنه يدخل فيه الرجال والنساء، وقيل: معناه مع المصلين في الجماعة.

[٤٤] قوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ مِّنْ أٰنْبِيَآءِ اَنۡفٰتَبِ نُوۡحِيۡهِ اِلَيْكَ﴾، يقول لمحمد ﷺ: ذلك الذي ذكرت من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى، على نبينا وعليهم السلام، من أنباء الغيب، أي: من أخبار الغيب نوحيه إليك ردّ الكناية إلى ذلك فلذلك ذكره، ﴿وَمَا كُنْتُ﴾، يا محمد، ﴿لَدَيْهِمْ اِذْ يُلْقُوۡنَ اَقْلَمَهُمْ﴾، ساهمهم في الماء للاقتراع، ﴿اَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ يحضنها ويربيها، ﴿وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ اِذْ يَخْتَصِمُوۡنَ﴾، في كفالتها.

[٤٥] قوله تعالى: ﴿اِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ يٰعِزَّةُ مَرْيَمُ اِنَّ اِلٰهَكَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنۡهُ اَسْمُہُ الْمَسِيحُ عِيسٰى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، إنما قال اسمه، وردّ الكناية إلى عيسى، واختلفوا في أنه لم سمي مسيحاً، فمنهم من قال: هو فعل بمعنى المفعول يعني: أنه مسح من الأقدار وطهر من الذنوب، وقيل: إنه مسح بالبركة، وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، وقيل: مسحه جبريل بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل، وقيل: لأنه كان مسيح القدم لا أخصص له، وسُمّي الدجال مسيحاً لأنه كان ممسوح إحدى العينين، وقال بعضهم هو فعيل بمعنى الفاعل، مثل عليم وعالم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سُمّي عيسى عليه السلام مسيحاً لأنه ما مسح ذا عاهة إلا براً، وقيل: سُمّي بذلك لأنه كان يسبح في الأرض ولا يقيم في مكان، وقال إبراهيم النخعي: المسيح الصديق، ويكون المسيح بمعنى: الكذاب، وبه سمي الدجال. والحرف من الأضداد، ﴿وَجِہَا﴾ أي شريفاً رفيعاً ذا جاه وقدر، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٦

سُورَةُ آلِ اِمْرَانٍ

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦١﴾
 قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ
 اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٢﴾
 وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٦٣﴾
 وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ
 أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُم مِّنَ الطَّلِينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ
 فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَإِبْرَاهِيمَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
 وَأُخِيَ الْمَوْقِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنْتَبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ
 فِي بُيُوتِكُمْ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾
 وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلَ لَكُمْ
 بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ
 فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ ﴿٥٩﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
 هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥٨﴾ ۖ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
 الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ اللَّهُ قَالِ الْخَوَارِئُوتُ نَحْنُ
 أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مَرْسُلُهُمْ

هي قال: ﴿أَنِّي أَخْلَقُ﴾ أي: أصور وأقدر، ﴿لَكُمْ مِّنَ الطَّلِينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾، قرأ أبو جعفر (كهية الطائر)، ههنا وفي المائدة، والهيئة الصورة المهيأة من قولهم: هيأت الشيء إذا قدرته وأصلحته، ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾، أي: في الطير ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، قراءة الأكثرين بالجمع، لأنه خلق طيرًا كثيرًا، وقرأ أهل المدينة ويعقوب (فيكون طائرًا) على الواحد ههنا وفي سورة المائدة، ذهبوا إلى نوع واحد من الطير، لأنه لم يخلق غير الخفاش، وإنما خص الخفاش لأنه أكمل الطير خلقًا لأن له ثديًا وأسنانًا، وهي تحيض، قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتًا ليميز فعل الخلق من فعل الخالق، وليعلم أن الكمال لله عز وجل، قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾، أي: أشفيهما وأصحهما، واختلفوا في الأكمه، قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: هو الذي ولد أعمى، وقال الحسن والسدي: هو الأعمى، وقال عكرمة: هو الأعمش، وقال مجاهد: هو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل، والأبرص هو الذي به وضح، وإنما خص هذين لأنهما داءان عيان وكان الغالب في زمن عيسى عليه السلام الطب، فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك، قوله تعالى: ﴿وَأُخِيَ الْمَوْقِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس: قد أحيا أربعة أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح، فأما عازر فكان صديقًا له فأرسلت أخته إلى عيسى عليه السلام أن أخاك عازر يموت وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه وقد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته: انطلقي بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره، فدعا الله تعالى فقام عازر ودَكَه يقطر فخرج من قبره وبقي وولد له، وأما ابن العجوز فإنه مَرَّ به ميتًا على عيسى عليه السلام على سرير يُحْمَل فدعا الله عيسى فجلس على سرير

ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له، وأما ابنة العاشر فكان والدها رجلًا يأخذ العشور، ماتت له بنت بالأمس، فدعا الله عز وجل فأحياها، وبقيت وولدت، وأما سام بن نوح عليه السلام فإن عيسى عليه السلام جاء إلى قبره فدعا باسم الله الأعظم فخرج من قبره، وقد شاب نصف رأسه خوفًا من قيام الساعة، ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان، فقال قد قامت القيامة؟ قال: لا ولكن دعوتك باسم الله الأعظم، ثم قال له: مُت، قال: بشرط أن يُعِيزَنِي اللَّهُ مِنْ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ، فدعا الله ففعل. قوله تعالى: ﴿وَأُنْتَبِئُكُمْ﴾، أخبركم ﴿بِمَا تَأْكُلُونَ﴾، مما لم أعينه، ﴿وَمَا تَدْخُرُونَ﴾، ترفعونه، ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾، حتى تأكلوه، وقيل: كان يخبر الرجل بما أكل البارحة وبما يأكل اليوم. وبما ادخره

للعشاء. قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿لَايَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[٥٠] ﴿وَمَصَدِّقًا﴾ عطف على قوله (ورسولاً) ﴿لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ التَّوْحِيدِ وَلِأَجَدَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾، من اللحوم والشحوم، وقال أبو عبيدة: أراد بالبعض الكل، يعني: كل الذي حُرِّم عليكم، وقد ذكر البعض ويراد به الكل، قوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: ما ذكر من الآيات، وإنما وحدها لأنها كلها جنس واحد في الدلالة على رسالته، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[٥١] ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٥٢] ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾ أي: وجد، قاله الفراء، وقال أبو عبيدة: عرف، وقال مقاتل: رأى، ﴿مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ وأرادوا قتله استنصر عليهم، ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾، قال السدي وابن جريج: مع الله تعالى، تقول العرب: الذود إلى الذود أبل، أي: مع الذود، كما قال الله تعالى: (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) أي: مع أموالكم، وقال الحسن وأبو عبيدة: (إلى) بمعنى في أي: من أعواني في الله، أي: في ذات الله، وسيله، وقيل: (إلى) في موضعها معناه: من يضم نصرته إلى نصره الله لي، واختلفوا في الحواريين، قال مجاهد والسدي: كانوا صيادين يصطادون السمك، سموا حواريين لبياض ثيابهم، وقيل: كانوا ملاحين، وقال الحسن: كانوا قصارين، سموا بذلك لأنهم كانوا يحورون الثياب، أي: يبيضونها، وقال الضحاك: سموا حواريين لصفاء قلوبهم، وقال ابن المبارك: سموا به لما عليهم من أثر العبادة ونورها، وأصل الحور عند العرب: شدة البياض، يقال: رجل أحور وامرأة حوراء أي: شديدة بياض العين، وقال الكلبي وعكرمة:

الحواريون هم الأصفياء، وهم كانوا أصفياء عيسى عليه السلام، وكانوا اثني عشر رجلاً، قال روح بن أبي القاسم: سألت قتادة عن الحواريين، قال: هم الذين تصلح لهم الخلافة، وعنه أيضاً أنه قال: الحواريون هم الوزراء، وقال الحسن: الحواريون الأنصار، والحواري الناصر، والحواري في كلام العرب خاصة: الرجل الذي يستعين به فيما ينويه ﴿قَالَ الْخَوَارِثُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾، أعوان دين الله ورسوله ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ﴾، يا عيسى، ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

[٥٣] ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَرْسَلْتَ﴾، من كتابك، ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾، عيسى، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، الذين شهدوا لأنبيائك بالصدق، وقال عطاء مع النبيين لأن كل نبي شاهد أمته، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: مع محمد ﷺ وأمته، لأنهم يشهدون للرسول بالبلاغ.

[٥٤] قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا﴾، يعني: كفار بني إسرائيل الذي أحس عيسى منهم الكفر، دبوا في قتل عيسى عليه السلام، بعد إخراج قومه إياه وأمه عاد إليهم مع الحواريين، وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطوا على الفتك به فذلك مكرهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾، فالمكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة، والمكر من الله استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يعلم، كما قال: (سنستدرجهم من حيث يعلمون) ومكر الله تعالى بهم في هذه الآية هو إلقاؤه الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى عليه السلام، حتى قُتل.

[٥٥] ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ إِنِّي مُتَوَلِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، اختلفوا في بعض التوفي ههنا، قال الحسن والكلبي وابن جريج: إني قابضك ورافعك في الدنيا إلي من غير موت، يدل عليه قوله تعالى: (فلما توفيتني) أي: قبضتني إلى السماء وأنا حي،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٧

سُورَةُ آلِ اِمْرَانٍ

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرًا لِلَّهِ وَاللَّهُ خَبِيرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٧﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُحْيِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٦٠﴾ مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦١﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٢﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦٣﴾

﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، من الدين وأمر عيسى.

[٥٦] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾، بالقتل والسبي والجزية والذلة، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ أي: وفي الآخرة بالنار، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.

[٥٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ﴾ أي: يوفيههم أجور أعمالهم، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، أي: لا يرحم الكافرين ولا يشي عليهم بالجميل.

[٥٨] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا الذي ذكرته لك من الخبر عن عيسى ومريم والحواريين ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾، يعني: نخبرك به بتلاوة جبريل عليك، ﴿مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾، يعني القرآن والذكر ذي الحكمة، وقال مقاتل: الذكر الحكيم، أي:

لأن قومه إنما تنصروا بعد رفعه لا بعد موته، فعلى هذا للتوفي تأويلان أحدهما: إني رافعك إليّ وإني لم ينالوا منك شيئاً، من قولهم: توفيت من كذا وكذا واستوفيه إذا أخذته تاماً، والآخر: إني متسلمك، من قولهم توفيت منه كذا، أي: تسلمته، وقال الربيع بن أنس: المراد بالتوفي النوم، وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائماً إلى السماء، معناه إني منيكم ورافعك إليّ، كما قال الله تعالى: (وهو الذي يتوفاكم بالليل) أي: يُنيمكم بالليل، وقال بعضهم: المراد بالتوفي الموت، وروى علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه: إني مميتك يدل عليه قوله تعالى: (قل يتوفاكم ملك الموت)، فعلى هذا له تأويلان أحدهما ما قاله وهب: توفي الله عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه الله إليه، وقال محمد بن إسحاق: إن النصاري يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياه ورفعاه إليه، والآخر: ما قاله الضحاك وجماعة: إن في هذه الآية تقديمًا وتأخيرًا معناه: إني رافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالك من السماء. قوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: مخرجك من بينهم ومنجيك منهم، ﴿وَجَاعِلَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾، قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي: هم أهل الإسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه في التوحيد من أمة محمد ﷺ، فهم فوق الذين كفروا ظاهرين قاهرين بالعزة والمنعة والحجة، وقال الضحاك: يعني الحواريين فوق الذين كفروا، وقيل: هم أهل الروم، وقيل: أراد بهم النصاري، أي: فهم فوق اليهود إلى يوم القيامة، فإن اليهود قد ذهب ملكهم، وملك النصاري دائم إلى قريب من قيام الساعة، فعلى هذا يكون الاتباع بمعنى الادعاء والمحبة، لا اتباع الدين، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾، في الآخرة،

فاستقلت الضمة على الياء فحذفت، قال الفراء: بمعنى تعال كأنه يقول ارتفع، ﴿نَدُّعُ﴾ جُزِمَ لجواب الأمر، وعلامة الجزم سقوط الواو، ﴿أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءُكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءُكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، قيل: أبناءنا الحسن والحسين، ونساءنا فاطمة وأنفسنا عنى نفسه وعلياً رضي الله عنه، والعرب تسمي ابن عم الرجل نفسه، كما قال الله تعالى: (ولا تلمزوا أنفسكم) يريد إخوانكم، وقيل: هو على العموم لجماعة أهل الدين، ﴿ثُمَّ نَبْتَهَلُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي تنضرع في الدعاء، وقال الكلبي: نجتهد ونبالغ في الدعاء، وقال الكسائي وأبو عبيدة: نبتهل، والابتهاال الالتعان، يقال عليه بهلة الله، أي: لعنته ﴿فَتَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، منا ومتكم في أمر عيسى.

[٦٢] قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ النبا الحق، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ (ومن) صلة تقديره: وما إله إلا الله، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[٦٣] ﴿إِنْ تَوَلَّوْا﴾، أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْرِدِينَ﴾، الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس إلى عبادة غير الله.

[٦٤] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ﴾ والعرب تسمي كل قصة لها شرح (كلمة) ومنه سميت القصيدة (كلمة) ﴿سَوَامٌ﴾ عدل بيننا وبينكم مستوية أي أمر مستو، يقال دعا فلان إلى السواء، أي إلى النصفة، وسواء كل شيء وسطه، ومنه قوله تعالى: (فرآه في سواء الجحيم) وإنما قيل: (للنصفة سواء) لأن أعدل الأمور أفضلها وأوسطها، سواء نعت لكلمة إلا أنه مصدر، والمصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث فإذا فتحت السين مددت، وإذا كسرت أو ضمت قصرت، كقوله تعالى: (مكاناً سوى)، ثم فسر الكلمة فقال: ﴿أَلَّا تَقْبَدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ ومحل (أن) رفع على إضمار

المحكم الممنوع من الباطل، وقيل: الذكر الحكيم: هو اللوح المحفوظ، وهو معلق بالعرش من درة بيضاء، وقيل: من الآيات أي من العلامات الدالة على نبوتك لأنها أخبار لا يعلمها إلا قارئ كتاب الله أو من يوحى إليه وأنت أُمِّي لا تقرأ.

[٥٩] ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ الآية نزلت في وفد نجران، وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا، قال: وما أقول؟ قالوا: تقول إنه عبد الله، قال: «أجل هو عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في كونه خلقه من غير أب ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ لأنه خلق من غير أب وأم، ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ﴾، يعني: لعيسى عليه السلام، ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، يعني: فكان، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ خلقاً، ولا تكوين بعد الخلق، قيل: معناه خلقه ثم أخبركم أنني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة، وهو مثل قول الرجل: أعطيتك اليوم درهماً ثم أعطيتك أمس درهماً أي: ثم أخبرك أنني أعطيتك أمس درهماً، وفيما سبق من التمثيل دليل على جواز القياس، لأن القياس هو رد فرع إلى أصل بنوع شبه، وقد رد الله تعالى خلق عيسى إلى آدم عليهم السلام بنوع شبه.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: هو الحق، وقيل: جاءك الحق من ربك، ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمَرِّينَ﴾ أي: الشاكين، الخطاب للنبي ﷺ، والمراد أمته.

[٦١] قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ أي: جادلك في أمر عيسى وفي الحق، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بأن عيسى عبدالله ورسوله، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾، أصله تعاليوا تفاعلوا من العلو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٥﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾
 قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
 أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
 بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
 مُسْلِمُونَ ﴿٦٧﴾ يَتَاهِلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي
 إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّورَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ هَكَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ
 عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
 لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ
 حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٠﴾ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ
 بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧١﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ
 وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٢﴾ يَتَاهِلُ
 الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٣﴾

﴿٦٧﴾ ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ
 حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، والحنيف المائل
 عن الأديان إلى الدين المستقيم، وقيل: الحنيف
 الذي يوحد ويحج ويضحي ويختن ويستقبل الكعبة
 وهو أسهل الأديان وأحبها إلى الله عز وجل.
 ﴿٦٨﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ
 اتَّبَعُوهُ﴾ أي من اتبعه في زمانه وملته بعده ﴿وَهَذَا
 النَّبِيُّ﴾ يعني محمدا ﷺ، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني:
 من هذه الأمة ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٦٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ﴾، نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن
 اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود إلى
 دينهم، فنزلت ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ﴾ أي: تمت جماعة
 من أهل الكتاب يعني اليهود، ﴿لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾
 يستزِيلونكم عن دينكم ويردونكم إلى الكفر، ﴿وَمَا

(هي)، وقال الزجاج: رفع بالابتداء، وقيل: محله
 نصب بنزع حرف الصلة، معناه بأن لا نعبد إلا الله،
 وقيل: محله خفض بدلا من الكلمة؛ أي: تعالوا
 إلى كلمة أن لا نعبد إلا الله، ﴿وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا
 وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كما فعلت
 اليهود والنصارى، قال الله تعالى: (اتخذوا
 أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)، وقال
 عكرمة: هو سجود بعضهم لبعض أي لا نسجد لغير
 الله وقيل: معناه لا نطيع أحدا في معصية الله ﴿فَإِنْ
 تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا﴾ أي فقولوا أنتم يا أمة محمد
 ﷺ لهم: اشهدوا ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون
 بالتوحيد.

﴿٦٥﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَاهِلُ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ
 فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ تزعمون أنه كان على دينكم، وإنما
 دينكم اليهودية والنصرانية وقد حدثت اليهودية بعد
 نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل، ﴿وَمَا
 أُنْزِلَتِ التَّورَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾، أي: بعد
 إبراهيم بزمان طويل وكان بين إبراهيم وموسى ألف
 سنة وبين موسى وعيسى ألفا سنة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
 بطلان قولكم.

﴿٦٦﴾ قوله تعالى: ﴿هَكَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ أصله أولاء
 دخلت عليه هاء التنبيه، وهو موضع النداء يعني: يا
 هؤلاء أنتم، ﴿حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ
 فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾، يعني في أمر موسى
 وعيسى، وادعيتم أنكم على دينهما، وقد أنزلت
 التوراة والإنجيل عليكم، فلم تحاجون فيما ليس
 لكم به علم وليس في كتابكم أنه كان يهوديا أو
 نصرانيا، وقيل: حاججتم فيما لكم به علم يعني:
 في أمر محمد ﷺ، لأنهم وجدوا نعته في كتابهم،
 فجادلوا فيه بالباطل، فلم تحاجون في إبراهيم،
 وليس في كتابكم ولا علم لكم به، ﴿وَاللَّهُ يَكْتُمُ
 وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ثم برأ الله تعالى إبراهيم عما
 قالوا، فقال:

يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿٧٠﴾ يَتَّهَلَّ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ؟
يعني: القرآن وبيان نعت محمد ﷺ، ﴿وَأَنْتُمْ
تَشْهَدُونَ﴾ أن نعته في التوراة والإنجيل مذكور.

﴿٧١﴾ يَتَّهَلَّ الْكِتَابُ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ؟
تخلطون الإسلام باليهودية والنصرانية، وقيل: لم
تخلطون الإيمان بعيسى عليه السلام وهو الحق،
بالكفر بمحمد ﷺ، وهو الباطل. وقيل: لم
تخلطون التوراة التي أنزلت على موسى بالباطل
الذي حرفتموه وكتبتموه بأيديكم، ﴿وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن محمداً ﷺ ودينه حق.

﴿٧٢﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي
أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجِئَ النَّهَارُ أَولُه، سمي وجهاً
لأنه أحسنه وأول ما يواجه الناظر فإياه، ﴿وَآفَرُوا
ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، فيشكون ويرجعون عن
دينهم.

﴿٧٣﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، هذا
متصل بالأول من قول اليهود بعضهم لبعض، ولا
تؤمنوا أي: ولا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم، أي:
وافق ملتكم، واللام في (من) صلة أي: لا تصدقوا
إلا لمن تبع دينكم اليهودية، كقوله تعالى: (قل
عسى أن يكون ردف لكم) أي: ردفكم. ﴿قُلْ إِنَّ
الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾، هذا خبر من الله تعالى أن البيان
بيانه، ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال: هذا كلام
معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الأول
إخبار عن قول اليهود لبعض، ومعناه: ولا تؤمنوا
إلا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما
أوتيتم من العلم والكتاب والحكمة والآيات من
المن والسلوى وقلق البحر وغيرها من الكرامات،
ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لأنكم أصبح ديناً
منهم، وهذا معنى قول مجاهد، وقيل: إن اليهود
قالت لسفلتهم، ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، ﴿أَن
يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ من العلم، أي لثلاث يؤتى

سورة آل عمران

٥٩

سورة آل عمران

يَتَّهَلَّ الْكِتَابُ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا
بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجِئَ النَّهَارُ وَآخِرُهُ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ
الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكم
عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْصُ رَحْمَتَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأْمَنَيْتُمْ بِقِطَارِ
يُودِهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن إِنْ تَأْمَنَيْتُمْ بِدِينَارٍ لَا يُوَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا
مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ
سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَشْرُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا
خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

أحد، و(لا) فيه مضمرة، كقوله تعالى: (يبين الله
لكم أن تصلوا) أي: لثلاث تصلوا، يقولون: لا
تصدقوهم لثلاث يعلمون مثل ما علمتم فيكون لكم
الفضل عليهم في العلم، أو لثلاث يحاجوكم عند
ربكم فيقولوا عرفتم أن ديننا حق، وهذا معنى قول
ابن جريج، وقرأ الحسن والأعمش (إن يؤتى)
بكسر الألف، فيكون قول اليهود تأمناً عند قوله: إلا
لمن تبع دينكم، وما بعده من قول الله تعالى،
يقول: قل يا محمد (إن الهدى هدى الله) أن يؤتى
(أن) بمعنى: الجحد، أي: ما يؤتى أحد مثل ما
أوتيتم يا أمة محمد ﷺ، ﴿أَوْ يُحَاجُّوكم عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾
يعني: إلا أن يجادلكم اليهود بالباطل فيقولوا:
نحن أفضل منكم، فقوله عز وجل: (عِنْدَ رَبِّكُمْ)،
أي: عند فعل ربكم بكم، وهذا معنى قول سعيد بن
جبير والحسن والكلبي ومقاتل، وقال الفراء ويجوز

[٧٥] قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ الآية، نزلت في اليهود أخبر الله تعالى أن فيهم أمانة وخيانة، والقطار عبارة عن المال الكثير، والدينار عبارة عن المال القليل، يقول: منهم من يؤدي الأمانة وإن كثرت، ومنهم من لا يؤديها وإن قلت، قال مقاتل: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ هم مؤمنو أهل الكتاب، كعبدالله بن سلام، وأصحابه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ يعني: كفار اليهود، ككعب بن الأشرف وأصحابه، وقال جوير عن الضحاك عن ابن عباس في قوله عز وجل: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ) يعني: عبدالله بن سلام، أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقية من ذهب فأذاها إليه، (وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ) يعني: فنحاص بن عازوراء، استودعه رجل من قريش ديناراً فخانه، ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾، قال ابن عباس ملحاً، يريد يقوم عليه يطالبه بالإلحاح، وقال الضحاك: مواظباً أي تواظب عليه بالاعتناء، وقيل: أراد أودعته ثم استرجعته وأنت قائم على رأسه ولم تفارقه رده إليك، فإن فارقته وأخرته أنكره ولم يؤده، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك الاستحلال والخيانة، ﴿يَأْنَهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتِينَ سَبِيلٌ﴾ أي: في مال العرب إثم وحرَج، كقوله تعالى: (ما على المحسنين من سبيل)، وذلك بأن اليهود قالوا: أموال العرب حلال لنا، لأنهم ليسوا على ديننا ولا حُرمة لهم في كتابنا، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم، وقال الكلبي: قالت اليهود إن الأموال كلها كانت لنا فيما في يد العرب منها فهو لنا، وإنما ظلمونا وغصبونا فلا سبيل علينا في أخذنا إياهم منهم، وقال الحسن وابن جريح ومقاتل: بايع اليهود رجالاً من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم بقية أموالهم

أن يكون (أو) بمعنى حتى كما يقال: تعلق به أو يعطيك حقك، ومعنى الآية: ما أعطي أحد مثل ما أعطيتكم يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم! وقرأ ابن كثير (أَنْ يُؤْتَى) بالمد على الاستفهام، وحيث أن يكون فيه اختصار تقديره: أن يُؤْتَى أحد مثل ما أُوتيتُم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تؤمنون به، هذا قول قتادة والربيع، قالوا: هذا من قول الله تعالى، يقول: قل لهم يا محمد إن الهدى هدى الله بأن أنزل كتاباً مثل كتابكم وبعث نبياً حسدتموه وكفرتُم به، ﴿قُلْ إِنْ أَلْفُ ضَلَّ يَدُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، قوله: (أو يحاجوكم) على هذه القراءة رجوع إلى خطاب المؤمنين، وتكون (أو) بمعنى (أن) لأنهما حرفا شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر، أي: وإن يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم، فقل يا محمد إن الهدى هدى الله ونحن عليه، ويجوز أن يكون الجميع خطاباً للمؤمنين، ويكون نظم الآية: أن يُؤْتَى أحدٌ مثل ما أُوتيتُم يا معشر المؤمنين حسدوكم، فقل: (إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ) ويجوز أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله (لعلهم يرجعون) وقوله تعالى: (وَلَا تُؤْمِنُوا) من كلام الله يثبت به قلوب المؤمنين لثلاً يشكوا عند تلبس اليهود وتزويرهم في دينهم، ويقول: لا تصدقوا يا معشر المؤمنين إلا لمن اتبع دينكم، ولا تصدقوا أن يُؤْتَى أحدٌ مثل ما أُوتيتُم من العلم والدين والفضل، ولا تصدقوا أن يحاجوكم في دينكم عند ربكم أي: يقدرُوا على ذلك، فإن الهدى هدى الله، وإن الفضل بيد الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ والله واسع عليم، فتكون الآية كلها خطاب الله للمؤمنين عند تلبس اليهود لثلاً يرتابوا.

[٧٤] قوله: ﴿يَخْتَصِرْ بِرَحْمَتِهِ﴾ أي: بنبوته ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

والتغيير، وهو ما غيروا من صفة النبي ﷺ وآية الرجم وغير ذلك، يقال: لوى لسانه عن كذا أي: غيره، ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: لتظنوا ما حرفوا ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾، الذي أنزله الله تعالى، ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ عَمْدًا﴾، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، أنهم كاذبون، وقال الضحاك عن ابن عباس: إن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعًا وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل وألحقوا بكتاب الله ما ليس منه.

[٧٩] قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِإِسْرَءِيلَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾ الآية، قال مقاتل والضحاك: ما كان لبشر يعني: عيسى عليه السلام، وذلك أن نصارى نجران كانوا يقولون: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربًا فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِإِسْرَءِيلَ﴾ يعني: عيسى ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾ أي الإنجيل، وقال ابن عباس وعطاء: ﴿مَا كَانَ لِإِسْرَءِيلَ﴾ يعني محمدًا ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾ أي القرآن، وذلك أن أبا رافع القرظي من اليهود، والرئيس من نصارى أهل نجران قالوا: يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك ربًا فقال: معاذ الله أن أمر بعبادة غير الله، وما بذلك أمرني الله، وما بذلك بعثني، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿مَا كَانَ لِإِسْرَءِيلَ﴾ أي ما ينبغي لبشر، كقوله تعالى: (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) أي ما ينبغي لنا، والبشر: جميع بني آدم لا واحد له من لفظه، كالقوم والجيش، ويوضع موضع الواحد والجمع، ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾، الفهم والعلم، وقيل: إمضاء الحكم عن الله عز وجل، ﴿وَالنَّبُوَّةَ﴾، المنزلة الرفيعة بالإنباء، ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّيْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا﴾ أي: ولاكن يقول كونوا، ﴿رَبِّكُنَّ﴾، اختلفوا فيه، قال علي وابن عباس والحسن: كونوا فقهاء علماء، وقال قتادة: حكماء وعلماء، وقال سعيد بن جبیر:

فقالوا: ليس لكم علينا حق، ولا عندنا قضاء لأنكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم، وادَّعوا أنهم وجدوا ذلك في كتبهم، فكذبهم الله عز وجل وقال عز من قائل: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، ثم قال ردًا عليهم:

[٧٦] ﴿بَلَى﴾ أي: ليس كما قالوا بل عليهم سبيل، ثم ابتداء فقال: ﴿مَنْ أَوْفَى﴾ أي: ولكن من أوفى ﴿بِعَهْدِهِ﴾ أي: بعهد الله الذي عهد إليه في التوراة من الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن وأداء الأمانة، وقيل: الهاء في عهده راجعة إلى الموفي ﴿وَأَتَقَى﴾ الكفر والخيانة ونقض العهد، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٧٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ قال عكرمة: نزلت في رؤوس اليهود كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة في شأن محمد ﷺ وبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله لثلا يفوتهم المآكل والرثا التي كانت لهم من أتباعهم. (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ) أي: يستبدلون بعهد الله، وأراد الأمانة، وأيمانهم الكاذبة ثمنًا قليلًا أي: شيئًا قليلًا من حطام الدنيا، ﴿أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ﴾، لا نصيب لهم ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾، ونعيمها ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ كلامًا ينفعهم ويسرهم، وقيل: هو بمعنى الغضب، كما يقول الرجل: إني لا أكلم فلانًا إذا كان غضب عليه، ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِسْمَةِ﴾، أي: لا يرحمهم ولا يُحسن إليهم ولا يُبليهم خيرًا، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾، أي: لا يُثني عليهم بالجميل ولا يُظهرهم من الذنوب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٧٨] قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ لَفِيقًا﴾ يعني: من أهل الكتاب لفريقًا أي: طائفة، وهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر، ﴿يَلُونُ أَلْسِنَتَهُمُ بِالْكِتَابِ﴾ أي: يعطفون ألسنتهم بالتحريف

سورة آل عمران

٦٠

سورة آل عمران

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرِيقًا يُلَوِّنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ
مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُمْ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ
مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيُنَا بِمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابَ
وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَلَائِكَةِ
وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابِ
وَحْيِهِ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي
قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾
فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾
أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا»، كفعل قريش والصابئين
حيث قالوا: الملائكة بنات الله واليهود والنصارى
حيث قالوا في المسيح وعزير ما قالوا، «أَيَأْمُرُكُمْ
بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»، قالوا له على طريق
التعجب والإنكار، يعني: لا يقوله هذا.

[٨١] قوله عز وجل: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ
لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابِ وَحْيِهِ» قرأ حمزة ﴿لَمَّا﴾
بكسر اللام، وقرأ الآخرون بفتحها، فمن كسر
اللام فهي لامُ الإضافة دخلت على ما الموصولة،
ومعناه: إن الذي يريد للذي آتيتكم، أي: أخذ
ميثاق النبيين لأجل الذي آتاهم من الكتاب
والحكمة وأنهم أصحاب الشرائع، ومن فتح اللام
فمعناه: للذي آتيتكم، بمعنى الخبر، وقيل: بمعنى
الجزاء، أي لئن آتيتكم ومهما آتيتكم، وجواب
الجزاء، قوله: (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ) قوله ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ﴾ قرأ

العالم الذي يعمل بعلمه، وعن سعيد بن جبير عن
ابن عباس: فقهاء مُعَلِّمين، وقيل: الرباني الذي
يُرَبِّي الناس بصغار العلم قبل كباره، وقال عطاء:
حكماء وعلماء ونُصحاء لله في خلقه، قال أبو
عبيدة: سمعت رجلاً عالمًا يقول: الرباني العالم
بالحلال والحرام والأمر والنهي العارف بأنباء الأمة
ما كان وما يكون، وقيل: الربانيون فوق الأجبار،
والأجبار فوق العلماء، والربانيون الذين جمعوا مع
العلم البصائر بسياسة الناس، قال المؤرج: كونوا
ربانيين تدينون لربكم، من الربوبية، كان في الأصل
ربي فأدخلت الألف للتضخيم، ثم أدخلت النون
لسكون الألف، كما قيل: صنعاني وبهراني، وقال
المبرد: هم أرباب العلم سموا به لأنهم يربون
العلم، ويقومون به ويربون المتعلمين بصغار العلوم
قبل كبارها، وكل من قام بإصلاح الشيء وإتمامه
فقد رَبَّه يُرَبِّه، واحدها: ريان كما قالوا: ريان
وعطشان وشبعان، ثم ضُمَّت إليه ياء النسبة، كما
يُقَال: الحَياني وربباني، وحُكي عن علي رضي الله
عنه أنه قال: هو الذي يربي علمه بعمله، قال
محمد ابن الحنفية يوم مات ابن عباس: اليوم مات
رباني هذه الأمة، ﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ أي: بما أنتم كقولك
تعالى: (من كان في المهد صبيًا)، أي: من هو في
المهد ﴿تُؤْمِنُونَ الْكِتَابَ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم
والكسائي ﴿تُعْلَمُونَ﴾ بالتشديد من التعليم، وقرأ
الآخرون (تُعْلَمُونَ) بالتخفيف من العلم، كقوله:
(وبما كنتم تدرسون) أي: تقرؤون.

[٨٠] قوله: «وَلَا يَأْمُرُكُمْ»، قرأ ابن عامر
وحمزة ويعقوب بنصب الراء عطفًا على قوله: (ثم
يقول)، فيكون مردودًا على البشر، أي: ولا يأمر
ذلك البشر، وقيل: على إضمار (أن) أي: ولا أن
يأمركم ذلك البشر، وقرأ الباقر بالرفع على
الاستئناف، معناه: ولا يأمركم الله، وقال ابن
جريج وجماعة: ولا يأمركم محمد، ﴿أَنْ تَتَّخِذُوا

كالصاييح والسرّج، وأخذ عليهم الميثاق في أمر محمد ﷺ، ﴿قَالَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾، أي: قبلتم على ذلكم عهدي، والإصر: العهد الثقيل، ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ﴾، الله تعالى ﴿فَاشْهَدُوا﴾ أي: فاشهدوا أتمم على أنفسكم وعلى أتباعكم، ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، عليكم وعليهم، وقال ابن عباس: فاشهدوا، أي فاعلموا، وقال سعيد بن المسيب: قال الله تعالى للملائكة فاشهدوا عليهم كناية عن غير مذكور.

[٨٢] ﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾، الإقرار، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، العاصون الخارجون عن الإيمان.

[٨٣] قوله عز وجل: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾، وذلك أن أهل الكتاب اختلفوا فادعى كل واحد أنه على دين إبراهيم عليه السلام واختصموا إلى رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: «كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم عليه السلام»، فغضبوا وقالوا: لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ﴾، خضع وانقاد، ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، فالطوع: الانقياد والاتباع بسهولة، والكره: ما كان بمشقة وإباء من النفس، واختلفوا في قوله: (طوعًا وكرهًا) قال الحسن: أسلم أهل السموات طوعًا وأسلم من في الأرض بعضهم طوعًا وبعضهم كرهًا خوفًا من السيف والسي، وقال مجاهد: طوعًا المؤمن، وكرهًا ذلك الكافر، وقيل: هذا يوم الميثاق حين قال لهم (ألست بربكم قالوا بلى)، فقال بعضهم: طوعًا وبعضهم: كرهًا، وقال قتادة: المؤمن من أسلم طوعًا فنفعه الإيمان، والكافر أسلم كرهًا في وقت اليأس فلم ينفعه الإسلام، وقال الشعبي: هو استعاضتهم به عند اضطرارهم، كما قال الله تعالى: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَا اللَّهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الدِّينَ)

نافع وأهل المدينة (آتيانكم) على التعظيم كما قال: (وآتيناهم داود زبورًا) (وآتيناهم الحكم صبيًا) وقرأ الآخرون بالتاء لموافقة الخط، ولقوله، (وإنّا معكم) واختلفوا في المعنى بهذه الآية فذهب قوم إلى أن الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين خاصة أن يُبلغوا كتاب الله ورسائله إلى عباده، وأن يُصدق بعضهم بعضًا، وأخذ اليهود على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء، وينصره إن أدركه، فإن لم يدركه أن يأمر قومه بنصرته إن (أدركوه)، فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى، ومن عيسى أن يؤمن بمحمد ﷺ، وقال الآخرون: بما أخذ الله الميثاق منهم في أمر محمد ﷺ، فعلى هذا اختلفوا فمنهم من قال: إنما أخذ الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل منهم النبيين، وهذا قول مجاهد والربيع، ألا ترى إلى قوله: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، وإنما كان محمد ﷺ مبعوثًا إلى أهل الكتاب دون النبيين يدل عليه أن في قراءة عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب)، وإنما القراءة المعروفة (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) فأراد: أن الله أخذ ميثاق النبيين أن يأخذوا الميثاق إلى أممهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدقوه وينصروه، إن أدركوه، وقال بعضهم: أراد أخذ الله الميثاق على النبيين، وأممهم جميعًا في أمر محمد ﷺ، فاكتمى بذكر الأنبياء لأن العهد على المتبوع عهد على الأتباع، وهذا معنى قول ابن عباس، وقال علي بن أبي طالب: لم يبعث الله نبيًا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه الميثاق والعهد في أمر محمد، وأخذ العهد على قومه ليؤمن به، ولئن بعث وهم أحياء لينصره، قوله: (ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ)، يعني: محمدًا ﷺ (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ) قَالَ: ، يقول الله تعالى للأنبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم عليه السلام والأنبياء فيهم

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٦١

سُورَةُ آلِ اِمْرَانٍ

قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾
كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا
أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنَّهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَّنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّاغُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كَفَارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ تِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَابًا وَلَوْ
أَفْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾

[٩٠] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا﴾ قال قتادة والحسن: نزلت في اليهود كفروا بعيسى عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ والقرآن، وقال أبو العالية: نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد ﷺ لما رأوه بعد إيمانهم بنعته وصفته في كتبهم، ثم ازدادوا كفراً، يعني: ذنباً في حال كفرهم، قال مجاهد: نزلت في جميع الكفار أشركوا بعد إقرارهم بأن الله خالقهم، قم ازدادوا كفراً أي: أقاموا على كفرهم حتى هلكوا عليه، قال الحسن: ثم ازدادوا كفراً كلما نزلت آية كفروا بها، فازدادوا كفراً وقيل: ثم ازدادوا كفراً بقولهم: نرتبص بمحمد ريب المنون، قال الكلبي: نزلت في أحد عشر من أصحاب الحارث بن سويد، لما رجع الحارث إلى الإسلام

وقال الكلبي: طوعاً الذي وُلد في الإسلام، وكرهاً الذين أُجبروا على الإسلام ممن يُسبى منهم فيجاء بهم في السلاسل، ﴿وَالَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ لأن مرجع جميع الخلق إلى الله عز وجل.

[٨٤] قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، ذكر الملل والأديان واضطراب الناس فيها، ثم أمر رسول الله ﷺ أن يقول: آمنا بالله الآية.

[٨٥] قوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، نزلت في اثني عشر رجلاً ارتدوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفاراً، منهم الحارث بن سويد الأنصاري، فنزلت فيهم ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٨٦] ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾، لفظه استفهام ومعناه جحد، أي: لا يهدي الله، وقيل معناه: كيف يهديهم الله في الآخرة إلى الجنة والثواب ﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. [٨٧] ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، وذلك أن الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندم فأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله ﷺ هل لي من توبة ففعلوا ذلك، فأنزل الله تعالى:

[٨٩] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، لما كان منه، فحملها إليه رجل من قومه وقرأها عليه فقال الحارث: إنك والله فيما علمت لصدوق وأن رسول الله ﷺ لأصدق منك وإن الله عز وجل لأصدق الثلاثة، فرجع الحارث إلى المدينة وأسلم وحسن إسلامه.

حتى تتصدقوا وأنتم أصحاب أشحاء.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، أي: يعلمه ويجازي به.

[٩٣] قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾، سبب نزول هذه الآية: أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان إبراهيم لا يأكل لحوم الإبل وألبانها وأنت تأكلها، فلست على ملته، فقال رسول الله ﷺ: «كان ذلك حلالاً لإبراهيم عليه السلام»، فقالوا: كل ما نحرمة اليوم كان ذلك حراماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يعني: ليس الأمر على ما قالوا من حرمة لحوم الإبل وألبانها على إبراهيم، بل كان الكل حلالاً له ولبنو إسرائيل، وإنما حرّمها إسرائيل على نفسه قبل نزول التوراة، يعني: ليست في التوراة حرمتها، وقال الضحاك: لم يكن شيء من ذلك حراماً عليهم ولا حرمة الله في التوراة، وإنما حرّمه على أنفسهم اتباعاً لأبيهم، ثم أضافوا تحريمه إلى الله، فكذبهم الله عز وجل، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾، حتى يتبين لكم أنه كما قلت، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فلم يأتوا، فقال الله عز وجل:

[٩٤] ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٩٥] ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وإنما دعاهم إلى اتباع ملة إبراهيم لأن في اتباع ملة إبراهيم اتباعه ﷺ.

[٩٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾، سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للمسلمين: بيت المقدس قبلتنا وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الأنبياء، وقال المسلمون الكعبة أفضل، فأنزل الله تعالى

أقاموا هم على الكفر بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا فمتى أردنا الرجعة نزل فينا ما نزل في الحارث، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة فمن دخل منهم في الإسلام قبلت توبته، ونزل فيمن مات منهم كافراً (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار) الآية، فإن قيل: قد وعد الله قبول توبة من تاب، فما معنى قوله: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، قيل: لن تقبل توبتهم إذا رجعوا في حال المعاينة، كما قال: (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن)، وقيل: هذا في أصحاب الحارث ابن سويد حيث أعرضوا عن الإسلام، وقالوا نترصب بمحمد ريب المنون، فإن ساعده الزمان نرجع إلى دينه، (لن تقبل توبتهم)، لن يقبل ذلك لأنهم متربصون غير محققين، وأولئك هم الضالون.

[٩١] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةُ الْأَرْضِ﴾، أي: قدر ما يملأ الأرض من شرقها إلى غربها، ﴿ذَهَابًا﴾، نصب على التفسير، كقولهم: عشرون درهماً. ﴿وَلَوْ أَتَيْنَا بِهِ﴾، قيل: معناه لو افتدى به، والواو زائدة مقحمة، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.

[٩٢] قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ يعني: الجنة، قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد، وقال مقاتل بن حيان: التقوى، وقيل: الطاعة، وقيل: الخير، وقال الحسن: لن تكونوا أبراراً، ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ﴾ أي: من أحب أموالكم إليكم، روى الضحاك عن ابن عباس: أن المراد منه أداء الزكاة، وقال مجاهد والكلبي: هذه الآية نسختها آية الزكاة، وقال الحسن: كل إنفاق يتبغي به المسلم وجه الله حتى الثمرة ينال به هذا البر، وقال عطاء: لن تنالوا البر أي: شرف الدين والتقوى

هذه الآية.

[٩٧] ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، وليس شيء من هذه الفضائل لبیت المقدس، واختلف العلماء في قوله تعالى: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة)، فقال بعضهم: هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض، خلقه قبل الأرض بألفي عام، وكان زبدة بياض على الماء، وقال بعضهم: هو أول بيت بني في الأرض، ويروى عن ابن عباس أنه قال: أراد به أنه أول بيت بناه آدم في الأرض، وقيل: هو أول بيت مبارك وضع هدى للناس يُعبد الله فيه ويحج إليه، وقيل: هو أول بيت جعل قبله للناس، وقال الحسن والكلبي: معناه أنه أول مسجد ومتعبد وضع للناس، وقيل: أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه، قوله تعالى: (لِلَّذِي بُنِيَ) قال جماعة: هي مكة نفسها، وقال الآخرون: بكة موضع البيت في مكة، ومكة اسم البلد كله وقيل: بكة موضع البيت والمطاف، سميت بكة: لأن الناس يتباكون فيها، أي يزدحمون بيبك بعضهم بعضًا ويمر بعضهم بين يدي بعض، (مُبَارَكًا) نصب على الحال أي: ذا بركة وهدى للعالمين، لأنه قبله للمؤمنين فيه آيات بينات، قرأ ابن عباس (آية بينة) على الواحد، وأراد مقام إبراهيم وحده، وقرأ الآخرون آيات بينات، بالجمع، فذكر منها مقام إبراهيم وهو الحجر الذي قام عليه إبراهيم، وكان أثر قدميه فيه، ومن تلك الآيات في البيت الحجر الأسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها، وقيل: مقام إبراهيم جميع الحرم، قوله عز وجل: (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) من أن يهاج فيه، وذلك بدعاء إبراهيم عليه السلام حيث قال: (رب اجعل هذا البلد آمناً)، وقيل: هو خبر بمعنى الأمر تقديره: ومن دخله فأثّموه، وقيل: معناه ومن دخله معظماً له متقرباً إلى الله عز وجل كان آمناً يوم القيامة من العذاب.

لَنْ نَنسَاوُا الَّذِي تَنَفَّقُوا عَلَيْهِمْ وَمَا تَحُجُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٦﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٧﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٩﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٠﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠١﴾ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٢﴾ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُصَدِّقُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ ءَمَنَ تَبِعُونَهَا عَوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامِنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَرِينَ ﴿١٠٤﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، أي: والله فرض واجب على الناس حج البيت، والحج أحد أركان الإسلام، والاستطاعة نوعان، أحدهما: أن يكون قادراً مستطيعاً بنفسه، والآخر: أن يكون مستطيعاً بغيره، أما الاستطاعة بنفسه، فأن يكون قادراً بنفسه على الذهاب ووجد الزاد والراحلة، أما الاستطاعة بالغير فهي أن يكون الرجل عاجزاً بنفسه، بأن كان زمناً أو به مرض غير مرجو الزوال، لكن له مال يمكنه أن يستأجر به من يحج عنه، يجب عليه أن يستأجر، أو لم يكن له مال بل بذل له ولده أو أجنبي الطاعة في أن يحج عنه، يلزمه أن يأمره إذا كان يعتمد صدقه، لأن وجوب الحج يتعلق بالاستطاعة، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، قال ابن عباس والحسن وعطاء: جحد فرض الحج، وقال مجاهد:

سُورَةُ آلِ اِمْرَانٍ

٦٣

الْحَمْدُ لِلّٰهِ

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ. وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٩٨﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٩٩﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٢﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ بَيِّنَاتٍ مِنْكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٣﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٤﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٥﴾

من كفر بالله واليوم الآخر، وقال سعيد بن المسيب: نزلت في اليهود حيث قالوا: الحج إلى مكة غير واجب، وقال السدي: هو من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كفر به.

[٩٨] قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ يَعَانِيَتُ اللَّهُ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾.

[٩٩] ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لم تصرفون عن دين الله، ﴿مَنْ ءَامَنَ تَبَعُونَهَا﴾، تطلبونها، ﴿عَوَجًا﴾ زيفًا وميلًا، يعني: لم تصدقوا عن سبيل الله باغين لها عوجًا؟ قال أبو عبيدة: العوج - بالكسر - في الدين والقول والعمل، والعَوَجُ - بالفتح - في الجدار، وكل شخص قائم، ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، أن في التوراة مكتوبًا نعت محمد ﷺ وإن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام.

[١٠٠] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فِرْعَانَ مِنَ الَّذِينَ أَوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني: مرشاسًا وأصحابه، ﴿يُرَدُّكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ قال جابر: فما رأيت قط يومًا أقبح، أو لا أحسن آخرًا من ذلك اليوم، ثم قال الله تعالى على وجه التعجب:

[١٠١] ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ يعني: ولم تكفروا؟ ﴿وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾، القرآن ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾، محمد ﷺ، قال قتادة: في هذه الآية علمان بيّنان: كتاب الله ونبي الله، أما نبي الله فقد مضى، وأما كتاب الله فقد أبقاه بين أظهركم رحمة من الله ونعمة، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ﴾ أي: يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته، ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، طريق واضح، وقال ابن جريج ومن يعتصم بالله أي: يؤمن بالله، وأصل العصمة: المنع، فكل مانع شيئًا فهو عاصم له.

[١٠٢] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قال مقاتل بن حيان: كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال حتى هاجر رسول الله ﷺ

إلى المدينة فأصلح بينهم فافتخر بعده منهم رجلان فغضبا وأنشدا الأشعار وتفاخرا، فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح، فأتاهم النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال عبدالله بن مسعود وابن عباس: هو أن يُطاع فلا يعصى، وقال مجاهد: أن تجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم، وتقوموا لله بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم، قال أهل التفسير: لما نزلت هذه الآية شق ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله ومن يقوى على هذا، فأنزل الله تعالى: (فاتقوا الله ما استطعتم) فنسخت هذه الآية ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي مؤمنون، وقيل: مخلصون مفوضون أموركهم إلى الله عز وجل، وقال الفضيل: محسنون الظن بالله.

[١٠٣] قوله عز وجل: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ

المفسرين: هم اليهود والنصارى، وقال بعضهم: المبتدعة من هذه الأمة.

[١٠٦] ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، (يَوْمَ) نصب على الظرف، أي: في يوم، وانتصاب الظرف على التشبيه بالمفعول، يريد: تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين، وقيل: تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، معناه: يقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم، ﴿فَقُودُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، فإن قيل كيف قال أكفرتم بعد إيمانكم، وهم لم يكونوا مؤمنين؟ قيل: أراد به الإيمان يوم الميثاق، حين قال لهم ربهم: ألسن بربكم؟ قالوا: بلى. وقال الحسن: هم المنافقون تكلموا بالإيمان بالسستهم، وأنكروا بقلوبهم، وقال عكرمة: إنهم أهل الكتاب آمنوا بأبيائهم وبمحمد ﷺ قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به، وقال قوم: هم من أهل قبلتنا، وقال أبو أمامة: هم الخوارج، وقال قتادة: هم أهل البدع.

[١٠٧] قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾، هؤلاء أهل الطاعة، ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾، ففي جنة الله. ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٠٨] ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾.

[١٠٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

[١١٠] ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال عكرمة ومقاتل: نزلت في ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة، رضى الله عنهم، وذلك أن مالك بن الصيف ووهب بن يهود اليهوديين قالا لهم: نحن أفضل منكم وديننا خير مما تدعوننا إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وروى

جَمِيعًا، الحبل: السبب الذي يتوصل به إلى البغية، وسمي الإيمان حبلًا لأنه سبب يتوصل به إلى زوال الخوف، واختلفوا في معناه ههنا، قال ابن عباس: معناه تمسكوا بدين الله، وقال ابن مسعود: هو الجماعة، وقال: عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة. وقال مجاهد وعطاء: بعهد الله، وقال قتادة والسدي: هو القرآن، وقال مقاتل بن حيان: بحبل الله أي: بأمر الله وطاعته، ﴿وَلَا تَفَرُّوا﴾، كما افترقت اليهود والنصارى، ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ جمع الله أهل المدينة أوسها وخزرجها بالإسلام وأصلح ذات بينهم بنبى محمد ﷺ، ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر الأنصار (إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً) قبل الإسلام (فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ) بالإسلام، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ أي: فصرتم، ﴿بِعِزَّتِهِ﴾ برحمته وبدينه الإسلام، ﴿إِخْوَانًا﴾ في الدين والولاية بينكم. ﴿وَكُنْتُمْ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾، أي على طرف حفرة مثل شفا البئر، معناه: وكنتم على طرف حفرة من النار ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على كفركم، ﴿فَأَنْقَذَكُمْ﴾ الله ﴿وَمِنْهَا﴾ بالإيمان، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

[١٠٤] ﴿وَلَنْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾، أي: ولنكونوا أمة، (من) صلة ليست للتبعض، كقوله تعالى: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) لم يرد اجتناب بعض الأوثان بل أراد فاجتنبوا الأوثان، واللام في قوله ﴿وَلَنْتَكُنْ﴾ لام الأمر، ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾، إلى الإسلام، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، قال أكثر

سورة آل عمران

٦٤

الحمد لله

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَاِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْاُمُورُ ﴿١١١﴾ كُنتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَلَوْ ءَامَنَ اَهْلُ الْكِتٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَاَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿١١٢﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ اِلَّا اَذًى وَاِنْ يَفْتَلَوْكُمْ يُؤَلُّوْكُمْ اِلَّا ذَبَارُكُمْ لَا يَضُرُّوْنَ ﴿١١٣﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ اَيْنَ مَا نَفَقُوْا اِلَّا يَحْبِلَ مِنَ اللّٰهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَآءُ وَبَغَضٌ مِنَ اللّٰهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ بِآيٰتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُوْنَ الْاَنْبِيَاَ وَيَغَيِّرُ حَقَّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوْا يَعْتَدُوْنَ ﴿١١٤﴾ لَيْسُوْا سَوَآءٌ مِّنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ اُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُوْنَ آيٰتِ اللّٰهِ اِنَّهٗ اَتٰلُ وَاُخْرٰى وَهُمْ يَسْجُدُوْنَ ﴿١١٥﴾ يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَيَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُوْنَ فِي الْخَيْرِ وَأُولٰٓئِكَ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ ﴿١١٦﴾ وَمَا يَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفِّرُوْهُ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ بِالْمُتَّقِيْنَ ﴿١١٧﴾

ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ بِآيٰتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُوْنَ الْاَنْبِيَاَ وَيَغَيِّرُ حَقَّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوْا يَعْتَدُوْنَ .

[١١٣] قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ اَهْلِ الْكِتَابِ اُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل: لما آمن عبدالله بن سلام وأصحابه، قالت أحوار اليهود: ما آمن بمحمد ﷺ إلا شرارنا ولولا ذلك لما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، واختلفوا في وجهها فقال قوم: فيه اختصار تقديره: ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة وأخرى غير قائمة، فترك الأخرى اكتفاءً بذكر أحد الفريقين، وقال الآخرون: تمام الكلام عند قوله (لَيْسُوا سَوَاءً) وهو وقف لأنه قد جرى ذكر الفريقين من أهل الكتاب في قوله تعالى: (منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) ثم قال: (لَيْسُوا سَوَاءً) يعني: المؤمنين والفاسقين، ثم وصف الفاسقين، فقال:

سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿كُنتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة، وقال جوبير عن الضحاك: هم أصحاب محمد ﷺ خاصة الرواة والدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم وقال الآخرون: جميع المؤمنين من هذه الأمة، وقوله (كُنتُمْ) أي: أنتم، كقوله تعالى: (واذكروا إذ كنتم قليلاً)، وقال في موضع آخر: (واذكروا إذ أنتم قليل)، وقيل: معناه كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ، وقال قوم: قوله (لِلنَّاسِ) صلة قوله: (خَيْرَ اُمَّةٍ) أي: أنتم خير أمة للناس. قال أبو هريرة معناه: كنتم خير الناس للناس، تجيئون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الإسلام، وقيل: للناس صلة قوله (أُخْرِجَتْ) معناه: ما أخرج الله للناس أمة خيراً من أمة محمد ﷺ. قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَلَوْ ءَامَنَ اَهْلُ الْكِتٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَاَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ أي: الكافرون.

[١١١] قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ اِلَّا اَذًى﴾، قال مقاتل: إن رؤوس اليهود عمدوا إلى من آمن منهم كعبدالله بن سلام وأصحابه، فأذوهم فأنزل الله تعالى هذه الآية، لن يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إلا أذى باللسان وعيداً وطغياناً، وقيل: كلمة كفر تأذون بها ﴿وَاِنْ يَفْتَلَوْكُمْ يُؤَلُّوْكُمْ اِلَّا ذَبَارُكُمْ﴾، منزهين، ﴿ثُمَّ لَا يَضُرُّوْكُمْ﴾، بل يكون لكم النصر.

[١١٢] ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ اَيْنَ مَا نَفَقُوْا﴾، حيث ما وجدوا ﴿اِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللّٰهِ﴾ يعني: أينما وجدوا استضعفوا وقتلوا أو سبوا فلا يأمنون إلا بحبل: عهد من الله تعالى بأن يسلموا، ﴿وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ﴾ من المؤمنين ببذل جزية أو أمان، يعني: إلا أن يعصموا بحبل الله فيأمنوا، قوله تعالى: ﴿وَبَآءُ وَبَغَضٌ مِنَ اللّٰهِ﴾ رجعوا به ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾

(لن يضرركم إلا أذى) ووصف المؤمنين بقوله (أُمَّةٌ قائمةٌ) وقيل: قوله (مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) ابتداء كلام آخر، لأن ذكر الفريقين قد جرى، ثم قال: ليس هذان الفريقان سواءً، ثم ابتداءً فقال: من أهل الكتاب، قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يستوي اليهود وأمة محمد ﷺ القائمة بأمر الله الثابتة على الحق المستقيمة، وقوله تعالى: (أُمَّةٌ قائمةٌ) قال ابن عباس: أي مهتدية قائمة على أمر الله لم يضيعوه ولم يتركوه. وقال مجاهد: عادلة. وقال السدي: مطيعة قائمة على كتاب الله وحده. وقيل قائمة في الصلاة. وقيل: الأمة الطريقة. ومعنى الآية: أي ذوو أمة، أي: ذوو طريقة مستقيمة. ﴿يَتَلَوْنَ آيَاتِ اللَّهِ﴾، يقرؤون كتاب الله، وقال مجاهد: يتبعون ﴿ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ ساعاته، ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يصلون، لأن التلاوة لا تكون في السجود، واختلفوا في معناها، فقال بعضهم: هي قيام الليل، وقال ابن مسعود صلاة العتمة يصلونها ولا يصلوها من سواهم من أهل الكتاب.

[١١٤] قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْتُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَتَّهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[١١٥] ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء فيهما إخبار عن الأمة القائمة، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما، لقوله (كنتم خير أمة)، وأبو عمرو يرى القراءتين جميعاً، ومعنى هذه الآية: وما تفعلوا من خير فلن تعدموا ثوابه بل يشكر لكم وتجاوزون عليه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْفِرِينَ﴾، بالمؤمنين.

[١١٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، أي: لا تدفع أموالهم بالفدية وأولادهم بالنصرة من الله شيئاً، أي: من عذاب الله، وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد

﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وإنما جعلهم من أصحابها لأنهم أهلها لا يخرجون منها ولا يفارقونها، كصاحب الرجل لا يفارقه.

[١١٧] ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قيل: أراد نفقات أبي سفيان وأصحابه ببدر وأحد على عداوة رسول الله ﷺ، وقال مقاتل: أراد نفقة اليهود على علمائهم، قال مجاهد: يعني جميع نفقات الكفار في الدنيا وصدقاتهم، وقيل: أراد إنفاق المرائي الذي لا يبتغي به وجه الله تعالى، ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها السموم الحارة التي تقتل، وقيل فيها صرٌّ أي: صوت، وأكثر المفسرين قالوا: فيها برد شديد، ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾ زرع قوم، ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، بالكفر والمعصية ومنع حق الله تعالى، ﴿فَأَهْلَكْتَهُ﴾، فمعنى الآية: مثل نفقات الكفار وذهابها وقت الحاجة إليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فأهلكته أو نار فأحرقته فلم ينتفع أصحابه منه بشيء، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾، بذلك، ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، بالكفر والمعصية.

[١١٨] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصدقة والحلف والجوار والرضاع، فأنزله الله تعالى هذه الآية ينهاهم عن مبايعتهم خوف الفتنة عليهم، وقال مجاهد: نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين فنهاهم الله تعالى عن ذلك، فقال: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: أولياء أصفياء من غير أهل ملتكم، وبطانة الرجل: خاصته، تشبيهاً ببطانة الثوب التي تلي بطنه، لأنهم يستبطنون أمره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم، ثم بين العلة في النهي عن مبايعتهم فقال جل ذكره: ﴿لَا يَأْلُوَنَكُمْ حَبَآكَا﴾، أي لا يقصرون

الْمُؤْمِنِينَ

٦٥

سُورَةُ آلِ اِمْرَانٍ

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
 مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٩﴾
 مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
 صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا
 ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٢٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأُولُونَكُمْ خَبْرًا
 وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
 صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢١﴾
 هَآئِنَا أَوْلَىٰ أَتُحِبُّونَهُمْ وَلَا تُحِبُّونَهُمْ وَتُقِيمُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ
 وَإِذَا الْقَوْمُ فَالِقُوا ءِمْنًا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْهِمْ أَلَأَنَّا نَمْلِكُ
 مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٢٢﴾
 إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَّفْرَحُوا
 بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا
 إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٣﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
 تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْفِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٤﴾

الدخول في دينكم، وخصب في معاشكم
 ﴿تَسُؤْهُمْ﴾، تحزنهم، ﴿وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾، مساءة
 بإخفاق سرية لكم أو إصابة عدو منكم، واختلاف
 يكون بينكم أو جذب أو نكبة، ﴿يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن
 تَصْبِرُوا﴾، على أذاهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾، تخافوا ربكم
 ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾، أي: لا ينقصكم، ﴿كَيْدُهُمْ
 شَيْئًا﴾، قرأ ابن عامر وابن كثير ونافع وأهل البصرة
 (لا يَضُرُّكُمْ) بكسر الضاد خفيفة، يقال: ضار يضير
 ضيرًا، وهو جزم على جواب الجزاء، وقرأ الباقون
 بضم الضاد وتشديد الراء من ضرّ يضّرّ ضرًا،
 مثل رد يرد ردًا وفي رفعه وجهان. أحدهما: أنه
 أراد الجزم، وأصله يضرركم فادغمت الراء في
 الراء، ونقلت ضمة الراء الأولى إلى الضاد وضمت
 الثانية اتباعًا، والثاني: أن تكون لا بمعنى ليس
 ويضم في الفاء، تقديره: وإن تصبروا وتتقوا فليس

ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد،
 والخبال: الشر والفساد، ونصب (خبالًا) على
 المفعول الثاني، لأن (يألو) يتعدى إلى مفعولين،
 وقيل: بنزع الخافض، أي بالخبال، كما يقال
 أوجعته ضربًا ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾، أي يودون ما يشق
 عليكم من الضر والشر والهلاك، والعت المشقة،
 ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ﴾ أي: البغض، معناه ظهرت
 أماراة العداوة، ﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾، بالشتيمة والوقية
 في المسلمين، وقيل: بإطلاع المشركين على
 أسرار المسلمين، ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾، من
 العداوة والغيظ، ﴿أَكْبَرُ﴾، أعظم، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ
 الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

[١١٩] ﴿هَآئِنَا﴾ ها تنبيه وأنتم كناية للمخاطبين
 من الذكور، ﴿أَوْلَىٰ﴾ اسم للمشار إليه، يريد أنتم
 أيها المؤمنون، ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ أي: تحبون هؤلاء
 اليهود الذين نهيتكم عن مباظنتهم للأسباب التي
 بينكم من القرابة والرضاع والمصاهرة، ﴿وَلَا
 يُحِبُّونَكُمْ﴾، لما بينكم من مخالفة الدين، وقال مقاتل
 هم المنافقون يحبهم المؤمنون لما أظهروا من
 الإيمان، ولا يعلمون ما في قلوبهم، ﴿وَتُقِيمُونَ
 بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾، يعني بالكتب كلها وهم لا يؤمنون
 بكتابكم، ﴿وَإِذَا الْقَوْمُ فَالِقُوا ءِمْنًا وَإِذَا خَلَوْا﴾، وكان
 بعضهم مع بعض ﴿عَصَوْا عَلَيْكُمْ أَلَأَنَّا نَمْلِكُ مِنَ الْغَيْظِ﴾،
 يعني: أطراف الأصابع واحدها أنملة بضم الميم
 وفتحها، من الغيظ، لما يرون من ائتلاف المؤمنين
 واجتماع كلمتهم، وعص الأنامل عبارة عن شدة
 الغيظ وهذا من مجاز الأمثال، وإن لم يكن ثم
 عض، ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾، أي: ابقوا إلى الممات
 بغيظكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، أي: بما في
 القلوب من خير وشر.

[١٢٠] وقوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾ أي:
 تصيبكم أيها المؤمنون ﴿حَسَنَةٌ﴾ بظهوركم على
 عدوكم وغنيمة تالونها منهم، وتتابع الناس في

يُضْرَكُم كَيْدَهُمْ شَيْئًا، ﴿١٢١﴾ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ، أي: عالم.

[١٢١] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ﴾، قال الحسن: هو يوم بدر، وقال مقاتل: يوم الأحزاب، وقال سائر المفسرين: هو يوم أحد، وقال مجاهد والكلبي والواقدي: غدا رسول الله ﷺ من منزل عائشة رضي الله عنها يمشي على رجله إلى أحد فجعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم القدح. فكان من حرب أحد ما كان، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ أي: مواطن، ومواضع للقتال، يقال: بوأت القوم إذا وطنتهم، وتبوءوا هم إذا توطؤوا، قال الله تعالى: (ولقد بوأنا بني إسرائيل مَبُوءًا صدق)، وقال: (أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتًا) وقيل: تتخذ معسكرًا، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[١٢٢] ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ أي: تجبنا وتضعفا وتتخلفا، والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحي العسكر، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد في ألف رجل، وقيل: في تسعمائة وخمسين رجلاً، فلما بلغوا الشوط اتخذ عبدالله بن أبي بلث الناس ورجع في ثلاثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فتبعهم أبو جابر السلمي فقال: أنشدكم بالله في نبيكم وفي أنفسكم، فقال عبدالله بن أبي: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف مع عبد الله بن أبي، فعصمهم الله فلم ينصرفوا فذكرهم الله عظيم نعمته، فقال عز وجل ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ ناصرهما وحافظهما، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٢٣] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾، وبدر موضع بين مكة والمدينة وهو اسم لموضع،

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ رَبُّكُمْ ثَلَاثَةَ آلِ الْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلِ الْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ فَلَوْ يَكْفِيكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا أَحَادِيثَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَعْرِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

وعليه الأكثرون، وقيل: اسم لبئر هناك، وقيل: كانت بدر بئرًا لرجل يقال له بدر، ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، جمع: ذليل، وأراد به قلة العدد فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فنصرهم الله مع قلة عددهم وعددهم، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

[١٢٤] ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ رَبُّكُمْ﴾، اختلفوا في هذه الآية فقال قتادة: كان يوم بدر أمدهم الله تعالى بألف من الملائكة كما قال: (فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة) [الأفقال: ٩]، ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف كما ذكر ههنا، ﴿ثَلَاثَةَ آلِ الْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ﴾.

[١٢٥] ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلِ الْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ فصبروا يوم بدر واتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف من

فقال عروة بن الزبير: كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عائم صفر، وقال علي وابن عباس رضي الله عنهم: عائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم، وقال هشام بن عروة والكلبي: عليهم عائم صفر مرخاة على أكتافهم، وقال الضحاك وقتادة: كانوا قد أعلموا بالعهن في نواصي الخيل وأذناها.

[١٢٦] قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ يعني هذا الوعد والمدد، ﴿إِلَّا بُشِّرَى لَكُمْ﴾ أي: بشارة لتستبشروا به ﴿وَلِنُظْمِينَ﴾ ولتسكن ﴿قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْغَنِيزِ الْحَكِيمِ﴾ يعني: لا تحيلوا بالنصر على الملائكة والجند، فإن النصر من الله تعالى فاستعينوا به وتوكلوا عليه، لأن العز والحكم له.

[١٢٧] قوله تعالى: ﴿يَقْطَعُ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يقول لقد نصركم الله ليقطع طرفاً أي: لكي يهلك طائفة من الذين كفروا، وقال السدي: معناه ليهدم ركناً من أركان الشرك بالقتل والأسر، ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ قال الكلبي: يهزمهم، وقال يمان: يصرعهم لوجوهم، قال السدي: يلعنهم، وقال أبو عبيدة: يهلكهم، وقيل: يحزنهم، والمكبوت: الحزين، وقيل: يكبدهم أي: يصب الحزن والغیظ أكبادهم، والتاء والـدال يتعاقبان كما يقال سبت رأسه وسبده إذا حلقه، وقيل: يكتبهم بالخيبة، ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَآبِينَ﴾، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يرجون من الظفر بكم.

[١٢٨] قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، أي: ليس إليك، فاللام بمعنى (إلى) كقوله تعالى: (ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان)، أي: إلى الإيمان، وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، قال بعضهم: معناه حتى يتوب عليهم: أو إلا أن يتوب عليهم، وقيل: هو نسق على قوله: (ليقطع طرفاً)، وقوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ اعتراض بين

الملائكة كما وعد، قال الحسن: وهؤلاء الخمسة آلاف ردة المؤمنين إلى يوم القيامة، قال ابن عباس ومجاهد: لم تقاتل الملائكة في المعركة إلا يوم بدر فيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون، وإنما يكونون عدداً ومدداً، وقال الآخرون: إنما وعد الله تعالى المسلمين يوم بدر إن صبروا على طاعته واتقوا محارمه أن يمددهم أيضاً في حروبهم كلها، فلم يصبروا إلا يوم الأحزاب، فأمددهم حين حاصروا قريظة والنضير، وقال الضحاك وعكرمة: كان هذا يوم أحد وعدهم الله المدد إن صبروا فلم يصبروا فلم يمدوا.

قوله تعالى: (أن يمدكم ربكم) الإمداد: إعانة الجيش، وقيل: ما كان على جهة القوة والإعانة، يقال فيه: أمدّه إمداداً، وما كان على جهة الزيادة، ويقال فيه: مده مدداً، منه قوله تعالى: (والبحر يمدّه) وقيل: المد في الشر، والإمداد في الخير، يدل عليه قوله تعالى: (ويمدهم في طغيانهم) وقال في الخير (وأمددناكم بأموال وبنين).

قوله تعالى: (بثلاثة آلاف من الملائكة مُنزّلين) قرأ ابن عامر تشديد الزاي على التكاثر لقوله تعالى: (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة)، وقرأ الآخرون بالتخفيف دليله قوله تعالى: (لولا أنزل علينا الملائكة).

وقوله: (وأنزل جنوداً لم تروها)، ثم قال (بلى) نمدكم (إن تصبروا) لعدوكم (وتتقوا) مخالفة نبيكم (ويأتوكم) يعني المشركين (من فورهم هذا) قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والحسن وأكثر المفسرين: من وجههم هذا، وقال مجاهد والضحاك: من غضبهم هذا لأنهم إنما رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر، (يُمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) لم يرد خمسة آلاف سوى ما ذكر من ثلاثة آلاف، بل أراد معهم، وقوله (مُسَوِّمين) أي: معلمين، واختلفوا في تلك العلامة،

معناه كعرض السموات السبع والأرضين السبع عند ظنكم، ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿الَّذِينَ يُتَّقُونَ فِي الْتَرَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾، أي: في اليسر والعسر، فأول ما ذكر من أخلاقهم الموجبة للجنة ذكر السخاوة، ﴿وَالْكُطَيْبِ الْغَيْظِ﴾ أي: الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، والكظم: حبس الشيء عند امتلائه، وكظم الغيظ أن يمتلئ غيظاً فيرده في جوفه ولا يظهره. ومنه قوله تعالى: (إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ) ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، قال الكلبي عن المملوكين سوء الأدب، وقال زيد بن أسلم ومقاتل: عمن ظلمهم وأساء إليهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، عن الثوري: الإحسان أن تحسن إلى المسيء، فإن الإحسان إلى المحسن تجارة.

[١٣٥] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ يعني: قبيحة خارجة عما أذن الله تعالى فيه، وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد، قال جابر: الفاحشة الزنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، ما دون الزنا من القبلة والمعانقة والنظر واللمس، وقال مقاتل والكلبي: الفاحشة ما دون الزنا من قبلة أو لمسة أو نظرة فيما لا يحل، أو ظلموا أنفسهم بالمعصية، وقيل: فعلوا فاحشة الكبائر، أو ظلموا أنفسهم بالصغائر. وقيل: فعلوا فاحشة فعلاً أو ظلموا أنفسهم قولاً ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أي: ذكروا وعيد الله، والله سائلهم، وقال مقاتل بن حيان: ذكروا الله باللسان عند الذنوب، ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ يُغْفِرْ لَهُ﴾ أي: وهل يغفر الذنوب إلا الله، ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ أي: لم يقيموا ولم يثبتوا عليه، ولكن تابوا وأنبأوا واستغفروا، وأصل الإصرار: الثبات على الشيء، قال الحسن: إتيان العبد ذنباً عمداً إصرار حتى يتوب. وقال السدي: الإصرار: السكوت وترك الاستغفار ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، قال ابن عباس والحسن ومقاتل

الكلامين، ونظم الآية: ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكتبهم أو يتوب عليهم ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾، ليس لك من الأمر شيء، بل الأمر أمري في ذلك كله.

[١٢٩] ثم قال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٣٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ أَصْحَابَكُمْ مُضْغَعَةً﴾، أراد به ما كانوا يفعلونه عند طول أجل الدين من زيادة المال وتأخير الطلب، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمر الربا فلا تأكلوه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾.

[١٣١] ثم خوفهم فقال: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

[١٣٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، لكي ترحموا.

[١٣٣] ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، بادروا وسابقوا إلى الأعمال التي توجب المغفرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إلى الإسلام، وروى عنه: إلى التوبة، وبه قال عكرمة، وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: إلى أداء الفرائض، وقال أبو العالية: إلى الهجرة، وقال الضحاك: إلى الجهاد، وقال مقاتل: إلى الأعمال الصالحة. وروي عن أنس بن مالك أنها التكبيرة الأولى، ﴿وَجَنَّةٍ﴾ أي وإلى جنة ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: عرضها كعرض السموات والأرض، كما قال في سورة الحديد: (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) أي: سعتها، وإنما ذكر العرض على المبالغة لأن طول كل شيء في الأكثر والأغلب أكثر من عرضه، يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها؟ قال الزهري: إنما وصف عرضها فأما طولها فلا يعلمه إلى الله، وهذا على التمثيل لا أنها كالسموات والأرض لا غير،

والكلبي: وهم يعلمون أنها معصية، وقيل: وهم يعلمون أن الإصرار ضار، وقال الضحاك: وهم يعلمون أن الله يملك مغفرة الذنوب، وقال الحسن ابن الفضل: أن لهم رباً يغفر الذنوب، وقيل: وهم يعلمون أن الله لا يتعاطمه العفو عن الذنوب وإن كثرت وقيل: وهم يعلمون أنهم إن استغفروا غفر لهم.

[١٣٦] ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ ثواب المطيعين.

[١٣٧] قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾، قال عطاء: شرائع وقال الكلبي: مضت لكل أمة سنة ومنهاج إذا اتبعوها رضي الله عنهم، وقال مجاهد: قد خلت من قبلكم سنن بالهلاك فيمن كذب قبلكم، وقيل: سنن أي: أُمم، والسنة: الأمة، وقيل معناه: أهل السنن، والسنة: الطريقة المتبعة في الخير والشر، يقال: سنَّ فلان سنة حسنة، وسنة سيئة إذا عمل عملاً اقتدى به فيه من خير وشر، ومعنى الآية: قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الأمم الماضية الكافرة، بأمهالي واستدراجي إياهم حتى يبلغ الكتاب فيهم أجلي الذي أجلته لإهلاكهم، وإدالة أنبيائي عليهم ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾، أي: آخرنا من المكذبين، وهذا في حرب أحد، يقول الله عز وجل: فأنا أمهلهم وأستدرجهم حتى يبلغ أجلي الذي أجلته في نصرة النبي ﷺ وأوليائه وإهلاك أعدائه.

[١٣٨] ﴿هَٰذَا﴾ أي: هذا القرآن، ﴿بَيِّنَاتٌ لِّلنَّاسِ﴾، عامة، ﴿هُدًى﴾، من الضلالة، ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، خاصة.

[١٣٩] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهْتُوا وَلَا تَحْزَنْوْا﴾، هذا حث لأصحاب النبي ﷺ على الجهاد والصبر على ما أصابهم من القتل والجرح يوم أحد، يقول

سورة آل عمران

٦٧

الآيات

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٦] ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٣٧] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [١٣٨] ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ [١٣٩] ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [١٤٠] ﴿هَٰذَا بَيِّنَاتٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [١٤١] ﴿وَلَا تَهْتُوا وَلَا تَحْزَنْوْا وَأَنْتُمْ الْآعْلُونَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [١٤٢] ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمُ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [١٤٣]

الله تعالى: (وَلَا تَهْتُوا) أي: لا تضعفوا ولا تجبنوا عن جهاد أعدائكم بما نالكم من القتل والجرح، وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة منهم: حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير، وقتل من الأنصار سبعون رجلاً، ﴿وَلَا تَحْزَنْوْا﴾ أي: على ما فاتكم، ﴿وَأَنْتُمْ الْآعْلُونَ﴾ بأن يكون لكم العاقبة بالنصر والظفر على أعدائكم، ﴿إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني: إذا كنتم، أي: لأنكم مؤمنون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: انهزم أصحاب رسول الله ﷺ في الشعب فأقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبي ﷺ: اللهم لا يعلوه علينا، اللهم لا قوة لنا إلا بك، وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْآعْلُونَ﴾ وقال الكلبي: نزلت

هذه الآية بعد يوم أحد حين أمر النبي ﷺ أصحابه بطلب القوم بعدما أصابهم من الحرج، فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية، دليله قوله تعالى: (ولا تهنوا في ابتغاء القوم).

[١٤٠] ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (فرح) بضم القاف حيث جاء، وقرأ الآخرون بالفتح وهما لغتان معناهما واحد كالجهد والجهد، وقال الفراء: بالفتح اسم للجراحة، وبالضم اسم لألم الجراحة، هذا خطاب مع المسلمين حيث انصرفوا من أحد مع الكآبة والحزن، يقول الله تعالى: (إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ) يوم أحد، ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ وَمِثْلُهُ﴾، يوم بدر ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، فيوم لهم ويوم عليهم، أدبل المسلمون من المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين، وأدبل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين. ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: إنما كانت هذه المداولة ليعلم؛ أي: ليرى الله الذين آمنوا فيميز المؤمن من المنافق، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾، يكرم أقواما بالشهادة ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

[١٤١] ﴿وَلِيَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: يطهركم من الذنوب، ﴿وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ﴾، يفنيهم ويهلكهم، معناه: أنهم إن قتلوكم فهو تطهير لكم، وإن قتلتموهم فهو محققهم واستئصالهم.

[١٤٢] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ؟﴾ أي: أحسبتم؟ ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ أي: ولم يعلم الله، ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْقَادِرِينَ﴾.

[١٤٣] ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُتَهُ﴾، وذلك أن قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا ويستشهدوا فأراهم الله يوم أحد، وقوله: (تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ) أي: سبب الموت وهو الجهاد من قبل أن تلقوه، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوهُ﴾ يعني:

وَلِيَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْقَادِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُتَهُ فَقَدْ رَأَيْتُمْوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَدَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَقَاتَلَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

أسبابه، ﴿وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾، فإن قيل: ما معنى قوله: (وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ)، بعد قوله: (فقد رأيتموه)؟ قيل: ذكره تأكيداً، وقيل: الرؤية قد تكون بمعنى العلم، فقال: (وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ) ليعلم، أن المراد بالرؤية النظر، وقيل: معناه وأنتم تنظرون إلى محمد ﷺ.

[١٤٤] قوله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾. محمد هو المستغرق لجميع المحامد، لأن الحمد لا يستوجبه إلا الكامل، والتحميد فوق الحمد، فلا يستحقه إلا المستولي على الأمر في الكمال، وأكرم الله نبيه وصفه باسمين مشتقين من اسمه جل جلاله (محمد وأحمد)، قوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ أي: رجعتم إلى دينكم الأول، ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾، ويرتد عن دينه، ﴿فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا﴾، بارتداده وإنما ضر نفسه، ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

الريبين، ويكون المراد: بعض من معه، تقول العرب قتلنا بني فلان، وإنما قتلوا بعضهم، ويكون قوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ راجعاً إلى الباقيين، والوجه الثالث: أن يكون القتل للريبين لا غير، وقوله (ريبونٌ كثير)، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: جموع كثيرة، وقال ابن مسعود: الريون الألوف، وقال الكلبي الرِّبِّيَّة الواحدة: عشرة آلاف، وقال الضحاك: الربية الواحدة: ألف، وقال الحسن: فقهاء علماء وقيل: هم الأتباع، والربانيون والريون الولاة والرعية، وقيل: منسوب إلى الرب وهم الذين يعبدون الرب، (فَمَا وَهَنُوا) أي: فما جَبُونُوا، ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾، عن الجهاد بما نالهم من ألم الجراح، وقتل الأصحاب. ﴿وَمَا اسْتَكَاثُوا﴾، قال مقاتل: وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم، وقال السدي: وما ذلوا، وقال عطاء: وما تضرعوا، وقال أبو العالية: وما جبنوا ولكن صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.

[١٤٧] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾، نصب على خير كان، والاسم في أن قالوا، ومعناه: وما كان قولهم عند قتل نبيهم، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آغِفْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي: الصغائر، ﴿وَأَسْرِفْنَا فِي أَمْرِنَا﴾، أي: الكبائر، ﴿وَكُنَّتِ أَقْدَامُنَا﴾، كي لا تزول، ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، فيقول: فهلا فعلتم وقتلتم مثل ذلك يا أصحاب محمد ﷺ.

[١٤٨] ﴿فَقَاتِلْهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾، النصر والغنيمة، ﴿وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ﴾، أي الأجر والجنة، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[١٤٩] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا اللَّهَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني اليهود والنصارى، وقال علي رضي الله عنه، يعني المنافقين في قولهم: للمؤمنين عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم،

[١٤٥] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ﴾، قال الأخفش: اللام في (لنفس) منقولة من تموت تقديره: وما كان نفس لتموت، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، بقضائه وقدره، وقيل: بعلمه، وقيل: بأمره، ﴿كَلْبًا مُّوَجَّلاً﴾ أي: كتب لكل نفس أجلاً لا يقدر أحد على تغييره وتأخيرها، ونصب ﴿كَتَبًا﴾ على المصدر، أي: كتب كتاباً، ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ يعني: من يرد بطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاءً لعمله، يريد نؤته منها ما يشاء مما قدرناه له، كما قال: (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد)، نزلت في الذين تركوا المركز يوم أحد طلباً للغنيمة، ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾، أي أراد بعمله الآخرة، قيل: أراد الذين ثبتوا مع أميرهم عبدالله ابن جبير حتى قُتلوا، ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾، أي المؤمنين المطيعين.

[١٤٦] قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ معناه: وكم، وهي كاف التشبيه ضمت إلى أي الاستفهامية، ولم يقع التنوين صورة في الخط إلا في هذا الحرف خاصة، (قاتل) قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة بضم القاف، وقرأ الآخرون (قاتل) فمن قرأ (قاتل) فلقوله: (فما وهنوا) ويستحيل وصفهم بأنهم لم يهنوا بعدما قُتلوا، لقول سعيد بن جبير: ما سمعنا أن نبياً قتل في القتال، ولأن (قاتل) أعم، قال أبو عبيدة: إن الله تعالى إذا حمد من قاتل كان من قتل داخلاً فيه، وإذا حمد من قُتل لم يدخل فيه غيرهم، فكان (قاتل) أعم، ومن قرأ (قُتل) فله ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون القتل راجعاً إلى النبي وحده، فيكون تمام الكلام عند قوله (قتل)، ويكون في الآية إضمار معناه: ومعه ربيون كثير، كما يقال: قتل فلان معه جيش كثير، أي: ومعه، والوجه الثاني: أن يكون القتل نال النبي ومن معه من

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٩

سُورَةُ آلِ اِمْرَانٍ

يَتَّيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اِنْ طَغَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا
يُرْذُوكُمْ عَلَىٰ اَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٨﴾
بَلِ اللّٰهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٤٩﴾ سَنُلْقِي
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا اَشْرَكُوا بِاللّٰهِ
مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطٰنًا وَمَا وَهُمْ اِلَّا نَارٌ وَيَسَّ
مَوْتِى الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ
وَعَدَةً اِذْ تَحْسُونَهُمْ بِاٰذْنِهِ ۚ حَتّٰى اِذَا فُشِلْتُمْ
وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْاَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْۢ بَعْدِ مَا اَرْسَلْنَا
مَّا تَحِبُّونَ مِّنْكُمْ مَّنۢ يُّرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ
مَّنۢ يُّرِيدُ الْاٰخِرَةَ ثُمَّ صَرَّفَكُمۡ عَنْهُمْ لِتُبْلٰىكُمۡ
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللّٰهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥١﴾ اِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوَنَ عَلَىٰ اَحَدٍ
وَالرَّسُوْلُ يَدْعُوْكُمْ فِيْ اٰخِرَتِكُمْ فَاثْبِكُمْ
عَمَّا يَفْعَمُ لِڪَيْلًا تَحَرُّوْا عَلٰى مَا فَاَنَكُمْ
وَلَا مَا اَصْبَحَكُمْ وَاللّٰهُ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ ﴿١٥٢﴾

﴿يُرْذُوكُمْ عَلَىٰ اَعْقَابِكُمْ﴾، يرجعوكم إلى أول
أمركم من الشرك بالله، ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾،
مغبونين.

[١٥٠] ثم قال: ﴿بَلِ اللّٰهُ مَوْلَاكُمْ﴾، ناصركم
وحافظكم على دينكم الإسلام، ﴿وَهُوَ خَيْرُ
النَّاصِرِينَ﴾.

[١٥١] ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الرُّعْبَ﴾ وذلك أن أبا سفيان والمشركين لما
ارتحلوا يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى
إذا بلغوا بعض الطريق، ندموا وقالوا: بش ما
صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد
تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم، فلما عزموا على
ذلك قذف الله في قلوبهم الرعب، حتى رجعوا عما
هؤما به، فذلك قوله تعالى (سَنُلْقِي) أي: سنقذف
في قلوب الذين كفروا الرعب، الخوف ﴿بِمَا
اَشْرَكُوا بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطٰنًا﴾ حجة
وبرهاناً، ﴿وَمَا وَهُمْ اِلَّا نَارٌ وَيَسَّ
مَوْتِى الظَّالِمِينَ﴾، مقام الكافرين.

[١٥٢] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ
وَعَدَةً﴾ قال محمد بن كعب القرظي: لما رجع
رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة من أحد، قد
أصابهم ما أصابهم، قال ناس من أصحابه: من
أين أصابنا هذا؟ وقد وعدنا الله النصر، فأنزل الله
تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ وَعَدَةً﴾ بالنصر
والظفر، وذلك أن الظفر كان للمسلمين في
الابتداء، ﴿اِذْ تَحْسُونَهُمْ بِاٰذْنِهِ﴾، وذلك أن رسول
الله ﷺ جعل أحداً خلف ظهره واستقبل المدينة
وجعل عينين وهو جبل عن يساره وأقام عليه الرماة
وأمر عليهم عبدالله بن جبير، وقال لهم: احموا
ظهورنا فإن رأيتونا قد غَمِمًا فلا تُشْرِكُونَا وإن
رأيتونا نُقْتَلُ فلا تنصرونَا، وأقبل المشركون
فأخذوا في القتال فجعل الرماة يرشقون خيل
المشركين بالنبل، والمسلمون يضربونهم بالسيوف،

حتى ولّوا هاربين فذلك قوله تعالى: (إِذْ تَحْسُونَهُمْ
بِأُذْنِهِ) أي تقتلونهم قتلاً ذريعاً بقضاء الله، قال أبو
عبيدة: (الحسن): الاستئصال بالقتل ﴿حَتّٰى اِذَا
فُشِلْتُمْ﴾ أي إن جبتُم، وقيل: معناه فلما فشلتم،
﴿وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْاَمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾، فالواو زائدة في
(وتنازعتم) يعني: إذا فشلتم تنازعتم، وقيل: فيه
تقديم وتأخير، تقديره: حتى إذا تنازعتم في الأمر
وعصيتُم فُشِلْتُم، ومعنى التنازع الاختلاف، وكان
اختلافهم أن الرماة اختلفوا حين انهزم المشركون،
فقال بعضهم: انهزم القوم فما مقامنا؟ وأقبلوا على
الغنيمة، وقال بعضهم: لا تجاوزوا أمر رسول الله
ﷺ، وثبت عبدالله بن جبير في نفر يسير دون
العشرة، فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي
جهل ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبدالله بن جبير
وأصحابه، وأقبلوا على المسلمين وجاءت الريح

يَعَزَّ، وقيل: الباء بمعنى على، أي: غمًا على غمٍّ، وقيل: غمًا متّصلًا بغمٍّ، فالغمُّ الأول: ما فاتهم من الظفر والغنيمة، والغم الثاني: ما نالوا من القتل والهزيمة، وقيل: الغم الأول ما أصابهم من القتل والجراح، والغم الثاني: أن محمدًا ﷺ قد قتل فأنساهم الغم الأول، وقيل الغم الأول: إشراف خالد بن الوليد عليهم بخيل المشركين، والغم الثاني: حين أشرف عليهم أبو سفيان، وأصحابه، حتى وقفوا بباب الشعب، فلما نظر المسلمون إليهم همهم ذلك وظنوا أنهم يميلون عليهم فيقتلونهم فأنساهم هذا ما نالهم، فقال رسول الله ﷺ: ليس لهم أن يعلونا اللهم إن تقتل هذه العصاة لا تُعبد في الأرض، ثم ندب أصحابه فرمواهم بالحجارة حتى أنزلوهم.

وقيل: إنهم غمّوا الرسول بمخالفة أمره، فجازاهم الله بذلك الغمَّ غمَّ القتل والهزيمة، قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾، من الفتح والغنيمة، ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ أي: ولا على ما أصابكم من القتل والهزيمة، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٥٤] ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ﴾، يا معشر المسلمين، ﴿مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾ يعني: أمنًا، والأمن والأمنة بمعنى واحد، وقيل: الأمن يكون مع زوال سبب الخوف، والأمنة مع بقاء سبب الخوف، وكان سبب الخوف هنا قائمًا، ﴿تُعَاسًا﴾، بدل من الأمنة ﴿يَمَنُّنَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي (تُعْشَى) بالتاء ردًا إلى الأمنة، وقرأ الآخرون بالياء ردًا إلى التُعَاسِ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمّتهم يومئذٍ بُعَاسٌ يغشاهم، وإنما ينعس من يأمن، والخائف لا ينام (يُعْشَى طائفةٌ منكم) يعني: المؤمنين، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ يعني: المنافقين: قيل: أراد تمييز المنافقين من المؤمنين، فأوقع التُعَاسَ على المؤمنين حتى آمنوا، ولم يوقع

فصارت دبورًا بعد ما كانت صبًا، وانقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضًا ما يشعرون من الدهش، ونادى إبليس أن محمدًا قد قُتل، فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين، قوله تعالى: ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ يعني: الرسول ﷺ وخالفتم أمره ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ﴾، الله ﴿مَا تَحِبُّونَ﴾ يا معشر المسلمين من الظفر والغنيمة، ﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾، يعني: الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب، ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾، يعني: الذين ثبتوا مع عبدالله ابن جبير حتى قتلوا، قال عبدالله بن مسعود: ما شعرت أن أحدًا من أصحاب النبي ﷺ يُريد الدنيا حتى كان يوم أحد، ونزلت هذه الآية ﴿ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ﴾، أي ردكم عنهم بالهزيمة، ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليمتحانكم، وقيل: لينزل البلاء عليكم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة منكم لأمر نبيكم، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٥٣] ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ﴾ يعني: ولقد عفا عنكم إذ تصعدون هارين والإصعاد: السير في مستوى الأرض، والصعود: الارتفاع على الجبال والسطوح، قال أبو حاتم: يقال أصعدت إذا مضيت حيال وجهك، وصعدت إذا ارتقيت في جبل أو غيره، وقال المبرد: أصعد إذا أبعد في الذهاب ﴿وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ﴾ أي: لا تخرجون ولا تقيمون على أحد، لا يلتفت بعضهم إلى بعض ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ﴾ أي: في أخرجكم ومن ورائكم إليّ عباد الله أنا رسول الله من يكره فله الجنة، ﴿فَاتَّبِعْكُمْ﴾، فجازاكم، جعل الإنابة بمعنى العقاب، وأصلها في الحسنات لأنه وضعها موضع الثواب، كقوله تعالى: (فبشرهم بعذاب أليم) جعل البشارة في العذاب، ومعناه: جعل مكان الثواب الذين كنتم ترجون ﴿غَمًّا

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا كَآلِدِينَ كَافِرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

واحد، ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾، أي: بشؤم ذنوبهم، قال بعضهم: بتركهم المركز، وقال الحسن: ما كسبوا هو قبولهم من الشيطان ما وسوس إليهم من الهزيمة، ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾. [١٥٦] ﴿يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا كَآلِدِينَ كَافِرُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني: المنافقين عبدالله بن أبي وأصحابه، ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾، في النفاق والكفر، وقيل: في النسب، ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافروا فيها لتجارة أو غيرها، ﴿أَوْ كَانُوا غُرَى﴾ أي: غزاة جمع غاز فقتلوا، ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ يعني: قولهم وظنهم، ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ﴾ (يعملون) بَصِيرٌ ﴿قُرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَحَمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ﴾ (يعملون) بالياء، وقرأ الآخرون بالناء.

[١٥٧] ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾، قرأ

على المنافقين، فبقوا في الخوف قد أهمتهم أنفسهم، أي: حملتهم على الهَمِّ يقال: امرٌ مهمٌّ ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أي: لا ينصر محمدًا، وقيل: ظنوا أن محمدًا ﷺ قد قتل، ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ أي: كظن أهل الجاهلية والشرك، ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا﴾: ما لنا، لفظه استفهام ومعناه: جحدٌ، ﴿مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: النصر، ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾، قرأ أهل البصرة برفع اللام على الابتداء وخبره في (الله) وقرأ الآخرون بالنصب على البدل، وقيل: على النعت، ﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾، وذلك أن المنافقين، قال بعضهم لبعض: لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد إلى قتال أهل مكة ولم يقتل رؤسائنا، وقيل: لو كنا على الحق ما قتلنا ههنا، قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: يظنون بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية، يعني: التكذيب بالقدر، وهو قولهم: (لو كان لنا من الأمر شيءٌ ما قُتِلْنَا هَاهُنَا)، ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾، مصارعهم، ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ﴾، وليمتحن الله، ﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ﴾، يخرج ويظهر ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، بما في القلوب من خير وشر.

[١٥٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾، انهزموا، ﴿مِّنْكُمْ﴾، يا معشر المسلمين، ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾، جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد، وكان قد انهزم أكثر المسلمين ولم يبق مع النبي ﷺ إلا ثلاثة عشر رجلًا ستة من المهاجرين: وهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: طلب زلتهم، كما يقال: استعجلت فلانًا إذا طلبت عجلته، وقيل: حملهم الزلة وهي الخطيئة، وقيل: أزل واستزل بمعنى

سُورَةُ آلِ اِمْرَانٍ

٧١

الْمُتَوَكِّلِينَ

وَلِينَ مُتَمِّمٌ اَوْ قُتِلْتُمْ لَآ اِلٰهَ اِلَّا اللَّهُ تَحْشُرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ
 اَللّٰهِ لَئِنْ لَّمْ يَلَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ
 فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْاَمْرِ فَاِذَا عَزَمْتَ
 فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ اِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ اِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ
 فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَاِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ
 بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ اَنْ
 يَّعْلَلَ وَنَّ يَغْلَلَ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ
 نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ اَفَمَنْ اَتْبَعَ رِضْوَنَ
 اَللّٰهِ كَمَنْ اَتٰ بِاَسْحَابٍ مِّنْ اَللّٰهِ وَمَا وُفِّىَ بِهِمْ وَبَشِّرِ الْمَصِيرِ
 ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُكُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٣﴾
 لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ اِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ اَنْفُسِهِمْ
 يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ
 وَالْحِكْمَةَ وَلَئِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾
 اَوْلَمَّا اَصْلَبْتُمْ مُّصِيبَةً قَدْ اَصْبَحْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ اِنَّا هٰذَا
 قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اَنْفُسِكُمْ اِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

تعالى بمشاورتهم تطيباً لقلوبهم، فإن ذلك أعطف
 لهم عليه وأذهب لأضغانهم، فإن سادات العرب
 كانوا إذا لم يشاوروا في الأمر شق ذلك عليهم،
 وقال الحسن: قد علم الله عز وجل أنه ما به إلى
 مشاورتهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده،
 ﴿فَاِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ لا على مشاورتهم، أي:
 قم بأمر الله وثق به واستعنه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

[١٦٠] ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾، يُعينكم الله ويمنعكم
 من عدوكم، ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾، مثل يوم بدر،
 ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾، يترككم فلم ينصركم كما كان
 بأحد، والخذلان: القعود عن النصرة، والإسلام
 للهلكة ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾، أي: من
 بعد خذلانه، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، قيل:
 التوكل ألا تعصي الله من أجل رزقك، وقيل: ألا

نافع وحمزة والكسائي (متم) بكسر الميم، وقرأ
 الآخرون بالضم، فمن ضمه فهو من مات يموت،
 كقولك: من قال يقول قلت: بضم القاف، ومن
 كسره فهو من مات يمات، كقولك من خاف
 يخاف: خِفْتُ، ﴿لَمَعْفَرَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾، في العاقبة،
 ﴿وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، من الغنائم، قراءة
 العامة (تجمعون) بالياء، لقوله: (ولئن قُتِلتم) وقرأ
 حفص عن عاصم (يجمعون) بالياء، يعني: خير
 مما يجمع الناس.

[١٥٨] ﴿وَلِينَ مُتَمِّمٌ اَوْ قُتِلْتُمْ لَآ اِلٰهَ اِلَّا اللَّهُ تَحْشُرُونَ﴾،
 في العاقبة.

[١٥٩] قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي:
 فبرحمة من الله، و(ما) صلة، كقوله (فيما نقضهم)
 ﴿لَئِنْ لَّمْ يَلَهُمْ﴾ أي: سهلت لهم أخلاقك، وكثرة
 احتمالك، ولم تسرع إليهم بالغضب فيما كان منهم
 يوم أحد، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا﴾ يعني: جافياً سئاً
 الخلق قليل الاحتمال، ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾، قال
 الكلبي: فظاً في القول غليظ القلب في الفعل،
 ﴿لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، أي: نفرؤا وتفرقوا عنك
 يقال: فضضتهم فانفضوا، أي: فرقهم فتفرقوا
 ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾، تجاوز عنهم ما أتوا يوم أحد
 ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ حتى أشفعك فيهم، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي
 الْأَمْرِ﴾ أي: استخرج آراءهم واعلم ما عندهم، من
 قول العرب: شُرْتُ الدابة، وشروتها، إذا
 استخرجت جريها، وشرت العسل وأشرته إذا
 أخذته من موضعه، واستخرجته، واختلفوا في
 المعنى الذي لأجله أمر الله نبيه ﷺ بالمشارة مع
 كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحي عليه،
 ووجوب طاعته على الخلق فيما أحبوا أو كرهوا،
 فقال بعضهم: هو خاص في المعنى، أي:
 وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله تعالى عهد،
 وقال الكلبي: يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكايد
 الحرب عند الغزو، وقال مقاتل وقتادة: أمر الله

بالإيمان والشفقة لا بالنسب، دليله قوله تعالى: (لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم) ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾. من قبل بعثه ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾. (لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم) ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾. من قبل بعثه ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾.

[١٦٥] ﴿أَوْ لَمَّا﴾ أي: حين ﴿أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾، بأحد، ﴿فَدَّأْبَتُمْ مِثْلَهَا﴾، بيدر، وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون منهم بيدر سبعين وأسروا سبعين، ﴿قُلْتُمْ أَأَنْتَ هَذَا﴾، من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله ﷺ فينا؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، روى عبيدة السلماني عن علي رضي الله عنه قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الأسارى، وقد أمرك أن تخيرهم بين أن يقدموا فتضرب أعناقهم، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم، فذكر ذلك رسول الله ﷺ للناس فقالوا: يا رسول الله عشارنا وإخواننا، لا بل تأخذ منهم فداءهم، فقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتُهم، فقتل منهم يوم أحد سبعون عددًا أسارى أهل بدر، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، أي بأخذكم الفداء واختياركم القتل، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٦٦] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾، بأحد من القتل والجرح والهزيمة، ﴿فَإِذَنْ أَلَّهِ﴾، أي: بقضاء الله وقدره، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: وليُمَيِّز، وقيل ليرى.

[١٦٧] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْ فَنُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: لأجل دين الله وطاعته، ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾، عن أهلكم وحريمكم، وقال السدي: أي: كثروا سواد المسلمين واربطوا إن لم تُقاتلوا يكون ذلك دفعًا وقمعًا للعدو، ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالَ لَا تَبْنَعُنَّكُمْ﴾، وهو عبدالله بن أبي وأصحابه الذين

تطلب لنفسك ناصراً غير الله ولا لرزقك خازناً غيره ولا لعملك شاهداً غيره.

[١٦١] قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم (يغل) بفتح الياء وضم الغين، معناه: أن يخون، والمراد منه الأمة: وقيل: اللام فيه منقولة معناه: ما كان النبي ليغل، وقيل: معناه ما كان يظن به ذلك ولا يأتي به، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الغين، وله وجهان، أحدهما: أن تكون من الغلول أيضاً، أي: ما كان لنبي أن يخان، يعني: أن تخونه أمته، والوجه الآخر: أن يكون من الإغلال، معناه: ما كان لنبي أن يغل: أن يخون، أي: يُنسب إلى الخيانة، ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، قال الكلبي: يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له: انزل فخذ فينزل فيحمله على ظهره فإذا بلغ موضعه وقع إلى النار، ثم يكلف أن ينزل إليه، فيخرجه فيفعل ذلك به. ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

[١٦٢] ﴿أَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾، فترك الغلول، ﴿كَمْ بَاءَ يَسْخَطُ مِنَ اللَّهِ﴾، فعل، ﴿وَمَا أُوْلَهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْأَمِيرُ﴾.

[١٦٣] ﴿هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني: ذو درجات عند الله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مُخْتَلَفُوا المنازل عند الله، فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم، ولمن باء بسخط من الله العذاب الأليم. ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَصْمَلُونَ﴾.

[١٦٤] ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، قيل: أراد به العرب لأنه ليس حيٍّ من أحياء العرب إلا وله فيهم من نسب إلا بني تغلب، دليله قوله تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم) وقال الآخرون: أراد به جميع المؤمنين، ومعنى قوله تعالى: (من أنفسهم) أي:

وَمَا أَصْبَحْتُمْ يَوْمَ التَّقَى الْمَجْمَعَانِ فَيَا ذِينَ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْ فَنَقُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ آدِفُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُم لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٩﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ، فِي النِّسْبِ لَا فِي الدِّينِ وَهُمْ شُهَدَاءُ أَحَدٍ وَقَعَدُوا ﴿١٧٠﴾ يَعْنِي: قَعَدَ هَؤُلَاءِ الْقَاتِلُونَ عَنِ الْجِهَادِ ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾، وَانصَرَفُوا عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَقَعَدُوا فِي بُيُوتِهِمْ ﴿مَا قُتِلُوا قُلُوبًا﴾، لَهُمْ يَا مُحَمَّد، ﴿فَادْرُءُوا﴾، فَادْفَعُوا، ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَلَمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أَنْ الْحَذَرَ يُعْنِي عَنِ الْقَدَرِ.

[١٦٩] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ الْآيَةُ، قِيلَ: نَزَلَتْ فِي شُهَدَاءِ بَدْرٍ وَكَانُوا أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ثَمَانِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ وَسِتَّةَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَقَالَ الْآخَرُونَ: نَزَلَتْ فِي شُهَدَاءِ أَحَدٍ وَكَانُوا سَبْعِينَ رَجُلًا، وَقَالَ قَوْمٌ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي شُهَدَاءِ بَثْرَ مَعُونَةَ، وَقِيلَ: إِنْ أَوْلِيَاءُ الشُّهَدَاءِ كَانُوا أَصَابَتْهُمْ نِعْمَةٌ تَحْسَرُوا عَلَى الشُّهَدَاءِ، وَقَالُوا: نَحْنُ فِي النِّعْمَةِ وَأَبَاؤُنَا وَأَبْنَاؤُنَا وَإِخْوَانُنَا فِي الْقُبُورِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَنْفِيسًا عَنْهُمْ وَإِخْبَارًا عَنْ حَالِ قِتَالِهِمْ: (وَلَا تَحْسَبَنَّ) وَلَا تَقْنَنَ (الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ (قَتَلُوا) بِالتَّشْدِيدِ، وَالْآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ (أَمْوَاتًا) كَأَمْوَاتٍ مِنْ لَمْ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، قِيلَ: أَحْيَاءٌ فِي الدِّينِ، وَقِيلَ: فِي الذِّكْرِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُمْ يَرْزُقُونَ وَيَأْكُلُونَ وَيَتَمَتَّعُونَ كَالْأَحْيَاءِ، وَقِيلَ: لِأَنَّ أَرْوَاحَهُمْ تَرْكَعُ وَتَسْجُدُ كُلَّ لَيْلَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقِيلَ: لِأَنَّ الشَّهِيدَ لَا يَبْلَى فِي الْقَبْرِ، وَلَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ، ﴿يَرْزُقُونَ﴾، مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ وَتُحْفِهَا.

[١٧٠] ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، رَزَقَهُ وَثَوَابَهُ، ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾، وَيَفْرَحُونَ، ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾، مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَرَكُوهُمْ أَحْيَاءَ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنَاجِجِ الْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ لَعَلَّهُمْ أَنَّهُمْ إِذَا اسْتَشْهَدُوا وَلَحِقُوا بِهِمْ وَنَالُوا مِنَ الْكِرَامَةِ مَا نَالُوا، فَهُمْ لِذَلِكَ مُسْتَبْشِرُونَ، ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[١٧١] ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وَقَرَأَ الْكَسَايِيُّ بِكَسْرِ الْأَلِفِ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ، ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٧٢] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولَ﴾

أَيُّ أَجَابُوا، وَمَحَلُّ (الَّذِينَ) خَفَضَ عَلَى صِفَةِ الْمُؤْمِنِينَ تَقْدِيرُهُ: إِنْ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَجِيبِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولَ، ﴿وَمَنْ بَعْدَ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾، أَيُّ: نَالَهُمُ الْجَرْحُ فِي أَحَدٍ، وَتَمَّ الْكَلَامُ هَهُنَا ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بِطَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِجَابَتِهِ إِلَى

انصرفوا عن أحد وكانوا ثلاثمائة، قال الله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ﴾ أَيُّ: إِلَى الْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ ﴿مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ أَيُّ: إِلَى الْإِيمَانِ، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، يَعْنِي: كَلِمَةُ الْإِيمَانِ ﴿مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾.

[١٦٨] ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾، فِي النِّسْبِ لَا فِي الدِّينِ وَهُمْ شُهَدَاءُ أَحَدٍ ﴿وَقَعَدُوا﴾ يَعْنِي: قَعَدَ هَؤُلَاءِ الْقَاتِلُونَ عَنِ الْجِهَادِ ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾، وَانصَرَفُوا عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَقَعَدُوا فِي بُيُوتِهِمْ ﴿مَا قُتِلُوا قُلُوبًا﴾، لَهُمْ يَا مُحَمَّد، ﴿فَادْرُءُوا﴾، فَادْفَعُوا، ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَلَمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أَنْ الْحَذَرَ يُعْنِي عَنِ الْقَدَرِ.

[١٦٩] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ الْآيَةُ، قِيلَ: نَزَلَتْ فِي شُهَدَاءِ بَدْرٍ وَكَانُوا أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ثَمَانِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ وَسِتَّةَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَقَالَ الْآخَرُونَ: نَزَلَتْ فِي شُهَدَاءِ أَحَدٍ وَكَانُوا سَبْعِينَ رَجُلًا، وَقَالَ قَوْمٌ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي شُهَدَاءِ بَثْرَ مَعُونَةَ، وَقِيلَ: إِنْ أَوْلِيَاءُ الشُّهَدَاءِ كَانُوا أَصَابَتْهُمْ نِعْمَةٌ تَحْسَرُوا عَلَى الشُّهَدَاءِ، وَقَالُوا: نَحْنُ فِي النِّعْمَةِ وَأَبَاؤُنَا وَأَبْنَاؤُنَا وَإِخْوَانُنَا فِي الْقُبُورِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَنْفِيسًا عَنْهُمْ وَإِخْبَارًا عَنْ حَالِ قِتَالِهِمْ: (وَلَا تَحْسَبَنَّ) وَلَا تَقْنَنَ (الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ (قَتَلُوا) بِالتَّشْدِيدِ، وَالْآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ (أَمْوَاتًا) كَأَمْوَاتٍ مِنْ لَمْ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، قِيلَ: أَحْيَاءٌ فِي الدِّينِ، وَقِيلَ: فِي الذِّكْرِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُمْ يَرْزُقُونَ وَيَأْكُلُونَ وَيَتَمَتَّعُونَ كَالْأَحْيَاءِ، وَقِيلَ: لِأَنَّ أَرْوَاحَهُمْ تَرْكَعُ وَتَسْجُدُ كُلَّ لَيْلَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقِيلَ: لِأَنَّ الشَّهِيدَ لَا يَبْلَى فِي الْقَبْرِ، وَلَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ، ﴿يَرْزُقُونَ﴾، مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ وَتُحْفِهَا.

[١٧٠] ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، رَزَقَهُ وَثَوَابَهُ، ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾، وَيَفْرَحُونَ، ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾، مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَرَكُوهُمْ أَحْيَاءَ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنَاجِجِ الْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ لَعَلَّهُمْ أَنَّهُمْ إِذَا اسْتَشْهَدُوا وَلَحِقُوا بِهِمْ وَنَالُوا مِنَ الْكِرَامَةِ مَا نَالُوا، فَهُمْ لِذَلِكَ مُسْتَبْشِرُونَ، ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧٣

سُورَةُ آلِ اِمْرَانٍ

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلِ لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٣﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لَّا أَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيُذَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٧﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْرَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنْفُسِهِمْ أَنَّ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بِلْ هُوَ شَرُّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٧٩﴾

بمسارعتهم في الكفر، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ﴾، نصيباً في ثواب الآخرة، فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَوْا﴾، استبدلوا ﴿الْكَفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾، بمسارعتهم في الكفر وإنما يضرون أنفسهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[١٧٨] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ حمزة هذا والذي بعده بالتاء فيهما، وقرأ الآخرون بالياء، فمن قرأ بالياء (فالذين) في محل الرفع على الفاعل وتقديره: لا يحسبن الكفار إملاءنا لهم خيراً، ومن قرأ بالتاء يعني: ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا، وإنما نصب على البدل من الذين، ﴿أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لَّا أَنْفُسِهِمْ﴾، والإملاء الإمهال والتأخير، يقال: عشت طويلاً وتمليت حيناً، ومنه قوله تعالى:

الغزو، ﴿وَأَتَّقُوا﴾، معصيته ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٧٣] ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه، ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾، فخافوهم واحذروهم، فإنه لا طاقة لكم بهم، ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ تصديقاً و يقيناً وقوله: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ أي: كافينا الله، ﴿وَيَعْنِ الْوَكِيلُ﴾، أي: الموكل إليه الأمور، فعيل بمعنى مفعول.

[١٧٤] ﴿فَانْقَلَبُوا﴾، فانصرفوا، ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ بعافية لم يلقوا عدواً ﴿وَفَضْلٍ﴾ تجارة وربح، ﴿لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ﴾ لم يصبهم أذى ولا مكروه، ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ في طاعة الله وطاعة رسوله، وذلك أنهم قالوا: هل يكون هذا غزو فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٧٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ يعني: ذلك الذي قال لكم: (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم)، من فعل الشيطان ألقى في أفواههم لترهبوهم وتجنبوا عنهم، ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾، أي يخوفكم بأوليائه، وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب يعني: يخوف المؤمنين بالكافرين، قال السدي: يعظم أولياءه في صدورهم ليخافوهم، يدل عليه قراءة عبدالله بن مسعود (يخوفكم أولياءه)، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا﴾، في ترك أمري ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾، مصدقين بوعدى لأنني متكفل لكم بالنصر والظفر.

[١٧٦] قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ﴾، قرأ نافع (يحزنك) بضم الياء وكسر الزاي، وكذلك في جميع القرآن إلا قوله: (لا يحزنهم الفزع الأكبر)، ضده أبو جعفر، وهما لغتان: حزن يحزن وأحزن يحزن، إلا أن اللغة الغالبة حزن يحزن، ﴿الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾، قال الضحاك: هم كفار قريش، وقال غيره: المنافقون يسارعون في الكفر بمظاهرة الكفار. ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾،

الطيب) وهو المؤمن، يعني: حتى تحط الأوزار عن المؤمن بما يصيبه من نكبة ومحنة ومصيبة، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾، لأنه لا يعلم الغيب أحد غير الله، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُجَنِّبُ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾، وقال السدي: معناه وما كان الله ليطلع محمداً ﷺ على الغيب ولكن الله اجتباها، ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلَا يَحْصِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾، أي: ولا يحسن الباخلون البخل خيراً لهم، ﴿بَلْ هُوَ﴾، يعني: البخل، ﴿شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ﴾، أي: سوف يطوقون، ﴿بِمَا بَخَلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، يعني: يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من فوقه إلى قدمه، هذا قول ابن مسعود وابن عباس، وقال إبراهيم النخعي: معنى الآية يجعل يوم القيامة في أعناقهم طوقاً من النار، قال مجاهد: يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به في الدنيا من أموالهم. وروى عطية عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ ونبوته، وأراد بالبخل كتمان العلم كما قال في سورة النساء (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) ومعنى قوله (سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) أي: يحملون وزره وإثمه، كقوله تعالى: (يحملون أوزارهم على ظهورهم). ﴿وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يعني: أنه الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون ويرثهم، نظيره قوله تعالى: (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها)، ﴿وَاللَّهُ بِمَا نَعْمُونَ خَبِيرٌ﴾، قرأ أهل البصرة ومكة بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء.

[١٨١] قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ

(واهجرني ملياً) أي: حيناً طويلاً، ثم ابتداءً فقال: ﴿إِنَّمَا تُنَلِّهَةٌ لَهُمْ﴾، نهلهم ﴿لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، قال مقاتل: نزلت في مشركي مكة، وقال عطاء: في قريظة والنضير.

[١٧٩] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُذَرَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ اختلافوا في حكم الآية ونظمها، فقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك ومقاتل والكلبي وأكثر المفسرين: الخطاب للكفار والمنافقين، يعني: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُذَرَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، وقال قوم: الخطاب للمؤمنين الذين أخبر عنهم، معناه: ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق، فرجع من الخبر إلى الخطاب، (حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بضم الياء وتشديدها وكذلك التي في الأنفال، وقرأ الباقون بالتخفيف، يقال: ماز الشيء يميزه مِيزًا ومِيزَةً تمييزًا إذا فرقه فامتاز، وإنما هو بنفسه، قال أبو معاذ إذا فرقت بين شيئين، قلت: مزت مِيزًا فإذا كانت أشياء قلت: ميزتها تمييزًا، وكذلك إذا جعلت الشيء الواحد شيئين قلت: فرقت بالتخفيف، ومنه فرقت الشعر، فإن جعلته أشياء، قلت: فرقته تفريقًا، ومعنى الآية: حتى يميز المنافق من المخلص، فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد حيث أظهروا النفاق فتخلفوا عن رسول الله ﷺ، وقال قتادة: حتى يميز الكافر من المؤمن بالهجرة والجهاد، وقال الضحاك: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُذَرَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) في أصلاب الرجال وأرحام النساء يا معشر المنافقين والمشركين حتى يفرق بينكم وبين من في أصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين، وقيل: (حتى يميز الخبيث) وهو المذنب (من

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
سَكَتْنَا مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ
دُفُّوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ
اللَّهَ عَهْدُ الْإِنْسَانِ الْأَتَمُّ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا يَقْرِبَانِ
تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ
وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ
وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
وَأِنَّمَا تُوَفَّقُ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ
عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا لَمَتَاعٌ الْعُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لَسْبُلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ
وَأَنْفُسِكُمْ وَلَسَّمَعْتُمْ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا
وَإِنْ تَصْبِرُوا وَاتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

السماء لا دخان لها، ولها دوي وحفيف، فتأكله
وتحرق ذلك القربان وتلك الغنيمة فيكون ذلك
علامة القبول، وإذا لم يقبل بقيت على حالها،
وقال السدي: إن الله تعالى أمر بني إسرائيل من
جاءكم يزعم أنه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم
بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد، فإذا
أتياكم فأمنا بهما، فإنهما يأتيان بغير قربان، قال
الله تعالى إقامة للحجة عليهم، ﴿قُلْ﴾، يا محمد
﴿قَدْ جَاءَكُمْ﴾، يا معشر اليهود، ﴿رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي
بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾، من القربان ﴿فَلِمَ
قَتَلْتُمُوهُمْ؟﴾ يعني: زكريا ويحيى وسائر من قتلوا
من الأنبياء، وأراد بذلك أسلافهم فخطبهم بذلك
لأنهم رضوا بفعل أسلافهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾،
معناه تكذيبهم إياك مع علمهم بصدقك، قتل
آبائهم الأنبياء، مع الإتيان بالقربان والمعجزات

قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، قال الحسن
ومجاهد: لما نزلت: (من ذا الذي يقرض الله
قرضاً حسناً) قالت اليهود: إن الله فقير يستقرض منا
ونحن أغنياء، ﴿سَكَتْنَا مَا قَالُوا﴾، من الإفك
والفرية على الله فنجازيهم به، وقال مقاتل:
سنحفظ عليهم، وقال الواقدي: سنأمر الحفظة
بالكتابة، نظيره قوله تعالى: (وإننا له كاتبون).

﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ
دُفُّوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، قرأ حمزة (سيكتب) بضم الياء،
(وقتلهم) برفع اللام (ويقول) بالياء، (دُفُّوا)
عَذَابَ الْحَرِيقِ) أي: النار، وهو بمعنى المحرق،
كما يقال: (لهم عذاب أليم)، أي: مؤلم.
[١٨٢] ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ
بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، فيعذب بغير ذنب.

[١٨٣] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ
إِلَيْنَا﴾، الآية، قال الكلبي: نزلت في كعب بن
الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وزيد
ابن الثابوت وفنحاص بن عازوراء وحبي بن أخطب
أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا محمد تزعم أن الله تعالى
بعثك إلينا رسولا وأنزل عليك الكتاب وأن الله
تعالى قد عهد إلينا في التوراة ﴿أَلَّا تُوْمِنَ
لِرَسُولٍ﴾، يزعم أنه من عند الله، ﴿حَتَّى يَأْتِيَنَا يَقْرِبَانِ
تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾، فإن جئتنا به صدقناك؛ فأنزل الله
تعالى: (الَّذِينَ قَالُوا) أي: سمع الله قول الذين
قالوا، ومحل (الذين) خفض رداً على ﴿الَّذِينَ﴾
الأول، (إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ الْإِنْسَانِ) أي: أمرنا وأوصانا في
كتبه أن لا نؤمن برسول، أي: لا نصدق رسولا
يزعم أنه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله
النار فيكون دليلاً على صدقه، والقربان، كل ما
يتقرب به العبد إلى الله تعالى من نسكة وصدقة
وعمل صالح، وهو فعْلان من القرية، وكانت
القرابين والغنائم لا تحل لبني إسرائيل، وكانوا إذا
قربوا قرباناً أو غنموا غنيمة جاءت نار بيضاء من

ثم قال معزياً لنبيه ﷺ:

[١٨٤] ﴿إِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾، قرأ ابن عامر: (وبالزبر) أي: بالكتب المزبورة، يعني: المكتوبة، واحدها مثل: رسول ورسول، ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾، الواضح المضيء.

[١٨٥] قوله عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ مِّنْهُم مَّنْفُوسَةٌ ذَاقَتْهُ الْمَوْتُ وَإِنَّمَا تُوَفَّتْ أَجُورُكُمْ﴾، توفون جزاء أعمالكم، ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ﴿فَمَنْ رُحِّحْ﴾، نُحِّي وأزِيل، ﴿عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾، يعني منفعة ومتعة كالفأس والقدر والقصعة، ثم يزول ولا يبقى، وقال الحسن: كخضرة النبات ولعب النبات لا حاصل له، قال قتادة: هي متاع متروكة يوشك أن تضمحل بأهلها، فخذوا من هذا المتاع بطاعة الله ما استطعتم، والغرور الباطل.

[١٨٦] ﴿لَتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ (لتبلون) لتختبرن، اللام للتأكيد، وفيه معنى القسم، والنون لتأكيد القسم (في أموالكم) بالجوائح والعاهات والخسران (وأنفُسِكُمْ) بالأمراض، وقيل: بمصائب الأقارب والعشائر، قال عطاء: هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم ورباعهم وعذبوهم، وقال الحسن: هو ما فرض عليهم من أموالهم وأنفسهم من الحقوق، كالصلاة والصيام والحج والجهاد والزكاة، ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني: اليهود والنصارى، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، يعني: مشركي العرب، ﴿أَذَى كَثِيراً وَإِن تَصَبَّرُوا﴾ على أذاهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله، ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عِزِّ الْأُمُورِ﴾، من حق الأمور وخيرها، وقال عطاء: من حقيقة الإيمان.

[١٨٧] ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

لَتَشِيُنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر البلاء فيهما، لقوله تعالى: (فَبَذَلُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ)، وقرأ الآخرون بالتاء فيها على إضمار القول، ﴿فَبَذَلُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾، أي طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به، ﴿وَأَشْرَوْا بِهِ مُمَّنَّا قَلِيلاً﴾، يعني المأكَل والرُّشَا ﴿فِيَسَّرَ مَا يَشْتَرُونَ﴾، قال قتادة: هذا ميثاق أخذ الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيئاً فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة، وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثكم بشيء، ثم تلا هذه الآية.

[١٨٨] ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ الآية، قرأ عاصم وحمة والكسائي (لا تحسبن) بالتاء، أي: لا تحسبن يامحمد الفارحين، وقرأ الآخرون بالباء ﴿لَا يَحْسَبَنَّ﴾ الفارحون في فرحهم مُنجيًّا لهم من العذاب، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (فلا يحسبنهم) بالباء وضم الياء خبراً عن الفارحين، أي فلا يحسبن أنفسهم، وقرأ الآخرون بالتاء وفتح الباء، أي: فلا تحسبنهم يامحمد، وأعاد قوله (فلا تحسبنهم) تأكيداً قال عكرمة: نزلت في فنخاص وأسيع وغيرهما من الأخبار يفرحون بإضلالهم الناس بنسبة الناس إليهم إلى العلم وليسوا بأهل العلم، وقال مجاهد: هم اليهود فرحوا بإعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم إياهم عليه، وقال سعيد بن جبیر: هم اليهود فرحوا بما أعطى الله آل إبراهيم وهم برآء من ذلك، وقال قتادة ومقاتل: أتت يهود خيبر نبي الله ﷺ فقالوا: نحن نعرفك ونصدقك وإنا على رأيك ونحن لك ردة، وليس ذلك في قلوبهم، فلما خرجوا قال لهم المسلمون: ما صنعتم؟ قالوا: عرفناه وصدقناه، فقال لهم المسلمون: أحسستم هكذا فافعلوا، فحمدوهم ودعوا لهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال: (يفرحون بما أتوا) قال الفراء بما فعلوا، كما قال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٥

سُورَةُ آلِ اِمْرَانٍ

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَبَيَّنَّوْهُ وَرَأَىٰ ظُهُورَهُمْ وَاسْتَرَوْا بِهِنَّ
فَلَيلاً فَبَسَّ مَا بَشَّرْتُمْ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ
بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ
بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ قِيَمًا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ
ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاثِمْنَا مَا وَعَدْنَا
عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

الله تعالى: (لقد جئت شيئًا فريًا) أي: فعلت،
﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ
بِمَفَازَةٍ﴾، بمنجاة، ﴿مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾.

[١٨٩] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يصرفها
كيف يشاء، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ذوي العقول، ثم
وصفهم فقال:

[١٩١] ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ
جُنُوبِهِمْ﴾، قال علي بن أبي طالب وابن عباس
رضي الله عنهم والنخعي وقتادة: هذا في الصلاة
يصلي قائمًا فإن لم يستطع قاعدًا فإن لم يستطع
فعلى جنب، وقال سائر المفسرين أراد به المداومة
على الذكر في عموم الأحوال لأن الإنسان قلما
يخلو من إحدى هذه الحالات الثلاث، نظيره في
سورة النساء (فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قيامًا
وقعودًا وعلى جنوبكم)، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾، وما أبدع فيهما ليدلهم ذلك على قدرة
الله ويعرفوا أن لها صانعًا قادرًا مدبرًا حكيمًا، قال
ابن عَوْن: الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب
الخشية كما يحدث الماء للزرع النماء، وما جلّيت
القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكرة،
﴿رَبَّنَا﴾ أي: ويقولون ربنا ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ رده إلى
الخلق فلذلك لم يقل هذه، ﴿بَطْلًا﴾، أي: عبثًا
وهزلًا بل خلقتها لأمر عظيم، وانتصب (باطلاً) بنزع
الخافض، أي: بالباطل، ﴿تُسَبِّحُكَ قِيَمًا عَذَابَ
النَّارِ﴾.

[١٩٢] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾،
أي: أهته، وقيل: أهلكته، وقيل: فضحته، لقوله
تعالى: (ولا تخزون في ضيفي) فإن قيل: قد قال
الله تعالى: (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا
معه)، ومن أهل الإيمان من يدخل النار، وقد

قال: (رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ)، فكيف
الجمع؟ قيل: قال أنس وقتادة معناه: إنك من
تخلده في النار فقد أخزيت، وقال سعيد بن المسيب
هذه خاصة لمن لا يخرج منها، فقد روى أنس
رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن الله يدخل قومًا
النار ثم يخرجون منها». ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ﴾.

[١٩٣] ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ يعني: محمدًا
ﷺ، قاله ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما،
وأكثر الناس، وقال القرظي: يعني القرآن، فليس
كل واحد يلقي النبي ﷺ، ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾، إلى
الإيمان، ﴿أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْأَبْرَارِ﴾، أي: في
جملة الأبرار.

[١٩٤] ﴿رَبَّنَا وَءَاثِمْنَا مَا وَعَدْنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾، أي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٦

سُورَةُ آلِ اِمْرَانٍ

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ اَنِّي لَا اُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْتِ بِعَصُوكُمْ مِّنْ بَعْضِ الْاَذِينَ هَاجَرُوا وَاُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَاُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا تُدْخِلْنَهُمْ جَنَّةٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْاِلْدَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْاَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَاِنَّ مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ وَمَا اُنْزِلَ اِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا اَوْ لَتِلْكَ لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ اِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يٰٓاَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النَّاسِ

٧٧

أحدهما: معناه وقاتل من بقي منهم، ومعنى قوله (وقتلوا) أي: قتل بعضهم، تقول العرب قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم، والوجه الآخر (وقتلوا) وقد قاتلوا، ﴿لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا تُدْخِلْنَهُمْ جَنَّةٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، نصب على القطع قاله الكسائي، وقال المبرد: مصدر، أي: لا تُثَبِّتْهُمْ ثَوَابًا، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

[١٩٦] قوله عز وجل: ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْاِلْدَادِ﴾، نزلت في المشركين، وذلك أنهم كانوا في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون، فقال بعض المؤمنين: إن أعداء الله تعالى فيما نرى من الخير، ونحن في الجهد؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْاِلْدَادِ﴾، وضربهم في الأرض وتصرفهم في البلاد

على السنة رُسلك، ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾، ولا تُعَذِّبْنَا ولا تَهْلِكُنَا ولا تفضحنا ولا تُثَنَّا، ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، فإن قيل: ما وجه قولهم: (ربنا) وأتانا ما وعدتنا على رُسلك، وقد علموا أن الله لا يخلف الميعاد؟ قيل: لفظه دعاء ومعناه خبر، أي: لتؤتينا ما وعدتنا على رُسلك، تقديره: (فاغفر لنا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا) (ولا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، لتؤتينا ما وعدتنا على رُسلك من الفضل والرحمة، وقيل: معناه ربنا واجلنا ممن يستحقون ثوابك وتؤتيهم ما وعدتهم على السنة رُسلك لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة، فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها، وقيل: إنما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء، وقالوا: قد علمنا أنك لا تخلف وعدك من النصر، ولكن لا صبر لنا على حُلْمِكَ فَعَجِّلْ خَزِيرَهُمْ وَاَنْصِرْنَا عَلَيْهِمْ.

[١٩٥] قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ اَنِّي﴾ أي: بآني: ﴿لَا اُضِيعُ﴾، لا أحبط، ﴿عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ﴾، أيها المؤمنون ﴿مِّنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْتِ﴾ قال مجاهد: قالت أم سلمة يارسول الله إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾، قال الكلبي: في الدين والنصرة والموالة، وقيل: كلكم من آدم وحواء، وقال الضحاك: رجالكم شكل نسائكم ونساؤكم شكل رجالكم في الطاعة، كما قال: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)، ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَاُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي﴾، أي: في طاعتي وديني، وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة، ﴿وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا﴾، قرأ ابن عامر وابن كثير (قتلوا) بالتشديد، وقال الحسن: يعني أنهم قطعوا في المعركة، والآخرون بالتخفيف، وقرأ أكثر القراء: (وقاتلوا) وقتلوا يريد أنهم قاتلوا العدو ثم أنهم قُتلوا، وقرأ حمزة والكسائي (قتلوا وقاتلوا) وله وجهان،

للتجارات وأنواع المكاسب، فالخطاب للنبي ﷺ والمراد منه غيره.

[١٩٧] «مَتَّعَ قَلِيلٌ»، أي: هو متاع قليل، فانية ومتعة زائلة، «ثُمَّ مَاؤُهُمْ».

«جَهَنَّمَ وَيَفْسُ الْمَهَادُ».

[١٩٨] «لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا».

«مِنْ عِنْدِ اللَّهِ».

«وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبَرَارِ».

«وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ».

«وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ».

«وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ».

«وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ».

«وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ».

«وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ».

«وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ».

«وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ».

«وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ».

«وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ».

(٤) سُورَةُ النَّسَاءِ

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَفِيهِ قُلُوبُكُمْ وَمِنْكُمْ رَجُلٌ رَأِيٌّ لِكُلِّ فِتْنَةٍ».

«وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْنُونِ».

«وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا الرَّسُولَ هُمْ لَا يُجْرَى وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

«وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْنُونِ».

«وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْنُونِ».

سُورَةُ النِّسَاءِ

٧٧

الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَّيْنَاهُ النَّاسُ أَنْفُورَكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
 زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
 بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ
 وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَيثُ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ
 كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا
 مَطَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا
 فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴿٣﴾ وَءَاتُوا
 النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَنُفَسَا فْكُلُوهُ
 هَبْنِي مَرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تَوَارَثُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ
 قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَاتَّقُوا
 اللَّهَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا
 إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ
 غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا
 دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

مؤن نسائه مال إلى مال يتيمة التي في حجره
 فأنفق، فقليل لهم: لا تزيدوا على أربع حتى لا
 يحوجكم إلى أخذ أموال اليتامى، وهذه رواية
 طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال
 بعضهم: كانوا يخرجون عن أموال اليتامى
 ويترخصون في النساء، فيتزوجون ما شاؤوا وربما
 عدلوا وربما لم يعدلوا فلما أنزل الله تعالى في
 أموال اليتامى (وآتوا أموالهم) أنزل هذه الآية ﴿وَإِنْ
 خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾، يقول كما خفتم ألا
 تقسطوا في اليتامى فذلك خافوا في النساء ألا
 تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام
 بحقوقهن، لأن النساء في الضعف كاليتامى، وهذا
 قول سعيد بن جبيرة وقتادة والضحاك والسدي، ثم
 رخص في نكاح أربع فقال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً
 النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾

[٢] قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ قوله
 ﴿وَءَاتُوا﴾ خطاب للأولياء والأوصياء، واليتامى:
 جمع يтим، واليتيم: اسم لصغير لا أب له ولا جد،
 وإنما يدفع المال إليهم بعد البلوغ، وسماهم يتامى
 ههنا على معنى أنهم كانوا يتامى، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾،
 لا تستبدلوا، ﴿الْحَيْثُ بِالطَّيِّبِ﴾، أي: مالهم الذي
 هو حرام عليكم بالحلال من أموالكم، واختلفوا
 في هذا التبديل، قال سعيد بن المسيب والنخعي
 والزهري والسدي: كان أولياء اليتامى يأخذون
 الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردي، وربما
 كان أحد يأخذ الشاة السمينة من مال اليتيم ويجعل
 مكانها المهزولة، ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل
 مكانه الزيف، ويقول: درهم بدرهم، فنهوا عن
 ذلك، وقيل: كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء
 والصبيان ويأخذ الأكبر الميراث، فنصبيه من
 الميراث طيب، وهذا الذي يأخذه من نصيب غيره
 خبيث، وقال مجاهد: لا تتعجل الرزق الحرام قبل
 أن يأتيك الحلال. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾،
 أي مع أموالكم، كقوله تعالى. (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى
 الله) أي: مع الله، ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾، إثما
 عظيما.

[٣] وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ
 فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾،
 اختلفوا في تأويلهم، فقال بعضهم: معناه إن خفتم
 يا أولياء اليتامى ألا تعدلوا فيهن إذا نكحتموهن
 فانكحو غيرهن من الغرائب مثنى وثلاث ورباع
 وقال الحسن: كان الرجل من أهل الجاهلية تكون
 عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها
 لأجل مالها وهي لا تعجبه كراهية أن يدخل غريب
 فيشاركه في مالها، ثم يسيء صحبتها ويتربص أن
 تموت ويرثها، فعاب الله تعالى ذلك، وأنزل الله
 هذه الآية، وقال عكرمة: كان الرجل من قريش
 يتزوج العشر من النساء والأكثر فإذا صار معدما من

وقال مجاهد: معناه إن تخرجتم من ولاية اليتامى وأموالهم إيماناً فكذاك تخرجوا من الزنا فانكحوا النساء الحلال نكاحاً طيباً ثم بين لهم عدداً، وكانوا يتزوجون ما شاءوا من غير عدد، فنزل قوله تعالى: (فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) أي: من طاب، والعرب تضع (من) و(ما) كل واحدة موضع الأخرى، وطاب أي: حل لكم من النساء مثني وثلاث ورباع، معدولات عن اثنين وثلاث وأربع، ولذلك لا يصرفن، وإن الواو بمعنى أو، للتخيير، كقوله تعالى: (أَنْ تَقْوَمُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَارٍ) وهذا إجماع أن أحداً من الأمة لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة (فإن خفتم)، خشيتهم، وقيل: علمتم، (أَلَا تَعْدِلُونَ)، بين الأزواج الأربع، (فَوَاحِدَةً) أي: فانكحوا واحدة. وقرأ أبو جعفر (فواحدة) بالرفع، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، يعني: السراري لأنه لا يلزم فيهن من الحقوق ما يلزم في الحرائر، ولا قسم لهن ولا وقف في عددهن، ﴿ذَلِكَ أَذَى﴾، أقرب ﴿أَلَّا تَعْلَمُوا﴾ أي: لا تجوروا ولا تميلوا، يقال: ميزان عائل، أي: جائر مائل، هذا قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد: ألا تفضلوا، وقال الفراء: ألا تجاوزوا ما فرض الله عليكم، وأصل العول: المجاوزة، ومنه عول الفرائض، وقال الشافعي رحمه الله: ألا تكثر عيالكُم، وما قاله أحد، إنما يقال: أعال يعيل إعالة إذا كثر عياله. وقال أبو حاتم: كان الشافعي رضي الله عنه أعلم بلسان العرب مثلاً بلغة، ويقال: هي لغة حمير، وقرأ طلحة بن مصرف (أن لا تعيلوا) وهي حجة لقول الشافعي رضوان الله عليه.

الخطاب فيما قبل مع الناكحين، والصدقات: المهور، واحداً صدقة، نحلة قال قتادة: فريضة، وقال ابن جريج: فريضة مسماء، قال أبو عبيدة: ولا تكون النحلة إلا مسماء معلومة، وقال الكلبي: عطية وهبة، وقال أبو عبيدة: عن طيب نفس، وقال الزجاج: تديناً، ﴿فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾، يعني: فإن طابت نفوسهن بشيء من ذلك فوهبن منكم، ﴿فَكُلُّهُنَّ مِثَّةٌ مَرِيئًا﴾، سائغاً طيباً، يقال هنائي الطعام يهثنى بفتح النون في الماضي وكسرها في الغابر، وقيل: الهنيء: الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء، والمريء: المحمود العاقبة التام الهضم الذي لا يضر.

[٥] قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾، اختلفوا في هؤلاء السفهاء فقال قوم: هم النساء، وقال الضحاك: النساء من أسفه السفهاء، وقال مجاهد: نهى الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم وهن سفهاء سواء كن أزواجاً أو بنات أو أمهات، وقال الآخرون: هم الأولاد، قال الزهري: يقول لا تعط ولدك السفه ماله الذي هو قيامك بعد الله تعالى فيفسده، وقال بعضهم: هم النساء والصبيان، وقال الحسن: هي امرأتك السفهية وابنتك السفهية، وقال ابن عباس: لا تعمد إلى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيهِ امرأتك وبنيتك فيكونوا هم الذين يقومون عليك، ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم، قال الكلبي: إذا علم الرجل أن امرأته سفهية مفسدة وأن ولده سفه مفسد فلا ينبغي له أن يسلط واحداً منهما على ماله فيفسده. وقال سعيد ابن جبير وعكرمة: هو مال اليتيم يكون عندك، يقول لا تؤته إياه وأنفقه عليه حتى يبلغ، وإنما أضاف إلى الأولياء فقال: (أموالكم) لأنهم قوامها ومدبروها، والسفيه الذي لا يجوز لوليه أن يؤتیه

[٤] ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ مِثْلًا﴾، قال الكلبي ومجاهد: هذا الخطاب للأولياء، وذلك أن ولي المرأة كان إذا تزوجها لم يعطها من مهرها قليلاً ولا كثيراً، وقال الآخرون: الخطاب للأزواج أمروا بإيتاء نسائهم الصداق، وهذا أصح، لأن

الحجر عن الصغير وجواز دفع المال إليه بشئين: بالبلوغ والرشد، والبلوغ يكون بأحد أشياء أربعة، اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء، واثنان مختصان بالنساء، أحدهما السن، والثاني الاحتلام، أما السن فإذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلامًا كان أو جارية، وأما الاحتلام فتعني به نزول المنى سواء كان بالاحتلام أو بالجماع، أو غيرهما، فإذا وجدت ذلك بعد استكمال تسع سنين من أيهما كان حكم ببلوغه، أما ما يختص بالنساء فالحيض والحبل، فإذا حاضت المرأة بعد استكمال تسع سنين يحكم ببلوغها، وكذلك إذا ولدت يحكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لأنها أقل مدة الحمل.

وأما الرشد: فهو أن يكون مصلحًا في دينه وماله، والصالح في الدين هو أن يكون مجتنبًا عن الفواحش والمعاصي التي تسقط العدالة، والصالح في المال هو ألا يكون مبذرًا، والتبذير: هو أن ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمودة دنيوية ولا مثوبة أخروية، أو لا يحسن التصرف فيها، فيغبن في البيوع، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَاْكُلُوْهَا﴾، يامعشر الأولياء ﴿اِمْرَافًا﴾، بغير حق، ﴿وَبِدَارًا﴾ أي: مبادرة، ﴿أَنْ يَكْبُرُوا﴾ (وأن) في محل نصب، يعني: لا تبادروا كبارهم ورشدهم حذرًا من أن يبلغوا فيلزمكم تسليمها إليهم، ثم بين ما يحل لهم ومن مالههم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرِبُوا أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أي: ليمتنع من مال اليتيم فلا يرزؤه قليلاً ولا كثيراً، والعفة الامتناع مما لا يحل، ﴿لَا يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ﴾، محتاجًا إلى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهدده، ﴿وَلَا يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ﴾، واختلفوا في أنه هل يلزمه القضاء، فذهب بعضهم إلى أن يقضي إذا أيسر وهو المراد من قوله: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾، فالمعروف القرض، أي: يستقرض من مال اليتيم إذا احتج إليه، فإذا أيسر قضاءه، وقال قوم: لا يقض عليه.

ماله هو المستحق الحجر عليه، وهو أن يكون مبذرًا في ماله أو مفسدًا في دينه، فقال جل ذكره: ﴿وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ﴾، أي: الجهال بموضع الحق (أموالكم التي جعل الله لكم قيامًا)، أصله: قوامًا، فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، وهو ملاك الأمر وما يقوم به الأمر. وأراد ههنا قوام عيشكم الذي تعيشون به. قال الضحاك: به يقام الحج والجهاد وأعمال البر وبه فكاك الرقاب من النار. ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: أطعموهم، ﴿وَأَكْسُوهُمْ﴾، لمن يجب عليكم رزقه ومؤنته، وإنما قال (فيها) ولم يقل: منها، لأنه أراد أنهم جعلوا لهم فيها رزقًا فإن الرزق من الله العطية من غير حد، ومن العباد أجر موقت محدود، ﴿وَقُولُوا هَٰذَا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ عدة جميلة، وقال عطاء: إذا ربحت أعطيتك وإن غنمت فلك فيه حظ، وقيل: هو الدعاء، وقال ابن زيد: إن لم يكن ممن يجب عليك نفقته، فقل له: عافانا الله وإياك بارك الله فيك، وقيل: قولًا تطيب به أنفسهم.

[٦] قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا آلَ نِسَى﴾ أي: اختبروهم في عقولهم وأديانهم وحفظهم أموالهم، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾، أي: مبلغ الرجال والنساء، ﴿فَإِنْ أَسْتَمْتُمْ﴾، أبصرتهم، ﴿وَمِنْهُمْ رَشْدٌ﴾، فقال المفسرون يعني: عقلاً وصلاًحاً في الدين وحفظاً للمال وعلمًا بما يصلحه. وقال سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي: لا يدفع إليه ماله وإن كان شيخاً حتى يؤنس منه رشده، والابتلاء يختلف باختلاف أحوالهم فإن كان ممن يتصرف في السوق فيدفع الولي إليه شيئاً يسيراً من المال وينظر في تصرفه وإن كان ممن لا يتصرف في السوق فيختبره في نفقة داره، والإنفاق على عبيده وأجرائه، وتختبر المرأة في أمر بيتها وحفظ متاعها، فإذا رأى حسن تدبير، وتصرف في الأمور مراراً يغلب على القلب رشده، دفع المال إليه. واعلم أن الله تعالى علق زوال

سُورَةُ النِّسَاءِ

٧٨

النِّسَاءِ

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَحْشَ الْوَالِدِينَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ إِتْمَاعًا يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿٩﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرَّمُ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ فَإِن كُنْ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِمُ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَءٌ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠﴾

على عامة ماله، فهاهم الله تعالى عن ذلك، وأمرهم أن يأمره أن ينظر لولده ولا يزيد في وصيته على الثلث، ولا يُجحف بورثته كما أنه لو كان هذا القائل هو الموصي لسره أن يحته من بحضرته على حفظ ماله لولده، ولا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم. وقال الكلبي: هذا الخطاب لولاة اليتامى يقول: من كان في حجره يتيم فليحسن إليه وليأت في حقه ما يجب أن يفعل بذريته من بعده، قوله تعالى: ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، أي: عدلاً، والسديد: العدل، والصواب من القول، وهو أن يأمره بأن يتصدق بما دون الثلث ويخلف الباقي لورثته.

[١٠] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ إِتْمَاعًا يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾، أخبر عن ماله، أي عاقبته تكون

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾، هذا أمر وإرشاد، وليس بواجب، أمر الولي بالإشهاد على دفع المال إلى اليتيم بعدما بلغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾، محاسباً ومجازياً وشاهداً.

[٧] قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ يعني: للذكور من أولاد الميت وأقربائه (نصيب) حظ ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾، من الميراث، ﴿وَالنِّسَاءِ﴾، وللإناث منهم، ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾، أي من المال، ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ منه ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾، نصب على القطع، وقيل: جعل ذلك نصيب فأثبت لهن الميراث، ولم يبين كم هو حتى أنزل الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾.

[٨] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾، يعني: قسمة الموارث، ﴿أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾، الذين لا يرثون، ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾، أي: فارضخوا لهم من المال قبل القسمة، ﴿وقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾، اختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هي منسوخة، وقال سعيد بن جبير والضحاك: كانت هذه قبل آية الميراث، فجعلت الموارث لأهلها، ونسخت هذه الآية. وقال الآخرون: هي محكمة، وهو قول ابن عباس والشعبي والنخعي والزهري، وقال مجاهد: هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم، وقال بعضهم: وهو أولى الأقاويل: إن هذا على النذب والاستحباب، لا على الحتم والإيجاب.

[٩] قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَفًا﴾، أولاداً صغاراً، ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾، الفقر، هذا في الرجل يحضره الموت، فيقول من بحضرته، انظر لنفسك فإن أولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئاً، قدم لنفسك، اعتق وتصديق وأعط فلاناً كذا وفلاناً كذا، حتى يأتي

الأب والأم يكون لكل واحد منهما سدس الميراث عند وجود الولد أو ولد الابن، والأب يكون صاحب فرض ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾، اثنان أو أكثر ذكوراً وإناثاً ﴿فَلِأُمِّهِ الشُّدُّسُ﴾، والباقي يكون للأب إن كان معها أب، والإخوة لا ميراث لهم مع الأب، ولكنهم يحجبون الأم من الثلث إلى السدس، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يحجب الإخوة الأم من الثلث إلى السدس إلا أن يكونوا ثلاثة لأن الله تعالى قال: (فإن كان له إخوة فلأمه السدس)، ولا يقال للثنتين إخوة، فنقول اسم الجمع قد يقع على الثنية لأن الجمع ضم شيء إلى شيء فهو موجود في الاثنين، قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَؤُوسَ بِنْتِ أَوْدِ بْنِ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر (يوصي) فتح الصاد على ما لم يسم فاعله، وكذلك الثانية ووافق حفص في الثانية، وقرأ الآخرون بكسر الصاد لأنه جرى ذكر لميت من قبل، بدليل قوله تعالى: (يوصين)، و(توصون) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنكم تقرؤون الوصية قبل الدين، وبدأ رسول الله ﷺ بالدين قبل الوصية، وهذا إجماع أن الدين مقدم على الوصية. ومعنى الآية الجمع لا الترتيب، وبيان أن الميراث مؤخر عن الدين والوصية جميعاً من بعد وصية إن كانت أو دين إن كان، والإرث مؤخر عن كل واحد منهما، ﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾، يعني: الذين يرثونكم آبائكم وأبنائكم، ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾، أي: لا تعلمون أنهم أنفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن أن الأب أنفع له، فيكون الابن أنفع له، ومنكم من يظن أن الابن أنفع له فيكون الأب أنفع له، وأنا العالم بمن هو أنفع لكم، وقد دبر أمركم على ما فيه المصلحة فاتبعوه، ﴿فَرِيضَةٌ مِنْكُمْ﴾، أي: ما قدر الله من الموارث، ﴿إِنْ أَلَّهَ كَانَ عَليماً﴾، بأمور العباد، ﴿حَكِيماً﴾، بنصب الأحكام.

كذلك، ﴿وَسَبَّحُوا بُحْرًا﴾، قراءة العامة بفتح الياء، أي: يدخلونه، يقال: صلى النار يصلوها صلياً وصلاءً، قال الله تعالى: (إلا من هو صال الجحيم)، وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الياء، أي: يدخلون النار ويحرقون، نظيره قوله تعالى: (فسوف نُصليهِ ناراً) (سأصليه سقر).

[١١] قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِي مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ الآية، اعلم أن الوراثة كانت في الجاهلية بالذكورة والقوة فكانوا يرثون الرجال دون النساء والصبيان، فأبطل الله ذلك بقوله: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) الآية، وكانت أيضاً في الجاهلية وابتداء الإسلام بالمخالفة، قال الله تعالى: (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) ثم صارت الوراثة بالهجرة، قال الله تعالى: (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) فنسخ ذلك كله وصارت الوراثة بأحد الأمور الثلاثة بالنسب والنكاح أو الولاء، والمعنى بالنسب أن القرابة يرث بعضهم من بعض، لقوله تعالى: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)، والمعنى بالنكاح: أن أحد الزوجين يرث صاحبه، وبالولاء: أن المعتق وعصبته يرثون المَعتق، قوله عز وجل: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) أي: يعهد إليكم ويفرض عليكم في أولادكم أي: في أمر أولادكم إذا متم، للذكر مثل حظ الأنثيين. ﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ يعني: المتروكات من الأولاد، ﴿نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾، أي: اثنتين فصاعداً (فوق) صلة، كقوله تعالى: (فاضربوا فوق الأعناق)، ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ﴾ يعني: البنت، ﴿وَاحِدَةً﴾، قراءة العامة على خبر كان، رفعها أهل المدينة على معنى إن وقعت واحدة، ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَالْأُتْرُقُ﴾، يعني: لأبوي الميت كناية عن غير مذكور، ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُّسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾، أراد أن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّوْ يَكُنْ لَّهُنَّ وَلَدٌ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوْصِيْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾
 ﴿وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِن لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ وَلَهُنَّ النِّصْفُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوْصَوْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُّ إِن كَانَ كَاثِرًا كَثُرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوْصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾
 ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
 ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

للمال قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُّ﴾، أراد به الأخ والأخت من الأم بالانفاق، قرأ سعد بن أبي وقاص (وله أخ أو أخت من أم) ولم يقل لهما من ذكر الرجل والمرأة من قبل، على عادة العرب إذا ذكرت اسمين ثم أخبرت عنهما، وكانا في الحكم سواء ربما أضافت إلى أحدهما، وربما أضافت إليهما ﴿إِن كَانَ كَاثِرًا كَثُرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ فيه إجماع أن أبناء الأم إذا كانوا اثنين فصاعداً يشتركون في الثلث ذكرهم وأنثاهم، ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوْصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ﴾ أي: غير مُدْخِل للضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية، ﴿وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾، قال قتادة: كره الله الضرار في الحياة وعند الموت، ونهى عنه وقدم فيه.

[١٣] ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، يعني: ما ذكر من

[١٢] قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّوْ يَكُنْ لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوْصِيْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾، هذا ميراث الأزواج، ﴿وَلَهُنَّ الرُّبْعُ﴾، يعني: الزوجات الربع، ﴿مِمَّا تَرَكَنَّ إِن لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ النِّصْفُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوْصَوْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾، هذا ميراث الزوجات وإذا كان للرجل أربع نسوة فهن يشتركن في الربع والثلث. قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ﴾ تورث كلاله، ونظم الآية: وإن كان رجل أو امرأة يورث كلاله وهو نصب على المصدر، وقيل: على خبر ما لم يسم فاعله، وتقديره: وإن كان رجل يورث ماله كلاله، واختلفوا في الكلاله فذهب أكثر الصحابة إلى أن الكلاله من لا ولد له ولا والده، وذهب طاوس إلى أن الكلاله من لا ولد له، وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما، واحتج من ذهب إلى هذا بقول الله تعالى: (قل الله يُفْتِكُم في الكلاله إن امرؤ هلك ليس له ولد)، وبيانه عند العامة مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله، لأن الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن، لأن أباه عبد الله بن حزام قتل يوم أحد، وآية الكلاله نزلت في آخر عمر النبي ﷺ، فصار شأن جابر بياناً لمراد الآية لنزولها فيه، واختلفوا في أن الكلاله اسم لمن؟ فمنهم من قال: اسم للميت، وهو قول علي وابن مسعود رضي الله عنهما، لأنه مات عن ذهاب طرفيه، فكل عمود نسبه، ومنهم من قال: اسم للورثة، وهو قول سعيد بن جبير، لأنهم يتكلمون الميت من جوانبه، وليس في عمود نسبه أحد، كالإكليل يحيط بالرأس ووسط الرأس منه خال، وعليه يدل حديث جابر رضي الله عنه حيث قال: إنما يرثني كلاله، أي: يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد، وقال النضر بن شميل: الكلاله اسم

الفرائض المحدودة، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٤] ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ قرأ أهل المدينة وابن عامر (ندخله جنات، وندخله نارًا)، وفي سورة الفتح (ندخله) و(نعذبه) وفي سورة التغابن (نكفر) و(ندخله) وفي سورة الطلاق (ندخله) بالنون فيهن، وقرأ الآخرون بالياء.

[١٥] قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيَنَّكَ الْفُجْحَةُ﴾، يعني: الزنا، ﴿مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾، يعني: من المسلمين، وهذا خطاب للحكام، أي: فاطلبوا عليهن أربعة من الشهود، فيه بيان أن الزنا لا يثبت إلا بأربعة من الشهود. ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾، فاحبسوهن، ﴿فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾، وهذا كان في أول الإسلام قبل نزول الحدود، كانت المرأة إذا زنت حُبست في البيت حتى تموت، ثم نسخ ذلك في حق البكر بالجلد والتغريب، وفي حق الشيب بالرجم.

[١٦] قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ﴾، يعني الرجل والمرأة، والهاء راجعة إلى الفاحشة ﴿فَقَاذُوهُمَا﴾ قال عطاء وقتادة: يعني فعيروهما باللسان: أما خفت الله؟ أما استحييت من الله حيث زנית؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: سبوهما واشتموهما، قال ابن عباس: هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير وضرب النعال، فإن قيل: ذكر الحبس في الآية الأولى وذكر في هذه الآية الإيذاء، فكيف وجه الجمع؟ قيل: الآية الأولى في النساء وهذه في الرجال، وهو قول مجاهد، وقيل: الآية الأولى في الشيب وهذه في البكر، ﴿فَإِنْ تَابَا﴾، من الفاحشة ﴿وَأَصْلَحَا﴾، العمل فيما بعد، ﴿فَاعْرِضْهُمَا﴾، فلا تؤذوهما، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ

سُورَةُ النِّسَاءِ

٨٠

الْبُرْجَانِ

وَالَّذِي يَأْتِيَنَّكَ الْفُجْحَةُ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَاقَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضْهُمَا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ أَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفُجْحَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْعًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

تَوَّابًا رَحِيمًا﴾، وهذا كله كان قبل نزول الحدود، فنسخت بالجلد والرجم، الجلد في القرآن قال الله تعالى: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) [سورة النور آية: ٢] والرجم في السنة في الرجلين اللذين اختصما إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما: اقض يا رسول الله بيننا بكتاب الله، وقال الآخر وكان أفقههما: أجل يا رسول الله فاقض بيننا بكتاب الله، واثذن لي أن أتكلم، قال: تكلم، قال: إن ابني كان عسيقًا، أي: أجيرًا على هذا، فزني بامرأته فأخبروني أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة وبجارية لي، ثم إني سألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وإنما الرجم على امرأته، فقال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، أما غنمك وجاريتك فرد عليك،

وأما ابنك فعليه جلد مائة وتغريب عام، واغديا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها»، فغدا عليها فاعترفت، فرجمها.

[١٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ قال الحسن: يعني التوبة التي يقبلها، فيكون على بمعنى عند، وقيل: من الله، ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾، قال قتادة: أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أن كل ما عصي به الله فهو جهالة عمدًا كان أو لم يكن، وكل من عصى الله فهو جاهل. وقال مجاهد: المراد من الآية: العمد، قال الكلبي: لم يجهل أنه ذنب لكنه جهل عقوبته، وقيل: معنى الجهالة: اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية. ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾، قيل: معناه قبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها، وقال السدي والكلبي: القريب أن يتوب في صحته قبل مرض موته، وقال عكرمة: قبل الموت، وقال الضحاك: قبل معاينة ملك الموت، قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

[١٨] ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾، يعني: المعاصي ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾، ووقع في النزاع، ﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ آلَتَنَ﴾، وهي حالة السوق حتى يساق بروحه، لا يقبل من كافر إيمان ولا من عاص توبة، قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعِهِمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾، ولذلك لم ينفع إيمان فرعون حين أدركه الغرق. ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا، أَي: هَيَانًا وَأَعَدْنَا، لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[١٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ قال الفراء: الكره بالفتح ما أكره عليه، وبالضم ما كان من قبل نفسه من المشقة، ﴿وَلَا تَصُولُوهُمْ إِنذَهُبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُمْ﴾، أي: لا تمنعوهن من الأزواج ليضجرن فيفتدين ببعض مالهن، قيل: هذا خطاب لأولياء الميت،

والصحيح أنه خطاب للأزواج، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبته ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي وترد إليه ما ساق إليها من المهر، فهي الله تعالى عن ذلك، ثم قال: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ فحينئذ يحل لكم إضرارهن ليفتدين منكم، واختلفوا في الفاحشة، قال ابن مسعود وقتادة: هي النشوز، وقال بعضهم وهو قول الحسن: هي الزنا، يعني: المرأة إذا نشزت، أو زنت حل للزوج أن يسألها الخلع، وقال عطاء: كان الرجل إذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ما ساق إليها وأخرجها، فنسخ ذلك في الحدود، ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، قال الحسن: راجع إلى أول الكلام، يعني: (وَأَتُوا النساء صدقاتهن نحلة)، ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ والمعاشرة بالمعروف: هي الإجمال في القول والمبيت والنفقة، وقيل: هي أن يصنع لها كما تصنع له، ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، قيل: هو ولد صالح، أو يعطفه الله عليها.

[٢٠] ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾، أراد بالزوج الزوجة إذا لم يكن من قبلها نشوز ولا فاحشة، ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِطَارًا﴾، وهو المال الكثير صداقًا، ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ﴾، من القنطار، ﴿شَيْئًا أَتَأْخُذُونَ؟﴾، استفهام بمعنى التوبيخ، ﴿بِهَتْنًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾، انتصابهما من وجهين أحدهما بنزع الخافض، والثاني بالإضمار تقديره: تصيبون في أخذه بهتانًا وإثمًا ثم قال:

[٢١] ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ؟﴾، على طريق الاستعظام، ﴿وَقَدْ أَقْضَىٰ بِمَعْصُكُمُ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾، أراد به المجامعة، ولكن الله حيي يكره، وأصل الإفضاء: الوصول إلى الشيء من غير واسطة، ﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ بَيْتَاحًا غَلِيظًا﴾، قال الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة: وهو قول الولي عند

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا مِثْلُنَا ﴿٢٢﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢٣﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٤﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٥﴾

العقد: زواجكها على ما أخذ الله للنساء على الرجال من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وقال الشعبي وعكرمة: هو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله تعالى واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى»^(١)، قوله عز وجل: (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ)، كان أهل الجاهلية ينكحون أزواج آبائهم، قال الأشعث بن سوار: توفي أبو قيس وكان من صالحى الأبصار فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت: إني اتخذتك ولدًا وأنت من صالحى قومك، ولكنى أتى رسول الله ﷺ أستأمره، فأنته فأخبرته، فأنزله الله تعالى:

[٢٢] ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، قيل: بعد ما سلف، وقيل: معناه لكن ما سلف، أي: ما مضى في الجاهلية فهو معفو عنه، ﴿إِنَّكُمْ كَانُوا فَاحِشَةً﴾ أي: إنه فاحشة، (وكان) فيه صلة، و(الفاحشة) أقبح المعاصي، ﴿وَمَقْتًا﴾ أي: يورث مقت الله، والمقت: أشد البُغض، ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، وبش ذلك طريقًا وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه (مقيت).

[٢٣] قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ الآية، بين الله تعالى في هذه الآية المحرمات بسبب الوصلة، وجملة المحرمات في كتاب الله تعالى أربع عشرة: سبع بالنسب، وسبع بالسبب، فأما السبع بالسبب فمنها اثنتان بالرضاع وأربع بالصهرية والسابعة المحصنات، وهن ذوات الأزواج، وأما السبع بالنسب فبقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ وهي جمع أم ويدخل فيه الجدات وإن علون من قبل الأم ومن قبل الأب، ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾، وهي جمع: البنت، ويدخل فيهن بنات الأولاد وإن سفلن، ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾، جمع الأخت سواء كانت من قبل الأب والأم أو من قبل أحدهما، ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾

جمع العمة، ويدخل فيهن جميع أخوات آبائك وأجدادك وإن علوا، ﴿وَخَالَاتُكُمْ﴾ جمع خالة، ويدخل فيهن أخوات أمهاتك وجداتك، ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَالْأُخْتِ﴾، ويدخل فيهن بنات أولاد الأخ والأخت وإن سفلن، وجملته: أنه يحرم على الرجل أصوله وفصوله وأول أصوله وأول فصوله من كل أصل بعده، والأصول هي الأمهات والجدات، والفصول البنات وبنات الأولاد، وفصول أول أصوله هي الأخوات وبنات الإخوة والأخوات، وأول فصول من كل أصل بعده هن العمات والخالات وإن علون، وأما المحرمات بالرضاع فقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾

(١) رواه مسلم في كتاب الحج / ١٤٧، وأبو داود في المناسك / ٥٦، وابن ماجه في المناسك / ٨٤، والدارمي في المناسك / ٣٤، والإمام أحمد في مسنده ج ٥ / ٧٣.

والجد وإن علا، فيحرم على الولد وولد الولد بنفس العقد سواء كان الأب من الرضاع أو من النسب، لقوله تعالى: (ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء)، وقد سبق ذكره، وكل امرأة تحرم عليك بعقد النكاح تحرم بالوطء في ملك اليمين، قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾، لا يجوز للرجل أن يجمع بين الأختين في النكاح سواء كانت الإخوة بينهما بالنسب أو بالرضاع، فإذا نكح امرأة ثم طلقها بائناً جاز له نكاح أختها، وكذلك لو ملك أختين بملك اليمين لم يجز له أن يجمع بينهما في الوطء، فإذا وطئ إحداهما لم يحل له وطء الأخرى حتى يحرم الأولى على نفسه، وكذلك لا يجوز أن يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، يعني: لكن ما مضى فهو معفو عنه، لأنهم كانوا يفعلونه قبل الإسلام، وقال عطاء والسدي: إلا ما كان من يعقوب عليه السلام فإنه يجمع بين ليلًا أم يهوذا وراحيل أم يوسف، وكانتا أختين ﴿وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[٢٤] قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، يعني: ذوات الأزواج، لا يحل للغير نكاحهن قبل مفارقة الأزواج، وهذه السابعة من النساء اللاتي حرمن بالسبب ثم استثنى فقال: (إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)، يعني: السبايا اللواتي سبين ولهن أزواج في دار الحرب فيحل لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء، لأن بالسبي يرتفع النكاح بينها وبين زوجها، قال أبو سعيد الخدري: بعث رسول الله ﷺ يوم حنين جيشًا إلى أوطاس فأصابوا سبايا لهن أزواج من المشركين، فكروها غشيانهن، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال عطاء: أراد بقوله (إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) أن تكون أمة في نكاح عبده فيجوز أن ينزعها منه، وقال ابن مسعود: أراد أن يبيع الجارية المزوجة فتقع الفرة بينهما وبين

وَأُخُوْتُكُمْ مِنَ الرِّضْعَةِ، وجملته: أنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، وأما المحرمات بالصهرية فقله: ﴿وَأُمّهْتُ نِسَائِكُمْ﴾، وجملته أن كل من عقد النكاح على امرأة فتحرم على النكاح أمهات المنكوحة وجداتها وإن علون من الرضاعة والنسب بنفس العقد، ﴿وَرَبَائِكُمُ الَّذِينَ فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّذِينَ دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾، الربائب جمع: ربيبة، وهي بنت المرأة، سميت ربيبة لتربيته أياها، وقوله: (فِي حُجُورِكُمْ) أي: في تربيتكم، يقال: فلان في حجر فلان إذا كان في تربيته، (دَخَلْتُم بِهِنَّ) أي: جامعتموهن، ويحرم عليه أيضًا بنات المنكوحة وبنات أولاده، وإن سفلن من الرضاع والنسب بعد الدخول بالمنكوحة، حتى لو فارق المنكوحة قبل الدخول بها أو ماتت جاز له أن ينكح بنتها، ولا يجوز له أن ينكح أمها لأن الله تعالى أطلق تحريم الأمهات وقال في تحريم الربائب، ﴿فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، يعني: في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن أو متن، وقال علي رضي الله عنه: أم المرأة لا تحرم إلا بالدخول بالبنت كالربيبة، ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾، يعني: أزواج أبنائكم، واحدها: حليلة، والذكر حليل، سميا بذلك لأن كل واحد منها حلال لصاحبه، وقيل: سميا بذلك لأن كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه من الحلول وهو الزول، وقيل: إن كل واحد منهما يحل إزار صاحبه من الحل وهو ضد العقل، وجملته: أنه يحرم على الرجل حلائل أبنائه وأبناء أولاده وإن سفلوا من الرضاع والنسب بنفس العقد، وإنما قال: (مِنْ أَصْلَابِكُمْ) ليعلم أن حليلة المتبني لا تحرم على الرجل الذي تبناه، فإن النبي ﷺ تزوج امرأة زيد بن حارثة، وكان زيد قد تبناه رسول الله ﷺ.

والرابع من المحرمات بالصهرية حليلة الأب

زوجها، ويكون بيعها طلاقاً فيحل للمشتري وطؤها، قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، نصب على المصدر، أي: كتب الله عليكم، وقيل: نصب على الإغراء، أي: الزموا ما كتب الله عليكم، أي فرض الله تعالى، ﴿وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾، أي: ما سوى ذلكم الذي ذكرت من المحرمات، ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾، تطلبوا ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾، أن تنكحوا بصداق أو تشتروا بثمن، ﴿مُحْصِنِينَ﴾، أي: متزوجين أو متعففين، ﴿غَيْرِ مُسْفَحِينَ﴾، أي: غير زانين، مأخوذ من سفح الماء وصبه وهو المني، ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾، اختلفوا في معناه، فقال الحسن ومجاهد: أراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح، ﴿فَقَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾، أي: مهورهن، وقال آخرون: هو نكاح المتعة وهو أن تنكح امرأة إلى مدة فإذا انقضت تلك المدة بانت منه بلا طلاق، ويستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث، وكان ذلك مباحاً في ابتداء الإسلام، ثم نهى عنه رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله تعالى قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً» وإلى هذا ذهب عامة أهل العلم أن نكاح المتعة حرام، والآية منسوخة. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يذهب إلى أن الآية محكمة، وترخص في نكاح المتعة وقيل: إن ابن عباس رضي الله عنهما رجع عن ذلك، وروى سالم عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ما بال رجال ينكحون هذه المتعة؟ وقد نهى رسول الله ﷺ عنها، لا أجد رجلاً نكحها إلا رجمته بالحجارة، قوله تعالى: ﴿فَقَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن، ﴿وَرِيشَهُنَّ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾، فمن حل ما قبله على نكاح المتعة أرادوا أنهما إذا

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسْفَحِينَ ۖ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَقَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَرِيشَهُنَّ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٥﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيَتَيْكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۚ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآمَتْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْتُمْ فَنِكَاحَهُ فَلَئِنْ نَصَفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٦﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَيُثَبِّتَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾

عقد إلى أجل بمال فإذا تم الأجل فإن شاءت المرأة زادت في الأجل وزاد الرجل في المال، وإن لم يتراضيا فارقتها، ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح. قال المراد بقوله: (ولا جناح عليكم فيما تراضيتُم به) من الإبراء عن المهر والافتداء والاعتياض. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

[٢٥] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾، أي: فضلاً وسعة، ﴿أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾، الحرائر ﴿الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيَتَيْكُمْ﴾، إمائكم، ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾، أي: من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة، فليتزوج الأمة المؤمنة، وفيه دليل على أنه لا يجوز للحر نكاح الأمة إلا بشرطين، أحدهما: ألا يجد مهر حرة، والثاني أن يكون خائفاً على نفسه من العنت، وهو

يعني: نكاح الأمة عند عدم الطول، ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾، يعني: الزنا، يريد المشقة بغلبة الشهوة، ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾، عن نكاح الإماء متعفين، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، لثلا يخلق الولد رقيقاً ﴿وَاللَّهُ عَفَّورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ﴾، أي: أن يبين لكم، كقوله تعالى: (وأمرت لأعدل بينكم) أي: أن أعدل ومعنى الآية: يريد الله أن يبين لكم، أي: يوضح لكم شرائع دينكم ومصالح أموركم، قال عطاء: يبين لكم ما يقربكم منه، قال الكلبي: يبين لكم أن الصبر عن نكاح الإماء خير لكم، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ﴾، ويرشدكم، ﴿سُنَنَ﴾، شرائع، ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، في تحريم الأمهات والبنات والأخوات، فإنها كانت محرمة على من قبلكم، وقيل: ويهديكم الملة الحنيفية وهي ملة إبراهيم عليه السلام، ﴿وَيَتَوَبَّ عَلَيْكُمْ﴾، ويتجاوز عنكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم، وقيل: يرجع بكم من المعصية التي كنتم عليها إلى طاعته، وقيل: يوفقكم التوبة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده في أمر دينهم ودنياهم، ﴿حَكِيمٌ﴾، فيما دبر من أمورهم.

[٢٧] ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَوَبَّ عَلَيْكُمْ﴾، إن وقع منكم تقصير في أمر دينكم ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا﴾، عن الحق، ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾ يأتیانكم ما حرم عليكم، واختلفوا في الموصوفين باتباع الشهوات، فقال السدي: هم اليهود والنصارى، وقال بعضهم: هم المجوس لأنهم يحلون نكاح الأخوات وبنات الأخ والأخت، وقال مجاهد: هم الزناة يريدون أن تميلوا عن الحق فتزنون كما يزنون، وقيل: هم كما يزنون، وقيل: هم جميع أهل الباطل.

[٢٨] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾، يسهل عليكم في أحكام الشرع، وقد سهل كما قال جل ذكره:

الزنا، لقوله تعالى في آخر الآية: (ذلك لمن خشي العنت منكم) وفي الآية دليل على أنه لا يجوز للمسلم نكاح الأمة الكتابية لأنه قال: (فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ)، جوز نكاح الأمة بشرط أن تكون مؤمنة، وقال في موضع آخر: (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب) أي: الحرائر جوز نكاح الكتابية، بشرط أن تكون حرة، وجوز أصحاب الرأي للمسلم نكاح الأمة الكتابية، وبالاتفاق يجوز وطؤها بملك اليمين ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾، أي: لا تتعرضوا للباطن في الإيمان وخذوا بالظاهر فإن الله أعلم بإيمانكم، ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾، قيل: بعضكم إخوة لبعض، وقيل: كلكم من نفس واحدة فلا تستكفوا من نكاح الإماء، ﴿فَأَنكِحُوهُنَّ﴾، يعني: الإماء ﴿بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾، أي: مواليهن، ﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾، مهورهن، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير مُطل وضرار، ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾، عفاف بالنكاح، ﴿غَيْرَ مُسْلِفَحَتٍ﴾، أي: غير زانيات، ﴿وَلَا مُنْخَذَاتٍ أَخَذَانِ﴾، أي: أحباب تزنون بهن في السر، قال الحسن: المسافحة هي أن كل من دعاها تبعته، وذات خدن أي: تختص بواحد لا تزني إلا معه، والعرب كانت تحرم الأولى وتجوز الثانية، ﴿فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بفتح الألف والصاد، أي: حفظن فروجهن، وقال ابن مسعود: أسلمن، وقرأ الآخرون: (أُحْصَيْنَ) بضم الألف وكسر الصاد، أي تزويجهن، ﴿وَإِنْ أَتَيْتَ بِفَحِشَةٍ﴾، يعني: الزنا، ﴿فَعَلَيْتَيْنِ يَصُفُّ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾، أي: ما على الحرائر الأبقار إذا زنين، ﴿مِنْ اللَّذَائِبِ﴾، يعني: الحد فيجلد الرقيق إذا زنى خمسين جلدة، وهل يُغرب؟ فيه قولان، فإن قلنا يغرب فيغرب نصف سنة على القول الأصح ولا رجم على العبد قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾،

سُورَةُ النِّسَاءِ

٨٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ أَنْ يُبَيِّلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ
عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٣٠﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ
تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٣١﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا
وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٢﴾ إِنْ تَجَتَبَوْا كِبَارَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣٣﴾
وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ
وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا ﴿٣٤﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَتَأْتُوهُمْ
نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٥﴾

عن النبي ﷺ قال: «الكبائر: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»، وفي آخر «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراف بالله عز وجل، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئا فقال: ألا وقول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»، وفي آخر قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات». وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أكبر الكبائر: الإشراف بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله. وعن سعيد بن جبير: أن رجلا سأل ابن عباس

(يضع عنهم إصرهم) وقال النبي ﷺ: «بعثت بالدين الحنيفية السمحة السهلة»، ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾، قال طاووس والكلبي وغيرهما في أمر النساء: لا يصبر عنهن، وقال ابن كيسان: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ يستميله هواه وشهوته، وقال الحسن: هو أنه خلق من ماء مهين، بيانه قوله تعالى: (الله الذي خلقكم من ضعف).

[٢٩] قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾، بالحرام، يعني: بالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة ونحوها، وقيل: هو العقود الفاسدة ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾، قرأ أهل الكوفة (تجارة) نصب على خبر كان، أي: إلا أن تكون الأموال تجارة، وقرأ الآخرون بالرفع، أي: إلا أن تقع تجارة، ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾، أي بطيبة نفس كل واحد منكم، وقيل: هو أن يجيز كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع، فيلزم وإلا فلهما الخيار ما لم يتفرقا ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، قال أبو عبيدة: أي لا تهلكوها، كما قال: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)، وقيل: لا تقتلوا أنفسكم بأكل المال بالباطل، وقيل: أراد به قتل المسلم نفسه، وقال الحسن: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) يعني: إخوانكم، أي: لا يقتل بعضكم بعضا، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

[٣٠] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾، يعني: ما سبق ذكره من المحرمات، ﴿عَدُوًّا وَظُلْمًا﴾، فالعدوان مجاوزة الحد، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾، ندخله في الآخرة، ﴿نَارًا﴾، يصلى فيها، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾، هينا.

[٣١] قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجَتَبَوْا كِبَارَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، اختلفوا في الكبائر التي جعل الله اجتنبها تكفيرا للصغائر، ففي حديث

فهو من السيئات، قال الله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)، قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَكُم مَّدْخَلًا كَرِيمًا﴾، أي: حسناً وهو الجنة، قرأ أهل المدينة (مدخلاً) بفتح الميم ههنا وفي الحج، وهو موضع الدخول، وقرأ الباقون بالضم على المصدر بمعنى الإدخال.

[٣٢] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الآية، قال مجاهد: قالت أم سلمة: يا رسول الله إن الرجال يغزون ولا تغزو ولهم ضعف ما لنا من الميراث، فلو كنا رجالاً غزونا كما غزوا وأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا. فزلت هذه الآية. وقيل: لما جعل الله عز وجل للذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث، قالت النساء: نحن أحق وأحوج إلى الزيادة من الرجال، لأننا ضعيفات وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، وقال قتادة والسدي لما أنزل الله قوله: (للذكر مثل حظ الأنثيين) قال الرجل إنا نلرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة فيكون أجراً على الضعف من أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث فقال الله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ من الأجر ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ معناه: أن الرجال والنساء في الأجر في الآخرة سواء، وذلك أن الحسنة تكون بعشرة أمثالها يستوي فيها الرجال والنساء، وإن فضل الرجال في الدنيا على النساء، وقيل: معناه للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن من طاعة الأزواج وحفظ الفروج. قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ نهي الله تعالى عن التمني لما فيه من دواعي الحسد، والحسد أن يتمنى الرجل زوال النعمة عن صاحبه سواء تمنّاها لنفسه أم لا، وهو حرام، والغبطة أن يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه وهو جائز.

رضي الله عنهما عن الكبائر: أسبع هي؟ قال: هي إلى السبعمائة أقرب إلا أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار، وقال: كل شيء عصي الله به فهو كبيرة، فمن عمل شيئاً منها فليستغفر فإن الله لا يخلد في النار من هذه الأمة إلا راجعاً عن الإسلام أو جاحداً فريضة أو مكذباً بقدر.

وقال عبدالله بن مسعود: ما نهى الله تعالى عنه في هذه السورة إلى قوله: (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ)، فهو كبيرة.

وقال علي بن أبي طالب: هي كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب.

وقال الضحاك: ما أوعده الله عليه حداً في الدنيا أو عذاباً في الآخرة.

وقال الحسن بن الفضل: ما سماه الله في القرآن كبيراً أو عظيماً نحو قوله تعالى: (إنه كان حوباً كبيراً)، (إن قتلهم كان خطئاً كبيراً)، (إن الشرك لظلم عظيم)، (إن كيدكن عظيم)، (سبحانك هذا بهتان عظيم)، (إن ذلكم كان عند الله عظيماً).

قال سفيان الثوري: الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين عباد الله تعالى، والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى، لأن الله كريم يعفو، وقال مالك بن مغول: الكبائر ذنوب أهل البدع، والسيئات ذنوب أهل السنة، وقيل: الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطأ والنسيان وما أكره عليه، وحديث النفس المرفوع عن هذه الأمة، وقيل: الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب إبليس والصغائر ذنوب المستغفرين مثل ذنب آدم عليه السلام، وقال السدي: الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبائر، والسيئات مقدماتها وتوابعها مما يجمع فيه الصالح والفساق، مثل النظرة واللمسة والقبلة وأشباهاها، وقيل: الكبائر ما يستحقه العباد، والصغائر ما يستعظمونه فيخافون واقعته: وقيل: الكبائر الشرك، وما يؤدي إليه، وما دون الشرك

قال الكلبي: لا يتمنى الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه، ولكن ليقبل اللهم رزقي مثله، وهو كذلك في التوراة وذلك في القرآن. وقوله: (وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ) أي من رزقه، قال سعيد بن جبير: من عبادته، فهو سؤال التوفيق للعبادة، قال سفيان بن عيينة: لم يأمر بالمسألة إلا ليعطي. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

[٣٣] ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى﴾ أي: ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا مولي، أي: عصبه يعطون ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾، الوالدان والأقربون هم المورثون، وقيل: معناه ولكل جعلنا مولي أي: ورثة مما ترك أي: من الذين تركوهم ويكون (ما) بمعنى: (من)، ثم فسر ﴿الْمَوْلَى﴾ فقال: الوالدان والأقربون، أي: هم الوالدان والأقربون، فعلى هذا القول: الوالدان والأقربون، هم الوارثون، ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ﴾، قرأ أهل الكوفة (عقدت) بلا ألف، أي: عقدت لهم أيمانكم، وقرأ الآخرون (عاقدت أيمانكم) والمعاقدة: المحالفة والمعاهدة، والأيمان جمع يمين، من اليد والقسم، وذلك أنهم كانوا عند المحالفة يأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد. ومحالفتهم أن الرجل كان في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول: دمي دمك وتأري تأرك وحربي حريك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعتقل عني وأعتقل عنك فيكون للحليف السدس من مال الحليف، وكان ذلك في ابتداء الإسلام فذلك قوله تعالى: ﴿فَتَأْتُوهُمْ نَصِيحَةً﴾ أي: أعطوهم حظهم من الميراث، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)، وقال إبراهيم ومجاهد: أراد فاتوهم نصيهم من النصر والرغد ولا ميراث لهم، وعلى هذا تكون هذه الآية غير منسوخة لقوله تعالى: (أوفوا بالعقود)، وقال

ابن عباس رضي الله عنهما: أنزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار حين قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون الرحم، فلما نزلت (ولكل جعلنا مولي) نسخت، ثم قال: (والذين عقدت أيمانكم فاتوهم نصيهم) من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث فيوصي له. وقال سعيد بن المسيب: كانوا يتوارثون بالتبني وهذه الآية فيه ثم نسخ. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

[٣٤] ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾، الآية نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء وفي امرأته وذلك أنها نشزت عليه فطمها، فانطلق أبوها معها إلى النبي ﷺ فقال: أفرشت كريمة فطمها، فقال النبي ﷺ: «لتقتص من زوجها»، فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فجاء جبريل عليه السلام فقال النبي ﷺ: «ارجعوا هذا جبريل أتاني بشيء» فأنزل الله هذه الآية، فقال النبي ﷺ: «أردنا أمراً وأراد الله أمراً، والذي أراد الله خير»، ورفع القصاص^(١). قوله تعالى: (الرجال قوامون على النساء) أي: مسلطون على تأديبهن، والقوام والقيم بمعنى واحد، والقوام أبلغ وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب، ﴿يَمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، يعني: فضل الرجال على النساء بزيادة العقل والدين والولاية، وقيل: بالشهادة لقوله تعالى: (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) وقيل: بالجهاد، وقيل: بالعبادات من الجمعة والجماعة، وقيل: هو أن الرجل ينكح أربعاً ولا يحل للمرأة إلا زوج واحد، وقيل: بأن الطلاق بيده، وقيل: بالميراث، وقيل: بالدية، وقيل: بالنبوة، ﴿وَيَمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، يعني: إعطاء المهر والنفقة، قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا لَحِثْتُ فَلَنْتُ﴾، أي: مطيعات

(١) روى قريباً من هذا الخبر الإمام الطبري في تفسيره ج ٥/

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ
عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ حَتَّى هَبَّ دَخَانٌ مِنْ أَلْيَانِهَا فَلَا اتَّخَفُونَ
نَشْوَاهُ فِي مَا هَضَبُوا مِنْهَا وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ
وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٥﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ
بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ
يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا
﴿٣٦﴾ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ
ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ
كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِأَمْوَالِهِمْ
الَّتِي بَخِلُوا بِأَنفُسِهِمْ وَالَّذِينَ حَبِطَتْ أَيْدِيهِمْ
عَنِ الْعَمَلِ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ أُولَٰئِكَ
سَيَكُونُونَ لَبِئْسَ مَا لَكُمُ الْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٨﴾

اليقين، وقيل: هو بمعنى الظن يعني: إن ظننتم شقاق بينهما، وجملته إنه إذا ظهر بين الزوجين شقاق واشتبه حالهما فلم يفعل الزوج الصفع ولا الفرقه ولا المرأة تأدية الحق ولا الفدية وخرجا إلى ما لا يحل قولاً وفعلًا بعث الإمام حكماً من أهله إليه وحكماً من أهلها إليها رجلين حرين عدلين ليستطلع كل واحد من الحكمين رأي من بعث إليه إن كانت رغبته في الصلح أو في الفرقه ثم يجتمع الحكمان فينفذان ما يجتمع عليه رأيهما من الصلاح، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا﴾، يعني: الحكمين، ﴿يُوفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، يعني: بين الزوجين، وقيل: بين الحكمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. اختلف القول في جواز بعث الحكمين من غير رضا الزوجين، وأصح القولين أنه

﴿حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ﴾، أي: حافظات للفروج في غيبة الأزواج، وقيل: حافظات لسرهم ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾، قرأ أبو جعفر (بما حفظ الله) بالنصب، أي: يحفظن الله في الطاعة، وقراءة العامة بالرفع، أي: بما حفظهن الله بإيضاء الأزواج بحقهن وأمرهن بأداء المهر والنفقة. وقيل: حافظات للغيب بحفظ الله ﴿وَالَّذِي تَخَاوَنُ شُوزَهُنَّ﴾، عصيانهن وأصل النشوز: التكبر والارتفاع، ومنه النشز للموضع المرتفع، ﴿فَيَطْلُونَهُنَّ﴾، بالتخويف من الله والوعظ بالقول، ﴿وَأَهْجُرُوهُنَّ﴾، يعني: إن لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن (في المضاجع)، قال ابن عباس: يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها، وقال غيره: يعتزل عنها إلى فراش آخر، ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ يعني: إن لم ينزعن الهجران فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولا شائن، وقال عطاء: ضرباً بالسواك ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾، أي: لا تجنوا عليهن الذنوب، وقال ابن عينة: لا تكلفوهن محبتكم فإن القلب ليس بأيديهن. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾، متعاليًا من أن يكلف العباد ما لا يطيقونه، وظاهر الآية يدل على أن الزوج يجمع عليها بين الوعظ والهجران والضرب، فذهب بعضهم إلى ظاهرها وقال: إذا ظهر النشوز جمع بين هذه الأفعال، وحمل الخوف في قوله: (واللاتي تخافون نشوزهن)، على العلم كقوله تعالى: (فمن خاف من موص جنفًا) أي: علم، ومنهم من حمل الخوف على الخشية لا على حقيقة العلم، كقوله تعالى: (وإما تخافن من قوم خيانة)، وقال: هذه الأفعال على ترتيب الجرائم، فإن خاف نشوزها بأن ظهرت أمارته منها من المخاصنة وسوء الخلق وعظها، فإن أبدت النشوز هجرها، فإن أصرت على ذلك ضربها.

[٣٥] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾، يعني: خلافاً بين الزوجين، والخوف بمعنى

لا يجوز إلا برضاها، وليس لحكم الزوج أن يطلق إلا بإذنه، ولا لحكم المرأة أن يخلع على ما لها إلا بإذنها، وهو قول أصحاب الرأي، والقول الثاني: يجوز بعث الحكمين دون رضاها، فيجوز لحكم الزوج أن يطلق دون رضاها ولحكم المرأة أن يختلع دون رضاها، إذا رأيا الصلاح، كالحاكم يحكم بين الخصمين وإن لم يكن على وفق مرادهما، وبه قال مالك.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَأَعِزُّوا لِلَّهِ﴾ أي: وحدوه وأطيعوه، ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس؟ قال قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقُّه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري يا معاذ ما حق الناس على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الناس على الله ألا يعذبهم، قال قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: دعهم يعملون. قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، براءً بهما وعطفاً عليهما، ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي: أحسنوا بذى القربى، ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي: ذى القرابة، ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾، أي: البعيد الذي ليس بينك وبينه قرابة ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ يعني: الرفيق في السفر، قال ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة وعكرمة وقتادة، وقال علي وعبدالله والنخعي: هو المرأة تكون معه إلى جنبه، وقال ابن جريج وابن زيد: هو الذي يصحبك رجاء نفعك، ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾، قيل: هو المسافر لأنه ملازم السبيل، والأكثر: على أنه الضيف، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، أي: المماليك أحسنوا إليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خُبْرًا فَخْرًا﴾، المختال، المتكبر، والفخور: الذي يفخر على الناس بغير الحق تكبراً، ذكر هذا بعدما ذكر من الحقوق، لأن المتكبر يمنع الحق تكبراً.

[٣٧] ﴿الَّذِينَ يَخْلُونُ﴾، البخل في كلام العرب: منع السائل من فضل ما لديه، وفي الشرع: منع الواجب، ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾، قرأ حمزة والكسائي (بالبخل) بفتح الباء والخاء، وكذلك في سورة الحديد، وقرأ الآخرون بضم الباء وسكون الخاء، نزلت في اليهود بخلوا ببيان صفة محمد ﷺ وكنتموها، وقال سعيد بن جبيرة هذا في كتمان العلم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد نزلت في كردم بن زيد وحيي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن الثابت وأسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع وبحر بن عمرو كانوا يأتون رجالاً من الأنصار ويخالطونهم فيقولون لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر ولا تدرن ما يكون فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، يعني: المال، وقيل: يبخلون بالصدقة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِشَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ نزلت في اليهود، وقال السدي: في المنافقين، وقيل: مشركي مكة المنفقين على عداوة الرسول ﷺ. ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾، صاحباً وخليلاً ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾، أي: فبئس الشيطان قريناً وهو نصب على التفسير، وقيل: على القطع بالغاء الألف واللام كما تقول: نعم رجلاً عبد الله.

[٣٩] ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾، أي: ما الذي عليهم وأي شيء عليهم؟ ﴿لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا ذَرَّةً﴾، ونظمه: وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا فإن الله لا يظلم أي: لا يبخس ولا ينقص أحداً من ثواب عمله مثقال ذرة، والذرة: هي النملة الحمراء الصغيرة، وقيل: الذر أجزاء الهباء في الكون وكل

جزء منها ذرة ولا يكون لها وزن، وهذا مثل يريد أن الله لا يظلم شيئاً كما قاله في آية أخرى: إن الله لا يظلم الناس شيئاً، وقيل: إن الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم بل أخذ له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضعفها له، فذاك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا﴾، قرأ أهل الحجاز (حسنة) بالرفع، أي وإن توجد حسنة، وقرأ الآخرون بالنصب على معنى: وإن تك زنة الذرة حسنة يضاعفها، أي: يجعلها أضعافاً كثيرة. ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قال أبو هريرة رضي الله عنه: إذا قال الله تعالى أجراً عظيماً فمن يقدر قدره؟.

[٤٣] قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ الآية، والمراد من السكر: السكر من الخمر عند الأكثرين، وذلك أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاماً ودعا ناساً من أصحاب النبي ﷺ وأتاهم بخمر فشربوها قبل تحريم الخمر وسكروا فحضرت صلاة المغرب فقدموا رجلاً ليصلي بهم فقرأ (قل يا أيها الكافرون) أعبد ما تعبدون، بحذف (لا) هكذا إلى آخر السورة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وكانوا بعد نزول هذه الآية يجتنبون السكر أوقات الصلاة حتى نزل تحريم الخمر. وقال الضحاك بن مزاحم: أراد به سكر النوم، نهى عن الصلاة عند غلبة النوم، ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا﴾، نصب على الحال، يعني: ولا تقربوا الصلاة جُنْبًا، يقال: رجل جنب وامرأة جنب، ورجال جنب ونساء جنب، وأصل الجنب: البعد، وسمي جنباً لأنه يتجنب موضع الصلاة، أو لمجانبته الناس وبعده منهم، حتى يغتسل. قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾، واختلفوا في معناه فقالوا: إلا أن تكونوا مسافرين ولا تجدوا الماء فتييموا، منع الجنب من الصلاة حتى يغتسل إلا أن يكون في سفر ولا يجد ماء فيصلي بالتيمم، وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد رضي الله

عنه: إذا قال الله تعالى أجراً عظيماً فمن يقدر قدره؟.

[٤١] قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾، أي: فكيف الحال وكيف يصنعون إذا جئنا من كل أمة بشهيد، يعني: بنبيها يشهد عليهم بما عملوا، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾، يا محمد، ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ شاهداً يشهد على جميع الأمة على من رآه ومن لم يره.

[٤٢] قوله عز وجل: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، يوم القيامة، ﴿يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا أَرْسُولَ لَوْ شِئُوا بِهِمُ الْأَرْضُ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر (تَسْوَى) بفتح التاء وتشديد السين على معنى تتسوى، فأدغمت التاء الثانية في السين، وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وتخفيف السين على حذف تاء التفعّل كقوله تعالى: (لا تكلم نفس إلا بإذنه)، وقرأ الآخرون بضم التاء وتخفيف السين على المجهول، أي: لو سويت بهم الأرض وصاروا هم والأرض شيئاً واحداً. قال قتادة وأبو عبيدة: يعني لو تخرقت الأرض فساخوا فيها وعادوا إليها كما خرجوا منها ثم تسوى بهم، أي: عليهم الأرض، وقيل: ودوا لو أنهم لم يبعثوا لأنهم إنما نقلوا من التراب، وكانت الأرض مستوية عليهم، وقال الكلبي: يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع:

سُورَةُ النِّسَاءِ

٨٥

الْبَقَرَةُ

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقًا لِلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ فَرِيًّا فَاسَاءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا
مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَاكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَدُّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَعَصَوُا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ
وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي
سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ
الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَتَّخِذُوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

قرأ حمزة والكسائي (لمستم) ههنا وفي المائدة،
وقرأ الباقون (لامستم النساء) واختلفوا في معنى
اللمس والملاسة، فقال قوم: هو المجامعة، وهو
قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وكُتِبَ
باللمس عن الجماع لأنَّ الجماع لا يحصل إلا
باللمس، وقال قوم: هما التقاء البشريتين سواء كان
بجماع أو غير جماع، وهو قول ابن مسعود وابن
عمر والشعبي والنخعي، واختلف الفقهاء في حكم
هذه الآية، فذهب جماعة إلى أنه إذا أفضى الرجل
بشيء من بدنه إلى شيء من بدن المرأة ولا حائل
بينهما، ينتقض وضوءهما، وهو قول ابن مسعود

عنهم، وقال الآخرون: بل المراد من الصلاة
موضع الصلاة، كقوله تعالى: (وبيع وصلوات)
ومعناه: لا تقربوا المسجد وأنتم جنب إلا مجتازين
فيه للخروج منه، مثل أن ينام في المسجد فيجنب
أو يصيبه جنباء والماء في المسجد أو يكون طريقه
عليه، فيمر به ولا يقيم، وهذا قول عبدالله بن
مسعود وسعيد بن المسيب والضحاك والحسن
وعكرمة والنخعي والزهري، وذلك أن قوماً من
الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم الجنباء
ولا ماء عندهم ولا ممر لهم إلا في المسجد،
فرخص لهم في العبور، قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ
مَرْضَىٰ﴾، جمع مريض، وأراد به مرضاً يضره
إمساس الماء مثل الجدري ونحوه، أو كان على
موضع الطهارة جراحة يخاف من استعمال الماء
فيها التلف أو زيادة الوجع، فإنه يصلي بالتيمم وإن
كان الماء موجوداً وإن كان بعض أعضاء طهارته
صحيحاً والبعض جريحاً غسل الصحيح منها وتيمم
للجريح، قوله تعالى: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾، أراد أنه إذا
كان في سفر طويلاً كان أو قصيراً، وعُدم الماء فإنه
يصلي بالتيمم ولا إعادة عليه، لما روي عن أبي ذر
قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ وَضُوءُ
المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين، فإذا وجد
الماء فليمسه بשרه فإن ذلك خير»^(١)، أما إذا لم
يكن الرجل مريضاً ولا في سفر لكنه عدم الماء في
موضع لا يعدم فيه الماء غالباً بأن كان في قرية
انقطع ماؤها فإنه يصلي بالتيمم ثم يعيد إذا قدر على
الماء عند الشافعي، وعند مالك والأوزاعي لا
إعادة عليه، وعند أبي حنيفة رضي الله عنهما يؤخر
الصلاة حتى يجد الماء.

قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾،
أراد به إذا أحدث، والغائط اسم للمطمئن من
الأرض، وكانت عادة العرب إتيان الغائط للحدث
فكُتِبَ عن الحدث بالغائط، ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾،

(١) رواه أبو داود في كتاب الطهارة / ١٢٣، والترمذي في
الطهارة / ٩٢، والنسائي في الطهارة / ٢٠٣، والإمام أحمد
ج ١٤٦/٥، ١٤٧، ١٥٥، ١٨٠. وله شاهد من حديث أبي
هريرة.

(فَتَيْمَمُوا)، والتيمم: القصد، حتى لو وقف في مهب الريح فأصاب الغبار وجهه ونوى لم يصح. قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾، اعلم أن مسح الوجه واليدين واجب في التيمم، واختلفوا في كيفية فذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يمسح الوجه واليدين مع المرفقين، بضربتين يضرب كفيه على التراب فيمسح بهما جميع وجهه، ولا يجب إيصال التراب إلى ما تحت الشعور، ثم يضرب ضربةً أخرى فيمسح يديه إلى المرفقين، وذهب الزهري إلى أنه يمسح اليدين إلى المنكبين، لما روي عن عمار أنه قال: تيممنا إلى المناكب. وذلك حكاية فعله لم ينقله عن النبي ﷺ، كما روي أنه قال: أجنبتم فتمكعت في التراب، فلما سأل النبي ﷺ أمره بالوجه والكفين. وذهب جماعة إلى أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال الشعبي وعطاء بن أبي رباح ومكحول، وإليه ذهب الأوزاعي وأحمد وإسحاق. [٤٤] قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَسِيًّا مِّنَ الْكِتَابِ﴾، يعني: يهود المدينة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في رفاعه بن زيد ومالك بن دخشم، كانا إذا تكلم رسول الله ﷺ لويأ لسانهما وعاباه فأنزل الله تعالى هذه الآية، ﴿يَشْتَرُونَ﴾، يستبدلون، ﴿الضَّلَالَةَ﴾، يعني: بالهدى، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَقْبَلُوا السَّبِيلَ﴾ أي: عن السبيل يا معشر المؤمنين.

[٤٥] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾، منكم، فلا تستنصحوهم فإنهم أعداؤكم، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى

وابن عمر رضي الله عنهما، وبه قال الزهري والأوزاعي والشافعي رضي الله عنهم، وقال مالك والليث بن سعد وأحمد وإسحاق: إن كان اللمس بشهوة نقض الطهر، وإن لم يكن بشهوة فلا ينتقض، وقال قوم: لا ينتقض الوضوء باللمس بحال، وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لا ينتقض إلا إذا حدث الانتشار، ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾، اعلم أن التيمم من خصائص هذه الأمة، روى حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا وجعلت تربتها لنا طهورًا إذا لم نجد الماء»^(١)، (فَتَيْمَّمُوا)، أي: اقصدا، ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، أي: ترابًا طيبًا طاهرًا نظيفًا قال ابن عباس رضي الله عنهما: الصعيد هو التراب، واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم، فذهب الشافعي رحمه الله تعالى إلى أنه يختص بما يقع عليه اسم التراب مما يعلق باليد منه غبار، لأن النبي ﷺ قال: «وجعلت تربتها لنا طهورًا»^(٢)، وجوز أصحاب الرأي التيمم بالزرنخ والجص والثورة وغيرها من طبقات الأرض، حتى قالوا: لو ضرب يديه على صخرة لا غبار عليها أو على التراب ثم نفخ فيه حتى زال التراب كله فمسح به وجهه ويديه صح تيممه، وقالوا: الصعيد وجه الأرض، لما روي عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا»^(٣) وهذا مجمل، وحديث حذيفة في تخصيص التراب مفسر والمفسر من الحديث يقضي على المجمل، وجوز بعضهم بكل ما هو متصل بالأرض من شجر ونبات، ونحوهما وقال: إن الصعيد اسم لما تصاعد على وجه الأرض، والقصد إلى التراب، شرط لصحة التيمم، لأن الله تعالى قال:

(١) قال الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير ج ١/ ١٤٨»: «مسلم من حديث أبي مالك الأشجعي... وابن أبي شبة في مسنده، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحهما...»
(٢) تقدم ذكر من خرجه في الحديث السابق.
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٢/ ٢٢٢.

يَا لِلَّهِ نَصِيرًا»، قال الزجاج: اكتفوا بالله وليًا واكتفوا بالله نصيرًا.

[٤٦] ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾، قيل: هي متصلة بقوله (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب) (من الذين هادوا) وقيل: هي مستأنفة، معناه: من الذين هادوا من يحرفون، كقوله تعالى: (وما منا إلا له مقام معلوم) أي: ممن له منزلة معلومة، يريد فريق، ﴿يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾، يغيرون الكلم ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾، يعني: صفة محمد ﷺ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ ويسألونه عن الأمر فيخبرهم فيرى أنهم يأخذون بقوله فإذا انصرفوا من عنده حرّفوا كلامه، ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾، قولك، ﴿وَعَصَيْنَا﴾، أمرك، ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ أي: اسمع منا ولا نسمع منك، (غَيْرَ مُسْمِعٍ) أي: غير مقبول منك، وقيل: كانوا يقولون للنبي ﷺ: اسمع، ثم يقولون في أنفسهم: لا سمعت، ﴿وَرَاعِنَا﴾ أي: ويقولون راعنا يريدون به النسبة إلى الرعونة، ﴿لِيَأْ بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾، تحريفًا، ﴿وَطَعْنَا﴾ قدحًا ﴿فِي الَّذِينَ﴾، لأن قولهم: راعنا من المراعاة، وهم يحرفونه، يريدون به الرعونة، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْتَعِزَّوْا بِرَبِّكُمْ﴾ أي: انظر إلينا مكان قولهم راعنا، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾، أي أعدل وأصوب، ﴿وَلَكِنْ لَّمْنَهُمْ اللَّهُ يَكْفُرْهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا نفرًا قليلًا منهم وهو عبدالله بن سلام ومن أسلم معه منهم.

[٤٧] قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ أَتَوْا آلَ كَثِبَ﴾، يخاطب اليهود، ﴿ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾، يعني: القرآن، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾، يعني: التوراة، وذلك أن النبي ﷺ كلم أحبار اليهود عبدالله بن صوريا وكعب بن الأشرف، فقال: «يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق»، قالوا: ما نعرف ذلك، وأصروا على الكفر، وأنزلت هذه الآية، ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ تَطْمِئِنَّ

وُجُوهًا﴾، قال ابن عباس: نجعلها كخف البعير، وقال قتادة والضحاك: نعميها، والمراد بالوجه العين، ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾، أي: نطمس الوجوه فنردها على القفا، وقيل: نجعل الوجوه منابت الشعر كوجوه القردة، لأن منابت شعور آدميين في أدبارهم دون وجوههم، وقيل: معناه نمحو آثارها وما فيها من أنف وعين وفم وحاجب ونجعلها كالأقفاء، وقيل: نجعل عينيه على القفاء فيمشي قهقري، فإن قيل: قد أوعدهم الله بالطمس إن لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك؟ قيل: هذا الوعيد باق، ويكون طمس ومسح في اليهودية قبل قيام الساعة، وقيل: هذا كان وعيد بشرط فلما أسلم عبدالله بن سلام وأصحابه دفع ذلك عن الباقي، وقيل: أراد به في القيامة، وقال مجاهد أراد بقوله: (نطمس وجوهًا) أي: نتركهم في الضلالة فيكون المراد طمس وجه القلب، والرد عن بصائر الهدى على أدبارها في الكفر والضلالة، وأصل الطمس: المحو والإفساد والتحويل، وقال ابن زيد: نمحو آثارهم من وجوههم ونواصيهم التي هم بها فنردها على أدبارها حتى يعودوا إلى حيث جاؤوا منه وهو الشام، وقال: قد مضى ذلك وتأوله في إجلاء بني النضير إلى أذرعات وأريحاء من الشام ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ النَّبْتِ﴾، فنجعلهم قردة وخنازير، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

[٤٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، قال الكلبي: نزلت في وحشي بن حرب وأصحابه وذلك أنه لما قتل حمزة كان قد جعل له على قتله أن يعتق فلم يوف له بذلك، فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو وأصحابه فكتبوا إلى رسول الله ﷺ أنا قد ندمنا على الذي صنعنا وأنه ليس يمنعنا عن الإسلام إلا أنا سمعناك تقول وأنت بمكة (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر)، الآيات وقد دعونا مع الله إلها آخر وقتلنا النفس التي حرم

سُورَةُ النِّسَاءِ

٨٦

الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٥٥﴾
 مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يَحْرِفُونَ أَلَكُمْ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ
 سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ
 وَطَعَنَ فِي الَّذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا
 لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
 إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٦﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا
 مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا
 عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ
 اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
 ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا
 ﴿٥٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَنْ يَشَاءُ
 وَلَا يُظْلَمُونَ قَتِيلًا ﴿٥٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ
 وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴿٦٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا
 مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٦١﴾

الفتيل من الفتل وهو ما يجعل بين الأصبعين من
 الوسخ عند الفتل.

[٥٠] قوله تعالى: ﴿أَنْظِرْ﴾ يا محمد، ﴿كَيْفَ
 يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ﴾، يخلقون على الله، ﴿الْكَذِبَ﴾،
 في تغييرهم كتابه، ﴿وَكَفَى بِهِ﴾، بالكذب ﴿إِثْمًا
 مُبِينًا﴾.

[٥١] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا
 مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾، اختلفوا
 فيهما فقال عكرمة: هما صنمان كان المشركون
 يعبدونهما من دون الله، وقال أبو عبيدة: هما كل
 معبود يعبد من دون الله. قال الله تعالى: (أَنْ
 اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)، وقال عمر:
 الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان. وهو قول
 الشعبي ومجاهد. وقيل: الجبت: الأوثان،
 والطاغوت: شياطين الأوثان. ولكل صنم شيطان،

الله وزينا، فلولاً هذه الآيات لاتبعناك، فنزلت (إلا
 من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً) الآيتين، فبعث
 بهما رسول الله ﷺ إليهم فلما قرؤوا كتبوا إليه: إن
 هذا شرط شديد نخاف ألا نعمل صالحاً، فنزل:
 (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
 يشاء)، فبعث بها إليهم فبعثوا إليه: إنا نخاف ألا
 نكون من أهل المشيئة فنزلت: (قل يا عبادي الذين
 أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)،
 فبعث بها إليهم فدخلوا في الإسلام ورجعوا إلى
 النبي ﷺ فقبل منهم، ثم قال لوحشي: أخبرني
 كيف قتلت حمزة؟ فلما أخبره، قال: «ويحك غيب
 وجهك عني»، فلاحق وحشي بالشام فكان بها إلى
 أن مات ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى﴾، اختلق،
 ﴿إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

[٤٩] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ
 أَنْفُسَهُمْ﴾ الآية، قال الكلبي: نزلت في رجال من
 اليهود منهم بحري بن عمر والنعمان بن أوفى
 ومرحب بن زيد، أتوا بأطفالهم إلى النبي ﷺ
 فقالوا: يا محمد هل على هؤلاء من ذنب؟ فقال:
 لا، قالوا: وما نحن إلا كهيتهم، ما عملنا بالنهار
 يكفر عنا بالليل، وما عملنا بالليل يكفر عنا
 بالنهار، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال مجاهد
 وعكرمة: كانوا يقدمون أطفالهم في الصلاة
 يزعمون أنهم لا ذنوب لهم فتلك التزكية، وقال
 الحسن والضحاك وقتادة ومقاتل: نزلت في اليهود
 والنصارى حين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه،
 (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو
 نصارى)، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:
 هو تزكية بعضهم لبعض، قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ
 يُرَكِّي﴾ أي: يظهر ويرى من الذنوب ويصلح، ﴿مَنْ
 يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ قَتِيلًا﴾ وهو اسم لما في شق
 النواة، والقطمير اسم للقشرة التي على النواة،
 والنقير اسم للنفرة التي على ظهر النواة، وقيل:

سُورَةُ النِّسَاءِ

٨٧

الْحَمْدُ لِلَّهِ

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
 أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُوَفُّونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ
 يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا
 آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
 فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا نُصْلِي
 جُلُودَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ
 كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
 لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ مَطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلِيلٌ ﴿٥٧﴾ إِنَّ
 اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوْذُوا الْإِثْمَانِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذْ حَكَمْتُمْ بَيْنَ
 النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
 بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
 الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ
 تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

كان لهم من الملك شيء، ﴿فَإِذَا لَا يُوَفُّونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾، لحسدكم وبخلهم، النقيير: النقطة التي تكون في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة، وقال أبو العالية: هو نقر الرجل الشيء بطرف أصبعه كما ينقر الدرهم:

[٥٤] ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾، يعني: اليهود، ويحسدون الناس قال قتادة: المراد بالناس العرب حسدكم اليهود على النبوة، وما أكرمهم الله تعالى بمحمد ﷺ. وقيل: أراد محمدًا ﷺ وأصحابه، وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وجماعة: المراد بالناس رسول الله ﷺ وحده، حسدوه على ما أحل الله له من النساء، وقالوا: ما له هم إلا النكاح، وهو المراد من قوله: ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وقيل: حسدوه على النبوة وهو المراد من الفضل المذكور في الآية.

يعبر عنه، فيغتر به الناس. وقال محمد بن سيرين ومكحول: الجبت: الكاهن، والطاغوت: الساحر. وقال سعيد بن جبير وأبو العالية: الجبت: الساحر بلسان الحبشة، والطاغوت: الكاهن. وروي عن عكرمة: الجبت بلسان الحبشة: شيطان. وقال الضحاك: الجبت: حيي ابن أخطب، والطاغوت كعب بن الأشرف. دليله قوله تعالى: (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت)، وقيل: الجبت كل ما حرم الله، والطاغوت كل ما يطغي الإنسان. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾، قال المفسرون: خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكبًا من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على رسول الله ﷺ وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ فقال أهل مكة: إنكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرًا منكم فإن أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وأمنوا بهما ففعلوا ذلك، فذلك قوله تعالى: (يؤمنون بالجبت والطاغوت)، ثم قال أبو سفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم، فأينا أهدى طريقة، نحن أم محمد؟ فقال كعب: أنتم والله أهدى سبيلًا مما عليه محمد وأصحابه، فأنزل الله تعالى: (ألم تر إلى الذين أتوا نصيبًا من الكتاب) يعني: كعبًا وأصحابه (يؤمنون بالجبت والطاغوت)، يعني: الصنمين (ويقولون للذين كفروا): أبي سفيان وأصحابه (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا) بمحمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم سبيلًا ودينا.

[٥٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾.

[٥٣] ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ يعني ألهم والميم صلة ﴿نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِنَ الْمُلْكِ﴾ وهذا على جهة الإنكار، يعني: ليس لهم من الملك شيء، ولو

[٥٨] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾، نزلت في عثمان بن طلحة المحببي من بني عبد الدار، وكان سادن الكعبة، فلما دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله ﷺ المفتاح، فقيل: إنه مع عثمان فطلبه منه رسول الله ﷺ فأبى، وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنع المفتاح فلوى علي رضي الله عنه يده فأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله ﷺ البيت وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس المفتاح أن يعطيه ويجمع له بين السقاية والسدانة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمر رسول الله ﷺ أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ففعل ذلك علي رضي الله عنه، فقال له عثمان: أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق، فقال علي: لقد أنزل الله تعالى في شأنك قرآنًا وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وكان المفتاح معه، فلما مات دفعه إلى أخيه شيبة، فالمفتاح والسدانة في أولادهم إلى يوم القيامة. وقيل: المراد من الآية جميع الأمانات، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾. أي: بالقسط، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْتَأُ أَتِيَهُمْ لَمَسِيءَ الْغَدِ يَعْظَمُ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

[٥٩] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَرْبَابَكُمْ﴾. احتضنوا علي (أولي الأمر) قال من عباس وجبريل رضي الله عنهم مع الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم. وهو قول الحسن والصفحة وسجده، وطلبه قوله تعالى: (ولو رجعوا إلى ألسنة ذلي كوني لأمرهم لعنة الذين يستطعونهم)، وقال أبو هريرة: هم الأمراء والولاة، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حق علي لإمام أن يحكم به. قول الله ويؤتي الأمانة فداها فمن ذلك فعق علي

﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، أراد بآل إبراهيم داود وسليمان وبالكتاب ما أنزل الله إليهم وبالحكمة النبوة ﴿وَوَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان عليهما السلام بكثرة النساء، فإنه كان لسليمان ألف امرأة ثلاثمائة حرة وسبعمائة سرية، وكان لداود مائة امرأة، ولم يكن يومئذ لرسول الله ﷺ إلا تسع نسوة، فلما قال لهم ذلك سكتوا.

[٥٥] قال الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ﴾، يعني: بمحمد ﷺ، وهم عبدالله بن سلام وأصحابه، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾، أعرض عنه ولم يؤمن به، ﴿وَكَفَىٰ بِهِمْ سَعِيرًا﴾، وقودًا، وقيل: الملك العظيم: ملك سليمان. وقال السدي: الهاء في قوله: (من آمن به وصد عنه) راجعة إلى إبراهيم، وذلك أن إبراهيم زرع ذات سنة، وزرع الناس فهلك زرع الناس وزكا زرع إبراهيم عليه السلام، فاحتاج إليه الناس فكان يقول: من آمن بي أعطيته فمن آمن به أعطاه، ومن لم يؤمن به منعه.

[٥٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾، ندخلهم نارًا، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ، احترقت، ﴿جُلُودُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، غير الجلود المحترقة، فإن قيل: كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعصه؟ قيل: يعاد الجلد الأول في كل مرة. وإنما قال: (جلودًا غيرها) لتبديدها، كما تقول صنعت من خاتمي خاتمًا غيره. فالخاتم الثاني هو الأول إلا أنه نصبت له نصبة تبذل، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَيْهَاتَ وَلَا هَيْهَنَ﴾.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا زَكَاةً وَأَنصَرُوا سَبْقَ مَا جَاءَتْهُمْ مِنْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ أَتَمَنَ﴾. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَيْهَاتَ وَلَا هَيْهَنَ﴾. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَيْهَاتَ وَلَا هَيْهَنَ﴾. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَيْهَاتَ وَلَا هَيْهَنَ﴾.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

وقيل: هي كل مصيبة تصيب جميع المنافقين في الدنيا والآخرة، وتم الكلام ههنا، ثم عاد الكلام إلى ما سبق، يخبر عن فعلهم فقال: (ثُمَّ جَاءُوكَ)، يعني: يتحاكمون إلى الطاغوت، (ثُمَّ جَاءُوكَ) أي: يجيئونك يحلفون (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا)، قال الكلبي: إلا إحساناً في القول، وتوفيقاً: صواباً، وقال ابن كيسان: حقاً وعدلاً، نظيره: (ليحلفن إن أردنا إلا الحسنى)، وقيل: هو إحسان بعضهم إلى بعض، وقيل: هو تقريب الأمر من الحق، لا القضاء على أمر الحكم، والتوفيق: هو موافقة الحق، وقيل: هو التاليف والجمع بين الخصمين.

[٦٣] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، من النفاق، أي: علم أن ما في قلوبهم

الرعية أن يسمعوا ويطيعوا، وقيل: المراد أمراء السرايا، وقال عكرمة: أراد بأولي الأمر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال عطاء: هم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان بدليل قوله تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) الآية، قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ﴾، أي: اختلفتم، ﴿فِي شَيْءٍ﴾ من أمر دينكم، والتنازع: اختلاف الآراء وأصله من التزع فكان المتنازعان يتجادبان ويتمانعان، ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، أي: إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دام حيًا وبعد وفاته إلى سنته، والرد إلى الكتاب والسنة واجب إن وجد فيهما، فإن لم يوجد فسيبله الاجتهاد. وقيل: الرد إلى الله تعالى والرسول أن يقول لما لا يعلم: الله ورسوله أعلم. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، أي: الرد إلى الله والرسول، ﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، أي: أحسن مآلاً وعاقبة.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ الآية قال الشعبي: كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ولا يميل في الحكم، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلهم يأخذون الرشوة ويميلون في الحكم، فاتفقا على أن يأتيا كاهنًا في جهينة فيتحكما إليه، فنزلت هذه الآية، ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

[٦١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ أي: يعرضون عنك إعراضاً.

[٦٢] ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾، هذا وعيد، أي: فكيف يصنعون إذا أصابتهم مصيبة، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، يعني: عقوبة صدودهم،

بني إسرائيل ﴿أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِكْرِكُمْ﴾، كما أمرنا بني إسرائيل بالخروج من مصر، ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾، معناه: ما كتبنا عليهم إلا طاعة الرسول والرضى بحكمه، ولو كتبنا عليهم القتل والخروج عن الدور ما كان يفعل، ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾، نزلت في ثابت بن قيس وهو من القليل الذي استثنى الله. قال الحسن ومقاتل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ وهم القليل، والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «إن من أمتي لرجالاً الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي»، قرأ ابن عامر وأهل الشام (إلا قليلاً) بالنصب على الاستثناء، وكذلك هو في مصحف أهل الشام، وقيل: فيه إضمار، تقديره: إلا أن يكون قليلاً منهم، وقرأ الآخرون قليل بالرفع على الضمير الفاعل في قوله: (فَعَلُوا) تقديره: إلا نفر قليل فعلوه، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾، يؤمرون به من طاعة الرسول والرضى بحكمه، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا﴾، تحقيقاً أو تصديقاً لإيمانهم.

[٦٧] ﴿وَإِذَا لَأَتَيْنَهُمْ مِن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾، ثواباً وافراً.

[٦٨] ﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾، أي: إلى الصراط المستقيم.

[٦٩] قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ أي: (ومن يطع الله) في أداء الفرائض، (والرسول) في السنن (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) أي: لا تفوتهم رؤية الأنبياء ومجالستهم لأنهم يرفعون إلى درجة الأنبياء، ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾، وهم أفاضل أصحاب النبي ﷺ، والصديق المبالغ في الصدق، ﴿وَالشُّهَدَاءَ﴾، قيل: هم الذين استشهدوا في يوم أحد، وقيل: الذين استشهدوا في سبيل الله، وقال

خلاف ما في ألسنتهم، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، أي: عن عقوبتهم. وقيل: هو التخويف بالله، وقيل: أن يوعدهم بالقتل إن لم يتوبوا، قال الحسن: القول البليغ أن يقول لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لأنه يبلغ من نفوسكم كل مبلغ، وقال الضحاك: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعَظُهُمْ﴾ في الملاء ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾. في السر والخلاء، وقال: قيل هذا منسوخ بآية القتال.

[٦٤] قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، أي: بأمر الله لأن طاعة الرسول وجبت بأمر الله، قال الزجاج: ليطاع بإذن الله لأن الله قد أذن فيه وأمر به، وقيل: إلا ليطاع كلام تام كاف، بإذن الله تعالى أي: بعلم الله وقضائه، أي: وقوع طاعته يكون بإذن الله، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾، لتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ (فلا) أي: ليس الأمر كما يزعمون أنهم مؤمنون ثم لا يرضون بحكمك، ثم استأنف القسم (وربك لا يؤمنون) ويجوز أن يكون (لا) في قوله (فلا) صلة، كما في قوله (فلا أقسم)، حتى يحكموك: أي يجعلوك حكماً، ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، أي: اختلف واختلط من أمورهم والتبس عليهم حكمه، ومنه الشجر لالتفاف أغصانه بعضها ببعض، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾، قال مجاهد: شكاً، وقال غيره: ضيقاً، ﴿وَمَا فَضَيْتَ﴾، وقال الضحاك: إنما، أي: يأثمون بإنكارهم ما قضيت، ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي: ينقادوا لأمرك انقياداً.

[٦٦] قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا﴾ أي: فرضنا وأوجبنا، ﴿عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾، كما أمرنا

عكرمة: النبيون ههنا محمد ﷺ، والصديق أبو بكر، والشهداء عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾، سائر الصحابة رضي الله عنهم، ﴿وَحَسَنَ أَوْلَٰدِكَ رَفِيقًا﴾، يعني: رفقاء الجنة، والعرب تضع الواحد موضع الجمع، كقوله تعالى: (ثم نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا) أي: أطفالاً (ويولون الدبر) أي: الأدبار.

٧٠ ﴿ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
عَلِيمًا﴾ أي: بثواب الآخرة، وقيل: من أطاع
رسول الله وأحبه، وفيه بيان أنهم لن ينالوا تلك
الدرجة بطاعتهم، وإنما نالوها بفضل الله عز وجل.
٧١ قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا حُذُوا
حِذْرَكُمْ﴾، من عدوكم، أي: من عدتكم والتكم
من السلاح، والحذر والحذر واحد كالمثل، والشبه
والشبه والشبه، ﴿فَانْفِرُوا﴾ أنضروا ﴿ثَبَاتٍ﴾
سرايا متفرقين سرية. ﴿أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾
في تفرقة.

وَأَن يَسْأَلُوا عَنْ أَهْلِ كُنُوزِهِمْ أَتَسْتَبِشِرُونَ

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰
 ۲۰۱
 ۲۰۲
 ۲۰۳
 ۲۰۴
 ۲۰۵
 ۲۰۶
 ۲۰۷
 ۲۰۸
 ۲۰۹
 ۲۱۰
 ۲۱۱
 ۲۱۲
 ۲۱۳
 ۲۱۴
 ۲۱۵
 ۲۱۶
 ۲۱۷
 ۲۱۸
 ۲۱۹
 ۲۲۰
 ۲۲۱
 ۲۲۲
 ۲۲۳
 ۲۲۴
 ۲۲۵
 ۲۲۶
 ۲۲۷
 ۲۲۸
 ۲۲۹
 ۲۳۰
 ۲۳۱
 ۲۳۲
 ۲۳۳
 ۲۳۴
 ۲۳۵
 ۲۳۶
 ۲۳۷
 ۲۳۸
 ۲۳۹
 ۲۴۰
 ۲۴۱
 ۲۴۲
 ۲۴۳
 ۲۴۴
 ۲۴۵
 ۲۴۶
 ۲۴۷
 ۲۴۸
 ۲۴۹
 ۲۵۰
 ۲۵۱
 ۲۵۲
 ۲۵۳
 ۲۵۴
 ۲۵۵
 ۲۵۶
 ۲۵۷
 ۲۵۸
 ۲۵۹
 ۲۶۰
 ۲۶۱
 ۲۶۲
 ۲۶۳
 ۲۶۴
 ۲۶۵
 ۲۶۶
 ۲۶۷
 ۲۶۸
 ۲۶۹
 ۲۷۰
 ۲۷۱
 ۲۷۲
 ۲۷۳
 ۲۷۴
 ۲۷۵
 ۲۷۶
 ۲۷۷
 ۲۷۸
 ۲۷۹
 ۲۸۰
 ۲۸۱
 ۲۸۲
 ۲۸۳
 ۲۸۴
 ۲۸۵
 ۲۸۶
 ۲۸۷
 ۲۸۸
 ۲۸۹
 ۲۹۰
 ۲۹۱
 ۲۹۲
 ۲۹۳
 ۲۹۴
 ۲۹۵
 ۲۹۶
 ۲۹۷
 ۲۹۸
 ۲۹۹
 ۳۰۰
 ۳۰۱
 ۳۰۲
 ۳۰۳
 ۳۰۴
 ۳۰۵
 ۳۰۶
 ۳۰۷
 ۳۰۸
 ۳۰۹
 ۳۱۰
 ۳۱۱
 ۳۱۲
 ۳۱۳
 ۳۱۴
 ۳۱۵
 ۳۱۶
 ۳۱۷
 ۳۱۸
 ۳۱۹
 ۳۲۰
 ۳۲۱
 ۳۲۲
 ۳۲۳
 ۳۲۴
 ۳۲۵
 ۳۲۶
 ۳۲۷
 ۳۲۸
 ۳۲۹
 ۳۳۰
 ۳۳۱
 ۳۳۲
 ۳۳۳
 ۳۳۴
 ۳۳۵
 ۳۳۶
 ۳۳۷
 ۳۳۸
 ۳۳۹
 ۳۴۰
 ۳۴۱
 ۳۴۲
 ۳۴۳
 ۳۴۴
 ۳۴۵
 ۳۴۶
 ۳۴۷
 ۳۴۸
 ۳۴۹
 ۳۵۰
 ۳۵۱
 ۳۵۲
 ۳۵۳
 ۳۵۴
 ۳۵۵
 ۳۵۶
 ۳۵۷
 ۳۵۸
 ۳۵۹
 ۳۶۰
 ۳۶۱
 ۳۶۲
 ۳۶۳
 ۳۶۴
 ۳۶۵
 ۳۶۶
 ۳۶۷
 ۳۶۸
 ۳۶۹
 ۳۷۰
 ۳۷۱
 ۳۷۲
 ۳۷۳
 ۳۷۴
 ۳۷۵
 ۳۷۶
 ۳۷۷
 ۳۷۸
 ۳۷۹
 ۳۸۰
 ۳۸۱
 ۳۸۲
 ۳۸۳
 ۳۸۴
 ۳۸۵
 ۳۸۶
 ۳۸۷
 ۳۸۸
 ۳۸۹
 ۳۹۰
 ۳۹۱
 ۳۹۲
 ۳۹۳
 ۳۹۴
 ۳۹۵
 ۳۹۶
 ۳۹۷
 ۳۹۸
 ۳۹۹
 ۴۰۰
 ۴۰۱
 ۴۰۲
 ۴۰۳
 ۴۰۴
 ۴۰۵
 ۴۰۶
 ۴۰۷
 ۴۰۸
 ۴۰۹
 ۴۱۰
 ۴۱۱
 ۴۱۲
 ۴۱۳
 ۴۱۴
 ۴۱۵
 ۴۱۶
 ۴۱۷
 ۴۱۸
 ۴۱۹
 ۴۲۰
 ۴۲۱
 ۴۲۲
 ۴۲۳
 ۴۲۴
 ۴۲۵
 ۴۲۶
 ۴۲۷
 ۴۲۸
 ۴۲۹
 ۴۳۰
 ۴۳۱
 ۴۳۲
 ۴۳۳
 ۴۳۴
 ۴۳۵
 ۴۳۶
 ۴۳۷
 ۴۳۸
 ۴۳۹
 ۴۴۰
 ۴۴۱
 ۴۴۲
 ۴۴۳
 ۴۴۴
 ۴۴۵
 ۴۴۶
 ۴۴۷
 ۴۴۸
 ۴۴۹
 ۴۵۰
 ۴۵۱
 ۴۵۲
 ۴۵۳
 ۴۵۴
 ۴۵۵
 ۴۵۶
 ۴۵۷
 ۴۵۸
 ۴۵۹
 ۴۶۰
 ۴۶۱
 ۴۶۲
 ۴۶۳
 ۴۶۴
 ۴۶۵
 ۴۶۶
 ۴۶۷
 ۴۶۸
 ۴۶۹
 ۴۷۰
 ۴۷۱

٨٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَوْ أَنَا كُنْبَنَا عَلَيْهِمْ أِنَّا قَتَلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرَجُوا مِن دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا وَعَدَ عَصُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَسَدَّ تُبَيْتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذْ لَا تَنْتَهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهْدَيْنَتْهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عِلِّيُّزًّا ﴿٧٠﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ مِمَّا فِي بَيْوتِكُم مَّكَانًا فَاتَخَرُّوا وَأَثَابَ أَوْ انْقَرُوا أَحْسَنَ مِمَّا كُنْتُمْ يَخْرُجُونَ فَإِنْ أَصَبْتُمْ نَفْسًا فَغُلَّتْ عَلَيْهَا بِمَا كَفَرَ وَأَمْسَكْتُمُ الْمَالَ عَلَىٰ حَرْثِهِ فَمَا لِلظَّالِمِينَ غَوْلٌ أَتِيًّا ﴿٧١﴾

[illegible]

سُورَةُ النِّسَاءِ

٩٠

الْمُشْرِكِينَ

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الْطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ
الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فِرَاقُ
مَنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ
كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا
قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ أَنْفَى وَلَا تُظْلَمُونَ قَلِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا
تَكُونُوا يَذَرُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رُوحٍ مُّسْتَدِيرَةٍ وَإِنْ قُصِبْهُمْ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نُصِبْهُمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا
هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَرِحَ اللَّهُ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ
سَيِّئَةٍ فَرِحَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

يلقون من المشركين بمكة أذى كثيراً قبل أن
يهاجروا، ويقولون: يا رسول الله ائذن لنا في
قتالهم فإنهم قد آذونا، فيقول لهم رسول الله ﷺ:
«كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنِّي لَمْ أَوْمَرْ بِقِتَالِهِمْ»، «وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ»، فلما هاجروا إلى المدينة
وأمرهم الله بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم،
قال الله تعالى: «فَلَمَّا كُتِبَ» فرض، «عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ
إِذَا فِرَاقُ مَنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ»، يعني يخشون مشركي
مكة، «كَخَشْيَةِ اللَّهِ» أي: كخشيتهم من الله، «أَوْ
أَشَدَّ» أكبر، «خَشْيَةً»، وقيل: معناه وأشد خشية،
«وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ»، الجهاد،
«لَوْلَا»، هلا، «أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ»، يعني:
الموت، أي: هلا تركتنا حتى نموت بأجلنا؟
واختلفوا في هؤلاء الذين قالوا ذلك، فقيل: قاله
قوم من المنافقين لأن قوله: (لم كتب علينا

معناه فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون أي:
يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة ويختارون الآخرة
﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ﴾، يعني يستشهد،
﴿أَوْ يُقْلَبْ﴾، يظفر ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾، في كلا
الوجهين ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[٧٥] قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ لا
تجاهدون ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، في طاعة الله يعاتبهم
على ترك الجهاد، «وَالْمُسْتَضْعَفِينَ» أي: عن
المستضعفين، وقال ابن شهاب: في سبيل
المستضعفين لتخليصهم، وقيل: في تخليص
المستضعفين، من أيدي المشركين، وكان بمكة
جماعة، ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾، يلقون من
المشركين أذى كثيراً، «الَّذِينَ» يدعون و﴿يَقُولُونَ
رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾، يعني:
مكة، الظالم أي: المشرك، أهلها يعني القرية التي
من صفتها أن أهلها مشركين، وإنما خفض
(الظالم) لأنه نعت للأهل، فلما عاد الأهل إلى
القرية صار الفعل لها، كما يقال مررت برجل حسنة
عنه. «وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا»، أي: من يلي أمرنا
لدىك، «وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا»، أي: من يمنع
العدو عنا، فاستجاب الله دعوتهم، فلما فتح رسول
الله ﷺ مكة ولى عليهم عتاب بن أسيد وجعله الله
لهم نصيراً ينصف المؤمنين المظلومين من
الظالمين.

[٧٦] قوله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ»، أي: في طاعته، «وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِ الطَّاغُوتِ» أي: في طاعة الشيطان، «فَقَاتِلُوا»
أيها المؤمنون «أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ» أي: حزبه وجنوده
الكفار، «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ»، مكره، «كَانَ
ضَعِيفًا»، كما فعل يوم بدر لما رأى الملائكة خاف
أن يأخذوه فهرب وخذلهم.

[٧٧] قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا
أَيْدِيَكُمْ» الآية، قال الكلبي: نزلت في جماعة كانوا

الكلام هذه الكلمة حتى توهموا أن اللام متصلة بها وأنهما حرف واحد، ففصلوا اللام بما بعدها في بعضه، ووصلوها في بعضه، والقراءة الاتصال، ولا يجوز الوقف على اللام لأنها لام خافضة.

[٧٩] قوله عز وجل: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾، خير ونعمة ﴿فَرِحَ اللَّهُ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾، بلية أو أمر تكرهه، ﴿فَرِحَ نَفْسُكَ﴾، أي: بذنوبك، والخطاب للنبي ﷺ المراد غيره، نظيره قوله تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وتعلق أهل القدر بظاهر هذه الآية، فقالوا: نفى الله تعالى السيئة عن نفسه ونسبها إلى العبد، فقال: (وما أصابك من سيئة فمن نفسك)، ولا متعلق لهم فيه، لأنه ليس المراد من الآية حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصي، بل المراد منهم ما يصيبهم من النعم والمحن، وذلك ليس من فعلهم بدليل أنه نسبها إلى غيرهم ولم ينسبها إليهم، فقال: (ما أصابك) ولا يقال في الطاعة والمعصية أصابني، إنما يقال: أصبتها، ويقال في المحن: أصابني، بدليل أنه لم يذكر عليه ثواباً ولا عقاباً، فهو كقوله تعالى: (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطبروا بموسى ومن معه)، فلما ذكر حسنات الكسب وسيئاته نسبها إليه، ووعد عليها الثواب والعقاب، فقال: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلاً)، وقيل معنى الآية: ما أصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن الله أي: من فضل الله، وما أصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم أحد فمن نفسك، أي: يعني فبذنوب أصحابك، وهو مخالفتهم لك، فإن قيل: كيف وجه الجمع بين قوله (قل كل من عند الله) وبين قوله (فمن نفسك)؟ قيل: قوله (قل كل من عند الله) أي: الخصب والجذب والنصر والهزيمة كلها من عند الله، وقوله: (فمن نفسك) أي: وما أصابك

القتال)، لا يليق بالمؤمنين، وقيل: قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين في العلم قالوه خوفاً وجبنًا لا اعتقاداً ثم تابوا، وأهل الإيمان يتفاضلون في الإيمان، وقيل: هم قوم كانوا مؤمنين فلما فرض عليهم القتال نافقوا من الجبن وتخلفوا عن الجهاد، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿مَنْعَ الدُّنْيَا﴾ أي: منفعتها والاستمتاع بها ﴿قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ﴾، أفضل، ﴿حَيْرٌ لِّمَنِ أُتْفِقُ﴾، الشرك ومعصية الرسول، ﴿وَلَا تَقْلُمُونَ قَنِيلًا﴾.

[٧٨] قوله عز وجل: ﴿أَتَيْنَا تَكُونُوا يُذَرِّكُمْ أَلَمُوتٌ﴾ أي: ينزل بكم الموت، نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتل أحد: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَتَيْنَا تَكُونُوا يُذَرِّكُمْ أَلَمُوتٌ﴾، ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾، والبروج: الحصون والقلاع، والمشيدة: المرفوعة المطولة، ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ﴾، نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم قالوا لما قدم رسول الله ﷺ المدينة: ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه، قال الله تعالى: (وإن تُصِيبهم يعني: اليهود (حسنة) أي خصب ورخص في السعر، ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، لنا، ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعني: الجذب وغلاء الأسعار ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي: من شؤم محمد وأصحابه، وقيل: المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر، وبالسيئة القتل والهزيمة يوم أحد، يقولوا هذه من عندك أي: أنت الذي حملتنا عليه يا محمد، فعلى هذا يكون من قول المنافقين ﴿قُلْ﴾، لهم يا محمد، ﴿كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، أي: الحسنة والسيئة كلها من عند الله، ثم غيرهم بالجهل فقال: ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ﴾ يعني: المنافقين واليهود، ﴿لَا يَكَادُونَ يَقْفَهُونَ حَدِيثًا﴾ أي: لا يفقهون قولاً، وقيل: الحديث ههنا هو القرآن أي: لا يفقهون معاني القرآن قوله: (فمال هؤلاء) قال الفراء: كثرت في

يشبهونه بتقدير بيوت الشعر، ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾ أي يثبت ويحفظ، ﴿مَا يُبَيِّنُونَ﴾، ما يزورون ويغيرون ويقدررون، وقال الضحاك عن ابن عباس: يعني ما يسرون من النفاق، ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ يا محمد ولا تعاقبهم، وقيل: لا تخبر بأسمائهم، منع الرسول ﷺ من الأخبار بأسماء المنافقين، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، أي: اتخذه وكيلاً وكفى بالله وكيلاً وناصراً.

[٨٢] قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتٌ﴾، يعني أفلا يتفكرون في القرآن، والتدبر هو النظر في آخر الأمر، ودبر كل شيء آخره. ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، أي تفاوتاً وتناقضاً كثيراً، قاله ابن عباس، وقيل: لوجدوا فيه أي: في الإخبار عن الغيب بما كان وبما يكون اختلافاً كثيراً، أفلا يتفكرون فيه فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر أنه كلام الله تعالى لأن ما لا يكون من عند الله لا يخلو عن تناقض واختلاف.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾، وذلك أن النبي ﷺ كان يبعث السرايا فإذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم، فيفشون ويحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله ﷺ فيضعفون به قلوب المؤمنين فأنزل الله تعالى (وإذا جاءهم) يعني: المنافقين (أمر من الأمن) أي: الفتح والغنمة أو الخوف والقتل والهزيمة (أذاعوا به) أشاعوه وأفشوه، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ إِلَى رَأْيِهِ وَلَمْ يحدثوا به حتى يكون النبي ﷺ هو الذي يحدث به، ﴿وَالَّتِ الْأُولَى الْأَمْرُ مِنْهُمْ﴾، أي: ذوي الرأي من الصحابة مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، أي: يستخرجونه وهم العلماء، أي: علموا ما ينبغي أن يكتسب وما ينبغي أن يُفشى، والاستنباط: الاستخراج، يقال: استنبط الماء إذا استخرجه،

من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك، كما قال الله تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) يدل عليها ما روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قرأ (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وأنا كتبتها عليك. وقال بعضهم: هذه اللام متصلة بما قبلها، والقول فيه مضمّر تقديره: فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً، يقولون: (ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك)، (قل كل من عند الله). ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾، يا محمد، ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾، على إرسالك وصدقك، وقيل: كفى بالله شهيداً على أن الحسنة والسيئة كلها من الله تعالى.

[٨٠] قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، وذلك أن النبي ﷺ كان يقول: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله» فقال بعض المنافقين: ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصراني عيسى ابن مريم رباً، فأنزل الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ أي: من يطع الرسول فيما أمر به فقد أطاع الله، ﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾، عن طاعته، ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾، يا محمد، ﴿عَلَيْهِمْ حَفِيطًا﴾، أي: حافظاً ورقياً على كل أمورهم، وقيل: نسخ الله عز وجل هذا بآية السيف، وأمره بقتال من خالف الله ورسوله.

[٨١] ﴿وَقُولُوا طَاعَةٌ﴾، يعني: المنافقين يقولون باللسان للرسول ﷺ: إنا أمانا بك فمرنا فأمرك طاعة، قال النحويون: أي أمرنا وشأننا أن نطيعك، ﴿فَإِذَا بَرِئُوا﴾، خرجوا، ﴿مِنْ عِنْدِكَ يَبْتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾، قال قتادة والكلبي: بيت أي: غير وبدل الذي عهد إليهم النبي ﷺ، ويكون التبيت بمعنى التبديل، وقال أبو عبيدة والقتبي: معناه قالوا وقدروا ليلاً غير ما أعطوك نهائراً وكل ما قدر ليل فهو مبيت، وقال أبو الحسن الأخفش: تقول العرب للشيء إذا قدر: بيت،

وقال عكرمة: يستنبطونه أي: يحرصون عليه ويسألون عنه، وقال الضحاك: يتبعونه، يريد الذين سمعوا تلك الأخبار من المؤمنين والمنافقين، لو ردهو إلى الرسول ﷺ وإلى ذوي الرأي والعلم، لعلمه الذين يستنبطونه منهم، أي: يحبون أن يعلموه على حقيقته كما هو، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾، كلكم، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، فإن قيل: كيف استثنى القليل ولولا فضله لاتبع الكل الشيطان؟ قيل: هو راجع إلى ما قبله، قيل: معناه أذاعوا به إلا قليلاً لم يفشه، وعنى بالقليل المؤمنين، وهذا قول الكلبي واختيار الفراء، وقال: لأن علم السر إذا ظهر علمه المستنبط وغيره، والإذاعة قد تكون في بعض دون بعض، وقيل: لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً، ثم قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ كلام تام، وقيل: فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن، يقول لولا ذلك لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً، وهم قوم اهتموا قبل مجيء الرسول ﷺ ونزول القرآن، مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وجماعة سواهما، وفي الآية دليل على جواز القياس، فإن من العلم ما يدرك بالتلاوة والرواية وهو النص، ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس على المعاني المودعة في النصوص.

[٨٤] قوله تعالى: ﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾، وذلك أن النبي ﷺ واعد أبا سفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه، بعضهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ أي: لا تدع جهاد العدو والاستنصار للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك، فإن الله قد وعدك النصر وعاقبهم على ترك القتال، والفاء في قوله تعالى: (فقاتل) جواب عن قوله

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٤﴾ وَيَقُولُوا طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْشِرُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨٥﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٦﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٧﴾ فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٨﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِنًا ﴿٨٩﴾ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِنَحْوَةِ فُحْيٍوَ بَاحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رَدُّوْهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٩٠﴾

(ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا) فقاتل، ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، على القتال أي حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب، فخرج رسول الله ﷺ في سبعين راكبًا فكفاهم الله القتال، فقال جل ذكره: ﴿عَسَى اللَّهُ﴾ أي: لعل الله، ﴿أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: قتال المشركين و(عسى) من الله واجب، ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ أي: أشد صولة وأعظم سلطانًا، ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ أي: عقوبة.

[٨٥] قوله عز وجل: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾، أي نصيب منها، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشفاعة الحسنة هي الإصلاح بين الناس، والشفاعة السيئة هي المشي بالنميمة بين الناس، وقيل: الشفاعة الحسنة هي حسن القول في الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي النَّفْقِينَ
فِتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ
أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ يُجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ ﴿٨٨﴾ وَذُوالُو
تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَنَجِدُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ
حَتَّى يَهْجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَحُذِّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَنَجِدُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نُصِيرًا ﴿٨٩﴾
إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءَكُمْ
حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَفْتِنُوكُمْ فَأُولَئِكَ أَوْفَوْهُمْ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقْتُلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ
وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾
سَتَجِدُونَ عَآخِرِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ
مَارَدُؤًا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَغْزَوْكُمُ وَلَا يَلْقُوا إِلَيْكُمُ
السَّلَامَ وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ فَحُذِّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
تَقَفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾

ووعداً، وقرأ حمزة والكسائي (أصدق)، وكلٌ صايد ساكنة بعدها دالٌّ بإشمام الزاي.

[٨٨] ﴿فَمَا لَكُمْ فِي النَّفْقَيْنِ فِتْنَتَيْنِ﴾ اختلفوا في سبب نزولها فقال قوم: نزلت في الذين تخلّفوا يوم أحد من المنافقين، فلما رجعوا قال بعض الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ: اقتلهم فإنهم منافقون، وقال بعضهم: اعف عنهم فإنهم تكلّموا بالإسلام، وقال بعضهم: نزلت في ناس من قريش قدّموا المدينة وأسلموا ثم ندموا على ذلك، ثم إنهم خرجوا في تجارة لهم نحو الشام فبلغ ذلك المسلمين، فقال بعضهم: نخرج إليهم فنقتلهم ونأخذ ما معهم لأنهم رغبوا عن ديننا، وقالت طائفة: كيف تقتلون قوماً على دينكم إن لم يذروا

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الزكاة ٤٥/، والإمام أحمد في مسنده ج ٢/١٦٠، ١٩٣، ١٩٥.

ينال به الثواب والخير، والسيئة هي: الغيبة وإساءة القول في الناس ينال به الشر، وقوله (كفل منها) أي: من وزرها، وقال مجاهد: على شفاعته الناس بعضهم لبعض، ويؤجر الشفيع على شفاعته وإن لم يشفع قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِنًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: مقتدراً أو مجازياً، وقال مجاهد: شاهداً: وقال قتادة: حافظاً، وقيل: معناه على كل حيوان مقيناً أي: يوصل القوت إليه، وجاء في الحديث: «كفى بالمرء إثماً أن يضيّع من يقوُّث و يقيث»^(١).

[٨٦] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها﴾، التحية: دعاء بطول الحياة، والمراد بالتحية هنا السلام، يقول: إذا سلّم عليكم مُسلم فأجيبوا بأحسن منها أو رُدُّوها كما سلّم، فإذا قال: السلام عليكم، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردّ مثله، وقيل: (فحيّوا بأحسن منها)، معناه أي إذا كان الذي سلّم مسلماً، (أو رُدُّوها) بمثلها إذا لم يكن مسلماً، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ أي: على كل شيء من ردّ السلام بمثله أو بأحسن منه، حسيباً أي: محاسباً مجازياً، وقال مجاهد: حفيظاً، وقال أبو عبيدة: كافياً، يقال: حسبي هذا أي كفاني.

[٨٧] قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾، اللام، لام القسم تقديره: والله ليجمعنكم في الموت وفي القبور، ﴿إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ﴾، وسميت القيامة قيامة لأن الناس يقومون من قبورهم، قال الله تعالى: (يوم يخرجون من الأجداث سراغاً) وقيل: لقيامهم إلى الحساب، قال الله تعالى: (يوم يقوم الناس لرب العالمين)، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ أي: قولاً

لِلْأَسِيرِ أَجِيرٌ، ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ في الجبل والحرم، ﴿وَلَا تَنَحِّدُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، ثم استثنى طائفة منهم فقال:

[٩٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ﴾ وهذا الاستثناء يرجع إلى القتل لا إلى الموالاة، لأن موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال، ومعنى (يصلون) أي: يتسبون إليهم ويتصلون بهم ويدخلون فيهم بالحلف والجوار، وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريدون ويلجأون إلى قوم، ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أي: عهد، وهم المسلمون وذلك أن رسول الله ﷺ وادع هلال بن عويمر الأسلمي قبل خروجه إلى مكة على ألا يعينه ولا يعين عليه، ومن وصل إلى هلال من قومه وغيرهم ولجأ إليه فلهم من الجواز مثل ما لهلال، وقال الضحاك عن ابن عباس: أراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد بن مناة كانوا في الصلح والهدنة، وقال مقاتل: هم خُزاعة، وقوله: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ﴾ أي: يتصلون بقوم جاؤوكم، ﴿حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ضاقت صدورهم، قرأ الحسن ويعقوب (حصرة) منصوبة منونة أي: ضيقة صدورهم، يعني القوم الذين جاؤوكم وهم بنو مدلج، كانوا عاهدوا قريشاً ألا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشاً ألا يقاتلوهم، حصرت: ضاقت صدورهم، ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ أي: عن قتالكم للعهد الذي بينكم، ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾، يعني: من أمن منهم، ويجوز أن يكون معناه أنهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم، يعني قريشاً قد ضاقت صدورهم لذلك، وقال بعضهم: أو بمعنى الواو، كأنه يقول: إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صدورهم، أي: حصرت صدورهم عن قتالهم والقتال معكم، وهم قوم هلال الأسلميون وبنو بكر، نهى الله

بِإِرَاهِمَ، وكان هذا بعين النبي ﷺ وهو ساكت لا ينهى واحداً من الفريقين، فنزلت هذه الآية، وقال بعضهم: هم قوم أسلموا بمكة ثم لم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين (في المنافقين ففتين) أي: صرتم فيهم ففتين أي: فرقتين ﴿وَاللَّهُ أَرْكَبُهُمْ﴾ أي: نكسهم وردّهم إلى الكفر ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ بأعمالهم غير الزاكية ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا﴾، أي: ترشدوا ﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾، وقيل: معناه أقولون أن هؤلاء مهتدون وقد أضلّهم الله، ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ أي: وكما كفروا يُضِلِلِ الله عن الهدى، ﴿فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً إلى الحق.

[٨٩] قوله تعالى: ﴿وَدُّوا﴾، تمنّوا، يعني أولئك الذين رجعوا عن الدين تمنّوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً﴾، في الكفر، وقوله (فتكونون) لم يرد به جواب التمني لأن جواب التمني بالفاء منصوب، إنما أراد النسق، أي: ودّوا لو تكفرون وودّوا لو تكونون سواء، مثل قوله: (ودّوا لو تذهبن فيذهبن) أي: ودّوا لو تذهبن وودّوا لو تذهبن، ﴿فَلَا تَنَحِّدُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، منع عن موالاتهم، ﴿حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، معكم، قال عكرمة: هي هجرة أخرى والهجرة على ثلاثة أوجه: هجرة المؤمنين في أول الإسلام، وهي قوله تعالى (للفقراء المهاجرين) وقوله: (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله)، ونحوهما من الآيات، وهجرة المؤمنين: وهي الخروج في سبيل الله مع رسول الله ﷺ صابرين محتسبين، كما حكي ههنا، وفي هذه الآية منع موالاة المؤمنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا في سبيل الله، وهجرة سائر المؤمنين ما نهى الله عنه وهي ما قال النبي ﷺ: «المهاجر من هَجَرَ ما نهى الله عنه»^(١). قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أعرضوا عن التوحيد والهجرة، ﴿فَعَدُوهُمْ﴾، أي خذوهم أسارى، ومنه يقال

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان / ٤.

[٩٢] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾، وهذا نهى عن قتل المؤمن كقوله تعالى: (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله)، (إلا خطأ)، استثناء منقطع معناه: لكن إن وقع خطأ، ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ أي: فعليه إعتاق رقبة مؤمنة كفارة، ﴿وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ﴾، كاملة، ﴿إِلَى أَهْلِهَا﴾ أي: إلى أهل القاتل الذين يرثونه، ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ أي: يتصدقوا بالدية فيعفوا ويتركوا الدية، ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾، أراد به إذا كان الرجل مسلماً في دار الحرب منفرداً مع الكفار فقتله من لم يعلم بإسلامه فلا دية عليه، وعليه الكفارة، وقيل: المراد منه إذا كان المقتول مسلماً في دار الإسلام وهو من نسب قوم كفار، وقربته في دار الحرب حرباً للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لأهله، وكان الحارث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين وكان فيه تحرير رقبة ولم يكن فيه دية لأنه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ أراد به إذا كان المقتول كافراً ذمياً أو معاهداً فيجب فيه الدية والكفارة، والكفارة تكون بإعتاق رقبة مؤمنة سواء كان المقتول مسلماً أو معاهداً رجلاً كان أو امرأة حراً كان أو عبداً وتكون في مال القاتل، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِصْيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾، والقاتل إن كان واجداً للرقبة أو قادراً على تحصيلها بوجود ثمنها فاضلاً عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الإعتاق، ولا يجوز أن ينتقل إلى الصوم فإن عجز عن تحصيلها فعليه صوم شهرين متتابعين، ﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: جعل الله ذلك توبة القاتل الخطأ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾، بمن قتل خطأ ﴿حَكِيمًا﴾ فيما حكم به عليكم،

سبحانه عن قتال هؤلاء المرتدين إذا اتصلوا بأهل عهد للمسلمين، لأن من انضم إلى قوم ذوي عهد فله حكمهم في حقن الدماء. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾. يذكر منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين، يقول: إن ضيق صدورهم عن قتالكم لما ألقى الله في قلوبهم من الرعب وكفهم عن قتالكم، ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم مع قومهم، ﴿فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ﴾ أي: اعتزلوا قتالكم، ﴿فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ﴾، ومن اتصل بهم، ويقال: يوم فتح مكة يقاتلوكم مع قومهم، ﴿وَأَلْفُوا إِلَيْكُمْ أَلَسْتُمْ﴾، أي: الصلح فانقادوا واستسلموا ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً بالقتل والقتال.

[٩١] قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: هم أسد وغطفان كانوا حاضري المدينة تكلموا بالإسلام رياء وهم غير مسلمين، وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا أسلمت؟ فيقول: آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب والخنفساء، وإذا لقوا أصحاب النبي ﷺ قالوا: إنا على دينكم، يريدون بذلك الأمن في الفريقين، وقال الضحاك عن ابن عباس: هم بنو عبد الدار كانوا بهذه الصفة، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُامِنُوكُمْ﴾، فلا تتعرضوا لهم، ﴿وَيَأْمِنُوا قَوْمَهُمْ﴾، فلا يتعرضوا لهم، ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ أي: دُعوا إلى الشرك، ﴿أُرْكسُوا فِيهَا﴾ أي: رجعوا وعادوا إلى الشرك، ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْزِلُوكُمْ﴾ أي: فإن لم يكفوا عن قتالكم حتى تسيروا إلى مكة، ﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ أَلَسْتُمْ﴾ أي: المفادة والصلح، ﴿وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ﴾، ولم يقبضوا أيديهم عن قتالكم، ﴿فَخَذَوْهُمْ﴾، أسراء، ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفُوهُمْ﴾ أي: وجدتموهم، ﴿وَأُولَئِكَ﴾ أي: أهل هذه الصفة، ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ أي: حجة بينة ظاهرة بالقتل والقتال.

سُورَةُ النِّسَاءِ

٩٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَمَا كَانُوا لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى
أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ
مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسْلَمَةٌ
إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٣﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ
اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٤﴾ يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقِيُنَا وَلَا تَقُولُوا
لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَسْلَمْنَا لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ
كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنْ أَكُلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَتَقِيُنَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٥﴾

الأمر إذا تأملته، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ
أَسْلَمْنَا﴾ هكذا قرأ أهل المدينة وابن عامر وحمزة،
أي: المعادة وهو قول «لا إله إلا الله محمد رسول
الله»، وقرأ الآخرون السلام وهو السلام الذي هو
تحية المسلمين لأنه كان قد سلم عليهم وقيل:
السلم والسلام واحد، أي: لا تقولوا لمن سلم
عليكم لست مؤمناً، فذلك قوله تعالى: ﴿لَسْتَ
مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعني:
تطلبون الغنم والغنيمة، (عَرَضُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)
منافعها ومتاعها، ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾، أي: غنائم
﴿كَثِيرَةٌ﴾، وقيل: ثواب كثير لمن اتقى قتل
المؤمن ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾، قال سعيد
ابن جبير: كذلك كنتم تكتمون إيمانكم من
المشركين ﴿فَمَنْ أَكُلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، بإظهار
الإسلام، وقال قتادة: كنتم ضالاً من قبل فمن الله

[٩٣] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُّتَعَمِّدًا﴾ الآية، نزلت في مقيس بن صبابه
الكندي، وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد
أخاه هشامًا قتيلاً في بني النجار فأتى رسول الله ﷺ
فذكر له ذلك فأرسل له رسول الله ﷺ معه رجلاً من
بني فهر إلى بني النجار أن رسول الله ﷺ يأمركم إن
علمتم قاتل هشام بن صبابه أن تدفعوه إلى مقيس
فيقتص منه وإن لم تعلموا أن تدفعوا إليه ديته،
فأبلغهم الفهري ذلك فقالوا: سمعاً وطاعة لله
ولرسوله، والله ما نعلم له قاتلاً ولكننا نؤدي ديته
فأعطوه مائة من الإبل، ثم انصرفا راجعين نحو
المدينة فأتى الشيطان مقيساً فوسوس إليه، فقال:
تقبل دية أخيك فتكون عليك مسبة، اقتل الذي
معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية، فتغفل
الفهري فرماه بصخرة فقتله، ثم ركب بعيراً وساق
بقيتها راجعاً إلى مكة كافراً فنزل فيه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ
مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾،
بكفره وارتداده، هو الذي استثناه النبي ﷺ يوم فتح
مكة، عمن أمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة،
قوله تعالى: ﴿وَعُذِّبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ أي:
طرده عن الرحمة، ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

[٩٤] قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقِيُنَا﴾ عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال: مر رجل من بني سليم على نفر من
أصحاب النبي ﷺ ومعه غنم له فسلم عليهم،
قالوا: ما سلم عليكم إلا ليتعوذ منكم فقاموا وقتلوه
وأخذوا غنمه فأتوا بها إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله
تعالى هذه الآية ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني إذا سافرتكم في سبيل الله، يعني:
الجهاد، ﴿فَتَقِيُنَا﴾ قرأ حمزة والكسائي ههنا في
موضعين وفي سورة الحجرات بالتاء والتاء من
التثنية، أي: قفوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر،
وقرأ الآخرون بالياء والنون من التبيين، يقال: تبينت

سُورَةُ النِّسَاءِ

٩٤

سُورَةُ النِّسَاءِ

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۖ وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْكَ مَا وَنُهِمُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ قَالُوا لَيْكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾

أَنْفُسِهِمْ ﴿٩٥﴾ الآية نزلت في ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا فلما خرج المشركون إلى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، أراد به ملك الموت وأعوانه أو أراد ملك الموت وحده، كما قال تعالى: (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم)، والعرب قد تخاطب الواحد بلفظ الجمع ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾، بالشرك، وهو نصب على الحال أي: في حال ظلمهم قيل: أي المقام في دار الشرك لأن الله تعالى لم يقبل الإسلام بعد هجرة النبي ﷺ إلا بالهجرة، ثم نسخ بعد فتح مكة فقال النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح»^(١)، وهؤلاء قتلوا يوم بدر وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم، وقالوا لهم: فيما كنتم؟ فذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾

(١) متفق عليه.

عليكم بالهداية، وقيل معناه: كذلك كنتم من قبل تأمنون في قومكم بلا إله إلا الله قبل الهجرة فلا تخيفوا من قالها فمن الله عليكم بالهجرة، ﴿فَتَيَسَّرُوا﴾ أن تقتلوا مؤمنًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ إذا رأى الغزاة في بلد أو قرية شعار الإسلام فعليهم أن يكفوا عنهم، فإن النبي ﷺ كان إذا غزا قومًا فإن سمع أذانًا كف عنهم، وإن لم يسمع أغار عليهم.

[٩٥] قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن الجهاد ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي بنصب الراء أي: إلا أولي الضرر، وقرأ الآخرون برفع الراء على نعت (القاعدین) يريد: لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر، أي: غير أولي الزمانة والضعف في البدن والبصر، ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾، أي: ليس المؤمنون القاعدون عن الجهاد من غير عذر والمؤمنون والمجاهدون سواء، غير أولي الضرر فإنهم يساؤون المجاهدين، لأن العذر أقدهم قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾، أي: فضيلة، وقيل: أراد بالقاعد ها هنا أولي الضرر، فضل الله المجاهدين عليهم درجة لأن المجاهد باشر الجهاد مع النية وأولي الضرر كانت لهم نية ولكنهم لم يباشروا، فنزلوا عنهم بدرجة، ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ﴾، يعني: الجنة بإيمانهم، وقال مقاتل: يعني المجاهد والقاعد المعذور، ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني: على القاعدین من غير عذر.

[٩٦] ﴿دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ قيل: هي سبعون درجة متفاوتة وقيل: الدرجات هي الإسلام والجهاد والهجرة والشهادة فاز بها المجاهدون.

[٩٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي

[١٠١] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا صَرُّنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافرت، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، أي: حرج وإثم ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾، يعني من أربعة ركعات إلى ركعتين، وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء، ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ﴾ أي: يغتالكم ويقتلكم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، في الصلاة ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ أي: ظاهر العداوة.

[١٠٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أن المشركين لما رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه قاموا إلى الظهر يُصلون جميعاً ندموا إلا كانوا أكبروا عليهم، فقال بعضهم لبعض: دعوهم فإن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آباتهم وأبنائهم يعني صلاة العصر، فإذا قاموا فيها فشدوا عليهم فاقتلوهم، فنزل جبريل عليه السلام فعلمه صلاة الخوف، وجملته أن العدو إذا كانوا في معسكرهم في غير ناحية القبلة فيجعل الإمام القوم فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو تحرسهم، ويشرع الإمام مع طائفة في الصلاة، فإذا صلى بهم ركعة قام وثبت قائماً حتى أتموا صلاتهم، وذهبوا إلى وجاه العدو ثم أتت الطائفة الثانية فصلى بهم الركعة الثانية وثبت جالساً حتى أتموا لأنفسهم الصلاة، ثم يسلم بهم، وهذه رواية سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى كذلك بذات الرقاع، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتُ فِيهِمْ﴾ أي: شهيداً معهم فأقامت لهم الصلاة، ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَتٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ﴾، أي: فلتقف ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا﴾، أي: صلوا، ﴿فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾، يريد مكان الذين هم وجاه العدو، ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾، وهم الذين كانوا في وجه العدو، ﴿فَلْيَصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾، قيل: هؤلاء الذين أتوا،

أي: في ماذا كنتم أو في أي الفريقين كنتم؟ أي المسلمين؟ أم في المشركين؟ سؤال توبيخ وتعيير فاعتذروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك، ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾، عاجزين، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، يعني أرض مكة، ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا؟﴾ يعني إلى المدينة وتخرجوا من مكة من بين أهل الشرك؟ فأكذبهم الله تعالى وأعلمنا يكذبهم، وقال: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوُهُمْ﴾، منزلهم ﴿جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾، أي: بس المصير إلى جهنم، ثم استثنى أهل العذر منهم، فقال:

[٩٨] ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَدُونَ سَبِيلًا﴾، ولا على قوة الخروج منها، ﴿وَلَا يَهْدُونَ سَبِيلًا﴾، أي: لا يعرفون طريقاً إلى الخروج. وقال مجاهد: لا يعرفون طريق المدينة.

[٩٩] قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾، يتجاوز عنهم، وعسى من الله واجب، لأنه للإطماع، والله تعالى إذا أطمع عبداً وصله إليه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمي ممن عذر الله، يعني المستضعفين، وكان رسول الله ﷺ يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة.

[١٠٠] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافَعًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: (مُرَافَعًا) أي: متحولاً يتحول إليه، وقال مجاهد: متزحزحاً عما يكره، وقال أبو عبيدة: المرافع: المهاجر، قيل: سميت المهاجرة مرافعة لأن من يهاجر يراغم قومه، وسعة أي: في الرزق، وقيل: سعة من الضلالة إلى الهدى ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ هَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْوُتُّ﴾ أي: قبل بلوغه إلى مهاجره، ﴿فَقَدْ رَفَعَ﴾ أي: وجب ﴿أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾، بإيجابه على نفسه فضلاً منه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ

٩٥

سُورَةُ النِّسَاءِ

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتَقِمَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا بِأَسْلِحَتِهِمْ فِإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ، رخص في وضع السلاح في حال المطر والمرض، لأن السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين، ﴿وَحْذُوا حِذْرَكُمْ﴾، أي: راقبوا العدو كيلا يتغفلوكم، والحذر ما يتقى به من العدو ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾، يهانون فيه، والجُنَاح: الإثم، من جنحت إذا عدلت عن القصد.

[١٠٣] ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾، يعني صلاة الخوف، أي فرغتم منها، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي: صلُّوا لله ﴿فَيَنْمَ﴾ في حال الصحة، ﴿وَقُودُوا﴾، في حال المرض، ﴿وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾، عند الجرح والزمانة، وقيل: اذكروا الله بالتسبيح والتحميد والتهليل والتمجيد على كل حال، ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾ أي: سكتتم وأمتتم، ﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ﴾ أي: أتموها أربعاً بأركانها، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾، قيل: واجباً مفروضاً مقدراً في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتان، وقال مجاهد: أي فرضاً مؤقتاً وقته الله عليهم.

[١٠٤] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهْنُؤْا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ الآية، سبب نزولها أن أبا سفيان رضي الله عنه وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث رسول الله ﷺ طائفة في آثارهم فشكوا ألم الجراحات، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهْنُؤْا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ أي: تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب القوم أبي سفيان وأصحابه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَأْمُونُونَ﴾، يتوجعون من الجراح، ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُونَ﴾، أي: يتوجعون، يعني الكفار ﴿كَمَا تَأْمُونُونَ وَرَجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾، أي: وأنتم مع ذلك تأملون من الأجر

والثواب في الآخرة والنصر في الدنيا ما لا يرجون، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

[١٠٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ الآية عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعاً من جاره يقال له قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب له فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار، ثم خبأها عند رجل من اليهود، يقال له زيد بن السمين، فالتصمت الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وما له بها من علم، فقال أصحاب الدرع: لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره، فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذوه منه، فقال اليهودي دفعها إلي طعمة بن أبيرق،

سُورَةُ النِّسَاءِ

٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ
اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَتَأْتُمْ هَوَآءَ جَدَلْتُمْ
عَنَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يَطْلَمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَى نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا
ثُمَّ يَمِرْ بِهِ بَرِيئًا فَعَدِ أَحْمَلُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا بُهْتَانُكُمْ
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَن
يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِن
شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٢﴾

﴿جَدَلْتُمْ﴾ أي: خاضتم، ﴿عَنَّهُمْ﴾ يعني: عن
طعمة، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، والجدال: شدة
المخاضمة من الجدال، وهو شدة القتل، فهو يريد
قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج، وقيل:
الجدال من الجدالة، وهي الأرض، فكان كل
واحد من الخصمين يروم قهر صاحبه وصرعه على
الجدال، ﴿فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ﴾، يعني: عن
طعمة، ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ إذا أخذه الله بعذابه، ﴿أَمْ مَن
يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾، كفيلاً، أي: من الذي يذب
عنهم، ويتولى أمرهم يوم القيامة، ثم استأنف
فقال:

﴿١١٠﴾ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾، يعني السرقه، ﴿أَوْ
يَطْلَمْ نَفْسَهُ﴾، برميه البريء، وقيل: ومن يعمل
سوءاً أي: شركاً أو يظلم نفسه: يعني إثماً دون
الشرك، ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾، أي: يتب إليه

فجاء بنو ظفر وهم قوم طعمة إلى رسول الله ﷺ
وسأله أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا له: إنك إن
لم تفعل افتضح صاحبنا، فهم رسول الله ﷺ أن
يعاقب اليهودي فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال:
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ بالأمر والنهي
والفصل، ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ﴾ بما
علمك الله وأوحى إليك، ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ﴾،
طعمة، ﴿خَصِيمًا﴾، معيناً مدافعاً عنه.

[١٠٦] ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ مما هممت به من
معاقة اليهودي، وقال مقاتل: واستغفر الله من
جدالك عن طعمة ﴿إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا
رَحِيمًا﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَا تُجَادِلْ﴾، لا تخاصم، ﴿عَنِ الَّذِينَ
يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ﴾، أي: يظلمون أنفسهم بالخيانة
والسرقة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَانًا﴾،
خائناً، ﴿أَثِيمًا﴾، بسرقة الدرع، أثيماً في رمية
اليهودي قيل: إنه خطاب مع النبي ﷺ، والمراد به
غيره، والاستغفار في حق الأنبياء بعد النبوة على
أحد الوجوه الثلاثة: إما لذنب تقدم على النبوة أو
لذنوب أمته وقربته، أو لمباح جاء الشرع بتحريمه
فيتركه بالاستغفار، فالاستغفار يكون معناه السمع
والطاعة لحكم الشرع.

[١٠٨] ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾، أي: يستترون
ويستحيون من الناس، يريد بني ظفر بن الحارث،
﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا يستترون ولا
يستحيون من الله، ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾،
يتقولون ويؤلفون، والتبیت: تدبير الفعل ليلاً، ﴿مَا
لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾، وذلك أن قوم طعمة قالوا فيما
بينهم: نرفع الأمر إلى النبي ﷺ فإنه يسمع قوله
ويمينه لأنه مسلم ولا يسمع من اليهودي فإنه كافر،
فلم يرض الله ذلك منهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
مُحِيطًا﴾، ثم يقول لقوم طعمة:

[١٠٩] ﴿هَتَأْتُمْ هَوَآءَ﴾، أي: ياهؤلاء،

وقيل: هذا استثناء منقطع، يعني: لكن من أمر بصدقة، وقيل النجوى ها هنا: الرجال المتناجون، كما قال تعالى: (وَإِذْ هُمْ نَجْوَى) [الإسراء: ٤٧]. (إلا من أمر بصدقة) أي: حث عليها، ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾، أي: بطاعة الله وما يعرفه الشرع، وأعمال البر كلها معروف، لأنَّ العقول تعرفها، ﴿أَوْ إِصْلَاحَ بَيْنِ النَّاسِ﴾ فعن أم كلثوم بنت عُقبة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب من أصلح بين الناس فقال خيرًا أو نَمَى خيرًا». قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: هذه الأشياء التي ذكرها، ﴿أَبْتَعَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، أي: طلب رضا، ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾، في الآخرة، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة (يؤتيه) بالياء، يعني يؤتيه الله، وقرأ الآخرون بالنون.

[١١٥] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾، نزلت في طعمة بن أبيرق وذلك أنه لما ظهرت عليه السرقة خاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة، فهرب إلى مكة وارتدَّ عن الدين، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾، أي: يخالفه، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَى﴾، من التوحيد والحدود، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: غير طريق المؤمنين، ﴿تُولِيهِ مَا تَوَلَّى﴾، أي: نكله في الآخرة إلى ما تولى في الدنيا، ﴿وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ أي: ذهب عن الطريق وحُرم الخير كله، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ هذه الآية نزلت في شيخ من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبيَّ الله إني شيخ منهمك في الذنوب، إلاَّ أنني لم أشرك بالله شيئًا منذ عرفته وآمنت به، ولم أأخذ من دونه وليًا ولم أواقع المعاصي جرأة على الله، وما توهمت طرفة عين أنني أعجز الله هربًا وإني لنادم تائب مستغفر فماذا

ويستغفره، ﴿يَجِدِ اللَّهُ عَفْوَراً رَحِيماً﴾، يعرض التوبة على طعمة في هذه الآية.

[١١١] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾، يعني: يمين طعمة بالباطل، أي: ما سرقته إنما سرقه اليهودي ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾، فإنما يضرب به نفسه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾، يسارق الدرع ﴿حَكِيمًا﴾، حكم بالقطع على السارق.

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ أي: سرقة الدرع، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بيمينه الكاذبة، ﴿ثُمَّ يَرَوْهُ﴾ أي: يقذف بما جنى ﴿بَرِيئًا﴾ منه وهو نسبة السرقة إلى اليهودي ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا﴾ البهتان: هو البهت، وهو الكذب الذي يتحير في عظمه، ﴿وَإِنَّمَا تُبَيِّنُ﴾ أي: ذنبًا بينًا، وقوله (ثم يرم به) ولم يقل بهما بعد ذكر الخطيئة والإثم، رد الكناية إلى الإثم أو جعل الخطيئة والإثم كالشيء الواحد.

[١١٣] قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾، يقول للنبي ﷺ: ﴿كُفِّتَ﴾، لقد هَمَّت أي: أضمرت، ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾، يعني: قوم طعمة، ﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ يخطئوك في الحكم ويلبسوا عليك الأمر حتى تدافع عن طعمة، ﴿وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾، يعني يرجع وبأله عليها، ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾، يُريد أن ضرره يرجع إليهم، ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، يعني: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، يعني: القضاء بالوحي ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾، من الأحكام، وقيل: من علم الغيب ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

[١١٤] قوله تعالى: ﴿لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾، يعني: قوم طعمة، وقال مجاهد: الآية عامة في حق جميع الناس، والنجوى: هي الأسرار في التدبير، وقيل: النجوى ما يتفرد بتدبيره قوم سرًا كان أو جهراً، فمعنى الآية: لا خير في كثير مما يدبرونه بينهم، ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ أي: إلا في نجوى من أمر بصدقة، فالنجوى تكون فعلًا،

حالي؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

[١١٧] قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا﴾، نزلت في أهل مكة، أي: ما يعبدون، كقوله تعالى: (وقال ربكم ادعوني) أي: اعبدوني، بدليل قوله تعالى: (إن الذين يستكبرون عن عبادتي)، قوله: (من دونه) أي: من دون الله، (إلا إنا) أراد بالإناث الأوثان لأنهم كانوا يسمونها باسم الإناث، فيقولون: اللات والعزى ومناة، وكانوا يقولون لصنم كل قبيلة: أنثى بني فلان فكان في كل واحدة منهن شيطان يتراءى للسندنة والكهنة ويكلمهم، ولذلك قال: ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾، هذا قول أكثر المفسرين يدل على صحة التأويل: وأن المراد بالإناث الأوثان قراءة ابن عباس رضي الله عنه ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا﴾، جمع الوثن فصير الواو همزة، وقال الحسن وقتادة: إلا إنا أي: موآنا لا روح فيه، لأن أصنامهم كانت من الجمادات سماها إناثا لأنه يخبر عن الموات، كما يخبر عن الإناث، ولأن الإناث أدون الجنسين كما أن الموات أرذل من الحيوان، وقال الضحاك: أراد بالإناث الملائكة وكان بعضهم يعبدون الملائكة ويقولون: الملائكة إناث، كما قال الله تعالى: (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا)، (وإن يدعون إلا شيطانا مريدا)، أي: وما يعبدون إلا شيطانا مريدا لأنهم إذا عبدوا الأصنام فقد أطاعوا الشيطان، والمريد: المارد، وهو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة، وأراد: إبليس.

[١١٨] ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾، أي: أبعده الله من رحمته، ﴿وَقَالَ﴾، يعني: قال إبليس، ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾، أي: حقا معلوما، فما أطيع فيه إبليس فهو مفروضه وأصل الفرض في اللغة: القطع، ومنه الفرضة في النهر وهي الثلثة تكون فيه، وفرض القوس والشراك: للشق الذي يكون

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٢٠﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الشَّيْطَانَ مَرِيدًا ﴿١٢١﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تُخَافُنِي مِنْ عِبَادِكِ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١٢٢﴾ وَلَا أَصْلَئُهُمْ وَلَا أُمَيِّنُهُمْ وَلَا أُمِرْتُمْ فَلْيَبْتِكُنَّ أَذَانًا أَلْتَعِمُّ وَلَا أُمِرْتُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١٢٣﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٤﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢٥﴾

فيه الوتر والخيطة الذي يشد به الشراك.

[١١٩] ﴿وَلَا أَصْلَئُهُمْ﴾ يعني: عن الحق، أي: لأغوينهم، بقوله إبليس، وأراد به التزيين، وإلا فليس إليه من الإضلال شيء، كما قال: (الآزين لهم في الأرض) ﴿وَلَا أُمَيِّنُهُمْ﴾، قيل: أمئنتهم ركوب الأهواء، وقيل: أمئنتهم أن لا جنة ولا نار ولا بعث، وقيل: أمئنتهم إدراك الآخرة مع ركوب المعاصي ﴿وَلَا أُمِرْتُمْ فَلْيَبْتِكُنَّ أَذَانًا أَلْتَعِمُّ وَلَا أُمِرْتُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن المسيب والضحاك: يعني دين الله، نظيره قوله تعالى: (لا تبديل لخلق الله) أي: لدين الله، يريد وضع الله في الدين بتحليل الحرام وتحريم الحلال، وقال عكرمة وجماعة من المفسرين فليغيرن خلق الله بالخصاء والوشم وقطع الأذان

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ
اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ
وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ
أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
مُحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَى النِّسَاءِ
الَّتِي لَا تَوْتُوهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغْبُونَ أَنْ تَكْفُوهُنَّ
وَالْمُسْتَضَعِّفِينَ مِنَ الْوُلَدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى
بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

حتى حرّم بعضهم الخصاء وجوزهم بعضهم في
البهائم، لأن فيه غرضًا ظاهرًا، وقيل: تغيير خلق
الله هو أن الله تعالى خلق الأنعام للركوب والأكل
فحرموها، وخلق الشمس والقمر والأحجار لمنفعة
العباد فعبدها من دون الله، ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشُّبُطَانَ
وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: ربًّا يطيعه، ﴿فَقَدْ
خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾.

[١٢٠] ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ﴾ فوعده وتمنيته ما
يُوقعه في قلب الإنسان من طول العمر ونيل الدنيا،
وقد يكون بالتخويف بالفقر فيمنعه من الإنفاق
وصلة الرحم كما قال الله تعالى: (الشيطان يعدكم
الفقر) وَيُمْنِيهِمْ بأن لا بعث ولا جنة ولا نار ﴿وَمَا
يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾، أي: باطلاً.

[١٢١] ﴿أُولَئِكَ مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُجَدُّونَ عَنْهَا
مَحِصًا﴾، أي: مفراً ومعدلاً عنها.

[١٢٢] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾،
أي: من تحت الغرف والمساكن، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾.

[١٢٣] قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي
أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، الآية، قال مسروق وقتادة
والضحاك: أراد ليس أمانيتكم أيها المسلمون ولا
أماني أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى، وذلك
أنهم افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم
وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم، وقال
المسلمون: نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على
الكتب، وقد أمانا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن
أولى. وقال مجاهد: أراد بقوله ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ يا
مشركي أهل الكتاب، وذلك أنهم قالوا: لا بعث
ولا حساب، وقال أهل الكتاب: (لن تمسنا النار
إلا أيامًا معدودة)، (ولن يدخل الجنة إلا من كان
هودًا أو نصاري)، فأنزل الله تعالى: (ليس
بأمانيتكم) أي: ليس الأمر بالأماني وإنما الأمر

بالعمل الصالح، ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾، قال
ابن عباس وسعيد بن جبير وجماعة: الآية عامة في
حق كل عامل ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا﴾.

[١٢٤] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ
مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾، أي: مقدار النقيير، وهو النقرة
التي تكون في ظهر الثّوابة.

[١٢٥] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾، أحكم دينًا ﴿وَمَنْ
أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾، أي: أخلص عمله لله، وقيل:
فوّض أمره إلى الله، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي: موحد،
﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾، يعني: دين إبراهيم عليه
السلام، ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مسلمًا مخلصًا، قال ابن
عباس رضي الله عنهما: ومن دين إبراهيم الصلاة
إلى الكعبة والطواف بها ومناسك الحج، وإنما

خُصَّ بها إبراهيم لأنه كان مقبولا عند الأمم أجمع، وقيل: لأنه بُعث على ملّة إبراهيم وزيدت له أشياء. ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، صَفِيًّا، والخَلَّةُ: صفاء المودة، قال الزجاج: معنى الخليل الذي ليس في محبته خلل، والخلة: الصداقة، فُسِمِي خَلِيلًا لِأَنَّ اللَّهَ أَحَبَّهُ وَاصْطَفَاهُ.

[١٢٦] قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ أي: أحاط علمه بجميع الأشياء.

[١٢٧] قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾، الآية قالت عائشة رضي الله عنها: هي اليتيمة تكون في حجر الرجل، وهو وليها فيرغب في نكاحها إذا كانت ذات جمال ومال بأقل من ستّة صداقها، وإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركها، وفي رواية هي اليتيمة تكون في حجر الرجل قد شركته في ماله فيرغب أن يتزوجها لدمامتها ويكره أن يزوجه غيرها فيدخل عليه في ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها، فنهاهم الله عن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: يستخبرونك في النساء، ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾، ﴿وَمَا يَتَّبِعْ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾، قيل: معناه ويفتيكم فيما يتلى عليكم، وقيل: يريد الله أن يفتيكم فيهن وكتابه يفتيكم فيهن، وهو قوله عز وجل: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾، قوله: ﴿فِي يَتَمَى النِّسَاءِ﴾، هذا إضافة الشيء إلى نفسه لأنه أراد باليتامى النساء، ﴿الَّتِي لَا تُؤْتَوْنَهُنَّ﴾، أي: لا تعطونهن، ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾، من صداقهن، ﴿وَرَغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾، أي: في نكاحهن لِمَالِهِنَّ وجمالِهِنَّ بأقل من صداقهن، وقال الحسن وجماعة: أراد لا تؤتونهن حقهن من الميراث لأنهم كانوا لا يؤرثون النساء، وترغبون أن تنكحوهن، أي: عن نكاحهن لدمامتهن، ﴿وَالْمُسْتَغْنَى مِنَ الْوُلَدَانِ﴾ يريد: ويؤتيتكم في

المستضعفين من الولدان وهم الصغار، أن تعطوهم حقوقهم لأنهم كانوا لا يؤرثون الصغار، يريد ما يتلى عليكم في باب اليتامى من قوله ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ يعني بإعطاء حقوق الصغار، ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَمَى بِالْقِسْطِ﴾، أي: ويفتيكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط بالعدل في مهرهن وموارثهن، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾، يجازيكم عليه.

[١٢٨] ﴿وَإِنْ أَمْرُهُ خَفَّتْ﴾ أي علمت ﴿مِنْ بَلْعَاهَا﴾، أي: من زوجها ﴿شُرُوءًا﴾ أي: بُغْضًا، قال الكلبي: يعني ترك مضاجعتها، ﴿أَوْ إِعْرَاصًا﴾ بوجهه عنها وقلة مجالستها، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: على الزوج والمرأة، ﴿أَنْ يَصَّالِحَا﴾ أي يتصالحا، وقرأ أهل الكوفة ﴿أَنْ يُصْلِحَا﴾ من أصلح، ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾، يعني: في القسم والنفقة، وهو أن يقول الزوج لها، إنك قد دخلت في السن وإنني أريد أن أتزوج امرأة شابة جميلة أوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فإن رضيت بهذا فأقيمى وإن كرهت خليت سبيلك، فإن رضيت كانت هي المحسنة ولا تُجبر على ذلك، وإن لم ترض بدون حقها كان على الزوج أن يوفيقها حقها من القسم والنفقة أو يسرحها بإحسان، فإن أمسكها ووقاها حقها مع كراهية فهو مُحسن وقال مقاتل بن حيان في هذه الآية: هو أن الرجل يكون تحته المرأة الكبيرة فيتزوج عليها الشابة، فيقول للكبيرة: أعطيتك من مالي نصيبا على أن أقسم لهذه الشابة أكثر مما أقسم لك فترضى بما اصطلحا عليه، فإن أبث أن ترضى فعليه أن يعدل بينهما في القسم. وعن علي رضي الله عنه في هذه الآية قال: تكون المرأة عند الرجل فتنبو عنه من دمامة، أو كبر فتركه فرقه، فإن أعطته من مالها فهو له حل وإن أعطته من أيامها فهو حل له، ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ يعني: إقامتها بعد تخيره إياها والمصالحة على

سورة النساء

٩٩

سورة النساء

وَإِنْ أَمْرُهُ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا ثُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٩﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣١﴾ وَاللَّهُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حمِيدًا ﴿١٣٢﴾ وَاللَّهُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٣﴾ إِنَّ يَسَاءَ يَدُ هَبْكُمْ إِلَيْهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِتَاخِرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٥﴾

فِي الْأَرْضِ ﴿١٢٩﴾ عبيداً ومُلْكًا ﴿١٣٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿١٣١﴾، يعني: أهل التوراة والإنجيل وسائر الأمم المتقدمة في كتبهم، ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ يا أهل القرآن في القرآن، ﴿أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: وحذوا الله وأطيعوه، ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾ بما أوصاكم الله به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، قيل: فإن لله ملائكة في السموات والأرض هي أطوع له منكم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾، عن جميع خلقه غير محتاج إلى طاعتهم، ﴿حمِيدًا﴾ محموداً على نعمه.

[١٣٢] ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، قال عكرمة عن ابن عباس: يعني شهيداً أن فيها عبيداً، وقيل: دافعاً ومُجبراً، فإن

(١) رواه أبو داود في كتاب النكاح / ٣٨، والنسائي في كتاب عشرة النساء / ٢، وابن ماجه في كتاب النكاح / ٤٧، والدارمي في كتاب النكاح / ٢٥، وهو معل.

ترك بعض حقها من القسم والنفقة، خير من الفرقه ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾، يريد شُحَّ كل واحد من الزوجين بنصيبه من الآخر، والشُّح: أقيح البخل، وحقيقته: الحرص على منع الخير، ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾، أي: تصلحوا ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور، وقيل: هذا خطاب مع الأزواج، أي: تحسنا بالإقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجزيكم بأعمالكم.

[١٢٩] قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾، أي: لن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب، ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على العدل، ﴿فَلَا تَمِيلُوا﴾، أي: إلى التي تحبونها، ﴿كُلَّ الْمِيلِ﴾ في القسم والنفقة، أي: لا تتبعوا أهواءكم أفعالكم، ﴿فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾، أي: فتدعوا الأخرى كالمعلقة لا أيماً ولا ذات بعل. وقال قتادة: كالمحبوسة، وفي قراءة أبي بن كعب: كأنها مسجونة. وروى عن أبي قلابة أن النبي ﷺ كان يُقسم بين نسائه، فيعدل ويقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»^(١) ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا﴾، الجور، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[١٣٠] ﴿وَإِنْ يَفْرَقَا﴾، يعني: الزوج والمرأة بالطلاق، ﴿يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾، من رزقه، يعني: المرأة بزواج آخر والزوج بامرأة أخرى، ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾، واسع الفضل والرحمة حكيماً فيما أمر به ونهى عنه، وجملته حكم الآية: أن الرجل إذا كانت تحته امرأتان أو أكثر فإنه يجب عليه التسوية بينهما في القسم، فإن ترك التسوية بينهما في فعل القسم عصي الله تعالى، وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيوتة، أما في الجماع فلا، لأنه يدور على النشاط وليس ذلك إليه.

[١٣١] قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾،

تَعَدُّوْا^١، أي: ولا تجوروا وتميلوا إلى الباطل من الحق، وقيل: معناه لا تتبعوا الهوى لتعدلوا، أي: لتكونوا عادلين كما يقال: لا تتبع الهوى لترضي ربك. ﴿وَإِنْ تَلَوْا^٢﴾ أي: تحرفوا الشهادة لتبطلوا الحق ﴿أَوْ تُعْرِضُوا^٣﴾ عنها فتكتموها ولا تقيموها، يقال: تلوا أي تدافعوا في إقامة الشهادة، يقال: لَوَيْتَهُ حَقَّهُ إِذَا دَفَعْتَهُ وَأَبْطَلْتَهُ، وقيل: هذا خطاب مع الحكام في ليهم الأصدقاء، يقول: وإن تلوا أي تميلوا إلى أحد الخصمين أو تعرضوا عنه، قرأ ابن عامر وحزمة (تلوا) بضم اللام، قيل: أصله تلوا، فحذفت إحدى الواوين تخفيفاً، وقيل: معناه: وإن تلوا القيام بأداء الشهادة أو تعرضوا فتركوا أداءها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا^٤﴾.

[١٣٦] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ^٥﴾ الآية عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في عبدالله بن سلام وأسد وأسيد بني كعب، وثعلبة ابن قيس وسلام بن أخت عبدالله بن سلام، وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: إِنَّا نُؤْمِنُ بِكَ وَبِكَتَابِكَ وَبِمُوسَى وَالتَّوْرَةِ وَعِزِيرٍ وَنُكْفِرُ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ، فقال النبي ﷺ: «بَلِ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْقُرْآنَ وَبِكُلِّ كِتَابٍ كَانَ قَبْلَهُ»، فأنزل الله هذه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بمحمد ﷺ والقُرْآنَ وبموسى عليه السلام والتَّوْرَةَ (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ^٦﴾، يعني القرآن، ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ^٧﴾، من التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَسَائِرِ الْكُتُبِ، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا^٨﴾، فلما نزلت هذه الآية قالوا: إِنَّا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْقُرْآنَ وَبِكُلِّ رَسُولٍ وَكِتَابٍ كَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، والملائكة واليوم الآخر لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ، وقال الضحَّاك: أراد بهم اليهود والنصارى، وقيل:

قيل: فأَيُّ فائدة في تكرار قوله تعالى: (وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)؟ قيل: لكل واحد منهما وجه، أما الأول: فمعناه الله ما في السموات وما في الأرض وهو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته، وأما الثاني فيقول: فإن الله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيًّا أي: هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون، وأما الثالث فيقول: ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا^٩﴾ أي: له الملك فاتخذوه وكيلًا ولا تتوكلوا على غيره.

[١٣٣] قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ^{١٠}﴾، يُهْلِكْكُمْ ﴿أَيُّهَا النَّاسُ^{١١}﴾، يعني: الكفار، ﴿وَيَأْتِ بِخَيْرٍ^{١٢}﴾، يقول بغيركم خير منكم وأطوع، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا^{١٣}﴾ قادرًا.

[١٣٤] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^{١٤}﴾ يريد من كان يريد بعمله عَرْضًا من الدنيا ولا يريد بها الله عز وجل آتاه الله من عَرْضِ الدنيا أو دفع عنه فيها ما أراد الله، وليس له في الآخرة من ثواب، ومن أراد بعمله ثواب الآخرة آتاه الله من الدنيا ما أحب وجزاه الجنة في الآخرة. قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا^{١٥}﴾.

[١٣٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ^{١٦}﴾، يعني: كونوا قائمين بالشهادة بالقسط، أي: بالعدل لله، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كونوا قوامين بالعدل في الشهادة على من كانت له، ﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ^{١٧}﴾ في الرحم، أي: قولوا الحق ولو على أنفسكم بالإقرار أو الوالدين والأقربين، فأقيموا عليهم لله، ولا تحابوا غنيًّا لغناه ولا ترحموا فقيرًا لفقره، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا^{١٨}﴾، منكم، أي: أقيموا على المشهود عليه وإن كان غنيًّا وللمشهد له وإن كان فقيرًا فالله أولى بهما منكم، أي: كلوا أمرهما إلى الله. وقال الحسن: معناه الله أعلم بهما، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بموسى وعيسى (آمَنُوا) بمحمد والقرآن، وقال مجاهد: أراد بهم المنافقين، يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) باللسان (آمَنُوا) بالقلب. وقال أبو العالية وجماعة: هذا خطاب للمؤمنين، يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) آمَنُوا أي أقيموا واثبتوا على الإيمان، كما يقال للقاتم: قم حتى أرجع إليك، أي اثبت قائمًا، وقيل: المراد به أهل الشرك، يعني: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) باللات والعزى (آمَنُوا) بالله ورسوله.

[١٣٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾، قال قتادة: هم اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا من بعد بعبادتهم العجل، ثم آمنوا بالتوراة ثم كفروا بعيسى عليه السلام، ثم ازدادوا كفرًا بمحمد ﷺ. وقيل: هو في جميع أهل الكتاب آمنوا بنبيهم ثم كفروا به، وآمنوا بالكتاب الذي نزل عليه ثم كفروا به، وكفرهم به تركهم إياه ثم ازدادوا كفرًا بمحمد ﷺ، وقيل: هذا في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا وقال مجاهد: ثم ازدادوا كفرًا أي ماتوا عليه، ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ما أقاموا على ذلك، ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾، أي طريقًا إلى الحق، فإن قيل: ما معنى قوله: (لم يكن الله ليغفر لهم)، ومعلوم أنه لا يغفر الشرك إن كان أول مرة؟ قيل: معناه أن الكافر إذا أسلم أول مرة ودام عليه يغفر له كفره السابق، فإن أسلم ثم كفر ثم أسلم ثم كفر لا يغفر له كفره السابق الذي كان، يغفر له لو أنه دام على الإسلام.

[١٣٨] ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾، أخبرهم يا محمد ﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، والبشارة: كل خبر يتغير به بشرة الوجه سارًا كان أو غير سار، وقال الزجاج: معناه اجعل في موضع بشارتك لهم العذاب، كما تقول العرب: تحيتك الضرب وعتابك السيف، أي: بدلًا لك من التحية، ثم وصف المنافقين

﴿يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوْمًا يَلْقَسُ شَهَادَةَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوَّلَ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [١٣٩] يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا [١٤٠] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا [١٤١] بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا [١٤٢] الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنِئْتُمْ عَنْهُمْ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا [١٤٣] وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا [١٤٤]

فقال:

[١٣٩] ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾، يعني يتخذون اليهود أولياء وأنصارًا أو بطانة ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنِئْتُمْ عَنْهُمْ الْعِزَّةُ﴾، أي المعونة والظهور على محمد ﷺ وأصحابه: وقيل: أيتلون عندهم القوة، ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ﴾ أي: الغلبة والقوة والقدرة، ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

[١٤٠] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾، قرأ عاصم ويعقوب (نزل) بفتح النون والزاي، أي: نزل الله، وقرأ الآخرون (نزل) بضم النون وكسر الزاي، أي: عليكم يا معشر المسلمين ﴿أَنَّ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ﴾، يعني القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ يعني: مع الذين يستهزؤون، ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾، أي: يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بمحمد ﷺ والقرآن، وهذا

إشارة إلى ما أنزل الله في سورة الأنعام (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره)، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة، ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ﴾، أي: إن قعدتم عندهم وهم يخوضون ويستهزؤون ورضيتهم به فأنتم كفار مثلهم، وإن خاضوا في حديث غيره فلا بأس بالقعود معهم مع الكراهة، وقال الحسن: لا يجوز القعود معهم وإن خاضوا في حديث غيره، لقوله تعالى: (وإما ينسبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين)، والأكثر على الأول. وآية الأنعام مكية وهذه مدنية والمتأخر أولى. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

[١٤١] ﴿الَّذِينَ يَرَبُّونَ بِكُمْ﴾، يتظنون بكم الدوائر، يعني: المنافقين، ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾، يعني: ظفر وغنيمة، ﴿قَالُوا﴾، لكم ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾، على دينكم في الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيباً من الغنيمة، ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾، يعني دولة وظهور على المسلمين، ﴿قَالُوا﴾، يعني: المنافقين للكافرين، ﴿أَلَمْ تَسْتَحِذُوا عَلَيْنَا﴾، والاستحواذ: هو الاستيلاء والغلبة، قال تعالى: (استحذو عليهم الشيطان) أي: استولى وغلب، يقول: ألم نخبركم بعورة محمد ﷺ وأصحابه ونطلعكم على سرهم؟ قال المبرد: يقول المنافقون للكفار ألم نغلبكم على رأيكم ﴿وَنَمْنَعُكُمْ﴾، ونصرفكم، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾، أي: عن الدخول في جملتهم، وقيل: معناه ألم نستول عليكم بالنصرة لكم ومنعكم من المؤمنين، أي ندفع عنكم صولة المؤمنين بتخديلم عنكم ومراسلتنا إياكم بأخبارهم وأموالهم، ومراد المنافقين بهذا الكلام إظهار المنة على الكافرين ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، يعني: بين أهل

سُورَةُ النِّسَاءِ

١٠١

سُورَةُ النِّسَاءِ

الَّذِينَ يَرَبُّونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ تَسْتَحِذُوا عَلَيْنَا وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنْ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُوا أَنْ يَجْعَلُوا اللَّهَ عَالِيَكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنْ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

الإيمان وأهل النفاق، ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾، قال علي: في الآخرة، وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي حجة، وقيل: ظهوراً على أصحاب النبي ﷺ.

[١٤٢] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾، أي يعاملونه معاملة المخادعين وهو خادعهم، أي: مجازيهم على خداعهم وذلك أنهم يعطون نوراً يوم القيامة كما للمؤمنين فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط، ويطفأ نور المنافقين، ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾، يعني: المنافقين ﴿قَامُوا كَسَالَى﴾ أي: متثاقلين لا يريدون بها الله فإن رآهم أحد صلوا وإلا انصرفوا فلا يُصلون، ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ أي: يفعلون ذلك مراعاة للناس لا اتباعاً لأمر الله، ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن:

شَكَرْتُمْ أَي: إن شكرتم نعماءه ﴿وَأَمْنْتُمْ﴾ به، فيه تقديم وتأخير، تقديره: إن آمنتم وشكرتم، لأن الشكر لا ينفع مع عدم الإيمان، وهذا استفهام بمعنى التقرير معناه إنه لا يعذب المؤمن الشاكر، فإن تعذيبه عباده لا يزيد في ملكه، وتركه عقوبتهم على فعلهم لا ينقص من سلطانه، والشكر: ضد الكفر والكفر ستر النعمة، والشكر إظهارها، ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾، فالشكر من الله تعالى هو الرضى بالقليل من عباده وإضعاف الثواب عليه، والشكر من العبد الطاعة، ومن الله: الثواب.

[١٤٨] قوله: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّ وَمِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ يعني: لا يحب الله الجهر بالقبح من القول إلا من ظلم، فيجوز للمظلوم أن يخبر عن الظالم وأن يدعو عليه، قال الله تعالى: (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل)، قال الحسن: دعاؤه عليه أن يقول: اللهم أعني عليه اللهم استخرج حقي منه، وقيل: إن شتم جاز أن يشتم بمثله لا يزيد عليه وقرأ الضحاك بن مزاحم وزيد بن أسلم: (إلا من ظلم) بفتح الظاء واللام، معناه: لكن الظالم أجهروا له بالسوء من القول، وقيل معناه: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول لكن يجهره من ظلم، والقراءة هي المعروفة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾، لدعاء المظلوم، ﴿عَلِيمًا﴾، بعقاب الظالم.

[١٤٩] قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا﴾، يعني: حسنة فيعمل بها كُتِبَتْ له عشرًا، وإن همَّ بها ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة، وهو قوله: ﴿أَوْ تَحْفَوْهُ﴾، وقيل المراد من الخير: المال، يريد: إن تبذوا صدقة تُعْطُونَهَا جَهْرًا أو تخفوها فتعطيها سرًا، ﴿أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ﴾، أي: عن مظلمة، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾، فهو أولى بالتجاوز عنكم يوم القيامة.

إنما قال ذلك لأنهم يفعلونها رياء وسمعة، ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله تعالى لكان كثيرًا، وقال قتادة: إنما قل ذكر المنافقين لأن الله تعالى لم يقبله وكل ما قبل الله فهو كثير.

[١٤٣] ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾، أي: مترددين متحيرين بين الكفر والإيمان، ﴿لَا إِلَٰهَ هَؤُلَاءَ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءَ﴾، أي: ليسوا من المؤمنين فيجب لهم ما يجب للمؤمنين، وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار، ﴿وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَن يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾، أي: طريقًا إلى الهدى.

[١٤٤] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، نهى الله المؤمنين عن موالاته الكفار، وقال: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ أي حجة بينة في عذابكم، ثم ذكر منازل المنافقين، فقال جل ذكره: [١٤٥] ﴿إِنَّ الْكُفَّارِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾، قرأ أهل الكوفة (في الدرك) بسكون الراء والباقون بفتحها وهما لغتان كالظعن والظعن والنهر والنهر، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (في الدرك الأسفل) في توابيت من حديد مقلدة في النار، وقال أبو هريرة: بيت مقفل عليهم تنوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم، ﴿وَلَن يَجِدَ لَهُم نَصِيرًا﴾ مانعًا من العذاب.

[١٤٦] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من النفاق وآمنوا ﴿وَأَصْلَحُوا﴾، عملهم ﴿وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾، وثقوا بالله ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمَ لِلَّهِ﴾، أراد الإخلاص بالقلب، لأن النفاق كفر القلب، فزواله يكون بإخلاص القلب، ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الفراء: من المؤمنين ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، يعني: الجنة، وحذفت الياء (من يؤت) في الخط لسقوطها في اللفظ، وسقوطها في اللفظ لسكون اللام في (الله).

[١٤٧] قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِن

[١٥٠] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ الآية، نزلت في اليهود وذلك أنهم آمنوا بموسى عليه السلام والتوراة وعزير، وكفروا بعيسى والإنجيل وبمحمد والقرآن، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾، أي: دينًا بين اليهودية والإسلام ومذهبًا يذهبون إليه.

[١٥١] ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾، حقق كفرهم ليعلم أن الكفر ببعضهم كالكفر بجميعهم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

[١٥٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾، كلهم ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾، يعني: بين الرسل وهم المؤمنون، يقولون: لا نفرق بين أحد من رسله، ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ﴾، بإيمانهم بالله وكتبه ورسله، قرأ حفص عن عاصم (يؤتيهم) بالياء، أي: يؤتيهم الله، والباقون بالنون، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[١٥٣] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الآية، وذلك أن كعب بن الأشرف وفحاص بن عازوراء من اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: إن كنت نبيًا فأتنا بكتاب جملة من السماء كما أتى به موسى عليه السلام، فأنزل الله عليه: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾، وكان هذا السؤال منهم سؤال تحكم واقتراح، لا سؤال انقياد، والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد. قوله: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: أعظم من ذلك، يعني: السبعين الذي خرج بهم موسى عليه السلام إلى الجبل، ﴿فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً﴾ أي: عيانًا، قال أبو عبيدة: معناه قالوا جهره أَرَنَا اللَّهُ، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ﴾، يعني: إلها، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلَيَيْنَتْ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾، ولم نستأصلهم، قيل: هذا استدعاء إلى

سُورَةُ النِّسَاءِ

١٠٢

سُورَةُ النِّسَاءِ

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (١٥٨) ﴿إِن تَبُدُّوهُ أَخِيرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْلَمُوهُ أَعَنَ سُوًّا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا قَدِيرًا﴾ (١٥٩) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١٥٠) ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (١٥١) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٥٢) ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلَيَيْنَتْ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ (١٥٣) ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ مُجَدًّا وَقُلْنَا لَهُمُ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (١٥٤)

التوبة، معناه: أن أولئك الذين أجرموا تابوا فغفونا عنهم، فتوبوا أنتم حتى نغفو عنكم، ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾، أي: حجة بينة من المعجزات، وهي الآيات التسع.

[١٥٤] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ مُجَدًّا وَقُلْنَا لَهُمُ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ قرأ أهل المدينة بتشديد الدال وفتح العين نافع برواية ورش ويجزمها الآخرون، ومعناه: لا تعتدوا ولا تظلموا باصطياد الحيتان فيه، ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

[١٥٥] قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُّهُمْ مِيثَقَهُمْ﴾، أي: فنقضهم، و(ما) صلة كقوله تعالى: (فبما) رحمة من الله، ونحوها، ﴿وَنَكْفُرِهِمْ بِثَابِتِ اللَّهِ وَقُلْنَا لَهُمُ الْآيَاتِ بِعَرِّ حَتَّى وَقُلْنَا لَهُمْ قُلُوبُكُمْ غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾، أي: ختم عليها، ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِثَائِتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٦﴾ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ
بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٧﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْهَاجُ الظَّنِّ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٨﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٩﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ
الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٦٠﴾ فَيُظْهِرُ مِنَ الذِّبِّ هَادُوا
حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحُلَتْ لَهُمْ وَبَصَدَّ هَمَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
كثيرًا ﴿١٦١﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ آمُولَ النَّاسِ
بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦٢﴾ لَكِنَّ
الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٣﴾

قَلِيلًا، يعني: ممن كذب الرُّسل لا ممن طبع على قلبه، لأن من طبع الله على قلبه لا يؤمن أبدًا، وأراد بالقليل: عبدالله بن سلام وأصحابه، وقيل: معناه لا يؤمنون قليلًا ولا كثيرًا.

[١٥٦] ﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾، حين رموها بالزنا.

[١٥٧] ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وذلك أن الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه السلام على الذي دل اليهود عليه، وقيل: إنهم حبسوا عيسى عليه السلام في بيت وجعلوا عليه رقيبًا فالتقى الله تعالى شبه عيسى عليه السلام على الرقيب فقتلوه، وقيل غير ذلك، كما ذكرنا في سورة آل عمران.

قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، في قتله، ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾، أي: في قتله، قال الكلبي: اختلافهم فيه هو أن اليهود قالت: نحن قتلناه، وقالت طائفة من النصارى: نحن قتلناه، وقالت طائفة منهم: ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله

إلى السماء، ونحن ننظر إليه، قال السدي: اختلافهم من حيث إنهم قالوا: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ قال الله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾، من حقيقة أنه قتل أو لم يقتل، ﴿إِلَّا أَنْهَاجُ الظَّنِّ﴾، لكنهم يتبعون الظن في قتله. قال الله جل جلاله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾، أي: ما قتلوا عيسى يقينًا.

[١٥٨] ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾، وقيل قوله (يقينًا) ترجع إلى ما بعده وقوله (وما قتلوه) كلام تام تقديره: بل رفعه الله إليه يقينًا، والهاء في (ما قتلوه) كناية عن عيسى عليه السلام، وقال الفراء رحمه الله: معناه وما قتلوا الذين ظنوا أنه عيسى يقينًا، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه: وما قتلوا ظنهم يقينًا، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا مُنِيعًا﴾ بالنعمة من اليهود، ﴿حَكِيمًا﴾ حكم باللعنة والغضب عليهم.

[١٥٩] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، أي: وما من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام، هذا قول أكثر المفسرين وأهل العلم، وقوله (قبل موته) اختلفوا في هذه الكناية، فقال عكرمة ومجاهد والضحاك والسدي: إنها كناية عن الكتابي، ومعناه: وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل موته، إذا وقع في اليأس حين لا ينفعه إيمانه سواء احترق أو غرق أو تردى في بئر أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة، وهذه رواية عن ابن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: فقيل لابن عباس رضي الله عنهما: أرايت أن من خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهواء قال: فقيل أرايت إن ضرب عنق أحدهم؟ قال: يتلجلج به لسانه، وذهب قوم إلى أن الهاء في (موته) كناية عن

عيسى عليه السلام، معناه: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى عليه السلام، وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد إلا آمن به حتى تكون الملة واحدة، ملة الإسلام. وروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُوشِكُ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا يَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنَزِيرَ، وَيُضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُفِيضُ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَ أَحَدٌ، وَيَهْلِكُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلُ كُلُّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيَقْتُلُ الدِّجَالَ فَيَمُوتُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»^(١)، وقال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته)، قبل موت عيسى ابن مريم، ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات. وروى عن عكرمة: أن الهاء في قوله (ليؤمنن به) كناية عن محمد ﷺ يقول لا يموت كتابي حتى يؤمن بمحمد ﷺ، وقيل: هي راجعة إلى الله عز وجل يقول: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالله عز وجل، قبل موته عند المعايضة حين لا ينفعه إيمانه، قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ﴾، يعني: عيسى عليه السلام، ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدٌ﴾ أنه قد بلغهم رسالة ربه، وأقر بالعبودية على نفسه، كما قال تعالى مخبراً عنه (وكنتم عليهم شهيدياً ما دمت فيهم) وكل نبي شاهد على أمته قال الله تعالى: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً).

[١٦٠] قوله عز وجل: ﴿فَيُطْرَقُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾، وهو ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وكفرهم بآيات الله وبهتانهم على مريم، وقولهم: إنا قتلنا المسيح ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَكُمْ﴾، وهي ما ذكر في سورة الأنعام، فقال: (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر)، ونظم الآية: فبظلم من الذين هادوا وهو ما ذكرنا، ﴿وَبَصَدَّاهُمْ﴾، وبصرفهم أنفسهم وغيرهم، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾،

أي: عن دين الله صدًا كثيرًا.

[١٦١] ﴿وَأَخَذْنَاهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ﴾، في التوراة ﴿وَأَكْبَهُمْ أَتَوَلَّ النَّاسُ بِالْبَطْلِ﴾، من الرشا في الحكم والمآكل التي يصيبونها من عوامهم، عاقبتهم بأن حرمنا عليهم طيبات، وكانوا كلما ارتكبوا كبيرة حُرِّمَ عليهم شيء من الطيبات التي كانت حلالاً لهم، قال الله تعالى: (ذلك جزيناهم بيغيهم وإننا لصادقون)، ﴿وَأَعَدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[١٦٢] ﴿لَكِنَّ الرَّاخِشُونَ فِي أَلْعَلِّهِمْ مِنْهُمْ﴾، يعني: ليس كل أهل الكتاب بهذه الصفة، لكن الراسخون المبالغون في العلم منهم أولوا البصائر، وأراد به الذين أسلموا من علماء اليهود مثل عبدالله بن سلام وأصحابه، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، يعني: المهاجرون والأنصار، ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾، يعني: القرآن، ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، يعني: سائر الكتب المنزل، ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾، اختلفوا في وجه انتصابه، فقيل: هو نصب على المدح، وقيل: نصب على إضمار فعل تقديره: أعني المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة، وقيل: موضعه خفض، واختلفوا في وجهه، فقال بعضهم: معناه لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة، وقيل: معناه يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة، ثم قوله: ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ رجوع إلى النسق الأول، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[١٦٣] قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ هذا بناء على ما سبق من قوله: (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء)، فلما ذكر الله عيوبهم وذنبهم غضبوا ووجدوا كل ما أنزل الله عز وجل، وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، فنزل:

سورة النساء

١٠٤

سورة النساء

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۚ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۚ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَرِيضًا حَكِيمًا ۚ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَرْسَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۚ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۚ يَأْتِيهِمُ النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُلُّهُمْ الرُّسُلُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكَمْ فَتَأْمُرُواهُمْ أَنْ يُكْفَرُوا ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۚ﴾

حقيقة.

[١٦٥] قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾، فيقولوا: ما أرسلت إلينا رسولاً وما أنزلت إلينا كتاباً، وفيه دليل على أن الله تعالى لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسول، قال الله تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَرِيضًا حَكِيمًا﴾.

[١٦٦] قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَرْسَلَ إِلَيْكَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما أن رؤساء مكة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد سألنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا أنهم لا يعرفونك، ودخل عليه جماعة من اليهود فقال لهم: إني والله أعلم أنكم لتعلمن أني رسول الله، فقالوا: ما نعلم ذلك والله، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَرْسَلَ إِلَيْكَ﴾ إن

(وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) وأنزل: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ)، ﴿كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ فذكر عدة من الرسل الذين أوحى إليهم، وبدأ بذكر نوح عليه السلام لأنه كان أبا البشر مثل آدم عليه السلام، قال الله تعالى: (وجعلنا ذريته هم الباقين) ولأنه أول نبي من أنبياء الشريعة، وأول نذير على الشرك، وأول من عذبت أمته لردهم دعوته، وأهلك أهل الأرض جميعاً بدعائه وكان أطول الأنبياء عمراً وجعلت معجزته في نفسه، لأنه عمر ألف سنة فلم تسقط له سن ولم تشب له شعرة ولم يتقص له قوة، ولم يصبر نبي على أذى قومه ما صبر هو على طول عمره. قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾، وهم أولاد يعقوب، ﴿وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾، قرأ الأعمش وحمزة (زُبُورًا) والزبور بضم الزاي حيث كان، بمعنى: جمع زبور، أي آتينا داود كتباً وصحفاً مزبورة، أي: مكتوبة، وقرأ الآخرون بفتح الزاي وهو اسم الكتاب الذي أنزل الله تعالى على داود عليه السلام، وكان فيه التحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل.

[١٦٤] قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾، أي: وكما أوحينا إلى نوح وإلى الرسل، (رسلاً) نصب بنزع حرف الصفة، وقيل: معناه وقصصنا عليك رسلاً، وفي قراءة أبي (ورسل قد قصصناهم عليك من قبل)، ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، قال الفراء: العرب تسمي ما يوصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وصل، ولكن لا تحققه بالمصدر فإذا حقق بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام كالإرادة يقال: أراد فلان إرادة، يريد حقيقة الإرادة، ويقال: أراد الجدار، ولا يقال أراد الجدار إرادة لأنه مجاز غير

جحدوك وكذبوك، ﴿أَنْزَلْنَاهُ يَعْزِمُهُ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ .

[١٦٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، بَكْتَمَانٍ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ .

[١٦٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾، قيل: إنما قال (وظلموا) أتبع ظلمهم بكفرهم تأكيدًا، وقيل: معناه كفروا بالله وظلموا محمدًا ﷺ بكتمان نعته، ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾، يعني: دين الإسلام.

[١٦٩] ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾، يعني: اليهودية ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾، وهذا في حق من سبق حكمه فيهم أنهم لا يؤمنون.

[١٧٠] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾، تقديره: فآمنوا بكن الإيمان خيرًا لكم، ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ .

[١٧١] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾، نزلت في النصارى وهم أصناف أربعة: اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقسية، فقالت اليعقوبية: عيسى هو الله، وكذلك الملكانية، وقالت النسطورية: عيسى هو ابن الله، وقالت المرقسية ثالث ثلاثة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ويقال الملكانية يقولون: عيسى هو الله، واليعقوبية يقولون: ابن الله والنسطورية يقولون: ثالث ثلاثة عليهم رجل من اليهود يقال له بولس، سيأتي في سورة التوبة إن شاء الله تعالى. وقال الحسن يجوز أن تكون نزلت في اليهود والنصارى فإنهم جميعًا غلوا في أمر عيسى، فاليهود بالتقصير، والنصارى مجاوزة الحد، وأصل الغلو مجاوزة الحد، وهو في الدين حرام، قال الله تعالى: (لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ)، لا تشددوا في دينكم ففتتروا على الله الكذب ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، لا تقولوا

سُورَةُ النِّسَاءِ

١٠٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

أن له شريكًا وولدًا ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾، وهي قوله (كن) فكان بشرًا من غير أب، وقيل غيره، ﴿أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أي أعلمها وأخبرها بها، كما يقال: ألقيت إليك كلمة حسنة، ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾، قيل: هو روح كسائر الأرواح إلا أن الله تعالى أضافه إلى نفسه تشريفًا، وقيل: الروح هو النفخ الذي نفخه جبريل عليه السلام في درع مريم فحملته بإذن الله تعالى، سمي النفخ روحًا لأنه ريح يخرج من الروح وأضافه إلى نفسه لأنه كان بأمره، وقيل: روح منه أي ورحمة، فكان عيسى عليه السلام رحمة لمن تبعه وآمن به، وقيل: الروح الوحي أوحى إلى مريم بالبشارة وإلى جبريل عليه السلام أن كن فكان كما قال الله تعالى: (ينزل الملائكة بالروح من أمره) يعني: بالوحي، وقيل: أراد بالروح جبريل عليه السلام،

[١٧٣] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾، من تضعيف ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾، عن عبادته ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

[١٧٤] قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ فَدَّ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، يعني: محمداً ﷺ، هذا قول أكثر المفسرين، وقيل: هو القرآن، والبرهان: الحجة، ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾، بيّنّا يعني القرآن.

[١٧٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾، امتنعوا به من زيغ الشيطان، ﴿فَسَيُذِطُّهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾، يعني الجنة، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾.

[١٧٦] قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ نزلت في جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: عاذني رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل، وتوضأ وصب علي من وضوئه، فعقلت فقلت: يا رسول الله لمن الميراث إنما يرثني كلاله؟ فنزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾، وقد ذكرنا معنى الكلاله وحكم الآية في أول السورة، وفي هذه الآية بيان حكم ميراث الإخوة للآب والأم وللأب، قوله (يستفتونك) أي: يستخبرونك ويسألونك، (قل الله يفتيكم في الكلاله)، ﴿إِن أَمْرُهُمْ هَكَذَا لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا يَصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا﴾، يعني إذا ماتت الأخت فجميع ميراثها للأخ، ﴿إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ فإن كان لها ابن فلا شيء للأخ، وإن كان ولدها أنثى فلا أخ ما فضل عن فرض البنات، ﴿إِن كَانَتَا أُتْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾، أراد اثنتين فصاعداً وهو أن من مات وله أخوات فلهن الثلثان، ﴿وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾، ﴿يَسِّرَ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَصَلُّوا﴾، قال الفراء رحمة الله عليه وأبو

معناه كلمته ألقاها إلى مريم، وألقاها أيضاً روح منه بأمره وهو جبريل عليه السلام، كما قال: (تنزل الملائكة والروح)، يعني: جبريل فيها، وقال: (فأرسلنا إليها روحنا)، يعني: جبريل. ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾، أي: ولا تقولوا هم بثلاثة، وكانت النصارى تقول أب وابن وروح القدس، ﴿أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، تقديره: انتهوا يكن الانتهاء خيراً لكم، ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ واعلم أن التنبى لا يجوز لله تعالى، لأن التنبى إنما يجوز لمن يتصور له ولد، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

[١٧٢] قوله تعالى: ﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾، وذلك أن وفد نجران قالوا: يا محمد إنك تعيب صاحبنا فتقول إنه عبد الله ورسوله، فقال النبي ﷺ: «إنه ليس بعار لعيسى عليه السلام أن يكون عبد الله»، فنزل: (لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ) لن يأنف ولن يتعظم، والاستنكاف: التكبر مع الأنفة، ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، وهم حملة العرش، لا يأنفون أن يكونوا عبيداً لله، ويستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر، لأن الله تعالى ارتقى من عيسى إلى الملائكة ولا يُرْتَقَى إِلَّا إِلَى الْأَعْلَى، لا يقال: لا يستنكف فلان من هذا ولا عبده، إنما يقال: فلان لا يستنكف من هذا ولا مولاه، ولا حجة لهم فيه لأنه لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر، بل رداً على الذين يقولون الملائكة آلهة، كما رد على النصارى قولهم المسيح ابن الله، وقال رداً على النصارى بزعمهم، فإنهم يقولون بتفضيل الملائكة. قوله تعالى: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَن عِبَادَتِيهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾، قيل: الاستنكاف هو التكبر مع الأنفة، والاستكبار هو العلو والتكبر من غير أنفة.

عبدة: معناه أن لا تضلوا، وقيل: معناه يبين الله لكم كراهة أن تضلوا، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(٥) سُورَةُ الْمَائِدَةِ

[١] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، أي: بالعهود، قال الزجاج: هي أوكد العهود، يقال: عاقدت فلاناً وعقدت عليه أي: ألزمته ذلك باستيثاق، وأصله من عقد الشيء بغيره ووصله به، كما يُعقد الحبل بالحبل إذا وُصل، واختلفوا في هذه العقود، قال ابن جريج: هذا خطاب لأهل الكتاب، يعني: يا أيها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة أوفوا بالعهود التي عهدتها إليكم في شأن محمد ﷺ، وهو قوله: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس)، وقال الآخرون: هو عام، قال قتادة: أراد بها الحلف الذي تعاقدوا عليه في الجاهلية، قال ابن مسعود رضي الله عنه: هي عهود الإيمان والقرآن، وقيل: هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم، ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾، قال الحسن وقتادة: هي الأنعام كلها، وهي الإبل والبقر والغنم، وأراد تحليل ما حرم أهل الجاهلية على أنفسهم من الأنعام. وروى أبو ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بهيمة الأنعام هي الأجنّة، ومثله عن الشعبي قال: هي الأجنّة التي توجد ميتة في بطون أمهاتها إذا دُبّحت أو نحرت، فذهب أكثر أهل العلم إلى تحليله، فعن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «ذكاة الجنين ذكاة أمه»^(١).

وشرط بعضهم الإشعار، قال ابن عمر: ذكاة ما في بطنها في ذكاتها إذا تمّ خلقه ونبت شعره، ومثله عن سعيد بن المسيب، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يحلّ أكل الجنين إذا خرج ميتاً بعد ذكاة الأم. وقال الكلبي: بهيمة الأنعام وحشيتها وهي الطباء وبقر الوحش وحمر الوحش، سُميت بهيمة لأنها

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١٠٦

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ إِنَّ أَمْرَ أَهْلِكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّلْثَانِ مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيْدَ وَلَا آمِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرَضَوْنَ وَإِذَا حُلُمٌ فَأَصْطَادُوا وَلَا يَجْعَلْ مِنْكُمْ شَتَاءٌ قَوْمٌ أَنْ مَضَوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْبُدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

أبهمت عن التمييز، وقيل: لأنها لا نطق لها، ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ أي: ما ذكر في قوله: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الميته) إلى قوله: (وما ذُبِحَ على النصب)، ﴿غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾، وهو نصب على الحال، أي: لا مُحِلِّي الصيد، ومعنى الآية: أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ كُلُّهَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا وَحْشِيًّا فَإِنَّهُ صَيْدٌ لَا يَحِلُّ لَكُمْ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ، فلذلك قال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الأضاحي باب ما جاء في ذكاة الجنين ١١٩/٤، والترمذي في كتاب الصيد ١٠/ وابن ماجه في الذبائح ١٥/ والدارمي في الأضاحي ١٧/ والإمام أحمد ج ٣/ ٣١، ٣٩، ٤٥، ٥٣. والمصنف في شرح السنة ٢٢٩/١١ قال المنذري في إسناده عبدالله بن أبي زياد المكي القداح وفيه مقال، وقال الهيثمي: فيه حماد بن شعيب وهو ضعيف، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٨/ ١٧٢ لشواهده.

العقوبة فيها، وقيل ابتغاء الفضل للمؤمنين والمشركون عامة، وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة، لأن المسلمين والمشركون كانوا يحجبون، وهذه الآية إلى ههنا منسوخة بقوله: (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) وبقوله: (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا)، فلا يجوز أن يحج مشرك ولا أن يأمن كافر بالهدي والقلائد. قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ أي: من إحرامكم، ﴿فَاصْطَادُوا﴾ أمرٌ بإباحة، أباح للحلال أخذ الصيد، كقوله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ)، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: لا يحملنكم، يقال: جرمي فلان على أن صنعت كذا، أي حملي، وقال الفراء: لا يكسبنكم، يقال: جرم أي: كَسَبَ، وفلانٌ جريمة أهله، أي: كاسيهم، وقيل: لا يدعونكم، ﴿شَتَاتُ قَوْمٍ﴾، أي: بغضهم وعداوتهم وهو مصدر شتت ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بفتح الألف، أي: لأن صدوكم، ومعنى الآية: ولا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لأنهم صدوكم. وقال محمد بن جرير: لأن هذه السورة نزلت بعد قضية الحديبية، وكان الصَّدُّ قد تقدَّم، ﴿أَنْ تَقْتُلُوا﴾، عليهم بالقتل وأخذ الأموال، ﴿وَتَعَاوَنُوا﴾، أي: ليعن بعضكم بعضاً، ﴿عَلَى الْبَرِّ وَالنَّقْوَى﴾، قيل: البرُّ متابعة الأمر، والتقوى مجانبة النهي، وقيل: البر: الإسلام، والتقوى: السَّتَةُ، ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، قيل: الإثم: الكفر، والعدوان: الظلم، وقيل: الإثم: المعصية، والعدوان: البدعة، قال رسول الله ﷺ: «الْبَرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطْلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»^(١)، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة باب تفسير البر والإثم رقم (٢٥٥٣) ٤/١٩٨٠، والمصنف في شرح السنة ٧٦/١٣.

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد: هي مناسك الحج، وكان المشركون يحجون ويهدون، فأراد المسلمون أن يُغَيِّرُوا عليهم فنهاهم الله عن ذلك. وقال أبو عبيدة: شعائر الله هي الهدايا المُشَعَّرَة، والإشعار من الشعار، وهي العلامة، وأشعارها: أعلامها بما يُعرف أنها هدي، والإشعار ههنا: أن يطعن في صَفْحَةِ سَنَام البعير بحديدة حتى يسيل الدَّم، فيكون ذلك علامة أنها هدي، وهي سنة في الهدايا إذا كانت من الإبل، وقال عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تَحْلُوا شعائر الله هي أن تَصِيدَ وأنت محرمٌ، بدليل قوله تعالى: (وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا)، وقال السدي: أراد حرم الله، وقيل: المراد منه النهي عن القتل في الحرم، وقال عطاء: شعائر الله حرّات الله واجتناب سخطه واتباع الطاعة، وقوله: ﴿وَلَا الشَّهَرِ الْحَرَامِ﴾ أي: بالقتال فيه، وقال ابن زيد: هو النسب، وذلك أنهم كانوا يُحْلُونَه عامًا ويَحْرُمُونَه عامًا، ﴿وَلَا الْهَدْيِ﴾، هو كل ما يُهدى إلى بيت الله من بعير أو بقرة أو شاة، ﴿وَلَا الْقَلْبِدِ﴾، أي: الهدايا المقلدة، يريد ذوات القلائد، وقال عطاء: أراد أصحاب القلائد، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا أرادوا الخروج من الحرم قَلَدُوا أنفسهم وإبلهم بشيء من لِحَاءِ شجر الحرم كيلا يُتَعَرَّضَ لهم، فهي الشرع عن استحلال شيء منها. وقال مطرف بن الشخير: هي القلائد نفسها وذلك أن المشركين كانوا يأخذون من لِحَاءِ شجر مكة وَيُقَلِّدُونَهَا فَنُهَا عَنْ نَزْعِ شَجَرِهَا. قوله تعالى: ﴿وَلَا آيَاتِ الْكِتَابِ الْحَرَامِ﴾، أي: قاصدين البيت الحرام، يعني: الكعبة فلا تتعرضوا لهم، ﴿يَبْتَغُونَ﴾، يطلبون ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾، يعني الرزق بالتجارة، ﴿وَرِضْوَانًا﴾ أي: على زعمهم، لأن الكافرين لا نصيب لهم في الرضوان، وقال قتادة: هو أن يصلح معاشهم في الدنيا ولا يعجل لهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فُسْقٌ يَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخِصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مَعَ مَا كَلَّمَكُمُ اللَّهُ فُكُلُوا إِنْ أَمْسَكَ عَنْكُمُ وَيَدْرَأُكُمْ إِلَى النَّارِ وَتُؤْتُونَ لَهَا مِنْ أَجْلِ عُرْسِكُمْ فَلَا مَنَعَ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا هَذِهِ هِيَ الْأَصْنَامُ هِيَ الْمُنْصُوتَةُ الْمَنْقُوشَةُ وَقَالَ الْآخَرُونَ: هِيَ الْأَصْنَامُ الْمَنْصُوبَةُ، وَمَعْنَاهُ: وَمَا ذُبِحَ عَلَى اسْمِ النُّصُبِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) مَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ: هُمَا وَاحِدٌ، قَالَ قُطْرُبٌ: عَلَى بِمَعْنَى اللَّامِ أَيْ: وَمَا ذُبِحَ لِأَجْلِ النُّصُبِ، ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾، أَيْ: وَحَرَّمَ عَلَيْكُمُ الاسْتِقْسَامَ بِالْأَزْلَامِ، وَالِاسْتِقْسَامُ هُوَ طَلَبُ الْقَسَمِ وَالْحَكْمُ مِنَ الْأَزْلَامِ، وَالْأَزْلَامُ هِيَ: الْقِدَاحُ الَّتِي لَا رِيشَ لَهَا وَلَا نَضْلَ، وَاحِدُهَا: زَلْمٌ، وَزُلْمٌ، بَفَتْحِ الزَّايِ وَضَمِّهَا ﴿ذَلِكُمْ فُسْقٌ﴾ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: الْأَزْلَامُ حَصَى بِيضٌ كَانُوا يَضْرِبُونَ بِهَا، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ كَعَابُ فَارِسٍ

﴿٣﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، أَيْ: مَا ذُكِرَ عَلَى ذَبْحِهِ اسْمٌ غَيْرُ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى، ﴿وَالْمُنْخَفَقَةُ﴾، وَهِيَ الَّتِي تَخْنُقُ فَتَمُوتُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَخْنُقُونَ الشَّاةَ حَتَّى إِذَا مَاتَتْ أَكَلُوهَا، ﴿وَالْمَوْفُوذَةُ﴾ هِيَ الْمَقْتُولَةُ بِالْخَشَبِ، قَالَ قَتَادَةُ: كَانُوا يَضْرِبُونَهَا بِالْعَصَا فَإِذَا مَاتَتْ أَكَلُوهَا ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾، هِيَ الَّتِي تَتَرَدَّى مِنْ مَكَانٍ عَالٍ أَوْ فِي بَثَرٍ فَتَمُوتُ، ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ هِيَ الَّتِي تَنْطَحُهَا أُخْرَى فَتَمُوتُ ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾، يُرِيدُ مَا بَقِيَ مِمَّا أَكَلَ السَّبُعُ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَأْكُلُونَهُ، ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾، يَعْنِي إِلَّا مَا أَدْرَكْتُمْ ذَكَاتِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَأَصْلُ التَّذْكَةِ الْإِتِمَامُ، يُقَالُ: ذَكَيْتُ النَّارَ إِذَا أَتَمَمْتُ اشْتِعَالَهَا، وَالْمُرَادُ هُنَا: إِتِمَامُ فَرِي الْأَوْدَاجِ وَإِنْهَارُ الدَّمِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلْ غَيْرَ السِّنِّ وَالظَّفَرِ»^(١) ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾، قِيلَ: النُّصُبُ جَمْعٌ، وَاحِدُهُ نَصَابٌ، وَقِيلَ: هُوَ وَاحِدٌ وَجَمْعُهُ أَنْصَابٌ مِثْلُ عُنُقٍ وَأَعْنَاقٍ، وَهُوَ الشَّيْءُ الْمَنْصُوبُ، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: كَانَتْ حَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُونَ حَجَرًا مَنْصُوبَةً، كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْبُدُونَهَا وَيُعْظَمُونَهَا وَيَذْبَحُونَ لَهَا، وَلَيْسَتْ هِيَ بِأَصْنَامٍ إِنَّمَا الْأَصْنَامُ هِيَ الْمُصَوِّرَةُ الْمَنْقُوشَةُ، وَقَالَ الْآخَرُونَ: هِيَ الْأَصْنَامُ الْمَنْصُوبَةُ، وَمَعْنَاهُ: وَمَا ذُبِحَ عَلَى اسْمِ النُّصُبِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) مَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ: هُمَا وَاحِدٌ، قَالَ قُطْرُبٌ: عَلَى بِمَعْنَى اللَّامِ أَيْ: وَمَا ذُبِحَ لِأَجْلِ النُّصُبِ، ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾، أَيْ: وَحَرَّمَ عَلَيْكُمُ الاسْتِقْسَامَ بِالْأَزْلَامِ، وَالِاسْتِقْسَامُ هُوَ طَلَبُ الْقَسَمِ وَالْحَكْمُ مِنَ الْأَزْلَامِ، وَالْأَزْلَامُ هِيَ: الْقِدَاحُ الَّتِي لَا رِيشَ لَهَا وَلَا نَضْلَ، وَاحِدُهَا: زَلْمٌ، وَزُلْمٌ، بَفَتْحِ الزَّايِ وَضَمِّهَا ﴿ذَلِكُمْ فُسْقٌ﴾ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: الْأَزْلَامُ حَصَى بِيضٌ كَانُوا يَضْرِبُونَ بِهَا، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ كَعَابُ فَارِسٍ

والرُّومِ الَّتِي يَتَقَامَرُونَ بِهَا، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ وَغَيْرُهُ: الْأَزْلَامُ لِلْعَرَبِ، وَالْكَعَابُ لِلْعَجَمِ، وَقَالَ سَفْيَانُ بْنُ وَكَيْعٍ: هِيَ الشُّطْرَنْجُ ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾، يَعْنِي: أَنْ تَرْجِعُوا إِلَى دِينِهِمْ كَفَارًا، وَذَلِكَ أَنَّ الْكَفَّارَ كَانُوا يَطْعَمُونَ فِي عَوْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى دِينِهِمْ فَلَمَّا قَوِيَ الْإِسْلَامُ يَشُورُوا، وَيَسُّوْا وَيَسُّوْا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، يَوْمَ عَرَفَةَ بَعْدَ الْعَصْرِ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ واقف بعرفات على ناقته العُضْبَاءِ، فَكَادَتْ عَضْدُ النَّاقَةِ تَنْدُقُ مِنْ ثَقْلِهَا فَبَرَكْتَ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ نَعْيَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَاشِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الذَّبَائِحِ وَالصَّيْدِ بَابَ مَا أَنْهَرَ الدَّمَ ٦٣١/٩، وَمُسْلِمٌ فِي الْأَضَاحِيِّ بَابَ جَوَازِ الذَّبْحِ بِكُلِّ مَا أَنْهَرَ الدَّمَ رَقْم (١٩٦٨) ١٥٥٨/٣.

بعدها إحدى وثمانين يومًا. قوله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يعني: يوم نزول هذه الآية أكملت لكم دينكم، يعني الفرائض والسنن والحدود والجهاد والأحكام والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام، ولا شيء من الفرائض والسنن والحدود والأحكام هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما، ويروى عنه أن آية الرِّبَا نزلت بعدها، وقال سعيد بن جبيرة وقناة: أكملت لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك، وقيل: أظهرت دينكم وأمتنكم من العدو، وقوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا عَنْكُمْ فَمَتَّى يَكُنْ أَجْزَاءُ﴾ يعني: وأنجزت وعدي في قوله: (ولأتم نعمتي عليكم)، فكان من تمام نعمته أن دخلوا مكة آمنين وعليها ظاهرين، وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ﴾، أي: أجهد في مجاعة، والمخخصة خلو البطن من الغذاء، يقال: رجل خميص البطن إذا كان طاويًا خاويًا، ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ أي: مائل إلى إثم، وهو أن يأكل فوق الشبع، وقال قناة: غير متعرض لمعصية في مقصده، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وفيه إضمار، أي: فأكله فإن الله غفور رحيم.

[٤] قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ الآية، قال سعيد بن جبيرة: نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سمّاه رسول الله ﷺ زيد الخير، قالوا: يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت هذه الآية، وقيل: سبب نزولها أن النبي ﷺ لما أمر بقتل الكلاب قالوا: يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت هذه الآية، فلما نزلت أذن رسول الله ﷺ في اقتناء الكلاب التي يُستفاد بها، ونهى عن إمساك ما لا نفع فيه منها والأول أصح في سبب نزول الآية: ﴿قُلْ

أُحِلَّ لَكُمْ الْطَّيِّبَاتُ﴾، يعني: الذبائح على اسم الله تعالى، وقيل: كل ما تستطيه العرب وتستلذه من غير أن يرد بتحريمه نص من كتاب أو سنة ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾، يعني: وأحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح، واختلفوا في هذه الجوارح، فقال الضحاك والسدي: هي الكلاب دون غيرها، ولا يحل ما صاده غير الكلب إلا أن تُدرِك ذكاته، وهذا غير معمول به، بل عامة أهل العلم على أن المراد من الجوارح الكواشب من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب، ومن سباع الطير كالبازي والعقاب والصقر ونحوها مما يقبل التعليم، فيحل صيد جميعها، سميت جارحة: لجرحها لأربابها أقواتهم من الصيد، أي: كسبها، يقال: فلان جارحة أهله، أي: كاسبهم، ﴿مُكَلِّينَ﴾، والمكلب الذي يغري الكلاب على الصيد، ويُقال للذي يعلمها أيضًا: مُكَلِّبٌ، والكلاب: صاحب الكلاب، ويُقال للصائد بها أيضًا: كلاب، ونصب مكليين على الحال، أي: في حال تكليبيكم هذه الجوارح أي إغرائكم إيّاها على الصيد، وذكر الكلاب لأنها أكثر وأعم، والمراد جميع جوارح الصيد ﴿تَعْلَمُونَهَا﴾، تؤدّبونها آداب أخذ الصيد، ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾، أي: من العلم الذي علمكم الله، قال السدي: أي كما علمكم الله، (مِنْ) بمعنى الكاف، ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أراد أن الجارحة المعلّمة إذا خرجت بإرسال صاحبها فأخذت الصيد وقتلته كان حلالًا، والتعليم هو أن يوجد فيها ثلاثة أشياء: إذا أُشليت استشلت، وإذا زُجرت انزجرت، وإذا أخذت الصيد أُمسكت ولم تأكل، وإذا وجد ذلك منه مرارًا - وأقلها ثلاث مرات - كانت معلّمة، يحل قتلها إذا خرجت بإرسال صاحبها ﴿وَأَقْرَأُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيه بيان أن ذكر اسم الله عز وجل على الذبيحة شرط حالة ما يُذبح، وفي الصيد حالة ما

أُحِلَّ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يعني: يوم نزول هذه الآية أكملت لكم دينكم، يعني الفرائض والسنن والحدود والجهاد والأحكام والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام، ولا شيء من الفرائض والسنن والحدود والأحكام هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما، ويروى عنه أن آية الرِّبَا نزلت بعدها، وقال سعيد بن جبيرة وقناة: أكملت لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك، وقيل: أظهرت دينكم وأمتنكم من العدو، وقوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا عَنْكُمْ فَمَتَّى يَكُنْ أَجْزَاءُ﴾ يعني: وأنجزت وعدي في قوله: (ولأتم نعمتي عليكم)، فكان من تمام نعمته أن دخلوا مكة آمنين وعليها ظاهرين، وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ﴾، أي: أجهد في مجاعة، والمخخصة خلو البطن من الغذاء، يقال: رجل خميص البطن إذا كان طاويًا خاويًا، ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ أي: مائل إلى إثم، وهو أن يأكل فوق الشبع، وقال قناة: غير متعرض لمعصية في مقصده، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وفيه إضمار، أي: فأكله فإن الله غفور رحيم.

[٤] قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ الآية، قال سعيد بن جبيرة: نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سمّاه رسول الله ﷺ زيد الخير، قالوا: يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت هذه الآية، وقيل: سبب نزولها أن النبي ﷺ لما أمر بقتل الكلاب قالوا: يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت هذه الآية، فلما نزلت أذن رسول الله ﷺ في اقتناء الكلاب التي يُستفاد بها، ونهى عن إمساك ما لا نفع فيه منها والأول أصح في سبب نزول الآية: ﴿قُلْ

يُرْسِلُ الْجَارِحَةَ أَوْ السَّهْمَ.

[٥] قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلْيَوْمَ أَجِلُّ لَكُمْ الطَّبِئْتُ﴾، يعني: الذبائح على اسم الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾، يريد ذبائح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الأمم، قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾، فإن قيل: كيف شرع لهم حلّ طعامنا وهم كفار ليسوا من أهل الشرع؟ قال الزجاج: معناه حلال لكم أن تطعموهم فيكون خطاب الحِلِّ مع المسلمين، وقيل: لأنه ذكر عقيقه حكم النساء، ولم يذكر حلّ المسلمات لهم فكانه قال: حلال لكم أن تطعموهم، حرام عليكم أن تزوجوهم، قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، هذا راجع إلى الأول منقطع عن قوله: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ اختلَفوا في معنى ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ فذهب أكثر العلماء إلى أنّ المراد منهن الحرّات، وأجازوا نكاح كل حرة مؤمنة كانت أو كتابية فاجرة كانت أو عفيفة، وهو قول مجاهد، وقال هؤلاء: لا يجوز للمسلم نكاح الأمة الكتابية لقوله تعالى: (فَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ) جَوَّزَ نكاح الأمة بشرط أن تكون الأمة مؤمنة وذهب قوم إلى أن المراد من المحصنات في الآية: العفاف من الفريقين حرّات كنّ أو إماء وأجازوا نكاح الأمة الكتابية، وحرّموا البغايا من المؤمنات والكتابيات، وهو قول الحسن، وقال الشعبي: إحصان الكتابية أن تستعف من الزنا وتغتسل من الجنابة، ﴿إِذَا أَتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ﴾، غير معالنين بالزنا، ﴿وَلَا مُتَخَذِينَ أَخْدَانٍ﴾، أي: غير مُسَرِّين تسرونهن بالزنا، قال الزجاج: حرّم الله الجماع على جهة السفاح وعلى جهة اتخاذ الصديقة، وأحله على جهة الإحصان وهو التزوج ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِسْلَامِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾، قال مقاتل بن حيان: يقول ليس إحصان

المسلمين إِيَّاهُنَّ بالذي يخرجهن من الكفر أو يغني عنهن شيئاً وهي للناس عامة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِسْلَامِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِسْلَامِ﴾ أي: بالله الذي يجب الإيمان به، وقال الكلبي: بالإيمان أي: بكلمة التوحيد وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وقال مقاتل: بما أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن، وقيل: من يكفر بالإيمان أي: يستحلّ الحرام ويحرّم الحلال فقد حَبَطَ عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين، قال ابن عباس: خسر الثواب.

[٦] قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾، أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وظاهر الآية يقتضي وجوب الوضوء عند كلّ مرة يريد القيام إلى الصلاة، لكن علمنا ببيان السنة وفعل النبي ﷺ أنّ المراد من الآية: (إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ) وأنتم على غير طهر، قال النبي ﷺ: «لا يقبلُ الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»^(١). وقد جمع النبي ﷺ يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد، وقال زيد بن أسلم: معنى الآية إذا قمتُم إلى الصلاة من النوم، وقال بعضهم: هو أمر على طريق التّدبُّب، ندب من قام إلى الصلاة أن يجدد لها طهارته وإن كان على طهر، قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاعْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ وحدّ الوجه من مَنَابِتِ شعر الرأس إلى مُتَهَيِّ الذَّقْنِ طولاً وما بين الأذنين عرضاً يجب غسل جميعه في الوضوء، قوله تعالى: ﴿وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، أي: مع المرافق، كما قال الله تعالى: (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) أي: مع أموالكم، وقال: (من أنصاري إلى الله) أي: مع الله، قوله تعالى:

(١) رواه البخاري في كتاب الحيل باب في الصلاة ١٢/٣٢٩، ومسلم في الطهارة باب وجوب الطهارة للصلاة رقم (٢٢٥) ١/٢٠٤.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٨

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا
وَأِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ
أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا
فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُثَبِّتَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾
وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ
بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الْصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ
شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَائِنُ قَوْمٍ عَلَى
أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

لِيُطَهِّرَكُمْ، من الأحداث والجنابات والذنوب،
﴿وَلِيُثَبِّتَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. قال
محمد بن كعب القرظي: إتمام النعمة تكفير
الخطايا بالوضوء كما قال الله تعالى: (ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر)، فجعل تمام نعمته
غفران ذنوبه.

[٧] قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾،
يعني: النعم كلها، ﴿وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾،
عهده الذي عاهدكم به أيها المؤمنون، ﴿إِذْ
قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ وذلك حين بايعوا رسول الله
ﷺ على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا، وهو
قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد ومقاتل: يعني
الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب
آدم عليه السلام، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الْصُّدُورِ﴾، بما في القلوب من خير وشر.

﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾، اختلف العلماء في قدر
الواجب من مسح الرأس فقال مالك: يجب مسح
جميع الرأس كما يجب مسح جميع الوجه في
التيمم، وقال أبو حنيفة: يجب مسح ربع الرأس،
وعند الشافعي رحمه الله: يجب قدر ما يطلق عليه
اسم المسح، قوله عز وجل: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى
الْكَعْبَيْنِ﴾، قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب
وحفص ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بنصب اللام، وقرأ الآخرون
﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالخفض، فمن قرأ ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾
بالنصب فيكون عطفاً على قوله ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ﴾ أي: واغسلوا أرجلكم، ومن قرأ
بالخفض فقد ذهب قليل من أهل العلم إلى أنه
يمسح على الرجلين، وذهب جماعة أهل العلم من
الصحابة والتابعين وغيرهم إلى وجوب غسل
الرجلين، وقالوا: خفض اللام في الأرجل على
مجاورة اللفظ لا على موافقة الحكم، كما قال
تبارك وتعالى: (عذاب يوم أليم)، فالأليم صفة
العذاب، ولكنه أخذ إعراب اليوم للمجاورة،
وكقولهم: جُحِرَ ضَبٌّ خرب، فالخرب نعت
الجحر، وأخذ إعراب الضب للمجاورة، وقال
بعضهم: أراد بقوله ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ المسح على
الخفين. قوله تعالى: ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ فالكعبان
هما العظمان الناتان من جانبي القدمين، وهما
مجمع مفصل الساق والقدم، فيجب غسلهما مع
القدمين كما ذكرنا في المرفقين. قوله عز وجل:
﴿وَأِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا﴾، أي: اغتسلوا، قوله
تعالى: ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ
مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَاَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ
مِنْهُ﴾، فيه دليل على أنه يجب مسح الوجه واليدين
بالصعيد وهو التراب، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ
عَلَيْكُمْ﴾، بما فرض عليكم من الوضوء والغسل
والتيمم، ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾، ضيق، ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١٠٩

الَّذِينَ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
 الْحَرِيمِ ﴿١٠﴾ يَتَّخِذُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ
 اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
 فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي
 إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ
 إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
 وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
 حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ
 ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا
 نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً
 يُخَافُونَ أَلْحٰكِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا
 ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
 فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

سَيِّئَاتِكُمْ، ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
 فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
 السَّبِيلِ، أي: أخطأ قصد السبيل، يريد طريق
 الحق، وسواء كل شيء: وسطه.

[١٣] ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ﴾ أي: فبنقضهم، و(مَا)
 صلة، ﴿مِيثَاقَهُمْ﴾، قال قتادة: نقضوه من وجوه
 لأنهم كذبوا الرسل الذين جاؤوا بعد موسى وقتلوا
 أنبياء الله ونبدوا كتابه وضيعوا فرائضه، ﴿لَعَنَّاهُمْ﴾،
 قال عطاء: أبعدناهم من رحمتنا، قال الحسن
 ومقاتل: عذبناهم بالمسخ، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ
 قَاسِيَةً﴾، قرأ حمزة والكسائي قسية بتشديد الياء
 من غير ألف، وهما لغتان مثل الذاكية والذكية،
 وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قاسية أي:
 يابسة، وقيل: غليظة لا تلين، وقيل معناه: إن
 قلوبهم ليست بخالصة للإيمان بل إيمانهم مشوب

[٨] قوله تعالى: ﴿يَتَّخِذُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا
 قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾، أي: كونوا له قائمين
 بالعدل قوالين بالصدق، أمرهم بالعدل والصدق في
 أعمالهم وأقوالهم، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾، ولا
 يحملنكم، ﴿شَتَاتَانِ قَوْمٍ﴾، بغض قوم، ﴿عَلَىٰ
 تَعَدَّلُوا﴾، أي: على ترك العدل فيهم لعداوتهم، ثم
 قال: ﴿أَعْدِلُوا﴾، يعني: في أوليائكم وأعدائكم،
 ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، يعني: إلى التقوى، ﴿وَاتَّقُوا
 اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[٩] ﴿وَمَنْدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، وهذا في موضع النصب،
 لأن فعل الرعد واقع على المغفرة، ورفعها على
 تقدير أي: وقال لهم مغفرة وأجر عظيم.
 [١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ
 أَصْحَابُ الْحَرِيمِ﴾.

[١١] ﴿يَتَّخِذُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
 عَلَيْهِمْ﴾ بالدفع عنكم، ﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا
 إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٢] ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
 وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾، وذلك أن الله عزَّ
 وجلَّ وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه
 الأرض المقدسة وهي الشام، وكان يسكنها
 الكنعانيون الجبارون، فلما استقرت لبني إسرائيل
 الدار بمصر أمرهم الله تعالى بالسير إلى أريحاء من
 أرض الشام وهي الأرض المقدسة ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي
 مَعَكُمْ﴾، ناصركم على عدوكم، ثم ابتداء الكلام
 فقال: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾، يا معشر بني
 إسرائيل، ﴿وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي
 وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾، نصرتموهم، وقيل: وقرتموهم
 وعظمتموهم؛ ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، قيل:
 هو إخراج الزكاة، وقيل: هو النفقة على الأهل،
 ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، لأمحون عنكم

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١١٠

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ
فَسَوَّاهُمْ مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمْ آعْدَاةَ
وَالْبَغْضَاءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٥﴾ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ
قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا
كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ
كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ
أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

[١٥] قوله عز وجل: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ﴾، يريد:
يا أهل الكتابين، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ
كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، أي:
من التوراة والإنجيل مثل صفة محمد ﷺ وآية
الرجم وغير ذلك، ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾، أي:
يعرض عن كثير مما أخفيتم فلا يتعرض له ولا
يؤاخذكم به، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾،
يعني: محمداً ﷺ، وقيل: الإسلام، ﴿وَكِتَابٍ
مُبِينٍ﴾، أي: بين، وقيل: مبين وهو القرآن.
[١٦] ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾،
رضاه، ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾، قيل: السلام هو الله عز
وجلّ وسيله دينه الذي شرع لعباده، وبعث به
رسله، وقيل: السلام هو السلامة، كاللذاذ
واللذاذة بمعنى واحد، والمراد به طرق السلامة،
﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، أي: من

بالكفر والنفاق، ومنه الدراهم القاسية وهي الردية
المغشوشة ﴿يُخْرِفُونَ أَلْسِنَهُمْ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾، قيل: هو
تبدليهم نعت النبي ﷺ، وقيل: تحريفهم بسوء
التأويل، ﴿وَسَوَّاهُمْ مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ﴾، أي:
وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان
بمحمد ﷺ وبيان نعته، ﴿وَلَا تَزَالُ﴾، يا محمد،
﴿تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾، أي: على خيانة، فاعلة
بمعنى المصدر كالكاذبة واللاغية، وقيل: هو
بمعنى الفاعل والهاء للمبالغة مثل رواية ونسابة
وعلامة وحسابه، وقيل: على فرقة خائنة، قال ابن
عباس رضي الله عنهما: على خائنة أي: على
معصية، وكانت خيانتهم نقضهم العهد ومظاهرتهم
المشركين على حرب رسول الله ﷺ وهمهم
بقتله وسمه، ونحوهما من خياناتهم التي ظهرت
منهم، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾، لم يخونوا ولم ينقضوا
العهد وهم الذين أسلموا من أهل الكتاب، ﴿فَاعْفُ
عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ﴾، أي: أعرض عنهم ولا تعرض
لهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وهذا منسوخ بآية
السيف.

[١٤] قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا
نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ﴾، قيل: أراد بهم اليهود
والنصارى فاكتمى بذكر أحدهما، والصحيح أن
الآية في النصارى خاصة لأنه قد تقدم ذكر اليهود،
وقال الحسن: فيه دليل على أنهم نصارى بتسميتهم
لا بتسمية الله تعالى، أخذنا ميثاقهم في التوحيد
والنبوة، ﴿فَسَوَّاهُمْ مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمْ
الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾، بالأهواء
المختلفة والجدال في الدين، قال مجاهد وقتادة:
يعني بين اليهود والنصارى، وقال الربيع: هم
النصارى وحدهم صاروا فرقاً منهم اليعقوبية
والنسطورية والملكانية وكل فرقة تكفر الأخرى،
﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ في
الآخرة.

سورة المائدة

١١١

الآيات

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِر لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُوا أَذْكَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَالَهُمْ ثَوَابَ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَقُولُوا أَذْخَلُوا الْآرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَى آدَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا لِمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

وستون سنة، وقال معمر والكلبي: خمسمائة وأربعون سنة، وسميت فترة لأن الرسل كانت تترى بعد موسى عليه السلام من غير انقطاع إلى زمن عيسى عليه السلام، ولم يكن بعد عيسى عليه السلام سوى رسولنا ﷺ. ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾، كيلا تقولوا، ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢٠] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُوا أَذْكَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾، أي: منكم أنبياء، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مُلُوكًا﴾، أي: فيكم ملوكًا، قال ابن عباس رضي الله عنهما، يعني أصحاب خدم وحشم، قال قتادة: كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم، قال السدي: وجعلكم ملوكًا أحرارًا تملكون أمر أنفسكم بعدما كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم،

ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ﴿بِإِذْنِهِ﴾، بتوفيقه وهدايته، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وهو الإسلام.

[١٧] قوله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، وهم اليعقوبية من النصارى يقولون المسيح هو الله تعالى، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، أي: من يقدر أن يدفع من أمر الله شيئًا إذا قضاه؟ ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يَهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٨] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ﴾، قيل: أرادوا أن الله تعالى لنا كالأب في الحنو والعطف، ونحن كالأبناء له في القرب والمنزلة، وقال إبراهيم النخعي: إن اليهود وجدوا في التوراة يا أبناء أبحاري فبدلوا يا أبناء أبحاري فمن ذلك قالوا نحن أبناء الله، وقيل: معناه نحن أبناء الله يعني أبناء رسل الله. قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾، يريد إن كان الأمر كما زعمتم أنكم أبناؤه وأحباؤه فإن الأب لا يعذب ولده، والحبيب لا يعذب حبيبه، وأنتم مقرون أنه معذبكم؟ وقيل: فلم يعذبكم أي: لم عذب من قبلكم بذنوبهم فمسخهم قرده وخنازير؟ ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾، كسائر بني آدم مجزيون بالإساءة والإحسان، ﴿يَغْفِر لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فضلًا، ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾، عدلًا، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

[١٩] ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾، محمد ﷺ، ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ أعلام الهدى وشرائع الدين، ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي انقطاع من الرسل، واختلفوا في مدة الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، قال أبو عثمان النهدي: ستمائة سنة، وقال قتادة: خمسمائة

مصر، فذلك قوله تعالى إخباراً عنهم ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾، أصل الجبار: المتعظم الممتنع عن القهر، يقال: نخلة جبارة إذا كانت طويلة ممتنعة عن وصول الأيدي إليها، وسُمي أولئك القوم جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة أجسادهم، وكانوا من العمالة وبقية قوم عاد، فلما قال بنو إسرائيل ما قالوا وهُمُوا بالانصراف إلى مصر خَرَّ موسى وهارون ساجدين، وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما للذنان أخبر الله تعالى عنهما في قوله:

[٢٣] ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾، أي: يخافون الله تعالى، قرأ سعيد بن جبیر (يُخَافُونَ) بضم الياء، وقال: الرجلان كانا من الجبارين فأسلما واتبعا موسى، ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالتوفيق والعصمة قالوا: ﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾. يعني: قرية الجبارين، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ﴾، لأن الله منجز وعده، وإنا رأيناهم فكانت أجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة، فلا تخشوهم، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فأراد بنو إسرائيل أن يرمجوهم بالحجارة وعصوهم.

[٢٤] ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ فلما فعلت بنو إسرائيل ما فعلت من مخالفتهم أمر ربهم غضب موسى عليه السلام ودعا عليهم.

[٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾، قيل معناه لا يملك إلا نفسه وقيل معناه لا يطيعني إلا نفسي وأخي، ﴿فَافْرُقْ﴾، فافصل، ﴿بَيْنَنَا﴾، قيل: فاقض بيننا، ﴿وَبَيِّنْ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، العاصين.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾، الله تعالى ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾، قيل: وهنا تم الكلام معناه تلك البلد محرمة عليهم أبداً لم يرد به تحريم تعبد، وإنما أراد تحريم منع،

وقال الضحاك: كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية فمن كان مسكنه واسعاً وفيه نهرٌ جارٍ فهو ملك ﴿وَأَتَيْنَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾، يعني عالمي زمانكم، قال مجاهد: يعني المن والسُلوى والحجر وتظليل الغمام.

[٢١] قوله تعالى: ﴿يَقَوْمُ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، اختلفوا في الأرض المقدسة، قال مجاهد: هي الطور وما حوله، وقال الضحاك: إيليا وبيت المقدس، وقال عكرمة والسدي: هي أريحاء، وقال الكلبي: هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وقال قتادة: هي الشام كلها، قال كعب: وجدت في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله في أرضه وبها أكثر عبادته، قوله عز وجل: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يعني: كتب في اللوح المحفوظ أنها مساكن لكم، وقال ابن إسحاق: وهب الله لكم، وقيل: جعلها لكم، قال السدي: أمركم الله بدخولها، وقال قتادة: أمروا بها كما أمروا بالصلاة، أي: فرض عليكم. ﴿وَلَا تَزِدُّوا عَلَىٰ آدَارِكُ﴾، أعقابكم بخلاف أمر الله، ﴿فَنَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾، قال الكلبي: صعد إبراهيم عليه السلام جبل لبنان فقبل له: انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك.

[٢٢] ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾، وذلك أن النقباء الذين خرجوا يتجسسون الأخبار لما رجعوا إلى موسى وأخبروه بما عاينوا، قال لهم موسى: اكنموا شأنهم ولا تخبروا به أحداً من أهل العسكر فيفشلوا، فأخبر كل رجل منهم قريبه وابن عمه إلا رجلين وقيا بما قال لهما موسى فعلمت جماعة من بني إسرائيل ذلك ورفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا في أرض مصر، أو ليتنا نموت في هذه البرية ولا يُدْخِلَنَا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأثقالنا غنيمة لهم، وجعل الرجل يقول لصاحبه: تعال نجعل علينا رأساً وننصرف إلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ
نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا
جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ
فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ
لَهُمْ جَزَاؤُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَئِنْ
لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعاً، قال مجاهد: من قتل نفساً محرمة يصلي النار بقتلها، كما يصلي لو قتل الناس جميعاً، ومن أحياها من سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعاً، قال قتادة: أعظم الله أجرها وعظم وزرها، معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكأنما قتل الناس جميعاً في الإثم لأنهم لا يسلمون منه، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، وتورع عن قتلها، ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، في الثواب لسلامتهم منه، قال الحسن فكأنما قتل الناس جميعاً يعني أنه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعاً، ومن أحياها أي عفا عمن وجب عليه القصاص له فلم يقتله فكأنما أحيا الناس جميعاً، قال سليمان بن علي: قلت للحسن: يا أبا سعيد أهي لنا كما كانت لبني إسرائيل؟ قال: إي والذي

[٣٠] قوله عز وجل: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُمْ نَفْسُهُ﴾، أي: طاوعته وشايعته وعاونته، ﴿قَتَلَ أَخِيهِ﴾، في قتل أخيه وقال مجاهد: فشجعت، وقال قتادة: فزينت له نفسه، وقال يمان: سهلت له ذلك، أي: جعلته سهلاً، تقديره: صوّرت له نفسه أن قتل أخيه طوع له أي سهل عليه، فقتله، قيل: قتل وهو مستسلم، وقيل: اغتاله وهو في النوم فشدخ رأسه فقتله، وذلك قوله تعالى: ﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وكان لهاييل يوم قُتل عشرون سنة فلما قتله تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتلا، فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمقاره وبرجله حتى مكن له ثم ألقاه في الحفرة، وواراه، وقايل ينظر إليه، فذلك قوله تعالى:

[٣١] ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوَاءَ أَخِيهِ﴾، فلما رأى قايل ذلك ﴿قَالَ يَتُولَيَّ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِى سَوَاءَ أَخِي﴾، أي: جيفته، وقيل: عورته لأنه قد سلب ثيابه، ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾، على حمله على عاتقه لا على قتله، وقيل: على فراق أخيه، وقيل: ندم لقلة النفع بقتله فإنه أسخط والديه، وما انتفع بقتله شيئاً ولم يكن ندمه على القتل وركوب الذنب.

[٣٢] قوله عز وجل: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ﴾ أي: من جراء ذلك القاتل وجنايته، يقال: أجل يأجل أجلاً، إذا جنى، مثل أخذ يأخذ أخذاً ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾، قتلها فيقادم منه، ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾، يريد بغير نفس وبغير فساد في الأرض من كفر أو زنا أو قطع طريق، أو نحو ذلك ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، اختلفوا في تأويله، قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة: من قتل نبياً أو إمام عدل فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن شد عضد نبي

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١١٤

الْبَقَرَةِ

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا تَكْلًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْتَعْرِفُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَاسْتَمْعُوا لِلْكَذِبِ سَمْعًا وَلَقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتُوبَةٍ بَعْدَ مَا أَضَاعُوا يَقُولُونَ إِنَّا أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ. مِنْ اللَّهِ شَيْءٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

﴿٣٧﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا، فيه وجهان أحدهما: أنهم يقصدون ويطلبون المخرج منها، كما قال الله تعالى: (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) والثاني: أنهم يتمنون ذلك بقلوبهم، كما قال الله تعالى إخباراً عنهم: (ربنا أخرجنا منها)، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

﴿٣٨﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا، أراد به أيماهما، وكذلك هو في مصحف عبدالله ابن مسعود، وجملة الحكم أن من سرق نصاباً من المال من حرز لا شبهة له فيه تقطع يده اليمنى من الرسغ ﴿جِزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾، نصب على الحال والقطع، ومثله: ﴿تَكْلًا﴾، أي: عقوبة، ﴿مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

لا إله غيره ما كانت دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا، ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثُرَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمْ يُرَفُوتْ﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ وعقوبة المحاربين ما ذكر الله سبحانه وتعالى: ﴿أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾، فذهب قوم إلى أن الإمام بالخيار في أمر المحاربين بين القتل والقطع والصلب والنفي كما هو ظاهر الآية، وذهب الأكثرون إلى أن هذه العقوبات على ترتيب الجرائم لا على التخيير ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت من الحد، ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾ عذاب وهوان وفضيحة ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿٣٤﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فمن ذهب إلى أن الآية نزلت في الكفار، قال معناه: إلا الذين تابوا من شركهم وأسلموا قبل القدرة عليهم فلا سبيل عليهم بشيء من الحدود ولا تبعة عليهم فيما أصابوا في حال الكفر من دم أو مال، وأما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة عليهم - وهو قبل أن يظفر به الإمام - تسقط عنه كل عقوبة وجبت حقاً لله، ولا يسقط ما كان من حقوق العباد.

﴿٣٥﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا﴾، اطلبوا، ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾، أي: القربة، فعيلة من توسل إلى فلان بكذا، أي: تقرب إليه وجمعها وسائل، ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿٣٦﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ﴾، أخبر أن الكافر لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها ثم فدى بذلك نفسه من العذاب لم يقبل منه ذلك الفداء، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ

ويقولون سمعنا منه كذا ولم يسمعوا ذلك منه، ﴿سَمِعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾، أي هم جواسيس، يعني: بني قريظة لقوم آخرين هم أهل خيبر قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ﴾، قيل: اللام بمعنى إلى، وقيل: هي لام كي، أي: يسمعون لكي يكذبوا عليك، واللام في قوله ﴿لِقَوْمٍ﴾ أي: لأجل قوم آخرين لم يأتوك وهم أهل خيبر ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾، جمع كلمة، ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾، أي: من بعد وضعه مواضعه، وإنما ذكر الكناية رداً على لفظ الكلم، ﴿يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيَتْهُمْ هَذَا فَخَذُّوهُ﴾، أي: إن أفتاكم محمد ﷺ بالجلد والتحميم فاقبلوا، ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾، كفره وضلالته، قال الضحاك: هلاكه، وقال قتادة: عذابه، ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾، فلن تقدر على دفع أمر الله فيه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾، وفيه رد على من ينكر القدر ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي: للمنافقين واليهود، فخزي المنافقين الفضيحة وهتك الستر بإظهار نفاقهم، وخزي اليهود الجزية أو القتل أو السبي أو النفي، ورؤيتهم من محمد ﷺ وأصحابه فيهم ما يكرهون، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، الخلود في النار. [٤٢] ﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلشُّحِّ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأهل البصرة والكسائي (للشُّحِّ)، بضم الحاء، والآخرين بسكونها، وهو الحرام، وأصله الهلاك والشدة، وقال الله تعالى: (فيسحتكم بعذاب)، نزلت في حكام اليهود كعب ابن الأشرف وأمثاله، كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم، قال الحسن: كان الحاكم منهم إذا أتاه أحد برشوة جعلها في كمه فيريها أياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه، فيسمع الكذب ويأكل الرشوة، وعنه أيضاً قال: إنما ذلك في الحكم إذا رشوته ليحق لك باطلاً أو يبطل عنك

[٣٩] ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾، أي: سرقته، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، هذا فيما بينهم وبين الله تعالى، فأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند الأكثرين، قال مجاهد: قطع السارق توبته فإذا قطع حصلت التوبة، والصحيح أن القطع للجزاء على الجنابة، كما قال: (جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا)، فلا بد من التوبة بعد، وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل، وإذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم، وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي: لا غرم عليه، وبالاتفاق إن كان المسروق قائماً عنده يسترد، وتقطع يده لأن القطع حق الله تعالى والغرم حق العبد، فلا يمنع أحدهما الآخر، كاسترداد العين.

[٤٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الجميع، وقيل: معناه ألم تعلم أيها الإنسان فيكون خطاباً لكل واحد من الناس ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، قال السدي والكلبي: يعذب من يشاء من مات على كفره ويغفر لمن يشاء من تاب من كفره، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء على الكبيرة ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٤١] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَكِّرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾، أي: في موالة الكفار فإنهم لم يعجزوا الله، ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾، وهم المنافقون، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾، يعني اليهود، ﴿سَمِعُونَ﴾، أي: قوم سماعون، ﴿لِلْكَذِبِ﴾، أي: قائلون للكذب، كقول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي: قبل الله، وقيل: معناه: سماعون لأجل الكذب، أي: يسمعون منك ليكذبوا عليك، وذلك أنهم كانوا يسمعون من الرسول ﷺ ثم يخرجون

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١١٥

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

سَمِعْتُمْ لَكَذِبٍ أَكْتَلُونَ لِلْشَّحِّ فَإِنْ جَاءُوكَ
فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ
يَضْرُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٣﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ
التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ
هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ
اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ
وَأَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَلِيلٍ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ
فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ
بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ
قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ
لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٦﴾

هادوا ثم قال يحكم بها النبيون الذين أسلموا
والربانيون، وقيل: هو على موضعه، ومعناه:
يحكم بها النبيون الذين أسلموا على الذين هادوا،
كما قال: (وإن أسأتم فلها)، أي: فعلها، وكما
قال: (أولئك لهم اللعنة)، وقيل: فيه حذف كأنه
قال: للذين هادوا وعلى الذين هادوا فحذف
أحدهما اختصاراً. ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾، يعني
العلماء، واحداها حبر وحبر بفتح الحاء وكسرها،
والكسر أفصح، وهو العالم المحكم للشيء، قال
الكسائي وأبو عبيدة: هو من الحبر الذي يكتب به،
وقال قطرب: هو من الحبر الذي هو بمعنى الجمال
بفتح الحاء وكسرها ومنه التحبير وهو التحسين،
فسمى العالم حبراً لما عليه من جمال العلم وبهائه،
وقيل: الربانيون ههنا من النصارى، والأحبار من
اليهود، قوله عز وجل: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ

حقك، فأما أن يعطي الرجل الوالي يخاف ظلمه
ليدراً به عن نفسه فلا بأس، فالسحت هو الرشوة
في الحكم على قول الحسن ومقاتل وقتادة
والضحاك، وقال ابن مسعود: هو الرشوة في كل
شيء، قال ابن مسعود، من يشفع شفاعاً ليرد بها
حقاً أو يدفع بها ظلماً فأهدي له فقبل فهو سحت،
ف قيل له: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك إلا
الأخذ على الحكم، فقال: الأخذ على الحكم
كفر، قال الله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله
فأولئك هم الكافرون) والسحت كل كسب لا
يحل. قوله عز وجل ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ
أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضْرُوكَ شَيْئًا﴾،
خير الله تعالى رسوله ﷺ في الحكم بينهم إن شاء
حكم وإن شاء ترك. قوله: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكَمْ
بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، أي بالعدل، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ﴾ أي: العادلين.

[٤٣] قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ
التَّوْرَةُ﴾، هذا تعجيب للنبي ﷺ، وفيه اختصار،
أي: وكيف يجعلونك حكماً بينهم فيرضون
بحكمك وعندهم التوراة؟ ﴿فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾، وهو
الرجم، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ
بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، أي بمصدقين لك.

[٤٤] قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾، أي:
أسلموا وانقادوا لأمر الله تعالى، كما أخبر عن
إبراهيم عليه السلام: (إذ قال له ربه أسلم قال
أسلمت لرب العالمين)، وكما قال: (وله أسلم من
في السموات والأرض طوعاً وكرهاً)، وأراد بهم
النبيين الذين بعثوا من بعد موسى عليه السلام
ليحكموا بما في التوراة، وقد أسلموا لحكم التوراة
وحكموا بها، فإن من النبيين من لم يؤمر بحكم
التوراة منهم عيسى عليه السلام ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾،
قيل: فيه تقديم وتأخير تقديره فيها هدى ونور للذين

تقلع بها وسائر الجوارح قياس عليها في القصاص، **﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾**، فهذا تعميم بعد تخصيص، لأنه ذكر العين والأنف والأذن والسن، ثم قال: **﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾**، أي: فيما يمكن الاقتصاص منه كاليد والرجل واللسان ونحوها، وأما ما لا يمكن الاقتصاص منه من كسر عظم أو جرح لحم كالجائفة ونحوها فلا قصاص فيه، لأنه لا يمكن الوقوف على نهايته **﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾**، أي: بالقصاص **﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾**، قيل: الهاء في له كناية عن المجروح وولي القتل، أي: كفارة للمصدق وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص والحسن والشعبي وقتادة، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ مِنْ جَسَدِهِ بِشَيْءٍ كَفَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَدْرِهِ مِنْ ذُنُوبِهِ»^(١) وقال جماعة: هي كناية عن الجراح والقاتل، يعني إذا عفا المجنى عليه عن الجاني فغفوه كفارة لذنب الجاني لا يُؤاخذ به في الآخرة، كما أن القصاص كفارة له، فأما أجر العافي فعلى الله عز وجل، قال الله تعالى: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله)، روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول إبراهيم ومجاهد وزيد بن أسلم، **﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**.

[٤٦] **﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾**، أي: على آثار النبيين الذين أسلموا، **﴿يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَصَدَقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَإِنِّي أَنَا الْإِنجِيلُ فِيهِ﴾**، أي: في الإنجيل **﴿هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا﴾**، يعني الإنجيل، **﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾**.

[٤٧] **﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾**، قرأ الأعمش وحمزة (وَلِيَحْكُمَ) بكسر اللام ونصب

اللَّهِ، أي: استودعوا من كتاب الله، **﴿وَكَاوُوا عَلَيْهِ شَهْدَاءٌ﴾** أنه كذلك، **﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَآخِشُونَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾**، قال قتادة والضحاك: نزلت هذه الآيات الثلاث في اليهود دون من أساء من هذه الأمة. روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والظالمون والفاسقون كلها في الكافرين، وقيل: هي على الناس كلهم، وقال ابن عباس وطاوس: ليس بكفر ينقل عن الملة، بل إذا فعله فهو به كافر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر، قال عطاء: هو كفرٌ دون كفر، وظلمٌ دون ظلم، وفسقٌ دون فسق، وقال عكرمة معناه: ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق. وسئل عبد العزيز بن يحيى الكناني عن هذه الآيات، فقال: إنها تقع على جميع ما أنزل الله لا على بعضه، وكل من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، فأما من حكم بما أنزل الله من التوحيد وترك الشرك، ثم لم يحكم ببعض ما أنزل الله من الشرائع لم يستوجب حكم هذه الآيات، وقال العلماء: هذا إذا ردَّ نصَّ حكم الله عياناً عمداً، فأما من خفي عليه أو أخطأ في تأويل فلا.

[٤٥] قوله تعالى: **﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾**، أي: أوجبنا على بني إسرائيل في التوراة، **﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾**، يعني: من نفس القاتل بنفس المقتول وفاءً يقتل به، **﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾**، تُفَقَأُ بها **﴿وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ﴾**، يُجَدَعُ به، **﴿وَالْأَذُنَ بِالْأَذُنِ﴾**، تُقَطَّعُ بها، قال ابن عباس: أخبر الله تعالى بحكمه في التوراة وهو: أن النفس بالنفس واحدة بواحدة إلى آخرها، فما بالهم يخالفون فيقتلون بالنفس النفسين، ويفقأون بالعين العينين **﴿وَالْيَسْنَ بِالْيَسَنِ﴾**،

(١) أخرجه الترمذي في الديات ٦٥٠/٤ وقال غريب، وابن ماجه في الديات رقم (٢٦٩٣) ٨٩٨/٢ والإمام أحمد في المسند ٣١٦/٥، ٤٤٨/٦ قال المنذري في الترغيب والترهيب ٣٠٥/٣ رجاله رجال الصحيح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقَفَيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ يَعْنِي ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ
أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ
اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا
ءَاتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا
أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحِدَهُمْ أَنْ يَقُولُوا قَوْلًا
بَعْضُ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ إِنْ قَوْلُوا قَالَعَلَّمَ أَنبَاءُ اللَّهِ أَنْ يُصِيبَهُمْ
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

الميم، أي: لكي يحكم، وقرأ الآخرون بسكون
اللام وجزم الميم على الأمر، قال مقاتل بن حيان:
أمر الله الربانيين والأخبار أن يحكموا بما أنزل الله
في التوراة، وأمر القسيسين والرهبان أن يحكموا
بما في الإنجيل، فكفروا وقالوا عزيز ابن الله
والمسيح ابن الله، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، الخارجون عن أمر الله عزَّ
وجلَّ.

[٤٨] قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾، يا
محمد ﴿الْكِتَابَ﴾، القرآن، ﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾، أي: من الكتب المنزلة
من قبل، ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ عن ابن عباس رضي الله
عنهما: أي شاهداً عليه، وهو قول مجاهد وقتادة
والسدي والكسائي، قال حسان:

إن الكتاب مهيمن لنبينا

والحق يعرفه ذوو الألباب

يريد: شاهداً ومصداً،

وقال عكرمة: دالاً، وقال سعيد بن جبير وأبو
عبدة: مؤتمناً عليه، وقال الحسن: أميناً، وقيل:
أصله مؤيمن مفعول من أمين، كما قالوا: مُيَطر من
البيطار، فقلبت الهمزة هاء كما قالوا: أرتق الماء
وهرقته، وإيهات وهيهات، ونحوها. ومعنى أمانة
القرآن ما قال ابن جريج: القرآن أمين على ما قبله
من الكتب، فما أخبر أهل الكتاب عن كتابهم فإن
كان في القرآن فصدقوا وإلا فكذبوا، وقال سعيد بن
المسيب والضحاك: قاضياً، وقال الخليل: رقيباً
وحافظاً، والمعاني متقاربة، ومعنى الكل: أن كل
كتاب يشهد بصدق القرآن فهو كتاب الله تعالى وإلا
فلا ﴿فَأَحْكُم﴾، يا محمد ﴿بَيْنَهُمْ﴾، بين أهل
الكتاب إذا ترافعوا إليك، ﴿بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ تعالى
بالقرآن، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾،
أي: لا تعرض عما جاءك من الحق ولا تتبع
أهواءهم، ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، قال

ابن عباس والحسن ومجاهد: أي سبيلاً وسنةً،
فالشرعة والمنهاج الطريق الواضح، وكل ما
شرعت فيه فهو شريعة وشرعة، ومنه شرائع الإسلام
لشروع أهلها فيها، وأراد بهذا أن الشرائع مختلفة،
ولكل أهل ملة شريعة، قال قتادة: الخطاب للأمم
الثلاث أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد ﷺ
وعليهم أجمعين، فالتوراة شريعة والإنجيل شريعة
والفرقان شريعة، والدين واحد وهو التوحيد. ﴿وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، أي: على ملة
واحدة، ﴿وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ﴾، ليختبركم، ﴿فِي مَا
ءَاتَيْنَاكُمْ﴾، من الكتب وبين لكم من الشرائع فيتين
المطيع من العاصي والموافق من المخالف،
﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾، فبادروا إلى الأعمال
الصالحة، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا
كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه من جذب وقحط فلا يعطونا الميرة والقرض، ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾، قال قتادة ومقاتل: بالقضاء من نصر محمد ﷺ على من خالفه، وقال الكلبي والسدي: فتح مكة، وقال الضحاك: فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك، ﴿أَوْ أَمَرَ مِنِّي عِنْدِي﴾، قيل: بإتمام أمر محمد ﷺ، وقيل: عذاب لهم، وقيل: إجلاء بني النضير، ﴿فَيُصْبِحُوا﴾ يعني هؤلاء المنافقون، ﴿عَلَىٰ مَا أَسْرَأُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾، من موالاة اليهود ودس الأخبار إليهم، ﴿تَدْمِيَتِ﴾.

[٥٣] ﴿و﴾، حيثذ، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، قرأ أهل الكوفة: ﴿وَيَقُولُ﴾، بالواو والرفع على الاستئناف وقرأ أهل البصرة بالواو ونصب اللام عطفاً على ﴿أَن يَأْتِيَ﴾ أي: وعسى أن يقول الذين آمنوا، وقرأ الآخرون بحذف الواو ورفع اللام، وكذلك هو في مصاحف أهل العالية، استغناء عن حرف العطف لملازمة هذه الآية بما قبلها، يعني يقول الذين آمنوا في وقت إظهار الله تعالى نفاق المنافقين، ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾، حلفوا بالله ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾، أي: حلفوا بأغلظ الأيمان ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾، أي: إنهم لمؤمنون، يريد أن المؤمنين حيثذ يتعجبون من كذبهم وحلفهم بالباطل. قال الله تعالى: ﴿حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ﴾، بطل كل خير عملوه، ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ خسروا الدنيا بافتراسهم، والآخرة بالعذاب وفوات الثواب.

[٥٤] قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، قرأ أهل المدينة والشام (يرتدد) بدالين على إظهار التضعيف ﴿عَن دِينِهِ﴾ فيرجع إلى الكفر، قال الحسن: علم الله تبارك وتعالى أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم ﷺ فأخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم الله ويحبونه، واختلفوا في أولئك القوم من هم؟ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه

[٤٩] قوله عز وجل: ﴿وَأَن أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَمَا أَزَلَّ اللَّهُ﴾، إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرْتَهُمْ أَن يَقْتُلُوكَ عَن بَعْضِ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال كعب بن أسيد وعبدالله بن سوريا وشاس بن قيس من رؤساء اليهود بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا: يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وإنا إن اتبعناك لم يخالفنا اليهود، وإن بيننا وبين الناس خصومات فنحاكمهم إليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك، ويتبعنا غيرنا. ولم يكن قصدهم الإيمان، وإنما كان قصدهم التلبيس ودعوته إلى الميل في الحكم فأنزل الله عز وجل الآية ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾، أي: أعرضوا عن الإيمان والحكم بالقرآن، ﴿فَاعْلَمْنَا أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾، أي: فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يجعل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾، يعني اليهود ﴿لَفَتِسِقُونَ﴾.

[٥٠] ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَتَّبِعُونَ﴾ قرأ ابن عامر تبغون وقرأ الآخرون بالياء، أي: يطلبون، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مَنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

[٥١] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾، اختلفوا في سبب نزول هذه الآية وإن كان حكمها عاماً لجميع المؤمنين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، في العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ﴾، فيوافقهم ويعينهم، ﴿فَإِنَّهُم مِّنْهُمُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٥٢] ﴿فَرَىٰ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، أي: نفاق يعني عبدالله بن أبي وأصحابه من المنافقين الذين يؤالون اليهود، ﴿يُسَدِّعُونَ فِيهِمْ﴾، في معونتهم وموالاتهم، ﴿يَقُولُونَ نَحْنُ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾، دولة، يعني: أن يدول الدهر دولته فنحتاج إلى نصرهم إيانا، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه نخشى ألا يتم أمر محمد فيدور الأمر علينا، وقيل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَخَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ وَأَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبَهُمْ أَوْ لَا يَسْرِوْا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينُ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَا يَجْرُءُ ذَلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ يَوتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمُ الْعُتْلُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْلِيَاءَ لِكُتْلِكُمْ وَالْكَفَّارُ أَوْلِيَاءُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مَوْفُونَ ﴿٥٧﴾

وَلِيَّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا، يعني عبادة بن الصامت وأصحاب رسول الله ﷺ. وقال جابر بن عبد الله: جاء عبد الله بن سلام إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا، فنزلت هذه الآية، فقرأها عليه رسول الله ﷺ، فقال: «يا رسول الله رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين وأوليائه»، وعلى هذا التأويل أراد بقوله: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، صلاة التطوع بالليل والنهار، قاله ابن عباس، وقال السدي: قوله ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ﴾

والحسن وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة، وقال قوم: المراد بقوله: ﴿سَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ هم الأشعريون، روي عن عياض بن غنم الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «هم قوم هذا» - وأشار إلى أبي موسى الأشعري^(١). وكانوا من اليمن. قوله عز وجل: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني: أرقاء رحماء، لقوله عز وجل: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)، ولم يرد به الهوان، بل أراد أن جانبهم لين على المؤمنين. وقيل: هو الذل من قولهم دابة ذلول، يعني أنهم متواضعون. قال الله تعالى: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) ﴿أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، أي: أشداء غلاظ على الكفار يُعادونهم ويُغالِبونهم، من قولهم: عزه أي غلبه. قال عطاء: أذلة على المؤمنين: كالولد لوالده والعبد لسيده، أعزه على الكافرين: كالسبع على فريسته، نظيره قوله تعالى: (أشداء على الكفار رُحماء بينهم). ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَا يَجْرُءُ﴾، يعني: لا يخافون في الله لوم الناس، وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم، وروينا عن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم^(٢). ﴿ذَلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ يَوتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، أي: محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين، من فضل الله عليهم، ﴿وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٥٥] ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في عبادة ابن الصامت وعبد الله بن أبي ابن سلول حين تبرأ عبادة من اليهود، وقال: أتولى الله ورسوله والذين ءَامَنُوا، فنزل فيهم من قوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء)، إلى قوله ﴿إِنَّمَا

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣١٣/٢ وصححه على شرط مسلم، والطبراني ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد ١٦/٧، والطبري في التفسير ٤١٤/١٠.

(٢) أخرجه البخاري في الأحكام ١٩٣/١٣، ومسلم في الإمامة برقم (١٧٠٩) ٣/١٤٧٠.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١١٨

الْبَقَرَةُ

وَإِذْ نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مِنَّا إِلَّا أَن مَّآئِنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَن أَكْذَرُكُمْ فَتْسِفُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءَ وَكُم قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ خَلَوْنَا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا إِلَى اللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْأَثَرِ وَالْعُدُونِ وَأَكْثَرُهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُغْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيزِيدَ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طَافِعًا وَكُفْرًا وَالْقِيَانِ يَنْهَاهُمُ الْعُدَّةُ وَالْبَعْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

إن الكفار لما سمعوا الأذان أحسدوا المسلمين فدخلوا على رسول الله ﷺ، وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت الأنبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الأنبياء، فمن أين لك صباح كصباح العير؟ فما أقبح من صوت وما أسمع من أمر، فأنزل الله تعالى هذه الآية: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله)، الآية.

[٥٩] قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مِنَّا﴾ قال ابن عباس: أتى النبي ﷺ نفر من اليهود، أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع وغيرهما، فسألوه عن يؤمن به من الرسل، فقال:

(١) أخرجه الطبري ٤٢٥/١٠.

الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، أراد به: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مرّ به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه^(١)، وقال جوبير عن الضحّاك في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال: هم المؤمنون بعضهم أولياء بعض.

[٥٦] ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني: يتولى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد المهاجرين والأنصار، ﴿فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ﴾، يعني أنصار دين الله، ﴿هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

[٥٧] قوله عز وجل: ﴿يَٰ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾، الآية قال ابن عباس: كان رفاعه بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرّا الإسلام، ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿يَٰ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾، بإظهار ذلك بألسنتهم قولاً وهم مستبطنون الكفر، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، يعني: اليهود: ﴿وَالْكَفَّارَ﴾، قرأ أهل البصرة والكسائي ﴿وَالْكَفَّارَ﴾ بخفض الراء، يعني: ومن الكفار، وقرأ الآخرون بالنصب، أي: لا تتخذوا الكفار، ﴿أُولِيَاءَ وَأَقْنُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[٥٨] ﴿وَإِذْ نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾، قال الكلبي: كان منادي رسول الله ﷺ إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا، قاموا وصلوا لا صلوا، على طريق الاستهزاء، وضحكوا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية. وقال السدي: نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: حرق الكاذب، فدخل خادمه ذات ليلة بنار - وهو وأهله نيام - فطأيرت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله. وقال الآخرون:

والعدوان الظلم، وقيل: الإثم ما كنتموا من التوراة، والعدوان مازادوا فيها، ﴿وَأَكَلِهِمْ السُّحَّتْ﴾، الرِّشَا، ﴿لِيَقْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٦٣] ﴿لَوْلَا﴾، هَلَا، ﴿يَنْهَاهُمْ الرِّبَايُوتَ وَالْأَجْبَارُ﴾، يعني: العلماء، قيل: الربانيون علماء النصارى والأخبار علماء اليهود، ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكَلِهِمُ السُّحَّتَ لِيَلْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

[٦٤] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ قَدْ بَسَطَ عَلَى الْيَهُودِ حَتَّى كَانُوا مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ مَا لَا وَأَخْصَبَهُمْ نَاحِيَةً فَلَمَّا عَصَوْا اللَّهَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ وَكَذَّبُوا بِهِ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا بَسَطَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّعَةِ، فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء: يد الله مغلولة، أي: محبوسة مقبوضة من الرزق نسبوه إلى البخل، قيل: إنما قال هذه المقالة فنحاص، فلما لم ينهه الآخرون ورضوا بقوله أشركهم الله فيها. وقال الحسن: معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا إلا ما يبرّ به قسمه قدر ما عبد آباؤنا العجل، والأول أولى لقوله: (ينفق كيف يشاء)، ﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، أي: أمسكت أيديهم عن الخيرات. وقال الزجاج: أجابهم الله تعالى فقال: أنا الجواد وهم البخلاء وأيديهم هي المغلولة الممسكة. وقيل: هو من الغل في النار يوم القيامة، لقوله تعالى: (إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ)، ﴿وَلَعْنُوا﴾، عَذَّبُوا، ﴿بِمَا قَالُوا﴾، فمن لعنهم أنهم مُسَخَّو قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة في الدنيا وفي الآخرة بالنار، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع، والبصر والوجه، وقال جلّ ذكره: (لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ)، وقال النبي ﷺ: «كلتا يديه يمين»^(١)، والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم. وقال أئمة السلف من

«أؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل» إلى قوله: (ونحن له مسلمون)، فلما ذكر عيسى عليه السلام جحدوا نبوته، وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً شراً من دينكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مَنَّا﴾ أي: تكرهون منا ﴿إِلَّا أَنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَإِنَّا أَكْذَرُكُمْ فَنَسِفُونَ﴾، أي: هل تكرهون منا إلا إيماننا وفسقكم، أي: إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أننا على حق، لأنكم فسقتم بأن أقمتهم على دينكم لحب الرياسة وحب الأموال، ثم قال:

[٦٥] ﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿هَلْ أُتْبِئْتُكُمْ﴾، أخبركم، ﴿بِشَرِّ مَن ذَلِكُ﴾، الذي ذكرتم، يعني قولهم: لم نر أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم، فذكر الجواب بلفظ الابتداء، وإن لم يكن الابتداء شراً لقوله تعالى: (أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَمُ النَّارِ)، ﴿مُتَوَبَّةً﴾ ثواباً وجزاء، نُصِبَ عَلَى التفسير، ﴿عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أي: هو من لعنه الله، ﴿وَعَظِبَ عَلَيْهِ﴾، يعني: اليهود، ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾، فالقردة أصحاب السبت، والخنازير كفار مائدة عيسى عليه السلام ﴿وَعَبِدَ الظُّلُوتِ﴾، أي: جعل منهم من عبد الطاغوت، أي: أطاع الشيطان فيما سؤل له ﴿أُزْلِيقَ شَرَّ مَكَانًا وَأَضَلَّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، عن طريق الحق.

[٦٦] ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا﴾، يعني: هؤلاء المنافقين، وقيل: هم الذين قالوا: (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره)، دخلوا على النبي ﷺ وقالوا: ﴿آمَنَّا﴾، بك وصدقناك فيما قلت، وهم يُسْرُونَ الكفر، ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾، يعني: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾.

[٦٧] ﴿وَرَوَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾، يعني: من اليهود: ﴿يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدُونِ﴾، قيل: الإثم المعاصي

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة رقم (١٨٢٧) ١٤٥٨/٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكُنَّا عَنْهُمْ سَخِيمًا ۖ وَلَا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْمَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ ۖ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَةٌ مُقْتَصِدَةٌ ۚ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦٦﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْغُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَغَتْ رِسَالَتُهُ ۖ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَأْهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالصَّابِرُونَ مِنْ ءَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَ هُمْ رَسُولُ اللَّهِ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

غالية، ولا مقصرة جافية. ومعنى الاقتصاد في اللغة: الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾، كعب بن الأشرف وأصحابه، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، بش ما يعملون، بش شيئاً عملهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي ﷺ.

[٦٧] قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْغُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قالت عائشة: من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب، وهو يقول: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)^(١)، روى الحسن: أن الله تعالى لما بعث رسوله ضاق ذرعاً وعرف أن من الناس من يكذبه،

أهل السنة في هذه الصفات: «أمروها كما جاءت بلا كيف»، ﴿يُنْفِقُ﴾، يرزق، ﴿كَيْفَ بَشَاءٌ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾، أي: كلما أنزل آية كفروا بها فازدادوا طغياناً وكفراً، ﴿وَالْفِتْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾، يعني: بين اليهود والنصارى، قاله الحسن ومجاهد، وقيل بين طوائف اليهود جعلهم الله مختلفين في دينهم متباغضين ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾، يعني: اليهود أفسدوا وخالفوا حكم التوراة، فبعث الله عليهم بختنصر، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي، ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم المسلمين، وقيل: كلما أجمعوا أمرهم ليفسدوا أمر محمد ﷺ وأوقدوا نار المحاربة أطفاها الله، فردهم وقهرهم ونصر نبيه ودينه، هذا معنى قول الحسن، وقال قتادة: هذا عام في كل حرب طلبته اليهود فلا تلقى اليهود في بلد إلا وجدتهم من أذل الناس، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[٦٥] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا﴾، بمحمد ﷺ، ﴿وَاتَّقَوْا﴾، الكفر، ﴿لَكُنَّا عَنْهُمْ سَخِيمًا وَلَا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾، يعني: أقاموا أحكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، يعني: القرآن، وقيل: كتب أنبياء بني إسرائيل، ﴿لَأَكْمَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾، قيل: من فوقهم هو المطر، ومن تحت أرجلهم نبات الأرض. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لأنزلت عليهم القطر وأخرجت لهم من نبات الأرض. قال الفراء: أراد به التوسعة في الرزق كما يقال فلان في الخير من قرنه إلى قدمه ﴿مِنْهُمْ أُمَةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾، يعني: مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه، مقتصدة أي عادلة غير

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٢٧٥/٨، ومسلم في الإيمان رقم (١٧٧) ١٥٩/١.

بالعصمة من بين الناس، لأن النبي ﷺ معصوم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٨] قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُتِمُّوا التَّوْبَةَ وَالْإِيمَانَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي: تقيموا أحكامهما وما يجب عليكم فيهما، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمَا مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ﴾، فلا تحزن، ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالْأَنْصَارِيُّ﴾ قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: باللسان. وقوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ أي: بالقلب، وقيل: الذين آمنوا على حقيقة الإيمان (من آمن بالله)، أي: ثبت على الإيمان، ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٧٠] قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي التَّوْحِيدِ وَالنَّبُوَّةِ﴾، ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كَلِمًا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾، عيسى ومحمدًا صلوات الله وسلامه عليهما، ﴿وَفَرِيقًا يَفْتُلُونَ﴾، يحيى وزكريا.

[٧١] ﴿وَحَسِبُوا﴾، ظنوا، ﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾، أي: عذاب وقتل، وقيل: ابتلاء واختبار، أي: ظنوا أن لا يُبتلوا ولا يُعذبهم الله ﴿فَعَمُوا﴾، عن الحق فلم يبصروه، ﴿وَصَمُّوا﴾، عنه فلم يسمعه، يعني عموا وصموا بعد موسى صلوات الله وسلامه عليه، ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، ببعث عيسى عليه السلام، ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾، بالكفر بمحمد ﷺ، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

[٧٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، وهم الملكانية واليعقوبية منهم، ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِلَهُوَيْلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي

فنزلت هذه الآية^(١)، وقيل: نزلت في عيب اليهود، وذلك أن النبي ﷺ دعاهم إلى الإسلام، فقالوا أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤون به، فيقولون له: تريد أن نتخذك حنانًا كما اتخذت النصارى عيسى حنانًا، فلما رأى النبي ﷺ ذلك سكت فنزلت هذه الآية، وأمره أن يقول لهم: (يا أهل الكتاب لستم على شيء) الآية. وقيل: بلغ ما أنزل إليك من الرجم والقصاص، نزلت في قصة اليهود، وقيل: نزلت في أمر زينب بنت جحش ونكاحها، وقيل: في الجهاد، وذلك أن المنافقين كرهوه، كما قال الله تعالى: (فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت)، كرهه بعض المؤمنين قال الله تعالى: (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) الآية. فكان النبي ﷺ يمسك في بعض الأحيان عن الحث على الجهاد لما يعلم من كراهة بعضهم، فأنزل الله هذه الآية. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وأبو بكر ويعقوب ﴿رسالاته﴾، على الجمع والباقون رسالته على التوحيد، ومعنى الآية: إن لم تبلغ الجميع وتركت بعضه، فما بلغت شيئًا، أي: جرمك في ترك تبليغ البعض كجرمك في ترك تبليغ الكل وقيل: بلغ ما أنزل إليك أي: أظهر تبليغه، كقوله: (فاصدع بما تؤمر) وإن لم تفعل فإن لم تظهر تبليغه فما بلغت رسالته، أمره بتبليغ ما أنزل إليه مجاهرًا محتسبًا صابرًا، غير خائف، فإن أخفيت منه شيئًا لخوف يلحقك فما بلغت رسالته، ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، يحفظك ويمنعك من الناس، فإن قيل: أليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته وأودى بضروب من الأذى؟ قيل: معناه يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك. وقيل: نزلت هذه الآية بعد ما شج رأسه لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن. وقيل: والله يخلصك

(١) أسباب النزول للواحدي ص (٢٣٢-٢٣٣)، الدر المنثور (١١٦/٣-١١٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَحَسِبُوا أَن لَّمْ يَكُونُوا فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ابْنَ اللَّهِ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٩﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ مِنَ الطَّعَامِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّئْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُم ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

وَرَبِّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾

[٧٣] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ابْنَ اللَّهِ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، يعني: المرقسية، وفيه إضمار معناه: ثالث ثلاثة آلهة، لأنهم يقولون: الإلهية مشتركة بين الله تعالى ومريم وعيسى، وكل واحد من هؤلاء إله فهم ثلاثة آلهة، يبين هذا قوله عز وجل للمسيح: (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ؟) ثم قال ردًّا عليهم: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ﴾، ليصين، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، خص الذين كفروا لعلمه أن بعضهم يؤمنون.

[٧٤] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ؟﴾ قال الفراء: هذا أمر بلفظ الاستفهام كقوله تعالى: (فهل أنتم متتهون)، أي: انتهوا، والمعنى: أن الله يأمركم بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[٧٥] ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾، مضت، ﴿مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، أي: ليس هو بإله بل هو كالرسل الذين مضوا لم يكونوا آلهة، ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾، أي: كثيرة الصدق. وقيل: سُميت صديقة لأنها صدقت بآيات الله، كما قال عز وجل في وصفها: (وصدقت بكلمات ربها)، ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ مِنَ الطَّعَامِ﴾، أي: كانا يعيشان بالطعام والغذاء كسائر آدميين، فكيف يكون إلها من لا يقيمه إلا أكل الطعام؟! وقيل: هذا كناية عن الحدث. وذلك أن من أكل وشرب لا بد له من البول والغائط، ومن هذه صفته كيف يكون إلها؟ ثم قال: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّئْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، أي يُصرفون عن الحق.

[٧٦] ﴿قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُم ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. [٧٧] ﴿قُلْ يَتَاهِلُ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ

غَيْرَ الْحَقِّ﴾، أي: لا تتجاوزوا الحد والغلو والتقصير كل واحد منهما مذموم في الدين، وقوله: ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾، أي: في دينكم المخالف للحق، وذلك أنهم خالفوا الحق في دينهم، ثم غلوا فيه بالإصرار عليه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾، والأهواء جمع الهوى وهو ما تدعو إليه شهوة النفس ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾، يعني: رؤساء الضلالة من فريق اليهود والنصارى، والخطاب للذين كانوا في عصر النبي ﷺ نهوا عن اتباع أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم، ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، يعني: من اتبعهم على أهوائهم، ﴿وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، عن قصد الطريق، أي: بالإضلال، فالضلال الأول من الضلالة، والثاني بإضلال من اتبعهم.

[٧٨] ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾، يعني: أهل أيلة لما اعتدوا في

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١٢١

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أَتَزَلَّ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا لَهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسَقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ إِنَّكَ لَدَلَّكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ وَرُحْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

السبت، وقال داود عليه السلام: اللهم العنهم واجعلهم آية؛ فمسحوا قردة وخنازير، ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، أي: على لسان عيسى عليه السلام يعني كفار أصحاب المائدة، لما لم يؤمنوا، قال عيسى: اللهم العنهم واجعلهم آية؛ فمسحوا خنازير، ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

[٧٩] ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾، أي: لا ينهى بعضهم بعضاً ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

[٨٠] قوله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾، قيل: من اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه، ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، مشركي مكة حين خرجوا إليهم يجيشون على النبي ﷺ، وقال ابن عباس ومجاهد والحسن: منهم يعني من المنافقين يتولون اليهود، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾، بس ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة؛ ﴿أَنَّ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، غضب الله عليهم، ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

[٨١] ﴿لَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، محمد ﷺ، ﴿وَمَا أَتَزَلَّ إِلَيْهِ﴾، يعني القرآن، ﴿مَا اتَّخَذُوا لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، يعني الكفار، ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسَقُونَ﴾، أي: خارجون عن أمر الله سبحانه وتعالى.

[٨٢] قوله عز وجل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، يعني مشركي العرب، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ﴾، لم يرد به جميع النصارى لأنهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين، وأسروهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم، لا ولا كرامة لهم، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه، وقيل: نزلت في جميع اليهود وجميع النصارى، لأن اليهود أفسى قلباً والنجاشي ألبس قلباً منهم،

وكانوا أقل مظاهرة للمشركين من اليهود ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ﴾، أي: علماء، قال قطرب: القس والقسيس العالم بلغة الروم ﴿وَرُحْبَانًا﴾، الرهبان العباد أصحاب الصوامع واحدهم راهب، مثل فارس وفرسان وراكب وركبان وقد يكون واحداً وجمعه رهابين، مثل قربان وقرايين، ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا يتعظمون عن الإيمان والإذعان للحق.

[٨٣] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾، محمد ﷺ، ﴿رَأَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ﴾، تسيل، ﴿مِنَ الدَّمَاعِ وَمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء: يريد النجاشي وأصحابه قرأ عليهم جعفر بالحبشة كهيعص، فما زالوا يكون حتى فرغ جعفر من القراءة. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، يعني أمة محمد ﷺ، دليله قوله تعالى:

(لتكونوا شهداء على الناس).

[٨٤] ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ ، وذلك أن اليهود عيروهم وقالوا لهم: لِمَ آمَنتُمْ؟ فأجابوهم بهذا، ﴿وَنُطْمِعُ أَنْ يَدْخُلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ ، أي: في أمة محمد ﷺ، بيانه (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون).

[٨٥] ﴿فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ﴾ ، أعطاهم الله، ﴿بِمَا قَالُوا جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ، وإنما أنجح قولهم وعلق الثواب بالقول لا بقرانه بالإخلاص، بدليل قوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ، يعني: الموحدين المؤمنين، وقوله: (ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق)، يدل على أن الإخلاص والمعرفة بالقلب مع القول يكون إيماناً.

[٨٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيمِ﴾ .

[٨٧] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَبِيبَتْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ، يعني: اللذات التي تشتهيها النفوس، مما أحل الله لكم من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ ، ولا تجاوزوا الحلال إلى الحرام ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ .

[٨٨] ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ ، قال عبدالله بن المبارك: الحلال ما أخذه من وجهه، والطيب ما غذي وأنمي، فأما الجوامد كالطين والتراب وما لا يغذي فمكروه إلا على وجه التداوي، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ .

[٨٩] قوله عز وجل: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ ، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿عَقَّدْتُمْ﴾ بالتخفيف، وقرأ ابن عامر ﴿عاقدتم﴾ بالالف وقرأ الآخرون ﴿عَقَّدْتُمْ﴾ بالتشديد، أي: وكُدتُم، والمراد من الآية

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١٢٢

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

وَأِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنُطْمِعُ أَنْ يَدْخُلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيمِ ﴿٨٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَبِيبَتْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُمْهُمُ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

قصدم وتعدتم، ﴿فَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ ، أي: كفارة ما عقدتم الأيمان إذا حنثتم، ﴿إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ ، أي: من خير قوت عيالكم، وقال عبيدة السلماني: الأوسط الخبز والخل، والأعلى الخبز واللحم، والأدنى الخبز البحت والكل مُجَزٍ، قوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَوْتُمْهُمُ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ ، كل من لزمته كفارة اليمين فهو فيها مخير: إن شاء أطعم عشرة من المساكين، وإن شاء كساهم، وإن شاء أعتق رقبة. قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ ، إذا عجز الذي لزمته كفارة اليمين عن الطعام والكسوة وتحرير الرقبة، يجب عليه صوم ثلاثة أيام، والعجز أن لا يفضل من ماله عن قوته وقوت عياله وحاجته ما يطعم أو يكسو أو يعتق فإنه يصوم ثلاثة أيام، وقال بعضهم: إذا ملك ما يمكنه الإطعام وإن لم يفضل عن كفايته فليس له

الْبَلَاغَةُ

١٢٣

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ
مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى
رُسُلِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُغَكُمْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنَ الصِّدْقِ تَأَلُّهُ
أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْدَىٰ بَعْدَ
ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْنَلُوا الصِّدْقَ
وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَنَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَنَلَ مِنَ النَّعَمِ
يَعْلَمُكُمْ بِهِ وَاعْدِلْ فِيكُمْ هَذَا يَبْلُغُ الْكَفَّةَ أَوْ كَفَرَةَ طَعَامُ
مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقُوا وَبَالَ أَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا
سَلَفٌ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

كقوله تعالى: (فهل أنتم شاكرون)؟.

[٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾،
المحارم والمناهي، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى
رُسُلِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

[٩٣] قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الآية، سبب نزول
هذه الآية أَنَّ الصحابة رضوان الله عليهم قالوا لما
نزل تحريم الخمر: يا رسول الله كيف ياخواننا
الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون من مال
الميسر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾، وشربوا من
الخمر وأكلوا من مال الميسر ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾،
الشرك، ﴿وَأَمَنُوا﴾، وصدقوا، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
ثُمَّ اتَّقَوْا﴾، الخمر والميسر بعد تحريمهما، ﴿وَأَحْسَنُوا
ثُمَّ اتَّقَوْا﴾، ما حرم الله عليهم أكله وشربه، ﴿وَأَحْسَنُوا

الصيام﴾ ذَلِكَ، أي: ذلك الذي ذكرت، ﴿كَثْرَةً
أَيَمَنَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾، وحشتم، فإن الكفارة لا تجب
إلا بعد الحنث. قوله عز وجل: ﴿وَأَحْفَظُوا
أَيَمَنَكُمْ﴾، قيل: أراد به ترك الحلف، أي: لا
تحلفوا، وقيل: - وهو الأصح - : أراد به: إذا
حلقتم فلا تحتثوا، فالمراد منه حفظ اليمين عن
الحنث هذا إذا لم يكن يمينه على ترك مندوب أو
فعل مكروه، فإن حلف على فعل مكروه أو ترك
مندوب، فالأفضل أن يُحنث نفسه ويكفر ﴿كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

[٩٠] قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ
وَالْمَيْسِرُ﴾، أي: القمار ﴿وَالْأَنْصَابُ﴾، يعني:
الأوثان، وسميت بذلك لأنهم كانوا ينصبونها،
واحداها نصب بفتح النون وسكون الصاد، ونُصب
بضم النون مخففا ومثقلا، ﴿وَالْأَزْلَمُ﴾، يعني:
القداح التي يستقسمون بها واحداها زَلَمٌ وزلم،
﴿رِجْسٌ﴾، خبيث مستقذر، ﴿مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، من
تزيينه، ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾، رد الكناية إلى الرجس،
﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

[٩١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾، أما العداوة في الخمر
فإن الشاربين إذا سكروا عريدوا وتشاجروا، كما
فعل الأنصاري الذي شج سعد بن أبي وقاص بلحي
الجميل، وأما العداوة في الميسر، قال قتادة: كان
الرجل يقامر على الأهل والمال ثم يبقى حزينا
مسلوبا الأهل والمال مغتاظا على حرفائه،
﴿وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾، وذلك أن من
اشتغل بشرب الخمر والقمار ألهاه ذلك عن ذكر
الله، وشوش عليه صلاته كما فعل بأضياف
عبدالرحمن بن عوف، وتقدم رجل ليصلي بهم
صلاة المغرب بعدما شربوا فقرا (قل) يا أيها
الكافرون، أعبد ما تعبدون، بحذف لا، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ
مُنْتَهُونَ؟﴾ أي: انتهوا لفظه استفهام ومعناه أمر،

واختلفوا فيما لو قتله خطأ، فذهب أكثر الفقهاء إلى أن العمد والخطأ سواء في لزوم الكفارة، وقال الزهري: على المتعمد بالكتاب وعلى المخطئ بالسنة، وقال سعيد بن جبير: لا تجب كفارة الصيد بقتل الخطأ، بل يختص بالعمد. قوله عز وجل: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قُتِلَ مِنْ النَّعَمِ﴾، معناه أنه يجب عليه

مثل ذلك الصيد من النعم، وأراد به ما يقرب من الصيد المقتول شبهاً من حيث الخلقة لا من حيث القيمة، ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾، أي: يحكم بالجزاء رجلان عدلان، وينبغي أن يكونا فقيهين ينظران إلى أشبه الأشياء من النعم فيحكمان به ﴿هَذَا بَلِغُ الْكُفَّةِ﴾، أي: يهدي تلك الكفارة إلى الكعبة، فيذبحها بمكة ويتصدق بلحمها على مساكين الحرم، ﴿أَوْ كَفَّرَتْهُ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾، قال الفراء رحمه الله: العَدْلُ بالكسر:

المثل من جنسه، والعَدْلُ بالفتح: المثل من غير جنسه، وأراد به أنه في جزاء الصيد مخير بين أن يذبح المثل من النعم فيتصدق بلحمه على مساكين الحرم، وبين أن يقوم المثل دراهاً، والدراهم طعاماً فيتصدق بالطعام على مساكين الحرم، أو يصوم عن كل مُدٍّ من الطعام يوماً وله أن يصوم حيث شاء لأنه لا نفع فيه للمساكين. وقال مالك إن

لم يخرج المثل يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاماً فيتصدق به، أو يصوم، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا يجب المثل من النعم، بل يقوم الصيد فإن شاء صرف تلك القيمة إلى شيء من النعم، وإن شاء إلى الطعام فيتصدق به، وإن شاء صام عن كل نصف صاع من بر أو صاع من غيره يوماً، وقال الشعبي والنخعي جزاء الصيد على الترتيب، والآية حجة لمن ذهب إلى التخيير. قوله تعالى: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾، أي: جزاء معصيته، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ سَلَفٌ﴾، يعني: قبل التحريم، ونزول الآية، قال السدي: عفا الله عما سلف في الجاهلية، ﴿وَمَنْ عَادَ

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وقيل: معنى الأول إذا ما اتقوا الشرك، وآمنوا وصدقوا ثم اتقوا، أي: داوموا على ذلك التقوى، وآمنوا وازدادوا إيماناً، ثم اتقوا المعاصي كلها وأحسنوا، وقيل: أي: اتقوا بالإحسان وكل محسن متق، والله يحب المحسنين.

[٩٤] قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبِئْسَ مَا كَفَرْتُمْ أَن تَقُولُوا لَا يَحْكُمُ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّا لَكَاذِبُونَ﴾، الآية، نزلت عام الحديبية وكانوا محرمين ابتلاهم الله بالصيد، وكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهتموا بأخذها فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبِئْسَ مَا كَفَرْتُمْ أَن تَقُولُوا لَا يَحْكُمُ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّا لَكَاذِبُونَ﴾، يعني: الفرج والبيض وما لا يقدر أن يفر من صغار الصيد، ﴿وَرَمَاهُمْ﴾، يعني: الكبار من الصيد، ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ﴾، ليرى الله لأنه قد علمه، ﴿مَنْ يَخَافُ يُغْفِرْ لِمَاضِيهِ﴾، أي: يخاف الله ولم يره، كقوله تعالى: (الذين يخشون ربهم بالغيب) أي: يخافه فلا يصطاد في حال الإحرام ﴿فَمَنْ أَعَدَّكَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾، أي: صاد بعد تحريمه، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩٥] قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾، أي: محرمون بالحج والعمرة وهو جمع حرام، يقال: رجل حرام وامرأة حرام، وقد يكون من دخول الحرم، يقال: أحرم الرجل إذا عقد الإحرام، وأحرم إذا دخل الحرم ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً﴾، اختلفوا في هذا العمد فقال قوم: هو العمد لقتل الصيد مع نسيان الإحرام، أما إذا قتله عمدًا وهو ذاكراً لإحرامه فلا حكم عليه، وأمره إلى الله لأنه أعظم من أن يكون له كفارة، هذا قول مجاهد والحسن، وقال الآخرون: هو أن يعمد المحرم قتل الصيد ذاكراً لإحرامه فعليه الكفارة،

فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ، في الآخرة. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
انْتِقَامٍ﴾، وإذا تكرر من المحرم قتل الصيد فيتعدد
عليه الجزاء عند عامة أهل العلم.

[٩٦] قوله عز وجل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ
وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾، والمراد بالبحر جميع
المياه، قال عمر رضي الله عنه: «صيد ما اصطيد
وطعامه ما رمي به». وعن ابن عباس وابن عمر
وأبي هريرة: طعامه ما قذفه الماء إلى الساحل
مينًا. وقال قوم: هو المالح منه، وهو قول سعيد
ابن جببر وعكرمة وسعيد بن المسيب وقتادة
والنخعي، وقال مجاهد: صيده: طريه، وطعامه:
مالحه، متاعًا لكم أي: منفعة لكم، وللسيارة
يعني: المارة. قوله تعالى ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا
دُمَّتْ حُرْمًا وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، صيد
البحر حلال للمحرم، كما هو حلال لغير المحرم،
أما صيد البر فحرام على المحرم وفي الحرم،
والصيد هو الحيوان الوحشي الذي يحل أكله، أما
ما لا يحل أكله فلا يحرم بسبب الإحرام، وللمحرم
أخذه وقتله.

[٩٧] قوله عز وجل: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ
الْحَرَامَ﴾، قال مجاهد: سميت كعبة لتربيعها
والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة، قال مقاتل:
سميت كعبة لانفرادها من البناء، وقيل: سميت
كعبة لارتفاعها من الأرض، وأصلها من الخروج
والارتفاع، وسمي الكعب كعبًا لتوته وخروجه من
جانبى القدم، ومنه قيل للجارية إذا قاربت البلوغ
وخرج ثديها: تكعبت، وسمي البيت الحرام لأن
الله تعالى حرّمه وعظم حرمة. قال النبي ﷺ: «إِنَّ
اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ»^(١)، ﴿فَيَمَّا لِنَّاسٍ﴾، قرأ ابن عامر (قيمًا)
بلا ألف والآخرين قيامًا بالألف، أي: قوامًا لهم
في أمر دينهم ودنياهم، أما الدين لأن به يقوم الحج
والمناسك، وأما الدنيا فيما يُجبي إليه من الثمرات،

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١٢٤

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ
عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمَّتْ حُرْمًا وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ
قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدَّ ذَلِكَ لِنَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
وَلَوْ أَنَّ جَبْكَ كَثُرَ الْخَبِيثُ فَآتَقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَسِ
لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْتَلُوا
عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ نَسْتَلُوا عَنْهَا جِنِ يُنْزَلُ
الْقُرْءَانُ بُدِّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ
سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾
مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

وكانوا يأمنون فيه من النهب والغارة فلا يتعرض لهم
أحد في الحرم، قال الله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا
جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم؟)
﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾، أراد به الأشهر الحرم، وهي ذو
القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، أراد أنه جعل
الأشهر الحرم قياماً للناس يأمنون فيها القتال،
﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدَّ﴾، أراد أنهم كانوا يأمنون بتقليد
الهدى، فذلك القوام فيه، ﴿ذَلِكَ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ﴾، فإن قيل: أي اتصال لهذا الكلام بما قبله؟
قيل: أراد الله عز وجل جعل الكعبة قياماً للناس
لأن الله تعالى يعلم صلاح العباد كما يعلم ما في
السموات وما في الأرض، وقال الزجاج: قد سبق
(١) رواه البخاري في المغازي ٢٦/٨ ومسلم (١٣٥٣)
بنحوه في الحج، والمصنف في شرح السنة ٢٩٤/٧.

البعير الذي يُسَيَّب، وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية كان إذا مرض أو غاب له قريب نذر فقال: إن شفاني الله تعالى أو شفي مريض أو عاد غائبي فناقتي هذه سائبة، ثم يسيبها فلا تحبس عن رعي ولا ماء ولا يركبها أحد فكانت بمنزلة البحيرة، وأما الوصيلة: فمن الغنم كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نظروا فإن كان السابع ذكراً ذبحوه، فأكل منه الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تركوها في الغنم، وإن كان ذكراً وأنثى استحياوا الذكر من أجل الأنثى، وقالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوه، وكان لبن الأنثى حراماً على النساء، فإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعاً، وأما الحام: فهو الفحل إذا رُكب ولد ولده، ويقال: إذا نتج من صلبه عشرة أبطن، قالوا: حُمي ظهره فلا يُركب ولا يُحمل عليه ولا يُمنع من كلاً ولا ماء، فإذا مات أكله الرجال والنساء ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، في قولهم الله أمرنا بها، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

[١٠٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَقَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾، في تحليل الحرث والأنعام وبيان الشرائع والأحكام، ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَدَّعْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، من الدين، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

[١٠٥] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وتضعونها في غير موضعها ولا تدرون ما هي. وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه»^(١) وفي رواية: «التأمرن

(١) أخرجه أبو داود في الملاحم ١٨٧/٦، والترمذي في الفتن ٣٨٨/٦ وقال حسن صحيح، والمصنف في شرح =

في هذه السورة الإخبار عن الغيوب والكشف عن الأسرار، مثل قوله: (سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لقوم آخرين)، ومثل إخباره بتحريفهم الكتب ونحو ذلك، فقوله: (ذلك لتعلموا أَنَّ الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) راجع إليه.

[٩٨] ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾.

[٩٩] ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَعُ﴾، التبليغ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾، أي: الحلال والحرام، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾، سرّك، ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، ولا تتعرضوا للحجاج وإن كانوا مشركين ﴿يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْقَهُونَ﴾.

[١٠١] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ سَأُولُكُمْ﴾ أي: إن تظهر لكم تسؤلكم، أي: إن أمرتم بالعمل بها ﴿وَأَنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ بُدِّ لَكُمْ﴾، معناه صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض أو نهى أو حكم، وليس في ظاهره شرح ما بكم إليه حاجة ومست حاجتكم إليه، فإذا سألتكم عنها حينئذ بُدِّ لكم، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

[١٠٢] ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾، كما سألت ثمود صالِحاً الناقة وسأل قوم عيسى المائدة، ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾، فأهلكوا، قال أبو ثعلبة الخشني: إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها وحد حدوداً فلا تعتدوها، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها.

[١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَيِّعَةٍ﴾ أي: ما أنزل الله ولا أمر به، ﴿وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾، قال ابن عباس: البحيرة هي الناقة التي كانت إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذننها، أي: شقوها وتركوا الحمل عليها ولم يركبوها، ولم يجرؤا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلاء، وقال أبو عبيدة: السائبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ
لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلُّ إِذَا أَهْتَدْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنْ مَرْجِعِكُمْ جَمِيعًا
فَإِنْ نَبَيْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتَهُ ضَرْبُيْكُمْ فِي الْأَرْضِ
فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الْوَصَاةِ
فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ شَتًّا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى
وَلَا تَكُنْ شَهَادَةُ اللَّهِ إِنَّا إِذَا الْمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُرِضَ
أَنْتَهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ
اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدْنَا أَحَقَّ
مِنْ شَهَدْتُهُمَا وَمَا عَدَّتْ بَيْنَا إِذَا الْمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ
أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهَيْهَا أَوْ يَحَاوُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ
أَيْمَنِهِمْ وَأَنْتَقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

بالمعروف ولتتهوّن عن المنكر أو ليسلطن الله سبحانه وتعالى عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب، ثم ليدعون الله عز وجل خياركم فلا يُستجاب لكم»^(١)، قال أبو عبيدة: خاف الصديق أن يتأول الناس الآية غير متأولها فيدعوهم إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأعلمهم أنها ليست كذلك وأن الذي أذن في الإمساك عن تغييره من المنكر، هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من أجل أنهم يتدينون به، وقد صولحوها عليه، فأما الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام فلا يدخل فيه، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: الآية في اليهود والنصارى، يعني: عليكم أنفسكم لا يضرركم من ضل من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم، وعن ابن عباس قال في هذه الآية: مروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر ما قبل منكم فإن رد عليكم فعليكم أنفسكم، قوله عز وجل: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾، الضال والمهتدي، ﴿فَيَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

الآية، فقال النخعي وجماعة: هي منسوخة وكانت شهادة أهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت، وذهب قوم إلى أنها ثابتة، وقالوا: إذا لم نجد مسلمين فنشهد كافرين، وقال شريح: من كان بأرض غربة ولم يجد مسلماً يُشْهده على وصيته فأشهد كافرين على أي دين كانا من دين أهل الكتاب أو عبدة الأوثان، فشهادتهم جائزة، ولا تجوز شهادة كافر على مسلم إلا على وصية في سفر، وقال آخرون: قوله ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ أي: من حي الموصي أو آخران من غير حيكم وعشيرتكم، وهو قول الحسن والزهري وعكرمة، وقالوا: لا

[١٠٦] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾، أي: ليشهد اثنان، لفظه خبر ومعناه أمر، وقيل: إن معناه: أن الشهادة فيما بينكم على الوصية عند الموت اثنان، واختلفوا في هذين الاثنين، فقال قوم: هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي، وقال الآخرون: هما الوصيان ولا يلزم الشاهد يمين، وجعل الوصي اثنين تأكيداً، فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور، كقولك: شهدت وصية فلان، بمعنى حضرت، قال الله تعالى: (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)، يريد الحضور، ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ أي: أمانة وعقل، ﴿مِنْكُمْ﴾، أي: من أهل دينكم يا معشر المؤمنين، ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾، أي: من غير دينكم وملتكم في قول أكثر المفسرين ثم اختلف هؤلاء في حكم

= السنة ٣٤٤/١٤، وصححه ابن حبان ص ٤٥٥.

(١) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير، وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، وأشار لحسنه، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٩٢/١٣.

ورثة الميت استحق الحالفان بسببهم الإثم و(على) بمعنى في، كما قال الله: (على ملك سليمان)، وقرأ حفص (استحق) بفتح التاء والحاء، وهي قراءة علي والحسن، أي: حق ووجب عليهم الإثم، يقال: حق واستحق بمعنى واحد، ﴿الْأُولَئِينَ﴾، نعت للآخران، أي: فآخران الأوليان، وإنما جاز ذلك و(الأوليان) معرفة والآخران نكرة لأنه لما وصف الآخران، فقال (من الذين) صار كالمعرفة في المعنى و(الأوليان) تشية الأولى، والأولى هو الأقرب، وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم ويعقوب (الْأُولَئِينَ) بالجمع فيكون بدلاً من الذين، والمراد منهم أيضاً أولياء الميت، ومعنى الآية: إذا ظهرت خيانة الحالفين يقوم اثنان آخران من أقارب الميت، ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَيْهِمَا﴾، يعني: يميننا أحق من يمينهما، نظيره قوله تعالى في اللعان: (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله) والمراد بها الأيمان، فهو كقول القائل: أشهد بالله، أي: أقسم بالله، ﴿وَمَا أَكْذَبْنَا﴾، في أيماننا، وقلنا أن شهادتنا أحق من شهادتهما، ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ والوصي إذا أخذ شيئاً من مال الميت وقال: إنه أوصى لي به، حلف الوارث إذا أنكر ذلك، وكذلك لو ادعى رجل سلعة في يد رجل فاعترف ثم ادعى أنه اشتراها من المدعي، حلف المدعي أنه لم يبيعها منه.

[١٠٨] ﴿ذَلِكَ أَدَّى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا﴾، ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين أجدراً وأحرى أن يأتي الوصيان بالشهادة على وجهها وسائر الناس أمثالهم، أي: أقرب إلى الإتيان بالشهادة على ما كانت، ﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾، أي: أقرب إلى أن يخافوا رد اليمين بعد يمينهم على المدعي، فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا هذا الحكم،

تجوز شهادة كافر في شيء من الأحكام، ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾، سرتهم وسافرتهم، ﴿فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْتُمْ مِصْبَةً الْمَوْتِ﴾، فأوصيتهم إليهما ودفعتم إليهما مالكم فاتهمتكما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه أن، ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾، أي: تستوقفونهما، ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾، أي: بعد الصلاة، و(من) صلة يريد بعد صلاة العصر لأن جميع أهل الأديان يعظمون ذلك الوقت، ويجتنبون فيه الحلف الكاذب، وقال السدي: من بعد صلاة أهل دينهما وملتهما لأنهما لا يباليان بصلاة العصر، ﴿فَيَقْسِمَانِ﴾، يحلفان، ﴿يَاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾، أي: شككتم ووقعت لكم الريبة في قول الشاهدين وصدقهما، أي: في قول اللذين ليسا من أهل ملتكم، فإن كانا مسلمين فلا يمين عليهما، ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾، أي: لا نحلف بالله كاذبين على عوض نأخذه أو مال نذهب به أو حق نجحده، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾، ولو كان المشهود له ذا قرابة مثلاً، ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ أضاف الشهادة إلى الله لأنه أمر بإقامتها ونهى عن كتمانها، وقرأ يعقوب ﴿شَهَادَةً﴾، بتنوين، ﴿اللَّهُ﴾ ممدود، وجعل الاستفهام عوضاً من حرف القسم، ويروى عن أبي جعفر ﴿شَهَادَةً﴾ منونة ﴿اللَّهُ﴾ بقطع الألف وكسر الهاء من غير استفهام على ابتداء اليمين، أي: والله، ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثَمِينَ﴾، أي: إن كتمانها كتمان الآثمين.

[١٠٧] ﴿فَإِنْ عُرِّيَ﴾، أي: اطلع على خيانتها، وأصل العثور: الوقوع على الشيء، ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا﴾، يعني: الوصيين ﴿أَسْتَحَقَّ﴾، استوجبا ﴿إِثْمًا﴾، بخيانتها وبأيمانها الكاذبة، ﴿فَتَأْخِرَانِ﴾، من أولياء الميت، ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾، يعني: مقام الوصيين، ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ﴾، بضم التاء على المجهول، هذا قراءة العامة، يعني: الذين استحق، ﴿عَلَيْهِمْ﴾، أي: فيهم ولأجلهم الإثم وهم

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، أن تحلفوا أيمانًا كاذبة أو تخونوا الأمانة ﴿وَأَسْمِعُوا﴾، الموعظة، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[١٠٩] قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾، وهو يوم القيامة، ﴿فَيَقُولُ﴾، لهم، ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾، أي: ما الذي أجابكم أمكم؟ وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتهم إلى توحيدى وطاعتي؟ ﴿قَالُوا﴾، أي: فيقولون، ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾، قال ابن عباس معناه: لا علم لنا إلا العلم الذي أنت أعلم به منا، وقيل: لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك إيتانا عن أمر أنت أعلم به منا، وقال ابن جريج: لا علم لنا بعاقبة أمرهم وبما أحدثوا من بعد، دليله أنه قال: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾، أي: أنت الذي تعلم ما غاب ونحن لا نعلم إلا ما نشاهد.

[١١٠] قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾، قال الحسن: ذكر النعمة شكرها، وأراد بقوله (نعمتي)، أي: نعمي لفظه واحد ومعناه جمع، كقوله تعالى: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)، ﴿وَعَلَىٰ وَلَدِكَ﴾، مريم، ثم ذكر النعم فقال: ﴿إِذْ آتَيْنَاكَ﴾، قوتك، ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، يعني جبريل عليه السلام، ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾، يعني: وتكلم الناس، ﴿فِي الْهَيْدِ﴾، صبيًا، ﴿وَكَهْلًا﴾، نبيًا قال ابن عباس: أرسله الله وهو ابن ثلاثين سنة، فمكث في رسالته ثلاثين شهرًا ثم رفعه الله إليه، ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ﴾، يعني الخط، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، يعني: العلم والفهم، ﴿وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ﴾، تجعل وتصور، ﴿مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾، كصورة الطير، ﴿يَإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا﴾، حيًا يطير، ﴿يَإِذْنِي وَتَبْرَأُ﴾، وتصحح، ﴿الْأَكْصَىٰ وَالْأَبْرَصَ يَإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾، من قبورهم أحياء، ﴿يَإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ﴾، منعت وصرفت، ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، يعني اليهود، ﴿عَنْكَ﴾، حين هموا بقتلك، ﴿إِذْ

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدِكَ إِذْ آتَيْنَاكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْهَيْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ يَإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يَإِذْنِي وَتَبْرَأُ الْأَكْصَىٰ وَالْأَبْرَصَ يَإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ يَإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جَعَلْتَ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَابْنًا مَّا نَشَاءُ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُولُ اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نَرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَلَعَلَّكُمْ أَنْ تَصَدَّقْتُمْ وَتَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

جَعَلْتُمْ بِالْيَتِيمَاتِ﴾، يعني: بالدلالات الواضحات والمعجزات، وهي التي ذكرنا، وسميت بالبينات لأنها مما يعجز عنها سائر الخلق الذين ليسوا بمرسلين، ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا﴾، ما هذا، ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، يعني: ما جاءهم به من البينات، قرأ حمزة والكسائي (ساحر مبين) ها هنا وفي سورة هود والصف، فيكون راجعًا إلى عيسى عليه السلام، وفي هود يكون راجعًا إلى محمد ﷺ.

[١١١] ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾، ألهمتهم وقذفت في قلوبهم، وقال أبو عبيدة: يعني أمرت (إلى) صلة، والحواريون خواص أصحاب عيسى عليه السلام، ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾، عيسى، ﴿قَالُوا﴾ حين وفقتهم ﴿آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. [١١٢] ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ

نزداد إيمانًا و يقينًا، وقيل: إن عيسى عليه السلام أمرهم أن يصوموا ثلاثين يومًا فإذا فطروا لا يسألون الله شيئًا إلا أعطاهم، ففعلوا وسألوا المائدة، وقالوا: ونعلم أن قد صدقتنا في قولك، إنا إذا صمنا ثلاثين يومًا لا نسأل الله تعالى شيئًا إلا أعطانا، ﴿وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، الله بالوحدانية والقدرة، ولك بالنبوة والرسالة، وقيل: ونكون من الشاهدين لك عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم.

[١١٤] ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، عند ذلك، ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾، أي: عائدة من الله علينا حجة وبرهانًا، والعيد: يوم السرور، سمي به للعود من الترح إلى الفرح، وهو اسم لما اعتدته ويعود إليك، وسمي يوم الفطر والأضحى عيدًا لأنهما يعودان في كل سنة، قال السدي: معناه نتخذ اليوم الذي أنزلت فيه عيدًا لأولنا وآخرنا، أي: نعظمه نحن ومن بعدنا، وقال سفيان: نصلي فيه، قوله (لأولنا) أي: لأهل زماننا وآخرنا، أي: لمن يحيى بعدنا، وقال ابن عباس: يأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم، ﴿وَأَيَّاهُ مَنَّكَ﴾، دلالة وحجة، ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

[١١٥] ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ تعالى مجيبًا لعيسى عليه السلام، ﴿إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، يعني المائدة، وقرأ أهل المدينة وابن عامر وعاصم (مُنْزِلُهَا) بالتشديد لأنها نزلت مرات والتفعيل يدل على التكرير مرة بعد أخرى، وقرأ الآخرون بالتخفيف لقوله أنزل علينا، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ﴾، أي: بعد نزول المائدة ﴿فَإِنَّ أَعْدَابَهُ عَذَابٌ﴾، أي: جنس عذاب، ﴿لَا أَعْدَابُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، يعني: عالمي زمانه، فجحد القوم وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا قرده وخنازير.

[١١٦] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبِي ابْنُ

يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قرأ الكسائي (هَلْ تَسْتَطِيعُ) بالتاء (رَبُّكَ) بنصب الباء وهو قراءة علي وعائشة وابن عباس ومجاهد، أي: هل تستطيع أن تدعو وتسأل ربك، وقرأ الآخرون (يَسْتَطِيعُ) بالياء و(رَبُّكَ) برفع الباء، ولم يقولوه شاكين بقدرة الله عز وجل ولكن معناه هل ينزل ربك أم لا؟ كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تنهض معي؟ وهو يعلم أنه يستطيع، وإنما يريد هل يفعل ذلك أم لا، وقيل: يستطيع بمعنى يطيع، يقال: أطاع واستطاع بمعنى واحد، كقوله، أجاب واستجاب، معناه: هل يعطيك ربك بإجابة سؤالك؟ وفي الآثار من أطاع الله أطاعه الله، وأجرى بعضهم على الظاهر، فقالوا: غلط القوم، وقالوه قبل استحكام المعرفة وكانوا بشرًا، فقال لهم عيسى عليه السلام عند الغلط استعظما لقولهم: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين، أي: لا تشكوا في قدرته، ﴿أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾، المائدة: الخوان الذي عليه الطعام، وهي فاعلة من: مائدة يميده إذا أعطاه وأطعمه، كقوله ماره يميده، وامتار افتعل منه، والمائدة هي المطعمة للآكلين الطعام، وسمي الطعام أيضًا مائدة على الجواز، لأنه يؤكل على المائدة، وقال أهل الكوفة: سُميت مائدة لأنها تميد بالآكلين، أي: تميل، وقال أهل البصرة: فاعلة بمعنى المفعولة، يعني ميد بالآكلين إليها، كقوله تعالى: (عيشة راضية) أي: مرضية، ﴿قَالَ﴾ عيسى عليه السلام مجيبًا لهم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فلا تشكوا في قدرته، وقيل: اتقوا الله أن تسألوه شيئًا لم يسأله الأمم قبلكم، فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان.

[١١٣] ﴿قَالُوا نُزِذُكَ﴾، أي: إنما سألنا لأننا نريد، ﴿أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾، أكل تبرك لا أكل حاجة فنستيقن قدرته، ﴿وَنَطْمِئِنَّ﴾، وتسكن، ﴿فَلَوْبِئْنَا وَنَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَّقَتْنَا﴾، بأنك رسول الله، أي:

الْحَمْدُ لِلَّهِ

١٢٧

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ اللَّهُ ابْنِي مَرْيَمَ عَلَيْكَ سَلَامٌ مِمَّنْ يَكْفُرُ بِعَدُوِّ
مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٧﴾
وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَحْيَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمَّيَ إِلَهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٨﴾ مَا
قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ
عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٩﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ
وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٠﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ
يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢١﴾
لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٢﴾

طلب المغفرة لهم وهم كفار؟ وكيف قال: وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، وهذا لا يليق بسؤال المغفرة؟ قيل: أما الأول فمعناه إن تعذبهم بإقامتهم على كفرهم وإن تغفر لهم بعد الإيمان وهذا يستقيم بعد الإيمان.

وقيل: هذا في الفريقين منهم معناه إن تعذب من كفر منهم وإن تغفر لمن آمن منهم.

وقيل: ليس هذا على وجه طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال: فإنك أنت الغفور الرحيم، ولكنه على تسليم الأمر وتفويضه إلى مراده.

وأما السؤال الثاني فكان ابن مسعود رضي الله عنه يقرأ وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، وكذلك هو في مصحفه، وأما على القراءة المعروفة قيل فيه تقديم وتأخير تقديره: إن تغفر لهم فإنهم عبادك وإن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم.

مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿١١٦﴾ واختلفوا في أن هذا القول متى يكون، فقال السدي: قال الله تعالى هذا القول لعيسى عليه السلام حين رفعه إلى السماء لأن حرف (إِذْ) يكون للماضي، وقال سائر المفسرين: إنما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله من قبل: (يوم يجمع الله الرسل)، وقال من بعد هذا: (يوم ينفع الصادقين صدقهم)، وأراد بهما يوم القيامة، وقد تجيء إِذْ بمعنى إِذَا كقوله عز وجل: (ولو ترى إِذْ فزعوا) أي: إِذَا فزعوا يوم القيامة، والقيامة وإن لم تكن بعد ولكنها كالكائنة لأنها آتية لا محالة، قوله: (أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)؟ فإن قيل: فما وجه هذا السؤال عنه مع علم الله عز وجل أن عيسى لم يقله؟ قيل هذا السؤال عنه لتوبيخ قومه وتعظيم أمر هذه المقالة، كما يقول القائل لآخر: أفعلت كذا وكذا فيما يعلم أنه لم يفعله إعلامًا واستعظامًا لا استخبارًا واستفهامًا، وأيضًا أراد الله عز وجل أَنْ يَقْرَءَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ نَفْسِهِ بِالْعِبَادِيَّةِ، فيسمع قومه منه ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك، قال أبو روق: وإذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب أرعدت مفاصله ثم يقول مجيبًا لله عز وجل: ﴿قَالَ سُبْحَنَكَ﴾، تنزيها وتعظيمًا لك ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾، ما كان وما يكون.

[١١٧] ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، وحذوه ولا تُشركوا به شيئًا، ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ﴾، وأقمت، ﴿فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، قبضتني ورفعني إليك، ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ والحفيظ عليهم تحفظ أعمالهم، ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

[١١٨] قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فإن قيل كيف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ
تَمُرُّونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ
آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَالَهُمْ
ثَمَرٌ لَمْ يَكْمُرُوا وَرَأَيْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَازًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ قُرَاطِسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلْ
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

عنهما: افتتح الله الخلق بالحمد، فقال: (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض)، وختمه بالحمد فقال: (وقضي بينهم بالحق)، أي: بين الخلائق، وقيل: (الحمد لله رب العالمين). قوله: (الحمد لله) حمد الله نفسه تعليمًا لعباده، أي: احمداوا الله الذي خلق السموات والأرض، خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد وفيهما العبر والمنافع للعباد، ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾، والجعل بمعنى الخلق، وقال الواقدي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فهو الكفر والإيمان إلا في هذه الآية فإنه يريد بهما الليل والنهار، وقال الحسن: وجعل الظلمات والنور يعني الكفر والإيمان، وقيل: أراد بالظلمات الجهل والنور العلم، وقال قتادة: يعني الجنة والنار، وقيل: معناه خلق الله السموات والأرض، وقد جعل

وقيل: معناه إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز في الملك الحكيم في القضاء لا ينقص من عزك شيء، ولا يخرج من حكمك شيء، ويدخل في حكمته ومغفرته وسعة رحمته ومغفرته الكفار، ولكنه أخبر أنه لا يغفر وهو لا يخلف خبره.

[١١٩] ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾، قرأ نافع (يوم) بنصب الميم، يعني: تكون هذه الأشياء في يوم، فحذف في فانتصب، وقرأ الآخرون بالرفع على أنه خبر (هذا)، أي: ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة، ولو كذبوا ختم الله على أفواههم ونطقت به جوارحهم فانتضحوا، وقيل: أراد بالصادقين النبيين، وقال الكلبي: ينفع المؤمنين إيمانهم، قال قتادة: متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام، وهو ما قص الله، وعدو الله إبليس، وهو قوله: (وقال الشيطان لما قضي الأمر)، الآية. فصدق عدو الله يومئذ، وكان قبل ذلك كاذبًا فلم ينفعه صدقه، وأما عيسى عليه السلام فكان صادقًا في الدنيا والآخرة، فنفعه صدقه، وقال عطاء: هذا يوم من أيام الدنيا لأن الدار الآخرة دار جزاء لا دار عمل، ثم بين ثوابهم فقال: ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٢٠] ثم عظم نفسه فقال: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٦) سُورَةُ الْأَنْعَامِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، قال كعب الأحبار: هذه الآية أول آية في التوراة، وآخر آية في التوراة قوله: (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا) الآية: وقال ابن عباس رضي الله

محمد بن جرير: معناه وهو الله في السماوات يعلم سرهم وجهركم في الأرض، وقال الزجاج: فيه تقديم وتأخير وتقدير: وهو الله، ﴿يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَجَهْرَهُمْ﴾، في السماوات والأرض، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُكْسِبُونَ﴾ يعملون من الخير والشر.

[٤] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾، يعني: أهل مكة، ﴿مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، مثل انشقاق القمر وغيره، وقال عطاء: يريد من آيات القرآن، ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾، لها تاركين بها مكذبين.

[٥] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾، بالقرآن، وقيل: بمحمد ﷺ، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْتَؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أي: أخبار استهزائهم وجزاؤه، أي: سيعلمون عاقبة استهزائهم إذا عذبوا.

[٦] قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾، يعني: الأمم الماضية، والقرن: الجماعة من الناس، وجمعه قرون، وقيل: القرن: مدة من الزمان، يقال: ثمانون سنة، وقيل: ستون سنة، وقيل: أربعون سنة، وقيل: ثلاثون سنة، ويقال: مائة سنة، لِمَا رُوي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ الْمَازِنِيِّ: «إِنَّكَ تَعِيشُ قَرْنًا»^(١) فعاش مائة سنة، فيكون معناه على هذه الأقاويل من أهل قرن، ﴿مَكَتَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمُ﴾، أي: أعطيتهم ما لم نعطيكم، وقال ابن عباس: أمهلناهم في العمر مثل قوم نوح وعاد وثمود، يقال: مكَّته ومكَّنْهُ له، ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ يعني: المطر، ومفعال، من الدَّر، قال ابن عباس: مدرارًا أي: مُتتابعًا في أوقات الحاجات، وقوله: ﴿مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمُ﴾ من خطاب التلوين، رجع من الخبر من قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ إلى خطاب، كقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾، وقال أهل البصرة: أخبر عنهم بقوله ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الصغير ص ٩٣ وانظر الإصابة ٢٣/٤ وأسد الغابة ١٢٥/٣.

الظلمات والنور، لأنه قد خلق الظلمة والنور قبل السموات والأرض، قال قتادة: خلق الله السموات قبل الأرض، وخلق الظلمة قبل النور، والجنة قبل النار ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، أي: ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون، أي: يشركون، وأصله من مساواة الشيء بالشيء، ومنه العدل، أي: يعدلون بالله غير الله تعالى، يقال: عدلت هذا بهذا إذا ساويته، وبه قال النضر بن شميل، الباء بمعنى عن، أي عن ربهم، يعدلون أي يميلون وينحرفون من العدول.

[٢] قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾، يعني آدم عليه السلام، خاطبهم به إذ كانوا من ولده ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾، قال الحسن وقاتدة والضحاك: الأجل الأول من الولادة إلى الموت، والأجل الثاني من الموت إلى البعث، وهو البرزخ، وروى ذلك عن ابن عباس، وقال: لكل أحد أجلان أجل من الولادة إلى الموت وأجل من الموت إلى البعث، فإن كان برًا تقيًا وصولًا للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر، وإن كان فاجرًا قاطعًا للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث، وقال مجاهد وسعيد بن جبير، الأجل الأول أجل الدنيا، والأجل الثاني أجل الآخرة، وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ يعني: النوم قبض فيه الروح ثم ترجع عند اليقظة، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾، هو أجل الموت، وقيل: هما واحد معناه: ثم قضى أجلًا يعني جعل لأعماركم مدة تنتهون إليها، وأجل مسمى عنده يعني: وهو أجل مسمى عنده لا يعلمه غيره، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ﴾، تشكون في البعث.

[٣] قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾، يعني: وهو إله السموات والأرض، كقوله: (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله)، وقيل: هو المعبود في السموات، وقال

وفيهم محمد ﷺ وأصحابه، ثم خاطبهم معهم، والعرب تقول: قلت لعبد الله ما أكرمه، وقلت، لعبد الله ما أكرمك، ﴿وَجَعَلْنَا الْآنَهَارَ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا خَلْقًا وَابْتَدَأْنَا، ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾.

[٧] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَانٍ﴾ الآية، قال الكلبي ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد، قالوا: يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنتك رسوله، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَانٍ﴾ مكتوبًا من عنده، ﴿فَلَسَوْهُ بِأَيِّدِهِمْ﴾، أي: عاينوه ومسوه بأيديهم، وذكر اللبس ولم يذكر المعاينة لأن اللبس أبلغ في إيقاع العلم من المعاينة، فإن السحر يجري على المرئي ولا يجري على الملموس، ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، معناه: أنه لا ينفع معهم شيء لما سبق فيهم من علمي.

[٨] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾، على محمد ﷺ، ﴿مَلَكٌ وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾، أي: لوجب العذاب، وفرغ من الأمر، وهذا سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية فأنزلت ثم لم يؤمنوا استؤصلوا بالعذاب، ﴿ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾، أي: لا يؤجلون ولا يمهلون، وقال قتادة، لو أنزلنا ملكًا ثم لم يؤمنوا لعجل لهم العذاب ولم يؤخروا طرفة عين، وقال مجاهد: لقضي الأمر أي لقامت القيامة، وقال الضحاك: لو أتاهم ملك في صورته لماتوا.

[٩] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا﴾، يعني: لو أرسلنا إليهم ملكًا، ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾، يعني في صورة رجل آدمي، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ

[١٠] ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾، كما استهزئ بك يا محمد - يُعْزِي نبيه ﷺ - ﴿فَحَقَّ﴾، قال الربيع بن أنس: فنزل، وقال عطاء: حلّ، وقال الضحاك: أحاط، ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أي: جزاء استهزائهم من العذاب والنقمة.

[١١] ﴿قُلْ﴾، يا محمد لهؤلاء المكذبين المستهزئين، ﴿سَيُؤْذَوْنَ فِي الْأَرْضِ﴾، معتبرين، يُحْتَمَل هذا: السير بالعقول والفكر، ويحتمل السير بالأقدام، ﴿ثُمَّ أُنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾، أي: جزاء أمرهم وكيف أورثهم الكفر والتكذيب الهلاك، يُحَذَّر كفار مكة عذاب الأمم الخالية.

[١٢] قوله عز وجل: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فإن أجابوك وإلا فـ ﴿قُلْ﴾، أنت، ﴿لِلَّهِ﴾، أمره بالجواب عقب السؤال ليكون أبلغ في التأكيد وأكد في الحجة، ﴿كُتِبَ﴾، أي: قضى، ﴿عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾، هذا استعطاف منه تعالى للمتولين عنه إلى الإقبال عليه وإخبار بأنه رحيم بالعباد لا يعجل بالعقوبة، ويقبل الإنابة والتوبة ﴿لِيَجْمَعَنَّهُمْ﴾، اللام فيه لام القسم والنون نون التأكيد مجازة: والله ليجمعنكم، ﴿إِلَّا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، أي: في يوم القيامة، وقيل: معناه ليجمعنكم في قبوركم إلى يوم القيامة، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا﴾، غبنوا، ﴿أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

سورة الأنعام

١٢٩

سورة الأنعام

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَنًا
يَلْبِسُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ أَسْنَهَزْنِي رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢﴾
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣﴾ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ
كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
﴿٥﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
﴿٦﴾ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْبَدُ وَلِيَا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ
وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْأَلُ وَلَا
تَكُونُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٨﴾ مَن يُصِرَّ عَنْهُ يَوْمَ مِيزٍ فَقَدْ
رَحِمَهُ، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَمِيمُ ﴿٩﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ
فَلَا كَاشِفَ لَهُ، إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١١﴾

[١٣] ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، أي: استقر، قيل: أراد ما سكن وما تحرك، كقوله: (سرايل تقيكم الحر) أي: الحر والبرد، وقيل: إنما خصّ السكون بالذكر لأن النعمة فيه أكثر، وقال محمد بن جرير: كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار، والمراد منه جميع ما في الأرض وقيل: معناه: وله ما يمرّ عليه الليل والنهار، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾، لأصواتهم، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأسرارهم.

[١٤] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْبَدُ وَلِيَا؟﴾ وهذا حين دعي إلى دين آبائه، فقال تعالى: قل يا محمد أغير الله أتخذ وليًا، ربًا ومعبودًا وناصرًا ومعينًا؟ ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: خالقهما ومبدعهما ومبتديهما، ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾، أي: وهو يرزق ولا يُرزق، كما قال: (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون). ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْأَلُ﴾، يعني: من هذه الأمة، والإسلام بمعنى الاستسلام لأمر الله، وقيل: أسلم أخلص، ﴿وَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، يعني: وقيل لي ولا تكونن، ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٥] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾، فعبدت غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، يعني عذاب يوم القيامة. [١٦] ﴿مَن يُصِرَّ عَنْهُ﴾، يعني: من يصرف العذاب عنه، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويعقوب (يُصِرُّ) بفتح الياء وكسر الراء، أي: من يصرف الله عنه العذاب فقد رحمه، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء، ﴿يَوْمِ مِيزٍ﴾، يعني: يوم القيامة، ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَمِيمُ﴾، أي: النجاة البينة.

[١٧] قوله عز وجل ﴿وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ﴾، لا رافع، ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ﴾، عافية ونعمة، ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، من الخير والضرر. عن ابن عباس قال: أهدى للنبي ﷺ

بغلة، أهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر، ثم أردفني خلفه، ثم سار بي مليًا ثم التفت إلي فقال: يا غلام، فقلت: لبيك يا رسول الله، قال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد الخلائق أن ينفكوك بما لم يقضه الله تعالى لك لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله تعالى عليك، ما قدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين، فافعل فإن لم تستطع فاصبر فإن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرًا»^(١).

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٠٧/١ والترمذي في القيامة ٢١٩/٧ وقال حديث حسن صحيح.

[١٨] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، القاهر الغالب، وفي القهر زيادة معنى على القدرة، وهي منع غيره عن بلوغ المراد، وقيل: هو المنفرد بالتدبير يُجبرُ الخلق على مُرادِهِ ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾، في أمرِهِ، ﴿الْحَيُّ﴾، بأعمال عباده.

[١٩] قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَشْءٌ أَكْبَرُ شَهَدَةً؟﴾ الآية، قال الكلبي: أتى أهل مكة رسول الله ﷺ فقالوا: أرنا من يشهد أنك رسول الله فإننا لا نرى أحداً يصدقك، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس عندهم ذكر، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ أَشْءٌ أَكْبَرُ شَهَدَةً؟﴾ فإن أجابوك، وإلا ﴿قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، على ما أقول، ويشهد لي بالحق وعليكم بالباطل، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾، لأخوفكم به يا أهل مكة، ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾، ومن بلغه القرآن من العجم وغيرهم من الأمم إلى يوم القيامة.

عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(١) قال مقاتل: ومن بلغه القرآن من الجن والإنس فهو نذير له، وقال محمد بن كعب القرظي: من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً ﷺ وسمع منه، ﴿أَيُّكُمْ لَشَّهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى؟﴾ ولم يقل آخر لأن الجمع يلحقه التانيث، كقوله عز وجل: (ولله الأسماء الحسنَى فادعوه بها)، وقال: (فما بال القرون الأولى)، ﴿قُلْ﴾، يا محمد إن شهدتم أنتم، ف﴿لَا أَشْهَدُ﴾، أنا أن معه إلهاً، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

[٢٠] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾، يعني: التوراة والإنجيل، ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾، يعني: محمداً ﷺ بنعته وصفته، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾، من بين الصبيان. ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا﴾، غبنوا ﴿أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وذلك أن الله جعل

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١٣٠

الْأَنْعَامِ

قُلْ أَشْءٌ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْكُمْ لَشَّهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اللَّهُ رَسِئًا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيَّ أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً إِلَهِيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطُورُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَهْتَوُونَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَنْتَوِينَا تُرْدُّ وَلَا تُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَكَانُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

لكل آدمي منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة، ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار، وذلك الخسران.

[٢١] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أكفر ﴿يَمِّنْ أَفْتَرَى﴾، اختلق ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، فأشرك به غيره، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾، يعني: القرآن، ﴿إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، الكافرون.

[٢٢] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾، أي: العابدين والمعبودين، يعني: يوم القيامة، قرأ يعقوب (يحشرهم) هنا، وفي سبأ بالياء، ووافق حفص في سبأ، وقرأ الآخرون بالنون. ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، أنها تشفع

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء ٤٩٦/٦ والمصنف في شرح السنة ٢٤٣/١.

لكم عند ربكم.

يعلموه، قيل: معناه أن لا يفقهوه، وقيل: كراهة أن يفقهوه، ﴿وَفِي عَادَاتِهِمْ وَقَرًا﴾، صمماً وثقلاً، وهذا دليل على أن الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى، ويجعل بعضها في أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن، ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةً﴾، من المعجزات والدلالات، ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، يعني أحاديثهم وأقاصيصهم، والأساطير جمع: أسطورة، وإسطارة، وقيل: الأساطير هي الثُّرَاث والأباطيل، وأصلها من سطرت، أي: كُتبت.

[٢٦] ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي: ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ ﴿وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ﴾، أي: يتباعدون عنه بأنفسهم، نزلت في كفار مكة، قاله محمد ابن الحنفية والسدي والضحاك، وقال قتادة: ينهون عن القرآن وعن النبي ﷺ ويتباعدون عنه، وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن أذى النبي ﷺ ويمنعهم وينأى عن الإيمان به، أي: يبعد ﴿وَإِنْ يَهْلِكُونَ﴾، أي: ما يهلكون، ﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: لا يرجع وبال فعلهم إلا إليهم، وأوزار الذين يصدونهم عليهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

[٢٧] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ إِذْ وَفَّقْنَاهُ عَلَىٰ النَّارِ﴾، يعني: في النار، كقوله تعالى: (على ملك سليمان) أي: في ملك سليمان، وقيل: عُرضوا على النار، وجواب (لَوْ) محذوف معناه: لو تراهم في تلك الحالة لرأيت عجباً، ﴿فَقَالُوا يَلَيْتَنَّا نَرُوهُ﴾، يعني: إلى الدنيا: ﴿وَلَا تُكَذِّبُ بَيِّنَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْآثِمِينَ﴾، قراءة العامة كلها بالرفع على معنى: ياليتنا نرد نحن ولا نكذب ونكون من المؤمنين، وقرأ حمزة وحفص ويعقوب (وَلَا نُكَذِّبُ) بنصب الباء والنون على جواب التمني، أي: ليت ردنا وقع، وأن لا نكذب ونكون، والعرب تنصب جواب التمني بالواو كما تنصب بالفاء، وقرأ ابن

[٢٣] ﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب (يكن) بالياء لأن الفتنة بمعنى الافتتان، فجاز تذكره، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الفتنة، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم (فِتْنَتُهُمْ) بالرفع جعلوه اسم كان، وقرأ الآخرون بالنصب، فجعلوا الاسم قوله: (أن قالوا)، وفتنتهم الخبر، ومعنى فتنتهم أي: قولهم وجوابهم، وقال ابن عباس وقتادة: معذرتهم والفتنة التجربة، فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل له: فتنة، وقال الزجاج في قوله (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ) معنى لطيف وذلك مثل الرجل يفتن بمحبوب ثم يصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه، فيقال: لم تكن فتنت إلا هذا، كذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام ولما رأوا العذاب تبرأوا منها، يقول الله عز وجل: (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ) في محبتهم للأصنام، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، قرأ حمزة والكسائي (رَبَّنَا) بالنصب على نداء المضاف، وقرأ الآخرون بالخفض على نعت والله، وقيل: إنهم إذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن أهل التوحيد، قالوا لبعضهم البعض: تعالوا نكتمُ الشرك لعلنا ننجوا مع أهل التوحيد، فيقولون: والله ربنا ما كنا مشركين، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالكفر.

[٢٤] فقال عز وجل: ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾، باعتذارهم بالباطل وتبريهم عن الشرك، ﴿وَصَدَّقَتْهُمْ مَا كَانُوا يَفْرُقُونَ﴾، أي: زال وذهب عنهم ما كانوا يفترقون من الأصنام، وذلك أنهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها، فبطل كله في ذلك اليوم.

[٢٥] قوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ وإلى كلامك، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، أغطية، جمع كنان، كالأعنة جمع عنان، ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، أن

الْبَقَرَةُ

١٣١

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

بَلْ بَدَأْنَاهُمْ مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَلِإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَتَيْتُ هَذَا
بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾
قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْنَ نَاعَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلْسَاءً مَا يَرْوُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
لَعِبٌ وَلَهُوَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾
قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ
وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ
رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا وَحَتَّىٰ آتَيْنَاهُم نَصْرًا
وَلَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَارُكَ عَلَيْكَ لَمَّا رَضِيتُمْ لَهَا فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِي
نَقْعًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

القيامة ﴿بَغْتَةً﴾، أي: فجأة، ﴿قَالُوا يَحْسِرُنَا﴾،
ندامتنا، ذكر على وجه النداء للمبالغة، قال
سيبويه: كأنه يقول: أيتها الحسرة هذا أوانك،
﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾، أي: قصرنا ﴿فِيهَا﴾، أي: في
الطاعة، وقيل: تركنا في الدنيا من عمل الآخرة،
وقال محمد بن جرير: الهاء راجعة إلى الصفقة،
وذلك أنه لما تبين لهم خسران صفقتهم ببيعهم
الآخرة بالدنيا قالوا: يا حسرتنا على ما فرطنا فيها،
أي: في الصفقة، فترك ذكر الصفقة اكفاء بذكر
قوله ﴿قَدْ خَسِرَ﴾ لأن الخسران إنما يكون في صفقة
بيع، والحسرة شدة الندم، حتى يتحسر النادم، كما
يتحسر الذي تقوم به دابته في السفر البعيد، ﴿وَهُمْ
يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾، أثقالهم وآثامهم، ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾،
قال السدي وغيره، إن المؤمن إذ أخرج من قبره
استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ريحاً فيقول: هل

عامر (نُكْذِبُ) بالرفع و(نكون) بالنصب لأنهم تمتوا
أن يكونوا من المؤمنين، وأخبروا عن أنفسهم أنهم
لا يكذبون بآيات ربهم إن رُدوا إلى الدنيا.

[٢٨] ﴿بَلْ بَدَأْنَاهُمْ﴾، أي: ليس الأمر على ما
قالوا إنهم لو رُدوا لآمنوا بل بدأ لهم: ظهر لهم،
﴿مَّا كَانُوا يُخْفُونَ﴾، يسرون، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، في الدنيا
من كفرهم ومعاصيهم، وقيل: ما كانوا يخفون وهو
قولهم (والله ربنا ما كنا مشركين)، فأخفوا شركهم
وكتموا حتى شهدت عليهم جوارحهم بما كتّموا
وستروا، لأنهم كانوا لا يخفون كفرهم في الدنيا،
إلا أن تجعل الآية في المنافقين، وقال المبرد: بل
بدأ لهم جزاء ما كانوا يخفون، وقال النضر بن
شميل: بل بدأ لهم بدا عنهم. ثم قال ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾
إلى الدنيا ﴿لَعَادُوا لِمَا﴾، يعني إلى ما، ﴿نُهُوا عَنْهُ﴾،
من الكفر، ﴿وَلِإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، في قولهم: لو رددنا
إلى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من
المؤمنين.

[٢٩] ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ﴾، وهذا إخبار عن إنكارهم البعث، وقال
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، هذا من قولهم لو
ردوا لقالوه.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾،
أي: على حكمه وقضائه ومسألته، وقيل: غرضوا
على ربهم، ﴿قَالَ﴾، لهم، وقيل: تقول لهم الخزنة
بأمر الله: ﴿أَتَيْتُ هَذَا بِالْحَقِّ؟﴾ يعني: أليس هذا
البعث والعذاب بالحق؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾، إنه حق،
قال ابن عباس: هذا في موقف، وقولهم: والله ربنا
ما كنا مشركين في موقف آخر، وفي القيامة
مواقف، ففي موقف يُقرون، وفي موقف يُكفرون.
﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣١] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾، أي:
خسروا أنفسهم بتكذيبهم المصير إلى الله والبعث
بعد الموت، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ﴾، أي:

تعالى ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾^(١) بأنك كاذب، ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾، قرأ نافع والكسائي بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد من التكذيب، والتكذيب هو أن تنسبه إلى الكذب، وتقول له: كذبت، والإكذاب هو أن تجده كاذبًا، تقول العرب: أجذبت الأرض وأخصبتها إذا وجدتها جدبة ومخصبة، ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَتَابَتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾، يقول: إنهم لا يكذبونك في السر لأنهم عرفوا صدقك فيما مضى، وإنما يكذبون وخبي ويجحدون آياتي، كما قال: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم).

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾، كذبهم قومهم كما كذبتك قريش، ﴿فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾، بتعذيب من كذبهم، ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾، لا ناقض لما حكم به، وقد حكم في كتابه بنصر أنبيائه عليهم السلام، فقال: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون)، وقال: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا) وقال: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي)، وقال الحسن بن الفضل: لا خُلْفَ لِعِدَّتِهِ، ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾، (ومن) صلة كما تقول: أصابنا من مطر.

[٣٥] ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ أي: عظم عليك وشق أن أعرضوا عن الإيمان بك، وكان رسول الله ﷺ يحرص على إيمان قومه أشد الحرص، وكانوا إذ سألوا آية أحب أن يريهم الله تعالى ذلك طمعًا في إيمانهم، فقال الله عز وجل: ﴿فَإِن أَسْأَلْتَهُ أَن تَبْلُغَنِي نَفَقًا﴾، تطلب وتتخذ نفقًا سربًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ومنه نافقاء الربوع وهو أحد جحره فتذهب فيه، ﴿أَوْ سُلْمًا﴾، أي: درجًا ومصعدًا، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، فتصعد فيه، ﴿فَتَأْتِيهِمْ

تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك الصالح فاركني، فقد طالما ركبتك في الدنيا، فذلك قوله عز وجل: (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) أي ركبانا، وأما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورةً وأنته ربحًا، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: أنا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا فأنا اليوم أركبك، فهذا معنى قوله: (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ)، ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُونُ﴾، يحملون، قال ابن عباس: أي بشس الحمل حملوا.

[٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، باطل وغرور لا بقاء لها ﴿وَلَلْآخِرَةُ الْآخِرَةُ﴾، قرأ ابن عامر (ولدار الآخرة) مضافاً أضاف الدار إلى الآخرة، ويضاف الشيء إلى نفسه عند اختلاف اللفظين، كقوله: (وحبّ الحصيد)، وقولهم: ربيع الأول ومسجد الجامع، سميت الدنيا لدنوها، وقيل: لدناءتها، وسميت الآخرة لأنها بعد الدنيا، ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشوك، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، أي: أن الآخرة أفضل من الدنيا، قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) بالتاء ها هنا وفي الأعراف وسورة يوسف ويس، ووافق أبو بكر في سورة يوسف، ووافق حفص إلا في سورة يس، وقرأ الآخرون بالياء فيهن.

[٣٣] قوله عز وجل: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾، قال السدي: التقى الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام، فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد بن عبد الله أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ها هنا أحد يسمع كلامك غيري، قال أبو جهل: والله إن محمدًا لصادق وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابه والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش، فأنزل الله عز وجل هذه الآية، وقال ناجية بن كعب: قال أبو جهل للنبي ﷺ: لا تنهك ولا تكذبك ولكننا نكذب الذي جئت به، فأنزل الله

(١) أخرجه الترمذي في التفسير ٤٣٧/٨ والحاكم في المستدرک ٣١٥/٢ وقال صحيح على شرط الشيخين.

يَايَهُ ﴿٣٦﴾ ، فافعل ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ ، فآمنوا كلهم، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْخَاطِلِينَ﴾ ، أي: بهذا الحرف، وهو قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾، وأن من يكفر لسابق علم الله فيه.

[٣٦] ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ ، يعني: المؤمنين الذين يسمعون الذكر فيتبعونه ويتنفعون به دون من ختم الله على سمعه، ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ ، يعني الكفار، ﴿يَعْبُدُهُمْ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ، فيخزيهم بأعمالهم.

[٣٧] قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا﴾ ، يعني: رؤساء قريش، ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما عليهم في إنزالها.

[٣٨] قوله عز وجل: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ ، قيد الطيران بالجنح تأكيداً كما يقال نظرت بعيني وأخذت بيدي ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ ، قال مجاهد: أصناف مصنفه تعرف بأسمائها، يريد أن كل جنس من الحيوان أمة، فالطير أمة، والهوام أمة، والذباب أمة، والسباع أمة، تعرف بأسمائها مثل بني آدم، يعرفون بأسمائهم، يقال: الإنس والناس، وقيل: أمم أمثالكم يفقه بعضهم عن بعض، وقيل: أمم أمثالكم في الخلق والموت والبعث، وقال عطاء:

أمم أمثالكم في التوحيد والمعرفة، قال ابن قتيبة: أمم أمثالكم في الغذاء وابتغاء الرزق وتوقي المهلك، ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ﴾ ، أي: في اللوح المحفوظ، ﴿مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ، قال ابن عباس والضحاك: حشرها موتها، وقال أبو هريرة: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطيور، وكل شيء فيقتص للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً فحينئذ يتمنى الكافر ويقول: يا ليتني كنت تراباً. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لتردنَّ الحقوق إلى أهلها يوم

﴿٣٦﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتِ يَعْبُدُهُمْ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُغُرُ بُكْمٍ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُكُمْ بِعَذَابٍ أَلْوَنَ أَوْ أَتَانَكُمْ السَّاعَةَ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ بَلْ إِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ قُلْ كَيْفَ مَا تَدْعُونَ إِلَٰهَ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانُ ضُرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ فَسَاءَ مَا ذَكَّرُوا بِهِ فَتَحَنَّنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعُوا أَوْ أُوذُوا أَخَذْنَاهُمْ بَعَثَةً فَاذْهَبُوا مُبْسُوتِينَ ﴿٤٥﴾

القيامة حتى يُقَادَ للشاة الجماء من القرناء) .

[٣٩] قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُغُرُ بُكْمٍ﴾ ، لا يسمعون الخير ولا يتكلمون به، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ، في ضلالات الكفر، ﴿مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ، هو الإسلام.

[٤٠] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ ، هل رأيتم؟ والكاف فيه للتأكيد، وقال الفراء رحمه الله: العرب تقول أرايتك، وهم يريدون أخبرنا، كما يقول: أرايتك إن فعلت كذا ماذا تفعل؟ أي: أخبرني، وقرأ أهل المدينة (أرايتكم، وأرايتم، وأرايت) بتلئين الهمزة الثانية، والكسائي بحذفها، قال ابن عباس: قل يا معجم لهؤلاء المشركين أرايتكم،

سورة الأنعام

١٣٣

سورة الأنعام

فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ
 مِنَ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ تُصَرِّفُونَ الْآيَاتِ
 ثُمَّ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ
 بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
 نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ أَمَنَ وَأَصْلَحَ
 فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ
 عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
 إِن آتَيْعُ إِلَّا مَا يَوْحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ
 أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا
 إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
 ﴿٥١﴾ وَلَا تَظْهَرِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُوَّةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
 وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

رسول الله ﷺ قال: «إِذْ رَأَيْتَ اللَّهُ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا
 يَحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ
 اسْتِدْرَاجٌ^(١)» ثم تلا (فلما نسوا ما ذُكِّرُوا بِهِ) الآية.

[٤٥] «فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا»، أي:
 آخرهم الذين بدبرهم، يقال: دبر فلان القوم
 يدبرهم دبراً ودبوراً إذا كان آخرهم، ومعناه أنهم
 استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية، «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ»، حمد الله نفسه على أن قطع دابرهم
 لأنه نعمة على رسله، فذكر الحمد لله تعليماً لهم
 ولمن آمن بهم، أن يحمداوا الله على كفايته شرَّ
 الظالمين، وليحمد محمد ﷺ وأصحابه ربهم إذا
 أهلك المكذبين.

[٤٦] قوله تعالى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤/ ١٤٥ وفيه رشدين بن
 سعد، وهو ضعيف، وانظر مجمع الزوائد (١٠/ ٢٤٥).

﴿إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾، قبل الموت، «أَوْ أَنْتُمْ
 السَّاعَةُ»، يعني: يوم القيامة، «أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ»،
 في صرف العذاب عنكم، «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»،
 وأراد أن الكفار يدعون الله في أحوال الاضطراب
 كما أخبر الله عنهم: (وإذا غشيهم موجٌ كالظلل
 دعوا الله مخلصين له الدين).

[٤١] ثم قال: «بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ»، أي: تدعون
 الله ولا تدعون غيره، «فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ
 شَاءَ»، قيد الإجابة بالمشيئة والأمر كلها بمشيئته،
 «وَتَسْوُونَ»، وتتركون، «مَا تَشْرِكُونَ».

[٤٢] «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ
 بِالْبَأْسَاءِ»، بالشدة والجوع، «وَالضَّرَاءِ»، المرض
 والزمانة، «لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ»، أي: يتوبون
 ويخضعون، والتضرع: السؤال بالتذلل.

[٤٣] «فَلَوْلَا» فهلاً، «إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَاءٍ»،
 عذاباً، «تَضَرَّعُوا»، آمنوا فيكشف عنهم، أخبر الله
 عزَّ وجلَّ أنه قد أرسل إلى قوم بلغوا من القسوة إلى
 أنهم أخذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم فلم
 يخضعوا ولم يتضرعوا، فذلك قوله: «وَلَكِنْ قَسَتْ
 قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»،
 من الكفر والمعاصي.

[٤٤] «فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ»، تركوا ما
 وَعُظُوا وأمروا به، «فَتَحْنًا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ
 شَيْءٍ»، قرأ أبو جعفر (فَتَحْنًا) بالتشديد في كل
 القرآن، وقرأ ابن عامر كذلك إذا كان عقيقه جمعاً،
 والباقون بالتخفيف. وهذا فتح استدراج ومكر،
 أي: بدلنا مكان البلاء والشدة الرخاء والصحة،
 «حَتَّى إِذَا رَخَّحْنَا بِمَا وَوَّاءُوا»، وهذا فرح بطر مثل فرح
 قارون بما أصاب من الدنيا، «فَكَفَرُوا بِهَا»،
 فجأةً آمن ما كانوا وأعجب ما كانت الدنيا إليهم،
 «فَإِذَا هُمْ سَمُومُونَ»، آيسون من كل خير، وقال أبو
 عبيدة: المبلس النادم الحزين، وأصل الإبلاس:
 الإطراق من الحزن والندم، روى عتبة بن عامر أن

المشركون، ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾، حتى لا تسمعوا شيئاً أصلاً ﴿وَأَبْصَرَكُمْ﴾، حتى لا تبصروا شيئاً أصلاً، ﴿وَحَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾، حتى لا تفقهوا شيئاً ولا تعرفوا من أمور الدنيا شيئاً، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾، ولم يقل بها مع أنه ذكر أشياء، قيل: معناه يأتيتكم بما أخذ منكم، وقيل: الكناية ترجع إلى السمع الذي ذكر أولاً ويندرج غيره تحته، كقوله تعالى: (والله ورسوله أحق أن يرضوه) فالهاء راجعة إلى الله، ورضى رسوله يندرج في رضا الله تعالى، ﴿أَنْظَرُ كَيْفَ تُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾، أي: نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة، ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِقُونَ﴾، يعرضون عنها مكذبين.

[٤٧] ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعَثَ فُجَاءَةً، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾، معاينة ترونه عند نزوله، قال ابن عباس والحسن: ليلاً أو نهاراً، ﴿هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾، المشركون.

[٤٨] قوله عز وجل: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾، العمل، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، حين يخاف أهل النار، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، إذا حزنوا.

[٤٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَسْمُومُهُمْ﴾، يصيبهم ﴿الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، يكفرون.

[٥٠] ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، نزل حين اقترحوا الآيات فأمره أن يقول لهم: (لا أقول لكم عندي خزائن الله) أي: خزائن رزقه فأعطيتكم ما تريدون، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾، فأخبركم بما غاب مما مضى ومما سيكون، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾، قال ذلك لأن الملك يقدر على ما لا يقدر عليه الآدمي ويشاهد ما لا يشاهده الآدمي، يريد لا أقول لكم شيئاً من ذلك فتتكرون قولي وتجددون أمري، ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾، أي: ما أتيتكم به فمن وحي الله تعالى، وذلك غير مستحيل في العقل مع قيام الدليل والحجج البالغة، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ؟﴾ قال قتادة: الكافر والمؤمن، وقال مجاهد: الضال والمهتدي، وقيل: الجاهل والعالم، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، أي: أنهما لا يستويان. [٥١] قوله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾، خوف به أي: بالقرآن، ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا﴾، يجمعوا ويبعثوا، ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، وقيل: يخافون أي: يعلمون، لأن خوفهم إنما كان من علمهم، ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله، ﴿وَلَيْ﴾ قريب ينفعهم، ﴿وَلَا سَفِيعٌ﴾، يشفع لهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، فينتهون عما نهوا عنه، وإنما نفى الشفاعة لغيره - مع أن الأنبياء والأولياء يشفعون - لأنهم لا يشفعون إلا بإذنه.

[٥٢] ﴿وَلَا تَقْرُرُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾، قرأ ابن عامر (بالغدوة) بضم الغين وسكون الدال وواو بعدها ها هنا وفي سورة الكهف، وقرأ الآخرون بفتح العين والدال وألف بعدها، (بالغداة والعشي) يعني: صلاة الصبح وصلاة العصر. ويروى أن المراد منه الصلوات الخمس، وذلك أن أناساً من الفقراء كانوا مع النبي عليه الصلاة والسلام، فقال ناس من الأشراف: إذا صلينا فأخر هؤلاء فليصلوا خلفنا، فنزلت هذه الآية، وقال إبراهيم النخعي: يعني يذكرون ربهم، وقيل المراد منه: حقيقة الدعاء، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، أي: يريدون الله بطاعتهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يطلبون ثواب الله فقال: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، أي: لا تكلف أمرهم ولا يتكلفون أمرك، وقيل: ليس رزقهم عليك فتملهم (فتطردهم)، ولا رزقك عليهم، قوله ﴿فَتَطْرُدْهُمْ﴾، جواب لقوله: (ما عليك من حسابهم من شيء) وقوله: ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، جواب لقوله (ولا تطرد) أحدهما جواب النفي والآخر جواب النهي.

[٥٣] ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا﴾، أي ابتلينا، ﴿بَبَصَرِهِمْ

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١٣٤

الْأَنْعَامِ

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْأَيَّاتِ وَلِتَلْسَتِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبِدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَهْوَاءُكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يُقْضَى الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٨﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِّي الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾

وقيل: معناه وكما فصلنا لك في هذه السورة دلالاتنا وإعلامنا على المشركين كذلك نفصل الآيات، أي: نميز ونبين لك حجتنا في كل حق ينكره أهل الباطل، ﴿وَلِتَلْسَتِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾، أي: طريق المجرمين، وقرأ أهل المدينة (ولتستين) بالتاء (سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ) نصب على خطاب النبي ﷺ، أي: ولتعرف يا محمد سبيل المجرمين، يقال: استبنت الشيء وتبينته إذا عرفته، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (وليتستين) بالياء (سَبِيلُ) بالرفع، وقرأ الآخرون (ولتستين) بالتاء ﴿سَبِيلُ﴾ رفع: أي: ليظهر وليتضح السبيل، يُذكر ويُؤنث، فدليل التذكير قوله تعالى: (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً)، ودليل التأنيث قوله تعالى: (لم

يَبْعُضُ)، أراد ابتلى الغني بالفقير والشريف بالوضيع، وذلك أن الشريف إذا نظر إلى الوضيع قد سبقه بالإيمان امتنع من الإسلام بسببه فكان فتنة له فذلك قوله: ﴿لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾، فقال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾، فهو جواب لقوله: (أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا)، فهو استفهام بمعنى التقرير، أي: الله أعلم بمن شكر الإسلام إذ هداه الله عز وجل. [٥٤] ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ﴾، قال عكرمة: نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم، وكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام^(١)، وقال عطاء: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وأبي عبيدة ومُصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والأرقم بن أبي الأرقم وأبي سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنهم أجمعين. ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، أي: قضى على نفسه الرحمة، ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ﴾، قال مجاهد: لا يعلم حلالاً من حرام فمن جهالته ركب الذنب، وقيل: جاهل بما يورثه ذلك الذنب، وقيل: جهالته من حيث إنه أثر المعصية على الطاعة والعاجل القليل على الآجل الكثير، ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾، رجع عن ذنبه، ﴿وَأَصْلَحَ﴾، عمله، وقيل: أخلص توبته، ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب (أنه من عمل) (فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، بفتح الألف فيهما بدلاً من الرحمة، أي: كتب على نفسه أنه من عمل منكم، ثم جعل الثانية بدلاً عن الأولى، كقوله تعالى: (أيعدكم أنكم إذا مُتُّم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون) وفتح أهل المدينة الأولى منهما وكسر الثانية على الاستئناف وكسرها الآخرون على الاستئناف.

[٥٥] ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْأَيَّاتِ﴾، أي: وهكذا،

(١) انظر أسباب النزول ص ٢٥٢ والطبري ١١/٣٨٠.

تصدّون عن سبيل الله مَنْ آمَنَ تَبْغُوهَا عَوْجًا).
 [٥٦] قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ
 الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ في
 عبادة الأوثان وطرده الفقراء، ﴿فَدَّ صَلَّيْتُ إِذَا وَمَا أَنَا
 مِنَ الْمُفْهَمِينَ﴾، يعني: إن فعلت ذلك فقد تركت
 سبيل الحق وسلكت غير طريق الهدى.

[٥٧] ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾، أي: على بيان
 وبصيرة وبرهان ﴿مَنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾، أي: ما
 جئت به، ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾، قيل: أراد
 به استعجالهم بالعذاب، كانوا يقولون: (إن كان
 هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة) الآية،
 وقيل: أراد به القيامة، قال الله: (يستعجل بها
 الذين لا يؤمنون بها)، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ
 الْحَقُّ﴾، وقرأ الآخرون (يقضي) بسكون القاف
 والضاد مكسورة، من قضيت، أي: يحكم بالحق
 بدليل أنه قال: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾، والفصل
 يكون في القضاء، وإنما حذفوا الياء لاستئصال
 الألف واللام، كقوله تعالى: (صال الجحيم)
 ونحوها، ولم يقل بالحق لأن الحق صفة المصدر،
 كأنه قال: يقضي القضاء الحق.

[٥٨] ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي﴾، ويدي، ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ
 بِهِ﴾، من العذاب، ﴿لَقَضَىٰ الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾،
 أي: فرغ من العذاب وأهلكتم، أي: لعجلته حتى
 أتخلص منكم، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾.
 [٥٩] قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا
 يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾، مفاتيح الغيب خزائنه، جمع
 مفتاح، واختلفوا في مفاتيح الغيب. قال رسول الله:
 «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما
 تغيب الأرحام أحد إلا الله تعالى، ولا يعلم ما في
 الغد إلا الله عزّ وجلّ، ولا يعلم متى يأتي المطر
 أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت،
 ولا يعلم متى تقوم الساعة أحد إلا الله». وقال
 الضحاك ومقاتل: مفاتيح الغيب خزائن الأرض،

وعلم نزول العذاب، وقال عطاء: ما غاب عنكم
 من الثواب والعقاب، وقيل: انقضاء الآجال،
 وقيل: أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم
 أعمالهم، وقيل: هي ما لم يكن بعد أنه يكون أم لا
 يكون، وما يكون كيف يكون، وما لا يكون أن لو
 كان كيف يكون؟ وقال ابن مسعود: أوتي نبيكم
 علم كل شيء إلا علم مفاتيح الغيب. ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي
 الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، قال مجاهد: البر: المفاوز والقفار،
 والبحر: القرى والأمصار، لا يحدث فيهما شيء
 إلا يعلمه، وقيل: هو البر والبحر المعروف، ﴿وَمَا
 تَسْقُطُ مِنْ رَوْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾، يريد ساقطة وثابتة،
 يعني: يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى
 عليه، وقيل: يعلم كم انقلبت ظهراً لبطن إلى أن
 سقطت على الأرض ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾،
 قيل هو الحب المعروف في بطون الأرض، وقيل:
 هو تحت الصخرة التي في أسفل الأرضين، ﴿وَلَا
 رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما:
 الرطب الماء، واليابس البادية، وقال عطاء: يريد
 ما ينبت وما لا ينبت، وقيل: ولا حي ولا ميت،
 وقيل: هو عبارة عن كل شيء، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ
 مُبِينٍ﴾، يعني أن الكل مكتوب في اللوح المحفوظ.
 [٦٠] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّكُمْ بِالْأَيْلِ﴾،
 أي: يقبض أرواحكم إذا نتم بالليل، ﴿وَيَعْلَمُ مَا
 جَرَحْتُمْ﴾، كسبتم، ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾، أي:
 يوقظكم في النهار، ﴿لِيُقَضَّىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾، يعني:
 أجل الحياة إلى الممات، يريد استيفاء العمر على
 التمام، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾، في الآخرة ﴿ثُمَّ
 يُنَبِّئُكُمْ﴾، يخبركم، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.
 [٦١] ﴿وَهُوَ الْغَايُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ
 حَفَظَةً﴾، يعني: الملائكة الذين يحفظون أعمال
 بني آدم، وهو جمع حافظ، نظيره (وإن عليكم
 لحافظين ه كراماً كاتبين)، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ
 الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾، قرأ حمزة (توفيه) و(استهويه)

الْأَنْعَامُ

١٣٥

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسْبَانِ ﴿٦٤﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لِّئَلَّا تُخْجَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيَضَعُكُمْ أَفْوَاجًا أَلَيْسَ بِالْعَظِيمِ ﴿٦٧﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْ هَٰذَا الظَّنِّ أَتُحِبُّونَ الظَّنَّ عَلَىٰ أَنْ تَضِلُّوا أَمْ تَحِبُّونَ اللَّهَ وَمَآ يَشِيءُ اللَّهُ فَلَا تَقْعُدُوا بِعْدَالِكُم مِّنْهُ إِنَّكُمْ إِذْ لَبِيتُمْ لَأُنْزِلَتْ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر (يُنَجِّيكُمْ) بالتشديد، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾، وقرأ الآخرون هذا بالتخفيف، ﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾، والكرب غاية الغم الذي يأخذ النفس، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾، يريد أنهم يقرون أن الذي يدعونه عند الشدة هو الذي ينجيهم ثم يشركون معه الأصنام التي قد علموا أنها لا تنفع ولا تنفع.

﴿٦٤﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر (يُنَجِّيكُمْ) بالتشديد، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾، وقرأ الآخرون هذا بالتخفيف، ﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾، والكرب غاية الغم الذي يأخذ النفس، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾، يريد أنهم يقرون أن الذي يدعونه عند الشدة هو الذي ينجيهم ثم يشركون معه الأصنام التي قد علموا أنها لا تنفع ولا تنفع.

﴿٦٥﴾ قوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال الحسن وقتادة: نزلت الآية في أهل الإيمان، وقال قوم نزلت في المشركين، وقوله (عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ) يعني: الصيحة والحجارة والرياح والطوفان، كما فعل بعاد وشمود وقوم لوط وقوم نوح ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، يعني: الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب

بالباء وأمالهما، ﴿رُسُلَنَا﴾ يعني: أعوان ملك الموت يقبضونه فيدفعونه إلى ملك الموت فيقبض روحه، كما قال: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾ وقيل: الأعوان يتوفونه بأمر ملك الموت فكأن ملك الموت توفاه لأنهم يصدرون عن أمره، وقيل: أراد بالرسول ملك الموت وحده، فذكر الواحد بلفظ الجمع، ﴿وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾، لا يقصرون.

﴿٦٢﴾ ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾، يعني: الملائكة، وقيل: يعني العباد يُردُّون بالموت إلى الله مولاهم الحق، فإن قيل الآية في المؤمنين والكفار جميعًا وقد قال في آية أخرى: (وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ)، فكيف وجه الجمع؟ فقيل: المولى في تلك الآية بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار، والمولى هنا بمعنى المالك الذي يتولى أمورهم والله عز وجل مالك الكل ومتولي الأمور، وقيل: أراد هنا المؤمنين خاصة يردُّون إلى مولاهم، والكفار فيه تبع، ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾، أي: القضاء دون خلقه، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسْبَانِ﴾، أي: إذا حاسب فحسابه سريع لأنه لا يحتاج إلى فكرة وروية وعقد يد.

﴿٦٣﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾، قرأ يعقوب بالتخفيف، وقرأ العامة بالتشديد، ﴿مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، أي: من شدائد هما وأهوالهما، كانوا إذا سافروا في البر والبحر فضلوا الطريق وخافوا الهلاك، دُعُوا الله مخلصين له الدين فينجيهم، فذلك قوله تعالى: ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، أي: علانية وسراً، قرأ أبو بكر عن عاصم (وَخُفْيَةً) بكسر الخاء هنا وفي الأعراف، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان، ﴿لِّئَلَّا تُخْجَنَّا﴾، أي: يقولون لئن أنجيتنا، وقرأ أهل الكوفة: لئن أنجانا الله، ﴿مِنْ هَٰذِهِ﴾، يعني: من هذه الظلمات، ﴿لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، والشكر: هو معرفة النعمة مع القيام بحقوقها.

وقارون، وعن ابن عباس ومجاهد: (عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ) السلاطين الظلمة، ومن تحت أرجلكم العبيد السوء، وقال الضحاك: من فوقكم من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم أي من أسفل منكم، ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ سُيُوعًا﴾، أي يخلطكم فرقًا ويث فيكم الأهواء المختلفة، ﴿وَيَذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، يعني السيوف المختلفة، يقتل بعضكم بعضًا. ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾.

[٦٦] ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾، أي: بالقرآن، وقيل بالعذاب، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَيْتُكُمْ بِوَكِيلٍ﴾، بريقب، وقيل: بمسلط أزمكم الإسلام شئتم أو أبيتم، وإنما أنا رسول.

[٦٧] ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ﴾، خبر من أخبار القرون، ﴿مُسْتَفَرِّجٍ﴾، حقيقة ومنتهى ينتهي إليه فيتين صدقه من كذبه وحقه من باطله، إما في الدنيا وإما في الآخرة ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وقال مقاتل: لكل خبر يخبره الله وقت وقته ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير، وقال الكلبي: لكل قول وفعل حقيقة، إما في الدنيا وإما في الآخرة وسوف تعلمون ما كان في الدنيا فستعرفونه وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكم.

[٦٨] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾، يعني: في القرآن بالاستهزاء، ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، فاتركهم ولا تجالسهم، ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ﴾، قرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد السين وقرأ الآخرون بسكون النون وتخفيف السين، ﴿الشَّيْطَانُ﴾، نهيتا، ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يعني: إذا جلست معهم ناسيًا فقم من عندهم بعدما تذكرت.

[٦٩] ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، روي عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت هذه الآية: (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَاعْرِضْ عَنْهُمْ)، قال المسلمون: كيف نقعد في

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١٣٦

الْجُزْءُ السَّابِعُ

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرْنَاهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٦﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءًا وَلَهُوَ غَرْثُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرْنَاهُ أَنْ تُبَسِّلَ نَفْسُ يَمَّا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ لِيُخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ قُلْ أَدْعُو إِلَى دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتَهِ قُلْ إِيَّاكَ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمَّا الْإِسْلَامُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الْأُصُورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٠﴾

المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبدًا؟ وفي رواية: قال المسلمون: فإننا نخاف الإثم حين نتركهم ولا ننهائهم، فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، الخوض، ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾، أي: من إثم الخائضين ﴿مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرْنَاهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أي: ذكرهم وعظهم بالقرآن، والذكر والذكرى واحد، يريد ذكرهم وذكرى، فيكون في محل النصب ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، الخوض إذا وعظتموهم فرخص في مجالستهم على الوعظ لعلهم يمنعهم من ذلك الخوض، قيل: لعلهم يستحيون.

[٧٠] قوله عز وجل: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءًا وَلَهُوَ﴾، يعني الكفار الذين إذا سمعوا بآيات الله استهزؤوا بها وتلاعبوا عند ذكرها، وقيل: إن الله تعالى جعل لكل قوم عيدًا فاتخذ كل

أجاب من يدعوه إلى الطريق اهتدى، ﴿قُلْ إِنَّكَ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾، يزجر عن عبادة الأصنام، كأنه يقول: لا تفعل ذلك فإن الهدى هدى الله لا يهدي غيره، ﴿وَأَمْرُنَا لِلْإِسْلَامِ﴾، أي: أن نُسلم، ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والعرب تقول: أمرتك لتفعل وأن تفعل وبأن تفعل.

[٧٢] ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، أي: وأمرنا بإقامة الصلاة والتقوى، ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: تجمعون في الموقف للحساب.

[٧٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، قيل: الباء بمعنى اللام، أي: إظهاراً للحق لأنه جعل صنعه دليلاً على وحدانيته، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، قيل: هو راجع إلى خلق السموات والأرض، والخلق بمعنى: القضاء والتقدير، أي: كل شيء قضاء وقدره قال له: كن فيكون. وقيل: يرجع إلى القيامة يدل على سرعة أمر البعث والساعة، كأنه قال: ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون، وقوموا فيقومون، ﴿قَوْلَهُ الْحَقُّ﴾،

أي: الصدق الواقع لا محالة، يريد أن ما وعده حق كائن، ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، يعني ملك الملوك يومئذ زائل، كقوله (مالك يوم الدين)، وكما قال: (والأمر يومئذ لله)، والأمر لله في كل وقت، ولكن لا أمر في ذلك اليوم لأحد مع أمر الله، والصُّور: قرن يُنفخ فيه، قال مجاهد: كهيئة البوق، وقيل: هو بلغة أهل اليمن، وقال أبو عبيدة: الصور هو الصُّور وهو جمع الصُّورة، وهو قول الحسن، والأول أصح، والدليل عليه ما ورد عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»^(١) قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ الْغَلِيظُ وَالْشَّهَادَةُ﴾،

قوم دينهم - أي: عيدهم - لعباً ولهواً وعيد المسلمين الصلاة وتكبيراتها وفعل الخير مثل الجمعة والفطر والنحر، ﴿وَعَزَّزْتُهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَذَكَّرْتَهُمْ بِهِ﴾ أي: وعظ بالقرآن، ﴿أَنْ تُبْسَلَ﴾، أي: لأن لا تبسل، أي: لا تسلم، ﴿نَفْسٌ﴾، للهلك، ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾، قال مجاهد وعكرمة والسدي: قال ابن عباس: تهلك، وقال قتادة: أن تحبس، وقال الضحاك: تحرق، وقال ابن زيد: تؤخذ، ومعناه: ذكرهم لأن يؤمنوا كيلا تهلك نفس بما كسبت، وقال الأخفش: تبسل تُجازى، وقيل: تفضح، وقال الفراء: ترتعن، وأصل الإبسال التحريم، والبسل الحرام، ثم جعل نعتاً لكل شدة تُتقى وتترك ﴿لَيْسَ لَهَا﴾، لتلك النفس، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ﴾، قريب ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾، يشفع في الآخرة ﴿وَإِنْ تَعَدَّلْ كُذِّبَ عَدَلٌ﴾، أي: تُعد كل فداء، ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾، هنا، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾، أُسْلِمُوا للهلك، ﴿بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَّابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

[٧١] ﴿قُلْ أَدْعَاؤُكُمْ إِلَى اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾، إن عبدناه، ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾، إن تركناه، يعني: الأصنام ليس إليها نفع ولا ضرر، ﴿وَنُرْثُ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾، إلى الشرك مرتدين، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾، أي: يكون مثلاً كمثل الذي استهوته الشياطين، أي: أضلته، ﴿فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ﴾، قال ابن عباس: كالذي استهوته الغيلان في المهامة فأضلوه فهو حائر بائر، والحيران: المتردد في الأمر لا يهتدي إلى مخرج منه، ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أُنْتَنَا﴾، هذا مثل ضربه الله تعالى لمن يدعو إلى الآلهة ولمن يدعو إلى الله تعالى كمثل رجل في رفقة ضلّ به الغول عن الطريق يدعوه أصحابه من أهل الرفقة هلمّ إلى الطريق، ويدعوه الغول فيبقى حيران لا يدري أين يذهب، فإن أجاب الغول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة، وإن

(١) أخرجه الترمذي في القيامة ١١٧/٧ وقال حديث حسن صحيح، والدارمي في الرقاق ٣٢٥/٢، وصححه الحاكم ٥٠٦/٢، والإمام أحمد في المسند ١٦٢/٢، ١٩٢.

سورة الأنعام

١٣٧

سورة الأنعام

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرَأْتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ۖ اللَّهُ إِنِّي
 أَرْتِكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ
 مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾
 فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ
 لَا أُحِبُّ الْآفَلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا
 رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ
 الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا
 أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِي إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾
 إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ
 أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ۚ
 إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
 تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَفَى أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا
 تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ
 سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

عليه الليل يجن جنونا وجنانا إذا أظلم وغطى كل شيء، وجنون الليل سواده، ﴿رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ اختلوا في قوله ذلك فأجراه بعضهم على الظاهر، وقالوا: كان إبراهيم مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله وآتاه رشده فلم يضربه ذلك في حال الاستدلال، وأيضا كان ذلك في حال طفولته قبل قيام الحجة عليه، فلم يكن كفرا، وأنكر الآخرون هذا القول، وقالوا: لا يجوز أن يكون الله رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو الله موحد وبه عارف، ومن كل معبود سواه بريء، وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأخبر عنه فقال: (إذ جاء ربه بقلب سليم)، وقال: (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض)، أفترأه أراه الملكوت ليوقن فلما يقن رأى كوكبا قال: هذا ربي معتقدا؟! فهذا

يعني: يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه لا يغيب عن علمه شيء، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَبِيرُ﴾.

[٧٤] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرَأْتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ۖ اللَّهُ إِنِّي أَرْتِكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، قرأ يعقوب (آزر) بالرفع، يعني: (آزر)، والقراءة المعروفة بالنصب، وهو اسم أعجمي لا ينصرف فينصب في موضع الخفض، قال محمد بن إسحاق والضحاك والكلبي: آزر اسم أبي إبراهيم وهو تارخ أيضا، وقال مقاتل بن حيان وغيره: آزر لقب لأبي إبراهيم، واسمه تارخ، وقال سليمان التيمي: هو سب وعيب، ومعناه في كلامهم المعوج، وقيل: معناه الشيخ الهرم بالفارسية، وقال سعيد بن المسيب ومجاهد: آزر اسم صنم، فعلى هذا يكون في محل النصب تقديره ﴿أَتَتَّخِذُ﴾ آزر إلها قوله ﴿أَصْنَامًا ۖ إِلَهًا﴾، دون الله، ﴿إِنِّي أَرْتِكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أي: في خطأ بين.

[٧٥] ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ﴾، أي: كما أريناه البصيرة في دينه، والحق في خلاف قومه كذلك نريه ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، والملكوت زيدت فيه التاء للمبالغة كالجبوت والرحموت والرهوت، قال ابن عباس: يعني خلق السموات والأرض، وقال مجاهد وسعيد بن جبیر: يعني آيات السموات والأرض، وذلك أنه أقيم على صخر وكشف له عن ملكوت السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين ونظر إلى مكانه في الجنة، فذلك قوله تعالى: (وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا) يعني: أريناه مكانه في الجنة، وقال قتادة: ملكوت السموات: الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض: الجبال والشجر والبحار، ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾، عطف على المعنى، ومعناه: نريه ملكوت السموات والأرض، ليستدل به وليكون من الموقنين.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أي: دخل الليل، يقال: جن الليل وأجن الليل، وجنّه الليل، وأجن

ما لا يكون أبدًا. ﴿فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾. وما لا يدوم.

[٧٧] ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾، طالعًا، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾، وقيل: لئن لم يثبتني ربي على الهدى، ليس أنه لم يكن مهتديًا، والأنبياء لم يزالوا يسألون الله تعالى الثبات على الإيمان ﴿لَا كُنتَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾، أي: عن الهدى.

[٧٨] ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً﴾، طالعًا، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾، أي: أكبر من الكوكب والقمر، ولم يقل هذه مع أن الشمس مؤنثة لأنه أراد هذا الطالع، أو رده إلى المعنى، وهو الضياء والنور، لأنه رآه أضواءً من النجوم والقمر، ﴿فَلَمَّا أَفْلَتَ﴾، غربت، ﴿قَالَ يَنْفَعُ بَنِيَّ إِنِّي كَنتُ مِنَ الْمُتَشَكِّكِينَ﴾. [٧٩] ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[٨٠] ﴿وَحَاجَّهٖ قَوْمُهُ﴾ أي: خاصمه وجادله قومه في دينه، ﴿قَالَ اتَّخَذْتُمُونِي فِي اللَّهِ﴾ يقول: أتجادلونني في توحيد الله ﴿وَقَدْ هَدَانِي﴾ للتوحيد والحق ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾، وذلك أنهم قالوا له: احذر الأصنام فإننا نخاف أن تمسك بسوء من خبل أو جنون لعبيك إياها، فقال لهم: ولا أخاف ما تُشركون به، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾، وليس هذا باستثناء من الأول بل هو استثناء منقطع، معناه لكن إن يشأ ربي شيئًا أي سوء فيكون ما شاء، ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، أي: أحاط علمه بكل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمُ﴾، يعني الأصنام وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع، ﴿وَلَا تَخَافُوكَ أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾، حجة وبرهانًا، وهو القاهر القادر على كل شيء، ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ﴾، أولى، ﴿بِالْأَمْنِ﴾، أنا وأهل ديني أم أنتم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ

الْبَاقِي

١٣٨

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَذَكَرْنَا وَيْحَ عِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا كُلًّا لَا فَضْلَ لَنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكُنَّا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدِ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

تَعْلَمُونَ.

فقال الله تعالى قاضيًا بينهما:

[٨٢] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، لم يخلطوا إيمانهم بشرك، ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

[٨٣] قوله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾، حتى خصمهم وغلبهم بالحجة ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ﴾، بالعلم. قرأ أهل الكوفة ويعقوب (درجات) بالتنوين ههنا وفي سورة يوسف، أي: نرفع درجات من نشاء بالعلم والفهم والفضيلة والعقل، كما رفعنا درجات إبراهيم حتى اهتدى وحاج قومه في التوحيد، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

[٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾، ووفقنا وأرشدنا. ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن

لهما ولد، وكان في ذرية بعضهم من كان كافراً ﴿وَإِخْوَنَهُمْ وَاجْتَنِبَتْهُمْ﴾، اخترناهم واصطفيناهم، ﴿وَهَدَيْتَهُمْ﴾، أرشدناهم، ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٨٨] ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾، دين الله، ﴿يَهْدِي بِهِ﴾، يرشد به، ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾، أي: هؤلاء الذين سميئناهم، ﴿لَحِطَّ﴾، لبطل وذهب، ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٨٩] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾، أي: الكتب المنزلة عليهم، ﴿وَالْحُكْمَ﴾، يعني: العلم والفقه، ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءُ﴾، يعني: أهل مكة، ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيُؤْثِرُوا بِهَا الْكُفْرَ﴾، يعني: الأنصار وأهل المدينة قاله ابن عباس ومجاهد، وقال قتادة: فإن يكفر بها هؤلاء الكفار فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين، يعني: الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم الله ههنا، وقال أبو رجاء العطاردي: معناه: فإن يكفر بها أهل الأرض فقد وكلنا بها أهل السماء وهم الملائكة قوماً ليسوا بها بكافرين.

[٩٠] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾، أي: هداهم الله، ﴿فِيهِدْتُهُمْ﴾، فبستتهم وسيرتهم، ﴿أَقْتَدَ﴾، الهاء فيها هاء الوقف، وحذف حمزة والكسائي ويعقوب الهاء في الوصل، والباقون بإثباتها وصلًا ووقفًا، وقرأ ابن عامر: (اقتده) بإشباع الهاء كسرًا ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ﴾، ما هو، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾، أي: تذكرة وموعظة، ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، أي: ما عظموه حق عظمتهم، وقيل: ما وصفوه حق وصفه، ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِثْلَ شَيْءٍ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك كتابًا، قال: نعم، قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتابًا، فأنزل الله: (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من

قَبْلُ)، أي: من قبل إبراهيم، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾، أي: من ذرية نوح عليه السلام، ولم يرد من ذرية إبراهيم، لأنه ذكر في جملتهم يونس ولوطاً ولم يكونا من ذرية إبراهيم، ﴿دَاوُدَ﴾، هو داود بن أيشا، ﴿وَسُلَيْمَانَ﴾، يعني ابنه ﴿وَأَيُّوبَ﴾، وهو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، ﴿وَيُوسُفَ﴾، هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، ﴿وَمُوسَى﴾، وهو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ﴿وَهَارُونَ﴾، هو أخو موسى أكبر منه بسنة، ﴿وَكَذَلِكَ﴾، أي: كما جزينا إبراهيم على توحيده بأن رفعنا درجته ووهبنا له أولاداً أنبياءً أتقياءً كذلك ﴿عَجَزَى الْمُحْسِنِينَ﴾، على إحسانهم، وليس ذكرهم على ترتيب أزمانهم.

[٨٥] ﴿وَزَكَرِيَّا﴾، هو زكريا بن اذن، ﴿وَيَحْيَى﴾، وهو ابنه، ﴿وَعِيسَى﴾، وهو ابن مريم بنت عمران، ﴿وَالْيَاسَّ﴾، واختلفوا فيه، قال ابن مسعود: هو إدريس وله اسمان مثل يعقوب وإسرائيل، والصحيح أنه غيره لأن الله تعالى ذكره في ولد نوح، وإدريس جد أبي نوح، وهو إلياس بن بشير ابن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران ﴿كُلٌّ مِنْ الصَّالِحِينَ﴾.

[٨٦] ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾، وهو ولد إبراهيم، ﴿وَالْيَسَعَ﴾، وهو ابن أخطوب بن العجوز. وقرأ حمزة والكسائي (واليسع) بتشديد اللام وسكون الياء هنا وفي ص ﴿وَيُوسُفَ﴾ وهو يونس بن متى، ﴿وَلُوطًا﴾، وهو لوط بن هاران بن أخي إبراهيم، ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، أي: عالمي زمانهم.

[٨٧] ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ﴾، من فيه للتبعيض، لأن آباء بعضهم كانوا مشركين، ﴿وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾، أي: ومن ذرياتهم وأراد بعضهم، لأن عيسى ويحيى لم يكن

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١٣٩

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٢﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٣﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٤﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٥﴾

نعم، فقال النبي ﷺ: «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم»^(١) «وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ»، قيل: نزلت في عبدالله بن سعد بن أبي سرح وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي ﷺ وكان إذا أُملي عليه سمعًا بصيرًا كتب عليمًا حكيماً، وإذا قال: عليمًا حكيماً كتب غفورًا رحيمًا، فلما نزلت: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) [المؤمنون: آية ١٢] أملاها عليه رسول الله ﷺ فعجب عبدالله من تفصيل خلق الإنسان، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال النبي ﷺ: اكتبها فهكذا نزلت، فشكَّ عبدالله، وقال: لئن كان محمد صادقاً فقد أوحى إلي كما أوحى إليه، فارتدَّ عن الإسلام

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب وفد بني حنيفة ٨/ ٨٩، ومسلم في الرؤيا رقم (٢٢٧٤) ٤/ ١٧٨١، والمصنف في شرح السنة ١٢/ ٢٥٢.

شيء)، قال الله تعالى: ﴿قُلْ، لَهُمْ، مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾، يعني التوراة، ﴿تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾، أي: تكتبون عنه دفاتر وكتباً مقطعة (تبدونها)، أي: تُبْدُونَ ما تُحِبُّونَ وتُخْفُونَ كثيراً من نعت محمد ﷺ وآية الرجم ﴿وَعُلِّمْتُمْ مَّا لَمْ تَعْلَمُوا﴾، الأكثرون على أنها خطاب لليهود، يقول: علِّمتم على لسان محمد ﷺ ما لم تعلموا، ﴿أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾، قال الحسن: جعل لهم علم ما جاء به محمد ﷺ فضيعوه ولم ينتفعوا به، وقال مجاهد: هذا خطاب للمسلمين يذكّرهم النعمة فيما علّمهم على لسان محمد ﷺ، ﴿قُلِ اللَّهُ﴾، هذا راجع إلى قوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى)، فإن أجابوك وإلا فقل أنت: (الله)، أي: قل أنزله الله، ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

[٩٢] ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾، أي: القرآن كتاب مبارك أنزلناه ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ﴾، يا محمد، قرأ أبو بكر عن عاصم (ولينذر) بالياء أي: ولينذر الكتاب، ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾، يعني: مكة سميت أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها، فهي أصل الأرض كلها كالأم أصل النسل، وأراد أهل أم القرى ﴿وَمَن حَوْلَهَا﴾، أي: أهل الأرض كلها شرقاً وغرباً، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، بالكتاب، ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾، يعني: الصلوات الخمس، ﴿يُحَافِظُونَ﴾، يداومون، يعني المؤمنین.

[٩٣] قوله عز وجل: ﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى﴾، اختلق ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، فزعم أن الله تعالى بعثه نبياً، ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾، قال قتادة: نزلت في مسيلمة الكذاب، وكان يسجع ويتكهن، فادّعى النبوة وزعم أن الله أوحى إليه، وكان قد أرسل إلى رسول الله ﷺ رسولين، فقال النبي ﷺ لهما: أتشهدان أن مسيلمة نبي؟ قالوا:

ولحق بالمشركين، ثم رجع عبدالله إلى الإسلام قبل فتح مكة إذ نزل النبي ﷺ بمر الظهران. وقال ابن عباس: قوله (وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)، يريد المستهزئين وهو جواب لقولهم: (لو نشاء لقلنا مثل هذا). قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ رَأَوْا مِنْهُ عِزًّا وَغَمرةً وَغَمرةً كُلَّ شَيْءٍ مُّغْمَرًا وَاصْطَوْأُ أَيَدِيَهُمْ﴾، سكراته وهي جمع غمرة وغمرة كل شيء معظمه وأصله الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها، ثم وُضعت في موضع الشدائد والمكاره، ﴿وَالْمَلَكُ يُبْطِئُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾، بالعذاب والضرب يضربون وجوههم وأدبارهم، وقيل: بقبض الأرواح، ﴿أَخْرِجُوا﴾، أي: يقولون أخرجوا ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾، أي: أرواحكم كُرْهَا لَأَنْ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ تَنْشِطُ لِلْقَاءِ رَبِّهِ، والجواب محذوف، يعني لو تراهم في هذه الحال لرأيت عجباً، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾، أي: الهوان، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، تتعظمون عن الإيمان بالقرآن ولا تصدقونه.

[٩٤] ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾، هذا خبر من الله أنه يقول للكفار يوم القيامة: ولقد جئتمونا فرادى وحداناً، لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم، وفرادى جمع فردان، مثل سكران وسكاري، وكسلان وكسالي، وقرأ الأعرج فردى بغير ألف مثل سكرى، ﴿كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، عراً حفاةً غرلاً، ﴿وَوَزَكْتُمْ﴾، وخلفتم ﴿مَا خَوَّلْتُمْ﴾، أعطيناكم من الأموال والأولاد والخدم، ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾، في الدنيا، ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾، وذلك أن المشركين زعموا أنهم يعبدون الأصنام لأنهم شركاء الله وشفعاؤهم عنده، ﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ﴾، قرأ أهل المدينة والكسائي وحفص عن عاصم بنصب النون على معنى لقد تقطع ما بينكم من الوصل، أو تقطع الأمر بينكم برفع النون، أي: لقد تقطع وصلكم وذلك مثل قوله: (وتقطعت بهم الأسباب)، أي:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَ اللَّهُ فَالِقُ تَوْفُكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ بَنَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُنْتَشِبِهِ أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَرَيْعَهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ يَدْبِقُ السَّحَابَ وَالْأَرْضَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

الوصلات والبين من الأضداد يكون وصلاً ويكون هجراً، ﴿وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

[٩٥] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾، الفلق الشق، قال الحسن وقتادة والسدي: معناه يشق الحبة عن السنبل والنواة عن النخلة فيخرجها منها، والحب جمع الحبة، وهي اسم لجميع البذور والحبوب من البر والشعير والذرة، وكل ما لم يكن له نوى، وقال الزجاج: يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منهما ورقاً أخضر، وقال مجاهد: يعني الشقين اللذين فيهما، أي: يشق الحب عن النبات ويخرجه منه ويشق النوى عن النخل ويخرجها منه، والنوى جمع النواة، وهي كل ما لم يكن له حب، كالتمر والمشمش والخوخ ونحوها، وقال الضحاك: فالق الحب والنوى يعني: خالق الحب والنوى، ﴿يُخْرِجُ

أرحام الأمهات ومستودع في أصلاب الآباء، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس، قال سعيد بن جبير: قال لي ابن عباس: هل تزوجت؟ قلت: لا، قال: أما إنه ما كان مستودعاً في ظهرك فسيخرجه الله عز وجل. وروي عن أبيّ أنه قال: مستقر في أصلاب الآباء، ومستودع في أرحام الأمهات، وقيل: مستقر في الرحم ومستودع فوق الأرض، قال الله تعالى: (ونقرّ في الأرحام ما نشاء) وقال مجاهد: مستقر على ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة، ويدل عليه قوله تعالى: (ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين)، وقال الحسن: المستقر في القبر والمستودع في الدنيا، وكان يقول: يا ابن آدم أنت ودیعة في أهلک ويوشك أن تلحق بصاحبك، وقيل: المستودع القبر والمستقر الجنة والنار، لقوله عز وجل في صفة أهل الجنة: (حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا)، وفي صفة أهل النار: (سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ﴾.

[٩٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾، أي: بالماء، ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾، من الماء، وقيل: من النبات، ﴿خَضِرًا﴾، يعني: أخضر، مثل العُور والأعور، يعني: ما كان رطباً أخضر مما ينبت من القمح والشعير ونحوهما، ﴿فَخَرَجَ مِنْهُ حَبًّا مَتْرَاجِكَبًا﴾، أي: متراكباً بعضه على بعض، مثل سنابل البرّ والشعير والأرز وسائر الحبوب، ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا﴾، والطلع أول ما يخرج من ثمر النخل، ﴿قِثْوَانٌ﴾، جمع قِثْو وهو العِذْق، مثل صنو وصنوان ولا نظير لهما في الكلام، ﴿دَانِيَةً﴾، أي: قريبة المتناول ينالها القائم والقاعد، وقال مجاهد: متدلية، وقال الضحاك: قصار ملتزمة بالأرض، وفيه اختصار معناه: ومن النخل ما قنوانها دانية ومنها ما هي بعيدة، فاكثفى بذكر القرية عن البعيدة لسبقه إلى الأفهام، كقوله

الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَنُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنْتُمْ تُؤَفِّكُونَ، تصرفون عن الحق.

[٩٦] ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾، شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وكاشفه، وقال الضحاك: خالق النهار، والإصباح مصدر كالإقبال والإدبار وهو الإضاءة وأراد به الصبح وهو أول ما يبدو من النهار، يريد ومُبدئ الصبح وموضحه، ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾، يسكن فيه خلقه. وقرأ أهل الكوفة: (وجعل) على الماضي، (الليل)، نصب اتباعاً للمصحف، وقرأ إبراهيم النخعي (فلق الإصباح)، (وجعل الليل سَكَنًا)، ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾، أي: جعل الشمس والقمر بحساب معلوم لا يجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما، والحسبان مصدر كالحساب، وقيل: جمع حساب، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

[٩٧] قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ أي: خلقها لكم، ﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْجَحْرِ﴾، والله تعالى خلق النجوم لفوائد، أحدها: هذا وهو أن راكب السفينة والسائر في القفار يهتدي بها في الليالي إلى مقاصده، والثاني: أنها زينة للسماء كما قال (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح)، ومنها رمي الشيطان، كما قال: (وجعلناها رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ)، ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

[٩٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾، خلقكم وابتدأكم، ﴿مِّن نَّفْسٍ وَجِدَةٍ﴾، يعني: آدم عليه السلام، ﴿فَمُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة (فمستقر) بكسر القاف، يعني: فمنكم مستقر ومنكم مستودع، وقرأ الآخرون بفتح القاف، أي: فلکم مستقر ومستودع، واختلفوا في المستقر والمستودع، قال عبدالله بن مسعود: فمستقر في الرحم إلى أن يولد، ومستودع في القبر إلى أن يبعث، وقال سعيد بن جبير وعطاء: فمستقر في

شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٣﴾، بالحفظ له والتدبير.

[١٠٣] ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، يتمسك أهل الاعتزال بظاهر هذه الآية في نفى رؤية الله عز وجل عياناً، ومذهب أهل السنة إثبات رؤية الله عز وجل عياناً: قال الله تعالى: ﴿وَجُودُهُ يُومِنُهُ نَاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ قال مالك رضي الله عنه: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لَمَ يَعْيَرِ الله الكفار بالحجاب؟ وقرأ النبي ﷺ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وفسره بالنظر إلى وجه الله عز وجل. وعن جرير بن عبدالله قال: قال النبي ﷺ: ﴿إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عِيَانًا﴾^(١). وأما قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، فاعلم أن الإدراك غير الرؤية لأن الإدراك هو الوقوف على كنه الشيء والإحاطة به، والرؤية: المعاينة، وقد تكون الرؤية بلا إدراك، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ قال كلا. وقال: ﴿لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى﴾، فنفي الإدراك مع إثبات الرؤية، فالله عز وجل يجوز أن يرى من غير إدراك وإحاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، فنفي الإحاطة مع ثبوت العلم، قال سعيد بن المسيب: لا تحيط به الأبصار، وقال عطاء: كلت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به، وقال ابن عباس ومقاتل: لا تدركه الأبصار في الدنيا، وهو يرى في الآخرة، قوله: ﴿وهو يدرك الأبصار﴾، أي: لا يخفى على الله شيء ولا يفوته، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: اللطيف بأوليائه الخبير بهم، وقال الزهري معنى (اللطيف) الرفيق بعباده، وقيل: اللطيف

تعالى: (سراويل تقيكم الحرَّ) يعني: الحرَّ والبرد فاكتفى بذكر أحدهما، ﴿وَجَنَّتْ مِنْ أَعْتَبٍ﴾، أي: وأخرجنا منه جنات، وقرأ الأعمش عن عاصم (وجنات) بالرفع نسقاً على قوله (قنوان) وعامة القراء على خلافه، ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾، يعني: وشجر الزيتون وشجر الرمان، ﴿مُشْتَبِهًا وَعَجَبٌ مُّشْتَبِهٌ﴾، قال قتادة: معناه مشتبه ورقها مختلفاً ثمرها، لأن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان، وقيل: مشته في المنظر مختلف في الطعم، ﴿أَنْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم، هذا وما بعده وفي يس على جمع الثمار، وقرأ الآخرون بفتحهما على جمع الثمرة مثل بقرة وبقر، ﴿إِذَا أَثْمَرَ وَبَنُوهُ﴾، ونضجه وإدراكه، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٠٠] قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾، يعني: الكافرين جعلوا لله الجن شركاء، ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾، يعني: وهو خلق الجن، قال الكلبي: نزلت في الزنادقة أثبتوا الشركة لإبليس في الخلق، فقالوا: الله خالق النور والناس والدواب والأنعام، وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب، وهذا كقوله: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾، وإبليس من الجن، ﴿وَحَرِّقُوا﴾ بتشديد الراء على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي: اختلقوا ﴿لَهُمُ بَنِينَ وَبَنَاتٌ يَغْيَرُ عَلَيْهِمْ﴾، وذلك مثل قول اليهود عزيز ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، وقول كفار مكة الملائكة بنات الله، ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ﴾.

[١٠١] ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: مبدعهما لا على مثال سبق، ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾، أي: كيف يكون له ولد؟ ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾، زوجة، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٠٢] ﴿ذَٰلِكُمْ أَنَّهُ رَكِّبَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾، فأطيعوه، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٥٩٧/٨ وفي التوحيد، ومسلم في المساجد رقم (٦٣٣) ٤٣٩/١ والمصنف في شرح السنة ٢/٢٢٤.

الموصل الشيء باللين والرفق، وقيل: اللطيف الذي يُنسي العباد ذنوبهم لئلا يخلجوا، وأصل اللطف دقة النظر في الأشياء.

[١٠٤] قوله عز وجل: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، يعني: الحجج البينة التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ أي: فمن عرفها وآمن بها ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾، عمله ونفعه له، ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَلِعَمِيهَا﴾، أي: من عمي عنها فلم يعرفها ولم يصدقها فعلها، أي: بنفسه ضرر، وبإل العمى عليه، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾، بريقب أحصي عليكم أعمالكم، وإنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أفعالكم.

[١٠٥] ﴿وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ﴾، انفصلها ونبينا في كل وجه، ﴿وَلِيَقُولُوا﴾، قيل: معناه لئلا يقولوا ﴿دَرَسْتَ﴾، وقيل: اللام لام العاقبة أي: عاقبة أمرهم أن يقولوا: درست، أي قرأت على غيرك، وقيل: قرأت كتب أهل الكتاب، كقوله تعالى: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً)، ومعلوم أنهم لم يلتقطوه لذلك، ولكن أراد أن عاقبة أمرهم أن كان عدواً لهم، قال ابن عباس: (وليقولوا) يعني: أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن (درست) أي: تعلمت من يسار وجبر كانا عبيدين من سبي الروم، ثم قرأت علينا تزعم أنه من عند الله، من قولهم درست الكتاب أدرس درسا ودراسة، وقال الفراء رحمه الله: يقولون تعلمت من اليهود، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (دارست)، بالألف، بفتح السين وسكون التاء، أي: هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة، قد درست وانمحت، من قولهم درس الأثر يدرس دروسا. ﴿وَلِنُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ تَعْمَلُونَ﴾، أي: القرآن، وقيل: نُصَرِّفُ الآيات لقوم يعلمون، قال ابن عباس: يريد أولياءه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد، وقيل: يعني

سورة الأنعام

١٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٦﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٧﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٨﴾ وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا إِن دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ تَعْمَلُونَ أَلْبَعِنَا مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٩﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١١٠﴾ وَلَا تَسْأَلُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْأَلُوكَ اللَّهُ عَذَابًا يُغَيِّرُكُمْ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٢﴾ وَنَقَلَبْ أَفْئِدَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٣﴾

أن تصريف الآيات ليشقى بها قوم ويسعد بها قوم آخرون، فمن قال درست فهو شقي ومن تبين له الحق فهو سعيد.

[١٠٦] ﴿الْبَعِنَا مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، يعني: القرآن اعمل به، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، فلا تجادلهم.

[١٠٧] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾، أي: ولو شاء لجعلهم مؤمنين، ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾، رقيباً قال عطاء: وما جعلناك حفيظاً تمنعهم مني، أي: لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب إنما بعثت مبلغاً ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

[١٠٨] ﴿وَلَا تَسْأَلُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، قال ابن عباس: لما نزلت: (إنكم وما تعبدون من دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ) قال المشركون: يا محمد لتنتهين عن سبب آلهتنا أو لنهجون ربك،

فنهاهم الله تعالى أن يسبوا أو ثأنهم، وقال قتادة: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، لئلا يسبوا الله فإنهم قوم جهلة (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله)، يعني: الأوثان، ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾، أي: اعتداء وظلمًا، ﴿بِعَدْوٍ عَلِيمٍ﴾، قرأ يعقوب (عدوا) بضم العين والدال وتشديد الواو، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لأصحابه: لا تسبوا ربكم، فأمسك المسلمون عن سب آلهتهم. وظاهر الآية وإن كان نهيًا عن سب الأصنام فحقيقته النهي عن سب الله تعالى، لأنه سبب لذلك، ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَلِمَهُمْ﴾، أي: كما زيننا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان، كذلك زيننا لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ﴾، ويُجازيهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٠٩] قوله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ أي: حلفوا بالله جهد أيمانهم، أي: بجهد أيمانهم، يعني أؤكد ما قدروا عليه من الإيمان وأشدّها، قال الكلبي ومجاهد: إذا حلف الرجل بالله، فهو جهد يمينه، ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾، كما جاءت من قبلهم من الأمم، ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلُوبٌ﴾، يا محمد، ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، والله قادر على إنزالها، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، وما يدرىكم، واختلفوا في المخاطبين بقوله (وما يشعركم)، فقال بعضهم: الخطاب للمشركين الذي أقسموا، وقال بعضهم: الخطاب للمؤمنين، وقوله تعالى: (أنها إذا جاءت لا يؤمنون)، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم (إنها) بكسر الألف على الابتداء، وقالوا: تم الكلام عند قوله (وما يشعركم)، ثم من جعل الخطاب للمشركين قال معناه: وما يشعركم أيها المشركون أنها لو جاءت أمتهم؟ ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه: وما يشعركم أيها

المؤمنون أنها لو جاءت آمنوا؟ لأن المسلمين كانوا يسألون رسول الله ﷺ أن يدعو الله حتى يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخطبهم بقوله: (وما يشعركم) ثم ابتدأ فقال جلّ ذكره: (أنها إذا جاءت لا يؤمنون)، وهذا في قوم مخصوصين حكم الله عليهم بأنهم لا يؤمنون، وقرأ الآخرون أنها بفتح الألف وجعلوا الخطاب للمؤمنين، واختلفوا في قوله: (لا يؤمنون)، فقال الكسائي: (لا) صلة، ومعنى الآية: وما يشعركم أيها المؤمنون إذا جاءت أن المشركين يؤمنون؟ كقوله: (وحرّامٌ على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) أي: يرجعون وقيل: إنها بمعنى لعلّ، وكذلك هو في قراءة أبيّ، تقول العرب: اذهب إلى السوق أنك تشتري شيئًا، أي: لعلك وقيل: فيه حذف وتقديره: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون أو لا يؤمنون؟ وقرأ ابن عامر وحمزة (لا يؤمنون)، بالتاء على الخطاب للكفار واعتبروا بقراءة أبيّ: إذا جاءكم لا تؤمنون، وقرأ الآخرون بالياء على الخبر، ودليلها قراءة الأعمش: أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون.

[١١٠] ﴿وَنَقَلِبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، قال ابن عباس: يعني ونحول بينهم وبين الإيمان، فلو جئناهم بالآيات التي سألوها ما آمنوا بها كما لم يؤمنوا به أول مرة، أي: كما لم يؤمنوا بما قبلها من الآيات من انشقاق القمر وغيره، وقيل: كما لم يؤمنوا به أول مرة، يعني: معجزات موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام، كقوله تعالى: (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل)، وفي الآية محذوف تقديره فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: المرّة الأولى دار الدنيا، يعني لو ردّوا من الآخرة إلى الدنيا نقلب أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان كما لم يؤمنوا في الدنيا قبل مماتهم، كما قال: (ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه). ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي

طَغَيْنَهُمْ يَمَعَهُونَ ﴿١١١﴾، قال عطاء: نخذلهم وندعهم في ضلالتهم يتمادون.

[١١١] ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلِئِكَةَ﴾، فأروهم عياناً ﴿وَكَلَّمَهُمُ النَّوِيُّ﴾ بإحيائنا إياهم فشهدوا لك بالنبوة كما سألوا، ﴿وَحَشَرْنَا﴾، وجمعنا، ﴿عَلَيْهِمْ كُلُّ شَيْءٍ قَبْلًا﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر (قبلاً) بكسر القاف وفتح الباء، أي: معانية، وقرأ الآخرون بضم القاف والباء، قيل: هو جمع قبيل، وهو الكفيل، مثل رغيف ورُغف، وقضيب وقُضب، أي: ضُمناء وكُفلاء، وقيل: هو جمع قبيل وهو القبيلة، أي: فوجاً، وقيل: هو بمعنى المقابلة والمواجهة، من قولهم: أتيتك قبلاً لا دبراً إذا أتاه من قبل وجهه. ﴿مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، ذلك، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

[١١٢] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾، أي: أعداء. فيه تعزية للنبي ﷺ، يعني كما ابتليناك بهؤلاء القوم، فكَذلك جعلنا لكل نبي قبلك أعداء، ثم فسرها فقال: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾، قال عكرمة والضحاك والسدي والكلبي: معناه شياطين الإنس التي مع الإنس، وشياطين الجن التي مع الجن، وليس للإنس شياطين، وذلك أن إبليس جعل جنده فريقين فبعث فريقاً منهم إلى الإنس وفريقاً منهم إلى الجن، وكلا الفريقين أعداء للنبي ﷺ ولأوليائه، وهم يلتقون في كل حين، فيقول شيطان الإنس لشيطان الجن: أضللت صاحبي بكذا فأضل صاحبك بمثله، ويقول شياطين الجن لشياطين الإنس كذلك، فذلك وحي بعضهم إلى بعض، قال قتادة ومجاهد والحسن: إن من الإنس شياطين كما أن من الجن شياطين، والشيطان العاتي المتمرد من كل شيء، قالوا: إن الشيطان إذا أعياه المؤمن وعجز من إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنس وهو شيطان الإنس فأغراه بالمؤمن ليفتنه وقال مالك بن دينار: إن شياطين الإنس أشد عليّ

الْبَاقِي

١٤٢

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلِئِكَةَ﴾ وَكَلَّمَهُمُ النَّوِيُّ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْقُرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِنَصْغِي إِلَيْهِ أَفَعِدَّةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ كِتَابٌ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ بِيُضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

من شياطين الجن، وذلك أني إذا تعودت بالله ذهب عني شياطين الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عياناً. قوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، أي: يلقي، ﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾، وهو قول ممّوه مزين مزخرف بالباطل لا معنى تحته، ﴿غُرُورًا﴾، يعني: لهؤلاء الشياطين يُزَيِّنُونَ الأعمال القبيحة لبني آدم، ويغرونهم غروراً، والغرور: القول الباطل، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾، أي: ما ألقوه من الوسوسة في القلوب، ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْقُرُونَ﴾.

[١١٣] ﴿وَلِنَصْغِي إِلَيْهِ أَفَعِدَّةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، أي: تميل إليه، والصغو: الميل، يقال: صغو فلان معك، أي: ميله، والفعل منه: صغى يُصغي صَغًا وَصَغَى وَبَضَغَى، ويصغو صغواً، والهاء راجعة إلى زخرف القول، ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾

[١١٦] ﴿وَإِنْ تَطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، عن دين الله، وذلك أن أكثر أهل الأرض كانوا على الضلالة، وقيل: أراد أنهم جادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين في أكل الميتة، وقالوا: أأأكلون ما تقتلون ولا تأكلون ما قتله الله عز وجل؟ فقال: ﴿وَإِنْ تَطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: وإن تطعمهم في أكل الميتة (يُضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾، يريد أن دينهم الذي هم عليه ظنٌ وهوى لم يأخذه عن بصيرة، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾، يكذبون.

[١١٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، قيل: موضع (من) نصب بترع حرف الصفة، أي: بمن يضل، وقال الزجاج: موضعه رفع بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام، والمعنى: إن ربك هو أعلم أي الناس من يضل عن سبيله، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، أخبر أنه أعلم بالفرقيين الضالين والمهتدين فيجازي كلًا بما يستحقون.

[١١٨] قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، أي: كلوا مما ذُبح على اسم الله، ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِبَيِّنَاتٍ مُؤْمِنِينَ﴾، وذلك أنهم كانوا يُحرّمون أصنافًا من النعم ويحلّون الأموات، فقيل لهم: أكلوا ما أحل الله وحرّموا ما حرّم الله.

[١١٩] ثم قال: ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ يعني: أي شيء لكم، ﴿أَلَّا تَأْكُلُوا﴾، وما يمنعكم من أن تأكلوا ﴿مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، من الذبائح، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب وحفص (فصل)، و(حرم) بالفتح فيهما أي فصل الله ما حرمه عليكم، لقوله (اسم الله) وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وأبو عمرو بضم الفاء والحاء وكسر الصاد والراء على غير تسمية الفاعل، لقوله (ذكر) وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالفتح (فصل)، و(حرم) بالضم، وأراد بتفصيل المحرمات ما ذكرت في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ

وَلَقَعَرُوا﴾، ليكتسبوا، ﴿مَا هُمْ مُتَّفِقُونَ﴾، يقال: اقترف فلان مالاً إذا اكتسبه، وقال تعالى: (ومن يقترف حسنةً)، وقال الزجاج: أي: ليعملوا من الذنوب ما هم عاملون.

[١١٤] قوله عز وجل: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾، فيه إضمار أي: قل لهم يا محمد أغير الله، ﴿أَبْتَنَى﴾، أطلب ﴿حَكَمًا﴾، قاضيًا بيني وبينكم، وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكمًا فأجابهم به، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾، مبينًا فيه أمره ونهيه، يعني: القرآن، وقيل: مفصلاً أي خمسًا خمسًا وعشرين وعشرين، كما قال: (لنثبت به فؤادك)، ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَرُ﴾، يعني: علماء اليهود والنصارى الذين آتيناهم التوراة والإنجيل، وقيل: هم مؤمنو أهل الكتاب، وقال عطاء: هم رؤوس أصحاب النبي ﷺ، والمراد من الكتاب هو القرآن، ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ﴾، يعني: القرآن، قرأ ابن عامر وحفص: (منزل)، بالتشديد من التنزيل لأنه أنزل نجومًا متفرقة، وقرأ الآخرون بالتخفيف من الإنزال، لقوله تعالى: (وهو الذي أنزل إليكم الكتاب)، ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾، من الشاكين أنهم يعلمون ذلك.

[١١٥] قوله عز وجل: ﴿وَنَمَتَ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب (كلمة) على التوحيد، وقرأ الآخرون (كلمات) بالجمع، وأراد بالكلمات أمره ونهيه ووعد وعيده، ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾، أي: صدقًا في الوعد والوعد، وعدلًا في الأمر والنهي، قال قتادة ومقاتل: صادقًا فيما وعد وعدلًا فيما حكم. ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾، قال ابن عباس: لا راد لقضائه ولا مغير لحكمه ولا خُلف لوعده، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، قيل: أراد بالكلمات القرآن لا مبدل له، يريد لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون.

عليكم الميتة والدم)، ﴿إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ من هذه الأشياء فإنه حلال لكم عند الاضطرار، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ﴾، قرأ أهل الكوفة بضم الياء وكذلك قوله (ليضلوا) في سورة يونس، لقوله تعالى: (يضلوك عن سبيل الله)، وقيل: أراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين الذين اتخذوا البحائر والسواحب، وقرأ الآخرون بالفتح لقوله: (من يضل)، ﴿يَاهُوَآيَهُمْ يَغْيِرْ عَلَيْهِ﴾، حين امتنعوا من أكل ما ذكر اسم الله عليه ودعوا إلى أكل الميتة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمَعْتَدِينَ﴾، الذين يجاوزون الحلال إلى الحرام.

[١٢٠] ﴿وَدَرُّوا ظُهُورَ الْإِثْمِ وَبَاطَنَهُ﴾، يعني: الذنوب كلها لأنها لا تخلو من هذين الوجهين، قال قتادة: علانيته وسره، وقال مجاهد: ظاهره ما يعمله الإنسان بالجوارح من الذنوب، وباطنه ما ينويه ويقصده بقلبه كالمصر على الذنب القاصد له، قال الكلبي: ظاهره الزنا وباطنه المخالفة، وأكثر المفسرين على أن ظاهر الإثم الإعلان بالزنا، وهم أصحاب الروايات، وباطنه الاستسار به، وذلك أن العرب كانوا يحبون الزنا وكان الشريف منهم يتشرف فيسره، وغير الشريف لا يبالي به فيظهره، فحرمهما الله عز وجل، وقال سعيد بن جبير: ظاهر الإثم نكاح المحارم وباطنه الزنا، وقال ابن زيد: إن ظاهر الإثم التجرد من الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا، وروى حيان عن الكلبي: ظاهر الإثم طواف الرجال بالبيت نهاراً عراة، وباطنه طواف النساء بالليل عراة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ﴾، في الآخرة، ﴿يَمَّا كَانُوا يَقَرُّونَ﴾، يكتسبون في الدنيا.

[١٢١] قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخقة وغيرها. وقال عطاء: الآية في تحريم الذبائح التي

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ يَاهُوَآيَهُمْ يَغْيِرْ عَلَيْهِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمَعْتَدِينَ ﴿١٢١﴾ وَدَرُّوا ظُهُورَ الْإِثْمِ وَبَاطَنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ يَمَّا كَانُوا يَقَرُّونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآيَهُمْ لِيُجْزِيَهُمْ لُؤْمُهُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢٣﴾ أَوْ مِنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٤﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْهُمْ مُجْرِمِينَ لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٥﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾

كانوا يذبحونها على اسم الأصنام ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾، والفسق في ذكر اسم غير الله كما قال في آخر السورة (قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً على طاعم) إلى قوله (أو فسقاً أهلاً لغير الله به)، ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآيَهُمْ لِيُجْزِيَهُمْ﴾، أراد أن الشياطين ليوسوسن إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم، وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: الله قتلها، قالوا أفترعّم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الكلب والصقر والفهد حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله هذه الآية، ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾، في أكل الميتة، ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، قال الزجاج: وفيه دليل على أن من أحل شيئاً مما حرم الله أو حرم ما أحل الله فهو مشرك.

[١٢٢] قوله: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾، قرأ

نافع (ميثًا) و(لحم أخيه ميثًا) و(الأرض الميتة أحييناها) بالتشديد فيهن، وقرأ الآخرون بالتخفيف (فأحييناها) أي: كان ضلًا فهديناه، كان ميثًا بالكفر فأحييناه بالإيمان، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾، يستضيء به، ﴿يَمْشِي بِهِ فِي النَّارِ﴾، على قصد السبيل، قيل: النور هو الإسلام، لقوله تعالى (يخرجهم من الظلمات إلى النور)، وقال قتادة: هو كتاب الله بينة من الله مع المؤمن، بها يعمل وبها يأخذ وإليها ينتهي، ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾، المثل صلة، أي: كمن هو في الظلمات، ﴿لَيْسَ يَخَارِجَ مِنْهَا﴾، يعني: من ظلمة الكفر ﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، من الكفر والمعصية. قال ابن عباس: يريد زين لهم الشيطان عبادة الأصنام.

[١٢٣] قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا﴾، أي: كما أن فساق مكة أكابرها، كذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها، أي: عظماءها، جمع أكبر، مثل أفضل وأفاضل، وأسود وأساود، وذلك سنة الله تعالى أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضعفاءهم، كما قال في قصة نوح عليه السلام: (أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدُلُونَ)، وجعل فساقهم أكابرهم، ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾، وذلك أنهم أجلسوا على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ، يقولون لكل من يقدم: إِيَّاكَ وَهَذَا الرَّجُلُ فَإِنَّهُ كَاهِنٌ سَاحِرٌ كَذَابٌ، ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، لأن وبال مكرهم يعود عليهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، أنه كذلك. [١٢٤] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾، يعني: مثل ما أوتي رسل الله من النبوة، وذلك أن الوليد بن المغيرة قال: لو كانت النبوة حقًا لكنن أولى بها منك، لأنني أكبر منك سنًا وأكثر منك مالًا فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، وذلك أنه قال: زاحمنا بنو عبد مناف في

الشرف حتى إنا صرنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يوحى إليه، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدًا إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه، فأنزل الله عز وجل: (وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ)، حجة على صدق محمد ﷺ قالوا: يعني أبا جهل، (لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله)، يعني محمدًا ﷺ. ثم قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، قرأ ابن كثير وحفص (رسالته) على التوحيد، وقرأ الآخرون (رسالاته) بالجمع، يعني الله أعلم بمن هو أحق بالرسالة. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾، ذُلٌّ وهوان، ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: من عند الله، ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾، قيل: صغار في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة.

[١٢٥] قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، أي: يفتح قلبه وينوره حتى يقبل الإسلام ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾، قرأ ابن كثير (ضيقة)، بالتخفيف ههنا وفي الفرقان، والباقون بالتشديد، وهما لغتان مثل: هَيْنَ وَهَيْنَ وَلَيْنَ وَلَيْنَ، ﴿حَرَجًا﴾، قرأ أهل المدينة وأبو بكر بكسر الراء والباقون بفتحها، وهما لغتان أيضًا مثل: الدنف والدنف، والمصدر كالطلب ومعناه ذا حرج، وبالكسر الاسم وهو أشد الضيق، يعني يجعل قلبه ضيقًا حتى لا يدخله الإيمان. وقال الكلبي: ليس للخير فيه منفذ. قال ابن عباس: إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه، وإذا ذكر شيء من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾، وقرأ ابن كثير: (يصعد) بالتخفيف وسكون الصاد، وقرأ أبو بكر عن عاصم (يصاعد) بالألف، أي يتصاعد، وقرأ الآخرون (يصعد) بتشديد الصاد والعين، أي: يتصعد، يعني: يشق عليه الإيمان كما يشق عليه صعود السماء. وأصل الصعود المشقة، ومنه قوله تعالى: (سَأَرْهُقُهُ صُعُودًا) أي: عقبة شاقة. ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ

سورة الأنعام

١٤٤

الأنعام

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٦﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٧﴾ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَسِرَ الْجَنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمْرًا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٩﴾ وَكَذَلِكَ نُوتِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣٠﴾ يَمْعَسِرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلْمِيَا تَكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ أَمْرًا وَيُذَرُّوكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَوةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣٢﴾

أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ، يعني: أولياء الشياطين الذين أطاعوهم من الإنس، ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾، قال الكلبي: استمتع الإنس بالجن هو أن الرجل كان إذا سافر ونزل بأرض قفر وخاف على نفسه من الجن قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فبييت في جوارهم، وأما استمتاع الجن بالإنس: هو أنهم قالوا قد سدنا الإنس مع الجن، حتى عاذوا بنا. فيزدادون شرفاً في قومهم وعظماً في أنفسهم، وهذا كقوله تعالى (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) وقيل: استمتع الإنس بالجن ما كانوا يلقون إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة وترينهم لهم

(١) أخرجه ابن ماجه في الطهارة رقم (٢٩٩) ١/١٠٩ وقال في الزوائد إسناده ضعيف والذي في الصحيحين (اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث).

الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٦﴾، قال ابن عباس: الرجس هو الشيطان، أي: يسلط عليه، وقال الكلبي: هو المأثم، وقال مجاهد: الرجس ما لا خير فيه. وقال عطاء: الرجس العذاب مثل الرجس. وقيل: هو النجس. روي أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء قال: اللهم إني أعوذ بك مِنَ الرِّجْسِ والنَّجَسِ^(١). وقال الزجاج: الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة.

[١٢٦] قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ أي: هذا الذي بينا. وقيل: هذا الذي أنت عليه يا محمد طريق ربك ودينه الذي ارتضاه لنفسه مستقيماً لا عوج فيه وهو الإسلام. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

[١٢٧] ﴿هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، يعني: الجنة. قال أكثر المفسرين: السلام هو الله وداره الجنة وقيل: السلام هو السلامة، أي: لهم دار السلامة من الآفات، وهي الجنة. وسميت دار السلام لأن كل من دخلها سلم من البلايا والرزايا، وقيل: سميت بذلك لأن جميع حالاتها مقرونة بالسلام، فقال في الابتداء: (ادخلوها بسلام آمنين)، وقال: (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم)، وقال: (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً هـ إلا قِيلاً سَلاماً سَلاماً)، وقال: (تحيتهم فيها سلام)، وقال: (سلام قولاً من رب رحيم). ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، قال الحسين بن الفضل: يتولاها في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء.

[١٢٨] قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾، قرأ حفص: (يحشرهم)، بالياء ﴿جَمِيعًا﴾، يعني الجن والإنس يجمعهم في موقف القيامة فيقول: ﴿يَمْعَسِرَ الْجَنِّ﴾، والمراد بالجن: الشياطين، ﴿قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ أي: استكبرتم من الإنس بالإضلال والإغواء أي: أضللتكم كثيراً، ﴿وَقَالَ

خيرًا ولّى أمرهم خيارهم، وإذا أراد بقوم شرًا ولّى أمرهم شرارهم.

[١٣٠] قوله عزّ وجلّ: ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، اختلفوا في أن الجن هل أرسل إليهم منهم رسول، فسئل الضحاك عنه، فقال: بلى ألم تسمع الله يقول (ألم يأتكم رسل منكم)، يعني بذلك رسلًا من الإنس ورسلًا من الجن، ثم قرأ (ولّوا إلى قومهم مُنذرين)، وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون الجن ما سمعوا، وليس للجن رسل، فعلى هذا قوله (رسل منكم) ينصرف إلى أحد الصنفين وهم الإنس، كما قال: (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)، وإنما يخرج من الملح دون العذب ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ﴾، أي: يقرؤون عليكم، ﴿أَيَّتَنِي﴾، كُتِبِي ﴿وَسُيُذَرِّبُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، وهو يوم القيامة، ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾، أنهم قد بلغوا، قال مقاتل: وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَرَّضْنَاهُمْ لِأَلْحِقُوا الْفِتْنَةَ﴾، حتى لم يؤمنوا، ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاثِبُونَ﴾.

[١٣١] ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رُبُّكَ مُهْلِكٌ الْقُرَىٰ يَظْلِمُونَ﴾، أي: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل وعذاب من كذبهم لأنه لم يكن ربك مُهلك القرى بظلم، أي: لم يكن مهلكهم بظلم، أي: بشرك من أشرك، ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾، لم يندروا حتى نبعث إليهم رسلًا يندرونهم. وقال الكلبي: لم يهلكهم بذنوبهم من قبل أن يأتهم الرسل. وقيل: معناه لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسول.

(١) قال في المقاصد الحسنة رواه ابن عساکر في تاريخه وفيه ابن زكريا العدوي متهم بالوضع وأورده الديلمي في الفردوس بلا إسناد. انظر كشف الحفاء ٢٩٧/٢، فيض القدير ٧٢/٦، تمييز الطبيب من الخبيث ص ١٧٧.

الأمر التي يهونها، حتى يسهل فعلها عليهم، واستمتع الجنّ بالإنس طاعة الإنس لهم فيما يزيّنون لهم من الضلالة والمعاصي. قال محمد بن كعب: هو طاعة بعضهم بعضًا وموافقة بعضهم لبعض، ﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا﴾، يعني: القيامة والبعث، ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿الْأَنَارُ مَثَوْنُكُمْ﴾، مقامكم، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، اختلفوا في هذا الاستثناء كما اختلفوا في قوله: (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك)، قيل: أراد إلا قدر مدة ما بين بعثهم إلى دخولهم جهنم، يعني: خالدون في النار إلا هذا المقدار، وقيل: الاستثناء يرجع إلى العذاب، وهو قوله: (النار مثواكم)، أي: خالدين في النار سوى ما شاء الله من أنواع العذاب، وقال ابن عباس: الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون فيخرجون من النار و(ما) بمعنى (من) على هذا التأويل، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، قيل: حكيم بمن استثنى عليم بما في قلوبهم من البر والتقوى.

[١٢٩] ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، قيل: أي: كما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض نولي بعض الظالمين بعضًا، أي: نسلط بعض الظالمين على بعض، فنأخذ من الظالم بالظالم، كما جاء: «مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١) وقال قتادة: نجعل بعضهم أولياء بعض، فال مؤمن وليّ المؤمن أين كان، والكافر وليّ الكافر حيث كان. وروى عن معمر عن قتادة: نتبع بعضهم بعضًا في النار، من الموالاة. وقيل: معناه نولي ظلمة الإنس ظلمة الجن، ونولي ظلمة الجن ظلمة الإنس، أي: نكل بعضهم إلى بعض، كقوله تعالى: (نؤله ما تولّى)، وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها هو أنّ الله تعالى إذا أراد بقوم

فيكون قد ظلمهم، وذلك أن الله تعالى أجرى السنة أن لا يأخذ أحداً إلا بعد وجود الذنب، وإنما يكون مذنباً إذا أمر فلم يأتمر أو نهي فلم يته، وذلك يكون بعد إنذار الرسل.

[١٣٢] ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ ، يعني في الثواب والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا، فمنهم من هو أشد عذاباً ومنهم من هو أجزل ثواباً، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ، قرأ ابن عامر (تعملون) بالياء والباقون بالياء.

[١٣٣] ﴿رَبُّكَ الْغَفِيُّ﴾ ، عن خلقه، ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ ، قال ابن عباس: بأوليائه وأهل طاعته، وقال الكلبي: بخلقه، ذو التجاوز، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ ، يهلككم: وعيد لأهل مكة، ﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾ ، ويخلف وينشئ، ﴿مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَأْ﴾ ، خلقاً غيركم أمثل وأطوع. ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ نَوْمٍ أَخْرَجْتُمْ﴾ ، أي: من نسل آبائهم الماضين قرناً بعد قرن.

[١٣٤] ﴿إِنْ مَا تُوَعَّدُونَ﴾ أي: ما توعدون من مجيء الساعة والحشر، ﴿لَآتٍ﴾ ، كائن، ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ، أي: بغايتين، يعني: يدرركم الموت حيث ما كنتم.

[١٣٥] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَقَوْمُ اْعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ﴾ ، قرأ أبو بكر عن عاصم (مكاناتكم) بالجمع حيث كان أي: على تمكنكم، قال عطاء: على حالاتكم التي أنتم عليها. قال الزجاج: اعملوا على ما أنتم عليه. يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حالة: على مكانتك يا فلان، أي: اثبت على ما أنت عليه، وهذا أمر وعيد على المبالغة يقول الله تعالى لنيه ﷺ: قل لهم اعملوا على ما أنتم عاملون، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ ، ما أمرني به ربي عز وجل: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عِقَبَةُ الذَّارِ﴾ ، أي: الجنة، قرأ حمزة والكسائي: (يكون) بالياء هنا وفي القصص، وقرأ الآخرون

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿رَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَأْ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ أَخْرَجْتُمْ﴾ ﴿إِنْ مَا تُوَعَّدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿قُلْ يَقَوْمُ اْعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عِقَبَةُ الذَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

بالتاء لتأنيث العاقبة، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ، قال ابن عباس: معناه لا يسعد من كفر بي وأشرك. قال الضحاك: لا يفوز.

[١٣٦] قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ الآية، كان المشركون يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم وسائر أموالهم نصيباً، وللأوثان نصيباً، فما جعلوه لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين، وما جعلوه للأصنام أنفقوه على الأصنام وخدمها، فإن سقط شيء مما جعلوه لله تعالى في نصيب الأوثان تركوه وقالوا: إن الله غني عن هذا، وإن سقط شيء من نصيب الأصنام فيما جعلوه لله ردّوه إلى الأوثان، وقالوا: إنها محتاجة، وكان إذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به، وإذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوا للأصنام جبروه بما

جعلوه لله، فذلك قوله تعالى: (وجعلوا لله مما ذرأ) خلق (من الحرث والأنعام نصيباً)، وفيه اختصار مجازة: وجعلوا لله نصيباً ولشركائهم نصيباً. ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُ رَبِّعِمِهِمْ﴾، قرأ الكسائي (بزعمهم) بضم الزاي، والباقون بفتحها، وهما لغتان، وهو القول من غير حقيقة، ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِكَ﴾، يعني: الأوثان، ﴿فَمَا كَانَتْ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾، ومعناه: ما قلنا أنهم كانوا يتمون ما جعلوه للأوثان مما جعلوه لله، ولا يتمون ما جعلوه لله مما جعلوه للأوثان. وقال قتادة: كانوا إذا أصابتهم سنة استعانوا بما جزءوا لله وأكلوا منه فوفروا ما جزءوا لشركائهم ولم يأكلوا منه، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، أي: بش ما يقضون.

[١٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، أي: كما زين لهم تحريم الحرث والأنعام كذلك زين لكثير من المشركين، ﴿قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ﴾، قال مجاهد: شركاؤهم أي: شياطينهم زينوا أو حسّنوا لهم وأدّ البنات خيفة العيلة، سميت الشياطين شركاء لأنهم أطاعوهم في معصية الله وأضيف الشركاء إليهم لأنهم اتخذوها. وقال الكلبي: شركاؤهم سدة ألهتهم الذين كانوا يزينون للكفار قتل الأولاد، وكان الرجل منهم يحلف لئن ولد له كذا غلاماً لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله وقرأ ابن عامر: (زين) بضم الزاي وكسر الياء، (قتل) رفع (أولادهم) نصب، (شركائهم) بالخفض على التقديم فأضيف الفعل وهو القتل إلى الشركاء وإن لم يتولوا ذلك؛ لأنهم هم الذين زينوا ذلك ودعوا إليه، فكانهم فعلوه. قوله عز وجل: ﴿لِيُذَوِّهُمْ﴾، ليهلكوهم، ﴿وَلِيَكْسِبُوا عَلَيْهِمْ﴾، ليخطئوا عليهم ﴿دِينَهُمْ﴾، قال ابن عباس: ليدخلوا عليهم الشك في دينهم، وكانوا على دين إسماعيل فرجعوا عنه

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرِّثُ حِجْرٌ لَا يَطْعُمَهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِرِغْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حَرَمْتُ طُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [١٣٨] ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ إِلَدُكُورُنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مِّمَّةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [١٣٩] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [١٤٠] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ، وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ، يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [١٤١] ﴿وَمِنَ الْأَنْعَمِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُّوا مِن ثَمَرِهَا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [١٤٢]

لبئس الشياطين. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾، أي: لو شاء الله لعصمهم حتى ما فعلوا ذلك من تحريم الحرث والأنعام وقتل الأولاد، ﴿فَذَرَهُمْ﴾، يا محمد، ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، يختلفون من الكذب، فإن الله تعالى لهم بالمرصاد.

[١٣٨] ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: المشركين، ﴿هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرِّثُ حِجْرٌ﴾، أي: حرام، يعني: ما جعلوا لله ولآلهتهم من الحرث والأنعام على ما مضى ذكره. وقال مجاهد: يعني بالأنعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ﴿لَا يَطْعُمَهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِرِغْمِهِمْ﴾، يعنون الرجال دون النساء، ﴿وَأَنْعَمُ حَرَمْتُ طُهُورُهَا﴾، يعني: الحوامي كانوا لا يركبونها، ﴿وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾، أي: يذبحونها باسم الأصنام لا باسم الله، وقال أبو وائل: معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير، لأنه لما

جرت العادة بذكر اسم الله على فعل الخير عبّر بذكر الله تعالى عن فعل الخير. ﴿أَفَرَأَىٰ عَلَيْهِ﴾، يعني: أنهم يفعلون ذلك ويزعمون أن الله أمرهم به افتراء عليه ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْعُرُونَ﴾.

[١٣٩] ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنعَامِ خَالِصَةٌ لِّذِكْرِنَا وَمَحْكَمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾، أي: نساتنا. قال ابن عباس وقتادة والشعبي: أراد أجنة البحائر والسوائب فما وُلد منها حيًّا فهو خالص للرجال دون النساء، وما وُلد ميتًا أكله الرجال والنساء جميعًا. وأدخل الهاء في (الخالصة) للتأكيد كالخاصة والعامة، كقولهم: نسابة وعلامة، وقال الفراء رحمه الله: أدخلت الهاء لتأنيثها. وقال الكسائي: خالص وخالصة واحد، مثل وعظ وموعظة، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر: (تكن) بالتاء (ميتة) رفع، ذكر الفعل بعلامة التأنيث، لأن الميتة في اللفظ مؤنثة. وقرأ أبو بكر عن عاصم (تكن) بالتاء (ميتة) نصب، أي: وإن تكن الأجنة ميتة، وقرأ ابن كثير: (وإن يكن) بالياء (ميتة) رفع. لأن المراد بالميتة الميت، أي: وإن يقع ما في البطون ميتًا، وقرأ الآخرون (وإن يكن) بالياء (ميتة) نصب، رده إلى (ما) أي: وإن يكن ما في البطون ميتة، يدل عليه أنه قال: ﴿لَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءٌ﴾، ولم يقل: فيها، وأراد أن الرجال والنساء فيه شركاء. ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾، أي: بوصفهم، أو على وصفهم الكذب على الله، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ ذَبِيرٌ﴾.

[١٤٠] ﴿قَدْ حَسِبَ الَّذِينَ نَسُوا لِقَاءَ رَبِّهِمْ﴾، قرأ ابن عامر وابن كثير (قتلوا) بتشديد التاء على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف. ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾، جهلًا. ﴿وَنَزَلَتْ فِي رِبْعَةٍ وَمَضَرٍ وَبَعْضُ الْعَرَبِ مِنْ غَيْرِهِمْ﴾، كانوا يدفنون البنات أحياء مخافة السبي والفقر، وكان بنو كنانة لا يفعلون ذلك. ﴿وَسَكَّرُوا مَا كَانُوا يَكْفَهُهُ اللَّهُ﴾، يعني: البحيرة

والسائبة والوصيلة والحام، ﴿أَفَرَأَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾، حيث قالوا: إن الله أمرهم بها، ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

[١٤١] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ﴾، بساتين، ﴿مَعْرُوشَتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَتٍ﴾، أي: مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات. وقال ابن عباس: معروشات: ما انبسط على وجه الأرض، وانتشر مما يعرش، مثل: الكرم والقرع والبطيخ وغيرها، وغير معروشات: ما قام على ساق ويسق، مثل النخل والزرع وسائر الأشجار. وقال الضحاك: كلاهما الكرم خاصة منها ما عرش ومنها ما لم يعرش. ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ﴾، أي: وأنشأ النخل والزرع، ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُمْ﴾، ثمره وطعمه منه الحلو والحامض والجيد والرديء، ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَانُ مُنَشَّجِينَ﴾، في النظر، ﴿وَغَيْرَ مُنَشَّجِينَ﴾، في المطعم مثل الرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف، ﴿كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾، هذا أمر بإباحة. ﴿وَوَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، قرأ أهل البصرة وابن عامر وعاصم (حصاده) بفتح الحاء، وقرأ الآخرون بكسرها، ومعناها واحد، كالصَّرام والصَّرام والجَزاز والجَزاز، واختلفوا في هذا الحق فقال ابن عباس وطاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب: إنها الزكاة المفروضة من العشر ونصف العشر، وقال علي بن الحسين وعطاء ومجاهد وحماد والحكم: حق في المال سوى الزكاة أمر بإتيانه لأن الآية مكية وفرضت الزكاة بالمدينة. قال إبراهيم: هو الضغث. وقال الربيع: لقاط السنبل. وقال سعيد بن جبير: كان هذا حقًّا يؤمر بإتيانه في ابتداء الإسلام فصار منسوخًا بإيجاب العشر. قال مقسم عن ابن عباس: نسخت الزكاة كل نفقة في القرآن. ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِكُلِّ شَيْءٍ بِرَبِّكُمْ﴾، قيل: أراد بالإسراف إعطاء الكل. قال السدي: لا تسرفوا أي لا تعطوا

أموالكم فتتعدوا فقراء. قال الزجاج: على هذا إذا أعطى الإنسان كل ماله ولم يوصل إلى عياله شيئاً فقد أسرف، لأنه جاء في الخبر: «ابدأ بمن تعول...»^(١)، وقال سعيد بن المسيب: معناه لا تمنعوا الصدقة. فتأويل هذه الآية على هذا: لا تتجاوز الحد في البخل والإمساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة. وقال مقاتل: لا تشركوا الأصنام في الحرث والأنعام. وقال الزهري: لا تنفقوا في المعصية. وقال مجاهد: الإسراف ما قصرت به عن حق الله عز وجل، وقال: لو كان أبو قبيس ذهباً لرجل فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً ولو أنفق درهماً أو مئداً في معصية الله كان مسرفاً. وقال إياس بن معاوية: ما جاوزت به أمر الله فهو سرف وإسراف. وروى ابن وهب عن أبي زيد، قال الخطاب للسلطين، يقول: لا تأخذوا فوق حقتكم.

[١٤٢] قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾، أي: وأنشأ من الأنعام، ﴿حَمُولَةً﴾، وهي كل ما يحمل عليها من الإبل، ﴿وَرَفَرَشًا﴾، وهي الصغار من الإبل التي لا تحمل. ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾، لا تسلكوا طريقه وآثاره في تحريم الحرث والأنعام، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

ثم بين الحمولة والفرش فقال:

[١٤٣] ﴿ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾، نصبها على البدل من الحمولة والفرش، أي: وأنشأ من الأنعام ثمانية أزواج أصناف، ﴿مِنَ الضَّكَايِ أَثْنَيْنِ﴾، أي: الذكر والأنثى، فالذكر زوج والأنثى زوج، والعرب تسمى الواحد زوجاً إذا كان لا ينفك عن الآخر، والضأن النعاج، وهي ذوات الصوف من الغنم، والواحد ضأن والأنثى ضائنة، والجمع ضوائن، ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ أَثْنَيْنِ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأهل البصرة (وَمِنَ الْمَعَزِ) بفتح العين، والباقون

ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّكَايِ أَثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ أَثْنَيْنِ قُلْ أَلَّذَكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَعُوذُ بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ أَثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أَثْنَيْنِ قُلْ أَلَّذَكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَلَكُمُ اللَّهُ بِهِنَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْسَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايِ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾

بسكونها، والمعز والمعزى جمع لا واحد له من لفظه، وهي ذوات الشعر من الغنم، وجمع الماعز معيز، وجمع الماعزة موعاز، ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَلَّذَكْرَيْنِ حَرَّمَ﴾، الله عليكم، يعني ذكر الضأن والمعز، ﴿أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾، يعني أنثى الضأن والمعز، ﴿أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾، منهما فإنها لا تشتمل إلا على ذكر وأنثى، ﴿نَعُوذُ بِعِلْمٍ﴾، أخبروني، ﴿بِعِلْمٍ﴾، قال الزجاج: فسروا ما حرّمتم بعلم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن الله تعالى حرم هذا. [١٤٤] ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ أَثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أَثْنَيْنِ قُلْ أَلَّذَكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾، وذلك أنهم كانوا يقولون: (هذه أنعام

(١) أخرجه البخاري في الزكاة باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ٢٩٤/٣ ومسلم في الزكاة باب بيان أفضل الصدقة رقم (١٠٣٤) ٧١٧/٢ والمصنف في شرح السنة ١٧٨/٥.

بهذه الأشياء بل المحرم بنص الكتاب ما ذكر هنا، ذلك معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾، وقد حرّمت السنّة أشياء يجب القول بها، ومنها كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ عَلَيْهِ بَاعٌ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، أباح الله أكل هذه المحرمات عند الاضطرار في غير العدوان.

[١٤٦] قوله عز وجل: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا﴾، يعني اليهود، ﴿كُلِّ ذِي ظُفْرٍ﴾، وهو ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطير مثل البعير والنعامة والأوز والبط، قال القتيبي: هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وحكاه عن بعض المفسرين، وقال: سمي الحافر ظفرًا على الاستعارة، ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا﴾، يعني شحوم الجوف، وهي الشروب، وشحم الكليتين، ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾، أي: إلا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما، ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾، وهي المباغر واحدها حاوية وحاوية أي ما حملته الحوايا من الشحم. ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾، يعني: شحم الإلية هذا كله داخل في الاستثناء، والتحريم مختص بالثّرب وشحم الكلية ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ﴾، أي: ذلك التحريم عقوبة لهم ﴿بِغْيَتِهِمْ﴾، أي: بظلمهم من قتلهم الأنبياء وصدهم عن سبيل الله وأخذهم الربا واستحلال أموال الناس بالباطل، ﴿وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾، في الإخبار عما حرّمنا عليهم وعن بغيتهم.

[١٤٧] ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾، بتأخير العذاب عنكم، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾، عذابه ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾، إذا جاء وقته.

[١٤٨] ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، لما لزمهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله قالوا ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا

وحرث حجر﴾، (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة للذكورنا ومحرم على أزواجنا)، وحرّموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال، فلمّا قام الإسلام وثبتت الأحكام جادلوا النبي ﷺ في ذلك ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَاهُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ الْنَّاسَ بَغْيٍ عَلَيْهِ﴾، قيل: أراد عمرو ابن لحي ومن جاء بعده على طريقته، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. ثم بين أن التحريم والتحليل يكون بالوحي والتنزيل، فقال:

[١٤٥] ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ أي: شيئًا محرّمًا. وروى أنهم قالوا: فما المحرم إذا فتّل: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ ﴿عَلَى طَائِفٍ يَطْعُمُهُ﴾، أكل يأكله، ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ قرأ ابن عامر وأبو جعفر ﴿تَكُونُ﴾ بالتاء، ﴿مَيْتَةً﴾ رفع أي: إلا أن تقع ميتة، وقرأ ابن كثير وحزمة ﴿تَكُونُ﴾ بالتاء (ميتة) نصب على تقدير اسم مؤنث، أي: إلا أن تكون النفس، أو الجثة ميتة، وقرأ الباقون ﴿يَكُونُ﴾ بالياء (ميتة) نصب، يعني إلا أن يكون المطعوم ميتة، ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾، أي: مهوراقًا سائلًا، قال ابن عباس: يريد ما خرج من الحيوان وهنّ أحياء وما خرج من الأرواح وما يخرج من الأوداج عند الذبح، ولا يدخل فيه الكبد والطحال، لأنهما جامدان. وقد جاء الشرع بإباحتهما، ولا ما اختلط باللحم من الدم، لأنه غير سائل ﴿أَوْ لَحْمٍ خِزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾، وهو ما ذبح على غير اسم الله تعالى. فذهب بعض أهل العلم إلى أن التحريم مقصور على هذه الأشياء. ويروى ذلك عن عائشة وابن عباس، قالوا: ويدخل في الميتة المنخنقة والموقوذة، وما ذكر في أول سورة المائدة، وأكثر العلماء على أن التحريم لا يختص

﴿أَشْرَكْنَا﴾، نحن، ﴿وَلَا أَبَاؤُنَا﴾، من قبل، ﴿وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ﴾، من البحائر والسوائب وغيرهما، أرادوا أن يجعلوا قوله: (لو شاء الله ما أشركنا)، حجة لهم على إقامتهم على الشرك، وقالوا إن الله تعالى قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله، فلو لا أنه رضي بما نحن عليه وأراده منا وأمرنا به لحال بيننا وبين ذلك، فقال الله تعالى تكذيباً لهم: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من كفار الأمم الخالية، ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾، عذابنا. ويستدل أهل القدر بهذه الآية، يقولون: إنهم لما قالوا (لو شاء الله ما أشركنا) كذبهم الله ورد عليهم، فقال: (كذلك كذب الذين من قبلهم)، قلنا: التكذيب ليس في قولهم (لو شاء الله ما أشركنا)، بل ذلك القول صدق، ولكن في قولهم: إن الله تعالى أمرنا بها ورضي بما نحن عليه كما أخبر عنهم في سورة الأعراف: (وإذا فعلوا فاحشةً قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها)، فالرد عليهم في هذا كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ والدليل على أن التكذيب ورد فيما قلنا لا في قولهم: (لو شاء الله ما أشركنا)، قوله: (كذلك كذب الذين من قبلهم)، بالتشديد، ولو كان ذلك خبراً من الله عز وجل عن كذبهم في قولهم: (لو شاء الله ما أشركنا)، لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب، وقال الحسن بن الفضل لو ذكروا هذه المقالة تعظيماً وإجلالاً لله عز وجل، ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك، لأن الله تعالى قال: (ولو شاء الله ما أشركوا) وقال: (وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله)، والمؤمنون يقولون ذلك، ولكنهم قالوه تكذيباً وتخريصاً وجدلاً من غير معرفة بالله وبما يقولون، نظيره قوله عز وجل: (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم)، قال الله تعالى: (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون)، وقيل في

معنى الآية: إنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة إلا أنهم كانوا يعدونه عذراً لأنفسهم ويجعلونه حجة لأنفسهم في ترك الإيمان، ورد عليهم في هذا لأن أمر الله بمعزل عن مشيئته وإرادته، فإنه يريد لجميع الكائنات غير أمر بجميع ما يريد، وعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته، فإن مشيئته لا تكون عذراً لأحد. ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾، أي: كتاب وحجة من الله، ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾، حتى يظهر ما تدعون على الله تعالى من الشرك وتحريم ما حرمتهم، ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾، ما تتبعون فيما أنتم عليه، ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾، من غير علم ويقين، ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾، تكذبون.

[١٤٩] ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾، التامة على خلقه بالكتاب والرسول والبيان، ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، فهذا يدل على أنه لم يشأ إيمان الكافر

ولو شاء لهداه.

[١٥٠] ﴿قُلْ هَلْمْ﴾، يقال للواحد والاثنتين والجمع، ﴿شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾، أي: اتوا بشهادتكم الذين يشهدون، ﴿أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾، هذا راجع إلى ما تقدم من تحريمهم الأشياء على أنفسهم ودعواهم أن الله أمرهم به، ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾، وهم كاذبون، ﴿فَلَا تَشْهَدُوا﴾، أنت، ﴿مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، أي: يشركون.

[١٥١] قوله عز وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي﴾، ﴿عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وذلك أن المشركين سألوا وقالوا: أي شيء الذي حرم الله تعالى؟ فقال عز وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي﴾، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿حَرَّمَ رَبِّي﴾، ﴿عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، والمحرم هو الشرك لا ترك الشرك؟ قيل: موضع ﴿أَنَّ﴾ رفع معناه هو أن لا تشركوا، وقيل: محله نصب واختلفوا في وجه انتصابه، قيل: معناه حرم عليكم أن تشركوا به و﴿لَا﴾ صلة كقوله تعالى (ما منعك أن لا تسجد) أي: منعك أن تسجد. وقيل: تم الكلام عند قوله ﴿حَرَّمَ رَبِّي﴾ ثم قال: عليكم أن لا تشركوا به شيئاً على وجه الإغراء. قال الزجاج: يجوز أن يكون هذا محمولاً على المعنى، أي: أتل عليكم تحريم الشرك، وجائز أن يكون على معنى: أوصيكم ألا تشركوا به شيئاً و﴿بِالَّذِينَ إِحْسَنَّا وَلَا تَقُولُوا أُولَئِكَ مِنِّي إِمْلَاقٌ﴾، فقر، ﴿تَحْنُ نَزْفُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، أي: لا تتدوا بناتكم خشية العيلة فإني رازقكم وإياهم، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ﴾، ما ظهر يعني العلانية وما بطن يعني السر، وكان أهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به بأساً في السر فحرم الله تعالى الزنا في العلانية والسر. وقال الضحاك: ما ظهر

١٤٩ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾، وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْبُدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَالَمٍ يَلْقَاءُ رَبَّهُمْ قَوْمُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَىٰ نَارٍ لَّكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجَرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

الخير وما بطن: الزنا. ﴿وَلَا تَقُولُوا النَّفْسُ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، حرم الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد إلا بالحق، إلا بما يبيح قتله من ردة أو قصاص أو زنا يوجب الرجم قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(١)، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت، ﴿وَصْنَكُمْ بِهِ﴾، أمركم به، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ﴾.

[١٥٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، يعني: بما فيه صلاحه وشميره. وقال مجاهد: هو التجارة فيه. وقال الضحاك: هو أن

(١) أخرجه البخاري في الديات ٢٠١/١٢ ومسلم في القسامة رقم (١٦٧٦) ١٣٠٢/٣ والمصنف في شرح السنة ١٤٧/١٠

وقرأ الآخرون بفتح الألف، قال الفراء: والمعنى وأتئلكم أن هذا صراطي مستقيماً وقرأ ابن عامر ويعقوب بسكون النون. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾، أي: الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق، مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل، وقيل: الأهواء والبدع، ﴿فَنَفَرَقَ﴾، فتميل، ﴿بِكُمْ﴾، وتشتت، ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾، عن طريقه ودينه الذي ارتضى، وبه أوصى، ﴿ذَلِكُمْ﴾، الذي ذكرت، ﴿وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. عن أبي وائل عن عبدالله قال: خطب لنا رسول الله ﷺ خطباً ثم قال: «هذا سبيل الله، ثم خطب خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾، الآية^(١).

[١٥٤] قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، فإن قيل: لم قال: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا﴾ وحرف (ثم) للتعقيب وإتياء موسى الكتاب كان قبل مجيء القرآن؟ قيل: معناه ثم أخبركم أننا آتينا موسى الكتاب، فأدخل ﴿ثُمَّ﴾ لتأخير الخبر لا لتأخير النزول. ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾، اختلفوا فيه، قيل: تمامًا على المحسنين من قومه، فتكون ﴿الَّذِي﴾ بمعنى من، أي: على من أحسن من قومه، وكان بينهم محسن ومسيء، يدل عليه قراءة ابن مسعود: (على الذين أحسنوا)، وقال أبو عبيدة: معناه على كل من أحسن، أي: أتممنا فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين، يعني: أظهرنا فضله عليها، والمحسنون هم الأنبياء والمؤمنون، وقيل: الذي أحسن هو موسى، ﴿وَالَّذِي﴾ بمعنى ما، أي: على ما أحسن موسى، تقديره آتيناه الكتاب يعني التوراة إتماماً عليه للنعمة لإحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء

يتغني له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئاً، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾، قال الشعبي ومالك: الأشد: الحلم، حتى يكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات. قال أبو العالية: حتى يعقل وتجتمع قوته. وقال الكلبي: الأشد ما بين الثمانية عشرة سنة إلى ثلاثين سنة. وقيل: إلى أربعين سنة. وقيل: إلى ستين سنة. وقال الضحاك: عشرون سنة. وقال السدي: ثلاثون سنة. وقال مجاهد: الأشد ثلاث وثلاثون سنة. والأشد جمع شد، مثل قد وأقد، وهو استحكام قوة شبابه وسنه، ومنه شد النهار وهو ارتفاعه. وقيل: بلوغ الأشد أن يؤنس رشده بعد البلوغ، وتقدير الآية: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتتي هي أحسن على الأبد حتى يبلغ أشده، فادفعوا إليه ماله إن كان رشيداً، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، ﴿لَا تَكُلُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، أي: طاقتها في إيفاء الكيل والميزان، أي لم يكلف المعطى أكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه، بل أمر كل واحد منهما بما يسعه مما لا حرج عليه فيه، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا﴾، فاصدقوا في الحكم والشهادة، ﴿وَلَوْ كَانُ ذَا قُرْبَى﴾، أي ولو كان المحكوم والمشهود عليه ذا قرابة، ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، تتعظون، قرأ حمزة والكسائي وحفص تذكرون خفيفة الذال، كل القرآن، والآخرون بتشديدها قال ابن عباس: هذه الآيات محكمات في جميع الكتب، لم ينسخن شيء وهن محرمات على بني آدم كلهم، وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار.

[١٥٣] ﴿وَأَنَّ هَذَا﴾، أي: هذا الذي وصيتكم به في هاتين الآيتين، ﴿صِرَاطِي﴾، طريقي وديني، ﴿مُسْتَقِيمًا﴾، مستويًا قويماً، ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾، قرأ حمزة والكسائي، (وإن) بكسر الألف على الاستئناف

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة ٦٧/١ والطبري في تفسيره وصححه الحاكم ٣/٣١٨ ووافقه الذهبي وأخرجه الآجري في الشريعة ص ١٠ والمصنف في شرح السنة ١٩٦/١.

[١٥٨] قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾، أي: هل ينتظرون بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القرآن، ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، لقبض أرواحهم، وقيل: بالعذاب، قرأ حمزة والكسائي ﴿يَأْتِيَهُمْ﴾ بـياء هاهنا وفي النحل، والباقون بالتاء، ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾، بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة، ﴿أَوْ يَأْتِ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ﴾، يعني طلوع الشمس من مغربها، عليه أكثر المفسرين ورواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً. ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾، أي: لا ينفعهم الإيمان عند ظهور الآية التي تضطربهم إلى الإيمان، ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾، يريد: لا يقبل إيمان كافر ولا توبة فاسق ﴿قُلْ أَنْظَرُوا﴾، يا أهل مكة، ﴿إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ بكم العذاب قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»^(١) وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: الدجال، والداية، وطلوع الشمس من مغربها»^(٢).

[١٥٩] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿فارقوا﴾، بالالف هاهنا وفي سورة الروم، أي: خرجوا من دينهم وتركوه وقرأ الآخرون: ﴿فَرَّقُوا﴾ مشدداً، أي: جعلوا دين الله وهو واحد دين إبراهيم عليه السلام الحنيفية، أدياناً مختلفة فتهود قوم وتنصر قوم، يدل عليه قوله عز وجل: ﴿وَكُنُوا شِيعًا﴾، أي: صاروا فرقاً مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة

الأمر. وقيل: الإحسان بمعنى العلم، وأحسن بمعنى علم، ومعناه تماماً على الذي أحسن موسى من العلم والحكمة، أي آتياه الكتاب زيادة على ذلك. وقيل: معناه تماماً مني على إحساني إلى موسى. ﴿وَنَقْصِيصًا﴾، بياناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، يحتاج إليه من شرائع الدين، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾، هذا في صفة التوراة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾، قال ابن عباس: كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالشواب والعقاب.

[١٥٥] ﴿وَهَذَا﴾، يعني: القرآن، ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ﴾، إليك، ﴿مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾، فاعملوا بما فيه، ﴿وَاتَّقُوا﴾، وأطيعوا، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

[١٥٦] ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾، يعني: لثلاث تقولوا، كقوله تعالى: (يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا)، أي: لثلاث تضلُّوا وقيل: معناه أنزلناه كراهة ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾، قال الكسائي: معناه اتقوا أن تقولوا يا أهل مكة، ﴿إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾، يعني: اليهود والنصارى، ﴿وَإِنْ أَكْثَرُ﴾، وقد كنا، ﴿عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾، قراءتهم، ﴿لَغَفْلَةٍ﴾، لا نعلم ما هي، معناه أنزلنا عليكم القرآن لثلاث تقولوا إن الكتاب أنزل على من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيه وغفلنا عن دراسته، فتجعلونه عذراً لأنفسكم.

[١٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾، وقد كان جماعة من الكفار قالوا ذلك لو أننا أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكننا خيراً منهم، قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، حجة واضحة بلغة تعرفونها، ﴿وَهُدًى﴾، بيان ﴿وَرَحْمَةً﴾، ونعمة لمن اتبعه، ﴿فَمَنْ أَظْهَرُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ﴾، أعرض، ﴿عَنْهَا سَجَرَىٰ آلَيْنِ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾، شدة العذاب، ﴿يَمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾، يعرضون.

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٣٩٧/٨ ومسلم في الإيمان رقم (١٥٧) ١/٣٧.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان رقم (١٥٨) ١/٣٨.

والسدي، وقيل: هم أصحاب البدع والشبهات من هذه الأمة. وروى عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «يا عائشة إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً هم أصحاب البدع والشبهات من هذه الأمة^(١)». وعن العرابض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح فوعظنا موعظةً بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، وقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظةٌ مودِّعٌ فأوصينا: فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة^(٢)». وعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»^(٣)، «لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ»، قيل: لست من قتالهم في شيء نسختها آية القتال، وهذا على قول من يقول: المراد في الآية اليهود والنصارى، ومن قال: أراد بالآية أهل الأهواء قال: المراد من قوله لست منهم في شيء أي أنت منهم بريء وهم منك براء، تقول العرب: إن فعلت كذا فلست مني ولست منك أي: كل واحد منا بريء من صاحبه، «لِنَمَّا أَمَرُهُمْ إِلَى اللَّهِ»، يعني: في الجزاء والمكافات، «ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»، إذا وردوا للقيامه.

[١٦٠] قوله تعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا»، أي: له عشر حسنات أمثالها، وقرأ يعقوب (عشر) منون، (أمثالها) بالرفع. «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» قال رسول الله ﷺ: «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكلُّ حسنة يعملها تكتبُ بعشر أمثالها إلى سبعمائة

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ مِنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا أَنَا مُنْظَرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ حَلَكَةَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

ضعف، وكلَّ سيئةٍ يعملها تكتبُ له بمثلها حتى يلقى الله عزَّ وجلَّ^(٤)، وعن أبي ذر رضي الله عنه

(١) عزاه ابن كثير لابن مردويه وقال: (هو غريب ولا يصح رفعه) ثم قال: والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له انظر تفسير ابن كثير ١٩٧/٢.

(٢) أخرجه أبو داود في السنة، باب لزوم السنة ١١/٧ والترمذي في العلم ٤٣٧/٧-٤٤٢ وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة رقم (٤٢، ٤٣) والمصنف في شرح السنة (١/٢٠٥).

(٣) روي هذا الحديث بطرق كثيرة بالفاظ مختلفة فقد أخرجه أبو داود في السنة ٣-٤/٧ والترمذي في الإيمان ٧/٣٩٧ وقال: (حسن صحيح) وابن ماجه في الفتن رقم (٣٩٩١) ٢/١٣٢١ والدارمي في السير ٢/٢٤١ وابن حبان برقم (١٨٣٤) من الموارد وصححه الحاكم على شرط مسلم.

(٤) أخرجه البخاري في الإيمان باب حسن إسلام المرء ١/١٠٠٠ ومسلم في الإيمان باب إذا هم العبد بحسنة كتبت رقم (١٢٩) ١/١١٨ والمصنف في شرح السنة ٣٣٨/١٤.

قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدَ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا أَوْ أَغْفَرَ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرُولَةً وَمَنْ لَقِنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةٌ لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً». قال ابن عمر: الآية في غير الصدقات من الحسنات، فأما الصدقات تضاعف سبعمائة ضعف.

[١٦١] قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي مَدَنِيٌّ رَجَوْتُ إِلَٰهَ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾، قرأ أهل الكوفة والشام ﴿قِيَمًا﴾ بكسر القاف وفتح الياء خفيفة، وقرأ الآخرون بفتح القاف وكسر الياء مشدداً ومعناها واحد وهو القويم المستقيم، وانتصابه على معنى هداني ديناً قِيَمًا، ﴿وَمِلَّةً إِذْ هُمْ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٦٢] ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾، قيل: أراد بالنسك الذبيحة في الحج والعمرة، وقال مقاتل: نسكي: حجي، وقيل: ديني، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾، أي: حياتي ووفاتي، ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي: هو يحييني ويميتني، وقيل: معياني بالعمل الصالح ومماتي إذا مت على الإيمان بالله رب العالمين، وقيل: طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله رب العالمين. قرأ أهل المدينة: ﴿وَمَحْيَايَ﴾ بسكون الياء و﴿وَمَمَاتِي﴾ بفتحها، وقراءة العامة ﴿وَمَحْيَايَ﴾ بفتح الياء لثلاث يجتمع ساكنان.

[١٦٣] قوله تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَكَ وَلِيَذَّكَّرُ أُولَٰئِكَ أُولُومُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال قتادة: وأنا أول المسلمين من هذه الأمة.

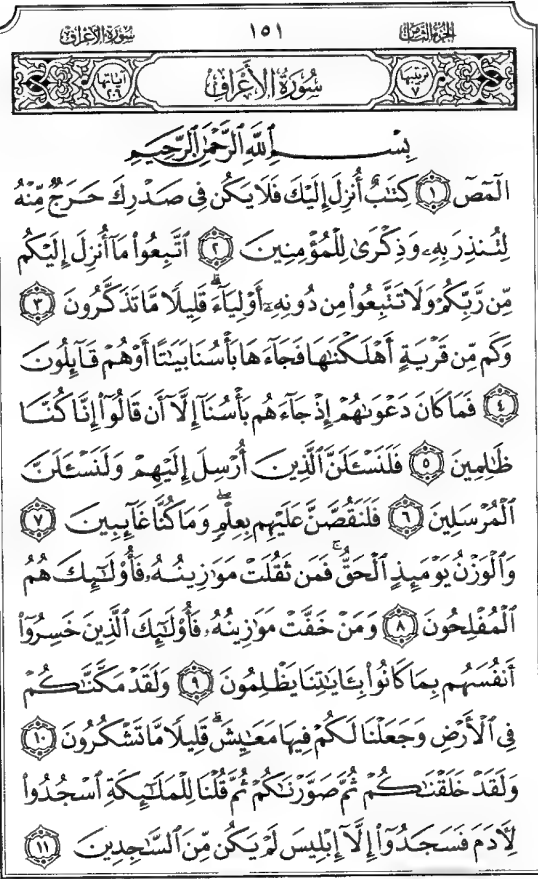
[١٦٤] ﴿قُلْ خَيْرٌ لَّيَّ اللَّهُ إِلَهُي رَبِّي﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سيداً وإلهاً ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وذلك أن الكفار كانوا يقولون للنبي ﷺ: ارجع إلى ديننا. قال ابن عباس: كان الوليد بن المغيرة

يقول: اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾، لا تجني كل نفس إلا ما كان من إثمها على الجاني، ﴿وَلَا يُزِرُّ وَازِرَةً وَزِرَةٌ أُخْرَى﴾، أي: لا تحمل نفس حمل أخرى، أي: لا يؤاخذ أحدٌ بذنب غيره، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾.

[١٦٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلِيفَةَ الْأَرْضَ﴾، يعني: أهلك أهل القرون الماضية وأورثكم الأرض يا أمة محمد ﷺ من بعدهم، فجعلكم خلائف منهم فيها تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم، والخلائف جمع خليفة كالوصائف جمع وصيفة، وكل من جاء بعد مَنْ مضى فهو خليفة، لأنه يخلفه. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾، أي: خالف بين أحوالكم فجعل بعضكم فوق بعض في الخلق والرزق والمعاش والقوة والفضل، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾، ليختبركم فيما رزقكم، يعني: يبتلي الغني والفقير والشريف والوضيع والحر والعبد، ليظهر منكم ما يكون عليه من الثواب والعقاب، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾، لأن ما هو آت فهو سريع قريب، قيل: هو الهلاك في الدنيا، ﴿وَأَنذَرُ لَفُورٍ رَّجِمٍ﴾، قال عطاء: سريع العقاب لأعدائه غفور لأوليائه رحيم بهم.

(٧) سُورَةُ الْأَعْرَافِ

[٢٠١] ﴿الْمَصْرَ ۝ كِتَابٌ﴾، أي: هذا كتاب، ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، وهو القرآن ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾، قال مجاهد: شك، فالخطاب للرسول ﷺ والمراد به الأمة. وقال أبو العالية: حرج أي ضيق، معناه لا يضيق صدرك بالإبلاغ وتأدية ما أرسلت به، ﴿لِيُنذِرَ بِهِ﴾، أي: كتاب أنزل إليك لِيُنذِرَ بِهِ، ﴿وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: عظة لهم وهو رفع مردود على الكتاب.



الإبلاغ.

[٧] ﴿فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ عِلْمَهُ﴾ أي: لنخبرنهم عن علم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ينطق عليهم كتاب أعمالهم، كقوله تعالى: (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق). ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾، عن الرسل فيما بلغوا، وعن الأمم فيما أجابوا.

[٨] قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾، يعني: يوم السؤال. قال مجاهد: معناه والقضاء يومئذ العدل. وقال الأكثرون: أراد به وزن الأعمال بالميزان، وذاك أن الله تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفتان كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب، واختلفوا في كيفية الوزن، فقال بعضهم: توزن صحائف الأعمال. وروينا: «أن رجلاً يُنشر عليه تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مذبذب فيخرج به بطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأشهد أن

[٣] ﴿أَتَّبِعُوا﴾، أي: وقل لهم اتبعوا: ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، أي: لا تتخذوا غيره أولياء تطيعونهم في معصية الله تعالى، ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، تتعظون، وقرأ ابن عامر: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾، بالياء والتاء.

[٤] ﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾، بالعذاب، (وكم) للتكثير و(رب) للتقليل، ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾، عذابنا، ﴿بَيِّنَاتٍ﴾، ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾، من القيلولة، تقديره: فجاءها بَأْسُنَا ليلاً وهم نائمون أو نهاراً وهم قائلون أو نائمون ظهيرة، والقيلولة: الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم. ومعنى الآية: أنهم جاءهم بَأْسُنَا وهم غير متوقعين له إما ليلاً أو نهاراً. قال الزجاج: و(أو) لتصرف العذاب، مرة ليلاً ومرة نهاراً. وقيل: معناه من أهل القرى من أهلكتهم ليلاً، ومنهم من أهلكتهم نهاراً، فإن قيل: ما معنى أهلكتها فجاءها بَأْسُنَا؟ فكيف يكون مجيء البأس بعد الهلاك؟ قيل: معنى (أهلكتنا) حَكَمْنَا بإهلاكها فجاءها بَأْسُنَا. وقيل:

فجاءها بَأْسُنَا هو بيان قوله ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ مثل قول القائل: أعطيتني فأحسنت إلي لا فرق بينه وبين قوله: أحسنت إلي فأعطيتني، فيكون أحدهما بدلاً من الآخر.

[٥] ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ﴾، أي: قولهم ودعائهم وتضرعهم، والدعوى تكون بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء، قال سيويه: تقول العرب اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين أي في دعائهم، ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾، عذابنا، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، معناه لم يقدرُوا على ردِّ العذاب، وكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية حين لا ينفع الاعتراف.

[٦] ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾، يعني: الأمم عن إجابتهم الرسل، وهذا سؤال توبيخ لا سؤال استعلام، يعني: لنسألهم عما عملوا فيما بلغتهم الرسل، ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾، عن

والمشارب والمعاش جمع المعيشة، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، فيما صنعتُ إليكم.

[١١] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ

صَوَّرْنَاكُمْ﴾ قال ابن عباس: خلقناكم، أي: أُولَكم

وآباءكم ثم صَوَّرناكم في أرحام أمهاتكم. وقال

قتادة والضحاك والسدي: أمَّا خلقناكم فأَدم، وأمَّا

صَوَّرناكم فذريته. وقال مجاهد في خلقناكم: آدم

ثم صَوَّرناكم في ظهر آدم بلفظ الجمع لأنه أبو

البشر ففي خلقه خلق من يخرج من صلبه، وقيل:

خلقناكم في ظهر آدم ثم صَوَّرناكم يوم الميثاق حين

أخرجكم كالذر. وقال عكرمة: خلقناكم في

أصلاب الرجال ثم صَوَّرناكم في أرحام النساء.

وقال يمان: خلق الإنسان في الرحم ثم صَوَّره

وشقَّ سمعه وبصره وأصابعه. وقيل: الكل آدم

خلقه وصوره وشم بمعنى الواو، ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ

اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، فإن قيل: الأمر بسجود الملائكة

كان قبل خلق بني آدم، فما وجه قوله: ﴿ثُمَّ قُلْنَا﴾

وثم للترتيب والتراخي؟ قيل: على قول من يصرف

الخلق والتصوير إلى آدم وحده يستقيم هذا الكلام

أما على قول من يصرفه إلى الذرية فعنه أجوبة:

أحدها ثم بمعنى الواو، أي: وقلنا للملائكة، فلا

تكون للترتيب والتعقيب، وقيل: أراد ثم أخبركم

أنا قلنا للملائكة اسجدوا، وقيل: فيه تقديم وتأخير

تقديره ولقد خلقناكم، يعني: آدم ثم قلنا للملائكة

اسجدوا لآدم ثم صَوَّرناكم. قوله تعالى:

﴿فَسَجَدُوا﴾، يعني الملائكة، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ

الذين آمنوا﴾، يعني الملائكة، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ

الذين آمنوا﴾، يعني الملائكة، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ

الذين آمنوا﴾، يعني الملائكة، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ

الذين آمنوا﴾، يعني الملائكة، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ

الذين آمنوا﴾، يعني الملائكة، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ

محمداً عبده ورسوله، فتوضع السجلات في كفة،

والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت

البطاقة^(١) وقيل: توزن الأشخاص، وروينا عن

رسول الله ﷺ أنه قال: «ليأتي الرجل العظيم

السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»^(٢)

وقيل: تُوزن الأعمال، روي ذلك عن ابن عباس،

فيؤتى بالأعمال الحسنة على صورة حسنة

وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في

الميزان، والحكمة في وزن الأعمال امتحان الله

عباده بالإيمان في الدنيا وإقامة الحجة عليهم في

العقبى، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، قال مجاهد:

حسناته، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[٩] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يجحدون، قال أبو بكر

الصدِّيق رضي الله عنه حين حضره الموت في

وصيته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما ثقلت

موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق

في الدنيا، وثقله عليهم، وحق لميزان يوضع فيه

الحق غداً أن يكون ثقيلًا، وإنما خفت موازين من

خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في

الدنيا، وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل

غداً أن يكون خفيفًا، فإن قيل: قد قال: (فمن

ثقلت موازينه) ذكر بلفظ الجمع، والميزان واحد،

قيل: يجوز أن يكون لفظه جمعًا ومعناه واحد كقوله

(يا أيها الرسل) وقيل: لكل عبد ميزان وقيل:

الأصل ميزان واحد عظيم ولكل عبد فيه ميزان

معلق به، وقيل: جمعه لأن الميزان يشتمل على

الكفتين والشاهدين واللسان، ولا يتم الوزن إلا

باجتماعها.

[١٠] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ،

أَي: مَكَّنَّاكم والمراد من التمكين التملك والقدرة،

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا﴾، أي: أسبابًا يعيشون بها

أيام حياتكم من التجارات والمكاسب والمآكل

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان ٣٩٥/٧ وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه في الزهد رقم (٤٣٠٠) ١٤٣٧/٢، وصححه الحاكم ٦/١، وابن حبان ص ٦٢٥، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ح ٢١٣/٢، والمصنف من شرح السنة ١٣٤/١٥. (٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ٤٢٦/٨، ومسلم في صحيحه في كتاب المناقب رقم (٢٧٨٥) ٢١٤٧/٤، والمصنف في شرح السنة ١٤٣/١٥.

السَّاجِدِينَ ﴿١٢﴾، لآدم.

[١٢] ﴿قَالَ﴾، الله تعالى: يا إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، أي: وما منعك أن تسجد ولا زائدة كقوله تعالى: (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون). ﴿قَالَ﴾ إبليس مجيباً ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ لأنك ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، والنار خير وأنور من الطين قال ابن عباس: أول من قاس إبليس فأخطأ القياس فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله مع إبليس. قال ابن سيرين: ما عُدَّت الشمسُ إلا بالقياس. قال محمد بن جرير: ظن الخبيث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل لمن جعل الله له الفضل، وقد فضل الله الطين على النار. وقالت الحكماء: للطين فضل على النار من وجوه منها أن من جوهر الطين الرزاة والوقار والحلم والصبر وهو الداعي لآدم بعد السعادة التي سبق له إلى التوبة والتواضع والتضرع فأورثه الاجتباء والتوبة والهداية، ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع وهو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار، فأورثه اللعنة والشقاوة، ولأن الطين سبب جمع الأشياء والنار سبب تفرقها ولأن التراب سبب الحياة، فإن حياة الأشجار والنبات به، والنار سبب الهلاك.

[١٣] قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾، أي: من الجنة، وقيل: من السماء إلى الأرض وكان له ملك الأرض فأخرجه منها إلى جزائر البحر وعرشه في البحر الأخضر، فلا يدخل الأرض إلا خائفاً على هيئة السارق مثل شيخ عليه أطمار يروع فيها حتى يخرج منها. قوله تعالى: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ﴾، بمخالفة الأمر، ﴿فِيهَا﴾، أي: في الجنة، فلا ينبغي أن يسكن في الجنة ولا السماء متكبراً مخالفاً لأمر الله، ﴿فَأَخْرَجَ إِنْكَ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾، من الأذلاء، والصغار: الذل والمهانة.

سورة الأعراف

١٥٢

سورة الأعراف

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا يَتَسَمَّرُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذَّةً وَمَا مَدْحُورًا لَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَتَادَمُّ سُكُنُوتُ أَتٍ وَزَوْجِكَ الْجَنَّةَ فَمَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمْ بِكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تَيْهَمَاهُ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَفَادَهُمَا رَبُّهُمَا الْوَرَقَ أَنَّهُمَا كَمَا عَنِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقْلَلْ لَكُمَا أَنْ الشَّيْطَانُ لَكُمْ آعْدُو مَيْنِ ﴿٢٢﴾

[١٤] ﴿قَالَ﴾، إبليس عند ذلك، ﴿أَنْظِرْنِي﴾، أخرجني وأمهلني فلا تميتني، ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، من قبورهم وهو النفخة الأخيرة عند قيام الساعة، أراد الخبيث أن لا يذوق الموت.

[١٥] ﴿قَالَ﴾، الله تعالى، ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾، المؤخرين، وبين مدة النظر والمهلة في موضع آخر فقال: (إلى يوم الوقت المعلوم)، وهو النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم.

[١٦] ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي﴾، اختلّفوا في ﴿مَا﴾ قيل: هو استفهام يعني فبأي شيء أغويتني؟ ثم ابتداء فقال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ وقيل: ما الجزاء، أي: لأجل أنك أغويتني لأقعدن لهم. وقيل: هي ما المصدرية موضع القسم تقديره: فبإغوائك إياي لأقعدن لهم، كقوله: (بما غفر لي ربي)، يعني لغفران ربي، والمعنى بقدرتك عليّ ونفاذ سلطانك

عليهم إبليسُ ظنّه).

[١٨] ﴿قَالَ﴾، الله تعالى لإبليس، ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْهُومًا مَذْهُورًا﴾، أي: معيًّا، والذيم والذام أشد العيب، يقال: ذامه يذامه ذامًا فهو مذووم وذامه يذيمه ذامًا فهو مذيم، مثل سار يسير سيرًا. والمدحور: المبعد المطرود، يقال: يدره دحرًا إذا أبعده وطرده. قال ابن عباس: مذوومًا أي ممقوتًا، وقال قتادة: مذوومًا مدحورًا أي: لعينًا منفيًا. وقال الكلبي: مذوومًا ملومًا مدحورًا مقصيًا من الجنة ومن كل خير. ﴿لَنْ تَبْعَكَ مِنْهُمْ﴾، من بني آدم، ﴿لَأَنْتَ أَجْمَعُ﴾، اللام لام القسم، ﴿مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، أي: منك ومن ذريتك ومن كفار ذرية آدم أجمعين.

[١٩] ﴿وَبَنَادِمٍ أَسْكَنَ أَتَى وَرَوَّجَكَ الْجَنَّةَ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ وَلَا تَقْرَبْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٢٠] ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾، أي: إليهما، والوسوسة: حديث يُلقيه الشيطان في قلب الإنسان ﴿يَسْتَدِي لَهُمَا مَا وَرَى عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ لَهُمَا﴾، أي: أظهر لهما ما غُطي وسُتر عنهما من عوراتهما، قيل: اللام فيه لام العاقبة وذلك أن إبليس لم يوسوس لهذا ولكن كان عاقبة أمرهم ذلك، وهو ظهور عورتهما، كقوله تعالى: (فالتقطه آلُ فِرْعَوْنَ ليكونَ لهمُ عدوًّا وحزنًا)، ثم بين الوسوسة فقال: ﴿وَقَالَ﴾ يعني إبليس لآدم وحواء، ﴿مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ﴾، يعني لئلا تكونا كراهية أن تكونا ملكين من الملائكة يعلمان الخير والشر، ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾، من الباقيين الذين لا يموتون كما قال في موضع آخر: (هل أدلك على شجرة الخلدِ وملك لا يبلى).

[٢١] ﴿وَفَاسَّخُمَا فِي كُفْرٍ لَنْ تَنْصَحِيكَ﴾، أي: وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد، قال قتادة: حلف لهما بالله حتى خدعهما، وقد يُخدع المؤمن بالله، فقال: إني

فِي. وقال ابن الأنباري: أي فيما أوقعت في قلبي من الغي الذي كان سبب هبوطي من السماء. أغويتني: أضللتني عن الهدى. وقيل: أهلكني. وقيل: خيبتني، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، أي: لأجلسن لبني آدم على طريقك القويم وهو الإسلام.

[١٧] ﴿لَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ﴾، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: من بين أيديهم أي من قبل الآخرة فأشككهم فيها، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾، أرغبهم في دنياهم، ﴿وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ﴾، أشبه عليهم أمر دينهم. ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾، أشهى لهم المعاصي. وروى عطية عن ابن عباس: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من قبل دنياهم، يعني أزينها في قلوبهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من قبل الآخرة فأقول: لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار، ﴿وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ﴾ من قبل حسناتهم، ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ من قبل سيئاتهم. وقال الحكم: من بين أيديهم: من قبل الدنيا يُزينها لهم، ومن خلفهم: من قبل الآخرة يشبطهم عنها، وعن أيمانهم: من قبل الحق يصدّهم عنه، وعن شمائلهم: من قبل الباطل يزينه لهم. وقال قتادة: أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، ومن خلفهم: من أمور الدنيا يزينها لهم ويدعوهم إليها، وعن أيمانهم: من قبل حسناتهم بطأهم عنها، وعن شمائلهم: زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها، أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله. وقال مجاهد: من بين أيديهم وعن أيمانهم من حيث يبصرون، ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون. وقال ابن جريج: معنى قوله حيث لا يبصرون أي لا يخطئون وحيث لا يبصرون أي لا يعلمون أنهم يخطئون. ﴿وَلَا حِجْدَ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾، مؤمنين، فإن قيل: كيف علم الخبيث ذلك؟ قيل: قاله ظنًا فأصاب. قال الله تعالى: (ولقد صدق

خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما، وإبليس أول من حلف بالله كاذبًا فلما حلف ظن آدم أن أحدًا لا يحلف بالله إلا كاذبًا فاغتر به.

[٢٢] ﴿فَذَلَّهُمَا يَبْرِئُ﴾، أي: خدعهما، يقال: ما زال فلان يدلي لفلان بغرور، يعني: ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف باطل من القول. وقيل: حطهما من منزلة الطاعة إلى حال المعصية، ولا يكون التدلي إلا من علو إلى أسفل والتدلية إرسال الدلو في البئر، يُقال: تدلى بنفسه ودلى غيره، قال الأزهري: أصله تدلية العطشان البئر ليروي من الماء ولا يجد الماء فيكون مدلى بغرور، والغرور: إظهار النصح مع إبطان الغش. ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا﴾، قال الكلبي: فلما أكلَا منها. وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قبل أن ازدردا^(١) أخذتُهما العقوبة، والعقوبة أن بدتْ ظهرتْ لهما سَوَاتُهُمَا عورَاتُهُمَا، وتهاافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما وُورِي عنه من عورة صاحبه، وكانا لا يريان ذلك ﴿وَطَفَقَا﴾ فأقبلا وجعلا ﴿يَخْصِفَانِ﴾، يرقعان ويلزقان ويصلان، ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقٍ لَخْنَوٍ﴾، وهو ورق التين حتى صار كهية الثوب. قال الزجاج: يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سَوَاتَهُمَا ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾، يعني: الأكل منها، ﴿وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، أي: بين العداوة.

[٢٣] ﴿قَالَ رَبَّنَا طَعَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾، ضررناها بالمعصية، ﴿وَأَنَّ لَنَا تَغْفِرَ لَنَا وَتَرْحَمَنَا لِنَكُونََ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، الهالكين.

[٢٤] ﴿قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ﴾.

[٢٥] ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾، يعني في الأرض تعيشون، ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ أي: من الأرض تخرجون من قبوركم للبعث، قرأ ابن عامر

وحمة والكسائي: (تُخْرَجُونَ) بفتح التاء ههنا وفي الزخرف، وافق يعقوب ههنا وزاد حمزة والكسائي: (وكذلك تخرجون)، في أول الروم، والباقون بضم التاء وفتح الراء فيهن.

[٢٦] ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾، أي خلَقْنَا لكم ﴿لِبَاسًا﴾، وقيل: إنما قال: ﴿أَنْزَلْنَا﴾ لأنَّ اللباس يكون من نبات الأرض، والنبات يكون بما ينزل من السماء، فمعنى قوله: ﴿أَنْزَلْنَا﴾ أي: أنزلنا أسبابه. وقيل: كل بركات الأرض منسوبة إلى بركات السماء كما قال تعالى: (وأنزلنا الحديد) وإنما يستخرج الحديد من الأرض. وسبب نزول هذه الآية أنهم كانوا في الجاهلية يطوفون بالبيت عراة ويقولون: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، فكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة. وقال قتادة: كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فرجها فأمر الله سبحانه بالستر فقال: (قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ)، يستر عورאתكم، واحدتها سواة سميت بها لأنه يسوء صاحبها انكشافها فلا تطوفوا عراة، ﴿وَرِيشًا﴾، يعني: مالا في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي، يُقال: تريش الرجل إذا تمول، وقيل: الريش الجمال، أي: ما يتجملون به من الثياب، وقيل: هو اللباس ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي (وَلِبَاسُ) بنصب السين عطفًا على قوله ﴿لِبَاسًا﴾ وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره ﴿خَيْرٌ﴾ وجعلوا ﴿ذَلِكَ﴾ صلة في الكلام، ولذلك قرأ ابن مسعود وأبي بن كعب ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ واختلفوا في ﴿لِبَاسُ التَّقْوَى﴾ قال قتادة والسدي: لباس التقوى هو الإيمان. وقال الحسن: هو الحياء لأنه يبعث على التقوى. وقال عطية عن ابن عباس: هو العمل

(١) ازدردا من زرد اللقمة بلعها. انظر مختار الصحاح ص ٢٧٠.

الصالح. وعن عثمان بن عفان أنه قال: السمت الحسن. وقال عروة بن الزبير: لباس التقوى خشية الله. وقال الكلبي: هو العفاف. والمعنى: لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به مما خلق له من اللباس للتجمل. وقال ابن الأنباري: لباس التقوى هو اللباس الأول وإنما أعاده إخباراً أن ستر العورة خير من التعري في الطواف. وقال زيد بن علي: لباس التقوى الآلات التي يُتقى بها في الحرب كالدرع والمغفر والساعد والساقين. وقيل: لباس التقوى هو الصوف والثياب الخشنة التي يلبسها أهل الورع، ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

[٢٧] ﴿يَنْبِئُ آدَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ﴾، لا يضلنكم الشيطان، ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ﴾، أي: كما فتن أبويكم آدم وحواء فأخرجهما، ﴿مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰهُمَا﴾، ليرى كل واحد سؤاء الآخر. ﴿إِنَّمَا يَرِيكُمْ﴾، يعني أن الشيطان يراكم يا بني آدم، ﴿هُوَ وَفِيلُهُ﴾، جنوده، قال ابن عباس: هو وولده. وقال قتادة: قبيلة الجن والشياطين، ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾، قال مالك بن دينار: إن عدواً يراك ولا تراه لشديد الخصومة والمؤنة إلا من عصم الله، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ قراءاً وأعواناً، ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقال الزجاج: سلطانهم عليهم يزيدون في غيهم كما قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَذَّعُوا لَهُمْ أَوْ لَا تَذَّعُوا﴾.

[٢٨] ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً﴾، قال ابن عباس ومجاهد: هي طوافهم بالبيت عراة. وقال عطاء: الشرك والفاحشة: اسم لكل فعل قبيح بلغ النهاية في القبح. ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتَنَا﴾، وفيه إضمار معناه: وإذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها آياتنا. قيل: ومن أين أخذ آباؤكم قالوا، ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

سورة الأعراف

١٥٣

سورة الأعراف

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٨﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٩﴾ يَنْبِئُ آدَمَ قَدْ أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُوَظَّرُ سَوْءَٰتِكُمْ وَرِدَّيَا لِبَاسَ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ يَنْبِئُ آدَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰهُمَا إِنَّهُ يَرَئَكُمْ هُوَ وَفِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٣٣﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٤﴾

[٢٩] ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾، قال ابن عباس: بلا إله إلا الله. وقال الضحاك: بالتوحيد. وقال مجاهد والسدي: بالعدل. ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال مجاهد والسدي: يعني وجهوا وجوهكم حيثما كنتم في الصلاة إلى الكعبة. وقال الضحاك: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدكم أصلي في مسجدي. وقيل: معناه اجعلوا سجودكم لله خالصاً. ﴿وَادْعُوهُ﴾، واعبدوه، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، الطاعة والعبادة، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، قال ابن عباس: إن الله تعالى بدأ خلق بني آدم مؤمناً وكافراً. كما قال: (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمناً وكافراً قال مجاهد: يبعثون على ما ماتوا عليه، وقال الحسن ومجاهد: كما بدأكم فخلقكم

سورة الأعراف

١٥٤

سورة الأعراف

﴿يَنْبِئُ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣٠) ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣١) ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ (٣٢) ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٣٣) ﴿يَنْبِئُ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٤) ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا آيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٥) ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكُذْبِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَإِنَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَا مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا أَصَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (٣٦)

في الدنيا ولم تكونوا شيئاً، كذلك تعودون أحياء يوم القيامة كما قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾. قال قتادة: بدأهم من التراب وإلى التراب يعودون، نظيره قوله تعالى: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم).

[٣٠] قوله عز وجل: ﴿فَرِيقًا هَدَى﴾، أي: هداهم الله، ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ﴾، وجب عليهم الضلالة، أي: بالإرادة السابقة، ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، فيه دليل على أن الكافر الذي يظن أنه في دينه على الحق والجاحد والمعاند سواء.

[٣١] قوله تعالى: ﴿يَنْبِئُ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، قال أهل التفسير: كانت بنو عامر يطوفون بالبيت عراة، فأنزل الله عز وجل ﴿يَنْبِئُ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، يعني الثياب. قال مجاهد: ما يوارى عورتك ولو عباءة. قال الكلبي: الزينة ما يوارى العورة عند كل مسجد لطواف أو صلاة. ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، قال الكلبي: كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجهم من الطعام إلا قوتاً ولا يأكلون دسماً يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله، فأنزل الله عز وجل وكلوا يعني اللحم والدسم واشربوا اللبن، ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾، بتحريم ما أحل الله لكم من اللحم والدسم، ﴿إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، الذين يفعلون ذلك. قال ابن عباس: كُلُّ مَا شَتَّ وَالْبَسُّ مَا شَتَّ مَا أَخْطَأَتْكَ خَصْلَتَانِ سَرْفٌ وَمَخِيلَةٌ. قال علي بن الحسين بن واقد: قد جمع الله الطَّبَّ كله في نصف آية فقال: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾.

[٣٢] قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾، يعني لبس الثياب في الطواف، ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾، يعني اللحم والدسم في أيام الحج. وعن ابن عباس وقتادة والطيبات من

الرزق ما حرم أهل الجاهلية من البحائر والسوائب. ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، فيه حذف تقديره: هي للذين آمنوا وللمشركين في الحياة الدنيا، فإن أهل الشرك يشاركون المؤمنين في طيبات الدنيا، وهي في الآخرة خالصة للمؤمنين لا حظ للمشركين فيها. وقيل: هي خالصة يوم القيامة من التنغيص والغم للمؤمنين، فإنها لهم في الدنيا مع التنغيص والغم. قرأ نافع (خَالِصَةً) رفع، أي: قل هي للذين آمنوا مشتركين في الدنيا وهي في الآخرة خالصة يوم القيامة. وقرأ الآخرون بالنصب على القطع، ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

[٣٣] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، يعني: الطواف عراة ﴿مَا ظَهَرَ﴾ طواف الرجال بالنهار ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ طواف النساء

بالليل. وقيل: هو الزنا سرًا وعلانية ﴿وَالْإِثْمَ﴾، يعني: الذنب والمعصية. وقال الضحاك: الذنب الذي لا حد فيه. قال الحسن: الإثم: الخمر. قال الشاعر:

شربتُ الإثم حتى ضلّ عقلي

كذلك الإثم تذهب بالعقول
﴿وَالْبَغْيَ﴾، الظلم والكبر، ﴿يَغْيِرَ الْحَيَّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَهُ يَزِيلُ بِهِ سُلْطَانًا﴾، حجة وبرهانًا، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، في تحريم الحرث والأنعام، في قول مقاتل. وقال غيره: هو عام في تحريم القول في الدين من غير يقين.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾، مدة وأكل وشرب. وقال ابن عباس وعطاء والحسن: يعني وقتًا لنزول العذاب بهم، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾، وانقطع أكلهم، ﴿لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعِذُونَ﴾، أي: لا يتقدمون. وذلك حين سألوا العذاب فأنزل الله هذه الآية.

[٣٥] قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾، أي: أن يأتيكم. قيل: أراد جميع الرسل. وقال مقاتل: أراد بقوله ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ﴾ مشركي العرب وبالرسل محمدًا ﷺ وحده، ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾، قال ابن عباس: فرائضي وأحكامي، ﴿فَمَنْ أَنْقَى وَاصِلًا﴾، أي: اتقى الشرك وأصلح عمله. وقيل: أخلص ما بينه وبين ربه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، إذا خاف الناس، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، أي: إذا حزنوا.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾، تكبروا عن الإيمان بها، وإنما ذكر الاستكبار لأن كل مكذب وكافر متكبر. قال الله تعالى: (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون). ﴿وَأُولَئِكَ أَصْعَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٣٧] قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، جعل له شريكًا، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾،

بالقرآن ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾، أي: حظهم مما كتب لهم في اللوح المحفوظ. واختلفوا فيه، قال الحسن والسدي: ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون. قال عطية عن ابن عباس: كُتِبَ لِمَنْ يَفْتَرِي عَلَى اللَّهِ أَنْ وَجْهَهُ مَسْوَدٌ، قال الله تعالى: (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) وقال سعيد ابن جبير ومجاهد: ما سبق لهم من الشقاوة والسعادة. وقال ابن عباس وقتادة والضحاك: يعني أعمالهم التي عملوها وكتب عليهم من خير وشر يجزي عليها. وقال محمد بن كعب القرظي: ما كتب لهم من الأرزاق والآجال والأعمار والأعمال فإذا فنيتم، ﴿جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾، يقبضون أرواحهم يعني ملك الموت وأعوانه، ﴿قَالُوا﴾، يعني يقول الرسل للكفار، ﴿إِنَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾، تعبدون، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، سؤال تبكيت وتقريع، ﴿قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا﴾، بطلوا وذهبوا عنا، ﴿وَشَهِدُوا عَلَيْنَا﴾، اعترفوا عند معاينة الموت، ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

[٣٨] ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾، يعني: يقول الله لهم يوم القيامة ادخلوا في أمم، أي: مع جماعات، ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾، يعني كفار الأمم الخالية، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾، يريد أختها في الدين لا في النسب، فتلعن اليهود اليهود والنصارى النصارى، وكل فرقة تلعن أختها ويلعن الأتباع القادة، ولم يقل أخاها لأنه عنى الأمة والجماعة، ﴿حَتَّى إِذَا تَدَارَكُوا فِيهَا﴾، أي: تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار، ﴿جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِجْنَهُمْ﴾، قال مقاتل: يعني أخرجهم دخولًا النار وهم الأتباع، ﴿لَأُولَئِهِمْ﴾، أي: لأولاهم دخولًا وهم القادة، لأن القادة يدخلون النار أولًا. وقال ابن عباس: يعني آخر كل أمة لأولاها. وقال السدي: أهل آخر الزمان

﴿٣٩﴾

١٥٥

﴿٣٩﴾

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ لَمَّا دَخِلَتْ أُمَّةٌ أَخْبَهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِبُهُمْ وَلَا وَلَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونا فَفَاتِنَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ، أَي: ضعف عليهم العذاب، ﴿قَالَ﴾، الله تعالى، ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾، يعني للقادة والأتباع ضعف من العذاب، ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ما لكل فريق منكم من العذاب. قرأ الجمهور: (ولكن لا تعلمون) وقرأ أبو بكر (لا يعلمون) بالياء، أي: لا يعلم الأتباع ما للقادة ولا القادة ما للأتباع.

[٣٩] ﴿وَقَالَتْ أُولَهُنَّ﴾، يعني القادة، ﴿لِأُخْرِبُهُمْ﴾، للأتباع، ﴿فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾، لأنكم كفرتم كما كفرنا فنحن وأنتم في الكفر سواء وفي العذاب سواء، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ﴾، بالتاء، خفف أبو عمرو، وبالياء، خفف حمزة والكسائي، والباقون بالتاء مشددة، ﴿لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ لأدعيتهم ولا لأعمالهم. وقال ابن عباس: لأرواحهم لأنها خبيثة لا يصعد بها بل يهوى بها إلى سجين، إنما تفتح أبواب السماء لأرواح المؤمنين وأدعيتهم وأعمالهم، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾، أي: حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة، والخياط والمخيطة واحد وهو: الإبرة والمراد منه أنهم لا يدخلون الجنة أبدًا لأن الشيء إذا غلقت بما يستحيل كونه يدل ذلك على تأكيد المنع، كما يقال: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب أو يبيض الفار، يريد لا أفعله أبدًا، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٤٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، أي: طاقتها وما لا تخرج فيه ولا تضيق عليه، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَنَزَعْنَا﴾، وأخرجنا، ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾، من غش وعداوة كانت بينهم في الدنيا فجعلناهم إخوانًا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضًا على شيء خص الله به بعضهم. ﴿نَجْزِي مَنْ تَحِبَّهُمْ﴾، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾. أي إلى هذا، يعني طريق الجنة. وقال سفيان الثوري: معناه هداانا لعمل هذا ثوابه، ﴿وَمَا كُنَّا﴾، قرأ ابن عامر: (مَا كُنَّا) بلا واو، ﴿لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَفَدَّ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ﴾، هذا قول أهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانًا، ﴿وَوُودُوا أَنْ تُلَكُّمُ الْجَنَّةَ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾،

لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين، ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ﴾، الذين، ﴿أَصْلُونا﴾ عن الهدى يعني القادة ﴿فَفَاتِنَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾، أي: ضعف عليهم العذاب، ﴿قَالَ﴾، الله تعالى، ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾، يعني للقادة والأتباع ضعف من العذاب، ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ما لكل فريق منكم من العذاب. قرأ الجمهور: (ولكن لا تعلمون) وقرأ أبو بكر (لا يعلمون) بالياء، أي: لا يعلم الأتباع ما للقادة ولا القادة ما للأتباع.

[٣٩] ﴿وَقَالَتْ أُولَهُنَّ﴾، يعني القادة، ﴿لِأُخْرِبُهُمْ﴾، للأتباع، ﴿فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾، لأنكم كفرتم كما كفرنا فنحن وأنتم في الكفر سواء وفي العذاب سواء، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ﴾، بالتاء، خفف أبو عمرو، وبالياء، خفف حمزة والكسائي، والباقون بالتاء مشددة، ﴿لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ لأدعيتهم ولا لأعمالهم. وقال ابن عباس: لأرواحهم لأنها خبيثة لا يصعد بها بل يهوى بها إلى سجين، إنما تفتح أبواب السماء لأرواح المؤمنين وأدعيتهم وأعمالهم، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾، أي: حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة، والخياط والمخيطة واحد وهو: الإبرة والمراد منه أنهم لا يدخلون الجنة أبدًا لأن الشيء إذا غلقت بما يستحيل كونه يدل ذلك على تأكيد المنع، كما يقال: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب أو يبيض الفار، يريد لا أفعله أبدًا، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٤١] ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾، أي: فراش، ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾، أي: لحف. وهي جمع غاشية، يعني ما غشاهم وغطاهم، يريد إحاطة النار بهم من كل جانب، كما قال الله: (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل)، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٥٦

الْأَعْرَافِ

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ النَّارَ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَإِنَّهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمَّا دَخَلُوا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا اجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جِئْتُمْكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّأُونَ بِحَدُوثِ ﴿٥١﴾

قيل: هذا النداء إذا رأوا الجنة من بعيد نودوا أن تلکم الجنة، وقيل: هذا النداء يكون في الجنة، عن أبي سعيد وعن أبي هريرة قالا: ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تئسوا أبدًا، فذلك قوله: ﴿وَنُودُوا أَنْ تَسْلِمُوا عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ وَرُسُلِهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، هذا حديث صحيح أخرجه مسلم.

[٤٤] قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾، من الثواب، ﴿حَقًّا﴾، أي: صدقًا، ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾، من العذاب، ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾، قرأ الكسائي بكسر العين حيث كان، والباقون بفتحها وهما لغتان، ﴿فَإِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بَيْنَهُمْ﴾، أي: نادى مناد أسمع الفريقين، ﴿أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم: (أن) خفيف، ﴿لَعْنَةُ﴾، رفع، وقرأ الآخرون بالتشديد، (لعنة الله) نصب على الظالمين، أي: الكافرين.

[٤٥] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾، أي: يصرفون الناس، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، طاعة الله، ﴿وَيَعُونَهَا عِوَجًا﴾، أي: يبلبونها زيغًا وميلًا، أي: يبطلون سبيل الله جائرين عن القصد. قال ابن عباس: يصلون لغير الله، ويعظمون ما لم يعظمه الله. والعوج بكسر العين في الدين والأمر والأرض وكل ما لم يكن قائمًا، وبالفتح في كل ما كان قائمًا كالحائط والرمح ونحوهما. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ﴾.

[٤٦] ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾، يعني: بين الجنة والنار. وقيل: بين أهل الجنة وبين أهل النار حجاب، وهو السور الذي ذكر الله تعالى في قوله: (فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ سُورًا لِهَ بَابٍ)، قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾، والأعراف هي ذلك السور الذي بين الجنة والنار، وهي جمع عرف وهو اسم للمكان المرتفع، ومنه عرف الديك لارتفاعه عما سواه من جسده. وقال

السدي: سمي ذلك السور أعرافًا لأن أصحابه يعرفون الناس. واختلفوا في الرجال الذين أخبر الله عنهم أنهم على الأعراف، فقال حذيفة وابن عباس: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء، ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته، وهم آخر من يدخل الجنة. وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني: هم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدلوا دينهم. وقيل: هم أطفال المشركين. وقال الحسن: هم أهل الفضل من المؤمنين علوا على الأعراف فيطلعون على أهل الجنة وأهل النار جميعًا، ويطلعون أحوال الفريقين. قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ﴾، أي: يعرفون أهل الجنة بياض وجوههم وأهل النار بسواد وجوههم ﴿وَنَادَا﴾

أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ، أي: أوسعوا علينا مما رزقكم الله من طعام الجنة. قال عطاء عن ابن عباس: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار في الفرج، وقالوا: يا رب إن لنا قرابات من أهل الجنة، فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فينظروا إلى قرابتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم ولم يعرفهم أهل الجنة لسواد وجوههم فينادي أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، وأخبروهم بقرابتهم أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، ﴿قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ حَرَمُهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، يعني: الماء والطعام، ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ وهو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة وأخواتها والمكاء والتصدية حول البيت، وسائر الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية. وقيل: دينهم أي عيدهم، ﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَكِيمَةُ الذُّيُفَا فَالْيَوْمَ نَسْتَهْزِئُ﴾، نتركهم في النار، ﴿كَمَا سَأَلُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾، أي: كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

[٥٢] ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ﴾، يعني القرآن ﴿نُصْلَةٍ﴾، بيناه، ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، لما يصلحهم، ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾، أي: جعلنا القرآن هاديًا وذا رحمة، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٣] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾، أي: هل ينتظرون، ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾، قال مجاهد: جزاءه. وقال السدي: عاقبته. ومعناه: هل ينتظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم في العذاب ومصيرهم إلى النار. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾، أي: جزاؤه وما يؤول إليه أمرهم، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ سَأَلُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾، اعترفوا به حين لا ينفعهم الاعتراف، ﴿فَهَلْ لَنَا﴾، اليوم، ﴿مِنْ شُعْلَةٍ فَيشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ﴾، إلى الدنيا، ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾، أهلكوها بالعذاب، ﴿وَصَلَّ﴾، وبطل، ﴿عَنَّهُمْ مَا

أَصْحَبَ الْجَنَّةَ أَنْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: إذا رأوا أهل الجنة قالوا سلام عليكم، ﴿لَنْ يَدْخُلُوهَا﴾ يعني: أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، في دخولها، قال أبو العالية: ما جعل الله ذلك الطمع فيهم إلا كرامة يريد بها بهم. قال الحسن: الذي جعل الطمع في قلوبهم يؤصلهم إلى ما يطمعون.

[٤٧] ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ، ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يعني الكافرين في النار.

[٤٨] ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَاةً﴾، كانوا عظماء في الدنيا من أهل النار، ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾، في الدنيا من المال والولد، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾، عن الإيمان. قال الكلبي: ينادون وهم على السور: يا وليد بن المغيرة يا أبا جهل ابن هشام يا فلان، ثم ينظرون إلى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزؤون بهم، مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال وأشباههم فيقول أصحاب الأعراف لأولئك الكفار:

[٤٩] ﴿أَهْلُوا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾، حلفتهم، ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾، أي: حلفتهم أنهم لا يدخلون الجنة. ثم يقال لأهل الأعراف، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، وفيه قول آخر: أن أصحاب الأعراف إذا قالوا لأهل النار ما قالوا قال لهم أهل النار: إن دخل أولئك الجنة وأنتم لم تدخلوها فيعبرونهم بذلك ويقسمون أنهم يدخلون النار، فتقول الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف على الصراط لأهل النار: أهؤلاء يعني أصحاب الأعراف الذين أقسمتم يا أهل النار أنهم لا ينالهم الله برحمة، ثم قالت الملائكة لأصحاب الأعراف: ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، فيدخلون الجنة.

[٥١، ٥٠] قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا﴾، أي صبوا، ﴿عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ

كَأَنَّهُمْ يَقْتُولُونَ ﴿٥٤﴾

[٥٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، أراد به في مقدار ستة أيام لأن اليوم من لذن طلوع الشمس إلى غروبها، ولم يكن يومئذ يوم ولا شمس ولا سماء، قيل: ستة أيام كأيام الآخرة، وكل يوم كالف سنة. وقيل: كأيام الدنيا. قال سعيد بن جبير: كان الله عز وجل قادراً على خلق السموات والأرض في لمحة ولحظة، فخلقهن في ستة أيام تعليماً لخلقه التثبت والتأني في الأمور. وقد جاء في الحديث: «التأني من الله والعجلة من الشيطان»^(١)، «تَمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ»، قال الكلبي ومقاتل: استقر. وقال أبو عبيدة: صعد، وأولت المعتزلة^(٢) الاستواء بالاستيلاء، فأما أهل السنة يقولون: الاستواء على العرش صفة الله تعالى بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل. وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله: (الرحمن على العرش استوى) [سورة طه: آية ٥]، كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالاً، ثم أمر به فأخرج ورؤي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة: أمروها كما جاءت بلا كيف، والعرش في اللغة: هو السرير. وقيل: هو ما علا فأظل، ومنه عرش الكروم. وقيل: العرش المُلْك. ﴿يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب (يُعْشَى) بالتشديد ها هنا وفي سورة الرعد، والباقون بالتخفيف، أي: يأتي الليل على النهار فيغطيه، وفيه حذف أي: ويغشي النهار الليل، ولم يذكره لدلالة الكلام عليه وذكر في آية أخرى فقال: (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ شَوْهَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْرُتُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٧﴾ أَدْعَا رَبَّكُمْ ضَرْعًا وَخَفِيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بِبَدْيِ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا تَبْقَا لَاسْفُنَتَهُ لِيَكْذِمْتِ فَانْزِلْنَآهُ أَمْآءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ مِنْ كُلِّ الثَّوَرِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٦٠﴾

على الليل)، ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾، أي: سريعاً، وذلك

(١) قال العجلوني في كشف الخفاء ج ١/ ٣٥٠ «رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى، وابن منيع والحاثر بن أبي أسامة في مسانيدهم عن أنس رفعه وأخرجه البيهقي عنه أيضاً وله شواهد عند الترمذي وقال: حسن غريب، بلفظ: «الأناة من الله والعجلة من الشيطان». وأخرجه المصنف في شرح السنة ١٧٦/١٣.

(٢) المعتزلة: فرقة كلامية، ظهرت في أخريات القرن الأول الهجري، وبلغت شأوها في العصر العباسي الأول، يرجع اسمها إلى اعتزال إمامها «واصل بن عطاء» مجلس الحسن البصري. وهذه الفرقة شديدة التأثير بالفلسفة اليونانية، وهي تعتمد في إدراك الغيبات على العقل، وكل ما خالف العقل عندهم يؤولونه ويطوعونه حسب مفاهيمهم الكلامية، ولقد جعلوا العقل أساساً لفهم القرآن الكريم لا القرآن أساساً للعقل ففسروا آيات الصفات على حسب ما تدركه عقولهم من الفهم وحكموا العقل في كل ما يتعلق بالاعتقاد والإيمان.

تدعون سميعاً قريباً^(١). وقال عطية: هم الذين يدعون على المؤمنين فيما لا يحلّ، فيقولون: اللهم اخزمهم اللهم العنهم.

[٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، أي: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله، وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي. وقال عطية: لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم. فعلى هذا معنى قوله: ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ أي: بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب. ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، أي: خوفاً منه ومن عذابه وطمعاً فيما عنده من مغفرته وثوابه. وقال ابن جريج: خوف العدل وطمع الفضل. ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ولم يقل قريبة، قال سعيد بن جبير: الرحمة ههنا الثواب فرجع النعت إلى المعنى دون اللفظ كقوله: (وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه)، ولم يقل منها لأنه أراد الميراث والمال. وقال الخليل بن أحمد: القريب والبعيد يستوي فيهما في اللغة المذكر والمؤنث والواحد والجمع. قال أبو عمرو بن العلاء: القريب في اللغة يكون بمعنى القرب وبمعنى المسافة، تقول العرب: هذه امرأة قريبة منك إذا كانت بمعنى القرابة، وقريب منك إذا كانت بمعنى المسافة.

[٥٧] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا﴾، قرأ عاصم (بشراً) بالباء وضمها وسكون الشين ها هنا وفي الفرقان وسورة النمل، ويعني: أنها تبشر بالمطر بدليل قوله تعالى: (الرياح مبشرات)، وقرأ حمزة والكسائي ﴿شَرًا﴾ بالنون وفتحها، وهي الرياح الطيبة اللينة، قال الله تعالى:

(١) رواه البخاري في الجهاد ٧/ ٤٧٠ ومسلم في الذكر رقم (٢٧٠٤) ٤/ ٢٠٧٦ والمصنف في شرح السنة ٦٦/ ٥.

أنه إذا كان يعقب أحدهم الآخر ويخلفه، فكأنه يطلبه. ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ أي: خلق هذه الأشياء مسخرات، أي: مُذَلَّلَاتٍ ﴿بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾، له الخلق لأنه خلقهم وله الأمر يأمر في خلقه بما يشاء، قال سفيان بن عيينة: فرق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر. ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾، أي: تعالى الله وتعظم. وقيل: ارتفع. والمبارك المرتفع. وقيل: تبارك تفاعل من البركة وهي النماء والزيادة. أي: البركة تُكتسب وتُنال بذكره. وعن ابن عباس قال: جاء بكل بركة. وقال الحسن: تجيء البركة من قبله وقيل: تبارك تقدّس. والقدس الطهارة. وقيل: تبارك الله أي باسمه يُتبرَّك في كل شيء. وقال المحققون: معنى هذه الصفة ثبت ودام بما لم يزل ولا يزال وأصل البركة الثبوت. ويُقال: تبارك الله، ولا يقال: متبارك ولا مبارك، لأنه لم يرد به التوقيف. ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٥٥] ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾، تذلاً واستكانة، ﴿وَخُفْيَةً﴾، أي: سرّاً. قال الحسن: بين دعوة السرّ ودعوة العلانية سبعون ضعفاً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت، وإن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم، ذلك أن الله سبحانه يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، وإن الله ذكر عبداً صالحاً ورضي فعله فقال: (إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا). ﴿إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْمُعْتَدِينَ﴾، قيل: المعتدين في الدعاء. وقال أبو مجلز: هم الذين يسألون منازل الأنبياء عليهم السلام وقيل: أراد به الاعتداء بالجهر والصياح، قال ابن جريج: من الاعتداء رفع الصوت والنداء بالدعاء والصياح. ورؤينا عن أبي موسى قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير، فقال رسول الله ﷺ: «ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنْكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنْكُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٥٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَيَأْذِنُ رَبُّهُ وَالَّذِي حَبِثَ لَا يَخْرِجُ
إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾
يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا
رُسُلَنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ
هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ
﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي
سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا
لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تبتئث كلا، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١).

[٥٨] قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾، وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس، وهو أول نبي بُعث بعد إدريس ﴿فَقَالَ﴾، لقومه، ﴿يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، قرأ أبو جعفر

(والناشرات نشرًا) وقرأ ابن عامر بضم النون وسكون الشين، وقرأ الآخرون بضم النون والشين، جمع نشور، مثل صبور وصبر ورسول ورسل، أي: متفرقة وهي الرياح التي تهب من كل ناحية. ﴿يَتَك يَدَى رَحْمَةً﴾، أي: قدام المطر ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ﴾، حملت الرياح، ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالمطر، ﴿سُقْنَةً﴾، ورد الكناية إلى السحاب، ﴿يَمْتَرِ مَيْتٌ﴾ أي: إلى بلد ميت محتاج إلى الماء. وقيل: معناه لإحياء بلد ميت لا نبات فيه ﴿فَأَرْسَلْنَا بِهِ﴾، أي: بالسحاب. وقيل: بذلك البلد الميت، ﴿الْمَاءَ﴾، يعني: المطر، ﴿فَخَرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾، استدلل بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الموتى ﴿لَعَلَّكُمْ تَكْذُرُونَ﴾، قال أبوهريرة وابن عباس: إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى أرسل الله عليهم مطرًا كمني الرجال من ماء تحت العرش يُدعى ماء الحيوان، فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح، ثم يُلقى عليهم النوم فينامون في قبورهم، ثم يُحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم وأعينهم، فعند ذلك يقولون: (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا).

[٥٨] قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ﴾، هذا مثل ضربه الله عز وجل للمؤمن والكافر، فمثل المؤمن مثل البلد الطيب يصيبه المطر فيخرج نباته يأذن ربه، ﴿وَالَّذِي حَبِثَ﴾، يريد الأرض السبخة التي، ﴿لَا يَخْرِجُ﴾، نباتها، ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾، قرأ أبو جعفر بفتح الكاف، وقرأ الآخرون بكسرها، أي: عسرًا قليلًا بعناء ومشقة. فالأول مثل المؤمن الذي إذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به، والثاني مثل الكافر الذي يسمع القرآن فلا يؤثر فيه، كالبلد الخبيث الذي لا يتبين أثر المطر فيه ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي ﷺ

(١) أخرجه البخاري في العلم ١٧٥/١ ومسلم في الفضائل رقم (٢٢٨٢) ٢/١٧٨٧ والمصنف في شرح السنة ٢٨٧/١.

العذاب وهو الغرق.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿وَلِيَكَ عَادٌ هُودًا﴾، أي:

وأرسلنا إلى عاد، وهو عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهي عاد الأولى أخاهم في النسب لا في الدين، (هودًا) وهو هود بن عبدالله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص. وقال

ابن إسحاق: هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، ﴿قَالَ يَنْفِقُوا عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْتَفُونَ﴾، أفلا تخافون نقمته؟

[٦٦] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّكَ لَنَرْنَا﴾، يا هود، ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾، في حمق وجهالة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: تدعو إلى دين لا نعرفه، ﴿وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾، أنك رسول الله إلينا.

[٦٧] ﴿قَالَ﴾، هود ﴿يَنْفِقُوا لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٦٨] ﴿أُتِلِّغُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾، ناصح أدعوكم إلى التوبة أمين على الرسالة. قال الكلبي. كنت فيكم قبل اليوم أمينًا.

[٦٩] ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ﴾، يعني نفسه، ﴿لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾، يعني في الأرض، ﴿مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾، أي: من بعد إهلاكهم، ﴿وَوَدَّعَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصَاطَةً﴾، أي: طولًا وقوة ﴿فَأَذْكُرُوا ءَالَءَ اللَّهِ﴾ نعم الله، واحدها إلى وآلاء، مثل: معى وأمعاء، وقفا وأقفاء ونظيرها: (آناء الليل)، واحدها أنا وآناء، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْلِكُونَ﴾.

[٧٠] ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾، من الأصنام، ﴿فَأَنبَأَنَا بِمَا نَعِدُنَا﴾، من العذاب، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

[٧١] ﴿قَالَ﴾، هود ﴿قَدْ وَقَعَ﴾، وجب ونزل، ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ أي: عذاب، والسين مبدلة من الزاي، ﴿وَعَصَبٌ﴾، أي: سخط،

والكسائي ﴿مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾ بكسر الراء حيث كان على نعت الإله، وافق حمزة في سورة فاطر: (هل من خالق غير الله)، وقرأ الآخرون برفع الراء على التقديم، تقديره: مالكم غيره من إله، ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾، إن لم تؤمنوا، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[٦٠] ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَا فِي ضَلَالٍ خَطَأً وَزَوَالٍ عَنِ الْحَقِّ﴾، ﴿ثُبِينِ﴾، بين.

[٦١] ﴿قَالَ﴾، نوح، ﴿يَنْفِقُوا لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ﴾، ولم يقل ليست، لأن معنى الضلالة الضلال أو على تقديم الفعل، ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٦٢] ﴿أُتِلِّغُكُمْ﴾، قرأ أبو عمرو: (أُتِلِّغُكُمْ) بالتخفيف حيث كان من الإبلاغ. لقوله: (لقد أبلغتكم)، ﴿رَسُولَتِ رَبِّي﴾، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، وقرأ الآخرون بالتشديد من التبليغ، لقوله تعالى: (بلغ ما أنزل إليك)، رسالات ربي، ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾، يقال: نصحته ونصحت له. والنصح أن يريد لغيره من الخير ما يريد لنفسه، ﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أن عقابه لا يُرد عن القوم المجرمين.

[٦٣] ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ﴾، ألف استفهام دخلت على واو العطف، ﴿أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: موعظة. وقيل: بيان. وقيل: رسالة. ﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾، عذاب الله إن لم تؤمنوا، ﴿وَلَنَنْفِقُوا﴾، أي: لكي تتقوا الله، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾، لكي ترحموا.

[٦٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، يعني: كذبوا نوحًا، ﴿فَأَجْبَيْنَاهُ﴾، من الطوفان، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ﴾، في السفينة، ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾، أي: كفارًا. قال ابن عباس: عميت قلوبهم عن معرفة الله. قال الزجاج: عموا عن الحق والإيمان، يقال: رجل عم عن الحق وأعمى في البصر. وقيل: العمى والأعمى كالخضر والأخضر. قال مقاتل: عموا عن نزول

﴿أَتَجِدُلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَيْتُمُوهَا﴾، وضعتها،
﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ﴾، قال أهل التفسير: كانت لهم
أصنام يعبدونها سموها أسماء مختلفة، ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ
بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾، حجة وبرها، ﴿فَانظُرُوا﴾،
نزل العذاب، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ﴾.

[٧٢] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾، يعني هودًا عند نزول
العذاب، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ يَرْجَوْا مِنَّا وَقَطَعْنَا دَايِرَ الَّذِينَ
كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾، أي: استأصلناهم وأهلكناهم
عن آخرهم، ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

[٧٣] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَهُمْ صَالِحًا﴾،
وهو ثمود بن عابر بن أرم بن سام بن نوح، وأراد
ههنا القبيلة. قال أبو عمرو بن العلاء: سُميت ثمود
لقلة مائها، والتمد: الماء القليل، وكانت مساكنهم
الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى،
(أخاهم صالحًا) أي أرسلنا إلى ثمود أخاهم في
النسب لا في الدين صالحًا، وهو صالح بن عبيد
ابن آسف بن ماشيخ بن عبيد بن خادر بن ثمود،
﴿قَالَ يَقُولُوا عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهِ غَيْرِهِ قَدْ
جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، حجة من ربكم على
صدقي ﴿هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ﴾، أضافها إليه على
التفضيل والتخصيص، كما يقال: بيت الله ﴿لَكُمْ
آيَةٌ﴾ نصب على الحال ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلُ﴾
العشب، ﴿فِي نَفْسِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءَ﴾، لا
تصيبوها بعقر، ﴿يَتَذَكَّرُ عَذَابُ اللَّهِ﴾.

[٧٤] ﴿وَادْعُوا آلَهُمْ﴾، دعواهم خلفاء من بعد عاد
وآلهم، ﴿أَسْكَنْكُمْ وَأَنْزَلَكُمْ﴾، ﴿فِي الْأَرْضِ
تَلْعَدُونَ مِنْ شُحِّهَا قُصُورًا تَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾،
كانوا ينقبون في الجبال البيوت ففي الصيف
يسكنون بيوت الطين، وفي الشتاء بيوت الجبال.
وقيل: كانوا ينحتون البيوت في الجبل لأن بيوت
الطين ما كانت تبقى مدة أعمارهم لطول أعمارهم،
﴿فَذَكَّرْنَا آلَهُمْ وَلَا تَعْتَبُوا فِي الْأَرْضِ مُتَسَاوِينَ﴾
والعيث: أشد الفساد.

سورة الأعراف

١٥٩

سورة الأعراف

أَتَلْعَدُونَ بِيَدَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٩﴾
أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ
وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٦٠﴾
قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَإِنَّا بِمَا قَدَّمْنَا إِيَّاهُ كُنْتُمْ مِنَ الْغَالِبِينَ ﴿١٦١﴾
قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ
أَتَجِدُلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ
مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ
الْمُنْظِرِينَ ﴿١٦٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَقَطَعْنَا دَايِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٦٣﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَهُمْ صَالِحًا قَالَتْ يَقُولُوا عَبْدُوا اللَّهَ
مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهِ غَيْرِهِ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ
رَبِّكُمْ هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلُ
فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ﴿١٦٤﴾

[٧٥] ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ قرأ ابن عامر: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ﴾
بالواو، ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾، يعني
الأشراف والقادة الذين تعظموا عن الإيمان
بصالح، ﴿الَّذِينَ اسْتَفْعَلُوا﴾، يعني الأتباع، ﴿لِمَنْ
آمَنَ مِنْهُمْ﴾، يعني: قال الكفار للمؤمنين،
﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَنِيعًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾، إليكم،
﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

[٧٦] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ
بِهِ كَافِرُونَ﴾، جاحدون.

[٧٧] ﴿فَعَقَرُوا نَافَةَ﴾، قال الأزهري: العقر
هو قطع عرقوب البعير، ثم جعل النحر عقراً لأن
ناحر البعير يعقره ثم ينحره. ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ
رَبِّهِمْ﴾، والعتو الغلو في الباطل، يقال: عتا يعتو
عتوا إذا استكبروا، والمعنى: عصوا الله وتركوا
أمره في الناقة وكذبوا نبيهم. ﴿وَقَالُوا لَنْصَلِّحَ آبَانَا

يَمَّا تَعِدُنَا^(١)، أي: من العذاب، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٧٨] ﴿فَاخَذَتْهُمْ الرِّجْفَةُ﴾، وهي زلزلة الأرض وحركتها وأهلكوا بالصيحة والرجفة، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾، قيل: أراد الديار. وقيل: أراد في أرضهم وبلدتهم، ولذلك وُحِدَ الدار، ﴿جَنَّتَيْنِ﴾، خامدين ميتين. قيل: سقطوا على وجوههم موتى عن آخرهم.

[٧٩] ﴿فَتَوَلَّى﴾، أعرض صالح، ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾، فإن قيل: كيف خاطبهم بقوله لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بعدما أهلكوا بالرجفة؟ قيل: كما خاطب النبي ﷺ الكفار من قتلى بدر حين ألقاهم في القلب، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال النبي ﷺ:

«والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون»^(١). وقيل: خاطبهم ليكون عبرة لمن خلفهم. وقيل: في الآية تقديم وتأخير تقديرها: فتولى عنهم، وقال: يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي فأخذتهم الرجفة.

[٨٠] قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا﴾، أي: وأرسلنا لوطًا. وقيل: معناه واذكر لوطًا. وهو لوط بن هاران بن تارخ بن أخي إبراهيم، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾، وهم أهل سدوم وذلك أن لوطًا شخص من أرض بابل سافر مع عمه إبراهيم عليه السلام مؤمنًا مهاجرًا معه إلى الشام، فنزل إبراهيم فلسطين وأنزل لوطًا الأردن، فأرسله الله عز وجل إلى أهل سدوم فقال لهم: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾، يعني: إتيان الذكران، ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾، قال عمرو بن دينار: ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَنُبَاكُمْ فِي الْأَرْضِ تَنخَضُونَ^(١) مِنْ سُهُولِهَا فُصُورًا وَنَجْحُونَ^(٢) الْجِبَالَ يُؤْتُونَ فَاذْكُرُوا^(٣) آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْسُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ^(٤) ﴿٧٦﴾ قَالَ الْأَمْلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ^(٥) أَنَّ صَلَاحَ امْرِئٍ مِّن رَّبِّهِ قَالَوْا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٨﴾ فَقَرَأُوا الثَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ^(٦) أَمْرَنَا يَمَّا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٩﴾ فَاخَذَتْهُمْ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنَّتَيْنِ ﴿٨٠﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ ﴿٨١﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٢﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ^(١) بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ^(٢) ﴿٨١﴾

إلا كان من قوم لوط.

[٨١] ﴿إِنَّكُمْ﴾، قرأ أهل المدينة وحفص ﴿إِنَّكُمْ﴾ بكسر الألف على الخبر، وقرأ الآخرون على الاستئناف. ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾، في أدبارهم، ﴿شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾، فسر تلك الفاحشة يعني أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ مجاوزون الحلال إلى الحرام. قال محمد بن إسحاق: كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس لينالوا من ثمارهم فأذوهم.

[٨٢] ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾، قال بعضهم لبعض، ﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾، يعني: لوطًا وأهل دينه، ﴿مِّن قَرَيْبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَرُونَ﴾،

(١) قطعة من حديث أنس بن مالك أخرجه البخاري في المغازي باب قتل أبي جهل ٧/٣٠٠، ٣٠١.

يتزهدون عن أدبار الرجال.

[٨٣] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾، يعني: لوطاً، ﴿وَأَهْلَهُ﴾، المؤمنين، وقيل: أهله ابتناه، ﴿إِلَّا أَمْرًا﴾ كانت من الغديرين، يعني الباقيين في العذاب. وقيل: معناه كانت من الباقيين المعتمرين قد أتى عليها دهر طويل فهلكت مع من هلك من قوم لوط، وإنما قال: ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾، لأنه أراد ممن بقي من الرجال فلما ضم ذكرها إلى ذكر الرجال قال من الغابرين.

[٨٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾. يعني حجارة من سجيل قال وهب: الكبريت والنار، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، قال أبو عبيدة: يقال في العذاب أُمطر وفي الرحمة مطر.

[٨٥] قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾، أي: وأرسلنا إلى ولد مدين وهو مدين بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، وهم أصحاب الأيكة أخاهم شعيباً في النسب لا في الدين. قال عطاء: هو شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم.

وقال ابن إسحاق: هو شعيب بن ميكائيل بن يزرير ابن مدين بن إبراهيم وأم ميكائيل بنت لوط. وقيل: هو شعيب بن يثرون بن مدين، وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وكان قومه أهل كفر وبخس للمكيال والميزان، ﴿قَالَ يَنْفِقُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ولم تكن لهم آية مذكورة؟ قيل: قد كانت لهم هذه الآية إلا أنها لم تذكر، وليست كل الآيات مذكورة في القرآن، وقيل: أراد بالبينه مجيء شعيب، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾، أتموا الكيل، ﴿وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾، لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم إياها، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، أي: ببعث الرسل والأمر بالعدل،

وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٨٣﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا أَنَّهُ كَانَتْ مِنَ الْغَدِيرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفِقُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٧﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

وكل نبي بعث إلى قوم فهو صلاحهم، ﴿ذَلِكُمْ﴾ الذي ذكرت لكم وأمرتكم به، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، مصدقين بما أقول.

[٨٦] ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾، أي: على كل طريق، ﴿تُوعِدُونَ﴾ تهددون ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، دين الله، ﴿مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، زيغاً، وقيل: تطلبون الاعوجاج في الدين والعدول عن القصد، وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيقولون لمن يريد الإيمان بشعيب: إن شعيب كذاب فلا يفتنك عن دينك ويتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم. وقال السدي: كانوا عشارين. ﴿وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ﴾، فكثرت عددهم، ﴿وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾، أي: آخر أمر قوم لوط. [٨٧] ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٦٢

سورة الأعراف

﴿قَالَ أَمْلَأُوا الدِّينَ أَسْتَكْبِرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَاهِنِينَ﴾ [٨٨] ﴿قَدْ أَفْرَأْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِدْجَانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَصِيحِينَ﴾ [٨٩] ﴿وَقَالَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيَنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ﴾ [٩٠] ﴿فَأَخَذْتُمُ الرِّجْفَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثْمِينَ﴾ [٩١] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَفْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ [٩٢] ﴿فَنَوَلَّيْنَا عَنْهُمْ آلَهُمْ قَوَائِمًا فَغَوَّاهُمْ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَاءَةِ وَالنَّسَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [٩٣] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آلَاءُ اللَّهِ الْفَصْلَةَ أَفْعَاذٌ لَهُمْ فَمَا أَصْبَحُوا بِقَوْمِهِمْ يَنْشُرُونَ﴾ [٩٤]

الزلزلة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: فتح الله عليهم بابًا من جهنم فأرسل عليهم حرًا شديدًا فأخذ بأنفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء فكانوا يدخلون الأسراب ليتبردوا فيها فإذا دخلوها وجدوها أشد حرًا من الظاهر، فخرجوا هربًا إلى البرية فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة فأظلمت، وهي الظلة، فوجدوا لها بردًا ونسيمًا فنادى بعضهم بعضًا حتى اجتمعوا تحت السحابة، رجالهم ونسأولهم وصبيانهم ألهمها الله عليهم نارًا ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلبي، وصاروا رمادًا ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثْمِينَ﴾.

[٩٢] وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَفْنَوْا فِيهَا﴾، أي: لم يقيموا ولم ينزلوا فيها، من قولهم: غنيت بالمكان إذا قمت به، والمغاني

أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا، أي: إن اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين مكذبين ومصدقين، ﴿فَأَصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾، بتعذيب المكذبين وإنجاء المصدقين، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

[٨٨] ﴿قَالَ أَمْلَأُوا الدِّينَ أَسْتَكْبِرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾، يعني الرؤساء الذين تعظموا عن الإيمان به، ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، لترجعن إلى ديننا الذي نحن عليه ﴿قَالَ﴾ شعيب ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَاهِنِينَ﴾، يعني: لو كنا أي: وإن كنا كاهنين لذلك فتجبرونا عليه؟

[٨٩] ﴿قَدْ أَفْرَأْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِدْجَانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾، بعد إذ أنقذنا الله منها، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ يقول إلا أن يكون قد سبق لنا في علم الله ومشيئته أنا نعود فيها فحيثئذ يمضي قضاء الله فينا وينفذ حكمه علينا. فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾، ولم يكن شعيب قط على ملتهم حتى يصح قولهم ترجع إلى ملتنا؟ قيل: معناه أو لتدخلن في ملتنا، فقال: وما كان لنا أن ندخل فيها. وقيل: معناه إن صرنا في ملتكم، ومعنى (عاد) صار، وقيل: أراد به قوم شعيب لأنهم كانوا كفارًا فآمَنُوا فَأَجَابَ شعيب عنهم، قوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، أحاط علمه بكل شيء ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾، فيما توعدونا به، ثم عاد شعيب بعد ما أيس من فلاحهم فقال: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾، أي: اقض بيننا، ﴿بِالْحَقِّ﴾، والفتاح: القاضي، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَصِيحِينَ﴾، أي: الحاكمين.

[٩٠] ﴿وَقَالَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيَنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا، وتركتهم دينكم، ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ﴾، مغبونون، وقال عطاء: جاهلون، قال الضحاك: عجزة.

[٩١] ﴿فَأَخَذْتُمُ الرِّجْفَ﴾، قال الكلبي:

المنازل واحدها مغنى، وقيل: كأن لم ينتعموا فيها.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾، لا المؤمنين كما زعموا.

[٩٣] ﴿فَتَوَى﴾، أعرض ﴿عَنَّهُمْ﴾ شعيب شاخصاً من بين أظهرهم حين أتاهم العذاب، ﴿وَقَالَ يَقَوْمُ لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِرِسَالَةٍ رَبِّي وَصَحَّحْتُ لَكُمْ كَيْفَ آتَوْنِي﴾، أأحزن، ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾، والأسى: الحزن، والأسى: الصبر.

[٩٤] قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْتُ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ﴾، فيه إضمار، يعني: فكذبوه، ﴿إِلَّا أَخَذْنَا﴾، عاقبنا ﴿أَهْلَهَا﴾، حين لم يؤمنوا، ﴿يَا بَأْسَاءَ وَالضَّرَاءَ﴾، قال ابن مسعود: البأساء: الفقر والضرء: المرض، وهذا معنى قول من قال البأساء في المال والضرء في النفس. وقيل: البأساء البؤس وضيق العيش، والضرء والضر سوء الحال. وقيل: البأساء في الحرب والضرء الجذب، ﴿فَعَاثُوا يَضْرَعُونَ﴾، لكي يتضرعوا فيتربوا.

[٩٥] ﴿لَمْ يَذَلُّ مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةِ﴾، يعني: مكان البأساء والضرء الحسنة، يعني النعمة والسعة والخصب والصحة، ﴿حَتَّى عَفَا﴾، أي: كثروا وازدادوا، وكثرت أموالهم، يقال: عفا الشعر إذا كثر. قال مجاهد: وكثرت أموالهم وأولادهم، ﴿وَقَالُوا﴾، من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا إلى الرخاء، ﴿فَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ وَالْغَنَاءَ﴾، أي: هكذا كانت عادة الدهر قديماً لنا ولآبائنا ولم يكن ما مستنا من الضراء عقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم فإنهم لم يتركوا دينهم لما أصابهم من الضراء، قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمْ بَغْةً﴾، فجأة آمن ما كانوا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، بنزول العذاب.

[٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [٩٧] ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [٩٨] ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ [٩٩] ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [١٠٠] ﴿أُولَٰئِكَ يَهْدِي اللَّهُ لِلَّذِينَ يَرْثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [١٠١] ﴿تِلْكَ الْأَقْرَىٰ نَقَضَ عَلَيْهِ مِنْ أَنْبِيَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْغَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [١٠٢] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [١٠٣] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِيَّي رَسُولٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٠٥]

عليهم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، يعني: المطر من السماء والنبات من الأرض، وأصل البركة: المواظبة على الشيء، أي: تابعنا عليهم المطر والنبات ورفعنا عنهم القحط والجذب، ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، من الأعمال الخبيثة.

[٩٧] ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ الذين كفروا وكذبوا، يعني: أهل مكة وما حولها، ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾، عذابنا ﴿بَيْتًا﴾، ليلاً، ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

[٩٨] ﴿أَوْ آمِنَ﴾، قرأ أهل الحجاز والشام: (أَوْ آمِنَ) بسكون الواو، والباقون بفتحها، ﴿أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾، أي: نهاراً: والضحى: صدر النهار، ووقت انبساط الشمس، ﴿وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾، ساهون لاهون.

[٩٩] ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ

أوائلهم، نظيره قوله عز وجل: (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون). ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾، أي: كما طبع الله على قلوب الأمم الخالية التي أهلكها كذلك يطبع الله على قلوب الكفار الذين كُتب عليهم أن لا يؤمنوا من قومك.

[١٠٢] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾، أي: وفاء بالعهد الذي عاهدهم يوم الميثاق، حين أخرجهم من صلب آدم ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾، أي: ما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين ناقضين للعهد.

[١٠٣] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، أي: من بعد نوح وهود وصالح وشعيب، ﴿مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾، بأدلتنا، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَيْنَاهُ فَظَلَمُوا بِهَا﴾، فجحدا بها، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فظلمهم وضع الكفر موضع الإيمان، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾، وكيف فعلنا بهم.

[١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لما دخل على فرعون ﴿يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليك، فقال فرعون: كذبت، فقال موسى:

[١٠٥] ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، أي: أنا خليق بالآ أقول على الله إلا الحق، فتكون ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى الباء كما يقال: رميت بالقوس ورميت على القوس، وجئت على حال حسنة وبحال حسنة، يدل عليه قراءة أبي والأغمش (حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق)، وقال أبو عبيدة: معناه حريص على ألا أقول على الله إلا الحق، وقرأ نافع (عَلَىٰ) بتشديد الباء أي حق واجب على ألا أقول على الله إلا الحق. ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، يعني العصا، ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، أي: أطلق عنهم وخلهم يرجعون إلى الأرض المقدسة، وكان فرعون قد

إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ﴾، ومكر الله استدراجهم بما أنعم عليهم في دنياهم. وقال عطية: يعني أخذه وعذابه.

[١٠٠] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾، قرأ قتادة ويعقوب: ﴿نَهْدٍ﴾ بالنون على التعظيم، والباقون بالياء على التفريد، يعني أو لم نبين، ﴿لِلَّذِينَ يَرْتُوتِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ﴾، هلاك ﴿أَهْلِهَا﴾، الذين كانوا فيها قبلهم ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَحْنَاهُمْ﴾، أي: أخذناهم وعاقبناهم، ﴿يَذُوبُهُمْ﴾ كما عاقبنا من قبلهم، ﴿وَنَطْبَعُ﴾، نختم، ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾، الإيمان ولا يقبلون الموعدة، قال الزجاج: قوله ﴿نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ منقطع عما قبله لأن قوله ﴿أَصْبَحْنَاهُمْ﴾ ماض، و﴿نَطْبَعُ﴾ مستقبل.

[١٠١] ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ﴾، أي: هذه القرى التي ذكرت لك أمرها وأمر أهلها يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب. ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾، أخبارها لما فيها من الاعتبار، ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، بالآيات والمعجزات والعجائب، ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾، أي: فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذبوا من قبل رؤيتهم تلك العجائب، نظيره قوله عز وجل: (قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين). قال ابن عباس والسدي: يعني فما كان هؤلاء الكفار الذين أهلكناهم ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا من قبل يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم، فأقروا باللسان وأضمروا التكذيب. وقال مجاهد: معناه فما كانوا لو أحسيناهم بعد إهلاكهم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم، كقوله عز وجل: (ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهِوا عنه). قال يمان بن رباب: هذا على معنى أن كل نبي أنذر قومه بالعذاب فكذبوه، يقول: ما كانوا ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من الأمم الخالية، بل كذبوا بما كذب

استخدمهم في الأعمال الشاقة من ضرب اللبن ونقل التراب ونحوهما، فقال فرعون مجيباً لموسى:

[١٠٦] ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِثَبَةٍ فَأَبْرَأَ إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ .

[١٠٧] ﴿فَأَلْقَى﴾ موسى ﴿عَصَاهُ﴾ من يده ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾، والثعبان: الذكر العظيم من الحيات، فإن قيل: أليس قد قال في موضع آخر (كأنها جان)، والجان الحية الصغيرة؟ قيل: إنها كانت كالجان في الحركة والخفة، وهي في جثتها حية عظيمة. قال ابن عباس والسدي: إنه لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاعرة فاها ما بين لحييها ثمانون ذراعاً وارتفعت من الأرض بقدر ميل، وقامت له على ذنبها واضعة لحييها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه، وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى أشدك بالذي أرسلك خذها وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني اسرائيل، فأخذها موسى فعادت عصاً كما كانت ثم قال فرعون: هل معك آية أخرى؟ قال: نعم.

[١٠٨] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَةٌ لِلنَّظْرِ﴾، فأدخل يده في جيبه ثم نزعها، وقيل: أخرجها من تحت إبطه فإذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس، وكان موسى آدم، ثم أدخلها جيبه فصارت كما كانت.

[١٠٩] ﴿قَالَ أَمْلَأْ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾، يعنون إنه ليأخذ بأعين الناس حتى يخیل إليهم العصا حية والآدم أبيض، ويُري الشيء بخلاف ما هو به.

[١١٠] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ﴾، يا معشر القبط، ﴿مِنْ أَرْضِكَ﴾، مصر، ﴿فَمَآذَا تَأْمُرُونَ﴾، أي: تشيرون إليه، هذا يقوله فرعون وإن لم يذكره، وقيل: هذا

الْحَمْدُ لِلَّهِ

١٦٤

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِثَابِتَةٍ فَأَبْرَأَ إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَةٌ لِلنَّظْرِ ﴿١٠٨﴾ قَالَ أَمْلَأْ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ فَمَآذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تَوَكُّ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنِ كُنْتُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّمَا أَنْتَ تُفْلِحُ وَإِنَّمَا أَنْتَ كُنْتَ لِحِثِّهِ ثَمَانُونَ ذِرَاعًا وَارْتَفَعَتْ مِنَ الْأَرْضِ بِقَدَرِ مِيلٍ، وَقَامَتْ لَهُ عَلَى ذَنْبِهَا وَاضِعَةٌ لِحِثِّهَا الْأَسْفَلُ فِي الْأَرْضِ وَالْأَعْلَى عَلَى سُرِّ الْقَصْرِ، وَتَوَجَّهَتْ نَحْوَ فِرْعَوْنَ لِتَأْخُذَهُ، وَحَمَلَتْ عَلَى النَّاسِ فَانْهَزَمُوا وَصَاحُوا وَدَخَلَ فِرْعَوْنَ الْبَيْتَ وَصَاحَ يَا مُوسَى أَشَدُّكَ بِالَّذِي أَرْسَلْتُكَ خُذْهَا وَأَنَا أَؤْمِنُ بِكَ وَأَرْسَلْتُ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ، فَأَخَذَهَا مُوسَى فَعَادَتْ عَصًا كَمَا كَانَتْ ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنَ: هَلْ مَعَكَ آيَةٌ أُخْرَى؟ قَالَ: نَعَمْ.

من قول الملائكة لفرعون وخاصة.

[١١١] ﴿قَالُوا﴾، يعني الملائكة، ﴿أَرْجِهْ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة وابن عامر بالهمزة وضمة الهاء، وقرأ الآخرون بلا همز، ثم نافع رواية ورش والكسائي يشيعان الهاء كسراً، ويسكنها عاصم وحمزة، ويختلسها أبو جعفر وقالون، قال عطاء: معناه آخره. وقيل: أحبسه، ﴿وَأَخَاهُ﴾، معناه أشاروا عليه بتأخير أمره وترك التعرض له بالقتل، ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ﴾، يعني الشرط في المدائن، وهي مدائن الصعيد من نواحي مصر، قالوا: أرسل إلى هذه المدائن رجالاً يحشرون إليك من فيها من السحرة، وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد، فإن غلبهم موسى صدقناه وإن غلبوا علمنا أنه ساحر.

[١١٢] فذلك قوله: ﴿يَا تَوَكُّ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾،

قرأ حمزة، والكسائي (سَحَار) ههنا وفي سورة يونس ولم يختلفوا في الشعراء أنه سحار، قيل: الساحر الذي يَعْلَمُ السحر ولا يُعْلَمُ، والسحار الذي يَعْلَمُ. وقيل: الساحر من يكون سحره في وقت دون وقت، والسحار من يديم السحر. قال ابن عباس وابن إسحاق والسدي: قال فرعون لما رأى من سلطان الله في العصا ما رأى: إنا لا نُغالب إلا بمن هو منه، فاتخذ غلماناً من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الفرحاء يعلمونهم السحر، فعلموهم سحرًا كثيرًا وواعد فرعون موسى موعدًا فبعث إلى السحرة فجاءوا ومعلمهم معهم، فقال له: ماذا صنعت؟ قال: قد علمتهم سحرًا لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمرًا من السماء فإنه لا طاقة لهم به، ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحرًا إلا أتى به، واختلفوا في عددهم فقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين، اثنان من القبط وهما رأسا القوم وسبعون من بني إسرائيل. وقال الكلبي: كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى، وكانوا سبعين غير رئيسهم. وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفًا. وقال السدي: كانوا بضعة وثلاثين ألفًا. وقال عكرمة: كانوا سبعين ألفًا. وقال محمد بن المنكدر: كانوا ثمانين ألفًا. وقال مقاتل: كان رئيس السحرة شمعون. وقال ابن جريج: كان رئيس السحرة يوحنا.

[١١٣] ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ وَعَوَتَ﴾ واجتمعوا، ﴿قَالُوا﴾، لفرعون ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾، أي: جُعلاً وما لا ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾، قرأ أهل الحجاز وحفص ﴿إِنَّ لَنَا﴾ على الخبر، وقرأ الباقون بالاستفهام، ولم يختلفوا في الشعراء أنه مستفهم.

[١١٤] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، في المنزلة الرفيعة عندي مع الأجر، قال الكلبي: يعني أول من يدخل وآخر من يخرج.

[١١٥] ﴿قَالُوا﴾ يعني السحرة ﴿يُمُوسَىٰ إِنَّمَا أَن تُلْقِيَ عَصَاكَ﴾ ﴿وَأِنَّمَا أَن تَكُونُ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾، لعصيتنا وحبالنا.

[١١٦] ﴿قَالَ﴾ موسى بل ﴿أَلْقُوا﴾ أنتم، ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾، أي: صرفوا أعينهم عن إدراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل، وهذا هو السحر، ﴿وَأَسْهَبُوهُمْ﴾، أي: أربهوهم وأفرعوهم، ﴿وَجَاءَهُمْ سِحْرٌ عَظِيمٌ﴾، وذلك أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً. وفي القصة أن الأرض كانت ميلاً في ميل صارت حيات وأفاعي في أعين الناس.

[١١٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ﴾، فألقاها فصارت حية عظيمة. حتى سدت الأفق. قال ابن زيد: كان اجتماعهم بالإسكندرية ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ قرأ حفص ﴿تَلْقَفُ﴾ ساكنة اللام خفيفة حيث كان، وقرأ الآخرون بفتح اللام وتشديد القاف، أي: تتلع، ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾، يكذبون من التخييل وقيل: يزورون على الناس. فكانت تلتقم حبالهم وعصيتهم واحداً واحداً حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا فوق الزحام عليهم فهلك منهم في الزحام خمسة وعشرون ألفاً ثم أخذها موسى فصارت عصاً كما كانت.

[١١٨] ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾، قال الحسن ومجاهد: ظهر الحق، ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، من السحر، وذلك أن السحرة قالوا: لو كان ما يصنع موسى سحرًا لبقيت حبالنا وعصيتنا، فلما فقدت علموا أن ذلك من أمر الله.

[١١٩] ﴿فَقُلُوبُهُمْ هُتَالِكُ﴾ وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ، ذليلين مقهورين.

[١٢٠] ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ﴾ الله تعالى. قال مقاتل: ألقاهم الله. وقيل: ألهمهم الله أن يسجدوا فسجدوا. قال الأخفش: من سرعة ما سجدوا

كانهم القوا.

[١٢٢، ١٢١] ﴿قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فقال فرعون: إياي تعنون فقالوا: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾، قال مقاتل: قال موسى لكبير السحرة: تؤمن بي إن غلبتك؟ فقال: لا تئن بسحر لا يغلبه سحر، ولئن غلبتني لأومنن بك، وفرعون ينظر.

[١٢٣] ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿فَرْعَوْنُ﴾ حين آمنوا ﴿ءَأَمَنْتُمْ بِهِ﴾، قرأ حفص ﴿ءَأَمَنْتُمْ﴾ على الخبر ههنا وفي طه والشعراء، وقرأ الآخرون بالاستفهام أأنتم به، ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكَ﴾، أصدقتم موسى من غير أمري إياكم، ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُتُهُ﴾، أي: صنيع صنعتموه أنتم وموسى: ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر، ﴿لِخُرُوجِهَا مِنْهَا أَهْلُهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ما أفعل بكم.

[١٢٤] ﴿لَأُصْلَبَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنَ خَلْفٍ﴾، وهو أن يقطع من كل شق طرفاً. قال الكلبي: لأقطعن أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى، ﴿ثُمَّ لَأُصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، على شاطئ نهر مصر.

[١٢٥] ﴿قَالُوا﴾، يعني السحرة لفرعون، ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾، راجعون في الآخرة.

[١٢٦] ﴿وَمَا نَنقِمُ مِنْهَا﴾، أي: ما تكره منا. وقال الضحاك وغيره: وما تطعن علينا. وقال عطاء: مالنا عندك من ذنب تعذبنا عليه، ﴿إِلَّا أَنْتَ ءَأَمَّنَّا بِإِثَابَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ ثم فرعوا إلى الله عز وجل فقالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ اصب، ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾، ذكر الكلبي: أن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم وذكر غيره: أنه لم يقدر عليهم لقوله تعالى: (فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون).

[١٢٧] ﴿وَيَقُولُ لَكَ رَبِّيَ مُوسَىٰ فَقَدْ كُذِّبَ﴾ له ﴿وَمُوسَىٰ وَقَوْمُهُ لَمَّا جَاءَتْهُمُ فِي الْأَرْضِ﴾، وأرادوا بالإفساد في الأرض دعاءهم الناس إلى مخالفة فرعون في عبادته، ﴿وَيَذَرُكَ﴾، أي: وليذكرك، ﴿وَالْهَيْكَلُ﴾،

١٦٥ ﴿قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ قَالَ فَرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكَ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُتُهُ فِي الْمَدِينَةِ لَخُرُوجِهَا مِنْهَا أَهْلُهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴿لَأُصْلَبَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ ﴿وَمَا نَنقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْتَ ءَأَمَّنَّا بِإِثَابَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فَرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿قَالُوا أَوِذْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُ الْفِرْعَوْنَ بِالْسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾

فلا يعبدك ولا يعبدها. قال ابن عباس: كان لفرعون بقرة يعبدها، وكان إذا رأى بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها، فلذلك أخرج السامري لهم عجلاً. وقال الحسن: كان قد علق على عنقه صليباً يعبد، وقال السدي: كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناماً وأمرهم بعبادتها، وقال لقومه: هذه آلهتكم وأنا ربها وربكم، فذلك قوله: (أنا ربكم الأعلى)، وقرأ ابن مسعود وابن عباس والشعبي والضحاك: ﴿وَيَذَرُكَ وَالْهَيْكَلُ﴾، بكسر الألف، أي: عبادتك فلا يعبدك، لأن فرعون كان يُعْبَد ولا يُعْبَد وقيل: أراد بالآلهة الشمس. وكانوا يعبدونها.

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾، قرأ أهل الحجاز: (سنقتل) بالتخفيف من القتل، وقرأ الآخرون بالتشديد من التقتيل على التكثير، ﴿وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾، نتركهن أحياء، ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ

فَهَرُوتَ ﴿١٢٨﴾، غالبون. قال ابن عباس: كان فرعون يقتل أبناء بني إسرائيل في العام الذي قيل له أنه يولد مولود يذهب بملكك، فلم يزل يقتلهم حتى أتاهم موسى بالرسالة، وكان، من أمره ما كان، فقال فرعون: أعيذوا عليهم القتل، فأعادوا عليهم القتل، فشكت ذلك بنو إسرائيل.

[١٢٨] ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ﴾، يعني أرض مصر، ﴿يُورِثُهَا﴾ يعطيها ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، بالنصر والظفر. وقيل: السعادة والشهادة. وقيل: الجنة.

[١٢٩] ﴿قَالُوا أَوْيَيْنَا﴾، قال ابن عباس: لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل، فقالوا - يعني قوم موسى - إنا أودينا، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾، بالرسالة بقتل الأبناء، ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾، بإعادة القتل علينا. وقيل: فالمراد منه أن فرعون كان يستسخرهم قبل مجيء موسى إلى نصف النهار، فلما جاء موسى استسخرهم جميع النهار بلا أجر. وذكر الكلبي أنهم كانوا يضربون له اللين بتبن فرعون، فلما جاء موسى أجبرهم أن يضربوه بتبن من عندهم. ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ﴾، فرعون، ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: يسكنكم أرض مصر من بعدهم، ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، فحقق الله ذلك بإغراق فرعون واستخلافهم في ديارهم وأموالهم فعبدوا العجل.

[١٣٠] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾، أي: بالجذب والقحط. تقول العرب: مستهم السنة، أي: جذب السنة وشدة السنة. وقيل: أراد بالسنين القحط سنة بعد سنة، ﴿وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾، والغلات بالآفات والعاهات. وقال قتادة: أما السنين فلاهل البوادي، وأما نقص الثمرات فلاهل الأمصار، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٦٦

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِينَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا تَحْنُ لَكَ يَمُومِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا لِمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيُنْزِلَ إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانْقَعَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بَأْتُهُمْ كَذُبًا يَنْبِئُنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا أَلَيْسَ بِرُكْنًا فِيهَا وَمَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٨﴾

أي: يتعظون وذلك لأن الشدة ترقق القلوب وترغبها فيما عند الله عز وجل.

[١٣١] ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ﴾، يعني الخصب والسعة والعافية، ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾، أي: نحن أهلها ومستحقوها على العادة التي جرت لنا في سعة أرزاقنا ولم يروها تفضلاً من الله عز وجل فيشكروا عليها، ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾، جذب وبلاء ورأوا ما يكرهون، ﴿يَطَّيَّرُوا﴾، يتشاءموا، ﴿بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾، وقالوا: ما أصابنا بلاء حتى رأيناهم، فهذا من شؤم موسى وقومه. قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: انصباؤهم من الخصب والجذب والخير والشر كله من الله. وقال ابن عباس: طائرهم ما قضى الله عليهم وقدر لهم. وفي رواية عنه: شؤمهم عند الله ومن قبل الله أي: إنما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله. وقيل: معناه الشؤم

والزروع والثمر وأخصبت بلادهم، فقالوا: ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصبًا، فلم يؤمنوا وأقاموا شهرًا في عافية، فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زروعهم وثمارهم وأوراق الشجر حتى كانت تأكل الأبواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والأمتعة ومسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم، وابتلي الجراد بالجوع، فكان لا يشبع ولم يصب بني إسرائيل شيء من ذلك فعجوا وضجوا، وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وأعطوه عهد الله وميثاقه، فدعا موسى عليه السلام فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت وكانت قد بقيت من زروعهم وغلاتهم بقية، فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا، فلم يؤفوا بما عاهدوا وعادوا لأعمالهم السوء فأقاموا شهرًا في عافية، ثم بعث الله عليهم القمل واختلفوا فيه فقيل: القمل السوس الذي يخرج من الحنطة، وقال مجاهد والسدي وقتادة والكلبي: القمل الدَّبي والجراد الطيارة التي لها أجنحة، والدَّبي الصغار التي لا أجنحة لها وقال أبو عبيدة: وهو الحمنان وهو ضرب من القراد. وقال عطاء الخراساني: هو القمل. وبه قرأ أبو الحسن (القَمَلُ) بفتح القاف وسكون الميم فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكله فصرخوا وصاحوا إلى موسى أنا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا البلاء، فدعا موسى عليه السلام الله فرفع الله القمل عنهم بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فنكثوا وعادوا إلى أخبت أعمالهم وقالوا: وعزة فرعون لا تتبعه أبدًا ولا نصده، فأقاموا شهرًا في عافية فأرسل الله عليهم الضفادع فامتألت منها بيوتهم وأفنيتهم وأطعمتهم وآتيتهم، فلا يكشف أحد إناء ولا طعامًا إلا وجد فيه الضفادع فلقوا منها أدى شديدًا فلما رأوا ذلك بكوا

العظيم الذي لهم عند الله من عذاب النار، ﴿وَلَا يَكْفُرُ لَهُمْ لَّا يَعْلَمُونَ﴾، أن الذي أصابهم من الله، [١٣٢] ﴿وَقَالُوا﴾، يعني: القبط لموسى، ﴿مَهْمًا﴾، متى (ما) كلمة تستعمل للشرط والجزاء، ﴿ثَانِيًا يَوْمَ مَرْ عَائِهِمْ﴾، من علامة، ﴿مَسْجِدًا بَيْنَهُمَا﴾، لتقلنا عمّا نحن عليه من الدين، ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، بمصدقين.

[١٣٣] ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ أَطُوفَانٌ﴾، قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن إسحاق: دخل كلام بعضهم في بعض لما آمنت السحرة، ورجع فرعون مغلوبًا أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليهم الآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات، فلما عالج منهم بالآيات الأربع: العصا واليد والسنين ونقص الثمار، فأبوا أن يؤمنوا فدعا عليهم، فقال: يارب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغى وعتا وإن قومه نقضوا عهدك، رب فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نعمة ولقومي عظة ولمن بعدهم آية وعبرة، فبعث الله عليهم الطوفان - وهو الماء - أرسل الله عليهم الماء وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة، فامتألت بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة، وركد الماء على أرضهم لا يقدر أن يحرثوا ولا يعملوا شيئًا، ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت. وقال مجاهد وعطاء: الطوفان الموت. وقال وهب: الطوفان الطاعون بلغة اليمن. وقال أبو قلابة: الطوفان الجدري، وهم أول من عذبوا به فبقي في الأرض. وقال مقاتل: الطوفان الماء طغى فوق حروثهم، فقال لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فرفع عنهم الطوفان، فأثبت الله لهم في تلك السنة شيئًا لم ينبت لهم قبل ذلك من الكلاء

عن آياتنا معرضين.

[١٣٧] ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ﴾، يُقْهَرُونَ وَيُسْتَذَلُونَ بِذِيحِ الْأَبْنَاءِ وَاسْتِخْدَامِ النِّسَاءِ وَالْإِسْتِعْبَادِ وَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، ﴿مَشْكُوفَ الْأَرْضِ وَمَعْرَبَهَا﴾، يعني مصر والشام، ﴿أَلَقَى بَرَكْنَا فِيهَا﴾، بالماء والأشجار والثمار والخصب والسعة، ﴿وَوَكَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، يعني: وَفَّتْ كلمة الله وهي وعده إياهم بالنصر والتمكين في الأرض، وذلك قوله تعالى: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض) الآية ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾، على دينهم وعلى عذاب فرعون، ﴿وَدَمَرْنَا أَهْلَكُنَا﴾، مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، في أرض مصر من العمارات، ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾، قال مجاهد: يبنون من البيوت والقصور. وقال الحسن: يعرشون من الأشجار والثمار والأعنان، وقرأ ابن عامر وأبو بكر (يعرشون) بضم الراء ها هنا وفي النحل، وقرأ الآخرون بكسرها.

[١٣٨] قوله تعالى: ﴿وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾، قال الكلبي: عبر بهم موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكراً لله عز وجل ﴿فَأَتَوْا﴾ فمروا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾، يقيمون، قرأ حمزة والكسائي (يَعْكُفُونَ) بكسر الكاف وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان، ﴿عَلَىٰ أَصْنَامٍ﴾، أوثان ﴿لَهُمْ﴾، يعبدونها من دون الله. قال ابن جريج: كانت تماثيل بقر، وذلك أول شأن العجل. قال قتادة: كان أولئك القوم من لخم وكانوا نزولاً بالرقعة، فقالت بنو إسرائيل لما رأوا ذلك، ﴿قَالُوا يَتَّبِعُونَ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾؛ أي مثلاً لعبده ﴿كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ﴾، ولم يكن ذلك شكاً من بني إسرائيل في وحدانية الله، وإنما معناه اجعل لنا شيئاً نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله عز وجل وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة

وشكوا ذلك إلى موسى، وقالوا: هذه المرة نتوب ولا نعود فأخذ عهودهم ومواثيقهم، ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعدما أقام سبعا من السبت إلى السبت، فأقاموا شهراً في عافية ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم، فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم، فسال النيل عليهم دماً وصارت مياههم دماً وما يستقون من الآبار والأنهار إلا وجوده دماً عبيطاً أحمر، فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم. وقال زيد بن أسلم: الدم الذي سُلِّطَ عليهم كان الرعاف، فأتوا موسى وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه عز وجل فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَءَ إِنِّي مُمْضِلٌ﴾، يتبع بعضها بعضاً وتفصيلها أن كل عذاب كان يمتد أسبوعاً وبين كل عذابين شهراً ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا تُجْرِمِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾، أي: نزل بهم العذاب وهو ما ذكر الله عز وجل من الطوفان وغيره.. وقال سعيد بن جبير: الرجز الطاعون، وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس، حتى مات منهم سبعون ألفاً في يوم أحد فأمسوا وهم لا يتدافعون، ﴿قَالُوا﴾ لموسى ﴿يَتَّبِعُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾، أي: بما أوصاك. وقال عطاء: بما نبأك. وقيل: بما عهد عندك من إجابة دعوتك ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾، وهو الطاعون، ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

[١٣٥] قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَٰهَ أَجْلٍ هُمْ بَلَّغُوهُ﴾، يعني إلى الغرق في اليم، ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾، ينقضون العهد.

[١٣٦] ﴿فَأَنفَقْنَا مِنْهُمْ غَيْرَ أَتَمَّةٍ﴾، يعني البحر، ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾، أي: عن النعمة قبل حلولها غافلين. وقيل: معناه

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

١٦٧

الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَجَنُوزًا يَبْنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَمْسُوا أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٩﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعَاتُ هَؤُلَاءِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤١﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَاكَ مِنْ مَنَآلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَقُولُونَ أَبْنَاءُ كَمْ وَتَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كَمْ فِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤٢﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِيقَتَ رَبِّيهِ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا تَحَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٤﴾

جهلهم. ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، عظمة الله.

[١٣٩] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعَاتُ مَثَرٍ﴾، مُهْلِكٌ، ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾، والتعبير الإهلاك، ﴿وَيَطْلُ﴾، مضمحل وزائل، ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٤٠] ﴿قَالَ﴾ يعني موسى ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ﴾، أي: أبغي لكم وأطلب، ﴿إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، أي: على عالمي زمانكم.

[١٤١] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَاكَ مِنْ مَنَآلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَقُولُونَ أَبْنَاءُ كَمْ وَتَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كَمْ فِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾، وكذلك هو في مصاحف أهل الشام، ﴿مَنْ أَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَقُولُونَ أَبْنَاءُ كَمْ﴾، قرأ نافع (يَقْتُلُونَ) خفيفة التاء من القتل وقرأ الآخرون بالتشديد على التكرار من التقتيل، ﴿وَتَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كَمْ فِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[١٤٢] ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾، ذا القعدة، ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾، من ذي الحجة ﴿فِتْنَةٍ مِيقَتَ رَبِّيهِ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى﴾ عند انطلاقه إلى الجبل للمناجاة ﴿لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي﴾، كن خليفتي، ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾، أي: أصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله وقال ابن عباس: يريد الرفق بهم والإحسان إليهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾، أي: لا تطع من عصى الله ولا توافقه على أمره وذلك أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر أن الله إذا أهلك عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون! فلما فعل الله ذلك بهم سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله عز وجل أن يصوم ثلاثين يومًا فلما تمت ثلاثون أنكر خلوف فمه فتسوّك بعود خروب، وقال أبو العالية: أكل من لحاء شجرة فقالت له الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك، فأفسدته بالسواك فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة، وقال: أما

علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، وكانت فتنتهم في العشر التي زادها.

[١٤٣] قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾، أي: للوقت الذي ضربنا له أن نكلمه فيه. قال أهل التفسير: إن موسى عليه السلام تطهر وطهر ثيابه لميعاد ربه فلما أتى طور سيناء وكلمه الله وناجاه حتى أسمعته، وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلمه ربه وأدناه حتى سمع صرير القلم فاستحلى موسى عليه السلام كلام ربه واشتاق إلى رؤيته ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، قال الزجاج: فيه اختصار تقديره أرني نفسك أنظر إليك.

قال ابن عباس: أعطني أنظر إليك فإن قيل: كيف سأل الرؤية وقد علم أن الله تعالى لا يرى في الدنيا؟ قال الحسن: هاج به الشوق فسأل الرؤية. وقيل: سأل الرؤية ظنًا منه أنه يجوز أن يرى في

الدنيا ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿لَنْ تَرَنِ﴾ وليس لبشر أن يطبق النظر إليَّ في الدنيا من نظر إليَّ في الدنيا مات فقال: إلهي سمعت كلامك فاشتقت إلى النظر إليك ولأن أنظر إليك ثم أموت أحب إليَّ من أن أعيش ولا أراك فقال الله عز وجل: ﴿لَنْ تَرَنِ وَلَكِنْ أُنْظَرُ إِلَى الْجَبَلِ﴾، وهو أعظم جبل، وتعلقت نفاة الرؤية بظاهر هذه الآية، وقالوا: قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَرَنِ﴾ ولن تكون للتأييد، ولا حجة لهم فيها ومعنى الآية: لن تراني في الدنيا أو في الحال، لأنه كان يسأل الرؤية في الحال والدليل عليه أنه لم ينسبه إلى الجهل بسؤال الرؤية ولم يقل إني لا أرى حتى يكون لهم حجة بل علق الرؤية على استقرار الجبل، واستقرار الجبل عند التجلي غير مستحيل إذا جعل الله تعالى له تلك القوة، والمُعلَق بما لا يستحيل لا يكون محالاً. قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أُنْظَرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾، قال ابن عباس: ظهر نور ربّه للجبل جبل زبير. وقال الضحاك: أظهر الله من نور الحجب مثل منخر ثور. وقال عبدالله بن سلام وكعب الأحبار: ما تجلى من عظمة الله للجبل إلا مثل سم الخياط حتى صار دكاً. وقال السدي: ما تجلى إلا قدر الخنصر، يدل عليه ما روى ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية وقال هكذا، ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر، فساخ الجبل^(١).

وحكي عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نوراً قدر الدرهم فجعل الجبل دكاً، أي: مستويّاً بالأرض. قرأ حمزة والكسائي ﴿دَكًّا﴾ ممدوداً غير منون ها هنا وفي سورة الكهف، وافق عاصم في الكهف، وقرأ الآخرون (دكاً) مقصوراً منوناً فمن قَصَرَ فمعناه جعله مدقوقاً: والدك والدق واحد، وقيل: معناه دكه الله دكاً أي: فتنه كما قال: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ﴾

وَحَكِي عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَظْهَرَ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ نُورًا قَدَرَ الدَّرْهَمَ فَجَعَلَ الْجَبَلَ دَكًّا، أَيْ: مُسْتَوِيًّا بِالأَرْضِ. قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ ﴿دَكًّا﴾ مَمْدُودًا غَيْرَ مَنْوُنٍ هَاهُنَا وَفِي سُورَةِ الْكَهْفِ، وَافَقَ عَاصِمٌ فِي الْكَهْفِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ (دَكًّا) مُقْصُورًا مَنْوُنًا فَمَنْ قَصَرَ فَمَعْنَاهُ جَعَلَهُ مَدْقُوقًا: وَالدَّكُّ وَالدَّقُّ وَاحِدٌ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ دَكَّهُ اللَّهُ دَكًّا أَيْ: فَتَنَهُ كَمَا قَالَ: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ﴾

وَالسَّادِي: وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. [١٤٤] ﴿قَالَ يَمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾، اخترتك على الناس، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿إِنِّي﴾ بفتح الياء وكذلك (أخي اشدد)، ﴿بِرِسَالَتِي﴾، قرأ أهل الحجاز برسالتي على التوحيد، والآخرون بالجمع، ﴿وَيَكْلِي فُخْدًا مَاءَتَيْتُكَ﴾، أعطيتك، ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، الله على نعمه، فإن قيل: فما معنى قوله: ﴿أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي﴾، وقد أعطى غيره الرسالة؟ قيل: لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفتك على الناس وإن شاركه فيه غيره، كما يقول للرجل: خصصتك بمشورتي وإن شاور غيره إذا لم تكن المشورة على العموم يكون مستقيماً.

[١٤٥] قوله عز وجل: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ﴾، يعني لموسى، ﴿فِي الْأَلْوَحِ﴾، قال ابن عباس: يريد الألواح التوراة قال الحسن: كانت الألواح من

(١) أخرجه الترمذي في التفسير ٤٥١/٨ وقال: حديث حسن صحيح غريب. والحاكم في المستدرک ٣٢٠/٢.

الْأَنْفُسِ

١٦٨

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

قَالَ يَمْؤُوسَىٰ إِنِّي أُصْطَفِيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي
فَخَذُ مَاءً آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٦٨﴾ وَكَتَبْنَا
لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ
شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ
دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦٩﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَاءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا
بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا
سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٧٠﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ
الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٧١﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ
عِجَاجًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمِيزُوا أَنَّهُ لَا إِلَهُ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ
سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٧٢﴾ وَلَسَاقِطٌ
فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا
رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٧٣﴾

حتى لا يؤمنوا بي، يعني سأصرفهم عن قبول آياتي
والتصديق بها، عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم
للحق، كقوله: (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم). قال ابن
سفيان بن عيينة: سأمنعهم فهم القرآن. قال ابن
جريح: يعني عن خلق السموات والأرض وما
فيهما، أي سأصرفهم أن يفكروا فيها ويعتبروا
بها. وقيل: حكم الآية لأهل مصر خاصة، وأراد
بالآيات الآيات التسع التي أعطها الله تعالى موسى
عليه السلام. والأكثر على أن الآية عامة ﴿وَإِنْ
يَرَوْا كَلَاءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا﴾، يعني
هؤلاء المتكبرين ﴿سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾، قرأ حمزة
والكسائي (الرُّشْدِ) بفتح الراء والشين، والآخر
بضم الراء وسكون الشين وهما لغتان كالشقم
والسقم والبخل والبخل والحزن والحزن. وكان
أبو عمرو يفرق بينهما، فيقول: الرشد بالضم

خشب. قال الكلبي: كانت من زبرجدة خضراء.
وقال سعيد بن جبير: كانت من ياقوت أحمر. وقال
الربيع بن أنس: كانت الألواح من برد. وقال ابن
جريح: كانت من زمرد ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، مما
أمروا به ونهوا عنه، ﴿مَوْعِظَةً﴾ نهياً عن الجهل،
وحقيقة الموعظة: التذكير والتحذير بما يخاف
عاقبته، ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، أي: تبيناً لكل
شيء من الأمر والنهي والحلال والحرام والحدود
والأحكام. ﴿فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ﴾، أي: بجد واجتهاد.
وقيل: بقوة القلب وصحة العزيمة، لأنه إذا أخذه
بضعف النية أذاه إلى الفتور، ﴿وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا
بِأَحْسَنِهَا﴾، قال عطاء عن ابن عباس رضي الله
عنهما: يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا
أمثالها ويعملوا بمحكمها، ويقفوا عند متشابهاها.
وكان موسى عليه السلام أشد عبادة من قومه، فأمر
بما لم يؤمروا به. قال قطرب: بأحسنها أي بحسنها
وكلها حسن. وقيل: أحسنها الفرائض والنوافل،
وهي ما يستحق عليها الثواب وما دونها المباح لأنه
لا يستحق عليه الثواب. وقيل: بأحسنها بأحسن
الأمرين في كل شيء كالعفو أحسن من القصاص
والصبر أحسن من الانتصار. ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ
الْفَاسِقِينَ﴾، قال مجاهد: مصيرها في الآخرة قال
الحسن وعطاء: يعني جهنم، يحذركم أن تكونوا
مثلهم. وقال قتادة وغيره: سأدخلكم الشام فأريكم
منازل القرون الماضية الذين خالفوا أمر الله لتعتبروا
بها. قال عطية العوفي: أراد دار فرعون وقومه وهي
مصر، يدل عليه قراءة قسامة بن زهير: (سأورثكم
دار الفاسقين)، وقال السدي: دار الفاسقين مصارع
الكفار. وقال الكلبي: ما مروا عليه إذا سافروا من
منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكوا.

[١٤٦] قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ
يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، قال ابن عباس:
يريد الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون أوليائي

الصلاح في الأمر وبالفتح الاستقامة في الدين. معنى الآية: وإن يروا طريق الهدى والسداد، ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ﴾ لأنفسهم ﴿سَبِيلًا﴾، ﴿وَأَنْ يَكُونُوا سَبِيلَ الْغَىِّ﴾ أي طريق الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾، عن التفكير فيها والاتعاظ بها غافلين ساهين.

[١٤٧] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ﴾، أي: ولقاء الدار الآخرة التي هي موعد الثواب والعقاب، ﴿حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ﴾، بطلت وصارت كأن لم تكن، ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ﴾ في العقبي ﴿إِلَّا مَا كَانُوا﴾، أي: إلا جزاء ما كانوا ﴿يَعْمَلُونَ﴾، في الدنيا.

[١٤٨] قوله عز وجل: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَدْوٍ﴾، أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ التي استعاروها من قوم فرعون. قرأ حمزة والكسائي (مِنْ حِلْيَتِهِمْ) بكسر الحاء وقرأ يعقوب بفتح الحاء وسكون اللام، واتخذ السامري منها ﴿عَجَلًا﴾، وألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل عليه السلام فتحول عجلًا، ﴿جَسَدًا﴾، حيًا لحمًا ودمًا ﴿لَهُمْ خُورٌ﴾، وهو صوت البقر، وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة وجماعة أهل التفسير. وقيل: كان جسدًا مجسدًا من ذهب لا روح فيه، كان يسمع منه صوت. وقيل: كان يسمع صوت حفيف الريح يدخل في جوفه ويخرج، والأول أصح. وقيل: إنه ما خار إلا مرة واحدة. وقيل: كان يخور كثيرًا كلما خار سجدوا له وإذا سكت رفعوا رؤوسهم. وقال وهب: كان يسمع منه الخوار وهو لا يتحرك. وقال السدي: كان يخور ويمشي، ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾، يعني: الذين عبدوا العجل ﴿أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَدِينُهُمْ سَبِيلًا﴾. قال الله عز وجل: ﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾، أي: اتخذوه إلهًا وكانوا كافرين.

[١٤٩] ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾، أي: ندموا

على عبادة العجل، تقول العرب لكل نادم على أمر: قد سقط في يديه، ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾، يتب علينا ربنا، ﴿وَيَغْفِرَ لَنَا﴾، يتجاوز عنا، ﴿لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، قرأ حمزة والكسائي: (ترحمنا وتغفر لنا) بالتاء فيهما، ﴿رَبَّنَا﴾ بنصب الباء. وكان هذا الندم والاستغفار منهم بعد رجوع موسى إليهم.

[١٥٠] قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَيُّفًا﴾، قال أبو الدرداء: الأسف: شديد الغضب. وقال ابن عباس والسدي: أسفًا أي حزينًا. والأسف أشد الحزن. ﴿قَالَ يَسْمَا خَلْفَتُونِي مِنْ بَدْيٍ﴾، أي: بش ما عملتم بعد ذهابي، يقال: خلفه بخير أو بشر إذا أولاه في أهله بعد شخوصه عنهم خيرًا أو شرًا، ﴿أَعَجَلْتُمْ﴾، أسبقتم ﴿أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾، قال الحسن: وعد ربكم الذي وعدكم من الأربعين ليلة. وقال الكلبي: أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم. ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ﴾، التي فيها التوراة وكان حاملًا لها، وألقاها على الأرض من شدة الغضب. قالت الرواة: كانت التوراة سبعة أسباع فلما ألقى الألواح تكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقي سبع، فرفع ما كان من أخبار الغيب وبقي ما فيه الموعدة والأحكام والحلال والحرام، ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾، بذوائبه ولحيته ﴿يَجْرُهُ إِلَيْهِ﴾، وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين وأحب إلى بني إسرائيل من موسى، لأنه كان ليِّن الغضب. ﴿قَالَ﴾ هارون عند ذلك، ﴿إِبْنُ أُمٍّ﴾ قرأ أهل الكوفة والشام هاهنا وفي طه بكسر الميم، يريد يا ابن أُمي فحذف ياء الإضافة وأبقيت الكسرة لتدل على الإضافة كقوله: (يا عبادة) وقرأ أهل الحجاز والبصرة وحفص بفتح الميم على معنى يا ابن أمه. وقيل: جعله اسمًا واحدًا وبناءه على الفتح، كقولهم: حضر موت وخمسة عشر ونحوهما، وإنما قال ابن أمّ وكان هارون أخاه لأبيه وأمه ليرققه

سورة الأعراف

١٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِسْمَا خَلَقْتُنِي
مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَاتَّخَذَ بِرَأْسِ
أَخِيهِ يَجْرُءَ إِلَيْهِ قَالَ أَلَمْ أَنْتَ الْقَوْمَ اسْتَصْعَفُونِي وَكَادُوا
يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي
رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا
الْعِجْلَ سِينًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ
تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَنُورٌ رَجِيمٌ
﴿١٥٤﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي
نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٥﴾ وَأَخْبَارَ
مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ
قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَلِئِنِّي أَتَّهَلِكُ أَيْمًا فَعَلَّ
السَّفَهَاءُ مِثْلًا هِيَ إِلَّا فَنَنْتُكَ تَفْعَلُ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي
مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

عباس وعمرو بن دينار: لما ألقى موسى الألواح فكسرت صام أربعين يوماً فردت عليه في لوحين فكان فيه، ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾، أي: هدى من الضلالة ورحمة من العذاب، ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾، أي: للخائفين من ربهم، واللام في (لربهم) زيادة توكيد، كقوله: (رَدِفَ لَكُمْ)، وقال الكسائي: لما تقدمت قبل الفعل حُسْنَتْ، كقوله: (لرؤيا تعبرون)، وقال قطرب: أراد من ربهم يرهبون. وقيل: أراد راهبون. وقيل: أراد راهبون لربهم.

[١٥٥] قوله تعالى: ﴿وَأَخْبَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾، أي: من قومه فانتصب لنزع حرف الصفة. ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾، وفيه دليل على أن كلهم لم يعبدوا العجل. قال السدي: أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة

ويستعطفه. وقيل: كان أخاه لأمه دون أبيه، ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَصْعَفُونِي﴾، يعني عبدة العجل، ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾، هموا وقاربوا أن يقتلوني، ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي فِي مَوْأَخِذِكَ عَلَيَّ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يعني عبدة العجل.

[١٥١] ﴿قَالَ﴾ موسى لما تبين له عذر أخيه، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾، ما صنعت إلى أخي ﴿وَلِأَخِي﴾، إن كان منه تقصير في الإنكار على عبدة العجل، ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[١٥٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ أي: اتخذوه إلهاً ﴿سِينًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، في الآخرة ﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قال أبو العالية: هو ما أمروا به من قتل أنفسهم. وقال عطية العوفي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ أراد اليهود الذين كانوا في عصر النبي ﷺ غيرهم بصنيع آبائهم فنسبه إليهم ﴿سِينًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أراد ما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلاء. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الجزية ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾، الكاذبين، قال أبو قلابة: هو والله جزاء كل مفتر إلى يوم القيامة أن يذله الله. قال سفيان بن عيينة: هذا في كل مبتدع إلى يوم القيامة.

[١٥٣] قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَنُورٌ رَجِيمٌ﴾.

[١٥٤] قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾، أي: سكن، ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ﴾، التي كان ألقاها وقد ذهب ستة أسباعها، ﴿وَفِي نُسخَتِهَا﴾، اختلفوا فيه، قيل: أراد بها الألواح لأنها نسخت من اللوح المحفوظ، وقيل: إن موسى لما ألقى الألواح تكسرت فنسخ منها نسخة أخرى فهو المراد من قوله: ﴿وَفِي نُسخَتِهَا﴾ وقيل: أراد وفيما نسخ منها. وقال عطاء: فيما بقي منها. وقال ابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧٠

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

﴿وَكَتَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ الرَّكُوعَ وَالَّذِينَ هُمْ بِتَابِعِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُعَذِّبُهُمْ مَكْنُوبًا وَعِنْدَهُمْ فِي التَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ رَبَّاتُوا بِهِ وَعُزُّوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۚ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾، أي: التي وقع فيها السفهاء لم تكن إلا اختبارك وابتلاءك أضللت بها قومًا فافتنوا وهديت قومًا فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك، فذلك معنى قوله: ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ نَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ نَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾، ناصرنا وحافظنا، ﴿فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

[١٥٦] ﴿وَكَتَبْنَا لَنَا﴾ أوجب لنا ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، النعمة والعافية، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: وفي الآخرة ﴿حَسَنَةً﴾، المغفرة والجنة، ﴿إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ﴾، أي: تبنا إليك، ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾، من خلقي، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾ أي عمت ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾، قال الحسن وقتادة: وسعت رحمته في الدنيا البرِّ والفاجر، وهي يوم القيامة للمتقين خاصة. وقال عطية العوفي: وسعت كل شيء ولكن لا تجب إلا للذين يتقون،

العجل، فاختار موسى من قومه سبعين رجلًا، ﴿فَلَمَّا﴾ أتوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا. وقال ابن إسحاق: اختارهم ليتوبوا إليه مما صنعوا ويسألوا التوبة على مَنْ تركوا وراءهم من قومهم، فهذا يدل على أن كلهم عبدوا العجل. قال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب: ﴿أَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ﴾ لأنهم لم يُزِيلُوا قومهم حين عبدوا العجل، ولم يأمرهم بالمعروف ولم ينههم عن المنكر. وقال ابن عباس: إن السبعين الذين قالوا: (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة) كانوا قبل السبعين رجلًا الذين أخذتهم الرجفة، وإنما أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام أن يختار من قومه سبعين رجلًا فاختارهم وبرز بهم ليدعوا ربهم، فكان فيما دعوا أن قالوا: اللهم أعطنا ما لم تعطه أحدًا قبلنا ولا تعطه أحدًا بعدنا، فكره الله ذلك من دعائهم، فأخذتهم الرجفة. قال وهب: لم تكن الرجفة صوتًا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيبة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا، حتى كادت أن تبين مفاصلهم، فلما رأى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت، فاشتد عليه فَقَدُّهُمْ وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين، فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربّه فكشف الله عنهم تلك الرجفة، فاطمأنوا وسمعوا كلام ربهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿قَالَ﴾، يعني موسى ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾، يعني عن عبادة العجل، ﴿وَأَنْتَ﴾ بقتل القبطي. ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾، يعني عبدة العجل، وظنّ موسى أنهم عوقبوا باتخاذهم العجل، وقال هذا على طريق السؤال يسأل: أتهلكنا بفعل السفهاء؟ وقال المبرد: قوله ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ استفهام استعطاف، أي: لا تهلكنا، وقد علم موسى عليه السلام أن الله تعالى أعدل من أن يأخذ بجريمة الجاني غيره. قوله

ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد، يأتزون على أنصافهم ويؤضؤون أطرافهم، صفهم في الصلاة وصفهم في القتال سواء، مناديهم ينادي في جو السماء، لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل، مولده بمكة ومهاجره بطابة وملكه بالشام^(١). قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالإيمان، ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي: عن الشرك وقيل: المعروف الشريعة والسنة، والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة. وقال عطاء: يأمرهم بالمعروف: بخلع الأنداد ومكارم الأخلاق وصلة الأرحام وينهاهم عن المنكر: عن عبادة الأوثان وقطع الأرحام، ﴿وَيُحَذِّرُهُمُ الْطَّيِّبَاتِ﴾، يعني: ما كانوا يحرمونه في الجاهلية من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾، يعني: الميتة والدم ولحم الخنزير والزنا وغيرها من المحرمات، ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾، قرأ ابن عامر (أَصَارَهُمْ) بالجمع، والإصر: كل ما يثقل على الإنسان من قول أو فعل. قال ابن عباس والحسن والضحاك والسدي ومجاهد: يعني العهد الثقيل كان أخذ على بني إسرائيل بالعمل بما في التوراة. وقال قتادة: يعني التشديد الذي كان عليهم في الدين، ﴿وَالْأَغْلَالِ﴾، يعني الأثقال ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾، وذلك مثل قتل الأنفس في التوبة وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض النجاسة عن الثوب بالمقراض، وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية، وترك العمل في السبت، وأن صلاتهم لا تجوز إلا

وذلك أن الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمنين لسعة رحمة الله للمؤمنين فيعيش فيها فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما وقاتدة وابن جريج: لما نزلت: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿سَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، فمناها اليهود والنصارى، وقالوا: نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن، فجعلها الله لهذه الأمة فقال:

[١٥٧] ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ وهو محمد ﷺ. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو نبيكم كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب. وقال النبي ﷺ: «إِنَّا أُمَّة أُمِّيَّة لَا نَكْتُب وَلَا نحسب»^(١)، وهو منسوب إلى الأم أي: هو على ما ولدته أمه. وقيل: هو منسوب إلى أمته، أصله أمتي فسقطت التاء في النسبة كما سقطت في المكّي والمدني. وقيل: هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة. ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُمْ﴾ أي: يجدون صفته ونعته ونبوته، ﴿مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبداً لله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة: قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرراً للأمين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكّل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صُمّاً وقلوباً غُلْفًا^(٢). وعن كعب رضي الله عنه قال: إني أجد في التوراة مكتوباً: محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة

(١) رواه البخاري في الصوم ١٢٦/٤، ومسلم في كتاب الصيام رقم (١٠٨٠) ٧٦١/٢ والمصنف في شرح السنة ٦/٢٢٨. (٢) أخرجه البخاري في البيوع ٣٤٢/٤ وفي تفسير سورة الفتح ٥٨٥/٨. (٣) أخرجه الدارمي في المقدمة ١/٥ وابن سعد في الطبقات ١/٣٦٠ والبغوي في المصابيح ٤/٣٦ وانظر مشكاة المصابيح ٣/١٦٠٧.

في الكنائس وغير ذلك من الشدائد، وشبهت بالأغلال التي تجمع اليد إلى العنق. ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾، أي: بمحمد ﷺ، ﴿وَعَزَّوهُ﴾، وقروه، ﴿وَنَصَّرُوهُ﴾، على الأعداء، ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾، يعني: القرآن، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[١٥٨] قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِنَاسٍ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾، أي: آياته وهي القرآن. وقال مجاهد والسدي: يعني عيسى ابن مريم. ويقرأ (كلمته). ﴿وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

[١٥٩] قوله عز وجل: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى﴾، يعني: بني إسرائيل، ﴿أُمَّةٌ﴾ أي: جماعة، ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾، أي: يرشدون ويدعون إلى الحق. وقيل: معناه يهتدون ويستقيمون عليه، ﴿وَبِهِ يَهْدُونَ﴾، أي: بالحق يحكمون وبالعدل يقومون.

[١٦٠] قوله عز وجل: ﴿وَقَطَعْنَهُمْ﴾، أي: فرقناهم، يعني بني إسرائيل ﴿اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾، قال الفراء: إنما قال ﴿اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾، والسيط مذكر لأنه قال: ﴿أُمَمًا﴾ فرجع التأنيث إلى الأمم. وقال الزجاج: المعنى وقطعناهم اثنتي عشرة أمما، وإنما قال ﴿أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾، بالجمع وما فوق العشرة لا يفسر بالجمع، فلا يقال: أثنى اثنا عشر رجلاً لأن الأسباط في الحقيقة نعت المفسر المحذوف وهو الفرقة، أي: وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة أمما. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: وقطعناهم أسباطاً أمما اثنتي عشرة، والأسباط القبائل واحداً سبط. قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ﴾، في التيه، ﴿أَنِ اصْطَرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾، فأتيجست،

وَقَطَعْنَهُمْ اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنِ اصْطَرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اِثْنَتَا عَشْرَةَ عِمْقًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلَّوَمِنْ طَبِئَتْ مَا رَزَقْنَاهُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦١﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّعْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَازِيدًا الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٢﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٣﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبُوءُهُمْ يَمَّا كَانُوا يَقْسُونَ ﴿١٦٤﴾

انفجرت. وقال أبو عمرو بن العلاء: عرقت وهو الانجاس، ثم انفجرت، ﴿مِنْهُ اِثْنَتَا عَشْرَةَ عِمْقًا﴾، لكل سبط عين، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾، كل سبط، ﴿مَّشْرِبَهُمْ﴾، وكل سبط بنو أب واحد. قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَلَى غَمَمٍ﴾ في التيه تقيهم حر الشمس، ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلَّوَمِنْ طَبِئَتْ مَا رَزَقْنَاهُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦١] ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّعْفِرَ لَكُمْ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب: (تعفر) بالتاء وضمها وفتح الفاء. وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الفاء، ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾، قرأ ابن عامر (خطيئتك) على التوحيد ورفع التاء، وقرأ أبو عمرو: (خطاياكم)،

وثالث هم أصحاب الخطيئة، فلما لم ينتهوا قال الناهون: لا نُساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار: للمسلمين باب، وللمعتدين باب، ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: إن لهم شأنًا لعل الخمر غلبتهم فعلموا على الجدار فإذا هم قردة فعرفت القردة أنسابها من الإنس ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة، فجعلت القردة تأتي نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي فيقول: ألم نهكم فتقول برأسها نعم، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم.

[١٦٤] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، اختلفوا في الذين قالوا هذا، قيل: كانوا من الفرقة الهالكة، وذلك أنهم لما قيل لهم انتهوا عن هذا العمل السيئ، قبل أن ينزل بكم العذاب وأنا نعلم أن الله منزل بكم بأسه إن لم تنتهوا أجابوا وقالوا: لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ، ﴿أَوْ﴾ علمتم أنه ﴿مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾ أي: قال الناهون ﴿مُعَذِّرُهُمْ﴾ أي: موعظتنا معذرة ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾، قرأ حفص: ﴿مُعَذِّرُهُمْ﴾ بالنصب أي نفعل ذلك معذرة إلى ربكم. والأصح أنها من قول الفرقة الساکة، قالوا لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ، قالوا معذرة إلى ربكم، ومعناه أن الأمر بالمعروف واجب علينا فعليًا موعظة هؤلاء عذرًا إلى الله، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَعُونَ﴾، أي: يتقوا الله ويتركوا المعصية ولو كان الخطاب مع المعتدين لكان يقول ولعلكم تتقون.

[١٦٥] ﴿فَلَمَّا سَأَوْا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: تركوا ما وعظوا به ﴿أَجْمَعًا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعني الفرقة العاصية، ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾، أي: شديد وجيع، من البأس وهو الشدة. واختلف القراء فيه: قرأ أهل المدينة وابن عامر ﴿بَئِيسٍ﴾ بكسر الياء على وزن فعل، إلا أن ابن

وقرأ أهل المدينة ويعقوب: (خطيئاًتكم) بالجمع ورفع التاء، وقرأ الآخرون بالجمع وكسر التاء. ﴿سَزَيْدٌ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[١٦٢] ﴿فَدَلَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾، عذابًا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَظْلُمُونَ﴾.

[١٦٣] قوله تعالى: ﴿وَسَلَّطْنَا عَلَيْهِمُ الْغُرَابَ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ﴾ قيل: هي مدين، أي: سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك سؤال توبيخ وتقريع عن القرية التي كانت حاضرة البحر، أي: بقرية. قال ابن عباس: هي قرية يقال لها إيلة بين مدين والطور على شاطئ البحر. وقال الزهري: هي طبرية الشام. ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾، أي: يظلمون فيه ويجاوزون أمر الله تعالى بصيد السمك، ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا﴾، أي: ظاهرة على الماء كثيرة، جمع شارع. وقال الضحاك: متتابعة. وفي القصة: أنها كانت تأتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان البيض. ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْكُتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾، كإتيانهم يوم السبت، قرأ الحسن: (لا يُسْكِتُونَ) بضم الياء أي لا يدخلون في السبت، والقراءة المعروفة بنصب الياء، ومعناه لا يعظمون السبت، ﴿كَذَلِكَ نَبُؤُهُمْ﴾، نختبرهم، ﴿يَمَّا كَانُوا يَسْكُتُونَ﴾، فوسوس إليهم الشيطان وقال: إن الله لم ينهكم عن الاصطياد وإنما نهاكم عن الأكل، فاصطادوا أو قيل: وسوس إليهم أنكم إنما نهيتهم عن الأخذ، فاتخذوا حياضًا على شاطئ البحر، تسوقون الحيتان إليها يوم السبت ثم تأخذونها يوم الأحد، ففعلوا ذلك زمانًا ثم تجرؤوا على السبت وقالوا: ما نرى السبت إلا قد أحل لنا فأخذوا وأكلوا وباعوا، فصار أهل القرية أثلاثًا وكانوا نحوًا من سبعين ألفًا، ثلث نهوا، وثلث لم ينهوا وسكتوا وقالوا: لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ،

عامر يهزمه، وأبو جعفر ونافع لا يهزمان، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الباء وسكون الياء وفتح الهمزة على وزن فيعل مثل صيقل، وقرأ الآخرون على وزن فيعل مثل بعير وصغير، ﴿يَمَا كَأُتُوا يَفْسُوتُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أسمع الله يقول ﴿أَجَيْتَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْبِيسَ﴾، فلا أدري ما فعل بالفرقة الساكتة؟ قال عكرمة: قلت له: جعلني الله فداك ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه، وقالوا لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم، وإن لم يقل الله أنجيتهم فلم يقل: أهلكتهم فأعجبه قولي فرضي وأمر لي بِرُذَيْنٍ فكسانيهما، وقال: نجت الفرقة الساكتة. وقال يمان بن رباب: نجت الطائفتان الذين قالوا لِمَ تعظون قوماً والذين قالوا معذرة إلى ربكم، وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان وهذا قول الحسن. وقال ابن زيد: نجت الناهية وهلكت الفرقتان، وهذه أشد آية في ترك النهي عن المنكر. [١٦٦] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَزَا عَنْ مَا هُتُوا عَنْهُ﴾،

قال ابن عباس: أبوا أن يرجعوا عن المعصية ﴿فَلَمَّا كُونُوا قِرْدَةً خَاسِيَةً﴾، مبعدين فمكثوا ثلاثة أيام ينظر إليهم الناس ثم هلكوا.

[١٦٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾، أي: آذن وأعلم ربك، يقال: تأذن وآذن مثل تواعد وأوعد. وقال ابن عباس: تأذن ربك قال ربك. وقال مجاهد: أمر ربك. وقال عطاء: حكم ربك. ﴿لِيَعْنَنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ﴾، أي: على اليهود، ﴿مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْمَذَابِ﴾، بعث الله عليهم محمداً ﷺ وأمته يقاتلونهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَوْرٌ رَجِيمٌ﴾.

[١٦٨] ﴿وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾، فرقاً فرقههم الله ففتشت أمرهم فلم تجتمع لهم كلمة ﴿وَمِنْهُمْ أَصْلَحُونَ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: يريد الذين أدركوا رسول الله ﷺ

وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِنْهُمْ لِمَ يَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعْزِيهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ أَقَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكَ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴿١٦٦﴾ فَلَمَّا أَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْبِيسَ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٧﴾ فَلَمَّا عَزَا عَنْ مَا هُتُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَةً ﴿١٦٨﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْمَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَوْرٌ رَجِيمٌ ﴿١٦٩﴾ وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ أَصْلَحُونَ وَمِنْهُمْ دُونُ ذَلِكَ وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٠﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَّارُ الْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٢﴾

وآمنوا به، ﴿وَمِنْهُمْ دُونُ ذَلِكَ﴾، يعني الذين بقوا على الكفر ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾، بالخصب والعافية، ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾، الجذب والشدة، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، لكي يرجعوا إلى طاعة ربهم ويتوبوا.

[١٦٩] قوله عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ﴾، أي: جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم ﴿خَلْفٌ﴾، والخلف: القرن الذي يجيء بعد قرن. قال أبو حاتم: الخلف بسكون اللام الأولاد، الواحد والجمع فيه سواء، والخلف بفتح اللام: البديل سواء كان ولداً أو غريباً. وقال ابن الأعرابي: الخلف بالفتح: الصالح، وبالجزم: الطالح. وقال النضر بن شميل: الخلف بتحريك اللام وإسكانها في القرن السوء واحد، وأما في القرن الصالح فبتحريك اللام لا غير. وقال محمد

﴿١٧١﴾

١٧٣

﴿١٧٢﴾

﴿وَإِذْ نَفَخْنَا الْجِبَلْ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَىٰ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِسْمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمَظْلُومُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَيَّاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَقْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَاسْتَلَخُوا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكَلِّمَهُ أَهْلَ الْآرِضِ وَاتَّبَعُوا هَوَاهُ فَنَسُوا كُنُفْلَ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَتَرَكَه يُلْهَثُ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوَارِ الْذِينِ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا وَلِيكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

وهو جيد لقوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ إِذْ قُلَّ مَا يعطف ماضٍ على مستقبل إلا في المعنى، وأراد الذين يعملون بما في الكتاب، قال مجاهد: هم المؤمنون من أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى فلم يحرفوه ولم يكتموا ولم يتخذوه مأكلة. وقال عطاء: هم أمة محمد ﷺ. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾.

[١٧١] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَفَخْنَا الْجِبَلْ فَوْقَهُمْ﴾، أي: فلقنا الجبل. وقيل: رفعناه ﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾، قال عطاء: سقيفة. والظلة: كل ما أظلك، ﴿وَظَنُوا﴾، علموا ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا﴾، أي: وقلنا لهم خذوا، ﴿مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾، بجد واجتهاد، ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾، واعملا به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وذلك حين أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة، فرفع الله

ابن جرير: أكثر ما جاء في المدح بفتح اللام، وفي الدم بتسكينها وقد يُحرك في الدم ويُسكن في المدح. ﴿وَرَبُّنَا إِلِكُتَبَ﴾، أي: انتقل إليهم الكتاب من آبائهم وهو التوراة، ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾، فالعرض متاع الدنيا، والعرض بسكون الراء ما كان من الأموال سوى الدراهم والدنانير، وأراد بالأدنى العالم وهو هذه الدار الفانية فهو تذكير الدنيا، وهؤلاء اليهود ورثوا التوراة فقرأوها وضيعوا العمل بها بما فيها وخالفوا حكمها يرتشون في حكم الله وتبديل كلماته، ﴿وَيَقُولُونَ سَيَغْفِرُ لَنَا﴾، ذنوبنا يتمنون على الله الأباطيل. ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ يَثْلُجُهُ يَأْخُذُوهُ﴾، هذا إخبار عن حرصهم على الدنيا وإصرارهم على الذنوب، يقول إذا أشرف لهم شيء من الدنيا أخذوه حلالاً كان أو حراماً، ويتمنون على الله المغفرة وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه. وقال السدي: كانت بنو إسرائيل لا يستقصون قاضياً إلا ارتشى في الحكم فيقال له: مالك ترتشي؟ فيقول: سيغفر لي فيطعن عليه الآخرون، فإذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي أيضاً، يقول: وإن يأت الآخرون عرض مثله يأخذوه. ﴿أَلَمْ يُوْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، أي أخذ عليهم العهد في التوراة ألا يقولوا على الله الباطل، وهي تمنى المغفرة مع الإصرار وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار، ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾، قرأوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك، ولو عقلوه لعملوا للدار الآخرة، ودرسُ الكتاب قراءته وتدبره مرة بعد أخرى، ﴿وَالْدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّ الَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا يَتَّقُونَ﴾.

[١٧٠] ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم: (يُمَسِّكُونَ) بالتخفيف وقراءة العامة بالتشديد لأنه يقال: مسكت بالشيء، ولا يقال: أمسكت بالشيء، إنما يقال: أمسكته، وقرأ أبي بن كعب: (وَالَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِالْكِتَابِ)، على الماضي

عمرو: ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ ويقولوا بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما، واختلفوا في قوله: ﴿شَهِدْنَا﴾ قال السدي: هو خبر من الله عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم. وقال بعضهم: هو خبر عن قول بني آدم حين أشهد الله بعضهم على بعض، فقالوا بلى شهدنا. وقال الكلبي: ذلك من قول الملائكة وفيه حذف تقديره: لما قالت الذرية: بلى، قال الله للملائكة: اشهدوا، قالوا: شهدنا، وقوله: ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ يعني: وأشهدهم على أنفسهم أن يقولوا، أي: لثلاث يقولوا أو كراهية أن يقولوا، ومن قرأ بالتاء فتقدير الكلام: أخاطبكم ألسنتُ بركم لثلاث تقولوا، ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾، أي: عن هذا الميثاق والإقرار، فإن قيل: كيف تلزم الحجة على أحد لا يذكر الميثاق؟ قيل: قد أوضح الله الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما أخبروا، فمن أنكره كان معاندًا ناقضًا للعهد ولزمته الحجة، وينسيانهم وعدم حفظهم لا يُسْقِطُ الاحتجاج بعد إخبار المخبر الصادق صاحب المعجزة.

[١٧٣] قوله تعالى: ﴿أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، يقول إنما أخذ الميثاق عليكم لثلاث تقولوا أيها المشركون: إنما أشرك آبائنا من قبل ونقضوا العهد وكنّا ذرية من بعدهم، أي: كنّا أتباعاً لهم فاقصدنا بهم فتجعلوا هذا عذراً لأنفسكم وتقولوا، ﴿أَفَنُكَلِّمُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾، أفنعذبنا بجناية آبائنا المبطلين فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثاق على التوحيد.

على رؤوسهم جبلاً. قال الحسن: فلما نظروا إلى الجبل خرّ كل رجل منهم ساجداً على حاجبه الأيسر ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من أن يسقط عليه، ولذلك لا تجد يهودياً إلا ويكون سجوده على حاجبه الأيسر.

[١٧٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، الآية عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية فقال عمر بن الخطاب: سمعتُ رسول الله ﷺ يُسأل عنها، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَيَعْمَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَيَعْمَلُ أَهْلُ النَّارِ يَعْمَلُونَ، فَقَالَ رَجُلٌ: فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهُ بِهِ النَّارَ»^(١)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: من ظهور بني آدم ذريتهم، قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وابن عامر: (ذُرِّيَّاتِهِمْ) بالجمع وكسر التاء، وقرأ الآخرون ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على التوحيد، ونصب التاء، فإن قيل: ما معنى قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ وإنما أخرجهم من ظهر آدم؟ قيل: إنّ الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره. قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، أي: أشهد بعضهم على بعض. قوله: ﴿شَهِدْنَا أَنْتَ تَقُولُوا﴾، قرأ أبو

(١) أخرجه أبو داود في السنة باب في القدر ٧١/٧ والترمذي في تفسير سورة الأعراف ٤٥٢/٨-٤٥٥ وقال: حديث حسن. وصححه الحاكم ٢٧/١ وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٤/١، ٤٥، والمصنف في شرح السنة ١/ ١٣٩ والأجري في الشريعة ص ١٧٠.

[١٧٤] ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّدُ الْأَيَّاتِ﴾ أي: نُبيِّن الآيات ليتدبرها العباد، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، من الكفر إلى التوحيد.

[١٧٥] قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ الآية، اختلفوا فيه، قال ابن عباس: هو بلعم بن باعوراء. وقال مجاهد: بلعام ابن باعر، وقال عطية عن ابن عباس: كان من بني إسرائيل وروى عن علي بن أبي طلحة رضي الله عنه أنه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين. وقال مقاتل: هو من مدينة بلقاء، قال مقاتل: إن ملك البلقاء قال لبلعام: ادعُ الله على موسى، فقال: إنه من أهل ديني لا أدعو عليه، فنحت خشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه، فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان ووقفت فضربها، فقالت: لم تضربني؟ إني مأمورة وهذه نار أمامي قد منعني أن أمشي فرجع وأخبر الملك، فقال: لتدعوني عليه أو لأصلبكن، فدعا على موسى بالاسم الأعظم: ألا يدخل المدينة، فاستجيب له ووقع موسى وبنو إسرائيل في التيه بدعائه، فقال موسى: يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعام، قال: فكما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه، فدعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم الأعظم والإيمان، فنزع الله عنه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء، فذلك قوله: ﴿فَأَنسَلَخَ مِنْهَا﴾، وقال عبدالله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم: نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي، وكانت قصته: أنه كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولاً فرجاً أن يكون هو ذلك الرسول، فلما أرسل محمد ﷺ حسده وكفر به. وقال الحسن وابن كيسان: نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم. وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله عز وجل

لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله، فذلك قوله: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُ ءَايَاتِنَا﴾. قال ابن عباس والسدي: اسم الله الأعظم. قال ابن زيد: كان لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه. وقال ابن عباس في رواية أخرى: أوتي كتاباً من كتب الله فانسلخ، أي: خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها. ﴿فَأَنبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾، أي: لحقه وأدركه، ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

[١٧٦] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾، أي: رفعنا درجته ومنزلته بتلك الآيات. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لرفعناه بعلمه بها. وقال مجاهد وعطاء: لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالآيات. ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾، أي: سكن إلى الدنيا ومال إليها. قال الزجاج: خلد وأخلد واحد، وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام، يقال: أخلد فلان بالمكان إذا أقام به، والأرض ههنا عبارة عن الدنيا لأن ما فيها من القفار والرباع كلها أرض وسائر متاعها مستخرج من الأرض ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، انقاد لما دعاه إليه الهوى. قال ابن زيد: كان هواه مع القوم. قال عطاء: أراد الدنيا وأطاع شيطانه وهذه أشد آية على العلماء، وذلك أن الله أخبر أنه آتاه آياته من اسمه الأعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة، فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه والانسلاخ عنها، ومن الذي يسلم من هاتين الخلتين إلا من عصمه الله؟ قوله تعالى: ﴿فَشَلُّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ﴾، يقال: لهث الكلب يلهث لهُثاً إذا أدلع لسانه. قال مجاهد: هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به. والمعنى: إن هذا الكافر إن زجرته لم ينزجر وإن تركته لم يهتد فالحالتان عنده سواء كحالتَي الكلب: إن طرد وحُمِل عليه بالطرد كان لاهئاً وإن تُرك ورَبِضَ كان لاهئاً، قال القتيبي: كل

شيء يلهث إنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال وفي حالة الراحة وفي حال العطش، فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته فقال: إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث، وإن تركته على حاله لهث، نظيره قوله تعالى: (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتنبؤكم سواءً عليكم أَدْعَوْتُموهم أم أنتم صَامِتُونَ)، ثم عمّ بهذا التمثيل جميع من يكذب بآيات الله فقال: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وقيل: هذا مثل لكفار مكة وذلك أنهم كانوا يتمنون هادياً يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله، فلما جاءهم نبي لا يشكون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا تركوا أودعوا.

[١٧٧] ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾، أي: بس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، وتقديره: ساء مثلاً مثل القوم، فحذف مثل وأقيم القوم مقامه فرُفع، ﴿وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

[١٧٨] ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[١٧٩] ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾، أخبر الله تعالى أنه خلق كثيراً من الجن والإنس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالسقاوة، ومن خلقه الله لجَهَنَّمَ فلا حيلة له في الخلاص منها وقيل: اللام في قوله ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ لام العاقبة، أي: ذرأناهم، وعاقبة أمرهم جهنم، كقوله تعالى: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً)، ثم وصفهم فقال: ﴿هُمْ قُلُوبٌ لَا يَقْهَوْنَ يَهَّ﴾، أي: لا يعلمون بها الخير والهدى، ﴿وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ يَهَّ﴾، طريق الحق وسبيل الرشاد، ﴿وَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ يَهَّ﴾ مواظ القرآن فيتفكرون فيها ويعتبرون بها، ثم ضرب لهم مثلاً في الجهل والاعتصار على الأكل والشرب،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧٤

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٦﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ فِي سَمَائِهِمْ سَبْعِينَ مِائَةً ذَرُوا يَمْعَلُونَ ﴿١٧٧﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٧٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٩﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٠﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨١﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٢﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٣﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفِيهَا إِلَّا هُوَ نُفِصِلُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا غَنَّةٌ يُسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَتَّىٰ عَنَّا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

فقال: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾، أي: كالأنعام في أن همتهم في الأكل والشرب والتمتع بالشهوات، بل هم أضل لأن الأنعام تُمَيِّز بين المضار والمنافع، فلا تقدم على المضار، وهؤلاء يقدمون على النار معاندة مع العلم بالهلاك، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

[١٨٠] قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾، قال مقاتل: وذلك أن رجلاً دعا الله في صلاته ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة: إن محمداً ﷺ وأصحابه يدعون أنهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعو اثنين، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾. والحسنى تأنيث الأحسن كالكبرى والصغرى، فادعوه بها. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تِسْعَةٌ وَتِسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل

الثوري: نسب عليهم النعمة ونسيهم الشكر. قال أهل المعاني: الاستدراج أن يتدرج إلى الشيء في خفية قليلاً قليلاً فلا يباغت ولا يجاهر، ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه في المشي، ومنه درج الكتاب إذا طواه شيئاً بعد شيء.

[١٨٣] ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾، أي: أمهلهم وأطيل لهم مدة عمرهم ليتمادوا في المعاصي، ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾، أي: إن أخذي قوي شديد، قال ابن عباس: إن مكري شديد. قيل: نزلت في المستهزئين فقتلهم الله في ليلة واحدة.

[١٨٤] قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ حِنَّةٍ﴾، قال قتادة: ذكر لنا أن النبي ﷺ قام على الصفا ليلاً فجعل يدعو قريشاً فخذاً فخذاً يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يُصَوِّتُ إلى الصباح، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾، محمد ﷺ: ﴿مِّنْ حِنَّةٍ﴾ جنون. ﴿إِنْ هُوَ﴾، ما هو، ﴿إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، ثم حثهم على النظر المؤدي إلى العلم فقال:

[١٨٥] ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾، فيهما، ﴿مِّنْ شَيْءٍ﴾، أي وينظروا إلى ما خلق الله من شيء ليستدلوا بها على وحدانيته ﴿وَأَنَّ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ أي: لعل أن يكون قد اقترب أجلهم فيموتوا قبل أن يؤمنوا ويصيروا إلى العذاب، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾، أي: بعد القرآن يؤمنون، يقول: بأي كتاب غير ما جاء به محمد ﷺ يصدقون، وليس بعده نبي ولا كتاب، ثم ذكر علة إغراضهم عن الإيمان فقال:

[١٨٦] ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَيِّ هَادٍ لَّمْ يَذَرُهمُ﴾، قرأ أهل البصرة وعاصم بالياء ورفع الراء، وقرأ

الجنة، إنه وتر يحب الوتر^(١) ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، قرأ حمزة (يُلْحِدُونَ) بفتح الياء والحاء حيث كان، وافقه الكسائي في النحل والباقون بضم الياء وكسر الحاء، ومعنى الإلحاد: هو الميل عن المقصد، يقال: ألحد يُلحد إلحاداً، ولحد يُلحد لحوداً إذا مال. قال يعقوب بن السكيت: الإلحاد هو العدول عن الحق وإدخال ما ليس منه فيه ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه، فسَمَّوْا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان، هذا قول ابن عباس ومجاهد. وقيل: هو تسميتهم الأصنام آلهة. وروي عن ابن عباس: يلحدون في أسمائه أي يكذبون. وقال أهل المعاني: الإلحاد في أسماء الله تسميته بما لم يُسمَّ به ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ، وجملته أن أسماء الله تعالى على التوقيف فإنه يُسمى جواد ولا يسمى سخياً، وإن كان في معنى الجواد، ويسمى رحيماً ولا يسمى رقيقاً، ويسمى عالماً ولا يسمى عاقلاً ﴿سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الآخرة.

[١٨١] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا نُمَّةً﴾، أي: عصابة، ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يريد أمة محمد ﷺ وهم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان. وقال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال: «هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون».

[١٨٢] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قال عطاء: سنمكر بهم من حيث لا يعلمون. وقيل: نأتيهم من مآمنهم، كما قال: (فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا)، قال الكلبي: يُزِين لهم أعمالهم ويهلكهم. وقال الضحاك: كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة. قال سفيان

(١) أخرجه البخاري في الدعوات ٢١٤/١١ وفي الشروط وفي التوحيد ومسلم في الذكر والدعاء رقم (٢٦٧٧) ٤/٢٠٦٢ والمصنف في شرح السنة ٣٠/٥.

وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ أَي: لو كنت أعلم الخصب والجذب (لاستكثر من الخير) أي: من المال لسنة القحط (وما مسني السوء)، أي: الضر والفقر والجوع. وقال ابن جريج: (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا) يعني الهدى والضلالة (ولو كنت أعلم الغيب)، أي: متى أموت لاستكثر من الخير، يعني: من العمل الصالح، وما مسني السوء. قال ابن زيد: واجتنب ما يكون من الشر واتقته. وقيل: معناه ولو كنت أعلم الغيب أي متى الساعة لأخبرتكم حتى تؤمنوا وما مسني السوء بتكذيبكم. وقيل: وما مسني السوء ابتداء يريد: ما مسني الجنون لأنهم كانوا ينسبونه إلى الجنون. ﴿إِنَّا إِنَّا إِلَّا نَذِيرٌ﴾، لمن لا يصدق بما جئت به، ﴿وَنَشِيرٌ﴾، بالجنة، ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، يصدقون.

[١٨٩] قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، يعني من آدم، ﴿وَجَعَلَ﴾، وخلق ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، يعني: حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾، ليأنس بها ويأوي إليها، ﴿فَلَمَّا تَفَسَّنَا﴾، أي: واقعها وجامعها ﴿حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا﴾، وهو أول ما تحمل المرأة من النطفة يكون خفيا عليها، ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾، أي: استمرت به وقامت وقعدت به ولم يثقلها، ﴿فَلَمَّا أَتَتْكَ﴾، أي: كبر الولد في بطنها وصارت ذات ثقل بحملها وذنن ولادتها، ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾، يعني آدم وحواء، ﴿لَئِنْ آتَيْنَاكَ يَا رَبَّنَا صَالِحًا﴾، أي: بشرا سويا مثلنا، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

[١٩٠] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾، بشرا سويا ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾، قرأ أهل المدينة وأبو بكر (شركا) بكسر الشين والتونين، أي: شركة، قال أبو عبيدة: أي حظا ونصيبا، وقرأ الآخرون ﴿شُرَكَاءَ﴾ بضم الشين ممدودا على جمع شريك يعني إبليس، أخبر عن الواحد بلفظ الجمع، أي: جعل له شريكا إذ سمياه عبد الحارث، ولم يكن هذا إشراكا في العبادة ولا أن الحارث ربهما فإن

حمزة والكسائي بالياء وجزم الراء، لأن ذكر الله قد مر قبله، وجزم الراء مردود على (يضلل) وقرأ الآخرون بالنون ورفع الراء على أنه كلام مستأنف. ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، يترددون متحيرين.

[١٨٧] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾، قال قتادة: قالت قريش لرسول الله ﷺ: إن بيننا وبينك قرابة فأسر إلينا متى الساعة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾، يعني: القيامة، ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: منتهاها. وقال قتادة: قيامها وأصله الثبات، أي: متى مشبتها؟ ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾، استأثر بعلمها ولا يعلمها إلا هو، ﴿لَا يُجِيبُهَا﴾، لا يكشفها ولا يظهرها. وقال مجاهد: لا يأتي بها، ﴿لَوْفَئِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، يعني: ثقل علمها وخفي أمرها على أهل السموات والأرض، وكل خفي ثقل. قال الحسن: يقول إذا جاء ثقلت وعظمت على أهل السموات والأرض، ﴿لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً﴾، فجأة على غفلة ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾، أي: عالم بها من قولهم أحفيت في المسألة، أي: بالغت فيها، معناه: كأنك بالغت في السؤال عنها حتى علمتها، ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أن علمها عند الله حتى سألوا محمدا ﷺ عنها.

[١٨٨] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أهل مكة قالوا: يا محمد، ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتره وتربح فيه عند الغلاء؟ وبالأرض التي يريد أن تجذب فترحل منها إلى ما قد أخصبت؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ أي: لا أقدر لنفسي نفعا، أي: اجتلاب نفع بأن أربح ولا ضرا، أي دفع ضرر بأن أرتحل من أرض تريد أن تجذب إلا ما شاء الله أن أملكه، ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَكُنْتُكَ مِنَ الْخَايِرِ﴾

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ
أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَا سْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ
أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٥﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ
مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا
تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا
اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَانِي صِلًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٧٦﴾
فَلَمَّا آتَاهُمَا صِلًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى
اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧٧﴾ أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
﴿١٧٨﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمُ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٧٩﴾
وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ
أَمْ أَنْتُمْ صُمُوتُونَ ﴿١٨٠﴾ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
عِبَادُ أُمَمٍ أَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ فُلُوسًا مَلِكًا أَمْ لَا يَبْقَى عَنْهُمْ
كُتُبٌ بَصِيرَةٌ ﴿١٨١﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْبِيَائِهِمْ
يُتْلَى عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَصْغَارًا ﴿١٨٢﴾ فَتَوَلَّوْا
وَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٨٣﴾

الأصنام، لا تنصر من أطاعها، ﴿وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾، قال الحسن: لا يدفعون عن أنفسهم مكروه من أراد بهم بكسر أو نحوه ثم خاطب المؤمنين فقال:

[١٩٣] ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾، وإن تدعوا المشركين إلى الإسلام، ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾، قرأ نافع بالتخفيف وكذلك: (يتبعهم الغاؤون) في الشعراء وقرأ الآخرون بالتشديد فيهما وهما لغتان. يقال: تبعه تبعًا وأتبعه اتباعًا. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾، إلى الدين، ﴿أَمْ أَنْتُمْ صُمُوتُونَ﴾، عن دعائهم لا تؤمنون، كما قال: (سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذِرهم لا يؤمنون) وقيل: (وإن تدعوههم إلى الهدى) يعني الأصنام لا يتبعوكم لأنها غير عاقلة.

آدم كان نبيًا معصومًا من الشرك، ولكن قصد إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه، وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك، كما يطلق اسم الرب على من لا يراد به أنه معبود هذا، كالرجل إذا نزل به ضيف يسمى نفسه عبد الضيف على وجه الخضوع لا على أن الضيف ربه، ويقول للغير. أنا عبدك، وقال يوسف لعزيز مصر: إنه ربي، ولم يرد به أنه معبوده كذلك هذا. وقوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، قيل: هذا ابتداء كلام وأراد به إشراك أهل مكة، ولئن أراد به ما سبق فمستقيم من حيث أنه كان الأولى بهما أن لا يفعل ما أتيا به من الإشراك في الاسم، وفي الآية قول آخر: هو أنه راجع إلى جميع المشركين من ذرية آدم، وهو قول الحسن وعكرمة، ومعناه: جعل أولادهما شركاء فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم كما أضاف فعل الآباء إلى الأبناء في تعبيرهم بفعل الآباء فقال: (ثم اتخذتم العجل)، (وإذ قتلتم نفسًا) خاطب به اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ، وكان ذلك الفعل من آبائهم. وقيل: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادًا فهوؤدوا ونصروا. وقال ابن كيسان: هم الكفار سموا أولادهم عبد العزى وعبد اللات وعبد مناة ونحوه. وقال عكرمة: خاطب كل واحد من الخلق بقوله خلقكم أي خلق كل واحد من أبيه وجعل منها زوجها، أي: جعل من جنسها زوجها، وهذا قول حسن لولا قول السلف مثل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن المسيب وجماعة المفسرين أنه في آدم وحواء^(١). قال الله تعالى: (فتعالى الله عما يشركون).

[١٩١] قوله تعالى: ﴿أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾، يعني: إبليس والأصنام، ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، أي: هم مخلوقون.

[١٩٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يعني الأصنام، ﴿عِبَادُ أَثْنَالِكُمْ﴾، يريد أنها مملوكة أمثالكم. وقيل: أمثالكم في التسخير، أي: أنهم مسخرون مذللون لما أريد منهم. قال مقاتل: قوله (عباد أمثالكم) أراد به الملائكة، والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة، والأول أصح. ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أنها آلهة. قال ابن عباس: فاعبدوهم هل يثيبونكم أو يجازونكم إن كنتم صادقين أن لكم عندها منفعة. ثم بين عجزهم فقال:

[١٩٥] ﴿أَلَهُمْ أَزْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾، قرأ أبو جعفر بضم الطاء هنا وفي القصص والدخان، وقرأ الآخرون بكسر الطاء ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾، أراد أن قدرة المخلوقين تكون بهذه الجوارح والآلات، وليست للأصنام هذه الآلات، فأنتم مفضّلون عليهم بالأرجل الماشية والأيدي الباطشة والأعين الباصرة والأذان السامعة، فكيف تعبدون من أنتم أفضل وأقدر منهم؟ ﴿قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾، يا معشر المشركين، ﴿ثُمَّ كِيدُون﴾، أنتم وهم، ﴿فَلَا تُظْهِرُون﴾، أي: لا تمهلوني واعجلوا في كيدي.

[١٩٦] قوله: ﴿إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ﴾، يعني القرآن، أي: أنه يتولاني وينصرني كما أيدي يأنزال الكتاب، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد الذين لا يعدلون بالله شيئاً فالله يتولاهم بنصره فلا يضرهم عداوة من عاداهم.

[١٩٧] ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾.

[١٩٨] ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾، يعني الأصنام، ﴿وَتَرْنَهُمْ﴾ يا محمد ﴿يُظْهِرُونَ إِلَيْكَ﴾، يعني الأصنام، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، وليس المراد من النظر حقيقة النظر إنما المراد منه المقابلة،

سورة الأعراف

١٧٦

سورة الأعراف

إِنْ وَلِيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٧٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٧٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْنَهُمْ يُظْهِرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٧٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزِغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿١٨١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿١٨٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْنَاهَا قُلْ إِنَّمَا اتَّبَعْتُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَذِي وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٨٤﴾ وَأَذْكُرْ بِكَ فِي نَفْسِكَ نَضْرَعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿١٨٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿١٨٦﴾

تقول العرب: داري تنظر إلى دارك أي: تقابلها. وقيل: وتراهم ينظرون إليك أي: كأنهم ينظرون إليك، كقوله تعالى: (وترى الناس سُكَّارَى)، أي: كأنهم سُكَّارَى هذا قول أكثر المفسرين. وقال الحسن: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾ يعني المشركين لا يسمعون ولا يفعلون ذلك بقلوبهم وتراهم ينظرون إليك بأعينهم وهم لا يبصرون بقلوبهم.

[١٩٩] قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾، قال عبدالله ابن الزبير: أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يأخذ العفو من أخلاق الناس. وقال مجاهد: خذ العفو يعني العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس، وذلك مثل قبول الاعتذار، والعفو والمساهلة وترك البحث عن الأشياء ونحو ذلك وقال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي والضحاك والكلبي: يعني خذ ما عفا لك من

ييصرون مواقع خطاياهم بالتذكر والتفكير. وقال السدي: إذا زلوا تابوا. وقال مقاتل: إن المتقي إذا أصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف أنه معصية، فأبصر فنزغ عن مخالفة الله.

[٢٠٢] قوله: ﴿وَإِخْوَنُهُمْ يَمُدُّوهُمْ﴾، يعني إخوان الشياطين من المشركين يمدونهم، أي: يمدهم الشيطان. قال الكلبي: لكل كافر أخ من الشياطين. ﴿فِي أَلْفَى﴾، أي: يطلبون هم الإغواء حتى يستمروا عليه. وقيل: يزدونهم في الضلالة، وقرأ أهل المدينة: (يُمِدُّوهُمْ) بضم الياء وكسر الميم من الإمداد والآخرين بفتح الياء وضم الميم وهما لغتان بمعنى واحد، ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾، أي: لا يكفون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم، فعلى هذا قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ من فعل المشركين والشياطين جميعاً. قال الضحاك ومقاتل: يعني المشركين لا يُقْصِرُونَ عن الضلالة ولا ييصرونها، بخلاف ما قال في المؤمنين: (تذكروا فإذا هم مبصرون).

[٢٠٣] ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَأْيَةٌ﴾، يعني: إذا لم تأت المشركين بآية، ﴿قَالُوا لَوْلَا جِئْتِنَاهُمْ﴾، هلاً افتعلتها وأنشأتها من قبل نفسك واختيارك؟ تقول العرب: اجتبت الكلام إذا اختلقته. قال الكلبي: كان أهل مكة يسألون النبي ﷺ الآيات تعنتاً فإذا تأخرت اتهموه وقالوا: لولا اجتبتيتها؟ أي: هلاً أحدثتها وأنشأتها من عندك؟ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إِنَّمَا أَتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾، ثم قال: ﴿هَذَا﴾، يعني القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾، حجج وبيان وبرهان ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾، وأحدثها بصيرة، وأصلها ظهور الشيء واستحكامه حتى يبصره الإنسان، فيهدي به يقول: هذا دلائل تقودكم إلى الحق. ﴿وَهَذِي وَرَحْمَةُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢٠٤] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ

الأموال وهو الفضل عن العيال، وذلك معنى قوله: (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو)، ثم نسخت هذه بالصدقات المفروضة. وقوله تعالى: ﴿وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ﴾، أي: بالمعروف، وهو كل ما يعرفه الشرع. وقال عطاء: وأمر بالعرف يعني بلا إله إلا الله. ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، أبي جهل وأصحابه، نسختها آية السيف، وقيل: إذا تسفه عليك الجاهل فلا تقابله بالسفه، وذلك مثل قوله: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)، وذلك سلام المتاركة. قال جعفر الصادق: أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

[٢٠٠] قوله تعالى: ﴿وَمَا يَزْعَمُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ أي: يصيئك ويعتريك ويعرض لك من الشيطان نزغ نخسة. والنزغ من الشيطان الوسوسة. وقال الزجاج: النزغ أدنى حركة تكون من الأدمي، ومن الشيطان أدنى وسوسة. وقال عبد الرحمن بن زيد: لما نزلت هذه الآية (خذ العفو)، قال النبي ﷺ: (كيف يا رب والغضب)، فنزل: ﴿وَمَا يَزْعَمُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾، أي: استجر بالله ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٢٠١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، يعني المؤمنين، ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة والكسائي: (طيف)، وقرأ الآخرون ﴿طَائِفٌ﴾ بالمد والهمز وهما لغتان كالमित والمائت ومعناها: الشيء يلم بك. وفرق قوم بينهما، فقال أبو عمرو: الطائف ما يطوف حول الشيء، والطيف: اللمة والوسوسة. وقيل: الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان، والطيف اللهم والمس. ﴿تَذَكَّرُوا﴾، عرفوا، قال سعيد بن جبير: هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله تعالى فيكظم الغيظ. وقال مجاهد: والرجل يهمل بالذنب فيذكر الله فيدعه. ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾، أي:

والصياح بالدعاء. ﴿يَا لَعْدُوْهُ وَالْأَصَاِلَ وَلَا تَكُنْ مِّنَ الْغَافِلِيْنَ﴾، أي: بالبكر والعشيات، واحد آصال: أصيل، مثل يمين وأيمان، وهو ما بين العصر والمغرب.

[٢٠٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾، يعني الملائكة المقربين، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ﴾، لا يتكبرون ﴿عَن عِبَادَتِهِ وَيَسْتَحْوِظُوْنَ﴾، وينزهونه ويذكرونه، فيقولون: سبحان الله. ﴿وَلَمْ يَسْأَلُوْهُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ»^(١).

(٨) سُورَةُ الْأَنْفَالِ

[١] قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ أي: عن حكم الأنفال وعلمها، وهو سؤال استخبار لا سؤال طلب. وقيل: هو سؤال طلب. قاله الضحاك وعكرمة. وقوله: ﴿عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ أي من الأنفال، عن بمعنى من. وقيل: عن صلة أي: يسألونك الأنفال، وهكذا قراءة ابن مسعود بحذف عن. والأنفال: الغنائم، واحدها نفل، وأصله الزيادة، يقال: نفلتكم وأنفلتكم أي زدتك، سميت الغنائم أنفالاً لأنها زيادة من الله تعالى لهذه الأمة على الخصوص. وأكثر المفسرين على أن الآية في غنائم بدر. وقال عطاء: هي ما شذ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة وممتع فهو للنبي ﷺ يصنع به ما شاء. قوله تعالى: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يُقَسِّمُهَا كَمَا شَاءَ واختلفوا فيه، فقال مجاهد وعكرمة والسدي: هذه الآية منسوخة بقوله عز وجل (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول) الآية. كانت الغنائم يومئذ للنبي

فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فذهب جماعة إلى أنها في القراءة في الصلاة. روي عن أبي هريرة أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فأمروا بالسكوت والاستماع إلى قراءة القرآن. وقال قوم: نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام. وروي عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة قال: نزلت هذه الآية في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة. وقال الكلبي: كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع ناساً يقرؤون مع الإمام فلما انصرف قال: أما أن لكم أن تفقهوا وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله؟ وهذا قول الحسن والزهري والنخعي: أن الآية في القراءة في الصلاة. وقال سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد: أن الآية في الخطبة، أمروا بالإنصات لخطبة الإمام يوم الجمعة. وقال سعيد ابن جبير: هذا في الإنصات يوم الأضحى والفطر ويوم الجمعة، وفيما يجهر به الإمام. وقال عمر بن عبد العزيز: يجب الإنصات لقول كل واعظ. والأول وأولاهما، وهو أنها في القراءة في الصلاة لأن الآية مكية والجمعة وجبت بالمدينة. واتفقوا على أنه مأمور بالإنصات حالة ما يخطب الإمام.

[٢٠٥] قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾، قال ابن عباس يعني بالذكر: القراءة في الصلاة، يريد يقرأ سرا في نفسه، ﴿تَضَرَّعًا وَخِيفَةً﴾، خوفاً، أي: تتضرع إليّ وتخاف مني هذا في صلاة السر. وقوله: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، أراد في صلاة الجهر لا تجهر جهراً شديداً بل في خفض وسكون، يُسْمَعُ مَنْ خَلْفَكَ. وقال مجاهد وابن جريج: أمر أن يذكره في الصدور بالتضرع إليه في الدعاء والاستكانة، دون رفع الصوت

(١) أخرجه ابن ماجه رقم (١٤٢٣) ٤٥٧/١ والإمام أحمد في المسند ٢٧٦/٥، ٢٨٠ روى نحوه مسلم في الصلاة برقم (٤٨٨).

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

١٧٧

الْمَدِينَةُ

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ أَيْتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِّقَاءُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾
يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ
وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ عَهْدَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ
وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَيِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ
﴿٧﴾ لِيُخَيِّقَ الْحَقَّ وَيُطْلِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

مخصوصة، وكل أحد لا يتحقق وجود تلك
الأوصاف فيه ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، قال
عطاء: يعني درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم.
وقال الربيع بن أنس: سبعون درجة ما بين كل
درجتين حَصْرُ الفرس المضمَّر سبعين سنة.
﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾، لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، حسن
يعني ما أعد لهم في الجنة.

[٥] قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ
بِالْحَقِّ﴾، اختلفوا في الجالب لهذه الكاف التي في
قوله ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ قال المبرد: تقديره
الأنفال لله والرسول وإن كرهوا كما أخرجك ربك
من بيتك بالحق وإن كرهوا. وقيل: تقديره امض
لأمر الله في الأنفال وإن كرهوا كما مضت لأمر
الله في الخروج من البيت لطلب العير وهم
كارهون. وقال عكرمة: معناه فاتقوا الله وأصلحوا

﴿فَنَسَخَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْخُمْسِ﴾. وقال عبد
الرحمن بن زيد بن أسلم: هي ثابتة غير منسوخة،
ومعنى الآية: قل الأنفال لله مع الدنيا والآخرة
وللرسول يضعها حيث أمره الله تعالى، أي: الحكم
فيها لله ولرسوله، وقد بيَّن الله مصارفها في قوله عزَّ
وجلَّ: (واعلموا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ
وللرسول) الآية، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ
بَيْنِكُمْ﴾، أي: اتقوا الله بطاعته وأصلحوا الحال
بينكم بترك المنازعة والمخالفة، وتسليم أمر الغنيمة
إلى الله والرسول ﷺ. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾، يقول: ليس المؤمن
الذي يخالف الله ورسوله إنما المؤمنون الصادقون
في إيمانهم ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾،
خافت وفرقت قلوبهم. وقيل: إذا خُوفوا بالله
انقادوا خوفاً من عقابه ﴿وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ أَيْتُهُ زَادَتْهُمْ
إِيمَانًا﴾، تصديقاً وقيناً، وقال عمير بن حبيب
وكانت له صحبة: إن للإيمان زيادةً ونقصاناً،
وقيل: فما زيادته؟ قال: إذا ذكرنا الله عزَّ وجلَّ
وحمدناه فذلك زيادته، وإذا سهونا وغفلنا فذلك
نقصانه، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن
عدي: إن للإيمان فرائضَ وشرائطَ وشرائعَ وحدوداً
وشئناً فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم
يستكملها لم يستكمل الإيمان. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ﴾، أي: يُفَوِّضُونَ إليه أمورهم ويثقون به
ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ﴾.

[٤] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، يعني: يقيناً.
قال ابن عباس: بَرُّؤُوا مِنَ الْكُفْرِ. قال مقاتل: حقاً
لا شك في إيمانهم. وفيه دليل على أنه ليس لكل
أحد أن يصف نفسه بكونه مؤمناً حقاً لأن الله تعالى
إنما وصف بذلك قومًا مخصوصين على أوصاف

[٧] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ أي: الفريقين إحداهما: أبو سفيان مع العير والأخرى: أبو جهل مع النفير، ﴿وَتَوَدُّونَ﴾، أي: تريدون ﴿أَنَّ عَيْرَ ذَاتِ الشُّوَكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾، يعني العير التي ليس فيها قتال. والشوكة: الشدة والقوة. ويقال السلاح. ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَوِّقَ أَلْحَقَّ﴾، أي: يُظهره ويُعلّيه، ﴿بِكَلِمَتِهِ﴾، بأمره إيتاكم بالقتال. وقيل: بعداته التي سبقت من إظهاره الدين وإعزازه، ﴿وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾، أي: يستأصلهم حتى لا يبقى منهم أحد، يعني كفار العرب.

[٨] ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ﴾، ليثبت الإسلام، ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾، أي: يفي الكفر: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾، المشركون. وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة ليلة من شهر رمضان.

[٩] قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، تستجيرون به من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ﴾، مرسل إليكم مدداً وردداً لكم، ﴿بِأَنفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب (مُردفين) بفتح الدال، أي: أردف الله المسلمين وجاء بهم مدداً، وقرأ الآخرون بكسر الدال أي متتابعين بعضهم في إثر بعض، يقال: أردفته وردفته بمعنى تبعته.

[١٠] قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ﴾، يعني: الإمداد بالملائكة، ﴿إِلَّا بُشْرًا﴾، أي: بشارة ﴿وَلِيُطْمَئِنِّ بِهَا قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[١١] ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسُ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (يغشاكم) بفتح الياء (النَّعَاسُ) رفع على أن الفعل له، كقوله تعالى في سورة آل عمران (أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ)، قرأ أهل المدينة: (يُغَشِّيكُمْ) بضم الياء وكسر الشين مخففاً، ﴿النَّعَاسُ﴾ نصب كقوله تعالى: (كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ

ذات بينكم فإن ذلك خير لكم كما أن إخراج محمد ﷺ من بيته بالحق خير لكم، وإن كرهه فريق منكم. وقال مجاهد: معناه كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم، كذلك يكرهون القتال ويجادلون فيه. وقيل: هو راجع إلى قوله: (لهم درجات عند ربهم)، تقديره: وَعُدَّ اللَّهُ الدرجات لهم حق ينجزه الله عز وجل كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، فأنجز الوعد بالنصر والظفر. وقيل: الكاف بمعنى على، تقديره: امض على الذي أخرجك ربك. وقال أبو عبيدة: هي بمعنى القسم مجازها: والذي أخرجك، لأن (ما) في موضع الذي، وجوابه ﴿يُجَادِلُونَكُمْ﴾، وعليه يقع القسم، تقديره: يجادلونك والله الذي أخرجك ربك من بيتك بالحق. وقيل: الكاف بمعنى إذ تقديره: واذكر إذ أخرجك ربك. قيل: المراد بهذا الإخراج هو إخراجه من مكة إلى المدينة، والأكثرون على أن المراد منه إخراجه من المدينة إلى بدر، أي: كما أمرك ربك بالخروج (من بيتك) إلى المدينة (بالحق) قيل: بالوحي لطلب المشركين ﴿وَأَنَّ قَرِيبًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، منهم، ﴿لَكَرْهُونَ﴾.

[٦] ﴿يُجَادِلُونَكُمْ فِي الْحَقِّ﴾، أي: في القتال: ﴿بَعْدَمَا بَيَّنَّ﴾، وذلك أن المؤمنين لما أيقنوا بالقتال كرهوا ذلك، وقالوا: لم نعلمنا أننا نلقى العدو فنستعد لقتالهم، وإنما خرجنا للعير، فذلك جدالهم بعدما تبين لهم أنك لا تصنع إلا ما أمرك، وتبين صدقك في الوعد، ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ لشدة كراهيتهم القتال، ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره: وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون: كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون يجادلونك في الحق بعد ما تبين. قال ابن زيد: هؤلاء المشركون جادلوه في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الإسلام لكراهيتهم إياه وهم ينظرون.

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

١٧٨

الْأَنْفَالِ

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ
 مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿١﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى
 وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ
 عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ
 الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿٣﴾
 إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ
 الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥﴾ ذَلِكَ كُمْ فَذَوْقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
 عَذَابَ النَّارِ ﴿٦﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿٧﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ
 دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقَالٍ أَوْ مُتَحَيِّيًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ
 بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾

ناصرُكم. ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا
 الرُّعْبَ﴾، قال عطاء: يريد الخوف من أوليائي،
 ﴿فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾، قيل: هذا خطاب مع
 المؤمنين. وقيل: هذا خطاب مع الملائكة، وهو
 متصل بقوله ﴿ثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وقوله: ﴿فَوْقَ
 الْأَعْنَاقِ﴾ قال عكرمة: يعني الرؤوس لأنها فوق
 الأعناق. وقال الضحاك: معناه فاضربوا الأعناق،
 وفوق صلة كما قال تعالى: (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 فَضَرْبُ الرِّقَابِ)، وقيل: معناه فاضربوا على
 الأعناق، فوق بمعنى على. ﴿وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ
 بَنَانٍ﴾، قال عطية: يعني كل مفصل. وقال ابن
 عباس وابن جريج والضحاك: يعني الأطراف،
 والبَنَانُ جمع بنانة، وهي أطراف أصابع اليدين
 والرجلين.

وجوهم)، وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الشين
 مشدداً، ﴿النُّعَاسُ﴾ نصب على أن الفعل لله عز
 وجل، كقوله تعالى: (فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى)،
 والنعاس: النوم الخفيف. ﴿أَمَنَةً﴾ أماناً ﴿مِنْهُ﴾،
 مصدر أمنت أماناً وأمنةً وأماناً. قال عبدالله بن
 مسعود رضي الله عنه: النعاس في القتال أمنة من
 الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان. ﴿وَيُنْزِلُ
 عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾، وذلك أن
 المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب أعفر تسوخ فيه
 الأقدام وحوافر الدواب، وسبقهم المشركون إلى
 ماء بدر وأصبح المسلمون بعضهم محدثين
 وبعضهم مجننين، وأصابهم الظمأ ووسوس إليهم
 الشيطان، وقال: تزعمون أنكم على الحق وفيكم
 نبي الله وأنكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على
 الماء وأنتم تصلون محدثين ومجننين، فكيف
 ترجون أن تظهروا عليهم؟ فأرسل الله عز وجل
 عليهم مطراً سال منه الوادي فشرب المؤمنون
 واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب، وملؤوا
 الأسقية وأطفأ الغبار ولبد الأرض حتى ثبتت عليها
 الأقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان، وطابت
 أنفسهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ
 السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ من الأحداث والجنابة،
 ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾، وسوسته، ﴿وَلِيَرْبِطَ
 عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾، باليقين والصبر، ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ
 الْأَقْدَامَ﴾، حتى لا تسوخ في الرمل بتليد الأرض،
 وقيل: ثبت به الأقدام بالصبر وقوة القلب.

[١٢] ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾، الذين أمد
 بهم المؤمنين، ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾، بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُوا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أي: قووا قلوبهم. قيل: ذلك
 التثبيت حضورهم معهم القتال ومعونتهم، أي:
 ثبوتهم بقتالكم معهم المشركين. وقال مقاتل:
 أي: بشروهم بالنصر، وكان المَلَكُ يمشي أمام
 الصف في صورة الرجل ويقول: أبشروا فإن الله

يوم أحد بعد ذلك قال: (إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ)، ثم كان يوم حُثِين بعده فقال: (ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ...) ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء)، وقال عبدالله بن عمر: كنّا في جيش بعثنا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة فانهمزنا، فقلنا: يارسول الله نحن الفَرَارُونَ؟ قال: «بل أنتم الكَرَارُونَ، أنا فِئَةُ الْمُسْلِمِينَ»^(١). وقال محمد بن سيرين: لما قُتِلَ أَبُو عُبَيْدَةَ جاء الخبر إلى عمر فقال: لو انحاز إليّ كنت له فِئَةً فَأَنَا فِئَةُ كُلِّ مُسْلِمٍ. وقال بعضهم: حكم الآية عام في حق كل من ولّى منهزمًا. جاء في الحديث: «مَنْ الْكَبَائِرُ الْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ»^(٢) وقال عطاء بن أبي رباح: هذه الآية منسوخة بقوله عز وجل: (الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ)، فليس لقوم أن يفروا من مثلهم فنسخت تلك إلّا في هذه العدة وعلى هذا أكثر أهل العلم أن المسلمين إذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا أو يولّوا ظهورهم إلّا متحرّفًا لقتال أو متحيّزًا إلى فِئَةٍ، وإن كانوا أقل من ذلك جاز لهم أن يولّوا ظهورهم وينحازوا عنهم، قال ابن عباس: مَنْ فَرَّ مِنْ ثَلَاثَةِ فَلَمْ يَفِرْ، وَمَنْ فَرَّ مِنْ اثْنَيْنِ فَقَدْ فَرَّ.

[١٧] قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾، قال مجاهد: سبب نزول هذه الآية أنهم لما انصرفوا عن القتال كان الرجل يقول: أنا قتلْتُ فلانًا ويقول الآخر مثله، فنزلت الآية. ومعناه: فلم تقتلوهم أنتم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصرته إياكم وتقويته لكم. وقيل: لكن الله قتلهم بإمداد الملائكة. ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾

(١) أخرجه الترمذي في الجهاد ٣٧٨/٥ وقال: حديث حسن غريب، وأبو داود في الجهاد ٤٣٨/٣، وسعيد بن منصور في السنن ٢/٢٠٩، ٢١٠، والشافعي في المسند ٢/١١٦. (٢) جاء في أحاديث كثيرة أن الفرار من الزحف كبيرة.

﴿وَرَسُولُهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[١٤] ﴿ذَلِكُمْ﴾، أي: هذا العذاب والضرب الذي عجلته لكم أيها الكفار ببدر ﴿فَذَوُّوهُ﴾، عاجلاً، ﴿وَأَنْتُمْ لِلْكَافِرِينَ﴾، أي: واعلموا وأيقنوا أن للكافرين أجلاً في المعاد، ﴿عَذَابُ النَّارِ﴾.

[١٥] قوله عز وجل ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا﴾، أي: مجتمعين متزاحفين بعضكم إلى بعض، والتزاحف: التداني في القتال. والزحف مصدر لذلك لم يجمع، كقولهم: قوم عدل ورضاً. قال الليث: الزحف جماعة يزحفون إلى عدو لهم بمرة، فهم الزحف، والجمع الزحوف، ﴿فَلَا تُولُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ يقول: فلا تولوهم ظهوركم أي لا تنهزموا فإن المنهزم يولي دُبُرَه.

[١٦] ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾، ظهره، ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾، أي: منعطفًا يرى من نفسه الانهزام، وقصده طلب الغرة وهو يريد الكرة، ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾، أي: منضمًّا صائرًا إلى جماعة من المؤمنين يريد العود إلى القتال. ومعنى الآية النهي عن الانهزام من الكفار والتولي عنهم، إلّا على نية التحرّف للقتال والانضمام إلى جماعة من المسلمين ليستعين بهم ويعود إلى القتال، فمن ولّى ظهره لا على هذه النية لحقه الوعيد، كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ بَكَءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَدَّ جَهَنَّمَ وَبُسْ أَمْصِيرُهُ﴾، واختلف العلماء في هذه الآية، فقال أبو سعيد الخدري: هذا في أهل بدر خاصة، ما كان يجوز لهم الانهزام لأن النبي ﷺ كان معهم، ولم يكن لهم فِئَةٌ يتحيزون إليها دون النبي ﷺ، ولو انحازوا لانحازوا إلى المشركين، فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فِئَةٌ لبعض، فيكون الفارُّ متحيّزًا إلى فِئَةٍ فلا يكون فراره كبيرة، وهو قول الحسن وقتادة والضحاك، قال يزيد بن أبي حبيب: أوجب الله النار لمن فَرَّ يوم بدر، فلما كان

سُورَةُ الْاَنْفَالِ

١٧٩

سُورَةُ الْاَنْفَالِ

فَلَمَّا أَقْبَلَتْ قَرِيشٌ يَوْمَ بَدْرٍ وَرَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 قَالَ: اللَّهُمَّ هَذِهِ قَرِيشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخِيْلَانِهَا وَفَخَرَهَا
 تَحَادَاكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ فَنَصْرَكَ الَّذِي
 وَعَدْتَنِي، فَأَنَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ لَهُ: خُذْ
 قَبْضَةً مِنْ تَرَابٍ فَارْمِهِمْ بِهَا، فَلَمَّا اتَّقَى الْجَمْعَانِ
 تَنَاولَ كَفًّا مِنْ حَصَى عَلَيْهِ تَرَابٌ فَرَمَى بِهِ فِي وَجْهِهِ
 الْقَوْمِ، وَقَالَ: شَاهَتْ الْوُجُوهُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مُشْرِكٌ
 إِلَّا دَخَلَ فِي عَيْنَيْهِ وَفَمِهِ وَمَنْخَرِهِ مِنْهَا شَيْءٌ،
 فَانْهَزَمُوا وَرَدَّفَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْسِرُونَهُمْ
 فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، إِذْ لَيْسَ فِي وَسْعٍ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ أَنْ يَرْمِيَ
 كَفًّا مِنَ الْحَصَا إِلَى وَجْهِهِ جَيْشٌ فَلَا يَبْقَى فِيهِمْ عَيْنٌ
 إِلَّا وَيَصِيبُهَا مِنْهُ شَيْءٌ. وَقِيلَ: مَعْنَى الْآيَةِ: وَمَا
 بَلَغَتْ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ بَلَغَ. وَقِيلَ: وَمَا رَمَيْتَ
 بِالرَّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ إِذْ رَمَيْتَ بِالْحَصَا وَلَكِنَّ اللَّهَ
 رَمَى بِالرَّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ حَتَّى انْهَزَمُوا، ﴿وَلَيْسَ
 بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾، أَي: وَلَيَنْعَمَ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ بِالنَّصْرِ وَالْغَنِيمَةِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ
 سَمِيعٌ لِدُعَائِكُمْ، عَلَيْهِ بَنَاتُكُمْ﴾.

[١٨] ﴿ذَلِكَ﴾ الَّذِي ذَكَرْتَ مِنَ الْقَتْلِ وَالرَّمْيِ
 وَالبَلَاءِ الْحَسَنِ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾، قِيلَ: فِيهِ إِضْمَارٌ،
 أَي: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ ﴿مُوهِنٌ﴾، مُضْعَفٌ، ﴿كَيْدٌ
 الْكُفْرَيْنَ﴾، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِعٌ وَأَهْلُ الْبَصَرَةِ:
 ﴿مُوهِنٌ﴾ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّنْوِينِ، (كَيْدٌ) نَصَبٌ، وَقَرَأَ
 الْآخَرُونَ ﴿مُوهِنٌ﴾ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّنْوِينِ إِلَّا حَفْصًا،
 فَإِنَّهُ يُضَيِّفُهُ فَلَا يَنْوُنُ وَيُخَفِّضُ ﴿كَيْدٌ﴾.

[١٩] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَسْتَفِئِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ
 الْفَتْحُ﴾، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ - لَعَنَهُ اللَّهُ - قَالَ يَوْمَ
 بَدْرٍ لِمَا اتَّقَى النَّاسُ: اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحِمِ وَأَنَا
 بِمَا لَمْ نَعْرِفْ فَأَحْنَهُ الْغَدَاةَ، فَكَانَ هُوَ الْمُسْتَفْتَحُ عَلَى
 نَفْسِهِ وَقَالَ السُّدِّيُّ وَالْكَلْبِيُّ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ حِينَ
 خَرَجُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ أَخَذُوا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ
 وَقَالُوا: اللَّهُمَّ انْصِرْ أَعْلَى الْجَنْدِينَ وَأَهْدِ الْفَتْنَيْنِ

وَأَكْرَمَ الْحَزِينِ وَأَفْضَلَ الدِّينِينَ فِيهِ نَزَلَتْ: ﴿إِنْ
 تَسْتَفِئِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾، أَي: إِنْ
 تَسْتَنْصِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ النَّصْرُ. وَقَالَ عِكْرَمَةُ: قَالَ
 الْمُشْرِكُونَ: وَاللَّهِ لَا نَعْرِفُ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ فَافْتَحْ
 بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ بِالْحَقِّ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ تَسْتَفِئِحُوا
 فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ أَي: إِنْ تَسْتَقْضُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ
 الْقَضَاءُ. وَقَالَ أَبِي بَكْرٍ كَعْبٌ: هَذَا خُطَابٌ
 لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
 لِلْمُسْلِمِينَ: إِنْ تَسْتَفِئِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ أَي: إِنْ
 تَسْتَنْصِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ النَّصْرُ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ
 تَنْهَوْا﴾، يَقُولُ لِلْكَفَّارِ: إِنْ تَنْهَوْا عَنِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ
 وَقَتْلِ نَبِيِّهِ ﷺ، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا﴾، لِحَرْبِهِ
 وَقِتَالِهِ، ﴿نَعْدُ﴾ بِمَثَلِ الْوَاقِعَةِ الَّتِي وَقَعَتْ بِكُمْ يَوْمَ
 بَدْرٍ. وَقِيلَ: وَإِنْ تَعُدُّوا إِلَى الدُّعَاءِ وَالِاسْتِفْتَاكِ نَعْدُ
 لِلْفَتْحِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ﴾،

[٢٤] قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾، يقول أجيوبهما بالطاعة، ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾، الرسول ﷺ، ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، أي: إلى ما يُحييكم. قال السدي: هو الإيمان، لأن الكافر ميت فيحيا بالإيمان. وقال قتادة: هو القرآن فيه الحياة وبه النجاة والعصمة في الدارين. وقال مجاهد: هو الحق. وقال ابن إسحاق: هو الجهاد أعزكم الله به بعد الدّل. وقال القتيبي: بل الشهادة قال الله تعالى في الشهداء: ﴿بَلْ أَحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. ورؤينا أن النبي ﷺ مرّ على أبي بن كعب رضي الله عنه وهو يصلي فدعاه فعجل أبي في صلاته، ثم جاء فقال رسول الله ﷺ: «ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك؟» قال: كنت في الصلاة، قال: «أليس يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟» فقال: لا جرم يارسول الله لا تدعوني إلا أجبت وإن كنت مصلياً^(١). قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، قال سعيد بن جبير وعطاء: يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان. وقال الضحاك: يحول بين الكافر والطاعة، ويحول بين المؤمن والمعصية. وقال مجاهد: يحول بين المرء وقلبه فلا يعقل ولا يدري ما يعمل. وقال السدي: يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر إلا بإذنه. وقيل: هو أن القوم لما دُعوا إلى القتال في حالة الضعف ساءت ظنونهم واختلجت صدورهم فقبل لهم: قاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمناً والجبن جُراً. ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، فيجزيكُم بأعمالكم. عن أنس بن

جماعتكم، ﴿شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ بفتح الهمزة، أي: ولأن الله مع المؤمنين، كذلك ﴿لَنْ تُقْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا﴾، وقيل: هو عطف على قوله: (ذلكم وأن الله مُوهِن كَيْدَ الْكَافِرِينَ)، وقرأ الآخرون: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ بكسر الألف على الابتداء.

[٢٠] قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ﴾، أي: لا تُعرضوا عنه، ﴿وَأَسْمِعُوا سَمْعَكُمْ﴾، القرآن ومواعظه.

[٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾، أي: يقولون بالسنتهم سمعنا بأذاننا وهم لا يسمعون، أي: لا يتعظون ولا ينتفعون بسماعهم فكانهم لم يسمعوا.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي: شرّ من دبّ على وجه الأرض من خلق الله، ﴿الْأَضْمُ الْبُكْمُ﴾، عن الحق فلا يسمعون ولا يقولونه، ﴿الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ﴾ أمر الله عزّ وجلّ سمّاهم (دواب) لقلّة انتفاعهم بعقولهم، كما قال تعالى: (أولئك كالأنعام بل هم أضل)، قال ابن عباس: هم نفر من بني عبد الدار بن قصي، كانوا يقولون: نحن ضُمُّ بكم غُمِّي عما جاء به محمد، فقتلوا جميعاً بأحد، وكانوا أصحاب اللواء لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويط بن حرملة.

[٢٣] ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ أي: لأسمعهم سماع التفهّم والقبول، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾، بعد أن علم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك، ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾، لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره. وقيل: إنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ: أحيي لنا قصياً فإنه كان شيخاً مباركاً حتى يشهد لك بالنبوة فتؤمن بك، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ كلام قصي ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٤٦٧/١٣ وأخرجه بنحوه الترمذي في فضائل الأعمال ١٧٨/٨-١٨٠ وقال: حديث حسن صحيح، والإمام أحمد في المسند ٤١٢/٢، ٤١٣، وأخرجه البخاري بغير هذا السياق في التفسير ١٥٦/٨.

تُصِيبَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً، يعني العذاب، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، يقول: اذكروا يا معاشر المهاجرين إذ أنتم قليل في العدد مستضعفون في أرض مكة في ابتداء الإسلام ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظَفَكُمْ أَتَنَاسٌ﴾، يذهب بكم الناس، يعني: كفار مكة.

وقال عكرمة: كفار العرب. وقال وهب: فارس والروم، ﴿فَتَأْتِيَكُمْ﴾، إلى المدينة، ﴿وَأَيَّدَكُمْ بِبِصْرِهِ﴾، أي: قواكم يوم بدر بالأنصار. وقال الكلبي: قواكم يوم بدر بالملائكة، ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الْأَطْيَنِتِ﴾، يعني: الغنائم أحلها لكم ولم يحلها لأحد قبلكم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

[٢٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، قال السدي: كانوا يسمعون الشيء من رسول الله ﷺ فيفشونه، حتى يبلغ المشركين. وقال الزهري والكلبي: نزلت الآية في أبي لبابة هارون بن عبد المنذر الأنصاري من بني عوف بن مالك، وذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصر يهود بني قريظة قالوا: أرسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر، وكان مناصحاً لهم لأن ماله وولده وعياله كانت عندهم، فبعثه رسول الله ﷺ وآتاهم فقالوا له: يا أبا لبابة ما ترى أنزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه أنه الذبح فلا تفعلوا، قال أبو لبابة: والله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنني قد

مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» قالوا: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «الْقُلُوبُ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ شَاءَ»^(١).

[٢٥] ﴿وَأَنْفِقُوا فِتْنَةً﴾، اختباراً وبلاءً ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾، قوله: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾ ليس بجزاء محض، ولو كان جزاءً لم تدخل فيه النون، لكنه نفي، وفيه طرف من الجزاء كقوله تعالى: (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطيمكم سليمان وجنوده)، وتقديره: واتقوا فتنه إن لم تتقوها أصابتكم، فهو كقول القائل: انزل عن الدابة لا تطرحك ولا تطرحتك، فهذا جواب الأمر بلفظ النفي، معناه إن تنزل لا تطرحك. قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله ﷺ ومعناه: اتقوا فتنه تصيب الظالم وغير الظالم. قال الحسن: نزلت في علي وعمر وطليحة والزبير رضي الله عنهم. قال الزبير: لقد قرأنا هذه الآية زماناً وما أُرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها، يعني ما كان يوم الجمل. وقال السدي ومقاتل والضحاك وقتادة: هذا في قوم مخصوصين من أصحاب رسول الله ﷺ أصابتهم الفتنة يوم الجمل. وقال ابن عباس: أمر الله عز وجل المؤمنين ألا يُقَرِّبُوا الْمُكْرَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ فيعمهم الله بعذاب يصيب الظالم وغير الظالم. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوا فَلَا يُنْكِرُوهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَّبَ اللَّهُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ»^(٢). وقال ابن زيد: أراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضاً. قال رسول الله ﷺ: «سَتَكُونُ فِتْنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ»^(٣) قوله: ﴿لَا

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/١١٢، ٢٥٧، والترمذي في القدر ٣٤٩/٦، وأخرجه مسلم من رواية عبدالله بن عمرو في القدر رقم (٢٦٥٤) ٢٠٤٥/٤ وذكره البغوي في مصابيح السنة ١/١٤١. (٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/١٩٢، والطحاوي في مشكل الآثار ٢/٦٦ وعبدالله بن المبارك في الزهد رقم ١٣٥٢ ص ٤٧٦ والمصنف في شرح السنة ١٤/٣٤٦. (٣) أخرجه البخاري في الفتن ١٣/٢٩ وفي الأنبياء وفي المناقب ومسلم في الفتن رقم (٢٨٨٦) ٤/٢٢١٢ والمصنف في شرح السنة ١٥/٢٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨٠

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَكَاوَتْكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ أَمُورُكُمْ وَأُولَدُكُمْ فَتَنَةً وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنَفَّوْا أَنْ يَجْعَلَ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ أَنْشَأَ عَلَيْهِمْ هَآءِذَنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٥﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بَعْدَآبِ أَلِيمٍ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾

تَنَفَّوْا اللَّهُ، بطاعته وترك معصيته، ﴿يَجْعَلَ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾، قال مجاهد: مخرجًا في الدنيا والآخرة. وقال مقاتل بن حيان: مخرجًا في الدين من الشبهات، وقال عكرمة: نجاة أي يفرق بينكم وبين ما تخافون. وقال الضحاك: بيانًا. وقال ابن إسحاق: فصلًا بين الحق والباطل يُظهر الله به حقكم ويظفي باطل من خالفكم، والفرقان مصدر كالرجحان والنقصان، ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، يمحُ عنكم ما سلف من ذنوبكم، ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. [٣٠] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، هذه الآية معطوفة على قوله: (واذكروا إذ أنتم قليل) واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا (واذكروا) قالوا اللهم) لأن هذه السورة مدنية وهذا المكر والقول إنما كانا بمكة، ولكن الله ذكرهم بالمدينة كقوله

خنت الله ورسوله، ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ وشد نفسه على سارية من سواي المسجد وقال: والله لا أبرح ولا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى أموت أو يتوب الله علي، فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، قال: أما لو جاءني لاستغفرتُ له فأما إذ فعل ما فعل فإنني لا أطلقه حتى يتوب الله عليه، فمكث سبعة أيام لا يذوق طعامًا ولا شرابًا حتى خرّ مغشيًا عليه ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني بيده، فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: يا رسول الله إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي كله، قال النبي ﷺ: «يجزيك الثلث فتصدق به»، فنزلت فيه ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، ﴿وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ﴾، أي: ولا تخونوا أماناتكم، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أنها أمانة. وقيل: وأنتم تعلمون أن ما فعلتم من الإشارة إلى الحلق خيانة. قال السدي: إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم. وقال ابن عباس: لا تخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سنته وتخونوا أماناتكم. قال ابن عباس: هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله، والأعمال التي اتّمن الله العباد عليها. قال قتادة: اعلموا أن دين الله أمانة فأدوا إلى الله عزّ وجلّ ما اتّمتكم عليه من فرائضه وحدوده، ومن كانت عليه أمانة فليؤدها إلى من اتّمته عليها.

[٢٨] ﴿وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ أَمُورُكُمْ وَأُولَدُكُمْ فَتَنَةً﴾، قيل: هذا أيضًا في أبي لبابة، وذلك أن أمواله وأولاده كانوا في بني قريظة، فقال ما قال خوفًا عليهم. وقيل: هذا في جميع الناس ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، لمن نصح لله ولرسوله وأدى أمانته.

[٢٩] قوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ

بالحق. وقيل: يجازيهم جزاء المكر ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾.

[٣١] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا﴾، يعني النضر بن الحارث، ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾، وذلك أنه كان يختلف تاجرًا إلى فارس والحيرة فيسمع أخبار رستم واسفنديار، وأحاديث العجم ويمر باليهود والنصارى فيراهم يقرؤون التوراة والإنجيل ويركعون ويسجدون، فجاء إلى مكة فوجد رسول الله ﷺ يصلي ويقرأ القرآن فقال النضر: قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا، ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، أخبار الأمم الماضية وأسماءهم وما سطر الأولون في كتبهم، والأساطير: جمع أسطورة، وهي المكتوبة، من قولهم سطرت أي كتبت.

[٣٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾، الآية نزلت في النضر بن الحارث من بني عبد الدار قال: اللهم إن كان هذا الذي يقول محمد هو الحق من عندك، (والحق) نصب بخبر كان، وهو عمادٌ وصلة: ﴿فَأَمْطَرْنَا عَلَيْكَ حِجَابًا مِّنَ السَّكَاءِ﴾، كما أمطرتها على قوم لوط، ﴿أَوْ أَتَيْنَا بِعَذَابٍ آخِرٍ﴾، أي: ببعض ما عذبت به الأمم، وفيه نزل: (سأل سائل بعذاب واقع)، وقال عطاء: لقد نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة آية فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر، وروى أنس رضي الله عنه أن الذي قاله أبو جهل لعنه الله.

[٣٣] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾، اختلفوا في معنى هذه الآية، فقال محمد بن إسحاق: هذا حكاية عن المشركين أنهم قالوها وهي متصلة بالآية الأولى، وذلك أنهم كانوا يقولون إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفره، ولا يعذب أمة ونيبها معها، فقال الله تعالى لنيبه ﷺ يذكر جهالتهم وغرتهم واستفاحتهم على أنفسهم (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) الآية،

تعالى: (إلا تنصروه فقد نصره الله) وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير: أن قريشًا فرقوا لما أسلمت الأنصار أن يتفاقم أمر رسول الله ﷺ فاجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ، فقال أبو جهل: أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابًا نسبيًا وسيطًا فتيا ثم يُعطى كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها، وأنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدي قريش ديته، فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه، وأذن الله له عند ذلك بالخروج إلى المدينة، فأمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب أن ينام في مضجعه وقال له: اتشح ببردي هذه فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه، ثم خرج النبي ﷺ فأخذ قبضة من تراب فأخذ الله أبصارهم عنه، فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ: (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالًا) إلى قوله (فهم لا يبصرون)، ومضى إلى الغار من ثور هو وأبو بكر، وخلف عليًا بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده وكانت الودائع تودع عنده ﷺ لصدقه وأمانته، وبات المشركون يحرسون عليًا في فراش رسول الله ﷺ يحسبون أنه النبي ﷺ فلما أصبحوا ثاروا إليه فرأوا عليًا رضي الله عنه، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاثًا ثم قدم المدينة، فذلك قوله تعالى: ﴿يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ﴿يَتْلُونَ﴾، ﴿لِيَجْهَرُوا بِكَ وَيَسْجُنُوكَ وَيُوثِقُوكَ﴾، ﴿وَيَقْتُلُونَكَ أَوْ يُجْرِبُونَكَ وَيَتَكَبَّرُونَ فِيكَ﴾، قال الضحاک: يصنعون ويصنع الله، والمكر التدبير وهو من الله التدبير

سورة الأنفال

١٨١

الأنفال

وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُصِفُّونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُصِفُّونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٧﴾ لِيَمِزَ اللَّهُ الَّذِينَ هُمْ أَوْلِيَاءُ مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلِيَاءُ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَلَهُ الْخَيْثُ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا بِغَفْلَتِهِمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَقَدْ نَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ فَإِنْ أَسْتَهْوَأُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نَعَمْ الْمَوْلَىٰ نَعَمْ النَّصِيرُ ﴿٤١﴾

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ .

[٣٥] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾، قال ابن عباس والحسن: المكاء: الصفير، وهي في اللغة اسم طائر أبيض يكون بالحجاز له صفير، كأنه قال: إلا صوت مكاء، والتصدية التصفيق. قال ابن عباس: كانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون، فالمكاء: جعل الأصابع في الشدق، والتصدية: الصفير، ومنه الصدى الذي يسمعه المصوت في الجبل. قال سعيد بن جبير: التصدية صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين، والصلاة وهي على هذا التأويل: التصددة بدالين، فقلبت إحدى الدالين ياءً كما يقال: تظنيت من الظن، وتقضى البازي إذا البازي كسر، أي تقضض البازي. قال ابن الأنباري: إنما سماه صلاة لأنهم

وقالوا: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، ثم قال ردًّا عليهم ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾؟ وإن كنت بين أظهرهم وإن كانوا يستغفرون، وهم يصدون عن المسجد الحرام. وقال الآخرون: هذا كلام مستأنف يقول الله عز وجل إخبارًا عن نفسه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾، واختلفوا في تأويلها، فقال الضحاك وجماعة: تأويلها وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم بين أظهرهم، قالوا: أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو مقيم بمكة، ثم خرج من بين أظهرهم وبقيت بها بقية من المسلمين يستغفرون، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، ثم خرج أولئك من بينهم فعذبوا وأذن الله في فتح مكة، فهو العذاب الذي وعدهم، وقال أبو موسى الأشعري: كان فيكم أمانان، وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، فأما النبي ﷺ فقد مضى والاستغفار كائن فيكم إلى يوم القيامة.

[٣٤] قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: وما يمنعهم من أن يعذبوا، يريد بعد خروجك من بينهم، ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أي: يمنعون المؤمنين من الطواف بالبيت. وقيل: أراد بالعذاب الأول عذاب الاستئصال، وأراد بقوله: وما لهم ألا يعذبهم الله أي: بالسيف. وقيل: أراد بالأول عذاب الدنيا، وبهذه الآية عذاب الآخرة. وقال الحسن: الآية الأولى وهي قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ منسوخة بقوله تعالى: (وما لهم ألا يعذبهم الله)، ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ قال الحسن: كان المشركون يقولون: نحن أولياء المسجد الحرام، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي: أولياء البيت، ﴿إِنْ أَوْلِيَاءُ لَهُ﴾ أي: ليس أولياء البيت، ﴿إِلَّا الْمُنَافِقُونَ﴾، يعني: المؤمنين الذين يتقون الشرك، ﴿وَلَكِنَّ

هدم ما بعده من ذنب.

[٣٩] ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِئْتَةٌ﴾ أي: شرك.

قال الربيع: حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكُمْ﴾ أي: ويكون الدين خالصاً لله لا شرك فيه، ﴿فَإِنْ أَنَّهُمْ﴾، عن الكفر، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، قرأ يعقوب ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء وقرأ الآخرون بالياء.

[٤٠] ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، عن الإيمان وعادوا إلى قتال أهله، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ﴾ ناصركم ومعينكم ﴿يَغْمِزُ الْمُؤْمِنَ وَيَغْمِزُ النَّاصِرَ﴾، أي: الناصر.

[٤١] قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾، الآية، الغنيمة والفىء اسمان لمال يصيبه المسلمون من أموال الكفار، فذهب جماعة إلى أنهما واحد. وذهب قوم على أنها مختلفان، فالغنيمة: ما أصابه المسلمون منهم غنوة بقتال، والفىء ما كان عن صلح بغير قتال، فذكر الله عز وجل في هذه الآية حكم الغنيمة فقال: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾، فذهب أكثر المفسرين والفقهاء إلى أن قوله: (لله) افتتاح كلام على سبيل التبرك وإضافة هذا المال إلى نفسه لشرفه، وليس المراد منه أن سهماً من الغنيمة لله مفرداً، فإن الدنيا والآخرة كلها لله عز وجل. وهو قول الحسن وقتادة وعطاء وإبراهيم والشعبي، قالوا: سَهْمُ اللَّهِ وسهم الرسول واحد. والغنيمة تقسم خمسة أخماس، أربعة أخماسها لمن قاتل عليها، والخمس لخمسة أصناف كما ذكر الله عز وجل، ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَلِالسَّائِغِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، قال بعضهم: يقسم الخمس على ستة أسهم، وهو قول أبي العالية، سهم لله: فيصرف إلى الكعبة. والأول أصح أن خمس الغنيمة يقسم على خمسة أسهم، سهم كان لرسول الله ﷺ في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الإسلام، وهو قول الشافعي رحمه الله، وروى الأعمش عن إبراهيم

أمروا بالصلاة في المسجد الحرام فجعلوا ذلك صلاتهم ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: ليصرفوا عن دين الله. قال الكلبي ومقاتل: نزلت في الْمُطْعَمِينَ يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر. وقال الحكم بن عيينة: نزلت في أبي سفيان أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية. قال الله تعالى: ﴿فَسَيُفْقَرُهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾، يريد ما أنفقوا في الدنيا يصير حسرة عليهم في الآخرة، ﴿ثُمَّ يُعَذِّبُونَ﴾، ولا يظفرون ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، منهم، ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾، خص الكفار لأن منهم من أسلم.

[٣٧] ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾، في سبيل الشيطان، ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾، يعني الكافر من المؤمن فينزل المؤمن الجنان والكافر النيران. وقال الكلبي: العمل الخبيث من العمل الصالح الطيب، فيثب على الأعمال الصالحة الجنة، وعلى الأعمال الخبيثة النار، وقيل: يعني الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان من الإنفاق الطيب في سبيل الله. ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، أي: فوق بعض، ﴿فَيَرْكُمُهُ جِمْعًا﴾، أي: يجمعه. ومنه السحاب المركوم، وهو المجتمع الكثيف، فيجعله في جهنم ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، الذين خسرت تجارتهم، لأنهم اشتروا بأموالهم عذاب الآخرة.

[٣٨] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا﴾، عن الشرك ﴿يَغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾، أي: ما مضى من ذنوبهم قبل الإسلام، ﴿وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾، في نصر الله أنبياءه وإهلاك أعدائه. قال يحيى بن معاذ الرازي: توحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر أرجو ألا يعجز عن

قال: كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي ﷺ في الكراع والسلاح. وقال قتادة: هو للخليفة بعده. وقال بعضهم: سهم رسول الله ﷺ مردود في الخمس والخمس لأربعة أصناف. قوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ أراد أن سهمًا من الخمس لذوي القربى وهم أقارب النبي ﷺ، واختلفوا فيهم فقال قوم: جميع قريش. وقال قوم: هم الذين لا تحل لهم الصدقة. وقال مجاهد وعلي بن الحسين: هم بنو هاشم. وقال الشافعي: هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء، وإن كانوا إخوة، والدليل عليه ما ورد عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قسم رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب، ولم يعط منه أحدًا من بني عبد شمس ولا بني نوفل شيئاً^(١) واختلف أهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت اليوم؟ فذهب أكثرهم إلى أنه ثابت، وهو قول مالك والشافعي وذهب أصحاب الرأي إلى أنه غير ثابت، وقالوا: سهم رسول الله ﷺ وسهم ذوي القربى مردودان في الخمس وخمس الغنيمة لثلاثة أصناف: اليتامى والمساكين وابن السبيل. وقال بعضهم: يعطى للفقراء منهم دون الأغنياء، والكتاب والسنة يدلان على ثبوته والخلفاء بعد الرسول ﷺ كانوا يعطونه، ولا يُفْضَلُ فقير على غني لأن النبي ﷺ والخلفاء بعده كانوا يعطون العباس بن عبدالمطلب مع كثرة ماله، فألحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة، غير أنه يعطي القريب والبعيد. وقال: يفضل الذكر على الأنثى فيعطى الرجل سهمين والأنثى سهمًا واحدًا. قوله: ﴿وَالْيَتَامَى﴾ وهو جمع اليتيم، واليتيم الذي له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذي لا أب له إذا كان فقيرًا، ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين، ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ هو المسافر البعيد عن

ماله، فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الغانمين الذين شهدوا الواقعة، للفارس منهم ثلاثة أسهم وللراجل سهم واحد. عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أسهم لرجل ولفرسه ثلاثة أسهم، سهمًا له وسهمين لفرسه^(٢). وهذا قول أكثر أهل العلم وإليه ذهب الثوري والأوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: للفارس سهمان وللراجل سهم واحد ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان إذا حضروا القتال، ويقسم العقار الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول. وعند أبي حنيفة: يتخير الإمام في العقار بين أن يقسمه بينهم وبين أن يجعله وقفًا على المصالح. وظاهر الآية لا يفرق بين العقار والمنقول، ومن قتل مشركًا في القتال يستحق سلبه من رأس الغنيمة، لما روي عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال يوم حنين: «من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله سلبه»^(٣). والسلب: كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح وفرسه الذي هو راحبه، ويجوز للإمام أن ينقل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم في الحرب يَخْصُمُهُم به من بين سائر الجيش ويجعله أسوة الجماعة في سهمان الغنيمة. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان ينقل بعض من يبعث من السرايا لأنفسهم خاصة سوى قسم عامة الجيش^(٤). واختلفوا في أن النفل من أين يعطى؟

(١) أخرجه الشافعي في المسند ١١٢/٢ والمصنف في شرح السنة ١٢٦/١١. (٢) أخرجه البخاري في الجهاد ٦٧/٦ ومسلم في الجهاد والسير رقم (١٧٦٢) ١٣٨٢/٣ والمصنف في شرح السنة ١٠١/١١. (٣) رواه البخاري في المغازي ٨/٣٥، ٣٤، والجهاد ومسلم في الجهاد والسير رقم (١٧٥١) ١٣٧٠/٣ والمصنف في شرح السنة ١٠٥/١١. (٤) أخرجه البخاري في فرض الخمس ٢٣٧/٦ ومسلم في الجهاد والسير رقم (١٧٥٠) ١٣٦٩/٣ والمصنف في شرح السنة ١١٢/١١.

فقال قوم: من خمس الخمس سهم النبي ﷺ، وهو قول سعيد بن المسيب، وبه قال الشافعي، وهذا معنى قول النبي ﷺ: «ما لي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس والخمس مردود فيكم»^(١). وقال قوم: هو من الأربعة الأخماس بعد إفراز الخمس كسهام الغزاة، وهو قول أحمد وإسحاق، وذهب بعضهم إلى أن النفل من رأس الغنيمة قبل الخمس كالسلب للقاتل. وأما الفيء وهو ما أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير إيجاف خيل ولا ركاب، بأن صالحهم على مال يؤدونه ومال الجزية وما يؤخذ من أموالهم إذا دخلوا دار الإسلام للتجارة أو يموت واحد منهم في دار الإسلام ولا وارث له، فهذا كله فيء، ومال الفيء كان خالصاً لرسول الله ﷺ في حياته. قال عمر رضي الله عنه: إن الله قد خص رسول الله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره، ثم قرأ: (وما أفاء الله على رسوله منهم) إلى قوله: (فَإِذْ)، وكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ كان يتفق على أهله وعياله نفقة سبتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله عز وجل، واختلف أهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله ﷺ، فقال قوم: هو للأئمة بعده. وللشافعي فيه قولان، أحدهما: للمقاتلة الذين أثبتت أساميهم في ديوان الجهاد لأنهم القائمون مقام النبي ﷺ في إرهاب العدو. والقول الثاني: أنه لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم، ثم بالأهم فالأهم من المصالح. واختلف أهل العلم في تخميس الفيء، فذهب الشافعي إلى أنه يخمس فخمسه لأهل الغنيمة على خمسة أسهم وأربعة أخماسه للمقاتلة وللمصالح. وذهب الأكثرون إلى أن الفيء لا يُخمس بل مصرف جميعه واحد، ولجميع المسلمين فيه حق قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾، قيل: أراد (أَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَاقُ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) إِذْ أَتَمَّ بِالْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوَّةِ الْقُصُوى وَالرَّكْبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَدِ وَلَكِنَّ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا يَهْلِك مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ^(٢) إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا قَلِيلًا وَلَنَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الضُّمُورِ^(٣) وَإِذْ يُرِيكُهُمْ إِذْ تُفَيِّسُهُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ^(٤) يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ^(٥)

خُمُسُهُ وَلِلرَّسُولِ) يأمر فيه بما يريد، فاقبلوه إن كنتم آمتم بالله ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾، أي: إن كنتم آمتم بالله وبما أنزلنا على عبدنا، يعني: قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفُرْقَانِ)، ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾، يعني يوم بدر، فرق الله بين الحق والباطل، وهو ﴿يَوْمَ التَّفَاقُ الْجَمْعَانِ﴾، حزب الله وحزب الشيطان، وكان يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ على نصركم مع قتلكم وكثرتهم. [٤٢] ﴿إِذْ أَنْتُمْ﴾، أي: إذ أنتم نزول يا معشر المسلمين، ﴿بِالْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا﴾، أي: بشفير الوادي الأدنى إلى المدينة، والدنيا. تأنيث الأدنى، ﴿وَهُمْ﴾، يعني عدوكم من المشركين، ﴿بِالْعُدُوَّةِ

(١) رواه أبو داود في كتاب الجهاد ٦٢/٤ والنسائي في كتاب الفيء ١٣١/٧، والإمام أحمد في مسنده ج ٤/١٢٨.

﴿إِنَّهُ عَلَيْهِ يَدَاتِ الصُّدُورِ﴾. قال ابن عباس: علم ما في صدوركم من الحب لله عز وجل.

[٤٤] ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّفَقْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾، قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ رأى في المنام أن العدو قليل قبل لقاء العدو، وأخبر أصحابه بما رأى، فلما اتفقوا بيدر قتل الله المشركين في أعين المؤمنين. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لقد قُتلوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلاً فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفاً. ﴿وَيَقْلِلُكُمْ﴾، يا معشر المؤمنين ﴿فِي أَعْيُنِهِمْ﴾، قال، السدي: قال ناس من المشركين: إن العير قد انصرفت فارجعوا، فقال أبو جهل: الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه؟ فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم، إنما محمد وأصحابه أكلة جزور، فلا تقتلوهم واربطوهم بالحبال. يقوله من القدرة التي في نفسه. قال الكلبي: استقل بعضهم بعضاً ليجترؤا على القتال، فقلل المشركين في أعين المؤمنين لكي لا يجبنوا، وقلل المؤمنين في أعين المشركين لكي لا يهربوا، ﴿لِيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا﴾، من إعلاء الإسلام وإعزاز أهله وإذلال الشرك وأهله. ﴿كَانَ مَقْعُودًا كَانَتْ﴾، ﴿وَالِلَّهِ اللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾. [٤٥] قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ أي: جماعة كافرة ﴿فَاتَّبَعُوا﴾، لقتالهم، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾، أي: ادعوا الله بالنصر والظفر بهم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾، أي: كونوا على رجاء الفلاح.

[٤٦] قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾، لا تختلفوا، ﴿فَتَفْشَلُوا﴾، أي: تجبنوا وتضعفوا، ﴿وَيَذْهَبَ بِكُمْ﴾، قال مجاهد: نُصرتكم. وقال السدي: جراءتكم وجدكم. وقال مقاتل بن حيان: حدثكم. وقال النصر بن شميل: قوتكم. وقال الأخفش: دولتكم. والريح هاهنا

الْفُصُولُ بشفير الوادي الأقصى من المدينة، والقصوى تانيث الأقصى قرأ ابن كثير وأهل البصرة (بالعدوة) بكسر العين فيهما والباقون بضمهما، وهما لغتان: كالكسوة والكسوة والرشوة والرشوة. ﴿وَالرَّكْبُ﴾، يعني: العير يريد أبا سفيان وأصحابه، ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾، أي: في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر، على ثلاثة أميال من بدر، ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَدِ﴾، وذلك أن المسلمين خرجوا ليأخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها، فالتقوا على غير ميعاد، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَدِ﴾، لقتلكم وكثرة عدوكم، ﴿وَلَكِنْ﴾ الله جمعكم على غير ميعاد، ﴿لِيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾، من نصر أوليائه وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، أي: ليموت من يموت على بينة رآها وعبرة عاينها وخجة قامت عليه. ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، ويعيش من يعيش على بينة لوعده: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً). وقال محمد ابن إسحاق: معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه، ويؤمن من آمن على مثل ذلك، فالهلاك هو الكفر والحياة هي الإيمان. وقال قتادة: ليضل من ضل عن بينة ويهدي من اهتدى على بينة. قرأ أهل الحجاز وأبو بكر ويعقوب (حَيَّ) بيائين مثل (خشي) وقرأ الآخرون بياء واحدة مشددة لأنه مكتوب بياء واحدة. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾، لدعائكم، ﴿عَلِيمٌ﴾، بنياتكم.

[٤٣] قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ﴾، ؟ يريك يا محمد المشركين، ﴿فِي مَنَامِكَ﴾، أي: نومك. وقال الحسن: في منامك أي في عينك، لأن العين موضع النوم. ﴿قَلِيلًا وَلَوْ أَرْسَلْنَاهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ﴾، لجبتم ﴿وَلَنَنْزَعَنَّ﴾، أي: اختلقتم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾، أي: في الإحجام والإقدام، ﴿وَلَنَكْنَنَ اللَّهُ سَلَمٌ﴾، أي: سلّمكم من المخالفة والفسل،

سُورَةُ الْاَنْفَالِ

١٨٣

سُورَةُ الْاَنْفَالِ

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرَاوِرٍ أَلْسِنَةٍ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لِغَالِبٍ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّهُمْ ذَلِكَ إِنَّهُمْ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾
وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ
بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ الْعَبِيدِ ﴿٥١﴾
كَذَّابٌ أَلْ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

[٤٨] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾، وكان تزيينه أن قريشاً لما اجتمعت للسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من الحرب، فكاد ذلك أن يشيهم فجاء إبليس في صورة سراقه بن الشياطين معه رايته فتبدى لهم في صورة سراقه بن مالك بن جعشم، ﴿وَقَالَ﴾، لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ﴾، أي: مجير

(١) رواه البخاري في الاستسقاء ٥٢٠/٢ والمغازي، ومسلم في الاستسقاء رقم (٩٠٠) ٦١٧/٢ ورواه الإمام أحمد في مسنده ج ١/٢٢٣، ٢٢٨ والمصنف في شرح السنة ٣٨٧/٤. (٢) أخرجه أبو داود في الجهاد ٧/٤ والترمذي في السير ٢٣٨/٥ وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم ١١٦/٢ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي والإمام أحمد في المسند ٤٤٤/٥، ٤٤٥. (٣) رواه البخاري في الجهاد ١٣٠/٦ ومسلم في الجهاد والسير رقم (١٧٤٢) ٣/١٣٦٢ والمصنف في شرح السنة ٣٩، ٣٨/١١.

كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد، تقول العرب: هبت ريح فلان إذا أقبل أمره على ما يريد. قال قتادة وابن زيد: هو ريح النصر لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله عز وجل تضرب وجوه العدو. ومنه قول النبي ﷺ: «نُصِرْتُ بِالْصَّبَا وَأَهْلَكْتُ عَادَ بِالْدُبُورِ»^(١)، وعن النعمان بن مقرن قال: شهدت مع رسول الله ﷺ فكان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر^(٢). قوله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيف»^(٣).

[٤٧] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرَاوِرٍ﴾، فخراً وأشراً، ﴿وَرِثَاءَ النَّاسِ﴾، قال الزجاج: البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها، والرياء: إظهار الجميل ليُرى وإبطان القبيح، ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾، نزلت في المشركين حين أقبلوا إلى بدر ولهم بغي وفخر، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تَجَادِلُكَ وتُكَذِّبُ رسولَكَ، اللهم فنصرك الذي وعدتني»، قالوا: لما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش إنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم فقد نجاها الله، فارجعوا، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، - وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام - فنفقهم بها ثلاثاً فنحروا الجزور ونطعموا الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا أبداً، فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان، فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم وأمرهم بإخلاص النية والحسبة في نصر دينه ومؤازرة نبيه ﷺ.

لَكُمْ مِنْ كُنَانِهِ، ﴿فَلَمَّا تَرَآتِ الْفَلَاسِيفَ﴾، أي: التقى الجمعان رأى إبليس أثر الملائكة، نزلوا من السماء وعلم أنه لا طاقة له بهم، ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ﴾ قال الضحاك: ولى مدبراً. وقال النضر بن شميل: رجع القهقري على قفاه هارباً. قال الكلبي: لما اتقوا كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقه أخذ بيد الحارث بن هشام، فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: أفراراً من غير قتال؟ فجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق وانهزم الناس، فلما قدموا مكة قالوا: هزم الناس سراقه فبلغ ذلك سراقه، فقال: بلغني أنكم تقولون إني هزمت الناس، فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم، فقالوا: أما آتيتنا في يوم كذا؟ فحلف لهم، فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان. قال الحسن في قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾، قال: رأى إبليس جبريل معتجراً ببرد يمشي بين يدي النبي ﷺ، وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب بعد. وقال قتادة: كان إبليس يقول: إني أرى ما لا ترون وصدق. وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾، وكذب والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة به ولا منعة فأوردهم وأسلمهم، وذلك عادة عدو الله لمن أطاعه إذا التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم. وقال عطاء: إني أخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك. وقال الكلبي: خاف أن يأخذه جبريل عليه السلام ويعرف حاله فلا يطيعوه. قيل: معناه إني أخاف الله أي أعلم صدق وعده لأوليائه لأنه كان على ثقة من أمره. ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. قيل: معناه إني أخاف الله عليكم والله شديد العقاب. وقيل: انقطع الكلام عند قوله أخاف الله ثم يقول الله: والله شديد العقاب.

لَكُمْ مِنْ كُنَانِهِ، ﴿فَلَمَّا تَرَآتِ الْفَلَاسِيفَ﴾، أي: التقى الجمعان رأى إبليس أثر الملائكة، نزلوا من السماء وعلم أنه لا طاقة له بهم، ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ﴾ قال الضحاك: ولى مدبراً. وقال النضر بن شميل: رجع القهقري على قفاه هارباً. قال الكلبي: لما اتقوا كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقه أخذ بيد الحارث بن هشام، فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: أفراراً من غير قتال؟ فجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق وانهزم الناس، فلما قدموا مكة قالوا: هزم الناس سراقه فبلغ ذلك سراقه، فقال: بلغني أنكم تقولون إني هزمت الناس، فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم، فقالوا: أما آتيتنا في يوم كذا؟ فحلف لهم، فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان. قال الحسن في قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾، قال: رأى إبليس جبريل معتجراً ببرد يمشي بين يدي النبي ﷺ، وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب بعد. وقال قتادة: كان إبليس يقول: إني أرى ما لا ترون وصدق. وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾، وكذب والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة به ولا منعة فأوردهم وأسلمهم، وذلك عادة عدو الله لمن أطاعه إذا التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم. وقال عطاء: إني أخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك. وقال الكلبي: خاف أن يأخذه جبريل عليه السلام ويعرف حاله فلا يطيعوه. قيل: معناه إني أخاف الله أي أعلم صدق وعده لأوليائه لأنه كان على ثقة من أمره. ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. قيل: معناه إني أخاف الله عليكم والله شديد العقاب. وقيل: انقطع الكلام عند قوله أخاف الله ثم يقول الله: والله شديد العقاب.

[٤٩] قوله تعالى: ﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَلَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، شك ونفاق، ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ

[٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾، يا محمد، ﴿إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرِيخُونَ﴾، أي: يقبضون أرواحهم. اختلفوا فيه، قيل: هذا عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط النار. وقيل: أراد الذين قتلوا من المشركين بيد كانت الملائكة يضربون ﴿وُجُوهُهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾، قال سعيد بن جبير ومجاهد: يريد أستاذهم لكن الله حيي كني. قال ابن عباس: كان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم إلى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف، وإذا ولّوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم. وقال ابن جريج: يريد ما أقبل منهم وما أدبر، أي: يضربون أجسادهم كلها، والمراد بالتوفي القتل. ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: وتقول لهم الملائكة: ذوقوا عذاب الحريق. وقيل: كان مع الملائكة مقامع من حديد يضربون بها الكفار، فتلتهب النار في جراحتهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. وقال الحسن: هذا يوم القيامة تقول لهم خزنة جهنم: ذوقوا عذاب الحريق. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يقولون لهم ذلك بعد الموت.

[٥١] ﴿ذَلِكَ﴾، أي: ذلك الضرب الذي وقع بكم، ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾، أي: بما كسبت أيديكم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَمِيدِ﴾. [٥٢] ﴿كَذَٰبٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾، كفعل آل فرعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨٤

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّابٌ ءَالُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِنَّمَا تَتَّفِقْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَتَرُدُّبِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ سَبَقُوا أَنْتُمْ لَا يَعْجَزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَأَمَّا تَتَّقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يُوَفِّي الْيَكْمَ وَأَنَّهُ لَا تَظْلُمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

ومالوا الكفار على رسول الله ﷺ يوم الخندق، وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فوافقهم على مخالفة النبي ﷺ، ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾، لا يخافون الله تعالى في نقض العهد.

﴿٥٧﴾ ﴿فَأَمَّا تَتَّقْنَهُمْ﴾، تجدنهم، ﴿فِي الْحَرْبِ﴾، قال مقاتل: إن أدركتهم في الحرب وأسرتهم، ﴿فَتَرُدُّبِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ﴾، قال ابن عباس: فنكل بهم من وراءهم. وقال سعيد بن جبير: أنذر بهم من خلفهم. وأصل التشريد: التفريق والتبديد، معناه فرق بهم جمع كل ناقض، أي: افعل بهؤلاء الذين نقضوا عهذك وجاؤوا لحربك فعلاً من القتل والتكيل، يَفَرُّكَ مِنْكَ وَيَخَافُكَ مَنْ خَلَفَهُمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ، ﴿عَلَهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، يتذكرون ويعتبرون فلا ينقضون العهد.

﴿٥٨﴾ ﴿وَإِنَّمَا تَخَافُ﴾، أي: تعلمن يا محمد،

وصنيعهم وعادتهم، معناه: أن عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون. قال ابن عباس: هو أن آل فرعون أيقنوا أن موسى نبي من الله فكذبوه، كذلك هؤلاء جاءهم محمد ﷺ بالصدق فكذبوه، فأنزل الله بهم عقوبة كما أنزل بال فرعون. ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿٥٣﴾ ﴿ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، أراد أن الله تعالى لا يغير ما أنعم على قوم حتى يغيروا هم ما بهم بالكفران وترك الشكر، فإذا فعلوا ذلك غير الله ما بهم، فسلبهم النعمة. وقال السدي: نعمة الله محمد ﷺ أنعم الله به على قريش وأهل مكة، فكذبوه وكفروا به فقله الله إلى الأنصار، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿٥٤﴾ ﴿كَذَّابٌ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾، كصنع آل فرعون، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من كفار الأمم، ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾، أهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ وبعضهم بالريح وبعضهم بالغرق، فكذلك أهلكنا كفار بدر بالسيف لما كذبوا بآيات ربهم، ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾، يعني الأولين والآخرين.

﴿٥٥﴾ ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قال الكلبي ومقاتل: يعني يهود بني قريظة منهم كعب بن الأشرف وأصحابه.

﴿٥٦﴾ ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾، يعني عاهدتهم وقيل: أي: عاهدت معهم. وقيل: أدخل ﴿مَنْ﴾ لأن معناه أخذت منهم العهد، ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾، وهم بنو قريظة نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وأعانوا المشركين بالسلاح على قتال النبي ﷺ وأصحابه، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا فعاهدتهم الثانية، فنقضوا العهد

الصحابه رضي الله عنهم يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف وإناث الخيل عند البيات والغارات، عن عامر حدثنا عروة البارقي أن النبي ﷺ قال: «الخيْلُ معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، والأجر والمغنم»^(٣). وقال النبي ﷺ: «مَنْ احْتَسَبَ فِرْسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنْ شَبِعَهُ وَرِيَهُ وَرَوَّثَهُ وَبَوَلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤). «تُرْهِبُونَ بِهِ»، تُخَوِّفُونَ «عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ»، أي: وترهبون آخرين، «مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ»، قال مجاهد ومقاتل وقادة: هم بنو قريظة. وقال السدي: هم أهل فارس. وقال الحسن وابن زيد: هم المنافقون، لا تعلمونهم لأنهم معكم يقولون: لا إله إلا الله. وقيل: هم كفار الجن. «وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ»، يُوفَّى لَكُمْ أَجْرَهُ، «وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ»، لا تنقص أجوركم.

[٦١] قوله تعالى: «وَأِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ»، أي: مالوا إلى الصلح، «فَاجْنَحْ لَهَا»، أي: مل إلى إليها وصالحهم. روي عن قتادة والحسن: أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم). «وَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ»، ! ثق بالله، «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

[٦٢] «وَأِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ»، يغدروا ويمكروا بك. قال مجاهد: يعني بني قريظة. «فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ»، كافيك الله، «هُوَ الَّذِي يَدْرَأُ عَنَّا الْفِتْنَةَ وَيُؤَيِّدُ الْبَاقِيَ»^(١)، أي: بالأنصار.

[٦٣] «وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ»، أي بين الأوس والخزرج كانت بينهم إحن وثارات في الجاهلية

«مِنْ قَوْمٍ»، معاهدين، «خِيَانَةً»، نقض عهد بما يظهر لكم منهم من آثار الغدر كما ظهر من قريظة والنضير، «فَأَنْيَذُ إِلَيْهِمْ»، فاطرح إليهم عهدهم، «عَلَى سَوَاءٍ»، يقول: أعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء، فلا يهتموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب معهم، «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنَافِقِينَ».

[٥٩] قوله تعالى: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا»، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحزمة وحفص «يَحْسَبَنَّ» بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، «سَبَقُوا» أي: فاتوا، نزلت في الذين انهزموا يوم بدر من المشركين، فمن قرأ بالياء يقول: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا»، أنفسهم سابقين فاتئين من عذابنا، ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب. قرأ ابن عامر: «أَنْتُمْ لَا يُعْجِزُونَ» بفتح الألف، أي: لأنهم لا يعجزون، ولا يفوتوني، وقرأ الآخرون بكسر الألف على الابتداء.

[٦٠] قوله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ»، الإعداد: اتخاذ الشيء لوقت الحاجة. «مِنْ قُوَّةٍ»، أي: من الآلات التي تكون لكم قوة عليهم من الخيل والسلاح. عن أبي علي ثمامة بن شُعَيْبٍ أنه سمع عقبة بن عامر يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي»^(١). وبهذا الإسناد قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله عز وجل فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه»^(٢) قوله: «وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ»، يعني:

ربطها واقتناؤها للغزو. وقال عكرمة: القوة الحصون ومن رباط الخيل الإنانث. وروي عن خالد بن الوليد أنه كان لا يركب في القتال إلا الإنانث لقلّة صهيلها. وعن أبي محيريز قال: كان

(١) أخرجه مسلم في الإمارة رقم (١٩١٧) ٣/١٥٢٢. (٢) أخرجه مسلم في الموضع السابق. (٣) أخرجه البخاري في الجهاد ٥٦/٦ ومسلم في الإمارة (١٨٧٢) ١٤٩٣. (٤) أخرجه البخاري في الجهاد ٥٧/٦ والمصنف في شرح السنة ٣٨٨/١٠.

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

١٨٥

الْمُؤْمِنِينَ

وَأِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَدْكُ
يَضْرُوهُ وَيَالِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَلْفَ يَتِ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقَتْ
مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ يَتِ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ
اللَّهَ أَلْفَ يَتِ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٥﴾ يَتِهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ
اللَّهُ وَمَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾ يَتِهَا النَّبِيُّ حَرِضُ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبْرُونَ
يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مَنِ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٧﴾ أَلَنْ خَفَّفَ
اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَّمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ
يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ
لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخْرِجَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُوتَ عَرْضِ الدُّنْيَا
وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٩﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ
اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧٠﴾ فَكُلُوا وَمِمَّا
عَنَمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَنْفِقُوا وَاللَّهُ إِنَّا اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧١﴾

فصيرهم الله إخوانًا بعد أن كانوا أعداء، ﴿لَوْ أَنْفَقَتْ
مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ يَتِ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ
اللَّهَ أَلْفَ يَتِ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[٦٤] قوله تعالى: ﴿يَتِهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ اللَّهُ وَمَنْ
أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال سعيد بن جبير: أسلم مع
رسول الله ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلًا وست نسوة، ثم
أسلم عمر بن الخطاب فتم به الأربعون، فنزلت
هذه الآية، واختلفوا في محل ﴿مَنْ﴾ فقال أكثر
المفسرين محله خفض، عطفًا على الكاف في
قوله: ﴿حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ وحسب من اتبعك، وقال
بعضهم: هو رفع عطفًا على اسم الله معناه: حسبك
الله ومتبعوك من المؤمنين.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿يَتِهَا النَّبِيُّ حَرِضُ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَى الْقِتَالِ﴾، أي: حُثُّهم على القتال. ﴿إِنْ يَكُنْ
مِنْكُمْ عَشْرُونَ﴾، رجلًا، ﴿صَبْرُونَ﴾، محتسبون،
﴿يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾، من عدوهم يقهروهم، ﴿وَإِنْ يَكُنْ
مِنْكُمْ مِائَةٌ﴾، صابرة محتسبة، ﴿يَغْلِبُوا أَلْفًا مَنِ
الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ذلك ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾،
أي: إن المشركين يقاتلون على غير احتساب ولا
طلب ثواب ولا يثبتون إذا صدقتموهم القتال خشية
أن يُقْتَلُوا، وهذا خبر بمعنى الأمر وكان هذا يوم
بدر فرض الله على الرجل الواحد من المؤمنين قتال
عشرة من الكافرين، فثقلت على المؤمنين، فخفف
الله عنهم، فنزل:

[٦٦] ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَّمَ أَنَّ فِيكُمْ
ضَعْفًا﴾، أي: ضعفًا في الواحد عن قتال العشرة
وفي المائة عن قتال الألف، وقرأ أبو جعفر:
﴿ضَعْفَاءُ﴾ بفتح العين والمد على الجمع وقرأ
الآخرون بسكون العين، ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾، من الكفار، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ
أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، فردَّ
من العشرة إلى الاثنين فَإِنْ كان المسلمون على
الشر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا. وقال

سفيان قال ابن شبرمة: وأرى الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر مثل هذا.

[٦٧] وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ
أَسْرَى﴾، قرأ أبو جعفر وأهل البصرة: ﴿تَكُونَ﴾
بالتاء والباقون بالياء، وقرأ أبو جعفر: (أَسَارَى)،
والآخرون: (أَسْرَى)، عن عبدالله بن مسعود رضي
الله عنه قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى،
فقال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في هؤلاء؟» فقال
أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك فاستبقهم
واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم، وحُذِّ منهم
فدية تكون لنا قوة على الكفار، وقال عمر رضي الله
عنه: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدّمهم نضرب
أعناقهم، وقال عبدالله بن رواحة: يا رسول الله
انظر واديًا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرم
عليهم نارًا، فسكت رسول الله ﷺ فلم يُجبههم، ثم

المحفوظ بأنه يحلّ لكم الغنائم. وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحدًا ممن شهد بدراً مع النبي ﷺ. وقال ابن جريج: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يضل قومًا بعد إذ هداهم حتى يُبينَ لهم ما يتقون، وأنه لا يأخذ قومًا فعلوا أشياء بجهالة. ﴿لَمَسْكُم﴾، لنالكم وأصابكم، ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾، من الفداء قبل أن تؤمروا به ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٦٩] ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، روي أنه لما نزلت الآية الأولى كفّ أصحاب رسول الله ﷺ أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزل: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ الآية. ورؤينا عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي».

[٧٠] قوله تعالى: ﴿بَيَّأْنَا الْإِنِّي قُلْ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأَسْرَى﴾، قرأ أبو عمرو وأبو جعفر: ﴿مِنَ الْأَسَارَى﴾ بالآلف والباقون بلا ألف، نزلت في العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وكان أسير يوم بدر وكان قد خرج بعشرين أوقية من الذهب ليطعم بها الناس، فأراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا وبقيت العشرون أوقية معه، فأخذت منه في الحرب، فكلم النبي ﷺ أن يحتسب العشرين أوقية من فدائه فأبى وقال: «أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا أتركه لك»، وكلف فداء ابني أخيه عقيل ابن أبي طالب ونوفل بن الحارث، فقال العباس: يا محمد تركتني أتكفف قريشًا ما بقيت؟ فقال رسول الله ﷺ: «فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم»، يعني بنيه الأربعة، فقال له العباس: وما يدريك؟ (١) صحيح. أخرجه مسلم (٥٨/١٧٦٣) كتاب الجهاد والسير، وله شواهد كثيرة.

قال رسول الله ﷺ: «أنتم اليوم عالة فلا يفلتنّ منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق». قال ابن عباس: قال عمر بن الخطاب: فهو ي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة من رسول الله ﷺ - وأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَبَّطَ فِي الْأَرْضِ﴾» (١). قوله: ﴿أَسْرَى﴾ جمع أسير مثل قتلى وقتيل. قوله: ﴿حَتَّى يَتَخَبَّطَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يبالغ في قتال المشركين وأسرهم، ﴿تُرِيدُونَ﴾، أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ بأخذكم الفداء، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾، يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصركم دين الله عز وجل، ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَكِيمٌ﴾، وكان الفداء لكل أسير أربعين أوقية، والأوقية أربعون درهماً. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان هذا يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل، فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله في الأسارى: (فِيمَا مَتَّأ بَعْدُ وَإِذَا فِدَاءٌ)، فجعل الله عز وجل نبيه ﷺ والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار إن شاؤوا قتلوههم وإن شاؤوا أعتقوهم، وإن شاؤوا استعبدوهم، وإن شاؤوا فادّوهم.

[٦٨] قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾، قال ابن عباس: كانت الغنائم حرامًا على الأنبياء والأمم فكانوا إذا أصابوا شيئًا من الغنائم جعلوه للقربان، فكانت تنزل نار من السماء فتأكله، فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في الغنائم وأخذوا الفداء، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾، يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح

الْمَدِينَةِ

١٨٦

سُورَةُ الْاَنْفَالِ

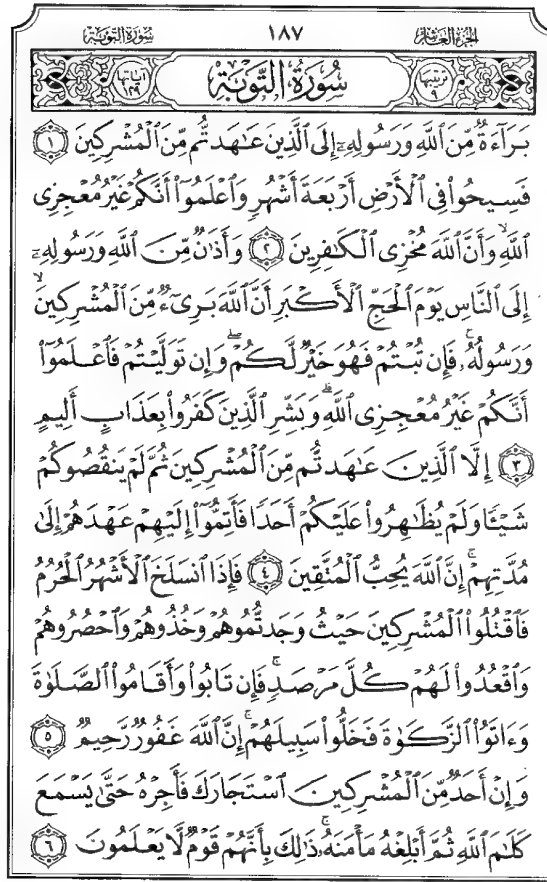
يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبُ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُوَفِّيكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهِجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يَهِجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ وَأَفْسَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ وَأَمْعَهُمْ فَاُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

قال: أخبرني به ربي عز وجل، قال العباس: أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، ولم يطلع عليه أحد إلا الله عز وجل، فذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبُ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ الذين أخذتم منهم الفداء ﴿إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾، أي: إيمانًا، ﴿يُوَفِّيكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾، من الفداء، ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾، ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قال العباس رضي الله عنه: فأبدلني الله عنها عشرين عبدًا كلهم تاجر يضرب بمال كثير وأدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان عشرين أوقية، وأعطاني زمزم وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربي عز وجل.

[٧١] قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾، يعني الأسارى، ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾، ببدر، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قال ابن جريج: أراد بالخيانة الكفر، أي: إن كفروا بك فقد كفروا بالله من قبل فأمكن منهم المؤمنين ببدر حتى قتلوهم وأسروهم، وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى قتال المؤمنين ومعاداتهم.

[٧٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾، أي: هجروا قومهم وديارهم، يعني المهاجرين من مكة، ﴿وَجْهَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ رسول الله ﷺ والمهاجرين معه، أي: أسكنوهم منازلهم ﴿وَنَصَرُوا﴾ أي: ونصروهم على أعدائهم وهم الأنصار رضي الله عنهم، ﴿أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، دون أقربائهم من الكفار. قيل: في العون والنصرة. وقال ابن عباس: في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة، فكان المهاجرون والأنصار يتوارثون دون ذوي الأرحام، وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة وتوارثوا بالأرحام حيث ما كانوا، وصار ذلك منسوخًا بقوله عز وجل:

(وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ)، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهِجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، يعني الميراث، ﴿حَتَّىٰ يَهِجِرُوا﴾، قرأ حمزة (وَلِيَّتِهِمْ) بكسر الواو والباقون بالفتح، وهما واحد كالدلالة والدلالة. ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾، أي: استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا، ﴿فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾، عهد فلا تنصروهم عليهم، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. [٧٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، في العون والنصرة. وقال ابن عباس: في الميراث، أي: يرث المشركون بعضهم من بعض ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به. وقال ابن جريج: إلا تعاونوا وتناصروا. وقال ابن إسحاق: جعل الله المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين



بدر، قال: قلت: سورة الحشر؟ قال: قل سورة بني النضير.

[١] قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، أي: هذه براءة من الله. وهي مصدر كالنشاء والدعاء. قال المفسرون: لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك كان المنافقون يرجفون الأراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودًا كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فأمر الله عز وجل بتنقض عهودهم، وذلك قوله عز وجل: (وَأَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمِ خِيَانَةٍ الْآيَةِ). قال الزجاج: براءة أي: قد برى الله ورسوله من إعطائهم العهود والوفاء لهم بها إذا نكثوا، ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، الخطاب مع أصحاب النبي ﷺ وإن كان النبي ﷺ هو الذي عاهدهم وعاهدهم، لأنه وأصحابه راضون بذلك، فكانهم عاقدوا وعاهدوا.

دون من سواهم، وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض، ثم قال: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾، وهو أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمن ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، فالفتنة في الأرض قوة الكفر، والفساد الكبير ضعف الإسلام.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ لا مرية ولا ريب في إيمانهم. قيل: حققوا إيمانهم بالهجرة والجهاد وبذل المال في الدين، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة. فإن قيل: أي معنى في تكرار هذه الآية؟ قيل: المهاجرون كانوا على طبقات فكان بعضهم أهل الهجرة الأولى وهم الذين هاجروا قبل الحديبية، وبعضهم أهل الهجرة الثانية وهم الذين هاجروا بعد صلح الحديبية قبل فتح مكة، وكان بعضهم ذا هجرتين: هجرة الحبشة والهجرة إلى المدينة، فالمراد من الآية الأولى الهجرة الأولى. ومن الثانية الهجرة الثانية.

[٧٥] قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ﴾ أي: معكم، يريد أنتم منهم وهو منكم، ﴿وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، وهذا نسخ التوارث بالهجرة ورد الميراث إلى ذوي الأرحام. قوله: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، أي: في حكم الله عز وجل. وقيل: أراد بكتاب الله القرآن، يعني: القسمة التي بيّنها في سورة النساء ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ﴾.

(٩) سُورَةُ التَّوْبَةِ

قال مقاتل: هذه السورة مدنية كلها إلا آيتين من آخر السورة. قال سعيد بن جبیر: قلت لابن عباس سورة التوبة؟ قال: هي الفاضحة ما زالت تنزل فيهم حتى ظنوا أنها لم تبق أحدًا منهم إلا ذكر فيها، قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: تلك سورة

وقال عبدالله بن الحارث بن نوفل: يوم الحج الأكبر الذي حج فيه رسول الله ﷺ. وهو قول ابن سيرين، لأنه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود والنصارى والمشركين، ولم يجتمع قبله ولا بعده، واختلفوا في الحج الأكبر، فقال مجاهد: الحج الأكبر القران، والحج الأصغر أفراد الحج. وقال الزهري والشعبي وعطاء: الحج الأكبر الحج، والحج الأصغر العمرة. قيل لها الأصغر لنقصان أعمالها. قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾، أي: ورسوله أيضًا بريء من المشركين. وقرأ يعقوب بنصب اللام أي: إن الله ورسوله بريء، ﴿فَإِنْ تَسُئِمُوا﴾، رجعتكم من كفركم وأخلصتم التوحيد، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾، أعرضتم عن الإيمان، ﴿فَاعْلَمُوا أَنكُمُ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

[٤] ﴿يَا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، هذا استثناء من قوله: (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) إلا من عهد الذين عاهدتم من المشركين، وهم بنو ضمرة حي من كنانة، أمر الله تعالى رسوله ﷺ بإتمام عهدهم إلى مدتهم، وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر، وكان السبب فيه أنهم لم ينقضوا العهد، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿تُمْ لَمْ يَنْقُضُوكُمْ شَيْئًا﴾ من عهدهم الذي عاهدتموهم عليه، ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾، لم يعاونوا، ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾، من عدوكم. وقرأ عطاء بن يسار: (لَمْ يَنْقُضُوكُمْ) بالضاد المعجمة من نقض العهد، ﴿فَأَتَوْا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾، فأوفوا لهم بعهدهم، ﴿إِلَىٰ مَدِينَتِهِمْ﴾، إلى أجلهم الذي عاهدتموهم عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٥] قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ﴾، انقضى ومضى ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ﴾، قيل: هي الأشهر الأربعة رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم. وقال مجاهد وابن إسحاق: هي شهور العهد فمن كان له عهده

[٢] ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾، رجع من الخبر إلى الخطاب، أي: قل لهم سيعوا أي سيروا في الأرض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحدًا من المسلمين، ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾، أي: غير فائتين ولا سابقين ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾، أي: مذلهم بالقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة. واختلف العلماء في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذي برىء الله ورسوله إليهم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فقال جماعة: هذا تأجيل من الله تعالى للمشركين، فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه إلى أربعة أشهر، ومن كانت مدته أكثر من أربعة أشهر حطه إلى أربعة أشهر ومن كانت مدة عهده بغير أجل محدود حده بأربعة أشهر، ثم هو حرب بعد ذلك لله ورسوله، فيقتل حيث يدرك ويؤسر، إلا أن يتوب، وابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من شهر ربيع الآخر، فأما من لم يكن له عهد فإنما أجله انسلاخ الأشهر الحرم، وذلك خمسون يومًا. وقال الزهري: الأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، لأن هذه الآية نزلت في شوال، والأول هو الأصوب وعليه الأكثرون.

[٣] ﴿وَأَذِّنْ﴾ عطف على قوله: (براءة) أي: إعلام. ومنه الأذان بالصلاة، يقال: أذنته فأذن أي أعلمته. وأصله من الأذن أي أوقعته في أذنه، ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾، اختلفوا في يوم الحج الأكبر، وروى عكرمة عن ابن عباس: أنه يوم عرفة. وروى ذلك عن عمر بن الخطاب وابن الزبير. وقال جماعة: هو يوم النحر. وروى ابن جريج عن مجاهد: يوم الحج الأكبر حين الحج أيام منى كلها. وكان سفيان الثوري يقول: يوم الحج الأكبر أيام منى كلها، مثل يوم صفين ويوم الجمل ويوم بُعث يُراد به الحين والزمان، لأن هذه الحروب دامت أيامًا كثيرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨٨

سُورَةُ التَّوْبَةِ

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَفُضِّلَ الْأَيْتُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُواكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

يعلمون دين الله وتوحيده فهم محتاجون إلى سماع كلام الله. قال الحسن: هذه الآية محكمة إلى يوم القيامة.

[٧] قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾، هذا على وجه التعجب، ومعناه جحد، أي: لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد، ثم استثنى فقال جلّ وعلا: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، قال ابن عباس: هم قريش. وقال قتادة: هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله ﷺ يوم الحديبية. قال الله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ﴾، أي: على العهد، ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾، فلم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بني بكر على خراعة، فضرب لهم رسول الله ﷺ بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم إما أن يسلموا وإما أن

فعهده أربعة أشهر، ومن لا عهد له فأجله إلى انقضاء المحرم خمسون يومًا. وقيل لها حُرْمٌ لأن الله تعالى حرّم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم. فإن قيل: هذا القدر بعض الأشهر الحرم والله تعالى يقول: (فإذا انسلخ الأشهر الحرم)؟ قيل: لما كان هذا القدر متصلًا بما مضى أطلق عليه اسم الجمع، ومعناه: مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلخ الأشهر الحرم. قوله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾، في الحل والحرم، ﴿وَحَذَرُوهُمْ﴾، وأسروهم، ﴿وَأَحْصَرُوهُمْ﴾، أي: احبسوهم. قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد إن تحصنوا فاحصروهم، أي: امنعوا من الخروج. وقيل: امنعوا من دخول مكة والتصرف في بلاد الإسلام. ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾، أي: على كل طريق، والمرصد الموضع الذي يرقب فيه العدو من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته، يريد كونوا لهم رصدًا لتأخذوهم من أي وجه توجهوا. وقيل: اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها، ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾، من الشرك، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، يقول دعوهم فليصرفوا في أمصارهم ويدخلوا مكة، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾، لمن تاب، ﴿رَحِيمٌ﴾ به. وقال الحسين بن الفضل: هذه الآية نسخت كل آية في القرآن فيها ذكر الإعراض والصبر على أذى الأعداء.

[٦] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾، أي: وإن استجارك أحد من المشركين الذين أمرتكم بقتالهم وقتلهم، أي: استأمنك بعد انسلخ الأشهر الحرم لسمع كلام الله. ﴿فَأَجِرْهُ﴾، فأعذه وآمنه، ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾، فيما له وعليه من الثواب والعقاب، ﴿ثُمَّ أَلْبِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾، أي: إن لم يسلم أبلغه مأمنه، أي: الموضع الذي يأمن فيه وهو دار قومه، فإن قاتلك بعد ذلك فقد رت عليه فاقتله، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي: لا

فَاسِقُونَ؟ قيل: أراد بالفسق نقض العهد ههنا وكان في المشركين من وفى بعهده وأكثرهم نقضوا فلهذا قال: (وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ).

[٩] ﴿أَشْرَوْا بِبَايَةِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، وذلك أنهم نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ بأكلة أطعمهم إياها أبو سفيان. قال مجاهد: أطعم أبو سفيان حلفاءه، ﴿فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ﴾، فمنعوا الناس من الدخول في دين الله. وقال ابن عباس رضي الله عنه: إن أهل الطائف أمدوهم بالأموال ليقوهم على حرب رسول الله ﷺ. ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ بَشَرٌ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

[١٠] ﴿لَا يَرْجُونَ فِي مَوْتٍ إِلَّا وَلَا ذَمًّا﴾، يقول: لا تبقوا عليهم أيها المؤمنون كما لا يقولون عليكم لو ظهروا ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَدُونَ﴾ بنقض العهد.

[١١] ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾، من الشرك، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَنُّوهُمْ﴾، فهم إخوانكم، ﴿فِي الدِّينِ﴾، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، ﴿وَنُقْضُ الْأَيْمَنُ﴾، نبين الآيات ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس: حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة. قال ابن مسعود: أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له.

[١٢] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُونُوا تَائِبِينَ﴾، نقضوا عهودهم، ﴿مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾، عقدهم يعني مشركي قريش، ﴿وَوُطِّعُوا﴾، قدحوا ﴿فِي دِينِكُمْ﴾، وعابوه. فهذا دليل على أن الذمي إذا طعن في دين الإسلام ظاهراً لا يبقى له عهد، ﴿فَقَتِلُوا أَيْمَةً الْكُفْرِ﴾، قرأ أهل الكوفة والشام: (أئمة) بهزتين حيث كان، وقرأ الباقون بتلين الهمزة الثانية. وأئمة الكفر: رؤوس المشركين وقادتهم من أهل مكة. قال ابن عباس: نزلت في أبي سفيان بن حرب وأبي جهل بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش يومئذ الذين نقضوا العهد، وهم الذين هموا بإخراج الرسول. وقال مجاهد:

يلحقوا بأي بلاد شاؤوا، فأسلموا قبل الأربعة الأشهر. قال السدي والكلبي وابن إسحاق: هم قبائل من بكر بنو خزيمة وبنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الدليل، وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية فلم يكن نقض العهد إلا قريش وبنو الدليل من بني بكر، فأمر بإتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة. وهذا القول أقرب إلى الصواب لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة، فكيف يقول لشيء قد مضى: ﴿فَمَا اسْتَقَمُّوْا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ وإنما هم الذين قال عز وجل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ كما نقضكم قريش، ولم يظاهروا عليكم أحداً كما ظهرت قريش بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٨] قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾، هذا مردود على الآية الأولى تقديره: كيف يكون لهم عهد عند الله وإن يظهروا عليكم، ﴿لَا يَرْجُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذَمًّا﴾، قال الأخفش: كيف لا تقتلونهم وهم إن يظهروا عليكم، أي: يظفروا بكم، لا يرقبوا: لا يحفظوا. وقال الضحاك: لا ينتظروا. وقال قطرب: لا يراعوا فيكم إلا. قال ابن عباس والضحاك: قرابة وقال يمان: رحماً. وقال قتادة الإل: الحلف. وقال السدي: هو العهد. وكذلك الذمة إلا أنه كرر لاختلاف اللفظين. وقال أبو مجلز ومجاهد: الإل هو الله عز وجل، والدليل على هذا التأويل قراءة عكرمة (لَا يَرْجُونَ فِي مَوْتٍ إِلَّا) بالياء، يعني الله عز وجل. مثل جبرائيل وميكائيل. ولا ذمة أي: عهداً. ﴿يُرْضَوْنَكُمْ بِأَنُوهِهِمْ﴾، أي: يطيعونكم بألستهم خلاف ما في قلوبهم، ﴿وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ﴾، الإيمان ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾، فإن قيل: هذا في المشركين وكلهم فاسقون فكيف قال: (وَأَكْثَرُهُمْ

عمرو، ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾.

[١٦] قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾، أظننتم ﴿أَنْ تُتْرَكُوا﴾، قيل: هذا خطاب للمنافقين. وقيل: للمؤمنين الذين شق عليهم القتال، فقال: أم حسبتم أن تُتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تُمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب، ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾، ولم ير الله ﴿الَّذِينَ جَهِدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾، بطانة وأولياء يؤالونهم ويُفشون إليهم أسرارهم. وقال قتادة: وليجة خيانة. وقال الضحاك: خديعة. وقال عطاء: أولياء. وقال أبو عبيدة: كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم. فوليجة الرجل: من يختص بدخيلة أمره دون الناس، يقال: هو وليجتي، وهم وليجتي للواحد والجمع. ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٧] قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما أُسر العباس يوم بدر عيَّره المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم، وأغلظ علي رضي الله عنه القول، فقال العباس: مالكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا؟ فقال له علي رضي الله عنه: ألكم محاسن؟ فقال نعم: إِنَّا لَنَعْمُرُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ونحجُّ الكعبة ونُسقي الحاج، فأَنْزل الله عز وجل ردًّا على العباس: (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ)، أي: ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله، وأوجب على المسلمين منعهم من ذلك، لأن المساجد إنما تعمر لعبادة الله وحده، فمن كان كافرًا بالله فليس من شأنه أن يعمرها فذهب جماعة إلى أنَّ المراد منه العمارة المعروفة من بناء المسجد وممرته عند الخراب فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى به لا يمثل. وحمل بعضهم العمارة ههنا على دخول المسجد والقعود فيه. قال الحسن: ما كان للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل

هم أهل فارس والروم. وقال حذيفة بن اليمان: ما قُوتل أهل هذه الآية ولم يأت أهلها بعد، ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾، أي: لا عهد لهم، جمع يمين. قال قطرب: لا وفاء لهم بالعهد. وقرأ ابن عامر: (لا إيمان لهم) بكسر الألف، أي: لا تصديق لهم ولا دين لهم. وقيل: هو من الأمان أي لا تؤمنوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ﴾، أي: لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم. وقيل: عن الكفر.

[١٣] ثم حضَّ المسلمين على القتال فقال جل ذكره: ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾، نقضوا عهدهم، وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بني بكر على خزاعة. ﴿وَهَكُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾، من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة، ﴿وَهُمْ بَدْءُكُمْ﴾، بالقتال، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، يعني: يوم بدر، وذلك أنهم قالوا حين سلَّم العير: لا ننصرف حتى نستأصل محمدًا وأصحابه. وقال جماعة من المفسرين: أراد أنهم بدأوا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، ﴿أَتَخَشَّنَاهُمْ﴾، اتخافونهم فتركوا قتالهم، ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ في ترك قتالهم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٤] ﴿فَتِلْكَ لَهُمْ يَعِزُّهُمْ اللَّهُ بَأْيَدِيكُمْ﴾، يقتلهم الله بأيديكم، ﴿وَيُخْزِيهِمْ﴾، ويذلهم بالأسر والقهر ﴿وَيَصْرُكُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفُ صُدُورَ قَوْمٍ﴾، ويرى داء قوم، ﴿مُؤْمِنِينَ﴾، مما كانوا ينالونه من الأذى منهم. وقال مجاهد والسدي: أراد صُدُورَ خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ حيث أعانت قريش بني بكر عليهم، حتى نكأوا فيهم فشفى الله صدورهم من بني بكر بالنبي ﷺ وبالمؤمنين.

[١٥] ﴿وَيَذْهَبْ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ﴾، كَرَبَهَا وَوَجَدَهَا بمعونة قريش بني بكر عليهم، ثم قال مستأنفًا ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾، فيهديه إلى الإسلام كما فعل بأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن

سورة التوبة

١٨٩

سورة التوبة

فَتِلْوْهُمْ بَعْدَ بَهِمُ اللَّهِ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجْهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذْهَبْ غِيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

الجنة. عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالإيمان» فإن الله قال: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)^(١).

[١٩] قوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال العباس حين أسر يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنّا نعمار المسجد الحرام، ونُسقي الحاج، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأخبر أن عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا تنفعهم مع الشرك

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان ٣٦٦/٧ وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه في المساجد رقم (٨٠٢) ٢٦٣/١، والدارمي في الصلاة ٢٢٢/١، وصححه ابن حبان ص ٩٩ من موارد الظلم، والحاكم ٢١٢/١، والإمام أحمد في المسند ٧٦، ٦٨/٣.

المسجد الحرام. قرأ ابن كثير وأهل البصرة (مسجد الله) على التوحيد، وأراد به المسجد الحرام، لقوله تعالى: (وعِمارة المسجد الحرام)، ولقوله تعالى: (فلا يقربوا المسجد الحرام)، وقرأ الآخرون: (مساجد الله) بالجمع والمراد منه أيضًا المسجد الحرام. قال الحسن: إنما قال مساجد لأنه قبلة المساجد كلها. قال الفراء: ربما ذهبت العرب بالواحد إلى الجمع وبالجمع إلى الواحد، ألا ترى أن الرجل يركب البرذون فيقول: أخذت في ركوب البراذين، ويقال: فلان كثير الدرهم والدينار، يريد الدراهم والدينارين. وقوله تعالى: ﴿شَهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾، أرادَ وهم شاهدون، فلما طرحت (وهم) نصبت، قال الحسن: لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم بالكفر. وقال الضحاك عن ابن عباس: شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للأصنام، وذلك أن كفار قريش كانوا نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة، كلما طافوا شوطًا سجدوا للأصنامهم، ولم يزدادوا بذلك من الله تعالى إِلَّا بُعْداً. وقال السدي: شهادتهم على أنفسهم بالكفر وهو أن النصراني يُسأل من أنت؟ فيقول: أنا نصراني، واليهودي يقول: أنا يهودي، ويقال للمشرك ما دينك؟ فيقول: مشرك. قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، لأنها لغير الله عزّ وجلّ، ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

[١٨] قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ وَلَمْ يَخْفَ فِي الدِّينِ غَيْرَ﴾ الله لم يترك أمر الله لخشية غيره، ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾، (وعسى) من الله واجب، أي: فأولئك هم المهتدون، والمهتدون هم المتمسكون بطاعة الله عزّ وجلّ التي تؤدي إلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا
 نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ
 عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِبَاءَكُمْ
 وَإِخْوَانَكُمْ أُولَئِكَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ
 وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ
 كَانَ ءِبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
 وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ
 تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ
 فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
 كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ
 تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ
 بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
 عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا
 وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

المتخلفين عن الهجرة، ﴿إِنْ كَانَ ءِبَاؤُكُمْ﴾، وذلك
 لما نزلت الآية الأولى قال الذين أسلموا ولم
 يهاجروا: إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت
 تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا، فنزل ﴿قُلْ
 إِنْ كَانَ ءِبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾،
 قرأ أبو بكر عن عاصم: (عشيرتكم) بالالف على
 الجمع، والآخرين بلا ألف على التوحيد لأن
 العشيرة واقعة على الجمع، ويقوي هذه القراءة أن
 أبا الحسن الأخفش قال: لا تكاد العرب تجمع
 العشيرة على العشيرات، إنما تجمعها على العشائر
 ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ
 تَرْضَوْنَهَا﴾، أي: تستطيعونها يعني القصور
 والمنازل، ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ
 فِي سَبِيلِهِ، فَتَرَبَّصُوا﴾، فانتظروا، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ
 بِأَمْرٍ﴾، قال عطاء: بقضائه. وقال مجاهد

بالله، والإيمان بالله والجهاد مع النبي ﷺ خير مما
 هم فيه (سَقَايَةً) مصدر كالرعاية والحماية. قوله:
 ﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾،
 فيه اختصار تقديره: أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة
 المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله وجهاد من
 جاهد في سبيل الله؟ وقيل: السقاية والعمارة بمعنى
 الساقى العامر، وتقديره: أ جعلتم ساقى الحاج
 وعامر المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر
 وجاهد في سبيل الله؟ وهذا كقوله تعالى: (والعاقبة
 للمتقوى) أي: للمتقين، يدل عليه قراءة عبدالله بن
 الزبير وأبي بن كعب (أ جعلتم سقاة الحاج وعمرة
 المسجد الحرام)، على جمع الساقى والعامر،
 ﴿وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿٢٠﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً﴾ فضيلة ﴿عِنْدَ
 اللَّهِ﴾، من الذين افتخروا بسقاية الحاج وعمارة
 المسجد الحرام ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الناجون من
 النار.

﴿٢١﴾ ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ
 وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ
 عَظِيمٌ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِبَاءَكُمْ
 وَإِخْوَانَكُمْ أُولَئِكَ﴾ بطانة وأصدقاء فتفشون إليهم
 أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة
 والجهاد، ﴿إِنْ اسْتَحَبُّوا﴾، اختاروا ﴿الْكُفْرَ عَلَى
 الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾، فيطلعهم على عورة
 المسلمين ويؤثر المقام معهم على الهجرة والجهاد
 ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، وكان في ذلك الوقت لا
 يُقبل الإيمان إلا من مهاجر، فهذا معنى قوله:
 (فأولئك هم الظالمون).

﴿٢٤﴾ ثم قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء

ومقاتل: بفتح مكة، وهذا أمر تهديد، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، لا يوفق ولا يرشد ﴿الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، الخارجون عن الطاعة.

[٢٥] قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾، أي مشاهد، ﴿كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾، حتى قلتم: لن تغلب اليوم من قلة ﴿فَلَمْ تَغْنِ عَنكُمْ﴾، كثرتكم، ﴿شَيْئًا﴾، يعني إن الظفر لا يكون بالكثرة، ﴿وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾، أي: برحبها وسعتها، ﴿ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدِيرِكٌ﴾، منهزمين.

[٢٦] ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ﴾، بعد الهزيمة، ﴿سَكِينَتَهُ﴾، يعني: الأمانة والطمأنينة، وهي فيلة من السكون ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾، يعني: الملائكة. وقيل: لا للقتال ولكن لتجيين الكفار وتشجيع المسلمين، لأنه يروى أن الملائكة لم يقاتلوا إلا يوم بدر، ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، بالقتل والأسر وسبي العيال وسلب الأموال، ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ فيهديه إلى الإسلام، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ الآية، قال الضحاك وأبو عبيدة: نجس قدر. وقيل: خبيث. وهو مصدر يستوي فيه الذكر والأنثى والتثنية والجمع، فأما النجس بكسر النون وسكون الجيم فلا يقال على الانفراد، إنما يقال: رجس نجس، فإذا أفرد قيل: نجس بفتح النون وكسر الجيم وأراد به نجاسة الحكم لا نجاسة العين، سُموا نجسًا على الذم. وقال قتادة: سماهم نجسًا لأنهم يُجنبون فلا يغتسلون ويُحدثون فلا يتوضؤون. وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾، أراد منعهم من دخول الحرم لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام، وأراد به الحرم وهذا كما قال الله تعالى: (سبحان الذي

سورة التوبة

١٩١

سورة التوبة

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَالُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قُلْنَا لَهُمُ اللَّهُ أَفْ يُوَفِّكَوْنَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

أَسْرَى بعبده ليلًا من المسجد الحرام)، وأراد به الحرم لأنه أسرى به من بيت أم هانئ. قوله: ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾، يعني العام الذي حج فيه أبو بكر رضي الله عنه بالناس، ونادى علي كرم الله وجهه ببراءة، وهو سنة تسع من الهجرة. قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾، وذلك أن أهل مكة كانت معاشهم من التجارات وكان المشركون يأتون مكة بالطعام ويتجرون، فلما منعوا من دخول الحرم خافوا الفقر، وضيق العيش، وذكروا لرسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: (وإن خفتهم عيلة) فقرأ وفاقه، يقال: عال يعيل عيلة إذا افتقر، ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قال عكرمة: فأغناهم الله عز وجل بأن أنزل عليهم المطر مدرارًا فكثر خيرهم. وقال مقاتل: أسلم أهل جدة وصنعاء وجريش من اليمن وجلبوا الميرة

الكثيرة إلى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون. وقال الضحاك وقتادة: عوّضهم الله منها الجزية فأغناهم بها.

[٢٩] قوله تعالى: ﴿فَنِلُوا الدِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، قال مجاهد: نزلت هذه الآية حين أمر رسول الله ﷺ بقتال الروم، فغزا بعد نزولها غزوة تبوك. وقال الكلبي: نزلت في قريظة والنضير من اليهود، فصالحهم وكانت أول جزية أصابها أهل الإسلام، وأول دُلْ أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين: قال الله تعالى: ﴿فَنِلُوا الدِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَأْلِيَوْمَ الْآخِرِ﴾، فإن قيل: أهل الكتاب مؤمنون بالله واليوم الآخر؟ قيل: لا يؤمنون كإيمان المؤمنين، فإنهم إذا قالوا عزيز ابن الله والمسيح ابن الله، لا يكون ذلك إيماناً بالله. ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾، أي: لا يدينون الدين الحق، أضاف الاسم إلى الصفة. وقال قتادة: الحق هو الله، أي: لا يدينون دين الله ودينه الإسلام. وقال أبو عبيدة: معناه ولا يطيعون الله تعالى طاعة أهل الحق. ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، يعني: اليهود والنصارى ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾، وهي الخراج المضروب على رقابهم، ﴿عَنْ يَدٍ﴾، عن قهر وذل. قال أبو عبيدة: يقال لكل من أعطى شيئاً كرهاً من غير طيب نفس أعطاه عن يد. وقال ابن عباس: يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم. وقيل: عن يد أي نقد ولا نسيئة. وقيل: عن إقرار بإنعام المسلمين عليهم بقبول الجزية منهم، ﴿وَهُمْ صَافِرُونَ﴾، أذلاء مهجورون.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، يقولون بألسنتهم من غير علم. قال أهل المعاني: لم يذكر الله تعالى قولاً مقروناً بالأفواه والألسن إلا كان ذلك زوراً.

﴿يُضَاهَوْنَ﴾، قرأ عاصم بكسر الهاء مهموزاً، والآخرين بضم الهاء مهموزاً، وهما لغتان يقال: ضاهيته وضاهاته، ومعناها واحد. قال ابن عباس رضي الله عنه: يشابهون. والمضاهاة المشابهة. وقال مجاهد: يواطئون. وقال الحسن: يوافقون، ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾، قال قتادة والسدي: ضاهت النصارى قول اليهود من قبل، فقالوا: المسيح ابن الله كما قالت اليهود من قبل عزيز ابن الله. وقال مجاهد: يضاهاون قول المشركين من قبل الذين كانوا يقولون اللات والعزى ومناة بنات الله. وقال الحسن: شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الأمم الكافرة كما قال في مشركي العرب (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم). وقال القتيبي: يريد أن من كان في عصر النبي ﷺ من اليهود والنصارى يقولون ما قال أولوهم ﴿فَنَلَّهُمُ اللَّهُ﴾، قال ابن عباس: لعنهم الله. وقال ابن جريج: أي: قتلهم الله. وقيل: ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى العجب، ﴿أَنَّهُ يُؤْفَكُونَ﴾، أي: يُصرفون عن الحق بعد قيام الأدلة عليه.

[٣١] ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ﴾، أي: علماءهم وقرآءهم، والأحبار العلماء واحداً جبر وخبر، بكسر الحاء وفتحها، والرهبان من النصارى أصحاب الصوامع واحداً راهب، بكساحب وصحبان، ﴿أَرْبَابًا﴾، فإن قيل: إنهم لم يعبدوا الأحبار والرهبان؟ قلنا: معناه أنهم أطاعوهم في معصية الله واستحلوا ما أحلوا وحرّموا ما حرّموا، فاتخذوهم كالآرباب. عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يقرأ: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) حتى فرغ منها، قلت: إنا لسنا نعبدكم، فقال: «أليس يُحرّمون ما أحلّ الله فتحرمونه ويحلّون ما حرّم الله فتستحلّونه؟» قال: قلت: بلى، قال: «فتلك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ. وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفْرَانِ الْأَخْبَارَ وَالرَّهْبَانَ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْصَى عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عَذَابَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ أَشَدُّ عَذَابًا شَرًّا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ وَقِيلُوا لِمُشْرِكِيكُمْ كَافَّةً كَمَا يَقُولُونَ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

الدين كله، والله أعلم.

﴿٣٤﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفْرَانِ الْأَخْبَارَ وَالرَّهْبَانَ﴾، يعني: العلماء والقراء من أهل الكتاب، ﴿لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾، يريد ليأخذون الرشا في أحكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون بأيديهم كتباً يقولون هذه من عند الله، ويأخذون بها ثمناً قليلاً من سفلتهم، وهي المأكول التي يصيئون منها على تغيير نعت النبي ﷺ يخافون لو صدقوه لذهبت عنهم تلك المأكول، ﴿وَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ويصرفون الناس، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، دين الله عز وجل، ﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قال ابن عمر

عبادتهم^(١). ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾، أي: اتخذوه إلهاً، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. ﴿٣٢﴾ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، أي: يبطّلوا دين الله بالسنتهم وتكذيبهم إياه. وقال الكلبي: النور القرآن، أي: يريدون أن يردوا القرآن بالسنتهم تكذيباً، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ﴾، أي: يُعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به محمداً ﷺ ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾، يعني: الذي يأبى إلا إتمام دينه هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ ﴿بِالْهُدَى﴾، قيل: بالقرآن. وقيل: ببيان الفرائض، ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾، وهو الإسلام، ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾، ليعليه وينصره، ﴿عَلَى الَّذِينَ كُلِّهِ﴾، على سائر الأديان كلها، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، واختلفوا في معنى هذه الآية، قال ابن عباس: الهاء عائدة إلى رسول الله ﷺ أي: ليعلمه شرائع الدين كلها فيظهره عليها حتى لا يخفى عليه منها شيء. وقال الآخرون: الهاء راجعة إلى دين الحق، وظهوره على الأديان هو أن لا يُدان الله تعالى إلا به. وقال أبو هريرة والضحاك: وذلك عند نزول عيسى ابن مريم لا يبقى أهل دين إلا دخل في الإسلام. قال الحسين بن الفضل: معنى الآية ليظهره على الدين كله بالحجج الواضحة. وقيل: ليظهره على الأديان التي حول النبي ﷺ فيغلبها. قال الشافعي رحمه الله: فقد أظهر الله رسوله ﷺ على الأديان كلها بأن أبان لكل من سمعه أنه الحق، وما خالفه من الأديان باطل، وقال: وأظهره على الشرك دين أهل الكتاب ودين الأميين فقهر رسول الله ﷺ الأميين حتى دانوا بالإسلام طوعاً وكرهاً، وقتل أهل الكتاب وسبى، حتى دان بعضهم بالإسلام وأعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه، فهذا ظهوره على

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٢١٠/١٤، ورواه مختصراً الترمذي في تفسير سورة براءة ٨/٤٩٢-٤٩٤ وقال: حديث غريب.

الثاني وجمادى الأول وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة. وقوله: (في كتاب الله) أي: في حكم الله. وقيل: في اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَكُوتَ وَالْأَرْضَ﴾، والمراد منه الشهور الهلالية وهي الشهور التي يعتد بها المسلمون في صيامهم وحجهم وأعيادهم وسائر أمورهم، وبالشهور الشمسية تكون السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم، والهلالية تنقص عن ثلاث مائة وستين يوماً بنقصان الأهلة. والغالب أنها تكون ثلاثمائة يوماً وأربعة وخمسين يوماً، ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾، من الشهور أربعة حرم وهي: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، واحد فرد وثلاثة سرد، ﴿ذَلِكَ الَّذِي أَلَمَّ أَفْسَكُ﴾، أي: الحساب المستقيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ﴾، قيل: قوله (فيهن) ينصرف إلى جميع شهور السنة، أي: فلا تظلموا فيهن أنفسكم بفعل المعصية وترك الطاعة. وقيل: (فيهن) أي: في الأشهر الحرم. قال قتادة: العمل الصالح أعظم أجراً في الأشهر الحرم والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً. وقال ابن عباس: فلا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن. قال محمد بن إسحاق بن يسار: لا تجعلوا حلالها حراماً ولا حرامها حلالاً كفعل أهل الشرك وهو النسيء، ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾، جميعاً عامة، ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، واختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم. فقال قوم: كان كبيراً ثم نسخ بقوله: (وقاتلوا المشركين كافة) كأنه يقول فيهن وفي غيرهن. وهو قول قتادة وعطاء الخراساني

رضي الله عنهما: كل مال تؤدى زكاته فليس بكثر وإن كان مدفوناً وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كثر، وإن لم يكن مدفوناً. ومثله عن ابن عباس. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كثر، أدت منه الزكاة أو لم تؤد، وما دونها نفقة. وقيل: ما فضل عن الحاجة فهو كثر والقول الأول أصح أن الآية في منع الزكاة لا في جمع المال الحلال. قال النبي ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»^(١) قوله عز وجل: (ولا ينفقونها في سبيل الله)، قيل: لم قال: (ولا ينفقونها)، ولم يقل: ولا ينفقونها وقد ذكر الذهب والفضة جميعاً؟ قيل: أراد الكنوز وأعيان الذهب والفضة. وقيل: رد الكناية إلى الفضة لأنها أعم، كما قال: (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة)، رد الكناية إلى الصلاة لأنها أعم ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. أي: أنذرهم.

[٣٥] ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾، أي: تدخل النار فيوقد عليها أي: على الكنوز، ﴿فَتَكُونُ بِهَا﴾، فتحرق بها، ﴿جِاهُتُمْ﴾، أي: جباه كانزيها، ﴿وَجُوهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ سئل أبو بكر الوراق: لم خص الجباه والجنوب والظهور بالكي؟ قال: لأن الغني صاحب الكنز إذا رأى الفقير قبض جبهته، وزوى ما بين عينيه وولاه ظهره وأعرض عنه بكشحه. قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾، أي: يقال لهم هذا ما كنزتم، ﴿لِأَنْفُسِكُمْ فَلَوْوْا مَا كُنْتُمْ تَكْزُبُونَ﴾، أي: تمنعون حقوق الله تعالى في أموالكم. وقال بعض الصحابة: هذه الآية في أهل الكتاب. وقال الأكثرون: هي عامة في أهل الكتاب والمسلمين، وبه قال أبو ذر رضي الله عنه.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾، أي: عدد الشهور، ﴿عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، وهي المحرم وصفر وربيع الأول وربيع

(١) قال العلامة العجلوني في كتابه كشف الخفاء ج ٢ ص ٤٢٤: «رواه أحمد وابن منيع عن عمرو بن العاص رضي الله عنه».

سُورَةُ التَّوْبَةِ

١٩٣

الْمِائَةِ

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زِينَةً لَهُمْ سَوَاءٌ أَعْمَلْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٨﴾ إِنْ أَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَنْصُرُوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنْ أَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

إلى ما وضع الله عليه حساب الأشهر الحرم يوم خلق السموات والأرض، وأمرهم بالمحافظة عليه ثلثا يتبدل في مستأنف الأيام فهذا الذي ذكرنا هو النسيء الذي ذكره الله تعالى فقال: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾، يريد زيادة كفر على كفرهم، ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ﴾، يعني النسيء عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، أي: ليوافقوا، والمواطأة الموافقة، ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾، يريد أنهم لم يحلوا شهرًا من الحرام إلا حرموا مكانه شهرًا من الحلال، ولم يحرموا شهرًا من الحلال إلا أحلوا مكانه شهرًا من الحرام، ثلثا يكون الحرم أكثر من أربعة أشهر كما حرم الله فيكون الموافقة في العدد، ﴿فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زِينَةً لَهُمْ سَوَاءٌ أَعْمَلْتُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد زين لهم الشيطان، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

والزهري وسفيان الثوري، وقالوا: إن النبي ﷺ غَزَا هَوَازَنَ بِحُنَيْنٍ وَثَقِيفًا بِالطَّائِفِ وَحَاصَرَهُمْ فِي شَوَالٍ وَبَعْضُ ذِي الْقَعْدَةِ. وقال الآخرون: إنه غير منسوخ؛ قال ابن جريج: حلف بالله عطاء بن أبي رباح: ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن يُقاتلوا فيها، وما نسخت.

[٣٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾، قيل: هو مصدر كالسعيير والحريق. وقيل: هو مفعول كالجريح والقتيل، وهو من التأخير. ومنه النسيسة في البيع، يقال: أنسأ الله في أجله أي أخر، وقيل: هو من النسيان على معنى المنسي أي المتروك. ومعنى النسيء هو تأخير تحريم شهر إلى شهر آخر وذلك أن العرب كانت تعتقد تعظيم الأشهر الحرم، وكان ذلك مما تمسكت به من ملة إبراهيم عليه السلام، وكانت عامة معاشهم من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر على التوالي، وربما وقعت لهم حرب في بعض الأشهر الحرم فيكرهون تأخير حربهم فنسؤوا - أي: أخرؤا - تحريم ذلك الشهر إلى شهر آخر، وكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمون صفر ويستحلون المحرم، فإذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر أخروه إلى ربيع هكذا شهرًا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها. قال مجاهد: كانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في شهر ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين، وكذلك في الشهور، فوافقت حجة أبي بكر رضي الله عنه قبل حجة الوداع السنة الثانية من ذي القعدة، ثم حج النبي ﷺ في العام القابل حجة الوداع، فوافق حجه شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة، فوقف بعرفة اليوم التاسع وخطب اليوم العاشر بمنى، وأعلمهم أن أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الأمر

رسول الله ﷺ ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾، قيل: على النبي ﷺ. وقال ابن عباس: على أبي بكر رضي الله عنه، فإن النبي ﷺ كانت عليه السكينة من قبل، ﴿وَأَيْدُهُمْ يَجُودُونَ لَمْ تَرَوْهَا﴾، وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته، وقيل: ألقوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا. وقال مجاهد والكلبي: أعانه بالملائكة يوم بدر، أخبر أنه صرف عنه كيد الأعداء في الغار ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَسْفَلًا﴾، وكلمتهم الشرك وهي السفلى إلى يوم القيامة، ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ إلى يوم القيامة. قال ابن عباس: هي قول لا إله إلا الله. وقيل: كلمة الذين كفروا ما قدرُوا بينهم في الكيد به ليقتلوه، وكلمة الله وَعُدُّ الله أنه ناصره ﴿وَاللَّهُ غَزِيرٌ حَكِيمٌ﴾.

[٤١] قوله تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، قال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة: شُبَانًا وشُيُوخًا. وعن ابن عباس: نشاطًا وغير نشاط. وقال أبو صالح: خفافًا من المال أي: فقراء، وثقالات أي: أغنياء. وقال ابن زيد: الثقيل الذي له الضيعة، فهو ثقيل يكره أن يدع ضيعته، والخفيف الذي لا ضيعة له. ويروى عن ابن عباس قال: خفافاً أهل الميسرة من المال وثقالات أهل العسرة. وقيل: خفافاً من السلاح، أي مقلين منه، وثقالات أي: مستكثرين منه، وقال مرة الهمداني: أصحاء ومرضى. وقال يمان بن رباب: عزاباً ومتأهلين. وقيل: خفافاً من حاشيتكم وأتباعكم، وثقالات مستكثرين بهم. وقيل: خفافاً مسرعين خارجين ساعة سماع النفر، وثقالات بعد التروي فيه والاستعداد له ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال عطاء الخراساني عن ابن عباس: نُسخَت هذه الآية بقوله: (وما كان المؤمنون)، قال

[٣٨] قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ الآية، نزلت في الحث على غزوة تبوك، وذلك أن النبي ﷺ لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم، وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت الثمار والظلال فشق عليهم الخروج وتناقلوا فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾ أي: قال لكم رسول الله ﷺ: ﴿أَنْفِرُوا﴾ اخرجوا في سبيل الله ﴿أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: لزمتم أرضكم ومساكنكم، ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾، أي: بخفض الدنيا ودعتها من نعيم الآخرة، ﴿فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

[٣٩] ثم أوعدهم على ترك الجهاد، فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الآخرة. وقيل: هو احتباس المطر عنهم في الدنيا ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ خيراً منكم وأطوع ﴿وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا﴾، بترككم النفر. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٤٠] قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾، هذا إعلام من الله عز وجل أنه المتكفل بنصر رسوله وإعزاز دينه، أعانوه أو لم يعينوه، وأنه قد نصره عند قلة الأولياء وكثرة الأعداء، فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من مكة حين مكروا به وأرادوا تبتيته وهموا بقتله، ﴿ثَلَاثَ أَثْنَيْنِ﴾ أي هو أحد الاثنين، والاثنان: أحدهما رسول الله ﷺ والآخر أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ﴿إِذْ هُمَا فِي الْفَكَارِ﴾، وهو نقب في جبل ثور بمكة، ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، قال الشعبي: عاتب الله عز وجل أهل الأرض جميعاً في هذه الآية غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولم يكن حزن أبي بكر حُبناً منه، وإنما كان إشفافاً على

سُورَةُ التَّوْبَةِ

١٩٤

الْمُحْكَمَاتُ

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
 لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ
 عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا
 مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾
 عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكِ الْزَوَجَرُ
 صَدَقُوا وَقَالُوا الْمَكِيدِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ
 يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
 وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ الْيَمِينُ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ
 فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ
 لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
 وَقِيلَ أَفْعُدُوا مَعَ الْفَاعِلِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِئَكُمُ
 مَارَازِدُكُمْ لَأَخْبَا لَوْلَا وَضَعُوا خَلْقًا لَكُمْ يَبْغُونَكُمْ
 أَلْفَنَةً وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

السدي: لما نزلت هذه الآية اشتد شأنها على الناس فنسخها الله تعالى وأنزل: (ليس على الضعفاء ولا على المرضى) الآية. ثم نزل في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك:

[٤٢] ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾، واسم كان مضمر، أي: لو كان ما تدعوهم إليه عرضًا قريبًا؛ أي: غنيمة قريبة المتناول، ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾، أي: قريبًا هيئًا، ﴿لَاتَّبَعُوكَ﴾، لخرجوا معك، ﴿وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ أي: المسافة، والشقة السفر البعيد لأنه يشق على الإنسان. وقيل: الشقة الغاية التي يقصدونها، ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾، يعني باليمين الكاذبة، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، في أيمانهم لأنهم كانوا مستطيعين.

[٤٣] ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾، قال عمرو بن ميمون: اثنان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين وأخذه الفدية من أسارى بدر، فعاتبه الله كما تسمعون. قال سفيان بن عيينة: انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل أن يُعيّره بالذنب. قيل: إن الله عز وجل وقره ورفع محله بافتتاح الكلام بالدعاء له، كما يقول الرجل لمن يخاطبه إذا كان كريمًا عنده: عفا الله عنك ما صنعت في حاجتي، ورضي الله عنك ألا زرتني. وقيل معناه: أدام الله لك العفو.

﴿لَمْ أَذِنَ لَهُمْ﴾، أي: في التخلّف عنك ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾، في أَعذارهم، ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾، فيها أي: تعلم من لا عذر له. قال ابن عباس رضي الله عنه: لم يكن رسول الله ﷺ يعرف المنافقين يومئذ.

[٤٤] ﴿لَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾، أي: لا يستأذِنُكَ في التخلّف، ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُنْتَبِهِينَ﴾.

[٤٥] ﴿إِنَّمَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، أي: شكت وناقضت، ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾، يتحIRON. [٤٦] ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾، إلى الغزو، ﴿لَأَعَدُّوا لَهُمْ﴾، أي: لهيؤوا له ﴿عُدَّةً﴾، أهبة وقوة من السلاح والكرراع، ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾، خروجهم، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾، منعهم وحبسهم عن الخروج، ﴿وَقِيلَ أَفْعُدُوا﴾، في بيوتكم، ﴿مَعَ الْفَاعِلِينَ﴾، يعني: مع المرضى والزمنى. وقيل: مع النسوان والصبيان. وقوله عز وجل: (وقيل: أي: قال بعضهم لبعض: اعدوا. وقيل: أوحى إلى قلوبهم وألهموا أسباب الخذلان).

[٤٧] ﴿لَوْ خَرَجُوا فِئَكُمْ﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ أمرهم بالجهاد لغزوة تبوك فضرب رسول الله ﷺ عسكره على ثنية الوداع وضرب عبدالله بن أبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٩٥

سُورَةُ التَّوْبَةِ

لَقَدْ أَسْعَوْا لِلْفِتْنَةِ مِنْ قَبْلُ وَكَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ
﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسَبِّحْهُنَّ نُسُوحًا وَإِنْ تُصِيبَكَ
مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَكَانُوا
وَهُمْ قَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ
اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا أَحَدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ
أَوْ يَأْتِيَكُمُ الْفِتْنَةُ فَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ
أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ
قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ نَفَقَتَهُمْ
إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ
إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٥٤﴾

هل لك في جلال بني الأصفر؟ يعني الروم، تتخذ
منهم سراري ووصفاء، فقال جد: يا رسول الله لقد
عرف قومي أنني رجل مغرم بالنساء، وإنني أخشى إن
رأيت بنات بني الأصفر أن لا أصبر عنهن، ائذن
لي في القعود ولا تفتني بهن وأعينك بمالي. قال
ابن عباس: اعتل جد بن قيس ولم تكن له علة
إلا النفاق، فأعرض عنه النبي ﷺ، فقال: أذنت
لك فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ يعني من
المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ أَتَذُنْ لِي﴾ في التخلف ﴿وَلَا
تَفْتِنِّي﴾ بنات الأصفر. قال قتادة: ولا تؤثمني.
﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾، أي: في الشرك والإثم
وقعوا بنفاقهم وخلافهم أمر الله ورسوله، ﴿وَإِنَّ
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، مطيعة عليهم وجامعة

على ذي جذة أسفل من ثنية الوداع، ولم يكن بأقل
العسكريين، فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه
عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل
الريب، فأنزل الله تعالى يعزي نبيه ﷺ: ﴿لَوْ
خَرَجُوا﴾ يعني المنافقون ﴿فِيكُمْ﴾ أي معكم،
﴿مَا زَادَكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾، أي: فسادًا وشرًا، ومعنى
الفساد: إيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتحويل
الأمر، ﴿وَلَا تَضَعُوا﴾، أسرعوا، ﴿خِلَالَكُمْ﴾، في
وسطكم بإيقاع العداوة والبغضاء بينكم بالنميمة
ونقل الحديث من البعض إلى البعض. وقيل:
(ولا وضعوا خلالكم) أي: أسرعوا فيما يخل بكم.
﴿يَبْقُونَكُمْ الْفِتْنَةَ﴾، أي: يطلبون لكم ما تفتنون به،
يقولون: لقد جُمع لكم كذا وكذا وإنكم مهزومون
وسيطر عليكم عدوكم ونحو ذلك. وقال الكلبي:
يبغونكم الفتنة يعني: العنت^(١) والشر. وقال
الضحاك: الفتنة الشرك، ويقال: بغيته الشر والخير
أبغيه بغيًا إذا التمسته له، يعني: بغيت له. ﴿وَفِيكُمْ
سَمْعُونُ لَهُمْ﴾، قال مجاهد: معناه وفيكم مخبرون
لهم يؤدون إليهم ما يسمعون منكم، وهم
الجواسيس. وقال قتادة: معناه وفيكم مطيعون
لهم، أي: يستمعون كلامهم ويطيعونهم. ﴿وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

[٤٨] ﴿لَقَدْ أَسْعَوْا لِلْفِتْنَةِ مِنْ قَبْلُ﴾، أي:
طلبوا صدد أصحابك عن الدين وردهم إلى الكفر،
وتخذيّل الناس عنك قبل هذا اليوم، كفعل عبد الله
ابن أبي يوم أحد حين انصرف عنك بأصحابه.
﴿وَكَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾، أجالوا فيك وفي إبطال
دينك الرأي، بالتخذيّل عنك وتشيت أمرك، ﴿حَتَّى
جَاءَ الْحَقُّ﴾، النصر والظفر، ﴿وَبُظْهِرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾،
دين الله، ﴿وَهُمْ كَرِهُونَ﴾.

[٤٩] قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنْ لِي
وَلَا تَفْتِنِّي﴾، نزلت في جد بن قيس المنافق، وذلك
أن النبي ﷺ لما تجهز لغزوة تبوك قال: يا أبا وهب

(١) في نسخة: (العيب).

[٥٤] ﴿وَمَا مَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ﴾،

صدقاتهم، ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، أي: المانع من قبول نفقاتهم كفرهم، ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَاكٌ﴾، متثاقلون لأنهم لا يرجون على أداها ثواباً ولا يخافون على تركها عقاباً، فإن قيل: كيف ذم الكسل في الصلاة ولا صلاة لهم أصلاً؟ قيل: الذم واقع على الكفر الذي يبعث على الكسل، فإن الكفر مكسل والإيمان منشط، ﴿وَلَا يُفْقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾، لأنهم يعدونها مغرمًا ومنعها مغنمًا.

[٥٥] ﴿فَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهَا وَلَا أَولَادُهَا﴾،

والإعجاب هو السرور بما يتعجب منه، يقول: لا تستحسن ما أنعمنا عليهم من الأموال والأولاد لأن العبد إذا كان من الله في استدراج كثّر الله ماله وولده، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فإن قيل: أيّ تعذيب في المال والولد وهم يتنعمون بها في الحياة الدنيا؟ قيل: قال مجاهد وقتادة: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. وقيل: التعذيب بالمصائب الواقعة في المال والولد. وقال الحسن: يعذبهم بها في الدنيا بأخذ الزكاة منها والنفقة في سبيل الله. وقيل: يعذبهم بالتعب في جمعه والوجل في حفظه والكره في إنفاقه، والحسرة على تخليفه عند من لا يُحمده، ثم يُقدم على مملك لا يُعذره. ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾، أي: تخرج، ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾، أي: يموتون على الكفر.

[٥٦] ﴿وَيَحْلُوتُ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾، أي:

على دينكم، ﴿وَمَا هُمْ بِمِنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾،

[٥٠] ﴿إِنْ تُبَالِكْ حَسَنَةً﴾، نصرة وغنيمة، ﴿سَوْفَهُمْ﴾، تُحزَنُهُمْ، يعني: المنافقين، ﴿وَإِنْ تُبَالِكْ مُصِيبَةً﴾، قتل وهزيمة، ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾، حذرنا، أي: أخذنا بالحزم في القعود عن الغزو، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، أي: من قبل هذه المصيبة، ﴿وَيَكْتُولُوا﴾، ويدبروا ﴿وَهُمْ فَرِحُوا﴾، مسرورون بما نالك من المصيبة.

[٥١] ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾، أي: علينا في اللوح المحفوظ، ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾، ناصرنا وحافظنا. وقال الكلبي: هو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٢] ﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ إِنَّا﴾، تنتظرون بنا أيها المنافقون، ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنِيَّةِ﴾، إما النصر والغنيمة أو الشهادة والمغفرة، وروينا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة. ﴿وَعَنْ تَرْتَضُ بِكُمْ﴾، إحدى السواتين إما ﴿أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾، فيهلككم كما أهلك الأمم الخالية ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾، أو بأيدي المؤمنين إن أظهرتم ما في قلوبكم، ﴿فَتَرْتَضُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرِضُونَ﴾، قال الحسن: فتربصوا مواعيد الشيطان إنا متربصون مواعيد الله من إظهار دينه واستئصال من خالفه.

[٥٣] ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾، أمرٌ بمعنى الشرط والجزاء، أي: إن أنفقتم طوعًا أو كرهًا، نزلت في جد بن قيس حين استأذن في القعود، قال أعينكم بمالي، يقول: إن أنفقتم طوعًا أو كرهًا ﴿لَنْ يُقْبَلَ مِنْكُمْ إِنَّا لَأَنكُم﴾، أي: لأنكم، ﴿كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

يخافوا أن يظهروا ما هم عليه.

[٥٧] ﴿لَوْ يَحْدُوثُ مَلْجَأٌ﴾، حرزاً أو حصناً أو معقلاً. وقال عطاء: مهرباً. وقيل: قومًا يأمنون فيهم. ﴿أَوْ مَعْرَدٍ﴾، غيراناً في الجبال جمع مغارة وهو الموضع الذي تغور فيه، أي تستتر. وقال عطاء: سراديب. ﴿أَوْ مُدْخَلًا﴾، موضع دخول فيه، وهو من أدخل يدخل، وأصله: مدخل مفتعل، من دخل يدخل. قال مجاهد: محرزا. وقال قتادة: سرباً. وقال الكلبي: نفقاً في الأرض كنفق اليربوع. وقال الحسن: وجهاً يدخلونه على خلاف رسول الله ﷺ. وقرأ يعقوب (مدخلاً) بفتح الميم وتخفيف الدال، وهو أيضاً موضع الدخول، ﴿لَوْلَا إِلَهُهُ﴾، لأدبروا إليه هرباً منكم، ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون في إباءٍ ونفورٍ لا يردّ وجوههم شيء. ومعنى الآية: أنهم لو يجدون مخلصاً منكم ومهرباً لفارقوكم.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾، الآية نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير أصل الخوارج ﴿يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي: يعيبك في أمرها وتفريقها ويطعن عليك فيها. يقال: لَمْزَهُ وهمزه، أي: عابه، يعني أن المنافقين كانوا يقولون إن محمداً لا يعطي إلا من أحب. وقرأ يعقوب (يلمزمك) وكذلك يلمزون في الحجرات (ولا تلمزوا) كل ذلك بضم الميم فيهن، وقرأ الباقون بكسر الميم فيهن وهما لغتان يَلْمِزُ وَيَلْمِزُ مثل يحسر ويحسر ويعكف ويعكف. وقال مجاهد: يلمزمك أي يروذك يعني يختبرك. ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾، قيل: إن أعطوا كثيراً فرحوا وإن أعطوا قليلاً سخطوا.

[٥٩] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، أي: قنعوا بما قسم لهم الله ورسوله ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾، كافينا الله، ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ فِيهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِمِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْزُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَحْدُوثُ مَلْجَأٌ أَوْ مَعْرَدٌ أَوْ مُدْخَلٌ لَوْلَا إِلَهُهُ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهِ وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾، ما نحتاج إليه ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾، في أن يوسع علينا من فضله، فيغنيننا عن الصدقة وغيرها من أموال الناس. وجواب (لو) محذوف أي: لكان خيراً لهم وأعود عليهم.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ الآية، بين الله تعالى في هذه الآية أهل الصدقات وجعلها لثمانية أصناف، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ نَبِيِّ وَلَا غَيْرِهِ فِي الصَّدَقَاتِ حَتَّى حُكِمَ فِيهَا هُوَ فَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةً أَجْزَاءً»^(١). قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾. فأحد أصناف الصدقة: الفقراء، والثاني: المساكين:

(١) أخرجه أبو داود في الزكاة ٢/٢٣٠، ٢٣١ والدارقطني في الزكاة ١٣٧/٢ والبيهقي في السنن ٤/١٧٤، وقال المنذري: في إسناد عبد الرحمن بن زياد الإفريقي وقد تكلم فيه غير واحد.

دخلوا في الإسلام ونيتهم ضعيفة فيه، فكان النبي ﷺ يعطيهم تألفاً كما أعطى عيينة بن بدر والأقرع ابن حابس والعباس بن مرداس السلمي. أو أسلموا ونيتهم قوية في الإسلام وهم شرفاء في قومهم مثل عدي بن حاتم والزريقان بن بدر، فكان يعطيهم تألفاً لقومهم وترغيباً لأمثالهم في الإسلام، فهؤلاء يجوز للإمام أن يعطيهم من خمس خمس الغنيمة، والفيء سهم النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يعطيهم من ذلك ولا يعطيهم من الصدقات. والقسم الثاني من مؤلفة المسلمين أن يكون قوم من المسلمين بإزاء قوم كفار من موضع مُتَّاء لا تبلغهم جيوش المسلمين إلا بمؤنة كثيرة وهم لا يجاهدون، إما لضعف نيتهم أو لضعف حالهم، فيجوز للإمام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة. وقيل: من سهم المؤلفة. ومنهم قوم بإزاء جماعة من مانعي الزكاة يأخذون منهم الزكاة يحملونها إلى الإمام فيعطيهم الإمام من سهم المؤلفة من الصدقات. وقيل: من سهم سبيل الله. رُوي أنَّ عدي بن حاتم جاء إلى أبي بكر الصديق بثلاثمائة من الإبل من صدقات قومه فأعطاه أبو بكر منها ثلاثين بغيراً. وأما الكفار من المؤلفة فهو من يُخشى شره منهم أو يُرجى إسلامه، فيريد الإمام أن يُعطي هذا حذراً من شره أو يُعطي ذلك ترغيباً به في الإسلام، فقد كان النبي ﷺ يعطيهم من خمس الخمس، كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله إلى الإسلام قوله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾، والصفى الخامس هم الرقاب وهم المكاتبون لهم سهم من الصدقة، هذا قول أكثر الفقهاء، وبه قال سعيد بن جبيرة والنخعي والزهري والليث بن سعد والشافعي. وقال جماعة: يشتري بسهم الرقاب عبيداً فيعتقون. وهذا قول الحسن، وبه قال مالك وأحمد وإسحاق. قوله تعالى: ﴿وَالْفَرَمِينَ﴾، والصفى السادس هم الغارمون وهم قسمان: قسم

واختلف العلماء في صفة الفقير والمسكين، فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وعكرمة والزهري: الفقير الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل. وقال ابن عمر: ليس بفقير من جمع الدرهم إلى الدرهم والتمرة إلى التمرة، ولكن من أنقى نفسه وثيابه لا يقدر على شيء يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، فذلك الفقير. وقال قتادة: الفقير المحتاج الزَّيْمُ، والمسكين الصحيح المحتاج. وروي عن عكرمة أنه قال: الفقراء من المسلمين والمساكين من أهل الكتاب. وقال الشافعي: الفقير من لا مَالَ له ولا حِرْفَةَ تقع منه موقِعاً زَمناً كان أو غير زَمْنٍ، والمسكين من كان له مال أو حرفة ولا يغنيه، سائلاً كان أو غير سائلاً. فالمسكين عنده أحسن حالاً من الفقير لأن الله تعالى قال: (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ) أثبت لهم ملكاً مع اسم المسكنة، وعند أصحاب الرأي الفقير أحسن حالاً من المسكين. وقال القتيبي: الفقير الذي له البلغة من البعش، والمسكين الذي لا شيء له. وقيل: الفقير من له المسكن والخادم، والمسكين من لا ملك له. وقال إبراهيم النخعي: الفقراء هم المهاجرون، والمساكين من لم يهاجروا من المسلمين. وفي الجملة الفقر والمسكنة عبارتان عن الحاجة وضعف الحال، فالفقير المحتاج الذي كسرت الحاجة فقار ظهره، والمسكين الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت. قوله تعالى: ﴿وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِ﴾. وهم السعاة الذين يتولون قبض الصدقات من أهلها ووضعها في حقها، فيعطون من مال الصدقة فقراء كانوا أو أغنياء، فيعطون مثل أجر عملهم. وقال الضحاك ومجاهد: لهم الثمن من الصدقة. ﴿وَالْمُؤَلَّفَةُ فُلُوقُهُمْ﴾، فالصفى الرابع من المستحقين للصدقة هم المؤلفة قلوبهم، وهم قسمان: قسم مسلمون وقسم كفار، فأما المسلمون فقسمان قسم

تعالى: ﴿قُلْ أَذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾، قرأ العامة بالإضافة، أي: مستمعٌ خيرٌ وصلاحٌ لكم، لا مستمع شرٌ وفساد. وقرأ الأعشى والبرجمي عن أبي بكر: (أذن خير لكم) مرفوعين منونين، يعني أن يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم، ثم كذبهم فقال: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾، أي: لا بل يؤمن بالله، ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: يصدق المؤمنين ويقبل منهم لا من المنافقين. يقال: أمنت وأمت له بمعنى صدقته. ﴿وَرَحْمَةً﴾، قرأ حمزة: (ورحمة) بالخفض على معنى أذن خير لكم وأذن رحمة، وقرأ الآخرون: (ورحمة) بالرفع، أي: هو أذن خير وهو رحمة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ﴾، لأنه كان سبب إيمان المؤمنين. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٦٢] ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ﴾، قال قتادة والسدي: اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس ابن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في النبي ﷺ، وقالوا: إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شرٌّ من الحمير، وكان عندهم غلام من الأنصار يقال له عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة، فغضب الغلام وقال: والله إن ما يقول محمد حق وأنتم شر من الحمير، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فدعاهم وسألهم رسول الله ﷺ، فحلفوا أن عامراً كذاب، وحلف عامر أنهم كذبة، فصدقهم النبي ﷺ، فجعل عامر يدعو ويقول: اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال مقاتل والكلبي: نزلت في رهط من المنافقين تخلّفوا عن غزوة تبوك، فلما رجع رسول الله ﷺ أتوه يعتذرون إليه ويحلفون، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ﴾، ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

[٦٣] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، يخالف الله ورسوله أن يكونوا في جانب واحد من

أدانوا لأنفسهم في غير معصيته فإنهم يُعطون من الصدقة إذا لم يكن لهم من المال ما يفي بديونهم، فإن كان عندهم وفاء فلا يُعطون، وقسم أدانوا في المعروف وإصلاح ذات البين فإنهم يُعطون من مال الصدقة ما يقضون به ديونهم، وإن كانوا أغنياء. وقوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أراد بها الغزاة فلهم سهم من الصدقة، يعطون إذا أرادوا الخروج إلى الغزو، وما يستعينون به على أمر الغزو من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة، وإن كانوا أغنياء. قوله تعالى: ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾، والصنف الثامن هم أبناء السبيل، فكل من يريد سفرًا مباحًا ولم يكن له ما يقطع به المسافة يُعطى من الصدقة بقدر ما يقطع به تلك المسافة سواء كان له في البلد المتنقل إليه مال أو لم يكن. وقال قتادة: ابن السبيل هو الضيف. وقال فقهاء العراق: ابن السبيل الحاج المنقطع. قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً﴾ أي: واجبة ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، وهو نصب على القطع، وقيل: على المصدر، أي: فرض الله هذه الأشياء فريضة، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[٦١] ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ﴾، نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يُؤْذُونَ النبي ﷺ، ويقولون ما لا ينبغي، فقال بعضهم: لا تفعلوا فإننا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد منهم: بل نقول ما شئنا ثم نأتيه فتنكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول، فإنما محمدٌ أذنٌ، أي: أذنٌ سامعة، يقال: فلان أذن سامعة وأذنة على وزن فعلة، إذا كان يسمع كل ما قيل له ويقبله. وأصله من أذن يأذن أذنًا إذا استمع. وقيل: وهو أذن أي: ذو أذن سامعة، وقال محمد ابن إسحاق بن يسار: نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث قال: إنما محمد أذن فمن حدثه شيئًا صدقه، فنقول ما شئنا ثم نأتيه ونحلف بالله فيصدقنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية. قوله

الله ورسوله، ﴿فَأَبَ لَكُمْ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾، أي: الفضيحة العظيمة. [٦٤] ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ﴾، أي: يخشى المنافقون، ﴿أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: تنزل على المؤمنين، ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، أي: بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين، كانوا يقولون فيما بينهم ويُسرون ويخافون الفضيحة بنزول القرآن في شأنهم. قال قتادة: هذه السورة تُسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة أثارت مخازيهم ومثالبهم ﴿قُلْ أَتَسْتَهْزِئُونَ بِاللهِ مُخْرِجٌ﴾، مظهر ﴿مَا تَحْذَرُونَ﴾، قال ابن كيسان: نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين، وقفوا لرسول الله ﷺ على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به إذا علاها ومعهم رجل مسلم يخفيهم شأنه، وتكروا له في ليلة مظلمة فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بما قَدَرُوا، وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم^(١).

[٦٥] قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآية، وسبب نزول هذه الآية على ما قال الكلبي ومقاتل وقاتلة: أن النبي ﷺ كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول، والثالث يضحك. قيل: كانوا يقولون: إن محمداً يزعم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما أبعد من ذلك. وقيل: كانوا يقولون: إن محمداً يزعم أنه نزل في أصحابنا المقيمين بالمدينة قرآن، وإنما هو قوله وكلامه، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك؛ فقال: احبسوا عليّ الركب، فدعاهم وقال لهم: قلتُم كذا وكذا، فقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، أي كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث واللعب. قال عمر: فلقد رأيت عبدالله بن أبي يشتد قدام رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، ورسول

يَخْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنَّكُمْ أَتَمُّ مَوَظِينَ ﴿١٦﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَبَقَ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿١٧﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿١٨﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبَ لَكُمْ نَارَ جَهَنَّمَ وَأَبَ لَكُمْ رَسُولَهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٩﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٢٠﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢١﴾ وَعَدَّ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٢﴾

الله ﷺ يقول له: «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون» ما يلتفت إليه ولا يزيده عليه. قوله: ﴿قُلْ﴾، أي: قل يا محمد للمنافقين، ﴿أَبَ لَكُمْ نَارَ جَهَنَّمَ وَأَبَ لَكُمْ رَسُولَهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٦٦] ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، فإن قيل كيف قال: (قد كفرتم بعد إيمانكم) وهم لم يكونوا مؤمنين؟ قيل: معناه أظهرتم الكفر بعد ما أظهرتم الإيمان. ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾، أي: تب على طائفة منكم، وأراد بالطائفة واحداً، ﴿يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾، بالاستهزاء، وقرأ عاصم: (نعف) بالنون وفتحها وضم الفاء، ﴿يُعَذِّبُ﴾ بالنون وكسر الذال، ﴿طَائِفَةٌ﴾ نصب. وقرأ الآخرون: (يُعف) بالياء

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب المنافقين (٢٧٧٩)، ورواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤/ ٣٢٠.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
 أَمْوَالًا وَأُولَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ
 كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ
 كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّةُ آَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٧﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
 نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ
 إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ
 رُسِلُهم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ يَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ
 كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٦٨﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
 أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٩﴾
 وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
 وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٠﴾

سبيلهم، ﴿وَحُضُّمٌ﴾ في الباطل والكذب على الله تعالى وتكذيب رُسله وبالإستهزاء بالمؤمنين، ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾، أي: كما خاضوا. وقيل: كالذي يعني كالذين خاضوا، وذلك أن الذي اسم ناقص، مثل (ما) و(من) يُعبر به عن الواحد والجمع، نظيره قوله تعالى: (كمل الذي استوقد نارًا) ثم قال: (ذهب الله بنورهم)، ﴿أُولَئِكَ حِطَّةُ آَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، أي: كما حبطت أعمالهم وخسروا كذلك حبطت أعمالكم وخسرتم. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَتَسْبَعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍ لَا تَبْعَثُوهُمْ»^(١).

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام ٣٠٠/١٣ ومسلم في =

وضمها وفتح الفاء، (تُعَذَّبُ) بالتاء وفتح الذال، ﴿طَائِفَةٌ﴾ رفع على غير تسمية الفاعل. وقال محمد ابن إسحاق: الذي عُفي عنه رجل واحد وهو مخشي بن حمير الأشجعي، يقال هو الذي كان يضحك ولا يخوض، وكان يمشي مجانًا لهم وينكر بعض ما يسمع، فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه، وقال: اللهم إني لا أزال أسمع آية تقرأ عني بها تقشعر الجلود منها وتجذب منها القلوب، اللهم اجعل وفاتي قتلًا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفتت أنا دفنت، فأصيب يوم اليمامة، فما أحد من المسلمين إلا عُرف مصرعه غيره.

[٦٧] قوله تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنَ بَعْضٍ﴾، أي: هم على دين واحد. وقيل: أمرهم واحد بالاجتماع على النفاق، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾، بالشرك والمعصية، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾، أي عن الإيمان والطاعة، ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: يمسكونها عن الصدقة والإنفاق في سبيل الله ولا يسطونها بخير، ﴿سُئِلُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، تركوا طاعة الله فتركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في الآخرة وتركهم في عذابه، ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٦٨] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾، كافيهم جزاء على كفرهم، ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾، أبعدهم الله من رحمته، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، دائم.

[٦٩] ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، أي: فعلتم كفعل الذين من قبلكم بالعدول من أمر الله، فلُعنتم كما لعنوا ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾، بطشًا ومنعة، ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأُولَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾، فتمتعوا أو انتفعوا بخلاقهم بنصيبيهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا به عوضًا عن الآخرة، ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ﴾، أيها الكفار والمنافقون، ﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾، وسلكتهم

الْمُتَّقِينَ

١٩٩

سُورَةُ التَّوْبَةِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ جَاهَدُوا الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ
وَمَا أَوْثَقَهُمْ جَهَنَّمَ وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ
مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ
وَهُمْ أُولَاؤُا لَمْ يَتْلُوا وَهُمْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا لَكَ خَيْرٌ لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَوُوا بَعْدَ ذَلِكَ
أَلَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٣﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ
يُجَاهِدُوا مِنْ فَضْلِهِ لِنَصْرِخَ وَلَنْ يَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٤﴾
فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ
﴿٧٥﴾ فَأَعَقِبَهُمْ بِفَأَقَى قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا
اللَّهُ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٦﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ
الْغُيُوبِ ﴿٧٧﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٨﴾

[٧٠] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾، يعني المنافقين، ﴿نَبَأًا﴾، خبر، ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، حين عصوا رُسُلنا وخالفوا أمرنا كيف عذبناهم وأهلكناهم ثم ذكرهم، فقال: ﴿قَوْمِ نُوْحٍ﴾، أهلكوا بالطوفان، ﴿وَعَادٍ﴾، أهلكوا بالريح ﴿وَتَمُودَ﴾، بالرجفة، ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾، بسلب النعمة وهلاك نمرود، ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾، يعني قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلة، ﴿وَالْمُؤْتَفِكِينَ﴾ المنقلبات التي جعلنا عاليها سافلها وهم قوم لوط وقُراهم، ﴿أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، فكذبوهم وعصوهم كما فعلتم يا معشر الكفار فاحذروا تعجيل العقوبة، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[٧١] ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في الدين واجتماع الكلمة والعون والنصرة. ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، بالإيمان والطاعة والخير، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، عن الشرك والمعصية وما لا يُعرف في الشرع، ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، المفروضة، ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[٧٢] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ﴾، منازل طيبة، ﴿فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ أي: بساتين خلد وإقامة، يُقال: عدن بالمكان إذا أقام به ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾. أي: رضا الله عنهم أكبر من ذلك النعيم الذي هم فيه، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل لأهل الجنة يا أهل الجنة هل رضىتم؟ فيقولون: ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحدًا من خلقك، فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»^(١).

[٧٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ جَاهَدُوا الْكُفَّارَ﴾: بالسيف والقتل، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾، واختلفوا في صفة جهاد المنافقين، قال ابن مسعود: بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلمه، وقال: لا تلق المنافقين إلا بوجه مكفهر. وقال ابن عباس: باللسان وترك الرفق. وقال الضحاك: بتغليظ الكلام. وقال الحسن وقتادة: بإقامة الحدود عليهم. ﴿وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ﴾. قال عطاء: نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح.

= العلم رقم (٢٦٦٩) ٢٠٥٤/٤ والمصنف في شرح السنة ٣٩٢/١٤.

(١) أخرجه البخاري في التوحيد ٤٨٧/١٣ ومسلم في الجنة وصفة نعيمها رقم (٢٨٢٩) ٢١٧٦/٤ والمصنف في شرح السنة ٢٣١/١٥.

الأعزُّ منها الأذلَّ)، وستأتي القصة في موضعها في سورة المنافقين، ﴿وَهُمُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾، قَالَ مجاهد: هم المنافقون بقتل المسلم الذي سمع قولهم: لنحن شر من الحمير، لكي لا يفشيه. وقيل: هم اثنا عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على العقبة في طريق تبوك ليفتَكُوا برسول الله ﷺ، فجاء جبريل عليه السلام وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وُجُوه رَوَاحِلِهِمْ، فأرسل حذيفة لذلك. وقال السدي: قالوا إذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبدالله بن أبي تاجا، فلم يصلوا إليه. ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾، وما كرهوا وما أنكروا منهم، ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. وذلك أن مولى الجلاس قُتِلَ فأمر رسول الله ﷺ بدينه اثني عشر ألف درهم فاستغنى. وقال الكلبي: كانوا قبل قدوم النبي ﷺ في ضَنْكٍ من العيش، فلما قَدِمَ عليهم النبي ﷺ استغنوا بالغنائم. ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ من نفاقهم وكفرهم ﴿بِكُمْ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا﴾، يعرضوا عن الإيمان، ﴿عَدَاهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾، بالخزي، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾، أي: وفي الآخرة بالنار، ﴿وَمَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

[٧٥] قوله تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملاّ قعود وقالوا: والله لئن رزقنا الله مالا لنصدقن، فلما رزقهما الله عزّ وجلّ بَخِلَا به. فقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ يعني: المنافقين ﴿مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ ولنؤدين حقّ الله منه. ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، نعمل بعمل أهل الصلاح فيه من صلة الرحم والنفقة في الخير.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾، فأخلفهم، ﴿نِفَاقًا فِي

[٧٤] قوله تعالى: ﴿يَخْلِفُوكَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾، قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل حجرة فقال: «إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاء فلا تكلموه» فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «عَلَامٌ تشتمني أنت وأصحابك؟» فانطلق الرجل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية. وقال الكلبي: نزلت في الجلاس بن سويد، وذلك أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجساً وعابهم، فقال جلاس: لئن كان محمد صادقاً لنحن شرٌّ من الحمير فسمعه عامر بن قيس، فقال: أجل إن محمداً لصادقٌ وأنتم شرٌّ من الحمير، فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الجلاس، فقال الجلاس: كذب عليّ يا رسول الله، وأمرهما رسول الله ﷺ أن يحلفا عند المنبر، فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما قاله، ولقد كذب عليّ عامر، ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد قال وما كذبتُ عليه، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم أنزل على نبيك تصديقَ الصادقِ متاً، فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون: آمين. فنزل جبريل عليه السلام من السماء قبل أن يفرقوا بهذه الآية، حتى بلغ: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، فقام الجلاس فقال: يا رسول الله أسمع الله عزّ وجلّ قد عرضَ عليّ التوبة، صدقَ عامرُ بن قيس فيما قاله لقد قلته وأنا أستغفر الله وأتوب إليه، فقبل رسول الله ﷺ ذلك منه وحسنتُ توبته. ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾، أي: أظهروا الكفر بعد إظهار الإيمان والإسلام. وقيل: هي سبُّ النبي ﷺ. وقيل: كلمة الكفر قول الجلاس: لئن كان محمد صادقاً لنحن شرٌّ من الحمير. وقيل: كلمة الكفر قولهم: (لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ

قُلُوبِهِمْ»، أي: صير عاقبة أمرهم النفاق، يقال: أعقب فلاناً ندامةً إذا صير عاقبة أمره ذلك. وقيل: عاقبهم بنفاق قلوبهم. يُقال: عاقبته وأعقبته بمعنى واحد. ﴿إِن يَوْرَ يَنْقُوتَهُ﴾، يريد حرمهم التوبة إلى يوم القيامة، ﴿يَمَّا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»^(١).

[٧٨] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾، يعني: ما أضمرُوا في قلوبهم وما تناجوا به بينهم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾.

[٧٩] ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ الآية. قال أهل التفسير: حث رسول الله ﷺ على الصدقة فجاء عبدالرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم، وقال: يا رسول الله مالي ثمانية آلاف جئت بك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله، وأمسكت أربعة آلاف لعيالي، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت»، فبارك الله في ماله حتى أنه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم. وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر. وجاء أبو عقيل الأنصاري واسمه الحبحاب بصاع من تمر، وقال: يا رسول الله بئ ليلتي أجر بالجريز الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما لأهلي وأيتيت بالآخر فأمر رسول الله ﷺ أن ينثره في الصدقة، فلمزمهم المنافقون، وقالوا: ما أعطى عبدالرحمن وعاصم إلا رياء وإن كان الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل، ولكنه أراد أن يذكر فيمن أعطى الصدقة، فأنزل الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ أَيْ: يَعْيبُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ يعني: عبدالرحمن بن عوف وعاصمًا.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾، أي: طاقتهم، يعني: أبا عقيل. والجُهد: الطاقة، بالضم لغة قريش وأهل الحجاز. وقرأ الأعرج بالفتح. قال القتيبي: الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة. ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾، يستهزئون منهم، ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾. أي: جازاهم الله على السخرية. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٨٠] ﴿أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ﴾، لفظ أمر معناه الخبر، تقديره: أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم. ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، وذكر السبعين في العدد للمبالغة في اليأس عن طمع المغفرة. قال الضحاك: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قد رخص لي فسأزيدن على السبعين لعل الله أن يغفر لهم»، فأنزل الله على رسوله ﷺ (سواء عليهم أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ). ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[٨١] ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن غزوة تبوك، والمخلف المتروك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بعودهم ﴿خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ﴾، قال أبو عبيدة: أي: بعد رسول الله ﷺ. وقيل: مخالفة لرسول الله ﷺ حين سار وأقاموا، ﴿وَكَذَهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾، وكانت غزوة تبوك في شدة الحر، ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾، يعلمون، وكذلك هو في مصحف عبدالله ابن مسعود.

[٨٢] ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾، في الدنيا، ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾، في الآخرة. تقديره: فليضحكوا قليلاً وسيكون كثيراً، ﴿جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ عن

(١) أخرجه البخاري في الإيمان ٨٩/١ ومسلم في الإيمان رقم (٥٩) ٧٨/١ والمصنف في شرح السنة ٧٢/١.

سورة التوبة

٢٠٠

سورة التوبة

أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٥﴾ فَسِرَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجْهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨٦﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٧﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاعْبُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٨﴾ وَلَا تَضِلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٩﴾ وَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهِقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْعَامُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٩١﴾

فُبْضَ.

[٨٥] ﴿وَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهِقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.
[٨٦] ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْعَامُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾، ذوو الغنى والسعة منهم في القعود والتخلف، ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾، في رحالهم.
[٨٧] ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾، يعني: النساء. وقيل: مع أدياء الناس وسفلتهم. يقال: فلان خالفه قومه إذا كان دونهم. ﴿وَطُلِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

[٨٨] ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا

موسى بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»^(١).

[٨٣] ﴿إِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ﴾ أي: ردك يا محمد من غزوة تبوك، ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾، يعني: من المخلفين، إنما قال طائفة منهم لأنه ليس كل من تخلف من غزوة تبوك كان منافقاً، ﴿فَاسْتَدْنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾، معك في غزوة أخرى، ﴿فَقُلْ﴾، لهم ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ في سفر، ﴿وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، في غزاة أخرى ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾، أي: مع النساء والصبيان، وقيل مع الزماني والمرضى. وقال ابن عباس: مع الذين تخلفوا بغير عذر. وقيل: مع الخالفين. قال الفراء: يقال صاحب خالف إذا كان مخالفاً. ﴿وَلَا تَضِلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لما مات عبدالله بن أبي ابن سلول دُعي له رسول الله ﷺ ليصلى عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أبي ابن سلول وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ أعدد عليه قوله، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أخّر عني يا عمر» فلما أكثر عليه قال: «إني خيّرْتُ فاخترت لو أعلم أنني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها»، قال: فصلي عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة: (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره)، إلى قوله: (وهم فاسقون). قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ، والله ورسوله أعلم^(٢).

[٨٤] قوله: ﴿وَلَا تَضِلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾، لا تقف عليه، ولا تتول دفنه، من قولهم: قام فلان بأمر فلان إذا كفاه أمره. ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾، فما صلى النبي ﷺ بعدها على منافق ولا قام على قبره حتى

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٢٨٠ ومسلم في الفضائل رقم (٢٣٥٩) ١٨٣٢/٤ والمصنف في شرح السنة ١٤/ ٣٦٨. (٢) أخرجه البخاري في الجنائز ٣/ ٢٢٨.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٠١

سُورَةُ التَّوْبَةِ

رَضُوا إِنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِذْ مَا أَحْمَلْكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَحْدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا إِنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ، يعني الحسنات، وقيل: الجواري الحسان في الجنة. قال الله تعالى: (فيهنَّ خيراتٌ حسان)، جمع خيرة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[٨٩] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٩٠] قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ الآية، قرأ يعقوب ومجاهد: (المُعَذِّرُونَ) بالتخفيف وهم المبالغون في العذر، يقال في المثل: «لقد أعذر من أنذر»، أي: بالغ في العذر من قدم النذارة، وقرأ الآخرون (المُعَذِّرُونَ) بالتشديد، أي المقصرون، يقال: عذَّر، أي: قصر، وقال الفراء: المعذرون المعتذرون أدغمت

التاء في الذال ونقلت حركة التاء إلى العين. وقال الضحاك: المعذرون هم رهط عامر بن الطفيل جاؤوا رسول الله ﷺ دفاعاً عن أنفسهم فقالوا: يا نبي الله إن نحن غزونا معك تغير أعراب طيء على حلاتنا وأولادنا ومواشينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «قد أنبأني الله من أخباركم وسيغني الله عنكم».

وقال ابن عباس: هم الذين تخلفوا بعذر بإذن رسول الله ﷺ. ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، يعني المنافقين. قال أبو عمر بن العلاء: كلا الفريقين كان مسيئاً قوم تكلفوا عذراً بالباطل وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله (وجاء المعذرون)، وقوم تخلفوا عن غير تكلف عذر ففقدوا جرأة على الله تعالى، وهم المنافقون فأوعدهم الله بقوله: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم ذكر أهل العذر.

[٩١] فقال جل ذكره: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾، قال ابن عباس: يعني الزمنى والمشايخ والعجزة. وقيل: هم الصبيان وقيل: النسوان، ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾، يعني الفقراء ﴿حَرَجٌ﴾، مأثم. وقيل: ضيق في

القعود عن الغزو، ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، في مغيبهم وأخلصوا الإيمان والعمل لله وبايعوا الرسول ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾، أي: من طريق بالعقوبة، ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. قال قتادة: نزلت في زيد بن عمر وأصحابه. وقال الضحاك: نزلت في عبدالله بن أم مكتوم وكان ضريب البصر.

[٩٢] قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾، معناه أنه لا سبيل على الأولين ولا على هؤلاء الذين أتوك وهم سبعة نفر سُموا البكائين: معقل بن يسار، وصخر بن خنساء، وعبدالله بن كعب الأنصاري، وعبله بن زيد الأنصاري، وسالم ابن عمير، وثعلبة بن غنمة، وعبدالله بن مغفل المزني، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن الله قد ندبنا إلى الخروج معك فاحملنا. واختلفوا في قوله (لتحملهم) قال ابن عباس: سألوه أن

سُورَةُ التَّوْبَةِ

٢٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسِيرَى
اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَزِيدُونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيَنْتَقِمُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنُتَعَرَّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا
عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآ وَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَنُرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ
تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا
حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ
عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ
مَا يُنْفِقُ قُرْبًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ
لَهُمْ سَيِّدُ خُلُقِهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾

يحملهم على الدواب. وقيل: سألوه أن يحملهم
على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة، ليغزوا
معه فأجابهم النبي ﷺ كما أخبر الله عنه في قوله
تعالى: ﴿قُلْتُ لَا أَحَدٌ مَّا أَهْلَكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا﴾،
وهم سيكون، فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيَنَهُمْ
نَقِضْ مِنَ الدَّمِ حَرًّا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾.

[٩٣] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾، بالعقوبة، ﴿عَلَى الَّذِينَ
يَسْتَعِزُّونَ﴾، في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ
يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾. مع النساء والصبيان، ﴿وَطَبَعَ
اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٩٤] ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾، يروى
أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا
بضعةً وثمانين نفرًا، فلما رجع رسول الله ﷺ
جاؤوا يعتذرون بالباطل. قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا
تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾، لن نصدقكم، ﴿قَدْ نَبَأْنَا
اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾، فيما سلف، ﴿وسيرى الله
عملكم ورسوله﴾، في المستأنف أتتوبون من نفاقكم
أم تقيمون عليه؟ ﴿ثُمَّ تَزِيدُونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيَنْتَقِمُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٩٥] ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾،
إذا انصرفتم إليهم من غزوكم، ﴿لَنُتَعَرَّضُوا عَنْهُمْ﴾،
لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم، ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾،
فدعوهم، وما اختاروا لأنفسهم من النفاق، ﴿إِنَّهُمْ
رَجِسٌ نَجِسٌ أَي: إن عملهم قبيح، ﴿وَمَا وَهُمْ﴾،
في الآخرة، ﴿جَهَنَّمَ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا
يَكْسِبُونَ﴾. قال ابن عباس: نزلت في جد بن قيس
ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلًا
من المنافقين. فقال النبي ﷺ حين قدم المدينة:
«لَا تُجَالِسُوهُمْ وَلَا تَكَلِّمُوهُمْ». وقال مقاتل: نزلت
في عبد الله بن أبي حلف للنبي ﷺ بالله الذي لا إله
إلا هو لا يتخلف عنه بعدها، وطلب من النبي ﷺ
أن يرضى عنه، فأنزل الله عز وجل هذه الآية:
[٩٦] ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَنُرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرَضُوا

عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.
[٩٧] ﴿الْأَعْرَابُ﴾، أي: أهل البدو، ﴿أَشَدُّ
كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾، من أهل الحضر، ﴿وَأَجْدَرُ﴾،
أي: أخلق وأحرى، ﴿أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
عَلَى رَسُولِهِ﴾، وذلك لبعدهم عن سماع القرآن
ومعرفة السنن، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾، بما في قلوب خلقه،
﴿حَكِيمٌ﴾، فيما فرض من فرائضه.
[٩٨] ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾.
قال عطاء: لا يرجون على إعطائه ثوابًا ولا يخافون
على إمساكه عقابًا إنما ينفق خوفًا ورياء. والمغرم
التزام ما لا يلزم ﴿وَيَتَرَبَّصُّ﴾. وينتظر، ﴿بِكُمُ
الدَّوَائِرَ﴾، يعني: صروف الزمان التي تأتي مرة
بالخير ومرة بالشر. وقال يمان بن رباب: يعني
ينقلب الزمان عليكم فيموت الرسول ويظهر
المشركون، ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾، عليهم يدور

البلاء والحزن ولا يرون في محمد ودينه إلا ما يكرهون وما يسوؤهم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (دائرة الشؤء) ههنا وفي سورة الفتح بضم السين، معناه: الضر والبلاء والمكروه. وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر. وقيل: بالفتح الردة والفساد، وبالضم الضر والمكروه. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، نزلت في أعراب أسد وغطفان وتميم. ثم استثنى فقال:

[٩٩] ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، قال مجاهد: هم بنو مقرن من مزية. وقال الكلبي: أسلم وغفار وجهينة ﴿وَيَتَّخِذُوا مَا يُفِيقُ فُرْجَتَ عَبْدِ اللَّهِ﴾، القربات جمع القرية، أي: يطلب القرية إلى الله تعالى، ﴿وَصَلَّوْا الرَّسُولَ﴾، أي: دعاءه واستغفاره، قال عطاء: يرغبون في دعاء النبي ﷺ. ﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾. قرأ نافع برواية ورش قرية بضم الراء، والباقون بسكونها. ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾، في جنته، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١٠٠] ﴿وَالسَّيْفُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ الآية. قرأ يعقوب بالرفع، عطفاً على قوله: ﴿وَالسَّيْفُونَ﴾، واختلفوا في السابقين، قال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة: هم الذين صلوا إلى القبلتين. وقال عطاء بن أبي رباح: هم أهل بدر. وقال الشعبي: هم الذين شهدوا بيعة الرضوان. قوله عز وجل: ﴿وَالسَّيْفُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ﴾، الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا أوطانهم ﴿وَالْأَنْصَارِ﴾ أي: ومن الأنصار وهم الذين نصرُوا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل المدينة وآووا أصحابه، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَحْسِنُونَ﴾ قيل: بقية المهاجرين والأنصار سوى السابقين الأولين. وقيل: هم الذين سلكوا سبيلهم في الإيمان والهجرة أو النصرة إلى يوم القيامة. وقال عطاء: هم الذين يذكرون المهاجرين

٢٠٣
وَالسَّيْفُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَحْسِنُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩٩﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٠﴾ وَآخَرُونَ أَتَوْا بِذُنُوبِهِمْ خَطَرُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرُ سِقَايَ اللَّهِ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠١﴾ حَذَرْنَا أَوْلِيَهُمْ صَدَقَ تَطَهَّرَهُمْ وَزَكَّيَهُمْ بِمَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٣﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَيَرْدُّونَ إِلَى عِلِّيِّهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِئُكُمْ بِمَآكِنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٤﴾ وَآخَرُونَ مُّرْجُونَ إِلَى اللَّهِ أِمَّا يَعْذِيبُهُمْ أِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٥﴾

والأنصار بالترحم والدعاء. ثم جمعهم الله عز وجل في الثواب فقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، قرأ ابن كثير: (من تحتها الأنهار)، وكذلك هو في مصاحف أهل مكة، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠١] ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾، وهم من مزية وجهينة وأشجع وأسلم وغفار كانت منازلهم حول المدينة، يقول: من هؤلاء الأعراب منافقون، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾، أي: ومن أهل المدينة من الأوس والخزرج قوم منافقون، ﴿مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ﴾، أي: مروا على النفاق، يقال: تمرّد فلان على ربّه أي: عتا، ومرد على معصيته أي: مرن وثبت عليها واعتادها، ومنه: المريد والمارد. قال ابن إسحاق: لجوا فيه

الله ﷺ مَرَّ بِهِمْ فَأَرْهَمَ فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْكَ فَعَاهَدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُطْلَقُوا أَنْفُسَهُمْ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ تَطْلُقُهُمْ وَتَرْضَى عَنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَنَا أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا أُطْلِقُهُمْ وَلَا أُعْذِرُهُمْ حَتَّى أُمَرَ بِإِطْلَاقِهِمْ، لِأَنَّهُمْ رَغَبُوا عَنِّي وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَطْلَقَهُمْ وَعْذَرَهُمْ، فَلَمَّا أُطْلِقُوا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أَمْوَالُنَا الَّتِي خَلَفْنَا عَنْكَ فَتَصَدَّقْ بِهَا وَطَهِّرْنَا وَاسْتَغْفِرْ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَمَرْتُ أَنْ أَخَذَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً) الْآيَةَ.

[١٠٣] ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾، بِهَا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، ﴿وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾، أَي: تَرْفَعُهُمْ مِنْ مَنَازِلِ الْمُنَافِقِينَ إِلَى مَنَازِلِ الْمَخْلُصِينَ. وَقِيلَ: تَنْمِي أَمْوَالَهُمْ ﴿وَصَلَّ عَلَيْهِمْ﴾، أَي: ادْعُ لَهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ. وَقِيلَ: هُوَ قَوْلُ السَّاعِي لِلْمَصَدَّقِ إِذَا أَخَذَ الصَّدَقَةَ مِنْهُ: أَجْرَكَ اللَّهُ فِيمَا أَعْطَيْتَ وَبَارَكَ لَكَ فِيمَا أَبْقَيْتَ. وَالصَّلَاةُ فِي اللُّغَةِ: الدَّعَاءُ. ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ﴾ قَرَأَ حِمْزَةً وَالْكَسَائِي: (صَلَاتَكَ) عَلَى التَّوْحِيدِ وَنَصَبَ التَّاءَ هَهُنَا، وَفِي سُورَةِ هُودَ (أَصْلَاتَكَ) وَفِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَى صَلَاتِهِمْ) كُلُّهُنَّ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَأَفَقَّهُمَا حَفْصٌ هَهُنَا وَفِي سُورَةِ هُودَ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْجَمْعِ فِيهِنَّ وَكَسَرَ التَّاءَ هَاهُنَا وَفِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا خِلَافَ فِي الَّتِي فِي الْأَنْعَامِ: (وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحَافِظُونَ) وَالَّتِي فِي الْمَعَاجِرِ: (وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) إِنَّمَا جَمِيعًا عَلَى التَّوْحِيدِ. ﴿سَكَنَ لَهُمْ﴾، أَي: إِنْ دَعَاكَ رَحْمَةُ لَهِمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَقِيلَ: طَمَآنِينَةٌ لَهُمْ وَسَكُونٌ لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَبِلَ مِنْهُمْ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: تَثَبَّتْ لِقُلُوبِهِمْ. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وَاخْتَلَفُوا فِي وَجُوبِ الدَّعَاءِ عَلَى الْإِمَامِ عِنْدَ أَخْذِ الصَّدَقَةِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: يَجِبُ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يُسْتَحَبُّ. وَقَالَ

وَأَبُو غَيْرِهِ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: أَقَامُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يَتَوَبَّوْا، ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾، أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ، ﴿تَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَمِعَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾، اخْتَلَفُوا فِي هَذَيْنِ الْعَذَابَيْنِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: الْأَوَّلُ الْقَتْلُ وَالسَّبْيُ، وَالثَّانِي عَذَابُ الْقَبْرِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الدَّبِيلَةُ فِي الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْقَبْرِ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْأَوَّلَى الْمَصَائِبُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ فِي الدُّنْيَا، وَالْآخَرَى عَذَابُ الْآخِرَةِ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْأَوَّلَى إِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ، وَالْآخَرَى عَذَابُ الْقَبْرِ. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: هُوَ مَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنْ غِيظِ الْإِسْلَامِ وَدُخُولِهِمْ فِيهِ مِنْ غَيْرِ حِسْبَةٍ ثُمَّ عَذَابُ الْقَبْرِ. وَقِيلَ: أَحَدُهُمَا ضَرْبُ الْمَلَائِكَةِ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ عِنْدَ قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، وَالْآخَرُ عَذَابُ الْقَبْرِ. وَقِيلَ: الْأَوَّلَى إِحْرَاقُ مَسْجِدِ الضَّرَارِ، وَالْآخَرَى إِحْرَاقُهُمْ بِنَارِ جَهَنَّمَ. ﴿ثُمَّ يُرْذَوْنَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾، أَي: عَذَابُ جَهَنَّمَ يَخْلُدُونَ فِيهِ.

[١٠٢] ﴿وَأَخْرَوْنَ﴾، أَي: وَمَنْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ أَوْ مِنَ الْأَعْرَابِ آخَرُونَ، وَلَا يَرْجِعُ هَذَا إِلَى الْمُنَافِقِينَ، ﴿اعْرِضُوا﴾، أَقْرُوا، ﴿بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾، وَهُوَ إِقْرَارُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ، ﴿وَأَخَّرَ سِتًّا﴾، أَي: بِعَمَلٍ آخِرٍ سَيِّئٍ، وَضَعُ الْوَاوِ مَوْضِعَ الْبَاءِ، كَمَا يُقَالُ: خَلَطْتُ الْمَاءَ وَاللَّبْنَ، أَي: بِاللَّبَنِ. وَالْعَمَلُ السَّيِّئُ هُوَ تَخَلُّفُهُمْ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ نِدَامَتُهُمْ وَرِبْطُهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِالسَّوَارِي. وَقِيلَ: غَزَوَاتُهُمْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قَوْمٍ تَخَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، ثُمَّ نَدِمُوا عَلَى ذَلِكَ، وَقَالُوا: نَكُونُ فِي الظَّلَالِ مَعَ النِّسَاءِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فِي الْجِهَادِ وَاللَّأْوَاءِ، فَلَمَّا قَرَّبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ قَالُوا: وَاللَّهِ لَنُؤْتِقَنَّ أَنْفُسَنَا بِالسَّوَارِي فَلَا نُطْلِقُهَا حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي يُطْلِقُنَا وَيُعْذِرُنَا، فَأَوْثَقُوا أَنْفُسَهُمْ بِسَوَارِي الْمَسْجِدِ فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ

خمسین ليلة.

[١٠٧] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا

ضَرَارًا﴾، نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين

بنوا مسجدًا يضارون به مسجد قباء ضرارًا يعني

مضارة للمؤمنين، ﴿وَكُفْرًا﴾ بالله ورسوله، ﴿وَقَرِيبًا

بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، لأنهم كانوا جميعًا يصلون في

مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم

فيؤدي ذلك إلى الاختلاف وافتراق الكلمة.

﴿وَإِصْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، أي:

انتظارًا وإعدادًا لمن حارب الله ورسوله يقال:

أرصدت له إذا عدت له، وهو أبو عامر الفاسق

أرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من

قوة ومن سلاح، واثبؤا لي مسجدًا فإنني ذاهب إلى

قيصر ملك الروم فأت بجندٍ من الروم، فأخرج

محمدًا وأصحابه من المدينة، فبنوا مسجد الضرار

إلى جنب مسجد قباء، فذلك قوله تعالى:

(وَإِصْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ)، وهو

أبو عامر الفاسق ليصلي فيه إذا رجع من الشام.

قوله: (من قبل) يرجع إلى أبي عامر يعني حارب

الله ورسوله من قبل أي: من قبل بناء مسجد

الضرار، ﴿وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا﴾، ما أردنا بينائه، ﴿إِلَّا

الْحُسْنَ﴾، إلا الفعلة الحسنى وهو الرفق بالمسلمين

والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن السير إلى

مسجد رسول الله ﷺ، ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ

لَكَاذِبُونَ﴾، في قولهم وحلفهم.

[١٠٨] قوله تعالى: ﴿لَا تَقْعُدُوا فِيهِ أَبَدًا﴾، قال

ابن عباس: «لا تُصَلَّ فيه» منع الله تعالى نبيه ﷺ أن

يصلي في مسجد الضرار. ﴿لَمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى

التَّقْوَى﴾. اللام لام الابتداء. وقيل: لام القسم،

بعضهم: يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع. وقيل: يجب على الإمام ويستحب للفقير أن يدعوا للمعطي.

[١٠٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ

عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾، أي: يقبلها، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ

الْتَوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ عن أبي هريرة قال: سمعت أبا

القاسم ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده ما من عبد

يتصدق بصدقة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا

طيبًا ولا يصدق إلى السماء إلا طيبًا إلا كأنما

يضعها في يد الرحمن عز وجل فيريها له كما يربي

أحدكم فلوله، حتى أن اللقمة لتأتي يوم القيامة وإنها

لمثل الجبل العظيم، ثم قرأ: (إن الله هو يقبل التوبة

عن عباده ويأخذ الصدقات) (١).

[١٠٥] قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَتَمَلُّوا فَسَّرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ

وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالَمِ وَالشَّهَادَةِ

فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، قال مجاهد: هذا وعيد

لهم. وقيل: رؤية للنبي ﷺ بإعلام الله تعالى إياه،

ورؤية المؤمنين بإيقاع المحبة في قلوبهم لأهل

الصلاح، والبغض لأهل الفساد.

[١٠٦] قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا مُرَجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا

يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَبُوءُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قرأ أهل

المدينة والكوفة غير أبي بكر: (مرجون) بغير همز،

والآخرون بالهمز، والإرجاء: التأخير، مرجون:

مؤخرون لأمر الله: لحكم الله عز وجل فيهم، وهم

الثلاثة الذين تأتي قصتهم من بعد: كعب بن مالك

وهلال بن أمية ومرة بن الربيع، لم يبالغوا في

التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه،

فوقفهم رسول الله ﷺ خمسین ليلة ونهى الناس عن

مكالمتهم ومخالطتهم، حتى شقهم القلق وضائق

عليهم الأرض بما رحبت، وكانوا من أهل بدر

فجعل أناسٌ يقولون: هلكوا، وآخرون يقولون:

عسى الله أن يغفر لهم، فصاروا مرجئين لأمر الله لا

يدرون أيعذبهم أم يرحمهم، حتى نزلت توبتهم بعد

(١) أخرجه الشافعي بإسناد حسن في المسند ٢٢٠/١ والمصنف في شرح السنة ١٣١/٦ وصححه الحاكم على شرط الشيخين ٣٣٥/٢ وأصل معنى الحديث ثابت في الصحيحين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٠٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِصْرًا لِلَّذِينَ هَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
وَلِيَحْلِفُنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
(١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ
يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا
وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ
عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرًا مَّنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ
عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَاتَّخَذَ رِجَالُ يَدَيْهِ
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)
إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
بِأَنْ لَّهُمُ الْجَنَّةَ يُقْدِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ
وَالْإِنْشَاءِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِيعْكُمْ الَّذِي يَبْعُكُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ (١١١)

تقديره: والله لمسجد أُسِّس أي: بُني أصله على
التقوى، ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾، أي: من أول يوم بني
ووضع أساسه، ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾، مصلية،
واختلفوا في المسجد الذي أسس على التقوى،
فقال ابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري:
هو مسجد المدينة مسجد الرسول ﷺ، والدليل
عليه قول الرسول ﷺ قال: «ما بين بيتي ومنبري
روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»^(١)،
وذهب قوم إلى أنه مسجد قباء وهو رواية عطية عن
ابن عباس وهو قول عروة بن الزبير وسعيد بن جبير
وقتادة. ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا
الْأَحْدَاثَ وَالْجَنَابَاتِ وَالنَّجَاسَاتِ: وقال عطاء:
كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على
الجنابة﴾ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ، أي المتطهرين.

[١٠٩] ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ﴾ قرأ نافع وابن
عامر (أُسَّسَ) بضم الهمزة وكسر السين، (بنيانه)
برفع النون فيها جميعاً على غير تسمية الفاعل.
وقرأ الآخرون (أُسَّسَ) فتح الهمزة والسين (بنيانه)
بنصب النون على تسمية الفاعل. ﴿عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ
اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ﴾، أي: على طلب التقوى ورضا
الله تعالى خير ﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ﴾،
أي: على شفير، ﴿جُرْفٍ﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة
وأبو بكر (جرف) ساكنة الراء، وقرأ الباقون بضم
الراء وهما لغتان، وهي البئر التي لم تُطَوَّ، قال أبو
عبيدة: هو الهوة وما يجرفه السيل من الأودية
فيتجرف بالماء فيبقى واهياً، ﴿هَارٍ﴾، أي: هائر
وهو الساقط يقال: هار يهور فهو هائر، ثم يقلب
فيقال: هار مثل شاك وشائك وعاق عائق. وقيل:
هو من هار بها إذا انهدم، ومعناه الساقط الذي
يتداعى بعضه في إثر بعض كما ينهار الرمل والشيء
الرخو. ﴿فَاتَّخَذَ رِجَالُ يَدَيْهِ﴾، أي: قال ابن عباس رضي
الله عنهما: يريد صيرهم النفاق إلى النار. ﴿وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[١١٠] ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً﴾، أي:
شكاً ونفاقاً، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾، يحسبون أنهم كانوا في
بنائه محسنين كما حُب العجل إلى قوم موسى.
قاله ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الكلبي:
حسرة وندامة لأنهم ندموا على بنائه. وقال
السدي: لا يزال هدم بنيانهم ريبة وحزاة وغبطاً
في قلوبهم. ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾، أي: تنصدع
قلوبهم فيموتوا. وقرأ ابن عامر وأبو جعفر وحفص
وحمزة (تقطع) بفتح التاء أي: تنقطع، فحذفت
إحدى التائين تخفيفاً، وقرأ الآخرون (تقطع) بضم
التاء من التقطيع، وقرأ يعقوب وحده (إلى أن)
بتخفيف اللام على الغاية، وقرأ الباقون ﴿إِلَّا أَنْ﴾

(١) أخرجه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة
والمدينة ٧٠/٣ ومسلم في الحج رقم (١٣٩١) ١٠١١/٢
والمصنف في شرح السنة ٣٣٨/٢.

بتشديد اللام على الاستثناء، ويدل على قراءة يعقوب تفسير الضحاك وقتادة: لا يزالون في شك منه وندامة إلى أن يموتوا فحيثئذ يستيقنوا. ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾.

[١١١] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾، قال محمد بن كعب القرظي: لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفساً، قال عبدالله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: اشترط لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً، واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة، قالوا: ربح البيع لا نقبل ولا نستقبل فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْتَ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾، وقرأ الأعمش (بالجنة) ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾، وقرأ حمزة والكسائي: (فيقتلون) بضم الياء وفتح التاء (ويقتلون) بفتح الياء وضم التاء على تقديم فعل المفعول على فعل الفاعل، يعني: يقتل بعضهم ويقتل الباقيون، وقرأ الباقيون (فيقتلون) بفتح الياء وضم التاء (ويقتلون) بضم الياء وفتح التاء على تقديم فعل الفاعل على ما فعل المفعول. والوجه أنهم يقتلون الكفار أولاً ثم يستشهدون، هذا الوجه أظهر والقراءة به أكثر. ﴿وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾ أي: ثواب الجنة لهم وعدٌ وحقٌّ ﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ﴾، يعني أن الله عز وجل وعدهم هذا الوعد وبينه في هذه الكتب، وفيه دليل على أن أهل الملل كلهم أمروا بالجهاد على ثواب الجنة، ثم هناهم فقال: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا﴾، فافرحوا ﴿يَبْعَثُكُمْ فِي الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، قال عمر رضي الله عنه: إن الله عز وجل بايعك وجعل الصفتين لك. وقال قتادة: ثأمتهم الله عز وجل فأغلى لهم، وقال

سورة التوبة ٢٠٥

الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَمْ يَكُونُوا لَكُمْ رُسُلًا فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴿١١١﴾

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ الْمُفْسِدِ وَالْمُنْفِرِ وَالْحَفَظُونَ أَلَمْ يَدْرَأُوا أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانُوا لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّ هُمُ الْأَصْحَابُ الْحَرَامِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانُوا اسْتَغْفَارًا لِإِبْرَاهِيمَ لِأَنَّهُ لَأَعَنَ مَوْعِدَةً وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانُوا اللَّهُ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

الحسن: اسعوا إلى بيعة ربيعة بايع الله بها كل مؤمن. وعنه أنه قال: إن الله أعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها. ثم وصفهم فقال: [١١٢] ﴿الْمُتَّقِينَ﴾، قال الفراء: استؤنفت بالرفع لتمام الآية وانقطاع الكلام. وقال الزجاج: التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمرة والمعنى التائبون إلى آخر الآية لهم الجنة أيضاً. أي: من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لتترك الجهاد، لأن بعض المسلمين يُجزي عن بعض في الجهاد، فمن كانت هذه صفته فله الجنة أيضاً، وهذا أحسن فكانه وعد الجنة لجميع المؤمنين، كما قال: (وكلًا وعد الله الحسنى)، فمن جعله تابعا للأول فلهم الوعد بالجنة أيضاً، وإن كان الوعد بالجنة للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات. قوله: ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ أي: الذين تابوا من الشرك وبرؤوا من

النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ)، إِلَى قَوْلِهِ: (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأُبَيِّهَ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ) (٣).

[١١٤] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾، قَالَ بَعْضُهُمْ: الْهَاءُ فِي إِيَّاهُ عَائِدَةٌ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَالْوَعْدُ كَانَ مِنْ أَبِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ وَعَدَهُ أَنْ يَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي يَعْنِي إِذَا أَسْلَمْتَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْهَاءُ رَاجِعَةٌ إِلَى الْأَبِ وَذَلِكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَعَدَ أَبَاهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ رَجَاءً إِسْلَامِهِ. وَهُوَ قَوْلُهُ: (سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي)، يَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ الْحُسْنِ: (وَعَدَهَا أَبَاهُ)، بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ، وَالِدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْوَعْدَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ الْاسْتِغْفَارُ فِي حَالِ شَرِكِ الْأَبِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ)، إِلَى أَنَّ قَالَ: (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ)، فَصَرَّحَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَيْسَ بِقَدْوَةٍ فِي هَذَا الْاسْتِغْفَارِ، وَإِنَّمَا اسْتَغْفَرَ لَهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ لِمَكَانِ الْوَعْدِ رَجَاءً أَنْ يَسْلَمَ. ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾، لِمَوْتِهِ عَلَى الْكُفْرِ، ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾، وَقِيلَ: فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ أَيُّ: يَتَبَرَّأُ مِنْهُ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾، اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْأَوَّاهِ، جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ الْأَوَّاهَ الْخَاشِعُ الْمَتَضَرِّعُ». وَقَالَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: الْأَوَّاهُ الدَّعَاءُ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: هُوَ الْمُؤْمِنُ التَّوَّابُ. وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: الْأَوَّاهُ الرَّحِيمُ بَعْبَادِ اللَّهِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْأَوَّاهُ الْمُوقِنُ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ الْمُسْتَقِيمُ بِلُغَةِ الْحَبْشَةِ.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٥١٢/١٤ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ٥/٣٥٩. (٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ مَطْوُلاً ٥١٣/١٤. (٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي التَّفْسِيرِ ٥٠٥/٨ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ ٣٣٥/٢، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو يَعْلَى وَالبَزَّازُ - انْظُرِ الْكَافِيَ الشَّافِي ص ٨٢، وَتَحْقِيقَ الْأَحْوَذِيِّ ٥٠٥/٨.

النِّفَاقُ ﴿الْمَكِيدُونَ﴾ الْمَطِيعُونَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿الْمُحْمَدُونَ﴾، الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴿الْمُسْتَحْسِنُونَ﴾، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هُمُ الصَّائِمُونَ. وَقَالَ عَطَاءُ: السَّائِحُونَ الْغَزَاةُ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: السَّائِحُونَ هُمُ طَلِبَةُ الْعِلْمِ. ﴿الرَّكَّعُونَ السَّجِدُونَ﴾، يَعْنِي الْمَصْلِحِينَ، ﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، بِالْإِيمَانِ، ﴿وَالْكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ عَنِ الشَّرِّ. وَقِيلَ: الْمَعْرُوفُ السَّنَةُ وَالْمُنْكَرُ الْبِدْعَةُ. ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾، الْقَائِمُونَ بِأَوَامِرِ اللَّهِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: أَهْلُ الْوَفَاءِ بِيَعَةِ اللَّهِ. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٣] ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾، اخْتَلَفُوا فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، قَالَ قَوْمٌ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَقَالَ: «أَيُّ عَمَلٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ وَيَعُودَانِ لَتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلِمَهُمْ: أَنَا عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ؟ وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَتِهِ مِنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَبُرَيْدَةُ: لَمَّا قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَةَ أَتَى قَبْرَ أُمِّهِ أَمَةً فَوَقَّفَ عَلَيْهِ حَتَّى حَمَيْتِ الشَّمْسُ رَجَاءً أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فَيَسْتَغْفِرَ لَهَا فَتَزَلَّتْ: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) الْآيَةُ (١). قَالَ قَتَادَةُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لِأَبِي، كَمَا اسْتَغْفَرَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ (٢). وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَجُلًا يَسْتَغْفِرُ لَوْلَدِيهِ وَهُمَا مُشْرِكَانِ، فَقُلْتُ لَهُ: تَسْتَغْفِرُ لِهَمَا وَهُمَا مُشْرِكَانِ؟ فَقَالَ: أَوْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ؟ فَاتَيْتُ

وقال كعب الأحبار: هو الذي يكثر التأوّه، وكان إبراهيم عليه السلام يكثر أن يقول: أوّه من النار، قبل ألا ينفع أوّه. وقيل: هو الذي يتأوّه من الذنوب. وقال عقبة بن عامر: الأوّاه الكثير الذكر لله تعالى. وعن سعيد بن جبير قال: الأوّاه المسبّح. ورؤي عنه: الأوّاه: المعلم للخير. وقال النخعي: هو الفقيه. وقال عطاء: هو الراجع عن كل ما يكره الله. وقال أيضًا: هو الخائف من النار. وقال أبو عبيدة: هو المتأوّه شفقًا وقرقًا المتضرع يقينًا. يريد أن يكون تضرعه على يقين الإجابة ولزوم الطاعة. قال الزجاج: قد انتظم في قول أبي عبيدة أكثر ما قيل في الأوّاه. وأصله من التأوّه وهو أن يسمع للصدر صوت من تنفس الصعداء، والفعل منه أوّه وتأوّه، والحليم الصفوح عمن سبه أو ناله بالمكروه، كما قال لأبيه عند وعيده. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الحليم السيد.

[١١٥] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ﴾، معناه: ما كان الله ليحكم عليكم بالضلالة بترك الأوامر باستغفاركم للمشركين، ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾، يريد حتى يتقدم إليكم بالنهي، فإذا بيّن ولم تأخذوا به فعند ذلك تَسْتَحِقُّونَ الضلال. وقال مقاتل والكلبي: هذا في المنسوخ وذلك أن قومًا قدموا على النبي ﷺ فأسلموا ولم تكن الخمر حرامًا ولا القبله مصروفة إلى الكعبة، فرجعوا إلى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبله، ولا علم لهم بذلك، ثم قدموا بعد ذلك المدينة فوجدوا الخمر قد حُرِّمَتْ والقبله قد صُرِّفَتْ، فقالوا: يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن ضلّال؟ فأنزل الله تعالى: (وما كان الله ليضل قومًا بعد إذ هداهم)، يعني ما كان الله ليبطل عمل قوم قد علموا بالمنسوخ حتى يبيّن لهم الناسخ. ﴿إِنَّ اللَّهَ

يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ﴾، ثم عظم نفسه فقال: [١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يحكم بما يشاء، ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. [١١٧] قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾، الآية، تاب الله أي: تجاوز وصفح. ومعنى توبته على النبي ﷺ بإذنه للمنافقين بالتخلف عنه. وقيل: افتتح الكلام به لأنه كان سبب توبتهم، فذكره معهم، كقوله تعالى: (فَأَنَّ اللَّهَ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ)، ونحوه. ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾، أي: في وقت العسرة، ولم يرد ساعة بعينها، وكانت غزوة تبوك تُسمى غزوة العسرة، والجيش يسمى جيش العسرة، والعسرة الشدة، وكانت عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء، قال الحسن: كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يتعقبونه يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك، وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير ﴿مِّن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ قرأ حمزة وحفص: (يزيغ) بالياء لقوله (كاد) ولم يقل: كادث. وقرأ الآخرون بالتاء. والزيغ: الميل، أي: من بعد كادت تميل، ﴿قُلُوبٌ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾، أي: قلوب بعضهم، ولم يرد الميل عن الدين بل أراد الميل إلى التخلف والانصراف للشدة التي عليهم. قال الكلبي: هم ناسٌ بالتخلف ثم لحقوه. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، فإن قيل: كيف أعاد ذكر التوبة وقد قال في أول الآية (لقد تاب الله على النبي)؟ قيل: ذكر التوبة في أول الآية قبل ذكر الذنب، وهو محض الفضل من الله عز وجل، فلما ذكر الذنب أعاد ذكر التوبة، والمراد منه قبولها. ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رَهَوْفٌ رَّحِيمٌ﴾. قال ابن عباس: من تاب الله عليه لم يعذبه أبدًا.

[١١٨] قوله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ أي: خَلَفُوا من غزوة تبوك. وقيل: خَلَفُوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٠٦

سُورَةُ التَّوْبَةِ

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا يَخَمَصُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظَ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُفْقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

يُصِيبُهُمْ، في سفرهم، ﴿ظَمَأٌ﴾، عطش، ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾، تعب، ﴿وَلَا خَمَصَةٌ﴾، مجاعة، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا﴾، أرضاً، ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾، وطوهم إياه، ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا﴾، أي: لا يصيبون من عدوهم قتلاً أو أسراً أو غنيمة أو هزيمة، ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ كان رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهَا اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(١). واختلفوا في حكم هذه الآية، قال قتادة: هذه خاصة لرسول الله ﷺ إذا غزا بنفسه لم يكن لأحد أن يتخلف عنه إلا بعذر، فأما غيره من الأئمة والولاة فيجوز لمن شاء من المسلمين أن يتخلف عنه إذا لم يكن بالمسلمين إليه ضرورة،

(١) أخرجه البخاري في الجمعة ٣٩٠/٢ والمصنف في شرح السنة ٣٥٣/١٠.

أي: أرجى أمرهم عن توبة أبي لبابة وأصحابه، وهؤلاء الثلاثة هم كعب بن مالك الشاعر ومُرة ابن الربيع وهلال بن أمية كلهم من الأنصار. قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾، اتسعت، ﴿وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾، غمًا وهمًا، ﴿وَزَنُّوا﴾، أي: تيقنوا، ﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ﴾، لا مفرج من الله، ﴿إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾، أي: ليستقيموا على التوبة فإن توبتهم قد سبقت. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

[١١٩] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، قال نافع: مع محمد وأصحابه. وقال سعيد بن جبیر: مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وقال ابن جريج: مع المهاجرين، لقوله تعالى: (للفقراء المهاجرين) إلى قوله (وأولئك هم الصادقون). وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك بإخلاص نية. وقيل: مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة، وكان ابن مسعود يقرأ: (وكونوا مع الصادقين) وقال ابن مسعود: إن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيه شيئاً ثم لا ينجز له، اقرؤوا إن شئتم هذه الآية.

[١٢٠] قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ ظاهره خبر معناه نهى، كقوله تعالى: (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله)، ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾، سكان البوادي مُزينة وجُهينة وأشجع وأسلم وغفار. ﴿أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾، إذا غزا، ﴿وَلَا يَرْغَبُوا﴾، أي: ولا أن يرغبوا، ﴿بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾، في مصاحبته ومعاونته والجهاد معه. قال الحسن: لا يرغبوا بأنفسهم عن أن يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة، ورسول الله ﷺ في مشقة السفر ومقاساة التعب. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا

وقيل في هذه الآية: إنها لأوّل هذه الأمة وآخرها. وقال ابن زيد: هذا حين كان أهل الإسلام قليلاً فلما كثروا نسخها الله تعالى وأباح التخلف لمن يشاء، فقال: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة).

[١٢١] ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً﴾، أي: في سبيل الله، ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾، ولو علاقة سوط، ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًّا﴾، لا يجاوزون وادياً في مسيرهم مقبلين أو مدبرين. ﴿إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ﴾، يعني: آثارهم وخطاهم، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٢٢] قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾، قال ابن عباس في رواية الكلبي: لما أنزل الله عز وجل عيوب المنافقين في غزوة تبوك كان النبي ﷺ يبعث السرايا فكان المسلمون ينفرون جميعاً إلى الغزو ويتركون النبي ﷺ وحده، فأُنزل الله عز وجل هذه الآية، وهذا نفي بمعنى النهي. قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾، أي: فهلاً خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع رسول الله ﷺ جماعة، ﴿لِيَسْفَقَهُوا فِي الدِّينِ﴾، يعني: فرقة القاعدين يتعلمون القرآن والشّنّ والفرائض والأحكام، فإذا رجعت السرايا أخبروهم بما أنزل بعدهم فتمكث السرايا يتعلمون ما نزل بعدهم وتبعث سرايا آخر، فذلك قوله: ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾، وليعلموهم بالقرآن ويخوفوهم به، ﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، أن يجهلوا فلا يعملون بخلافه. وقال الحسن: هذا التفقه والإنذار راجع إلى الفرقة النافرة، ومعناه: هلاً نفر فرقة ليتفقهوا، أي: لينصروا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين، ولينذروا قومهم من الكفار إذا رجعوا إليهم من الجهاد فيخبروهم بنصر الله ورسوله ﷺ والمؤمنين لعلهم يحذرون أن يُعادوا النبي ﷺ، فينزل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفار.

يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَبِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِذَا مَا أَنزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَأُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْتَغُونَ فِي كُلِّ عَٰمٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذَا مَا أَنزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنَ الْهَلِكِ ثُمَّ أَنصَرَفُوا وَرَفَا اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٥﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ حَسِبَ اللَّهُ لَآلِهَ الْإِلَٰهَةِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٧﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

وقال الكلبي: لها وجه آخر أي: لم يكن لهم أن ينفروا كافة ولكن من كل قبيلة طائفة ليتفقهوا في الدين.

[١٢٣] قوله عز وجل: ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَبِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ الآية، أمروا بقتال الأقرب فالأقرب إليهم في الدار والنسب، قال ابن عباس رضي الله عنهما: مثل بني قريظة والنضير وخيبر ونحوها. وقيل: أراد بهم الروم لأنهم كانوا سكان الشام وكان الشام أقرب إلى المدينة من العراق، ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾، شدة وحمة. قال الحسن: صبراً على جهادكم، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، بالعون والنصرة.

[١٢٤] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾، يقيناً. كان المنافقون يقولون هذا استهزاء، قال الله تعالى:

﴿انصَرَفُوا﴾، عن الإيمان بها. وقيل: انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها، ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، عن الإيمان. وقال أبو إسحاق الزجاج: أضلهم الله مجازاةً على فعلهم ذلك، ﴿يَأْتَهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، عن الله دينه.

[١٢٨، ١٢٩] قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ تعرفون نسبه وحسبه، قال السدي: من العرب من بني إسماعيل. قال ابن عباس: ليس من العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي ﷺ، وله فيهم نسب. وقال جعفر بن محمد الصادق: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية من زمان آدم عليه السلام. وقرأ ابن عباس والزهري وابن محيصن (مَنْ أَنفَسَكُمْ) بفتح الفاء، أي: من أشرفكم وأفضلكم. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾، شديد عليه، ﴿مَا عِنْتُمْ﴾، قيل: (مَا) صلة أي: عنتكم، وهو دخول المشقة والمضرة عليكم. وقال القتيبي: ما أعتكم وضرركم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما ضللتكم. وقال الضحاك والكلبي: ما أتممت. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾، أي: على إيمانكم وصلاحيكم. وقال قتادة: حريص عليكم أي على ضالكم أن يهديه الله، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، قيل: رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، إن أعرضوا عن الإيمان وناصروك، ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. روي عن أبي بن كعب قال: آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى آخر السورة. وقال: هما أحدث الآيات بالله عهداً^(١).

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ يقيناً وتصديقاً، ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، يفرحون بنزول القرآن.

[١٢٥] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾، شك ونفاق، ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾، أي: كفرهم فعند نزول كل سورة ينكرونها يزداد كفرهم بها. قال مجاهد: هذه الآية إشارة إلى الإيمان يزيد وينقص. وكان عمر: يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: تعالوا حتى نزداد إيماناً. وقال علي بن أبي طالب: إن الإيمان يبدو لمعة بيضاء في القلب، فكُلَّمَا أَزْدَادَ الْإِيمَانُ عِظَمًا أَزْدَادَ ذَلِكَ الْبَيَاضُ حَتَّىٰ يَبْيَضَ الْقَلْبُ كُلُّهُ، وإن النفاق يبدو لمعة سوداء في القلب فكُلَّمَا أَزْدَادَ النِّفَاقُ أَزْدَادَ السَّوَادُ حَتَّىٰ يَسْوَدَّ الْقَلْبُ كُلُّهُ. ﴿وَمَا تَأْوُوا لَهُمْ كَفَرُونَ﴾.

[١٢٦] قوله: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾، قرأ حمزة ويعقوب: (ترون) بالتاء على خطاب النبي والمؤمنين، وقرأ الآخرون بالياء خبر عن المنافقين المذكورين ﴿أَنَّهُمْ يَقْتُولُونَ﴾ يُتْلُونَ ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾، بالأمراض والشدائد. وقال مجاهد: بالقحط والشدّة. وقال قتادة: بالغزو والجهاد. وقال مقاتل بن حيان: يفضحون بإظهار نفاقهم. وقال عكرمة: ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون. وقال يمان: ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين. ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾، من نقض العهد ولا يرجعون إلى الله من النفاق، ﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾، أي: لا يتعظون بما يرون من تصديق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين.

[١٢٧] ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾. فيها عيب المنافقين وتوبيخهم، ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾، يريدون الهرب، يقول بعضهم لبعض إشارة ﴿هَلْ يَرٰكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾، أي: أحد من المؤمنين، إن قمتم فإن لم يرههم أحد خرجوا من المسجد وإن علموا أن أحداً يراهم أقاموا وثبتوا، ﴿ثُمَّ

(١) أخرجه الحاكم ٣٣٨/٢، والإمام عبدالله بن أحمد في زوائد المسند ١١٧/٥، قال الهيثمي في المجمع ٣٦/٧ فيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف سيء الحفظ وبقية رجاله ثقات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَٰنَ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَىٰكُمُ الْكِتَابُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عَنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا
لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَيْءٍ
إِلَّا مَعَهُ إِذَنْ يَكُنْ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ
يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
بِالنَّفْسِطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّشْمَسَ
ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّنِينَ
وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَايَتُ لِقَوْمٍ يَعْتَبُونَ ﴿٦﴾

قال ابن عباس: أجزأ حسناً بما قدموا من أعمالهم. قال الضحاك: ثواب صدق. وقال الحسن: عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: هو السعادة في الذكر الأول. وقال زيد بن أسلم. هو شفاعة الرسول ﷺ. وقال عطاء: مقام صدق لا زوال ولا بؤس فيه. وقيل: منزلة رفيعة. وأضيف القدم إلى الصدق وهو نعته، كقولهم مسجد الجامع، وحبّ الحصيد، وقال أبو عبيدة: كل سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الإسلام، وله عندي قدم صدق وقدم سوء، وهو يؤنث فيقال: قدم سالحة. **﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾**، قرأ نافع وأهل البصرة والشام: (لسحر) بغير ألف يعنون القرآن، وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة: (لساحر) بالألف

(١٠) سُورَةُ يُونُسَ

سورة يونس عليه الصلاة والسلام مكية إلا ثلاث آيات من قوله: (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) إلى آخرها.

[١] ﴿الرَّ﴾ (المر) قرأ أهل الحجاز والشام وحفص بفتح الراء، وقرأ الآخرون بالإمالة، وقال ابن عباس والضحاك: ﴿الرَّ﴾ أنا الله أرى، (المر) أنا الله أعلم وأرى. وقال سعيد بن جبير: (الر) و(حم) و(ن) حروف اسم الرحمن، وقد سبق الكلام في حروف التهجي. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾، أي: هذا، وأراد بالكتاب الحكيم القرآن. وقيل: أراد بها الآيات التي أنزلها من قبل ذلك، ولذلك قال: (تلك) وتلك إشارة إلى غائب مؤنث، والحكيم المحكم بالحلال والحرام والحدود والأحكام، فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله: (كتابٌ أحكمت آياته)، وقيل: هو بمعنى الحاكم، فعيل بمعنى فاعل دليله قوله عز وجل: (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس)، وقيل: هو بمعنى المحكوم، فعيل بمعنى المفعول. قال الحسن: حكم فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وبالنهي عن الفحشاء والمنكر والبغى، وحكم فيه بالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه.

[٢] قوله تعالى: ﴿أَكَاَنَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾، العجب حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة. وسبب نزول الآية أن الله عز وجل لما بعث محمداً ﷺ رسولا، قال المشركون: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا. فقال تعالى: ﴿أَكَاَنَ لِلنَّاسِ﴾ يعني: أهل مكة، الألف فيه للتوبيخ، ﴿عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾، يعني محمداً ﷺ، ﴿أَنْ يُذِيرَ النَّاسَ﴾، أي أعلمهم مع التخويف، ﴿رَبِّشِرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، واختلفوا فيه،

يعنون محمداً ﷺ.

[٣] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ﴾، يقضيه وحده ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾، معناه أن الشفعاء لا يشفعون إلا بإذنه، وهذا رد على النضر بن الحارث فإنه كان يقول: إذا كان يوم القيامة تشفعني اللات والعزى. قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ﴾، يعني: الذي فعل هذه الأشياء ربكم لا رب لكم سواه، ﴿فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، تتعظون.

[٤] ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾، صدقا لا خلف فيه. نصب على المصدر، أي: وعدكم وعدا حقا ﴿إِنَّهُ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾، أي: يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم، قراءة العامة: (إنه) بكسر الألف على الاستثاف، وقرأ أبو جعفر (أنه) بالفتح على معنى بأنه أو لأنه. ﴿يَجْزِي الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾، بالعدل، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾، ماء حار انتهى حره، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

[٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾، بالنهار ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ بالليل. وقيل: جعل الشمس ذات ضياء، والقمر ذا نور، ﴿وَقَدَرُوا مَنَازِلَ﴾ أي: قدر له يعني هيا له منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها، ولم يقل قدرهما. قيل: تقدير المنازل ينصرف إليهما غير أنه اكتفى بذكر أحدهما، كما قال: (والله ورسوله أحق أن يرضوه). وقيل: هو ينصرف إلى القمر خاصة لأن القمر يعرف به انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس، ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلا، وهذه المنازل مقسومة على البروج، وهي اثنا عشر برجاً، فلكل برج منزلان وثلاث منزل، فينزل القمر كل ليلة منزلاً منها، ويستمر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين، وإن كان تسعاً وعشرين فليلة واحدة، فيكون تلك المنازل ويكون مقام الشمس في كل منزلة ثلاثة

عشر يوماً وثلاث يوم، فيكون انقضاء السنة مع انقضائها. قوله تعالى: ﴿لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ﴾، أي: قدر المنازل (لتعلموا عدد السنين) دخولها وانقضائها، ﴿وَالْحِسَابُ﴾، يعني: حساب الشهور والأيام والساعات. ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ﴾، رده إلى الخلق والتقدير ولولا رده إلى الأعيان المذكورة لقال تلك، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، أي: لم يخلقه باطلاً بل إظهاراً لصنعه ودلالة على قدرته. ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب: (يفصل) بالياء، لقوله: (ما خلق) وقرأ الباقون: (نفسل) بالنون على التعظيم.

[٦] ﴿إِنَّ فِي آخِلَافِ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ يؤمنون. [٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، أي: لا يخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا، والرجاء يكون بمعنى الخوف والطمع، ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فاختاروها وعملوا لها، ﴿وَأَطَاعُوا يَبَاهَا﴾، سكنوا إليها. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ﴾، أي: عن أدلتنا غافلون لا يعتبرون. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: عن آياتنا عن محمد ﷺ والقرآن غافلون معرضون.

[٨] ﴿أَوَلَيْكَ مَا نُهِرُ النَّارُ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، من الكفر والتكذيب. [٩] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾، فيه إضمار، أي: يرشدهم ربهم بإيمانهم إلى الجنة، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾، قال مجاهد: يهديهم على الصراط إلى الجنة يجعل لهم نوراً يمشون به. وقيل: يهديهم معناه يثيهم ويجزيهم. وقيل: معناه بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه، أي: بتصديقهم هداهم. تجري من تحتهم الأنهار أي: بين أيديهم، كقوله عز وجل: (قد جعل ربك تحتك سرياً) لم يرد به أنه تحتها وهي قاعدة عليه، بل أراد بين يديها. وقيل:

تجري من تحتهم أي: بأمرهم ﴿فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾.
 [١٠] ﴿دَعَوْهُمْ﴾، أي: قولهم وكلامهم.
 وقيل: دعاؤهم. ﴿فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ﴾، وهي كلمة
 تنزيه، تنزه الله من كل سوء. وروينا: (أن أهل
 الجنة يلهمون الحمد والتسبيح، كما يلهمون
 النفس) (١). قال أهل التفسير: هذه الكلمة علامة
 بين أهل الجنة والخدم في الطعام فإذا أرادوا
 الطعام قالوا: «سبحانك اللهم»، فأتوهم في الوقت
 بما يشتهون على الموائد، كل مائدة ميل في ميل،
 على كل مائدة سبعون ألف صحيفة، وفي كل صحيفة
 لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضاً فإذا فرغوا من
 الطعام حمدوا الله فذلك قوله تعالى: (وآخر
 دعواهم أن الحمد لله رب العالمين). قوله تعالى:
 ﴿وَيَحْيِيهِمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ أي: يحيي بعضهم بعضاً
 بالسلام وقيل: تحية الملائكة لهم بالسلام. وقيل:
 تأتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام. ﴿وَأُخِرْ
 دَعْوُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يريد يفتحون
 كلامهم بالتسبيح ويختتمونه بالتحميد.

[١١] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ
 الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾، قال ابن عباس: هذا في
 قول الرجل عند الغضب لأهله وولده: لعنكم الله
 ولا بارك الله فيكم. قال قتادة: هو دعاء الرجل
 على نفسه وأهله وماله بما يكره أن يستجاب. معناه
 لو يعجل الله الناس إجابة دعائهم في الشر
 والمكروه استعجالهم بالخير، أي: كما يحبون
 استعجالهم بالخير، ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾، قرأ
 ابن عامر ويعقوب: (لَقُضِيَ) بفتح القاف والضاد،
 (أَجْلُهُمْ) نصب، أي: لأهلك من دعى عليه
 وأماته. وقال الآخرون: (لَقُضِيَ) بضم القاف
 وكسر الضاد (أَجْلُهُمْ) رفع، أي: لفرغ من هلاكهم
 وماتوا جميعاً. وقيل: إنها نزلت في النضر بن
 الحارث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من
 عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، يدل عليه

٢٠٩
 إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا
 بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ
 النَّارُ يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ
 تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ
 اللَّهُمَّ وَنَحْمُكَ فِيهَا سَلَامٌ وَأُخِرْ دَعْوُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ
 اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ
 لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ
 الْإِنْسَانَ الشُّرُّ دَعَانَا لِجَنَّةٍ أَوْ قَاعٍ أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا
 عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ
 لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ
 مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا
 لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ
 خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

قوله عز وجل: ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، لا
 يخافون البعث والحساب، ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.
 [١٢] ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الشُّرُّ﴾، الجهد والشدة،
 ﴿دَعَانَا لِجَنَّةٍ﴾، أي: على جنبه مضطجعا، ﴿أَوْ
 قَاعٍ أَوْ قَائِمًا﴾، يريد في جميع حالاته، لأن
 الإنسان لا يعدو إحدى هذه الحالات. ﴿فَلَمَّا
 كَشَفْنَا﴾، دفعنا ﴿عَنْهُ ضُرُّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا
 إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾، أي استمر على طريقته الأولى قبل
 أن يصيبه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد
 والبلاء، كأنه لم يدعنا إلى ضر مسه أي: لم يطلب
 منا كشف ضر مسه، ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ
 الْمَجَازِينَ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ﴾، مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ، من العصيان. قال ابن جريج: كذلك زين

(١) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها رقم (٢٨٣٥) ٢١٨٠/٤.

للمسرفين ما كانوا يعملون من الدعاء عند البلاء وترك الشكر عند الرخاء. وقيل: معناه كما زين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم.

[١٣] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أشركوا، ﴿وَحَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ كذلك، أي: كما أهلكناهم بكفرهم، ﴿بَجَرَى﴾، نعاقب ونهلك، ﴿الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾، الكافرين بتكذيبهم محمداً ﷺ، يخوف كفار مكة بعذاب الأمم الخالية المكذبة.

[١٤] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ﴾، أي: خلفاء، ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، أي: من بعد القرون التي أهلكناهم، ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، وهو أعلم بهم. وروينا عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا إن هذه الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون»^(١).

[١٥] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا تَنَادَىٰ عَلَيْهِمْ إِيَّاَنَا بَيِّنَاتٍ﴾، قال قتادة: يعني مشركي مكة. وقال مقاتل: هم خمسة نفر: عبدالله بن أمية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبيد الله بن أبي قيس العامري والعاص بن عامر بن هشام. ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، هم السابق ذكرهم قالوا للنبي ﷺ: إن كنت تريد أن تؤمن بك ﴿أَتَيْتَ بِشَرٍّ مِنْ غَيْرِ هَذَا﴾، ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها، وإن لم ينزلها الله فقل أنت من عند نفسك، ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾، فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة، أو مكان حرام حلالاً أو مكان حلال حراماً، ﴿قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد، مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي﴾، من قبل نفسي ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، أي: ما أتبع إلا ما يوحى إلي في أمركم به وأنهاكم عنه، ﴿إِنْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٦] ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ﴾،

يعني: لو شاء الله ما أنزل القرآن علي. ﴿وَلَا أَدْرِيكُمْ يَوْمَهُ﴾، أي: ولا أعلمكم الله. قرأ البزي عن ابن كثير: (ولأدراكم به) بالقصر به على الإيجاب، يريد ولا أعلمكم به من غير قراءة عليكم. وقرأ ابن عباس: (ولا أنذرتكم به)، من الإنذار. ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾، حيناً وهو أربعون سنة، ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾، من قبل نزول القرآن ولم أتكم بشيء. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، أنه ليس من قبلي، ولبت النبي ﷺ فيهم قبل الوحي أربعين سنة ثم أوحى الله إليه فأقام بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة ثم هاجر فأقام بالمدينة عشر سنين وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

[١٧] قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، فزعم أن له شريكاً أو ولداً ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا﴾، بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾، لا ينجو المشركون.

[١٨] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾، إن عصوه وتركوا عبادته، ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾، إن عبده، يعني: الأصنام، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتِئُوتُ اللَّهَ﴾، أخبرون الله، ﴿يَمَا لَا يَعْلَمُ﴾، الله صحته، ومعنى الآية: أخبرون الله أن له شريكاً وعنده شفيعاً بغير إذنه ولا يعلم الله لنفسه شريكاً؟! ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَقَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي: (تشركون) بالثاء ها هنا وفي سورة النحل موضعين، وفي سورة الروم، وقرأ الآخرون كلها بالياء.

[١٩] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، أي: على الإسلام. وقد ذكرنا الاختلاف فيه في سورة البقرة. ﴿فَاتَّخَذُوا﴾، وتفرقوا إلى مؤمن وكافر، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾، بأن جعل لكل أمة أجلاً. وقال

سورة يونس

٢١٠

الجزء الحادي عشر

وَإِذَا نَسَخْنَا إِلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بَقَرَةٌ غَيْرُ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مَائُودُونَ الْحَقُّ فِي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْهِمْ كُتُبَكُمْ وَلَا آذَنْتُكُمْ بِهِ فَعَلَّيْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتُمْ تُؤْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

الكلبي: هي إمهال هذه الأمة وأنه لا يهلكهم بالعذاب في الدنيا، ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين، وكان ذلك فصلًا بينهم، ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، وقال الحسن: ولولا كلمة سبقت من ربك مضت في حكمه أنه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا بالثواب والعقاب دون القيامة، لقضي بينهم في الدنيا فأدخل المؤمن الجنة والكافر النار، ولكنه سبق من الله الأجل فجعل موعدهم يوم القيامة.

[٢٠] ﴿وَيَقُولُونَ﴾، يعني: أهل مكة، ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾، أي: على محمد ﷺ، ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾، على ما نقترحه، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾، يعني: قل إنما سألتهموني الغيب وإنما الغيب لله، لا يعلم أحد لِمَ لم يفعل ذلك ولا يعلمه إلا هو. وقيل: الغيب نزول الآية لا يعلم متى ينزل أحد غيره، ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ نزولها ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾، وقيل: فانتظروا قضاء الله بيننا بالحق بإظهار المحق على المبطل.

[٢١] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَقْبَا النَّاسُ﴾، يعني: الكفار، ﴿رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾، أي: راحة ورخاء من بعد شدة وبلاء. وقيل: القطر بعد القحط، ﴿سَمَّتَهُمْ﴾، أي: أصابتهم، ﴿إِذَا لَهْرٌ مَكْرٌ فِي عَايَاتِنَا﴾، قال مجاهد: تكذيب واستهزاء. وقال مقاتل بن حيان: لا يقولون هذا من رزق الله إنما يقولون سقينا بؤء كذا، وهو قوله: (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون). ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾، أعجل عقوبة وأشد أخذًا وأقدر على الجزاء، يريد عذابه في إهلاككم أسرع إليكم مما يأتي منكم في دفع الحق، ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾، حفظتنا، ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمَكَّرُونَ﴾، قرأ روح عن يعقوب: (يمكرون) بالياء.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَسِّرُكُمُ﴾، يجزيكم ويحكمكم، وقرأ جعفر وابن عامر: (ينشركم)

بالنون والشين من النشر وهو البسط والبت، ﴿فِي الْبَحْرِ﴾، على ظهور الدواب، ﴿وَالْبَحْرِ﴾، في الفلك، ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ﴾، أي: في السفن، تكون واحدًا وجمعًا ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾، يعني: جرت السفن بالناس، رجع من الخطاب إلى الغيبة، ﴿بَرِيحٍ طَبِيبَةٍ﴾، لينة، ﴿وَفَرِحُوا بِهَا﴾، أي: بالريح، ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ﴾، أي: جاءت الفلك ريح، ﴿عَاصِفٌ﴾، شديدة الهبوب، ولم يقل ريح عاصفة، لاختصاص الريح بالعصف. وقيل: الريح يذكر ويؤنث. ﴿وَجَاءَهُمْ﴾، يعني: ركبان السفينة، ﴿الْمَوْجُ﴾، وهو حركة الماء واختلاطه، ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا﴾، أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾، دنوا من الهلكة، أي: أحاط بهم الهلاك، ﴿دَعَا اللَّهُ مُؤَلِّصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾، أي: أخلصوا في الدعاء لله ولم يدعوا أحدًا سوى الله. وقالوا: ﴿لَنْ أُنْجِيَنَّا﴾،

يا ربنا، ﴿مِنْ هَذِهِ﴾، الريح العاصف، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، لك بالإيمان والطاعة.

[٢٣] ﴿فَلَمَّا أَجْنَحَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، يظلمون ويتجاوزون إلى غير أمر الله عز وجل في الأرض، ﴿يَغْيِرُ الْحَقُّ﴾، أي: بالفساد. ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، لأن وباله راجع عليها، ثم ابتداء فقال: ﴿مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي: هذا متاع الحياة الدنيا، خبر ابتداء مضمر، كقوله: (لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ)، أي: هذا بلاغ. وقيل: هو كلام متصل، والبغي ابتداء ومتاع خبره، ومعناه: إنما بغيكم متاع الحياة الدنيا لا يصلح زادًا لمعادٍ لأنكم تستوجبون به غضب الله. وقرأ حفص (متاع) بالنصب، أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا، ﴿ثُمَّ إِنَّا مَرَّجِعُكُمْ فَنَنْتِظِمُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٢٤] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، في فنائها وزوالها، ﴿كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾، أي: بالمطر، ﴿تَبَّاتُ الْأَرْضُ﴾، قال ابن عباس: نبت بالماء من كل لون، ﴿يَمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾، من الحبوب والثمار، ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾، من الحشيش، ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾، حسننها وبهجتها وظهر الزهر أخضر ﴿وَأَزْيَنْتُ﴾، أي: تزينت، وكذلك هي في قراءة ابن مسعود: تزينت. ﴿وَطَرَبَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوتٌ عَلَيْهَا﴾، على جذادها وقطافها وحصادها، رد الكناية إلى الأرض. والمراد: النبات إذ كان مفهوماً، وقيل: ردها إلى الغلة. وقيل: إلى الزينة. ﴿أَتْلَهَا أَمْرُنَا﴾، قضاؤنا بإهلاكها، ﴿يَلَا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾، أي: محصودة مقطوعة، ﴿كَانَ لَمْ تَعَنْ بِالْأَمْسِ﴾، كأن لم تكن بالأمس، وأصله من غني بالمكان إذا أقام به. وقال قتادة: معناه إن المتشبه بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون. ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ﴾.

سورة يونس

٢١١

سورة يونس

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَكْرُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكَ فِي الْبَرْحِ حَتَّى إِذَا كُنْتَ فِي فَالِكٍ وَجَرْنَ بِيَمٍ بِرِيحٍ طَبَّيَّةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَ نَهَارٌ عَاصِفٌ وَجَاءَ هُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لِيْنَ أَجَعْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢﴾ فَلَمَّا أَجْنَحَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِنَّا مَرَّجِعُكُمْ فَنَنْتِظِمُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَطَرَبَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوتٌ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا نَائِلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْكَرُونَ ﴿٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥﴾

[٢٥] قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾، قال قتادة: السلام هو الله وداره الجنة. وقيل: السلام بمعنى السلامة، سميت الجنة دار السلام لأن من دخلها سلم من الآفات. وقيل: المراد بالسلام التحية سميت الجنة دار السلام، لأن أهلها يحيي بعضهم بعضاً بالسلام والملائكة تسلم عليهم. قال الله تعالى: (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلاماً عليكم). ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، فالصراط المستقيم هو الإسلام عم بالدعوة لإظهار الحجة، وخص بالهداية استغناء عن الخلق.

[٢٦] ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَى وَزِيَادَةً﴾، أي: للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى، وهي الجنة، وزيادة وهي النظر إلى وجه الله الكريم، هذا قول جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر الصديق رضي

الله عنه وحذيفة وأبو موسى وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم، وهو قول الحسن وعكرمة وعطاء ومقاتل والضحاك والسدي، وروي عن ابن عباس: أن الحسنى هي: أن الحسنة بمثلها والزيادة هي التضعيف عشر أمثالها إلى سعمائة ضعف. وقال مجاهد: الحسنى: حسنة مثل حسنة، والزيادة المغفرة والرضوان. ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾، لا يغشى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾، غبار جمع قتر. قال ابن عباس وقتادة: سواد الوجه، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾، هوان. قال قتادة: كآبة. قال ابن أبي ليلى: هذا بعد نظرهم إلى ربهم. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٧] ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾، أي: لهم مثلها، كما قال: (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إى مثلها). ﴿وَرَهَقَهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾، و(من) صلة، أي: ما لهم من الله عاصم، ﴿كَانَمَا أَغْشِيَتْ﴾، ألبست، ﴿وُجُوهُهُمْ قِطْعًا﴾، جمع قطعة، ﴿مِنْ أَيْلٍ مُظْلِمًا﴾، نصبت على الحال دون النعت، ولذلك لم يقل: مظلمة، تقديره: قطعاً من الليل في حال ظلمته أو قطعاً من الليل المظلم. وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب: (قطعاً) ساكنة الطاء، أي بعضاً، كقوله: (يقطع من الليل). ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾، أي: الزموا مكانكم، ﴿أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ﴾، يعني: الأوثان، معناه. ثم نقول للذين أشركوا الزموا أنتم وشركاءكم مكانكم ولا تبرحوا. ﴿فَرِيقًا﴾ ميزنا وفرقنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾، أي: بين المشركين وشركائهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا وذلك حين يتبرأ كل معبود من دون الله ممن عبده، ﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ﴾، يعني: الأصنام، ﴿مَا كُنْتُمْ إِنَّا نَعْبُدُونَ﴾، بطلبتنا فيقولون بلى كنا نعبدكم فتقول الأصنام:

[٢٩] ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا يَبَيِّنُكُمْ إِن كُنَّا عَنْ

الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَمَا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ أَيْلٍ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَرِيقًا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِنَّا نَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا يَبَيِّنُكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلٌ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَصَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَزَقَكُمُ الْحَقَّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِ أَنْصَرْتُمْ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَيْمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٢﴾

عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلٌ﴾، أي: ما كنا عن عبادتكم إيانا إلا غافلين، ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل.

[٣٠] قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا﴾، أي: تختبر. وقيل: معناه تعلم وتقف عليه. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب: (تتلو) بتاءين أي تقرأ، ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، صحيفتها. وقيل: معناه تتبع كل نفس، ﴿مَا أَسْلَفَتْ﴾، ما قدمت من خير أو شر. وقيل: معناه تعاین، ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾، إلى حكمه فينفرد فيهم بالحكم، ﴿مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ﴾، الذي يتولى ويملك أمرهم: فإن قيل: أليس قد قال: (وأن الكافرين لا مولى لهم). قيل: المولى هناك هو الناصر، وههنا بمعنى المالك، ﴿وَمَصَلَّ عَنْهُمْ﴾، زال عنهم وبطل، ﴿مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ﴾، في الدنيا من التكذيب.

[٣١] قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

ومعناه: يهتدي في جميعها. فمن خالف الدال قال: يقال هديته فهدي، أي: اهتدى، ومن شدد الدال أدغم التاء في الدال، ثم أبو عمرو يروم على مذهبه في إثارة التخفيف، ومن سكن الهاء تركها على حالتها كما فعل في (تعدو) و(خصمون)، ومن فتح الهاء نقل فتحة الهاء المدغمة إلى الهاء، ومن كسر الهاء فلا لقاء الساكنين، وقال: الجزم يحرك إلى الكسر، ومن كسر الياء مع الهاء أتبع الكسر إلى الكسرة. قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾، معنى الآية: الله الذي يهدي إلى الحق أحق بالاتباع أم الصنم الذي لا يهتدي إلا أن يُهْدَى. فإن قيل: كيف قال: (إلا أن يُهْدَى)، والصنم لا يتصور أن يهتدي ولا أن يُهْدَى؟ قيل: معنى الهداية في حق الأصنام الانتقال، أي: أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان إلا أن تُحمل وتنتقل، بين به عجز الأصنام. وجواب آخر وهو: أن ذكر الهداية على وجه المجاز، وذلك أن المشركين لما اتخذوا الأصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنهما بما يعبر عن من يعلم ويعقل، ووصفت بصفة من يعقل. ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، كيف تقضون حين زعمتم أن الله شريكاً.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْذَرُهُ إِلَّا ظَنًّا﴾، منهم يقولون: إن الأصنام آلهة وإنها تشفع لهم في الآخرة ظناً منهم، لم يرد به كتاب ولا رسول، وأراد بالأكثر جميع من يقول ذلك، ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾، أي: لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئاً. وقيل: يقوم مقام العلم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

[٣٧] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قال القراء: معناه وما ينبغي لمثل هذا القرآن أن يفترى من دون الله، كقوله تعالى: (وما كان لنبي أن يغفل)، وقيل: (أن) بمعنى اللام، أي: وما كان هذا القرآن ليفترى من دون الله.

وَالْأَرْضِ، أي: من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات، ﴿أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ﴾، أي: من إعطائكم السمع والأبصار، ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، يخرج الحي من النطفة والنطفة من الحي، ﴿وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ﴾، أي: يقضي الأمر، ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾، هو الذي يفعل هذه الأشياء، ﴿فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِزُ﴾، أفلا تخافون عقابه في شرككم. وقيل: أفلا تتقون الشرك مع هذا الإقرار. [٣٢] ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ﴾، الذي يفعل هذه الأشياء هو ربكم، ﴿الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصْرِفُونَ﴾، أي: فأين تصرفون عن عبادته وأنتم مقرون به.

[٣٣] ﴿كَذَلِكَ﴾. قال الكلبي: هكذا، ﴿حَقَّتْ﴾، وجبت، ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، حكمه السابق، ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾، كفروا، ﴿أَنْتُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر (كلمات ربك) بالجمع ههنا موضعين وفي المؤمن، والآخرين على التوحيد.

[٣٤] قوله: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾، أو ثنائكم ﴿مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾، ينشئ الخلق من غير أصل ولا مثال، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، ثم يحييه من الموت كهيشته، فإن أجابوك وإلا فـ ﴿قُلْ﴾ أنت، ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾، أي: تصرفون عن قصد السبيل.

[٣٥] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي﴾، يرشد، ﴿إِلَى الْحَقِّ﴾، فإذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك، ﴿قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾، أي إلى الحق، ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي﴾، قرأ حمزة والكسائي ساكنة الهاء، خفيفة الدال، وقرأ الآخرون بتشديد الدال، ثم قرأ أبو جعفر وقالون: يسكون الهاء، وأبو عمرو: يروم الهاء بين الفتح والسكون، وقرأ حفص: بفتح الياء وكسر الياء، وأبو بكر: بكسرهما، والباقيون: بفتحهما،

سُورَةُ يُوسُفَ

٢١٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، قُلْ اللَّهُ يَسْجُدُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَأَلْزَمَ الْكُرْهَ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ أَظْلَمًا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٠﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَتَرْتَهَ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٢﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٣﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٌ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّهْمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٦﴾

الظاهرة فلا ينفعهم، ﴿أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّهْمَ﴾، يريد صمم القلب، ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾، بأبصارهم الظاهرة، ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الصَّهْمَ﴾، يريد عمى القلب، ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾، وهذا تسلية من الله عز وجل لنبيه ﷺ، يقول: إنك لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع ولا أن تهدي من سلبته البصر ولا أن توفق للإيمان من حكمت عليه ألا يؤمن.

[٤٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾، لأنه في جميع أفعاله متفضل عادل، ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، بالكفر والمعصية. قرأ حمزة والكسائي: (ولكن الناس) بتخفيف نون (لكن) ورفع (الناس)، وقرأ الباقون (ولكن الناس) بتشديد نون (لكن) ونصب (الناس).

قوله: ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، أي: بين يدي القرآن من التوراة والإنجيل. وقيل: تصديق الذي بين يدي القرآن من القيامة والبعث، ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾، تبين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والأحكام، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٣٨] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾، قال أبو عبيدة: (أم) بمعنى الواو، أي: ويقولون، ﴿أَفَتَرْتَهَ﴾، اختلق محمد القرآن من قبل نفسه، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾، شبه القرآن ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾، ممن تعبدون، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، ليعينوكم على ذلك، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أن محمداً افتراء ثم قال:

[٣٩] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ﴾، يعني: القرآن، كذبوا به ولم يحيطوا بعلمه، ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾، أي: عاقبة ما وعد الله في القرآن، أنه يؤول إليه أمرهم من العقوبة، يريد أنهم لم يعلموا ما يؤول إليه عاقبة أمرهم. ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي: كما كذب هؤلاء الكفار بالقرآن كذلك كذب الذين من قبلهم من كفار الأمم الخالية، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾، آخر أمر المشركين بالهلاك.

[٤٠] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾، أي: من قومك من يؤمن بالقرآن، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾، لعلم الله السابق فيهم، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾، الذين لا يؤمنون.

[٤١] ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾، يا محمد، ﴿فَقُلْ لِي عَمَلٌ﴾، وجزاؤه، ﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾، وجزاؤه، ﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾، هذا كقوله تعالى: (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) (لكم دينكم ولي دين). قال الكلبي ومقاتل: هذه الآية منسوخة بآية الجهاد. ثم أخبر أن التوفيق للإيمان به لا بغيره.

[٤٢] فقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾، بأسماعهم

[٤٥] قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾، قرأ حصص البالياء والآخرون بالنون، ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾، قال الضحاك: كأن لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار. وقال ابن عباس: كأن لم يلبثوا في قبورهم إلا قدر ساعة من النهار. ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾، يعرف بعضهم بعضاً حين بعثوا من القبور كمعرفتهم في الدنيا، ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا أهوال القيامة. وفي بعض الآثار: أن الإنسان يعرف يوم القيامة من جنبه ولا يكلمه هبة وخشية. ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، والمراد من الخسران: خسران النفس، ولا شيء أعظم منه.

[٤٦] قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا نُرُيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نُوَدِّعُ﴾، يا محمد في حياتك من العذاب، ﴿أَوْ نَتُوفِّئُكَ﴾، قبل تعذيبهم، ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾، في الآخرة، ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾، فيجزئهم به، (ثم) بمعنى الواو، تقديره: والله شهيد. قال مجاهد: فكان البعض الذي أراه قتلهم بدر، وسائر أنواع العذاب بعد موتهم.

[٤٧] قوله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾، خلت، ﴿رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾، وكذبوه، ﴿فُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، أي عذبوا في الدنيا وأهلكوا بالعذاب، يعني قبل مجيء الرسول، لا ثواب ولا عقاب. وقال مجاهد ومقاتل: فإذا جاء رسولهم الذي أرسل إليهم يوم القيامة قضي بينه وبينهم بالقسط، ﴿وَهُمْ لَا يُظْهَرُونَ﴾، لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ ، أي: المشركون، ﴿مَقَىٰ هَذَا الْوَعْدِ﴾ الذي تعدنا يا محمد من العذاب. وقيل: قيام الساعة، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ، أنت يا محمد وأتباعك.

[٤٩] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾، لا أقدر لها

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَارَةُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفِّيكَ كَفَ لَيْتَنَا حَرَّجَهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قَضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عَذَابُهُ بَيْنَنَا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتَعْلَمُونَ مَا وَقَعُ مِنْكُمْ بِهِ ؕ أَتَنْكُرُونَ ؕ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَأْذِنُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَافٍ إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

على شيء، ﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾، أي دفع ضرر ولا جلب نفع، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، أن أملكه، ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾، مدة مضروبة، ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾، وقت فناء أعمارهم، ﴿فَلَا يَسْتَحْزِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾، أي: لا يتأخرون ولا يتقدمون.

[٥٠] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابٌ بَيْنًا، لَيْلًا، ﴿أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾، أي: ماذا يستعجل من الله المشركون. وقيل: ماذا يستعجل من العذاب المجرمون، وقد وقعوا فيه. وحقيقة المعنى: أنهم كانوا يستعجلون العذاب، فيقولون: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)، فيقول الله تعالى: (ماذا يستعجل) يعني: ليس يعلم المجرمون ماذا يستعجلون ويطلبون، كالرجل يقول لغيره وقد فعل قبيحًا: ماذا جنيت

على نفسك؟.

[٥١] ﴿أَتَدَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾، قيل: معناه أهنالك،
وحيث، وليس بحرف عطف، (إذا ما وقع) نزل
العذاب، ﴿أَمْ أَمْتُمْ بِهِ﴾، أي بالله في وقت اليأس.
وقيل: أمتم به أي صدقتم بالعذاب وقت نزوله،
﴿أَلْقَنَ﴾، فيه إضمار، أي: يقال لكم: آلآن تؤمنون
حين وقع العذاب؟ ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾،
تكذيباً واستهزاء، قرأ ورش عن نافع (آلان) بحذف
الهمزة التي بعد اللام الساكنة وإلقاء حركتها على
اللام، ويمد الهمزة الأولى على وزن علان،
وكذلك الحرف الآخر، وروى زمعة بن صالح
(الان) على مثل علان بغير مد ولا همزة بعد اللام،
وقرأ الباقون (آلان) بهمزة ممدود في الأول وإثبات
همزة بعد اللام، وكذلك قالون وإسماعيل عن
نافع.

[٥٢] ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، أشركوا، ﴿ذُوقُوا
عَذَابَ الْغَدِّ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، في
الدنيا.

[٥٣] ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾، أي: يستخبرونك يا
محمد، ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾، أي ما تعدنا من العذاب وقيام
الساعة، ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾، أي: نعم وربِّي، ﴿إِنَّهُ
لَحَقُّ﴾، لا شك فيه، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾، أي:
بفائتين من العذاب، لأن من عجز عن شيء فقد
فاته.

[٥٤] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾، أي:
أشركت، ﴿مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾، يوم القيامة،
والافتداء ههنا بذل ما ينجوه من العذاب. ﴿وَأَسْرُوا
النَّدَامَةَ﴾، قال أبو عبيدة: معناه أظهروا الندامة لأنه
ليس ذلك اليوم يوم تصبر وتصنع. وقيل: معناه
أخفوا أي أخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء خوفاً
من ملامتهم وتغييرهم، ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُتِيَ
بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، فرغ من عذابهم، ﴿وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ﴾.

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٢١٥

سُورَةُ يُونُسَ

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ. وَأَسْرُوا
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُتِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥١﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآلَانَ
وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
وَالِإِلَهِهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٣﴾ يَتَأْتِي النَّاسَ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكَمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٤﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ
فَجَعَلْنَاهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَلِلَّهِ أَذْرَبُ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ
تَفَرُّوتُ ﴿٥٦﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٨﴾

[٥٥] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآلَانَ
وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٥٦] ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٥٧] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِي النَّاسَ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكَمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي
الصُّدُورِ﴾، أي: دواء لما في الصدور من داء
الجهل. وقيل: لما في الصدور أي شفاء لعمى
القلوب، والصدر موضع القلب وهو أعز موضع في
الإنسان لجوار القلب، ﴿وَهُدًى﴾، من الضلالة
﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، والرحمة هي النعمة على
المحتاج، فإنه لو أهدى ملك إلى ملك شيئاً لا يقال
قد رحمه، وإن كان ذلك نعمة فإنه لم يضعها في
محتاج.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾، قال
مجاهد وقتادة: فضل الله: الإيمان، ورحمته:

والقرآن. وقال أبو سعيد الخدري: فضل الله القرآن، ورحمته أن جعلنا من أهله. وقال ابن عمر: فضل الله: الإسلام، رحمته: تزيينه في القلب. وقال خالد بن معدان: فضل الله: الإسلام، ورحمته: السنن. وقيل: فضل الله: الإيمان، ورحمته: الجنة. ﴿فَإِذْ لَكَ فُلَيْحَرُحُو﴾، أي: ليفرح المؤمنون أن جعلهم الله من أهله، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، أي: مما يجمعه الكفار من الأموال. وقيل: كلاهما خير عن الكفار. وقيل: عن المؤمنين. وقرأ أبو جعفر وابن عامر: (فليفرحوا) بالياء وتجمعون بالتاء، وقرأ يعقوب كلاهما بالتاء، ووجه هذه القراءة أن المراد: فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما يجمعونه من الأموال مختلف عنه خطاباً للمؤمنين. [٥٩] ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِكُفَارِ مَكَّةَ﴾، ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا

أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رَبِّكَ﴾، عبر عن الخلق بالإنزال لأن ما في الأرض من خير، فما أنزل الله من رزق، من زرع وضرع، ﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾، هو ما حرموا من الحرث ومن الأنعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام. قال الضحاك: هو قوله تعالى: (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً). ﴿قُلْ أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾، في هذا التحريم والتحليل، ﴿أَمْ﴾، بل، ﴿عَلَى اللَّهِ تَقَرُّوْنَ﴾، هو قولهم: (والله أمرنا بها).

[٦٠] ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، أيحسبون أن الله لا يؤاخذهم به ولا يعاقبهم عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

[٦١] قوله عز وجل: ﴿وَمَا تَكُونُ﴾، يا محمد، ﴿فِي شَأْنٍ﴾، عمل من الأعمال، وجمعه شؤون، ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ﴾، من الله، ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾، نازل، وقيل: منه أي من الشأن من قرآن، نزل فيه ثم خاطبه وأتمه فقال: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾، أي: تدخلون

وتخوضون فيه، الهاء عائدة إلى العمل، والإفاضة: الدخول في العمل. وقال ابن الأنباري: تندفعون فيه. وقيل: تكثرُونَ. والإفاضة: الدفع بكثرة، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾، يغيب عن ربك، وقرأ الكسائي (يعزب) بكسر الزاي، وكذلك في سورة سبأ، وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان. ﴿مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾، أي: مثقال ذرة، و(من) صلة والذرة هي النملة الحمراء الصغيرة. ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾، أي: من الذرة، ﴿وَلَا أَكْبَرَ﴾، قرأ حمزة ويعقوب برفع الراء فيهما عطفاً على موضع الميثقال قبل دخول (من)، وقرأ الآخرون بنصبهما، أراد للكسر عطفاً على الذرة في الكسر. ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. وهو اللوح المحفوظ.

[٦٢] قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، اختلفوا فيمن يستحق هذا الاسم. قال بعضهم: هم الذين ذكرهم الله، فقال:

[٦٣] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، وقال قوم: هم المتحابون في الله.

[٦٤] ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، اختلفوا في هذه البشرى، روي عن عباد بن الصامت قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: (لهم البشرى في الحياة الدنيا)، قال: «هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له»^(١). وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات»، قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة»^(٢). وقيل: البشرى في

(١) أخرجه الترمذي في الرؤيا ٥٥٤/٦ وابن ماجه في الرؤيا رقم ٣٨٩٨ - ١٢٨٣/٢ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ٢/ ٣٤٠ ٣٩١/٤ والدارمي في الرؤيا ١٢٣/٢ والإمام أحمد في المسند ٣١٥/٥. (٢) أخرجه البخاري في التعبير ١٢/ ٣٧٥ والمصنف في شرح السنة ٢٠٢/١٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢١٦

سُورَةُ يُوسُفَ

الْآيَاتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٦﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لَهُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٧﴾ وَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٨﴾ الْآيَاتِ لِلَّهِ مِنَ السَّمَوَاتِ وَمِنَ الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٩﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ قُلِ إِنْ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبُ لَا يُمْلِكُونَ ﴿٧٢﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنْفِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٣﴾

يَخْرُصُونَ ﴿٦٩﴾، يكذبون.

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾، مضيئاً يبصر فيه، كقولهم: ليل نائم وعيشة راضية، قال قطرب: تقول العرب: أظلم الليل وأضاء النهار وأبصر، أي: صار ذا ظلمة وضياء وبصر، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، سمع الاعتبار أنه مما لا يقدر عليه إلا عالم قادر.

[٦٨] ﴿قَالُوا﴾، يعني المشركين، ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، وهو قولهم الملائكة بنات الله، ﴿سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾، عن خلقه، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، عبيداً وملكاً، ﴿إِنْ عِنْدَكُم﴾، عندكم، ﴿مِّن سُلْطَانٍ﴾، حجة وبرهان، و(من) صلة تقديره ما عندكم سلطان، ﴿بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

الدنيا هي الثناء الحسن، وفي الآخرة: الجنة. وقال الزهري وقتادة: هي نزول الملائكة بالبركة من الله تعالى عند الموت، قال الله تعالى: (تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون). وقال عطاء عن ابن عباس: البشرى في الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبركة، وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن من يعرج بها إلى الله ويبشر برضوان الله. وقال الحسن: هي ما بشر الله المؤمنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه، كقوله: (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات)، (وبشر المؤمنين) (وأبشروا بالجنة)، وقيل: بشرهم في الدنيا بالكتاب والرسول أنهم أولياء الله، ويبشرهم في القبور وفي كتب أعمالهم بالجنة. ﴿لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾، لا تغير لقوله ولا خلف لوعده. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦٥] ﴿وَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلُهُمْ﴾، يعني: قول المشركين، قرأ نافع (ولا يحزنك) بضم الياء وكسر الزاي، وقرأ الآخرون (يحزنك) بفتح الياء وضم الزاي، وهم لغتان، يقال: حزنه الشيء يحزنه وأحزنه، تم الكلام ههنا ثم ابتداء، فقال: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾، يعني: الغلبة والقدرة لله ﴿جَمِيعًا﴾ هو ناصرك وناصر دينك والمتقم منهم، قال سعيد بن المسيب: إن العزة لله جميعاً يعني أن الله يعز من يشاء، كما قال في آية أخرى: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)، وعزة الرسول والمؤمنين بالله فهي كلها لله، ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

[٦٦] ﴿الْآيَاتِ لِلَّهِ مِنَ السَّمَوَاتِ وَمِنَ الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾، هو إما استفهام معناه: وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء؟ وقيل: وما يتبعون حقيقة لأنهم يعبدونها على ظن أنهم شركاء فيشفعون لنا وليس على ما يظنون. ﴿إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾، يظنون أنها تقرّبهم إلى الله، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا

[٦٩] ﴿قُلْ إِنِّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾، لا ينجون، وقيل: لا يبقون في الدنيا ولكن:

[٧٠] ﴿مَتَّعٌ﴾، قليل يتمتعون به وبلاغ ينتفعون به إلى انقضاء آجالهم و(متاع) رفع بإضمار، أي: هو متاع، ﴿فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

[٧١] قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾، أي: اقرأ يا محمد على أهل مكة خبر نوح ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾، وهم ولد قاييل، ﴿يَقُومُوا إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ﴾، عظم وثقل عليكم، ﴿مَعَايٍ﴾ طول عمري ومكثي فيكم ﴿وَتَذَكَّرِي﴾، ووعظي إياكم ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ﴾، بحججه وبياناته فعزمتهم على قتلي وطردى ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾، أي: أحكموا أمركم واعزموا عليه، ﴿وَشُرَكَاءَكُمُ﴾، أي: وادعوا شركاءكم أي آلهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم. وقال الزجاج. معناه فأجمعوا أمركم مع شركائكم، فلما ترك (مع) انتصب. وقرأ يعقوب:

(وشركاؤكم) رفع، أي: فأجمعوا أمركم أنتم وشركاؤكم. وقرأ رويس عن يعقوب (فاجمعوا) بوصل الألف وفتح الميم، والوجه من جمع يجمع، والمراد فاجمعوا ذوي أمركم، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، والمعنى: اجمعوا رؤساءكم، ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾، أي: خفياً مبهماً، من قولهم: غم الهلال على الناس، أي: أشكل عليهم وخفي، ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ﴾، أي: امضوا ما في أنفسكم وافرغوا منه، يقال: قضى فلان إذا مات ومضى، وقضى دينه إذا فرغ منه. وقيل: معناه توجهوا إليّ بالقتل والمكروه. وقيل: فاقضوا ما أنتم قاضون، وهذا مثل قول السحرة لفرعون: (فاقض ما أنت قاض)، أي اعمل ما أنت عامل، ﴿وَلَا تُنْظِرُونُ﴾، ولا تؤخرون وهذا على طريق التعجيز، أخبر الله عن

٢١٧ ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِي إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونُ﴾ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ أَنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَفًا وَاعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكِبِينَ﴾ (٧٣) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٧٤) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ (٧٥) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٧٦) قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ (٧٧) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ عَمَّا وَعَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبَرِيَّةُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٨)

نوح أنه كان واثقاً بنصر الله تعالى غير خائف من كيد قومه، علماً منه بأنهم وآلهتهم ليس إليهم نفع ولا ضرر إلا أن يشاء الله.

[٧٢] ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾، أعرضتم عن قولي وقبول نصحي، ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ﴾، على تبليغ الرسالة والدعوة، ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾، من جُعل وعِوض، ﴿إِنْ أَجْرِي﴾، ما أجري وثوابي. ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، أي: من المؤمنين. وقيل: من المستسلمين لأمر الله.

[٧٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، يعني نوحاً ﴿فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَفًا﴾، أي: جعلنا الذين معه في الفلك سكان الأرض خلفاء عن الهالكين. ﴿وَاعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكِبِينَ﴾، أي: آخر أمر الذين أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا.

(السحر) خبره أي: الذي جتّم به السحر، وتقوي هذه القراءة قراءة ابن مسعود (ما جتّم به سحر) بغير الألف واللام. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ عَمَلُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[٨٢] ﴿وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ﴾، بآياته، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى﴾، لم يصدق موسى مع ما آتاهم به من الآيات، ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ﴾، اختلفوا في الهاء التي في (قومه)، قيل: هي راجعة إلى موسى، وأراد بهم مؤمني بني إسرائيل الذين كانوا بمصر وخرجوا معه. قال مجاهد: كانوا أولاد الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل هلك الآباء وبقي الأبناء. وقال الآخرون: الهاء راجعة إلى فرعون. وروى عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وماشطة ابنته. وعن ابن عباس رواية أخرى: أنهم كانوا سبعين ألف بيت من القبط من آل فرعون، وأمهاتهم من بني إسرائيل فجعل الرجل يتبع أمه وأخواله. وقيل: هم قوم نجوا من قتل فرعون، وذلك أن فرعون لما أمر بقتل أبناء بني إسرائيل كانت المرأة من بني إسرائيل إذا ولدت ابناً وهبته لقبطية خوفاً من القتل، فنشئوا عند القبط، وأسلموا في اليوم الذي غلبت السحرة، ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾، قيل: أراد بفرعون آل فرعون، أي: على خوف من آل فرعون وملئهم، كما قال: (واسئل القرية) أي: أهل القرية. وقيل: إنما قال: (وملأهم) وفرعون واحد لأن الملك إذا ذكر يفهم منه هو وأصحابه، كما يقال قدم الخليفة يُراد هو ومن معه. وقيل: أراد ملأ الذرية، فإن ملأهم كانوا من قوم فرعون. ﴿أَنْ يَفْتَنَهُمْ﴾. أي: يصرفهم عن دينهم، ولم يقل يفتنهم لأنه أخبر عن فرعون وكان قومه على مثل ما كان عليه فرعون،

[٧٤] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾، أي: من بعد نوح رسلاً. ﴿إِلَى قَوْمِهِمْ فَأَخَذَهُمْ بِالْيَمِينِ﴾، بالدلالات الواضحات، ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾، أي: بما كذب به قوم نوح من قبل، ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾، أي: نختم ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[٧٥] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾، يعني: أشراف قومه، ﴿يَتْلُونَا فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُتَجَرِّمِينَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾، يعني: جاء فرعون وقومه، ﴿الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

[٧٧] ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا﴾، تقدير الكلام أتقولون للحق لما جاءكم سحر أسحر هذا؟ فحذف السحر الأول اكتفاءً بدلالة الكلام عليه. ﴿وَلَا يَخْلُقُ السَّحْرُونَ﴾.

[٧٨] ﴿قَالُوا﴾، يعني: فرعون وقومه لموسى، ﴿أَجَعْتَنَا تِلْفَنًا﴾، لتصرفنا. وقال قتادة: لتلويثنا، ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِرْبَةُ﴾، الملك والسلطان، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، أرض مصر وقرأ أبو بكر: (ويكون) بالياء، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾، بمصدقين.

[٧٩] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونَ بِكُلِّ سِحْرٍ عِيسٍ﴾.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُفْتُونَ﴾.

[٨١] ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ﴾، قرأ أبو عمرو وأبو جعفر: (السحر) بقطع الألف والمد على الاستفهام، و(ما) في هذه القراءة للاستفهام وليست بموصولة، وهي مبتدأة و(جتّم به) خبرها، والمعنى: أي شيء جتّم به؟ وقوله (السحر) بدل عنها، وقرأ الباقون: (ما جتّم به السحر) بوصل الألف من غير مد، و(ما) في هذه القراءة موصولة بمعنى الذي و(جتّم به) صلتها وهي مع الصلة في موضع الرفع بالابتداء، وقوله

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾، لمتكبر، ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُصْرِفِينَ﴾، المجاوزين الحد لأنه كان عبداً فادعى الربوبية.

[٨٤] ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾، لمؤمني قومه، ﴿يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾.

[٨٥] ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾، اعتمدنا، ثم دعوا فقالوا، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، أي: لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بأيديهم، فيظنوا أنا لم نكن على الحق فيزدادوا طغياناً. وقال مجاهد: لا تعذبنا بعذاب من عندك، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على الحق لما عذبوا ويظنوا أنهم خير منا فيفتنوا.

[٨٦] ﴿وَجَعَلْنَا رِجْمَتَكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٨٧] قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ﴾، هارون، ﴿أَن تَوَءَّا الْقَوْمَ كَمَا يُعْصِرُ بُيُوتًا﴾ يقال: بؤأ فلان لنفسه بيتاً ومضجعاً إذا اتخذها، وبؤأته أنا إذا اتخذته له، ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾، قال أكثر المفسرين: كانت بنو إسرائيل لا يصلون إلا في كنائسهم وبيعتهم، وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى أمر فرعون بتخريبها ومنعهم من الصلاة فأمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفاً من فرعون، هذا قول إبراهيم وعكرمة عن ابن عباس. وقال مجاهد: خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة، فأمروا بأن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلية الكعبة، يصلون فيها سراً. معناه واجعلوا وجوه بيوتكم إلى القبلة. وروى ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الكعبة قبله موسى ومن معه. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، يا محمد.

[٨٨] قوله تعالى: ﴿وَقَالَكَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً﴾، من متاع الدنيا، ﴿وَأَمُولًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾، اختلفوا في هذه اللام، قيل: هي لام كي، معناه: آتيتهم كي

سورة يونس

٢١٨

سورة يونس

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُخَيِّئُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَاءٌ آمِنٌ لِّمُوسَىٰ إِلَّا ذَرِيَّةً مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُصْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَوَءَّا الْقَوْمَ كَمَا يُعْصِرُ بُيُوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَكَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمُولًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

تفتنهم فيضلوا ويضلوا عن سبيلك، كقوله (لأسقيناهم ماء غداً لنفتنهم فيه)، وقيل: هي لام العاقبة يعني: ليضلوا فيكون عاقبة أمرهم الضلال، كقوله: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً). قوله: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾، قال مجاهد: أهلكها، والطمس: المحو. وقال قتادة: صارت أموالهم وحرثهم وزروعهم وجواهرهم كلها حجارة. وقال محمد بن كعب: جعل صورهم حجارة، وكان الرجل مع أهله في فراشه فصارا حجرين، والمرأة قائمة تخبز فصارا حجراً. قال ابن عباس رضي الله عنه: بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحاً وأنصافاً وأثلاثاً. ودعا عمر بن العزيز بخريطة فيها أشياء من بقايا آل فرعون فأخرج منها البيضة منقوشة والجوزة مشقوفة وإنها لحجر. قال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢١٩

سُورَةُ يُوسُفَ

قَالَ قَدْ أُجِيبَ دَعْوَتُكُمْ فَاسْتَقِيمُوا وَلَا تَلْبَعَانِ سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ
فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، بَغْيًا وَعَدُوًّا حَقًّا إِذَا أَدْرَكَهُ
الْفَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَالَتْنِ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنْ كَثُرَ مِنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَعْفِلُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبَازِئِدَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا نَزَّلْنَا إِلَيْكَ
فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ
﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

دخل آخرهم وهم أولهم أن يخرج انطبق عليهم
الماء. وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْفَرْقُ﴾،
أي: غمره الماء وقرب هلاكه، ﴿قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ﴾،
قرأ حمزة والكسائي (إنه) بكسر الألف أي: آمنت،
وقلت: إنه. وقرأ الآخرون (أنه) بالفتح على وقوع
آمنت عليها، وإضمار حرف الجر، أي: آمنت
بأنه، فحذف الباء، وأوصل الفعل بنفسه، فهو في
موضع النصب. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو
إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، فدرس جبريل في فيه من
حمأة البحر.

[٩١] وقال: ﴿ءَالَتْنِ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ﴾ فلما أخبر موسى قومه بهلاك فرعون
وقومه قالت بنو إسرائيل ما مات فرعون، فأمر الله
البحر فألقى فرعون على الساحل فرآه بنو إسرائيل
فذلك قوله:

السدي: مسخ الله أموالهم حجارة والنخيل والثمار
والدقيق والأطعمة، فكانت إحدى الآيات التسع
﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، أي: أقسىها واطبع عليها
حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان، ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾،
قيل: هو نصب بجواب الدعاء بالفاء. وقيل: هو
عطف على قوله (ليضلوا) أي: ليضلوا فلا يؤمنوا.
وقال الفراء: هو دعاء محله جزم، فكانه قال:
اللهم فلا يؤمنوا، ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، وهو
الغرق. قال السدي: معناه أمتهم على الكفر.

[٨٩] ﴿قَالَ﴾ الله تعالى لموسى وهارون، ﴿قَدْ
أُجِيبَ دَعْوَتُكُمْ﴾، إنما نسب إليهما والدعاء كان
من موسى لأنه روى أن موسى كان يدعو وهارون
يؤمن، والتأمين دعاء ﴿فَاسْتَقِيمُوا﴾، على الرسالة
والدعوة وامضيا لأمرى إلى أن يأتيهم العذاب ﴿وَلَا
تَلْبَعَانِ﴾، نهى بالنون الثقيلة، ومحله جزم، يقال في
الواحد لا تتبعن بفتح النون لالتقاء الساكنين،
وبكسر النون في الشبهة لهذه العلة. وقرأ ابن عامر
بتخفيف النون. وقد اختلفت الروايات عنه فيه
فبعضهم روى عنه ﴿تَلْبَعَانِ﴾ بتخفيف التاء الثانية
وفتح الباء وتشديد النون. وبعضهم روى عنه
(تَلْبَعَانِ) بتشديد التاء الثانية وكسر الباء وتخفيف
النون، وبعضهم روى عنه كقراء الجماعة. والوجه
في تخفيف النون، إن نون التأكيد تثقل وتخفف.
﴿سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يعني: ولا تسلكا
سبيل الذين يجهلون حقيقة وعدي، فإن وعدي لا
خُلف فيه، ووعيدي نازل بفرعون وقومه.

[٩٠] ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾، عبرنا بهم
﴿فَاتَّبَعَهُمْ﴾، لحقهم وأدركهم، ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾،
يقال: أتبعه وتبعه إذا أدركه ولحقه، واتبعه بالتشديد
إذا سار خلفه واقتدى به. وقيل: هما واحد. ﴿بَغْيًا
وَعَدُوًّا﴾، أي: ظلما واعتداء. وقيل: بغيا في القول
وعدوا في الفعل. وكان البحر قد انفلق لموسى
وقومه، فلما وصل فرعون بجنوده إلى البحر فلما

مع أهل الشك معناه: إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان رسولنا محمد، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك. قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: يعني من آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه فيشهدون على صدق محمد ﷺ ويخبرونك بنبوته. قال الفراء: علم الله سبحانه وتعالى أن رسوله غير شاك لكنه ذكره على عادة العرب يقول الواحد منهم لعبده: إن كنت عبي فاطعني، ويقول لولده: افعل كذا وكذا إن كنت ابني، ولا يكون بذلك على وجه الشك. ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾، من الشاكين.

[٩٥] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا يَتَائِدُتِ اللَّهُ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وهذا كله خطاب مع النبي ﷺ والمراد منه غيره.

[٩٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ﴾، وجبت عليهم، ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، قيل: لعنته. وقال قتادة: سخطه. وقيل: الكلمة هي قوله: هؤلاء في النار ولا أبالي. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٩٧] ﴿وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾، دلالة، ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، قال الأخفش: أنت فعل كل لأنه مضاف إلى المؤنث وهي قوله: آية، ولفظ كل للمذكر والمؤنث سواء.

[٩٨] قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ﴾، فهلا كانت، ﴿قُرْيَةً﴾، ومعناه: فلم تكن قرية، لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد، أي: أهل قرية، ﴿ءَامَنَتْ﴾، عند معاينة العذاب، ﴿فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا﴾، في حال اليأس، ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُوْثَسُ﴾، فإنهم نفعهم إيمانهم في ذلك الوقت، (وقوم) نصب على الاستثناء المنقطع، تقديره: ولكن قوم يونس، ﴿لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾، وهو وقت انقضاء آجالهم، واختلّفوا في أنهم هل رأوا العذاب عياناً أم لا؟

[٩٢] ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾، أي: نُلقيك على نجوة من الأرض وهي المكان المرتفع. وقرأ يعقوب (نُنَجِّيكَ) بالتخفيف، ﴿بِيَدِكَ﴾، بجسدك لا روح فيه. وقيل: بيدك: بدرعك، وكان له درع مشهور مرصع بالجواهر، فأراه في درعه فصَدَّقُوا موسى. ﴿لَتَكُونَنَّ لِمَنْ حَلَفَكَ آيَةً﴾، عبرة وعظة، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾.

[٩٣] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أنزلنا بني إسرائيل بعد هلاك فرعون، ﴿مُبَوَّأً صَدَقٍ﴾، منزل صدق، يعني: مصر. وقيل: الأردن وفلسطين وهي الأرض المقدسة التي كتب الله ميراثاً لإبراهيم وذريته. قال الضحاك: هي: مصر والشام، ﴿وَوَرَّضْنَاهُمْ مِنْ ظَلْمَتَيْنِ﴾، الحلالات، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾، يعني اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ في تصديقه وأنه نبي، ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾، يعني: القرآن والبيان بأنه رسول الله صدق ودينه حق. وقيل: حتى جاءهم معلومهم وهو محمد ﷺ لأنهم كانوا يعلمونه قبل خروجه، فالعلم بمعنى المعلوم كما يقال للمخلوق: خلق، قال الله تعالى: (هذا خلق الله)، ويقال: هذا الدرهم ضرب الأمير، أي: مضرابه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، من الدين.

[٩٤] قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾، يعني: القرآن ﴿فَسَلِّ إِلَيْنِ يَقرءُونَ﴾، فيخبرونك أنك مكتوب عندهم في التوراة. قيل: هذا خطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره على عادة العرب فإنهم يخاطبون الرجل ويريدون به غيره، كقوله تعالى: (يا أيها النبي اتق الله)، خطاب للنبي ﷺ والمراد به المؤمنون بدليل أنه قال: (إن الله كان بما تعملون خبيراً)، ولم يقل بما تعمل، وقال: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء)، وقيل: كان الناس على عهد النبي ﷺ بين مصدق ومكذب وشاك فهذا الخطاب

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٢٢٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمٌ يَنْتَسِبُونَ لَهَا
ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ
إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ
جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْذِرُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٩﴾ وَمَا
كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسُ
عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٨٠﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٨١﴾
فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ
قُلْ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنْ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٨٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِي الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٨٣﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨٤﴾ وَأَنْ أُنْذِرَ وَجْهَكُمْ لِلَّذِينَ خَلَفُوا
وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨٥﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٨٦﴾

فقال بعضهم: رأوا دليل العذاب؟ والأكثرون على أنهم رأوا العذاب عياناً بدليل قوله: (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين)، والكشف يكون بعد الوقوع أو إذا قرب [وسياأتي مثل ذلك في سورة الصافات آية (١٤٨)].

[٩٩] قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾، يا محمد، ﴿لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْذِرُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، هذه تسليية للنبي ﷺ وذلك أنه كان حريصاً على أن يؤمن جميع الناس، فأخبره الله جل ذكره: أنه لا يؤمن إلا من سبق له السعادة، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاوة.

[١٠٠] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ﴾، وما ينبغي لنفس. وقيل: ما كانت نفس، ﴿أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس: بأمر الله. وقال عطاء: بمشيئة الله. وقيل: بعلم الله. ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسُ﴾، قرأ أبو بكر: (ونجعل) بالنون، والباقون بالياء، أي: ويجعل الله الرجس أي: العذاب وهو الرجز، ﴿عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾، عن الله أمره ونهيه.

[١٠١] ﴿قُلْ أَنْظِرُوا﴾، أي: قل للمشركين الذين يسألونك الآيات: انظروا، ﴿مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، من الآيات والدلائل والعبر ففي السموات الشمس والقمر والنجوم وغيرها، وفي الأرض الجبال والبحار والأنهار والأشجار وغيرها، ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾، الرسل، ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وهذا في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون.

[١٠٢] ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾، يعني: مشركي مكة، ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا﴾، مضوا، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من مكذبي الأمم، قال قتادة: يعني وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود. والعرب تسمي العذاب أياماً والنعم أياماً، كقوله: (وذكرهم بأيام الله)، وكل ما مضى عليك من خير وشر فهو أيام، ﴿قُلْ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾، قرأ يعقوب (ننجي) خفيف مختلف عنه، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، معهم عند نزول العذاب، معناه نجينا مستقبل بمعنى الماضي، ﴿كَذَلِكَ﴾، كما نجيناهم ﴿حَقًّا﴾، واجبا، ﴿عَلَيْنَا نُنَاجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، قرأ الكسائي وحفص ويعقوب (ننجي) بالتخفيف والآخرين بالتشديد، ونجا وأنجي بمعنى واحد.

[١٠٤] قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾، الذي أَدْعُوكُمْ إليه، فإن قيل: كيف قال: (إن كنتم في شك) وهم كانوا يعتقدون بطلان ما جاء به؟ قيل: كان فيهم شاكون فهم المراد بالآية، أو أنهم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا في أمرهم وأمر النبي ﷺ. قوله عز وجل: ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، من الأوثان، ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم﴾، يميتمكم ويقبض

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّكْبَتُ أَحْكَمَتْ أَيْتُهُ ثُمَّ فَصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾
أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعَكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

نسخت الكتب والشرائع به، ﴿ثُمَّ فَصَلَتْ﴾، بينت بالأحكام والحلال والحرام. وقال الحسن: أحكمت بالأمر والنهي، ثم فصلت بالوعد والوعيد. قال قتادة: أحكمت أحكمها الله فليس فيها اختلاف ولا تناقض. وقال مجاهد: فصلت أي: فسرت. وقيل: فصلت أي: أنزلت شيئاً فشيئاً، ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾.

[٢] ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾، أي: في ذلك الكتاب ألا تعبدوا إلا الله، ويكون محل (أن) رفعاً. وقيل: محله خفض تقديره: بأن لا تعبدوا إلا الله، ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ﴾، أي: من الله ﴿نَذِيرٌ﴾، للعاصين ﴿وَبَشِيرٌ﴾ للمطيعين.

[٣] ﴿وَأَنْ﴾، عطف على الأول، ﴿أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾، أي: ارجعوا إليه بالطاعة. قال الفراء: (ثم) هنا بمعنى الواو، أي: وتوبوا إليه،

أرواحكم، ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. [١٠٥] قوله: ﴿وَأَنْ أَقَرَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾، قال ابن عباس: عملك. وقيل: استقم على الدين حنيفاً. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. [١٠٦] ﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾، ولا تعبد، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾، إن أطعته، ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾، إن عصيته، ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾، فعبدت غير الله، ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مَنَّ الظَّالِمِينَ﴾، الضارين لأنفسهم الواضعين العبادة في غير موضعها.

[١٠٧] ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾، أي: يصبك بشدة وبلاء، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾، فلا دافع له، ﴿إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾، رخاء ونعمة وسعة، ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾، فلا مانع لرزقه، ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾، بكل واحد من الضر والخير، ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٠٨] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، يعني القرآن والإسلام، ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾، أي: على نفسه وباله عليه، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾، بكفيل أحفظ أعمالكم. قال ابن عباس: نسختها آية القتال.

[١٠٩] ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾، بنصرك وقهر عدوك وإظهار دينه ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾، فحكم بقتال المشركين وبالجزية على أهل الكتاب يعطونها عن يد وهم صاغرون.

(١١) سُورَةُ هُودٍ

مكية إلا قوله: (وأقيم الصلاة طرفي النهار)، وهي مائة وثلاث وعشرون آية.

[١] ﴿الرَّكْبَتُ كِتَابٌ﴾، أي: هذا كتاب، ﴿أَحْكَمَتْ أَيْتُهُ﴾، قال ابن عباس: لم ينسخ بكتاب كما

[٦] قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: ليس دابة، (من) صلة، والدابة: كل حيوان يذب على وجه الأرض. وقوله: ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رَزَقُهَا﴾، أي هو المتكفل بذلك فضلاً، وهو إلى مشيئته إن شاء رزق وإن شاء لم يرزق. وقيل: على بمعنى من أي: من الله رزقها. وقال مجاهد: ما جاءها من رزق فمن الله عز وجل، وربما لم يرزقها حتى تموت جوعاً. ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾، قال ابن مقسم - ويروى ذلك عن ابن عباس -: مستقرها المكان الذي تأوي إليه وتستقر فيه ليلاً ونهاراً، ومستودعها: الموضع الذي تدفن فيه إذا ماتت. وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: المستقر أرحام الأمهات والمستودع المكان الذي تموت فيه. وقال عطاء: المستقر أرحام الأمهات والمستودع أصلاب الآباء. ورواه سعيد بن جبير وعلي بن طلحة وعكرمة عن ابن عباس. وقيل: المستقر الجنة أو النار والمستودع القبر، لقوله تعالى في صفة الجنة والنار: (حسنت مستقرًا ومقامًا). ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، أي: كلٌ مثبت في اللوح المحفوظ قبل أن خلقها.

[٧] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، قبل أن خلق السماء والأرض ﴿يَسْبُلُوكُمْ﴾، ليختبركم وهو أعلم، ﴿إِنَّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، عمل بطاعة الله وأورع عن محارم الله تعالى. ﴿وَلَكِنَّ قُلْتَ﴾، يا محمد، ﴿إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، يعنون القرآن. وقرأ حمزة والكسائي: (ساحر) يعنون محمدًا ﷺ.

[٨] ﴿وَلَكِنَّ أَخَرَنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾، إلى أجل محدود، وأصل الأمة الجماعة، فكأنه قال: إلى انقراض أمة ومجيء أمة أخرى ﴿لَيَقُولَنَّ مَا يَجْحِشُهُ﴾، أي: أي شيء يحبسها؟ يقولونه

لأن الاستغفار هو التوبة والتوبة هي الاستغفار. وقيل: أن استغفروا إليه في المستأنف ﴿يُنِيعَكُمْ مَنَعًا حَسَنًا﴾، يعيشكم عيشًا حسنًا في خفض ودعة وأمن وسعة. قال بعضهم: العيش الحسن هو الرضى بالميسور والصبر على المقدور. ﴿إِنَّ أَجَلَ مُسَكِّيٍّ﴾، إلى حين الموت، ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾، أي: ويؤت كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة. وقيل: يؤت كل ذي فضل فضله يعني: من عمل لله عز وجل وفقه الله فيما يستقبل على طاعته. ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أعرضوا، ﴿فَإِنَّ أَخَافَ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾، وهو يوم القيامة.

[٤] ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٥] قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾، قال ابن عباس: نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلًا حلو الكلام حلو المنظر، يلقي رسول الله ﷺ بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره. قوله: ﴿يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾ أي: يخفون ما في صدورهم من الشحنة والعداوة. وقال عبدالله بن شداد: نزلت هذه الآية في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله ﷺ ثنى صدره وحنى ظهره وطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه النبي ﷺ. وقال قتادة: كانوا يحنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله تعالى ولا ذكره. وقيل: كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه. ويقول: هل يعلم الله ما في قلبي. وقال السدي: يثنون أي: يعرضون بقلوبهم، من قولهم: ثنيت عناني. وقيل: يعطفون، ومنه ثنى الثوب، ﴿لَيْسَتْخَفُوا مِنْهُ﴾، أي: من رسول الله. وقال مجاهد: ليستخفوا من الله إن استطاعوا، ﴿أَلَا جِنَّةٌ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾، يغطون رؤوسهم بثيابهم، ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتُ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، قال الأزهري: معنى الآية من أولها إلى آخرها: إن الذين أضمرُوا عداوة رسول الله ﷺ لا يخفى علينا حالهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢٢

سُورَةُ هُودٍ

وَمَا مِن دَاثَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ
عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ إِنَّكُمْ أَهْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتُمْ
إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُكُمْ مِنْ أَسْحَرِمْ ﴿٧﴾ وَلَئِن أَخَرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى
أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾
وَلَئِن أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ
لَيَكُونَنَّ كَفُورًا ﴿٩﴾ وَلَئِن أَدَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَهْزِئَةٍ
لَيَكُونَنَّ كَفُورًا ﴿١٠﴾ وَلَئِن أَدَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضِرَاءٍ
مَسْتَهْزِئَةٍ لَيَكُونَنَّ كَفُورًا ﴿١١﴾ وَلَئِن أَدَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضِرَاءٍ
مَسْتَهْزِئَةٍ لَيَكُونَنَّ كَفُورًا ﴿١٢﴾ وَلَئِن أَدَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضِرَاءٍ
مَسْتَهْزِئَةٍ لَيَكُونَنَّ كَفُورًا ﴿١٣﴾ وَلَئِن أَدَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضِرَاءٍ
مَسْتَهْزِئَةٍ لَيَكُونَنَّ كَفُورًا ﴿١٤﴾

استعجالاً للعذاب واستهزاءً، يعنون أنه ليس بشيء. قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمُ﴾، يعني العذاب، ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾، لا يكون مصروفًا عنهم، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾، نزل بهم، ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أي: وبال استهزائهم.

[٩] قوله تعالى: ﴿وَلَئِن أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾، نعمة وسعة، ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾، أي: سلبناها منه، ﴿إِنَّهُ لَيَكُونَنَّ كَفُورًا﴾، قنوط في الشدة، ﴿كَفُورًا﴾ النعمة.

[١٠] ﴿وَلَئِن أَدَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَهْزِئَةٍ﴾، بعد بلاء أصابه، ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾، زالت الشدائد عني، ﴿إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا﴾، أشر بطر، والفرح لذة في القلب بنيل المشتهي، والفخر هو التناول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهى عنه.

[١١] ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، قال الفراء: هذا استثناء منقطع معناه: لكن الذين صبروا ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإنهم إن نالتهم شدة صبروا وإن نالوا نعمة شكروا، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾، لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، وهو الجنة.

[١٢] ﴿فَلَعَلَّكَ﴾، يا محمد، ﴿تَارِكُ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾، فلا تبلغه إياهم. وذلك أن كفار مكة لما قالوا: (إئت بقرآن غير هذا) ليس فيه سب آلهتنا هم النبي ﷺ أن يدع آلهتهم ظاهرًا، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ يعني: سب الآلهة، ﴿وَضَائِقُ يَدَيْكَ صَدْرُكَ﴾، أي: فلعلك يضيق صدرك ﴿أَن يَقُولُوا﴾، أي: لأن يقولوا، ﴿تَوَلَّىٰ أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا﴾ ينفقه ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾، يصدقه، قاله عبدالله بن أمية المخزومي. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ ليس عليك إلا البلاغ، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، حافظ.

[١٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾، بل يقولون اختلقه، ﴿قُلْ فَأَنزِلُوا بَعْشَرَ سِوَاهُ مِثْلِهِ مُمْفِرِينَ﴾، فإن قيل: قد

قال في سورة يونس: (فأتوا بسورة مثله)، وقد عجزوا عنه فكيف قال: (فأتوا بعشر سور)، فهو كرجل يقول لآخر: أعطني درهمًا فبعجز، فيقول: أعطني عشرة دراهم؟ الجواب: قد قيل سورة هود نزلت أولاً. وأنكر المبرد هذا، وقال: بل نزلت سورة يونس أولاً، وقال معنى قوله في سورة يونس: (فأتوا بسورة مثله)، أي: مثله في الخبر عن الغيب والأحكام والوعد والوعيد، فبعجزوا فقال لهم في سورة هود: إن عجزتم عن الإتيان بسورة مثله في الأخبار والأحكام والوعد والوعيد فأتوا بعشر سور مثله من غير خبر ولا وعد ولا وعيد، وإنما هي مجرد البلاغة، ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾، واستعينوا بمن استطعتم، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

[١٤] ﴿فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾، يا أصحاب محمد. وقيل: لفظه جمع والمراد به الرسول ﷺ

سورة هود

٢٢٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ

أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأَنذَرْتُكُمْ سُورًا مِّثْلَهُ مَقْرَنَاتٍ
وَأَعُوذُ مِنَ اسْتِطَاعَتِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾
فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣﴾ مَنْ كَانَ يَرْيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ
مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ أَفَمَنْ كَانَ
عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَتِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلَهُ كُتِبَ
مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ
مِنَ الْأَحْزَابِ فَاَلْتَأَمُّ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مَرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى
رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَصْذُونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٨﴾

ﷺ. وروى ابن جريج عن مجاهد قال: هو ملك يحفظه ويسدده. وقال الحسين بن الفضل: هو القرآن ونظمه وإعجازه. وقيل: شاهد منه هو الإنجيل. ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾، أي: ومن قبل مجيء محمد ﷺ. وقيل: من قبل نزول القرآن. ﴿كُتِبَ﴾، أي: كان كتاب موسى، ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾، لمن اتبعها، يعني التوراة وهي مصدقة للقرآن شهادة للنبي ﷺ، ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، يعني أصحاب محمد ﷺ. وقيل: أراد الذين أسلموا من أهل الكتاب، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾، أي: بمحمد ﷺ. وقيل: بالقرآن، ﴿لَا حَرْبَ﴾، من الكفار أهل

رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤٢٨/٥، ٤٢٩. وفي رواية عند الترمذي في كتاب النذور ٩/ وابن ماجه في الفتن ١٦/ بلفظ: «الرياء شرك». ورواه المصنف في شرح السنة ٣٢٤/١٤.

وحده. ﴿فَاعْلَمُوا﴾، قيل: هذا خطاب مع المؤمنين. وقيل: مع المشركين، ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾، يعني: القرآن. وقيل: أنزله وفيه علمه، ﴿وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: فاعلموا أن لا إله إلا هو، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، لفظه استفهام ومعناه أمر، أي: أسلموا.

[١٥] قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، أي: من كان يريد بعمله الحياة الدنيا ﴿وَزِينَتَهَا﴾، نزلت في كل من عمل عملاً يريد به غير الله عز وجل ﴿نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾، أي: نوف لهم أجور أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق ودفع المكاره وما أشبهها. ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾، أي: في الدنيا لا ينقص حظهم.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾، أي: في الدنيا، ﴿وَبَطُلَ مَا جَاحِقُ﴾، ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، اختلفوا في المعنى بهذه الآية، فقال مجاهد: أهل الرياء. وروينا أن النبي ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء»^(١). وقيل: هذا في الكفار، وأما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وإرادته الآخرة غالبية فيجازي بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة.

[١٧] قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾، قيل: في الآية حذف ومعناه: أفمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها، أو من كان على بينة من ربه كمن هو في الضلالة والجهالة، والمراد بالذي هو على بينة من ربه النبي ﷺ، ﴿يَصْذُونَ﴾، شاهد ﷺ، أي: يتبعه من يشهد له بصدقه. واختلفوا في هذا الشاهد، فقال ابن عباس وعلقمة وإبراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر أهل التفسير: إنه جبريل عليه السلام. وقال الحسن وقتادة: هو لسان رسول الله

الملل كلها، ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدٌ﴾، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»^(١). قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾، أي: في شك منه، ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، فزعم أن له ولدا أو شريكا، أي: لا أحد أظلم منه، ﴿أُولَئِكَ﴾، يعني: الكاذبين والمكذابين، ﴿يُعْزِزُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، فيسألهم عن أعمالهم، ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾، يعني: الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم، قاله مجاهد. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إنهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو قول الضحاك. وقال قتادة: الخلائق كلهم، ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

[١٩] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يمنعون عن دين الله، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

[٢٠] ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾، قال ابن عباس: سابقين. قال قتادة: هاربين. وقال مقاتل: فائتين. ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾، يعني أنصارا وأعوانا يحفظونهم من عذابنا، ﴿يُضَعِّفُ لَهُمْ الْعَذَابَ﴾، أي: يزداد في عذابهم. قيل: يضاعف العذاب عليهم لإضلالهم الغير واقتداء الأتباع بهم. قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب: (يُضَعِّفُ) مشددة العين بغير ألف. وقرأ الباقون: (يُضَاعَفُ) بالألف مخففة العين. ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾، الهدى. قال قتادة: صُمٌّ عن سماع الحق فلا يسمعون، وما كانوا يبصرون الهدى. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أخبر الله عز وجل أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢٤

سُورَةُ هُودٍ

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَعِّفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٩﴾ لَأَجْرِمَ أَنتُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْنَى وَالْأَصْبَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٣﴾ أَن لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ إِلَيسَ ﴿٢٤﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرْنِكَ يَا بَشْرَ إِنَّا نَحْنُ الْمَلَأُ أَتَعْلَمُ بِمَا نَعْمَلُ ﴿٢٥﴾ أَلَمْ نَقُلْ لَكَ إِنَّا أَنَا اللَّهُ إِنَّا نَعْلَمُ مَا تَعْمَلُ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ نَقُلْ لَكَ إِنَّا أَنَا اللَّهُ إِنَّا نَعْلَمُ مَا تَعْمَلُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ نَقُلْ لَكَ إِنَّا أَنَا اللَّهُ إِنَّا نَعْلَمُ مَا تَعْمَلُ ﴿٢٨﴾

(ما كانوا يستطيعون السمع) وهو طاعته، وفي الآخرة قال: (فلا يستطيعون. خاشعة أبصارهم).

[٢١] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾، غبنوا أنفسهم، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، يزعمون من شفاعة الملائكة والأصنام.

[٢٢] ﴿لَا جَرَمَ﴾، أي: حقا. وقيل: بلى. وقال الفراء: لا محالة، ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾، يعني: من غيرهم، وإن كان الكل في الخسار.

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾، قال ابن عباس: خافوا. وقال قتادة: أنابوا. وقال مجاهد: اطمانوا. وقيل: خشعوا. وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، أي: لربهم. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم (١٥٣) ١٣٤/١ والمصنف في شرح السنة ١٠٤/١.

ومعرفة، ﴿مِّنْ عِندِهِ فَعُمِيتَ عَلَيْكُمُ﴾، أي: خفيت والتبست عليكم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص (فعميت) عليكم بضم العين وتشديد الميم، أي: شبهت ولبست عليكم. ﴿أَنْزَلْنَاهُمْ مِّمَّا أَنْزَلْنَاكُمْ﴾، أي: أنزلناكم المينة والرحمة، ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾، لا تريدونها. قال قتادة: لو قدر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن يلزموا قومهم لألزموا، ولكن لم يقدروا.

[٢٩] قوله: ﴿وَيَقُولُوا لَا آتَاكُم بِهِ مَالًا﴾، أي: على الوحي وتبليغ الرسالة، كناية عن غير مذكور، ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾، ما ثوابي، ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، هذا دليل على أنهم طلبوا منه طرد المؤمنين، ﴿إِنَّهُمْ مُّكَلَّفُوا رِيبَهُمْ﴾، أي: صائرهم إلى ريبهم في المعاد فيجزى من طردهم، ﴿وَلَكِنْ أَتَيْنَاهُم بِمَا نَبْهَلُهُمْ﴾.

[٣٠] ﴿وَيَقُولُوا مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾، من يمنني من عذاب الله، ﴿إِنْ طَرَفَهُمْ فَقَلًا نَّذَكَّرُونَ﴾، تتعظون.

[٣١] ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، فأتي منها ما تطلبون، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾، فأخبركم بما تريدون. وقيل: إنهم لما قالوا لنوح إن الذين آمنوا بك إنما اتبعوك في ظاهر ما ترى منهم، قال نوح مجيباً لهم: لا أقول لكم عندي خزائن غيوب الله التي يعلم منها ما يضر الناس، ولا أعلم الغيب فأعلم ما يسرونه في نفوسهم، فسييلي قبول ما ظهر من إيمانهم، ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾، هذا جواب قولهم: (وما نراك إلا بشراً مثلنا). ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ﴾، أي: تحتقرهم وتستصغروهم أعينكم، يعني: المؤمنين، وذلك أنهم قالوا: هم أراذلنا، ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ أي: توفيقاً وإيماناً وأجرًا، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾، من الخير والشر مني، ﴿إِنِّي إِذًا لَّيِّنٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، لو قلت هذا. [٣٢] ﴿قَالُوا يَنْتَهِ يَا أَهْلَ الْبَلَدِ حَدَّكُمَا﴾، خاصمتنا،

فِيهَا خَلِيدُونَ. [٢٤] ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ المؤمن والكافر، ﴿كَالْأَنْعَامِ وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِينَ مَثَلًا﴾، قال الفراء: لم يقل هل يستوون، لأن الأعمى والأصم في حيز كأنهما واحد لأنهما من وصف الكافر، والبصير والسميع في حيز كأنهما واحد لأنهما من وصف المؤمن، ﴿أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾، أي: تتعظون.

[٢٥] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب (أني) بفتح الهمزة أي: بأني، وقرأ الباقون بكسرها، أي: فقال إني، لأن في الإرسال معنى القول: إني لكم نذير مبين.

[٢٦] ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ إِلَهِمُ﴾، أي: مؤلم (فلبت فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً) أي: فلبت فيهم داعياً.

[٢٧] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾: والملا هم الأشراف والرؤساء. ﴿مَا نَرْنَكَ﴾، يا نوح، ﴿إِلَّا بَشَرًا﴾، آدمياً، ﴿وَمِنَّا وَمَا نَرْنَكَ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَفُرُوا﴾، سفلتنا، والردل: الدون من كل شيء، والجمع أرذل، ثم يجمع على أرذل، مثل كلب وأكلب وأكالب، وقال في سورة الشعراء: (واتبعك الأردلون) يعني: السفلة. وقال عكرمة: الحاكة والأساكفة، ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾، قرأ أبو عمرو (باديء) بالهمز، أي: أول الرأي يريدون أنهم اتبعوك في أول الرأي من غير روية وتفكر، ولو تفكروا لم يتبعوك. وقرأ الآخرون بغير همز، أي ظاهر الرأي من قولهم: بدا الشيء إذا ظهر معناه اتبعوك ظاهراً من غير أن يتدبروا ويفكروا باطناً. قال مجاهد: رأي العين، ﴿وَمَا زِلْنَا عَلَيْكُمْ مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾، نوح، ﴿يَقُولُوا أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنْتَهَ﴾، بيان، ﴿مِن رَّبِّي وَاللَّي رَحْمَةً﴾ أي: هدى

﴿فَاكْثَرْتَ جِدَلَنَا فَأَيْنَا بِمَا نَعِدُنَا﴾، من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾، يعني: بالعذاب، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾، بفاتئين.

[٣٤] ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي﴾، أي: نصيحتي، ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾، يضلّكم، ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾، له الحكم والأمر ﴿وَالِيهِ تُرْجَعُونَ﴾، فيجزّيكم بأعمالكم.

[٣٥] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: يعني نوحاً عليه السلام. وقال مقاتل: يعني محمداً ﷺ. ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي﴾، أي: إثمي ووبال جرمي. والإجرام: كسب الذنب. ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يُشْجِرُمُونَ﴾، لا أواخذ بذنوبكم.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمَرَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾، فلا تحزن، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فإني مهلكهم ولا منقذ منهم، فحيث دعا نوح عليهم: فقال (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) فأوحى الله تعالى إليه:

[٣٧] ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾، أي: بأمرنا. ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾، بالطوفان، قيل معناه لا تخاطبني في إمهال الكفار، فإني حكمت بإغراقهم. وقيل: لا تخاطبني في ابنك كنعان وامراتك واعلة فإنهما هالكان مع القوم.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿وَصْنَعِ الْفُلْكَ﴾، فلما أمره الله تعالى أن يصنع الفلك أقبل نوح عليه السلام على عمل الفلك ولها عن قومه، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيء عدة الفلك من القار وغيره، وجعل قومه يَمْرُون به وهو في عمله ويسخرون منه، ويقولون: يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة. قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ

وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّكْتَفَوْنَ بِهِمْ وَلِكِنِّي أَرَنُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ أَضْغَاثَ الْحَدِيدِ لِكُلِّ فِرْعَوْنٍ خِزْيًا وَآلَ فِرْعَوْنَ أَكْثَرُ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنْ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٣﴾ قَالُوا يَا نُوْحُ قَدْ جَدَلْنَاكَ فَأَكْثَرْتَ جِدَلَنَا فَأَيْنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُشْجِرُمُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمَرَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٨﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٩﴾

قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾، وذلك أنهم كانوا يقولون: إن هذا الذي يزعم أنه نبي قد صار نجاراً وروي أنهم كانوا يقولون له: يا نوح ماذا تصنع؟ فيقول أصنع بيتاً يمشي على الماء، فيضحكون منه، ﴿قَالَ إِنْ سَخِرُوا مِنَّا فَإِنَّا سَخِرُ مِنْكُمْ﴾، إذا عايتم عذاب الله، ﴿كَمَا سَخِرُونَ﴾، فإن قيل: كيف تجوز السخرية من النبي؟ قيل: هذا على ازدواج الكلام، يعني أن تستجهلونني فإني أستجهلكم إذا نزل العذاب بكم. وقيل: معناه إن تسخروا منا فسترون عاقبة سخريتكم.

[٣٩] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾، يهينه، ﴿وَيُحِلُّ عَلَيْهِ﴾، يجب عليه، ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، دائم.

[٤٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، عذابنا، ﴿وَفَارَ الْثَنُورُ﴾، اختلفوا في الثنور، قال عكرمة

والزهري: هو وجه الأرض، وذلك أنه قيل لنوح: إذا رأيت الماء فار على وجه الأرض فاركب السفينة. وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: فار التنور أي: طلع الفجر ونور الصبح. وقال الحسن ومجاهد والشعبي: إنه التنور الذي يخبز فيه، وهو قول أكثر المفسرين. والفوران: الغليان. قوله تعالى: ﴿قُلْنَا أَهْمَلْ فِيهَا﴾، أي: في السفينة، ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾، الزوجان: كل اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر، يقال لكل واحد منهما زوج، يقال: زوج خف وزوج نعل، والمراد بالزوجين هنا: الذكر والأنثى. قرأ حفص هنا وفي سورة المؤمنين: (من كُلِّ) بالتونين أي: من كل صنف زوجين اثنين، ذكره تأكيداً. ﴿وَأَهْلَكَ﴾، أي: واحمل أهلك، أي: ولدك وعيالك، ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾، بالهلاك يعني امرأته واعلة وابنه كنعان، ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ يعني: واحمل من آمن بك، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، واختلفوا في عددهم، قال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي: لم يكن في السفينة إلا ثمانية، نوح وامرأته وثلاثة بنين له سام وحام ويافث، ونساؤهم: وقال الأعمش: كانوا سبعة: نوح وثلاثة بنين له وثلاث كنان له. وقال ابن إسحاق: كانوا عشرة سوى نساؤهم، نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناس ممن كان آمن به وأزواجهم جميعاً. وقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين نفراً رجلاً وامراً وبنيه الثلاثة ونساءهم، فجميعهم ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء.

[٤١] ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾، أي: قال لهم نوح اركبوا فيها أي في السفينة، ﴿يَسِّرَ اللَّهُ مَجْرَبَهَا وَمُرْسَىٰهَا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: (مجرها) بفتح الميم (ومرساها) بضمها، وقرأ محمد بن محيصة (مجرهاها ومرساها) بفتح الميمين من جرت

وَيَصْنَعُ الْفُلَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْلَمُ مَنْ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْقِلٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا وَمُرْسَىٰهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرَىٰ بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأْوِي إِلَىٰ جِبَلٍ يَعْصِمُكَ مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَبَسِّمِي أَقْلَمِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

ورست، أي: بسم الله جريها ورسوها، وهما مصدران وقرأ الآخرون: (مجرهاها ومرساها) بضم الميمين من أجزيت وأرسييت، أي: بسم الله إجرأوها وإرساؤها وهما أيضاً مصدران، كقوله: (أنزلني منزلاً مباركاً). (وأدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق)، والمراد منها الإنزال والإدخال والإخراج. ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٤٢] ﴿وَهِيَ تَجْرَىٰ بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾، والموج ما ارتفع من الماء إذا اشتدت عليه الرياح، شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء. ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾، كنعان، وقال عبيد بن عمير: سام وكان كافراً، ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾، عنه لم يركب السفينة، ﴿يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا﴾، قرأ نافع وابن عامر وحمزة والبزي عن ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم ويعقوب: (اركب) بإظهار الباء،

عَلَّمَ، ﴿قَالَ﴾، قرأ أهل الحجاز والشام (فلا تسألني) بفتح اللام وتشديد النون، ويكسرون النون غير ابن كثير فإنه يفتحها. وقرأ الآخرون بجزم اللام وكسر النون خفيفة، ويثبت أبو جعفر وأبو عمرو وورش الياء في الوصل دون الوقف، وأثبتها يعقوب في الحاليين، ﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، واختلفوا في هذا الابن، قال مجاهد والحسن: كان ولد حدث من غير نوح، ولم يعلم بذلك نوح، ولذلك قال: (ماليس لك به علم) وقال أبو جعفر الباقر: كان ابن امرأته وكان يعلمه نوح ولذلك قال (من أهلي) ولم يقل مني. وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والأكثر: إنه كان ابن نوح عليه السلام من صلبه وقال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط وقوله (إنه ليس من أهلك) أي: من أهل الدين وقوله: (إني أعظك أن تكون من الجاهلين)، يعني: تدعو بهلاك الكفار ثم تسأل نجاة كافر.

[٤٧] ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾.

[٤٨] ﴿قِيلَ يَنْتُحِ أَهِيْطُ﴾، انزل من السفينة، ﴿يَسْلُوْ مَنَّا﴾، أي بأمن وسلامة منا، ﴿وَبَرَكْتَ عَلَيْكَ﴾، البركة هي ثبوت الخير ومنه بروت البعير. وقيل: البركة ههنا هي أن الله تعالى جعل ذريته هم الباقيين إلى يوم القيامة، ﴿وَعَلَى أُمُومٍ مَّعَكَ﴾، أي: على ذرية أُمم ممن كان معك في السفينة، يعني على قرون تجيء بعدك من ذرية من معك في السفينة، يعني: من ولدك وهم المؤمنون، قال محمد بن كعب القرظي: دخل فيه كل مؤمن إلى يوم القيامة. ﴿وَأُمُّ سَمْعِيَّةُ﴾، هذا ابتداء، أي: أُمم سمنتهم في الدنيا، ﴿ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِثْنًا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وهم الكافرون وأهل الشقاوة.

[٤٩] ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾، من أخبار الغيب، ﴿تُوجِبُهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنَّكَ لَا قَوْمَكَ

وَالْآخَرُونَ يَدْغَمُونَهَا فِي الْمِيمِ، ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾، فهلك.

[٤٣] ﴿قَالَ﴾ له ابنه ﴿سَوَاءٌ﴾، سَأصير وألتجئ، ﴿إِلَى جَبَلٍ يَعْصِي مِثْرَ الْمَاءِ﴾، يمعني من الغرق، ﴿قَالَ﴾ له نوح ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، أي: من عذاب الله، ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾، قيل: (من) في محل رفع، أي لا مانع من عذاب الله إلا الله الرحيم. وقيل: (من) في محل نصب، معناه لا معصوم إلا من رحمه الله كقوله: (في عيشة راضية) أي: مرضية، ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ﴾، فصار، ﴿مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾، ويروى أن الماء علا على رؤوس الجبال قدر أربعين ذراعًا. وقيل: خمسة عشر ذراعًا.

[٤٤] ﴿وَقِيلَ﴾، يعني بعدما تناهى أمر الطوفان. ﴿يَتَارِضُ آبِلَى﴾، اشربي، ﴿مَاءَكَ وَنَسَمَةً أَقْلَى﴾، أمسكي، ﴿وَعِصَى الْمَاءِ﴾، نقص ونضب، يقال: غاض الماء يغيض غيضًا إذا نقص، وغاضه الله أي أنقصه، ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فرغ من الأمر وهلاك القوم ﴿وَأَسْوَتْ﴾، يعني السفينة استقرت، ﴿عَلَى الْجُرُودِ﴾، وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل، ﴿وَقِيلَ بَعْدًا﴾، هلاكًا، ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾،

[٤٥] قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي، وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي؟ وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾، لا خلف فيه، ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾، حكمت على قوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك.

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ الله عز وجل ﴿يَنْتُحِ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، قرأ الكسائي ويعقوب: (عمل) بكسر الميم وفتح اللام (غير) بنصب الراء على الفعل، أي: عمل الشرك والتكذيب. وقرأ الآخرون بفتح الميم ورفع اللام تنوينه، (غير) برفع الراء معناه: أن سؤالك إياي أن أنجيه عمل غير صالح، ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي﴾، يا نوح، ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

سُورَةُ

٢٢٧

الْحٰكِمَةُ

قَالَ يَنْفُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّبِعُنِ
مَا يَنْسُوكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا
تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْفُوحُ
أَهْطِ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمُورٍ مِّنْ مَّعَاكَ
وَأُمَمٍ سَتَمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مَتَاعُ دَابِّ إِلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ
مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ
مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادٍ
أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفُورُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرُهُ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَنْفُورُوا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَنْفُورُوا اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ
عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

بخبل وجنون، وذلك أنك سببت آلهتنا فانتقموا
منك بالتخيل لا نحمل أمرك إلا على هذا،
﴿قَالَ﴾، لهم هود، ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ﴾، على نفسي،
﴿وَأَشْهَدُوْا﴾، يا قوم، ﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.
[٥٥] ﴿مِنْ دُونِهِ﴾، يعني: الأوثان، ﴿فَكِيدُونِي
جَمِيعًا﴾، فاحتالوا في مكرهم وضري أنتم
وأوثانكم، ﴿ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ﴾، لا تؤخرون ولا
تمهلون.

[٥٦] ﴿إِنِّي نَوَّكْتُ﴾، أي: اعتمدت، ﴿عَلَى اللَّهِ
رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ قال
الضحَّاك: محييا ومميتها. قال الفراء: مالكتها
والقادر عليها. وقال بعض العلماء: أخذ بناصيتها
لا تتوجه إلا حيث يلهمها. وقال القتيبي: يقهرها،
لأن من أخذت بناصيته فقد قهرته. وقيل إنما خص
الناصية بالذكر لأن العرب تستعمل ذلك إذا وصفت

مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾، من قبل نزول القرآن، ﴿فَاصْبِرْ﴾،
على القيام بأمر الله وتبليغ الرسالة وما تلقى من أذى
الكفار كما صبر نوح، ﴿إِنَّ الْعَقِيبَ﴾ آخر الأمر
بالسعادة والنصرة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، لأهل التقوى.

[٥٠] قوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ﴾، أي: وأرسلنا
إلى عاد، ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾، في النسب لا في الدين،
﴿قَالَ يَنْفُورُوا عِبَادُوا اللَّهَ﴾، وخذوا الله ﴿مَا لَكُمْ مِنْ
إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾، ما أنتم في
إشراككم إلا كاذبون.

[٥١] ﴿يَنْفُورُوا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، أي: على تبليغ
الرسالة، ﴿أَجْرًا﴾، جعلاً، ﴿إِنْ أَجْرِي﴾، ما
ثوابي، ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾، خلقتني، ﴿أَفَلَا
تَعْقِلُونَ﴾.

[٥٢] ﴿وَيَنْفُورُوا اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾، أي: آمنوا
به، فالاستغفار ههنا بمعنى الإيمان، ﴿ثُمَّ تُوبُوا
إِلَيْهِ﴾، من عبادة غيره ومن سالف ذنوبكم، ﴿يُرْسِلِ
السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾، أي: يرسل المطر عليكم
متتابعاً مرة بعد أخرى في أوقات الحاجة،
﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾، أي: شدة مع شدتكم.
وذلك أن الله عز وجل حبس عنهم المطر ثلاث
سنين وأعقم أرحام نساءهم فلم يلدن، فقال لهم
هود عليه السلام: إن آمنتكم أرسل الله عليكم المطر
فتزدادون مالاً ويعيد أرحام الأمهات إلى ما كانت
فيلدن، فتزدادون قوة بالأموال والأولاد. وقيل:
تزدادون قوة في الدين إلى قوة في البدن. ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا
مُجْرِمِينَ﴾، أي: لا تدبروا مشركين.

[٥٣] ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾، أي:
ببرهان وحجة واضحة على ما تقول، ﴿وَمَا نَحْنُ
بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾، أي: بقولك، ﴿وَمَا نَحْنُ
لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، بمصدقين.

[٥٤] ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْرَابُكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾،
يعني: لست تتعاطى ما تتعاطاه من مخالفتنا وسب
آلهتنا إلا أن بعض آلهتنا اعتراك أي: أصابك بسوء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢٨

سُورَةُ هُودٍ

إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْرَبْنِكَ بَعْضَ الْهَيْئَاتِ سَوْءَ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ
وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٧﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي
جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا
مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيئِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿٥٩﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ سَيِّئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِیْظٌ
﴿٦٠﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٦١﴾ وَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي
رَبُّهُمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٦٢﴾ وَاتَّبَعُوا
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا
بَعْدَ الْعَادِ قَوْمُ هُودٍ ﴿٦٣﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ
يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَإِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ
﴿٦٤﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ فِيكَ تَصَلِّحُ لَكُنْتُمْ فِتْنًا مَّزْجُوعًا قَبْلَ هَذَا أَتَنهَنَّا أَنْ
تَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٥﴾

إنسانًا بالذلة، فتقول: ناصية فلان بيد فلان، وكانوا
إذا أسروا إنسانًا وأرادوا إطلاقه والمن عليه جزوا
ناصيته ليعتدوا بذلك فخرًا عليه، فخطبهم الله بما
يعرفون. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، يعني: إن
ربي وإن كان قادرًا عليهم فإنه لا يظلمهم ولا يعمل
إلا بالإحسان والعدل، فيجازي المحسن بإحسانه
والمسيء بعصيانه. وقيل: معناه إن دين ربي صراط
مستقيم. وقيل: فيه إضمار، أي: إن ربي يحثكم
ويحملكم على صراط مستقيم.

[٥٧] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أي: تتولوا، يعني: تعرضوا
عما دعوتكم إليه، ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ
وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾، أي: إن أعرضتم يهلككم
الله عز وجل ويستبدل قومًا غيركم أطوع منكم
يوحدونه ويعبدونه، ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ سَيِّئًا﴾، بتوليكم
وإعراضكم إنما تضرون أنفسكم. وقيل: لا
تقصونه شيئًا إذا أهلككم لأن وجودكم وعدمكم
عنده سواء، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِیْظٌ﴾، أي:
لكل شيء حافظ، يحفظني من أن تنالوني بسوء.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، عذابنا،
﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، وكانوا أربعة آلاف.
﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، وهو
الريح التي أهلك بها عادًا، وقيل: العذاب الغليظ:
عذاب يوم القيامة، أي: كما نجيناهم في الدنيا من
العذاب كذلك نجيناهم في الآخرة.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي رَدَّ إِلَى الْقَبِيلَةِ، ﴿جَحَدُوا
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾، يعني: هودًا وحده،
ذكره بلفظ الجمع لأن من كذب رسولًا واحدًا كان
كمن كذب جميع الرسل، ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ
عَنِيدٍ﴾ أي: واتباع السفلة والسقاط أهل التكبر
والعناد. والجبار: المتكبر، والعنيد: الذي لا يقبل
الحق، يقال: عنَد الرجل يعند عنودًا إذا أبى أن
يقبل الشيء وإن عرفه. وقال أبو عبيدة: العنيد
والعاند والعنود والمعاند المعارض لك بالخلاف.

[٦٠] ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾، أي: أُرْدِفُوا
لعنة تلحقهم وتنصرف معهم، واللعة: هي الإبعاد
والطرده عن الرحمة، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أي: وفي
يوم القيامة أيضًا لعنوا كما لعنوا في الدنيا
والآخرة، ﴿إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾، أي: بربهم،
يقال: كفرته وكفرت به، كما يقال: شكرته
وشكرت له، ونصحته ونصحت له. ﴿إِلَّا بَعْدَ إِعَادٍ
قَوْمٍ هُودٍ﴾، قيل: بعدًا من رحمة الله. وقيل:
هلاكمًا. والبعد له معنيان: أحدهما ضد القرب،
يقال: منه بُعدٌ يبعدُ بعدًا، والآخر: بمعنى الهلاك،
يقال: منه بُعدٌ يبعدُ بعدًا.

[٦١] قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾،
أي: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا في النسب لا
في الدين، ﴿قَالَ يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، وخذوا الله عز
وجل، ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ﴾، ابتداء

سورة الأعراف. فهذا معنى قوله: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَمَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾، من العشب والنبات فليست عليكم مؤنتها، ﴿وَلَا تَسْهَوْا يَوْمَ﴾، ولا تصيوها بعقر، ﴿فَيَأْخُذْكُمْ﴾، إن قتلتموها، ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾.

[٦٥] ﴿فَمَقَرُّوْهَا فَقَالَ﴾، لهم صالح، ﴿تَمَتَّعُوا﴾، عيشوا، ﴿فِي دَارِكُمْ﴾، أي: في دياركم، ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾، ثم تهلكون، ﴿ذَٰلِكَ وَعَدُ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾، أي: غير كذب. روي أنه قال لهم: يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون اليوم الأول ووجوهكم مصفرة، وفي اليوم الثاني محمرة، وفي اليوم الثالث مسودة، فكان كما قال، وأتاهم العذاب اليوم الرابع.

[٦٦] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ صَالِحُونَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ رَحِمْنَا مَنَكَ﴾، بنعمة منا، ﴿وَمِنْ خِزْيٍ يَوْمَئِذٍ﴾، أي: من عذابه، وهو أنه قرأ أبو جعفر ونافع والكسائي (خزي يومئذ)، و(عذاب يومئذ) بفتح الميم. وقرأ الباقون بالكسر. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

[٦٧] ﴿وَأَحْذَرُوا﴾، كفروا، ﴿الصَّيْحَةَ﴾، وذلك أن جبريل عليه السلام صاح عليهم صيحة واحدة فهلكوا جميعاً. وقيل: أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض، فتقطعت قلوبهم في صدورهم. وإنما قال: (أخذ) والصيحة مؤنثة لأن الصيحة بمعنى الصباح. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾، صرعى هلكى.

[٦٨] ﴿كَانَ لَمْ يَقْتُوا فِيهَا﴾، يقيموا ويكونوا، ﴿أَلَا إِنَّ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِثَمُودَ﴾، قرأ حمزة وحفص ويعقوب: (ثمود) غير منون، وكذلك في سورة الفرقان والعنكبوت والنجم، وافق أبو بكر في النجم، وقرأ الباقون بالتنوين، وقرأ الكسائي: (لثمود) بخفض الدال والتنوين،

خلقكم، ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾، وذلك أنهم من آدم وآدم خلق من الأرض، ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، أي: جعلكم عُمَارَهَا وَسُكَّانَهَا. وقال الضحاك: أطال عمركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلاثمائة سنة إلى ألف سنة، وكذلك قوم عاد. وقال مجاهد: أعماركم من العمرى، أي: جعلها لكم ما عشم. وقال قتادة: أسكنكم فيها. ﴿فَاسْتَعْفَرُوهُ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَىَّ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾، من المؤمنين، ﴿يُجِيبُ﴾ لدعائهم.

[٦٩] ﴿قَالُوا﴾، يعني ثمود، ﴿يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْحُوًّا قَبْلَ هَٰذَا﴾، القول أي: كنا نرجو أن تكون سيِّداً فينا. وقيل: كنا نرجو أن تعود إلى ديننا، وذلك أنهم كانوا يرجون رجوعه إلى دين عشيرته، فلما أظهر دعاءهم إلى الله عز وجل وترك الأصنام زعموا أن رجاءهم انقطع عنه، فقالوا: ﴿أَتَنْهَسْنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْزُبُ عَابَاؤُنَا﴾، من الآلهة، ﴿وَأِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، موقع للريبة والتهمة، يقال: أربته إرباة إذا فعلت به فعلاً يوجب له الريبة.

[٦٣] ﴿قَالَ يَفْقَهُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾، نبوة وحكمة، ﴿فَمَنْ يَضُرَّنِي مِنْ اللَّهِ﴾، أي: من يمنعني من عذاب الله، ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾، قال ابن عباس: معناه ما تزيدوني غير بصارة في خسارتكم. قال الحسين بن الفضل: لم يكن صالح عليه السلام في خسارة حتى قال فما تزيدوني غير تخسير، وإنما المعنى ما تزيدوني بما تقولون من الفحش إلا نسبتى إياكم إلى الخسارة، والتفسيق والتفجير في اللغة هو: النسبة إلى الفسق والفجور، وكذلك التخسير هو: النسبة إلى الخسران.

[٦٤] ﴿وَيَقُولُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾، نصب على الحال والقطع، وذلك إن قوماً طلبوا منه أن يخرج ناقة عشراء من هذه الصخرة، وأشاروا إلى صخرة فدعا صالح عليه السلام فخرجت منها ناقة وولدت في الحال ولدًا مثلها، وقد بيناه في

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢٩

سورة هود

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ يَتْرِئِكُمْ مِنِّي وَعَآتِنِي
مِنْهُ رَحْمَةً مِّن بَصُرِي مِّنَ اللَّهِ إِن عَصَيْتُمْهُمَا تَرِيدُونِي
غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦٩﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٧٠﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٧١﴾ فَلَمَّا جَاءَهُ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَمِنْ خِزْيٍ يُومِذُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٧٢﴾ وَأَخَذَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ
كَاثِرِينَ لَّمْ يَنْفَعُوا فِيهَا الْآلَانَ ثَمُودًا كَفَرُوا وَرَأَيْتُمُ اللَّامِ
لِثَمُودَ ﴿٧٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا
سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لِي بِهِمْ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٧٤﴾
رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٥﴾ وَأَمْرًا لَهُ قَائِمَةٌ
فَضَحَكَتْ فَفُتِرَتْ لَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٦﴾

والباقون بنصب الدال، فمن جره فلأنه اسم مذكر،
ومن لم يجره جعله اسماً للقبيلة.

[٦٩] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ
بِالْبَشْرَى﴾، أراد بالرسول الملائكة عليهم السلام
بالبشرى بالبشارة بإسحاق ويعقوب. وقيل: بإهلاك
قوم لوط. ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾، أي: سلموا سلاماً،
﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿سَلَامٌ﴾، أي: عليكم سلام:
وقيل: هو رفع على الحكاية، كقوله تعالى:
(وقولوا حطة)، وقرأ حمزة والكسائي (سلم) وهنا
وفي سورة الذاريات بكسر السين بلا ألف. قيل:
هو بمعنى السلام. كما يقال: حل وحلال وحرم
وحرام. وقيل: هو بمعنى الصلح، أي: نحن سلم
أي صلح لكم غير حرب. ﴿فَمَا لِي بِهِمْ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ
حَنِيدٍ﴾، والحنيذ المحنوذ وهو المشوي على
الحجارة في خد من الأرض، وكان سميناً يسيل
دسمًا، كما قال في موضع آخر: (فجاء بعجل
سمين): قال قتادة: كان عامة مال إبراهيم البقر.

[٧٠] ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾، أي: إلى
العجل، ﴿نَكِرَهُمْ﴾، أنكرهم، ﴿وَأَوْجَسَ﴾،
أضمر، ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾، خوفاً. قال مقاتل: وقع
في قلبه، وأصل الوجوس: الدخول، كان الخوف
دخل قلبه. وقال قتادة: وذلك أنهم كانوا إذا نزل
بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأت
بخير وإنما جاء بشر. ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾، يا إبراهيم،
﴿إِنَّا﴾ ملائكة الله ﴿أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾.

[٧١] ﴿وَأَمْرًا لَهُ﴾ سارة بنت هاران بن أهور وهي
ابنة عم إبراهيم. ﴿قَائِمَةٌ﴾ من وراء الستر تسمع
كلامهم. وقيل: كانت قائمة تخدم الرسل وإبراهيم
جالس معهم. ﴿فَضَحَكَتْ﴾، قال مجاهد وعكرمة:
ضحكت أي: حاضت في الوقت، تقول العرب:
ضحكت الأرنب، أي: حاضت. والأكثر أن يقولوا
أن المراد منه الضحك المعروف. واختلفوا في
سبب ضحكها، فقيل: ضحكت لزوال الخوف

عنها وعن إبراهيم حين قالوا لا تخف. وقال
السدي: لما قرب إبراهيم الطعام إليهم فلم يأكلوا
خاف إبراهيم وظنهم لصوصاً فقال لهم: ألا
تأكلون؟ قالوا: إنا لا نأكل طعاماً إلا بشمن، قال
إبراهيم: فإن له ثمنًا، قالوا وما ثمنه؟ قال تذكرون
اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره، فنظر
جبريل إلى ميكائيل عليهم الصلاة والسلام، وقال:
حق لهذا أن يتخذة ربّه خليلاً، فلما رأى إبراهيم
وسارة أيديهم لا تصل إليه ضحكت سارة، وقالت:
يا عجباً لأضيافنا إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم
وهم لا يأكلون طعامنا. وقال قتادة: ضحكت من
غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم. وقال مقاتل
والكلبي: ضحكت من خوف إبراهيم من ثلاثة في
بيته وهو فيما بين خدمه وحشمه. وقيل: ضحكت
سروراً بالبشارة. وقال ابن عباس ووهب: ضحكت

[٧٤] ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾، الخوف، ﴿وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَى﴾، بإسحاق ويعقوب، ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾، فيه إضمار، أي: أخذ وظل يجادلنا. قيل: معناه يكلمنا لأن إبراهيم عليه السلام لا يجادل ربه عز وجل إنما يسأله ويطلب إليه. وقال عامة أهل التفسير: معناه يجادل رسلنا وكانت مجادلته أنه قال للملائكة أرايتم لو كان في مدائن لوط خمسون من المؤمنين أتهلكونهم؟ قالوا: لا، قال: أو أربعون؟ قالوا: لا، قال: أو ثلاثون؟ قالوا: لا، حتى بلغ خمسة، قالوا: لا، قال: أرايتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا، قال لهم إبراهيم عند ذلك: إن فيها لوطاً، قالوا: نحن أعلم بمن فيها، لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين، فذلك قوله إخباراً عن إبراهيم عليه السلام: (يجادلنا في قوم لوط).

[٧٥] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ أَوْهٌ مُنِيبٌ﴾، قال ابن جريج: وكان في قري قوم لوط أربعة آلاف ألف فقالت الرسل عند ذلك لإبراهيم.

[٧٦] ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾، أي: أعرض عن هذا المقال ودع عنك الجدال، ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾، أي: عذاب ربك وحكم ربك، ﴿وَأَنْتُمْ عَنْتِهِمْ﴾، نازل بهم، ﴿عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾، أي غير مصروف عنهم.

[٧٧] قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾، يعني: هؤلاء الملائكة، ﴿لُوطًا﴾، على صورة غلمان مرد حسان الوجوه، ﴿سَيِّئَ سَمِيئَةٍ﴾، أي: حزن لوط بمجيئهم، يقال: سؤته فسيء، كما يقال: سررته فسر. ﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾، أي: قلباً. يقال: ضاق ذرع فلان بكذا إذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه، وذلك أن لوطاً عليه السلام لما نظر إلى حسن وجوههم وطيب روائحهم أشفق عليهم من قومه أن يقصدوهم بالفاحشة، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عنهم. ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾، أي:

تعجباً من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها. وعلى هذا القول تكون الآية على التقديم والتأخير، تقديره: وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فضحكت، وقالت: يا ويلتي أألد وأنا عجوز؟ قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ﴾، أي: من بعد إسحاق، ﴿يَعْقُوبَ﴾، أراد به والدًا لولد فبشرت أنها تعيش حتى ترى ولد ولدها! قرأ ابن عامر وحمزة وحفص يعقوب بنصب الباء، أي: من وراء إسحاق يعقوب. وقيل: بإضمار فعل، أي: ووهبنا له يعقوب. وقرأ الباقون بالرفع على حذف حرف الصفة. وقيل: ومن بعد إسحاق يحدث يعقوب، فلما بشرت بالولد ضحكت فصكت وجهها، أي: ضربت وجهها تعجباً.

[٧٢] ﴿قَالَتْ يَوَيْلَئِي﴾، نداء ندبة وهي كلمة يقولها الإنسان عند رؤية ما يتعجب منه، أي: يا عجباً. والأصل يا ويلتاه. ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾، وكانت ابنة تسعين سنة في قول ابن إسحاق. وقال مجاهد: تسعاً وتسعين سنة. ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾، أي: زوجي، سمي بذلك لأنه قِيمَ أمرها، ﴿سَيِّئًا﴾؛ نصب على الحال، وكان سن إبراهيم مائة وعشرين سنة في قول ابن إسحاق. وقال مجاهد: مائة سنة، وكان بين البشارة والولادة سنة، ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

[٧٣] ﴿قَالُوا﴾، يعني الملائكة، ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، معناه لا تعجبي من أمر الله، فإن الله عز وجل إذا أراد شيئاً كان. ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، أي: بيت إبراهيم عليه السلام. قيل: هذا على معنى الدعاء معنى الخير والرحمة والنعمة. والبركات جمع البركة، وهي ثبوت الخير. وفيه دليل على أن الأزواج من أهل البيت. ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ﴾، فالحميد: المحمود في أفعاله، والمجيد: الكريم، وأصل المجد الرفعة.

شديد كأنه عصب به الشر والبلاء، أي: شد. قال قتادة والسدي: خرجت الملائكة من عند إبراهيم عليه السلام نحو قرية قوم لوط فأتوا لوطاً نصف النهار وهو في أرض له يعمل فيها. وقيل: إنه كان يحتطب. وقد قال الله تعالى للملائكة: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوطاً أربع شهادات، فاستضافوه فانطلق بهم، فلما مشى بهم ساعة قال لهم: ما بلغكم أمر أهل هذه القرية: قالوا: وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشراً قرية في الأرض عملاً يقول ذلك أربع مرات، فدخلوا معه منزله. وروي: أنه حمل الحطب وتبعته الملائكة فمر على جماعة من قومه فغمزوا فيما بينهم، فقال لوط: إن قومي شر خلق الله، ثم مر على قوم آخرين، فغمزوا، فقال مثله، ثم مر بقوم فقال مثله، ثم مر بقوم آخرين، فقال مثله، فكان كلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة: اشهدوا حتى أتى منزله. وروي: أن الملائكة جاؤوا إلى بيت لوط فوجدوه في داره ولم يعلم بذلك أحد إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومها، وقالت: إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط.

[٧٨] ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾، قال ابن عباس وقتادة: يسرعون إليه. وقال مجاهد: يهرولون، وقال الحسن: مشى بين مشيتين. قال شمر بن عطية: بين الهرولة والجمز. ﴿وَمِنْ قَتْلٍ﴾، أي: من قبل مجيئهم إلى لوط، ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾، كانوا يأتون الرجال في أدبارهم. ﴿قَالَ﴾، لهم لوط حين قصدوا أضيافه وظنوا أنهم غلمان، ﴿يَقْوِمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، يعني: بالتزويج، وفي أضيافه بناته، وكان في ذلك الوقت، تزويج المسلمة من الكافر جائزاً كما زوج النبي ﷺ ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي، وكانا كافرين. وقال الحسين بن الفضل: عرض بناته عليهم بشرط الإسلام. وقال مجاهد

سورة هود
٢٣٠
قَالَتْ يَتْلُقُ إِلَيْنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا اتَّعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُحْدِثُ لَنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٨﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٩﴾ يَتَّبِعُهُمْ آعْرُضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لِلْحَبْلِ عِزٌّ مُزْدَوِّرٌ ﴿٨٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَاءَ بِهِمْ مُضَاهٍ بِهَمْ ذُرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٨١﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَقُومُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٨٢﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا بِبَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٨٣﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رَكْنٌ شَدِيدٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنَیْصِلُوا إِلَيْكَ فَاصْرِبْ أَهْلَكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٥﴾

وسعيد بن جبیر: قوله (بناتي هن أطهر لكم)، أراد نساءهم وأضاف إلى نفسه لأن كل نبي أبو أمته. وفي قراءة أبي بن كعب: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم هو أب لهم)، وقيل: ذكر ذلك على سبيل الدفع لا على التحقيق، فلم يرضوا هذا القول. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾، أي: خافوا الله ولا تخزون في ضيفي، أي: لا تسووني ولا تفضحوني في أضيافي. ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾، صالح سديد. وقال عكرمة: رجل يقول لا إله إلا الله. وقال ابن إسحاق: رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

[٧٩] ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ﴾، يا لوط، ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾، أي: لسن أزواجاً لنا فنستحقهن بالنكاح. وقيل: معناه ما لنا فيهن من حاجة وشهوة. ﴿وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾، من إتيان الرجال.

أي: لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت فتهلك وكان لوط قد أخرجها معه، ونهى من معه ممن أسرى بهم أن يلتفت سوى زوجته فإنها لما سمعت هذة العذاب التفتت، وقالت: يا قوماء، فأدركها حجر فقتلها. وقرأ الآخرون بنصب التاء على الاستثناء من الإساءة أي: فأسر بأهلك إلا امرأتك فلا تسربها وخلفها مع قومها، فإن هواها إليهم، وتصديقه قراءة ابن مسعود (فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك ولا يلتفت منكم أحد). ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾، من العذاب، ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾، أي: موعد هلاكهم وقت الصبح، فقال لوط: أريد أسرع من ذلك، فقالوا: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

[٨٢] قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَرْثُهَا﴾ عذابنا، ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَابِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾، أي على شذاها ومسافريها. وقيل: بعدما قلبها أمطر عليها، ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبیر (سنگ وكل) ^(١) فارسي معرب. وقال قتادة وعكرمة: السجيل الطين، دليله قوله عز وجل: (لنرسل عليهم حجارة من طين)، قال مجاهد: أولها حجر وآخرها طين. وقال الحسن: كان أصل الحجارة طيناً فشددت. وقال الضحاك: يعني الآجر. وقيل: السجيل اسم السماء الدنيا. وقيل: هو جبال في السماء، قال الله تعالى: (وينزل من السماء من جبال فيها من برد). قوله تعالى: ﴿مَنْصُورٌ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: متتابع يتبع بعضها بعضاً مفعول من النصد، وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض.

[٨٣] ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾، من نعت الحجارة وهي نصب على الحال، ومعناها معلمة: قال ابن جريج: عليها سيما لا تشاكل كل حجارة الأرض. وقال (١) هكذا في الأصل وفي طبعة ١٣٤٣ هـ وطبعة ١٤٠٩ هـ، ومعناه: حجارة طين، انظر الطبري ٢٢٩/٣٠.

[٨٠] ﴿قَالَ﴾، لهم لوط عند ذلك ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾، أراد قوة البدن والقوة بالاتباع، ﴿أَوْ أَوِيَّ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، أي: أنضم إلى عشيرة مانعة. وجواب (لو) مضمرة أي لقتلناكم وحلنا بينكم وبينهم، قال أبو هريرة: ما بعث الله بعده نبياً إلا في منعة من عشيرته، قال ابن عباس وأهل التفسير: أغلق لوط بابَه والملائكة معه في الدار، وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب، وهم يعالجون تسوّر الجدار، فلما رأت الملائكة ما يلقي لوط بسببهم.

[٨١] ﴿قَالُوا يَلُوطُ﴾، إن ركنك لشديد، ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾، فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه عز وجل في عقوبتهم، فأذن له، فقام، فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعمى أبصارهم، فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء، فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض سحرونا، وجعلوا يقولون: يا لوط كما أنت حتى تصبح فسترى ما تلقى منا غداً يوعدونه، فقالت الملائكة: لا تخف إنا أرسلنا لإهلاكهم، فقال لوط للملائكة: متى موعد إهلاكهم؟ فقالوا: الصبح، قال: أريد أسرع من ذلك فلو أهلكتموهم الآن، فقالوا: (أليس الصبح بقريب)، ثم قالوا، ﴿فَأَسْرِ﴾، يا لوط، ﴿بِأَهْلِكَ﴾، قرأ أهل الحجاز (فاسر) و(أن اسر) بوصل الألف حيث وقع في القرآن من أسرى يسري، وقرأ الباقون بقطع الألف من أسرى يسري، ومعناهما واحد وهو المسير بالليل. ﴿يَقْطَعُ مِّنَ اللَّيْلِ﴾، قال ابن عباس: بطائفة من الليل. وقال الضحاك: ببقية. وقال قتادة: بعد مضي أوله. وقيل: إنه السحر الأول. ﴿وَلَا يَلْقَئُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو (أمرأتك)، برفع التاء على الاستثناء من الالتفات،

سُورَةُ

٢٣١

الْحٰكِمَةُ

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
 حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْصُورٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ
 وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُ
 شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ
 وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَانَكُمْ يُخَافِرُ
 وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُونَ ﴿٨٤﴾ وَيَبْقَوْمُ
 أُوفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا
 النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾
 بَقِيتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
 بِحَفِيفٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ
 نَّتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُ
 إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَبْقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
 كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
 أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَنكُم عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
 مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُ﴾، أو أن تترك أن
 تفعل في أموالنا ما نشاء من الزيادة والنقصان.
 ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾، قال ابن عباس رضي
 الله عنهما: أرادوا السفه الغاوي، والعرب تصف
 الشيء بضده فتقول: للديغ سليم وللغلاة مفازة.
 وقيل: قالوه على وجه الاستهزاء. وقيل: معناه
 الحليم الرشيد بزعملك. وقيل: هو على الصحة أي
 إنك يا شعيب فينا حليم رشيد لا يجمل بك شق
 عصا قومك ومخالفة دينهم، وهذا كما قال قوم
 صالح عليه السلام: (قد كنت فينا مرجوا قبل
 هذا).

﴿٨٨﴾ ﴿قَالَ يَبْقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ﴾
 بصيرة وبيان، ﴿مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾،
 حلالاً. وقيل: كثيراً. وكان شعيب عليه السلام
 كثير المال. وقيل: الرزق الحسن: العلم.

قتادة وعكرمة: عليها خطوط حمر على هيئة
 الجزع. وقال الحسن والسدي: كانت مختومة
 عليها أمثال الخواتيم. وقيل: مكتوب على كل
 حجر اسم من رمى به. ﴿عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ﴾،
 يعني: تلك الحجارة، ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، أي: من
 مشركي مكة، ﴿بِإِعْيَادٍ﴾، وقال قتادة وعكرمة: يعني
 ظالمي هذه الأمة والله ما أجار الله منهما ظالماً
 بعد. وفي بعض الآثار: «ما من ظالم إلا وهو
 معرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة».

﴿٨٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾، أي:
 وأرسلنا إلى ولد مدین، ﴿أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْمُ
 اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا
 الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾، أي لا تبخسوا، وهم كانوا
 يطففون مع شركهم، ﴿إِنِّي أَرَانَكُمْ يُخَافِرُ﴾، قال
 ابن عباس: موسرين في نعمة. وقال مجاهد: في
 خصب وسعة فحذرهم زوال النعمة وغلاء السعر
 وحلول النعمة، إن لم يتوبوا. ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُونَ﴾، يحيط بكم فيهلككم.

﴿٨٥﴾ ﴿وَيَبْقَوْمُ أُوفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾،
 أتموهما، ﴿بِالْقِسْطِ﴾، بالعدل. وقيل: بتقويم
 لسان الميزان، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾، لا تنقصوا؛
 ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

﴿٨٦﴾ ﴿بَقِيتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾،
 قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني ما أبقي الله
 لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خير مما
 تأخذونه بالتطفيف. وقال مجاهد: بقيت الله أي:
 طاعة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين أن ما عندكم من
 رزق الله وعطائه. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾،
 بوكيل. وقيل: إنما قال ذلك لأنه لم يؤمر بقتالهم.

﴿٨٧﴾ ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَّتْرَكَ مَا
 يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾، من الأوثان. قال ابن عباس رضي
 الله عنهما: كان شعيب عليه السلام كثير الصلاة
 لذلك قالوا هذا. وقال الأعمش: يعني أقرأئك.

والمعرفة. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَيَّ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ﴾، أي: ما أريد أن أنهاكم عن شيء ثم ارتكبه. ﴿إِنْ أُرِيدُ﴾، ما أريد فيما أمركم به وأنهاكم عنه، ﴿إِلَّا الْأِضْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾، والتوفيق: تسهيل سبيل الخير والطاعة. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، اعتمدت، ﴿وَالَيْهِ أُنِيبُ﴾، أرجع فيما ينزل بي من النوائب.

[٨٩] ﴿وَيَقُولُ لَا يُجِزُّكُمْ﴾، لا يحملنكم، ﴿شِقَاقِي﴾، خلافي ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾، أي: على فعل ما أنهاكم عنه، ﴿مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾، من الغرق، ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾، من الريح، ﴿أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾، من الصيحة، ﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾، وذلك أنهم كانوا حديثي عهد بهلاك قوم لوط. وقيل: معناه وما دار قوم لوط منكم ببعد، وذلك أنهم كانوا جيران قوم لوط.

[٩٠] ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثُبُّوا إِلَيْهِ إِنْ رَفِيَ رَجِيمٌ وَدُودٌ﴾، والودود له معنيان أحدهما أنه محب للمؤمنين، وقيل: هو بمعنى الودود أي محبوب للمؤمنين. وجاء في الخبر: إن شعيباً عليه السلام كان خطيب الأنبياء عليهم السلام.

[٩١] ﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ﴾، ما نفهم، ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾، عشيرتك وكان في منعة من قومه، ﴿لَرَجَمَنَّكَ﴾، لقتلناك. والرجم: أقبح القتل. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا﴾، عندنا، ﴿بِعَزِيزٍ﴾.

[٩٢] ﴿قَالَ يَقُولُ رَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾، أي: إن تركتم قتلي لمكان رهطي فالأولى أن تحفظوني في الله. ﴿وَأَخَذْتُمُوهُ وَرَأَيْتُمْ ظَهْرِيَّ﴾، أي: نبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه، ﴿إِنِّي رَفِيَ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

[٩٣] ﴿وَيَقُولُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾، أي: على تودتكم وتمكنكم. يقال: فلان يعمل على

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٣٢

سُورَةُ هُودٍ

وَيَقُولُ لَا يُجِزُّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثُبُّوا إِلَيْهِ إِنْ رَفِيَ رَجِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمَنَّكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقُولُ رَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَّ إِنِّي رَفِيَ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقُولُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ شُعَبَاءٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جِثِيمٍ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الْأَبْعَدُ الْيَدِينَ كَمَا بَعْدَتْ شُعُودٌ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

مكانته إذا عمل على تودة وتمكن. ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾، على تمكني، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، أينا الجاني على نفسه والمخطئ في فعله، فذلك قوله: ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يذله ﴿وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾، قيل: (من) في محل نصب، أي: فسوف تعلمون الكاذب. وقيل: محله رفع، تقديره: ومن هو كاذب يعلم كذبه ويدوق وبال أمره. ﴿وَارْتَقِبُوا﴾، وانتظروا العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾، منتظر.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ شُعَبَاءٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾، قيل: إن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم. وقيل: أتهم صيحة من السماء فأهلكتهم. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جِثِيمٍ﴾، ميتين.

[٩٥] ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا﴾، أي: كأن لم يقيموا ولم يكونوا ﴿فِيهَا إِلَّا بَعْدًا﴾، هلاكًا، ﴿لِلْمَدِينِ﴾ كما

بَعْدَتْ، هَلَكْتُ، ﴿تُحْمَدُ﴾.

[٩٦] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ﴾، حجة بينة.

[٩٧] ﴿إِلَىٰ يَزْعُونَ وَمَلَإِيهِ فَاَتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾، بسديد.

[٩٨] ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾، يتقدمهم، ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَاَوْرَدَهُمُ﴾، فأدخلهم ﴿النَّارَ وَيَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾، أي: بش المدخل والمدخول فيه.

[٩٩] ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ﴾، أي: في هذه الدنيا، ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾، أي: العون المعان. وقيل: العطاء المعطى، وذلك أنهم ترادفت عليهم اللعتان، لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة.

[١٠٠] ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقْصُصُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ﴾، عامر، ﴿وَحَصِيدٌ﴾، خراب. وقيل: منها قائم بقيت الحيطان وسقطت السقوف. وحصيد أي: انمحي أثره. وقال مقاتل: قائم يرى له أثر وحصيد لا يرى له أثر، وحصيد بمعنى محصود.

[١٠١] ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾، بالعذاب والهلاك، ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، بالكفر والمعصية. ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾، عذاب ربك، ﴿وَمَا زَادَهُمْ غَيْرَ تَنْبِيْءٍ﴾، أي: غير تخسير، وقيل: تدمير.

[١٠٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾، وهكذا، ﴿أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، قال: ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) الآية^(١).

[١٠٣] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾، لعبرة، ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾، يعني: يوم القيامة، ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾، أي: يشهده أهل السماء والأرض.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٣٣

سُورَةُ هُودٍ

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقْصُصُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادَهُمْ غَيْرَ تَنْبِيْءٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَلَدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلَدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

[١٠٤] ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾، أي: وما نؤخر ذلك اليوم، فلا نقيم عليكم القيامة. وقرأ يعقوب، وما يؤخره بالياء، ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾، معلوم عند الله. [١٠٥] ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾، بإثبات الياء وحذفها، ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾، أي: لا تتكلم ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾، أي: فمنهم من سبقت له الشقاوة ومنهم من سبقت له السعادة.

[١٠٦] قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الزفير الصوت الشديد، والشهيق الصوت الضعيف. وقال الضحاك ومقاتل: الزفير أول نهيق الحمار، والشهيق آخره إذا رده في جوفه. وقال

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٣٥٤/٨ ومسلم في البر والصلة رقم (٢٥٨٣) ١٩٩٧/٤ والمصنف في شرح السنة ٣٥٨/١٤

أبو العالية: الزفير في الحلق والشهيق في الصدر.
 [١٠٧] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، لابئين مقيمين فيها، ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، قال الضحاك: ما دامت سموات الجنة والنار وأرضها، وكل ما علاك وأظلك فهو سماء، وكل ما استقرت عليه قدمك فهو أرض. وقال أهل المعاني: هذا عبارة عن التأييد على عادة العرب، يقولون: لا آتيك ما دامت السموات والأرض، ولا يكون كذا ما اختلف الليل والنهار، يعنون أبداً قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، اختلفوا في هذين الاستثنائين، فقال بعضهم: الاستثناء في أهل الشقاء يرجع إلى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها، ثم يخرجهم منها فيكون ذلك استثناء من غير الجنس، لأن الذين أخرجوا من النار سعداء استثناهم الله من جملة الأشقياء. وأما الاستثناء في أهل السعادة فيرجع إلى مدة لبثهم في النار قبل دخول الجنة. وقيل: إلا ما شاء ربك من الفريقين من تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ ما بين الموت والبعث، قبل مصيرهم إلى الجنة أو النار يعني هم خالدون في الجنة أو النار إلا هذا المقدار. وقيل: معنى إلا ما شاء ربك: سوى ما شاء ربك، معناه خالدين فيها ما دامت السموات والأرض سوى ما شاء الله من الزيادة على قدر مدة بقاء السموات والأرض، وذلك هو الخلود فيها، كما تقول: لفلان علي ألف إلا الألفين، أي: سوى الألفين اللتين تقدمتا. وقيل: إلا بمعنى الواو، أي: وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وهؤلاء في الجنة، كقوله: لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا، أي: ولا الذين ظلموا. وقيل: معناه ولو شاء ربك لأخرجهم منها ولكنه لا يشاء لأنه حكم لهم بالخلود. وقال الفراء: هذا استثناء استثناه الله ولا يفعله، كقولك: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وعزيمتك أن

تضربه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.
 [١٠٨] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُئِدُوا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص (سُئِدُوا) بضم السين وكسر العين، أي: رزقوا السعادة، وسعدوا: أسعد بمعنى واحد. وقرأ الآخرون بفتح السين قياساً على (شقوا). ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، قال الضحاك: إلا ما مكثوا في النار حتى أدخلوا الجنة. قال قتادة: الله أعلم بشيائهم. ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾، أي: غير مقطوع. قال ابن زيد: أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لأهل الجنة، فقال: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾، لم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار.

[١٠٩] ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾، في شك، ﴿وَمَا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾، أنهم ضلال، ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاءَهُمْ وَإِنَّا لَمُفْوْهُمُ نَصِيبُهُمْ﴾ حظهم من الجزاء. ﴿غَيْرَ مَقْنُوصٍ﴾.

[١١٠] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، التوراة، ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾، فمن مصدق به ومكذب كما فعل قومك بالقرآن، يُعْزِي نبيه ﷺ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخير العذاب عنهم، ﴿لَفَقَصْنَا مِنْهُمْ﴾، أي: لعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم وإهلاكهم، ﴿وَإِنَّمَا لَنِي شَكٌّ مِّنْهُ مُرِيبٌ﴾، موقع في الريبة والنهمة.

[١١١] ﴿وَإِنَّ كُلاً﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر: (وإن كلاً)، ساكنة النون على تخفيف إن الثقيلة، والباقون بتشديدها، ﴿لَمَّا﴾ شددوها هنا وفي يس والطارق، ابن عامر وعاصم وحمزة، وافق أبو جعفر ههنا، وفي الطارق وفي الزخرف، بالتشديد عاصم وحمزة، والباقون بالتخفيف، فمن شدد قال: الأصل فيه (وإن كلاً) لمن ما، فوصلت من الجارة بما، فانقلبت النون ميماً للإدغام، فاجتمعت ثلاث ميقات فحذفت إحداهن، فبقيت

الْمُتَعَمِّلُونَ

٢٣٤

سُورَةُ هُودٍ

فَلَا تَكُ فِي مَرْيَةٍ مِمَّا يَعْذِبُ اللَّهُ النَّاسَ أَتَى اللَّهُ الْكَافِرِينَ
 وَأَبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرُ مَقْصُودٍ
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ
 وَإِنَّا لَمَّا لِيُوفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
 خَبِيرٌ ۝ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
 فَمِمَّا كُنْتُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
 لَا تُنصِرُونَ ۝ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ
 اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرُوا لِلَّذِينَ
 تَبَتُّوا ۝ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ فَلَوْلَا
 كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ
 فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ۝ وَمَا كَانَ
 رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْطَحِبُونَ ۝

لما بالتشديد، و(ما) ههنا بمعنى من هو اسم
 لجماعة من الناس كما قال تعالى: (فانكحوا ما
 طاب لكم)، أي: من طاب لكم، والمعنى: وإن
 كلا لمن جماعة ليوفينهم. ومن قرأ بالتخفيف قال:
 (ما) صلة زيدت بين اللامين ليفصل بينهما كراهة
 اجتماعهما، والمعنى: وإن كلا ليوفينهم. وقيل
 (ما) بمعنى من، تقدير: لمن ليوفينهم، واللام في
 (لما) لام التأكيد التي تدخل على خبر إن، وفي
 ليوفينهم لام القسم، والقسم مضمّر تقديره والله،
 ﴿لِيُوفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾، أي: جزاء أعمالهم،
 ﴿إِنَّهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[١١٢] قوله عز وجل: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾،
 أي: استقم على دين ربك والعمل به والدعاء إليه
 كما أمرت، ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾، أي: من آمن معك
 فليستقيموا، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
 الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ
 روغان الثعلب، وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال:
 قلت، يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا
 أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قل: آمنتُ بالله ثم
 استقم»^(١). ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ لا تجاوزوا أمري ولا
 تعصوني. وقيل: معناه ولا تغلوا فتزيدوا على ما
 أمرت ونهيت. ﴿إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، لا
 يخفى عليه من أعمالكم شيء. قال ابن عباس
 رضي الله عنهما: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية
 هي أشد عليه من هذه الآية، ولذلك قال: «شيئتي
 هودٌ وأخواتها»^(٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه
 عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر ولن يشاد هذا
 الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا،
 واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»^(٣).

[١١٣] قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ
 ظَلَمُوا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ولا
 تميلوا. والركون: هو المحبة والميل بالقلب.
 وقال أبو العالية: لا ترضوا بأعمالهم. قال

السدي: لا تدهنوا الظلمة. وعن عكرمة: لا
 تطيعوهم. وقيل: لا تسكنوا إلى الذين ظلموا.
 ﴿فَمِمَّا كُنْتُمْ النَّارُ﴾، فتصيبكم، ﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾، أي: أعوان يمنعونكم من عذابه،
 ﴿ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾.

[١١٤] قوله عز وجل: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي
 النَّهَارِ﴾، أي: الغداة والعشي. قال مجاهد: طرفا
 النهار صلاة الصبح والظهر والعصر. ﴿وَزُلْفَا مِنْ
 اللَّيْلِ﴾، صلاة المغرب والعشاء. وقال مقاتل:
 صلاة الفجر والظهر طرف، وصلاة العصر

(١) أخرجه مسلم في الإيمان رقم (٣٨) ٦٥/١ والمصنف
 في شرح السنة ٣١/١. (٢) قال في كشف الخفاء ج ٢/٢٠
 رواه ابن مردويه في تفسيره. (٣) الدلجة: هو السير
 بالليل، والحديث أخرجه البخاري في الإيمان ٩٣/١
 والمصنف في شرح السنة ٤٩/٤، ٥٠.

قَلِيلًا، هذا استثناء منقطع معناه: لكن قليلاً، ﴿مَنْ أَجْنَبَ مِنْهُمْ﴾، وهم أتباع الأنبياء كانوا ينهون عن الفساد في الأرض. ﴿وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا﴾، نعموا، ﴿فِيهِ﴾، والمترف: المنعم. وقال مقاتل بن حيان: خولوا. وقال الفراء: عودوا من النعيم واللذات وإيثار الدنيا أي: واتبع الذين ظلموا ما عودوا من النعيم واللذات وإيثار الدنيا على الآخرة. ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾، كافرين.

[١١٧] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾، أي: لا يهلكهم بشركهم، ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، فيما بينهم يتعاطون الإنصاف ولا يظلم بعضهم بعضاً وإنما يهلكهم إذا تظالموا. وقيل: لا يهلكهم بظلم منه وهم مصلحون في أعمالهم، ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات.

[١١٨] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، على دين واحد. ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ على أديان شتى من بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرِك.

[١١٩] ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾، معناه: لكن من رحم ربك فهداهم إلى الحق، فهم لا يختلفون، ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، قال الحسن وعطاء: وللاختلاف خلقهم. وقال أشهب: سألت مالكا

عن هذه الآية، فقال: خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير. وقال أبو عبيدة: الذي اختاره فقول من قال: خلق فريقاً لرحمته وفريقاً لعذابه. وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: وللرحمة خلقهم، يعني الذين رحمهم. وقال الفراء: خلق أهل الرحمة للرحمة، وأهل الاختلاف للاختلاف. ومحصول الآية أن أهل الباطل مختلفون وأهل الحق متفقون فخلق الله أهل

(١) أخرجه مسلم في الطهارة رقم (٢٣٣) ٢٠٩/١ والمصنف في شرح السنة ١٧٧/٢.

والمغرب طرف، وزلفاً من الليل يعني صلاة العشاء. وقال الحسن: طرفا النهار الصبح والعصر، وزلفاً من الليل المغرب والعشاء. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: طرفا النهار الغداة والعشي، يعني صلاة الصبح والمغرب. قوله: ﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾، أي ساعته واحدها زلفة وقرأ أبو جعفر (زلفاً) بضم اللام. ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتٍ﴾، يعني: إن الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله تعالى (وأتم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات)، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»^(١). ﴿ذَلِكَ﴾، أي: ذلك الذي ذكرنا. وقيل: هو إشارة إلى القرآن، ﴿ذِكْرِي﴾، عظة ﴿لِلذَّكَرِ﴾، أي لمن ذكره.

[١١٥] ﴿وَأَصْبِرْ﴾ يا محمد على ما تلقى من الأذى. وقيل: على الصلاة، نظيره (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها). ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، في أعمالهم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني: المصلين.

[١١٦] قوله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا، ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾، التي أهلكناها، ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾، الآية للتوبيخ ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾، أي أولوا تمييز. وقيل أولوا طاعة. وقيل أولوا خير. يقال: فلان ذو بقية إذا كان فيه خير. معناه فهلا كان من القرون من قبلكم من فيه خير ينهي عن الفساد في الأرض؟ وقيل: معناه أولوا بقية من خير. يقال: فلان على بقية من الخير إذا كان على خصلة محمودية. ﴿يَتَّبِعُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾، أي يقومون بالنهي عن الفساد، ومعناه جحداً، أي: لم يكن فيهم أولوا بقية. ﴿إِلَّا

سورة يوسف

٢٣٥

الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَاؤُنَ مُحْتَلِفِينَ
 ﴿١٣٥﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١٣٦﴾ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٧﴾ وَلَا تَقْصُ
 عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
 الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٨﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٣٩﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ
 ﴿١٤٠﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ
 فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
 لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ
 بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِن قَبْلِهِ
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
 أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

الحق للاتفاق وأهل الباطل للاختلاف. ﴿وَتَمَّتْ
 كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، وتم حكم ربك، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ
 الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٢٠] ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ
 بِهِ فُؤَادَكَ﴾، معناه: وكل الذي تحتاج إليه من أنباء
 الرسل، أي: من أخبارهم وأخبار أممهم نقصها
 عليك لنثبت به فؤادك، لنزيدك يقيناً وتقوي قلبك،
 وذلك أن النبي ﷺ إذا سمعها كان في ذلك تقوية
 لقلبه على الصبر لأذى قومه. ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
 الْحَقُّ﴾، قال الحسن وقتادة: في هذه الدنيا. وقال
 غيرهما: في هذه السورة. وهذا قول الأكثرين،
 خص هذه السورة تشريعاً، وإن كان قد جاءه الحق
 في جميع السور. ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾، أي: وجاءتك
 موعظة، ﴿وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٢١] ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ﴾،
 أمر تهديد ووعيد، ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾.
 [١٢٢] ﴿وَانظُرُوا﴾، ما يحل بنا من رحمة الله،
 ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾، ما يحل بكم من نقمة الله.

[١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: ما
 غاب عن العباد فيهما، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾،
 في المعاد. قرأ نافع وحفص (يُرْجَع) بضم الياء
 وفتح الجيم: أي: يرد. وقرأ الآخرون بفتح الياء
 وكسر الجيم، أي: يعود الأمر كله إليه حتى لا يكون
 للخلق أمر. ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾، وثق به،
 ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، قرأ أهل المدينة
 والشام وحفص ويعقوب: (تعملون) بالتاء ههنا
 وفي آخر سورة النمل. وقرأ الآخرون بالياء فيهما.
 قال كعب: خاتمة التوراة خاتمة سورة هود.

(١٢) سُورَةُ يُوسُفَ

سورة يوسف عليه السلام مكية وهي مائة
 وإحدى عشرة آية.

[١] ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾، أي: البين
 حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه. قال قتادة: مبين
 والله بركته وهده ورشده، فهذا من بان أي: ظهر.
 وقال الزجاج: مبين الحق من الباطل والحلال من
 الحرام، فهذا من أبان بمعنى أظهر.
 [٢] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، يعني الكتاب، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا
 لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، أي: أنزلناه بلغتكم لكي تعلموا
 معانيه وتفهموا ما فيه.

[٣] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾، أي: نقرأ، ﴿أَحْسَنَ
 الْقَصَصِ﴾، والقاص هو الذي يتبع الآثار ويأتي
 بالخبر على وجهه، معناه: نبين لك أخبار الأمم
 السالفة والقرون الماضية أحسن البيان. وقيل:
 المراد منه قصة يوسف عليه السلام خاصة، سمّاها
 أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت
 والفوائد التي تصلح للدين والدنيا، من سير الملوك

[٥] ﴿قَالَ يَبْنَئُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾، وذلك أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي فعلم يعقوب أن إخوته إذا سمعوها حسدوه فأمره بالكتمان، ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾، فيحتالوا في إهلاكك لأنهم لا يعلمون تأويلها فيحسدونك واللام في قوله (لك) صلة، كقوله تعالى: (الربهم يرهبون). وقيل: هو مثل قولهم نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، أي: يزين لهم الشيطان ويحملهم على الكيد لعداوته القديمة.

[٦] قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ﴾، يصطفيك بقوله يعقوب ليوسف عليهما السلام، أي: كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا، فكذلك يصطفيك ربك، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، يريد تعبير الرؤيا سمي تأويلاً لأنه يؤول أمره إلى ما رأى في منامه والتأويل ما يؤول إليه عاقبة الأمر، ﴿وَيُؤَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾، يعني: بالنبوة، ﴿وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾، أي: على أولاده فإن أولاده كلهم كانوا أنبياء، ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبْنَائِكَ مِن قَبْلِ أَن رَّاهِمُ الْإِسْحَاقَ﴾، فجعلهما نبين، ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، وقيل: المراد من إتمام النعمة على إبراهيم الخلة. وقيل: إنجائوه من الذبح. وقيل: بإخراج يعقوب والأسباط من صلبه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصير أبويه وإخوته إليه أربعون سنة، وهو قول أكثر أهل التفسير. وقال الحسن البصري: كان بينهما ثمانون سنة. فلما بلغت هذه الرؤيا إخوة يوسف حسدوه وقالوا: ما رضي أن تسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه فبغوه وحسدوه.

[٧] يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾، أي: في خبره وخبر إخوته ﴿ءَايَاتٌ﴾، (١) في ط دار طيبة: (لأن أصله: يا أبت، والجزم يحرك إلى كسر).

والممالك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الأعداء، وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء وغير ذلك من الفوائد. ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (ما) المصدر، أي: بإيحائنا إليك، ﴿هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ﴾، وقد كنت، ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾، أي: من قبل وحيئنا، ﴿لَمِنَ الْفَافِينَ﴾، لمن الساهين عن هذه القصة لا تعلمها.

[٤] قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾، أي: اذكر إذا قال يوسف لأبيه، ويوسف اسم عبري، ولذلك لا يجري عليه الصرف. وقيل هو عربي، سئل أبو الحسن الأقطع عن يوسف؟ فقال: الأسف في اللغة: الحزن، والأسيف: العبد، واجتمعا في يوسف عليه السلام فسمي به. ﴿يَتَابَتُ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر (يا أبت)، بفتح التاء في جميع القرآن على تقدير: يا أبتاه، والوجه أن أصله يا أبتا بالألف وهي بدل عن ياء الإضافة، فحذفت الألف كما تحذف التاء فبقيت الفتحة تدل على الألف كما تبقى الكسرة تدل على الياء عند حذف الياء، وقرأ الآخرون (يا أبت) بكسر التاء في كل القرآن والوجه أن أصله^(١): يا أبتى، فحذفت الياء تخفيفاً واكتفاءً بالكسرة لأن باب النداء حذف يدل على ذلك قوله: (يا عباد فاتقون)، ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾، أي: نجماً من نجوم السماء ونصب الكواكب على التفسير، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾، ولم يقل رأيتها إلّٰي ساجدات، والهاء والميم والياء والنون من كنيات من يعقل، لأنه لما أخبر عنها بفعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل كقوله تعالى: (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) وكان النجوم في التأويل أخواته، كانوا أحد عشر رجلاً يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه. وكان يوسف عليه السلام ابن اثني عشرة سنة حين رأى هذه الرؤيا. وقيل: رآها ليلة الجمعة ليلة القدر فلما قصها على أبيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٣٦

سُورَةُ يُوسُفَ

قَالَ بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ ۖ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالَ الْيُوسُفُ لِأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْنَا مَنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ۚ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمُرُنَا بِمَا لَكُمْ وَجْهٌ ۖ وَإِنَّا لَهُ لَنَصَحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَاذَ ابْنِ رَبِّكَ عَلَيْهِ سَكَنٌ ۖ إِنَّهُ لَكَاظِمٌ ﴿١٢﴾ قَالُوا إِنِّي لَخَيْرُ نَجَىٰ ۖ أَلَمْ تَذْهَبْ ۖ أَوِ الْخَوْفُ أَنْ يَأْكُلَهُ الدِّمْنُ ۖ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الدِّمْنُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ۖ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿١٤﴾

قرأ ابن كثير (آية) على التوحيد أي عظة وعبرة. وقيل: عجب، وقرأ الآخرون: (آيات) على الجمع. ﴿لِلِّسَّائِلِينَ﴾، وذلك أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف عليه السلام. وقيل: سألوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من كنعان إلى مصر. فذكر لهم قصة يوسف جميعها، فوجدوها موافقة لما في التوراة فتعجبوا منها. فهذا معنى قوله: (آيات للسائلين)، أي: دلالة على نبوة رسول الله ﷺ. وقيل: آيات للسائلين ولمن لم يسأل، كقوله: (سواء للسائلين) [فصلت: ١٠]، وقيل: معناه عبرة للمعتبرين، فإنها تشتمل على حسد إخوة يوسف وما آل إليه أمرهم في الحسد وتشتمل على رؤياه، وما حقق الله منها، وتشتمل على صبر يوسف عليه السلام عن قضاء الشهوة وعلى الرق وعلى اللبث في السجن، وما آل إليه أمره من الملك، وتشتمل على حزن يعقوب وصبره على فراق يوسف وما آل إليه أمره من الوصول إلى المراد وغير ذلك من الآيات.

[٨] ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ﴾، اللام فيه جواب القسم تقديره: والله ليوسف، ﴿وَأَخُوهُ﴾، بنيامين، ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْنَا مَنَا﴾، كان يوسف وأخوه بنيامين من أم واحدة، وكان يعقوب عليه السلام شديد الحب ليوسف عليه السلام، وكان إخوته يرون منه من الميل إليه ما لا يرونه مع أنفسهم فقالوا هذه المقالة، ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، أي: جماعة وكانوا عشرة. قال الفراء: العصبة هي العشرة فما زاد. وقيل: العصبة ما بين الواحد إلى العشرة. وقيل: ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقال مجاهد: ما بين العشرة إلى خمسة عشر. وقيل: ما بين العشرة إلى الأربعين. وقيل: جماعة يتعصب بعضها لبعض لا واحد لها من لفظها كالنفر والرهط. ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أي خطأ بين أمر إثارة يوسف وأخاه علينا، وليس المراد من هذا الضلال، الضلال عن

الدين ولو أرادوه لكفروا به. بل المراد منه الخطأ في تدبير أمر الدنيا يقولون نحن أنفع في أمر الدنيا وإصلاح أمر معاشه ورعي مواشيه من يوسف، فنحن أولى بالمحبة منه فهو مخطئ في صرف محبته إليه.

[٩] ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾، أي: إلى أرض تبعد عن أبيه. وقيل: في أرض تأكله السباع، ﴿يَخْلُ لَكُمْ﴾، يخلص لكم ويصف لكم ﴿وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾، عن شغله بيوسف، ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾، من بعد قتل يوسف، ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾، تائبين أي: توبوا بعدما فعلتم هذا يعف الله عنكم. وقال مقاتل: صالحين يصلح أمركم فيما بينكم وبين أبيكم.

[١٠] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ نهاهم عن قتله وقال: القتل كبيرة عظيمة. ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ

[١٢] ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا﴾، إلى الصحراء، ﴿يَرْتَع وَيَلْعَبُ﴾، قرأ أبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما وجزم العين في (رتع)، وقرأ يعقوب: (رتع) بالنون، (ويلعب) بالياء، وقرأ أهل الكوفة بالياء فيهما وجزم العين في (يرتع) يعني يوسف، وقرأ الآخرون (رتع) بالنون (ويلعب) بالياء. والرتع هو الاتساع في الملاذ. يقال: رتع فلان في ماله إذا أفنقه في شهواته، يريد وتنعّم ونأكل ونشرب ونلهو ونشط. وقرأ أهل الحجاز: (يرتع) بكسر العين وهو يفتعل من الرعي، ثم ابن كثير قرأ بالنون فيهما أي: نتحارس ويحفظ بعضنا بعضاً. وقرأ أبو جعفر ونافع بالياء إخباراً عن يوسف، أي: يرقى الماشية كما نرعى نحن. ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب، ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ﴾، أي: يحزنني ذهابكم به، والحزن ههنا: ألم القلب بفراق المحبوب، ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾، وذلك أن يعقوب كان رأى في المنام أن ذئباً شدد على يوسف، فكان يخاف من ذلك، فمن ثم قال: أخاف أن يأكله الذئب. قرأ ابن كثير وإسماعيل وقالون عن نافع وعاصم وابن عامر: (الذئب) بالهمزة، وكذلك أبو عمرو إذا لم يدرج، وحمزة إذا لم يقف، وقرأ الكسائي وورش عن نافع، وأبو عمرو وفي الدرج، وحمزة في الوقف، (الذئب) بترك الهمزة في الهمز، أنه هو الأصل لأنه من قولهم: تذابت الريح إذا جاءت من كل وجه، ويجمع الذئب أذؤباً وذئاباً بالهمزة، والوجه في ترك الهمز أن الهمزة خفت فقلبت ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها.

[١٤] ﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، عشرة، ﴿إِنَّا إِذَا لَخِيرُونَ﴾، عجرة ضعفاء.

[١٥] ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾، أي: عزموا، ﴿أَنْ يَبْعَلُوهُ﴾، يلقوه، ﴿فِي غَيْبَتِ الْحَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾

﴿الْحَبِّ﴾ أي: في أسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر عنك الشيء وغيبه والجب البئر غير المطوية لأنه جب، أي: قطع ولم يطلو ﴿يَلْقُظُهُ﴾، يأخذه، والالتقاط أخذ الشيء من حيث لا يحتسبه الإنسان، ﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾، أي: بعض المسافرين فيذهب به إلى ناحية أخرى فتستريحوا منه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِلَيْنَ﴾، أي: إن عزمتم على فعلكم، قال محمد بن إسحاق: اشتمل فعلهم على جرائم من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له، والغدر بالأمانة وترك العهد والكذب مع أبيهم، وعفا الله عنهم ذلك كله حتى لا ييأس أحد من رحمة الله. وقال بعض أهل العلم: إنهم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة لهم، ولو فعلوا لهلكوا أجمعون، وكل ذلك كان قبل أن أنبأهم الله تعالى. وسئل أبو عمرو بن العلاء: كيف قالوا (نلعب) وهم أنبياء؟ قال: كان ذلك قبل أن نبأهم الله تعالى، فلما أجمعوا على التفريق بينه وبين والده بضروب من الحيل:

[١١] ﴿قَالُوا﴾، ليعقوب، ﴿يَتَأَبَّأُ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾، قرأ أبو جعفر: (تأمتاً) بلا شمة، وهو رواية عن نافع، وقرأ الباقر: (تأمتاً) بإشمام الضمة في النون الأولى المدغمة، وهو إشارة إلى الضمة من غير إمحاض ليعلم أن أصله لا تأمتنا بنونين على تفعلنا، فأدغمت النون الأولى في الثانية، بدؤوا بالإنكار عليه في ترك إرساله معهم كأنهم قالوا: إنك لا ترسله معنا أتخافنا عليه؟ ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونُ﴾ قال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير وذلك أنهم قالوا لأبيهم: (أرسله معنا) فقال أبوه: إني ليحزنني أن تذهبوا به، فحينئذ قالوا: (يا أبانا ما لك لا تأمتاً على يوسف وإننا له لناصحون)، النصح ههنا هو القيام بالمصلحة. وقيل: البر والعطف، إنا عاطفون عليه قائمون بمصلحته نحفظه حتى نرده إليك.

إنهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه، فقال يعقوب عليه السلام: كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه فاتهمهم، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾، زينت، ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، معناه: فأمرني صبر جميل أو فعلي صبر جميل. وقيل: فصبر جميل اختاره. والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع. ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾، أي: أستعين بالله على الصبر، على ما تكذبون.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾، وهم القوم المسافرون سموا سيارة لأنهم يسيرون في الأرض كانت رفقة من مدين تريد مصر، فأخطأوا الطريق فزلوا قريباً من الجب، وكان الجب في قفر بعيد من العمران للرعاة والمارة، وكان مأوه مالحة فغذب حين ألقي يوسف عليه السلام فيه، فلما نزلوا أرسلوا رجلاً من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر، لطلب الماء فذلك قوله عز وجل: ﴿فَاسْأَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ والوارد الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فيهيئ الأرشية والدلاء ﴿فَأَدْنَىٰ دَلْوُهُ﴾، أي: أرسلها في البئر، يقال: أدليت الدلو إذا أرسلتها في البئر، ودلوها إذا أخرجتها، فعلق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون ﴿قَالَ يَا بُشْرَى﴾، قرأ الأكثرون هكذا بالالف وفتح الياء، والوجه أن بشراي مضافة إلى ياء المتكلم وهو منادى مضاف فموضعه نصب، وقرأ الكوفيون: (يا بشري) بغير ياء الإضافة على فعل، وأمال الراء حمزة والكسائي وفتحها عاصم وقيل: بشر المستقي أصحابه يقول. أبشروا، ﴿هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ﴾، أي أخفوه، ﴿يَضَعُهُ﴾، قال مجاهد: أسره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار الذين معهم وقالوا هذا بضاعة استبضعها بعض أهل الماء إلى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه المشاركة. وقيل: أراد أن إخوة يوسف أسروا شأن يوسف وقالوا هذا عبد لنا أبق منا. قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾،

هذه الواو زائدة تقديره: أوحينا إليه، كقوله تعالى: (فلما أسلما وتله للجبين ونادياه) أي: نادياه، ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، أي: أوحينا إلى يوسف عليه السلام لتصدقن رؤياك ولتخبرن إخوانك بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون بوحى الله وإعلامه إياه ذلك. قال مجاهد، وقيل: معناه وهم لا يشعرون يوم تخبرهم أنك يوسف، وذلك حين دخلوا عليه فعرفهم وهم منكرون، والأكثر على أن الله تعالى أوحى إليه بهذا وبعث إليه جبريل عليه السلام يؤنسه ويشره بالخروج، ويخبره أنه ينبتهم بما فعلوه ويجازيهم عليه وهم لا يشعرون. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم إنهم ذبحوا أسخلة وجعلوا دما على قميص يوسف عليه السلام.

[١٦] ﴿وَجَاءَ آبَاؤُهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ﴾، قال أهل المعاني: جاؤوا في ظلمة العشاء ليكونوا أجراً على الاعتذار بالكذب. وروي أن يعقوب عليه السلام سمع صياحهم وعويلهم فخرج وقال: ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا قال: فما أصابكم وأين يوسف؟

[١٧] ﴿قَالُوا يَتَابَعَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ﴾، أي: نترامى ونتنضل، قال السدي: نشد على أقدامنا. ﴿وَوَرَكْنَا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا﴾، أي: عند ثيابنا وأقمشتنا. ﴿فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾، بمصدق لنا، ﴿وَلَوْ كُنَّا﴾، وإن كنا ﴿صَادِقِينَ﴾، فإن قيل: كيف قالوا ليعقوب أنت لا تصدق الصادق؟ قيل: معناه إنك تهمنا في هذا الأمر لأنك خفتنا عليه في الابتداء واتهمتنا في حقه. وقيل: معناه لا تصدقنا لأنه لا دليل على صدقنا وإن كنا صادقين عند الله.

[١٨] ﴿وَجَاءَ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾، أي: بدم كذب لأنه لم يكن دم يوسف. وقيل: بدم مكذوب فيه، فوضع المصدر موضع الاسم. وفي القصة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٢٣٧

سُورَةُ يُوسُفَ

فَلَمَّا دَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ وَآبَاهُ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا نَادِ هَبْنَا فَنَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَكَلَّ الذَّشُّ وَمَا أُنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْنَى دُلُوهُ فَقَالَ بِنْتُنِي هَذَا عَلَّمَهُمْ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

خزائنها. ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، أي: مكَّنَّا له في الأرض لكي نعلمه من تأويل الأحاديث، وهي عبارة عن الرؤيا. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾، قيل: الهاء في أمره كناية عن الله تعالى، يقول: إن الله غالب على أمره يفعل ما يشاء لا يغلبه شيء ولا يرد عليه حكم راد. وقيل: هي راجعة إلى يوسف عليه السلام معناه: إن الله مستول على أمر يوسف بالتدبير والحياطة لا يكله إلى أحد حتى يبلغه منتهى علمه فيه. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ما الله به صانع.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾، منتهى شبابه وشدة وقوته ومعرفته ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، فالحكم النبوة والعلم الفقه في الدين. وقيل: حكماً يعني إصابة في القول، وعلماً بتأويل الرؤيا. وقيل: الفرق بين الحكيم والعالم، أن العالم هو الذي يعلم الأشياء

فأتى يهوذا يوسف بالطعام فلم يجده في البئر فأخبر بذلك إخوته فطلبوه فإذا هم بمالك وأصحابه نزول فأتوهم فإذا هم بيوسف، فقالوا هذا عبد آبق منا. ويقال: إنهم هددوا يوسف حتى لم يعرف حاله وقال مثل قولهم، ثم باعوه، فذلك قوله عز وجل: [٢٠] ﴿وَشَرَوْهُ﴾ أي: باعوه، ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾، قال الضحاك ومقاتل والسدي: حرام لأن ثمن الحر حرام، وسمي الحرام بخساً لأنه مبخوس البركة. وعن ابن عباس وابن مسعود: بخس أي زيوف. وقال عكرمة والشعبي: بثمان قليل. ﴿دَرَاهِمَ﴾، بدل من الثمن، ﴿مَعْدُودَةٍ﴾، ذكر العدد عبارة عن قلتها، وقيل: إنما قال معدودة لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان أقل من أربعين درهماً، إنما كانوا يعدونها عدداً فإذا بلغت أوقية وزنوها، ﴿وَكَانُوا﴾، يعني: إخوة يوسف، ﴿فِيهِ﴾، أي: في يوسف ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾، لأنهم لم يعلموا منزلته عند الله. وقيل: كانوا في الثمن من الزاهدين لأنهم لم يكن قصدهم تحصيل الثمن إنما كان قصدهم تباعد يوسف عن أبيه، ثم انطلق مالك بن زعر وأصحابه بيوسف فذهبوا به حتى قدموا مصر، وعرضه مالك على البيع فاشتراه صاحب أمر الملك، وكان على خزائن مصر يسمى العزيز فذلك قوله تعالى:

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ﴾، واسمها راعيل. وقيل: زليخا ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾، أي: منزله ومقامه، والمثوى: موضع الإقامة. وقيل: أكرمه في المطعم والمليس والمقام. وقال قتادة وابن جريج: منزلته. ﴿فَتَسَوَّى لَهَا الْكَفَّةُ﴾، أي: نبيعه بالربح إن أردنا البيع أو يكفيننا إذا بلغ بعض أمورنا، ﴿فَإِنْ تَنَبَّأَهُ﴾، أي: تنبأه. ﴿وَيُؤْتِ بِهَا الْوَيْثَانَيْنِ﴾، أي: في أرض مصر، أي: كما أنقذنا يوسف من القتل وأخرجناه من الجب، كذلك مكَّنَّا له في الأرض فجعلناه على

والحكيم الذي يعمل بما يوجهه العلم. ﴿وَكَذَلِكَ
يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما:
المؤمنين. وعنه أيضاً: المهتدين. وقال الضحاك:
الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه
السلام.

[٢٣] ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾،
يعني: امرأة العزيز. والمرادة: طلب الفعل،
والمراد ههنا أنها دعتة إلى نفسها ليوافقها،
﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبُوبَ﴾، أي: أطبقته وكانت سبعة،
﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾، أي: هلم وأقبل، قرأ أهل
الكوفة والبصرة: (هيت لك) بفتح الهاء والتاء
جميعاً، وقرأ أهل المدينة والشام: (هيت) بكسر
الهاء وفتح التاء، وقرأ ابن كثير: (هيت) بفتح الهاء
وضم التاء، والوجه أن في هذه الكلمة ثلاث لغات
هَيْتَ وَهَيْتَ وَهَيْتُ والكل بمعنى هلم، وقرأ
السلمي وقتادة: (هيت لك) بكسر الهاء وضم التاء
مهموزاً على مثال جئت، يعني تهيات لك، وأنكره
أبو عمرو والكسائي، وقالوا: لم يحك هذا عن
العرب، والأول هو المعروف عند العرب. قال ابن
مسعود رضي الله عنه: أقرأني النبي ﷺ: (هيت
لك)^(١)، قال أبو عبيدة كان الكسائي يقول: هي
لغة لأهل حوران وقعت إلى الحجاز معناها تعال.
وقال عكرمة: هي أيضاً بالهورانية هلم. وقال
مجاهد وغيره: هي لغة عربية وهي كلمة حث
واقبال على الشيء: قال أبو عبيدة: إن العرب لا
تثني (هيت) ولا تجمع وتؤنث وإنها صورة واحدة
في كل حال. ﴿قَالَ﴾ يوسف لها عند ذلك، ﴿مَعَاذَ
اللَّهِ﴾، أي: أعوذ بالله وأعتصم بالله مما دعوتني
إليه، ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ يريد أن زوجك قطفير سيدي
﴿أَحْسَنَ مَثْوًى﴾، أي: أكرم منزلي. هذا قول أكثر
المفسرين. وقيل: الهاء راجعة إلى الله تعالى يريد
أن الله تعالى ربي أحسن مثوأي أي آواني ومن بلاء
الجب عافاني. ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، يعني: إن

٢٣٨ ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ وَعَلَّقَتِ الْأَبُوبَ
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوًى
إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْءُ وَهَمَّ بِهَا
لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ الشَّوْءُ
وَالْفَحْشَاءُ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا
أَبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْأَبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ
أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصَهُ قَدْ مِّنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ
الْكَذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصَهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ
مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ
هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾
وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَتَاهَا
عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

فعلت هذا فخته في أهله بعد ما أكرم مثوأي فأنا
ظالم ولا يفلح الظالمون. وقيل: لا يفلح الظالمون
أي لا يسعد الزناة.

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْءُ وَهَمَّ بِهَا﴾، والهم هو
المقاربة من الفعل من غير دخول فيه، وزعم بعض
المتأخرين: أن هذا لا يليق بحال الأنبياء عليهم
السلام، وقال: تم الكلام عند قوله ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ
يَوْءُ﴾ ثم ابتدأ الخبر عن يوسف عليه السلام فقال:
(وهم بها لولا أن رأى برهان ربه)، على التقديم
والتأخير، أي: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها،
ولكنه رأى البرهان فلم يهم، وأنكره النحاة،
وقال: إن العرب لا تؤخر (لولا) عن الفعل، فلا
تقول: لقد قمت لولا زيد، وهو يريد لولا زيد
(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٤٦/٢ وصححه على
شرط الشيخين.

والكوفة: (المخلصين) بفتح اللام حيث كان إذا لم يكن بعده ذكر الدين، زاد الكوفيون (مخلصاً) في سورة مريم عليها السلام ففتحوا. ومعنى (المخلصين) المختارين للنبوة، دليله: (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار)، وقرأ الآخرون بكسر اللام، أي: المخلصين لله الطاعة والعبادة.

[٢٥] ﴿وَأَسْبَقَ إِلَيْهِ﴾، وذلك أن يوسف لما رأى البرهان قام مبادراً إلى باب البيت هارباً وتبعته المرأة لتمسك الباب حتى لا يخرج يوسف، فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه خلفه فجذبه إليها حتى لا يخرج. ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ﴾ أي: فشقتة ﴿مِنْ دُبُرٍ﴾، أي: من خلف، فلما خرجا لقيا العزيز، وهو قوله: ﴿وَأَلْفَيْتَا سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾، أي: وجدا زوج المرأة قطفير عند الباب جالساً مع ابن عم لراعيل فلما رأته هابته ﴿وَقَالَتْ﴾ سابقة بالقول لزوجها ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾، يعني: الزنا، ثم خافت عليه أن يقتله فقالت ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ﴾، أي: يحبس، ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: ضرب بالسياط، فلما سمع يوسف مقالتها.

[٢٦] ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ قَمِيصِي﴾، يعني: طلبت مني الفاحشة فأبيت وفررت منها. وقيل: ما كان يريد يوسف أن يذكرها، فلما قالت المرأة ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً ذكره، فقال: هي راودتني عن نفسي. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾، وحكم حاكم، ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾، اختلفوا في ذلك الشاهد، فقال سعيد بن جبير والضحاك: كان صبياً في المهد أنطقه الله عز وجل، وهو رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «تكلم في المهد أربعة وهم صغار: ابن ماشطة ابنة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم عليه السلام»^(١). وقيل: كان ذلك الصبي ابن خال

لقامت. وقيل: همت بيوسف أن يفتريها، وهم بها يوسف أي: تمنى أن تكون له زوجة. وهذا التأويل وأمثاله غير مرضية لمخالفتها أقاويل القدماء من العلماء الذين أخذ عنهم الدين والعلم. وقال بعضهم: إن القدر الذي فعله يوسف عليه السلام كان من الصغائر والصغائر تجوز على الأنبياء عليهم السلام، وقال بعض أهل الحقائق: لهم همان هم ثابت وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضى، مثل هم امرأة العزيز، والعبد مأخوذ به، وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم، مثل هم يوسف عليه السلام، والعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل. ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، اختلفوا في ذلك البرهان، قال قتادة وأكثر المفسرين: إنه رأى صورة يعقوب وهو يقول له يا يوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء، وقال السدي: نُودي يا يوسف تواقعها إنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جوف السماء لا يطاق ومثلك إن تواقعها مثله إذا مات ووقع في الأرض لا يستطيع أن يدفع نفسه، وروى عطية عن ابن عباس: في البرهان أنه رأى مثال الملك. وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما: البرهان النبوة التي أودعها الله في صدره حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل. وعن علي بن الحسين قال: كان في البيت صنم فقامت المرأة وسترته بثوب، فقال لها يوسف: لم فعلت هذا؟ فقالت: استحييت منه أن يراني على المعصية، فقال يوسف: أتستحين مما لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه؟ فأنا أحق أن أستحي من ربي وهرب. قوله عز وجل: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ جواب لولا محذوف تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لواقع المعصية. ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾، فالسوء الإثم. وقيل: سوء القبيح، والفحشاء: الزنا. ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾، قرأ أهل المدينة

(١) رواه ابن جرير ٥٥/١٦ والإمام أحمد في المسند ٢/٣٠٧ ولم يرفعه وابن حبان في صحيحه ص ٤٠ من موارد =

حبًا. قال الكلبي: حجب حبه قلبها حتى لا تعقل سواه. وقيل: أحبته حتى دخلها حبه شغاف قلبها، أي: داخل قلبها. قال السدي: الشغاف جلدة رقيقة على القلب، يقول دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب. وقرأ الشعبي والأعرج: (شغفها) بالعين غير المعجمة، معناه: ذهب الحب بها كل مذهب. ومنه شغف الجبال وهو رؤوسها. ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أي: خطأ ظاهر. وقيل: إنها تركت ما يكون على أمثالها من العفاف والستر.

[٣١] ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾، راعيل، ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾، بقولهن وحديثهن، قاله قتادة والسدي. وقال ابن إسحاق: إنما قلن ذلك مكرًا بها لترهين يوسف، وكان وصف لهن حسنه وجماله. وقيل: إنها أفشت إليهن ذلك، فلذلك سماه مكرًا ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾، قال وهب: اتخذت مأدبة ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللاتي عيرنهن. ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾، أي: أعدت، ﴿لَهُنَّ مَتَكًا﴾، أي: ما يتكأ عليه. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد: متكًا أي: طعامًا سماه متكًا لأن أهل الطعام إذا جلسوا يتكئون على الوسائد، فسمى الطعام متكًا على الاستعارة. يقال: اتكأنا عند فلان أي: طعمنا. ويقال: المتكأ: ما اتكأت عليه للشراب أو الحديث أو الطعام، ﴿وَوَاتَتْ﴾، أعطت، ﴿كُلَّ وَجَدٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾، فكن يأكلن اللحم حزًا بالسكين. ﴿وَقَالَتْ﴾، ليوسف، ﴿أَخْرِجْ عَلَيْنَ﴾، وذلك أنها كانت أجلسته في مكان آخر؛ فخرج عليهن يوسف. قال عكرمة: كان فضل يوسف على سائر الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم. وروي عن أبي سعيد الخدري قال: قال

= الضمان، وأخرجه الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة ٢/ ٤٩٧ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وضححه محمود شاكر في تعليقه على الطبري.

المرأة. وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد: لم يكن صبيًا ولكنه كان رجلًا حكيماً ذا رأي. قال السدي: هو ابن عم راعيل فحكم فقال: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾، أي: من قدام، ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾. [٢٧] ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿فَلَمَّا رَأَى﴾، قطفير، ﴿قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾ عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام، ﴿قَالَ﴾ لها ﴿إِنَّهُ﴾، أي: إن هذا الصنيع، ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، وقيل: إن هذا من قول الشاهد، ثم أقبل قطفير على يوسف فقال:

[٢٩] ﴿يُوسُفُ﴾، أي: يا يوسف، ﴿أَعْرِضْ عَن هَذَا﴾، أي: عن هذا الحديث فلا تذكره لأحد حتى لا يشيع. وقيل: معناه لا تكثر به فقد بان عذرك وبراءتك، ثم قال لامرأته، ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾، أي: توبي إلى الله، ﴿إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾، من المذنبين. وقيل: إن هذا من قول الشاهد ليوسف ولراعييل، وأراد بقوله واستغفري لذنبك، أي سلي زوجك أن لا يعاقبك ويصفح عنك، إنك كنت من الخاطئين، من المذنبين حتى راودت شابًا عن نفسه وخت زوجك، فلما استعصم كذبت عليه، وإنما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات، لأنه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد به الخبر عمن يفعل ذلك، تقديره: من القوم الخاطئين، كقوله تعالى: (وكانت من القاتنين) بيانه قوله تعالى: (إنها كانت من قوم كافرين).

[٣٠] قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ الآية، يقول شاع أمر يوسف والمرأة في المدينة مدينة مصر. وقيل: مدينة عين الشمس، وتحدثت النساء بذلك وقلن: ﴿أَمَرَأْتُ النَّبِيِّ تَزُولُ فَنُنْهَا﴾، أي: عبدها الكنعاني، ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾، أي: تطلب من عبدها الفاحشة، ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾، أي: علقها

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٢٣٩

سُورَةُ يُوسُفَ

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَجْدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ هُنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٢٣﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرْتُ لَيْسَجُنَّ وَلِيكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٥﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْأَيَّاتِ لَيْسَجْنُهُنَّ، حَتَّى حِينٍ ﴿٢٧﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُورِثُ أَثَرًا قَالَ لَمَّا رَأَى الْأَوَّلُ أَنَّ الْآخَرَ يَرَى مَا يَرَى قَالَ لَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِكُمْ إِلَّا جُورًا قَالَتِ الْمَوْلَاةُ لَهَا مَلَأَةً عَلَيْهَا مِنْهُنَّ وَقَدْ أَصَابَهُنَّ مَا أَصَابَهَا مِنْ رُؤْيَاهُ فَقُلْنَ لَهُ: أَطْعَمَ مَوْلَاتُكَ فَقَالَتْ رَاعِيلُ: وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرْتُ، وَلَئِنْ لَمْ يَطَاوِعْنِي فِيمَا دَعَوْتُهُ إِلَيْهِ، لَيْسَجَرَنَّ، أَي: ليعاقبن بالحبس، وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ، من الأدلاء. ونون التوكيد تثقل وتخفف، والوقف على قوله: (ليسجنن) بالنون لأنها مشددة، وعلى قوله (ليكونا) بالألف لأنها مخففة، وهي شبهة نون الإعراب في الأسماء، كقوله: رأيت رجلاً، وإذا وقفت: رأيت رجلاً بالألف، ومثله: (لنسفعاً بالناصية). فاختار يوسف عليه السلام السجن على المعصية حين توعدته المرأة.

رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي إلى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر»^(١) ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾، أعظمته، قال أبو العالية: هالهن أمره وبهتن. وقيل: أكبرنه أي: حزن لأجله من جماله. ولا يصح. ﴿وَقَطَّعْنَ﴾، أي: حزنن بالسكاكين التي معهن، ﴿أَيْدِيَهُنَّ﴾، وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج، ولم يجدن الألم لشغل قلوبهن بيوسف. قال مجاهد: فما أحسنن إلا بالدم. وقال قتادة: إنهن ابنن أيديهن حتى ألقينها. والأصح كان قطعاً بلا إبانة، ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾، أي: معاذ الله أن يكون هذا بشراً، (ما هذا بشراً) نصب بنزع حرف الصفة، أي: ببشر، ﴿إِنْ هَذَا﴾، أي: ما هذا، ﴿إِلَّا مَلَكٌ﴾، من الملائكة، ﴿كَرِيمٌ﴾، على الله.

[٢٣٢] ﴿قَالَتْ﴾، يعني راعيل، ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾، أي: في حبه، ثم صرحت بما فعلت، فقالت: ﴿وَلَقَدْ رُودْتُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾، أي: امتنع، وإنما صرحت به لأنها علمت أن لا ملامة عليها منهن وقد أصابهن ما أصابها من رؤيته، فقلن له: أطعم مولاتك. فقالت راعيل: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرْتُ، وَلَئِنْ لَمْ يَطَاوِعْنِي فِيمَا دَعَوْتُهُ إِلَيْهِ، لَيْسَجَرَنَّ﴾، أي: ليعاقبن بالحبس، ﴿وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾، من الأدلاء. ونون التوكيد تثقل وتخفف، والوقف على قوله: (ليسجنن) بالنون لأنها مشددة، وعلى قوله (ليكونا) بالألف لأنها مخففة، وهي شبهة نون الإعراب في الأسماء، كقوله: رأيت رجلاً، وإذا وقفت: رأيت رجلاً بالألف، ومثله: (لنسفعاً بالناصية). فاختار يوسف عليه السلام السجن على المعصية حين توعدته المرأة.

[٢٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ﴾، أي: يا رب، ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، قيل: كان الدعاء منها خاصة، ولكنه أضاف إليهن خروجاً من التصريح

إلى التعريض. وقيل: إنهن جميعاً دعونه إلى أنفسهن. قرأ يعقوب وحده: بفتح السين. وقرأ الآخرون بكسرها. واتفقوا على كسر السين في قوله: (دخل معه السجن). وقيل: لو لم يقل السجن أحب إلي لم يبتل بالسجن، والأولى بالمرء أن يسأل الله العافية. قوله تعالى: ﴿وَالأولى صبراً﴾، يقال: صبا فلان إلى كذا يصبوا صبواً وصبوا وصبوة إذا مال واشتاق إليه. ﴿وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، فيه دليل على أن المؤمن إذا ارتكب ذنباً يرتكبه عن جهالة.

(١) قال ابن حجر في الشافي الكافي ص ٨٩: رواه الثعلبي وأخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل وابن مردويه، والمروني في صحيح مسلم في حديث الإسراء: «فإذا أنا بيوسف إذا هو أعطي شطر الحسن».

الفثنين لصاحبه: هلم فلنجرب هذا العبراني، فترأيا له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئاً، قال ابن مسعود: ما رأيا شيئاً وإنما تحالما ليحجبا يوسف، وقال قوم: بل كانا رأيا حقيقة، فأهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما، فذكر أنهما غلامان للملك وقد حبسهما، وقد رأيا رؤيا قد غمتهما، فقال يوسف: قصا علي ما رأيتما، فقصا عليه ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾، وهو صاحب الشراب، ﴿إِنِّي أَرْنِي آرْنِي أَغْصِرُ خَمْراً﴾، أي: عنباً سمى العنب خمراً باسم ما يؤول إليه، كما يقال: فلان يطبخ الآجر أي يطبخ اللبن للآجر. وقيل: الخمر العنب بلغة عمان، وذلك أنه قال إني رأيت كأنني في بستان، فإذا أنا بأصل حبله عليها ثلاث عناقيد من عنب فجنتيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه. ﴿وَقَالَ الْآخَرُ﴾، وهو الخباز ﴿إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾، وذلك أنه قال: إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز والألوان من الأطعمة وسباع الطير ينهشون وينهبون منه. ﴿يَنْتَشِرُ بِتَأْوِيلِهِ﴾، أخبرنا بتفسيره وتعبيره وما يؤول إليه أمر هذه الرؤيا. ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، أي: العالمين بعبارة الرؤيا، والإحسان بمعنى العلم. وروي أن الضحاك بن مزاحم سئل عن قوله: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ما كان إحسانه؟ قال: كان إذا مرض إنسان في السجن عاده وقام عليه، وإذا ضاق عليه المجلس وسع له وإذا احتاج إلى شيء جمع له شيئاً، وكان مع هذا يجتهد في العبادة، ويقوم الليل كله للصلاة. وقيل: إنه لما دخل السجن وجد فيه قومًا قد اشتد بلاؤهم وانقطع رجائهم وطال حزنهم، فجعل يسليهم وجعل يقول: أبشروا واصبروا تؤجروا، فيقولون بارك الله فيك يا فتى ما أحسن وجهك وخلقتك وحديثك، لقد بورك لنا في جوارك فلما قصا عليه الرؤيا كره يوسف أن يعبر

[٣٤] ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، السميع لدعائه العليم بمكرهن. [٣٥] ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ﴾، يعني للعزیز وأصحابه في الرأي وذلك أنهم أرادوا أن يقتصروا من أمر يوسف على الأمر بالإعراض، ثم بدا له بأن يحبسوه. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ﴾، الدالة على براءة يوسف من قد القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن. ﴿لِيَسْجُنَهُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ﴾، إلى مدة يرون فيه رأيهم. وقال عطاء: إلى أن تنقطع مقالة الناس. قال عكرمة: سبع سنين. وقال الكلبي: خمس سنين. قال السدي: وذلك أن المرأة قالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم أنني راودته عن نفسه، فإما أن تأذن لي أن أخرج فأعذر إلى الناس، وإما أن تحبسه، فحبسه، وذكر أن الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيراً ليوسف عليه السلام من همه بالمرأة.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ﴾، وهما غلامان كانا للريان بن الوليد بن شروان العمليق ملك مصر الأكبر، أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه، غضب الملك عليهما فحبسهما. وكان السبب فيه أن جماعة من أهل مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فضمنوا لهذين ما لا ليسما الملك في طعامه وشرابه فأجاباهم ثم إن الساقى نكل عنه، وقبل الخباز الرشوة فسم الطعام، فلما أحضر الطعام والشراب، قال الساقى: لا تأكل أيها الملك فإن الطعام مسموم، وقال الخباز لا تشرب فإن الشراب مسموم، فقال الملك للساقى: اشرب فشربه فلم يضره، وقال للخباز: كل من طعام، فأبى فجرب ذلك الطعام على دابة فأكلته فهلك، فأمر الملك بحبسهما وكان يوسف حين دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول إني أعبر الأحلام، فقال أحد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٤٠

سُورَةُ يُوسُفَ

وَاتَّبَعَتْ مَلَكَةً أَبَاءَ إِِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنَءَ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ الْأَنْعِبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَبِي السِّجْنَءَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَبُذِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَنَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعُ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأْتِيَنَّكَ الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءُوسِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٣﴾

[٤٠] ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾، أي: من دون الله، وإنما ذكر بلفظ الجمع وقد ابتدأ الخطاب للاثنيين لأنه أراد جميع أهل السجن، وكل من هو على مثل حالهما من أهل الشرك، ﴿إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ آلهة وأرباباً خالية عن المعنى لا حقيقة لتلك الأسماء، ﴿أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾، حجة وبرهان، ﴿إِنْ الْحُكْمُ﴾، ما القضاء والأمر والنهي، ﴿إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ الْأَنْعِبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ﴾، أي: المستقيم، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ثم فسر رؤياهما فقال:

[٤١] ﴿يَصْحَبِي السِّجْنَءَ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾، وهو صاحب الشراب، ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾، يعني الملك يدعوه الملك بعد الثلاثة أيام، ويرد إلى منزلته التي كان عليها، ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾، يعني: صاحب الطعام

لهما ما سألاه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره في إظهار المعجزة والدعاء إلى التوحيد.

[٣٧] ﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾، قيل: أراد به في النوم يقول لا يأتیکما طعام ترزقانه في نومكما ﴿إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بَتَأْوِيلِهِ﴾، في اليقظة، وقيل: أراد به في اليقظة يقول لا يأتیکما طعام من منازلكما ترزقانه، تطعمانه وتأكلانه إلا نباتكما بتأويله بقدره ولونه والوقت الذي يصل فيه إليكما، ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾، قبل أن يصل إليكما، وأي طعام أكلتم وكم أكلتم ومتى أكلتم، فهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال: (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم)، فقالا: هذا من فعل العرافين والكهنة، فمن أين لك هذا العلم؟ فقال: ما أنا بكاهن وإنما ﴿ذَلِكُمَا﴾، العلم، ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنْ تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾، وتكرار (هم) على التأكيد.

[٣٨] ﴿وَاتَّبَعَتْ مَلَكَةً أَبَاءَ إِِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، أظهر أنه من أولاد الأنبياء ﴿مَا كَانَتْ لَنَا﴾، ما ينبغي لنا ﴿أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، معناه: أن الله قد عصمنا من الشرك، ﴿ذَلِكَ﴾، التوحيد والعلم، ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾، ما بين لهم من الهدى، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، ثم دعاهما إلى الإسلام فقال:

[٣٩] ﴿يَصْحَبِي السِّجْنَءَ﴾، جعلهما صاحبي السجن لكونهما فيه، كما يقال لسكان الجنة أصحاب الجنة ولسكان النار أصحاب النار ﴿ءَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾، أي: آلهة شتى هذا من ذهب وهذا من فضة، وهذا من حديد وهذا أعلى وهذا أوسط وهذا أدنى، متباينون لا تضر ولا تنفع، ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، الذي لا ثاني له، القهار: الغالب على الكل، ثم بين عجز الأصنام فقال:

ومخففاً. ﴿وَمَا تَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾.

[٤٥] ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا﴾، من القتل، ﴿مِنْهُمْ﴾، من الفتيين وهو الساقى، ﴿وَأَذْكُرُ﴾، أي: تذكر قول يوسف اذكرني عند ربك، ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾، أي: بعد حين وهو سبع سنين. ﴿أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾، وذلك أن الغلام جثا بين يدي الملك، وقال: إن في السجن رجلاً يعبر الرؤيا، ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾، وفيه اختصار تقديره: فأرسلني أيها الملك إليه، فأرسله فأتى السجن. قال ابن عباس: ولم يكن السجن في المدينة.

[٤٦] فقال: ﴿يُوسُفُ﴾، يعني: يا يوسف، ﴿أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾، والصديق الكثير الصدق، ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾، فإن الملك رأى هذه الرؤيا، ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾، أهل مصر، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، تأويل الرؤيا. وقيل: لعلمهم يعلمون منزلك في العلم، فقال لهم يوسف معبراً ومعلماً، أما البقرات السمان والسنبلات الخضرة فسبع سنين مخاصيب، والبقرات العجاف والسنبلات، فالسنون المجذبة، فذلك قوله تعالى إخباراً عن يوسف:

[٤٧] ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾، هذا خبر بمعنى الأمر، يعني: ازرعوا سبع سنين على عادتكم في الزراعة، والدأب: العادة. وقيل: بجد واجتهاد. وقرأ عاصم برواية حفص: (دَأَبًا) بفتح الهمزة، وهما لغتان، يقال: دأبت في الأمر أدأب ودأباً إذا اجتهدت فيه. ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾، أمرهم بترك الحنطة في السنبلة لتكون

فيدعوه الملك بعد ثلاثة أيام، والسهال الثلاث الثلاثة أيام يبقى في السجن، ثم يخرج به فيأمر به، ﴿فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾، قال ابن مسعود: لما سمعوا قول يوسف قالوا: ما رأينا شيئاً إنما كنا نلعب، قال يوسف: ﴿فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾، أي: فرغ من الأمر الذي عنه تسألان، ووجب حكم الله عليهما الذي أخبرتهما به، رأيتما أو لم ترياً.

[٤٢] ﴿وَقَالَ﴾، يعني: يوسف عند ذلك، ﴿لِلَّذِي ظَنَّ﴾، علم ﴿أَنْتُمْ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ وهو الساقى، ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، يعني: سيدك الملك، وقل له إن في السجن غلاماً محبوباً ظلماً طال حبسه ﴿فَأَنسَنِي الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّي﴾، قيل: أنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف للملك تقديره: فأنساه الشيطان ذكره لربه. وقال ابن عباس وعليه الأكثرون: أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه حين ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق، وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشيطان^(١). ﴿فَلَيْتَ﴾، فمكث، ﴿فِي السِّجْنِ يَضَعُ سِنِينَ﴾، واختلفوا في معنى البضع، فقال مجاهد: ما بين الثلاث إلى السبع. وقال قتادة: ما بين الثلاث إلى التسع. وقال ابن عباس: ما دون العشرة. وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين، وكان قد لبث قبله خمس سنين فجملته اثنتا عشر سنة.

[٤٣] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾، فقال لهم: ﴿يَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾.

[٤٤] ﴿قَالُوا أَصْغَتْ أَحْلَامُ﴾ أخلاط أحلام مشبهة أهواويل واحدها صغت، وأصله الحزمة من أنواع الحشيش، والأحلام جمع الحلم، وهو الرؤيا، والفعل منه حلمت أحلم بفتح اللام في الماضي وضمها في الغابر حُلماً وحُلماً، مثقلاً

(١) لقد رد الإمام اللغوي المفسر أبو حيان الأندلسي في تفسيره «البحر المحيط» ج ٣١١/٥ هذا الوجه في إعادة ضمير ﴿فَأَنسَنِي﴾ على يوسف، فقال: «وقيل: الضمير في ﴿أنساه﴾ عائد على يوسف، ورتبوا على ذلك أخباراً لا تليق نسبتها إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام».

أبقى على الزمان ولا تفسد، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾، أي: تدرسون قليلاً للأكل، أمرهم بحفظ الأكثر والأكل بقدر الحاجة.

[٤٨] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾. سمي السنين المجذبة شداداً لشدتها على الناس، ﴿يَأْكُلْنَ﴾، أي: يفنين ويهلكن، ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾، أي: يؤكل فيهن ما أعددتن لهن من الطعام، أضاف الأكل إلى السنين على طريق التوسع ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ﴾ تحزرون وتدخرون للبذر.

[٤٩] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ﴾، أي: يمطرون من الغث، وهو المطر. وقيل: ينقدون، من قول العرب استغثت فلاناً فأغاثنى، ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي: (تعصرون)، بالتاء لأن الكلام كله على الخطاب، وقرأ الآخرون بالياء رداً إلى الناس، ومعناه: يعصرون العنب خمراً والزيتون زيتاً والسمسسم دهناً وأراد به كثرة النعيم والخير. وقال أبو عبيدة: يعصرون أي ينجون من الكروب والجذب والعصر والعصرة النجا والملجأ.

[٥٠] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيَنِي بِهِ؟﴾، وذلك أن الساقى لما رجع إلى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف من تأويل رؤياه، وعرف الملك أن الذي قاله كائن، قال اتئوني به، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾، وقال له: أجب الملك، أبيت أن يخرج مع الرسول حتى تظهر براءته ثم، ﴿قَالَ﴾، للرسول، ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، يعني: سيدك الملك، ﴿فَسَلِّهٖ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾، ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدباً واحتراماً ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْعِثُكِ عَالِمٌ﴾، أي: إن الله بصنيعهن عالم، وإنما أراد يوسف بذكرهن، بعد طول المدة حتى لا ينظر إليه الملك بعين التهمة والخيانة، ويصير إليه بعد زوال الشك عن أمره، فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته، فدعا الملك النسوة وامرأة العزيز.

الْبَرَاءَةُ مِنَ الْمَلِكِ ٢٤١ ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلِمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتِظَرُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٩﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُبُلَاتٍ خُضِرَ وَأُخْرَىٰ يَاسِبَتٌ لَّعَلَّيَ أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُبُلِهِ ۖ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ كُنَّ مَاقَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيَنِي بِهِ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَلِّهٖ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا رَاوُدُتُّ؟ يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَسَّ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ إِنَّنِي خَصَصْتُ لَكَ أَنْ تَكُونَ رَاوُدُتُّ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٥﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٦﴾

[٥١] ﴿قَالَ﴾، لهن، ﴿مَا خَطْبُكُمْ؟﴾، ما شأنكن وأمركن، ﴿إِذْ رَاوُدَتْهُ يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ﴾، خاطبهن والمراد امرأة العزيز، وقيل: إن امرأة العزيز راودته عن نفسه وسائر النسوة أمرته بطاعتها فلذلك خاطبهن جميعاً ﴿قُلْتُ حَسَّ لِلَّهِ﴾، معاذ الله، ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾، خيانة، ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ إِنَّنِي خَصَصْتُ لَكَ أَنْ تَكُونَ رَاوُدُتُّ عَنْ نَفْسِهِ وَتَبِينَ. وقيل: إن النسوة أقبلن على امرأة العزيز فقررنها فأقرت، وقيل: خافت أن يشهدن عليها فأقرت وقالت: ﴿أَنَا رَاوُدْتُكَ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، في قوله: هي راودتني عن نفسي، فلما سمع ذلك يوسف قال:

[٥٢] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك الذي فعلت من ردي رسول الملك إليه، ﴿لِيَعْلَمَ﴾، العزيز، ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾، في زوجته، ﴿بِالْغَيْبِ﴾، أي: في حال

سُورَةُ يُوسُفَ

٢٤٢

الْحَمْدُ لِلَّهِ

﴿وَمَا أَتَىٰ نَفْسِي إِلَّا النَّفْسُ لَأَمَارَةٌ بِالسَّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ شَاءَ وَلَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا جُرْ الْأَخْرَجَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُؤْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِنْ آبَائِكُمْ أَلاتَرُونَ أَتَىٰ أَوْفَىٰ الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا اسْتَزِدْ عَنْهُ آبَاءَهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتِيِّنِهِ اجْعَلُوا يَصْنَعُ لَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾

كثير وحده: (نشاء) بالنون ردًا على قوله: (مكنّا) وقرأ الآخرون بالياء ردًا على قوله (يتَّبِعُوا). ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا﴾، أي: بنعمتنا، ﴿مَنْ شَاءَ وَلَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال ابن عباس ووهب: يعني الصابرين. قال مجاهد وغيره: فلم يزل يوسف عليه السلام يدعو الملك إلى الإسلام ويتلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس، فهذا في أمر الدنيا.

﴿٥٧﴾ ﴿وَلَا جُرْ الْأَخْرَجَ﴾، ثواب الآخرة، ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، فلما اطمأن يوسف في

(١) وذكر بعضهم أن الأليق والأنسب بسياق القصة أن ذلك من قول امرأة العزيز تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم زوجي أنني لم أخنه بالغيب ولا وقع المحذور وإنما راودته فامتنع، فلماذا اعترفت ليعلم أنني بريئة- انظر ابن كثير ٤٨٢/٢ ودقائق التفسير ٢٧٣/٢ وتفسير المنار ١٢/٣١٣.

غيبته، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِبِينَ﴾ (١).
 [٥٣] ﴿وَمَا أَتَىٰ نَفْسِي﴾، من الخطأ والزلل فأزكيها، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسَّوءِ﴾، بالمعصية ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾، أي: إلا من رحم ربي فعصمه، و(ما) بمعنى من، كقوله تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم) أي: من طاب لكم، وهم الملائكة عصمهم الله عز وجل فلم يركب فيهم الشهوة. وقيل: إلا ما رحم ربي إشارة إلى حالة العصمة عند رؤية البرهان. ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فلما تبين للملك عذر يوسف عليه السلام وعرف أمانته وعلمه اشتاق لرؤيته وكلامه، وذلك معنى قوله تعالى إخبارًا عنه:
 [٥٤] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾، أي: أجعله خالصًا لنفسي، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾، فيه اختصار تقديره: فجاء الرسول يوسف فقال له: أجب الملك الآن، أعجب الملك ما رأى منه مع حدثاته سنة فأجلسه ﴿وَقَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾، المكانة في الجاه، ﴿أَمِينٌ﴾، أي: صادق.
 [٥٥] ﴿فَقَالَ﴾، يوسف، ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾، الخزائن جمع خزانة وأراد خزائن الطعام والأموال، والأرض أرض مصر، أي: خزائن أرضك. على خراج مصر ودخله، ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، أي: حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها. وقيل: حفيظ عليم، أي: كاتب حاسب. وقيل: حفيظ لما استودعني عليم بما وليتني. وقيل: حفيظ للحساب عليم بالألسن أعلم لغة من يأتيني. وقال الكلبي: حفيظ بتقديره في السنين المجدة عليم بوقت الجوع حين يقع، فقال له الملك: ومن أحق به منك؟! فولاه ذلك، وقال له: إنك اليوم لدينا مكين، ذو مكانة ومنزلة، أمين على الخزائن.

[٥٦] ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: أرض مصر ملكناه، ﴿يَتَّبِعُوا﴾، أي: ينزل، ﴿وَمِنْهَا حَيْثُ شَاءَ﴾، ويصنع فيها ما يشاء. قرأ ابن

يتسلى به، فقال: فمن يعلم أن الذي تقولون حق وصدق؟ قالوا: أيها الملك إنا ببلاذ لا يعرفنا فيها أحد من أهلها، فقال لهم يوسف: فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين، وأنا أرضى بذلك، قالوا: فإن أبانا يحزن على فراقه وسنراود عنه أباه، قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم الذي من أبيكم، فافترعوا بينهم فأصاب القرعة شمعون وكان أحسنهم رأياً في يوسف، فخلّفوه عنده. فذلك قوله عز وجل:

[٥٩] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾، أي: حمل لكل واحد بعيراً بعدتهم، ﴿قَالَ أَتَوْنِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ﴾، يعني بنيامين، ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾. أي: أتمه ولا أبخس الناس شيئاً فأزيدكم حمل بعير لأجل أخيك وأكرم منزلتكم وأحسن إليكم، ﴿وَأَنَّا خَيْرُ الْفَازِلِينَ﴾، قال مجاهد: أي: خير المضيفين. وكان قد أحسن ضيافتهم.

[٦٠] ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي﴾، أي: ليس لكم عندي طعام أكله، ﴿وَلَا تَقْرُبُونِ﴾، أي: لا تقربوا داري وبلاذي بعد ذلك وهو جزم على النهي.

[٦١] ﴿قَالُوا سَتَرَدُّ عَنْهُ أَبَاهُ﴾، أي: نطلبه ونسأله أن يرسله معنا، ﴿وَأَنَّا لَفَعْلُونَ﴾، ما أمرتنا به.

[٦٢] ﴿وَقَالَ لِفَتَيْنِهِ﴾ يريد لغلماناه ﴿اجْعَلُوا لِصَنَعِكُمْ﴾، ثمن طعامهم وكانت دراهم. وقال الضحّاك عن ابن عباس: كانت النعال والأدم. وقيل: كانت ثمانية جرب من سوق المقل. والأول أصح ﴿فِي رِحْلَتِهِمْ﴾، أوعيتهم، وهي جمع رحل، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا﴾، انصرفوا، ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، واختلفوا في السبب الذي فعله يوسف من أجله، قيل: أراد أن يريهم كرمه في رد البضاعة وتقدير الضمان في البر والإحسان ليكون أدعى لهم إلى العود لعلهم

ملكه دبر في جمع الطعام بأحسن التدبير، وبني الحصون والبيوت الكثيرة، وجمع فيها الطعام للسنين المجدة، وأنفق بالمعروف حتى خلت السنون المخصصة ودخلت السنون المجدة بهول لم يعهد الناس بمثله، وقصد الناس مصر من كل النواحي يمتارون الطعام فجعل يوسف لا يمكن أحداً منهم، وإن كان عظيماً أكثر من حمل بعير تقسيطاً بين الناس، وتزاحم الناس عليه فأصاب أرض كتعان وبلاذ الشام ما أصاب الناس في سائر البلاد من القحط والشدة، ونزل يعقوب ما نزل بالناس فأرسل بنيه إلى مصر للميرة وأمسك بنيامين أخا يوسف لأمه.

[٥٨] فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ وكانوا عشرة، وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين، بغور الشام، وكانوا أهل بادية وإبل وشاة، فدعاهم يعقوب عليه السلام وقال: يا بني بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً يبيع الطعام، فتجهزوا له فاذهبوا لتشتروا منه الطعام، فأرسلهم فقدموا مصر، ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ﴾، على يوسف، ﴿فَعَرَفَهُمْ﴾، يوسف عليه السلام. قال ابن عباس ومجاهد: وعرفهم بأول ما نظر إليهم. وقال الحسن: لم يعرفهم حتى تعرفوا إليه، ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾، أي: لم يعرفوه. فلما نظر إليهم يوسف وكلموه بالعبرانية، قال لهم: أخبروني من أنتم وما أمركم فإني أنكرت شأنكم؟ قالوا: نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار، فقال: لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادني، قالوا: لا والله ما نحن بجواسيس إنما نحن إخوة بنو أب واحد، وهو شيخ صديق يقال له يعقوب نبي من أنبياء الله، فقال: وكم أنتم؟ قالوا: كنا اثني عشر فذهب أخ لنا معنا إلى البرية فهلك فيها وكان أحبنا إلى أبينا، قال: فكم أنتم ههنا؟ قالوا: عشرة، قال: وأين الآخر؟ قالوا: عند أبينا لأنه أخو الذي هلك من أمه، فأبونا

[٦٥] ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ﴾، الذي حملوه من مصر، ﴿وَجَدُوا بِضْعَهُمْ﴾، ثم الطعام، ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَابَانَا مَا نَبْعِي﴾، أي: ماذا نبغي وأي شيء نطلب؟ وذلك أنهم ذكروا ليعقوب عليه السلام إحسان الملك إليهم وحثوه على إرسال بنيامين معهم، فلما فتحوا المتاع ووجدوا البضاعة، قالوا يا أبانا ما نبغي، ﴿هَذِهِ بِضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾، أي شيء نطلب بالكلام فهذا هو العيان من الإحسان والإكرام، أوفى لنا الكيل وردَّ علينا الثمن، أرادوا تطيب نفس أبيهم، ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾، أي: نشترى لهم الطعام فتحمله إليهم. يقال: مار أهله يميز ميرًا إذا حمل إليهم الطعام من بلد آخر. ومثله امتار يمتار امتيارًا. ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ بنيامين، أي: مما تخاف عليه. ﴿وَنَزِدُّهُ﴾، على أحمالنا، ﴿كَئِلَ بَعِيرٍ﴾، أي: حمل بعير يكال لنا من أجله، لأنه كان يعطي باسم كل رجل حمل بعير، ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾، أي: ما حملناه قليل لا يفينا وأهلنا. وقيل: معناه نزيد كيل بعير ذلك كيل يسير لا مؤنة فيه ولا مشقة.

[٦٦] ﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب، ﴿لَنْ أُرْسِلَ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ﴾، تعطون ﴿مَوْثِقًا﴾، أي: ميثاقًا وعهدًا، ﴿مِنْ أَلْفٍ﴾، والعهد الموثق: المؤكد بالقسم. وقيل: المؤكد بإشهاد الله على نفسه ﴿لَأَنْتُنِي بِوَدِّ﴾، وأدخل اللام فيه لأن معنى الكلام اليمين، ﴿إِلَّا أَنْ يَحَاطَ بِكُمْ﴾، قال مجاهد: إلا أن تهلكوا جميعًا. وقال قتادة: إلا أن تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك. وفي القصة: أن الأخوة ضاق الأمر عليهم وجهدوا أشد الجهد، فلم يجد يعقوب بداً من إرسال بنيامين معهم. ﴿فَلَمَّا ءَاتُوهُ مَوْثِقَهُمْ﴾، أعطوه عهدهم، ﴿قَالَ﴾، يعني: يعقوب، ﴿أَلَهُ عَلَى مَا تُقُولُ وَكَيْلٌ﴾، شاهد. وقيل: حافظ. قال كعب: لما قال يعقوب فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، قال الله عز وجل: وعزتي لأردن عليك كليهما بعدما توكلت علي.

يعرفونها أي كرامتهم علينا. وقيل: رأى لؤمًا أخذ الطعام من أبيه وإخوته مع حاجتهم إليه فردّه عليهم من حيث لا يعلمون تكرمًا. وقال الكلبي: تخوف ألا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى. وقيل: فعل ذلك لأنه علم أن دياتهم تحملهم على رد البضاعة نفيًا للغلط ولا يستحلون إمساكها.

[٦٣] ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَتَابَانَا﴾، إنا قدما على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلًا من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته، فقال لهم يعقوب: إذا أتيتم ملك مصر فاقرووه مني السلام، وقولوا له: إنَّ أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا، ثم قال: أين شمعون؟ قالوا: ارتهنه ملك مصر وأخبروه بالقصة، فقال لهم: ولم أخبرتموه؟ قالوا: إنه أخذنا وقال أنتم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية، وقصوا عليه القصة، وقالوا يا أبانا ﴿مُنْعٌ مِّنَّا أَلَكَيْلُ﴾، قال الحسن: معناه يمنع منا الكيل إن لم تحمل أخانا معنا. وقيل: معناه أعطى باسم كل واحد منا حملاً ويمنع منا الكيل لبنيامين، والمراد بالكيل الطعام لأنه كان يكال، ﴿فَأُرْسِلَ مَعَنَا أَخَانَا﴾، بنيامين، ﴿نَكْتَلُ﴾ قرأ حمزة والكسائي: (يكتل) بالياء، يعني: يكيل لنفسه كما نحن نكتال، وقرأ الآخرون: (نكتل) بالنون: يعني: نكتل نحن وهو الطعام. وقيل: نكتل له، ﴿وَأَنَا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

[٦٤] ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾، يوسف ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، أي: كيف آمنكم عليه وقد فعلتم بيوسف ما فعلتم؟ ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: (حافظًا) بالألف على التفسير، كما يقال هو خير رجلًا، وقرأ الآخرون: (حفظًا) بغير ألف على المصدر، يعني: خيركم حفظًا، يقول: حفظه خير من حفظكم. ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

سُورَةُ يُوسُفَ

٢٤٣

الْمِيقَاتُ الْخَامِسَةُ

قَالَ هَلْ ءَامَنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا كَمَا ءَامَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ
 قَبْلُ قَالَ اللَّهُ خَيْرَ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا
 مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا بَآئِنَا
 مَا بَغَىٰ هَٰذِهِ بَضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
 أَخَانًا وَنَزِدُ دَاكِلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ سَيِّئٌ ﴿٦٨﴾ قَالَ لَنْ
 أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مِن مَّوْقِفَاتٍ اللَّهُ لَنَا نَتْنِي بِهِ إِلَّا
 أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ
 ﴿٦٩﴾ وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَحِيدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَوْبَابٍ
 مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴿٧٠﴾ مَعْنَاهُ:
 لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٧١﴾ وَلَمَّا
 دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ
 مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ
 لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
 ﴿٧٢﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَتْ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ
 إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٣﴾

أنزلهم فأكرم منزلتهم، ثم أضافهم وأجلس كل
 اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحيداً فبكى
 وقال: لو كان أخي يوسف حياً لأجلسني معه،
 فقال يوسف: لقد بقي أحدكم هذا وحيداً فأجلسه
 معه على مائدته فجعل يُواكله فلما كان الليل أمر
 لهم بمثل، وقال لينم كل أخوين منكم على مثال،
 فبقي بنيامين وحده، فقال يوسف: هذا ينام معي
 على فراشي، فنام معه فجعل يوسف يضمه إليه
 ويشم ريحه حتى أصبح، وجعل روبين يقول: ما
 رأينا مثل هذا، فلما أصبح، قال لهم إني أرى هذا
 الرجل ليس معي ثاب فأسأله إليّ فيكون منزله
 معي، ثم أنزلهم منزلاً وأجرى عليهم الطعام،
 وأنزل أخاه لأمه، فذلك قوله تعالى: ﴿ءَاوَتْ إِلَيْهِ

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ في كتاب العين / ١، ورواه
 الإمام أحمد في مسنده ج ٤٤٧/٣، بلفظ: (إن العين حق).

[٦٧] ﴿وَقَالَ﴾، لهم يعقوب لما أرادوا الخروج
 من عنده، ﴿يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَحِيدٍ وَادْخُلُوا مِنْ
 أَوْبَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾، وذلك أنه خاف عليهم العين لأنهم
 كانوا أعطوا جمالاً وقوةً وامتداد قامة، وكانوا ولد
 رجل واحد، فأمرهم أن يتفرقوا في دخولهم لئلا
 يصابوا بالعين، فإن العين حق، وجاء في الأثر:
 «إن العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر» (١).

وعن إبراهيم النخعي أنه قال: ذلك لأنه كان يرجو
 أن يروا يوسف في التفرق. والأول أصح. ثم
 قال: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، معناه:
 إن كان الله قضى فيكم قضاءً فيصيبكم مجتمعين
 كنتم أو متفرقين، فإن المقدور كائن والحذر لا ينفع
 عن القدر، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ﴾، ما الحكم، ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾،
 هذا تفويض يعقوب أموره إلى الله، ﴿عَلَيْهِ
 تَوَكَّلْتُ﴾، اعتمدت، ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

[٦٨] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أي:
 من الأبواب المتفرقة. وقيل: كانت المدينة مدينة
 الفراء ولها أربعة أبواب، فدخلوها من أبوابها،
 ﴿مَا كَانَ يُغْنِي﴾، يدفع ﴿عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ
 شَيْءٍ﴾، صدق الله تعالى يعقوب فيما قال، ﴿إِلَّا
 حَاجَةً﴾، مراداً، ﴿فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾، أشفق
 عليهم إشفاق الآباء على أبنائهم وجرى الأمر عليه،
 ﴿وَإِنَّهُ﴾ يعني: يعقوب عليه السلام، ﴿لَذُو عِلْمٍ﴾،
 يعني: كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل،
 ﴿لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾، أي: لتعليمنا إياه. وقيل: إنه لعامل
 بما علم. قال سفيان: من لا يعمل بما يعلم لا
 يكون عالماً. وقيل: إنه لذو حفظ لما علمناه،
 ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ما يعلم يعقوب
 لأنهم لم يسلخوا طريق إصابة العلم. وقال ابن
 عباس: لا يعلم المشركون ما ألهم الله أوليائه.

[٦٩] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾، قالوا هذا
 أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به قد جئناك به، فقال:
 أحسستم وأصبتم، وستجدون جزاء ذلك عندي، ثم

أَخَاهُ، أي: ضم إليه أخاه فلما خلا به قال: ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾، أي: لا تحزن، ﴿بِمَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾، بشيء فعلوه بنا فيما مضى، فإن الله تعالى قد أحسن إلينا، ولا تعلمهم شيئاً مما أعلمتك، ثم أوفى يوسف لإخوته الكيل وحمل لهم بغيراً بغيراً ولبنيامين بغيراً باسمه، ثم أمر بسقاية الملك فجعلت في رحل بنيامين.

[٧٠] فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾، وهي المشربة التي كان الملك يشرب منها. قال ابن عباس: كانت من زبرجد. وقال ابن إسحاق: كانت من فضة. وقيل: من ذهب، وقال عكرمة: كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر، جعلها يوسف مكياً لئلا يكال بغيرها، وكان يشرب منها. والسقاية والصواع واحد، جعلت في وعاء طعام بنيامين، ثم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلاً. وقيل: خرجوا من العمارة، ثم بعث من خلفهم من استوقفهم وحبسهم. ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾، نادى مناد، ﴿إِيتَهِا الْعِبرُ﴾، وهي القافلة التي فيها الأحمال ﴿إِنكُمْ لَسَرِقُونَ﴾، قفوا. قيل: قالوه من غير أمر يوسف. وقيل: قالوه بأمره، وكان هفوة منه. وقيل: قالوه على تأويل أنهم سرقوا يوسف من أبيه، فلما انتهى إليهم الرسول، قال لهم: ألم نكرم ضيافتكم ونحسن منزلتكم ونوفكم كيلكم ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم؟ قالوا: بلى، قالوا: وما ذاك؟ قالوا: سقاية الملك فقدناها، ولا نتهم عليها غيركم.

[٧١] فذلك قوله عز وجل: ﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ﴾، عطفوا على المؤذن وأصحابه، ﴿مَآذًا تَقْقُدُونَ﴾، ما الذي ضل عنكم. والفقدان: ضد الوجدان.

[٧٢] ﴿قَالُوا نَقْقُدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ جَمْلٌ بَعِيرٌ﴾، من الطعام، ﴿وَأَنَا بِهِ رَعِيمٌ﴾، كفيل،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٤٤

سُورَةُ يُوسُفَ

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا الْعِبرُ إِنكُمْ لَسَرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَا ذَاتَ تَقْقُدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَقْقُدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ جَمْلٌ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ رَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمُ لِنَفْسِكُمْ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن يُجِدْ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهُمَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَهُ مِن قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَاشِيخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مَّكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

يقوله المؤذن.

[٧٣] ﴿قَالُوا﴾، يعني: إخوة يوسف، ﴿تَأَلَّه﴾ أي: والله، وخصت هذه الكلمة بأن أبدلت الواو فيها بالتاء في اليمين دون سائر أسماء الله تعالى. ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمُ لِنَفْسِكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، لنسرق في أرض مصر، فإن قيل: كيف قالوا لقد علمتم؟ ومن أين علموا ذلك؟ قيل: قالوا قد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض، فإننا منذ قطعنا هذا الطريق لم نرزأ أحداً شيئاً فاسألوا عتاً من مرربنا به، هل ضرربنا أحداً. وقيل: لأنهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم، قالوا: فلو كنا سارقين ما رددناها. وقيل: قالوا بذلك لأنهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم، وكانوا إذا دخلوا مصر كمموا أفواه دوابهم كيلا تتناول شيئاً من حروث الناس، ﴿وَمَا كُنَّا سَرِقِينَ﴾.

الخلق: الحيلة، ومن الله: التدبير بالحق. وقيل: كدنا: ألهمنا. وقيل: دبنا. وقيل: أردنا. ومعناه: صنعنا ليوسف حتى ضم أخاه إلى نفسه، وحال بينه وبين إخوته. ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ فيضمه إلى نفسه، ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾، أي: في حكمه. قاله قتادة. وقال ابن عباس: في سلطانه. ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، يعني: إن يوسف لم يكن يتمكن من حبس أخيه في حكم الملك لولا ما كدنا له بلطفنا حتى وجد السبيل إلى ذلك، وهو ما أجري على السنة الإخوة أن جزاء السارق الاسترقاق، فحصل مراد يوسف بمشيئة الله تعالى ﴿زَفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ شَأْنِهِ﴾، بالعلم كما رفعا درجة يوسف على إخوته. وقرأ يعقوب (يرفع) و(يشاء) بالياء فيهما، وإضافة درجات إلى (من) في هذه السورة. والوجه أن الفعل فيهما مسند إلى الله تعالى، وقد تقدم ذكره في قوله: (إلا أن يشاء الله) أي: يرفع الله درجات من يشاء. وقرأ الباقون بالنون فيهما، إلا أن الكوفيين قرؤوا: (درجات) بالتنوين، ومن سواهم بالإضافة، أي: نرفع به نحن، والواقع أيضًا هو الله تعالى: ﴿وَوَقَّ كَلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾، قال ابن عباس: فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى، فإن الله تعالى فوق كل عالم.

[٧٧] ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾، يريدون أخا له من أمه يعنون به يوسف، واختلفوا في السرقة التي وصفوا بها يوسف، فقال سعيد بن جببر وقاتدة: كان لجده أبي أمه صنم يعبد فأخذه سرًا أو كسره وألقاه في الطريق لثلا يعبد. وقال مجاهد: إن يوسف جاءه سائل يومًا فأخذ بيضة من البيت فناولها السائل. وقال سفيان ابن عيينة: أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاه سائلًا. وقال وهب: كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء، ﴿فَأَسْرَهَا﴾، أضمرها ﴿يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾، وإنما

[٧٤] ﴿قَالُوا﴾، يعني: المنادي وأصحابه ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾، يعني: ما جزاء السارق، ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في قولكم وما كنا سارقين.

[٧٥] ﴿قَالُوا﴾، يعني: إخوة يوسف، ﴿جَزَاؤُهُ مِنْ وَجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾، أي: فالسارق جزاؤه أن يسلم السارق بسرقة إلى المسروق منه فيسترقه سنه، وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق، وكان حكم ملك مصر أن يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق، فأراد يوسف أن يحبس أخاه عنده، فرد الحكم إليهم ليمكن من حبسه عنده على حكمهم. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾، الفاعلين ما ليس لهم فعله من سرقة مال الغير، فقال الرسول عند ذلك: لا بد من تفتيش أمتعتكم، فأخذ في تفتيشها. وروى أنه ردهم إلى يوسف فأمر بتفتيش أوعيتهم بين يديه.

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ﴾، لإزالة التهمة، ﴿قَبْلَ وَعَاءِ آخِيهِ﴾، فكان يفتش أوعيتهم واحدًا واحدًا ﴿ثُمَّ أَسْتَخْرِجُهَا مِنْ وَعَاءِ آخِيهِ﴾، وإنما أنت الكناية في قوله استخرجها، والصواع مذكر، بدليل قوله: (ولمن جاء به حمل بعير) لأنه رد الكناية ههنا إلى السقاية. وقيل: الصواع يذكر ويؤنث، فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم من الحياء، وأقبلوا على بنيامين وقالوا: ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل؟ ما يزال لنا منكم البلاء متى أخذت هذا الصواع، فقال بنيامين: بل بنو راحيل لا يزال لهم منكم بلاء ذهبت بأخي فأهلكتموه في البرية، والله قد وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم، فأخذوا بنيامين رقيقًا، ﴿كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ﴾، والكيد ههنا جزاء الكيد، يعني: كما فعلوا في الابتداء بيوسف من الكيد فعلنا بهم. وقد قال يعقوب عليه السلام ليوسف: (فيكيدوا لك كيدًا)، فكدنا ليوسف في أمرهم. والكيد من

أنت الكناية لأنه عين بها الكلمة وهي قوله: ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾، ذكرها سرًا في نفسه ولم يصرح بها، يريد أنتم شر مكانًا أي: منزلًا عند الله ممن رميتموه بالسرقة في صنعكم بيوسف، لأنه لم يكن من يوسف سرقة حقيقية وخيانتكم حقيقة، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾، تقولون.

[٧٨] ﴿قَالُوا يَتَّخِذُ الْوَعْدَ بَاطِلًا إِنَّهُ أَكْبَرُ مِنْكُمْ﴾، فخذ أحدنا مكانه، بدلًا منه، ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، في أفعالك. وقيل: من المحسنين إلينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة. وقيل: يعنون إن فعلت ذلك كنت من المحسنين.

[٧٩] ﴿قَالَ يَوْسُفُ مَعَاذَ اللَّهِ أَغْوَيْتَنِي إِنَّهُنَّ سِيْرٌ مِّنَ الشَّيْءِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ﴾، أعوذ بالله، ﴿أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِندَهُ﴾، ولم يقل إلا من سرق تحررًا من الكذب، ﴿إِنَّا إِذَا لَطَلُمُوسٌ مِن مَّكَانٍ مُّسْتَعْصِمِينَ وَنُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾، إن أخذنا بريئًا بمجرم.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مَضَوْا إِلَىٰ مِصْرَ لَمَّا وَلَّىٰ يَاقُوبَ﴾، أي: أيسوا من يوسف أن يجيهم إلى ما سألوه. وقال أبو عبيدة: استيأسوا استيقنوا أن الأخ لا يُرد إليهم. ﴿خَلَصُوا مِنَ النَّارِ﴾، أي: خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ولا يخالطهم غيرهم. والنجي يصلح للجماعة كما قال ههنا، ويصلح للواحد كقوله: (وقربناه نجيًّا)، وإنما جاز للواحد والجمع لأنه مصدر جعل نعتًا كالعدل والزور، ومثله النجوى يكون اسمًا ومصدرًا، قال الله تعالى: (إذ هم نجوى)، أي: متناجون. وقال: (ما يكون من نجوى ثلاثة)، وقال في المصدر: (إنما النجوى من الشيطان). ﴿قَالَ كَيْفَ هُمْ﴾، يعني: في العقل والعلم لا في السن. قال ابن عباس والكلبي. هو يهوذا وهو أعقلهم. وقال مجاهد: هو شمعون، وكانت له الرئاسة على إخوته. وقال قتادة والسدي والضحاك: هو روبيل، وكان أكبرهم في السن، وهو الذي نهى عن قتل يوسف. ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا

أَنِّي أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْعِنًا﴾ عهدًا. ﴿مِّنَ اللَّهِ وَمَن قَتَلَ مَا فَرَغْتُم﴾ قصرتم ﴿فِي يَوْسُفَ﴾، واختلفوا في محل (ما) قيل: هو نصب بإيقاع العلم عليه، يعني: ألم تعلموا من قبل تفريطكم في يوسف. وقيل: وهو في محل الرفع على الابتداء وتم الكلام عند قوله (من الله) ثم قال (ومن قبل) هذا تفريطكم في يوسف. وقيل: (ما) صلة أي: ومن قبل هذا فرطتم في يوسف ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ مِنَ الْبُاطِلِ﴾، التي أنا بها وهي مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْوَعْدَ الَّذِي لَكَ﴾، بالخروج منها يدعوني، ﴿أَوْ يَخُكِّمَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، برد أخي إلي أو بخروجي وترك أخي. وقيل: أو يحكم الله لي بالسيف فأقاتلهم وأسترد أخي، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾، أعدل من فصل بين الناس.

[٨١] ﴿أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ﴾، يقول الأخ المحتبس بمصر لإخوته ارجعوا إلى أبيكم، ﴿فَقُولُوا لِنُحْسِنَ كَلِمَةً﴾، بنيامين، ﴿سَرَقَ﴾، وقرأ ابن عباس والضحاك بضم السين وكسر الراء وتشديدها، يعني: نُسب إلى السرقة، كما يقال خوته أي نسبته إلى الخيانة، ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾، يعني: ما قلنا هذا إلا بما علمنا فإننا رأينا إخراج الصواع من متاعه. وقيل: معناه وما شهدنا إلا بما علمنا أي ما كانت منها شهادة في عمرنا على شيء إلا بما علمنا، وليست هذه شهادة منا إنما هو خبر عن صنع ابنك بزعمهم. وقيل: قال لهم يعقوب عليه السلام: ما يدري هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقة إلا بقولكم، فقالوا: ما شهدنا عند يوسف بأن السارق يسترق إلا بما علمنا، وكان الحكم ذلك عند يعقوب وبنيه. ﴿وَمَا كُنَّا لَلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾، قال مجاهد وقتادة: ما كنا نعلم أن ابنك سيسرق ويصير أمرنا إلى هذا، وإنما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا حفظه منه سبيل. وعن ابن عباس: ما كنا ليلته ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين.

وقال عكرمة: وما كنا للغيب حافظين فلعلمها دست بالليل في رحله.

[٨٢] ﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾، أي: أهل القرية وهي مصر ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾، أي: القافلة التي كنا فيها. وكان أصحابهم قوم من كنعان من جيران يعقوب. قال ابن إسحاق: عرف الأخ المحتبس بمصر أن إخوته أهل تهمة عند أبيهم لما كانوا صنعوا في أمر يوسف فأمرهم أن يقولوا هذه المقالة لأبيهم. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾، فإن قيل: كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذا بأبيه ولم يخبره بمكانه وحبس أخاه مع علمه بشدة وجد أبيه عليه؟ وقيل معنى العقوق: قطيعة الرحم وقلة الشفقة؟ قيل: قد أكثر الناس فيه، والصحيح أنه عمل ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى، أمره به ليزيد في بلاء يعقوب فيضاعف له الأجر ويلحقه في الدرجة بابائه الماضين. وقيل: إنه لم يظهر نفسه لإخوته لأنه لم يأمن أن يدبروا في أمره تدبيراً فيكتموه عن أبيه. والأول أصح.

[٨٣] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾، زينت، ﴿أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾، وفيه اختصار معناه: فرجعوا إلى أبيهم وذكروا لأبيهم ما قال كبيرهم، فقال يعقوب: بل سولت لكم أنفسكم أمراً، أي: حمل أخيكم إلى مصر لطلب نفع عاجل، ﴿فَصَبَّرْ جَمِيعاً عَنِ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾، يعني: يوسف وبنيامين وأخاهم المقيم بمصر، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾، بحزني ووجدي على فقدهم، ﴿الْحَكِيمُ﴾، في تدبير خلقه.

[٨٤] قوله تعالى: ﴿وَوَلَّى عَنْهُمْ﴾، وذلك أن يعقوب عليه السلام لما بلغه خبر بنيامين تناهى حزنه وبلغ جهده، وهيج حزنه على يوسف فأعرض عنهم، ﴿وَقَالَ يَتَأسَفُ﴾، يا حزنا، ﴿عَلَى يَوْسُفَ﴾ والأسف أشد الحزن، ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾، يعني: غمي بصره. قال مقاتل: لم يبصر بهما ست سنين، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾، أي: مكظوم

الْحَزَنُ ٢٤٥ ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَّعَنَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ﴾
﴿إِذَا الظَّالِمُونَ﴾ ٢٤٥ ﴿فَلَمَّا اسْتِئْذِنُوا مِنْهُ خَالَصُوا خِيَرًا﴾
﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوَثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾
﴿أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا إِنَّا نَاذِرُكُمْ أَنَّكُمْ سَرَقْتُمْ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾
﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ٢٤٥ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾
﴿فَصَبَّرْ جَمِيعاً عَنِ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ٢٤٥ ﴿وَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ٢٤٥ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ ٢٤٥ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِيَّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَاعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٢٤٥

مملوء من الحزن ممسك عليه لا يثته. وقال قتادة: تردد حزنه في جوفه ولم يقل إلا خيراً. قال الحسن: كان بين خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم التقى معه ثمانون عاماً لا تجف عينا يعقوب وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب.

[٨٥] ﴿قَالُوا﴾، يعني: أولاد يعقوب، ﴿تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يَوْسُفَ﴾، أي: لا تزال تذكر يوسف، لا تفتر من حبه، يقال: ما فتىء يفعل كذا أي: ما زال يفعل، و(لا) محذوفة من قوله (تفتؤا) يقال: ما فتىء يفعل كذا أي: ما زال، ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾، قال ابن عباس: دفناً. وقال مجاهد: الحرص ما دون الموت، يعني: قريباً من الموت. وقال ابن إسحاق: فاسداً لا عقل لك، والحرص: الذي فسد جسمه وعقله. وقيل: ذائباً من الهم. ومعنى الآية: حتى تكون دنف الجسم

مخيول العقل. وأصل الحرض: الفساد في الجسم، والعقل من الحزن والهرم، أو العشق أو الهم، يقال: رجل حرض وامرأة حرض، ورجلان وامرأتان حرض، ورجال ونساء كذلك، يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث، لأنه مصدر وضع موضع الاسم. ﴿أَوْ تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾، أي: من الميتين.

[٨٦] ﴿قَالَ﴾ يعقوب عليه السلام عند ذلك لما رأى غلظتهم ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾، والبت أشد الحزن، سمي بذلك لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يئسه أي: يظهره، قال الحسن: بئى أي: حاجتي. وروى أنه دخل على يعقوب جاره وقال: يا يعقوب ما الذي غير حالك مالي أراك قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك؟ قال: هشمي وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف، فأوحى الله إليه: يا يعقوب أشكوني إلى خلقي؟ فقال: يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي، فقال: قد غفرتها لك، فكان بعد ذلك إذا سئل قال: إنما أشكو بئى وحزني إلى الله. قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، يعني أعلم من حياة يوسف ما لا تعلمون.

[٨٧] ﴿يَبْنَئِ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾، تخبروا واطلبوا الخير، ﴿مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾، والتحسس بالحاء والجيم لا يبعد أحدهما من الآخر، إلا إن التحسس بالحاء في الخير وبالجيم في الشر، والتحسس هو طلب الشيء بالحاسة. قال ابن عباس: معناه التمسوا ﴿وَلَا تَأْتِسُوا﴾، ولا تقنطوا ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾، أي: من الرحمة: وقيل: من فرج الله. ﴿إِنَّمَا لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

[٨٨] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾، وفيه إضمار تقديره: فخرجوا راجعين إلى مصر حتى وصلوا إليها فدخلوا عليه، ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ﴾، أي: الشدة والجوع، ﴿وَجَحْنَا يَضْعَعُ مُرَجَّةَ﴾،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٤٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَبْنَئِ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ وَجَحْنَا يَضْعَعُ مُرَجَّةَ قَاوِفَ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَءِتَاكَ لَاتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَشْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ بِغَفَرِ اللَّهِ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَدْهَبُوا بِقِمِيصِي هَذَا قَاوِفُوا عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

أي: قليلة رديئة كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام إلا بتجوز من البائع فيها وأصل الإزجاء السوق والدفع وقيل: للبضاعة مزجاة لأنها غير نافعة، وإنما تجوز على دفع من أخذها، ﴿قَاوِفَ لَنَا الْكَيْلَ﴾، أي: أعطنا ما كنت تعطينا قبل الثمن الجيد الوافي ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾، أي: تفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والرديء ولا تنقصنا. هذا قول أكثر المفسرين، وقال ابن جريج والضحاك: وتصدق علينا برد أحننا إلينا. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي﴾، يشب، ﴿الْمُتَصَدِّقِينَ﴾، وقال الضحاك: لم يقولوا إن الله يجزيك لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن. وسئل سفيان بن عيينة: هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء سوى نبينا عليه الصلاة والسلام؟ فقال سفيان: ألم تسمع قوله تعالى: (وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين)، يريد أن الصدقة كانت حلالاً لهم.

عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ»، لا تعبير ولا أذكر لكم ذنبكم بعد اليوم، ﴿يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فلما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيه، فقال: ما فعل أبي بعدي؟ قالوا: ذهب عيناه من البكاء فأعطاهم قميصه، ثم قال:

[٩٣] ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾، أي: يعد مبصرًا. وقيل: يأتيني بصيرًا لأنه كان قد دعاه. قال الحسن: لم يعلم أنه يعود بصيرًا إلا بعد أن أعلمه الله عز وجل. وقال الضحاك: كان ذلك القميص من نسج الجنة. عن مجاهد قال: أمره جبريل أن يرسل إليه قميصه، فدفع يوسف ذلك القميص إلى إخوته وقال: ألقوه على وجه أبي يأت بصيرًا، ﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْعِيرُ﴾، أي خرجت من عريش مصر متوجهة إلى كنعان ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾، أي: قال يعقوب لولد ولده، ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفِيدُون﴾، تسفهوني، وعن ابن عباس: تجهلونني. وقال الضحاك: تهرموني فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله. وقيل: تضعفوني. وقال أبو عبيدة: تضللوني. وأصل الفند الفساد.

[٩٥] ﴿قَالُوا﴾، يعني: أولاد أولاده، ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ عَظِيمٍ﴾، لفني خطئك السابق من ذكر يوسف لا تنساه، والضلال هو الذهاب عن الطريق الصواب، فإن عندهم إن يوسف قد مات ويرون يعقوب قد لهج بذكره.

[٩٦] ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾، وهو المبشر عن يوسف، قال ابن مسعود: جاء البشير بين يدي العير. قال ابن عباس: هو يهوذا قال أنا ذهبت بالقميص ملطخًا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب فأنا أذهب إليه اليوم بالقميص فأخبره أن ولده حي فأفرحه كما أحزنه. قال ابن عباس: حمله يهوذا وخرج حافيًا حاسرًا يعدو ومعه

وروى أن الحسن سمع رجلًا يقول: اللهم تصدق علي، فقال: إن الله لا يتصدق وإنما يتصدق من يبغي الثواب، قل: اللهم أعطني أو تفضل علي.

[٨٩] ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾، اختلفوا في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول، قال ابن إسحاق: ذكر لي أنهم لما كلموه بهذا الكلام أدركته الرقة فافرض دمعه فباح بالذي كان يكتمه، وقيل: قاله حين قرأ كتاب أبيه الذي كتب إليه فلم يتمالك البكاء، فقال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذا فرقتم بينهما، وصنعت ما صنعت إذ أنتم جاهلون بما يؤول إليه أمر يوسف؟ وقيل: مذبون وعاصون. وقال الحسن: إذ أنتم شبان ومعكم جهل الشباب. فإن قيل: كيف قال ما فعلتم بيوسف وأخيه وما كان منهم إلى أخيه شيء وهم لم يسعوا في حسبه؟ قيل: قد قالوا له في الصاع ما رأينا منكم يا بني راحيل خيرًا. وقيل: لما كانا من أم واحدة كانوا يؤذونه من بعد فقد يوسف.

[٩٠] ﴿قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر: (إنك) على الخبر، وقرأ الآخرون على الاستفهام، ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾، بنيامين، ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، أنعم الله علينا بأن جمع بيننا ﴿إِنَّهُمْ مَن يَتَّقُ﴾، بأداء الفرائض واجتناب المعاصي، ﴿وَيَصْبِرْ﴾، عما حرم الله عز وجل عليه. قال ابن عباس: يتقي الزنا ويصبر عن العزوبة. وقال مجاهد: يتقي المعصية ويصبر على السجن، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٩١] ﴿قَالُوا﴾، معتردين، ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، أي: اختارك الله وفضلك علينا، ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾، أي: وما كنا في صنيعنا بك إلا مخطئين مذنبين. يقال: خطيء خطأ إذا تعمد، وأخطأ إذا كان غير متعمد.

[٩٢] ﴿قَالَ﴾، يوسف وكان حليمًا، ﴿لَا تَتْرِبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٤٧

سُورَةُ يُوسُفَ

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَتَّبِعَانَا سِتْفِيرٌ لَنَا ذُنُوبًا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَفِيرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ فِي الْمَقْدَرِ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِبَ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّيَ حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

سبعة أرغفة لم يستوف أكلها حتى أتى أباه، وكانت المسافة ثمانين فرسخًا. وقيل: البشير مالك بن ذعر. ﴿أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾، يعني: ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب، ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ فعاد بصيرًا بعدما كان أعمى وعادت إليه قوته بعد الضعف، وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن. ﴿قَالَ﴾، يعني: يعقوب عليه السلام، ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، من حياة يوسف وأن الله يجمع بيننا. وروى أنه قال للبشير: كيف تركت يوسف؟ قال: إنه ملك مصر، فقال يعقوب: ما أصنع بالملك؟ على أي دين تركته؟ قال: على دين الإسلام، قال: الآن تمت النعمة. [٩٧] ﴿قَالُوا يَتَّبِعَانَا سِتْفِيرٌ لَنَا ذُنُوبًا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾، مذنبين.

[٩٨] ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَفِيرُ لَكُمْ رَبِّي﴾، قال أكثر المفسرين: آخر الدعاء إلى السحر وهو الوقت الذي يقول الله تعالى: (هل من داع فاستجيب له) ^(١) وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما: سوف أستغفر لكم ربي يعني ليلة الجمعة. وعن الشعبي قال: سوف أستغفر لكم ربي، قال: أسأل يوسف إن عفا عنكم أستغفر لكم ربي ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

[٩٩] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ﴾، أي: ضم إليه، ﴿أَبْوِيهِ﴾، قال أكثر المفسرين: هو أبوه وخالته ليا، وكانت أمه راحيل قد ماتت في نفاس بنيامين. وقيل: هو أبوه وأمه وكانت حية ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ فِي الْمَقْدَرِ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾، فإن قيل: فقد قال فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه فكيف قال ادخلوا مصر بعدما أخبر أنهم دخلوها؟ وما وجه هذا الاستثناء وقد حصل الدخول؟ قيل: إن يوسف إنما قال لهم هذا القول حين تلقاهم قبل دخولهم مصر وفي الآية تقديم وتأخير، والاستثناء يرجع إلى الاستغفار وهو من قول يعقوب لبنيه

سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله. وقيل: الاستثناء يرجع إلى الأمن من الجواز لأنهم كانوا لا يدخلون مصر قبله إلا بجواز من ملوكهم، يقول: آمين من الجواز إن شاء الله، كما قال: (لندخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين)، وقيل: (إن) ههنا بمعنى إذ، يريد إذ شاء الله، كقوله تعالى: (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)، أي: إذ كنتم مؤمنين.

[١٠٠] ﴿وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾، أي: على السرير، أجلسهما. والرفع هو النقل إلى العلو. ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾، يعني: يعقوب وخالته وإخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود، ولم يرد

(١) يشير إلى الحديث الصحيح في ذلك أخرجه البخاري في التهجد ٢٩/٣ ومسلم في صلاة المسافرين رقم (٧٥٨) ٥٢١/١.

وَالْأَرْضِ، أَي: خالقهما ﴿أَنْتَ وَلِيٌّ﴾، أَي: مُعِينِي ومتولي أمري، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾، يقول اقضني إليك مسلمًا، ﴿وَالْحَقْنِي بِالصِّلِحِينَ﴾، يريد بآبائي النبيين.

[١٠٢] ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾، أَي: ما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب، ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾، أَي: عزموا على إلقاء يوسف في الجب، ﴿وَهُمْ يَكْذِبُونَ﴾.

[١٠٣] ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾، يا محمد، ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، على إيمانهم. وروي أن اليهود وقریشًا سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، فلما أخبرهم على موافقة التوراة لم يسلموا، فحزن النبي ﷺ لذلك، فقيل له: إنهم لا يؤمنون وإن حرصت على إيمانهم.

[١٠٤] ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾، أَي: على تبليغ الرسالة والدعاء إلى الله تعالى، ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾، جعل وجزاء، ﴿إِنَّ هُوَ﴾، ما هو يعني القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾، عظة وتذكير ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَكَايْنٍ﴾، وكم، ﴿مِنْ عَائِيَةٍ﴾، عبرة ودلالة، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْشُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

[١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾، فكان من إيمانهم إذا سُئِلُوا: من خلق السموات والأرض؟ قالوا: الله، وإذا قيل لهم: من ينزل القطر؟ قالوا: الله، ثم مع ذلك يعبدون الأصنام ويشركون. وعن ابن عباس أنه قال: إنها نزلت في تلبية المشركين من العرب كانوا يقولون في تليبتهم: ليك اللهم ليك ليك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك. وقال عطاء:

هذا في الدعاء وذلك أن الكفار نسوا ربهم في الرخاء، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء، كما قال الله تعالى: (وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا

بالسجود وضع الجباه على الأرض، وإنما هو الانحناء والتواضع. وقيل: وضعوا الجباه على الأرض وكان ذلك على طريق التحية والتعظيم، لا على طريق العبادة. وكان ذلك جائزًا في الأمم السالفة فنسخ في هذه الشريعة. وروي عن ابن عباس أنه قال: معناه خروا لله عز وجل سُجَّدًا بين يدي يوسف. والأول أصح. ﴿وَقَالَ﴾، يوسف عند ذلك، ﴿يَسَّابَتْ هَذَا تَآوِيلُ رَأْيِي مِنْ قَبْلُ فَدَّ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾، وهو قوله: (إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين). ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾، ربي، أَي: أنعم عليّ، ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾، ولم يقل من الجب مع كونه أشد بلاء من السجن استعمالًا للكرم لكيلا يخجل إخوته بعدما قال لهم: (لا تثريب عليكم اليوم)، ولأن نعمة الله عليه في إخراجه من السجن أعظم، لأنه بعد الخروج من الجب صار إلى العبودية والرق، وبعد الخروج من السجن صار إلى الملك، ولأن وقوعه في البئر كان لحسد إخوته وفي السجن كان مكافأة من الله تعالى لزلّة كانت منه. ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾، والبدو بسيط من الأرض يسكنه أهل المواشي بماشيئهم، وكانوا أهل بادية ومواشي، يقال بدا يبدو إذا صار إلى البادية. ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ﴾، أفسد، ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾، بالحسد والبغض، ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾، أَي: ذو لطف، ﴿لَمَّا يَشَاءُ﴾ وقيل: معناه لمن يشاء. وحقيقة اللطيف الذي يوصل الإحسان إلى غيره بالرفق ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، فلما جمع الله تعالى ليوسف شمله على أن نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله تعالى حسن العاقبة فقال:

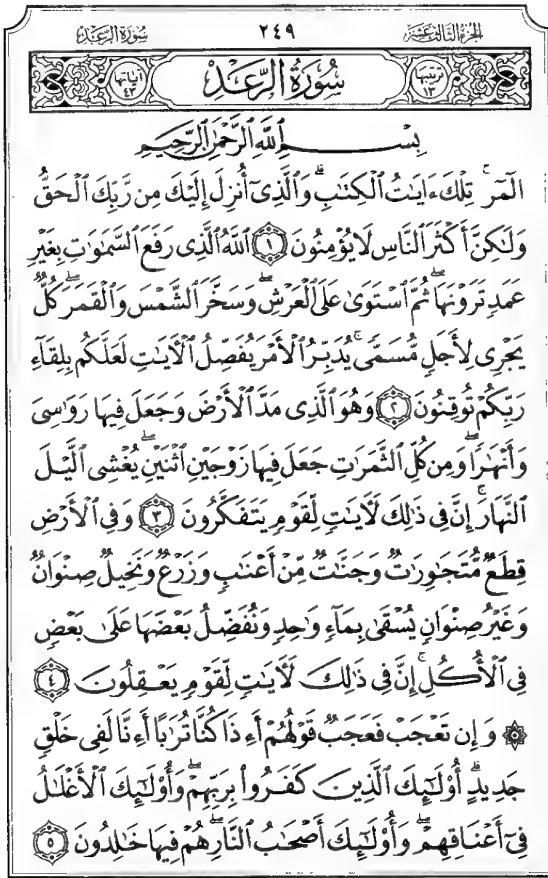
[١٠١] ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾، يعني ملك مصر، والملك: اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير. ﴿وَعَلَّمَنِي مِمَّنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، يعني: تعبير الرؤيا. ﴿فَاطِرُ﴾، أَي: يا فاطر، ﴿السَّمَوَاتِ

وَمَا نَسْتَأْذِنُكَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَيْفَ أَنْزَلْنَاهُ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ بِمُرُورٍ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا
وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ
سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ
اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
إِلَّا رَجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّى
إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَطَنُوا آبَاءَهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ
نَصْرُنَا فَنُجِّى مَنْ نَشَاءُ وَلَا تَرْدُبَا سَاعَتِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ
﴿١١٠﴾ لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عَذْرَ اللَّيْلِ إِذْ أَلَيْنَا مَا كَانَتْ
حَدِيثًا يَفْتَرُونَ وَلَكِنْ تَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَقْصِصُ كُلَّ شَيْءٍ وَهَدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

الله مُخلصين له الدين) الآية، وقوله: (فإذا ركبا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون)، وغير ذلك من الآيات. [١٠٧] ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾، أي: عقوبة مججلة. قال مجاهد: عذاب يغشاهم، نظيره قوله تعالى: (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم) الآية. قال قتادة: وقعة. وقال الضحاك: يعني الصواعق والقوارع. ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾، فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، بقيامها. قال ابن عباس: تهيج بالناس وهم في أسواقهم.

[١٠٨] ﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿هَذِهِ﴾، الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها، ﴿سَبِيلِي﴾، سستي ومنهاجي. وقال مقاتل: ديني، نظيره قوله: (ادع إلى سبيل ربك) أي: إلى دينه. ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾، على يقين. والبصيرة: هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل، ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، أي: ومن آمن بي وصدقني أيضًا يدعو إلى الله. هذا قول الكلبي وابن زيد. قال: حق على من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويدكرون بالقرآن. وقيل: تم الكلام عند قوله: (أدعو إلى الله) ثم استأنف: (على بصيرة أنا ومن اتبعني)، يقول: إني على بصيرة من ربي وكل من اتبعني. قال ابن عباس: يعني أصحاب محمد ﷺ كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية، معدن العلم وكنز الإيمان وجند الرحمن. قال عبدالله بن مسعود: من كان مُسْتَنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثرهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. قوله تعالى: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾، أي: وقل سبحان الله تنزيهاً

له عما أشركوا به. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. [١٠٩] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾، يا محمد، ﴿إِلَّا رَجَالًا﴾، لا ملائكة، ﴿نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾، قرأ أبو جعفر وحفص: (نوحى) بالنون وكسر الحاء، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء. ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾، يعني: من أهل الأمصار دون أهل البوادي لأن أهل الأمصار أعقل من أهل البوادي لغلظتهم وجفائهم. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: هؤلاء المشركين المكذبين، ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ﴾، آخر أمر، ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني: الأمم المكذبة فيعتبروا، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يقول جل ذكره: هذا فعلنا بأهل ولايتنا وطاعتنا أن ننجيهم عند نزول العذاب، وما في الدار الآخرة خير لهم، فترك ما ذكرنا اكتفاء بدلالة الكلام عليه. قوله (ولدار الآخرة)، قيل:



المشركين.

[١١١] ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾، أي: في خبر يوسف وإخوته، ﴿عِبْرَةً﴾ عظة، ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ما كان، يعني: القرآن، ﴿حَدِيثًا يُنْتَفَى﴾، أي: يُخْتَلَقُ، ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي﴾، أي: ولكن كان تصديق الذي، ﴿يَتَذَكَّرُ﴾، من التوراة والإنجيل، ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، مما يحتاج العباد إليه من الحلال والحرام والأمر والنهي، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾، بياناً ونعمة، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

(١٣) سُورَةُ الرَّعْدِ

[١] ﴿الرَّعْدَ﴾ قال ابن عباس: معناه أنا الله أعلم وأرى، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾، يعني: تلك الأخبار التي قصصتها عليك آيات التوراة والإنجيل والكتب

معناه ولددار الحال الآخرة خيرٌ. وقيل: هو إضافة الشيء إلى نفسه، كقوله: (إن هذا لهو حق اليقين)، وكقولهم: يوم الخميس وربيع الآخر ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، فتؤمنون.

[١١٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا حِكَاةً هُمْ فُتْرْنَا﴾، اختلف القراء في قوله: (كذبوا) فقرأ أهل الكوفة وأبو جعفر: (كذبوا) بالتخفيف، وكانت عائشة تنكر هذه القراءة. وقرأ الآخرون بالتشديد، فمن شدده قال: معناه حتى إذا استيسر الرسل من إيمان قومهم وظنوا أي أيقنوا - يعني الرسل - أن الأمم قد كذبوهم تكذيباً لا يرجى بعد إيمانهم، والظن بمعنى اليقين. وهذا معنى قول قتادة. وقال بعضهم: معناه حتى إذا استيسر الرسل ممن كذبهم من قومه أن يصدقوهم، وظنوا أن من آمن بهم من قومهم قد كذبوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء عليهم استبطاء النصر. ومن قرأ بالتخفيف قال: معناه حتى إذا استيسر الرسل من إيمان قومهم وظنوا أي: ظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم في وعيد العقاب. وروي عن ابن عباس. أن معناه ضعف قلوبهم. يعني: وظنت الرسل أنهم قد كذبوا فيما وعدوا من النصر، وكانوا بشرّاً فضعفوا ويثسوا وظنوا أنهم قد أخلفوا، ثم تلا: (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) (جاءهم) أي: جاء الرسل نصرنا. ﴿فَتَنَبَّيْ مِنْ نَشَاءٍ﴾، قرأ العامة بنونين، أي: نحن ننجي من نشاء. وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم وفتح الياء على ما لم يسم فاعله، لأنها مكتوبة في المصحف بنون واحدة مضمومة، فيكون محل (من) رفعاً على هذه القراءة، وعلى القراءة الأولى يكون نصباً، فَنَجَّيْ من نشاء عند نزول العذاب، وهم المؤمنون المطيعون. ﴿وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا﴾، عذابنا، ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾، أي:

فيستدلون، والتفكر تصرف القلب في طلب معاني الأشياء.

[٤] ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَاتٌ﴾، مقاربات يقرب بعضها من بعض وهي مختلفة هذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت، وهذه قليلة الربيع وهذه كثيرة الربيع، ﴿وَجَنَّاتٌ﴾، أي: بساتين، ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ وَرُزْءٌ وَخَيْلٌ صَيَّوْنٌ﴾ الصنوان جمع صنو وهو النخلات يجمعهن أصل واحد، ﴿وَعَيْرٌ صَيَّوْنٌ﴾، هي النخلة المنفردة بأصلها. وقال أهل التفسير: صنوان مجتمع وغير صنوان متفرق نظيره من الكلام قنوان جمع قنو ﴿يُسْقَىٰ يَمَاءٌ وَاحِدٌ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب ﴿يسقى﴾ بالياء أي يسقى ذلك كله بماء واحد وقرأ الآخرون بالناء لقوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٌ﴾ ولقوله تعالى من بعد ﴿وَنُفُضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، ولم يقل بعضه، والماء جسم رقيق مانع به حياة كل نام، ﴿وَنُفُضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾، في الثمر والطعم، قرأ حمزة والكسائي ﴿ويفضل﴾ بالياء، لقوله تعالى: (يُدبر الأمر يُفَضِّلُ الْآيَاتِ). وقرأ الآخرون بالنون على معنى: ونحن نفضل بعضها على بعض في الأكل، وجاء في الحديث: «ونفضل بعضها على بعض في الأكل». قال الفارسي: كجيد التمر والدقل والحلو والحامض. قال مجاهد: كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد. قال الحسن: هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني آدم، كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن عز وجل فسطحها فصارت قطعاً متجاورةً فينزل عليها المطر من السماء فتخرج هذه زهرتها وشجرها وثمرها ونباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها، وكل يُسقى بماء واحد، كذلك الناس خلقوا من آدم عليه السلام فينزل من السماء تذكرة فترق قلوب فتحشع، وتقسو قلوب فتلهو، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذي ذكرت ﴿لَايَتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

المتقدمة، ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾، يعني: وهذا القرآن الذي أنزل إليك ﴿مِّن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾، أي: هو الحق فاعتصم به، فيكون محل الذي رفعا على الابتداء والحق خبره، وقيل: محله خفض يعني تلك آيات الكتاب وآيات الذي أنزل إليك، ثم ابتداء الحق يعني ذلك الحق، وقال ابن عباس: أراد بالكتاب القرآن، ومعناه هذه آيات الكتاب يعني القرآن، ثم قال: وهذا القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قال مقاتل: نزلت في مشركي مكة حين قالوا: إن محمداً يقوله من تلقاء نفسه، فرد قولهم ثم بين دلائل ربوبيته، فقال عز من قائل.

[٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾، يعني: السواري واحدها عمود مثل أديم وأدم وعمد أيضاً جمعه مثل رسول ورسل، معناه نفى العمد أصلاً وهو الأصح يعني ليس من دونها دعامة تدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْغَرِيِّ﴾، علا عليه، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾، ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران، ﴿كُلٌّ يَجْرِي﴾، أي: يجريان على ما يريد الله عز وجل، ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي: إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا. وقال ابن عباس: أراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما ينتهيان إليها ولا يجاوزانهما، ﴿يُذَيَّرُ الْأَمْرُ﴾، يقضيه وحده، ﴿يُفَضِّلُ الْأَيَّتِ﴾، يبين الدلالات، ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُؤْتُونَ﴾، لكي توقنوا بوعده وتصدقوه.

[٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾، بسطها، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾، جبالات ثابتة، واحدها: راسية ﴿وَأَنْهَاراً﴾، أي: وجعل فيها أنهاراً. ﴿وَمِن كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾، أي: صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلوا وحامضاً، ﴿يُعْثَىٰ آلِيلٌ لِّلنَّهَارِ﴾، أي: يلبس النهار بظلمة الليل ويلبس الليل بضوء النهار، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾،

يدعوهم إلى الحق أو إلى الضلالة. وقال عكرمة: الهادي محمد ﷺ يقول إنما أنت منذر وأنت هاد لكل قوم أي داع، وقال سعيد بن جبير: الهادي هو الله تعالى.

[٨] قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾، من ذكر أو أنثى سوي الخلق أو ناقص الخلق واحداً أو اثنين أو أكثر ﴿وَمَا يَفِيضُ الْأَرْحَامُ﴾، أي: ما تنقص ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾، قال أهل التفسير: غيض الأرحام الحيض على الحمل، فإذا حاضت الحامل كان نقصاناً في الولد، لأن دم الحيض غذاء الولد في الرحم فإذا أهرقت الدم ينقص الغذاء فيتنقص الولد، وإذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقه الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم. وقيل: إذا حاضت ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهراً فإن رأت خمسة أيام دماً وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام فالنقصان في الغذاء والزيادة في المدة. وقال الحسن: غيضا نقصانها من تسعة أشهر والزيادة زيادتها على تسعة أشهر. وقيل: النقصان السقط، والزيادة تمام الخلق، وأقل مدة الحمل ستة أشهر، فقد يولد المولود لهذه المدة ويعيش ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾، أي: بتقدير وحد لا يجاوزه ولا يقصر عنه.

[٩] ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ﴾، الذي كل شيء دونه ﴿الْمُتَعَالَى﴾ على كل شيء.

[١٠] قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾، أي: يستوي في علم الله المسر بالقول والجاهر به، ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ بِالنُّيْلِ﴾، أي: مستتر بظلمة الليل، ﴿وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ﴾، أي: ذاهب في سر به ظاهر، والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق، قال القتيبي: سارب بالنهار أي متصرف في حوائجه، قال ابن عباس: هو

[٥] ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾، العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة والخطاب لرسول الله ﷺ، ومعناه إنك إن تعجب من إنكارهم النشأة الآخرة مع إقرارهم بابتداء الخلق فعجب أمرهم، وكان المشركون ينكرون البعث مع إقرارهم بابتداء الخلق من الله تعالى، وقد تقرر في القلوب أن الإعادة أهون من الابتداء، فهذا موضع العجب، وقيل: معناه وإن تعجب من تكذيب المشركين واتخاذهم ما لا يضر ولا ينفع آلهة يعبدونها وهم قد رأوا من قدرة الله تعالى ما ضرب لهم به الأمثال فعجب قولهم، أي: فتعجب أيضاً من قولهم، ﴿أَءَذَا كُنَّا تُرَابًا﴾، بعد الموت، ﴿أَءَنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، أي: نعاد خلقاً جديداً كما كنا قبل الموت قال الله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ أَلْعَلُّوا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٦] قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَتْلِ الْحَسَنَةِ﴾، الاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته والسيئة ههنا هي العقوبة والحسنة العافية، وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلاً من العافية استهزاء منهم يقولون: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتْ﴾، أي: مضت من قبلهم في الأمم التي عصت ربها وكذبت رسلها العقوبات، والمثلات جمع المثلة بفتح الميم وضم الثاء مثل صدقة وصدقات. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقْفَرٍ لِّنَّاسٍ عَلَى ظُهُومِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾، أي: على محمد ﷺ ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾، أي: علامة وحجة على نبوته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾، مخوف، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، أي: لكل قوم نبي يدعوهم إلى الله تعالى، وقال الكلبي: داع

سورة الرعد

٢٥٠

سورة الرعد

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ
 قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا
 أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ
 ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ
 وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلَيْهِ الْغَيْبُ
 وَالشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مَنُكُم مِّنْ أَسَرَّ
 الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ
 بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ
 مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرَ أَمَّا أَنْفُسَهُمْ
 وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ
 آلٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَكُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا
 وَيُنَشِّئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ
 وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
 مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾

ما إذا مطروا قحطوا وإذا لم يمتطروا أخصبوا.
 ﴿وَيُنَشِّئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾، بالمطر. يقال: أنشأ الله
 السحابة فشأت أي أبداها فبدت، والسحب جمع
 واحدتها سحابة.

[١٣] ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾، قال ابن
 عباس: من سمع صوت الرعد فقال: سبحان الذي
 يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على
 كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلى ديتة، وعن
 عبدالله بن الزبير: أنه كان إذا سمع صوت الرعد
 ترك الحديث وقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده
 والملائكة من خيفته ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾، أي:
 تسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وخشيته
 ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾، جمع صاعقة وهي العذاب
 المهلك ينزل من البرق فيحرق من يصيبه، ﴿فَيُصِيبُ
 بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ﴾، يخاصمون، ﴿فِي

صاحب ريبة مستخف بالليل فإذا خرج بالنهار أرى
 الناس أنه بريء من الإثم، وقيل: مستخف بالليل
 أي ظاهر من قولهم خفيت الشيء إذا أظهرته
 وأخفيته إذا كتمته، وسارب بالنهار أي: متوار
 داخل في سرب.

[١١] ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾، أي: الله تعالى ملائكة
 يتعاقبون فيكم بالليل والنهار سعدت ملائكة الليل
 جاء في عقبها ملائكة النهار وإذا سعدت ملائكة
 النهار جاء في عقبها ملائكة الليل، والتعقيب:
 العود بعد البدء وإنما ذكر بلفظ التأنيث لأن واحدها
 معقب، وجمعه معقبة، ثم جمع الجمع معقبات
 كما قيل أبناوات سعد ورجالات بكر ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
 وَمِنْ خَلْفِهِ﴾، يعني: من قدام هذا المستخفي بالليل
 والسارب بالنهار، ومن خلفه من وراء ظهره،
 ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، يعني: بأمر الله، أي:
 يحفظونه بإذن الله ما لم يجيء القدر، فإذا جاء
 القدر خلوا عنه. وقيل: يحفظونه من أمر الله أي
 مما أمر الله به من الحفظ عنه. قال مجاهد: ما من
 عبد إلا وله ملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته
 من الجن والإنس والهوام، فما منهم شيء يأتيه
 يريد إلا قال وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه
 ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾، من العافية والنعمة،
 ﴿حَتَّى يُغَيِّرَ أَمَّا أَنْفُسَهُمْ﴾، من الحال الجميلة فيعصوا
 ربهم، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾، أي: عذابًا
 وهلاكًا ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُمْ﴾ أي: لا راد له، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ
 دُونِهِ مِنْ آلٍ﴾، أي: ملجأ يلجؤون إليه، وقيل:
 وال يلي أمرهم ويمنع العذاب عنهم.

[١٢] قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَكُمْ خَوْفًا
 وَطَمَعًا﴾، قيل: خوفًا من الصاعقة طمعًا في نفع
 المطر، وقيل: الخوف للمسافر يخاف منه الأذى
 أو المشقة والطمع للمقيم يرجو منه البركة
 والمنفعة، وقيل: الخوف من المطر في غير مكانه
 وأبانه والطمع إذا كان في مكانه وأبانه ومن البلدان

اللَّهُ، نزلت في شأن أربد بن ربيعة حيث قال للنبي ﷺ: مِمَّ رِبِكْ أَمِنْ دُرٍّ أَمْ مِنْ يَاقُوتٍ أَمْ مِنْ ذَهَبٍ؟ فنزلت صاعقة من الماء فأحرقتة وهو شديد الحال، قال علي رضي الله عنه: شديد الأخذ. وقال ابن عباس: شديد الحول، وقال مجاهد: شديد القوة. وقال أبو عبيدة: شديد العقوبة. وقيل: شديد المكر. والمحال والمماحلة المماكرة والمغالبة.

[١٤] ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾، أي: لله دعوة الصدق. قال علي رضي الله عنه: دعوة الحق التوحيد. وقال ابن عباس: شهادة أن لا إله إلا الله. وقيل: الدعاء بالإخلاص والدعاء الخالص لا يكون إلا لله عز وجل. ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾، أي: يعبدون الأصنام من دون الله تعالى. ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْئًا﴾، أي: لا يجيبونهم بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرر. ﴿إِلَّا كَبَسِطَ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَهُ وَمَا هُوَ بِيَبْلُغُهُ﴾، أي: إلا كباسط كفيه ليقبض على الماء والقابض على الماء لا يكون في يده شيء ولا يبلغ إلى فيه منه شيء، كذلك الذين يدعون الأصنام وهي لا تضر ولا تنفع لا يكون بيده شيء. وقيل: معناه كالرجل العطشان الجالس على شفير البئر يمد يده إلى البئر فلا يبلغ قعر البئر إلى الماء ولا يرتفع إليه الماء فلا ينفعه بسط الكف إلى الماء ودعاؤه له، ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الأصنام لا ينفعهم نداؤها ودعاؤها، وهي لا تقدر على شيء، وعن ابن عباس: كالعطشان إذا بسط كفيه إلى الماء لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما الماء ولا يبلغ الماء فاه ما دام باسطاً كفيه، مثل ضربه الله لخبية الكفار. ﴿وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ﴾، أصنامهم، ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، يضل عنهم إذا احتاجوا إليه كما قال: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَاءٌ كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَاءٌ كَانُوا يَدْعُونَ﴾ وقال الضحاك عن ابن عباس: وما دعاء الكافرين ربهم إلا في ضلال لأن أصواتهم محجوبة

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْئًا إِلَّا كَبَسِطَ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَهُ وَمَا هُوَ بِيَبْلُغُهُ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ قُلْ أَفَاتُخَذُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ خَلْقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَلْبَلٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ هُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾

عن الله تعالى:

[١٥] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾، يعني: الملائكة والمؤمنين، ﴿وَكَرْهًا﴾، يعني: المنافقين والكافرين الذين أكرهوا على السجود بالسيف. ﴿وَظِلَالُهُمْ﴾، يعني: ظلال الساجدين طوعاً وكرهاً تسجد لله عز وجل طوعاً. قال مجاهد: ظل المؤمن يسجد طوعاً وهو طائع، وظل الكافر يسجد طوعاً وهو كاره. ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾، يعني إذا سجد بالغدو والعشي يسجد معه ظله، والآصال: جمع الأصل والأصل جمع الأصيل وهو ما بين العصر إلى غروب الشمس. وقيل: ظلالهم أي: أشخاصهم بالغدو والآصال بالبر والعشايا. وقيل: سجد الظل تذليله لما أريد له. [١٦] قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: خالفهما ومدبرهما فيقولون الله، إنهم يقرون

مخاطبة ههنا، قرأ الآخرون بالتاء ﴿ومما توقدون﴾، أي: ومن الذي توقدون عليه النار، والإيقاد جعل النار تحت الشيء ليزوب، ﴿آبِغَاءَ حَلِيٍّ﴾، أي: لطلب زينة، وأراد الذهب والفضة لأن الحلية تطلب منهما، ﴿أَوْ مَنَعَ﴾ أي: طلب متاع وهو ما ينتفع به، وذلك مثل الحديد والنحاس والرصاص، والصفر تذاب فيتخذ منها الأواني وغيرها مما ينتفع بها، ﴿زَيْدٌ مِثْلُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾، أي: إذا أذيب فله أيضًا زيد مثل زيد الماء، فالباقي الصافي من هذه الجواهر مثل الحق، والزيد الذي لا ينتفع به مثل الباطل، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾، الذي علا السيل ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ أي: ضائعًا باطلاً، والجفاء ما رمى به الوادي من الزبد والقدر إلى جنباته، يقال: جفا الوادي وأجفأ إذا ألقى غثاءه، وأجفأت القدر وجفأت إذا غلت وألقت زبدها، فإذا سكنت لم يبق فيها شيء معناه: إن الباطل وإن علا في وقت فإنه يضمحل. وقيل: جُفَاءً أي: متفرقًا. يقال: جفأت الريح الغيم إذا فرقته وذهبت به، ﴿وَأَمَّا مَا يَبْتَغِ النَّاسُ﴾، يعني: الماء والذهب والفضة والصفر والنحاس، ﴿فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: يبقى ولا يذهب، ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾، جعل الله هذا مثالا للحق والباطل، يعني: أن الباطل كالزبد يذهب ويضيع والحق كالماء يبقى في القلوب. وقيل: هذا تسلية للمؤمنين، يعني: أن أمر المشركين كالزبد يرى في الصورة شيئًا وليس له حقيقة، وأمر المؤمنين كالماء المستقر في مكانه له البقاء والثبات.

[١٨] قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾، أجابوا، ﴿لِرَبِّهِمْ﴾، فأطاعوه، ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلُ مَعَهُ لَأَفْتَدَوْا بِهِ﴾، أي: لبذلوا ذلك يوم القيامة افتداءً من النار، ﴿أَوَّلَئِكَ هُمُ سُوءُ الْحِسَابِ﴾. قال إبراهيم النخعي: سوء الحساب أن يحاسب الرجل

بأن الله خالقهم وخالق السموات والأرض إذا أجابوك، فقل أنت أيضًا يا محمد: الله. وروى أنه لما قال هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا: أجب أنت، فأمره الله عز وجل فقال: ﴿قُلْ﴾، أنت يا محمد، ﴿اللَّهُ﴾، ثم قال الله لهم إزاما للحجة: ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، معناه: إنكم مع إقراركم بأن الله خالق السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء فعبدتموها من دون الله، يعني: الأصنام، وهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَشْفِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾، فكيف يملكون لكم؟ ثم ضرب لهم مثلا فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾، كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن، ﴿أَمْ هَلْ سَتَوَى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾، أي: كما لا يستوي الظلمات والنور لا يستوي الكفر والإيمان. ﴿أَمْ حَلَّلُوا﴾، أي: جعلوا، ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾، أي: اشتبه ما خلقوه بما خلقه الله تعالى فلا يدرون ما خلق الله وما خلق آلهتهم ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

ثم ضرب الله تعالى مثلين للحق والباطل.

[١٧] فقال عز وجل: ﴿أَنْزَلَ﴾ يعني الله عز وجل، ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، يعني المطر، ﴿فَسَالَتِ﴾، من ذلك الماء ﴿أَوْدِيَةٌ يَقْدَرُهَا﴾، أي: في الصغر والكبر، ﴿فَاتَّخَذَ السَّيْلُ﴾، الذي حدث من ذلك الماء، ﴿زَبَدًا رَابِيًا﴾، الزبد الخبث الذي يظهر على وجه الماء رابيا أي عاليًا مرتفعًا فوق الماء الصافي الباقي هو الحق. والذاهب الزائل الذي يتعلق بالأشجار وجوانب الأودية هو الباطل. وقيل: قوله أنزل من السماء ماء هذا مثل للقرآن والأودية مثل للقلوب يريد ينزل القرآن، فتحتمل منه القلوب على قدر اليقين والعقل والشك والجهل، فهذا أحد المثلين والمثل الآخر قوله عز وجل: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿يُوقِدُونَ﴾ بالياء لقوله تعالى: ﴿مَا يَبْتَغِ النَّاسُ﴾، ولا

سُورَةُ الرَّعْدِ

٢٥٢

الْمِائَةِ

﴿١٩﴾ أَفَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَذْكُرُ
أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَتَّقُونَ اللَّهَ لِيَلْبِثُوا
وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَمْ يُغَيِّرْ اللَّهُ دِينَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ دِينُ
وَمِنْ صَلَاحٍ مِنْ آبَائِهِمْ وَزُكْرِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٢﴾ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ
﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ
وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ الدَّارُ ﴿٢٤﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٥﴾ يَقُولُ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَرَادَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ
قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

بذنبه كله لا يغفر له منه شيء، ﴿وَمَا أُولَهُمْ﴾ في
الآخرة ﴿جَهَنَّمَ وَيُسَّرُّ إِلَيْهَا﴾، الفراش، أي:
بئس ما مهد لهم.

[١٩] قوله تعالى: ﴿أَفَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
الْحَقُّ﴾، فيؤمن به ويعمل بما فيه، ﴿كَمْ هُوَ أَعْمَى﴾،
عنه لا يعلمه ولا يعمل به، قيل: نزلت في حمزة
وأبي جهل. وقيل: في عمار وأبي جهل، فالأول
حمزة أو عمار والثاني أبو جهل، وهو الأعمى،
أي: لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا
يبصره ولا يتبعه. ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ﴾ يتعظ، ﴿أُولَئِكَ
الْأَلْبَابُ﴾. ذوو العقول.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾، بما أمرهم الله
تعالى به وفرضه عليهم فلا يخالفونه. ﴿وَلَا يَتَّقُونَ
الْيَتَّقُونَ﴾، وقيل: أراد العهد الذي أخذه على ذرية
آدم عليه السلام حين أخرجهم من صلبه.

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾،
قيل: أراد به الإيمان بجميع الكتب والرسول ولا
يفرقون بينهما، والأكثرون على أنه أراد به صلة
الرحم ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾.

[٢٢] ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾، على طاعة الله، وقال ابن
عباس: على أمر الله عز وجل، وقال عطاء: على
المصائب والنوائب. وقيل: عن الشهوات. وقيل:
عن المعاصي. ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾، طلب تعظيمه
أن يخالفوه، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً﴾، يعني يؤدون الزكاة، ﴿وَيَدْرُءُونَ
السَّيِّئَةَ﴾، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه
قال: يدفعون بالصالح من العمل السيئ من
العمل، وهو معنى قوله: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ
السَّيِّئَاتِ)، وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ
قال: «إِذَا عَمَلْتَ سَيِّئَةً فَاعْمَلْ بِجَنبِهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا،
السُّرُّ بِالسُّرِّ وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ»^(١) وقال ابن كيسان:
معنى الآية يدفعون الذنب بالتوبة. وقيل: لا
يكافئون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير.

وقال القتيبي: معناه إذا سفه عليهم حلموا،
فالسفه: السيئة، والحلم: الحسنه. وقال قتادة:
ردوا عليهم معروفاً نظيره قوله تعالى: (وإذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)، وقال الحسن:
إذا حُرِّمُوا أعطوا وإذا ظَلِمُوا عَفُوا وإذا قُطِعُوا
وصلوا ﴿وَأُولَئِكَ لَمْ يُغَيِّرْ اللَّهُ دِينَهُمْ﴾، يعني الجنة، أي:
عاقبتهم دار الثواب. ثم بين ذلك فقال:

[٢٣] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾، بساتين إقامة، ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمِنْ
صَلَاحٍ مِنْ آبَائِهِمْ وَزُكْرِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ
مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾، قيل: من أبواب الجنة. وقيل: من

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٦٩/٥ بلفظ: «إِذَا عَمَلْتَ
سَيِّئَةً فَاتَّبَعَهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا» وأشار الحافظ السيوطي في
جامعه الصغير إلى تصحيح هذه الرواية، وذكر أخرى بلفظ:
«إِذَا عَمَلْتَ سَيِّئَةً فَاحْدِثْ عَنْهَا تَوْبَةً: السُّرُّ بِالسُّرِّ، وَالْعَلَانِيَةُ
بِالْعَلَانِيَةِ» رواها الإمام أحمد عن عطاء مرسلًا.

تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلَّ قلوبُهم)، فكيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة؟ قيل: الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب، فالقلوب توجل إذا ذكرت وعيد الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وكرمه.

[٢٩] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، ابتداءً، وقوله: ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ خبره، واختلفوا في تفسير ﴿طُوبَى﴾ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: فرَّحَ لهم وفرَّة عين. وقال عكرمة: نِعَمَ مالهم. وقال قتادة: حسنى لهم. وقال معمر، عن قتادة: هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أي أصبت خيراً. وقال إبراهيم: خير لهم وكرامة. قال الفراء: أصله من الطيب والواو فيه لضممة الطاء وفيه لغتان، تقول العرب: طوباك وطوبى لك أي لهم الطيب. ﴿وَحَسُنَ مَا ابْتِغَى وَطَى﴾ حسن المنقلب. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: طوبى اسم الجنة بالحشية. وقال الربيع: هو البستان بلغة الهند. وروي عن أبي أمامة وأبي هريرة وأبي الدرداء قال: طوبى شجرة في الجنة تظل الجنان كلها^(١).

[٣٠] قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ أَمَمٍ أَلَمَ، قَدْ خَلَتْ، مَضَتْ، مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبَسُوا، لَتَقْرَأُ، عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾، قال قتادة ومقاتل وابن جريج: الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية، وذلك أن سهيل بن عمرو لما جاء إلى النبي ﷺ واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله ﷺ لعلي: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، قالوا: لا نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة، يعنون مسيلمة

(١) انظر صحيح البخاري (٦٥٥٢، ٦٥٥٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٢٦-٢٨٢٨) كتاب صفة الجنة.

أبواب القصور. [٢٤] ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾، أي: يقولون سلام عليكم. وقيل: يقولون سلمكم الله من الآفات التي تخافون منها. قال مقاتل: يدخلون عليهم في مقدار يوم وليلة من أيام الدنيا ثلاث كرات معهم الهدايا والتحف من الله عز وجل، يقولون سلام عليكم ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

[٢٥] ﴿وَالَّذِينَ يَقْسُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾، هذا في الكفار. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾، أي: يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض. وقيل: يقطعون الرحم، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: يعملون بالمعاصي، ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾، يعني: النار، وقيل: سوء المنقلب لأن منقلب الناس دورهم.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، أي: يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء، ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعني: مشركي مكة أشروا وبطروا، والفرح لذة في القلب بنيل المستهى، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ أي: قليل ذاهب. قال الكلبي: كمثل القصعة والقدح والقدر ينتفع بها ثم تذهب.

[٢٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من أهل مكة ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ أي: يهدي إليه من يشاء بالإجابة. وقيل: يرشد إلى دينه من يرجع إليه بقلبه.

[٢٨] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، في محل نصب بدل من قوله: ﴿مَنْ أُنَابَ﴾، ﴿وَتَطْمِئِنُّ﴾، تسكن، ﴿قُلُوبُهُمْ يَذْكُرُ اللَّهُ﴾، قال مقاتل: بالقرآن، والسكون يكون باليقين، والاضطراب يكون بالشك، ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين، قال ابن عباس: هذا في الحلف، يقول: إذا حلف المسلم بالله على شيء تسكن قلوب المؤمنين إليه، فإن قيل: أليس قد قال الله

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنَ
مَثَابٍ ﴿٣١﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ
لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ
قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿٣٢﴾
وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوَكَلَّمُ
بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ لَّوِيشَاءَ اللَّهِ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ
وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَأَ رُسُلُ
مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٤﴾ أَفَنُحْيِي الْقَوْمَ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا
لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ
يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ
السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٥﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٦﴾

لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا
صَنَعُوا، من كفرهم وأعمالهم الخبيثة ﴿قَارِعَةٌ﴾
أي: نازلة ودامية تفرعهم من أنواع البلاء أحياناً
بالجذب وأحياناً بالسلب وأحياناً بالقتل والأسر
﴿أَوْ تَحُلُّ﴾، يعني: القارعة، ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾،
وقيل: أو تحل أي تنزل أنت يا محمد بنفسك قريباً
من ديارهم، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾، قيل: يوم
القيامة. وقيل: الفتح والنصر وظهور رسول الله ﷺ
ودينه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾، وكان الكفار
يسألون هذه الأشياء على سبيل الاستهزاء فأنزل الله
تسلياً لنبيه ﷺ:

﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَأَ رُسُلُ مِّن قَبْلِكَ، كما
استهزؤوا بك، ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أمهلتهم
وأطلت لهم المدة، ومنه الملوان وهما الليل
والنهار، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ عاقبتهم في الدنيا بالقتل

الكذاب، اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم،
فهذا معنى قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾،
والمعروف أن الآية مكية وسبب نزولها: أن أبا
جهل سمع النبي ﷺ وهو في الحجر يدعو: يا الله
يا رحمن، فرجع إلى المشركين فقال: إن محمداً
يدعو إلهين يدعو الله ويدعو إلهاً آخر يسمى
الرحمن، ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة
فتزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى: (قل ادعوا الله
أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء
الحسنى)، وروى الضحاك عن ابن عباس: أنها
نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ:
اسجدوا للرحمن، قالوا: وما الرحمن؟ قال الله
تعالى: ﴿قُلْ﴾، لهم يا محمد إن الرحمن الذي
أنكرتم معرفته، ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ﴾ اعتمدت ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابٍ﴾، أي: توبتي
ومرجعي.

[٣١] قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾
فأذهبت عن وجه الأرض، ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾،
أي: شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً ﴿أَوْ كَلَّمُ بِهِ
الْمَوْتَى﴾ ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾، أي: في هذه
الأشياء إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيسِ
الَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال أكثر المفسرين: معناه أفلم
يعلم. قال الكلبي: هي لغة النخع. وقيل: هي لغة
هوازن، يدل عليه قراءة ابن عباس: (أفلم يتبين
الذين آمنوا)، وأنكر القراء أن يكون ذلك بمعنى
العلم وزعم أنه لم يسمع أحداً من العرب يقول:
يشت بمعنى علمت، ولكن معنى العلم فيه مضمر،
وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ لما سمعوا هذا
من المشركين طمعوا في أن يفعل الله ما سألوها
فيؤمنوا فتزل: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني:
الصحابه رضي الله عنهم أجمعين من إيمان هؤلاء
أي لم يياسوا علماً وكل من علم شيئاً يشس من
خلافه، يقول: ألم ييشسهم العلم، ﴿أَنْ لَّوِِيشَاءَ اللَّهِ

وفي الآخرة بالنار، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾، أي: عقابي لهم.

[٣٣] ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾، أي: حافظها ورازقها وعالم بها ومجازيها بما عملت، وجوابه محذوف تقديره: كمن ليس بقائم بل عاجز عن نفسه، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ﴾ بينوا أسماءهم. وقيل صفوهم ثم انظروا هل هي أهل لأن تعبد؟ ﴿أَمْ تَتَّبِعُونَ﴾ أي: تخبرون الله ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾، فإنه لا يعلم لنفسه شريكاً ولا في الأرض إلهاً غيره، ﴿أَمْ يَبْظُهُرُ﴾ يعني: أم تتعلقون بظاهر، ﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾، مسموع وهو في الحقيقة باطل لا أصل له. وقيل: بزائل من القول ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ كيدهم. وقال مجاهد: شركهم وكذبهم على الله، ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾، أي: صرفوا عن الدين ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾، بخذلانه إياه، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٤] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، بالقتل والأسر، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾، أشد ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾، مانع يمنعهم من العذاب.

[٣٥] قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: صفة الجنة، كقوله تعالى: (ولله المثل الأعلى) أي: الصفة العليا، ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، أي: صفة الجنة التي وعد المتقون أن الأنهار تجري من تحتها. وقيل: مثل صلة مجازها الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار. ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ أي: لا ينقطع ثمرها ونعيمها، ﴿وُظُلُهَا﴾ أي: ظلها ظليل لا يزول وهو رد على الجهمية حيث قالوا إن نعيم الجنة يفنى. ﴿بِذَلِكَ عُقِبَ﴾ أي: عاقبة ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يعني: الجنة، ﴿وَعُقِبَ الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: القرآن وهم أصحاب محمد ﷺ ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن، ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ يعني:

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقِبَ الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابُ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أُنزِلَتْ حُكُمًا عَرَبِيًّا وَلِيُنَبِّئَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ مَا نَرَيْتَكَ بِبَعْضِ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَقَّيْتَهُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعٌ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلَهُمُ الْكَفْرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾

الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ وهم اليهود والنصارى، ﴿مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾، هذا قول مجاهد وقادة. وقال الآخرون: كان ذكر الرحمن قليلاً في القرآن في الابتداء فلما أسلم عبدالله بن سلام وأصحابه ساءهم قلة ذكره في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة، فلما كرر الله ذكره في القرآن فرحوا به فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾، يعني: مشركي مكة حين كتب رسول الله ﷺ في كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم، قالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، فأنزل الله عز وجل (وهم يذكرون) والرحمن هم كفارون، (وهم يكفرون بالرحمن)، وإنما قال: ﴿بَعْضَهُ﴾ لأنهم كانوا لا ينكرون ذكر الله وينكرون ذكر الرحمن. ﴿قُلْ﴾، يا محمد،

﴿إِنَّمَا أُنْزِلَتْ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ، أي: مرجعي.

[٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾، يقول: كما أنزلنا إليك الكتاب يا محمد فأنكره الأحزاب كذلك أنزلنا إليك الحكم والدين عربياً، نسب إلى العرب لأنه نزل بلغتهم فكذب به الأحزاب. وقيل: نظم الآية كما أنزل الكتب على الرسل بلغاتهم فكذلك أنزلنا عليك الكتاب حكماً عربياً. ﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ﴾، في الملة. وقيل: في القبله، ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَعْدِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾، يعني: من ناصر ولا حافظ.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾، رُوي أن اليهود، وقيل: إن المشركين قالوا: إن هذا الرجل ليست له همة إلا في النساء فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾، وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، يقول: لكل أمر قضاه الله كتاب قد كتبه فيه. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره أي: لكل كتاب أجل ومدة أي: الكتب المنزلة لكل واحد منها وقت ينزل فيه.

[٣٩] ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمر وعاصم ويعقوب ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد. واختلفوا في معنى الآية فقال سعيد بن جبيرة وقتادة: يمحوا الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه. وقال ابن عباس: يمحوا الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والأجل والسعادة والشقاوة وقيل: معنى الآية إن الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحوا الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، مثل قوله: أكلت، شربت، دخلت، خرجت، ونحوها من كلام هو صادق فيه، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب، هذا قول

الضحاك والكلبي. وقال الكلبي: يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب، وقال عطية عن ابن عباس: هو الرجل يعمل بطاعة الله عز وجل ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحوا، والذي يثبت الرجل يعمل بطاعة الله فيموت وهو في طاعة الله عز وجل فهو الذي يثبت. وقال الحسن: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ أي من جاء أجله يذهب به ويثبت من لم يجيء أجله إلى يوم أجله. وعن سعيد ابن جبيرة قال: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من ذنوب العباد فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها. وقال عكرمة: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات، كما قال الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدَلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾. وقال السدي: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ يعني القمر ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ يعني الشمس بيانه قوله تعالى: (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) وقال الربيع: هذا في الأرواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته محاه فأمسكه ومن أراد بقاءه أثبته ورده إلى صاحبه، بيانه قوله عز وجل: (الله يتوفى الأنفس حين موتها) الآية. ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، أي: أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير. وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: هما كتابان: كتاب سوى أم الكتاب يمحوا منه ما يشاء ويثبت، وأم الكتاب الذي لا يغير منه شيء. وعن عطاء عن ابن عباس قال: إن لله تعالى لوحاً محفوظاً مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من ياقوت لله في كل يوم فيه ثلاثمائة وستون لحظة ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. وسأل ابن عباس كعباً عن أم الكتاب فقال: علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون.

[٤٠] ﴿وَمَنْ يُرْسِدْ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾، من العذاب قبل وفاته، ﴿أَوْ تَوَسَّنَا﴾، قبل ذلك، ﴿فَإِنَّمَا

عَلَيْكَ الْبَلْعُ ﴿٤١﴾، ليس عليك إلا ذلك، ﴿وَعَلَيْكَ الْحِسَابُ﴾، الجزاء يوم القيامة.

[٤١] قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني: أهل مكة الذين يسألون محمداً ﷺ الآيات، ﴿أَنَا نَأْيُ الْأَرْضِ نَقْصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، أكثر المفسرين على أن المراد منه فتح ديار الشرك، فإن ما زاد في ديار الإسلام فقد نقص من ديار الشرك، يقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْيُ الْأَرْضِ نَقْصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ ففتحتها لمحمد أرضاً بعد أرض حوالي أرضهم، أفلا يعتبرون؟ هذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة. وقال قوم: هو خراب الأرض معناه أو لم يروا أنا نأتي الأرض فنخربها ونهلك أهلها أفلا يخافون أن نفعل بهم ذلك؟ وقال مجاهد: هو خراب الأرض وقبض أهلها. وعن عكرمة قال: قبض الناس. وعن الشعبي مثله. وقال عطاء وجماعة: نقصانها موت العلماء، وذهب الفقهاء قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»^(١) ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾، لا أراد لقضائه ولا ناقض لحكمه، ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

[٤٢] ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني: من قبل مشركي مكة، والمكر: إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر، ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾، أي: عند الله جزاء مكرهم. وقيل: إن الله خالق مكرهم جميعاً بيده الخير والشر وإليه النفع والضرر، فلا يضر أحد أحداً إلا بإذنه، ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعَهُ الْكَفَرُ لِمَنْ عَقِيَ الدَّارِ﴾ أي: عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة.

[٤٣] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، إني رسول إليكم ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، يريد مؤمني أهل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ الرِّدِّ
سُورَةُ الرِّدِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّكِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُبَلِّغَ قَوْمَهُ لِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُتَبَيَّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ اللَّهَ ابْتِغَاءً فِي ذَلِكَ لَا يَتَّبِعُ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

الكتاب يشهدون أيضاً على ذلك. قال قتادة: هو عبدالله بن سلام. وأنكر الشعبي هذا وقال: السورة مكية، وعبدالله بن سلام أسلم بالمدينة، وقال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ أهو عبدالله بن سلام؟ فقال: وكيف يكون عبدالله بن سلام وهذه السورة مكية؟ وقال الحسن ومجاهد: ومن عنده علم الكتاب هو الله عز وجل يدل عليه قراءة عبدالله بن عباس، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ بكسر الميم والذال أي: من عند الله عز وجل. وقرأ الحسن وسعيد بن جبير ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ بكسر الميم والذال علم الكتاب على الفعل المجهول، دليل هذه القراءة: (وعلمناه من لدنا علماً) وقوله: (الرحمن O علم القرآن).

(١) أخرجه البخاري في العلم ١٩٤/١ ومسلم في العلم رقم (٢٦٧٣) ٤/٢٠٥٨.

(١٤) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

[١] ﴿أَلَمْ يَكُنْ﴾ أي: هذا كتاب ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾، يا محمد يعني القرآن، ﴿لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: لتدعوهم من ظلمات الضلالة إلى نور الإيمان، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾، بأمر ربهم. وقيل: يعلم ربهم، ﴿إِلَّا صِرَاطَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أي: إلى دينه والعزیز هو الغالب والحميد هو المستحق للحمد.

[٢] ﴿اللَّهُ﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ﴿اللَّهُ﴾ بالرفع على الاستئناف وخبره فيما بعده، وقرأ الآخرون بالخفض نعتاً للعزیز الحميد، وكان يعقوب إذا وصل خفض وقال أبو عمرو: الخفض على التقديم والتأخير تقديره إلى صراط الله العزيز الحميد، ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

[٣] ﴿الَّذِينَ يَسْتَحْيُونَ﴾، يختارون، ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: يمنعون الناس عن قبول دين الله، ﴿وَيَتَّبِعُونَ عِوَجًا﴾، يطلبونها زيغاً وميلاً يريد يطلبون سبيل الله جائرین عن القصد. وقيل: الهاء راجعة إلى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق، أي بجهة الحرام. ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

[٤] قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾، بلغتهم ليفهموا عنه فإن قيل: كيف هذا وقد بعث النبي ﷺ إلى كافة الخلق؟ قيل: بعث من العرب بلسانهم والناس تبع لهم ثم بث الرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله عز وجل ويترجمون لهم بألسنتهم، ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٢٥٦

سُورَةُ الْاِبْرَاهِيمَ

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُوكُمْ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيُبَغْرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخَّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأُنْزِلْنَا بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿١٠﴾

أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من الكفر إلى الإيمان بالدعوة، ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَنَّهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾، قال ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وقتادة: بنعم الله. وقال مقاتل: بوقائع الله في الأمم السالفة. يقال فلان عالم بأيام العرب أي بوقائعهم، وإنما أراد بما كان في أيام الله من النعمة والمحنة فاجتزأ بذكر الأيام عنها لأنها كانت معلومة عندهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، الصبار: الكثير الصبر، والشكور: الكثير الشكر، وأراد لكل مؤمن لأن الصبر والشكر من خصال المؤمنين.

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُوكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾، قال الفراء: العلة الجالبة لهذه الواو أن الله تعالى أخبرهم أن آل

لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ، موجب للريبة موقع للتهمة.

[١٠] ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ﴾، هذا استفهام بمعنى نفى ما اعتقدوه، ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، خالقهما، ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، أي: ذنوبكم، ﴿وَمِنْ صَلَاةٍ﴾، ﴿وَيُخْرِجَكُم مِّنَ أَجْلِ مِسمى﴾، إلى حين استيفاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب، ﴿قَالُوا﴾، للرسول، ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، في الصورة والجسم ولستم ملائكة وإنما ﴿تُرِيدُونَ﴾، بقولكم، ﴿أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، حجة بينة على صحة دعواكم.

[١١] ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، بالنبوة والحكمة، ﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ تَأْتِيَكُمُ بَسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٢] ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ وقد عرفنا أن لا ننال شيئاً إلا بقضائه وقدره، ﴿وَقَدْ هَدَانَا رَبُّنَا﴾، بين لنا الرشد وبصرنا طريق النجاة. ﴿وَلَصَبِرَنَّا﴾، اللام لام القسم مجازاً، والله لنصبرن، ﴿عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، يعنون إلا أن ترجعوا أو حتى ترجعوا إلى ديننا، ﴿فَلَا وَحْيَ إِلَيْهِمْ رُبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الْأَطْلَامِينَ﴾.

[١٤] ﴿وَلَنَسْحَنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: بعد هلاكهم، ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ أي: خاف قيامه بين يدي كما قال: (ولمن خاف مقام ربه جنتان)، فأضاف قيام العبد إلى نفسه، كما تقول: ندمت على ضربك أي على ضربي إياك، ﴿وَعِيدٌ﴾ أي عقابي.

فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع العذاب غير التذيع، وبالتذيع، وحيث طرح الواو في يذبحون ويقتلون أراد تفسير العذاب الذي كانوا يسومونهم، ﴿وَيَسْحَنُونَ بِنَاءً كَمْ﴾، يتركوهن أحياء ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾، أي: أعلم، يقال: أذن وتأذن بمعنى واحد، مثل أوعد وتوعد، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمتي فأمنتم وأطعتم ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ في النعمة. وقيل: الشكر قيد الموجود وصيد المفقود. وقيل: لئن شكرتم بالطاعة لأزيدنكم في الثواب. ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ نعمتي فجحدموها ولم تشكروها، ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

[٨] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ حَمِيدٌ﴾، أي: غني عن خلقه حميد محمود في أفعاله لأنه فيها متفضل وعادل.

[٩] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ﴾، خبر الذين ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾، يعني: من كان بعد قوم نوح وعاد وثمود ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلالات الواضحات، ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَوْهَامِهِمْ﴾، قال ابن مسعود: عضوا على أيديهم غيظاً كما قال: عضوا عليكم الأنامل من الغيظ. قال ابن عباس: لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم. قال مجاهد وقتادة: كذبوا الرسل وردوا ما جاؤوا به، يقال: رددت قول فلان في فيه أي كذبت. وقال الكلبي: يعني أن الأمم ردوا أيديهم في أفواههم أي في أفواه أنفسهم أي وضعوا الأيدي على الأفواه إشارة إلى الرسل أن اسكتوا. وقال مقاتل: فردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك. وقيل: إن الأيدي بمعنى النعم معناه: ردوا ما لو قبلوا كانت أيادي ونعماً في أفواههم أي: بأفواههم يعني: بالستهم. ﴿قَالُوا﴾ يعني الأمم للرسول، ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَاءٍ أَذِيْتُمْوْنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلُ هُمْ لِنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُلَاقَنَّكَ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنَسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَرُسُقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَٰلُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

ويسيفه فيغلي في جوفه يقول الله عز وجل: (وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم)، ويقول: (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه). ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾، يعني: يجدهم الموت وألمه من كل مكان من أعضائه، قال إبراهيم التيمي: حتى من تحت كل شعرة من جسده. وقيل: يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله، ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، فيستريح قال ابن جريج: تعلق بنفسه عند حنجرته ولا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتفتحه الحياة. نظيرها (لا يموت فيها ولا يحيى)، ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ﴾، أمامه، ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾، شديد، وقيل: العذاب الغليظ: الخلود في النار. [١٨] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ يعني: مثل أعمال الذين كفروا بربهم، كقوله

[١٥] قوله: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ أي: استنصروا. قال ابن عباس ومقاتل: يعني الأمم وذلك أنهم قالوا: اللهم إن كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا، نظيره قوله تعالى: (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء)، وقال مجاهد وقتادة: واستفتحوا يعني الرسل وذلك أنهم لما يشوا من إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب، كما قال نوح: (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) وقال موسى: (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم)، الآية: ﴿وَخَابَ﴾، خسر. وقيل: هلك، ﴿كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ والجبار: الذي لا يرى فوقه أحداً. والجبرية: طلب العلو بما لا غاية وراءه. وهذا الوصف لا يكون إلا لله عز وجل. وقيل: الجبار: الذي يجبر الخلق على مراده، والعنيد: المعاند للحق ومجانبه. قاله مجاهد، وعن ابن عباس: هو المعرض عن الحق. وقال مقاتل: هو المتكبر. وقال قتادة: العنيد الذي أبى أن يقول: لا إله إلا الله.

[١٦] ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ أي: أمامه كقوله تعالى: (وكان وراءهم ملك) أي أمامهم. قال أبو عبيدة: هو من الأضداد. وقال الأخفش: هو كما يقال: هذا الأمر من ورائك يريد أنه سيأتيك، وأنا من وراء فلان يعني أصل إليه. وقال مقاتل: من ورائه جهنم أي بعده. ﴿وَرُسُقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ أي: من ماء هو صديد وهو ما يسيل من أبدان الكفار من القيح والدم. وقال محمد بن كعب: ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر.

[١٧] ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ أي: يتحساه ويشربه لا بمرّة واحدة بل جرعة جرعة لمرارته وحرارته، ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾، يكاد صلة أي لا يسيفه، كقوله تعالى: (لم يكذ يراها) أي: لم يرها، قال ابن عباس: لا يجيزه. وقيل: معناه: يكاد لا يسيفه

سورة إبراهيم

٢٥٨

سورة إبراهيم

الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَى اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَتَى اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَتَى اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَتَى اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٢﴾
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَئُودَ
 يُذْهِبُكُمْ وَيَأْتِي بَخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ
 ﴿٢٠﴾ وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
 إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنْنَا مِنَ عَذَابِ اللَّهِ
 مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَا اللَّهَ هَذَا يَنْتَظِرُكُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
 عَمَلًا ﴿٢١﴾ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحِيصٍ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ
 لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ
 فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ
 فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا
 بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا
 أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
 ﴿٢٣﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
 تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخَلِّدِينَ فِيهَا يَأْتِيهِمُ فِيهَا رِيحٌ مُغَيِّتَةٌ
 فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
 كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٥﴾

ولا منجا.

[٢٢] ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾، يعني: إبليس، ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾، أي فرغ منه فأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وقال مقاتل: يوضع له منبر في النار فيرقاه فيجتمع عليه الكفار بالائمة فيقول لهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾، فوفى لكم به، ﴿وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾، وقيل: يقول لهم: قلت لكم: لا بعث ولا جنة ولا نار. ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾، ولاية. وقيل: لم آتكم بحجة فيما دعوتكم إليه، ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾، هذا استثناء منقطع معناه: ولكن ﴿دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ﴾، بإجابتي ومتابعتي من غير سلطان ولا برهان، ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾، بمغيثكم، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي﴾، بمغيثي ﴿إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: كفرت بجعلكم إياي شريكًا في عبادة

تعالى: (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) أي: ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة ﴿كَمَا دُ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾، وصف اليوم بالعصف، والعصف من صفة الريح لأن الريح تكون فيه، كما يقال: يوم حار، ويوم بارد لأن الحر والبرد فيه. وقيل: معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح لأنها قد ذكرت من قبل، وهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار يريد أنهم لا يتفنون بأعمالهم التي عملوها في الدنيا لأنهم أشركوا فيها غير الله كالرماد الذي ذرته الريح لا ينتفع به، فذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَقْدُرُونَ﴾، يعني: الكفار ﴿يَمَّا كَسَبُوا﴾، في الدنيا، ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾، في الآخرة، ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾.

[١٩] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿خَالِقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وفي سورة النور (خالق كل دابة) مضافاً، وقرأ الآخرون (خلق) على الماضي ﴿وَالْأَرْضِ﴾ وكل بالنصب، ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: لم يخلقهما باطلاً وإنما خلقهما لأمر عظيم، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، سواكم أطوع لله منكم.

[٢٠] ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾، منيع شديد، يعني أن الأشياء تسهل في القدرة لا يصعب على الله شيء وإن جل وعظم.

[٢١] قوله تعالى: ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: خرجوا من قبورهم إلى الله وظهروا جميعاً، ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾، يعني الأتباع، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾، أي: تكبروا على الناس وهم القادة والرؤساء، ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع مثل حرس وحارس، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ﴾، دافعون، ﴿عَنْنَا مِنَ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا﴾، يعني القادة للمتبوعين، ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ﴾، أي: لو هدانا الله لدعوناكم إلى الهدى، فلما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة، ﴿سَاءَ مَا كَانُوا عَمَلًا﴾ أم صبرنا ما لنا من مَحِيصٍ، مهرب

وتبرأت من ذلك، ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾، الكافرين، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٢٣] قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا يَأْذِنُ رَبُّهُمْ يَحْنُتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾، يسلم بعضهم على بعض وتسلم الملائكة عليهم. وقيل: المحيي بالسلام هو الله عز وجل.

[٢٤] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾، ألم تعلم، والمثل قول سائر لتشبيه شيء بشيء ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، وهي قول: لا إله إلا الله، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، وهي النخلة يريد كشجرة طيبة الثمرة، وقال أبو ظبيان عن ابن عباس: هي شجرة في الجنة، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾، في الأرض، ﴿وَفُرْعَاهَا﴾، أعلاها، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، كذلك أصل هذه الكلمة راسخ في قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق فإذا تكلم بها عرجت فلا تحجب حتى تنتهي إلى الله عز وجل. قال الله تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه).

[٢٥] ﴿تُؤْتِي أَكْثَلَهَا﴾، تغطي ثمرها، ﴿كُلِّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا﴾، والحين في اللغة هو الوقت، كذلك عمل المؤمن يصعد أول النهار وآخره وبركة إيمانه لا تنقطع أبداً، بل تصل إليه في كل وقت، والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة هي أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان. ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

[٢٦] ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾. وهي الشرك، ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾، وهي الحنظل. وقيل: هي الثوم. وقيل: الكشوت^(١) ﴿أَجْحَتْ﴾، يعني انقلعت، ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾، ثبات، معناه وليس لها أصل ثابت في الأرض، ولا فرع

الزَّكَاةَ

٢٥٩

سُورَةُ الْاِبْرٰهِيْمَ

تُؤْتِي أَكْثَلَهَا كُلِّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْحَثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبَئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا زَكَاةً وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٢﴾

صاعد إلى السماء، كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح.

[٢٧] قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾، كلمة التوحيد وهي قول لا إله إلا الله ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعني قبل الموت، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾، يعني في القبر هذا قول أكثر المفسرين وقيل: في الحياة الدنيا عند السؤال في القبر، وفي الآخرة: عند البعث، والأول أصح ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يهدي المشركين إلى الجواب بالصواب في القبر ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾، من التوفيق والخذلان والتثبيت وترك التثبيت.

(١) في لسان العرب ١٨١/٢ «الكشوت والأكشوت» نبات مجتث مقطوع الأصل، وقيل لا أصل له، وهو أصفر يتعلق بأطراف الشوك وغيره وقال الجوهري: نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض.

هو على التكثير نحو قولك: فلان يعلم كل شيء، وآتاه كل الناس، وأنت تريد بعضهم نظيره قوله تعالى: (فتحنا عليهم أبواب كل شيء)، وقرأ الحسن ﴿مِنْ كُلِّ﴾ بالتونين ﴿مَا﴾ على النفي يعني من كل ما لم تسألوه، يعني: أعطاكم أشياء ما طلبتموها ولا سألتموها، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾، أي: نعم الله، ﴿لَا تَحْصُوهَا﴾، أي: لا تطيقوا عدّها ولا القيام بشكرها، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، أي ظالم لنفسه بالمعصية كافر بربه في نعمته وقيل: الظلوم الذي يشكر غير من أنعم عليه والكافر من يجحد منعمه.

[٣٥] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾، يعني: الحرم، ﴿أَمِنًا﴾ ذا أمن يؤمن فيه، ﴿وَأَجْنِبْنِي﴾، أبعدني، ﴿وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّا الصَّامِتَ﴾، يقال: جنبت الشيء وأجنبته جنبًا وجنبته تجنبًا واجنبته اجتنابًا بمعنى واحد، فإن قيل: قد كان إبراهيم معصومًا من عبادة بنيه الأصنام فكيف يستقيم السؤال وقد عبد كثير من بنيه الأصنام فأين الإجابة؟ قيل: الدعاء في حق إبراهيم لزيادة العصمة والتثبيت وأما دعاؤه لبنيه فأراد بنيه من صلبه ولم يعبد منهم أحد الصنم. وقيل: إن دعاءه لمن كان مؤمنًا من بنيه.

[٣٦] ﴿رَبِّ إِنِّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾، يعني: ضل بهن كثير من الناس عن طريق الهدى حتى عبدوهن، وهذا من المقلوب نظيره قوله تعالى: (إنما ذلکم الشیطان یخوف أولیاءه)، أي: يخوفهم بأوليائه، وقيل: نسب الإضلال إلى الأصنام لأنهن سبب فيه كما يقول القائل: فتنتني الدنيا، نسب الفتنة إلى الدنيا لأنها سبب الفتنة. ﴿فَنَنْعِيْ فَإِنَّهُ مِنِّيْ﴾، أي: من أهل ديني وملتي، ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال السدي: معناه: ومن عصاني ثم تاب، وقال مقاتل بن حيان: ومن عصاني فيما دون الشرك. وقيل: قال ذلك قبل أن

[٢٨] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا﴾ عن ابن عباس: هم كفار قريش. وقال عمر: هم قريش، ومحمد ﷺ نعمة الله ﴿وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾، قال: البوار يوم بدر، قوله: ﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: غيروا نعمة الله عليهم في محمد ﷺ حيث ابتعثه الله منهم كفرا كفروا به فأحلوا أي أنزلوا قومهم ممن تابعهم على كفرهم دار البوار الهلاك، ثم بين دار البور فقال.

[٢٩] ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾، يدخلونها ﴿وَيُسْكَرُوا﴾، المستقر.

[٣٠] ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أندَادًا﴾، أمثالا وليس لله تعالى ند، ﴿يُضِلُّوهُ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكذلك في الحج وسورة لقمان والزمرو (ليضل) وقرأ الآخرون بضم الياء على معنى: ليضلوا الناس، ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ قُلْ تَمَتَّعُوا، عيشوا في الدنيا، ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾.

[٣١] ﴿قُلْ لِّلْعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، قال الفراء: هذا جزم على الجزاء، ﴿وَيُؤْتِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَعْثُ فِيهِ وَلَا خُلُلٌ﴾، مخاللة وصدافة.

[٣٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾، بإذنه. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْآنْهَارَ﴾، ذلها لكم تجرونها حيث شئتم.

[٣٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾، يجريان فيما يعود إلى مصالح العباد ولا يفتران، قال ابن عباس: دؤوبهما في طاعة الله عز وجل، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة.

[٣٤] ﴿وَأَتَيْنَكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾، يعني: آتاكم من كل شيء سألتموه شيئًا، فحذف الشيء الثاني اكتفاء بدلالة الكلام على التبعض، وقيل:

يعلمه الله أنه لا يغفر الشرك.

[٣٧] قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، أدخل من للتبعيض، ومجاز الآية: أسكنت من ذريتي ولداً، ﴿بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾، وهو مكة لأن مكة واد بين جبلين، ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾، سماه محرماً لأنه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ﴾، الأفئدة جمع الفؤاد ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾، تشاق وتحن إليهن. قال السدي: معناه: أمل قلوبهم إلى هذا الموضع، قال مجاهد: لو قال أفئدة الناس لزامتكم فارس والروم والترك والهند. وقال سعيد بن جبير: لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال: أفئدة من الناس وهم المسلمون. ﴿وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾، ما رزقت سكان القرى ذوات الماء، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

[٣٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾، من أمورنا. وقال ابن عباس ومقاتل: من الوجد بإسماعيل وأمه حيث أسكنتهما بوادٍ غير ذي زرع. ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، قيل: هذا كله قول إبراهيم متصل بما قبله. وقال الأكثرون: يقول الله عز وجل ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

[٣٩] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾، أعطاني على كبر السن، ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، قال ابن عباس: وُلد إسماعيل لإبراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة، وولد إسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة. وقال سعيد بن جبير: بُشِّرَ إبراهيم بإسحاق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة.

[٤٠] ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾، يعني: ممن يقيم الصلاة بأركانها ويحافظ عليها، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، يعني: اجعل من ذريتي من يقيمون الصلاة. ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾، أي: عملي

وَأَتَّكُم مِّن كُلِّ مَآسٍ أَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنِّي أَصْلَلَنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ يَبْعَثْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَفْعَلُ الْمُظْلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾

وعبادتي، سَمَى العبادة دعاءً وقيل: معناه استجب دعائي.

[٤١] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾، فإن قيل: كيف استغفر لوالديه وهما غير مؤمنين؟ قيل: قد قيل: إن أمه أسلمت، وقيل: أراد إن أسلما وتابا، وقيل: قال ذلك قبل أن يتبين له أمر أبيه وقد بين الله عذر خليله في استغفاره لأبيه في سورة التوبة. ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: اغفر للمؤمنين كلهم، ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾، أي يبدو ويظهر. وقيل: أراد يوم الحساب يوم يقوم الناس للحساب، فاكتمى بذكر الحساب لكونه مفهوماً.

[٤٢] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَفْعَلُ الْمُظْلِمُونَ﴾. الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور، والآية لتسليّة المظلوم وتهديد للظالم، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ

شَخَّصُ فِيهِ الْأَبْصُرُ*، أي: لا تغمض من هول ما ترى في ذلك اليوم، وقيل: ترتفع وتزول عن أماكنها.

[٤٣] *مُهْطِعِينَ*، قال قتادة: مسرعين. قال سعيد بن جبير: الإهطاع النسلان كعدو الذئب، وقال مجاهد: مديمي النظر، ومعنى الإهطاع أنهم لا يلتفتون يميناً ولا شمالاً، ولا يعرفون مواطن أقدامهم، *مُقْنِي رُؤُوسِهِمْ*، أي رافعي رؤوسهم، قال القتيبي: المقنع الذي يرفع رأسه ويقبل بصره على ما بين يديه. وقال الحسن: وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد، *لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ*، لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر، وهي شاخصة قد شغلهم ما بين أيديهم. *وَأَقْبَدَتْهُمْ هَوَاءً*، أي خالية. قال قتادة: خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم، لا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى مكانها، فأفقدتهم هواء لا شيء فيها ومنه سمي ما بين السماء والأرض هواء لخلوه، وقيل: خالية لا تعي شيئاً ولا تعقل من الخوف. وقال الأخفش: جوفاً لا عقول لها. والعرب تسمي كل أجوف خلو هواء. قال سعيد بن جبير: وأفقدتهم هواء أي: مترددة تمور في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه، وحقيقة المعنى: أن القلوب زائلة عن أماكنها والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم.

[٤٤] *وَأَنْذِرِ النَّاسَ*، خوفهم، *يَوْمَ*، أي: يوم، *يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ*، هو يوم القيامة *فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا*، أشركوا، *رَبَّنَا أَخْرِنَا*، أمهلنا *إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ*، هذا سؤالهم الرد إلى الدنيا، أي: ارجعنا إليها، *نُحِبِّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ*، فيجابون: *أَوَلَمْ نَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ*، حلفتم في دار الدنيا، *مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ*، عنها أي: لا تبعثون. وهو قوله تعالى: (وأقسموا بالله

جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت). [٤٥] *وَسَكَنتُمْ*، في الدنيا، *فِي مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ*، بالكفر والعصيان، يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم. *وَبَيَّنَّا لَكُمُ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ*، أي: عرفتم عقوبتنا إياهم، *وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْآمَثَالَ*، أي بينا مثلكم كمثلهم.

[٤٦] *وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ*، أي: جزاء مكرهم، *وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ*، قرأ علي وابن مسعود: (وإن كاد مكرهم) بالبدال، وقرأ العامة بالنون. *لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ*، قرأ العامة لتزول بكسر اللام الأولى ونصب الثانية، معناه: وما كان مكرهم لتزول. قال الحسن: إن كان مكرهم لأضعف من أن تزول منه الجبال. وقيل: معناه إن مكرهم لا يزيل أمر محمد ﷺ الذي هو ثابت كثبوت الجبال. وقرأ ابن جريج والكسائي: *لِتَزُولَ* بفتح اللام الأولى ورفع الثانية، معناه: إن مكرهم وإن عظم حتى بلغ محلاً يزيل الجبال لم يقدروا على إزالة أمر محمد. وقال قتادة: معناه: وإن كان مكرهم شركهم لتزول منه الجبال وهو قوله تعالى: (وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً).

[٤٧] *فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ خَائِلًا وَعَدِهِ رُسُلُهُ*، بالنصر لأوليائه وهلاك أعدائه، وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده، *إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ*.

[٤٨] قوله تعالى: *يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ* قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءَ عَفْرَاءٍ كَقَرَصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ»^(١) وعن ابن مسعود في هذه الآية

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ٣٧٢/١١ ومسلم في صفات المنافقين رقم (٢٧٩٠) ٤/٢١٥٠ والمصنف في شرح السنة ١١٢/٥.

الحزب الثاني

٢٦١

سورة إبراهيم

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ
هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَعْبُدْكَ وَنَسْتَغْفِرَ
أَلْرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم
مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ وَنَبَّيْنَا لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا
لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ
مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لَازُولٌ مِنْهُ الْجِبَالُ
﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعِدَّهُ رَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو أَنْفِقَةٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عِوَارًا الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ
وَيَبْرَزُ لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِنْ قِطْرٍ وَتَغْتَنِي
وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا
بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

قال: تبدل الأرض بأرض كفضة بيضاء نقية لم
يسفك فيها دم ولم تعمل فيها خطيئة وقيل: معنى
التبديل جعل السموات جناتاً وجعل الأرض نيراناً.
وقيل: تبديل الأرض تغييرها من هيئة إلى هيئة،
وهي تسيير جبالها وطم أنهارها وتسوية أوديتها
وقلع أشجارها وجعلها قاعاً صفصفاً، وتبديل
السموات تغييرها عن حالها بتكوير شمسها،
وخسوف قمرها وانتشار نجومها، وكونها مرة
كالدهان، ومرة كالمهل. عن عائشة قالت: سألت
رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: (يوم تبدل
الأرض غير الأرض والسموات) فأين يكون
الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: (على
الصراط) ^(١) ﴿وَيَبْرَزُوا﴾، خرجوا من قبورهم، ﴿لِلَّهِ
الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ﴾، الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما
يريد.

[٤٩] ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّرِينَ﴾،
مشدودين بعضهم ببعض، ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾، في
القيود والأغلال واحداً: صَفْد، وكل من شدته
شدّاً وثيقاً فقد صَفَدته وقيل: يقرن كل كافر مع
شيطانه في سلسلة، بيانه قوله تعالى: (احشروا
الذين ظلموا وأزواجهم)، يعني: قرناءهم من
الشياطين وقيل: معناه مقرنة أيديهم وأرجلهم
إلى رقابهم بالأصفاد والقيود، ومنه قيل للجل:
قرن.

[٥٠] ﴿سَرَابِلُهُمْ﴾، أي: قمصهم، واحداً:
سربال. ﴿مِنْ قِطْرٍ﴾ هو ما تهنأ به الإبل، وقرأ
عكرمة ويعقوب ﴿مِنْ قِطْرَانٍ﴾ على كلمتين
منونتين، والقطر النحاس والصفير المذاب، والآن
الذي انتهى حره، قال الله تعالى: (يطوفون بينها
وبين حميم آن). ﴿وَتَغْتَنِي وَجُوهُهُمُ النَّارُ﴾، أي:
تعلو.

[٥١] ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾، من
خير وشر، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

(١) أخرجه مسلم في صفات المنافقين رقم (٢٧٩١) / ٤
والمصنف في شرح السنة ١٥/١٠٧.

(١٥) سُورَةُ الْحَجَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبِّمَا يَؤُودُ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا
وَيَسْتَمْتَعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ
أَجَلُهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا إِنَّا أَنبِيَاءُ الَّذِي نُنْزِلُ عَلَيْهِ
الذِّكْرَ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ كَإِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنْزِلُ الْمَلَكِ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا
إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَافِعُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ
رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يُسْتَهْزَءُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي
قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾
وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾
لَقَالُوا إِنَّمَا سَكِرَاتُ أَبْصَارِنَا بِأَنْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

يتأخر عنهم.

﴿٥﴾ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلُهَا﴾، من صلة أي: ما تسبق أمة أجلها ﴿وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾، أي: الموت لا يتقدم ولا يتأخر، وقيل: العذاب. وقيل: الأجل المضروب.

﴿٦﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: مشركي مكة، ﴿يَأْتِيَنَّا الَّذِي نُنْزِلُ عَلَيْهِ الذِّكْرَ﴾، أي: القرآن وأرادوا به محمداً ﷺ، ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، وذكروا تنزيل الذكر على سبيل الاستهزاء.

﴿٧﴾ ﴿لَوْ مَا﴾ هلا ﴿تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ﴾، شاهدين لك بالصدق على ما تقول إن الله أرسلك، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، إنك نبي.

﴿٨﴾ ﴿مَا نُنْزِلُ الْمَلَكِ﴾، قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بنونين ﴿الْمَلَكِ﴾ نصب، وقرأ أبو بكر بالتاء وضمها وفتح الزاي الملائكة رفع وقرأ

﴿الرَّ﴾، معناه أنا الله أرى، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾، أي: هذه آيات الكتاب، ﴿وَقُرْآنٍ﴾ أي: وآيات قرآن، ﴿مُبِينٍ﴾، أي: بين الحلال من الحرام والحق من الباطل، فإن قيل: لما ذكر الكتاب ثم قال: ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ وكلاهما واحد؟ قلنا: قد قيل كل واحد منهما يفيد فائدة أخرى فإن الكتاب ما يكتب والقرآن ما يجمع بعضه إلى بعض. وقيل: المراد بالكتاب التوراة والإنجيل وبالقرآن هذا الكتاب.

﴿٢﴾ ﴿رَبِّمَا﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم بتخفيف الباء والباقون بتشديدهما وهما لغتان، ورب للتقليل وكم للتكثير، ورب تدخل على الاسم، وربما على الفعل، يقال: رب رجل جاني وربما جاني رجل، وأدخل ما ههنا للفعل بعدها. ﴿يَؤُودُ﴾، يمتنى، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، واختلفوا في الحالة التي يمتنى الكافر فيها الإسلام، قال الضحاك: حالة المعاينة. وقيل: يوم القيامة. والمشهور أنه حين يخرج الله المؤمنين من النار.

﴿٣﴾ ﴿ذَرَهُمْ﴾، يا محمد يعني الذين كفروا، ﴿يَأْكُلُوا﴾ في الدنيا، ﴿وَيَسْتَمْتَعُوا﴾، من لذاتهم ﴿وَيُلْهِمُ﴾، يشغلهم، ﴿الْأَمَلُ﴾، عن الأخذ بحظهم من الإيمان والطاعة، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، إذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا، وهذا تهديد ووعد. وقال بعض أهل العلم: ذرهم تهديد وقوله: فسوف يعلمون، تهديد آخر، فمتى يهنا العيش بين تهديدين. والآية نسختها آية القتال.

﴿٤﴾ ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾، أي: من أهل قرية، ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾، أي أجل مضروب لا يتقدم عليه ولا يأتيهم العذاب حتى يبلغوه ولا

يقولون لو ما تأتينا بالملائكة، ﴿بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ﴾، فظلت الملائكة يعرجون فيه وهم يرونها عياناً، هذا قول الأكثرين. وقال الحسن: معناه فظل هؤلاء الكفار يعرجون فيه أي: يصعدون. والأول أصح.

[١٥] ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾، سُدت، ﴿أَبْصَرْنَا﴾، قاله ابن عباس. وقال الحسن: سحرت، وقال قتادة: أخذت، وقال الكلبي: عميت. وقرأ ابن كثير ﴿سُكِّرَتْ﴾ بالتخفيف، أي: حُبست ومُنعت النظر كما يسكر النهر لحبس الماء، ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْخُورُونَ﴾، أي: عمل فينا السحر فسحرنا محمد.

[١٦] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾، والبروج هي النجوم الكبار مأخوذة من الظهور، يقال: تبرجت المرأة أي: ظهرت، وأراد بها المنازل التي تنزلها الشمس والقمر والكواكب السيارة، وهي اثنا عشر برجاً: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوث. وقال عطية: هي قصور في السماء عليها الحرس ﴿وَرَبَّيْنَاهَا﴾، أي السماء بالشمس والقمر والنجوم. ﴿لِلنَّازِلِينَ﴾.

[١٧] ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾، مرجوم. وقيل: ملعون قال ابن عباس: كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها، ويأتون بأخبارها فيلقون على الكهنة ما سمعوا، فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد محمد ﷺ منعوا من السموات أجمع، فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رُمي بشهاب، فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لإبليس، فقال: لقد حدث في

(١) القدرية هم الذين ينكرون القدر ويزعمون أن كل عبد خالق لفعله ليخرجوا بذلك فعل الإنسان عن قدرة الله. انظر الوصية الكبرى لابن تيمية ص ٥٧ تعليق (٥).

الباقون بالتاء وفتحها وفتح الزاي ﴿الْمَلَكُوتُ﴾ رفع. ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعذاب ولو نزلت يعني الملائكة لعجلوا بالعذاب، ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ أي: مؤخرين، وقد كان الكفار يطلبون إنزال الملائكة عياناً فأجابهم الله تعالى بهذا. ومعناه أنهم لو نزلوا أعياناً لزال عن الكفار الإمهال وعذبوا في الحال.

[٩] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾، يعني القرآن، ﴿وَإِنَّا لَمُحْفِظُونَ﴾، أي: نحفظ القرآن من الشياطين أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه أو يبدلوا بغيره، قال الله تعالى: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) والباطل: هو إبليس لا يقدر أن يزيد فيه ما ليس منه ولا أن ينقص منه ما هو منه. وقيل: الهاء في (له) راجعة إلى محمد ﷺ أي: إنا لمحمد لحافظون ممن أراحه بسوء كما قال جل ذكره: (والله يعصمك من الناس).

[١٠] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾، أي رسلاً، ﴿فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾، أي: في الأمم والقرون الماضية، والشيع: هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم على رأي واحد.

[١١] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، كما فعلوا بك، ذكره تسلياً للنبي ﷺ.

[١٢] ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾، أي: كما سلكناه الكفر والتكذيب والاستهزاء بالرسول في قلوب شيع الأولين كذلك نسلكه: ندخله، ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾، يعني مشركي مكة قومك، وفيه رد على القدرية^(١).

[١٣] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، يعني: لا يؤمنون بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿وَقَدْ حَسَّتْ﴾، مضت، ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾، أي: وقائع الله تعالى الإهلاك فيمن كذب الرسل من الأمم الخالية يخوف أهل مكة.

[١٤] ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ﴾، يعني: على الذين

الأرض حادث، قال: فبعثهم فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن فقالوا: هذا والله حدث.

[١٨] ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾، لكن من استرق السمع، ﴿فَأَنبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾، والشهاب الشعلة من النار.

[١٩] قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾، بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾، جبالاً ثوابت، وقد كانت الأرض تميد إلى أن أرساها الله بالجبال، ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا﴾، أي: في الأرض، ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾، بقدر معلوم، وقيل: يعني في الجبال وهي جواهر من الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها.

[٢٠] ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً﴾، جمع معيشة، قيل: أراد بها المطاعم والمشارب والملابس. وقيل: ما يعيش به آدمي في الدنيا، ﴿وَمَنْ لَّسْتُمْ لَكُمْ بَرِزْقَيْنَ﴾، أي: جعلنا فيها معاش من لستم له برازقين من الدواب والأنعام، أي: جعلنا لكم وكفيناكم رزقها و(من) في الآية بمعنى ما، كقوله تعالى: (فمنهم من يمشي على بطنه)، وقيل: من في موضعها لأنه أراد الممالك مع الدواب. وقيل: من في محل الخفض عطفًا على الكاف والميم في لكم.

[٢١] ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾، أي: وما من شيء، ﴿إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾، أي مفاتيح خزائنه. وقيل: أراد به المطر، ﴿وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، لكل أرض حد مقدر.

[٢٢] ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ لَوْحٍ﴾ أي: حوامل لأنها تحمل الماء إلى السحاب، وهو جمع لاقحة، يقال: ناقة لاقحة إذا حملت الولد. قال ابن مسعود: يرسل الله الريح فتحمل الماء فيمر به السحاب فيدر كما تدر اللقحة ثم تمطر. وقال أبو عبيدة: أراد باللوائح الملاقيح واحدها ملقحة، لأنها تلقح الأشجار. قال عبيد بن عمير: يبعث الله الريح المبشرة فتمم الأرض قمًا ثم يبعث الله المثيرة

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٨﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٩﴾ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَنبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿٢٠﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿٢١﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً وَمَنْ لَّسْتُمْ لَكُمْ بَرِزْقَيْنِ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٣﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ لَوْحٍ فَآتَرْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُورِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٠﴾ فَلِذَاسْوَيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿٣١﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَسْجُودًا ﴿٣٢﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنُكَ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٣﴾

فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه إلى بعض فتجعله ركابًا، ثم يبعث اللوائح فتلقح الشجر. وقال أبو بكر بن عياش: لا تقطر قطرة من السحاب إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيه، فالصبا تهيجه والشمال تجمععه والجنوب تذره والدبور تفرقه، ﴿فَآتَرْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾، أي: جعلنا المطر لكم سقيًا، يقال: أسقى فلان فلانًا إذا جعل له سقيا وسقاها إذا أعطاه ما يشرب. وتقول العرب: سقيت الرجل ماءً ولبنًا إذا كان لسقيه، فإذا جعلوا له ماء لشرب أرضه ودوابه تقول العرب: أسقيته. ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾، يعني المطر في خزائنا لا في خزائنكم. وقال سفيان: بمانعين.

[٢٣] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾، بأن نميت جميع الخلائق، فلا يبقى حي سوانا.

هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر. وقال قتادة: هو إبليس خُلِقَ قبل آدم. ويقال: الجان أبو الجن وإبليس أبو الشيطان، وفي الجن مسلمون وكافرون، ويحيون ويموتون، وأما الشياطين فليس منهم مسلمون ويموتون إذا مات إبليس. وذكر وهب: إن من الجن من يولد لهم ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين، ومن الجن من هم بمنزلة الريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون. ﴿مِنْ تَارِ السُّمُورِ﴾، والسموم ريح حارة تدخل مسام الإنسان فتقتله. يقال: السموم بالنهار والحرور بالليل. وقيل: نار السموم لهب النار. وقيل: من نار السموم أي: من نار جهنم. وعن الضحاك عن ابن عباس قال: كان إبليس من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السُّمُوم وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، فأما الملائكة فإنهم خلقوا من النور.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا﴾، أي: سأخلق بشرًا، ﴿مِنْ صَلَافٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾.

[٢٩] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾، وعدلت صورته، وأتممت خلقه، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾، فصار بشرًا حيًا والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان وأضافه إلى نفسه تشريفًا، ﴿فَقَعُوا لَهُ سَجْدِينَ﴾، سجود تحية لا سجود عبادة.

[٣٠] ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ﴾، الذين أمروا بالسجود، ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾، فإن قيل: لِمَ قال (كلهم أجمعون) وقد حصل المقصود بقوله: فسجد

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣١٣/٤ وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣١٣/٣ والمصنف في شرح السنة ٤٠١/١٤ وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢٨٣) ٥١٠/١ وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٧٨) ٢٢٠٦/٤ (يعت كل عبد على ما مات عليه).

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمُ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾، قال ابن عباس: أراد بالمستقدمين الأموات والمستأخرين الأحياء. قال الشعبي: الأولين والآخرين: وقال عكرمة: المستقدمون من خلق الله والمستأخرون من لم يخلق الله. قال مجاهد: المستقدمون القرون الأولى والمستأخرون أمة محمد ﷺ. وقال الحسن: المستقدمون في الطاعة والخير، والمستأخرون المبطلون عنها. وقيل: المستقدمون في الصفوف في الصلاة والمستأخرون فيها.

وقال الأوزاعي: أراد المصلين في أول الوقت والمؤخرين إلى آخره. وقال مقاتل: أراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال وقال ابن عيينة: أراد من يسلم ومن لا يسلم.

[٢٥] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، على ما علم منهم. وقيل: يملك الكل ثم يحشرهم الأولين والآخرين قال النبي ﷺ: «من مات على شيء بعثه الله عليه»^(١).

[٢٦] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾، يعني: آدم عليه السلام، سمي إنسانا لظهوره وإدراك البصر إياه. وقيل: من النسيان لأنه عهد إليه فنسي. ﴿مِنْ صَلَافٍ﴾، وهو الطين اليابس الذي إذا نقرته سمعت له صلصلة، أي: صوتًا. قال ابن عباس: هو الطين الحر الطيب الذي إذا نضب عنه الماء تشقق فإذا حرك تققق. وقال مجاهد: هو الطين المتين. واختاره الكسائي، وقال: هو من صل اللحم، إذا أتن، ﴿مِنْ حَمَلٍ﴾، والحمأ: الطين المتين الأسود، ﴿مَّسْنُونٍ﴾، أي: متغير. قال مجاهد وقاتة: هو المتين المتغير. وقال أبو عبيدة: هو المصبوب. تقول العرب: سننت الماء أي صببته. قال ابن عباس: هو التراب المبتل المتين جعل صلصالًا كالفخار.

[٢٧] ﴿وَلَجَّانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾، قال ابن عباس:

الملائكة؟ قلنا: زعم الخليل وسيبويه أنه ذكر ذلك تأكيداً وذكر المبرد أن قوله (فسجد الملائكة) كان من المحتمل أنه سجد بعضهم فذكر كلهم ليزول هذا الإشكال، ثم كان يحتمل أنهم سجدوا في أوقات مختلفة فزال ذلك الإشكال بقوله: (أجمعون).

[٣١] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

[٣٢] ﴿قَالَ يَبْنَطُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾، أراد: إني أفضل منه لأنه طيني، وأنا ناري والنار تأكل الطين.

[٣٤] ﴿قَالَ فَخَرَّجْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾، طريد.

[٣٥] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾، قيل: إن أهل السموات يلعنون إبليس كما يلعنه أهل الأرض فهو ملعون في السماء والأرض.

[٣٦] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، أراد الخبيث أن لا يموت.

[٣٧] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.

[٣٨] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾، أي: الوقت الذي يموت فيه الخلائق وهو النفخة الأولى.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾، أضللتني. وقيل: خيبتني من رحمتك، ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، حب الدنيا ومعاصيك، ﴿وَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾، أي: لأضلنهم، ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾، المؤمنين الذين أخلصوا لك بالطاعة والتوحيد، ومن فتح اللام أي من أخلصته بتوحيديك فهديته واصطفيته.

[٤١] ﴿قَالَ﴾، الله تعالى ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾، قال الحسن: معناه صراط مستقيم. قال مجاهد: الحق يرجع إلى الله تعالى وعليه طريقه ولا يعوج عليه شيء. وقال الأخفش: يعني على الدلالة على الصراط المستقيم. قال

سورة الحجر

٢٦٤

سورة الحجر

قَالَ يَبْنَطُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٢﴾ قَالَ فَخَرَّجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٥﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٦﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٨﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤١﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٢﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٣﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٤﴾ أَذْخَلُوهَا سَلْوَءٍ أَمِينٍ ﴿٤٥﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٦﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٧﴾ نَحْنُ عِبَادِي آتِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٤٩﴾ وَلَنَبْذِلَنَّهُمْ عَنْ صَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥٠﴾

الكسائي: هذا على التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك، أي: لا تقلتني، كما قال عز وجل: (إن ربك لبالمرصاد). وقيل: معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية.

[٤٢] ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾، أي: قوة. قال أهل المعاني: يعني على قلوبهم. وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية؟ فقال: معناه ليس لك عليهم سلطان تلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي، وهؤلاء ثنية الله الذين هداهم واجتباهم. ﴿إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

[٤٣] ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، يعني موعد إبليس ومن تبعه.

[٤٤] ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾، أطباق. قال علي كرم الله وجهه: تدرون كيف أبواب النار هكذا ووضع

الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار»^(١).

[٥١] قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: عن الضيافة، والضيف اسم يقع على الواحد والاثني والجمع والمذكر والمؤنث، وهم الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ليشيروا إبراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط.

[٥٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ﴾، إبراهيم، ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾، خائفون لأنهم لم يأكلوا طعامه.

[٥٣] ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَالِمٍ﴾، أي: غلام في صغره عليم في كبره يعني إسحاق، فتعجب إبراهيم عليه السلام من كبره وكبر امرأته.

[٥٤] ﴿قَالَ ابَشِّرْهُمُونِ﴾ أي: بالولد ﴿عَلَىٰ أَنْ مَسَّيَ الْكَبَرُ﴾، أي: على حال الكبر قاله على طريق التعجب، ﴿فَبَأْيُ شَيْءٍ تَبْشِرُونَ﴾.

[٥٥] ﴿قَالُوا بَشِّرْكَ بِالْحَقِّ﴾ أي بالصدق، ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٥٦] ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ﴾ قنط يقنط أي: من ييأس، ﴿مِنْ رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾، أي: الخاسرون، والقنوط من رحمة الله كبيرة كالأمن من مكروه.

[٥٧] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لهم، ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾، ما شأنكم، ﴿إِنِّي الْمُرْسَلُونَ﴾.

[٥٨] ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾، مشركين.

[٥٩] ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾، أتباعه وأهل دينه، ﴿إِنَّا

إحدى يديه على الأخرى، أي: سبعة أبواب بعضها فوق بعض وإن الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض. قال ابن جريج: النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية. ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾، أي: لكل دركة قوم يسكنونها. وقال الضحاك: في الدركة الأولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون، وفي الثانية النصارى، وفي الثالثة اليهود، وفي الرابعة الصابئون، في الخامسة المجوس، وفي السادسة أهل الشرك، وفي السابعة المنافقون، فذلك قوله تعالى: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار).

[٤٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَنَّتِ وَعَيْوُونَ﴾، أي: في بساتين وأنهار.

[٤٦] ﴿ادْخُلُوهَا﴾ أي: يقال لهم: ادخلوا الجنة، ﴿بِسَلَامٍ﴾، أي: بسلامة ﴿ءَامِنِينَ﴾، من الموت والخروج والآفات.

[٤٧] ﴿وَنَزَعْنَا﴾، أخرجنا، ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾، هو الشحناء والعداوة والحقد والحسد، ﴿إِخْوَانًا﴾، نصب على الحال، ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ جمع سرير ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾، يقابل بعضهم بعضاً لا ينظر أحد منهم إلى قفا صاحبه.

[٤٨] ﴿لَا يَمَسُّهُمْ﴾، لا يصيبهم، ﴿فِيهَا نَضَبٌ﴾، أي: تعب، ﴿وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرِجِينَ﴾، هذه أنص آية في القرآن على الخلود.

[٤٩] قوله تعالى: ﴿إِنِّي عَبْدِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوَورُ الرَّحِيمُ﴾، قال ابن عباس: يعني لمن تاب منهم.

[٥٠] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ٣٠١/١١ والمصنف في شرح السنة ٣٧٨/١٤.

لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٠﴾ خَفَّفَ الْجِيمَ حِمْزَةً وَالْكَسَائِي
وَشَدَّدَهُ الْبَاقُونَ .

[٦٠] ﴿لَا أَمْرَآتُ﴾، أي: امرأة لوط، ﴿قَدَرْنَا﴾، قضينا، ﴿إِنَّمَا لِمَنِ الْغَدِيرُ﴾، الباقي في العذاب، والاستثناء من النفي إثبات، ومن الإثبات نفي، فاستثنى امرأة لوط من الناجين فكانت ملحقة بالهالكين، قرأ أبو بكر (قدرنا) وهنا وفي سورة النمل بتخفيف الدال. والباقيون بتشديدها.

[٦١] ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ .

[٦٢] ﴿قَالَ﴾ لوط لهم ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مِّنْكَرُونَ﴾
 أى: أنا لا أعرفكم.

﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَاءٍ مَّامُونٍ﴾ أي: يشكون في أنه نازل بهم وهو العذاب لأنه كان يوعدهم بالعذاب ولا يصدقونه.

[٦٤] ﴿وَأَيُّنَكَ بِالْحَقِّ﴾، باليقين. وقيل:
بالعذاب، ﴿وَأَنَا لَصَادِقُونَ﴾.

[٦٥] ﴿فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ يَفْطَحْ مِنْ أَيْلٍ وَاتَّبِعْ أَذُنَهُمْ﴾
 أي: خالفهم، ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾، حتى لا

يرتاعوا من العذاب إذا نزل بقومهم. وقيل: جعل الله ذلك علامة لمن ينجو من آل لوط، ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾، قال ابن عباس: يعني الشام. وقال مقاتل: يعني زغر. وقيل: الأردن.

[٦٦] ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾، أي وقضينا إلى آل لوط ذلك الأمر أي أحكمنا الأمر الذي أمرنا في قوم لوط، وأخبرناه ﴿أَنْتَ دَابِرَ هَؤُلَاءِ﴾، يدل عليه قراءة عبدالله وقلنا له إن دابر هؤلاء يعني أصلهم، ﴿مَقْلُوعٌ﴾، مستأصل، ﴿مُضْعِفٌ﴾، إذا دخلوا في الصبح.

[٦٧] ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾، يعني سدوم،
﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾، بأضياف لوط أي: يشر بعضهم
بعضاً طمعاً في ركوب الفاحشة منهم.
[٦٨] ﴿قَالَ﴾، لوط لقومه، ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ ضَيْفِي﴾،

الحزب الرابع عشر

۲۶۵

سورة الحجرات

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا نَؤُجِلُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشِرْهُمْ فِي عَلَيَّ أَن مَسِّيَ الْكَرِيمِ تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا ابْشِرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ مِنْ قَبْلِ ٱلْأَوَّلِ لُوطٌ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا أَمْرَاتُهُ فَدَرَبْنَا ٱلْأَنهَارَ ٱلْغَدِيرَ ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ ٱلْأَوَّلُ لُوطٌ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦٠﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٢﴾ وَأَيُّنَا ٱلْحَقُّ وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَفَضَّلْنَا ٱلْأَيُّهَ ذٰلِكَ ٱلْأَمْرَ ٱلَّذِي دَابِرْهُوَ ٱلْأَوَّلُ ٱلْمَقْطُوعُ مُصْبِحِينَ ﴿٦٥﴾ وَجَاءَ أَهْلَ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ صِيفِي فَلَا تَقْضَحُونِ ﴿٦٧﴾ وَٱلْقَوَى ٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نُنْهَكَ عَنِ ٱلْعٰلَمِينَ ﴿٦٩﴾

وَحَقُّ عَلَى الرَّجُلِ إِكْرَامُ ضَيْفِهِ، ﴿فَلَا تَقْضُحُونَ﴾، فِيهِمْ.

[٦٩] ﴿وَانْقَرُوا لِلَّهِ وَلَا تُخْزُونِ﴾ ، وَلَا تَخْجَلُونَ .

[٧٠] ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ، أي :
 أَلَمْ نَنْهَكَ عَنْ أَنْ تُضَيِّفَ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ . وقيل :
 أَلَمْ نَنْهَكَ أَنْ تُدْخِلَ الْغُرَبَاءَ الْمَدِينَةَ فَإِنَّا نَرْكَبُ مِنْهُمْ
 الْفَاحِشَةَ .

[۷۱] ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ أزواجهن إياكم إن أسلمتم فاتوا الحلال ودعوا الحرام، ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِلَیْنَ﴾، ما آمرکم به. وقیل: أراد بالبنيات نساء قومه لأن النبی كالوالد لأمته.

[٧٢] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَعَنَّاكَ﴾، يَا مُحَمَّدُ أَيَّ
وَحْيَانِكَ، ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾، حَيْرَتِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ
﴿يَعْمَهُونَ﴾، يَتَرَدَّدُونَ، قَالَ قَتَادَةُ: يَلْعَبُونَ. رَوَى
عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا خَلَقَ

الله نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ وما أقسم الله تعالى بحياة أحد إلا بحياته^(١).

[٧٣] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾، أي: حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب حين أصبحوا وتماهم حين أشرقوا.

[٧٤] ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾.

[٧٥] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، قال ابن عباس: للناظرين. وقال مجاهد: للمتفرسين. وقال قتادة: للمعتبرين. وقال مقاتل: للمتفكرين.

[٧٦] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾، يعني قرى قوم لوط، ﴿لِسَبِيلٍ مُّتِيمٍ﴾، أي: بطريق واضح، وقال مجاهد: بطريق معلم ليس بخفي ولا زائل.

[٧٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٧٨] ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾، وقد كان ﴿أَصْحَابُ الْآيَةِ﴾، الغيضة، ﴿لَطَّالِينَ﴾، لكافرين واللام للتأكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف، وكانت عامة شجرهم الدوم وهو المقل.

[٧٩] ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ﴾، بالعذاب وذلك أن الله سلط عليهم الحر سبعة أيام ثم بعث سحابة فالتجؤوا إليها يلتمسون الروح، فبعث عليهم منها ناراً فأحرقتهم، فذلك قوله تعالى: (فأخذهم عذاب يوم الظلة) ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ يعني مدينتي قوم لوط وأصحاب الآية ﴿لِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾، لبطريق واضح مستبين.

[٨٠] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ﴾، وهي مدينة ثمود قوم صالح وهي بين المدينة والشام، ﴿الرَّسُلَيْنِ﴾، أراد صالحاً وحده، وإنما ذكر بلفظ الجمع لأن من كذب رسولاً فقد كذب الرسل كلهم.

[٨١] ﴿وَأَلَيْنَهُمُ بَيْنُنَا﴾، يعني: الناقة وولدها والبئر والآية في الناقة خروجها من الصخرة وكبرها

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧٦﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٨﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٨٠﴾ وَأَنَّهُ لِسَبِيلٍ مُّبِينٍ ﴿٨١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنْ كَانِ أَصْحَابُ الْآيَةِ لَطَّالِينَ ﴿٨٣﴾ فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٨٤﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَلَيْنَهُمُ بَيْنُنَا فَاكِوْنَا عَنْهَا مَعْزُضِينَ ﴿٨٦﴾ وَكَانُوا يَحْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُوْتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٨﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَبْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمُنَافَى وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٩٢﴾ لَتَتَذَكَّرُنَّ عَيْنُكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٩٤﴾ كَمَا أُنزِلْنَا عَلَى الْمُقَسِّمِينَ ﴿٩٥﴾

وقرب ولادها وغزارة لبنها، ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مَعْزُضِينَ﴾. [٨٢] ﴿وَكَانُوا يَحْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُوْتًا ءَامِنِينَ﴾، من الخراب ووقوع الجبل عليهم. [٨٣] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾، يعني: صيحة العذاب، ﴿مُصْبِحِينَ﴾، أي: داخلين في وقت الصبح. [٨٤] ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، من الشرك والأعمال الخبيثة.

[٨٥] قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ﴾، يعني: القيامة ﴿لَآتِيَةٌ﴾، يجازي المحسن بإحسانه والمسيء

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٤/١٤ والحارث بن أبي أسامة في مسنده وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. انظر الدر المنثور ٨٩/٥ والمطالب العالية ٣/٣٤٧.

القرآن العظيم. وقيل: الواو مقحمة مجازة: ولقد آتيناك سبعاً من المثاني القرآن العظيم.

[٨٨] قوله تعالى: ﴿لَا تَدْعَ عَيْنُكَ﴾، يا محمد، ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾، أصنافاً، ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: من الكفار متمنياً لها، نهى الله تعالى رسوله ﷺ عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة أهلها عليها، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، أي: لا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا وقيل: هذه الآية متصلة بما قبلها وذلك أنه لما من الله تعالى عليه بالقرآن نهاه عن الرغبة في الدنيا، ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ﴾، لئِنْ جانبك ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وارفق بهم والجناحان من ابن آدم جانباه.

[٨٩] ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾.

[٩٠] ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ قال الفراء: مجازة أنذركم عذاباً كعذاب المقتسمين، حكى عن ابن عباس أنه قال: هم اليهود والنصارى.

[٩١] ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾، جزؤوه فجعلوه أعضاء فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. وقال مجاهد: هم اليهود والنصارى قسموا كتابهم ففرقوه وبدلوه. وقيل: المقتسمون قوم اقتسموا القرآن، فقال بعضهم: سحر. وقال بعضهم: شعر. وقال بعضهم: كذب. وقال بعضهم: أساطير الأولين. وقيل: الاقسام هو أنهم فرقوا القول في رسول الله ﷺ فقالوا: ساحر كاهن شاعر، وقال مقاتل: كانوا ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقسموا عقاب مكة وطرفها، وقعدوا على نقابها فيقولون لمن جاء من الحجاج: لا تغتروا بهذا الرجل الخارج الذي يدعي النبوة متاً، وتقول طائفة منهم: إنه مجنون وطائفة إنه كاهن وطائفة إنه شاعر، والوليد قاعد على باب المسجد نصبوه

بإساءته، ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾، فأعرض عنهم وأعف عفواً حسناً. نسختها آية القتال.

[٨٦] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ بخلقه.

[٨٧] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، قال عمر وعلي: فاتحة الكتاب. وهو قول قتادة وعطاء والحسن وسعيد بن جبيرة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم»^(١)، وعن ابن مسعود قال: السبع المثاني هي فاتحة الكتاب والقرآن العظيم سائر القرآن، واختلفوا في أن الفاتحة لم سميت مثاني؟ فقال ابن عباس والحسن وقاتدة: لأنها تُتلى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة. وقيل: لأنها مقسومة بين الله وبين العبد بنصفين نصفها ثناء ونصفها دعاء، كما روينا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: يقول الله: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»^(٢)، وقال الحسين بن الفضل: سميت مثاني لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة. وقال مجاهد: سميت مثاني لأن الله تعالى استثنىها وادخرها لهذه الأمة فما أعطاه غيرها. وقال أبو زيد البلخي: سميت مثاني لأنها تُتلى أهل الشر عن الفسق من قول العرب ثنيت عناني. وقيل: لأن أولها ثناء. وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: إن السبع المثاني هي السبع الطوال أولها سورة البقرة وآخرها الأنفال مع التوبة. وقال بعضهم: سورة يونس بدل الأنفال، عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني المثني مكان الإنجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني، وفضلني ربي بالمفضل». وقال طاووس: القرآن كله مثاني قال الله تعالى: (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني). وسمي القرآن مثاني لأن الأنبياء والقصص ثنيت فيه، وعلى هذا القول المراد بالسبع سبعة أسباع القرآن، فيكون تقديره على هذا وهي

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة الحجر ٨/٣٨١. (٢) أخرجه مسلم في الصلاة رقم (٣٩٥) ١/٣٩٦ والمصنف في شرح السنة ٤٧/٣.

النبي ﷺ في هذه الآية بإظهار الدعوة. وروى عن عبدالله بن عبيدة قال: كان مستخفياً حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، نسختها آية القتال.

[٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بك وبالقُرآن، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: فاصدع بأمر الله ولا تخف أحداً غير الله عز وجل فإن الله كافيك من عاداك كما كافاك المستهزئين، وهم خمسة نفر من رؤساء قريش: الوليد بن المغيرة المخزومي - وكان رأسهم - والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبد المطلب بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن زمعة، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، والحارث بن قيس ابن الطلائة.

[٩٦] ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وقيل: استهزأهم واقتسامهم هو أن الله لما أنزل في القرآن سورة البقرة وسورة النحل وسورة النمل وسورة العنكبوت، كانوا يجتمعون ويقولون استهزاء يقول هذا في سورة البقرة ويقول هذا في سورة النحل ويقول هذا في سورة العنكبوت.

[٩٧] فأُنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَصِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾.

[٩٨] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، قال ابن عباس: فصل بأمر ربك، ﴿وَرَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾، من المصلين المتواضعين، وقال الضحاك: فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده، وكن من الساجدين، يعني: من المصلين. وروى أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة^(١).

[٩٩] ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾، أي

حكماً فإذا سئل عنه قال: صدق أولئك يعني المقتسمين. وقوله: (عضين) قيل: هو جمع عضو مأخوذ من قولهم عضيت الشيء تعضيةً، إذا فرقته ومعناه أنهم جعلوا القرآن أعضاء، فقال بعضهم: سحر. وقال بعضهم: كهانة. وقال بعضهم: أساطير الأولين. وقيل: هو جمع عضة. يقال: عضة وعضين مثل برة وبرين وعزة وعزين، وأصلها عضة ذهب هأؤها الأصلية كما نقصوا من الشفة وأصلها شفة بدليل أنك تقول في التصغير شفيهة، والمراد بالعضة الكذب والبهتان. وقيل: المراد بالعضين العضه وهو السحر يريد أنهم سمو القرآن سحراً.

[٩٢] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلْزَمَهُنَّ أَجْمِينَ﴾، يوم القيامة.

[٩٣] ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا قال محمد بن إسماعيل: قال عدة من أهل العلم عن قوله لا إله إلا الله، فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان)، قيل: قال ابن عباس: لا يسألهم هل عملتم لأنه أعلم بهم منهم ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا؟ واعتمده قطرب فقال: السؤال ضربان: سؤال استعلام وسؤال توبيخ، فقوله تعالى: (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان)، يعني: استعلاماً. وقوله: (لنسألهم أجمعين) يعني توبيخاً وتقريعاً. وقال عكرمة عن ابن عباس في الآيتين: إن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف مختلفة يسألون في بعض المواقف ولا يسألون في بعضها، نظير ذلك قوله تعالى: (هذا يوم لا ينطقون)، وقال في آية أخرى: (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون).

[٩٤] قوله تعالى: ﴿فَاصْغُرْ بِمَا تَوَمَّرُ﴾، قال ابن عباس: أظهره. ويروى عنه: أمضه. وقال الضحاك: أعلم. وقال الأخفش: أفرق، أي: أفرق بالقرآن بين الحق والباطل. وقال سيبويه: اقض بما تَوَمَّر، وأصل الصدع الفصل والفرق، أمر

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة ٩٤/٢ والإمام أحمد في المسند ٣٨٨/٥ والمصنف في شرح السنة ١٥٥/٤ وضعفه الألباني في تعليقه على المشكاة ٤١٦/١.

الموت الموقن به، وهذا معنى ما ذكر في سورة مريم: (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا).

(١٦) سورة النحل

[١] ﴿أَنَّى﴾ أي: جاء ودنا وقرب، ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾، قال ابن عرفة: تقول العرب: أذاك الأمر وهو متوقع بعد، أي: أتى أمر الله وعده. ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، وقوعاً، (أمر الله) قال الكلبي وغيره: المراد منه القيامة. قال ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: (اقتربت الساعة) قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن، فلما لم ينزل شيء قالوا: ما نرى شيئاً فنزل قوله: (اقترب للناس حسابهم)، فأشفقوا فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فأنزل الله تعالى: (أتى أمر الله) فوثب النبي ﷺ ورفع الناس رؤوسهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزلت (فلا تستعجلوه) فاطمأنوا^(١). والاستعجال: طلب الشيء قبل حينه، ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه وإن كادت لتسبقني» وقال قوم: المراد بالأمر ههنا عقوبة المكذوبين والعذاب بالسيف، وذلك أن النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية^(٢). وقتل النضر يوم بدر صبراً. ﴿سُبْحَنَهُمُ وَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، معناه تعظيم بالأوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون.

[٢] ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾، قرأ العامة بضم الياء وكسر الزاي، و(الملائكة) نصب. وقرأ يعقوب بالثاء وفتحها وفتح الزاي و(الملائكة) رفع، ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ بالوحي سماه روحاً لأنه يُحيي به

سُورَةُ النَّحْلِ

٢٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْعَانَ عِصِينَ ﴿١١﴾ فَوَرَّيْكَ لَنَشْتَلَكَ أَجْمَعِينَ ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعِضْ عَنِ الْمَشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنفَعُ خَلْقًا لَّكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

القلوب والحق. قال عطاء: بالنبوة. وقال قتادة: بالرحمة. قال أبو عبيدة: بالروح يعني مع الروح وهو جبرائيل. ﴿مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا﴾، أعلموا، ﴿أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾، وقيل: معناه مروهم بقول لا إله إلا الله مندرين مخوفين بالقرآن إن لم يقولوا. وقوله: فاتقون أي: فخافون.

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، أي: ارتفع عما يشركون.

[٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٣٢١ بدون إسناد وبمعناه أخرجه الطبري ٧٥/١٤. (٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥٠/٢ قال ابن حجر في الفتح: أخرجه أحمد والطبري وسنده حسن وأصل الحديث في البخاري كتاب الرقاق ٣٤٧/١١ وفي مسلم في كتاب الفتن ٢٢٦٨/٤.

حَصِيدٌ»، جدل بالباطل، ﴿ثَيْنٌ﴾، نزلت في أبي ابن خلف الجمحي وكان ينكر البعث جاء بعض رميم فقال: أقول إن الله تعالى يحيي هذا بعد ما قد رم؟ كما قال جل ذكره (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) نزلت فيه أيضًا. والصحيح أن الآية عامة، وفيها بيان القدرة وكشف قبيح ما فعلوه، من جحود نعم الله مع ظهورها عليهم.

[٥] قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَدَ خَلْقَهَا﴾، يعني الإبل والبقر والغنم، ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ يعني: من أوبارها وأشعارها وأصوافها ملابس ولحفا تستدفئون بها، ﴿وَمَنْفَعٌ﴾، بالنسل والدر والركوب والحمل وغيرها، ﴿وَوَيْهَا تَأْكُلُونَ﴾، يعني لحومها.

[٦] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾، زينة، ﴿حِينَ تَرُوحُونَ﴾، أي: حين تردونها بالعشي من مراعيها إلى مباركها التي تأوي إليها، ﴿وَمَعِينَ شَرَحُونَ﴾، أي: تخرجونها بالغداة من مراحيها إلى مسارحها، وقدم الرواح لأن المنافع تؤخذ منها بعد الرواح، ومالكها يكون أعجب بها إذا راحت.

[٧] ﴿وَتَحْمِلْ أَنْقَالَكُمْ﴾، أحمالكم، ﴿إِلَى بَلَدٍ﴾، آخر غير بلدكم. ﴿لَمْ تَكُونُوا بِلَيْفِهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ﴾، أي: بالمشقة والجهد. والشق: النصف أيضاً أي: لم تكونوا بالغيه إلا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها. وقرأ أبو جعفر (بَشَقِّ) بفتح الشين وهما لغتان مثل رطل ورطل. ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُوفٌ رَحِيمٌ﴾، بخلقه حيث جعل لكم هذه المنافع.

[٨] ﴿وَالْحَيْلُ﴾، يعني: وخلق الخيل وهي اسم جنس لا واحد له من لفظه كالإبل والنساء والسماء. ﴿وَالْيَغَالُ وَالْحَمِيرَ لِرَّكْبُوهَا وَزِينَةً﴾، يعني وجعلها زينة لكم مع المنافع التي فيها، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من وسائل الانتقال وأسباب الزينة، وقيل: يعني ما أعد الله في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر.

الخزائن العشرة

۲۶۸

سُورَةُ الْحَمْدِ

وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِهِ إِلَّا نَشِيقُ
الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ
الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُثْبِتُ لَكُمْ
بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ
الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُم مِّنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ
مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي
سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَاسٍ لَّا كُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا
مِنْهُ حَبْلَةً ثَلَبُوسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَ لَهَا يَخْرُجُ مِنْهُ
وَلَا تَسْأَلُ عَنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

[٩] قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ يعني: بيان طريق الهدى من الضلالة. وقيل: بيان الحق بالآيات والبراهين، والقصد: الصراط المستقيم. ﴿وَمِنْهَا حَكِيمٌ﴾ يعني: ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج، فالقصد من السبيل دين الإسلام، والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر. قال جابر بن عبدالله: قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض. وقال عبدالله بن المبارك وسهل ابن عبدالله: قصد السبيل السنة. ومنها جائر: الأهواء والبدع، دليله قوله تعالى: (وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ). ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، نظيره قوله تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا).

﴿١٠﴾ قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾، تشریبونه، ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾، آی: من

[١٥] ﴿وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رَوَّسًا أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ﴾
أي لثلاث تميد بكم أي تتحرك وتميل، والميد: هو الاضطراب والتكفؤ ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر: ميد قال وهب: لما خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة: إن هذه غير مقررة أحدًا على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال، ﴿وَأَنْهَرَا وَسَلًّا﴾ أي: وجعل فيها أنهارًا وطرقًا مختلفة ﴿لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ﴾، إلى ما تريدون فلا تضلون.

[١٦] ﴿وَعَلَّمَتْنِي﴾، يعني: معالم الطرق. قال بعضهم: وهنا تم الكلام ثم ابتداء، ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، قال محمد بن كعب والكلبي: أراد بالعلامات الجبال والجبال تكون علامات النهار والنجوم علامات الليل. وقال مجاهد: أراد بالكل النجوم منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به.

[١٧] ﴿أَمْنَ يَخْلُقُ﴾، يعني: الله تعالى، ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾، يعني: الأصنام، ﴿أَفَلَا نَذْكُرُ﴾.

[١٨] ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ لتقصيركم في شكر نعمه ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بالتقصير والمعاصي.

[١٩] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُنْفِكُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام، وقرأ عاصم ويعقوب (يدعون) بالياء. ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

[٢١] ﴿أَمْوَاتٌ﴾ أي: الأصنام ﴿غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، يعني الأصنام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ متى ﴿يُتَعَذَّرُونَ﴾ والقرآن يدل على أن الأصنام تبعث وتجعل فيها الحياة فتتبرأ من عابديها وقيل: ما يدري الكفار عبدة الأصنام متى يبعثون.

ذلك الماء شراب أشجاركم حياة نباتكم، ﴿فِيهِ﴾ يعني: في الشجر، ﴿تُسِيمُونَ﴾، ترعون مواشيتكم.

[١١] ﴿يُنَبِّئُ لَكُمْ بِهِ﴾ أي: ينبت الله لكم به يعني الماء الذي أنزل وقرأ أبو بكر عن عاصم (نُنبِت) بالنون. ﴿الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

[١٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ﴾، ذَلَّلَ لَكُمْ ﴿اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾، مذللات، ﴿بِأَمْرِهِ﴾ أي: بإذنه وقرأ حفص عن عاصم (والنجوم مسخرات) بالرفع على الابتداء. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَمَا ذَرَأَ﴾، خلق، ﴿لَكُمْ﴾، لأجلكم: أي: وسخر ما خلق لأجلكم، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، من الدواب والأشجار والثمار وغيرها، ﴿مُخْلَقَاتٍ﴾ نصب على الحال، ﴿الزَّيْتُونَ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ، يعتبرون.

[١٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني: السمك، ﴿وَسَخَّرَ مِنْهُ جَلِيدًا تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني: اللؤلؤ والمرجان، ﴿وَتَرَى أَفْلَاكَ مَوَازِيرَ فِيهِ﴾، جواري فيه. قال قتادة:

مقبلة ومدبرة وهو أنك ترى سفيتين إحداهما تقبل والأخرى تدبر تجريان بريح واحدة. وقال الحسن: مواخر أي مملوءة. وقال الفراء والأخفش: مواخر شواق تشق الماء يجوؤوها. قال مجاهد تمخر السفن الرياح. وأصل المخر: الرفع والشق، وفي الحديث: «إذا أراد أحدكم البول فليستمخر الريح»^(١) أي: لينظر من أين مجراها وهبوبها حتى لا يرد عليه البول. وقال أبو عبيدة: صوائخ والمخر: صوت هبوب الريح عند شدتها، ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ يعني: التجارة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، إذ رأيتم صنع الله فيما سخر لكم.

(١) أخرجه ابن حبان في المجروحين ١٠٨/٣ وذكره الزمخشري في الفائق ٣٥٠/٣ وابن الأثير في النهاية ٤/٣٠٥ والزيلعي في نصب الراية ١٠٣/٢.

وَالَّذِينَ فِي الْأَرْضِ رَوَّسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَانْتَهَرُوا سُبُلًا
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ بِالْجَمِّ هُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ
تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوتَ غَيْرِ
أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ
فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ
﴿٢٢﴾ لَأَجْرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتُ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبِّكُمْ
قَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا
سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَأَقْبَهُ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

الْقَوَاعِدُ أَي: قصد تخريب بنيانهم من أصولها،
فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ يعني أعلى البيوت ﴿٢٦﴾ مِنْ
فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، من
مأمنهم.

[٢٧] ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ، يهينهم
بالعذاب، ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشْتَقُونَ
فِيهِمْ﴾، تخالفون، المؤمنون فيهم ما لهم لا
يحضرونكم فيدفعون عنكم العذاب، وكسر نافع
النون من (تشاقون) على الإضافة، والآخرون
بفتحها. ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، وهم المؤمنون،
﴿إِنَّ الْخِزْيَ﴾، الهوان، ﴿الْيَوْمَ وَالسَّوءَ﴾، أي:
العذاب، ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

(١) أخرجه مسلم في الإيمان رقم (٩١) ٥٣/١ والمصنف
في شرح السنة ١٣/١٦٥. (٢) أخرجه مسلم في العلم رقم
(٢٦٧٤) ٤/٢٠٦٠ والمصنف في شرح السنة ١/٢٣٢.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾، جاحدة، ﴿وَهُمْ
مُسْتَكْبِرُونَ﴾، متعظمون.

[٢٣] ﴿لَا جَرَمَ﴾، حقاً ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا
يُسْرُوتُ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ عن
عبدالله عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان
في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من في
قلبه مثقال ذرة من إيمان»، فقال رجل: يا رسول
الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله
حسناً؟ قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر
بطر الحق وغمط الناس»^(١).

[٢٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾، يعني: لهؤلاء الذين لا
يؤمنون بالآخرة وهم مشركو مكة الذين اقتسموا
عقابها إذا سأل منهم الحاج، ﴿مَاذَا أُنْزِلَ رَبِّكُمْ قَالُوا
أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، أحاديثهم وأباطيلهم.

[٢٥] ﴿لِيَحْمِلُوا﴾ أي: ليجعلوا، ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾،
ذنوب أنفسهم، ﴿كَامِلَةً﴾، وإنما ذكر الكمال لأن
البلايا التي تلحقهم في الدنيا وما يفعلون فيها من
الحسنات لا تكفر عنهم شيئاً، ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ
أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، بغير حجة
فيصدونهم عن الإيمان، ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾، ما
يحملون. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:
«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من
تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى
ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا
ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»^(٢).

[٢٦] قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ﴾، وهو نمرود بن كنعان، بنى الصرح ببابل
ليصعد السماء. قال ابن عباس ووهب: كان طول
الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع. وقال كعب
ومقاتل: كان طوله فرسخين فهبت ريح وألقت
رأسه في البحر وخرّ عليهم الباقي وهم تحته،
فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَهُ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنْ

[٢٨] ﴿الَّذِينَ تَوْفَّعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه، قرأ حمزة (يتوفاهم) بالياء وكذا ما بعده، ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾، بالكفر ونصب على الحال أي: في حال كفرهم، ﴿فَالْقَوْمَ الْأَسَافَةَ﴾ أي: استسلموا وانقادوا وقالوا، ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾، شرك فقال لهم الملائكة، ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. قال عكرمة: عنى بذلك من قتل من الكفار ببدر.

[٢٩] ﴿فَادْخُلُوا﴾ أي: قال لهم ادخلوا ﴿أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَلْيَسْ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾، عن الإيمان، (وقيل للذين اتقوا) وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فإذا جاء يسأل الذين قعدوا على الطرق عنه فيقولون: ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون، ولو لم تلقه خير، فيقول السائل: إنا شر وفد إن رجعت إلى قومي دون أن أدخل مكة فآلقاه فيدخل مكة فيرى أصحاب النبي ﷺ فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث.

[٣٠] فذلك قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ﴾ يعني: أنزل خيراً، ثم ابتدأ فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾، كرامة من الله. قال ابن عباس: هي تضعيف الأجر إلى العشر. وقال الضحاك: هي النصر والفتح. وقال مجاهد: هي الرزق الحسن. ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾، أي ولدار الحال الآخرة، ﴿خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾، قال الحسن: هي الدنيا لأن أهل التقوى يتزودون فيها للآخرة. وقال أكثر المفسرين: هي الجنة، ثم فسرها.

[٣١] فقال: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٣٢] ﴿الَّذِينَ تَوْفَّعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾، مؤمنين طاهرين من الشرك. قال مجاهد: زاكية أفعالهم

﴿الَّذِينَ تَوْفَّعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ٢٧٠ ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْرِجُهُمْ وَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿الَّذِينَ تَوْفَّعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا لَوْلَا السَّلَامَةُ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَلْيَسْ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿الَّذِينَ تَوْفَّعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٣٤﴾

وأقوالهم. وقيل: معناه إن وفاتهم تقع طيبة سهلة. ﴿يَقُولُونَ﴾ يعني: الملائكة لهم، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾، وقيل: معناه يبلغونهم سلام الله، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٣٣] قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، لقبض أرواحهم، ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾، يعني: يوم القيامة، وقيل: العذاب. ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي: كفروا كما كفر الذين من قبلهم، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بتعذيبه إياهم، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[٣٤] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾، عقوبات كفرهم وأعمالهم الخبيثة، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾، نزل بهم، ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَنَّمُوا لَنُبَوِّثَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ لَآخِرَةٍ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

أصحاب النبي ﷺ ظلمهم أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم حتى لحق منهم طائفة بالحبشة ثم بوا الله لهم المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصارًا من المؤمنين. ﴿لَنُبَوِّثَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، وهو أنه أنزلهم المدينة. وقيل: معناه لنحسن إليهم في الدنيا. وقيل: الحسنة في الدنيا التوفيق والهداية. ﴿وَلَا جَزَاءَ لَآخِرَةٍ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. وقوله: (لو كانوا يعلمون) ينصرف إلى المشركين لأن المؤمنين كانوا يعلمونه.

[٤٢] ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، في الله على ما نالهم، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾، نزلت في مشركي مكة حيث أنكروا نبوة محمد ﷺ، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا فهل بعث إلينا ملكًا، ﴿فَتَسْلُتُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾،

شَيْءٍ، يعني في البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فلولا أن الله رضيها لنا لغير ذلك وهذا إلى غيرها، ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، أي: ليس إليهم الهداية إنما إليهم التبليغ.

[٣٦] ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ أي: كما بعثنا فيكم، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وهو معبود من دون الله، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾، أي: هداة الله إلى دينه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ أي وجبت: بالقضاء السابق حتى مات على كفره، ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾، أي: مآل أمرهم وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك.

[٣٧] ﴿إِن تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ﴾، يا محمد، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾، قرأ أهل الكوفة (يهدي) بفتح الباء وكسر الدال أي: لا يهدي الله من أضله. وقيل: معناه لا يهتدي من أضله الله، وقرأ الآخرون بضم الباء وفتح الدال يعني من أضله الله فلا هادي له كما قال: (من يضل الله فلا هادي له)، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ أي: مانعين من العذاب.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾، وهم منكرو البعث قال الله تعالى ردًا عليهم: ﴿بَلَى وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٣٩] ﴿لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ﴾ أي: ليظهر لهم الحق فيما يختلفون، ﴿فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، يقول الله تعالى: إذا أردنا أن نبعث الموتى فلا تعب علينا في إحيائهم ولا في شيء مما يحدث إنما نقول له: كن فيكون.

[٤١] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَنَّمُوا﴾، عذبوا وأودوا في الله، قال قتادة: هم

يعني مؤمني أهل الكتاب، ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٤٤] ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾، واختلفوا في الجالب للباء في قوله (بالبينات) قيل: هي راجعة إلى قوله: (وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر غير رجال يوحى إليهم ولم نبعث ملائكة. وقيل: تأويله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً يوحى إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر. ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، أراد بالذكر الوحي وكان النبي ﷺ مينا للوحي وبيان الكتاب يُطلب من السنة ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

[٤٥] ﴿فَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا، عَمَلُوا
 ﴿السَّيِّئَاتِ﴾، من قبل يعني نمرود بن كنعان وغيره
 الكفار، ﴿أَن يَخْشِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ
 مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ﴾ ، بالعذاب ، ﴿فِي تَقَاتُلِهِمْ﴾ ، تصرفهم في الأسفار. وقال ابن عباس: في اختلافهم. وقال ابن جريج: في إقبالهم وإدبارهم ، ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ، السابقين الله.

[٤٧] ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَحْوِيٍّ﴾، والتخوف: النقص، أي: ينقص من أطرافهم ونواحيهم شيئاً بعد شيء حتى يهلك جميعهم، يقال: تخوفه الدهر وتخونه إذا نقصه وأخذ ماله وحشمه، ويقال: هذا لغة بني هذيل. وقال الضحاك والكلبي: هو من الخوف، أي: أن يعذب طائفة ليتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم. ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، حين لم يعجل بالعقوبة.

[٤٨] قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾،
قرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب وكذلك في
سورة العنكبوت، والآخرين بالياء خبراً عن الذين
مكروا السيئات إلى ما خلق الله من شيء من جسم
قائم له ظل، ﴿يَفْقَهُوا﴾، قرأ أبو عمر، ويعقوب
بالتاء والآخرين بالياء. ﴿ظِلُّهُ﴾، أي: تميل

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَهُمْ أَلْهَلْ
 إِلَيْكَ كَرِإً كُنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
 الذِّكْرَ لَتَبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾
 أَفَأَمَّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ
 أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
 فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
 رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
 يَنْفَتِحُوا ظِلْفَهُ عَنْ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ
 ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
 وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
 وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا إِلَهِينِ
 أُتِينَ إِنْ مَأْهُوا إِلَهُ وَاحِدًا فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَلَهُ الَّذِينَ رَاصِبًا أَغْفِرَ اللَّهُ نَفَقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّنْ
 نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ
 إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾

وتدور من جانب إلى جانب فهي في أول النهار على حال ثم تنقلص ثم تعود في آخر النهار إلى حال أخرى، سجدًا لله فميلانها ودورانها سجودها لله عز وجل. ويقال للظل بالعشي: فيء لأنه فاء أي رجع من المغرب إلى المشرق، فالفيء الرجوع، والسجود الميل. يقال: سجدت النخلة إذا مالت. قوله عز وجل: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾، قال قتادة والضحاك: أما اليمين فأول النهار والشمال آخر النهار، تسجد الظلال لله. وقيل: المراد من الظلال سجود الأشخاص فإن قيل: لم وحد اليمين وجمع الشمائيل؟ قيل: من شأن العرب في اجتماع العلامتين الاكتفاء بواحدة، كقوله تعالى: (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم)، وقوله: (يخرجهم من الظلمات إلى النور)، وقيل: اليمين يرجع إلى قوله: (وما خلق الله) ولفظ (ما)

واحد والشمائل جمع يرجع إلى المعنى. ﴿وَهُرَّ دَخْرُونَ﴾، صاغرون.

[٤٩] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، إنما أخبر بـ (ما) لغلبة ما لا يعقل على من يعقل في العدد، والحكم للأغلب كتغليب المذكر على المؤنث، ﴿مِنْ ذَاتِهِ﴾، أراد من كل حيوان يدب. ويقال: السجود الطاعة والأشياء كلها مطيعة لله عز وجل من حيوان وجماد، قال الله تعالى: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، وقيل: سجدوا الأشياء تذللها وتسخرها لما أُريدت له وسُخرت له. وقيل: سجدوا الجمادات وما لا يعقل ظهور أثر الصنع فيه على معنى أنه يدعو الغافلين إلى السجود عند التأمل والتدبر فيه، قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، خص الملائكة بالذكر مع كونهم من جملة ما في السموات والأرض تشريفًا ورفعًا لشأنهم. وقيل: لخروجهم من الموصوفين بالديب إذ لهم أجنحة يطرون بها. وقيل: أراد والله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة، وتسجد الملائكة. ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

[٥٠] ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ مِنَ تَوْفِيقِهِ﴾، كقوله: (وهو القاهر فوق عباده). ﴿وَيَقُولُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

[٥١] قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُونَ إِنَّمَنْ أَتَيْنَاهُ إِنَّهُ هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارِهِبُونَ﴾.

[٥٢] ﴿وَلَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ﴾، الطاعة والإخلاص ﴿وَاصْبِرْ﴾، دائمًا ثابتًا، معناه: ليس من أحد يدان له ويطاع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلاك غير الله عز وجل فإن الطاعة تدوم له ولا تنقطع. ﴿أَفَعَيِّرَ اللَّهُ تَعْلُونَ﴾، أي: تخافون، استفهام على طريق الإنكار.

[٥٣] قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾، أي: وما يكن من نعمة فمن الله، ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾، القحط والمرض، ﴿فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾،

تضعون وتصيحون بالدعاء والاستغاثة. [٥٤] ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فِرِّقٌ مِّنكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

[٥٥] ﴿لِيَكْفُرُوا﴾، ليجحدوا، ﴿بِمَا آتَيْنَهُمْ﴾، وهذه اللام تُسمى لام العاقبة، أي: حاصل أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم أعطيناهم من النعماء وكشف الضراء والبلاء، ﴿فَتَنَعُوا﴾، أي: عيشوا في الدنيا المدة التي ضربتها لكم، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمركم هذا وعيد لهم.

[٥٦] ﴿وَيَعْمَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾، له حقًا أي: الأصنام، ﴿صَيِّبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾، من الأموال وهو ما جعلوا للأوثان من حروثهم وأنعامهم، فقالوا: هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا، ثم رجع من الخبر إلى الخطاب فقال: ﴿تَاللَّهِ لَنَسْتَأْذِنَنَّ﴾، يوم القيامة ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾، في الدنيا.

[٥٧] ﴿وَيَعْمَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾، وهم خزاعة وكنانة، قالوا: الملائكة بنات الله تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾، أي: ويجعلون لأنفسهم البنين الذين يشتهونهم فيكون (ما) في محل النصب، ويجوز أن يكون على الابتداء فيكون (ما) في محل الرفع.

[٥٨] ﴿وَإِذْ بَشَّرَ أَحَدَهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾، متغيرًا من الغم والكراهية، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾، وهو ممتلئ حزنًا وغيظًا فهو يكظمه، أي: يمسكه ولا يظهره.

[٥٩] ﴿يَتَوَرَّى﴾، أي: يخفي، ﴿مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾، من الحزن والعار ثم يتفكر ﴿يَتَمَسَّكُمُ﴾، ذكر الكناية ردًا على (ما) ﴿عَلَى هَوًى﴾، أي: هوان، ﴿أَنَّهُ يَدْخُلُ فِي الرَّابِّ﴾، أي: يخفيه فيثده، وذلك أن مضر وخزاعة وتميمًا كانوا يدفنون البنات أحياء خوفًا من الفقر عليهم وطمع غير الأكفاء فيهن، وكان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو

الْبَنَاتِ وَالْبَنَاتِ

٢٧٣

سُورَةُ النِّحْلِ

لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَأَلَّفُ لَشَّاتٌ لِّمَا كُنْتُمْ تَقْرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ تَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يَوَازِئُكَ اللَّهُ النَّاسُ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَصِفُّ السَّيِّئَةِ الْكُذْبُ أَنَّ لَهُمُ الْحَسَنَ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَأَلَّفُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرِيقٌ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فُهِوًّا وَلِيَهُمُ الْيَوْمَ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

أي: تقول، ﴿السَّيِّئَةُ الْكُذْبُ أَنَّ لَهُمُ الْحَسَنَ﴾، يعني البنين محل (إن) نصب بدل عن الكذب، قال يمان: يعني بالحسن: الجنة في المعاد يقولون نحن في الجنة إن كان محمد صادقًا بالوعد في البعث. ﴿لَا جَرَمَ﴾، حقًا. قال ابن عباس: بلى، ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾، في الآخرة، ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾، قرأ نافع بكسر الراء أي: مسرفون، وقرأ أبو جعفر بتشديد الراء وكسرها أي: مضيعون أمر الله، وقرأ الآخرون بفتح الراء وتخفيفها أي: منسيون في النار، قاله ابن عباس، وقال سعيد بن جبيرة: مبعدون، وقال مقاتل: متروكون. قال قتادة: معجلون إلى النار. قال الفراء: مقدمون إلى النار، ومنه قوله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض»^(١) أي: متقدمكم.

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الرقاق ٤٦٣/١١ ومسلم في الطهارة رقم (٢٤٩) ٢١٨/١.

شعر وتركها ترعى له الإبل والغنم في البادية وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى صارت سداسية قال لأمها زينها حتى أذهب بها إلى أحماها، وقد حفر لها بئرًا في الصحراء فإذا بلغ بها البئر قال لها انظري إلى هذه البئر في دفعها من خلفها في البئر ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر ثم بالأرض، فذلك قوله عز وجل: (أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، بش ما يقضون لله البنات ولأنفسهم البنين، نظيره: (ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى)، وقيل: بش حكمهم وأد البنات.

[٦٠] ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، يعني: لهؤلاء الذين يصفون لله البنات ولأنفسهم البنين ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾، صفة السوء من الاحتياج إلى الولد وكراهية الإناث وقتلهن خوف الفقر، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ الصفة العليا وهي التوحيد وأنه لا إله إلا هو. وقيل: جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء وغيرها من الصفات. قال ابن عباس: مثل السوء النار والمثل الأعلى شهادة أن لا إله إلا الله. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[٦١] ﴿وَلَوْ يَوَازِئُكَ اللَّهُ النَّاسُ بِظُلْمِهِمْ﴾، فيعاجلهم بالعقوبة على كفرهم وعصيانهم، ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾، أي: على الأرض، كناية عن غير مذكور، ﴿بَيْنَ دَابَّتَيْنِ﴾، قال قتادة في الآية: قد فعل الله ذلك من زمن نوح فأهلك من على الأرض إلا من كان في سفينة نوح عليه السلام. وقيل: إن معنى الآية لو يؤاخذ الله آباء الظالمين بظلمهم انقطع النسل ولم توجد الأبناء فلم يبق في الأرض أحد. ﴿وَلَكِن يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، يمهلهم بحلمه إلى أجل، ﴿مُسَمًّى﴾، إلى منتهى آجالهم وانقطاع أعمارهم. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

[٦٢] قوله عز وجل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾، لأنفسهم يعني البنات، ﴿وَصِفُّ﴾،

سورة النحل

٢٧٤

سورة النحل

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِيُفَكِّرُمَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبِئْسَ خَالِصًا يَافِعًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ يَبْوَاتًا مِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْرِكُ الْأُزْدُلَ الْعُمْرَ لَكِنْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعَمَةٍ أَلَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْزَلِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِالنَّعْمَةِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

قالوا: وهذا قبل تحريم الخمر، وإلى هذا ذهب ابن مسعود وابن عمر وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد، وقال الشعبي: السكر ما شربت، والرزق الحسن: ما أكلت. وروى العوفي عن ابن عباس: أن السكر هو الخل بلغة الحبشة، وقال بعضهم: السكر النيذ المسكر، وهو نقيع التمر والزبيب إذا اشتد والمطبوخ من العصير، وهو قول الضحاك والنخعي، ومن يبيع شرب النيذ ومن حرم يقول: المراد من الآية الإخبار لا الإحلال وأولى الأقاويل أن قوله: (تتخذون منه سكرًا) منسوخ، روي عن ابن عباس قال: السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما أحل. وقال أبو عبيدة: السكر الطعم يقال: هذا سكر لك أي: طعم، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ).

[٦٨] وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ، أي: ألهما

[٦٣] ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ كما أرسلنا إلى هذه الأمة، ﴿فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾، الخبيثة، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾، ناصرهم، ﴿أَلْيَوْمَ﴾، وقرينهم سماه وليًا لهم لطاعتهم إياه، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، في الآخرة.

[٦٤] ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، من الدين والأحكام، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، أي: ما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانًا وهدى ورحمة فالهدى والرحمة عطف على قوله (لتبين).

[٦٥] ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، يعني: المطر، ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾، بالنبات، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، يبوستها، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، سمع القلوب لا سمع الآذان.

[٦٦] ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ﴾، لعظة، ﴿تُفَكِّرُمْ بِمَا فِي بُطُونِهِمْ﴾، قال الفراء: رد الكناية إلى النعم، والنعم والأنعام واحد، ولفظ النعم مذكر قال أبو عبيدة والأخفش: النعم يذكر ويؤنث فمن أنث فالمعنى الجمع ومن ذكر فلحكم اللفظ. قال الكسائي: رده إلى ما يعني في بطون ما ذكرنا، وقال المؤرج: الكناية مردودة إلى البعض والجزء كأنه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن إذا ليس لكلها لبن واللبن فيه مضمّر، ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ﴾، وهو ما في الكرش من الثقل فإذا خرج منه لا يُسمى فرثًا، ﴿وَدَمٍ لَبِئْسَ خَالِصًا﴾، من الدم والفرث ليس عليه لون دم ولا رائحة فرث، ﴿سَافِعًا لِلشَّارِبِينَ﴾، هنيئًا يجري على السهولة في الحلق.

[٦٧] ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾، يعني: ولكم أيضًا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والأعناب، ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ﴾، والكناية في (منه) عائدة إلى (ما) محذوفة أي: ما تتخذون منه، ﴿سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾، قال قوم: السكر: الخمر، والرزق الحسن الخل والزبيب والتمر والرُّبُّ،

الله عز وجل فهل منكم أحد يشركه مملوكه في زوجته وفراشه وما له أفتعدلون بالله خلقه وعباده، ﴿أَفَنِعْمَ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾، بالإشراك به.

[٧٢] قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، يعني: النساء خلق من آدم وزوجته حواء، وقيل: من أنفسكم أي: من جنسكم أزواجًا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ﴾، قال ابن مسعود والنخعي: الحفدة أختان الرجل على بناته، وعن ابن مسعود أيضًا أنهم الأصهار، فيكون معنى الآية على هذا القول: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيحصل بسببهم الأختان والأصهار. وقال عكرمة والحسن والضحاك: هم الخدم. قال مجاهد: هم الأعوان من أعانك فقد حفدك. وقال عطاء: هم ولد ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه. وقال قتادة: مهنة تمتهنونهم ويخدمونكم من أولادكم. قال الكلبي ومقاتل: البنين الصغار والحفدة كبار الأولاد الذين يعينونه على عمله. وروى مجاهد وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس: أنهم ولد الولد. وروى العوفي عنه: أنهم بنوا امرأة الرجل ليسوا منه ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، من النعم الحلال، ﴿أَفَيُلَاطِلُ﴾، يعني الأصنام، ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾، يعني التوحيد والإسلام، وقيل: الباطل الشيطان أمرهم بتحريم البحيرة والسائبة، وبنعمة الله أي بما أحل الله لهم يكفرون يجحدون تحليله.

[٧٣] ﴿وَعَبْدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ﴾، يعني المطر، ﴿وَالْأَرْضِ﴾، يعني النبات، ﴿شَيْئًا﴾، قال الأخفش: هو بدل من الرزق معناه أنهم لا يملكون من أمر الرزق شيئًا قليلًا ولا كثيرًا. وقال الفراء: نصب شيئًا بوقوع الرزق عليه أي لا يرزق شيئًا، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، ولا يقدرُونَ على شيء بذكر عجز الأصنام عن إيصال نفع أو دفع ضرر.

وقذف في أنفسها ففهمته، والنحل زنابير العسل وأحدها نحلة. ﴿أَنِ اخْذِي مِنَ الْجِبَالِ يَتُوءًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾، ينون، وقد جرت العادة أن أهلها ينون لها الأماكن فهي تأوى إليها، قال ابن زيد: هي الكروم.

[٦٩] ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، ليس معنى الكل العموم، وهو كقوله تعالى: (وأوتيت من كل شيء) ﴿فَاسْأَلِيكَ سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾. قيل: هي نعت الطرق، يقول: هي مذلة للنحل سهلة المسالك. قال مجاهد: لا يتوعر عليها مكان سلكته. وقال آخرون: الذلل نعت النحل، أي: مطيعة متقادة بالتسخير. يقال: إن أربابها ينقلونها من مكان إلى مكان ولها يعسوب إذا وقف وقفت وإذا سار سارت، ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾، يعني: العسل ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾، أبيض وأحمر وأصفر. ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾، أي: في العسل وقال مجاهد: أي في القرآن والأول أولى، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فيعتبرون.

[٧٠] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُوفِّقُكُمْ﴾، صيبانًا أو شبانًا أو كهولًا، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُزِيذُ إِلَهَ أَزْوَاجِهِ الْأَعْمُرِ﴾، أردته قال مقاتل: يعني الهرم. قال قتادة: أرذل العمر: تسعون سنة. روي عن علي قال: أرذل العمر: خمس وسبعون. وقيل: ثمانون سنة. ﴿لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾، لكيلا يعقل بعد عقله الأول شيئًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

[٧١] ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾، بسط عن واحد وضيق على الآخر وقلل وكثر. ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، من العبيد، ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾، أي: حتى يستووا هم وعبيدهم في ذلك، يقول الله تعالى: لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم الله سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم به الحجة على المشركين. قال قتادة: هذا مثل ضربه

[٧٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾، يعني الأشباه فتشبهونه بخلقه وتجعلون له شريكاً فإنه واحد لا مثل له، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، خطأ ما تضربون من الأمثال، ثم ضرب مثلاً للمؤمن والكافر، فقال جل ذكره.

[٧٥] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾، هذا مثل الكافر رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيراً، ﴿وَمِنْ رَزَقْنَاهُ مِثْرًا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾، هذا مثل المؤمن أعطاه الله مالا فعمل فيه بطاعة الله وأنفق في رضاء الله سراً وجهراً فأثابه الله عليه الجنة. ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾، ولم يقل هل يستويان لمكان (من) وهو اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع، وكذلك قوله (لا يستطيعون) بالجمع لأجل من، معناه: هل يستوي هذا الفقير البخيل والغني السخي كذلك لا يستوي الكافر العامي والمؤمن المطيع. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يقول ليس الأمر كما يقولون ما للأوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه إنما الحمد الكامل لله عز وجل لأنه المنعم والخالق والرازق، ولكن أكثر الكفار لا يعلمون، ثم ضرب مثلاً للأصنام فقال:

[٧٦] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾، كل ثقل ووبال على مولاة ابن عمه وأهل ولايته، ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ﴾، يرسله، ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾، لأنه لا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه، هذا مثل الأصنام لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل، (وهو كل على مولاة) عابده يحتاج إلى أن يحمله ويضعه ويخدمه، ﴿هَٰذَا يَسْتَوِي﴾، ﴿لَا يَسْتَوِي﴾، يعني: الله فإنه قادر متكلم يأمر بالتوحيد، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، قال الكلبي: يعني يدلکم على صراط مستقیم. وقيل: هو رسول الله ﷺ يأمر بالعدل وهو على صراط مستقیم. وقيل: كلا المثليين للمؤمن

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمِنْ رَزَقْنَاهُ مِثْرًا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٨﴾ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أُمِرَ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَجِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٠﴾ أَلَمْ يَرْوِ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يَمْسُكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨١﴾

والكافر، يرويه عطية عن ابن عباس قال عطاء: الأبكى أبي بن خلف، ومن يأمر بالعدل: حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون. وقال مقاتل: نزلت في هاشم بن عمرو بن الحرث بن ربيعة القرشي، وكان قليل الخير يعادي رسول الله ﷺ. وقيل: نزلت في عثمان بن عفان ومولاه كان عثمان ينفق عليه وكان مولاه يكره الإسلام.

[٧٧] ﴿وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أُمِرَ السَّاعَةِ﴾، في قرب كونها، ﴿إِلَّا كَلَمَجِ الْبَصَرِ﴾، إذا قال له كن فيكون، ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾، بل هو أقرب، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، نزلت في الكفار الذين يستعجلون القيامة استهزاء.

[٧٨] ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾، تم الكلام ثم ابتداء فقال جل وعلا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾،

لأن الله تعالى جعل هذه الأشياء لهم قبل الخروج من بطون الأمهات وإنما أعطاهم العلم بعد الخروج، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، نعمة كون السمع والأبصار والأفئدة قبل الخروج إذ يسمع الطفل ويبصر ولا يعلم، وهذه الجوارح من غير هذه الصفات كالمعدوم، كما قال فيمن لا يسمع الحق ولا يبصر العبر ولا يعقل الثواب: (صم بكم عمي فهم لا يرجعون) لا يشكرون نعمه.

[٧٩] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾، قرأ ابن عامر وحزمة ويعقوب بالتاء والباقون بالياء لقوله: (ويعبدون). ﴿إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَتٍ﴾، مذلات، ﴿فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾ وهو الهوى بين السماء والأرض، روى كعب الأحبار أن الطير ترفع اثني عشر ميلاً ولا ترفع فوق هذا وفوق الجو السكاك السماء ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ في الهواء ﴿إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٨٠] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ﴾ التي هي من الحجر والمدر، ﴿سَكَنًا﴾ أي: مسكنًا تسكنونه، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾، يعني الخيام والقباب والأخبية والفساطيط من الأنطاع والأدم، ﴿تَسْكُنُونَهَا﴾ أي: يخف عليكم حملها، ﴿يَوْمَ طَعَنَكُمْ﴾، رحلتكم في سفركم، ﴿وَيَوْمَ إِفَاتَكُمْ﴾، في بلدكم لا تثقل عليكم في الحالين، ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾، يعني أصواف الضأن وأوبار الإبل وأشعار المعز، والكتابة راجعة إلى الأنعام، ﴿أَنْثًا﴾، قال ابن عباس: مألًا. قال مجاهد: متاعًا. قال القتيبي: الأثاث المال جميعه من الإبل والغنم والمتاع، وقال غيره: هو متاع البيت من الفرش والأكسية، ﴿وَمَتَاعًا﴾، بلاغًا ينتفعون بها، ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني إلى حين الموت. وقيل: إلى حين تبلى.

[٨١] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ تستظلون بها من شدة الحر وهي ظلال الأبنية والأشجار، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكَنَاتًا﴾، يعني: الأسراب والغيان واحدها كن ﴿وَجَعَلَ لَكُم

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِثْعَالٌ إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ مَخْلُوقِ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْبَأْسَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَشْرَكَاءَ هُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ قَالُوا إِلَهُهُمْ أَلَيْسَ الْقَوْلُ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ يَوْمَ ذَلِكَ السَّلَامُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

﴿سَرَّيْلٌ﴾ قمصاً من الكتان والقز والقطن والصوف،
﴿تَقِيَكُمْ﴾، تمنعكم، ﴿أَلَحَرَ﴾، قال أهل
المعاني: أراد الحر والبرد اكتفاء بذكر أحدهما
للدلالة الكلام عليه. ﴿وَسَرَّيْلٌ تَقِيَكُمْ بِأَسَكُمُ﴾،
يعني: الدروع، والبأس: الحرب، يعني: تقيكم
في بأسكم السلاح أن يصيبكم، ﴿كَذَلِكَ يُبْعَثُ نِعْمَتُهُ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، تخلصون له الطاعة.

[٨٢] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ، فَإِنْ أَعْرَضُوا فَلَا يُلْحَقْ فِي ذَلِكَ عِتْبٌ وَلَا سَمَةٌ تَقْصِيرٌ ، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ .

[٨٣] ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾، قال السدي يعني: محمداً ﷺ، ﴿ثُمَّ يُكْفِرُونَهَا﴾، يكذبون به. وقال قوم: هي الإسلام. وقال مجاهد وقتادة: يعني ما عُدَّ لهم من النعم في هذه السورة يقولون أنها من الله، ثم قيل لهم: تصدقوا وامثلوا لأمر الله فيها ينكرونها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٧٧

سُورَةُ النِّحْلِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٤﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ
أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى
هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٨٦﴾
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ
عَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا
بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ
اللَّهُ بِهِمْ وَلِيَّتَيْنِ لَكُمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ تَخْلَفُونَ ﴿٨٨﴾
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَبْضُلُ مَنْ
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْلُكُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٩﴾

هَؤُلَاءِ ﴿٨٤﴾، الذين بعثت إليهم ﴿٨٤﴾ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
تِبْيَانًا ﴿٨٥﴾ بيانًا، ﴿٨٥﴾ لِكُلِّ شَيْءٍ ﴿٨٥﴾، يحتاج إليه من الأمر
والنهي والحلال والحرام والحدود والأحكام، ﴿٨٥﴾ وَهُدًى ﴿٨٥﴾، من الضلالة ﴿٨٥﴾ وَرَحْمَةً وَبُشْرَى ﴿٨٥﴾، بشارة
لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٥﴾.

[٩٠] ﴿٩٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴿٩٠﴾، بالإنصاف،
﴿٩٠﴾ وَالْإِحْسَنِ ﴿٩٠﴾، إلى الناس وعن ابن عباس: العدل: التوحيد والإحسان: الإخلاص في التوحيد، وذلك معنى قول النبي ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»^(١). وقال مقاتل: العدل التوحيد، والإحسان: العفو عن الناس، ﴿٩٠﴾ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى ﴿٩٠﴾، صلة الرحم، ﴿٩٠﴾ وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ ﴿٩٠﴾، ما
(١) قطعة من الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري في الإيمان ١١٤/١ ومسلم في الإيمان برقم (٨) ٣٦/١.

فيقولون ورثتها من آبائنا. وقال الكلبي: هو أنه لما ذكر لهم هذه النعمة قالوا: نعم هذه كلها من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا. وقال عوف بن عبد الله: هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا وكذا ولولا فلان لما كان كذا، ﴿٨٤﴾ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٤﴾، الجاحدون.

[٨٤] قوله عز وجل: ﴿٨٤﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴿٨٤﴾، يعني رسولًا ﴿٨٤﴾ ثُمَّ لَا يُوْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٨٤﴾، في الاعتذار، وقيل: في الكلام أصلاً، ﴿٨٤﴾ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾، يسترضون، يعني: لا يكلفون أن يرضوا ربهم لأن الآخرة ليست بدار تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبون، وحقيقة المعنى في الاستعتاب أنه التعرض لطلب الرضا وهذا الباب مُنْسَدٌ في الآخرة على الكفار.

[٨٥] ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿٨٥﴾، كفروا، ﴿٨٥﴾ الْعَذَابَ ﴿٨٥﴾، يعني جهنم، ﴿٨٥﴾ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٥﴾.

[٨٦] ﴿٨٦﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴿٨٦﴾، يوم القيامة، ﴿٨٦﴾ شُرَكَاءَهُمْ ﴿٨٦﴾، أوثانهم، ﴿٨٦﴾ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ ﴿٨٦﴾، أربابًا ونعبدتهم، ﴿٨٦﴾ قَالُوا ﴿٨٦﴾، يعني الأوثان، ﴿٨٦﴾ إِلَهُهُمْ الْقَوْلُ ﴿٨٦﴾، أي: قالوا لهم، ﴿٨٦﴾ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾، في تسميتنا آلهة ما دعوناكم إلى عبادتنا.

[٨٧] ﴿٨٧﴾ وَالْقَوْمُ ﴿٨٧﴾، يعني المشركين ﴿٨٧﴾ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ ﴿٨٧﴾، استسلموا وانقادوا لحكمه فيهم، ولم تغن عنهم آلهتهم شيئًا، ﴿٨٧﴾ وَصَلَّ ﴿٨٧﴾، وزال، ﴿٨٧﴾ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿٨٧﴾، من أنها تشفع لهم.

[٨٨] ﴿٨٨﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٨٨﴾، منعوا الناس عن طريق الحق ﴿٨٨﴾ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾، في الدنيا بالكفر وصد الناس عن الإيمان.

[٨٩] ﴿٨٩﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴿٨٩﴾، يعني نبينا لأن الأنبياء كانت تبعث إلى الأمم منها. ﴿٨٩﴾ وَجِئْنَا بِكَ ﴿٨٩﴾، يا محمد ﴿٨٩﴾ شَهِيدًا عَلَى

تكون، ﴿أَتَمَّةٌ هِيَ أَرْبَى﴾، أي: أكثر وأعلى، ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ قال مجاهد: وذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا قومًا أكثر منهم وأعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الأكثر، فمعناه: طلبتم العز بنقض العهد بأن كانت أمة أكثر من أمة فنهاهم الله عن ذلك. ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾، يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بالعهد، ﴿وَلَيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، في الدنيا.

[٩٣] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، على ملة واحدة وهي الإسلام، ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾، بخذلانه إياهم عدلاً منه، ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، بتوفيقه إياهم فضلاً منه، ﴿وَلَسَنَّا عَنْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، يوم القيامة.

[٩٤] ﴿وَلَا تَنَحَّضُوا أَنَّمَكُم دَخَلًا﴾، خديعة وفسادًا، ﴿بَيْنَكُمْ﴾، فتغرون بها الناس فيسكنون إلى أيمانكم ويأمنون ثم تنقضونها، ﴿فَنَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾، فتهلكوا بعد ما كنتم آمنين والعرب تقول لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في ورطة بعد سلامة زلت قدمه، ﴿وَتَدْفِقُوا أَسْوَأَ يَمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قيل: معناه سهلتم طريق نقض العهد على الناس بنقضكم العهد، ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٩٥] ﴿وَلَا تَشْرَوْا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، يعني لا تنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عرضاً قليلاً من الدنيا، ولكن أوفوا بها. ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ﴾، من الثواب لكم على الوفاء بالعهد، ﴿حَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك.

[٩٦] فقال: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَفْدُ﴾، أي: الدنيا وما فيها يفنى، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ﴾، قرأ أبو جعفر وابن كثير وعاصم بالنون والباقون بالياء، ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، على الوفاء في السراء والضراء، ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٩٧] قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ

قبح من القول والفعل. وقال ابن عباس: الزنا، ﴿وَالنُّكَرُ﴾، ما لا يعرف في شريعة ولا سنة، ﴿وَالْبَغْيُ﴾، الكبر والظلم. وقال ابن عيينة: العدل استواء السر والعلانية، والإحسان: أن يكون سريره أحسن من علانيته، والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريره، ﴿يَعْظُمُ لَعَلَّكُمْ تَذَكُّرُونَ﴾، لعلكم تتعظون. قال ابن مسعود: أجمع آية في القرآن هذه الآية. وقال أيوب عن عكرمة: إن النبي ﷺ قرأ على الوليد: (إن الله يأمر بالعدل) إلى آخر الآية فقال له: يا ابن أخي أعد فعاد عليه، فقال: إن له والله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول البشر.

[٩١] قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾، والعهد ههنا هو اليمين، قال الشعبي: العهد يمين وكفارته كفارة اليمين، ﴿وَلَا تَنَقُضُوا أَلَيْتُمْ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، تشديدها فتحثوا فيها، ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْفَالًا﴾، شهيدًا بالوفاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾، واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية وإن كان حكمها عامًا، قيل: نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ، أمرهم الله بالوفاء بها. وقال مجاهد وقتادة: نزلت في حلف أهل الجاهلية. ثم ضرب الله مثلاً لنقض العهد.

[٩٢] فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزَاهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾، أي: من بعد غزله وإحكامه معناه: أنها لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض، فكذلك أنتم إذا أنقضتم العهد، لا كفتم عن العهد ولا حين عاهدتم وفيتم به، ﴿أَنكُتًا﴾، يعني أنقاضاً واحدها نكت وهو ما نقض بعد القتل غزلاً كان أو حبلاً. ﴿تَنَحَّضُونَ أَنَّمَكُم دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾، أي: دخلاً وخيانة وخديعة والدخل: ما يدخل في شيء للفساد، وقيل: الدخل والدغل أن يظهر الوفاء ويطن النقض: ﴿أَن تَكُونَ﴾ أي: لأن

الْقُدُسُ، جبريل، ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق
﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أي: ليثبت قلوب
المؤمنين ليزدادوا إيمانًا و يقينًا، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

(۱) أخرجه ابن جریر ۱۷۷/۱۴.

[١٠٢] ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾، یعنی القرآن، ﴿رُوحُ﴾

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٦﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمِعْتَهُمْ أَبْصَرْتَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَافِلُونَ ﴿١٠٩﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١٠﴾ ثَمَرَاتُ رَبِّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١١﴾

وصهيًا وبلا لا وخبابًا وسالمًا فعذبوهم، فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجيء قُبَلُها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين قتلًا في الإسلام، وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها، فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يكي، فقال رسول الله ﷺ: ما وراءك؟ قال: شرّ يارسول الله نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: كيف وجدت قلبك؟ قال: مطمئنًا بالإيمان فجعل النبي ﷺ يمسح عينيه وقال: إن عادوا لك فعُدْ لهم بما قلت، فنزلت هذه الآية^(١) وقال مقاتل: نزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها، ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾، ثم أسلم مولى عامر بن الحضرمي وحسن إسلامه وهاجر

(١) أخرجه الطبري ١٨١/١٤ وعبد بن حميد والحاكم انظر الدر المنثور ٥/١٧٢.

مملوك كان لحويطب بن عبد العزى، وكان قد أسلم وحسن إسلامه، وكان أعجمي اللسان. وقال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيرًا ما يجلس عند المروة إلى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي، يقال له جبر، وكان يقرأ الكتب، وقال عبدالله بن مسلم الحضرمي: كان لنا عبدان من أهل عين النمر وكانا يصنعان السيوف بمكة، وكان يقرأ القرآن التوراة والإنجيل فربما مرّ بهما النبي ﷺ وهما يقرأان التوراة، فيقف ويستمع. قال الضحاك: وكان النبي ﷺ إذا أذاه الكفار يقعد إليهما ويستريح بكلامهما، فقال المشركون: إنما يتعلم محمد منهما، فنزلت هذه الآية قال الله تعالى تكذيبًا لهم: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾، أي يميلون ويشيرون إليه، ﴿أَعْجَمِي﴾، الأعجمي الذي لا يفصح وإن كان ينزل بالبادية، والعجمي منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحًا، والأعرابي البدوي، والعربي منسوب إلى العرب، وإن لم يكن فصيحًا، ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾، فصيح وأراد باللسان القرآن، والعرب تقول: اللغة لسان.

[١٠٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾، لا يرشدهم الله، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم أخبر الله تعالى أن الكفار هم المفترون. [١٠٥] فقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، لا محمد ﷺ، فإن قيل: قد قال إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون فما معنى قوله: (وأولئك هم الكاذبون)، قيل: إنما يفتري الكذب أخبار عن فعلهم وهم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول، ومن عادتك الكذب.

[١٠٦] ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في عمار وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسرًا وأمه سمية

سُورَةُ النَّحْلِ

٢٨٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٠٧﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٠٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٠٩﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١١٠﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلُ لَيْعَةٍ يَغْتَبِغُونَ مِنْهُ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١١﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٢﴾ مَتَّعَ قَبْلُ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿١١٣﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَافَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٤﴾

جبر مع سيده، ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ أي: فتح صدره بالكفر بالقبول فاختره، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. وأجمع العلماء على أن من أكره على كلمة الكفر، يجوز له أن يقول بلسانه، وإذا قال بلسانه غير معتقد لا يكون كفراً وإن أبى أن يقول حتى يقتل كان أفضل.

[١٠٧] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا﴾، أثاروا، ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، لا يرشدهم.

[١٠٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾، عما يراد بهم.

[١٠٩] ﴿لَا جَرَمَ﴾، أي حقاً، ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، أي المغبونون.

[١١٠] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّنَا لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُضِيَتْ أَشْيَا﴾، عذبوا ومنعوا من الإسلام فتنهم المشركون، ﴿ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا﴾ على الإيمان والهجرة والجهاد، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾، من بعد تلك الفتنة والغفلة ﴿لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١١١] ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ﴾، تخاصم وتحتج، ﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾، بما أسلفت من خير وشر مشتغلاً بها لا تتفرغ إلى غيرها، ﴿وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

[١١٢] قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾، يعني: مكة كانت آمنة لا يهاج أهلها ولا يُغار عليها، ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾، قارة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال للانتجاع كما يحتاج إليه سائر العرب، ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾، يُحمل إليها من البر والبحر، نظيره: (تجبي إليه ثمرات كل شيء). ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾، جمع النعمة، وقيل: جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس، ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ﴾ ابتلاهم الله بالجوع سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله

ﷺ حتى جهدوا وأكلوا العظام المحرقة، والجيف والكلاب الميتة، ثم إن رؤساء مكة كلموا رسول الله ﷺ وقالوا: ما هذا؟ هبك عادية الرجال فما بال النساء والصبيان؟ فأذن رسول الله ﷺ للناس بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون، وذكر اللباس لأن ما أصابهم من الهزال والشحوب وتغير ظاهرهم عما كانوا عليه من قبل كاللباس لهم، ﴿وَالْخَوْفُ﴾، يعني: بعوث النبي ﷺ وسراياه التي كانت تطيب بهم ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

[١١٣] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾، محمد ﷺ، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

[١١٤] ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

[١١٥] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلُ لَيْعَةٍ يَغْتَبِغُونَ مِنْهُ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا

عَادِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

[١١٦] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾، أي: لا تقولوا لوصف ألسنتكم أو لأجل وصفكم الكذب أي: أنكم تَحْلُونَ وتُحرمون لأجل الكذب لا لغيره، ﴿هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾، يعني البحيرة والسائبة، ﴿لِفَتْرَا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، فتقولون إن الله أمرنا بهذا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾، لا ينجون من عذاب الله.

[١١٧] ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ يعني: الذي هم فيه متاع قليل أو لهم متاع قليل في الدنيا. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، في الآخرة.

[١١٨] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا فَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني في سورة الأنعام. وقوله تعالى: (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) الآية ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بتحرير ذلك عليهم، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فحرمنا عليهم بغيرهم.

[١١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ يعني: بالإصلاح الاستقامة على التوبة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾، أي: من بعد الجهالة، ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٢٠] قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ قال ابن مسعود: الأمة معلم الخير أي: كان معلم الخير، يأتي به أهل الدنيا، وقد اجتمع فيه من الخصال الحميدة ما اجتمع في أمة، قال مجاهد: كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار. قال قتادة: ليس من أهل دين إلا يتولونه ويرضونه ﴿فَإِنَّا لِلَّهِ مُطِيعَا﴾. وقيل: قائماً بأوامر الله تعالى، ﴿حَنِيفًا﴾ مستقيماً على دين الإسلام. وقيل: مخلصاً. ﴿وَلَوْ يَكُنِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٢١] ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجْتَبَنَاهُ﴾، اختاره، ﴿وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، أي: إلى دين الحق.

[١٢٢] ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، يعني الرسالة

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
 إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُنِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾
 شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾
 وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٢﴾
 ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾
 إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾
 أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغَ إِحْسَنِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
 وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾
 وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾
 إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

والخلة. وقيل: لسان الصدق والثناء الحسن. وقال مقاتل بن حيان: يعني الصلاة عليه في قول هذه الأمة: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم. وقيل: أولاداً أبراراً على الكبر. وقيل: القبول العام في جميع الأمم. ﴿وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، مع آباءه الصالحين في الجنة. وفي الآية تقديم وتأخير مجازة: وآتيناه في الدنيا والآخرة حسنة، وإنه لمن الصالحين.

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، يا محمد ﴿أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَنِيفًا﴾، حاجباً مسلماً، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وقال أهل الأصول: كان النبي ﷺ مأموراً بشريعة إبراهيم إلا ما نسخ في شريعته، وما لم ينسخ صار شرعاً.

[١٢٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى

نزول براءة حين أمر النبي ﷺ بقتال من قاتله ومنع من الابتداء بالقتال، فلما أعز الإسلام وأهله نزلت براءة، وأمروا بالجهاد ونسخت هذه الآية، قال النخعي والثوري ومجاهد وابن سيرين: الآية محكمة نزلت فيمن ظلم بظلامة فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال الظالم منه، أمر بالجزاء والعفو ومنع من الاعتداء، ثم قال لنبيه ﷺ.

[١٢٧] ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، أي:

بمعونة الله وتوفيقه، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، في إعراضهم عنك، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾، أي: مما فعلوا من الأفاعيل، وقال أبو عبيدة: الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المساكن، فأما ما كان في القلب والصدر فإنه بفتح الضاد. وقال ابن قتيبة: الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين، ولين ولين، فعلى هذا هو صفة كأنه قال: ولا تكن في أمر ضيق من مكرهم.

[١٢٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، المناهي،

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ بالعون والنصرة.

(١٧) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

[١] ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾، سبحان

الله تنزه الله تعالى من كل سوء ووصف بالبراءة من كل نقص على طريق المبالغة وتكون سبحان بمعنى التعجب أسرى بعبده، أي: سيره، وكذلك أسرى به، والعبد هو: محمد ﷺ، ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، قيل: كان الإسراء من مسجد مكة.

روى قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا في المسجد الحرام في الحجر بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق»، فذكر حديث المعراج وقال قوم: عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب ومعنى قوله: (من المسجد الحرام) أي: من الحرم. قال مقاتل:

الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ أَي: خالفوا فيه. قيل: معناه إنما جعل السبب لعنة على الذين اختلفوا فيه. وقيل: معناه ما فرض الله تعظيم السبب وتحريمه إلا على الذين اختلفوا فيه، يعني اليهود، قال قتادة: الذين اختلفوا فيه هم اليهود استحله بعضهم وحرّمه بعضهم. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[١٢٥] ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾، بالقرآن،

﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، يعني مواعظ القرآن. وقيل: الموعظة الحسنة هي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب. وقيل: هو قول اللين الرقيق من غير تغليظ ولا تعنيف، ﴿وَحَدِّ لَهُمْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وخاصمهم وناظرهم بالخصومة التي هي أحسن أي أعرض عن أذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء إلى الحق، نسختها آية القتال. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

[١٢٦] ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَعَاقِبَتُ فَعَاقِبَتِهِمْ مَا عُوِّفَتْهُمْ بِهِ﴾،

هذه الآيات نزلت بالمدينة في شهداء أحد وذلك أن المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتالهم يوم أحد من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين إلا مثل به غير حنظلة بن الراهب فإن أباه أبا عمر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك، فقال المسلمون حين رأوا ذلك: لئن أظهرنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم ولنمثلن بهم مثله لم يفعلها أحد من العرب بأحد، فوقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا أنفه وأذنه وقطعوا مذاكيره وبفروا بطنه فقال: «لئن أظفرنني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك»، فأنزل الله تعالى: (وإن عاقبتهم فعاقبوا) الآية. ﴿وَيَسِّرْ لَكَ ذِكْرَهُ﴾، أي: ولئن عفوتم لهو خير للعافين فقال النبي ﷺ: بل نصبر، وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه. قال ابن عباس والضحاك: كان هذا قبل

سُورَةُ الْاِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ لَاتَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَ عُلُوقًا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عَبْدًا لَنَا أُولَى بِأُسْ شِدِيدٍ فَجَاسُوا خَلَلِ الدِّيَارِ
وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾
إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْئِلُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

يعني وقضينا عليهم، فالى بمعنى على، والمراد
بالكتاب اللوح المحفوظ، «لُتُفْسِدَنَّ»، لام القسم
مجازه: والله لتفسدن، «فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ»،
بالمعاصي، والمراد بالأرض أرض الشام وبيت
المقدس، «وَلَنَعْلُنَ»، ولستكبرن ولتظلمن الناس،
«عُلُوقًا كَبِيرًا».

[٥] «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا»، يعني أولى مرتين،
قال قتادة: إفسادهم في المرة الأولى ما خالفوا من
أحكام التوراة وركبوا المحارم. وقال محمد بن
إسحاق: إفسادهم في المرة الأولى: قتل شعيا
وارتكابهم المعاصي. «بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عَبْدًا لَنَا»،
قال قتادة: يعني جالوت الخزري وجنوده، وهو
الذي قتله داود. وقال سعيد بن جبيرة: يعني
سنجاريب من أهل نينوى. وقال ابن إسحاق:
بختنصر البابلي وأصحابه، وهو الأظهر: «أُولَى

كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة. ويقال: كان
في رجب. وقيل: كان في رمضان. ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ
الْأَقْصَا﴾، يعني: بيت المقدس، وسمي أقصى لأنه
أبعد المساجد التي تزار. وقيل: لبعده من المسجد
الحرام. ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾، بالأنهار والأشجار
والثمار. وقال مجاهد: سماه مباركاً لأنه مقر
الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي، وفيه الصخرة
ومنه يحشر الناس يوم القيامة. ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾
من عجائب قدرتنا، وقد رأى هناك الأنبياء والآيات
الكبرى، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ذكر السميع
لينبه على أنه المجيب لدعائه، وذكر البصير لينبه
على أنه الحافظ له في ظلمة الليل. وروي عن
عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: ما فقد
جسد النبي ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه.
والأكثر على أنه أسرى بجسده في اليقظة
وتواترت الأخبار الصحيحة على ذلك.

[٢] قوله عز وجل: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا﴾، بالأ، «تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي
وَكِيلًا»، رباً كفلاً، قرأ أبو عمرو: (لا يتخذوا)
بالباء لأنه خبر عنهم والآخرين بالتاء، يعني قلنا
لهم لا تتخذوا.

[٣] «ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا»، قال مجاهد: هذا نداء
يعني: يا ذرية من حملنا، «مَعَ نُوحٍ»، في السفينة
فأنجيناهم من الطوفان، «إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا»، كان نوح عليه السلام إذا أكل طعاماً أو
شرب شرباً أو لبس ثوباً قال: الحمد لله، فسمي
عبدًا شكورًا، أي: كثير الشكر.

[٤] قوله عز وجل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي
الْكِتَابِ﴾ أي: أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم
من الكتاب أنهم سيفسدون، والقضاء على وجوه:
يكون أمراً كقوله: (وقضى ربك)، ويكون حكماً
كقوله: (إن ربك يقضي بينهم) ويكون خلقاً كقوله
(ففضاهن سبع سموات)، وقال ابن عباس وقاتدة:

سُورَةُ الْاِسْرَاءِ

٢٨٣

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي

عَسَىٰ رَبُّكُمْ اَنْ يَّرْجِعَكُمْ وَاِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
 حَصِيرًا ﴿٨﴾ اِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰهِ الَّذِي هُوَ اَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
 الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ اَنْ لَهُمْ اَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
 وَاَنْ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ اَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا اَلِيمًا ﴿١٠﴾
 وَيَدْعُ الْاِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْاِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
 وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَنْ حَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
 السَّاعَاتِ وَالْحَسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلْنَاهُ نَفْسِيًّا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
 اِنْسَانٍ اَلَزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عَنَفٍ وَّنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا
 يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ اَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
 ﴿١٤﴾ مَنْ اَهْتَدَىٰ فَاِنَّمَا يَهْدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَاِنَّمَا يَضِلُّ
 عَلَيْهِمْ وَلَا نَزْرُوزُهُ وَزَرَّ اُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتّٰى تَبْعَثَ
 رُسُلًا ﴿١٥﴾ وَاِذَا ارْتَدْنَا اَنْ تَهْلِكَ قَرْيَةٌ اَمَرْنَا مُرَفِقَهَا فَيُفْسَقُوا فِيهَا
 فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ اَهْلَكْنَا مِنْ
 الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

بَاسٍ، ذوي بطش، ﴿شَدِيدٌ﴾، في الحرب،
 ﴿فَجَاسُوا﴾، أي: فطافوا وداروا، ﴿خِلَلِ الدِّيَارِ﴾،
 وسطها يطلبونكم، والجوس: طلب الشيء
 بالاستقصاء. قال الفراء: جاسوا قتلوكم بين
 بيوتكم، ﴿وَكَاثَ وَعَدًا مَّفْعُولًا﴾، قضاء كائنًا لا
 خلف فيه.

[٦] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾، يعني: الرجعة
 والدولة، ﴿عَلَيْهِمْ وَأَمَدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِيٍّ وَجَعَلْنَكُمْ
 أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾، عددًا، أي: من ينفر معهم وعاد
 البلد أحسن مما كان.

[٧] ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾، أي: لها
 ثوابها، ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، أي: فعلها، كقوله
 تعالى: (فسلام لك) أي: عليك. وقيل: فلها
 الجزاء والعقاب، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي:
 المرة الأخيرة من إفسادكم وذلك قصدهم قتل
 عيسى عليه السلام حين رفع وقتلهم يحيى بن زكريا
 عليهما السلام، فسلط الله عليهم الفرس والروم
 حتى قتلوههم وسبوههم ونفوههم عن ديارهم، فذلك
 قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْئُوا وَجُوهَكُمْ﴾، أي: تحزن
 وجوهكم وسوء الوجه بإدخال الغم والحزن. قرأ
 الكسائي ويعقوب: (للسوء) بالنون وفتح الهمزة
 على التعظيم، كقوله (وقضيئا) و (بعثنا) وقرأ ابن
 عامر وحمزة وأبو بكر بالياء وفتح الهمزة على
 التوحيد، أي ليسوء الله وجوهكم، وقيل: ليسوء
 الوعد وجوهكم، وقرأ الباقر بالياء وضم الهمزة
 على الجمع، أي ليسوء العباد أولوا البأس الشديد
 وجوهكم ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾، يعني: بيت
 المقدس ونواحيه، ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 وَلِيُتَبَرَّأُوا﴾، وليهلكوا، ﴿مَا عَلَوْا﴾ أي: ما غلبوا
 عليه من بلادكم ﴿تَبِيرًا﴾.

[٨] ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾، يا بني إسرائيل، ﴿أَنْ
 يَّرْجِعَكُمْ﴾، بعد انتقامه منكم فيرد الدولة إليكم، ﴿وَإِنْ
 عُدْتُمْ عُدْنَا﴾، أي: إن عدتم إلى المنصية عدنا إلى

العقوبة. قال قتادة: فعادوا فبعث الله عليهم محمدًا
 ﷺ فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون،
 ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾، سجنًا ومحبسًا من
 الحصر وهو الحبس. قال الحسن: حصيرًا أي:
 فراشًا. وذهب إلى الحصر الذي ييسط ويفرش.
 [٩] ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰهِ الَّذِي هُوَ اَقْوَمُ﴾، أي:
 إلى الطريقة التي هي أصوب. وقيل: الكلمة التي
 هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿وَيُبَشِّرُ﴾،
 يعني: القرآن، ﴿الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ اَنْ
 لَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ﴾، ﴿أَجْرًا كَبِيرًا﴾، وهو الجنة.
 [١٠] ﴿وَاَنْ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ اَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا
 اَلِيمًا﴾، وهو النار.

[١١] وقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْاِنْسَانُ﴾، حذف
 الواو لفظًا لاستقلال اللام الساكنة كقوله: (سندع
 الزبانية)، وحذف في الخط أيضًا وهي غير محذوفة

أراد بالطائر حظه من الخير والشر من قولهم طار سهم فلان بكذا وكذا، وَخَصَّ العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق وغيرهما مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بتشبيه الأشياء اللازمة إلى الأعناق، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ﴾ يقول الله تعالى: ونحن نخرج له، ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾، وقرأ الحسن ومجاهد ويعقوب: (ويخرج له) بفتح الياء وضم الراء، معناه: ويخرج له الطائر يوم القيامة كتابًا. وقرأ أبو جعفر (يخرج) بالياء وضمها وفتح الراء، ﴿يَلْقَاهُ﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر (يلقاه) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، يعني: يلقى الإنسان ذلك الكتاب، أي: يؤتاه. وقرأ الباقر بفتح الياء خفيفة أي يراه ﴿مَشُورًا﴾، وفي الآثار: أن الله تعالى يأمر الملك بطي الصحيفة إذا تم عمر العبد فلا تنشر إلا في يوم القيامة.

[١٤] ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾، أي: يقال له: اقرأ كتابك، قوله تعالى: ﴿كَفَىٰ نَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾، محاسبًا. قال الحسن: لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك. قال قتادة: سيقراً يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا.

[١٥] ﴿مَنْ أَهْدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْدِي لِنَفْسِهِ﴾، لها ثوابه، ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾، لأن عليها عقابه، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، أي: لا تحمل حاملة حمل أخرى من الآثام، أي: لا يؤخذ أحد بذنب أحد. ﴿وَمَا كُنتُمْ مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾، إقامة للحجة وقطعاً لعذر، وفيه دليل على أن ما وجب وجب بالسمع لا بالعقل.

[١٦] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً نَّأْمُرُ أَهْلَهَا﴾، قرأ مجاهد: (أمرنا) بالتشديد أي: سلطنا شرارها فعصوا، وقرأ الحسن وقاتدة ويعقوب (أمرنا) بالمد، أي: أكثرنا. وقرأ الباقر بالقصر مختلفاً، أي أمرناهم بالطاعة فعصوا، ويحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء ويحتمل أن تكون بمعنى

في المعنى، ومعناه: ويدعو الإنسان على ماله وولده ونفسه، ﴿يَالْأَسْرَىٰ﴾، فيقول عند الغضب: اللهم العنه وأهلكه ونحوهما، ﴿دُعَاءُ بِالْخَيْرِ﴾، أي: كدعائه ربه بالخير أن يهب له النعمة والعافية لو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك، ولكن الله لا يستجيب بفضله، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه. قال جماعة من أهل التفسير، وقال ابن عباس: ضجرًا لا صبر له على السراء والضراء.

[١٢] قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ وَالنَّهَارَ عَآيَاتٍ﴾، أي: علامتين دالتين على وجودنا ووحدانيتنا وقدرتنا، ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ أَلِيلَ﴾، قال ابن عباس: جعل الله نور الشمس سبعين جزءاً ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءاً فجعلها مع نور الشمس، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾، منيرة مضيئة، يعني يبصر بها. قال الكسائي: تقول العرب: أبصر النهار إذا أضاءت بحيث يبصر بها، ﴿لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ الْيُسْرِ وَالْحَسَابِ﴾، أي: لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يدر وقت الحج ولا وقت حلول الآجال ولا وقت السكون والراحة. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلُنَا نَقْصِيلًا﴾.

[١٣] قوله عز وجل: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾، قال ابن عباس: عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان. وقال الكلبي ومقاتل: خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسبه به. وقال الحسن: يمنه وشؤمه. وعن مجاهد: ما من مولود إلا في عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد. وقال أهل المعاني: أراد بالطائر ما قضى الله عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة سمي طائراً على عادة العرب فيما كانت تتفاهل وتتشاءم به من سوانح الطير وبوارحها. وقال أبو عبيدة والقتيبي:

أكثرنا، يقال: أمرهم الله أي كثرهم الله واختار أبو عبيدة قراءة العامة وقال: لأن المعاني الثلاثة تجتمع فيها يعني الأمر والإمارة والكثرة. (مترفيها) منعميها وأغنياءها ﴿فَفَسَّقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾، وجب عليها العذاب، ﴿فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾، أي: خربناها وأهلكنا من فيها.

[١٧] قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾، أي: المكذبة، ﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾، يخوف كفار مكة، ﴿وَكُنِيَ بِرَبِّكَ إِذْنُوبٌ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾، قال عبدالله بن أبي أوفى: القرن: مائة وعشرون سنة، فبعث رسول الله ﷺ في أول قرن، وكان في آخره يزيد بن معاوية. وقيل: مائة سنة. ورؤي عن محمد بن القاسم عن عبدالله بن بشر المازني أن رسول الله ﷺ وضع يده على رأسه وقال: «سيعيش هذا الغلام قرناً»^(١)، قال محمد بن القاسم فما زلنا نعد له حتى تم له مائة سنة، ثم مات. قال الكلبي: القرن: ثمانون سنة. وقيل: أربعون سنة.

[١٨] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾، يعني الدنيا أي الدار العاجلة، ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾، من البسط والتفتير، ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾، أن نفعل به ذلك أو إهلاكه، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾، يدخل نارها، ﴿مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾، مطرودًا مبعدًا.

[١٩] ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾، عمل عملها، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾، مقبولًا.

[٢٠] ﴿كُلًّا نُمِدُّهُ هَوْلًا وَهَوْلًا﴾، أي: نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة، ﴿وَمِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾، أي: يرزقهما جميعًا ثم يخلف بهما الحال في المال، ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾، رزق ربك، ﴿مَحْظُورًا﴾، ممنوعًا عن عباده فالمراد من العطاء العطاء في الدنيا وإلا فلا حظ للكفار في الآخرة.

[٢١] ﴿أَنْظُرْ﴾، يا محمد، ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّهُ هَوْلًا وَهَوْلًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَمَاتَ ذَا الْقُرْنَيْنِ حَقًّا وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ وَلَا تُبْدِرْ بَذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنْ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

عَلَى بَعْضٍ﴾، في الرزق والعمل الصالح، يعني: طالب العاجلة وطالب الآخرة، ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾.

[٢٢] ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾، الخطاب مع النبي ﷺ والمراد غيره. وقيل: معناه لا تجعل أيها الإنسان مع الله إلها آخر، ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾، مذمومًا من غير حمد مخذولًا من غير نصر.

[٢٣] قوله عز وجل: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾، وأمر ربك، قال ابن عباس وقتادة والحسن: قال الربيع ابن أنس: وأوجب ربك. قال مجاهد: وأوصى ربك، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، أي: وأمر بالوالدين إحسانًا برًّا بهما وعطفًا عليهما،

(١) أخرجه ابن جرير ٥٨/١٥ وذكره البخاري في التاريخ الصغير ص(٣٩) وأخرجه أبو نعيم كما في التهذيب ٥/١٣٩.

مطيعين بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغير ذلك، ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّيْتِ﴾، بعد المعصية ﴿عَفْوًا﴾، قال سعيد بن جبير في هذه الآية: هو الرجل يكون منه البادرة إلى أوبىه لا يريد به إلا الخير فإنه لا يؤاخذ به. قال سعيد بن المسيب: الأواب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب. قال سعيد بن جبير: الرجاء إلى الخير. وعن ابن عباس قال: هو الرجاء إلى الله فيما يحزنه وينوبه. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: هُمُ الْمَسْبُحُونَ، دليله قوله: (يا جبال أوبي معه). قال قتادة: هم المصلون، قال عون العقيلي: هم الذين يصلون صلاة الضحى.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾، يعني صلة الرحم، وأراد به قرابة الإنسان وعليه الأكثرون وعن علي بن الحسين: أراد به قرابة الرسول ﷺ، ﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾، أي: لا تنفق مالك في المعصية. وقال مجاهد: لو أنفق الإنسان ماله كله كان تبذيرًا ولو أنفق مدًا في باطل كان تبذيرًا. وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال: إنفاق المال في غير حقه.

[٢٧] ﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾، أي: أولياءهم، والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم هو أخوهم. ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾، جحودًا لنعمه.

[٢٨] ﴿وَمَا تَرْضَنَ عَنْهُمْ﴾، نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبي

﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾، قرأ حمزة والكسائي بالألف على التثنية فعلى هذا قوله: ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾، كلام مستأنف، كقوله تعالى: (ثم عموا وصموا كثير منهم) وقوله: (وأسروا النجوى الذين ظلموا) وقوله: (الذين ظلموا) ابتداء وقرأ الباقون (يبلغن) على التوحيد، ﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُنِي﴾ كلمة كراهية، قال أبو عبيدة أصل التف والأف الوسخ على الأصابع إذا فتلتها. وقيل: الأف ما يكون في المغابن من الوسخ، والتف ما يكون في الأصابع. وقيل: الأف وسخ الأنف والتف وسخ الأظفار. وقيل: الأف وسخ الظفر والتف ما رفعته يديك من الأرض من شيء حقير، ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾، ولا تزجرهما، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، حسنًا جميلًا لينًا قال ابن المسيب: كقول العبد المذنب للسيد الفظ. وقال مجاهد: لا تسميهما ولا تكنيهما وقل لهما يا أبتاه يا أماه. وقال مجاهد: في هذه الآية أيضًا إذا بلغا عندك من الكبر ما يبولان فلا تتقدرهما ولا تقل لهما أف حين تميظ عنهما الخلاء والبول كما كانا يميظانه عنك صغيرًا.

[٢٩] ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾، أي: ألن جانبك لهما واخضع لهما. قال عروة بن الزبير: ألن لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحياه ﴿مِنْ الرَّحْمَةِ﴾، من الشفقة، ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾، أراد إذا كانا مسلمين. قال ابن عباس: هذا منسوخ بقوله: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد»^(١). وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة مئان ولا عاق ولا مُدْمِنٌ خمر»^(٢).

[٢٥] ﴿زَبَنُكُمُ أَغْلَرُ يَمًا فِي نُفُوسِكُمْ﴾، من برّ الوالدين وعقوقهما، ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾، أبرارًا

(١) أخرجه الترمذي في البر ٢٥/٦ مرفوعًا وموقوفًا وقال في الموقوف: أصح، وأخرجه ابن حبان برقم (٢٠٢٦) ص(٤٩٦) من موارد الظمان وصححه الحاكم ١٥٢/٤ والمصنف في شرح السنة ١٢/١٣. (٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٨/٣ و ٤٤، والمصنف في شرح السنة ١٧/١٣ وفيه يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف وللحديث شواهد كثيرة وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٢٨٥.

ﷺ في الأحياء ما يحتاجون إليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول، فتزل (وإما تعرض عنهم)، وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم، ﴿إِنْعَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾، انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك، ﴿فَقَدْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا﴾ لينا وهي العدة، أي: عدتهم وعدًا جميلًا. وقيل: القول الميسور أن تقول: رزقنا الله وإياك.

[٢٩] ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ يعني: ولا تمسك يدك عن النفقة في الحق كالمغلوله يده لا يقدر على مدها، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾، بالعطاء، ﴿كُلَّ الْبَسْطِ﴾، فنعطي جميع ما عندك، ﴿فَلَقَعَدَ مَلُومًا﴾، يلومك سائلوك بالإمساك إذا لم تعطهم، والمعلوم الذي أتى بما يلوم نفسه أو يلوم غيره، ﴿مَحْسُورًا﴾ منقطعًا لا شيء عندك تنفقه. يقال: حسرتة بالمسألة إذا ألحفت عليه ودابة حسيرة إذا كانت كالة رازحة. قال قتادة: (محسورًا) نادماً على ما فرط منك.

[٣٠] ﴿إِنْ رَبَّكَ يَسْطُرُ﴾، يوسع ﴿الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وَيَقْدِرُ، أي: يقرر ويضيق، ﴿إِنَّهُ كَانَ عِبَادِهِ خَبِيرًا صَبِيرًا﴾.

[٣١] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْلُواْ أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَئُواْ﴾، فقر، ﴿تَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِنَّا كَاشِفُ الْعَذَابِ عَنْهُمْ﴾، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة فهوا عنه، وأخبروا أن رزقهم ورزق أولادهم على الله تعالى، ﴿إِنَّ فِتْنَتَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر (خطأ) أي: إثماً كبيراً.

[۳۲] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ .

[٣٣] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، وحقها: ما روي أن النبي ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ثلاث رجل كفر بعد إيمانه أو زنى بعد إحصانه أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها»^(١).

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

710

الحجَّةُ المُنْفَعِلَةُ

وَأَمَّا نَعُضُّ عَنْهُمْ أَفْبَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا
مَيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنْ نَرِزْقُهُمْ وَإِمَّا يَكُنْ قَنْطَرُهُمْ كَانَ
خَطَاً كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي
الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مُنْهَوًى ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَا لَيْسَ بِالْأَبْنَاءِ إِلَّا بِأَنَّى
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ
مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْقِسْطِ
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ
الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾، أي: قوة ولاية على القاتل بالقتل، قاله مجاهد، وقال الضحاك: سلطانه هو أنه يتخير فإن شاء استقاد منه وإن شاء أخذ الدية، وإن شاء عفا عنه. ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾، قرأ حمزة والكسائي: (فلا تسرف) بالتاء يخاطب ولي القتيل، وقرأ الآخرون بالياء على الغائب أي: لا يسرف الولي في القتل، واختلفوا في هذا الإسراف الذي منع منه ولي القتيل، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين: معناه لا يقتل غير القاتل وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا قُتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل

(١) أخرجه أبو داود في الديات ٣٠١/٦، والترمذي في الفتن ٣٧٣/٣، وابن ماجه في الحدود ٨٤٧/٢، والمصنف في شرح السنة ١٤٨/١ وأخرجه الشيخان عن ابن مسعود نحوه .

ليس لك به علم. قال القتيبي: لا تتبعه بالحدس والظن. وهو في اللغة اتباع الأثر، يقال: قفوت فلاناً أقفوه وقفيته وأقفيته إذا اتبعت أثره، وبه سميت القافية لتتبعهم الآثار. قال القتيبي: هو مأخوذ من القفو كأنه يقفو الأمور، أي: يكون في إقفائها يتبعها ويتعرفها. وحقيقة المعنى: لا تتكلم أيها الإنسان بالحدس والظن. ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، قيل: معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده. وقيل: يسأل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء. وقوله (كل أولئك) أي كل هذه الجوارح والأعضاء، وعلى القول الأول يرجع أولئك إلى أربابها.

[٣٧] ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾، أي بطراً وكبراً وخيلاً وهو تفسير المشي فلذلك أخرجه على المصدر، ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ أي: لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها، ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ أي: لا تقدر أن تطال الجبال وتساويها بكبرك، معناه أن الإنسان لا ينال بكبره وبطره شيئاً كمن يريد خرق الأرض ومطاوله الجبال لا يحصل على شيء. وقيل: ذكر ذلك لأن من مشى مختلاً يمشي مرة على عقبه ومرة على صدور قدميه، فقيل له: إنك لن تنقب الأرض إن مشيت على عقبك، ولن تبلغ الجبال طولاً إن مشيت على صدور قدميك.

[٣٨] ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُمْ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾، قرأ ابن عامر وأهل الكوفة برفع الهمزة وضم الهاء على الإضافة، ومعناه كل الذي ذكرنا من قوله (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) (كان سيئه) أي: سيئ ما عددنا عليك عند ربك مكروهاً لأن فيما عددنا أموراً حسنة كقوله: (وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) (واخفض لهما جناح الذل) وغير ذلك، وقرأ الآخرون (سيئه) منصوبة منونة يعني: كل الذي ذكرنا من قوله: (ولا تقتلوا أولادكم) إلى هذا

أشرف منه. وقال سعيد بن جبير: إذا كان القاتل واحداً فلا يقتل جماعة بدل واحد، وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول شريفاً لا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه. وقال قتادة: معناه لا يمثل بالقاتل. ﴿إِنَّكُمْ كَأَن مَّصُورًا﴾، فالهاء راجعة إلى المقتول في قوله: (ومن قُتل مظلوماً) يعني: أن المقتول منصور في الدنيا بإيجاب القود على قاتله، وفي الآخرة بتكفير خطاياهم وإيجاب النار لقاتله، هذا قول مجاهد، وقال قتادة: الهاء راجعة إلى ولي المقتول معناه أنه منصور على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية. وقيل في قوله: (فلا يسرف في القتل) أنه أراد به القاتل المعتدي، يقول: لا يعتدى بالقتل بغير الحق فإنه إن فعل ذلك فولى المقتول منصور عليه باستيفاء القصاص منه.

[٣٩] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾، بالإتيان بما أمر الله به والانتفاء عما نهى الله عنه. وقيل: أراد بالعهد ما يلتزمه الإنسان على نفسه، ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾، وقال السدي: كان مطلوباً. وقيل: العهد يسأل عن صاحب العهد، فيقال: فيما نقضت كالموءودة تسأل فيم قُتلت.

[٣٥] ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص (بالقسطاس) بكسر القاف والباقون بضمه، وهما لغتان وهو الميزان صغيراً كان أو كبيراً أي: بميزان العدل. وقال الحسن: هو القبان. قال مجاهد: هو رومي. وقال غيره: هو عربي مأخوذ من القسط وهو العدل، أي: زنوا بالعدل. ﴿الْمُسْتَقِيمَ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، أي: عاقبة.

[٣٦] ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، قال قتادة: لا تقل رأيت ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه. وقال مجاهد: لا ترم أحداً بما

الموضع سيئة لا حسنة فيه، إذ الكل يرجع إلى المنهي عنه دون غيره، ولم يقل مكروهة لأن فيه تقديمًا وتأخيرًا تقديره كل ذلك كان مكروهاً سيئه. وقوله (مكروهاً) على التكرير لا على الصفة مجازة كل ذلك كان سيئه وكان مكروهاً، راجع إلى المعنى دون اللفظ، لأن السيئة الذنب وهو مذكر.

[٣٩] ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرناه، ﴿مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾، وكل ما أمر الله به أو نهى الله عنه فهو حكمة. ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾، خاطب النبي ﷺ في هذه الآيات والمراد منه الأمة، ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾، مطرودًا مبعداً من كل خير. [٤٠] قوله عز وجل: ﴿أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ﴾، أي: اختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة، يعني اختاركم، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَآخَذَ مِنَ الْمَلَكَةِ مِنَّا إِنْشَاءً﴾ لأنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله، ﴿إِنْكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾، يخاطب مشركي مكة. [٤١] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾، يعني الصبر

والحكم والأمثال والأحكام والحجج والإعلام والتشديد للتكثير والتكرير، ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ أي: ليتذكروا ويتعظوا، وقرأ حمزة والكسائي بإسكان الدال وضم الكاف وكذلك في الفرقان. ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾، تصرفنا وتذكيرنا وتكريرنا، ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾، ذهاباً وتباعداً عن الحق.

[٤٢] ﴿قُلْ﴾، يا محمد لهؤلاء المشركين، ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾، قرأ حفص وابن كثير (يقولون) بالياء وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿إِذَا لَبِغُوا﴾، لطلبوا يعني الآلهة ﴿إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾، بالمبالغة والقهر ليزيلوا ملكه، كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض. وقيل: معناه لطلبوا إلى ذي العرش سبيلاً بالتقرب إليه. قال قتادة: لعرفوا الله بفضلِهِ وابتغوا ما يقربهم إليه. والأول أصح، ثم نزه نفسه.

٢٨٦ ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [٣٩] ﴿أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَآخَذَ مِنَ الْمَلَكَةِ إِنشَاءً إِنْكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [٤٠] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذْكُرُوا وَمَا يُزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [٤١] ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَبِغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [٤٢] ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [٤٣] ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [٤٤] ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِلَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [٤٥] ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِهِمْ فِي الْقُرْآنِ وَحَدَّهُ وَلَوْ عَلَىٰ آذَانِهِمْ نُفُورًا﴾ [٤٦] ﴿تَحْنُ أَعْمَاهُمْ يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعْبُونَ إِلَىٰ آلِ رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [٤٧] ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [٤٨] ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَاءَ لَا تَعْبُدُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [٤٩]

[٤٣] فقال عز من قائل: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي (تقولون) بالتاء والآخرون بالياء، ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾. [٤٤] ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص ويعقوب (تسبح) بالتاء وقرأ الآخرون بالياء للحال بين الفعل والتأنيث، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، روي عن ابن عباس أنه قال: وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده. وقال قتادة: يعني الحيوانات والناميات. وقال بعض أهل المعاني: تسبح السموات والأرض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء ما دامت تدل بلطف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها، فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها. والأول هو المنقول عن السلف واعلم أن الله تعالى علماً في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي

وقيل: مصروفًا عن الحق. يقال: ما سحرك عن كذا؟ أي ما صرفك عنه؟ وقال أبو عبيدة: أي رجلًا له سحر، والسحر: الرئة أي: إنه بشر مثلكم تغذى معلقًا بالطعام والشراب يأكل ويشرب.

[٤٨] ﴿انْظُرْ﴾، يا محمد، ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾، الأشياء، قالوا: شاعر وساحر وكاهن ومجنون، ﴿فَضَلُّوا﴾، فحاروا وحادوا، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: وصولًا إلى طريق الحق.

[٤٩] ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنًا﴾ بعد الموت. قال مجاهد: ترابًا. وقيل: حطامًا. والرفات: كل ما يكسر ويلى من كل شيء كالفتات والحطام. ﴿أَوَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

[٥٠] ﴿قُلْ﴾، لهم يا محمد ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾، في الشدة والقوة، وليس هذا بأمر إلزام بل هو أمر تعجيز، أي: استشعروا في قلوبكم أنكم حجارة أو حديد في القوة.

[٥١] ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾، قيل: السماء والأرض والجبال. وقال مجاهد وعكرمة وأكثر المفسرين: إنه الموت، فإنه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت، أي: ولو كنتم الموت بعينه لأميتنكم ولأبعثنكم، ﴿فَسَقُولُونَ مِنْ يُعِيدُنَا﴾، من يبعثنا بعد الموت، ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾، خلقكم، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، ومن قدر على الإنشاء قدر على الإعادة، ﴿سَيَقْفُضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾، أي: يحركونها إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بها، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾، أي: البعث والقيامة، ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي: هو قريب، لأن عسى من الله واجب، نظيره قوله تعالى: (وما يُدريك لعل الساعة تكون قريبًا).

[٥٢] ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ من قبوركم إلى موقف القيامة، ﴿فَسَتَجِدُنَّ يُحْمَلُونَ﴾، قال ابن عباس: (١) أخرجه أبو يعلى وابن أبي حاتم. انظر تفسير ابن كثير ٤٤/٣ و ٥٦٥/٤ ومجمع الزوائد.

أن يوكل علمه إليه. ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، أي لا تعلمون تسبيح ما عدا من يسبح بلغاتكم وألسنتكم، ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾، يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به. قال قتادة: وهو الأكنة والمستور بمعنى الساتر كقوله: (وكان وعده مأتيا) مفعول بمعنى فاعل. وقيل: مستور عن أعين الناس فلا يرونه. وفسره بعضهم بالحجاب عن الأعين. الظاهر كما روي عن سعيد بن جبير أنه لما نزلت: (تبت يدا أبي لهب) جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر والنبي ﷺ مع أبي بكر فلم تره، فقالت لأبي بكر: أين صاحبك لقد بلغني أنه هجاني؟ فقال: والله ما ينطق عن الهوى ولا ينطق بالشعر ولا يقول، فرجعت وهي تقول: قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ برأسه، فقال أبو بكر: ما رأتك يا رسول الله؟ قال: لا لم يزل ملك بيني وبينها يسترني^(١).

[٤٦] ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، أغطية، ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، كراهية أن يفقهوه. وقيل: لثلا يفقهوه، ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، ثقلًا لثلا يسمعه. ﴿وَإِذَا ذُكِّرَتْ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُمْ﴾، يعني إذا قلت: لا إله إلا الله في القرآن وأنت تتلوه، ﴿وَلَوْ أَنَّ عَلَى أَذْنِهِمْ تُلُوقًا﴾، جمع نافر مثل قاعد وقعود وجالس وجلوس، أي نافرين.

[٤٧] ﴿لَنْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْمَعُونَ بِهِ﴾، قيل: به صلة أي: يطلبون سمعه، ﴿إِذْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ﴾، وأنت تقرأ القرآن، ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾، يتناجون في أمرك. وقيل: ذو نجوى، فبعضهم يقول: هو مجنون، وبعضهم يقول: كاهن، وبعضهم يقول: ساحر، وبعضهم يقول: شاعر. ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾، يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه، ﴿إِنْ تَدْعُونَنَا إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾، مطبوبا. وقال مجاهد: مخدوعا.

سُورَةُ الْاِسْرَاءِ

٢٨٧

الْحَمْدُ لِلَّهِ

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ٥١﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُ نَاقِلَ الَّذِي فُطِرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيَضْحَكُونَ إِلَيْكَ زُحُومًا وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قَائِلٌ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ٥٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِن لَّمْ يَكُنْ إِلَّا قَلِيلًا ٥٣﴾ وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ٥٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ بِشَأْنِ رَبِّكُمْ أَن يَشَاءَ يُعَذِّبَكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ٥٥﴾ وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ٥٦﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ٥٨﴾ وَإِن مِّن قَرِيبَةٍ إِلَّا لَنَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْفِتْنَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ٥٩﴾

قال: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾، والزبور كتاب علمه الله داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وتمجيد وثناء على الله عز وجل، وليس فيها حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود، معناه: إنكم لم تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكروا فضل النبي ﷺ وإعطاءه القرآن؟ وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الأنبياء عليهم السلام من أهل الكتاب وغيرهم.

[٥٦] قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ﴾، وذلك أن المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعو لهم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمَشْرِكِينَ﴾ ﴿أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنها آلهة ﴿مِن دُونِهِ﴾ ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ﴾، القحط والجوع، ﴿عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾، إلى غيركم أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر.

بأمره. وقال قتادة: بطاعته. وقيل: مقرين بأنه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حتى لا ينفعهم الحمد. قيل: هذا خطاب مع المؤمنين فإنهم يبعثون حامدين. ﴿وَتَقُولُونَ إِن لَّمْ يَكُنْ﴾، في الدنيا أو في القبور، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، لأن الإنسان لو مكث ألوفاً من السنين في الدنيا أو في القبور عبد ذلك قليلاً في مدة القيامة والخلود. قال قتادة: يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة.

[٥٣] قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا﴾، للكافرين ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ولا يكافؤوهم بسفهمهم. قال الحسن: يقول له يهديك الله. وكان هذا قبل الإذن في الجهاد والقتال. وقيل: أمر الله المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا التي هي أحسن أي: الخلة التي هي أحسن. وقيل: الأحسن: كلمة الإخلاص لا إله إلا الله. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزِعُ بَيْنَهُمْ﴾، أي: يفسد ويلقي العداوة بينهم، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾، ظاهر العداوة.

[٥٤] ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ بِشَأْنِ رَبِّكُمْ أَن يوفقكم فتؤمنوا﴾، ﴿أَوْ إِن يَشَاءَ يُعَذِّبْكُمْ﴾، يمتنكم على الشرك فتعذبوا، قاله ابن جريج. وقال الكلبي: إن يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة، وإن يشأ يعذبكم فيسلطهم عليكم، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾، حفيظاً وكفياً. قيل: نسختها آية القتال.

[٥٥] ﴿وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: ربك العالم بمن في السموات والأرض فجعلهم مختلفين في صورهم وأخلاقهم وأحوالهم وملكهم، ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾، قيل: جعل أهل السموات والأرض مختلفين كما فضل بعض النبيين على بعض. قال قتادة: في هذه الآية اتخذ الله إبراهيم خليلًا وكلم الله موسى تكليمًا وقال لعيسى كن فيكون، وآتى سليمان ملكاً عظيماً لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زُبُورًا كما

ينحي الجبال عنهم فيزرعوا فأوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ: «إن شئت أن أستأنى بهم فعلت، وإن شئت أن أوتيهم ما سألوا فعلت، فإن لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم، فقال النبي ﷺ: «لا بل تستأنى بهم»^(١)، فأنزل الله عز وجل: (وما منعنا أن نرسل بالآيات) التي سألها كفار قريش (إلا أن كذب بها الأولون) فأهلكناهم، فإن لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكتناهم، لأن من شأننا في الأمم إذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها أن نهلكهم ولا نمهلهم، وقد حكمنا بأمهال هذه الأمة في العذاب، فقال جل ذكره: (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)، ثم قال: ﴿وَأَيْنَا ثَمُودُ النَّاقَةَ مُّصِرَةً﴾، مضية بينة، ﴿فَطَلَمُوا بِهَا﴾، أي: جحدوا بها أنها من عند الله كما قال: (وما كانوا بآياتنا يظلمون)، أي: يجحدون وقيل: ظلموا أنفسهم بتكذيبها يريد فاجلناهم بالعقوبة، ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ أي: العبر والدلالات، ﴿إِلَّا تَخَوِيفًا﴾، للعباد ليؤمنوا. قال قتادة: إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون.

[٦٠] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾، أي: هم في قبضته لا يقدرون على الخروج عن مشيئته فهو حافظك ومانعك منهم فلا تهبهم وامض إلى ما أمر الله به من تبليغ الرسالة، كما قال: (والله يعصمك من الناس)، ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَرْزَاقَ الَّذِينَ آتَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾، فلا أكثر من أن المراد منه ما رأى النبي ﷺ ليلة المعراج من العجائب والآيات. قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ، وهو قول سعيد بن جبير والحسن

[٥٧] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتُغُونَ إِلًا رَبَّهُمْ أَلْوَسِيلًا﴾، يعني الذين يدعونهم المشركون أنهم آلهة يعبدونهم. قال ابن عباس ومجاهد: وهم عيسى وأمه وعزير والملائكة، والشمس والقمر والنجوم، ﴿يَبْتُغُونَ﴾ أي يطلبون ﴿إِلًا رَبَّهُمْ أَلْوَسِيلًا﴾، أي القربة. وقيل: الوسيلة الدرجة أي يتضرعون إلى الله في طلب الدرجة العليا. وقيل: الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله تعالى. وقوله ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، معناه ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به. وقال الزجاج: أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح، ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾، جنته، ﴿وَيَحْذَرُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾، أي يطلب منه الحذر. وقال عبدالله بن مسعود: نزلت الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون ولم يعلم الإنس الذين كانوا يعبدونهم بإسلامهم، فتمسكوا بعبادتهم فغيرهم الله وأنزل هذه الآية، وقرأ ابن مسعود (الذين تدعون) بالتاء.

[٥٨] ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ وما من قرية ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْفَيْكَةِ﴾، أي: مخربوها ومهلكوا أهلها، ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾، بأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا. وقال مقاتل وغيره: مهلكوها في حق المؤمنين بالإماتة ومعذبوها في حق الكفار بأنواع العذاب. قال عبدالله بن مسعود: إذا ظهر الزنا والزنا في قرية أذن الله في إهلاكها. ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾، في اللوح المحفوظ، ﴿سَطُورًا﴾، مكتوباً. قال عبادة بن الصامت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: القدر، وما كان وما هو كائن إلى الأبد»^(١).

[٥٩] قوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾، قال ابن عباس: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن

(١) أخرجه أبو داود في السنة ٦٩/٧ والترمذي في القدر ٦/٣٦٨ والإمام أحمد في المسند ٣١٧/٥ والطبراني في مسنده ص ٧٩ وصححه الألباني في تعليقه على المشكاة ١/٣٤. (٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٥٨/١ والحاكم في المستدرک ٣٦٢/٢ قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

سُورَةُ الْاِسْرَاءِ

٢٨٨

الْمَلَكُوتِ

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَأَيُّنَا ثُمُودَ النَّافَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٦١﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا
جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٢﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ مَا أَصْغَدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦٣﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتُ عَلَى لَيْنٍ آخَرَتَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لِأَحْتَنِكَ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٤﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُ كُفْرًا مَوْفُورًا ﴿٦٥﴾ وَاسْتَفْزَزَ مَنْ اسْتَطَاعَتْ
مِنْهُمْ بَصُوكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ حَيْكَلُكَ وَرَجَلَكَ وَشَارَكَهُمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٦﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ
فِي الْبَحْرِ لِيَبْغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَاثِرٌ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٨﴾

أي: خلقته من طين.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾، يعني إبليس، ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أي أخبرني والكاف لتأكيد المخاطبة، ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتُ عَلَى﴾ أي: فضلته علي: ﴿لَيْنٍ آخَرَتَيْنِ﴾ أمهلني ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لِأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ﴾ أي: لأستأصلنهم بالإضلال، يقال: احتنك الجراد الزرع إذا أكله كله. وقيل: هو من قول العرب حنك الدابة يحنك إذا شد في حنكها الأسفل حبلاً يقودها، أي لأقودنهم كيف شئت. وقيل: لأستولين عليهم بالإغواء، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، يعني المعصومين الذين استثناهم الله عز وجل في قوله: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان).

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ الله ﴿أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ

ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج والأكثر^(١)، والعرب تقول: رأيت بعيني رؤية ورؤيا، فلما ذكرها رسول الله ﷺ للناس أنكر بعضهم ذلك، وكذبوا وكان فتنة للناس. وقال قوم: أسري بروحه دون بدنه. وقال بعضهم: كان له معراجان رؤية بالعين ومعراج رؤيا بالقلب، وقال قوم: أراد بهذه الرؤيا ما رأى ﷺ عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه فجعل السير إلى مكة قبل الأجل فصدته المشركون، فرجع إلى المدينة وكان رجوعه في ذلك العام بعد ما أخبر أنه يدخلها فكان رجوعه فتنة لبعضهم، حتى دخلها في العام المقبل، فأنزل الله تعالى: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق)، ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾، يعني شجرة الزقوم، مجازة والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن، والعرب تقول لكل طعام كربه: طعام ملعون. وقيل: معناه الملعون أكلها، ونصب الشجرة عطفًا على الرؤيا، أي: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة إلا فتنة للناس، فكانت الفتنة في الرؤيا ما ذكرنا، والفتنة في الشجرة الملعونة من وجهين: أحدهما: أن أبا جهل قال: إن ابن أبي كبشة يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه ينبت فيها شجرة، وتعلمون أن النار تحرق الشجرة، والثاني: أن عبدالله بن الزبير قال: إن محمدًا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر، وقال أبو جهل: يا جارية تعالي فزقيننا فأتت بالتمر والزبد، فقال: يا قوم تزقموا فإن هذا ما يخوفكم به محمد، فوصفها الله تعالى في الصفات. وقيل: الشجرة الملعونة هي التي تلتوي على الشجر فتخفه، يعني الكشوث، ﴿وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾، التخويف، ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ أي: تمردًا وعتوًا عظيمًا.

[٦١] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَصْغَدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾،

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة الإسراء ٨/٣٩٨.

كما ينزل الرجل. ﴿وَعَذَهُمْ﴾، أي: خذ منهم الجميل في طاعتك. وقيل: قل لهم: لا جنة ولا نار ولا بعث. ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾، والغرور تزوين الباطل بما يظن أنه حق، فإن قيل: كيف ذكر الله هذه الأشياء وهو يقول: (إن الله لا يأمر بالفحشاء)؟ قيل: هذا على طريق التهديد، كقوله تعالى: (اعملوا ما شئتم)، وكقول القائل: افعل ما شئت فستري.

[٦٥] قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾، أي حافظًا ومن يوكل الأمر إليه.

[٦٦] قوله عز وجل: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْسِلُ لَكُمْ الْفُلُوكَ﴾ أي: يسوق ويؤجري لكم الفلك، ﴿فِي الْبَحْرِ لِيَنْتَفِعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾، لتطلبوا من رزقه، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

[٦٧] ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾، الشدة وخوف الغرق، ﴿فِي الْبَحْرِ ضَلَّ﴾، أي: يضل وسقط، ﴿مَنْ تَدْعُونَ﴾، من الآلهة، ﴿إِلَّا إِلَاهَهُ﴾، إلا الله فلم تجدوا معيًّا سواه، ﴿فَلَمَّا بَلَغُوا حَبْلًا﴾، أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وأخرجكم، ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾، عن الإيمان والإخلاص والطاعة كفرًا منكم لنعمه، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾.

[٦٨] ﴿أَفَأَمْسَتُمْ﴾، بعد ذلك، ﴿أَنْ يَخْيفَ بِكُمْ﴾، يغور بكم، ﴿جَانِبَ الْبَرِّ﴾، ناحية البر وهي الأرض، ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾، أي: يمطر عليكم حجارة من السماء كما أمطر على قوم لوط. وقال أبو عبيدة والقتيبي: الحاصب الريح التي ترمي بالحصاء، وهي الحصا الصغار، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكُمْ وَكِيلًا﴾، قال قتادة: مانعًا.

[٦٩] ﴿أَمْ أَمْسَتْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾، يعني في البحر، ﴿ثَانَةً﴾ مرة، ﴿أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾، قال ابن عباس: أي: عاصفًا وهي الريح الشديدة. وقال أبو عبيدة: هي الريح التي تقصف

جَهَنَّمَ جَزَؤُكُمُ﴾ أي: جزاءك وجزاء أتباعك، ﴿جَزَاءً مَّقْضُورًا﴾، وافرًا مكملًا، يقال: وفرته أو فوره وافرًا.

[٦٤] وقوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ﴾، واستخفف واستجهد، ﴿مَنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ﴾، أي: من ذرية آدم، ﴿بِصَوْنِكَ﴾، قال ابن عباس وقتادة: بدعائك إلى معصية الله، وكل داع إلى معصية الله فهو من جند إبليس. قال الأزهري: معناه ادعهم دعاء تستغفرهم به إلى جانبك، أي: تستخفهم. وقال مجاهد: بالغناء والمزامير، ﴿وَأَجَلَبَ عَلَيْهِمْ بَخِيلَكَ وَرَجُلَكَ﴾، قيل: اجمع عليهم مكاييدك وخيلك، ويقال: اجلبوا وجليبوا إذا صاحوا، يقول: صح بخيلك ورجلك وحثهم عليه بالإغواء، قال مقاتل: استعن عليهم بركبان جنك ومشاتهم، والخيل: الركبان، والرجل: المشاة. قال أهل التفسير: كل راكب وماش في معاصي الله فهو من جند إبليس.

وقال مجاهد وقتادة: إن له خيلًا ورجلًا من الجن والإنس وهو كل ما يقاتل في المعصية، والرجل والرجالة والراجلة واحد، يقال: راجل ورجل مثل تاجر وتجر وراكب وركب، وقرأ حفص ورجلك بكسر الجيم وهما لغتان، ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، فالمشاركة في الأموال كل ما أصيب من حرام أو أنفق في حرام، هذا قول مجاهد والحسن وسعيد بن جبير، وقال عطاء: هو الربا وقال قتادة: هو ما كان المشركون يحرمونه من الأنعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام. وقال الضحاك: هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم، وأما الشركة في الأولاد، روي عن ابن عباس: أنها الموءودة. وقال مجاهد والضحاك: هم أولاد الزنا. وقال الحسن وقتادة: هو أنهم هودوا أولادهم ونصروهم ومجسؤهم. وروي عن جعفر ابن محمد أن الشيطان يقعد على ذكر الرجل فإذا لم يقل بسم الله أصاب معه امرأته وأنزل في فرجها

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا بَلَغَكُمْ إِلَى الْبَرِّ آخَرُضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفْرًا ﴿٧٦﴾ أَفَأَمْنُكُمْ إِنْ خَسَفَ بِكُمْ جَانِبُ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٧٧﴾ أَمْ آمَنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِبًا مِنْ الرِّيحِ فَيُغَرِّقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٧٨﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٩﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِسَيِّئِهِ فَأُولَٰئِكَ يُقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَجِدُونَ فِيهَا شَيْئًا وَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٨٠﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٨١﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تُحِذُّوكَ خَلِيلًا ﴿٨٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضَعْفَ الْحَيَوةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٨٤﴾

﴿فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِسَيِّئِهِ﴾، ويسمى الكتاب إمامًا كما قال عز وجل: (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين). وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إلى ضلالة أو هدى، قال الله تعالى: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا)، وقال: (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار)، وقيل: بمعبودهم. وعن سعيد بن المسيب قال: كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر. وقال محمد بن كعب: (بإمامهم)، قيل: يعني بأمرهم، وفيه ثلاثة أوجه من الحكمة أحدها: لأجل عيسى عليه السلام، والثاني: لشرف الحسن والحسين، والثالث: لثلاثي يفتضح أولاد الزنا. ﴿فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِسَيِّئِهِ فَأُولَٰئِكَ يُقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَجِدُونَ فِيهَا شَيْئًا وَلَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: لا ينقص من حقهم قدر فتيل.

كل شيء، أي تدقه وتحطمه. وقال القتيبي: هي التي تقصف الشجر، أي تكسره، ﴿فَيُغَرِّقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾، ناصرا ولا ناثرا، وتبع بمعنى تابع أي تابعا أي مطالبًا بالثأر. وقيل: من يتبعنا بالإنكار. قرأ ابن كثير وأبو عمرو (أن نخسف، ونرسل، ونعيدكم، فنرسل، فنغرقكم)، بالنون فيهن، لقوله (علينا) وقرأ الآخرون بالياء لقوله: (إلا إياه) وقرأ أبو جعفر ويعقوب (فتغرقكم) بالتاء يعني الريح.

[٧٠] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، روي عن ابن عباس أنه قال: هو أنهم يأكلون بالأيدي وغير الآدمي يأكل بفيه من الأرض. وروي عنه أنه قال: بالعقل. وقال الضحاك: بالنطق. وقال عطاء: بتعديل القامة وامتدادها، والدواب منكبة على وجوها. وقيل: بحسن الصورة. وقيل: الرجال بالحلي والنساء بالذوائب. وقيل: بأن سخر لهم سائر الأشياء. وقيل: بأن منهم خير أمة أخرجت للناس. ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، أي: حملناهم في البر على الدواب وفي البحر على السفن، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، يعني: لذيق المطاعم والمشارب. قال مقاتل: السمن والزبد والتمر والحلوى، وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى. ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾، وظاهر الآية أنه فضلهم على كثير ممن خلقهم لا على الكل. وقال قوم: فُضِّلُوا على جميع الخلق إلا على الملائكة. وقال الكلبي: فضلوا على الخلائق كلهم إلا على طائفة من الملائكة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وأشباههم.

[٧١] قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾، قال مجاهد وقتادة: بنبيهم. وقال أبو صالح والضحاك: بكتابهم الذي أنزل عليهم. وقال الحسن وأبو العالية: بأعمالهم. وقال قتادة أيضا: بكتابهم الذي فيه أعمالهم، بدليل سياق الآية،

يمنعك من عذابنا .

[٧٦] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْفُرُوكَ مِنْ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ ، اختلفوا في معنى الآية فقال بعضهم: هذه الآية مدنية. قال الكلبي: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسداً منهم، فأتوه وقالوا: يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء فإن أرض الأنبياء الشام، وهي الأرض المقدسة، فإن كنت نبياً مثلهم فأت الشام، فعسكر النبي ﷺ على ثلاثة أميال من المدينة. وفي رواية: إلى ذي الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويخرج، فأنزل الله هذه الآية و ﴿الْأَرْضُ﴾ ههنا هي المدينة. وقال مجاهد وقتادة: الأرض أرض مكة، والآية مكية، هم المشركون أن يُخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالهجرة، فخرج بنفسه. وهذا أليق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل: هم الكفار كلهم أرادوا أن يستفزه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهروا عليه، فمنع الله عز وجل رسوله ﷺ ولم ينالوا منه ما أملوا، والاستفزاز هو الإزعاج بسرعة، ﴿وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خَلْفَكَ﴾ أي: بعدك ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لا يلبثون بعدك إلا قليلاً حتى يهلكوا، فعلى هذا القول الأول مدة حياتهم، وعلى الثاني ما بين خروج النبي ﷺ إلى المدينة إلى أن قتلوا بيد.

[٧٧] قوله عز وجل: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ أي: كسنتنا، فانتصب بحذف الكاف، وسنة الله في الرسل إذا كذبتهم الأمم ألا يعذبهم ما دام بينهم وبين أظهرهم، فإذا خرج بينهم من بين أظهرهم عذبهم. ﴿وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا مَحْوِيلًا﴾، أي تبديلاً.

[٧٨] قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمْسِ﴾، اختلفوا في الذلوك، روي عن عبدالله بن مسعود أنه قال: الذلوك هو الغروب، وقال ابن عباس وابن

[٧٢] ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾، اختلفوا في هذه الإشارة فقال قوم: هي راجعة إلى النعم التي عددها الله تعالى في هذه الآيات من قوله: (ربكم الذي يزجي لكم الفلك) إلى قوله (تفضيلاً) يقول: ومن كان منكم في هذه النعم التي قد عاين أعمى، ﴿فَهُوَ فِي﴾، أمر، ﴿الْآخِرَةِ﴾، التي لم يعاين ولم ير، ﴿أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، يروى هذا عن ابن عباس، وقال الآخرون: هي راجعة إلى الدنيا يقول: من كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق، فهو في الآخرة أعمى أي أشد عمى وأضل سبيلاً أي أخطأ طريقاً. وقيل: من كان في هذه الدنيا أعمى عن الاعتبار فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار. وقال الحسن: من كان في هذه الدنيا ضالاً كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته، وأمال بعض القراء هذين الحرفين وفتحهما بعضهم، وكان أبو عمرو يكسر الأول ويفتح الثاني فهو في الآخرة أشد عمى لقوله: (وأضل سبيلاً).

[٧٣] قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ لِيَصْرَفُونَكَ﴾ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ من القرآن ﴿لِنَقْرَى﴾، لتختلق، ﴿عَلَيْنَا غَيْرٌ وَإِذَا﴾، لو فعلت مادعوك إليه ﴿لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا﴾ أي: والوك وصافوك.

[٧٤] ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَنَّكَ﴾، على الحق بعصمتنا، ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ﴾ أي: تميل، ﴿إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ أي: قريباً من الفعل.

[٧٥] ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾، أي: لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، يعني أضعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة. وقيل: الضعف هو العذاب سمي ضعفاً لتضاعف الألم فيه. ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾، أي: ناصرًا

مَقَامًا تَحْمُودًا ﴿٨٠﴾ عسى من الله تعالى واجب لأنه لا يدع أن يعطي عباده أو يفعل بهم ما أطعمهم فيه، والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لأتمته لأنه يحمده فيه الأولون والآخرون، والأخبار في الشفاعة متواترة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة.

[٨٠] قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾، المراد من المدخل والمخرج الإدخال والإخراج، واختلف أهل التفسير فيه، فقال ابن عباس والحسن وقتادة: أدخلني مدخل صدق المدينة، وأخرجني مخرج صدق من مكة، نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة. وقال الضحاك: وأخرجني مخرج صدق من مكة آمنًا من المشركين، وأدخلني مدخل صدق مكة ظاهرًا عليها بالفتح. وقال مجاهد: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق، وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب عليّ من حقها مخرج صدق. وعن الحسن أنه قال: أدخلني مدخل صدق الجنة وأخرجني مخرج صدق من مكة وقيل: أدخلني في طاعتك وأخرجني من المناهي وقيل: معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق، وأخرجني بالصدق، أي: لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه، فإنّ ذا الوجهين لا يكون أمينًا ووجهًا عند الله. ووصف الإدخال والإخراج بالصدق لما يؤول إليه الخروج والدخول من النصر والعز ودولة الدين، كما وصف القدم بالصدق فقال: (إن لهم قدم صدق عند ربهم). ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾، قال مجاهد: حجة بيّنة. وقال الحسن: ملكًا قويًا تنصرنى به على من ناوأني وعزًا ظاهرًا أقيم به دينك، فوعده الله لينزعنّ ملك فارس والروم وغيرهما فيجعله له. قال قتادة: علم نبي الله ﷺ ألا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان نصير، فسأل سلطانًا نصيرًا كتاب الله

عمر وجابر: هو زوال الشمس ومعنى اللفظ يجمعهما لأن أصل الدلوك الميل والشمس تميل إذا زالت وغربت، والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به، ولأننا إذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها، فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر وإلى غسق الليل يتناول المغرب والعشاء، وقرآن الفجر هو صلاة الصبح، قوله عز وجل: ﴿إِنَّ غَسَقَ اللَّيْلِ﴾، أي: ظهور ظلمته، وقال ابن عباس: بدؤ الليل. وقال قتادة: وقت صلاة المغرب. وقال مجاهد: غروب الشمس، ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾، يعني صلاة الفجر، سمي صلاة الفجر قرآنًا لأنها لا تجوز إلا بقرآن، وانتصاب القرآن من وجهين أحدهما أنه عطف على الصلاة، أي: وأقم قرآن الفجر، قاله الفراء، وقال أهل البصرة: على الإغراء أي: وعليك قرآن الفجر، ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، أي: يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

[٧٩] قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَيْلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ أي: قم بعد نومك، والتهجد لا يكون إلا بعد النوم، يقال: تهجد إذا قام بعد ما نام، وهجد إذا نام، والمراد من الآية: قيام الليل للصلاة، وكانت صلاة الليل فريضة على النبي ﷺ في الابتداء، وعلى الأمة، لقوله تعالى: (يا أيها المزمّل ه قم الليل إلا قليلًا)، ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخًا في حق الأمة بالصلوات الخمس، وبقي الاستحباب: قال الله تعالى: (فاقرؤوا ما تيسر منه)، وبقي الوجوب في حق النبي ﷺ قوله عز وجل: ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ أي: زيادة لك، يريد فضيلة زائدة، على سائر الفرائض، فرضها الله عليك. وذهب قوم إلى أن الوجوب صار منسوخًا في حقه كما في حق الأمة، فصارت نافلة، وهو قول مجاهد وقتادة، لأن الله تعالى قال: (نافلة لك) ولم يقل عليك، قوله عز وجل: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ

وحدوده وإقامة دينه.

[٨١] قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾، يعني القرآن، ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾، أي الشيطان، قال قتادة، وقال السدي: الحق الإسلام، والباطل الشرك. وقيل: الحق عبادة الله، والباطل عبادة الأصنام. ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ذاهبًا، يقال: زهقت نفسه أي خرجت. عن أبي معمر عن عبدالله، قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة صنم، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد»^(١).

[٨٢] قوله عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، قيل: (من) ليس للتبعيض، ومعناه: ونزل من القرآن ما هو كله شفاء، أي: بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة، وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها ورحمة للمؤمنين. ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، لأن الظالم لا يتنفع به والمؤمن من يتنفع به فيكون رحمة له، وقيل: زيادة الخسارة للظالم من حيث أن كل آية تنزل يتجدد منهم تكذيب ويزداد لهم خسارة، قال قتادة: لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، قضى الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خسارة.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضْنَا﴾، عن ذكرنا ودعائنا، ﴿وَوَكَّا بِحَاثِيَةِ﴾، أي تباعد منا بنفسه، أي ترك التقرب إلى الله بالدعاء. وقال عطاء: تعظم وتكبر، ويكسر النون والهمزة حمزة والكسائي، ويفتح النون ويكسر الهمزة أبو بكر، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر (وناء) مثل جاء قيل: هو بمعنى نأى، وقيل: ناء من النوء وهو النهوض والقيام. ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّفْسُ﴾، الشدة والضر،

٢٩٠

وَأَن كَادُوا لَيَسْفِرُوكَ مِن الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ الشَّمْسُ إِلَى عَسْفِ الْإِيلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَاتِبٌ مُّشْهُودٌ ﴿٧٨﴾ وَمِنَ الْإِيلِ فَتَهَجِدُ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّي مِنْ لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَأَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضْنَا وَوَكَّا بِحَاثِيَةِ وَإِذَا مَسَّ الشَّرَّكَانَ يَتُوسَا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن سَأَلْتُمُ النَّاسَ بِالدِّينِ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَآتِيكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

﴿كَانَ يَتُوسَا﴾، أي آيساً قنوطاً. وقيل: معناه أنه يتضرع ويدعو عند الضرر والشدة، فإذا تأخرت الإجابة يئس ولا ينبغي للمؤمن أن يئأس من الإجابة، وإن تأخرت فیدع الدعاء.

[٨٤] قوله عز وجل: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾، قال ابن عباس: على ناحيته. قال الحسن وقاتدة: على نيته. وقال مقاتل: على خليفته. قال الفراء: على طريقته التي جبل عليها. وقال القتبي: على طبيعته وجبلته. وقيل: على السبيل الذي اختاره لنفسه، وهو من الشكل، يقال: لست على شكلي ولا شاكلي، وكلها لغات متقاربة، تقول العرب: طريق ذو شواكل إذا تشعبت منه الطرق، ومجاز الآية: كل يعمل على ما يشبهه

كان علماً لنبوته. والأول أصح لأن الله عز وجل استأثر بعلمه.

[٨٦] قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذَهِبَ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، يعني القرآن، معناه: إنا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك، لو شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك يعني القرآن، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾، أي: من يتوكل برد القرآن إليك.

[٨٧] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾، هذا استثناء منقطع معناه: ولكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك. ﴿إِنَّا فَضَّلْنَاكَ كَآنَ عَلَيْكَ كَكِيرًا﴾، فإن قيل كيف يذهب القرآن وهو كلام الله عز وجل؟ قيل: المراد منه محوه من المصاحف وإذهاب ما في الصدور. وقال عبدالله بن مسعود: اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع. قيل: هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس؟ قال: يسري عليه ليلاً فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئاً ولا يجدون في المصاحف شيئاً.

[٨٨] قوله جل وعلا: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾، لا يقدرُونَ على ذلك، ﴿وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، عوناً ومظاهراً، نزلت حين قال الكفار: لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله تعالى، فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب، وهو كلام في أعلى طبقات المبالغة لا يشبه كلام الخلق، لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله.

[٨٩] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾، من كل وجه من العبر والأحكام والوعد والوعيد وغيرها، ﴿فَأَنَّى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفْرًا﴾، جحوداً.

[٩٠] ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَكَ لَكَ﴾، لن نصدقك، ﴿حَتَّىٰ تَفْجَرَنَا مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مكة ﴿يَبْلُغُوا﴾ أي: عيوناً.

كما يقال في المثل: كل امرئ يشبهه فعله. ﴿فَرَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾، أوضح طريقاً.

[٨٥] قوله تعالى: ﴿وَسَتَلَوْنَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ واختلفوا في الروح الذي وقع السؤال عنه، فروى عن ابن عباس: إنه جبريل، وهو قول الحسن وقتادة، روي عن علي أنه قال: ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بكلها. وقال مجاهد: خلق على صور بني آدم لهم أيد وأرجل ورؤوس وليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام، وقال سعيد بن جبير: لم يخلق الله تعالى خلقاً أعظم من الروح غير العرش. وقيل: الروح هو القرآن. وقيل: المراد منه عيسى عليه السلام، فإنه روح الله وكلمته، ومعناه أنه ليس كما يقول اليهود ولا كما يقول النصارى، وقال قوم: هو الروح المركب في الخلق الذي يحيل به الإنسان، وهو الأصح. وتكلم فيه قوم فقال بعضهم: هو الدم ألا ترى أن الحيوان إذا مات لا يفوت منه شيء إلا الدم. وقال قوم: هو نفس الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس. وقال قوم: هو عرض. وقال قوم: هو جسم لطيف. وقال بعضهم: الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلو والعلم والبقاء، ألا ترى أنه إذا كان موجوداً يكون الإنسان موصوفاً بجميع هذه الصفات، فإذا خرج ذهب الكل، وأولى الأفاويل: أن يوكل علمه إلى الله عز وجل، وهو قول أهل السنة. قال عبدالله بن بريدة: إن الله لم يُطْلَع على الروح ملكاً مقرباً ولا نبيّاً مرسلًا وقوله عز وجل: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ قيل: من علم ربي، ﴿وَمَا أَوْتِيْتَهُ مِن آعْلَمٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: في جنب علم الله قيل: هذا خطاب للرسول ﷺ. وقيل: خطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون: أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير. وقيل: كان النبي ﷺ يعلم معنى الروح ولكن لم يخبر به أحداً لأن ترك إخباره به

سورة الإسراء

٢٩١

سورة الإسراء

[٩١] ﴿أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ ۖ بستان، وَمِنْ تَحْتِهَا وَعِنَبٌ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۖ﴾، تشقيقا .

[٩٢] ﴿أَوْ شَقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كَسَفًا ۖ﴾، قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح السين، أي: قطعًا وهي جمع كسفة، وهي القطعة والجانب مثل كسرة وكسر، وقرأ الآخرون بسكون السين على التوحيد، وجمعه أكساف وكسوف، أي: تسقطها طبقًا واحدًا. وقيل: أراد جانبها علينا. وقيل: معناه أيضًا القطع، وهي جمع التكسير مثل سدرة وسدر في الشعراء وسبأ (كسفا) بالفتح، حفص، وفي الروم ساكنة أبو جعفر، وابن عامر. ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۖ﴾، قال ابن عباس: كقبيلًا أي يكفلون بما تقول. وقال الضحاك: ضامنًا. وقال مجاهد: هو جمع القبيلة أي: بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة. وقال قتادة: عيانًا أي نراهم مقابلة أي معانية. وقال الفراء: هو من قول العرب لقيت فلانًا قبيلًا، وقبيلًا أي: معانية.

[٩٣] ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ ۖ﴾ أي: من ذهب، وأصله الزينة، ﴿أَوْ تَرْقَى ۖ﴾، تصعد، ﴿فِي السَّمَاءِ ۖ﴾، هذا قول عبدالله بن أبي أمية، ﴿وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرَبِّكَ ۖ﴾، لصعودك، ﴿حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ۖ﴾، أمرنا فيه باتباعك، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي ۖ﴾، وقرأ ابن كثير وابن عامر (قال) يعني محمدًا، وقرأ الآخرون على الأمر، أي: قل يا محمد، ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۖ﴾، أمره بتزييه وتمجيده، على معنى أنه لو أراد أن ينزل ما طلبوا الفعل، ولكن الله لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر، وما أنا إلا بشر وليس ما سألتهم في طوق البشر، واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبي ﷺ من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله، مثل القرآن وانشقاق القمر وتفجير العيون من بين الأصابع وما أشبهها، والقوم عامتهم كانوا متعتين لم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا، فردَّ الله عليهم سؤالهم.

إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِن فَضَّلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٩٧﴾ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿١٠٠﴾ أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ تَحْتِهَا وَعِنَبٌ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿١٠١﴾ أَوْ شَقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كَسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿١٠٢﴾ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرَبِّكَ حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٠٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٠٤﴾ قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿١٠٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٠٦﴾

[٩٤] قوله عز وجل: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا ۖ﴾، جهلاً منهم، ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۖ﴾، أراد أن الكفار كانوا يقولون: لن نؤمن لك لأنك بشر، وهلا بعث الله إلينا ملكًا فأجابهم الله تعالى:

[٩٥] ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ ۖ﴾، مستوطنين مقيمين، ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۖ﴾، من جنسهم لأن القلب إلى الجنس أميل منه إلى غير الجنس.

[٩٦] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ﴾، أي رسول الله إليكم، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۖ﴾.

[٩٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۖ﴾، يهدونهم، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجْهِهِمْ ۖ﴾ عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم

القيامة؟ قال النبي ﷺ: «إن الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه»^(١) عَمِيًّا وَكَمَا وَصَّمَا، فإن قيل كيف وصفهم بأنهم عمي ويكم وصم. وقد قال: (ورأى المجرمون النار)، وقال: (دعوا هنالك ثبوراً) وقال: (سمعوا لها تغيطاً وزفيراً)، أثبت الرؤية والكلام والسمع؟ قيل: يحشرون على ما وصفهم الله ثم تعاد إليهم هذه الأشياء، وجواب آخر: قال ابن عباس: عمياً لا يرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة صمًا لا يسمعون شيئاً يسرهم. وقال الحسن: هذا حين يساقون إلى الموقف إلى أن يدخلوا النار. وقال مقاتل: هذا حين يقال لهم: (اخسئوا فيها ولا تكلمون) يصيرون بأجمعهم عمياً وبكماً وصمًا لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون. ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾، قال ابن عباس: كلما سكنت، أي: سكن لهيها. وقال مجاهد: طفئت وقال قتادة: ضعفت وقيل: هو الهدو من غير أن يوجد نقصان في ألم الكفار، لأن الله تعالى قال: (لا يفتر عنهم)، وقيل: كلما خبت أي أرادت أن تخبو، ﴿زِدْنَهُمْ سَعِيرًا﴾، أي: وقوداً، وقيل: المراد من قوله: (كلما خبت) أي: نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا فيها إلى ما كانوا عليه وزيد في تسعير النار لتحرقهم.

[٩٨] ﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا لَئِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا لَّأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾، فأجابهم الله تعالى.

[٩٩] فقال: ﴿وَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، في عظمتها وشدها، ﴿فَإِدْرَ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾، في صغرهم وضعفهم، نظيره قوله تعالى: (الخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس). ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾، أي: وقتاً لعذابهم، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، أنه يأتيهم، قيل: هو الموت، وقيل: هو يوم القيامة، ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾،

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَكَمَا وَصَّمَا مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا لَئِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا لَّأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَنَسِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءَ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ وَابٍ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنْفِرْعَوْتُ مُتَّبِعًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَعْرِفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَاكُمْ لَغِيْفًا ﴿١٠٤﴾

أي: جحوداً وعناداً.

[١٠٠] ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ أي: نعمة ربي. وقيل: رزق ربي، ﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ﴾، لبخلتم وحبستم، ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾، أي: خشية الفاقة، قاله قتادة، وقيل: خشية النفاد، يقال: أنفق الرجل أي أملك وذهب ماله ونفق الشيء، أي: ذهب، وقيل: لأمسكتم عن الإنفاق خشية الفقر، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَنُ قَتُورًا﴾، أي: بخيلاً ممسكاً عن الإنفاق.

[١٠١] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، أي: دلالات واضحات، فهي الآيات التسع، قال ابن عباس والضحاك: هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٤٩٢/٨. ومسلم في المنافقين ٤/٢١٦١.

هذا الأمر أي ما منعك وصرفك عنه.

[١٠٣] ﴿فَارَادَ أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ﴾، أي: أراد فرعون أن يستفزهم موسى وبني إسرائيل أي يخرجهم، ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ﴾، يعني أرض مصر، ﴿فَاغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾، ونجينا موسى وقومه.

[١٠٤] ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾، أي من بعد هلاك فرعون، ﴿لِيَبْقِيَ إِسْرَءِيلَ أَكْثَرُ الْأَرْضِ﴾، يعني أرض مصر والشام، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ أي: جميعًا إلى موقف القيامة. واللفيف: الجمع الكثير إذا كانوا مختلطين من كل نوع، يقال: لفت الجيوش إذا اختلطوا وجمع القيامة كذلك فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر. وقال الكلبي: فإذا جاء وعد الآخرة يعني مجيء عيسى من السماء جئنا بكم لفيقًا أي: النزاع من كل قوم من هنا وهنا لفوا جميعًا.

[١٠٥] ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ﴾، يعني القرآن، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا لِلْمُطِيعِينَ﴾، ﴿وَنَذِيرًا لِلْعَاصِينَ﴾.

[١٠٦] ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾، قيل: أنزلناه نجومًا لم ينزل مرة واحدة، بدليل قراءة ابن عباس: (وقرآنًا فرقناه) بالتشديد، وقراءة العامة بالتخفيف، أي: فصلناه. وقيل: بيّناه. وقال الحسن: معناه فرقناه به بين الحق والباطل. ﴿لِنَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ أي: على تودة وترسل في ثلاث وعشرين سنة، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ نَزْرِيلًا﴾.

[١٠٧] ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾، هذا على طريق الوعيد والتهديد، ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾، قيل: هم مؤمنو أهل الكتاب وهم الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله ﷺ ثم أسلموا بعد مبعثه، مثل زيد بن عمر بن نفييل وسلمان الفارسي وأبي ذر وغيرهم. ﴿إِنَّا يَسْكُنُ عَلَيْهِمْ﴾، يعني القرآن ﴿يَحْزُونُ لِلْأَذْقَانِ﴾ أي: يسقطون على الأذقان، قال ابن عباس: أراد بها الوجوه، ﴿شَجَدًا﴾.

فحلها وفتح البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. وقال عكرمة وقتادة ومجاهد وعطاء: هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد والسنون ونقص الثمرات. وذكر محمد بن كعب القرظي: الشمس والبحر بدل السنين ونقص من الثمرات. وقال بعضهم: هن آيات الكتاب ﴿فَنَسَلْ﴾، يا محمد، ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾، موسى، يجوز أن يكون الخطاب معه والمراد غيره، ويجوز أن يكون خاطبه عليه السلام وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم. ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾، أي: مطبوعًا سحروك، قاله الكلبي، وقال ابن عباس: مخدوعًا. وقيل: مصروفًا عن الحق. وقال الفراء وأبو عبيدة: ساحرًا فوضع المفعول موضع الفاعل. وقال محمد بن جرير: معطى علم السحر، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك.

[١٠٢] ﴿قَالَ﴾، موسى ﴿لَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾، قرأ العامة بفتح التاء خطابًا لفرعون، وقرأ الكسائي بضم التاء، ويروى ذلك عن علي، وقال: لم يعلم الخبيث أن موسى على الحق، ولو علم لآمن ولكن موسى هو الذي علم، قال ابن عباس: علمه فرعون ولكنه عاند، قال الله تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوًا)، وهذه القراءة وهي نصب التاء أصح في المعنى وعليه أكثر القراء، لأن موسى لا يحتاج عليه بعلم نفسه، ولا ثبت عن علي رفع التاء لأنه روي عن رجل من مراد عن علي، وذلك الرجل مجهول ولم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائي، ﴿مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ﴾، هذه الآيات التسع، ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرٌ﴾، جمع بصيرة أي يبصر بها، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَكْفُرَعُوْتُ مَشْهُورًا﴾، قال ابن عباس: ملعونًا. وقال مجاهد: هالكًا. وقال قتادة: مهلكًا. وقال الفراء: أي مصروفًا ممنوعًا عن الخير يقال: ما ثبرك عن

[١٠٨] ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّكَ إِن كَان وَعْدُ رَبِّكَ لَمَفْعُولًا﴾، أي: كائنا واقعًا.

[١٠٩] ﴿وَيَحْزُونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ﴾، أي: يقعون على الوجوه يكون، البكاء مستحب عند قراءة القرآن، ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾، نزول القرآن، ﴿خُشُوعًا﴾، خضوعًا لربهم، نظيره قوله تعالى: (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً).

[١١٠] ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾، قال ابن عباس: سجد رسول الله ﷺ بمكة ذات ليلة فجعل يبكي ويقول في سجوده: يا الله يا رحمن، فقال أبو جهل: إن محمداً ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١) ومعناه أنهما اسمان لواحد ﴿أَيَّامًا تَدْعُوا﴾، (ما) صلة معناه أيًا ما تدعوا من هذين الاسمين ومن جميع أسمائه، ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافُ بِهَا﴾ نزلت ورسول الله ﷺ مخفف بمكة إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(٢)، أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن. وقال قوم: نزلت الآية في الدعاء. عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنزل ذلك في الدعاء.

[١١١] ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾، أمر الله نبيه ﷺ بأن يحمد على وحدانيته، ومعنى الحمد لله هو الثناء عليه بما هو أهله، قال الحسين بن الفضل: معناه الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولداً، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكَ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ﴾، قال مجاهد: لم يذل حتى يحتاج إلى ولي يتعزز به، ﴿وَكَبِيرَةٌ تَبْكِيًا﴾، أي: وعظمه عن أن يكون له شريك أو ولي.

سُورَةُ الْكَهْفِ

٢٩٣

سُورَةُ الْكَهْفِ

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾
وَقَرَأْنَا لَهُ آفَاقَهُ لِلْقَرَاءَةِ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكَّةٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٦﴾
قُلْ أَمْرًا بِيَوْمٍ أَوْ لَا تَوْفِيهِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّكَ إِن كَان وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّامًا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكَ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرَةٌ تَبْكِيًا ﴿٢١﴾

سُورَةُ الْكَهْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾
فَيَمَّا يَلِيزُ أَسَاسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَتَكِينٍ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنْذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

سُورَةُ الْكَهْفِ (١٨)

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ أثنى الله على نفسه بإنعامه على خلقه، وخص رسول الله ﷺ بالذكر، لأن إنزال القرآن عليه كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم. ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾.

[٢] ﴿فَيَمَّا﴾، فيه تقديم وتأخير معناه أنزل على عبده الكتاب قِيمًا ولم يجعل له عوجًا (قِيمًا) أي مستقيمًا. قال ابن عباس: عدلاً. وقال الفراء:

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١٨٢/١٥ وانظر أسباب النزول للواحد ص ٣٤١ والدر المثور ٣٤٨/٥. (٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة الإسراء ٤٠٤/٨ ومسلم في الصلاة ٣٢٩/١.

سورة الكهف

٢٩٤

سورة الكهف

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَمَّا نَبَخِثَ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ لِمَا نَسُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ ثُمَّ نَقَّصْنَا عَنْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّناهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا سَطَطْنَا ﴿١٤﴾ هُنَا لَوْ قَوْمًا آخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْ لَا يَأْتُوكَ عَلَيْهِمْ رَسُولُنَ يَنْبِئُكُمْ بِمَا أَنْظَلُمْ مِمَّنْ أَقَرَّرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

[٨] ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾، فالصعيد وجه الأرض. وقيل: هو التراب، جرزا يابساً أملس لا ينبت شيئاً. يقال: جرزت الأرض إذا أكل نباتها.

[٩] قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾، يعني أظننت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا. وقيل: معناه إنهم ليسوا بأعجب من آياتنا فإن ما خلقت من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم، والكهف: هو الغار في الجبل، واختلفوا في الرقيم، قال سعيد بن جبير: هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم وهذا أظهر الأقاويل، ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من رصاص، وقيل: من حجار، فعلى هذا يكون

قيماً على الكتب كلها أي: مصدقاً لها ناسخاً لشرائعها. وقال قتادة: ليس على التقديم والتأخير بل معناه: أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، ولكن جعله قيماً. قوله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ أي: مختلفاً، على ما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ وقيل: معناه لم يجعله مخلوقاً. وروى عن ابن عباس في قوله (قرأنا عربياً غير ذي عوج) أي: غير مخلوق. ﴿يَسْذَرُ بَاسًا شَدِيدًا﴾، أي لينذر ببأس شديد، ﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾، أي من عنده، ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾، أي الجنة.

[٣] ﴿مَكَانٍ فِيهِ أَبَدًا﴾ أي: مقيمين فيه.

[٤] ﴿وَيَسْذَرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾.

[٥] ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾، أي قالوه عن جهل لا عن علم، ﴿كَبُرَتْ﴾، أي عظمت، ﴿كَلِمَةً﴾، نصب على التمييز، يقال: تقديره كبرت الكلمة كلمة. وقيل: من كلمة، فحذف (من) فانتصب، ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: تظهر من أفواههم، ﴿إِنْ يَقُولُونَ﴾، ما يقولون، ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾.

[٦] ﴿فَلَمَّا نَبَخِثَ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ﴾، من بعدهم، ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ﴾، أي: القرآن، ﴿أَسَفًا﴾، أي حزناً وقيل: غضباً.

[٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾، فإن قيل: أي زينة في الحيات والعقارب والشياطين؟ قيل: فيها زينة على معنى أنها تدل على وحدانية الله تعالى. وقال مجاهد: أراد به الرجال خاصة هم زينة الأرض. وقيل: أراد بهم العلماء والصلحاء. وقيل: الزينة بالنبات والأشجار والأنهار، كما قال: (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت). ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾، لنختبرهم، ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، أي أصحح عملاً. وقيل: أيهم أترك للدنيا.

إيماناً وبصيرة.

[١٤] ﴿وَرَبَطْنَا﴾ شددنا، ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش وفروا بدينهم إلى الكهف، ﴿إِذْ قَامُوا﴾، بين يدي دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ﴾، قالوا ذلك لأن قومهم كانوا يعبدون الأوثان، ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾، يعني إن دعونا غير الله لقد قلنا إذا شططاً، قال ابن عباس: جوراً. وقال قتادة: كذباً. وأصل الشطط والإشطاط مجاوزة القدر والإفراط.

[١٥] ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا﴾، يعني أهل بلدهم، ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾، أي من دون الله، ﴿ءَالِهَةً﴾، يعني الأصنام يعبدونها، ﴿لَوْلَا﴾، أي هلا، ﴿يَأْتُونَكَ عَلَيْهِمْ﴾، أي على عبادتهم، ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾، بحجة واضحة، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، وزعم أن له شريكاً أو ولداً.

[١٦] ثم قال بعضهم لبعض: ﴿وَإِذْ اتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾، يعني قومكم، ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، قرأ ابن مسعود ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وأما القراءة المعروفة فمعناها أنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الأوثان يقول: إذا اعتزلتهموهم وجميع ما يعبدون إلا الله فإنكم لم تعتزلوا، ﴿فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ﴾، فالتجأوا إليه، ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ﴾، يسهل لكم، ﴿رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ﴾، يسهل لكم، ﴿مِنْ أَمْرٍ مَرْفُوعًا﴾ أي: ما يعود إليه يسركم ورفقكم. قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر (مَرْفُوعًا) بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ الآخرون بكسر الميم وفتح الفاء، ومعناها واحد، وهو ما يرتفق به الإنسان.

[١٧] قوله تعالى: ﴿وَرَبَّى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرُورًا﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب: بسكون الزاي

الرقيم بمعنى المرقوم، أي: المكتوب، والرقم: الكتابة. وحكي عن ابن عباس أنه قال: هو اسم للوادي الذي فيه أصحاب الكهف، وعلى هذا هو من رقمة الوادي وهو جانبه، وقال كعب الأحبار: هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف، وقيل: اسم للجبل الذي فيه الكهف، ثم ذكر الله قصة أصحاب الكهف.

[١٠] فقال: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾، أي صاروا إليه، يقال: أوى فلان إلى موضع كذا أي: اتخذته منزلاً ﴿إِلَى الْكَهْفِ﴾، وهو غار في جبل مخلوس واسم الكهف: خيرم. ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحِمَةٌ﴾. ومعنى الرحمة الهداية في الدين. وقيل: الرزق، ﴿وَهَيَّئْ لَنَا﴾، يسر لنا، ﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، أي: ما نلتمس من خير رضاك وما فيه رشدنا، وقال ابن عباس: رشداً أي: مخرجاً من الغار في سلامة.

[١١] ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾، أي أنمناهم وألقينا عليهم النوم. وقيل: معناه منعنا نفوذ الأصوات إلى مسامعهم، فإن النائم إذا سمع الصوت ينتبه، ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾، أي: أنمناهم سنين معدودة وذكر العدد على سبيل التأكيد. وقيل: ذكره يدل على الكثرة فإن القليل لا يعد في العادة.

[١٢] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾، يعني من نومهم، ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: علم المشاهدة ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾، أي: الطائفتين، ﴿أَحْصَىٰ نَمًا لِّسُوْا أَمَدًا﴾. وذلك أن أهل القرية تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف واختلفوا في قوله ﴿أَحْصَىٰ نَمًا لِّسُوْا﴾ حفظ لما مكثوا في كهفهم نياماً أمداً أي: غاية. وقال مجاهد: عدداً ونصبه على التفسير.

[١٣] ﴿وَبَكَرُوا﴾، ﴿نَحْمًا﴾، ﴿بِالْبَصْرِ﴾، بالصدق ﴿فَتَبَيَّنَ﴾، شبان، ﴿مَسْئُورِيهِمْ﴾، ﴿وَبَيَّنَّ هَدًى﴾،

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

٢٩٥

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ
 نَبَشِّرْ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا
 ﴿١٦﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ
 الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ
 مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَدِهِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
 يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا ﴿١٧﴾ وَنَحْسِبُهُمْ نِكَارًا
 وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ
 بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
 فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ
 لِسَبَأٍ لَوَائِيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا
 يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا
 أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
 طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَسْأَلْكُمْ وَلَا يَسْأَلَكُمْ
 بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
 أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبْكَدَا ﴿٢٠﴾

ﷺ دعا على عتبة بن أبي لهب فقال: «اللهم سلط
 عليه كلبًا من كلابك»^(١) فافترسه أسد، والأول
 المعروف قوله ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ قال مجاهد والضحاك:
 والوصيد فناء الكهف. وقال عطاء: عتبة الباب.
 وقال السدي: الوصيد الباب. وهو رواية عكرمة
 عن ابن عباس، فإن قيل: لم يكن للكهف باب ولا
 عتبة؟ قيل: معناه موضع الباب والعتبة كان الكلب
 قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم. قال السدي:
 كان أصحاب الكهف إذا انقلبوا انقلب الكلب
 معهم وإذا انقلبوا إلى اليمين كسر الكلب أذنه
 اليمنى ورقد عليها، وإذا انقلبوا إلى الشمال كسر
 أذنه اليسرى. ورقد عليها. ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾، يا
 محمد، ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، لما ألبسهم الله من
 (١) صححه الحاكم في المستدرک ٥٣٩/٢ ووافقه الذهبي
 وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣٩/٤.

وتشديد الرء على وزن تحمر، وقرأ أهل الكوفة
 بفتح الزاي خفيفة وألف بعدها، وقرأ الآخرون
 بتشديد الزاي، وكلها بمعنى واحد، أي: تميل
 وتعدل، ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ أي: جانب
 اليمين، ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾، أي: تتركهم وتعدل
 عنهم، ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾، أصل القرض القطع،
 ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ أي: متسع من الكهف
 وجمعها فجوات، قال ابن قتيبة: كان كهفهم
 مستقبل بنات نعش، لا تقع فيه الشمس عند الطلوع
 ولا عند الغروب وفيما بين ذلك، قال: اختار الله
 لهم مضطجعًا في مقناة لا تدخل عليهم الشمس
 فتؤذيهم بحرّها وتغير ألوانهم وهم في متسع ينالهم
 برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار
 وغمومه. وقال بعضهم: هذا القول خطأ وهو أن
 الكهف كان مستقبل بنات نعش فكانت الشمس لا
 تقع عليهم ولكن الله صرف الشمس عنهم بقدرته
 وحال بينها وبينهم، ألا ترى أنه قال: ﴿ذَلِكَ مِنْ
 آيَاتِ اللَّهِ﴾، من عجائب صنع الله ودلالات قدرته
 التي يعتبر بها، ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
 يُضِلِلْ﴾، أي: من يضلله الله ولم يرشده، ﴿فَلَنْ
 يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا﴾، معينا، ﴿مُرْسِدًا﴾.

[١٨] قوله تعالى: ﴿وَنَحْسِبُهُمْ نِكَارًا﴾ أي:
 متبهمين جمع: يقظ، ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾، نيام جمع راقد
 مثل قاعد وقعود وإنما اشتبه حالهم لأنهم كانوا
 مفتحة أعينهم يتنفسون ولا يتكلمون، ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ
 الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾، مرة للجنب الأيمن ومرة
 للجنب الأيسر. قال ابن عباس: كانوا يقلبون في
 السنة مرة من جنب إلى جنب لثلا تأكل الأرض
 لحومهم. وقيل: كان يوم عاشوراء يوم تقلبهم.
 وقال أبو هريرة: كان لهم في كل سنة تقلبان،
 ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾، أكثر أهل التفسير
 على أنه كان من جنس الكلاب. ورؤي عن ابن
 جريج: أنه كان أسد أو سمي الأسد كلبًا فإن النبي

ذبيحة مؤمن ولا يكون من ذبيحة من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون إيمانهم. وقال الضحاك: أطيب طعامًا. وقال مقاتل بن حيان: أجود طعامًا. وقال عكرمة: أكثر، وأصل الزكاة الزيادة. وقيل: أرخص طعامًا. ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾، أي قوت وطعام تأكلونه، ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان، ﴿وَلَا يُسْعِرَنَّ﴾، ولا يعلمن ﴿بِكُمْ أَحَدًا﴾، من الناس.

[٢٠] ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾، أي: يعلموا بمكانكم، ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ قال ابن جريج: يشتموكم ويؤذوكم بالقول. وقيل: يقتلوكم، وقيل: كان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل. وقيل: يضربوكم، ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ أي: إلى الكفر، ﴿وَلَنْ تَقْلِحُوا وَإِذَا أَبَدَا﴾، إن عدتم إليه.

[٢١] قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا﴾ أي: أطلعنا، ﴿عَلَيْهِمْ﴾، يقال: عثرت على الشيء إذا اطلعت عليه وأعثرت غيري أي أطلعته، ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾، يعني أصحاب بيدروس الحاكم حين بعثوا الذين أنكروا البعث، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ﴾، قال ابن عباس: يتنازعون في البنيان، فقال المسلمون: نبني عليهم مسجدًا يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا، وقال المشركون: نبني عليهم بنيانًا لأنهم من أهل ديننا. وقال عكرمة: تنازعوا في البعث، فقال المسلمون: البعث للأجساد والأرواح، وقال قوم للأرواح دون الأجساد، فبعثهم الله تعالى وأراهم أن البعث للأجساد والأرواح. وقيل: تنازعوا في مدة لبثهم. وقيل: في عددهم. ﴿فَقَالُوا أَبْنَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بُنْيَانٌ رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ عَلِمُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾، بيدروس الملك وأصحابه، ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾.

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ

الهيئة حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقفهم الله تعالى من رقدتهم، ﴿وَلَمَّا لَبِثُوا مِنْهُمْ رُغَبًا﴾، خوفًا قرأ أهل الحجاز بتشديد اللام والآخرين بتخفيفها واختلفوا في أن الرعب كان لماذا؟ قيل: من وحشة المكان. وقال الكلبي: لأن أعينهم كانت مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا شعور. وقيل: إن الله تعالى منعهم بالرعب لثلا يراهم أحد.

[١٩] قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾، أي كما أنماهم في الكهف وحفظنا أجسادهم من البلى على طول الزمان فكذلك بعثناهم من النومة التي تشبه الموت، ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ ليسأل بعضهم بعضًا واللام فيه لام العاقبة لأنهم لم يبعثوا للسؤال، ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾، وهو رئيسهم مكسلينا، ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾، في نومكم وذلك أنهم استنكروا طول نومهم. ويقال: إنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك، ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا﴾، وذلك أنهم دخلوا الكهف غدوة فقالوا فانتبهوا حين انتبهوا عشية فقالوا: لبثنا يومًا ثم نظروا وقد بقيت من الشمس بقية، فقالوا: ﴿أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ﴾، فلما نظروا إلى شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم، ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾، وقيل: إن رئيسهم مكسلينا لما سمع الاختلاف بينهم قال: دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم، ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ﴾، يعني تملیخا، قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر بورقكم ساكنة الراء والباقون بكسرهما ومعناها واحد وهي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة. ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾، قيل: هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فسموها في الإسلام طرسوس، ﴿فَلْيَنْظُرْ آيَةً أَزْكَى طَعَامًا﴾ أي: أحل طعامًا حتى لا يكون من غصب أو سبب حرام، وقيل: أمره أن يطلب

سورة الكهف

٢٩٦

سورة الكهف

وَكَذَلِكَ أَخْذُنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَن السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا آبَاؤُنَا عَلَيْهِمْ بَيْنَا وَرَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢٦﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِّشَايٍ إِيَّيْ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٨﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٩﴾ وَلِئْتَوِيَ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿٣٠﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتَوَلَّاهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٣١﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٣٢﴾

نَسِيتَ ﴿٣٢﴾، قال ابن عباس ومجاهد والحسن: معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن، وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وإن كان إلى سنة وجوز الحسن ما دام في المجلس، وجوز بعضهم إذا قرب الزمان، فإن بعد فلا يصح، ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلًا بالكلام. وقال عكرمة: معنى الآية واذكر ربك إذا غضبت. وقال وهب: مكتوب في الإنجيل ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب. وقال الضحاك والسدي: هذا في الصلاة، عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها»^(١). ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾، أي يشبني على طريق هو أقرب إليه وأرشد. وقيل: أمر

(١) أخرجه البخاري في المواقيت ٧٠/٢ ومسلم في المساجد رقم (٥٩٧) ٢٤١/٢ والمصنف في شرح السنة ٢٤١/٢.

خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴿٢٦﴾، أي ظنًا وحسًا من غير يقين، ولم يقل هذا في حق السبعة، فقال: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني: المسلمين، ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، اختلفوا في الواو في قوله: ﴿وَتَامِنُهُمْ﴾ وقيل: تركها وذكرها سواء. وقيل: هي واو الحكم والتحقيق كأنه حكى اختلافهم، وتم الكلام عند قوله ويقولون سبعة ثم حقق هذا القول بقوله: ﴿وَتَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ والثامن لا يكون إلا بعد السابع. وقيل: هذه واو الثمانية، وذلك أن العرب تعد فتقول: واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية، لأن العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة، نظيره قوله تعالى: (التائبون العابدون الحامدون) إلى قوله: (والناهون عن المنكر)، وقال في أزواج النبي ﷺ: (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرا منكّن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا). ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾، أي: بعددهم ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، أي: إلا قليل من الناس. قال ابن عباس: إنا من القليل كانوا سبعة. وقال محمد بن إسحاق: كانوا ثمانية ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾، أي: لا تجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم، ﴿إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا﴾، إلا بظاهر ما قصصنا عليك، يقول: بحسبك ما قصصت عليك فلا تزد عليه وقف عنده، ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾، من أهل الكتاب، ﴿أَحَدًا﴾ أي: لا ترجع إلى قولهم بعد أن أخبرناك. ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِّشَايٍ إِيَّيْ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾، يعني: إذا عزمت على أن تفعل غدا شيئا فلا تقل أفعل غدا حتى تقول إن شاء الله، وذلك أن أهل مكة سألوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، فقال: أخبركم غدا ولم يقل: إن شاء الله، فلبث الوحي أياما ثم نزلت هذه الآية، ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا

﴿سِنِينَ﴾، قال الفراء: ومن العرب من يضع سنين في موضع سنة. وقيل: معناه ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة. ﴿وَأَزَادُوا سَعَاءً﴾، قال الكلبي: قالت نصارى نجران: أما ثلاثمائة فقد عرفنا وأما التسع فلا علم لنا بها فترلت.

[٢٦] ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ رُوي عن علي أنه قال عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة شمسية والله تعالى ذكر ثلاثمائة قمرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث سنين، فيكون في ثلاثمائة تسع سنين فلذلك قال: ﴿وَأَزَادُوا سَعَاءً﴾. ﴿لَمْ يَغِبْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فالغيب ما يغيب عن إدراكك والله عز وجل لا يغيب عن إدراكه شيء. ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ أي ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه لكل مسموع، أي لا يغيب عن سمعه وبصره شيء، ﴿مَا لَهُمْ﴾ أي: ما لأهل السموات والأرض، ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: من دون الله، ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ ناصر، ﴿وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب: ﴿وَلَا تَشْرِكْ﴾ بالياء على المخاطبة والنهي، وقرأ الآخرون بالياء أي لا يشرك الله في حكمه أحداً. وقيل: الحكم هنا علم الغيب لا يشرك في علم غيبه أحداً.

[٢٧] قوله عز وجل: ﴿وَأَنذَرْتُ﴾ أي: وقرأ يا محمد، ﴿مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾، يعني القرآن، واتبع ما فيه، ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾، قال الكلبي: لا مغير للقرآن. وقيل: لا مغير لما أُوعد بكلماته أهل معاصيه، ﴿وَلَنْ نَّجِدَ﴾، أنت، ﴿مِنْ دُونِهِ﴾، إن لم تتبع القرآن، ﴿مُتَحَدًّا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: حرزاً. وقال الحسن: مدخلًا. وقال مجاهد: ملجأ. وقيل: معدلاً. وقيل: مهرباً. وأصله من الميل.

[٢٨] قوله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية، نزلت في عيينة بن حصن الفزاري أتى النبي ﷺ قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء فيهم سلمان

الله نبيه أن يذكره إذا نسي شيئاً ويسأله أن يهديه لما هو خير له من ذكر ما نسيه. ويقال: هو أن القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله عز وجل أن يخبرهم أن الله سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث أتاه من علم الغيب حال المرسلين ما كان أوضح لهم في الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف، وقال بعضهم: هذا شيء أمر أن يقوله مع قوله إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان وإذا نسي الإنسان إن شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول: (عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً).

[٢٥] قوله عز وجل: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾، يعني أصحاب الكهف. قال بعضهم: هذا خبر عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك، ولو كان خبراً من الله عز وجل عن قدر لبثهم لم يكن لقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ وجه، وهذا قول قتادة، ويدل عليه قراءة ابن مسعود: ﴿وَقَالُوا لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ ثم رد الله تعالى عليهم فقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ وقال الآخرون: هذا إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف، وهو الأصح، وأما قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ فمعناه أن الأمر من مدة لبثهم كما ذكرنا فإن نازعوك فيها فأجبههم: وقل الله أعلم بما لبثوا، أي: هو أعلم منكم، وقد أخبرنا بمدة لبثهم. وقيل: إن أهل الكتاب قالوا: إن هذه المدة من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم وقال: قل الله أعلم بما لبثوا يعني بعد قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله. قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ قرأ حمزة والكسائي: (ثَلَاثَ مِائَةٍ) بلا تنوين، وقرأ الآخرون: بالتنوين، فإن قيل: لم قال ثلاثمائة سنين ولم يقل ستة؟ قيل: نزل قوله: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾، فقالوا: أياماً أو شهوراً أو سنين؟ فنزلت

فَلْيُؤْمِنُ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ»، هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾، وقيل: معنى الآية: وقل الحق من ربكم ولست بطارد المؤمنين لهواكم، فإن شئتم فآمنوا وإن شئتم فاكفروا فإن كفرتم فقد أعد لكم ربكم ناراً أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتكم فلکم ما وصف الله عز وجل لأهل طاعته. وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية: من شاء الله له الإيمان آمن ومن شاء له الكفر، كفر وهو قوله: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾. ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾، أعدنا وهياناً من العتاد وهو العدة، ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ للكافرين، ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾، السرادق الحجة التي تطيف بالفلساطيط، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة»^(١). قال ابن عباس: هو حائط من نار. وقال الكلبي: هو عتق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالخطيرة. وقيل: هو دخان يحيط بالكفار وهو الذي ذكره الله تعالى: ﴿انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾. ﴿وإن يستغيثوا﴾ من شدة العطش، ﴿يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَأَمَلٍ﴾ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿بِمَاءٍ كَأَمَلٍ﴾ قال كعكر الزيت، فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه»^(٢). وقال ابن عباس: هو ماء غليظ مثل دردي الزيت. وقال مجاهد: هو القيح والدم، وسئل ابن مسعود عن المهل؟ فدعا بذهب وفضة فأوقد عليهما النار حتى ذابا، ثم قال: هذا أشبه شيء بالمهل، ﴿يَشْوَى الْوُجُوهَ﴾، ينضج الوجوه من

(١) أخرجه الترمذي في صفة جهنم ٣٠٦/٧ وقال: هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين وفي رشدين بن سعد مقال، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٩/٣ والحاكم ٤/٦٠١ والطبري ٢٣٩/١٥ والمصنف في شرح السنة ١٥/٢٤٥. (٢) أخرجه الترمذي في الموضوع السابق ٣٠٥/٧ وأحمد في المسند ٧٠/٣ والحاكم ٦٠٤/٤ والمصنف في شرح السنة ٢٤٥/١٥ بنفس الإسناد، وهو ضعيف.

وعليه شملة قد عرق فيها ويده خوصة يشقها ثم ينسجها، فقال عيينة للنبي ﷺ: أما يؤذك ربح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها، فإن أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحهم عنك حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾، أي: احبس يا محمد نفسك، ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْعُسَى﴾، طرفي النهار ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ لا يريدون به عرضاً من الدنيا. قال قتادة: نزلت في أصحاب البصة وكانوا سبعائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ، لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع يصلون صلاة ويتظرون أخرى، فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرت أن أصبر نفسي معهم». ﴿وَلَا تَعْدُ﴾ أي: لا تصرف ولا تتجاوز، ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾، إلى غيرهم، ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي طلب مجالسة الأغنياء والأشراف وصحبة أهل الدنيا، ﴿وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾، أي جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا يعني عيينة بن حصن. وقيل: أمية بن خلف، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، أي مراده في طلب الشهوات، ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾، قال قتادة ومجاهد: ضياعاً. وقيل: معناه ضيع أمره وعطل أيامه. وقيل: ندماً. وقال مقاتل ابن حيان: سرقاً. وقال الفراء: متروكاً. وقيل: باطلاً. وقيل: مخالفاً للحق. وقال الأخفش: مجاوز للحد. قيل: معنى التجاوز في الحد، هو قول عيينة: إن أسلمنا أسلم الناس وهذا إفراط عظيم.

[٢٩] ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، أي ما ذكر من الإيمان والقرآن، معناه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس الحق من ربكم وإليه التوفيق والخذلان ويده الهدى والضلال، ليس إلي من ذلك شيء. ﴿فَمَنْ شَاءَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٩٧

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِثِبُوا نِجَاتًا يُعَاثِرُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٩﴾ أَلَمْ يَنْصَبُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ نَصَبًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ فَاصْبِرْ إِنَّكَ بِبَصَرِ الْبَاطِنِ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَنْصَبُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ نَصَبًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ فَاصْبِرْ إِنَّكَ بِبَصَرِ الْبَاطِنِ ﴿٣١﴾ أَلَمْ يَنْصَبُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ نَصَبًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ فَاصْبِرْ إِنَّكَ بِبَصَرِ الْبَاطِنِ ﴿٣٢﴾ أَلَمْ يَنْصَبُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ نَصَبًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ فَاصْبِرْ إِنَّكَ بِبَصَرِ الْبَاطِنِ ﴿٣٣﴾ أَلَمْ يَنْصَبُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ نَصَبًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ فَاصْبِرْ إِنَّكَ بِبَصَرِ الْبَاطِنِ ﴿٣٤﴾

حره، ﴿يَنْسِكُ الشَّرَابَ وَسَاءَتْ النَّارُ، مُرْتَفَقًا﴾، قال ابن عباس: منزلاً. وقال مجاهد: مجتمعاً. وقال عطاء: مقراً. وقال القتيبي: مجلساً. وأصل المرتفق المتكأ.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾، فإن قيل: أين جواب قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ؟﴾ قيل: جوابه قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى﴾، وأما قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ﴾ فكلام معترض. وقيل: فيه إضمار معناه: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإننا لا نضيع أجرهم بل نجازيهم، ثم ذكر الجزاء.

[٣١] فقال: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، أي: إقامة، يقال: عَدَنَ فلان بالمكان إذا أقام به، سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها، ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْرُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾، قال سعيد بن جبير: يحلى كل واحد منهم ثلاثة أساور: واحد من ذهب، وواحد من فضة، وواحد من لؤلؤ ويواقيت، ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ﴾، وهو مارق من الديباج، ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾، وهو ما غلظ منه، ومعنى الغلظ في ثياب الجنة إحكامه. وعن أبي عمران الجوني قال: السندس هو الديباج المنسوج بالذهب، ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾، في الجنان، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، وهي السرر في الحجال واحدها أريكه، ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾ أي نعم الجزاء، ﴿وَحَسَنَتُ الْجَنَانِ مُرْتَفَقًا﴾ أي: مجلساً ومقراً.

[٣٢] ﴿وَأَصْرِبَ لَهُمْ مَثَلًا رَّحْلَيْنِ﴾ اذكر لهم خبر رجلين، ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾، بستانين، ﴿مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ﴾، أي: أطفأناهما من جوانبهما بنخل، والحفاف الجانب، وجمعه أحفة، يقال: حَفَّ به القوم أي طافوا بجوانبه، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾، أي جعلنا حول الأعناب النخيل ووسط الأعناب الزرع. وقيل: بينهما أي بين الجنتين زرعاً.

يعني لم يكن بين الجنتين موضع خراب.

[٣٣] ﴿كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَعْبَ وَمِنْ أَكْثَرِ النَّارِ﴾، أي أعطت كل واحدة من الجنتين، ﴿أَكْثَرُ النَّارِ﴾، ثمرها تاماً، ﴿وَلَمْ تَطْلُرْ﴾، لم تنقص، ﴿وَمِنْ شَيْءٍ وَفَجَّرْنَا﴾، قرأ العامة بالتشديد، وقرأ يعقوب بتخفيف الجيم، ﴿خَلَّلْنَاهَا نَهْرًا﴾ يعني شققنا وأخرجنا وسطهما نهراً. [٣٤] ﴿وَكَانَ لَهُمَا نَهْرٌ﴾، لصاحب البستان، ﴿ثَمَرٌ﴾ قرأ عاصم وأبو جعفر ويعقوب ﴿ثَمَرٌ﴾ بفتح الثاء والميم، وكذلك بشمة، وقرأ أبو عمرو بضم الثاء ساكنة الميم، وقرأ الآخرون بضمهما، فمن قرأ بالفتح هو جمع ثمرة وهو ما تخرجه الشجرة من الثمار المأكولة، ومن قرأ بالضم فهي الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف، جمع ثمار. وقال مجاهد: ذهب وفضة. وقيل: جميع الثمرات. قال الأزهري: الثمرة تجمع على ثمر، ويجمع الثمر

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ
أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ نَظَفَهُ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا
﴿٣٧﴾ لَّيَكُنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا
أَقَلُّ مِنْكَ مَا لَا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلِقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤها غُورًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيط بِشَرِّهِ فَاَصْبَحَ يَقْلُبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا نَفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهِا وَيَقُولُ يَا بَنِيَّ لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ
فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ
لِللَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ تَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْلَطَ بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضِ
فَاصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدًا ﴿٤٥﴾

﴿٣٩﴾ ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾، أي هلا إذ دخلت جنتك، ﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: الأمر ما شاء الله. وقيل: جوابه مضمّر أي ما شاء الله كان، وقوله: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، أي لا أقدر على حفظ مالي أو دفع شيء عنه إلا بالله، ورؤي عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى من ماله شيئًا يعجبه أو دخل حائطًا من حيطانه. قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. ثم قال: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَا لَا وَوَلَدًا﴾ «أنا» عماد^(١)، ولذلك نصب أقل معناه: إن ترني أقل منك ما لا وولدا فتكبرت وتعظمت عليّ.

﴿٤٠﴾ ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي﴾، فعلعل ربّي، ﴿أَن يُؤْتِيَنِي﴾، يعطيني في الآخرة، ﴿خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾، أي على جنتك، ﴿حُسْبَانًا﴾، قال قتادة:

(١) وهكذا في طبعة ١٣٤٣ هـ وكذا في طبعة النمر وهو صحيح.

على ثمار، ثم تجمع الثمار على ثمر. ﴿فَقَالَ﴾، يعني صاحب البستان، ﴿لِصَاحِبِهِ﴾، المؤمن، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾، يخاطبه ويجاوبه، ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَا لَا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أي: عشيرة ورهطًا. وقال قتادة: خدما وحشما. وقال مقاتل: ولدا، تصديقه قوله تعالى: (إن ترن أنا أقل منك ما لا وولدا).

﴿٣٥﴾ ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾، يعني الكافر، أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به فيها ويريه أثمارها، ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾، بكفره، ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾، تهلك، ﴿هَذِهِ أَبَدًا﴾، قال أهل المعاني: رافقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تنفى أبدا وأنكر البعث.

﴿٣٦﴾ فقال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾، كائنه، ﴿وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾، قرأ أهل الحجاز والشام هكذا على الشنية، يعني من الجنتين، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الآخرون ﴿مِنْهَا﴾ أي: من الجنة التي دخلها، ﴿مُنْقَلَبًا﴾ أي: مرجعا، إن قيل: كيف قال ﴿وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾، وهو منكر البعث؟ قيل: معناه ولئن رددت إلى ربّي على ما تزعم أنت يعطيني هنالك خيرا منها فإنه لم يعطيني هذه الجنة في الدنيا إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها.

﴿٣٧﴾ ﴿قَالَ لَّمْ صَاحِبُهُ﴾، المسلم، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ، أي خلق أصلك من تراب، ﴿ثُمَّ﴾، خَلَقَكَ، ﴿وَمِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ أي: عدلك بشرا سويا ذكرا.

﴿٣٨﴾ ﴿لَّيَكُنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب لكنا بالألف في الوصل، وقرأ الباقون بلا ألف واتفقوا على إثبات الألف في الوقف، وأصله «لكن أنا» فحذفت الهمزة طلبا للتخفيف لكثرة استعمالها ثم أدغمت إحدى النونين في الأخرى، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير مجازة: لكن الله هو ربّي، ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

غيره يثيب، ﴿وَحَيْرٌ عَقْبًا﴾، أي عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره، فهو خير إثابة، وعاقبة: طاعة، قرأ حمزة وعاصم (عُقْبًا) ساكنة القاف، وقرأ الآخرون بضمها.

[٤٥] قوله تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمُ﴾، يا محمد أي لقومك: ﴿مَثَلُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾، يعني المطر، ﴿فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضِ﴾، خرج منه كل لون وزهرة، ﴿فَأَصْبَحَ﴾، عن قريب ﴿هَشِيمًا﴾، يابسًا. قال ابن عباس وقال الضحاك: كسيرًا. والهشيم: ما ييس وتفتت من النباتات فأصبح هشيمًا، ﴿نَذَرُوهُ الرِّيحَ﴾، قال ابن عباس: تفرقه الرياح. وقال أبو عبيدة مثله. وقال القتيبي: تنسفه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا﴾، قادرًا.

[٤٦] ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾، التي يفخر بها عتبة وأصحابه الأغنياء، ﴿زِينَةُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا﴾، ليست من زاد الآخرة، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المال والبنون حرث الدنيا والأعمال الصالحة حرث الآخرة، وقد يجمعها الله لأقوام. ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ﴾، اختلفوا فيها، فقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد: هي قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وقد رويناه أن النبي ﷺ قال: «أفضل الكلام أربع كلمات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»^(١). وقال سعيد بن جبير ومسروق وإبراهيم: الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس. ويروى هذا عن ابن عباس، وعنه رواية أخرى أنها الأعمال الصالحة، وهو قول قتادة. قوله تعالى: ﴿حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾، أي جزاء، المراد ﴿وَحَيْرٌ مَثَلًا﴾ أي ما يأمله الإنسان.

[٤٧] ﴿رَبُّكُمْ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. قرأ ابن كثير وأبو

عذابًا. وقال ابن عباس رضي الله عنه: نارًا. وقال القتيبي: مرامي. ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾، وهي مثل صاعقة أو شيء يهلكها، وحدثها حسبانة، ﴿فَنُصِصَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾، أي أرضًا جرداء ملساء لا نبات فيها. وقيل: تزلق فيها الأقدام. وقال مجاهد: رملاً هائلًا.

[٤٨] ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا﴾، أي: غائرًا منقطعًا ذاهبًا لا تناله الأيدي، ولا الدلاء، والغور مصدر وضع موضع الاسم، مثل زور وعدل، ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ نَهْمَ طَلَبًا﴾، يعني: إن طلبته لم تجده.

[٤٩] ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾، أي أحاط العذاب بشمر جنته، وذلك أن الله تعالى أرسل عليها نارًا فأهلكتها وغار ماؤها، ﴿فَأَصْبَحَ﴾، صاحبها الكافر ﴿يُقَلِّبُ كَفْيَهُ﴾، أي يصفق بيده على الأخرى ويقلب كفيه ظهرًا لبطن تأسفًا وتلهفًا، ﴿عَلَى مَا أَفْقَقَ فِيهَا وَهُوَ حَاوِيَةٌ﴾، أي ساقطة، ﴿عَلَى غُرُوشِهَا﴾، سقوفها، ﴿وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

[٥٠] قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَمْ فِتْنَةً﴾، جماعة، ﴿يَضْرِبُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يمنعونه من عذاب الله ﴿وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾، ممتنعًا منتقمًا لا يقدر على الانتصار لنفسه. وقيل: لا يقدر على رد ما ذهب عنه.

[٥١] ﴿هَٰذَاكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾، يعني في القيامة، قرأ حمزة والكسائي (الْوَلِيَّةُ) بكسر الواو، يعني السلطان، وقرأ الآخرون بفتح الواو من الموالاة والنصر، كقوله تعالى: (الله ولي الذين آمنوا)، قال القتيبي: يريد أنهم يتلون يومئذ ويتبرؤون مما كانوا يعبدون. وقيل: بالفتح الربوبية وبالكسر الإمارة، ﴿نَحْنُ﴾ برفع القاف أبو عمرو والكسائي على نعت الولاية، وتصديقه قراءة أبي:

(هَٰذَاكَ الْوَلِيَّةُ الْحَقِّ لِلَّهِ)، وقرأ الآخرون بالجر على صفة الله كقوله تعالى: (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ) ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾، أفضل جزاء لأهل طاعته لو كان

(١) أخرجه البخاري تعليقًا في الإيمان والنذور ٥٦٦/١١ ومسلم من حديث سمرة بن جندب ١٦٧٥/٣ والنسائي وابن حبان. انظر فتح الباري ٥٦٧/١١.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمْأَلُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا أَمْأَلًا ﴿٤٨﴾ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٥٠﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَلِّتُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٥١﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٢﴾ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقِ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥٣﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٤﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِدُوهَا وَلَمْ يَحْدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٥﴾

القيامة ثلاث عرضات، فأما العرضتان فجداول ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فأخذ بيمينه وأخذ بشماله. ورفع بعضهم عن أبي موسى.

[٥٠] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، يقول: واذكر يا محمد إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾، قال ابن عباس: كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلُقوا من نار السموم. وقال الحسن: كان من الجن ولم يكن من الملائكة، فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس، ﴿فَفَسَقَ﴾، أي خرج، ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾، عن طاعة ربه، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾، يعني يا بني آدم ﴿وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾، أي أعداء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع

عمرو وابن عامر (تَسِيرُ «بالتاء وفتح الياء» الجبال «رفع») دليله قوله تعالى: (وإذا الجبال سيرت)، وقرأ الآخرون بالنون وكسر الياء، ﴿الْجِبَالُ﴾ نصب، وسير الجبال نقلها من مكان إلى مكان، ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾، أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا نبات، كما قال: (فيذرها قاعًا صافصًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا)، قال عطاء: هو بروز ما في باطنها من الموتى وغيرهم، فتري باطن الأرض ظاهرًا، ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾، جميعًا إلى الموقف والحساب، ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ﴾، أي ترك منهم، ﴿أَحَدًا﴾.

[٤٨] ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾، أي صفًّا صفًّا فوجًا فوجًا، لا أنهم صف واحد. وقيل: قيامًا، ثم يقال لهم يعني الكفار: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، يعني أحياء، وقيل: فرادى كما ذكر في سورة الأنعام. وقيل: غرلاً. ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾، يوم القيامة، يقوله لمنكري البعث.

[٤٩] قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ﴾، يعني كتاب أعمال العباد يوضع في أيدي الناس في أيمانهم وشمائلهم وقيل: معناه يوضع بين يدي الله تعالى. ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾، خائفين، ﴿مِمَّا فِيهِ﴾، من الأعمال السيئة، ﴿وَيَقُولُونَ﴾، إذا رأوها، ﴿يُوَلِّتُنَا﴾، يا هلاكنا، والويل والويلة الهلكة، وكل من وقع في هلكة دعا بالويل، ومعنى النداء تنبيه المخاطبين، ﴿مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾، من ذنوبنا. قال ابن عباس: الصغيرة: التبسم، والكبيرة: القهقهة. وقال سعيد ابن جبير: الصغيرة: اللمم واللمس والقبلة، والكبيرة: الزنا. ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾، عددها، قال السدي: كتبها أثبتها. قال مقاتل بن حيان: حفظها ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾، مكتوبًا مثبتًا في كتابهم، ﴿وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، أي لا ينقص ثواب أحد عمل خيرًا. وقال الضحاك: لا يؤاخذ أحدًا بجرم لم يعمله. وقال عبد الله بن قيس: يعرض الناس يوم

[٥٣] ﴿وَرَاَ الْمَجْرَمُونَ النَّارَ﴾، أي المشركون، ﴿فَظَنُّوا﴾، أيقنوا، ﴿أَنَّهُمْ مُّوَفَّوهُمَهَا﴾، داخلوها وواقعون فيها، ﴿وَلَمْ يَحْدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾، معدلاً لأنها أحاطت بهم من كل جانب.

[٥٤] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾، بينا، ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾، أي ليتذكروا ويتعظوا، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءً جَدَلًا﴾، خصومة في الباطل. قال ابن عباس: أراد النضر بن الحارث وجداله في القرآن. قال الكلبي: أراد به أبي بن خلف الجمحي. وقيل: المراد من الآية الكفار، لقوله تعالى: (ويجادل الذين كفروا بالباطل)، وقيل: هي على العموم، وهذا أصح.

[٥٥] قوله عز وجل: ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾، القرآن والإسلام والبيان من الله عز وجل. وقيل: إنه الرسل ﷺ. ﴿وَيَسْتَعْرِفُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾، يعني سنتنا في إهلاكهم إن لم يؤمنوا. وقيل: إلا طلب أن تأتيتهم سنة الأولين من معاناة العذاب، كما قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾، قال ابن عباس: أي: عبائاً من المقابلة. وقال مجاهد: فجأة، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة ﴿قُبُلًا﴾ بضم القاف والباء، جمع قبيل أي: أصناف العذاب نوعاً نوعاً.

[٥٦] ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَجَعَلُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾، ومجادلتهم قولهم: (أبعث الله بشراً رسولاً) وقوله: (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)، وما أشبهه. ﴿لِيُدْحِضُوا﴾، ليبطلوا، ﴿بِهِ الْحَقُّ﴾، وأصل الدحض الزلق يريد ليزيلوا به الحق، ﴿وَالْتَحَدُوا عَائِنِي وَمَا أَذِرُوا هُرُوءًا﴾، فيه إضممار يعني وما أنذروا

عرشه على الماء ثم يبعث سراياه يفتنون الناس، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت. قال الأعمش: أراه قال: فيلتزمه^(١). قوله تعالى: ﴿يُنْسِلُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾، قال قتادة: بش ما استبدلوا طاعة إبليس وذريته بعبادة ربهم.

[٥١] ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾، ما أحضرتهم، وقرأ أبو جعفر ﴿ما أشهدناهم﴾ بالنون والألف على التعظيم، أي أحضرناهم يعني إبليس وذريته. وقيل: الكفار، وقال الكلبي: يعني الملائكة، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾، يقول ما أشهدتهم خلقاً فاستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها، ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾، أي الشياطين الذين يضلون الناس عضداً أي: أنصاراً وأعواناً.

[٥٢] قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ قرأ حمزة بالنون والآخرون بالياء أي: يقول الله لهم يوم القيامة، ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾، يعني الأوثان ﴿الَّذِينَ زَعَّمْتُمْ﴾، أنهم شركائي، ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾، فاستغاثوا بهم، ﴿فَهُمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾، أي لم يجيبوهم ولم ينصروهم، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾، يعني بين الأوثان وعبدتها وقيل: بين أهل الهدى وأهل الضلال، ﴿مَوْبِقًا﴾ مهلكاً قاله عطاء والضحاك. وقال ابن عباس: هو واد في النار. وقال مجاهد: واد في جهنم. وقال عكرمة: هو نهر في النار يسيل ناراً على حافته حيات مثل البغال الدهم. قال ابن الأعرابي: وكل حاجز بين شيئين فهو موبق، وأصله الهلاك يقال: أوبقه أي أهلكه، قال الفراء: وجعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكاً لهم في الآخرة، والبين على هذا القول التواصل كقوله تعالى: (لقد قطع بينكم) على قراءة من قرأ بالرفع.

(١) أخرجه مسلم في صفات المنافقين برقم (٢٨١٣) (٤/ ٢١٦) والمصنف في شرح السنة (٤١٠/١٤).

به وهو القرآن، هزوا أي استهزاء.

[٥٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ، وَعُظِّ، بَيَّانَتْ رَيْبُهُ فَأَعْرَضَ عَنْهَا، تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها، وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدُهُ، أي ما عمل من المعاصي من قبل، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً، أغطية، أَنْ يَفْقَهُوهُ، أي يفهموه يريد لئلا يفهموه، وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا، أي صمًا وثقلًا، ﴿وَلَنْ تَذَعَّهُمْ، يا محمد إِلَى الْهُدَى، إلى الدين، ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدًا، وهذا في أقوام علم الله منهم أنهم لا يؤمنون.

[٥٨] ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ، ذو النعمة ﴿لَوْ يُؤَاخِذُكُمْ، يعاقب الكفار، ﴿بِمَا كَسَبُوا، من الذنوب ﴿لَعَجَلْ لَكُمْ الْعَذَابَ، في الدنيا، ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ، يعني البعث والحساب، ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا، ملجأ.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ، يعني قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم، ﴿لَمَّا ظَلَمُوا، كفروا، ﴿وَجَعَلْنَا لِهَلْكَهُمْ مَوْعِدًا، أي أجلاً، ﴿قَرَأَ أَبُو بَكْرٍ (لِهَلْكَهُمْ) بفتح الميم واللام، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام، وكذلك في النمل ﴿مُهْلِكٌ، أي لوقت هلاكهم، وقرأ الآخرون بضم الميم وفتح اللام أي: لا هلاكهم.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنُهُ لَا أَتَّبِعُ حَقَّ أَتْبَلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ، عامة أهل العلم قالوا: إنه موسى بن عمران. وقال بعضهم: هو موسى بن ميثا من أولاد يوسف. والأول أصح ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنُهُ، يوشع بن نون، ﴿لَا أَتَّبِعُ، أي لا أزال أسير ﴿حَقَّ أَتْبَلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضَى حُقْبًا، أي وإن كان حُقْبًا أي دهرًا طويلًا وزمانًا، وجمعه أحقاب، والحقب: جمع الحقب. قال عبدالله بن عمر: والحقب ثمانون سنة، فحملًا خبزًا وسمكة مألحة حتى انتهيا إلى الصخرة التي عند مجمع البحرين ليلاً.

سُورَةُ الْكَهْفِ

٣٠٠

سُورَةُ الْكَهْفِ

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥١﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٢﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَجَعَلْنَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْقُلُوبَ وَاتَّخَذُوا آيَاتِنَا وَمَا نُنذِرُهُمْ هُزُوعًا ﴿٥٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بَيَّانَتْ رَيْبُهُ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴿٥٤﴾ وَلَنْ تَذَعَّهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٥٥﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَكُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٦﴾ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنُهُ لَا أَتَّبِعُ حَقَّ أَتْبَلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضَى حُقْبًا ﴿٥٨﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٥٩﴾

[٦١] فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾، يعني موسى وفتاه، ﴿بِمَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ أي: بين الفريقين، ﴿نَسِيَا﴾، تركا، ﴿حُوتَهُمَا﴾، وإنما كان الحوت مع يوشع، وهو الذي نسيه وأضاف النسيان إليهما لأنهما جميعًا تزوداه لسفرهما، كما يقال: خرج القوم إلى موضع كذا وحملوا من الزاد كذا وإنما حملة واحد منهم، ﴿فَاتَّخَذَ﴾، أي الحوت، ﴿سَبِيلَهُ﴾ في الْبَحْرِ سَرَبًا، أي مسلًا قال ابن عباس: جعل الحوت لا يمس شيئًا من البحر إلا ييس حتى صار صخرة.

[٦٢] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾، يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين، ﴿قَالَ﴾، موسى ﴿لِقَتْنُهُ ءَيْنَا غَدَاءَنَا﴾، أي طعامنا، والغداء ما يعد للأكل غدوة، والعشاء ما يعد للأكل عشية، ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾، أي تعبًا وشدة وذلك أنه

ألقي على موسى الجوع بعد مجاوزة الصخرة، ليتذكر الحوت ويرجع إلى مطلبه.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ له فتاه يذكر ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾، وهي صخرة كانت بالموضع الموعود ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾، أي تركته وفقدته، وذلك أن يوشع حين رأى ذلك من الحوت قام ليدرك موسى فيخبره، فنسي أن يخبره فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد. قيل: في الآية إضمار معناه: نسيت أن أذكر لك أمر الحوت، ثم قال: ﴿وَمَا أَنْسَيْنِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾، أي وما أنساني أن أذكر لك أمر الحوت إلا الشيطان، وقيل: معناه أنسانيه لثلا أذكره، ﴿وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾، قيل: هذا من قول يوشع، ويقول طفر الحوت إلى البحر فاتخذ فيه مسلكا فعجبت من ذلك عجبا. وروينا في الخبر: كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا^(١).

[٦٤] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ﴾، أي نطلب، ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي: رجعا يقصان الأثر الذي جاء منه يبتغيانه، فوجدا عبدا من عبادنا، قيل: كان ملكا من الملائكة، والصحيح الذي جاء في التواريخ، وثبت عن النبي ﷺ أنه الخضر^(٢)، واسمه بلي بن ملكان، قيل: كان من نسل بني إسرائيل. وقيل: كان من أبناء الملوك الذين ترهدوا في الدنيا، والخضر لقب له. [٦٥] فذلك قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً﴾، أي نعمة، ﴿مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾، أي إلهاما ولم يكن الخضر نبيا عند أكثر أهل العلم، يقول: جئت لأتبعك.

[٦٦] ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾، وأصحبك، ﴿عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب: (رُشْدًا) بفتح الراء والشين، وقرأ الآخرون بضم الراء وسكون الشين، أي صوابا. وقيل: علما ترشدني به. وفي بعض الأخبار أنه لما

سورة الكهف

٣٠١

سورة الكهف

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنَةٍ إِنَّا غَدَاءٌ نَأْلِقُ لِقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَيْنِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٤﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٥﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٦﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٨﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٧٠﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧١﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَهَا لِنُفُوقِ أَهْلِهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا أَمْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٣﴾ قَالَ لَا تُؤَلِّمْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٤﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ، قَالَ أَقْنَلْتَ نَفْسًا رَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٥﴾

قال له موسى هذا قال له الخضر: كفى بالتوراة علما وبني إسرائيل شغلا، فقال له موسى: إن الله أمرني بهذا فحيثنذ.

[٦٧] ﴿قَالَ﴾، له الخضر، ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، وإنما قال ذلك لأنه علم أنه يرى أمورًا منكرا، ولا يجوز للأنبياء أن يصبروا على المنكرات، ثم بين عذره في ترك الصبر.

[٦٨] فقال له: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا﴾، أي علما.

[٦٩] ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾، إنما استثنى لأنه لم يثق من نفسه بالصبر ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾، أي لا أخالفك فيما تأمرني.

(١) في رواية البخاري في كتاب التفسير: (فكان لفتاه عجا وللحوت سربا). (٢) انظر صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى (٤٣١/٦).

بالبسر ولا تعاملني بالعسر.

[٧٤] ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾، في القصة أنهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان يلعبون فأخذ الخضر غلاماً ظريفاً وضيء الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين قال الضحاك: كان غلاماً يعمل بالفساد وتأذى منه أبواه، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً»^(٢). ﴿قَالَ﴾ موسى، ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو عمرو: ﴿زَاكِية﴾ بالالف، وقرأ الآخرون: زكية، قال الكسائي والفراء: معناهما واحد، مثل: القاسية والقسية، وقال أبو عمرو بن العلاء: الزاكية التي لم تذنّب قط، والزكية التي أذنبت ثم تابت، ﴿يَعْتَرِ نَفْسٍ﴾، أي لم تقتل نفساً بشيء وجب به عليها القتل، ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾، أي منكراً. قال قتادة: النكر أعظم من الإمر لأنه حقيقة الهلاك، وفي خرق السفينة كان خوف الهلاك، وقيل: الأمر أعظم لأنه كان فيه تغريق جمع كثير. قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر ههنا ﴿نُكْرًا﴾ وفي سورة الطلاق بضم الكاف، والآخرون بسكونها.

[٧٥] ﴿قَالَ﴾، يعني الخضر ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، قيل: زاد هنا لأنه نقض العهد مرتين، وفي القصة أن يوشع كان يقول لموسى يا نبي الله اذكر العهد الذي أنت عليه.

[٧٦] ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾، بعد هذه المرة، ﴿فَلَا تُصِجْنِي﴾، وفارقتي، وقرأ يعقوب: ﴿فَلَا تُصَحِّبْنِي﴾ بغير ألف من الصحبة. ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكر ﴿مِن لَدُنِّي﴾ خفيفة النون وقرأ الآخرون، بتشديدها، قال ابن عباس: أي قد

[٧٠] ﴿قَالَ﴾، الخضر، ﴿فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي﴾، فإن صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار إليه إلا أنه شرط عليه شرطاً فقال، ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون، والآخرون بسكون اللام وتخفيف النون، ﴿عَنْ شَيْءٍ﴾ أعمله فيما تنكره وتعترض عليه، ﴿حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، حتى ابتدأ لك بذكره فأبين لك شأنه.

[٧١] ﴿فَانْطَلَقَا﴾ يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها، وروينا عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: «مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، فلما لججوا البحر أخذ الخضر فأسأ فخرق لوحاً من السفينة» فذلك قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ﴾، له موسى، ﴿أَخْرَقَهَا لِنُغْرَقَ أَهْلَهَا﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿ليغرق﴾ بالياء وفتحها وفتح الراء وقرأ الآخرون بالتاء ورفعها وكسر الراء ﴿أَهْلَهَا﴾ نصب على أن الفعل للخضر، ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي منكراً، والإمر في كلام العرب الداهية، وأصله كل شيء شديد كثير، يقال: إمر القوم إذا كثروا واشتد أمرهم. وقال القتيبي: ﴿إِمْرًا﴾ أي عجباً.

[٧٢] ﴿قَالَ﴾، العالم وهو الخضر، ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

[٧٣] ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿لَا تُؤْخَذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾، قال ابن عباس: إنه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام، فكانه نسي شيئاً آخر. وقيل: معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك. وقال أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «كانت الأولى من موسى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة عمداً»^(١) ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾، ولا تغشني، ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾، وقيل: لا تكلفني مشقة، يقال: أرهقته عسراً أي كلفته ذلك، يقول لا تضيق على أمري وعاملني

(١) انظر صحيح البخاري ٣٢٦/٥ ومسلم ١٨٤٧/٤.

(٢) أخرجه مسلم في القدر برقم (٢٦٦١) ٢٠٥٠/٤.

أعذرت فيما بيني وبينك. وقيل: قد حذرني أني لا أستطيع معك صبراً. وقيل: اتضح لك العذر في مفارقتي. عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه عجل لرأى العجب»^(١) ﴿٧٦﴾ إِنَّ سَأْلَكَ عَنْ نَتْنٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِغْجِي قَدْ بَلَّغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا ﴿٧٧﴾ فلو صبر لرأى العجب.

[٧٧] قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾، قال ابن عباس: يعني أنطاكية. وقال ابن سيرين: هي الأيلة وهي أبعد الأرض من السماء. وقيل: برقة. وعن أبي هريرة: بلدة بالأندلس. ﴿أَسْتَطَعْمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفَهُمَا﴾، قال أبي بن كعب عن النبي ﷺ: حتى إذا أتيا أهل قرية لناماً فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما^(٢). وروي أنهما طافا في القرية فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما. وروي أنهما طافا في القوم فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافوهم فلم يضيفوهما. قال قتادة: شر القرى التي لا تضيف الضيف. قوله تعالى: ﴿وَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾، أي يسقط، وهذا من مجاز كلام العرب، لأن الجدار لا إرادة له وإنما معناه قرب ودنا من السقوط، كما تقول العرب: داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها. ﴿فَأَقَامَهُ﴾، أي سواه ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لَوْ شِئْتُ لَنُتَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (لَتُخَذْتُ) بتخفيف التاء وكسر الخاء، وقرأ الآخرون ﴿لَتُخَذْتُ﴾ بتشديد التاء وفتح الخاء، وهما لغتان مثل اتبع وتبع عليه يعني على إصلاح الجدار، ﴿أَجْرًا﴾ يعني جعلاً، معناه: إنك قد علمت وإننا جياع وإن أهل القرية لم يطعمونا فلو أخذت على عملك أجراً.

[٧٨] ﴿قَالَ﴾ الخضر، ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، يعني هذا وقت فراق بيني وبينك. وقيل: هذا

سورة الكهف ٣٠٢ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِغْجِي قَدْ بَلَّغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ أَسْتَطَعْمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴿٧٧﴾ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَنُتَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٨﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوِيلَ مَا لَمْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٩﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٨٠﴾ وَأَمَّا الْكَلْبُ فَكَانَ أَبُوهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨١﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿٨٢﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٣﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٤﴾

الإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا. وقال الزجاج: معناه هذا فراق بيننا أي فراق اتصالنا وكرر ﴿يَيْنَ﴾ تأكيداً ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾، أي سوف أخبرك ﴿بِأَوَّلِ مَا لَمْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾، وفي بعض التفاسير أن موسى أخذ بثوبه، فقال: أخبرني بمعنى ما عملت قبل أن تفارقني.

[٧٩] فقال: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾، أي: يواجرون ويكتسبون بها، ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، أجعلها ذات عيب، ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾، أي أمامهم، ﴿مَلِكٌ﴾، كقوله: (من ورائه جهنم)، وقيل: وراءهم خلفهم، وكان رجوعهم في طريقهم عليه، والأول أصح يدل عليه قراءة ابن عباس

(١) أخرجه مسلم في الفضائل برقم (٢٣٨٠) ١٤/ ١٨٥١.

(٢) قطعة من الحديث السابق.

وكان أمامهم ملك، ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، أي: كل سفينة صالحة غصبًا وكان ابن عباس يقرأ كذلك فخرقها وعبها الخضر حتى لا يأخذها الملك الغاصب.

[٨٠] قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْفُلُفُفُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا﴾، أي فعلنا، وفي قراءة ابن عباس: وأما الغلام فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين فخشينا، أي فعلنا، ﴿أَن يَرْهَقَهُمَا﴾، يغشيها، وقال الكلبي: يكلفهما، ﴿طُفَيْنَا وَكُفِّرْنَا﴾، قال سعيد بن جبير: فخشينا أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه.

[٨١] ﴿فَارْتَدَّا أَن يَبْدِلَهُمَا﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمر بالتشديد ههنا وفي سورة التحريم والقلم، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهما لغتان وفرق بعضهم فقال: التبديل تغيير الشيء أو تغيير حاله وعين الشيء قائم والإبدال رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه، ﴿رَبُّهُمَا خَبِيرًا مِّنْهُ رَكُوعٌ﴾، أي صلاحًا وتقوى، ﴿وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بضم الحاء والباقون بجزمها أي: عطفًا من الرحمة. وقيل: هو من الرحم والقراءة، قال قتادة: أي أوصل للرحم وأبر بوالديه، قال مطرف: فرح به أبواه حين ولد وحزننا عليه حين قتل. ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله تعالى، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب.

[٨٢] قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾، وكان اسمهما أصرم وصريم، ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾، اختلفوا في ذلك الكنز، روي عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «كان ذهبًا وفضة»^(١). وقال عكرمة: كان مالا. وعن سعيد بن جبير: كان الكنز صحفًا فيها علم ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾، قيل: كان اسمه كاشع وكان من الأتقياء. قال ابن عباس: حفظًا بصلاح أبيهما،

وقيل: كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء، قال محمد بن المنكدر: إن الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده، وعترته وعشيرته وأهل دويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم. قال سعيد بن المسيب: إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي. قوله عز وجل: ﴿فَارَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾، أي يبلغا ويعقلا. وقيل: أن يدركا شدتهما وقوتهما. وقيل: ثمان عشرة سنة، ﴿وَيَسْتَخْرِجَا﴾ حيثل ﴿كَزَّهُمَا رَحْمَةً﴾، نعمة، ﴿مِّنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمَا عَنْ أَمْرِي﴾، أي باختياري ورأيي، بل فعلته بأمر الله وإلهامه، ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾، أي لم تطق عليه صبرًا، واستطاع واستطاع بمعنى واحد.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَن ذِي الْفُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِّنْهُ ذِكْرًا﴾، خبرًا، واختلفوا في نبوته والأكثرون على أنه كان ملكًا عادلاً صالحًا.

[٨٤] قوله عز وجل: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ مَنَاسِكَ﴾، أوطانًا، والتمكين: تمهيد الأسباب. وقال علي: سخر له السحاب فحمله عليها، ومد له في الأسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء، فهذا معنى تمكنه في الأرض، وهو أنه سهل عليه السير فيها وذلّل له طرقها. ﴿وَوَهَبْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: من كل شيء يحتاج إليه الخلق. وقيل: من كل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الأعداء، ﴿سَبَبًا﴾، أي: علمًا يتسبب به إلى كل ما يريد، ويسير به في أقطار الأرض، والسبب: ما يوصل به إلى الشيء. وقال الحسن: بلاغًا إلى حيث أراد. وقيل: قربنا إليه أقطار الأرض.

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الكهف ٦٠٠/٨ والحاكم في المستدرک ٣٦٩/٢ والبخاري في تاريخه والطبراني. انظر تحفة الأحوذى ٦٠١/٨.

[٨٥] ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾، أي: سلك وسار طريقًا، قرأ أهل الحجاز والبصرة: فاتبع ثم اتبع موصولًا مشددًا، قرأ الآخرون بقطع الألف وجزم التاء: وقيل: معناهما واحد، والصحيح الفرق بينهما فمن قطع الألف فمعناه أدرك ولحق، ومن قرأ بالتشديد فمعناه سار، يقال: ما زلت اتبعه حتى اتبعته أي: ما زلت أسير خلفه حتى لحقته. وقوله: سببًا أي طريقًا. وقال ابن عباس: منزلاً.

[٨٦] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْجُو فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، قرأ أبو جعفر وأبو عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر (حامية) بالألف غير مهموزة، أي حارة، وقرأ الآخرون ﴿حَمِئَةٍ﴾ مهموزًا بغير الألف أي ذات حماة، وهي الطينة السوداء، وسأل معاوية كعبًا: كيف تجد في التوراة أن تغرب الشمس؟ قال: نجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطنين. قال القتيبي: يجوز أن يكون معنى قوله: ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي عندها عين حمئة أو في رأي العين. ﴿وَوَجَدَهَا قَوْمًا﴾، أي عند العين أمة ﴿فَلَمَّا يَدْعَا الْقَرْيَتَيْنِ﴾، يستدل بهذا من زعم أنه كان نبيًا فإن الله تعالى خاطبه، والأصح أنه لم يكن نبيًا والمراد منه الإلهام، ﴿إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ﴾، يعني إما أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الإسلام، ﴿وَأِمَّا أَنْ تُنَجِّدَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾، يعني تعفو وتصفح. وقيل: تأسرهم فتعلمهم الهدى، خيرَ الله بين الأمرين.

[٨٧] ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾، كفر، ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾، أي: نقتله، ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾، في الآخرة ﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي: منكرًا يعني بالنار، والنار أنكر من القتل.

[٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب ﴿جَزَاءُ﴾ منصوبًا منونًا أي: فله الحسنى ﴿جَزَاءُ﴾ نصب على المصدر، وقرأ الآخرون بالرفع على الإضافة، والحسنى الجنة وإضافة الحسن إليها كما

٣٠٣ ﴿سُورَةُ الْكَهْفِ﴾
إِنَّمَا كُنَّا لَهُ، فِي الْأَرْضِ وَءَاثِنَتْهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٥﴾
حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْجُو فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَهَا قَوْمًا فَلَمَّا يَدْعَا الْقَرْيَتَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تُنَجِّدَ
فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ
فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ
الْحَسَنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَنْبَأَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ
إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ
دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَنْبَأَ
سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا
لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَدْعَا الْقَرْيَتَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ
مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رِيَّ خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ أَنَا وَرِزْقُ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ
قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَنَا وَرِيَّ أَرْفَعُ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾
فَمَا اسْطِغْنُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطِغْنُوا لَهُ نَقَبًا ﴿٩٧﴾

قال: (ولدار الآخرة خير)، والدار هي الآخرة. وقيل: المراد بالحسنى على هذه القراءة الأعمال الصالحة. ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾، أي نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا. وقال مجاهد: يسرًا أي معروفًا.

[٨٩] ﴿ثُمَّ أَنْبَأَ سَبَبًا﴾، أي سلك طرقًا ومنازل. [٩٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾، أي موضع طلوعها، ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾، قال قتادة والحسن: لم يكن بينهم وبين الشمس ستر، وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء، فكانوا يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معاشهم وحروثهم.

[٩١] قوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ﴾، قيل: معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها،

جعلاً وأجرًا من أموالنا. وقال أبو عمرو: الخرج ما تبرعت به، والخراج ما لزمك أداؤه. وقيل: الخراج على الأرض والخرج على الرقاب. يقال: أَدَّ خَرَجَ رأسك وخراج مدينتك. ﴿عَلَّ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾، أي حاجزًا فلا يصلون إلينا.

[٩٥] ﴿قَالَ﴾، لهم ذو القرنين: ﴿مَا مَكَّنِي فِيهِ﴾،

قرأ ابن كثير ﴿مكنني﴾ بنونين ظاهرين. وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الإدغام، أي ما قَوَّاني عليه، ﴿رَبِّي خَيْرٌ﴾، من جعلكم، ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّتِهِ﴾، معناه إني لا أريد المال بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم، ﴿أَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾، أي سدًّا، قالوا: وما تلك القوة؟ قال: فَعَلَّةٌ وصُنَاعٌ يحسنون البناء والعمل، والآلة. قالوا وما تلك الآلة؟ قال:

[٩٦] ﴿أَتُونِي﴾، أعطوني وقرأ أبو بكر ﴿أَتُونِي﴾

أي جيئوني، ﴿زَبْرَ الْحَدِيدِ﴾، أي قطع الحديد واحدها زبرة، فأتوه بها وبالحطب وجعل بعضها على بعض فلم يزل يجعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد، ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بضم الصاد والدال، وجزم أبو بكر الدال، وقرأ الآخرون بفتحها، وهما الجبلان، ساوي أي: سوى بين طرفي الجبلين. ﴿قَالَ أَنْفِخُوا﴾، وفي القصة أنه جعل الفحم والحطب في خلال زبر الحديد ثم قال انفخوا يعني في النار، ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلْنَا نَارًا﴾، أي صار الحديد نارا، ﴿أَتُونِي﴾، قرأ حمزة وأبو بكر وصلًا، وقرأ الآخرون بقطع الألف. ﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾، أي أتوني قطرًا أفرغ عليه، والإفراغ الصب والقطر هو النحاس المذاب، فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس. قال قتادة: هو كالبر والبحر طريقة سوداء وطريقة حمراء، وفي القصة أن عرضه كان خمسين ذراعًا

والصحيح أن معناه كما حكم في القوم الذين هم عند غروب الشمس كذلك حكم في الذين هم عند طلوع الشمس، ﴿وَقَدْ أَحْطَأَ بِمَا لَهُ مِنْ خَبَرٍ﴾، يعني بما عنده ومعه من الجند والعدة والآلات خبرًا أي علمًا.

[٩٢] ﴿ثُمَّ أُنْبِئْ سَبَّأً﴾.

[٩٣] ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ هما هنا جبلان سدد، والقرنين ما بينهما حاجزًا بين يأجوج ومأجوج ومن ورائهم. ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ يعني: أمام السدين. ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾، قرأ حمزة والكسائي (يُفْقَهُونَ) بضم الياء وكسر القاف على معنى لا يفهمون غيرهم قولًا، وقرأ الآخرون بفتح الياء والقاف، أي لا يفهمون كلام غيرهم، قال ابن عباس: لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم.

[٩٤] ﴿قَالُوا يَبْنَؤُا الْقَرْنَيْنِ﴾ فإن قيل: كيف قالوا ذلك وهم لا يفهمون؟ قيل: كلم عنهم مترجم، دليله قراءة ابن مسعود: لا يكادون يفقهون قولًا قال الذين من دونهم يا ذا القرنين. ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾، قرأهما عاصم مهموزين، والآخرون بغير همز، وهما لغتان أصلهما من أجيح النار، وهو ضوؤها وشرها، شبهوا به لكثرتهم وشدتهم، وقيل: بالهمز من أجيح النار وبترك الهمز اسمان أعجميان، مثل هاروت وماروت قوله تعالى: ﴿مُسْتَبْدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، قال الكلبي: فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئًا أخضر إلا أكلوه ولا يابسًا إلا احتملوه، وأدخلوه أرضهم، وقد لقوا منهم أذى شديدًا وقتلًا. وقيل: فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس.

وقيل: معناه أنهم سيفسدون في الأرض عند خروجهم. ﴿فَهَلْ يَجْعَلْ لَكَ خَرْجًا﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿خراجًا﴾ بالألف، وقرأ الآخرون ﴿خَرْجًا﴾ بغير ألف وهما لغتان بمعنى واحد، أي

وارتفاعه مائتي ذراع وطوله فرسخ.

[٩٧] ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾، أن يعلوه من فوقه لطوله وملاسته، ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَمْ نَقْبًا﴾، من أسفله لشدة ولصلايته. وقرأ حمزة ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا﴾ بتشديد الطاء أدغم تاء الافتعال في الطاء.

[٩٨] ﴿قَالَ﴾، يعني ذا القرنين، ﴿هَذَا﴾، أي السد، ﴿رَحْمَةً﴾، نعمة، ﴿مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾، قيل: القيامة. وقيل: وقت خروجهم. ﴿جَعَلَهُ دَكَاةً﴾، قرأ أهل الكوفة ﴿دَكَاةً﴾ بالمد والهمز، أي أرضاً ملساء، وقرأ الآخرون بلا مد أي: جعله مدكوكة مستوية مع وجه الأرض، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

[٩٩] قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾، قيل: هذا عند فتح السد، يقول: تركنا يأجوج ومأجوج أي يدخل بعضهم على بعض، كموج الماء ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم، وقيل: هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض، ويختلط إنسيهم بجنيهم حيارى، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة، ﴿فَجَمَعْنَهُمْ جَمَاعًا﴾، في صعيد واحد.

[١٠٠] ﴿وَعَرَّسْنَا﴾، أبرزنا، ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾، حتى يشاهدوها عياناً.

[١٠١] ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾، أي غشاء والغطاء ما يغطي به الشيء ويستره، ﴿عَنْ ذِكْرِي﴾، يعني عن الإيمان والقرآن. وعن الهدى والبيان. وقيل: عن رؤية الدلائل. ﴿وَكَاُنُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾، أي سمع القبول، والإيمان لغلبة الشقاوة عليهم. وقيل: لا يعقلون وقيل: كانوا لا يستطيعون أي لا يقدرون أن يسمعوا من رسول الله ﷺ ما يتلوه عليهم لشدة عداوتهم، كقول الرجل: لا أستطيع أن أسمع من فلان شيئاً لعداوته.

[١٠٢] ﴿أَفَحَسِبَ﴾، أظن، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ

يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ آلِيَّاءَ﴾، أرباباً يريد بالعباد عيسى والملائكة، كلا بل هم لهم أعداء ويتبرؤون منهم. قال ابن عباس: يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله. وقال مقاتل: الأصنام سماها عبداً، كما قال: (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم)، وجواب هذا الاستفهام محذوف. قال ابن عباس: يريد إني لأغضب لنفسي، يقول أظن الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء وإني لا أغضب لنفسي ولا أعاقبهم؟! وقيل: أظنوا أنهم ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء. ﴿إِنَّا أَعَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾، أي: منزلاً، قال ابن عباس: هي مثواهم. وقيل: النزل ما يهيا للضيف، يريد هي معدة لهم عندنا كالنزل للضيف.

[١٠٣] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾، يعني الذين اتبعوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلاً ونوالاً فنالوا هلاكاً وبواراً، كمن يشتري سلعة يرجو عليها ربحاً فخرس وخاب سعيه، واختلفوا فيهم، قال ابن عباس وسعد بن أبي وقاص: هم اليهود والنصارى. وقيل: هم الرهبان.

[١٠٤] ﴿الَّذِينَ﴾ حبسوا أنفسهم في الصوامع. وقال علي بن أبي طالب: هم أهل حروراء. ﴿صَدَّ سَعْيُهُمْ﴾، بطل عملهم واجتهادهم، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، أي عملاً.

[١٠٥] ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنَازِعُونَ رَبَّهُمْ وَلِقَائِهِ. حَظَّتْ﴾، بطلت، ﴿أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾، أي لا نجعل لهم خطراً وقدرًا، تقول العرب: ما لفلان عندي وزن أي قدر لخسته، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»^(١) وقال: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾، قال

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٤٢٦/٨ ومسلم في صفات المنافقين برقم (٢٧٨٥) ٤/٢١٤٧.

﴿١٠٦﴾ الَّذِي ذَكَرْتَ مِنْ حَبُوطِ أَعْمَالِهِمْ
وَحُصَّةِ أَقْدَارِهِمْ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا
كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾، يعني القرآن، ﴿وَرُسُلِي هُزُؤًا﴾،
أي سخرية ومهزوءًا بهم.

﴿١٠٧﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾، رويها عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا
سألتكم الله فاسألوهُ الفردوس، فإنه أوسط الجنة،
وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تَفْجُرُ
أنهار الجنة»^(١). قال كعب: ليس في الجنان جنة
أعلى من جنة الفردوس فيها الأمرون بالمعروف
والناهون عن المنكر. وقال قتادة: الفردوس ربوة
الجنة وأوسطها وأقصاها وأرفعها. قال كعب:
الفردوس هو البستان الذي فيه الأعناب. وقال
مجاهد: هو البستان بالرومية. وقال عكرمة: هي
الجنة بلسان الحبش. قال الزجاج: هو بالرومية
منقول إلى لفظ العربية، وقال الضحاك: هي الجنة
الملتفة الأشجار. وقيل: هي الروضة المستحسنة.
وقيل: هي التي تنبت ضروريًا من النبات، وجمعه
فراويس، ﴿نُزُلًا﴾، قيل أي منزلًا. وقيل: ما يهبأ
للنزال على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس
ونعيمها نزلًا، ومعنى كانت لهم أي في علم الله قبل
أن يخلقوا.

﴿١٠٨﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾، لا يطلبون، ﴿عَنَّا
حَوْلًا﴾، أي تحولًا إلى غيرها. قال ابن عباس: لا
يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار
إلى دار إذا توافقه إلى دار أخرى.

﴿١٠٩﴾ ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾، قال
ابن عباس: قالت اليهود يا محمد ترعم أنا قد

أوتينا الحكمة، وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرًا كثيرًا، ثم تقول: وما أوتيتم من العلم
إلا قليلًا؟ فأنزل الله هذه الآية. وقيل: لما نزلت:
(وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا)، قالت اليهود:
أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء، فأنزل الله: ﴿قُلْ
لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ سمي المداد مدادًا لإمداد
الكتاب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد
الشيء. قال مجاهد: لو كان البحر مدادًا للقلم
والقلم يكتب، ﴿لَفُتِدَ الْبَحْرُ﴾ أي ماؤه، ﴿قَبْلَ أَنْ
تُنْفَذَ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿يُنْفَذَ﴾ بالياء لنقدم
الفعل، والباقون بالتاء، ﴿كَلِمَاتِ رَبِّي﴾، أي علمه
وحكمه، ﴿وَلَوْ جِثَا بِحْثِلِهِ مِدَادًا﴾، معناه لو كان
الخلايق يكتبون والبحر يمددهم لفد البحر ولم تنفذ

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في التوحيد ١٣ / ٤٠٤

[٢] ﴿ذَكَرْ﴾، رفع بالمضمر أي هذا الذي نتلوه عليك ذكر ﴿رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾، وفيه تقديم وتأخير معناه: ذكر ربك، ﴿عَبَدُوْكَ زَكَرًا﴾، برحمته.

[٣] ﴿إِذْ نَادَى﴾، دعا، ﴿رَبِّهُ﴾، في محرابه، ﴿بِدَاءَ حَقِيْقَةٍ﴾، دعا سرًا من قومه في جوف الليل.

[٤] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾، ضعف ورق، ﴿الْعَظْمُ مِنِّي﴾، من الكبر. قال قتادة: اشتكى سقوط الأضراس، ﴿وَأَشْتَلَّ الرَّأْسُ﴾، أي ابيض شعر الرأس، ﴿شَيْبًا﴾، شمطًا، ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيْقًا﴾، يقول عودتي الإجابة فيما مضى ولم تخيبي. وقيل: معناه لما دعوتني إلى الإيمان آمنت ولم أشق بترك الإيمان.

[٥] ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾، والموالي: بنو العم. قال مجاهد: العصبه. وقال أبو صالح: الكلالة. وقال الكلبي: الورثة. ﴿وَمِنْ وَرَآئِي﴾، من بعد موتي، قرأ ابن كثير ﴿وَمِنْ وَرَآئِي﴾ بفتح الياء، والآخرون بإسكانها. ﴿وَكَاَنَتْ أَمْرًا قَرِيْبًا﴾، لا تلد، ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾، أعطني من عندك ﴿وَلِيًّا﴾.

[٦] ﴿يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلٍ يَعْقُوبُ﴾، قرأ أبو عمرو والكسائي بجزم التاء فيهما على جواب الدعاء، وقرأ الآخرون بالرفع على الحال والصفة، يعني وليًا وارثًا، واختلفوا في هذا الإرث، قال الحسن: معناه يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة. وقيل: أراد ميراث النبوة والعلم. وقيل: أراد إرث الحبورة، لأن زكريا كان رأس

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ٢٣٥/١١ ومسلم في البر والصلة برقم (٢٦٤٢) ٢٠٣٤/٤ والمصنف في شرح السنة ٣٢٣/١٤. (٢) أخرج هذه الرواية الإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص ٤٢٨، ٤٢٩ والمصنف في شرح السنة ٣٢٤/١٤ قال الهيثمي: (رجاله رجال الصحيح) وقال المسند: «إسناده جيد».

كلمات الله، ولو جئنا بمثله مددًا بمثل ماء البحر في كثرته مددًا وزيادة، نظيره قوله تعالى: (لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله).

[١١٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَحْدٌ﴾، قال ابن عباس علم الله رسوله التواضع لثلا يزهو على خلقه، فأمره الله أن يقر فيقول: أنا آدمي مثلكم إلا إني خصصت بالوحي وأكرمني الله به، يوحى إليّ أنما إلهم إل واحد لا شريك له، ﴿فَن كَانَ يَجُوْا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾، أي يخاف المصير إليه. وقيل: يأمل رؤية ربه، فالرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل جميعًا فجمع به المعنيين، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، أي لا يراني بعمله، قال النبي ﷺ: «من سمع سمع الله به، ومن يراني يراني الله به»^(١) وروينا عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء»^(٢).

(١٩) سُورَةُ مَرْيَمَ

[١] قوله عز وجل ﴿كَهَيَّصَ﴾، قرأ أبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وضده ابن عامر وحمزة وبكسرهما الكسائي وأبو بكر والباقون بفتحهما. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو اسم من أسماء الله تعالى. وقال قتادة: هو اسم من أسماء القرآن. وقيل: اسم للسورة. وقيل: هو قسم أقسم الله به. وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿كَهَيَّصَ﴾ قال: الكاف من كريم وكبير، والهاء من هاد، والياء من رحيم، والعين من عليم، وعظيم، والصاد من صادق. وقال الكلبي: معناه كافٍ لخلق، هادٍ لعباده، يده فوق أيديهم، عالم ببريته، صادق في وعده.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 كَهَيْعَصَ ١ ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ٢
 إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَّاءَ خَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ
 مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ
 شَقِيًّا ٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ
 امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثْ
 مِنْ أَيْلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦ يَزَكَرِيَّا
 إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا
 ٧ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي
 عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ٨ قَالَ كَذَلِكَ
 قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ تَكُ
 شَيْئًا ٩ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا
 تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١٠ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ
 مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ١١

والكسائي ﴿خَلَقْنَاكَ﴾ بالنون والألف على
 التعظيم، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، أي من قبل يحيى، ﴿وَلَوْ
 تَكُ شَيْئًا﴾.

[١٠] ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾، دلالة على حمل
 امرأتي، ﴿قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ
 سَوِيًّا﴾، أي صحيحًا سليمًا من غير ما بأس ولا
 خرس. قال مجاهد: أي لا يمنعك من الكلام
 مرض. وقيل: ثلاث ليال سويًا أي متتابعًا،
 والأول أصح. وفي القصة: أنه لم يقدر فيها أن
 يتكلم مع الناس فإذا أراد ذكر الله تعالى انطلق
 لسانه.

[١١] قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ
 الْمِحْرَابِ﴾، وكان الناس من وراء المحراب
 ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون إذ
 خرج عليهم زكريا متغيرًا لونه فأنكروه، فقالوا:

الأخبار. وقال الزجاج: والأولى أن يحمل على
 ميراث غير المال لأنه يبعد أن يشفق زكريا وهو نبي
 من الأنبياء أن يرثه بنو عمه ماله، والمعنى: أنه
 خاف تضییع بني عمه دين الله وتغيير أحكامه على
 ما كان شاهده من بني إسرائيل من تبديل الدين
 وقتل الأنبياء، فسأل ربه ولدًا صالحًا يأمنه على
 أمته، ويرث نبوته وعمله لثلا يضييع الدين. وهذا
 معنى قول عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.
 ﴿وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾، أي برًا نقيًا مرضيًا.

[٧] قوله عز وجل: ﴿يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾،
 وفيه اختصار، معناه فاستجاب الله دعاءه، فقال: يا
 زكريا إنا نبشرك، ﴿بِغُلَامٍ﴾، بولد ذكر، ﴿اسْمُهُ
 يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾، قال قتادة
 والكلبي: لم يسم أحد قبله يحيى. وقال سعيد بن
 جبیر وعطاء: لم نجعل له شبهًا ومثلاً، كما قال الله
 تعالى: (هل تعلم له سميا)، أي مثلاً، والمعنى:
 أنه لم يكن له مثل لأنه لم يعص ولم يهجم بمعضية
 قط. وقيل: لم يكن له ميل في أمر النساء، لأنه
 كان سيّدًا وحصورًا. وقال علي بن أبي طلحة عن
 ابن عباس رضي الله عنهما: أي لم تلد العواقر مثله
 ولدًا. وقيل: لم يرد الله به اجتماع الفضائل كلها
 ليحيى إنما أراد بعضها لأن الخليل والكليم كانا
 قبله وهما أفضل منه.

[٨] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى﴾، من أين، ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ
 وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ
 عِتِيًّا﴾، أي ييسًا، وقال قتادة: يريد تحول العظم،
 يقال: عتا الشيخ يعتو عتيًا وعسيًا، إذا انتهى سنه
 وكبر، وشيخ عات وعاس إذا صار إلى حالة اليبس
 والجفاف. وقرأ حمزة والكسائي: عتيًا وبكيًا
 وصليًا وجثيًا بكسر أوائلهن، والباقون برفعها،
 وهما لغتان.

[٩] ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى
 هَيْنٍ﴾، يسير، ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ﴾، قرأ حمزة،

لم ير مثله، فخصّ يحيى بالسلامة في هذه المواطن.

[١٦] قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾، في القرآن، ﴿مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ﴾، تنحت واعتزلت، ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾، من قومها، ﴿مَكَانًا شَرِيفًا﴾، أي مكانًا في الدار مما يلي المشرق، وكان يومًا شاتيا شديد البرد فجلست في مشرقه تغلي رأسها. وقيل: كانت طهرت من الحيض، فذهبت لتغتسل. قال الحسن: ومن ثم اتخذت النصارى المشرق قبلة.

[١٧] ﴿فَاتَّخَذَتْ﴾، فضربت، ﴿مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سترًا. وقيل: جلست وراء جدار، وقال مقاتل: وراء جبل. وقال عكرمة: إن مريم كانت تكون في المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت إذ عرض لها جبريل في صورة شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق، فذلك قوله: ﴿فَارْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾، يعني جبريل عليه السلام، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾، وقيل: المراد بالروح عيسى عليه السلام، جاء في صورة بشر فحملت به. الأول أصح فلما رأت مريم جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد.

[١٨] ﴿وَقَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ نَقِيًّا﴾، مؤمنًا مطيعًا، فإن قيل: إنما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت نقيًا؟ قيل: هذا كقول القائل: إن كنت مؤمنًا فلا تظلمني أي ينبغي أن يكون إيمانك مانعًا من الظلم، وكذلك ههنا معناه: وينبغي أن يكون تقواك مانعًا لك من الفجور.

مالك يا زكريا؟ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾، قال مجاهد: كتب لهم بالأرض، ﴿أَنْ سَبِّحُوا﴾، أي صلوا لله ﴿بِكُرَّةٍ﴾، غدوة، ﴿وَعَشِيًّا﴾، أنه كان يخرج على قومه بكرة وعشيًا فيأمرهم بالصلاة، فلما كان وقت حمل امرأته ومنع الكلام خرج إليهم فأمرهم بالصلاة إشارة.

[١٢] قوله عز وجل: ﴿يَحْيَىٰ﴾، قيل: فيه حذف معناه: وهبنا له يحيى وقلنا له: يا يحيى، ﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾، يعني التوراة، ﴿بِقُوَّةٍ﴾، بجهد، ﴿وَأَنبِئْنَاهُ الْحُكْمَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: النبوة، ﴿صَبِيًّا﴾، وهو ابن ثلاث سنين. وقيل: أراد بالحكم فهم الكتاب، فقرأ التوراة وهو صغير. وعن بعض السلف قال: من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتي الحكم صبيًّا^(١).

[١٣] ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾، رحمة من عندنا ﴿وَرِزْقًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني بالزكاة الطاعة والإخلاص. وقال قتادة رضي الله عنه: هي العمل الصالح، وهو قول الضحاك ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد، ليدعوهم إلى طاعة ربهم ويعمل عملاً صالحاً في إخلاص. وقال الكلبي: يعني صدقة تصدق الله بها على أبويه، ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾، مسلماً ومخلصاً مطيعاً، وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولا هم بها.

[١٤] ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾، أي باراً لطيفاً بهما محسناً إليهما. ﴿وَلَوْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾، الجبار المتكبر، وقيل: الجبار الذي يضرب، ويقتل على الغضب، والعصي العاصي.

[١٥] ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ﴾، أي: سلام له، ﴿يَوْمَ وَلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُعْثَرُ حَبًّا﴾، قال سفيان بن عيينة: أوحش ما يكون الإنسان في هذه الأحوال يوم ولد فيخرج مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يعث حباً فيرى نفسه في محشر

(١) أخرجه ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس مرفوعاً، وأخرجه ابن أبي حاتم والديلمي موقوفاً على ابن عباس. انظر الدر المنثور ٤٨٥/٥ كشف الخفا للعجلوني ٨٦/٢.

الْبُرُوقِ

٣٠٦

سُورَةُ مَرْيَمَ

يَبْحَثُ خِذَ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ أَيْتَهُ الْحُكْمَ صَبِيًا ﴿١٢﴾
 وَخَنَافًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكُوةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ
 يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
 وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَأَذْكُرُنِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ
 مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا
 فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي
 أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِن كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
 رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي
 غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ
 قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
 مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ
 بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ
 قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٣﴾
 فَنَادَتْهُمَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحِيكَ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
 وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

[١٩] ﴿قَالَ﴾، لها جبريل، ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ
 لِأَهَبَ لَكِ﴾، قرأ نافع وأهل البصرة: ﴿ليهب لك﴾
 أي ليهب لك ربك، وقرأ الآخرون: ﴿لأهب لك﴾
 أسند الفعل إلى الرسول، وإن كانت الهبة من الله
 تعالى، لأنه أرسل به، ﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾، ولدًا
 صالحًا طاهرًا من الذنوب.

[٢٠] ﴿قَالَتْ﴾، مريم ﴿أَنَّى﴾، من أين، ﴿يَكُونُ
 لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾، لم يقربني زوج، ﴿وَلَمْ
 أَكُ بَغِيًّا﴾ فاجرة، تريد أن الولد إنما يكون من نكاح
 أو سفاح، ولم يكن هنا واحد منهما.

[٢١] ﴿قَالَ﴾، جبريل، ﴿كَذَلِكَ﴾، قيل:
 معناه كما قلت يا مريم ولكن، ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾،
 وقيل: هكذا قال ربك ﴿هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾ أي خلق
 ولد بلا أب ﴿وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً﴾ علامة ﴿لِلنَّاسِ﴾
 دلالة على قدرتنا، ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾، ونعمة لمن تبعه
 على دينه، ﴿وَكَانَ﴾ ذلك، ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾،
 محكومًا مفروغًا عنه لا يرد ولا يبدل.

[٢٢] قوله عز وجل: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾، قيل: إن
 جبريل رفع عنها درعها فنفخ في جيبها فحملت
 حين لبست. وقيل: مَدَّ جِيبَ درعها بأصبعه ثم نفخ
 في الجيب. وقيل: نفخ في كم قميصها. وقيل: في
 فيها. وقيل: نفخ جبريل عليه السلام نفخًا من بعيد
 فوصل الريح إليها فحملت بعيسى في الحال،
 ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾، أي تنحت بالحمل فلما حملته
 انبذت به أي وانفردت، ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾، أي بعيدًا
 من أهلها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أقصى
 الوادي، وهو وادي بيت لحم، فرارًا من قومها أن
 يعيروها بولادتها من غير زوج، واختلفوا في مدة
 حملها ووقت وضعها، فقال ابن عباس رضي الله
 عنهما: كان الحمل والولادة في ساعة واحدة.
 وقيل: كان مدة حملها تسعة أشهر كحمل سائر
 النساء. وقيل: كان مدة ثمانية أشهر، وكان ذلك
 آية أخرى لأنه لا يعيش ولد يولد لثمانية أشهر،

وولد عيسى لهذه المدة وعاش. وقيل: ولدت لسته
 أشهر. وقال مقاتل بن سليمان: حملته مريم في
 ساعة وصور في ساعة ووضعت في ساعة حين زالت
 الشمس من يومها، وهي بنت عشر سنين، وكانت
 قد حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى.

[٢٣] ﴿فَجَاءَهَا﴾، أي ألجأها وجاء بها،
 ﴿الْمَخَاضُ﴾، وهو وجع الولادة، ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾
 وكانت نخلة يابسة في الصحراء، في شدة الشتاء،
 لم يكن لها سعف، وقيل: التجأت إليها لتستند
 إليها وتمسك بها على وجع الولادة، ﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي
 مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾، تمت الموت استحياء من الناس
 وخوف الفضيحة، ﴿وَكَُنْتُ نَسِيًّا﴾، قرأ حمزة
 وحفص (نسيا) بفتح النون، والباقون بكسرهما،
 وهما لغتان، مثل الوتر والوتر والجسر والجسر،
 وهو الشيء المنسي، والنسي في اللغة كل ما أُلقي

وُنسي ولم يذكر لحقارته، ﴿مَنْسِيًّا﴾، أي متروكًا. قال قتادة: شيء لا يعرف ولا يذكر. قال عكرمة والضحاك ومجاهد: جيفة ملقاة. وقيل: تعني لم أخلق.

[٢٤] ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائي وحفص ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ بكسر الميم والتاء يعني جبريل عليه السلام، وكانت مريم على أكمة وجبريل وراء الأكمة تحتها فناداها، وقرأ الآخرون بفتح الميم والتاء وأراد جبريل عليه السلام أيضًا ناداها من سفح الجبل. وقيل: هو عيسى لما خرج من بطن أمه ناداها، ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾، وهو قول مجاهد والحسن، والأول قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، والسدي وقاتدة والضحاك وجماعة أن المنادي كان جبريل لما سمع كلامها وعرف جزعها ناداها ألا تحزني، ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾، والسري: النهر الصغير. وقيل: تحتك أي جعله الله تحت أمرك إن أمرته أن يجري جرى وإن أمرته بالإمساك أمسك. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ضرب جبريل عليه السلام. ويقال: ضرب عيسى عليه الصلاة والسلام برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب وجرى. وقيل: كان هناك نهر يابس أجرى الله سبحانه وتعالى فيه الماء وحييت النخلة اليابسة، فأورقت وأثمرت وأرطبت. وقال الحسن: تحتك سرًّا يعني عيسى وكان والله عبدًا سرًّا يعني رفيًا.

[٢٥] ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ﴾، يعني قيل لمريم: حركي ﴿يَجْذَعُ النُّخْلَةَ﴾، تقول العرب: هزه وهزه به، كما يقول حَزَ رأسه وحَزَ برأسه، وأمَدَدَ الجبل وأمَدَدَ به، ﴿سُقِطَ عَلَيْكَ﴾، القراءة المعروفة بفتح التاء والقاف وتشديد السين، يعني تتساقط، فأدغمت إحدى التائين في السين يعني تسقط عليك النخلة رطبًا، وخفف حمزة السين وحذف التاء التي أدغمها غيره، وقرأ حفص بضم التاء وكسر القاف

خفيف على وزن تفاعل وتساقط بمعنى أسقط، والتأنيث لأجل النخلة، وقرأ يعقوب (يساقط) بالياء مشددة ردّه إلى الجذع، ﴿رُطْبًا جَنِيًّا﴾، مجنيًا. وقيل: الجنى هو الذي بلغ الغاية، وجاء أو أن اجتثته. قال الربيع بن خثيم: ما للنفساء عندي خير من الرطب، ولا للمريض خير من العسل.

[٢٦] قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾، يعني فكلي يا مريم من الرطب واشربي من ماء النهر، ﴿وَقَرِي عَيْنًا﴾، يعني طيبي نفسك وقيل: قري عينك بولدك عيسى. يقال: أقر الله عينك يعني صادف فؤادك ما يرضيك، فتقر عينك من النظر إليه. وقيل: أقر الله عينه يعني أنامها، يقال: قرّ يقر إذا سكن. وقيل: إن العين إذا بكت من السرور فالدمع بارد وإذا بكت من الحزن فالدمع يكون حارًا، فمن هذا قيل: أقر الله عينه وأسخن الله عينه، ﴿فَأَمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾، يعني ترين، فدخل عليه نون التأكيد فكسرت الياء لالتقاء الساكنين، معناه: فإما ترين من البشر أحدًا فيسألك عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾، يعني: صمتًا، وكذلك كان يقرأ ابن مسعود رضي الله عنه، والصوم في اللغة: الإمساك عن الطعام والشراب والكلام. قال السدي: كان في بني إسرائيل من إذا أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي. وقيل: إن الله تعالى أمرها أن تقول هذا إشارة. وقيل: أمرها أن تقول هذا القدر نطقًا ثم تمسك عن الكلام بعده، ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾، يقال كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنس.

[٢٧] ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُ﴾، وقيل: إنه ولدته ثم حملته في الحال إلى قومها. وقال الكلبي: حمل يوسف النجار مريم عليها السلام وابنها عيسى صلوات الله على نبينا وعليه إلى غار ومكث أربعين يومًا حتى طهرت من نفاسها، ثم

كان حشواً في الكلام لا معنى له كقوله: (هل كنت إلا بشراً رسولاً) أي: هل أنا؟ قال السدي: فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم. وقيل: لما أشارت إليه ترك الثدي واتكأ على يساره، وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه.

[٣٠] ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾، وقال وهب: أتاها زكريا عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى: انطق بحجتك إن كنت أمرت بها، فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوماً. وقال مقاتل: بل هو يوم ولد: إني عبد الله، أقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل أول ما تكلم لثلاث يتخذ إلهاً، ﴿ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾، قيل: معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبياً. وقيل: هذا إخبار عما كتب في اللوح المحفوظ، كما قيل للنبي ﷺ: متى كنت نبياً؟ قال: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد»^(١). وقال الأكثرون: أوتي الإنجيل وهو صغير طفل، وكان يعقل عقل الرجال. وعن الحسن أنه قال: ألهم التوراة وهو في بطن أمه.

[٣١] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾، أي نفاعاً حيث ما توجهت. وقال مجاهد: معلماً للخير. وقال عطاء: أدعو إلى الله وإلى توحيده وعبادته. وقيل: مباركاً على من تبعني: ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾، أي أمرني بهما، فإن قيل: لم يكن لعيسى مال فكيف يؤمر بالزكاة؟ قيل: معناه بالزكاة لو كان لي مال. وقيل: أوصاني بالزكاة أي أمرني أن أوصيكم بالزكاة. وقيل: بالاستكثار من الخير. ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

[٣٢] ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْ﴾ أي وجعلني براً بوالدي، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا سَفِيًّا﴾، أي عاصياً لربه. وقيل:

حملته مريم عليها السلام إلى قومها. فكلما عيسى عليه السلام في الطريق فقال: يا أماء أبشري فإني عبد الله ومسيحه، فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين، ﴿قَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾، عظيماً منكراً، قال أبو عبيدة: كل أمر فائق من عجب أو عمل فهو فري، قال النبي ﷺ في عمر: «فلم أر عبقرياً يفري فريه»^(٢) يعني عمله.

[٢٨] ﴿يَتَأَخَذَ هُزُونٌ﴾، يريد يا شبيهة هارون، قال قتادة وغيره: كان هارون رجلاً صالحاً عابداً في بني إسرائيل. ورؤي أنه اتبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم يسمى هارون من بني إسرائيل سوى سائر الناس، شبهوها على معنى إنا ظننا أنك مثله في الصلاح، وليس المراد منه الأخوة في النسب كما قال الله تعالى: (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أي أشباههم. وقال الكلبي: كان هارون أخا مريم من أبيها، وكان أمثل رجل في بني إسرائيل. وقال السدي: إنما عنوا به هارون أخا موسى لأنها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا أخا تميم. وقيل: كان هارون رجلاً فاسقاً في بني إسرائيل عظيم الفسق فشبهوها به.

﴿مَا كَانَ أَبُوكَ﴾ عمران، ﴿أَمْرًا سَوِيًّا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: زانياً، ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ﴾، حنة، أي زانية فمن أين لك هذا الولد؟

[٢٩] ﴿فَأَشَارَتْ﴾، مريم ﴿إِلَيْهِ﴾، أي إلى عيسى عليه السلام أن كلموه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما لم تكن لها حجة أشارت إليه ليكون كلامه حجة لها، وفي القصة: لما أشارت إليه غضب القوم، وقالوا مع ما فعلت أتسخرين بنا؟ ثم، ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أي: من هو في المهد، وهو حجرها. وقيل: هو المهد بعينه، ﴿كَانَ﴾ بمعنى هو، وقال أبو عبيدة: كان صلة أي كيف نكلم صبياً في المهد، وقد يجيء

(١) أخرجه البخاري في المناقب ٦/٢٢٩ ومسلم في فضائل الصحابة برقم (٢٣٩٣) ٤/١٨٦٢.

(٢) صححه الحاكم في المستدرک ٢/٦٠٩ وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٣٧٩ والبخاري في تاريخه ٧/٣٧٤.

الشقي الذي يذنب ولا يتوب.

[٣٣] ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾، أي السلام عند الولادة من طعن الشيطان. ﴿وَيَوْمَ أُمُوتُ﴾، أي عند الموت من الشرك، ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾، من الأهلوال، فلما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى عليه السلام فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان.

[٣٤] ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، قال الزجاج: أي ذلك الذي قال: إني عبد الله عيسى ابن مريم، ﴿قَوْلِكَ الْحَقِّ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب: ﴿قَوْلِكَ الْحَقِّ﴾ بنصب اللام وهو نصب على المصدر أي: قال: قول الحق، ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾، يختلفون، فقائل يقول: هو ابن الله، وقائل يقول: هو الله، وقائل يقول: هو ساحر كذاب، وقرأ الآخرون برفع اللام يعني هو قول الحق، أي هذا الكلام هو قول الحق، أضاف القول إلى الحق، كما قال: حق اليقين، ووعد الصدق، وقيل: هو نعت لعيسى ابن مريم، يعني ذلك عيسى ابن مريم كلمة الله الحق هو الله الذي فيه يمترون ويشكون ويختلفون ويقولون غير الحق، ثم نفى عن نفسه الولد، ثم عظم نفسه فقال:

[٣٥] ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾، أي ما كان من صفته اتخاذ الولد. وقيل: اللام منقولة أي ما كان الله أن يتخذ من ولد، ﴿سُبْحَنَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرٌ﴾، إذا أراد أن يحدث أمراً، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

[٣٦] ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ بفتح الألف يرجع إلى قوله: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ وبأن الله ربي وربكم، وقرأ أهل الشام والكوفة ويعقوب بكسر الألف على الاستئناف، ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٣٧] قوله: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾، يعني النصارى سموا أحزاباً لأنهم تحزبوا ثلاث فرق في

سورة مريم

٣٠٧

سورة مريم

فَكُلِّي وَأَشْرِي وَفَرَى عَيْنًا فَمَاتَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٣٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، فَأُولَايَمَرِيْمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٣٧﴾ يَتَأَخَتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٣٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ﴿٣٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٤٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٤١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٤٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٤٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٤٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٨﴾

أمر عيسى، النسطورية والملكانية واليعقوبية. ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، يعني يوم القيامة.

[٣٨] ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾، أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر، أخبر أنهم يسمعون ويبصرون في الآخرة ما لم يسمعوا ولم يبصروا في الدنيا. قال الكلبي: لا أحد يوم القيامة أسمع منهم ولا أبصر حين يقول الله تعالى لعيسى: (أأنت قلت للناس) الآية. ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، أي: في خطأ بين.

[٣٩] ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْمَسَرَّةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾، فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وذبح الموت. عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٠٨

الْأَنْبِيَاءُ

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤١﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابِعْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٣﴾ يَتَابِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلُوِّ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَابِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٥﴾ يَتَابِعْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَتَابِعْ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا نَزَّهَ لَأَرْحَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٧﴾ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٨﴾ وَأَعْتَرَلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا أَعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٥٠﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥١﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٢﴾

على الكفر، ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾، قريبًا في النار.

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ أبوه مجيبًا له، ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَتَابِعْ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا نَزَّهَ﴾، لئن لم تسكت وترجع عن عيبك ألهتنا وشمك إياها، ﴿لَأَرْحَمَنَّكَ﴾، قال الكلبي ومقاتل والضحاك: لأشتمك ولأبعدنك عني بالقول القبيح. قال ابن عباس: لأضربنك. وقال الحسن: لأقتلنك بالحجارة. ﴿وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾، قال الكلبي: اجتنبني طويلًا. وقال مجاهد وعكرمة: حينًا. وقال سعيد بن جبير: دهرًا. أصله المكث، ومنه يقال: تمليت حينًا، والملوان: الليل والنهار. وقال قتادة وعطاء: سالمًا. وقال ابن

أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشرفون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار فيشرفون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت^(١) ثم قرأ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾، أي عما يفعل بهم في الآخرة، ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، لا يصدقون.

[٤٠] قوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾، أي نमित سكان الأرض ونهلكهم جميعًا، ويبقى الرب وحده فيرثهم، ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾، فنجزهم بأعمالهم.

[٤١] ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾، الصديق الكثير الصدق القائم عليه. وقيل: من صدق الله في وحدانيته، وصدق أنبياءه ورسله، وصدق بالبعث، وقام بالأوامر فعمل بها، فهو الصديق. والنبي العالي في الرتبة بإرسال الله تعالى إياه.

[٤٢] قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ﴾، إبراهيم، ﴿لِأَبِيهِ﴾، آزر وهو يعبد الأصنام، ﴿يَتَابِعْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾، صوتًا، ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾، شيئًا، ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ﴾، أي لا يكفيك، ﴿شَيْئًا﴾.

[٤٣] ﴿يَتَابِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلُوِّ﴾، بالله والمعرفة، ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي﴾، على ديني، ﴿أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾، مستقيمًا.

[٤٤] ﴿يَتَابِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾، لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾، عاصيًا، كان بمعنى الحال، أي هو كذلك.

[٤٥] ﴿يَتَابِعْ إِنِّي أَخَافُ﴾، أي أعلم، ﴿أَنْ يَمَسَّكَ﴾، يصيبك، ﴿عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾، إن أقمت

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٤٢٨/٨ ومسلم في الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٤٩) ٤/٢١٨٨.

عباس: اعتزلي سالمًا لا تصيبك مني معزة، يقال: فلان ملي بأمر كذا إذا كان كافيًا.

[٤٧] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ﴾، أي سلمت مني لا أصيبك بمكروه، وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره. وقيل: هذا سلام هجران ومفارقة. وقيل: سلام برّ ولطف، هو جواب الحليم للشفيع. قال الله تعالى: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا). ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾، قيل: إنه لما أعياه أمره ووعد أنه يرجع الله فيه، فیسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له، معناه سأسأل الله تعالى لك توبة تنال بها المغفرة. ﴿إِنَّكُمْ كَانْتُمْ فِي حَقِيْقَةٍ﴾، برًا لطيفًا. قال الكلبي: عالمًا يستجيب لي إذا دعوته. قال مجاهد: عودني الإجابة لدعائي.

[٤٨] ﴿وَأَعِزَّلَكُمْ وَمَا تَدْعُوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، أي: أعتزل ما تعبدون من دون الله. قال مقاتل: كان اعتزاله إياهم أنه فارقهم من كوثر، فهاجر منها إلى الأرض المقدسة، ﴿وَادْعُوا رَبِّي﴾، أي أعبد ربي، ﴿مَسَىٰ إِلَّا أَكُونُ بِدَعَاءِ رَبِّي شَقِيْقًا﴾، أي عسى ألا أشقى بدعائه وعبادته، كما أنتم تشقون بعبادة الأصنام. وقيل: عسى أن يجيبني إذا دعوته ولا يخيبني.

[٤٩] ﴿فَلَمَّا أَعَزَّلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فذهب مهاجرًا.

[٥٠] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَّحْمِنَا﴾ أي: نعمتنا. قال الكلبي: المال والولد، وهو قول الأكثرين، قالوا معناه: ما بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق. وقيل: الكتاب والنبوة، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيْقًا﴾، يعني ثناء حسنًا رفيقًا في كل أهل الأديان، فكلهم يتولونهم ويشنون عليهم.

[٥١] قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾، غير مراء أخلص العبادة والطاعة لله عز وجل. وقرأ أهل الكوفة ﴿مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام أي مختارًا اختاره الله عز وجل. وقيل: أخلصه الله

٣٠٩ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرْنَهُ يَمِيْنًا﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيْلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿وَكَانَ بِأَمْرِ أَهْلِهِ بِالصَّلَاةِ وَالزُّكُوَّةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْرَءِيْلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجِبِيْنَا إِذْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ ءَايَاتٍ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَكِيًّا﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿خُلِفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ ﴿٦١﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ فِيهَا زَوْجُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَا﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿وَمَا نَزَّلْنَا إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفُنَا وَمَابَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ﴿٦٤﴾

من الدنس. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾.

[٥٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾، يعني يمين موسى، والطور: جبل بين مصر ومدين. ويقال اسمه الزبير، وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار (فتودي يا موسى إني أنا الله رب العالمين). ﴿وَقَرْنَهُ يَمِيْنًا﴾، أي: مناجيًا، فالنجي المناجي، كما يقال: جلس ونديم. قال ابن عباس: معناه قربه فكلمه، ومعنى التقريب إسماعه كلامه. وقيل: رفعه على الحجب حتى سمع صرير القلم.

[٥٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾، وذلك حين دعا موسى فقال: (واجعل لي وزيرًا من أهلي O هارون أخي)، فأجاب الله دعاءه وأرسل إلى هارون، ولذلك سماه هبة له.

[٥٤] ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيْلَ﴾، وهو إسماعيل

السدي: أراد بهم اليهود ومن لحق بهم. وقال مجاهد وقتادة: هم قوم في هذه الأمة، ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾، تركوا الصلاة المفروضة. وقال ابن مسعود وإبراهيم: أخروها عن وقتها وقال سعيد بن المسيب: هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس، ﴿وَأَتَّبَعُوا النَّفْسَ الْفُتُورَةَ﴾، أي المعاصي وشرب الخمر، أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله. وقال مجاهد:

هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزوا بعضهم على بعض في الأسواق والأزقة. ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾، قال ابن وهب: الغي نهر في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه. وقال ابن عباس: الغي وادٍ في جهنم، وإن أودية جهنم لتستعيز من حره أعد للزاني المصر عليه، ولشارب الخمر المدمن عليها، ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه، ولأهل العقوق ولشاهد الزور، ولامرأة أدخلت على زوجها ولدًا، وقال عطاء: الغي وادٍ في جهنم يسيل قيحًا ودمًا. وقال كعب: هو وادٍ في جهنم أبعدا قعرًا، وأشدّها حرًا فيه بئر تسمى الهيم، كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فيسعر بها جهنم وقال الضحاك: غيًا وخسرانًا. وقيل: هلاكًا. وقيل: عذابًا. وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ليس مراده يرون فقط بل معناه الاجتماع والملازمة مع الروية.

[٦٠] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾.

[٦١] ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾، ولم يروها، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا وَعْدُ مَا يُنَاقُونَ﴾، يعني أتيا مفعول بمعنى فاعل. وقيل: لم يقل أتيا لأن كل من أتاك فقد أتته، والعرب لا تفرق بين قول القائل أتت عليّ خمسون سنة وبين قوله أتيت على خمسين سنة، ويقول: وصل إليّ الخير ووصلت إلى الخير، قال ابن جرير: وعده أي مواعده، وهو الجنة مأتيا يأتيه أولياؤه وأهل طاعته.

ابن إبراهيم جد النبي ﷺ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا صَادِقَ الْوَعْدِ﴾، قال مجاهد: لم يعد شيئًا إلا وفي به ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾، إلى جرحهم، ﴿نَبِيًّا﴾، مخبرًا عن الله عز وجل.

[٥٥] ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ آلَهُ﴾ أي: قومه. وقيل: أهله وجميع أمته، ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾، قال ابن عباس: يريد التي افترضها الله تعالى عليهم، وهي الحنيفة التي افترضت علينا، ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾، قائمًا لله بطاعته. وقيل: رضيه الله عز وجل لنبوته ورسالته.

[٥٦] قوله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾، هو جد أبي نوح، واسمه: أخنوخ، سمي إدريس لكثرة درسه الكتب. وكان خياطًا وهو أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب، ولبس الثياب المخيطة، وكانوا من قبله يلبسون الجلود، وأول من اتخذ السلاح، وقتل الكفار، وأول من نظر في علم النجوم والحساب، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا صَادِقًا نَبِيًّا﴾.

[٥٧] ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، قيل: هي الجنة. وقيل: هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا. وقيل: إنه رفع إلى السماء الرابعة.

[٥٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾، أي إدريس ونوحًا، ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾، أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة، يريد إبراهيم لأنه ولد سام بن نوح، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾، يريد إسماعيل وإسحاق ويعقوب، قوله: ﴿وَإِسْرَءِيلَ﴾، أي ومن ذرية إسرائيل وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى، ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾، هؤلاء كانوا ممن أرشدنا واصطفينا، ﴿إِذَا نُنَادِيهِمْ﴾، أَيْتُ الرَّحْمَنُ حُرُوا سَجْدًا وَبِكِيًا، سجدًا جمع ساجد وبكيًا جمع باك، أخبر الله أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا بآيات الله سجدوا وبكوا.

[٥٩] قوله تعالى: ﴿خَلَقَ مِنْ بَهْمِهِمْ خَفَّفَ﴾، أي: من بعد النبيين المذكورين خلف وهم قوم سوء والخلف بالفتح الصالح وبالعزم الطالح قال

له جبريل: إني كنت أشوق، ولكنني عبد مأمور إذا بُعثت نزلت وإذا حُيست احتبست، فأنزل الله ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ وأنزل: (والضحى ه والليل إذا سجي ه ما ودّعك ربك وما قلى). ﴿لَكُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾، أي له علم ما بين أيدينا، واختلفوا فيه فقال سعيد بن جبیر وقتادة ومقاتل: ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب، وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك ما يكون هذا من الوقت إلى قيام الساعة، وقيل: ما بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا من أمر الدنيا وما بين ذلك أي ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة. وقيل: ما بين أيدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها، وما بين ذلك مدة حياتنا. وقيل: ما بين أيدينا بعد أن نموت وما خلفنا قبل أن نخلق وما بين ذلك مدة الحياة. وقيل: ما بين أيدينا من الأرض إذا أردنا النزول إليها وما خلفنا السماء إذا نزلنا منها، وما بين ذلك الهواء يريد أن ذلك كله لله عز وجل فلا تقدر على شيء إلا بأمره. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، أي ناسيًا، يقول: ما نسيك ربك أي ما تركك، والناسي التارك.

﴿٦٥﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي اصبر على أمره ونهيه، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَمْ سَمِيًّا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: مثلاً. وقال سعيد بن جبیر: عدلاً. وقال الكلبي: هل تعلم أحداً يُسمى الله غيره.

﴿٦٦﴾ ﴿وَقَوْلِ الْإِنْسَانِ﴾، يعني أبي بن خلف الجمحي كان منكراً للبعث، قال: ﴿إِذَا مَا مِثُّ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا﴾، من القبر، قاله استهزاء وتكديباً للبعث.

﴿٦٢﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾، في الجنة ﴿لَقَوًّا﴾، باطلاً وفحشاً وفضولاً من الكلام. وقال مقاتل: هو اليمين الكاذبة، ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾، استثناء من غير جنسه يعني بل يسمعون فيها سلاماً أي قولاً يسلمون منه، والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن السلامة، معناه إن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤثمهم، إنما يسمعون ما يسلّمهم. وقيل: هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم. وقيل: هو تسليم الله عليهم، ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾، قال أهل التفسير: ليس في الجنة ليل يعرف به البكرة والعشي، بل هم في نور أبداً ولكنهم يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار. وقيل: إنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب، ووقت الليل بإرخاء الحجب. وقيل: المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضيق، وكان الحسن البصري يقول: كانت العرب لا تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي، فوصف الله عز وجل أهل جنته بذلك.

﴿٦٣﴾ ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي: نعطي وننزل. وقيل: يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا، ﴿مَنْ كَانَ قَبِيًّا﴾، أي المتقين من عباده.

﴿٦٤﴾ ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟» فنزلت ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَمْ مَّا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآية: قال: كان هذا الجواب لمحمد ﷺ^(١). وقال عكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل والكلبي: احتبس جبريل عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن أصحاب الكهف وذوي القرنين والروح، فقال: أخبركم غذا ولم يقل إن شاء الله، حتى شق ذلك على النبي ﷺ، ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله ﷺ: «أبطأت عليّ حتى ساء ظني واشتقت إليك»، فقال

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٤٢٨/٨ وفي التوحيد ١٣/٤٤٠ والمصنف في شرح السنة ١٣/٣٢٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢١٠

سُورَةُ مَرْيَمَ

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ
 هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِنَّا ذَمَمْتُ لِسُوفِ
 أَخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ
 وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ
 لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ حَيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ
 شِيعَةٍ أَئِمْهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ
 هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلًا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
 حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَسْجِي الَّذِينَ أَتَقَوَّا وَنَذَرُوا الظَّالِمِينَ
 فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا نَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَوَّ
 أَهْلُكَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ أَهْسَنُ أَتَنَّا وَرِيًّا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ
 كَانَ فِي الصَّلَاةِ فليَعْبُدْهُ الرَّحْمَنَ مَدْحًا حَقًّا إِذَا رَأَوْا مَاءً وَعَدُوْنَ
 إِمَّا أَلْعَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا
 وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَحْتَدَوْا هُدًى
 وَالْبَلْقِيَّتُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾

من أحد إلا واردها، والورود هو موافاة المكان.
 واختلفوا في الورد ههنا وفيما تنصرف إليه الكناية
 في قوله: ﴿وَإِرْدُهَا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه
 وهو قول الأكثرين معنى الورد ههنا هو الدخول،
 والكناية راجعة إلى النار، وقالوا: النار يدخلها البر
 والفاجر، ثم ينجي الله المتقين، فيخرجهم منها،
 والدليل على أن الورد هو الدخول قول الله عزَّ
 وجلَّ حكاية عن فرعون: (يقدم قومه يوم القيامة
 فأوردهم النار) وقال قوم: ليس المراد من الورد
 الدخول، وقالوا: النار لا يدخلها مؤمن أبداً،
 لقوله تعالى: (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى
 أولئك عنها مبعدون ه لا يسمعون حسيستها)،
 وقالوا: كل من دخلها لا يخرج منها، والمراد من
 قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، الحضور والرؤية،
 لا الدخول، كما قال تعالى: (ولما رَدَّ ماء مَدِينٍ)

[٦٧] قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾، أي
 يتذكر ويتفكر، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
 ويعقوب يذكر خفيف، ﴿الْإِنْسَانُ﴾، يعني أبي بن
 خلف ﴿أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾، أي لا يتفكر
 هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الإعادة،
 ثم أقسم بنفسه، فقال:

[٦٨] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أي لنجمعهم في
 المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث،
 ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾، مع الشياطين، وذلك أنه يحشر كل
 كافر مع شيطانه في سلسلة، ﴿ثُمَّ لَنَحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ
 جَهَنَّمَ﴾، قيل: في جهنم، ﴿جِثِيًّا﴾، قال ابن عباس
 رضي الله عنه: جماعات، جمع جثوة، وقال
 الحسن والضحاك: جمع جاث أي جاثين على
 الركب. قال السدي: قائمين على الركب لضيق
 المكان.

[٦٩] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ﴾، لنخرجن، ﴿مِنْ كُلِّ
 شِيعَةٍ﴾، أي من كل أمة وأهل دين من الكفار.
 ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾، عتوا قال ابن عباس
 رضي الله عنهما: يعني جرأة. وقال مجاهد:
 فجورا يريد الأعتى فالأعتى. وقال الكلبي: قائدهم
 ورأسهم في الشر يريد أنه يقدم في إدخال النار من
 هو أكبر جرماً وأشد كُفْراً. وفي بعض الآثار أنهم
 يحضرون جميعاً حول جهنم مسلمين مغلولين، ثم
 يقدم الأكفر فالأكفر ورفع ﴿أَيُّهُمْ﴾ على معنى
 الذي، يقال لهم: أيهم أشد على الرحمن عتياً.
 وقيل: على الاستئناف، ثم لنزعن يعمل في موضع
 من كل شيعه.

[٧٠] ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلًا﴾، أي
 أحق بدخول النار، يقال: صلي يصلي صلياً مثل
 لقي يلقي لقياً، صلي يصلي صلياً مثل مضى يمضي
 مضياً، إذا دخل النار وقاسى حرها.

[٧١] ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، أي وما منكم إلا
 واردها، وقيل: القسم في مضمير أي والله ما منكم

الحارث وذويه من قريش، ﴿لَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني فقراء أصحاب النبي ﷺ وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثالة، وكان المشركون يربطون أشعارهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون ثيابهم، فقالوا للمؤمنين: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾، منزلاً ومسكنًا، وهو موضع الإقامة، وقرأ ابن كثير: ﴿مَقَامًا﴾ بضم الميم أي إقامة، ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾، أي مجلسًا، ومثله النادي، فأجابهم الله تعالى فقال:

[٧٤] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَهْلَكَ قَبْلَهُمْ مِّن قَوْمٍ هُمْ أَحْسَرُ أَنتَا﴾، أي متاعًا وأموالًا. وقال مقاتل: لباسًا وثيابًا، ﴿وَرِيًّا﴾، قرأ أكثر القراء بالهمز أي منظرًا من الرؤية، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر ونافع غير ورش رياءً مشددًا بغير همز، وله تفسيران، أحدهما: هو الأول بطرح الهمز والثاني من الري الذي هو ضد العطش، ومعناه الارتواء من النعمة، فإن المتنعّم يظهر فيه ارتواء النعمة، والفقير يظهر عليه ذيول الفقر.

[٧٥] ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَمَيْدًا ۖ لِّلرَّحْمٰنِ مَدًّا﴾، هذا أمر بمعنى الخبر، معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره، ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾، وهو الأسر والقتل في الدنيا، ﴿وَأِمَّا السَّاعَةَ﴾، يعني القيامة فيدخلون النار، ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾، عند ذلك ﴿مَن هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، منزلاً، ﴿وَأَضَعُفَ جُودًا﴾، أقل ناصراً أهم أم المؤمنون؟ لأنهم في النار والمؤمنون في الجنة. وهذا ردُّ عليهم في قوله: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾. [٧٦] ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا هٰتُوْا حُرُوقَكُمْ﴾، أي إيمانًا وإيقانًا على يقينهم، ﴿وَالَّذِيْنَ تَصْحَحُ﴾،

أراد به الحضور. ورؤي عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: وإن منكم إلا واردها يعني القيامة والكناية راجعة إليها، والأول أصح، وعليه أهل السنة أنهم جميعًا يدخلون النار ثم يخرج الله عزَّ وجلَّ منها أهل الإيمان، بدليل قوله تعالى: (ثم ننجي الذين اتقوا)، أي اتقوا الشرك، وهم المؤمنون. والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه لا ما وردت والدليل على هذا ما ورد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم»^(١) وأراد بالقسم قوله: ﴿وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير. ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»^(٢)، وقال أبان عن قتادة «من إيمان» مكان «خير» وأما قوله عزَّ وجلَّ: (لا يسمعون حسيسها) قيل: إن الله عزَّ وجلَّ أخبر عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون حسيسها فيجوز أن يكون قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة، لأنه لم يقل لم يسمعوا حسيسها ويجوز ألا يسمعوا حسيسها عند دخولهم إياها، لأن الله عزَّ وجلَّ يجعلها عليهم بردًا وسلامًا. ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾، أي كان ورودكم جهنم حتمًا لازماً مقضيًا قضاء الله عليكم.

[٧٧] ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا﴾، أي اتقوا الشرك، وقرأ الكسائي (تُنَجِّي) بالتخفيف، والباقون بالتشديد ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا﴾، جميعًا. وقيل: جاثين على الركب، وفيه دليل على أن الكل دخلوها ثم أخرج الله منها المتقين، وترك فيها الظالمين، وهم المشركون.

[٧٣] ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا﴾، يعني النضر بن واضحات، ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا﴾،

(١) أخرجه البخاري في الإيمان والنور ٥٤١/١١ ومسلم في البر والصلة بقم (٢٦٣٢) ٢٠٢٨/٤.
(٢) أخرجه البخاري في الإيمان ١٠٣/١ ومسلم في الإيمان رقم (١٩٢) ١٨٢/١.

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٣١١

سُورَةُ مَرْيَمَ

الأذكار والأعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها،
﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ عاقبة ومرجعاً.

[٧٧] قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾ عن مسروق حدثنا خباب قال: كنت قيناً فعملت للعاص بن وائل فاجتمع مالي عنده فأتيته أتقاضاه، فقال: لا والله لا أفضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: أما والله حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: إنه سيكون لي ثم مال وولد فأفضيك، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾^(١).

[٧٨] ﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾، قال ابن عباس: أنظر في اللوح المحفوظ؟ وقال مجاهد: أعلم الغيب حتى يعلم في الجنة هو أم لا؟ ﴿أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾، يعني قال: لا إله إلا الله. وقال قتادة: يعني أعمل عملاً صالحاً قدمه؟ وقال الكلبي: أعهد إليه أن يدخل الجنة.

[٧٩] ﴿كَلَّا﴾، ردُّ عليه يعني لم يفعل ذلك، ﴿سَنَكْنُبُ﴾، سنحفظ عليه، ﴿مَا يَقُولُ﴾، فنجازيه به في الآخرة. وقيل: نأمر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول. ﴿وَنُمَدُّ لَهُم مِّنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾، أي نزيده عذاباً فوق العذاب. وقيل: نطيل مدة عذابه.

[٨٠] ﴿وَنَرِيَّهُ مَا يَقُولُ﴾، أي ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إياه وإبطال ملكه وقوله ما يقول لأنه زعم أن له مالا وولداً في الآخرة، أي لا نعطيه ونعطي غيره فيكون الإرث راجعاً إلى ما تحت القول لا إلى نفس القول. وقيل: معنى قوله: ﴿وَنَرِيَّهُ مَا يَقُولُ﴾ أي: نحفظ ما يقول حتى نجازيه به، ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾، يوم القيامة لا مال ولا ولد.

[٨١] ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ يعني مشركي قريش اتخذوا الأصنام آلهة يعبدونها، ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾، أي منعة، يعني يكونون لهم شفعاء يمنعونهم من العذاب.

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا
﴿٧٧﴾ ﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿٧٨﴾
﴿سَنَكْنُبُ مَا يَقُولُ وَنُمَدُّ لَهُم مِّنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ﴿٧٩﴾
﴿وَنَرِيَّهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ ﴿٨١﴾
﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ﴿٨٢﴾
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعِدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ ﴿٨٤﴾
﴿يَوْمَ نَخْسِفُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿٨٧﴾
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ﴾ ﴿٩٠﴾
﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ ﴿٩١﴾ ﴿أَن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ ﴿٩٢﴾
﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿إِنْ كُلُّ لَمٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا فِي الرَّحْمَنِ عِبْدًا﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ ﴿٩٥﴾
﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ ﴿٩٦﴾

[٨٢] ﴿كَلَّا﴾، أي ليس الأمر كما زعموا، ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾، أي يجحد الأصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤن منهم، كما أخبر الله تعالى: (تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون)، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾، أي أعداء لهم، وكانوا أولياءهم في الدنيا. وقيل: أعواناً عليهم يكذبونهم ويلعنونهم.

[٨٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، أي سلطانهم عليهم وذلك حين قال إبليس: (واستفز من استطعت منهم بصوتك)، الآية ﴿تَوَزُّهُمْ أَزًّا﴾، ترعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية، والأز والهرز التحريك أي تحركهم وتحثهم على المعاصي.

لقد قلتم قولاً عظيماً. والإد في كلام العرب أعظم الدواهي.

[٩٠] ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾، قرأ نافع والكسائي ﴿يَكَادُ﴾ بالياء ههنا وفي حمسق لتقدم الفعل، وقرأ الباقون بالتاء لتأنيث السموات، ﴿يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ﴾، ها هنا وفي حمسق بالنون من الانفطار، أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب وافق ابن عامر وحمزة ههنا لقوله تعالى: (إذا السماء انفطرت) و(السماء منفطر)، وقرأ الباقون بالتاء من التفطير ومعناها واحد، يقال: انفطر الشيء وتقطر أي تشقق، ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾، أي: تنكسر كسراً. وقيل: تشق الأرض أي تنخسف بهم، والانفطار في السماء أن تسقط عليهم وتخر الجبال هداً أي تنطبق عليهم.

[٩١] ﴿أَنْ دَعَا﴾، أي من أجل أن جعلوا ﴿لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾، قال ابن عباس وكعب: فرعت السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقليين، وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا: اتخذ الله ولداً، ثم نفى الله عن نفسه الولد فقال:

[٩٢] ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾، أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به.

[٩٣] ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ﴾، أي إلا آتية يوم القيامة، ﴿عَبْدًا﴾ ذليلاً خاضعاً يعني الخلق كلهم عبيده.

[٩٤] ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ أي عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم، فلا يخفى عليه شيء.

[٩٥] ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْفَيْصَةِ فََرْدًا﴾ وحيداً ليس معه من الدنيا شيء.

[٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أي: محبة. قال مجاهد: يحبهم الله ويحبهم إلى عباده المؤمنين. عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أحب الله

[٨٤] ﴿فَلَا تَعَجَلَ عَلَيْهِمْ﴾، أي لا تطلب عقوبتهم، ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾، قال الكلبي: يعني الليالي والأيام والشهور والأعوام. وقيل: الأنفاس التي يتنفسون بها في الدنيا إلى الأجل الذي أجل لعذابهم.

[٨٥] قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته (إلى الرحمن) أي إلى جنته وفداً أي جماعات جمع وافد، مثل راكب وركب، وصاحب وصحب. وقال ابن عباس: ركبائاً. وقال أبو هريرة: على الإبل. وقال علي بن أبي طالب: ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها الذهب ونجائب سرجها يواقيت إن هموا بها سارت وإن هموا بها طارت.

[٨٦] ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ﴾، الكافرين الكاذبين، ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾، أي مشاة. وقيل: عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش. والورد جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الماء إلا بعد عطش.

[٨٧] ﴿لَا يَمَكُونُ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾، يعني لا إله إلا الله. وقيل: معناه لا يشفع الشافعون إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً يعني المؤمنين، كقوله: (لا يشفعون إلا لمن ارتضى من رسول)، وقيل: لا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا الله أي لا يشفع إلا المؤمن.

[٨٨] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾، يعني اليهود والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله، وقرأ حمزة والكسائي (وُلْدًا) بضم الواو وسكون اللام ههنا وفي الزخرف وسورة نوح، ووافق ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في سورة نوح، والباقون بفتح الواو ههنا، وهما لغتان مثل العرب والعجم والعجم.

[٨٩] ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾، قال ابن عباس: منكراً. وقال قتادة ومجاهد: عظيماً. وقال مقاتل:

العبد قال لجبرائيل: قد أحببت فلاناً فأحبه، فيحبه جبرائيل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله عز وجل قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض العبد قال مالك: لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك^(١).

[٩٧] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾، أي سهلنا القرآن بلسانك يا محمد، ﴿لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾، يعني المؤمنين، ﴿وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾ شداداً في الخصومة، جمع الألد. وقال الحسن: صماً عن الحق، قال مجاهد: الألد الظالم الذي لا يستقيم. قال أبو عبيدة: الألد الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل.

[٩٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُخَشَّ﴾، هل ترى، وقيل: هل تجد ﴿مِّنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾، أي صوتاً، والركز: الصوت الخفي، قال الحسن: أي بادوا جميعاً فلم يبق منهم عين ولا أثر.

(٢٠) سُورَةُ طه

[١] ﴿طه﴾، قرأ أبو عمرو بفتح الطاء وكسر الهاء، وبكسرهما حمزة والكسائي وأبو بكر، والباقون بفتحهما، قيل: هو قسم. وقيل: اسم من أسماء الله تعالى. وقال مجاهد والحسن وعطاء والضحاك: معناه يا رجل. وقال قتادة: هو يا رجل بالسرانية. وقال الكلبي: هو يا إنسان بلغة عك. وقال مقاتل: معناه طأ الأرض بقدميك يريد في التهجد. وقال محمد بن كعب القرظي: هو قسم أقسم الله عز وجل بطوُّله وهدايته. قال سعيد بن جبير: الطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادٍ، قال الكلبي: لما نزل على رسول الله ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين

قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يخفف على نفسه فقال:

[٢] ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾، وقيل: لما رأى المشركون اجتهداه في العبادة قالوا: ما أنزل عليك القرآن يا محمد إلا لشقائك، فنزلت ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ أي لتعني وتتعب، وأصل الشقاء في اللغة العناء.

[٣] ﴿إِلَّا نَذْكُرْهُ لِمَن يَخْشَى﴾، أي لكن أنزلناه عظة لمن يخشى. وقيل: تقديره ما أنزل عليك؛ القرآن لتشقى ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى.

[٤] ﴿نَزِيلًا﴾، بدل من قوله تذكرة، ﴿مِمَّنْ خَلَقَ

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٩٥٣/٢ والبخاري في الأدب ٤٦١/١٠ ومسلم في البر والصلة رقم (٢٦٣٧) ٤/٢٠٣٠.

أَتَكُونُوا»، أقيموا، قرأ حمزة بضم الهاء ههنا وفي القصص، ﴿إِنِّي ءَاسَأْتُ»، أي أبصرت، ﴿نَارًا لَّعَنَ عَلَيْكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ»، قطعة من نار، والقبس قطعة من نار يأخذها في طرف عمود ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى»، أي أجِد عند النار من يدلني على الطريق.

[١١] ﴿فَلَمَّا أَنَّهُمَا﴾ قال أهل التفسير: لم يكن الذي رآه موسى نارًا بل كان نورًا ذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه نارًا. وقال أكثر المفسرين: إنه نور الرب عز وجل، وقال سعيد بن جبير: هي النار بعينها وهي إحدى حجب الله تعالى، يدل عليه ما رويناه عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «حجابه النار لو كشفها الله لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»^(١) ﴿يُودَى يَمُوسَى﴾.

[١٢] ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾، قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو، «أني» بفتح الألف على معنى: نودي بأني، وقرأ الآخرون بكسر الألف أي نودي، فقيل: إني أنا ربك ﴿فَلَخَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾، أي المطهر، ﴿طَوًى﴾، وطوى اسم الوادي وقال الضحاك: طوى واد مستدير عميق مثل الطوى في استدارته.

[١٣] ﴿وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ﴾، اصطفتك برسالاتي، قرأ حمزة وأنا مشددة النون، اخترناك على التعظيم ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾، إليك.

[١٤] ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾، ولا تعبد غيري، ﴿وَقَرِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، قال مجاهد: أقم الصلاة لتذكرني بها، وقال مقاتل: إذا تركت صلاة ثم ذكرتها، فأقمها.

[١٥] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَآيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾، قيل: معناه إن الساعة آتية أخفيها وأكاد صلة وأكثر المفسرين قالوا: معناه أكاد أخفيها من نفسي وذكر

الْأَرْضَ» أي من الله الذي خلق الأرض، ﴿وَالسَّمَوَاتِ الْفَلَى﴾، يعني العالية الرفيعة وهي جمع العليا كقولهم كبرى وصغرى وصغر. [٥] ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

[٦] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، يعني الهواء، ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾، والثرى هو التراب الندي.

[٧] ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِقَوْلٍ﴾، أي تعلن به ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْسِّرَّ وَأَخْفَى﴾، قال الحسن: السر ما أسره الرجل إلى غيره، وأخفى من ذلك ما أسر من نفسه. وعن ابن عباس وسعيد بن جبير: السر ما أسر في نفسك وأخفى من السر ما يليقه الله عز وجل في قلبك من بعد ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك لأنك تعلم ما أسر به اليوم وما تعلم ما أسر به غدا، والله يعلم ما أسررت اليوم وما أسر به غدا. قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: السر ما أسر ابن آدم في نفسه، والخفي ما خفي عليه مما هو فاعله قبل أن يعمل. وقال مجاهد: السر: العمل الذي تسره من الناس، وأخفى: الوسوسة. وقيل: السر هو العزيمة وأخفى ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه. وقال زيد بن أسلم: يعلم السر وأخفى أي يعلم أسرار العباد، وأخفى سره من عباده فلا يعلمه أحد، ثم وحد نفسه، فقال:

[٨] ﴿إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

[٩] ﴿وَهَلْ لَّنَكَ حَبِثٌ مِّنْهُ﴾، أي قد أتاك استفهام بمعنى التقرير.

[١٠] ﴿إِذْ رَمَى نَارًا﴾، وذلك أن موسى استأذن شعبيا في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخته، فأذن له فخرج بأهله وماله، وكانت أيام الشتاء فسار في البرية غير عارف بطرقها، فألجأه المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد فأبصر نارًا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ

(١) أخرجه مسلم في الإيمان برقم (١٧٩) ١/١٦١.

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٣١٣

سُورَةُ طه

ذلك على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون: كتمت سرّك من نفسي أي أخفيته غاية الإخفاء والله تعالى لا يخفى عليه شيء، وقال: أكاد أي أريد، ومعنى الآية: إن الساعة آتية أريد أخفيها، والمعنى في إخفائها التهويل والتخويف لأنهم إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت، وقرأ الحسن بفتح الألف أي أظهرها، يقال: خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا سترته، وقوله تعالى: ﴿لِتَجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾، أي تعمل من خير وشر.

[١٦] ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾، فلا يصرفك عن الإيمان بالساعة، ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، مراده خالف أمر الله ﴿فَتَرَدَّى﴾، أي فتهلك.

[١٧] قوله عز وجل: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْؤُسُ﴾، سؤال تقرير والحكمة في هذا السؤال تنبيهه وتوقيفه على أنها عصا حتى إذا قلبها حية علم أنه معجزة عظيمة، وهذا على عادة العرب يقول الرجل لغيره: هل تعرف هذا؟ وهو لا يشك أنه يعرفه، ويريد أن ينضم إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه.

[١٨] ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾، قيل: وكانت لها شعبتان وفي أسفلها سنان ولها محجن ﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾، أعتمد عليها إذا مشيت وإذا عييت وعند الوثبة، ﴿وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾، أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم، وقرأ عكرمة ﴿وَأَهْسُ﴾ بالسین غير المعجمة، أي أزجر بها الغنم، والهس زجر الغنم، ﴿وَلِي فِيهَا مَثَارِبٌ أُخْرَى﴾، حاجات ومنافع أخرى، جمع ماربة بفتح الراء، ولم يقل ﴿أُخْرَى﴾ لروؤوس الآي، وأراد بالمأرب ما يستعمل فيه العصا في السفر، فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل فيستقي الماء من البئر، ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع، ويستظل بها إذا قعد وغير ذلك.

[١٩] ﴿قَالَ﴾، الله تعالى، ﴿أَلَيْهَا يَمْؤُسُ﴾، انبذها، قال وهب: ظن موسى أنه يقول ارفضها.

[٢٠] ﴿فَأَلْقَاهَا﴾، على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة، ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾، صفراء من أعظم ما يكون من الحيات، ﴿تَسْعَى﴾، تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر: (كانها جان) وهي الحية الصغيرة الخفيفة الجسم، وقال في موضع: (ثعبان)، وهو أكبر ما يكون من الحيات، فأما الحية فإنها تجمع الصغير والكبير والذكر والأنثى، وقيل: الجان عبارة عن ابتداء حالها فإنها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتتفخ حتى صارت ثعبان، والثعبان عبارة عن انتهاء حالها، وقيل: إنها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان. قال محمد بن إسحاق: نظر موسى فإذا العصا حية من أعظم ما يكون من الحيات فلما عاين ذلك

[٢٧، ٢٨] ﴿وَأَحْلَلْ عُنُقَهُ مِنْ لَسَانِي ۝ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾،

يقول: احلل العقدة كي يفقهوا كلامي.

[٢٩] ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾، معينا وظهيرًا، ﴿مِنْ

أَهْلِي﴾ والوزير من يوازرك ويعينك ويتحمل عنك بعض ثقل عملك، ثم بين من هو فقال:

[٣٠] ﴿هَؤُلَاءِ أَخِي﴾، وكان هارون أكبر من

موسى بأربع سنين وكان أفصح منه لسانًا وأجمل وأوسم، أبيض اللون، وكان موسى آدم أقمى أجعد.

[٣١] ﴿أَشْدُّ بِهِ أَزْرَى﴾، قوّ به ظهري.

[٣٢] ﴿وَأُشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾، يعني في النبوة وتبليغ

الرسالة، وقرأ ابن عامر (أَشْدُّ) بفتح الألف (وَأُشْرِكُهُ) بضمها على الجواب حكاية عن موسى يعني أفعل ذلك، وقرأ الآخرون على الدعاء، والمسألة عطفًا على ما تقدم من قوله: ﴿رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾.

[٣٣] ﴿كَيْ تَسْعِكَ كَثِيرًا﴾، قال الكلبي: نصلي

لك كثيرًا.

[٣٤] ﴿وَنَذْرَكَ كَثِيرًا﴾، نحمدك ونثني عليك بما

أوليتنا من نعمك.

[٣٥] ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾، خيرًا عليما.

[٣٦] ﴿قَالَ﴾، الله تعالى ﴿قَدْ أُوتِيتَ﴾،

أعطيت، ﴿سُؤْلَكَ﴾، جميع ما سألت، ﴿يَمْوَسَّى﴾.

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ﴾، أنعمنا عليك، ﴿مَرَّةً

أُخْرَى﴾، يعني قبل هذه المرة وهي.

[٣٨] ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرًا﴾، وحي إلهام، ﴿مَا

يُوحَى﴾، ما يلهم. ثم فسر ذلك الإلهام وعدد نعمه عليك فقال:

[٣٩] ﴿أَنْ أَقْذِفَهُ فِي التَّابُوتِ﴾، يعني ألهمناها أن

اجعله في التابوت، ﴿فَأَقْذِفْهُ فِي الْيَمِّ﴾، يعني نهر النيل، ﴿فَلْيَلْغِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾، يعني شاطئ النهر،

لفظه أمر ومعناه خبر، ومجازه حتى يلقيه اليم بالساحل، ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكَ﴾، يعني

موسى ولّى مدبرًا وهرب، ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه، ثم تُودي أن يا موسى أقبل وارجع حيث كنت، فرجع وهو شديد الخوف.

[٢١] ﴿قَالَ خُذْهَا﴾، بيمينك، ﴿وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾، هيئتها الأولى أي نردها عصا كما كانت، قال المفسرون: أراد الله عز وجل أن يُري موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق لئلا يفرغ منها إذا ألقاها عند فرعون.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾،

يعني إبطك، قال مجاهد: تحت عضدك، وجناح الإنسان عضده إلى أصل إبطه، ﴿تَخْرُجُ بَيْضَةً﴾، نيرة مشرقة، ﴿مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ﴾، من غير عيب، والسوء ههنا بمعنى البرص. قال ابن عباس: كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر، ﴿آيَةً أُخْرَى﴾، يعني دلالة أخرى على صدقك سوى العصا.

[٢٣] ﴿لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾، ولم يقل الكبر

لرؤوس الآي وقيل: فيه إضمار معناه لنريك من آياتنا الكبرى، دليله قول ابن عباس: كانت يد موسى أكبر آياته.

[٢٤] قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾،

يعني جاوز الحد في العصيان والتمرد، فادعه إلى عبادتي.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾،

وسعه للحق، قال ابن عباس: يريد حتى لا أخاف غيرك. وذلك أن موسى كان يخاف فرعون خوفًا شديدًا لشدة شوكته وكثرة جنوده، وكان يضيق صدرًا بما كُلف من مقاومة فرعون وجنده فسأل الله أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحدًا لا يقدر على مضرتة إلا بإذن الله وإذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده.

[٢٦] ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾، يعني سهّل عليّ ما

أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون.

معنى فتناك: خلصناك من تلك المحن كما يفتن الذهب من النار فيخلص من كل خبث فيه، والفتون مصدر ﴿فَلَيْتَ﴾، فمكثت أي فخرجت من أرض مصر إلى مدين فلبثت، ﴿سَيْنَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾، يعني ترعى الأغنام عشر سنين، ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر، هرب إليها موسى ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ﴾، قال مقاتل: على موعد ولم يكن هذا الموعد مع موسى وإنما كان موعداً في تقدير الله، قال محمد بن كعب: جئت على القدر الذي قدرت لك أنك تجيء إلي فيه. وقال عبد الرحمن بن كيسان: على رأس أربعين سنة، وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء، وهذا معنى قول أكثر المفسرين، أي على الموعد الذي وعده الله وقدره أنه يوحى إليه بالرسالة، وهو أربعون سنة.

[٤١] قوله عز وجل: ﴿وَأَصْطَفَيْتَ لِنَفْسِي﴾، أي اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي، يعني لتصرف على إرادتي ومحبي وذلك أن قيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله ومحبه، قال الزجاج: اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي، كأي الذي أقمت بك عليهم الحجة وخاطبتهم.

[٤٢] ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِأَيْنِي﴾، بدلا لاتي، وقال ابن عباس: يعني الآيات التسع التي بعث بها موسى ﴿وَلَا نَبِيَّ﴾، ولا تضعفا، وقال السدي: لا تقرأ. وقال محمد بن كعب: لا تقصرا، ﴿فِي ذِكْرِي﴾.

[٤٣، ٤٤] ﴿أَذْهَبَا إِلَيَّ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾، فقولاً له قولاً لئلا، يقول دارياه وارفقاً به، قال ابن عباس رضي الله عنه: لا تعنفا في قولكما، وقال السدي وعكرمة: كنياه فقولاً يا أبا العباس، وقيل: يا أبا الوليد وقيل: أمرهما باللطافة في القول لما له من حق التربية وكان هارون يومئذ بمصر، فأمر الله

فرعون، فاتخذت تابوتاً ووضعت فيه موسى ثم ألقته في النيل، وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون، فبينما فرعون جالس على رأس البركة مع امرأته آسية إذ تابوت يجيء به الماء فأمر الغلمان والجواري بإخراجه، فأخرجوه وفتحوا رأسه فإذا صبي من أصبح الناس وجهها، فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾، قال ابن عباس: أحبه وحببه إلى خلقه. قال عكرمة: ما رآه أحد إلا أحبه. قال قتادة: ملاحظة كانت في عيني موسى، ما رآه أحد إلا عشقه ﴿وَلَوْضَعْنَا عَلَىٰ عَيْنِي﴾، يعني لثرتي بمراي ومنظر مني، قرأ أبو جعفر ﴿وَلَوْضَعْنَا﴾ بالجزم.

[٤٥] ﴿إِذْ تَشَأَىٰ أَخَذُكَ﴾، واسمها مريم متعرفة خبره، ﴿فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾، يعني على امرأة، ترضعه وتضمه إليها، وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة، فلما قالت ذلك لهم أخته، قالوا: نعم، فجاءت بالأم فقبل ثديها، فذلك قوله تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾، بلقاءك، ﴿وَلَا تَحْزَنُ﴾، أي ليذهب عنها الحزن، ﴿وَقُلْتَ نَفْسًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان قتل قطيئاً كافراً. قال كعب الأحبار: كان إذ ذاك ابن اثني عشرة سنة، ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾، أي من غم القتل وكربه، ﴿وَفَنَّاكَ فُتُونًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: اخترناك اختباراً. وقال الضحاك ومقاتل: ابتليناك ابتلاءً. وقال مجاهد: أخلصناك إخلاصاً. وعن ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: أن الفتون وقوعه في محنة بعد محنة خلّصه الله منها، أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم إلقاؤه في البحر في التابوت، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم أخذ بلحية فرعون حتى همّ بقتله، ثم تناوله الجمرة بدل الدرة، ثم قتله القبطي، وخروجه إلى مدين خائفاً، فكان ابن عباس يقص القصّة على سعيد بن جبير، فعلى هذا

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٣١٤

بِسْمِ اللَّهِ

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٢٨﴾ أَنْ أَقْرِضِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْرِضِيهِ
فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ أَلِيمٌ بِالسَّاحِلِ بِأَخْذِهِ عِدُوِّي وَعَدُوْلَهُ وَالْقَبِثُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٢٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ
فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَنَزَّلْنَا نَفْسًا فَنُحِيطُ بِك مِنَّا أَلَمْ نَقْرَأْكَ الْفُتُوًّا
فَلَمَّا نَسِيْنَا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَّىٰ ﴿٣٠﴾
وَاصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي ﴿٣١﴾ أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنبَأُ
فِي ذِكْرِي ﴿٣٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٣٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا
لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا
أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٣٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٣٦﴾
﴿٣٧﴾ فَأَنبَأَهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ
الْهُدَىٰ ﴿٣٨﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٩﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَّىٰ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٤١﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٤٢﴾

هَدَىٰ ﴿٤٣﴾، قال الحسن وقتادة: أعطى كل شيء صلاحه وهدهد لما يصلحه. وقال مجاهد: أعطى كل شيء صورته لم يجعل خلق الإنسان كخلق البهائم، ولا خلق البهائم كخلق الإنسان ثم هدهد إلى منفعته من المطعم والمشرب والمنكح. وقال الضحاك: أعطى كل شيء خلقه يعني اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والأذن للسمع.

[٥١] ﴿قَالَ﴾ فرعون، ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾، ومعنى البال الحال، أي ما حال القرون الماضية والأمم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فيما تدعونني إليه فإنها كانت تعبد الأوثان وتنكر البعث.

[٥٢] ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾، أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها. وقيل: إنما

موسى أن يأتي هارون وأوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى فلتقاه إلى مرحله وأخبره بما أوحى إليه، ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾، أي يتعظ ويخاف ويسلم، فإن قيل: كيف قال ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ وقد سبق في علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم؟ قيل: معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما. وقال الحسين بن الفضل: هو ينصرف إلى غير فرعون مجازة لعله يتذكر ويخشى خاشي إذا رأى بري والطافي بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية.

[٤٥] ﴿قَالَ﴾، يعني موسى وهارون، ﴿رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعجل علينا بالقتل والعقوبة، يقال: فرط عليه فلان إذا عجل بمكرهه، وفرط منه أمر أي بدر وسبق، ﴿وَأَنْ يَطْغَىٰ﴾، أي يجاوز الحد في الإساءة إلينا.

[٤٦] ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، قال ابن عباس: أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنعه لست بغافل عنكما فلا تهتما.

[٤٧] ﴿فَأَنبَأَهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾، أرسلنا إليك، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، أي خلّ عنهم وأطلقهم من أعمالك، ﴿وَلَا تَعَذِّبْهُمْ﴾، لا تتعبهم في العمل، وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة، ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾، قال فرعون: وما هي؟ فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾، ليس المراد منه التحية إنما معناه يسلم من عذاب الله من أسلم.

[٤٨] ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَبَ رَبِّي﴾، أي إنما يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه.

[٤٩] ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَّىٰ﴾، من إلهكما الذي أرسلكما.

[٥٠] ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ

[٥٦] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَهُ﴾، يعني فرعون، ﴿ءَايَاتِنَا كُلَّهَا﴾، يعني الآيات التسع التي أعطاهها الله موسى، ﴿فَكَذَّبَ﴾، بها وزعم أنها سحر، ﴿وَأَنَّى﴾، أن يسلم.

[٥٧] ﴿قَالَ﴾، يعني فرعون ﴿أَجَعَلْنَا لِنُخْرِجَ مِنْ أَرْضِنَا﴾، يعني أرض مصر، ﴿بِسِحْرِكَ يَمْوَسَى﴾، أي تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها.

[٥٨] ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ سِحْرٌ مِثْلُهُ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾، أي فاضرب بينا وبينك أجلًا وميقاتًا، ﴿لَا تُخْلَفُهُ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿لَا نُخْلِفُهُ﴾ جزمًا لا نجاوزه، ﴿وَنَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوَى﴾، قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب: ﴿سَوَى﴾ بضم السين، وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان مثل عُذَى وَعُذَى وَطَوَى وَطَوَى، قال مقاتل وقاتدة: مكانًا عدلًا بيننا وبينك. وعن ابن عباس: نَصَفًا، ومعناه تستوي مسافة الفريقين إليه. قال أبو عبيدة والقيتيبي: وسطًا بين الفريقين. قال مجاهد: منصفًا. وقال الكلبي: يعني سوى هذا المكان.

[٥٩] ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾، قال مجاهد وقاتدة ومقاتل والسدي: كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة. وقيل: هو يوم النيروز. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: يوم عاشوراء، ﴿وَأَن يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُبْعِي﴾، أي وقت الضحوة نهارًا جهارًا ليكون أبعد من الريبة.

[٦٠] ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾، مكره وحيلته وسحرته، ﴿ثُمَّ أَنَّى﴾، أي الميعاد.

[٦١] ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾، يعني للسحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرًا مع كل واحد حبل وعصا. وقيل: كانوا أربعمائة. وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفًا. وقيل: أكثر من ذلك، ﴿وَيَلِكُمْ لَا تَقْرَءُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿فَيُسْحِتَكُمْ﴾ بضم

رد موسى علم ذلك إلى الله لأنه لم يعلم ذلك، فإن التوراة أنزلت إليه بعد هلاك فرعون وقومه. ﴿فِي كِتَابٍ﴾، يعني في اللوح المحفوظ، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾، أي لا يخطئ. وقيل: لا يغيب عنه شيء ولا يغيب عن شيء، ﴿وَلَا يَنسَى﴾، ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم وقيل: لا ينسى أي لا يترك الانتقام فينتقم من الكفار ويجازي المؤمنين. [٥٣] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾، قرأ أهل

الكوفة: (مهْدًا)، ههنا وفي الزخرف فيكون مصدرًا أي فرشًا، وقرأ الآخرون: (مهْدًا)، كقوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا) أي فراشًا وهو اسم يفرش كالسباط اسم لما ييسط، ﴿وَسَلَّكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا﴾ السلك إدخال الشيء في الشيء والمعنى: أدخل في الأرض لأجلكم طرقًا تسلكونها. قال ابن عباس: سلك لكم فيها طرقًا تسلكونها، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، يعني المطر، تم الإخبار عن موسى. ثم أخبر الله عن نفسه بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾، بذلك الماء ﴿أَزْوَاجًا﴾، أصنافًا، ﴿مِّن ثَبَاتٍ شَتَّى﴾، مختلف الألوان والطعوم والمنافع من أبيض وأحمر وأخضر وأصفر، فكل صنف منها زوج، فمنها للناس ومنها للدواب.

[٥٤] ﴿كُلُوا وَارْعَوْا﴾ أي وارتعوا، ﴿أَنعَمَكُمُ﴾، تقول العرب: رعى الغنم فرعت أي أسيموا أنعامكم ترمى، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿لَايَتٍ لَّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، لذوي العقول، واحداثها نهية سميت نهية لأنها تنهى صاحبها عن القبائح والمعاصي. قال الضحاك: لأولي النهى الذي يتهون عما حرم الله عليهم، قال قاتدة: لذوي الورع.

[٥٥] ﴿مِنْهَا﴾ أي من الأرض، ﴿خَلَقْنَكُمْ﴾، يعني أبابكم آدم ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾، أي عند الموت والدفن، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، يوم البعث.

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٣١٥

بِسْمِ اللَّهِ

قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٦﴾
 الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَاسْلَكْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٧﴾ كُلُوا
 وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴿٥٨﴾
 خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا إِلَىٰ آلِهَتِنَا كَذِبًا وَإِنَّا ﴿٦٠﴾ قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَا
 مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكُ يَمْسُو ﴿٦١﴾ فَلَمَّا أَتَيْنَاكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ
 فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا
 سَوِيًّا ﴿٦٢﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى
 ﴿٦٣﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٤﴾ قَالَ لَهُمُ
 مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَنِفْتُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْجَنُوا بَعْدَ بَعْضِ
 وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْتَرِي ﴿٦٥﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا
 النَّجْوَى ﴿٦٦﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرَيْنِ بُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ
 مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٧﴾ فَأَجْمَعُوا
 كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتَّصَفُوا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾

طريقة قومهم أي أشرافهم، والمثل تأنيث، الأمثل وهو الأفضل، حديث الشعبي عن علي، قال: يصرفان وجوه الناس إليهما. قال قتادة: طريقتهم المثلى كان بنو إسرائيل يومئذ أكثر القوم عددًا وأموالًا، فقال عدو الله: يريد أن يذهب بهم لأنفسهم. وقيل: بطريقتكم المثلى أن بسنتكم ودينكم الذي أنتم عليه، والمثلى نعت الطريق، تقول العرب: فلان على الطريقة المثلى، يعني على

(١) ذكر الإمام أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ج ٦ ص ٢٥٥: صحة وثبوت الاستعمال «إن» بمعنى «نعم» في اللغة العربية فقال: «إن» بمعنى «نعم»، وثبت ذلك في اللغة، فتحمل الآية عليه، و«هذان لساحران» مبتدأ وخبر.

وقد ساق أوجه صحيحة في اللغة لإثبات صحة القراءة المتواترة الثابتة في المصحف الشريف، فارجع إليه إن شئت. وانظر ما ذكر الإمام الشوكاني في ذلك في تفسيره فيض القدير ج ٣ ص ٣٧٣.

الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتح الياء والحاء وهما لغتان. قال مقاتل والكلبي: فيهلككم. وقال قتادة: فيستأصلكم، ﴿وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْتَرِي﴾.

[٦٢] ﴿فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾، أي تناظروا وتشاوروا، يعني السحرة في أمر موسى سرًا من فرعون. قال الكلبي: قالوا سرًا: إن غلبنا موسى اتبعناه. وقال محمد بن إسحاق: لما قال لهم موسى: لا تفتروا على الله كذبًا، قال بعضهم لبعض: ما هذا بقول السحر. ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾، أي المناجاة يكون مصدرًا واسمًا.

[٦٣] ثم ﴿قَالُوا﴾، وأسر بعضهم إلى بعض يتناجون، ﴿إِنَّ هَٰذَيْنِ لَسِحْرَيْنِ﴾، يعني موسى وهارون، وقرأ ابن كثير وحفص: (إن) بتخفيف النون ﴿هَٰذَيْنِ﴾ أي ما هذان إلا ساحران، كقوله: (إن نظنك إلا من الكاذبين)، أي ما نظنك إلا من الكاذبين، وشدد ابن كثير النون من هذان، وقرأ أبو عمرو: (إن) بتشديد النون (هذين) بالياء على الأصل، وقرأ الآخرون: ﴿إِنَّ﴾ بتشديد النون ﴿هَٰذَيْنِ﴾ بالالف واختلفوا فيه وقال قوم: هو لغة بالحارث ابن كعب وخثعم وكنانة فإنهم يجعلون الاثنين في موضع الرفع والنصب والخفض بالالف، يقولون: أتاني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان، فلا يتركون ألف التثنية في شيء، وكذلك يجعلون كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ألف، كما في التثنية، يقولون: كسرت يده وركبت علاه، يعني يديه وعليه. قال شاعرهم:

تزود مني بين أدناه ضربة

دعته إلى هابي التراب عقيم

وقيل: تقدير الآية أنه هذان، فحذف الهاء، وذهب جماعة إلى أن حرف (إن) ههنا بمعنى نعم، أي نعم هذان^(١). ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾، مصر، ﴿بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾، قال ابن عباس: يعني بسراة قومكم وأشرافكم، يقال هؤلاء

[٦٩] ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾، يعني العصا، ﴿تَلْقَفُ﴾، تلتقم، وتبتلع، ﴿مَا صَنَعُوا﴾، قرأ ابن عامر تلقف برفع الفاء ههنا، وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الأمر، ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا﴾، أي الذي صنعوا، ﴿كَيْدُ سِحْرٍ﴾، أي حيلة سحر هكذا قرأ حمزة والكسائي بكسر السين بلا ألف وقرأ الآخرون ﴿سِحْرٍ﴾ لأن إضافة الكيد إلى الفاعل أولى من إضافته إلى الفعل، وإن كان ذلك لا يتمتع في العربية، ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقْبَى﴾، من الأرض، قال ابن عباس: لا يسعد حيث كان. وقيل: معناه حيث احتال.

[٧٠، ٧١] ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ مِحْجًا قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّي هَؤُلَاءِ وَاوَسُوا هَؤُلَاءِ قَالُوا أَمَنَّا بِمَا نَكِيدُ لَهُ لَكُمُ الْيَوْمَ الْعَذَابُ أَلِيمٌ﴾، لرئيسكم ومعلمكم، ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُفْقَهُوْا أَيَّدِيكُمْ وَاجْلِسُوا مِنْ خَلْفِهِ وَأَصْلَحْنَاكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾، يعني على جذوع النخل، ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا آيَاتًا أَشَدَّ عَذَابًا﴾، يعني على إيمانكم به أنا أو رب موسى على ترك الإيمان به، ﴿وَأَنفَقَ﴾، يعني أدوم.

[٧٢] ﴿قَالُوا﴾، يعني السحرة، ﴿لَنْ نُؤْمِرَكَ﴾، لن نختارك، ﴿عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾، يعني الدلالات، قال مقاتل: يعني اليد البيضاء والعصا. وقيل: كان استدلالهم أنهم قالوا لو كان هذا سحرًا فأين حبالنا وعصينا. وقيل: من البيّنات يعني من اليقين والعلم ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾، يعني لن نؤثرك على الله الذي فطرنا، وقيل: هو قسم، ﴿فَأَقْضَىٰ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾، يعني فاصنع ما أنت صانع، ﴿إِنَّمَا نُقَضِّيٰ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، يعني أمرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب.

[٧٣] ﴿إِنَّا ءَأَمَّا رَبِّنَا لَبِغْرٌ لَّنَا خَطَيْنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾، فإن قيل كيف قالوا هذا وقد جاءوا مختارين يحلفون بعزة فرعون أن لهم الغلبة. قيل: روي عن الحسن أنه قال: كان فرعون يُكره قومًا على تعلم السحر لكيلا يذهب أصله وقد كان

الصرط المستقيم. [٦٤] ﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾، قرأ أبو عمرو فأجمعوا بوصل الألف وفتح الميم، من الجمع أي لا تدعوا أشياء من كيدهم إلا جتّم به والصحيح أن معناه العزم والإحكام، أي اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له لا تختلفوا فيختل أمركم، ﴿ثُمَّ أَثْنُوا صَفًّا﴾ أي جميعًا، قاله مقاتل والكلبي، وقال قوم: أي مصطفين مجتمعين ليكون أشد لهيبتكم، وقال أبو عبدة: الصف المجتمع، ويسمى المصلى صفًّا معناه ثم اثنوا المكان الموعد صفًّا، ﴿وَقَدْ أَقْلَحَ الْيَوْمَ مِنْ أَسْتَحْلَىٰ﴾، أي فاز من غلب.

[٦٥] ﴿قَالُوا﴾، يعني السحرة، ﴿يَكْمُوسِي إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ﴾، عصاك، ﴿وَأِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾، عصينا.

[٦٦] ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿بَلْ أَلْقُوا﴾، أنتم أولاً، ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ﴾، وفيه إضممار، أي فآلقوا فإذا حبالهم، ﴿وَعَصِيَّتُهُمْ﴾، جمع العصا، ﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب تخيل بالثاء رد إلى الحبال والعصي، وقرأ الآخرون بالياء ردوه إلى الكيد والسحر، ﴿مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ سَعَىٰ﴾، حتى تظن أنها تسعى أي تمشي وذلك أنهم كانوا لطحوا حبالهم وعصيتهم بالزئبق، فلما أصابه حر الشمس انهمست واهتازت فظن موسى أنها تقصده وفي القصة أنهم لما ألقوا الحبال والعصي أخذوا أعين الناس فرأى موسى والقوم كأن الأرض امتلأت حيات، وكانت قد أخذت ميلًا من كل جانب ورأوا أنها تسعى.

[٦٧] ﴿فَأَوَّحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾، أي وجد، وقيل: أضمر في نفسه خوفًا، واختلّفوا في خوفه طبع البشرية وذلك أنه ظن أنها تقصده، وقال مقاتل: خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر فيشكوا في أمره فلا يتبعونه.

[٦٨] ﴿قُلْنَا﴾، لموسى، ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾، أي الغالب، يعني لك الغلبة والظفر.

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٣١٦

سُورَةُ طه

قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ۖ قَالَ
بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِبَهُمْ يَخِيلُ إِلَيْهِمْ سِحْرُهُمْ أَنَّهُمْ
قَالُوا وَجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى ۖ فَلَمَّا لَاحَظَ أَنَّكَ
أَنْتَ الْأَعْلَى ۖ وَالْقَى مَا فِي يَمِينِكَ نَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا
كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى ۖ فَأَلْقَى السِّحْرَ مُجَدًّا
قَالُوا أَمْ تَأْتِي هَٰرُونَ وَمُوسَى ۖ قَالَ أَمَنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ أَذَنْ
لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قِطْعَنَ أَيْدِيكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا أَصْلَبَتْكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ
أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۖ قَالُوا أَنْ تُوَفِّرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ
الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ إِنَّمَا مَتَابِرُنَا لِنُغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا
فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۖ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ
عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۖ جَنَّاتُ عَدْنٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ۖ

أكرههم في الابتداء. وقال مقاتل: كانت السحرة
اثنتين وسبعين، اثنان من القبط، وسبعون من بني
إسرائيل، كان عدو الله فرعون أكره الذي هم من
بني إسرائيل على تعلم السحر، فذلك قوله: ﴿وَمَا
أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾، قال عبد العزيز بن أبان:
قالت السحرة لفرعون: أرنا موسى إذا نام، فأراهم
موسى نائمًا وعصاه تحرسه، فقالوا لفرعون: إن
هذا ليس بساحر إن الساحر إذا نام بطل سحره،
فأبى عليهم إلا أن يتعلموا، فذلك قوله تعالى:
﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾،
قال محمد بن إسحاق: خير منك ثوابًا وأبقى
عذابًا، وقال محمد بن كعب: خير منك ثوابًا إن
أطيع وأبقى منك عذابًا إن عصي وهذا جواب
لقوله: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾.

[٧٤] ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾، قيل: هذا ابتداء
كلام من الله تعالى، وقيل: من تمام قول السحرة
مجرمًا أي مشركًا يعني من مات على الشرك، ﴿فَإِنَّ
لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾، فيستريح، ﴿وَلَا يَحْيَى﴾،
حياة ينتفع بها.

[٧٥] ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ﴾، قرأ أبو عمرو ساكنة الهاء،
ويختلسها أبو جعفر، وقالون ويعقوب، وقرأ
الآخرين بالإشباع، ﴿مُؤْمِنًا﴾، أي: من مات على
الإيمان، ﴿قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ
الْعُلَى﴾، أي الرفيعة، والعلی جمع والعليا تأنيث
الأعلى.

[٧٦] ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾، يعني تطهر من الذنوب.

[٧٧] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَنْ
أَسْرِ بِعِبَادِي﴾، يعني أسر بهم ليلاً من أرض مصر،
﴿فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ﴾، يعني اجعل لهم
طريقًا في البحر بالضرب بالعصا، ﴿يَسَّاءً﴾، ليس
فيه ماء ولا طين، وذلك أن الله أيسس لهم الطريق
في البحر، ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا﴾، قرأ حمزة ﴿لَا تَخَفْ﴾

بالجزم على النهي، والباقون بالالف والرفع على
النفي، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَخْشَى﴾، قيل: لا تخاف
أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك
البحر أمامك.

[٧٨] ﴿فَاتَّبَعَهُمْ﴾، فلحقهم، ﴿فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾،
وقيل: معناه أمر فرعون جنوده أن يتبعوا موسى
وقومه، والباء فيه زائدة وكان هو فيهم،
﴿فَغَشِيَهُمْ﴾، أصابهم، ﴿مِنْ أَلِيمٍ مَا غَشِيَهُمْ﴾، وهو
الغرق. وقيل: غشيهم علاهم وسترهم من اليم ما
غشيهم يريد غشيهم بعض ماء اليم لا كله. وقيل:
غشيهم من اليم ما غشيهم قوم موسى فغرقهم ونجا
موسى وقومه.

[٧٩] ﴿وَاضْلَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾، يعني ما
أرشدهم وهذا تكذيب لفرعون في قوله: (وما
أهديكم إلا سبيل الرشاد).

سورة طه

٣١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا
 فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
 بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ
 وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَفْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ
 جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلَوى ﴿٨٠﴾ كُلُوا
 مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي
 وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ
 وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ
 قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
 رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
 السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ
 يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ
 الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ
 مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا
 أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَتَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

أَثَرِي، يعني هم بالقرب مني يأتون من بعدي
 ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾، لتزداد رضا.

[٨٥] ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾، أي
 ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف
 فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفًا، من بعدك: أي
 من بعد انطلاقك إلى الجبل، ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾،
 أي دعاهم وصرفهم إلى عبادة العجل، وأضافه إلى
 السامري لأنهم ضلوا بسببه.

[٨٦] ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾،
 حزينًا. ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾،
 صدقًا أنه يعطيكم التوراة، ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ
 الْعَهْدُ﴾، مدة مفارقتي إياكم، ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ
 عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي أردتم أن تفعلوا فعلًا
 يجب عليكم به الغضب من ربكم ﴿فَأَخْلَفْتُمْ
 مَوْعِدِي﴾.

[٨٠] قوله: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَفْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ﴾،
 فرعون، ﴿وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ
 الْمَنَ وَالسَّلَوى﴾.

[٨١] ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، قرأ حمزة
 والكسائي أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم بالياء على
 التوحيد، وقرأ الآخرون بالنون والألف على
 التعظيم، ولم يختلفوا في ونزلنا لأنه مكتوب
 بالألف، ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾، قال ابن عباس: لا
 تظلموا. وقال الكلبي: لا تكفروا النعمة فتكونوا
 ظالمين طاغين. وقيل: لا تنفقوا في معصيتي.
 وقيل: لا تتقوا بنعمتي على معاصي. وقيل: لا
 تدخروا فادخروا فتدود، ﴿فَيَحِلَّ﴾، قرأ الأعمش
 والكسائي فيحل بضم الحاء، ومن يحلل بضم
 اللام، يعني ينزل، وقرأ الآخرون بكسرهما يعني
 يجب، ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ
 هَوَى﴾، هلك وتردى في النار.

[٨٢] ﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾، قال ابن عباس:
 تاب من الشرك، ﴿وَأَمَّنَ﴾، ووحد الله وصدقه،
 ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، أدى الفرائض، ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾،
 قال عطاء عن ابن عباس: علم أن ذلك توفيق من
 الله. وقال قتادة وسفيان الثوري: يعني لزم الإسلام
 حتى مات عليه. قال الشعبي ومقاتل والكلبي: علم
 أن ذلك ثوابًا. وقال زيد بن أسلم: تعلم العلم
 ليهتدي به كيف يعمل. قال الضحاك: استقام.
 وقال سعيد بن جبير: أقام على السنة والجماعة.

[٨٣] ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾، يعني وما حملك على
 العجلة، ﴿عَنْ قَوْمِكَ﴾، وذلك أن موسى اختار من
 قومه سبعين رجلًا حتى يذهبوا معه إلى الجبل
 ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم
 شوقًا إلى ربه عز وجل وخلف السبعين وأمرهم أن
 يتبعوه إلى الجبل فقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ
 قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾.

[٨٤] ﴿قَالَ﴾، مجيبًا لربه تعالى: ﴿هُمُ أَوْلَاءُ عَلَيَّ

يحييهم إذا دعوه، ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾،
وقيل: إن هارون مرّ على السامري وهو يصوغ
العجل فقال له: ما هذا؟ قال: أصنع ما ينفع ولا
يضر فادع لي، فقال هارون: اللهم أعطه ما سألك
على ما في نفسه، فألقى التراب في فم العجل
وقال: كن عجلًا يخور فكان ذلك بدعوة هارون،
والحقيقة أن ذلك كان فتنة ابتلى الله بها بني
إسرائيل.

[٩٠] ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾، أي من قبل
رجوع موسى، ﴿يَقُولُوا إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾، ابتليتكم
بالعجل، ﴿وَرَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَالْتَمِعُوا﴾، على ديني في
عبادة الله، ﴿وَالْيَعْبُدُوا أَمْرِي﴾، في ترك عبادة العجل.
[٩١] ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ﴾، أي لن نزال، ﴿عَلَيْهِ﴾،
على عبادته، ﴿عَنْكَيْنِ﴾، مقيمين، ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَى﴾، فاعتزلهم هارون في اثني عشر ألفًا وهم
الذين لم يعبدوا العجل، فلما رجع موسى وسمع
الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل، قال
للسبعين الذين كانوا معه: هذا صوت الفتنة، فلما
رأى هارون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله.
[٩٢] و ﴿قَالَ﴾، له ﴿يَهْرُؤُنَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ
ضَلُّوا﴾، أشركوا.

[٩٣] ﴿أَلَا تَتَّبِعُنِي﴾، أي: أن تتبني و ﴿لَا﴾
صلة أي تتبع أمري ووصيتي، يعني: هلا قاتلتهم
وقد علمت أنني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم.
وقيل: أن لا تتبني، أي: ما منعك من اللحق بي
وإخباري بضلاتهم، فتكون مفارقتك إياهم تقريبًا
وزجرًا لهم عما أتوه، ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾، أي
خالفت أمري.

[٩٤] ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾، أي
بشعر رأسي وكان قد أخذ ذوائبه، ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾،
لو أنكرت عليهم لصاروا حزينين يقتل بعضهم
بعضًا، ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، أي
خشيت إن فارقتهم واتبعتك صاروا أحزابًا

[٨٧] ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾، قرأ نافع
وأبو جعفر وعاصم: ﴿بِمَلِكِنَا﴾ بفتح الميم وقرأ
حمزة والكسائي بضمها، وقرأ الآخرون بكسرهما،
أي: ونحن نملك أمرنا. وقيل: باختيارنا، ومن
قرأ بالضم فمعناه بقدرتنا وسلطاننا، وذلك أن المرء
إذا وقع في البلية والفتنة لم يملك نفسه، ﴿وَلَكِنَّا
جُمُلُنَا﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر
ويعقوب حملنا بفتح الحاء، وتخفيف الميم، وقرأ
الآخرون بضم الحاء وتشديد الميم أي جعلونا
نحملها وكلفنا حملها، ﴿أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾،
من حلي قوم فرعون، سمّاها أوزارًا لأنهم أخذوها
على وجه العارية فلم يردّها، وذلك أن بني إسرائيل
كانوا قد استعاروا حليًا من القبط وكان ذلك معهم
حين خرجوا من مصر. وقيل: إن الله تعالى لما
أغرق فرعون نبذ البحر حليهم فأخذوها وكانت
غنيمة ولم تكن الغنيمة حلالًا لهم في ذلك الزمان،
فسماها أوزارًا لذلك، ﴿فَفَقَدْنَاهَا﴾، قيل: إن
السامري قال لهم احفروا حفيرة فألقوها فيها حتى
يرجع موسى، قال السدي: قال لهم هارون: إن
تلك غنيمة لا تحل فاحفروا حفيرة فألقوها فيها
حتى يرجع موسى، فيرى رأيها فيها، ففعلوا. قوله:
﴿فَفَقَدْنَاهَا﴾ أي طرحناها في الحفرة، ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى
السَّامِرِيُّ﴾، ما معه من الحلي فيها، وقال سعيد بن
جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: أوقد هارون
نارًا وقال: اأخذوا فيها ما معكم، فألقوه فيها ثم
ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس
جبريل. قال قتادة: كان صر قبضة من ذلك التراب
في عمامته.

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا
إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾، أي تركه موسى ههنا
وذهب يطلبه. وقيل: أخطأ الطريق وضل.
[٨٩] قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ
قَوْلًا﴾، أي: لا يرون أن العجل لا يكلمهم ولا

يَتَقَاتِلُونَ، فتقول أنت فرقت بين بني إسرائيل، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾، ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك: اخلفني في قومي، وأصلح أي ارفق بهم، ثم أقبل موسى على السامري.

[٩٥] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾، أي ما أمرك وشأنك؟ وما الذي حملك على ما صنعت؟ ﴿يَسْمِرِي﴾.

[٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾، رأيت ما لم يروا وعرفت ما لم يعرفوا، قرأ حمزة والكسائي ﴿ما لم تبصروا﴾ بالتاء على الخطاب، وقرأ الآخرون بالياء على الخبر، ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾، أي من تراب أثر فرس جبريل، ﴿فَبَدَثُهَا﴾، أي ألقيتها في فم العجل، وقال بعضهم: إنما خار لهذا لأن التراب كان مأخوذاً من تحت حافر فرس جبريل، فإن قيل: كيف عرفه ورأى جبريل من بين سائر الناس؟ قيل: لأن أمه لما ولدته في السنة التي يقتل فيها البنون وضعت في الكهف حذراً عليه فبعث الله جبريل ليريه لما قضى على يديه من الفتنة. ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ﴾، أي زينت، ﴿لِي نَفْسِي﴾.

[٩٧] ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوةِ﴾، أي ما دمت حياً، ﴿أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾، أي لا تخالط أحداً ولا يخالطك أحد وأمر موسى بني إسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه. قال ابن عباس: لا مساس لك ولولدك، والمساس من المماسه معناه لا يمس بعضنا بعضاً، فصار السامري يهيم في البرية مع الوحوش والسباع لا يمس أحداً ولا يمسه أحد، فعاقبه الله بذلك، وكان إذا لقي أحداً يقول: لا مساس، أي لا تقربني ولا تمسني، وقيل: كان إذا مس أحداً أو مسه أحد حما جميعاً حتى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك، وإذا مس أحد من غيرهم أحداً منهم حما جميعاً في الوقت، ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾، يا سامري، ﴿مَوْعِدًا﴾، لعذابك، ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾، قرأ ابن

الطبراني

٣١٨

سورة طه

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَنْقُورُوا إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعُنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَومُ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ، وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

كثير وأبو عمرو ويعقوب: ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ بكسر اللام أي لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة، وقرأ الآخرون بفتح اللام أي لن تكذبه ولن يخلفك الله، ومعناه أن الله تعالى يكافئك على فعلك ولا تقوته، ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾، بزعمك، ﴿الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾، أي ظلت ودمت عليه مقيماً تبعده، والعرب تقول: ظلت أفعل كذا بمعنى ظلتت ومست بمعنى مسست، وقرأ أبو جعفر بالتخفيف من الإحراق، ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾، لنذرنيه، ﴿فِي الْيَمِّ﴾، في البحر، ﴿نَسْفًا﴾، روي أن موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم لأنه كان قد صار لحماً ودماً ثم حرقه بالنار، ثم ذراه في اليم، قرأ ابن محيصن: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بفتح النون وضم الراء لنبردنه بالمبرد، ومنه قيل للمبرد المحرق. وقال السدي: أخذ موسى العجل فذبحه ثم حرقه بالمبرد

الله ﷻ فقال: كيف تكون الجبال يوم القيامة؟
فأنزل الله هذه الآية، والنسف هو القلع يعني يقلعها
من أصلها ويجعلها هباء منثورًا.

[١٠٦] ﴿فَيَذَرُهَا﴾، يعني فيدع أماكن الجبال من
الأرض، ﴿فَاعَا صَفْصَفًا﴾، يعني أرضًا ملساء
مستوية لا نبات فيها، والقاع ما انبسط من الأرض
والصفصف الأملس.

[١٠٧] ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾، قال
مجاهد: انخفاصًا وارتفاعًا. وقال الحسن: العوج
ما انخفض من الأرض، والأمت ما نشز من
الروابي، يعني لا ترى واديًا ولا رابية. قال قتادة:
لا ترى فيها صبدًا ولا أكمة.

[١٠٨] ﴿يَوْمَيزِيدُكَ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾، أي صوت
الداعي الذي يدعوهم إلى موقف القيامة، وهو
إسرافيل، وذلك أنه يضع الصور في فيه، ويقول:
أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم
المتفرقة هلموا إلى عرض الرحمن، ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾،
يعني لدعائه، وهو من المقلوب يعني لا عوج لهم
من دعاء الداعي لا يزيغون عنه يمينًا ولا شمالًا ولا
يقدرن عليه بل يتبعونه سراعًا، ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ
لِلرَّحْمَنِ﴾، يعني سكنت وذلت وخضعت، وصف
الأصوات بالخشوع والمراد أهلها، ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا
هَمْسًا﴾، يعني صوت وطء الأقدام إلى المحشر،
والهمس الصوت الخفي كصوت أخفاف الإبل في
المشي. وقال مجاهد: هو تخافت الكلام وخفض
الصوت. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:
تحريك الشفاه من غير منطق.

[١٠٩] ﴿يَوْمَيزِيدُكَ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾، يعني لا تنفع
الشفاعة أحدًا من الناس، ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾،
يعني إلا من أذن الله له أن يشفع، ﴿وَرِضَىٰ لَهُ قَوْلًا﴾
يعني ورضي قوله، قال ابن عباس: يعني قال: لا
إله إلا الله، وهذا يدل على أنه لا يشفع غير
المؤمن.

ثم ذاره في اليم.
[٩٨] ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، وسع علمه كل شيء.
[٩٩] ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾،
من الأمور، ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾، يعني
القرآن.

[١٠٠] ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾، أي عن القرآن فلم
يؤمن به ولم يعمل بما فيه، ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وِزْرًا﴾، حملًا ثقیلاً من الإثم.

[١٠١] ﴿خَلِدِينَ فِيهِ﴾، مقيمين في عذاب
الوزر، ﴿وَسَاءَ لِمَنْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ جِزَاءٌ﴾، أي بشس ما
حملوا على أنفسهم من الإثم كفرًا بالقرآن.

[١٠٢] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، قرأ أبو عمرو
﴿ننْفَخُ﴾ بالنون وفتحها وضم الفاء لقوله:
﴿وَنَحْشُرُ﴾ وقرأ الآخرون بالياء وضمها وفتح الفاء
على غير تسمية الفاعل، ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾،
المشركين، ﴿يَوْمَيزِيدُ زُرْقًا﴾، والزرقة هي الخضرة في
سواد العين فيحشرون زرق العيون سود الوجوه.
وقيل: زرقًا أي عميًا. وقيل: عطاشًا.

[١٠٣] ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾، أي يتشاورون بينهم
ويتكلمون خفية، ﴿إِنْ لَيْتُمْ﴾، أي ما مكثتم في
الدنيا، ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾، أي عشر ليال. وقيل: في
القبور: بين النفختين، وهو أربعون سنة، لأن
العذاب يرفع عنهم بين النفختين استقصروا مدة
لبثهم لهول ما عاينوا.

[١٠٤] قال الله تعالى: ﴿تَحْنُ أَعْلَمَ بِمَا يَقُولُونَ﴾،
أي يتشاورون بينهم، ﴿إِذْ يَقُولُ آمَلْتُمْ طَرِيقَهُ﴾،
أوفاهم عقلاً وأعدلهم قولاً، ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾،
قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من
أحوال يوم القيامة. وقيل: نسوا مقدار لبثهم لشدة
ما دهمهم.

[١٠٥] قوله: ﴿وَيَسْتَلُوكَ مِنَ الْجِبَالِ فَتَقُلُّ بِنَسْفِهَا رَبِّي
نَسْفًا﴾، قال ابن عباس: سأل رجل من ثقيف رسول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣١٩

سُورَةُ طه

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١١٠﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١١١﴾ خَلِيدٍ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١١٢﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١١٣﴾ يَخْفَتُونَ مِنْهُمْ إِنْ لَبِثُوا إِلَّا عَشْرًا ﴿١١٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثُوا إِلَّا يَوْمًا ﴿١١٥﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١١٦﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١١٧﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا جَبَلٌ وَلَا شَاوِلًا ﴿١١٨﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ أَعْوَجَ لَهُ، وَخِشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١١٩﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٢٠﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا ﴿١٢١﴾ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴿١٢٢﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١٢٣﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خَسِرَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، وَالظَّلْمُ هُوَ الشَّرْكُ. ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ﴿١٢٥﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ ﴿فَلَا يَخَفُ﴾ مجزومًا على النهي جوابًا لقوله تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ) وقرأ الآخرون ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ مرفوعًا على الخبر، ﴿ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يَخَافُ أَنْ يَزَادَ عَلَى سَيِّئَاتِهِ لَا أَنْ يَنْقُصَ مِنْ حَسَنَاتِهِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: لَا يَنْقُصُ مِنْ ثَوَابِ حَسَنَاتِهِ وَلَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ ذَنْبُ مَسِيءٍ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: لَا يُؤْخَذُ بِذَنْبِ لَمْ يَعْمَلْهُ وَتَبْطُلَ حَسَنَةُ عَمَلِهَا، وَأَصْلُ الْهَضْمِ النِّقْصُ وَالْكُسْرُ، وَمِنْهُ هَضْمُ الطَّعَامِ. ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ ﴿١٢٧﴾، أَيُّ كَمَا بَيَّنَّا فِي هَذِهِ السُّورَةِ، ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، يَعْنِي أَنْزَلْنَا هَذَا الْكِتَابَ، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، يَعْنِي بِلِسَانِ الْعَرَبِ، ﴿وَصَرَفْنَا﴾ يَعْنِي بَيَّنَّا ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾، أَيُّ صَرَفْنَا الْقَوْلَ فِيهِ بِذِكْرِ الْوَعْدِ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أَيُّ يَجْتَنِبُونَ الشَّرْكَ، ﴿أَوْ يُحْدِثْ لَهُمْ ذِكْرًا﴾، أَيُّ يَجْعِدُ لَهُمُ الْقُرْآنَ عِبْرَةً وَعِظَةً فَيَعْتَبِرُوا وَيَتَعَذَّبُوا بِذِكْرِ عِتَابِ اللَّهِ لِلْأَمَمِ الْخَالِيَةِ. ﴿١٢٨﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴿١٢٩﴾، جَلَّ اللَّهُ عَنِ الْإِحَادِ الْمُلْحَدِينَ وَعَمَّا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ، ﴿وَلَا

﴿١١٠﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، الْكُنَايَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ، أَيُّ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَمَا خَلَفُوا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا. وَقِيلَ: مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، قِيلَ: الْكُنَايَةُ تَرْجِعُ إِلَى (مَا) أَيُّ: هُوَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَهُ. وَقِيلَ: الْكُنَايَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى (اللَّهُ) لِأَنَّ عِبَادَهُ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا.

﴿١١١﴾ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾، أَيُّ ذَلَّتْ وَخَضَعَتْ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْأَسِيرِ: عَانَ، وَقَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ: هُوَ السُّجُودُ عَلَى الْجَبْهَةِ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خَسِرَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، وَالظَّلْمُ هُوَ الشَّرْكُ.

﴿١١٢﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ﴾، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ ﴿فَلَا يَخَفُ﴾ مجزومًا على النهي جوابًا لقوله تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ) وقرأ الآخرون ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ مرفوعًا على الخبر، ﴿ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يَخَافُ أَنْ يَزَادَ عَلَى سَيِّئَاتِهِ لَا أَنْ يَنْقُصَ مِنْ حَسَنَاتِهِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: لَا يَنْقُصُ مِنْ ثَوَابِ حَسَنَاتِهِ وَلَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ ذَنْبُ مَسِيءٍ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: لَا يُؤْخَذُ بِذَنْبِ لَمْ يَعْمَلْهُ وَتَبْطُلَ حَسَنَةُ عَمَلِهَا، وَأَصْلُ الْهَضْمِ النِّقْصُ وَالْكُسْرُ، وَمِنْهُ هَضْمُ الطَّعَامِ.

﴿١١٣﴾ وَكَذَلِكَ﴾، أَيُّ كَمَا بَيَّنَّا فِي هَذِهِ السُّورَةِ، ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، يَعْنِي أَنْزَلْنَا هَذَا الْكِتَابَ، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، يَعْنِي بِلِسَانِ الْعَرَبِ، ﴿وَصَرَفْنَا﴾ يَعْنِي بَيَّنَّا ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾، أَيُّ صَرَفْنَا الْقَوْلَ فِيهِ بِذِكْرِ الْوَعْدِ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أَيُّ يَجْتَنِبُونَ الشَّرْكَ، ﴿أَوْ يُحْدِثْ لَهُمْ ذِكْرًا﴾، أَيُّ يَجْعِدُ لَهُمُ الْقُرْآنَ عِبْرَةً وَعِظَةً فَيَعْتَبِرُوا وَيَتَعَذَّبُوا بِذِكْرِ عِتَابِ اللَّهِ لِلْأَمَمِ الْخَالِيَةِ.

﴿١١٤﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾، جَلَّ اللَّهُ عَنِ الْإِحَادِ الْمُلْحَدِينَ وَعَمَّا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ، ﴿وَلَا

تَعَجَّلْ بِالْقُرْآنِ﴾، أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ بِالْقُرْآنِ يَبَادِرُ فَيَقْرَأُ مَعَهُ قَبْلَ أَنْ يَفْرَغَ جَبْرِيلُ مِمَّا يَرِيدُ مِنَ التَّلَاوَةِ، وَمَخَافَةَ الْإِنْفِلَاتِ وَالنِّسْيَانِ، فَنَهَاهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: ﴿وَلَا تَعَجَّلْ بِالْقُرْآنِ﴾ أَيُّ لَا تَعْجَلْ بِقِرَاءَتِهِ، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفَضَّلَ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾، أَيُّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْرَغَ جَبْرِيلُ مِنَ الْإِبْلَاقِ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ) وَقَرَأَ يَعْقُوبُ: ﴿نُقْضَى﴾ بِالنُّونِ وَفَتْحِهَا وَكُسْرُ الضَّادِ وَفَتْحُ الْيَاءِ: ﴿وَحْيُهُ﴾ بِالنَّصْبِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: مَعْنَاهُ لَا تَقْرَأْهُ أَصْحَابُكَ وَلَا تَمْلِكْ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ مَعَانِيهِ، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، يَعْنِي بِالْقُرْآنِ وَمَعَانِيهِ. وَقِيلَ: عِلْمًا إِلَى مَا عَلِمْتَ. وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ: اللَّهُمَّ زِدْنِي إِيمَانًا وَبِقِيَّتًا.

﴿١١٥﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ

على قوله: ﴿أَلَّا نَجُوعَ فِيهَا﴾ ﴿لَا تَقْمُوا﴾، لا تعطش ﴿فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾، يعني لا تبرز للشمس فيؤذيكَ حرها. وقال عكرمة: لا تصيبك الشمس وأذاها، لأنه ليس في الجنة شمس، وأهلها في ظل ممدود. [١٢٠] ﴿فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّكِدُمُ هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾، يعني على شجرة إن أكلت منها بقيت مخلداً، ﴿وَمَنْ لَكَ لَا يَبْلَى﴾، لا يبيد ولا يفنى.

[١٢١] ﴿فَاكْلًا﴾، يعني آدم وحواء عليهما السلام، ﴿مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهَا سَوَاءُ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾، بأكل الشجرة، ﴿فَفُتِيَ﴾، يعني فعل ما لم يكن له فعله. وقيل: أخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد بأكل ما نهي عنه أكله، فخاب ولم لم ينل مراده. وقال ابن الأعرابي: أي فسد عليه عيشه وصار من العزُّ إلى الذل، ومن الراحة إلى التعب. قال ابن قتيبة: يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لأنه إنما يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية، كالرجل يخطط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك ويعتاده.

[١٢٢] ﴿ثُمَّ أَجْبَنَهُ رَبُّهُ﴾، اختاره واصطفاه، ﴿فَنَابَ عَلَيْهِ﴾، بالعفو، ﴿وَهْدَى﴾، هداة إلى التوبة حتى قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا.

[١٢٣] ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ هُنَّ فَمِنْ تَبَعَ هَؤُلَاءِ﴾، يعني الكتاب والرسول، ﴿فَلَا يَصِلُ وَلَا يَشْقَى﴾، روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: من قرأ القرآن وتاب ما فيه هداة الله في الدنيا من الضلالة، ووقاه الله يوم القيامة سوء الحساب، وذلك بأن الله يقول: ﴿فَمَنْ تَبَعَ هَؤُلَاءِ فَلَا يَصِلُ وَلَا يَشْقَى﴾. وقال الشعبي عن ابن عباس: أجاز الله تعالى تابع القرآن من أن يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة، وقرأ هذه الآية.

قَبْلُ﴾، يعني أمرناه وأوحينا إليه ألا يأكل من الشجرة من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدك وتركوا الإيمان بي، وهم الذين ذكرهم الله في قوله تعالى: (لعلهم يتقون)، ﴿فَنَسِيَ﴾، فترك الأمر، والمعنى أنهم نقضوا العهد فإن آدم أيضاً عهدنا إليه فنسي، ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾، قال الحسن: لم نجد له صبراً عما نهي عنه وقال عطية العوفي: حفظاً لما أمر به. وقال ابن قتيبة: رأياً معزوماً حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له، والعزم في اللغة هو توطين النفس على الفعل، قال أبو أمامة الباهلي: لو وزن حلم آدم بحلم جميع ولده لرجح حلمه، وقد قال الله: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾، فإن قيل: أتقولون إن آدم كان ناسياً لأمر الله حين أكل من الشجرة؟ قيل: يجوز أن يكون نسي أمره، ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعاً عن الإنسان بل كان مؤاخذاً به، وإنما رفع عتاً، وقيل: نسي عقوبة الله وظن أنه نهاه تنزيهاً.

[١١٦] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾، أن يسجد. [١١٧] ﴿فَقُلْنَا يَتَّكِدُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِجْلِكَ﴾، حواء، ﴿فَلَا يُخْرِجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾، يعني تتعب وتنصب، ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك. قال السدي: يعني الحرث والزرع والحصيد والطحن والخبز. وعن سعيد بن جبيرة: قال أهبط إلى آدم ثوراً أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه، فذلك شقاؤه، ولم يقل: فتشقى رجوعاً به إلى آدم لأن تبعه أكثر فإن الرجل هو الساعي على زوجته. وقيل: لأجل رؤوس الآي.

[١١٨] ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾، أي في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَى﴾.

[١١٩] ﴿وَأَنَّكَ﴾، قرأ نافع وأبو بكر بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بالفتح نسقاً

﴿طه﴾

٣٢٠

﴿طه﴾

فَفَعَلَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١٢٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١٢٦﴾ فَقُلْنَا يَنْتَظِرُكُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١٢٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَنْتَظِرُكُمْ هَلْ أَتَاكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَآبِلٍ ﴿١٣٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٣١﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَغَابَ عَلَيْهِ وَهْدَىٰ ﴿١٣٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٣٥﴾

[١٢٤] ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾، يعني القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه، ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾، ضيقًا قيل: هو عذاب القبر وقال الحسن: هو الزقوم والضريع والغسلين في النار. وقال عكرمة: هو الحرام. وقال الضحاك: هو الكسب الخبيث. وعن ابن عباس: قال: الشقاء. ورؤي عنه أنه قال: كل ما أعطي العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه، وهو الضنك في المعيشة، وإن أقوامًا أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا مكثرين، فكانت معيشتهم ضنكًا، وذلك أنهم يرون الله ليس بمختلف لهم فاشتدت عليهم معاشيهم من سوء ظنهم بالله، قال سعيد بن جبير: يسلبه القناعة حتى لا يشبع، ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾، قال ابن عباس: أعمى البصر. وقال مجاهد: أعمى عن الحجة.

[١٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾، بالعين أو بصيرًا بالحجة.

[١٢٦] ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾، أي كما ﴿أَنْتَكَ ءِآيَتُنَا فَنَسِينَا﴾، فتركناها وأعرضت عنها، ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾، تترك في النار. قال قتادة: نسوا من الخير ولم ينسوا من العذاب.

[١٢٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾، أي وكما جزينا من أعرض عن القرآن كذلك، ﴿يَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ﴾، أشرك، ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾، مما يعذبهم به في الدنيا والقبر، ﴿وَأَبْقَى﴾، وأدوم.

[١٢٨] ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾، يبين لهم القرآن يعني كفار مكة، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾، ديارهم ومنازلهم إذا سافروا، والخطاب لقريش كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾، لذوي العقول.

[١٢٩] ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ

مُسَمًّى﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره: ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزأماً وأجل مسمى، والكلمة الحكم بتأخير العذاب عنهم، أي ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان لزأماً، أي لكان العذاب لازماً لهم كما لزمت القرون الماضية الكافرة.

[١٣٠] ﴿فَأَصْبَرَ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، نسختها آية القتال، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، أي صلِّ بأمر ربك. وقيل: صلِّ لله بالحمدلة والثناء عليه، ﴿فَبَلَّ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾، يعني صلاة الصبح، ﴿وَقَبْلِ غُرُوبِهَا﴾، صلاة العصر، ﴿وَمِنْ ءَانَائِ اللَّيْلِ﴾، ساعاتها واحداً، أنى، ﴿فَسَبِّحْ﴾، يعني صلاة المغرب والعشاء. قال ابن عباس: يريد أول الليل، ﴿وَاطْرَافَ النَّهَارِ﴾، يعني صلاة الظهر، وسمى وقت الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال، وهو

قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَتَنَّا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْشِئُ ﴿١٣١﴾ وَكَذَلِكَ
نَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبْقَى ﴿١٣٢﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٣٣﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٣٤﴾ فَاصْبِرْ عَلَى
مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا
وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٥﴾ وَلَا
تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَآ مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ حَزْرًا أَبْقَى ﴿١٣٦﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ
وَأَصْطِرِّ عَلَيْهِمَا لَتَسْتَكَرَّ رِزْقًا تَحْنُ تَرْزُقُ وَالْعَنْقَبَةُ لِلتَّقْوَى
﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ؎ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي
الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٨﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ
لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ
قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُحْزَرَ ﴿١٣٩﴾ قُلْ كُلُّ مَتْرَبٍ فَرَبِّصُوا
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٤٠﴾

يأمر أهله بالصلاة)، ﴿وَأَصْطِرِّ عَلَيْهِمَا﴾، أي اصبر
على الصلاة، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.
﴿لَا تَسْتَكَرَّ رِزْقًا﴾، لا نكلك أن ترزق أحدًا من
خلقنا، ولا أن ترزق نفسك وإنما نكلك عملاً،
﴿تَحْنُ تَرْزُقُ وَالْعَنْقَبَةُ﴾، الخاتمة الجميلة المحموده،
﴿لِلتَّقْوَى﴾، أي لأهل التقوى. قال ابن عباس:
يعني الذين صدّقوك واتبعوك واتبعتوني. وفي بعض
المسانيد أن النبي ﷺ: «كان إذا أصاب أهله ضرٌّ
أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية».

[١٣٣] قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾، يعني
المشركين، ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾، أي الآية

(١) أخرجه إسحاق وابن أبي شيبة وأبو يعلى والبخاري
والطبري والطبراني وفيه موسى بن عبيدة الرندي وهو متروك
انظر الكافي الشافي ص ١٠٩ وأسباب النزول للواحدي
ص ٣٥٢ وأيد القرطبي بطلان هذه الرواية ٢٦٣/١١.

النصف الأول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء،
وقيل: المراد من آناء الليل صلاة العشاء ومن
أطراف النهار صلاة الظهر والمغرب، لأن الظهر
في آخر الطرف الأول من النهار، وفي أول الطرف
الآخر من النهار، فهو في طرفين منه والطرف
الثالث غروب الشمس، وعند ذلك يصلي
المغرب، ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾، أي ترضى ثوابه في
المعاد، وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم: ترضي
بضم التاء أي تعطي ثوابه. وقيل: ترضى أي
يرضاك الله تعالى، كما قال: (وكان عند ربه
مرضياً)، وقيل: معنى الآية لعلك ترضى بالشفاعة،
كما قال: (ولسوف يعطيك ربك فترضى).

[١٣١] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾، قال أبو
رافع: نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثني إلى يهودي
فقال لي: «قل له: إن رسول الله يقول لك يعني كذا
وكذا من الدقيق وأسلفني إلى هلال رجب» فأتيته
فقلت له ذلك فقال: والله لا أبيع ولا أسلفه إلا
برهن، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: والله
لئن باعني وأسلفني لفضيته وإنني لأمين في السماء
وأمين في الأرض، اذهب بدرعي الحديد إليه^(١)
فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾، لا تنظر،
﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾، أعطينا، ﴿أَزْوَاجًا﴾، أصنافاً،
﴿مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي زينتها وبهجتها، وقرأ
يعقوب زهرة بفتح الهاء وقرأ العامة بجزمها،
﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾، أي لنجعل ذلك فتنة لهم بأن أزيد
لهم النعمة فيزيدوا كفرًا وطغيانًا، ﴿وَرَزَقُ رَبِّكَ﴾،
في المعاد يعني في الجنة، ﴿حَزْرًا وَأَبْقَى﴾، قال أبي
ابن كعب: من لم يستعز بعز الله تقطعت نفسه
حسرات، ومن يتبع بصره فيما في أيدي الناس بطل
حزنه، ومن ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه
وملبسه فقد قلَّ عمله وحضر عذابه.

[١٣٢] ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾، أي قومك.
وقيل: من كان على دينك، كقوله تعالى: (وكان

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿٢﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَعْبُونَ ﴿٣﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَاءَ وَانْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ بَلْ قَالُوا أَصْغَتْ أَحْصَاهُ بَلْ أَقْرَبَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِذِرْنَا بِهِ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٦﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٩﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿١٠﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾

يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به. قال مقاتل: يحدث الله الأمر بعد الأمر. وقيل: الذكر المحدث ما قاله النبي ﷺ وبينه من السنن والمواظ على القرآن، وأضافه إلى الرب عز وجل لأنه قال بأمر الرب، ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾، يعني استمعوه لآعين لا يعتبرون ولا يتعظون.

[٣] ﴿لَاهِيَةً﴾، ساهية غافلة، (قُلُوبُهُمْ)، معرضة عن ذكر الله، وقوله: ﴿لَاهِيَةً﴾ نعت تقدم الاسم، ومن حق النعت أن يتبع الاسم في الإعراب، وإذا تقدم النعت الاسم فله حالتان: فصل ووصل، فحالته في الفصل النصب كقوله تعالى: (خشعاً أبصارهم) وفي الوصل حالة ما قبله من الإعراب كقوله: (ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها). ﴿وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعني

المقترحة فإنه كان قد أتاهاهم بآيات كثيرة، ﴿أَوَّلَم تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة وحفص عن عاصم ﴿تَأْتِيهِمْ﴾ لتأنيث البينة، وقرأ الآخرون بالياء لتقدم الفعل، لأن البينة هي البيان فرد إلى المعنى، بيينة ﴿مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾، يعني بيان ما فيها، وهو القرآن أقوى دلالة وأوضح آية. وقيل: أو لم يأتهم ما في الصحف الأولى التوراة والإنجيل وغيرهما من أنباء الأمم أنهم اقترحوا الآيات، فلما أتتهم ولم يؤمنوا بها، كيف عجلنا لهم العذاب والهلاك، فما يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك.

[١٣٤] ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾، يعني من قبل إرسال الرسول وإنزال القرآن، ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾، هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾، يدعونا، أي لقالوا يوم القيامة، ﴿فَتَتَّبِعَ عَائِنِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾، بالعذاب والذل والهوان والخزي والافتضاح.

[١٣٥] ﴿قُلْ كُلُّ مُرْتَضٍ﴾، منتظر دوائر الزمان، وذلك أن المشركين قالوا: نرتبص بمحمد حوادث الدهر، فإذا مات تخلصنا، قال الله تعالى: ﴿فَرَبِّصُوا﴾، فانتظروا، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾، إذا جاء أمر الله وقامت القيامة، ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾، المستقيم، ﴿وَمَنْ أَهْتَدَى﴾، من الضلالة نحن أم أنتم؟.

(٢١) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

[١] ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾، قيل: اللام بمعنى من، يعني اقترب من الناس (حِسَابُهُمْ)، يعني وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم، يعني يوم القيامة، نزلت في منكري البعث، ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾، عن التأهب له.

[٢] ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾،

رجالاً نوحى إليهم، ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾، يعني أهل التوراة والإنجيل يريد علماء أهل الكتاب فإنهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرًا، وإن أنكروا نبوة محمد ﷺ، وأمر المشركين بمسألتهم لأنهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي ﷺ أقرب منهم إلى تصديق من آمن به. وقال ابن زيد: أراد بالذكر القرآن فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن، ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ﴾.

[٨] ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾، أي الرسل، ﴿جَسَدًا﴾، ولم يقل أجسادًا لأنه اسم الجنس، ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾، هذا رد لقولهم: (ما لهذا الرسول يأكل الطعام)، يقول: لم نجعل الرسل ملائكة بل جعلناهم بشرًا يأكلون الطعام، ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾، في الدنيا.

[٩] ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾، الذي وعدناهم بإهلاك أعدائهم، ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾، يعني أنجينا المؤمنين الذين صدقوهم، ﴿وَأَهْلَكْنَا السُّفْرِينَ﴾، يعني المشركين المكذبين، وكل مشرك مسرف على نفسه.

[١٠] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا﴾، يا معشر قريش، ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾، يعني شرفكم، كما قال: (وإنه لذكر لك ولقومك)، وهو شرف لمن آمن به، وقال مجاهد: فيه حديثكم. وقال الحسن: فيه ذكركم أي ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

[١١] ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾، أهلكنا، والقصم الكسر، ﴿مِنْ قَرِيْبٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾، أي كافرة، يعني أهلها، ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾، يعني: أحدثنا بعد هلاك أهلها، ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾.

[١٢] ﴿فَلَمَّا أَحَسُوا بِأَسَنَّا﴾، يعني رأوا عذابنا بحاسة البصر، ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾، يعني يسرعون هاربين.

[١٣] ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾، يعني قيل لهم لا تركضوا

أشركوا، قوله: ﴿وَأَسْرُوا﴾ فعل تقدم الجمع وكان حقه وأسر، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير، أراد: الذين ظلموا أسروا النجوى. وقيل: محل الذين رفع على أسروا. قال المبرد: هذا كقولك: إن الذين في الدار انطلقوا بنو عبدالله، على البذل مما في انطلقوا.

ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، أنكروا إرسال البشر وطلبوا إرسال الملائكة، ﴿فَتَأْتَوْنَ السَّحَرِ﴾، يعني تحضرون السحر وتقبلونه، ﴿وَأَنْتُمْ تَصْرُوتُ﴾، تعلمون أنه سحر.

[٤] ﴿قَالَ﴾، لهم محمد، ﴿رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿قَالَ رَبِّ﴾، على الخبر عن محمد ﷺ، ﴿يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي لا يخفى عليه شيء، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾، لأقوالهم، ﴿الْعَلِيمُ﴾، بأفعالهم.

[٥] ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ﴾، أباطيلها وأقاويلها وأهاويلها رآها في النوم، ﴿بَلْ أَفْتَرْتُمْ﴾، اختلقه، ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾، يعني أن المشركين اقتسموا القول فيه وفيما يقوله، قال بعضهم: أضغاث أحلام. وقال بعضهم: بل هو فرية. وقال بعضهم: بل محمد شاعر وما جاءكم به شعر. ﴿فَلْيَايُنَّا﴾ محمد، ﴿يَايَا﴾، إن كان صادقًا ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ﴾، من الرسل بالآيات.

[٦] قال الله تعالى مجيبًا لهم: ﴿مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ﴾، أي قبل مشركي مكة، ﴿مِنْ قَرِيْبٍ﴾، أي من أهل قرية أتتهم الآيات، ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾، أهلكناهم بالكذب، ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾، إن جاءتهم آية، معناه: أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤ من هؤلاء.

[٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾، هذا جواب لقولهم: (هل هذا إلا بشر مثلكم) يعني إنا لم نرسل الملائكة إلى الأولين إنما أرسلنا

لا تهربوا لا تذهبوا، ﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أَتَرْتُمْ فِيهِ﴾،
يعني نعمتم به، ﴿وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُلُونَ﴾، قال ابن
عباس: عن قتل نبيكم وقيل: من دنياكم شيئاً.
[١٤] ﴿قَالُوا يَوَلَّيْنَا إِيَّانَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

[١٥] ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ﴾، أي تلك الكلمة
وهي قولهم يا ويلنا، دعاؤهم يدعون بها
ويرددونها، ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ كما يحصد
الزرع، ﴿خَمِيدِينَ﴾، ميتين.
[١٦] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

لَعِينِينَ﴾، أي عبثاً وباطلاً.
[١٧] ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾، اختلفوا في
اللهو، قال ابن عباس في رواية عطاء: اللهو ههنا
المرأة، وهو قول الحسن وقتادة، وقال في رواية
الكلبي: اللهو الولد، وهو قول السدي، وهو في
المرأة أظهر لأن الوطء يسمى لهواً في اللغة،
والمرأة محل الوطء ﴿لَا تَخَذْنَهُ مِنْ لَدُنَّا﴾، يعني من
عندنا من حور العين لا من عندكم من أهل
الأرض. وقيل: معناه لو كان جائزاً ذلك في صفته
لم يتخذه بحيث يظهر لهم بل يستر ذلك حتى لا
يطلعوا عليه، وتأويل الآية أن النصارى لما قالوا
في المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بهذا وقال:
﴿لَا تَخَذْنَهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ لأنكم تعلمون أن ولد الرجل
وزوجته يكونان عنده، لا عند غيره، ﴿إِنْ كُنَّا

فَاعِلِينَ﴾، قال قتادة ومقاتل وابن جريج: ﴿إِنْ﴾
للنفي، معناه: ما كنا فاعلين. وقيل: ﴿إِنْ كُنَّا

فَاعِلِينَ﴾ للشرط أي إن كنا ممن يفعل ذلك لاتخذناه
من لدنا، ولكننا لم نفعله لأنه لا يليق بالربوبية.
[١٨] ﴿بَلْ﴾، يعني دع ذلك الذي قالوا فإنه
كذب وباطل، ﴿نَقَذِفُ﴾، نرمي ونسلط،
﴿بِالْحَقِّ﴾، بالإيمان، ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾، على الكفر،
وقيل: الحق قول الله، فإنه لا ولد له، والباطل
قولهم اتخذ الله ولداً، ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾، يعني يهلكه،
وأصل الدمع شج الرأس حتى يبلغ الدماغ، ﴿فَإِذَا

هُوَ زَاهِقٌ﴾، ذاهب، والمعنى: أنا نبطل كذبهم بما
تبين من الحق حتى يضمحل ويذهب، ثم أوعدهم
على كذبهم فقال: ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ﴾، يا معشر
الكفار. ﴿وَمَا نَصِفُونَ﴾، الله بما لا يليق به من
الصاحبة والولد. وقال مجاهد: مما تكذبون.
[١٩] ﴿وَلَكُم مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، عبيداً
وملكاً، ﴿وَمَنْ عِنْدُكُمْ﴾، يعني الملائكة. ﴿لَا

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾، ولا يأنفون عن عبادته ولا
يتعظمون عنها، ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾، لا يعيون،
يقال: حسر واستحسر إذا تعب وأعيأ. وقال
السدي: لا ينقطعون عن العبادة.
[٢٠] ﴿يَسْتَحْسِرُونَ أَلَيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْرَءُونَ﴾، لا
يضعفون، قال كعب الأحبار: التسيح لهم كالتسفس
لبنى آدم.
[٢١] ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا﴾ استفهام بمعنى الجحد

فَاعْبُدُونِ﴾، وَّحَدُونَ.

[٢٦] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾، نزلت في خزاعة حيث قال: الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَنَهُ﴾، نزه نفسه عما قالوا، ﴿بَلْ عِبَادٌ﴾، أي هم عباد، يعني الملائكة، ﴿تُكْرَمُونَ﴾.

[٢٧] ﴿لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾، لا يتقدمونه بالقول ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم به، ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾، معناه أنهم لا يخالفونه قولاً ولا عملاً.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، أي ما عملوا وما هم عاملون. وقيل: ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، قال ابن عباس: أي إلا لمن قال: لا إله إلا الله، وقال مجاهد: أي لمن رضي عنه، ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾، خائفون لا يأمنون مكره.

[٢٩] ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِنْ دُونِهِ﴾، قال مقاتل: عني به إبليس حين دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعة نفسه، فإن أحداً من الملائكة لم يقل إنني إله من دون الله، ﴿فَذَلِكَ تَجْزِيهِ جَهَنَّمُ كَذَلِكَ تَجْزَى الظَّالِمِينَ﴾، الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها.

[٣٠] ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْبَيْنَ كَفَرُوا﴾، قرأ العامة بالواو وقرأ ابن كثير ﴿ألم ير﴾ بغير واو، وكذلك هو في مصاحفهم معناه: ألم يعلم الذين كفروا، ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كُنَّا رَتْقًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وعطاء وقتادة: كانتا شيئاً واحداً ملتزقتين، ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾، فصلنا بينهما بالهواء والرتق في اللغة السد، والفتق الشق، قال كعب: خلق الله السماوات والأرض بعضها على بعض، ثم خلق ريحاً فوسطها ففتحتها بها. قال مجاهد والسدي: كانت السماوات مرتقة طبقة واحدة ففتحتها وجعلها سبع سماوات، وكذلك الأرض كانت مرتقة طبقة واحدة ففتحتها فجعلها

أي لم يتخذوا، ﴿مِنْ أَرْضٍ﴾، يعني الأصنام من الخشب والحجارة وهما من الأرض، ﴿هُمْ يُبْشِرُونَ﴾، يحيون الأموات، ولا يستحق الإلهية إلا من يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم والإنعام بأبلغ وجوه النعم.

[٢٢] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾، يعني في السماء والأرض، ﴿إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾، يعني غير الله، ﴿لَفَسَدَتَا﴾، لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع بين الآلهة لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يعبر على النظام، ثم نزه نفسه فقال: ﴿فَسَبَّحَنَّا اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، يعني عما يصفه به المشركون من الشريك والولد.

[٢٣] ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾، ويحكم على خلقه لأنه الرب ﴿وَهُمْ يَسْأَلُونَ﴾، عن أفعالهم وأعمالهم لأنهم عبيد.

[٢٤] ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً﴾، استفهام إنكار وتوبيخ، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾، يعني حجتكم على ذلك، ثم قال مستأنفاً، ﴿هَذَا﴾، يعني القرآن. ﴿ذِكْرٌ مِّنْ مَّوْعٍ﴾، فيه خبر من معي على ديني ومن تبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. ﴿وَذِكْرٌ﴾، خبر، ﴿مِّنْ قَبْلِي﴾، من الأمم السالفة ما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة. وعن ابن عباس في رواية عطاء: ذكر من معي: القرآن، وذكر من قبلي: التوراة والإنجيل، ومعناه: راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها أن الله اتخذ ولداً، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾، فهم مُعْرِضُونَ.

[٢٥] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم نوحى إليه بالنون وكسر الحاء على التعظيم، لقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول، ﴿أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾

سبع أرضين. قال عكرمة وعطية: كانت السماء رتقا لا تمطر والأرض رتقا لا تثبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات، وإنما قال: ﴿رَتَقًا﴾ على التوحيد وهو من نعت السماوات والأرض لأنه مصدر وضع موضع الاسم، مثل الزور والصوم ونحوهما، ﴿وَجَعَلْنَا﴾، وخلقنا، ﴿مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، أي أحينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء حي أي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر، يعني أنه سبب حياة كل شيء. والمفسرون يقولون: يعني أن كل شيء حي فهو مخلوق من الماء. لقوله تعالى: (والله خلق كل دابة من ماء)، قال أبو العالية: يعني النطفة، فإن قيل: قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء؟ قيل: هذا على وجه التكثير، يعني أن أكثر الأحياء في الأرض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء، ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٣١] ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾، أي جبالا ثوابت، ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾، لئلا تميد بهم، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾، في الرواسي، ﴿فِجَاجًا﴾، طرقا ومسالك، والفج الطريق الواسع بين الجبلين، أي جعلنا بين الجبال طرقا كي يهتدوا إلى مقاصدهم، ﴿سُبُلًا﴾، تفسير للفجاج، ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

[٣٢] ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾، من أن تسقط، دليله قوله تعالى: (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه)، وقيل: محفوظا من الشياطين بالشهب، دليله قوله تعالى: (وحفظناها من كل شيطان رجيم)، ﴿وَهُمْ﴾، يعني الكفار، ﴿عَنِ آيَاتِهَا﴾، أي عن ما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وغيرها، ﴿مُعْرَضُونَ﴾، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

[٣٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، يجرؤون ويسيرون بسرعة كالسباح في الماء، وإنما قال: ﴿يُسَبِّحُونَ﴾، ولم

٣٢٤ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٣٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٣٦﴾ لَا يَسْخَفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَذِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتْ رَتْقًا فَفَفَقَنْهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ ﴿٤٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ أَفَاقِينَ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٤٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَوْكُمْ بِالْبَشْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٤٥﴾

يقول تسبح على ما يقال لما لا يعقل لأنه ذكر عنها فعل العقلاء من الجري والسبح، فذكر على ما يعقل، والفلك مدار النجوم الذي يضمها، والفلك في كلام العرب كل شيء مستدير وجمعه أفلاك، ومنه فلكة المغزل، وقال الحسن: الفلك طاحونة كهية فلكة المغزل، يريد أن الذي يجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة. قال الضحاك: فلكها مجراها وسرعة سيرها. قال مجاهد: كهية حديد الرحي. وقال بعضهم: الفلك السماء الذي فيه ذلك الكوكب، فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه، وهو معنى قول قتادة وقال الكلبي: الفلك استدارة السماء. وقال آخرون: الفلك موج مكفوف دون السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم.

[٣٤] قوله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّمْسِ مِنْ قَبْلِكَ

الْخَالِدُونَ، دوام البقاء في الدنيا، ﴿أَفَايُن مِتَ فَهُمْ
الْخَالِدُونَ﴾، أي أفهم الخالدون إن مت، قيل:
نزلت هذه الآية حين قالوا: نترصب بمحمد ريب
المنون.

[٣٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ﴾،
نختبركم ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾، بالشدة والرخاء والصحة
والسقم والغنى والفقر، وقيل: بما تحبون وما
تكرهون، ﴿وَفِتْنَةً﴾، ابتلاء لننظر كيف شكرتم
فيما تحبون، وصبركم فيما تكرهون، ﴿وَإِنَّا
نُرِجُّوهُمْ﴾.

[٣٦] ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
يَتَّخِذُونَكَ﴾، ما يتخذونك، ﴿إِلَّا هُزُوا﴾، سخريًا،
قال السدي: نزلت في أبي جهل مر به النبي ﷺ
فضحك، وقال: هذا نبي بني عبد مناف، ﴿أَهَذَا
الَّذِي﴾، أي يقول بعضهم لبعض: أهذا الذي
﴿يَذْكُرُ إِلَهُكُمْ﴾، أي يعيها، يقال: فلان
يذكر فلانًا أي يعيه، وفلان يذكر الله أي يعظمه
ويُجِلُّه، ﴿وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾،
وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا
مسيلمه، و﴿هُمْ﴾ الثانية صلة.

[٣٧] ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾، اختلفوا فيه،
فقال قوم: معناه أن بنيته وخلقته من العجلة وعليها
طبع، كما قال الله تعالى: (وكان الإنسان عجولاً)
والمراد بالإنسان آدم، وأورث أولاده العجلة،
والعرب تقول للذي يكثر منه الشيء: خلقت منه،
كما يقول: خلقت من تعب وخلقت من غضب،
تريد المبالغة في وصفه بذلك، يدل على هذا قوله
تعالى: (وكان الإنسان عجولاً)، وقال قوم: معناه
خلق الإنسان يعني آدم من تعجيل في خلق الله إياه،
لأن خلقه كان بعد خلق كل شيء في آخر النهار يوم
الجمعة، فأُسرع في خلقه قبل مغيب الشمس
﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾، هذا خطاب
للمشركين، نزل هذا في المشركين كانوا يستعجلون

٣٢٥
وَأِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوا
أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ
هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ
آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا
هُمْ يُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَسْرَيْنَا
بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ
الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ
لَهُمُ إِلَهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَنَعْنَا هَمُوزَ
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي
الْأَرْضَ نَنْفَعُهَا مَنْ أُمْرَاقُهَا أَفَهُمُ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

بالعذاب ويقولون أمطر علينا حجارة من السماء:
وقيل: نزلت في النضر بن الحارث، فقال تعالى:
﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ أي مواعيدي فلا تستعجلون، أي
فلا تطلبوا العذاب من وقته، فأراهم يوم بدر،
وقيل: كانوا يستعجلون القيامة.

[٣٨، ٣٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ﴾، فقال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
لَا يَكْفُرُونَ﴾، لا يدفعون ﴿عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا
عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾، قيل: ولا عن ظهورهم الشياطين،
﴿وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ﴾، يمنعون من العذاب، وجواب
لو في قوله: (لو يعلم الذين) محذوف معناه: ولو
علموا لما أقاموا على كفرهم، ولما استعجلوا،
ولا قالوا متى هذا الوعد.

[٤٠] ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾، يعني الساعة ﴿بَغْتَةً﴾،
فجأة، ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾، أي تحيرهم، يقال: فلان

مبهوت أي متحير، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾، يمهلون.

[٤١] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي جزاء استهزائهم.

[٤٢] ﴿قُلْ مَن يَكُونُكُمْ﴾، يحفظكم، ﴿بِالَّذِي وَأَلْمَحَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾، إن أنزل بكم عذابه، وقال ابن عباس: من يمنعكم من عذاب الرحمن، ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾، عن القرآن ومواعظ الله، ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ﴾، أي: صلة فيه، وفي أمثاله ﴿ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم، ثم وصف الآلهة بالضعف، فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾، منع أنفسهم، فكيف ينصرون عابديهم، ﴿وَلَا هُمْ مِّنَّا يَصْحَبُونَ﴾، قال ابن عباس: يمنعون. وقال عطية: عنه يجارون، تقول العرب: أنا لك جار وصاحب من فلان، أي مجير منه. وقال مجاهد: ينصرون ويحفظون. وقال قتادة: لا يصحبون من الله بخير.

[٤٤] ﴿بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءَ﴾، الكفار، ﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾، في الدنيا أي أمهلتناهم. وقيل: أعطيناهم النعمة، ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾، أي امتد بهم الزمان فاغثروا، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِمَّنْ أُطْرَافُهَا﴾، أي ما نقص من أطراف المشركين ونزيد في أطراف المؤمنين، يريد ظهور النبي ﷺ وفتح ديار الشرك أرضاً فأرضاً، ﴿أَفَهُمْ الْغَافِلُونَ﴾، أم نحن.

[٤٥] ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾، أي أخوفكم بالقرآن، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾، قرأ ابن عباس رضي الله عنهما بالتاء وضمها وكسر الميم، (الصُّمُّ) نصباً، جعل الخطاب للنبي ﷺ، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها وفتح الميم، (الصُّمُّ) رفع،

﴿إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾، يخوفون.

[٤٦] ﴿وَلَمَّا مَسَّتْهُمُ﴾، أصابتهم ﴿نَفْحَةٌ﴾،

قال ابن عباس رضي الله عنهما طرف. وقيل: قليل. وقال ابن جريج: نصيب، من قولهم نفح فلان لفلان من ماله أي أعطاه حظاً ونصيباً منه.

وقيل: ضربة من قولهم نفحت الدابة برجلها إذا ضربت بها، ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَلَّىٰٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، أي ياهلاكنا إِنَّا كُنَّا مشركين، دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقروا بالشرك.

[٤٧] ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾، أي ذوات القسط

والقسط العدل، ﴿لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾، أي: لا تنقص من ثواب حسناتها ولا يزداد على سيئاتها ﴿وَإِن كَانَ﴾، الشيء، ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾، أي زنة مثقال حبة. ﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾، قرأ أهل المدينة (مثقال) برفع اللام هاهنا وفي سورة لقمان يعني: وإن وقع مثقال حبة من خردل ونصبها الآخرون على معنى وإن كان ذلك الشيء مثقال حبة من خردل، ﴿أَلَيْنَا بِهَا﴾ أحضرناها لنجازي بها، ﴿وَكُنَّا بِمَا حَسِبْتُمْ﴾، قال السدي: مُحْصِينَ، والحسب معناه: العد، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: عالمين حافظين، لأن من حسب شيئاً علمه وحفظه.

[٤٨] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾، يعني

الكتاب المفروق بين الحق والباطل، وهو التوراة. وقال ابن زيد: الفرقان النصر على الأعداء، كما قال الله تعالى: (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان)، يعني يوم بدر لأنه قال ﴿وَضِيكُ﴾، أدخل الواو فيه أي آتينا موسى النصر والضياء، وهو التوراة. ومن قال: المراد بالفرقان التوراة، قال: الواو في قوله: ﴿وَضِيكُ﴾، زائدة مقحمة، معناه: آتيناه التوراة ضياء، وقيل: هو صفة أخرى للتوراة، ﴿وَذِكْرًا﴾، تذكيراً، ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

[٤٩] ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾، أي

يخافونه ولم يروه، ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ شَقِيقُونَ﴾، خائفون.

[٥٠] ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ﴾، يعني القرآن وهو ذكر لمن تذكر به، مبارك لمن يتبرك به ويطلب منه الخير، ﴿أَنزَلْنَاهُ أَفْأَنْتُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿لَمْ تُكْرُوا﴾، جاحدون، هذا استفهام توبيخ وتعبير.

[٥١] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾، قال القرطبي: أي صلاحه، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، يعني من قبل موسى وهارون، وقال المفسرون: رشده من قبل، أي هداه من قبل البلوغ، وهو حين خرج من السرب وهو صغير، يريد هديناه صغيراً كما قال تعالى ليحيى عليه السلام: (وَمَا آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) ﴿رُكِّنَّا بِهِ عَلَيْنِ﴾، أنه أهل للهداية والنبوة. [٥٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾، أي الصور، يعني الأصنام ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾، يعني على عبادتها مقيمون.

[٥٣] ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾، فافتدينا

بهم.

[٥٤] ﴿قَالَ﴾، إبراهيم، ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، خطأ بين عبادتكم إياها. [٥٥] ﴿قَالُوا أَجِئْتَ بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾،

يعنون أجاد أنت فيما تقول أم لاعب؟

[٥٦] ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾، خلقهن، ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، يعني على أنه الإله الذي لا يستحق العبادة غيره. وقيل: من الشاهدين على أنه خالق السموات والأرض.

[٥٧] ﴿وَتَاللَّهِ لَا كِيدَ لَأَصْنَمِكُمْ﴾، لأمركن بها، ﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾، يعني بعد أن تدبروا منطلقين إلى عيدكم.

[٥٨] ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا﴾، قرأ الكسائي ﴿جُدًا﴾ بكسر الجيم أي كسراً وقطعاً جمع جديذ، وهو الهشم مثل خفيف وخفاف، وقرأ الآخرون بضمها،

سورة الأنبياء

٣٢٦

سورة الأنبياء

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُبْرَأُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٦٠﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ شَقِيقُونَ ﴿٦٣﴾ وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنزَلْنَاهُ أَفْأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٦٥﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٦٧﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَجِئْتَ بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٦٩﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٧٠﴾ وَتَاللَّهِ لَا كِيدَ لَأَصْنَمِكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٧١﴾

مثل الحطام والرفات، ﴿إِلَّا كِبَرًا لَّهُمْ﴾، فإنه لم يكسره ووضع الفأس في عنقه، وقيل: ربطه بيده وكانت اثنين وسبعين صنماً بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وشبة وخشب وحجر، وكان الصنم الكبير من الذهب مكللاً بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان. قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، قيل: معناه لعلهم يرجعون إلى دينه وإلى ما يدعوههم إليه إذا علموا ضعف الآلهة وعجزها، وقيل: لعلهم إليه يرجعون فيسألونه، فلما رجع القوم من عيدهم إلى بيت آلهتهم ورأوا أصنامهم جُوداً.

[٥٩] ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، يعني من المجرمين.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ يعني الذين سمعوا قول إبراهيم وتالله لأکیدن أصنامكم، ﴿سَمِعْنَا فَقَدْ يَذْكُرُهُمْ﴾،

يعيهم ويسبهم، ﴿يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ﴾، وهو الذي نطن أنه صنع هذا، فبلغ ذلك نمرود الجبار وأشرف قومه.

[٦١] ﴿قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ﴾، قاله نمرود يقول: جيئوا به ظاهرًا بمرأى من الناس، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾، عليه أنه الذي فعله، كرهوا أن يأخذوه بغير بينة، قاله الحسن وقتادة والسدي، وقال محمد ابن إسحاق: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي يحضرون عقابه وما يصنع به فلما أتوا به.

[٦٢] ﴿قَالُوا﴾، له ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يٰأَهْلِنَا يٰأَبْرَاهِيمُ﴾.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾، إبراهيم، ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، غضب من أن يعبد معه الصغار وهو أكبر منها فكسره، وأراد بذلك إبراهيم إقامة الحجة عليهم، فذلك قوله: ﴿فَسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾، حتى يخبروا من فعل ذلك بهم. قال القتيبي: معناه بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون على سبيل الشرط فجعل النطق شرطًا للفعل أي إن قدروا على النطق قدروا على الفعل، فأراهم عجزهم عن النطق، وفي ضميره أنا فعلت.

[٦٤] ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾، أي تفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى عقولهم، ﴿فَقَالُوا﴾، ما نراه إلا كما قال، ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ﴾، يعني بعبادتكم من لا يتكلم. وقيل: أنتم الظالمون هذا الرجل سؤالكم إياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها.

[٦٥] ﴿ثُمَّ نَكُسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾، قال أهل التفسير: أجرى الله الحق على لسانهم في القول الأول ثم أدركتهم الشقاوة، فهو معنى قوله: ﴿ثُمَّ نَكُسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم، يقال: نكس المريض إذا رجع إلى حالته الأولى، وقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾، فكيف نسألهم؟ فلما اتجهت

٢٢٧ ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كِبْرَهُمْ إِلَيْهِمْ يُرْجَعُونَ﴾
﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يٰأَبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكُسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَلَمْ يَكُ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

الحجة لإبراهيم عليه السلام.
[٦٦] ﴿قَالَ﴾، لهم، ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾، إن عبدتموه، ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾، إن تركتم عبادته.

[٦٧] ﴿أَلَمْ يَكُ لَكُمْ﴾، يعني تباً وقدرًا لكم، ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾، يعني أليس لكم عقل تعرفون به هذا، فلما لزمتمهم الحجة وعجزوا عن الجواب.

[٦٨] ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾، يعني إن كنتم ناصرين لها.
[٦٩] قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، قال ابن عباس لو لم يقل سلامًا لمات إبراهيم من بردها.

[٧٠] قوله: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾، قيل: معناه أنهم خسروا السعي والنفقة

المنكرات، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ﴾.
 [٧٥] ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.
 [٧٦] ﴿وَتُومًا إِذْ نَادَى﴾، دعا، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾،
 يعني من قبل إبراهيم ولوط، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَجَئْنَاهُ
 وَاهْلَئِهِ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾، قال ابن عباس:
 من الغرق وتكذيب قومه. وقيل: لأنه كان أطول
 الأنبياء عمراً وأشدّهم بلاء والكرب أشد الغم.
 [٧٧] ﴿وَنَصَرْنَاهُ﴾، منعناه، ﴿مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ
 كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾، أن يصلوا إليه بسوء. وقال أبو
 عبيدة: يعني على القوم، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ
 فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٧٨] قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي
 الْحَرْثِ﴾، اختلفوا في الحرث، قال ابن مسعود وابن
 عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين: كان
 الحرث كرمًا قد تدلّت عناقيده. وقال قتادة: كان
 زرعًا، ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ﴾، يعني رعته ليلاً
 فأفسدته، والنفس الرعي بالليل والهمل بالنهار
 وهما الرعي بلا راع، ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾،
 يعني كان ذلك بعلمنا وبمرأى ممّا لا يخفى علينا
 علمه، قال ابن عباس وقتادة والزهري: وذلك أن
 رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب زرع
 والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الزرع إن هذا
 انفلتت غنمه ليلاً ووقعت في حرثي فأفسدته فلم يبق
 منه شيء، فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث،
 فخرجا فمرا على سليمان فقال: كيف قضى
 بينكما؟ فأخبراه، فقال سليمان: لو وليت أمرهما
 لقضيت بغير هذا فأخير بذلك داود فدعاه فقال:
 كيف تقضي؟ قال: أدفع الغنم إلى صاحب الحرث
 ينتفع بدها ونسلها وصوفها ومنافعها ويبذر
 صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا
 صار الحرث كهية يوم أكل دفع إلى أهله وأخذ
 صاحب الغنم غنمه، فقال داود: القضاء ما قضيت
 وحكم بذلك.

ولم يحصل لهم مرادهم، وقيل: معناه إن الله عزّ
 وجلّ أرسل على نمروذ وأهله البعوض فأكلت
 لحومهم وشربت دماءهم ودخلت واحدة في دماغه
 فأهلكته.

[٧١] قوله: ﴿وَجَئْنَاهُ وَلُوطًا﴾، من نمروذ
 وقومه من أرض العراق، ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا
 لِلْعَالَمِينَ﴾، يعني الشام بارك الله فيها بالخصب
 وكثرة الأشجار والثمار والأنهار، ومنها بعث أكثر
 الأنبياء. خرج من كوثي من أرض العراق مهاجرًا
 إلى ربه، ومعه لوط وسارة، كما قال الله تعالى:
 (فَأَمْنٌ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي) فخرج
 يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه.

[٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾، قال
 مجاهد وعطاء: معنى النافلة: العطية وهما جميعًا
 من عطاء الله نافلة يعني عطاء، قال الحسن
 والضحاك: فضلًا. وعن ابن عباس وأبي بن كعب
 وابن زيد وقتادة رضي الله عنهم: النافلة هو يعقوب
 لأن الله عزّ وجلّ أعطاه إسحاق بدعائه حيث قال:
 (هب لي من الصالحين)، وزاد يعقوب وهو ولد
 الولد، والنافلة الزيادة، ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾،
 يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

[٧٣] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، يقتدى
 بهم في الخيرات يهدون بأمرنا يدعون الناس إلى
 ديننا، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾؛ يعني
 العمل بالشرائع، ﴿وَلِقَامَ الصَّلَاةِ﴾، يعني
 المحافظة عليها، ﴿وَأِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾، إعطاءها،
 ﴿وَكَاوُنَا عَبْدِينَ﴾، موحدين.

[٧٤] ﴿وَلُوطًا ءَايَيْنَاهُ﴾، يعني وآتيناه لوطًا،
 وقيل: واذكر لوطًا آتيناه، ﴿حُكْمًا﴾، يعني الفصل
 بين الخصوم بالحق، ﴿وَعِلْمًا﴾، ﴿وَجَئْنَاهُ مِنَ
 الْقَرْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبْثِثَ﴾، يعني سدومًا
 وكان أهلها يأتون الذكران في أدبارهم ويتضارطون
 في أنديتهم مع أشياء آخر، كانوا يعملونها من

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٩﴾ وَلَوْ طَآءَ أَيْمَنُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَخِيتُهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ فَسَقِينَ ﴿٨٠﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨١﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٨٢﴾ وَنَضَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ فَاعْرِفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٣﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٨٤﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّاءَ آيِنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٨٥﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٦﴾ وَسَلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَانَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨٧﴾

[٧٩] قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾، أي علمناه القضية وألهمناها سليمان، ﴿وَكَلَّاءَ﴾، يعني داود وسليمان، ﴿وَآيِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد أهلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود ف قضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان وأخبرتاها فقال: اثنوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله فهو ابنها ف قضى به للصغرى»^(١) قوله تعالى: ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾، أي وسخرنا الجبال والطير يسبحن مع داود إذا سبح، قال ابن عباس: كان يفهم تسييح الحجر والشجر. وقال وهب: كانت الجبال تجاوبه بالتسييح وكذلك الطير. وقال قتادة: يسبحن أي يصلين معه إذا صلى. وقيل: كان داود إذا فتر يسمعه الله تسييح الجبال والطير لينشط في التسييح ويشتاقي إليه. ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾، ما ذكر من التفهيم وإيتاء الحكم والتسخير.

[٨٠] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾، المراد باللبوس هنا الدروع لأنها تلبس وهو في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الأسلحة كلها، وهو بمعنى الملبوس كالجلوس والركوب، قال قتادة: أول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود وكانت من قبل صفائح والدرع يجمع الخفة والحصانة، ﴿لِنُحْصِنَكُمْ﴾، لتحرككم وتمنعكم، ﴿بِزِ بَأْسِكُمْ﴾، أي من حرب عدوكم، قال السدي: من وقع السلاح فيكم وقيل: ليحصنكم الله ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾، يقول لداود وأهل بيته. وقيل: يقول لأهل مكة: فهل أنتم شاكرون نعمي بطاعة الرسول.

[٨١] ﴿وَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾، أي وسخرنا لسليمان الريح وهي هواء متحرك وهم جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه، ويظهر للحسن بحركته، والريح يذكر ويؤنث، عاصفة شديدة الهبوب، فإن قيل: قد قال في موضع آخر تجري بأمره رخاء والرخاء اللين؟ قيل: كانت الريح تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدت، وإن أراد أن تلين لانت، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَانَا فِيهَا﴾، يعني الشام وذلك أنها كانت تجري لسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان ثم يعود إلى منزله بالشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾، علمناه، ﴿عَلِيمِينَ﴾، بصحة التدبير فيه أي علمنا أن ما يعطى سليمان من

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء ٤٥٨/٦ ومسلم في الأفضية رقم (١٧٢٠) ٣/١٣٤٣.

أظهر الشكوى والجزع، بقوله: ﴿أَنِّي مَسْنِيَ الضَّرِّ﴾ (وإني مسني الشيطان بنصب)، قيل: ليس هذا شكاية إنما هو دعاء بدليل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَكَ﴾، على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق فأما الشكوى إلى الله عز وجل فلا يكون جزعاً ولا ترك صبراً كما قال يعقوب: (إنما أشكو بني وحزني إلى الله). قال سفيان بن عيينة: وكذلك من أظهر الشكوى إلى الناس وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزعاً كما روي أن جبريل دخل على النبي ﷺ في مرضه فقال: كيف تجدك؟ قال: «أجدني مغموماً وأجدني مكروباً»^(١). وقال لعائشة حين قالت وارأساه: «قال: بل أنا وارأساه»^(٢).

[٨٤] قوله: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَكَ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾، واختلفوا في ذلك فقال ابن مسعود وقتادة وابن عباس والحسن وأكثر المفسرين: رد الله عز وجل إليه أهله وأولاده بأعيانهم أحياهم الله وأعطاه مثلهم معهم، وهو ظاهر القرآن: قال الحسن: آتاه الله المثل من نسل ماله الذي رد الله إليه وأهله، يدل عليه ما روي عن الضحاك عن ابن عباس: أن الله عز وجل رد إلى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكراً. قال عكرمة: قيل لأيوب: إن أهلك لك في الآخرة فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا وإن شئت كانوا لك في الآخرة، وآتيناك مثلهم في الدنيا فقال: يكونون لي في الآخرة، وأوتى مثلهم في الدنيا، فعلى هذا يكون معنى الآية: وآتيناه أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالأهل الأولاد، ﴿رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا﴾، أي نعمة من عندنا، ﴿وَذِكْرَى لِّلَّذِينَ﴾، أي عظة وعبرة لهم.

تسخير الريح وغيره يدعوهُ إلى الخضوع لربه عز وجل.

[٨٢] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ﴾، يعني وسخرنا له من الشياطين، ﴿مَنْ يَعُودُونَ لَكَ﴾، يعني يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر، ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾، يعني دون الغوص وهو ما ذكر الله عز وجل: (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل) الآية. ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَكِيمِينَ﴾، حتى لا يخرجوا من أمره. وقال الزجاج: معناه حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾، يعني دعا ربه، واختلفوا في وقت نداءه والسبب الذي قال لأجله: أي مسني الضر وفي مدة بلائه، فروى ابن شهاب عن أنس يرفعه أن أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة. وقال وهب: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين لم يزد يوماً. وقال كعب: كان أيوب في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبع أيام. وقال الحسن: مكث أيوب مطروحاً على كناسة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرًا تختلف فيه الدواب لا يقربه أحد غير امرأته رحمة صبرت معه بصدق وتأتيه بطعام وتحمد الله معه إذا حمد، وأيوب مع ذلك لا يفر عن ذكر الله والصبر على ما ابتلاه به فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خرَّ ساجداً لله وقال: رب ﴿أَنِّي مَسْنِيَ الضَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فقيل له: ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاعتسل منها فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سقط وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان، ثم ركض برجله ركضة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج فقام صحيحاً وكسى حلة قال: فجعل يلتفت فلا يرى شيئاً مما كان له من أهل ومال إلا وقد ضاعفه الله فإن قيل: إن الله سماه صابراً وقد

(١) قطعة من حديث طويل أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٣٩/٣ قال الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه عبد الله ابن ميمون القداح وهو ذاهب الحديث. (٢) أخرجه البخاري في المرضى ١٢٣/١٠.

العوفي عن ابن عباس يقال: قدر الله الشيء تقديرًا وقدر يقدر قدرًا بمعنى واحد، ومنه قوله: (نحن قدرنا بينكم الموت) في قراءة من خففها دليل هذا التأويل قراءة عمر بن عبد العزيز والزهري: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ بالتشديد، وقال عطاء وكثير من العلماء: معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس، كقوله تعالى: (الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر)، أي يضيق. وقال ابن زيد: هو استفهام معناه فظن أنه يُعجز ربّه، فلا يقدر عليه. وقرأ يعقوب يقدر بضم الياء على المجهول خفيف ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، يعني ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت، ورؤي عن أبي هريرة مرفوعًا: أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحمًا ولا تكسر له عظمًا فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر، فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسًا فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله إليه أن هذا تسبيح دواب البحر، قال: فسيح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه. فقالوا: يا ربنا نسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غريبة. وفي رواية: صوتًا معروفًا من مكان مجهول، فقال: ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت، فقالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال: نعم فشفعوا له، عند ذلك فأمر الحوت فقذفه إلى الساحل، كما قال الله تعالى: (فنبذناه بالراء وهو سقيم).

[٨٨] فذلك قوله عز وجل: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾، أي أجبناه، ﴿وَوَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾، من تلك الظلمات ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، من كل كرب إذا دعونا واستغاثوا بنا واختلفوا في أن رسالة يونس بن متى متى كانت؟ فروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: أنها كانت بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت، بدليل أن الله عز وجل ذكره في سورة

[٨٥] قوله: ﴿وَاسْمِعِلْ﴾، يعني ابن إبراهيم، ﴿وَإِذْ رِيسَ﴾، وهو أخنوخ، ﴿وَذَا الْكِفْلِ كُلُّ مِّنَ الصَّدِيقِينَ﴾، على أمر الله، واختلفوا في ذا الكفل، فقال عطاء: إن نبيًا من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه إني أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني إسرائيل فمن تكفل لك أن يصلي بالليل ولا يفتر ويصوم بالنهار ولا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا فتكفل، ووفى به فشكر الله له ونبأه فسمي ذا الكفل وقيل: إن ذا الكفل رجل كفل أن يصلي كل ليلة مائة ركعة إلى أن يقبضه الله فوفى به، واختلفوا في أنه كان نبيًا، فقال بعضهم: كان نبيًا. وقيل: هو إلياس. وقيل: زكريا. وقال أبو موسى: لم يكن نبيًا ولكن كان عبدًا صالحًا.

[٨٦] ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾، يعني ما أنعم به عليهم في الدنيا من النبوة وصيرهم إليه في الجنة من الثواب، ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[٨٧] ﴿وَذَا التُّورِ﴾، أي اذكر صاحب الحوت وهو يونس بن متى، ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا﴾ والمغاضبة ههنا من المفاعلة التي تكون من واحد، كالمسافر والمعاوبة، فمعنى قوله مغاضبًا أي غضبان. وقال الحسن: إنما غاضب ربّه عز وجل من أجل أنه أمره بالمسير إلى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم إليه فسأل ربّه أن ينظره ليتأهب للشخص إلى بهم، فقيل له إن الأمر أسرع من ذلك حتى سأل أن ينظر إلى أن يأخذ نعلًا يلبسها فلم ينظر، وكان في خلقه ضيق فذهب مغاضبًا. وعن ابن عباس، قال: أتى جبريل يونس فقال: انطلق إلى أهل نينوى فأنذرهم، فقال: ألتمس دابة، قال: الأمر أعجل من ذلك فغضب فانطلق إلى السفينة ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، أي لن نقضي عليه العقوبة، قاله مجاهد وقادة والضحاك والكلبي، وهو رواية

الصفات، (فنبذناه بالعراء)، ثم ذكر بعده: (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون)، وقال الآخرون: إنها كانت من قبل بدليل قوله تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين هـ) إذ أبق إلى الفلك المشحون).

[٨٩] قوله عز وجل: ﴿وَرَزَكْنَاهُ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾، أي دعا ربه، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾، وحيدًا لا ولد لي وارزقني وارثًا، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾، أثنى على الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق وأنه أفضل من بقي حيًا.

[٩٠] ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ﴾، ولدا ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾، أي جعلناها ولودًا بعد ما كانت عقيمًا، قاله أكثر المفسرين، وقال بعضهم: كانت سيئة الخلق فأصلحها الله له بأن رزقها حسن الخلق. ﴿إِنَّهُمْ﴾ الأنبياء، يعني الأنبياء الذين سمّاهم في هذه السورة ﴿كَانُوا يَسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغَبًا﴾، طمعًا ﴿وَرَهْبًا﴾، خوفًا، رغبًا في رحمة الله، ورهبًا من عذاب الله، ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾، أي متواضعين، قال قتادة: ذللاً لأمر الله. قال مجاهد: الخشوع هو الخوف اللازم في القلب.

[٩١] ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَزَحْجَهَا﴾، حفظت من الحرام وأراد مريم بنت عمران، ﴿فَفَخَّخْنَا فِيهَا مِنْ زَوْجِنَا﴾، أي أمرنا جبرائيل حتى نفخ في جيب درعها، وأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها، وأضاف الروح إليه تشريقاً لعيسى عليه السلام، ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، أي دلالة على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب ولم يقل آيتين وهما آيتان لأن معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية ولأن الآية كانت فيهما واحدة، وهي أنها أتت به من غير فعل.

[٩٢] قوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾، أي ملتكم ودينكم، ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، أي دينًا واحدًا وهو

وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُّ لَهُ، وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٩﴾ وَأَتُوبُكَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٠﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ وَاسْمِعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩٣﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَبًا فَقَظْنَا أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٥﴾ وَرَزَكْنَاهُ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٩٦﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٧﴾

الإسلام، فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان، وأصل الأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماع أهلها على مقصد واحد ونصب أمة على القطع. ﴿وَأَنَّا رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُونِ﴾.

[٩٣] ﴿وَنَقَطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾، أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقًا وأحزابًا، قال الكلبي: فرقوا دينهم بينهم يلعن بعضهم بعضًا ويبتراء بعضهم من بعض، والتقطع ههنا بمعنى التقطيع، ﴿كُلُّ إِلَهَاتِنَا رَجُوعٌ﴾، فنجزهم بأعمالهم.

[٩٤] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾، لا يُجحد ولا يبطل عمله سعيه بل يُشكر ويُثاب عليه، ﴿وَإِنَّا لَهُمْ كَاتِبُونَ﴾، لعمله حافظون، وقيل: معنى الشكر من الله المجازاة، ومعنى الكفران ترك المجازاة.

[٩٥] ﴿وَحَرَّمْ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ قال ابن عباس: معنى الآية وحرام على قرية أي أهل قرية، ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾، أن يرجعوا بعد الهلاك، فعلى هذا تكون ﴿لَا﴾ صلة، وقال آخرون: الحرام بمعنى الواجب، فعلى هذا تكون ﴿لَا﴾ ثابتة معناه واجب على أهل قرية أهلكناهم ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، إلى الدنيا، وقال الزجاج: معناه حرام على أهل قرية أهلكناهم أي حكمنا بهلاكهم أن يتقبل أعمالهم لأنهم لا يرجعون أي لا يتوبون، والدليل على هذا المعنى أنه قال في الآية التي قبلها: فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه أي يتقبل عمله، ثم ذكر هذه الآية عقيبه وبين أن الكافر لا يتقبل عمله.

[٩٦] قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا فُتِحَتْ﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: (فُتِحَتْ) بالتشديد على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف، ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾، يريد فتح السد عن يأجوج، ﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، أي نشز وتل، والحذب المكان المرتفع، ﴿يَنْسِلُونَ﴾، يسرعون النزول من الآكام والتلال كسلان الذئب، وهو سرعة مشيه، واختلفوا في هذه الكناية، فقال قوم: عنى بها يأجوج ومأجوج وقال قوم: أراد جميع الخلق يعني أنهم يخرجون من قبورهم.

[٩٧] قوله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾، يعني القيامة، قال الفراء وجماعة: الواو في قوله واقترب مقحمة فمعناه حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق وقال قوم: لا يجوز طرح الواو، وجعلوا جواب حتى إذا فتحت في قوله يا ويلنا، فيكون مجاز الآية: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق، قالوا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا. قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وفي قوله هي ثلاثة أوجه: أحدها: أنها كناية عن الإبصار، ثم أظهر

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٦﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلْسَانٍ جَعُولٌ ﴿٩٧﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ ﴿٩٨﴾ وَحَرَّمْ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٩﴾ حَقَّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿١٠٠﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَكَ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٠١﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَوْ كُنَّا هُنَّ أَلْهَاءٌ مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠٥﴾

الإبصار بياناً معناه فإذا الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا. والثاني: أن هي تكون عمداً كقوله: (فإنها لا تعمى الأبصار)، والثالث: أن يكون تمام الكلام عند قوله: ﴿هِيَ﴾، على معنى فإذا هي بارزة يعني من قربها كأنها حاضرة، ثم ابتداء: ﴿شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، على تقديم الخبر على الابتداء، مجازها: أبصار الذين كفروا شاخصة. قال الكلبي شخست أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله، يقولون: ﴿يُنَادُونَكَ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾، اليوم، ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، بوضعنا العبادة في غير موضعها.

[٩٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، يعني الأصنام، ﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾، يعني وقودها. وقال مجاهد وقتادة: حطبها، والحصب في لغة أهل اليمن الحطب. وقال

عُكْرَمَة: هذا الحطب بلغة الحبشة. قال الضحاك: يعني يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصب. وأصل الحصب المرمي، قال الله عز وجل: (أرسلنا عليهم حاصباً) أي ريحاً ترميهم بحجارة، وقرأ علي بن أبي طالب: حطب جهنم، ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾، أي فيها داخلون.

[٩٩] ﴿لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ﴾، يعني الأصنام، ﴿إِلَٰهَةً﴾ على الحقيقة، ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾، أي ما دخل عابدها النار، ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، يعني العابد والمعبودين.

[١٠٠، ١٠١] ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ، قال بعض أهل العلم: إن ههنا بمعنى إلا معناه: إلا الذين سبق لهم منا الحسنى، يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة، ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾، قيل: الآية عامة في كل من سبق لهم من الله السعادة. وقال أكثر المفسرين: عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبد كاره.

[١٠٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَاسِيسَهَا﴾، يعني صوتها وحركة تلجها إذا نزلوا منازلهم في الجنة، والحسن والحسيس الصوت الخفي، ﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾، مقيمون كما قال: (وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين).

[١٠٣] ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾، قال ابن عباس: الفزع الأكبر النفخة الأخيرة بدليل قوله عز وجل: (ونفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض)، قال الحسن: حين يذبح الموت ويُنَادِي: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. وقال سعيد بن جبير والضحاك: هو أن تطبق عليهم جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرج. ﴿وَنُلْقَاهُمْ آلَمَ الْيَكَّةُ﴾، أي تستقبلهم الملائكة على أبواب

الجنة يهنؤونهم، ويقولون: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[١٠٤] ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾، اختلّفوا في السجل، فقال السدي، السجل ملك يكتب أعمال العباد، واللام زائدة، أي كطي السجل الكتاب كقوله: (ردف لكم)، اللام فيه زائدة، وقال ابن عباس ومجاهد والأكثرون: السجل الصحيفة للكتب أي لأجل ما كتب، معناه: كطي الصحيفة على مكتوبها، والسجل اسم مشتق من المساجلة وهي المكاتب، والطّي الدرج الذي هو ضد النشر، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾، أي كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلاً كذلك نعيدهم يوم القيامة، نظيره قوله تعالى: (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة).

[١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ

وَجِدْ فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٩﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ ءَاذَنْتُمْكُمْ، أي أعلمتكم بالحرب وأن لا صلح بيننا، ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾، يعني إنذارًا بينًا نستوي في علمه لا استيذانًا به دونكم لتأهبوا لما يُراد بكم، يعني آذنتكم على وجه نستوي نحن وأنتم في العلم به، وقيل: لتستووا في الإيمان به ﴿وَإِنْ أَدْرَى﴾، يعني وما أعلم. ﴿أَقْرَبَ أَمْ بَعِيدَ مَا تُوعَدُونَ﴾، يعني القيامة.

﴿١١٠﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١١﴾

﴿وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّكُمْ﴾، يعني لعل تأخير العذاب عنكم كناية عن غير مذكور، ﴿فِتْنَةً﴾ اختبار، ﴿لَكُمْ﴾، ليرى كيف صنعكم وهو أعلم، ﴿وَمَنْعٌ إِلَى حِينٍ﴾، يعني تتمتعون إلى انقضاء آجالكم.

﴿١١٢﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ ﴿١١٣﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ، وقرأ الآخرون: ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم﴾ يعني افصل بيني وبين من كذبنى بالحق، فإن قيل: كيف قال: احكم بالحق؟ قيل: الحق ههنا بمعنى العذاب لأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر، نظيره قوله تعالى: (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق)، قال أهل المعاني: معناه رب احكم بحكمك الحق فحذف الحكم وأقيم الحق مقامه والله تعالى يحكم بالحق طُلب منه أو لم يُطلب، ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب في حكمه من الحق، ﴿وَرَبَّنَا أَلْحِمْنَا الْمُسْتَعَانَ عَلَى مَا نَصِفُونَ﴾، من الكذب والباطل.

الذِّكْرُ، قال سعيد بن جبير ومجاهد: الزبور جميع الكتب المنزلة، والذكر أم الكتاب الذي عنده، والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ. وقال ابن عباس والضحاك: الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة. وقال الشعبي: الزبور كتاب داود، والذكر التوراة، وقيل: الزبور زبور داود والذكر القرآن، وبعد بمعنى قبل، كقوله تعالى: (كان وراءهم ملك): أي أمامهم ﴿أَنْتَ الْأَرْضُ﴾، يعني أرض الجنة، ﴿يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، قال مجاهد: يعني أمة محمد ﷺ دليله قوله تعالى: (الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض)، وقال ابن عباس: أراد أن أراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله بإظهار الدين وإعزاز المسلمين. وقيل: أراد بالأرض الأرض المقدسة.

﴿١٠٦﴾ إِنَّ فِي هَذَا، أي في هذا القرآن، ﴿لَبَلَعًا﴾، وصولًا إلى البغية أي من اتبع القرآن وعمل به وصل إلى ما يرجوه من الثواب. وقيل: بلاغًا أي كفاية. يقال في هذا الشيء بلاغ وبلغة أي كفاية، والقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر، ﴿لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ﴾، أي المؤمنين الذين يعبدون الله، وقال ابن عباس: عالمين وقال كعب الأحبار: هم أمة محمد ﷺ أهل الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان.

﴿١٠٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ قال ابن زيد: يعني رحمة للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم. وقال ابن عباس: هو عامٌ في حق من آمن ومن لم يؤمن، فمن آمن رحمة له في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنهم ورفع المسخ والخسف والاستئصال عنهم، وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَّهْدَاةٌ»^(١).

﴿١٠٨﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَٰهُ

(١) أخرجه الدارمي عن أبي صالح مرسلًا ٩/١ ووصله الحاكم ٣٥/١ وصححه على شرط الشيخين. قال الهيثمي في المجمع ٢٥٧/٨: (رواه البزار والطبراني في الصغير، رجال البزار رجال الصحيح).

(٢٢) سُورَةُ الْحَجِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كَمَا إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَهُمُ بِسُكْرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ نُنْفِثُكُمْ مِّنْ عُلُقُوتٍ ثُمَّ مِّنْ مَّضْغَةٍ مَُّخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لِّنَبِّئَنَّكُمْ وَنَقْرُفِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مَُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَن يُؤَفَّقُ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدِّدْ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

تراباً. قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ أي: يتبع في جداله في الله بغير علم، ﴿كُلُّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾، والمريد المتمرد الغالي العاتي المستمر في الشر.

[٤] ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾، قضى على الشيطان، ﴿أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾، اتبعه ﴿فَأَنَّهُ﴾، يعني الشيطان ﴿يُضِلُّهُ﴾، أي: يضل من تولاها، ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾، ثم ألزم الحجة، منكري البعث.

[٥] فقال: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾، يعني: في شك، ﴿مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ يعني: أباكم آدم الذي هو أصل النسل، ﴿مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ﴾ يعني ذريته والنطفة هي المني وأصلها الماء القليل وجمعها نطاف، ﴿ثُمَّ مِّنْ عُلُقُوتٍ﴾، وهي الدم الغليظ المتجمد الطري، وجمعها علق وذلك أن النطفة تصير دماً غليظاً ثم تصير لحماً، ﴿ثُمَّ مِّنْ مَّضْغَةٍ﴾، وهي لحمه قليلة قدر ما يمزج، ﴿مُخْلَقَةٍ

[١] ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾، أي: احذروا عقابه بطاعته، ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، والزلزلة والزلال شدة الحركة على الحالة الهائلة، واختلفوا في هذه الزلزلة فقال علقمة والشعبي: هي من أشرط الساعة. وقيل: قيام الساعة. وقال الحسن والسدي: هذه الزلزلة تكون يوم القيامة. وقال ابن عباس: زلزلة الساعة قيامها فتكون معها. [٢] ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾، يعني الساعة، وقيل: الزلزلة، ﴿تَذْهَلُ﴾ قال ابن عباس: تشغل، وقيل: تنسى، يقال: ذهلت عن كذا إذا تركته واشتغلت بغيره عنه. ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾، أي: كل امرأة معها ولد ترضعه، يقال: امرأة مرضع بلا هاء إذا أريد به الصفة مثل حائض وحامل، فإذا أرادوا الفعل أدخلوا الهاء. ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾، أي: تسقط ولدها من هول ذلك اليوم. قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام، وهذا يدل على أن هذه الزلزلة تكون في الدنيا لأن بعد البعث لا يكون حمل. ومن قال: تكون في القيامة قال: هذا على وجه تعظيم الأمر لا على حقيقته كقولهم أصابنا أمر يشيب منه الوليد يريد به شدته. ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَهُمُ بِسُكْرَىٰ﴾ قال الحسن: معناه وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب. وقيل: معناه وترى الناس كأنهم سكارى، ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

[٣] قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، نزلت في النضر بن الحارث، وكان كثير الجدل وكان يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وكان ينكر البعث وإحياء من صار

الله هو الحق، ﴿وَأَنْتُمْ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنْتُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٧] ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

[٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، يعني: النضر بن الحارث، ﴿وَلَا هُدًى﴾، بيان ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾.

[٩] ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾، متبختراً لتكبره. وقال مجاهد وقتادة: لاوي عنقه. قال عطية وابن زيد: معرضاً عما يدعى إليه تكبراً. وقال ابن جريج: يعرض عن الحق تكبراً. والعطف: الجانب، وعطفاً الرجل: جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان أي يلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء، نظيره قوله تعالى: (وإذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبراً)، وقال تعالى: (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم). ﴿لِيُصَلِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، عن دين الله، ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾، عذاب وهوان هو القتل بيدر، فقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط يوم بدر صبراً. ﴿وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

[١٠] ويقال له: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْبَاسِ﴾، فيعذبهم بغير ذنب وهو جل ذكره على أي وجه شاء تصرف في عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم.

[١١] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾، الآية نزلت في قوم من الأعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم إذا قدم المدينة فصيح بها جسمه وتنتجت فرسه مهراً حسناً وولدت امرأته ذكراً وكثر ماله قال: هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيراً واطمأن إليه، وإن أصابه مرض وولدت امرأته جارية وأجهضت فرسه وقلّ ماله قال: ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شراً فينقلب عن دينه، وذلك الفتنة فأنزل الله عز

وَعَبْرٍ مُخْلَقَةٍ، قال ابن عباس وقتادة: مخلقة أي تامة وغير مخلقة غير تامة أي ناقصة الخلق. وقال مجاهد: مصورة وغير مصورة يعني السقط. وقيل: المخلقة الولد الذي تأتي به المرأة لوقته، وغير المخلقة السقط. ﴿لِنَسِينَ لَكُمْ﴾، كما قدرتنا وحكمتنا في تصريف أطوار خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الإعادة. وقيل: لنسين لكم ما تأتون وما تذكرون وما تحتاجون إليه في العبادة، ﴿وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾، فلا تمجه ولا تسقطه، ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾، إلى وقت خروجها من الرحم تامة الخلق والمدة. ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طِفْلاً﴾ أي: صغاراً ولم يقل أطفالاً لأن العرب تذكر الجمع باسم الواحد. وقيل: تشبيهاً بالمصدر مثل عدل وزور. ﴿ثُمَّ لِنَبْلُوَكُمْ أَشَدَّكُمْ﴾ يعني: الكمال والقوة، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾، من قبل بلوغ الكبر، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَزَلٍ أَعْمُرٍ﴾، أي: الهرم والخرف، ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾، أي: يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيئاً ثم ذكر دليلاً آخر على البعث فقال: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِئَةً﴾، أي يابسة لا نبات فيها، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾، المطر، ﴿اَهْتَزَّتْ﴾، تحركت بالنبات وذلك أن الأرض ترتفع بالنبات فذلك تحركها، ﴿وَرَبَّتْ﴾، أي: ارتفعت وزادت، وقرأ أبو جعفر: (ورأبت) بالهمزة، وكذلك في حم السجدة أي: ارتفعت وعلت، قال المبرد: أراد اهتز وربا نباتها فحذف المضاف، والاهتزاز في النبات أظهر، يقال: اهتز النبات أي: طال وإنما أنث لذكر الأرض. وقيل: فيه تقديم وتأخير معناه: ربت واهتزت، ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ يَبْهِجُ﴾، أي: صنف حسن يبهج به من رآه أي: يسر، فهذا دليل آخر على البعث.

[٦] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَعَلِّقُ﴾، أي: لتعلموا أن

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ، عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَظُمَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيرُهُ، يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْبِدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ، ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ، لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَضُرَّهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ سَبَبَ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبُ كَيْدُهُ، مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

[١٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ .
[١٥] ﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَضُرَّهُ اللَّهُ﴾، يعني نبيه محمداً ﷺ ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ سَبَبَ﴾، أي: بحبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ أراد بالسماء سقف البيت على قول الأكثرين أي: ليشدد حبلاً في سقف بيته فليختنق به حتى يموت، ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ الحبل بعد الاختناق. وقيل: ثم ليقطع أي ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً، ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبُ كَيْدُهُ﴾، صنعه وحيلته، ﴿مَا يَغِيظُ﴾ (ما) بمعنى المصدر أي: هل يذهبن كيده وحيلته غيظه معناه فليختنق غيظاً حتى يموت، وليس هذا على سبيل الحتم أن يفعله لأنه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق والموت، ولكنه كما يقال للحاسد: إن لم ترض هذا فاختنق ومث غيظاً. وقال ابن زيد: المراد من

وجل: (ومن الناس من يعبد الله على حرف)، أكثر المفسرين قالوا على شك وأصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي كالفائم عليه غير مستقر، فقيل للشاك في الدين أنه يعبد الله على حرف لأنه على طرف وجانب من الدين لم يدخل فيه على الثبات والتمكن كالفائم على حرف الجبل مضطرب غير مستقر يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف لضعف قيامه، ولو عبدوا الله في الشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف، قال الحسن: هو المنافق يعبد بلسانه دون قلبه. ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾، صحة في جسمه وسعة في معيشته، ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ﴾، أي: رضي به وسكن إليه، ﴿وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ﴾، بلاء في جسده وضيق في معيشته، ﴿أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾، ارتد ورجع على عقبه إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر، ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا﴾، يعني هذا الشاك خسر الدنيا بفوات ما كان يؤمله، ﴿وَالْآخِرَةَ﴾، بذهاب الدين والخلود في النار ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾، الظاهر.

[١٢] ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ﴾، إن عصاه ولم يعبد، ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾، إن أطاعه وعبد، ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾، عن الحق والرشد.

[١٣] ﴿يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ أي: ضر عبادته، فإن قيل: قد قال لمن ضره أقرب من نفعه ولا نفع في عبادة الصنم أصلاً؟ قيل: هذا على عادة العرب فإنهم يقولون لما لا يكون أصلاً بعيد، كقوله: (ذلك رجع بعيد) أي: لا رجع أصلاً فلما كان نفع الصنم بعيداً على معنى أنه لا نفع فيه أصلاً قيل: ضره أقرب من نفعه لأنه كائن. ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾: أي: الناصر. وقيل: المعبود. ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾، أي: الصاحب والمخالط يعني الوثن، والعرب تسمى الزوج العشير لأجل المخالطة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٣٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالنَّصَارَى
 وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
 وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ
 إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا
 فِي رَبِّهِمَا الَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَ لَهُمْ شَيْبٌ مِنْ نَارٍ يُنَبِّئُ
 مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُضْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ
 وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقْذِيعٌ مِنْ حديدٍ ﴿٢٠﴾ كَلَّمَا أَرَادُوا
 أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ
 ﴿٢١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
 أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٢﴾

مِنْ مُكْرِمٍ ﴿١٦﴾ أي: من يذله الله فلا يكرمه أحد، ﴿١٧﴾
 اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾، أي: يكرم ويهين فإله السعادة
 والشقاوة بإرادته ومشيئته.

﴿١٩﴾ قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي
 رَبِّهِمَا﴾ أي: جادلوا في دينه وأمره والخصم اسم
 شبيه بالمصدر، فلذلك قال: (اختصموا) بلفظ
 الجمع كقوله: (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا
 المحراب)، واختلفوا في هذين الخصمين. فقيل:
 هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحزمة وعبيدة وشيبة
 ابن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. وقال ابن
 عباس وقتادة: نزلت الآية في المسلمين وأهل
 الكتاب فقال أهل الكتاب: نحن أولى بالله منكم
 وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال
 المؤمنون: نحن أحق بالله آمنا بنبينا محمد ﷺ
 ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبينا

السماء السماء المعروفة ومعنى الآية: من كان يظن
 أن لن ينصر الله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه عنه
 فليقطعه من أصله فإن أصله من السماء فليمدد
 بسبب إلى السماء ثم ليقطع عن النبي ﷺ الوحي
 الذي يأتيه من السماء فلينظر هل يقدر على إذهاب
 غيظه بهذا الفعل.

﴿١٦﴾ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي مثل ذلك يعني ما تقدم من
 آيات القرآن، ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، يعني: القرآن ﴿آيَاتٍ
 يَبَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ
 وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، يعني: عبدة
 الأوثان، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾، يحكم بينهم،
 ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، ألم تعلم، وقيل: ألم ﴿تَرَ﴾
 بقلبك ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي
 الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ
 وَالْدَّوَابُّ﴾، قال مجاهد: سجودها تحول ظلالها.

وقال أبو العالية: ما في السماء نجم ولا شمس ولا
 قمر إلا يقع ساجداً حين يغيب ثم لا ينصرف حتى
 يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى
 مطلعته. وقيل: سجودها بمعنى الطاعة فإنه ما من
 جماد إلا وهو مطيع لله خاشع لله مسبح له كما
 أخبرنا الله تعالى عن السموات والأرض (قالنا أتينا
 طائعين)، وقال في وصف الحجارة (وإن منها لما
 يهبط من خشية الله)، وقال تعالى: (وإن من شيء
 إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)، وهذا
 مذهب حسن موافق لأهل السنة. قوله: ﴿وَكَثِيرٌ
 مِنَ النَّاسِ﴾، أي: من هذه الأشياء كلها تسبح الله
 عز وجل وكثير من الناس يعني المسلمين. ﴿وَكَثِيرٌ
 حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾، وهم الكفار لكفرهم وتركهم
 السجود وهم مع كفرهم تسجد ظلالهم لله عز وجل
 والواو في قوله: (وكثير حق عليه العذاب)، واو
 الاستئناف. ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ﴾ أي: يهينه الله ﴿فَمَا لَهُ
 مِنْ مُكْرِمٍ﴾.

الحريق، أي: المحرق مثل الأليم والوجيع، قال الزجاج: هؤلاء أحد الخصمين. وقال في الآخر وهم المؤمنون.

[٢٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾، جمع سوار، ﴿وَلَوْلُؤْلُوا﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم (ولؤلؤا) ههنا وفي سورة الملائكة بالنصب وافق يعقوب ههنا على معنى ويحلون لؤلؤا ولأنها مكتوبة في المصاحف بالألف وقرأ الآخرون بالخفض عطفًا على قوله من ذهب، ﴿وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ أي: أنهم يلبسون في الجنة ثياب الإبريسم وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال.

[٢٤] قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، قال ابن عباس: هو شهادة أن لا إله إلا الله. وقال ابن زيد: لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله. وقال السدي: أي القرآن. وقيل: هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده. ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾، إلى دين الله وهو الإسلام والحمد هو الله المحمود في أفعاله.

[٢٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، عطف المستقبل عن الماضي لأن المراد من لفظ المستقبل الماضي كما قال تعالى في موضع آخر: (الذي كفروا وصدوا عن سبيل الله)، وقيل: معناه إن الذين كفروا فيما تقدم ويصدون عن سبيل الله في الحال، أي: وهم يصدون. ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أي: ويصدون عن المسجد الحرام. ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾، قبة لصلاتهم ومنسكًا ومتعبدًا كما قال: (وُضِعَ للناس). ﴿سَوَاءً﴾، قرأ حفص عن عاصم ويعقوب: (سواء) نصبًا بإيقاع الجعل عليه يتعدى إلى مفعولين. وقيل: معناه مستويًا فيه، ﴿الْعَلِكْفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وما بعده خبر،

وكتابتنا وكفرتم به حسدًا، فهذه خصومتهم في ربهم. وقال مجاهد وعطاء بن أبي رباح والكلبي: هم المؤمنون والكافرون كلهم من أي ملة كانوا. وقال بعضهم: جعل الأديان ستة في قوله تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا) الآية فجعل خمسة للنار وواحدًا للجنة. فقله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَصْنَا فِي رَبِّهِمْ﴾ ينصرف إليهم فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم ثم بين الله عز وجل ما للخصمين فقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ قال سعيد بن جبير: ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شيء إذا حمى أشد حرًا منه وسمي باسم الثياب لأنها تحيط بهم كإحاطة الثياب. وقال بعضهم: يلبس أهل النار مقطعات من النار، ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾، الحميم: هو الماء الحار الذي انتهت حرارته.

[٢٠] ﴿يُصْهَرُ بِهِ﴾ أي: يذاب بالحميم، ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾، يقال: صهرت الإلية والشحم بالنار إذا أذبتها أصهرها صهرًا معناه يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم حتى يسقط ما في بطونهم من الشحوم والأحشاء، ﴿وَالْجُلُودُ﴾ أي: يشوي حرها جلودهم فتساقط.

[٢١] قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَقْلِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾، سياط من حديد واحدها مقمعة، قال الليث: المقمعة شبه الجزر من الحديد، من قولهم: قمعت رأسه إذا ضربته ضربًا عنيفًا.

[٢٢] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾، يعني: كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفاسهم ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾، يعني: ردوا إليها بالمقامع. وفي التفسير: إن جهنم لتجيش بهم فتلقهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهون فيها سبعين خريفًا. ﴿وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، أي: تقول لهم الملائكة: ذوقوا عذاب

تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم من لا يظلمك، وهذا معنى قول الضحاك. وعن مجاهد أنه قال: تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات. وقال حبيب بن أبي ثابت: وهو احتكار الطعام بمكة. وقال عبدالله بن مسعود: لو أن رجلاً همّ بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها، ولو أن رجلاً همّ بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبن أو ببلد آخر أذاقه الله من عذاب أليم. قال السدي: إلا أن يتوب.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ﴾، أي: وطأنا. قال ابن عباس: جعلنا. وقيل: بينا. قال الزجاج: جعلنا مكان البيت مبوأ لإبراهيم. وقال مقاتل بن حيان: هيأنا. وإنما ذكر مكان البيت لأنه لما أمر الله تعالى إبراهيم ببناء البيت لم يدر أين يبني فبعث الله ريحاً خجوجاً فكنت له ما حول البيت على الأساس. قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا﴾ أي: عهدنا إلى إبراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئاً، ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾، أي: الذين يطوفون بالبيت، ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ أي: المقيمين، ﴿وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾، أي: المصلين.

[٢٧] ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾ أي: أعلم ونادى في الناس، ﴿بِالْحَجِّ﴾، فقال إبراهيم وما يبلغ صوتي؟ فقال: عليك الأذان وعلينا البلاغ، فقام إبراهيم وقال: يا أيها الناس، ألا إن ربكم قد بنى لكم بيتاً وكتب عليكم الحج إلى البيت فأجيبوا ربكم فأجابه كل من كان يحج من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك، قال ابن عباس وزعم الحسن أن قوله: (وأذن في الناس بالحج) كلام مستأنف وإن المأمور بهذا التأذين محمد ﷺ أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع. وروى أبو هريرة قال:

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في الجهاد والسير رقم (١٧٨٠) ٣/١٤٠٥.

وتم الكلام عند قوله: (للناس) وأراد بالعاكف المقيم فيه، وبالبادي الطارئ المتاب إليه من غيره، واختلفوا في معنى الآية فقال قوم: سواء العاكف فيه والبادي يعني في تعظيم حرمة وقضاء النسك فيه، وإليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة، وقالوا: المراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم الكعبة في فضل الصلاة في المسجد الحرام والطواف بالبيت، وقال الآخرون: المراد منه جميع الحرم، ومعنى التسوية أن المقيم والبادي سواء في النزول به ليس أحدهما أحق بالمنزل يكون فيه من الآخر غير أنه لا يزعم فيه أحد إذا كان قد سبق إلى منزل، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد، قالوا: هما سواء في البيوت والمنازل. وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها، وعلى القول الأول وهو الأقرب إلى الصواب يجوز لأن الله تعالى قال: (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق)، وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»^(١)، فنسب الدار إليه نسب ملك، واشترى عمر داراً للسجن بمكة بأربعة آلاف درهم، فدل على جواز بيعها وهذا قول طاوس وعمر بن دينار وبه قال الشافعي. قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَامٍ يُظْلَمِ تُدْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أي: في المسجد الحرام وهو الميل إلى الظلم، والباء في قوله (بالحداد) زائدة كقوله: (تبت بالدهن)، ومعناه من يرد فيه إلحاداً بظلم، وأنكر المبرد أن تكون الباء زائدة وقال: معنى الآية من تكن إرادته فيه بأن يلحد بظلم. واختلفوا في هذا الإلحاد فقال مجاهد وقتادة: هو الشرك وهو عبادة غير الله. وقال قوم: هو كل شيء كان منهياً عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم. وقال عطاء: هو دخول الحرم غير محرم أو ارتكاب شيء من محظورات الحرم من قتل صيد أو قطع شجر. وقال ابن عباس: هو أن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ
 (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ
 وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِ يُظْلَمِ ظُفْرًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ (٢٩)
 وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي
 شَيْءٍ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
 السُّجُودِ (٣٠) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى
 كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٣١) لِيَشْهَدُوا
 مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ
 عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا
 أَمْرَ الْفَقِيرِ (٣٢) ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا
 نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣) ذَلِكَ وَمَنْ
 يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ حُرْلٌ عَنْدَرَبِّهِ وَأُحِلَّتْ
 لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يَتْلُو عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا
 الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٤)

قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا»^(١). قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾، أي: مشاة على أرجلهم جمع راجل، مثل قائم وقيام وصائم وصيام، ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾، أي: ركبانا على كل ضامر، والضاامر: البعير المهزول. ﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ من كل طريق بعيد. [٢٨] ﴿لِيَشْهَدُوا﴾، ليحضروا، ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾، قال سعيد بن المسيب: العفو والمغفرة. وقال سعيد بن جبير: التجارة، وهي رواية ابن زيد عن ابن عباس، قال الأسواق. وقال مجاهد: التجارة وما يرضي الله به من أمر الدنيا والآخرة. ﴿وَيَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾، يعني عشر ذي الحجة في قول أكثر المفسرين. قيل لها: معلومات للحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها. ويروى عن علي رضي الله عنه أنها يوم النحر وثلاثة أيام بعده، وفي رواية عطاء عن ابن عباس: أنها يوم عرفة والنحر وأيام التشريق. وقال مقاتل: المعلومات أيام التشريق. ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم، وهي الإبل والبقر والغنم. واختار الزجاج أن الأيام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لأن الذكر على بهيمة الأنعام يدل على التسمية على نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الأيام. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ أمر بإباحة وليس بواجب، وإنما قال ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئا واتفق العلماء على أن الهدى إذا كان تطوعا يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع. واختلفوا في الهدى الواجب بالشرع هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئا مثل دم التمتع والقرآن والدم الواجب بفساد الحج وفواته وجزاء الصيد، فذهب قوم إلى أنه لا يجوز أن يأكل منه شيئا وبه قال الشافعي، وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر، وقال ابن عمر: لا

يأكل من جزاء الصيد والنذر، ويأكل مما سوى ذلك، وبه قال أحمد وإسحاق، وقال مالك: يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والمنذور، وعند أصحاب الرأي يأكل من دم التمتع والقرآن ولا يأكل من واجب سواهما. قوله عز وجل: ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾، يعني: الزَّمن الفقير الذي لا شيء له والبائس الذي اشتد بؤسه، والبؤس شدة الفقر.

[٢٩] ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾، التفت الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظفار والشعث، تقول العرب لمن تستقذره: ما أتفتك أي ما أوسحك. والحاج أشعث أغبر أي: لم يحلق شعره ولم يقلم ظفره فقضاء التفت إزالة هذه الأشياء ليقضوا (١) أخرجه مسلم في الحج رقم (١٣٣٧) ٩٧٥/٢ والمصنف في شرح السنة ٣/٧.

لأنه قديم وهو أول بيت وضع للناس، يقال دينار عتيق أي قديم، وقيل: سمي عتيق لأن الله أعتقه من الغرق فإنه رفع أيام الطوفان.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج، ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾، أي معاصي الله وما نهى عنه وتعظيمها ترك ملابتها. قال الليث: حرمت الله ما لا يحل انتهاكها. وقال الزجاج: الحرمة ما وجب القيام به وحرمة التفريط فيه، وذهب قوم إلى أن معنى الحرمت ههنا المناسك بدليل ما يتصل بها من الآيات. وقال ابن زيد: الحرمت ههنا البيت الحرام، والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام والإحرام. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهِ عِنْدَ رَبِّهِ﴾، أي: تعظيم الحرمت، خير له عند الله في الآخرة، ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْبَقَرُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ﴾، ﴿إِلَّا مَا يَتَلَبَّسُ عَلَيْكُمْ﴾، تحريره وهو قوله في سورة المائدة (حرمت عليكم الميتة والدم)، الآية، ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ أي: عبادتها، يقول: كونوا على جانب منها فإنها رجز، أي: سبب الرجز، وهو العذاب والرجس: بمعنى الرجز وقال الزجاج: (من) ههنا للجنس أي: اجتنبوا الأوثان التي هي رجز، ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، يعني: الكذب والبهتان. وقال ابن مسعود: شهادة الزور، وقيل: هو قول المشركين في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.

[٣١] ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾، مخلصين له، ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾، قال قتادة: كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا يسمون حنفاء، فنزلت: (حنفاء لله غير مشركين به) أي: حجاجاً لله مسلمين موحدين يعني: من أشرك لا يكون حنيفاً. ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾، أي: سقط، ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾، إلى الأرض، ﴿فَتَحَطَّمَهُ﴾

تفشمهم، أي: ليزيلوا أدرانهم، والمراد منه الخروج عن الإحرام بالحلوق وقص الشارب ونتف الإبط والاستحداد وقلم الأظفار ولبس الثياب. قال ابن عمر وابن عباس: قضاء التفث مناسك الحج كلها. وقال مجاهد: هو مناسك الحج وأخذ الشارب ونتف الإبط وحلق العانة وقلم الأظفار. وقيل: التفث ههنا رمي الجمار. قال الزجاج: لا نعرف التفث ومعناه إلا من القرآن. قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾، قال مجاهد: أراد نذر الحج والهدي وما ينذر الإنسان من شيء يكون في الحج أي: ليطمئئنها بقضائها. وقيل: المراد منه الوفاء بما نذر على ظاهره. وقيل: أراد به الخروج عما وجب عليه نذرًا ولم ينذر. والعرب تقول لكل من خرج عن الواجب عليه وفى بنذره. وقرأ عاصم برواية أبي بكر (وليوفوا) بنصب الواو وتشديد الفاء ﴿وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، أراد به الطواف الواجب عليه وهو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق، والطواف ثلاثة، طواف القدوم: وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً يرمي ثلاثاً من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعاً، وهذا الطواف سنة لا شيء على من تركه. والطواف الثاني: هو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق، وهو واجب لا يحصل التحلل من الإحرام ما لم يأت به. والطواف الثالث هو طواف الوداع لا رخصة فيه لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعاً فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض يجوز لها ترك طواف الوداع. قوله: (بالبيت العتيق) واختلفوا في معنى العتيق، فقال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وقاتدة: سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه، فلم يظهر عليه جبار قط. وقال سفيان بن عيينة: سمي عتيقاً لأنه لم يملك قط وقال الحسن وابن زيد: سمي به

المناسك إلى أجل مسمى، أي: إلى انقضاء أيام الحج، ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾، أي: منحرها، ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: منحرها عند البيت العتيق، يريد أرض الحرم كلها، كما قال: (فلا تقربوا المسجد الحرام) أي: الحرم كله. ورؤي عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله ﷺ قال: «نحرتُ ههنا ومِنَى كلها منحر فانحروا في رحالكُم»^(١) ومن قال: الشعائر المناسك قال معنى قوله (ثم محلها إلى البيت العتيق) أي: محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق، أي: أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر.

[٣٤] قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾، يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم، ﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾، قرأ حمزة والكسائي بكسر السين ههنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المسجد والمطلع، يعني مذبحاً وهو موضع القربان، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المدخل والمخرج يعني إراقة الدماء وذبح القرابين، ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، عند نحرها وذبحها وسمائها بهيمة لأنها لا تتكلم، وقال: (بهيمة الأنعام) وقيدوا بالنعم لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، لا يجوز ذبحها في القرابين. ﴿فَالنَّحْكُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾، أي: سموا على الذبائح اسم الله وحده فإن الإلهام إليه واحد، ﴿فَلَهُ اسْلِمُوا﴾، انقادوا وأطيعوا، ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾، قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله عز وجل، والخبت الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمر بن أوس: هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم يتنصروا.

(١) أخرجه مسلم في الحج رقم (١٢١٨) ٨٩٣/٢ والمصنف في شرح السنة ١٥٠/٧.

أَطْيَرُ، أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف تناول الشيء بسرعة، وقرأ أهل المدينة فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي يتخطفه، ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ إِلَيْهِ﴾، أي: تميل وتذهب به، ﴿فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ﴾، أي: بعيد معناه أن بعد من أشرك بالحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير، أو هوت به الريح، فلا يصل بحال. وقيل: شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تسقطه الريح، فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه وإما بسقوطه إلى المكان السحيق، وقال الحسن: شبه أعمال الكفار بهذه الحال في أنها تذهب وتبطل فلا يقدر على شيء منها.

[٣٢] ﴿ذَلِكَ﴾، يعني: الذي ذكرت من اجتناب الرجس وقول الزور، ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، قال ابن عباس: شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الإشعار وهو إعلامها ليُعلم أنها هدي وتعظيمها استسمانها واستحسانها، وقيل: شعائر الله أعلام دينه فإنها من تقوى القلوب، أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب.

[٣٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في البدن قبل تسميتها للهدى، ﴿مَنْفَعٌ﴾، في درها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها، ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾، وهو أن يسميها ويوجيها هدياً فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها، هذا قول مجاهد، وقول قتادة والضحاك، ورواه مقسم عن ابن عباس. وقيل: معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدياً بأن تركيبها وتشربوا ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى، يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء ابن أبي رباح. وقال بعضهم: أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة، لكم فيها منافع بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى وهو الخروج من مكة. وقيل: لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء

[٣٥] ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾، من البلاء والمصائب، ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾، أي: المقيمين للصلاة في أوقاتها، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، أي: يتصدقون.

[٣٦] ﴿وَالْبُدْنَ﴾، جمع بدنة سميت بدنة لعظمتها وضخامتها يريد الإبل العظام الصحاح الأجسام، يقال: بَدَنَ الرجل بدناً وبدانة إذا ضخم، فأما إذا أسن واسترخى يقال: بدن تديناً. قال عطاء والسدي: البَدْنُ البقر أما الغنم فلا تسمى بدنة. ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعْتِيرٍ﴾، من أعلام دينه، سُميت شعائر لأنها تشعر، وهو أن تُطعن بحديدة في سنامها فيعلم أنها هدي، ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾، النفع في الدنيا والأجر في العقبى، ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾، أي: عند نحرها، ﴿صَوَافٍ﴾، أي: قياماً على ثلاث قوائم قد صفت رجلها وإحدى يديها ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك. وقرأ أبي الحسن ومجاهد (صوافي) بالياء أي صافية خالصة لله لا شريك له فيها، ﴿فَإِذَا وَجِئَتْ جُنُوبَهَا﴾، يعني:

سقطت بعد النحر فوقعت جنوبها على الأرض، وأصل الوجوب: الوقوع. يقال: وجبت الشمس إذا سقطت للمغيب، ﴿فَكُلُّوا مِنْهَا﴾، أمر بإباحة، ﴿وَأَطِيعُوا أَلْفَانَهُ وَالْمَعْتَزَّ﴾، اختلفوا في معناهما، فقال عكرمة وإبراهيم وقاتدة: القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يُعطى ولا يسأل، والمعتز الذي يسأل. وروى العوفي عن ابن عباس: القانع الذي لا يعترض ولا يسأل، والمعتز الذي يريك نفسه ويعترض ولا يسأل، فعلى هذين التأويلين يكون القانع من القناعة يقال: قنع قناعة إذا رضي بما قُسم له. وقال سعيد بن جبير والحسن والكلبي: القانع الذي يسأل والمعتز الذي يعترض ولا يسأل، فيكون القانع من قنع يقنع قنوعاً إذا سأل. وقال ابن زيد: القانع المسكين، والمعتز الذي ليس بمسكين، ولا يكون له ذبيحة يجيء إلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣٦﴾ ذَلِكَ وَمَن يُعْظَمَ شَعْتِيرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِّنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٧﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْمِلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٨﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لَّذِكْرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقْنَاهُمْ مِّنْ بِهِيمَةٍ لَّا تَعْبُرَ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوهَا وَأَوْشِرَ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٤٠﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعْتِيرٍ لِأَنَّكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِئَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْفَانَهُ وَالْمَعْتَزَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤١﴾ لَّن يَنَالَهُ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ النَّفَقَىٰ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٤٣﴾

القوم فيتعرض لهم لأجل لحمهم. ﴿كَذَلِكَ﴾ يعني: مثل ما وصفنا من نحرها قياماً، ﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾، نعمة منا لتتمكنوا من نحرها، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، لكي تشكروا إنعامي عليكم.

[٣٧] ﴿لَّن يَنَالَهُ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا نحرُوا البدن لطنخوا الكعبة بدمائها قربة إلى الله فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَّن يَنَالَهُ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ قرأ يعقوب (تنال وتناله) بالتاء فيهما، وقرأ العامة بالياء، قال مقاتل: لن يُرفع إلى الله لحومها ولا دماؤها، ﴿وَلَكِن يَنَالُهُ النَّفَقَىٰ مِنكُمْ﴾، ولكن ترفع إليه منكم الأعمال الصالحة والتقوى، والإخلاص ما أريد به وجه الله، ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾، يعني: البدن، ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ﴾، أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه، وهو أن يقول: الله أكبر على

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٣٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَذِّنْ لِلَّذِينَ يَمُنُونَ بِآثَنِهِمْ ظِلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوْمِعُ وَبِيعَ وَصَلَوْتُ وَمَسَجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيْسَ نَصْرُكَ اللَّهُ مِنْ نَصْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودُ ﴿٤١﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٢﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٣﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْنَؤُهَا مَبْطُلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ﴿٤٤﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٥﴾

وإقامة الحدود، ﴿لَمَمَّتْ﴾، قرأ أهل المدينة بتخفيف الدال وقرأ الآخرون بالتشديد على التكرير فالتخفيف يكون للتقليل والتكرير والتشديد يختص بالتكرير، ﴿صَوْمِعُ﴾، قال مجاهد والضحاك: يعني: صوامع الرهبان. وقال قتادة: صوامع الصابئين، ﴿وَبِيعَ﴾، يعني: بيع النصارى جمع بيعة وهي كنيسة النصارى، ﴿وَصَلَوْتُ﴾، يعني: كنائس اليهود ويسمونهم بالعبرانية صلوتا، ﴿وَمَسَجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾، يعني مساجد المسلمين من أمة محمد ﷺ، ومعنى الآية: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلاتهم، لهدم في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى البيع والصوامع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد. وقال ابن زيد: أراد بالصلوات صلوات أهل الإسلام فإنها لا تنقطع إذا

ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا وأولانا، ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال ابن عباس: الموحدين.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة (يدفع)، وقرأ الآخرون (يدافع) بالالف يريد يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم عن المؤمنين. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾، يعني: خوان في أمانة الله كفور لنعمته، قال ابن عباس: خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا بنعمه. قال الزجاج: من تقرب إلى الأصنام بذبيحته وذكر عليها اسم غير الله فهو خوان كفور.

[٣٩] ﴿أَذِّنْ﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم أذن بضم الالف والباقون بفتحها، أي: أذن الله، ﴿لِلَّذِينَ يَمُنُونَ﴾، قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص (يقاتلون) بفتح التاء يعني المؤمنين الذين يقاتلهم المشركون، وقرأ الآخرون بكسر التاء يعني الذي أذن لهم بالجهاد (يقاتلون) المشركين، قال المفسرون: كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فلا يزالون محزونين من بين مضروب ومشجوج، ويشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ، فيقول لهم: اصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية، وهي أول آية أذن الله فيها بالقتال، فنزلت هذه الآية بالمدينة وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة، فكانوا يمنعون فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة، ﴿بِآثَنِهِمْ ظِلْمُوا﴾، يعني: بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالإيذاء، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

[٤٠] ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، بدل من الذين الأولى ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾، يعني: لم يخرجوا من ديارهم إلا لقولهم ربنا الله وحده، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾، بالجهاد

دخل العدو عليهم. ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾، يعني: ينصر دينه ونبيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. [٤١] ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، قال الزجاج: هذا من صفة ناصريه ومعنى مكناهم نصرناهم على عدوهم حتى يتمكنوا في البلاد قال: هم أصحاب محمد ﷺ. قال الحسن: هذه الأمة ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾، يعني: آخر أمور الخلق ومصيرهم إليه يعني يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الأمور إليه بلا منازع ولا مدع.

[٤٢] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكْذِبُواكَ﴾، يعزي نبيه ﷺ، ﴿فَقَدْ كَذَّبَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَنُودٌ﴾. [٤٣] ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾. [٤٤] ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾، يعني: أمهلتهم وأخرت عقوبتهم، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾، عاقبتهم، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، يعني: إنكاري، أي: كيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من يخالف النبي ﷺ ويكذبه.

[٤٥] ﴿فَكَأَيِّنْ﴾، فكم ﴿مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ بالنون والالف على التعظيم، ﴿وَهِيَ ظَلِيمَةٌ﴾، يعني: وأهلها ظالمون، ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ غُرُوشِهَا﴾، على سقوفها، ﴿وَيَبُرُّ مِعْطَلَةً﴾: يعني وكم من بئر معطلة متروكة مخلاة عن أهلها ﴿وَقَصِرَ مَشِيدِ﴾، قال قتادة والضحاك ومقاتل: رفيع طويل، من قولهم: شاد بناء إذا رفعه. وقال سعيد ابن جبير ومجاهد وعطاء: مجتصص من مشيد، وهو الجصص.

[٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، يعني: كفار مكة فينظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم الخالية، ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾، يعني: ما يذكر لهم من أخبار القرون الماضية فيعتبرون بها، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ

تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، ذكر التي في الصدور تأكيداً كقوله: (يطير بجناحيه) معناه أن العمى الضار هو عمى القلب، فأما عمى البصر فليس بضار في أمر الدين، قال قتادة: البصر الظاهر بلغة ومتمعة وبصر القلب هو البصر النافع. [٤٧] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾، نزلت في النضر بن الحارث حيث قال: إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء. ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾، فأنجز ذلك يوم بدر. ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال ابن عباس: يعني يوماً من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض. وقال مجاهد وعكرمة: يوماً من أيام الآخرة، والدليل عليه ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشروا يا معاشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة»^(١) قال ابن زيد: هذه أيام الآخرة: وقوله: (مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون) يوم القيامة. والمعنى على هذا أنهم يستعجلون بالعذاب، وإن يوماً من أيام عذابهم في الآخرة ألف سنة. وقيل: معناه وإن يوماً من أيام العذاب الذي استعجلوه في الثقل والاستطالة والشدة كألف سنة مما تعدون، فكيف تستعجلونه هذا؟ كما يقال: أيام الهموم طوال، وأيام السرور قصار. وقيل: معناه إن يوماً عنده وألف سنة في الإمهال سواء لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء.

[٤٨] ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا﴾، يعني أمهلتها، ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَاهَا وَلِئْلِ الْمَصِيرِ﴾

(١) أخرجه أبو داود في العلم ٢٥٥/٥ قال المنذري: في إسناده المعلى بن زياد وفيه مقال.

[٤٩] ﴿قُلْ يَتَّابِهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ .
 [٥٠] ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
 وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ، الرزق الكريم الذي لا ينقطع أبداً .
 وقيل : هو الجنة .

[٥١] ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا﴾ ، يعني عملوا في
 إبطال آياتنا ، ﴿مُعْجِزِينَ﴾ ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو
 (معجزين) بالتشديد ههنا وفي سورة سبأ يعني
 مثبتين الناس عن الإيمان ، وقرأ الآخرون
 (معاجزين) بالألف يعني معاندين مشاقين . وقال
 قتادة : معناه ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا بزعمهم
 ألا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ، ومعنى
 يعجزوننا أي يفوتوننا فلا نقدر عليهم ، ﴿أُولَئِكَ
 أَصْحَابُ الْحَجِيمِ﴾ ، وقيل : معاجزين مغالين يريد
 كل واحد أن يظهر عجز صاحبه .

[٥٢، ٥٣] قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
 مِنْ رَسُولٍ﴾ وهو الذي يأتيه جبريل بالوحي عياناً ،
 ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ ، وهو الذي يكون نبوته إلهاماً أو مناماً ،
 وكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولاً ﴿إِلَّا إِذَا
 نَتَخَّى﴾ قال بعضهم : أي : أحب شيئاً واشتهاه
 وحدث به نفسه مما لم يؤمر به ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي
 أُمْنِيَّتِهِ﴾ يعني مراده . وعن ابن عباس قال : إذا
 حدث ألقى الشيطان في حديثه ما وجد إليه سبيلاً ،
 وما من نبي إلا تمنى أن يؤمن به قومه ولم يتمن
 ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضي به قومه
 فينسخ الله ما يلقي الشيطان . وأكثر المفسرين
 قالوا : معنى قوله (تمنى) يعني تلا وقرأ كتاب الله
 تعالى ألقى الشيطان في أمنيته يعني في تلاوته ،
 ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أي : يُبطله ويذهبه ،
 ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ﴾ ، فيثبتها ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 حَكِيمٌ﴾ ٥ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً ، أي : محنة
 وبلية ، ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ، شك ونفاق ،
 ﴿وَالْفَاسِقِينَ﴾ ، يعني : الجافية ، ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ ، عن قبول
 الحق وهم المشركون ، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ ،

المشركين ﴿لِيَشِقَاقِي﴾ ضلال ، ﴿بَعِيدٍ﴾ أي : في
 خلاف شديد .

[٥٤] ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ، التوحيد
 والقرآن . وقال السدي : التصديق بنسخ الله تعالى ،
 ﴿أَنَّهُ﴾ يعني : الذي أحكم الله من آيات القرآن هو
 ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ ، أي : يعتقدون أنه
 من الله ، ﴿فَتُخَيِّتَ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ﴾ ، يعني : فتسكن إليه
 قلوبهم ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ﴾ ، أي : طريق قويم هو الإسلام .

[٥٥] ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ ،
 يعني في شك مما ألقى الشيطان . وقال ابن جريج :
 منه أي من القرآن . وقيل : من الدين وهو الصراط
 المستقيم . ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ ، يعني :
 القيامة . وقيل : الموت ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ
 عَقِيمٍ﴾ قال الضحاك وعكرمة : عذاب يوم لا ليلة

له وهو يوم القيامة. والأكثر على أن اليوم العقيم يوم بدر لأنه ذكر الساعة من قبل وهو يوم القيامة. وسمي يوم بدر عقيماً لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير والعقم في اللغة: المنع، يقال: رجل عقيم إذا منع من الولد. وقيل: لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. وقال ابن جريج: لأنهم لم يُنظروا فيه إلى الليل حتى قتلوا قبل المساء.

[٥٦] ﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿لِلَّهِ﴾، من غير منازع، ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾، ثم بين الحكم، فقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه، ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾، وهم كذلك، قرأ ابن عامر (قتلوا) بالتشديد ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، والرزق الحسن الذي لا ينقطع أبداً وهو رزق الجنة، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾، قيل: هو قوله: (بل أحياء عند ربهم يرزقون).

[٥٩] ﴿لَيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾، لأن لهم فيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾، بنياتهم، ﴿حَلِيمٌ﴾، عنهم.

[٦٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾، يعني: الأمر ذلك الذي قصصنا عليكم، ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾، جازى الظالم بمثل ظلمه. قال الحسن: يعني قاتل المشركين كما قاتلوه، ﴿ثُمَّ بَغَىٰ عَلَيْهِ﴾، يعني ظلم بإخراجه من منزله يعني ما آتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى أحوجوهم إلى مفارقة أوطانهم، نزلت في قوم من المشركين أتوا قوماً من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل

٢٣٩ ﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ﴾
الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾
وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ
الرَّزُقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بَغَىٰ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي
النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
الْمُرْتَدُّ إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَفُصِّحُ الْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَفِيُّ الْحَكِيمُ ﴿٦٤﴾

الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيم عليهم، وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم، قال الله تعالى: ﴿لَيَنْصُرْنَهُ اللَّهُ﴾، والعقاب الأول بمعنى الجزاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾، عفا عن مساوئ المؤمنين وغفر لهم ذنوبهم.

[٦١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني ذلك النصر ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ﴾، القادر على ما يشاء فمن قدرته أنه، ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

[٦٢] ﴿ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ﴾، قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي وحفص بالياء وقرأ الآخرون بالتاء، يعني المشركين، ﴿مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ﴾، العالي على كل شيء، ﴿الْكَبِيرُ﴾، العظيم الذي كل شيء دونه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاوَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَّ هُدًى مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ كَادُوا يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ تُبْشِرُونَ بِالَّذِينَ نَارُهَا وَعْدُهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

المنازعة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا ترك أحدهما فلا مخاصمة هناك. ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾، إلى الإيمان بربك، ﴿إِنَّكَ لَعَلَّ هُدًى مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿٦٨﴾ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ. ﴿٦٩﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، فتعرفون حينئذ الحق من الباطل. والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر.

﴿٧٠﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ، كله، ﴿فِي كِتَابٍ﴾، يعني اللوح المحفوظ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ يعني: علمه لجميع ذلك، ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿٧١﴾ وَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، حجة وبرهانًا، ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾، يعني أنهم فعلوا ما فعلوا عن جهل لا عن علم،

﴿٦٣﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾، بالنبات، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾، بأرزاق عباده واستخراج النبات من الأرض، ﴿خَيْرٌ﴾، بما في قلوب العباد إذا تأخر المطر عنهم.

﴿٦٤﴾ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، عبيداً ومُلَكًا، ﴿وَلِلَّهِ اللَّهُ لَهُ الْغَنِيُّ﴾، عن عباده، ﴿الْحَكِيمُ﴾، في أفعاله.

﴿٦٥﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ﴾ يعني وسخر لكم الفلك، ﴿تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾، وقيل: ما في الأرض الدواب التي تركب في البر، والفلك التي تركب في البحر، ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾، لكيلا تسقط على الأرض، ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ.

﴿٦٦﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾، يعني: أنشأكم ولم تكونوا شيئاً، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾، عند انقضاء آجالكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾، يوم البعث للشواب والعقاب، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾، لنعم الله.

﴿٦٧﴾ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾، قال ابن عباس: يعني شريعة هم عاملون بها. ورؤي عنه أنه قال: عبيداً. قال قتادة ومجاهد: موضع قربان يذبحون فيه. وقيل: موضع عبادة. مألُفاً يألُفونه. والمنسك في كلام العرب: الموضع المعتاد لعمل خير أو شر، ومنه مناسك الحج لتردد الناس إلى أماكن أعمال الحج. ﴿فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ﴾، يعني في أمر الذبائح. نزلت في بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لأصحاب النبي ﷺ: ما لكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون مما قتله الله؟ قال الزجاج: معنى قوله (لا ينازعك) أي: لا تنازعهم أنت، كما يقال: لا يخاصمك فلان، أي: لا تخاصمه، وهذا جائز فيما يكون بين الاثنين، ولا يجوز لا يضربك فلان وأنت تريد لا تضربه وذلك أن

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾، للمشركين، ﴿مِنْ نَّصِيرٍ﴾، مانع يمنعهم من عذاب الله.

[٧٢] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ﴾، يعني: القرآن، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾، يعني الإنكار يتبين ذلك في وجوههم من الكراهية والعبوس، ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونُ﴾، يعني: يقعون ويسطون إليكم أيديهم بالسوء. وقيل: يبطشون، ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾، يعني: بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ. يقال: سطا عليه وسطا به إذا تناوله بالبطش والعنف، وأصل السطو القهر. ﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿أَفَأَنْتُمْ كُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَٰلِكُمْ﴾، يعني بشر لكم وأكره إليكم من القرآن الذي تستمعون، ﴿النَّارُ﴾ يعني: هي النار، ﴿وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِي كَفَرُوا وَيَسَّرَ النَّصِيرُ﴾.

[٧٣] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ﴾، معنى: ضرب جعل كقولهم: ضرب السلطان البعث على الناس وضرب الجزية على أهل الذمة أي جعل ذلك عليهم. ومعنى الآية: جعل لي شبه وشبه بي الأوثان، أي: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدها ومعنى ﴿فَاسْتَعِزُّوْا لَهُ﴾، يعني: فاستمعوا حالها وصفتها، ثم بين ذلك فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يعني: الأصنام، قرأ يعقوب بالياء والباقون بالتاء ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾، واحداً في صغره وقلته لأنها لا تقدر عليه والذباب واحد وجمعه القليل أذبة والكثير ذباب مثل غراب وأغربة وغربان، ﴿وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ﴾، يعني خلقه، ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ﴾، قال ابن عباس: كانوا يطلبون الأصنام بالزعران، فإذا جف جاء الذباب فاستلب منه. وقال السدي: كانوا يضعون الطعام بين يدي الأصنام فتقع الذباب عليه فيأكلن منه. وقال ابن زيد: كانوا يحلون الأصنام باليواقيت واللآلئ وأنواع الجواهر، ويطيبنها بالوان الطيب فربما تسقط منها واحدة فيأخذها طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على

استردادها فذلك قوله: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ أي: وإن يسلب الذباب الأصنام شيئاً مما عليها لا يقدر أن يستنقذه منه، ﴿ضَمَفَ الطَّلَبُ وَالطَّلُوبُ﴾، قال ابن عباس: الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب من الصنم، والمطلوب الصنم يطلب الذباب منه السلب. وقيل: على العكس: الطالب الصنم والمطلوب الذباب. وقال الضحاك: الطالب العابد والمطلوب المعبود.

[٧٤] ﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، ما عظموه حق عظمتهم وما عرفوه حق معرفته، ولا وصفوه حق صفته إن أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا يتتصف منه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

[٧٥] ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي﴾، يعني يختار ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وغيرهم، ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾، يعني: يختار من الناس رسلاً مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، نزلت حين قال المشركون: أنزل عليه الذكر من بيننا، فأخبر أن الاختيار إليه يختار من يشاء من خلقه، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، يعني: سميع لقولهم بصير بمن يختاره لرسالته.

[٧٦] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، قال ابن عباس: ما قدموا، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، ما خلفوا. وقال الحسن: ما بين أيديهم ما عملوا وما خلفهم ما هم عاملون من بعد. وقيل: ما بين أيديهم ملائكته وكتبه ورساله قبل أن خلقهم وما خلفهم أي ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم. ﴿وَالِلَّهِ رُجْعُ الْأُمُورِ﴾.

[٧٧] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا آرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾، يعني صلوا لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود، ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾، أي: وحدوه، ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾، قال ابن عباس: صلة الرحم ومكارم الأخلاق، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتْلَحُّونَ﴾، لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة. واختلف أهل العلم في

سجود التلاوة عقيب قراءة هذه الآية، فذهب قوم إلى أنه يسجد عندها وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس، وبه قال ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق. وذهب قوم إلى أنه لا يسجد هنا وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وعدة سجود القرآن أربعة عشر عند أكثر أهل العلم منها ثلاث في المفصل. وذهب قوم إلى أنه ليس في المفصل سجود.

[٧٨] قوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾، قيل: جاهدوا في سبيل الله أعداء الله حق جهاده هو است فراغ الطاقة فيه، قاله ابن عباس، وعنه أيضاً أنه قال: لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد، كما قال تعالى: (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم). قال الضحاك ومقاتل: اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته. وقال مقاتل بن سليمان: نسخها قوله: (فاتقوا الله ما استطعتم)، وقال أكثر المفسرين: حق الجهاد أن تكون نيته خالصة صادقة لله عز وجل. وقال السدي: هو أن يطاع فلا يعصى. وقال عبد الله بن المبارك: هو مجاهدة النفس وهو الجهاد الأكبر وهو حق الجهاد. ﴿هُوَ أَجْتَبَكُمْ﴾ يعني: اختاركم لدينه، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، ضيق، معناه أن المؤمن لا يبتلى بشيء من الذنوب إلا جعل الله له منه مخرجاً بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص، وبعضها بأنواع الكفارات، فليس في دين الإسلام ما لا يجد العبد سبيلاً إلى الخلاص من العقاب فيه. وقيل: من ضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج إذا التبس ذلك عليكم وسع الله عليكم حتى تتيقنوا. وقال مقاتل: يعني الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة في السفر والتميم عند فقد الماء وأكل الميتة عند الضرورة والإفطار بالسفر والمرض والصلاة قاعداً عند العجز عن القيام. وهو قول الكلبي، ورؤي عن ابن عباس

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَعْمُوا إِلَهَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يُخْلِقُوا ذِكَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّكَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٦﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٧﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٨﴾ مَا يَتْلُو آيَهُمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٨٠﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٨١﴾

سُورَةُ الْحُجُّ مَثَلُ

أنه قال: الحرج ما كان على بني إسرائيل من الأعمال التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الأمة. ﴿مَلَّةً أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾، يعني كلمة أبيكم نصب بنزع حرف الصفة وقيل: نصب على الإغراء، يعني اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم، وإنما أمرنا باتباع ملة إبراهيم لأنها داخلية في ملة محمد ﷺ فإن قيل فما وجه قوله: (ملة أبيكم) وليس كل المسلمين يرجع نسبهم إلى إبراهيم؟ قيل: خاطب به العرب وهم كانوا من نسل إبراهيم. وقيل: خاطب به جميع المسلمين وإبراهيم أب لهم على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب، وهو كقوله تعالى: (وأزواجه أمهاتهم)، وقال النبي ﷺ: «إنما أنا لكم مثل الوالد»^(١)، ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ﴾، يعني

(١) قطعة من حديث أخرجه أبو داود في الطهارة ١٨/١ =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣٤٢

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لَأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْأَرْضَ دُونَ هُمْ فَيَاخِلُدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُفْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا النُّفْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
لَمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

أَن الله تعالى سماكم ﴿الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾، يعني من قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة. ﴿وَفِي هَذَا﴾ يعني: وفي الكتاب، هذا قول أكثر المفسرين. وقال ابن زيد: هو يرجع إلى إبراهيم سماكم المسلمين في أيامه، من قبل هذا الوقت وفي هذا الوقت، وهو قوله: (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرئتنا أمة مسلمة لك)، ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾، يوم القيامة أَن قد بلغكم، ﴿وَتَكُونُوا﴾، أَنتم، ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، أَن رسلهم قد بلغتهم، ﴿فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾، ثقوا بالله وتوكلوا عليه. قال الحسن: تمسكوا بدين الله. ورؤي عن ابن عباس قال: سلوا ربكم أَن يعصمكم من كل ما يكره. وقيل: معناه ادعوه ليشبثكم على دينه. وقيل: الاعتصام بالله هو التمسك بالكتاب والسنة، ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾، وليكم وناصركم وحافظكم، ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾، الناصر لكم.

(٢٣) سورة المؤمنون

يلتفت يمينًا ولا شمالًا. وقال سعيد بن جبير: هو أَن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله، ولا يلتفت من الخشوع لله عز وجل. وقال عمرو بن دينار: هو السكون وحسن الهيئة. وقال ابن سيرين وغيره: هو ألا ترفع بصرك عن موضع سجودك. وقال أبو هريرة: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزل: (الذين هم في صلاتهم خاشعون) رموا بأبصارهم إلى مواضع السجود. وقال عطاء: هو ألا تعبث بشيء من جسدك في الصلاة. وقيل: الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والإعراض عما سواها،

[١] قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، قد حرف تأكيد، وقال المحققون: قد يقرب الماضي من الحال، يدل على أَن الفلاح قد حصل لهم وأنهم عليه في الحال وهو أبلغ من تجريد ذكر الفعل، والفلاح: النجاة والبقاء، قال ابن عباس: قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة.

[٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، اختلفوا في معنى الخشوع، فقال ابن عباس: مختبون أذلاء. وقال الحسن وقتادة: خائفون. وقال مقاتل: متواضعون. وقال مجاهد: هو غص البصر وخفض الصوت، والخشوع قريب من الخضوع إلا أَن الخضوع في البدن والخشوع في القلب والبصر والصوت، قال الله عز وجل: (وخشعت الأصوات للرحمن)، وعن علي رضي الله عنه: هو أَن لا

= والنسائي في الطهارة ٣٨/١ وابن ماجه في الطهارة ١١٤ والدارمي ١٧٢/١ وصححه ابن حبان برقم (١٢٨) ص ٦٢ ورواه المصنف في شرح السنة ٣٥٦/١ وقال: هذا حديث صحيح.

إلى أهلها)، ﴿وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾، حافظون، أي يحفظون ما ائتمنوا عليه، والعقود التي عاقدوا الناس عليها، يقومون بالوفاء بها، والأمانات تختلف فتكون بين الله تعالى وبين العباد كالصلاة والصيام والعبادات التي أوجبها الله عليه، ويكون من العبيد كالودائع والصنائع فعلى العبد الوفاء بجميعها.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي (صلاتهم)، على التوحيد، والآخرين صلواتهم على الجمع. ﴿يُحَافِظُونَ﴾، أي يداومون على حفظها ويراعون أوقاتها، كرر ذكر الصلاة لبيان أن المحافظة عليها واجبة كما أن الخشوع فيها واجب.

[١٠] ﴿أُولَئِكَ﴾، أهل هذه الصفة، ﴿هُمْ أَلْوَرُونَ﴾، يرثون منازل أهل النار من الجنة. وقال بعضهم: معنى الوراثة هو أنه يؤول أمرهم إلى الجنة وينالونها كما يؤول أمر الميراث إلى الوارث.

[١١] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾، وهو أعلى الجنة قد ذكرناه في سورة الكهف، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، لا يموتون ولا يخرجون.

[١٢] وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾، يعني: ولد آدم، والإنسان اسم الجنس يقع على الواحد والجمع، ﴿مِنْ سُلَلَةٍ﴾، رُوي عن ابن عباس أنه قال: السلالة صفوة الماء. وقال مجاهد: من بني آدم. وقال عكرمة: هو يسيل من الظهر، والعرب تسمي النطفة سلالة والولد سليلًا وسلالة لأنهما مسلولان منه. قوله: ﴿مِنْ طِينٍ﴾، يعني: طين آدم. والسلالة: تولدت من طين خلق آدم منه. وقيل: المراد من الإنسان هو آدم. وقوله: (من سلالة) أي: سل من كل تربة.

(١) أي وقرأ الباقون بالجمع.

والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر. [٣] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: عن الشرك وقال الحسن: عن المعاصي. وقال الزجاج: عن كل باطل ولهو وما لا يجمل من القول والفعل. وقيل: هو معارضة الكفار بالشتم والسب، قال الله تعالى: (وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغْوِ مَرُوا كِرَامًا)، أي: إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾، أي: للزكاة الواجبة مؤدون، فعبر عن التأدية بالفعل لأنها فعل. وقيل: الزكاة ههنا هو العمل الصالح، أي: والذين هم للعمل الصالح فاعلون.

[٥] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾، الفرج اسم يجمع سواة الرجل والمرأة، وحفظ الفرج التعفف عن الحرام.

[٦] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾، أي: من أزواجهم، وعلى بمعنى من ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، (ما) في محل الخفض يعني أو مما ملكت أيماهم، والآية في الرجال خاصة بدليل قوله: (أو ما ملكت أيماهم) والمرأة لا يجوز أن تستمتع بفرج مملوكها. ﴿فَأَيْتَهُمْ غَيْرَ مَلُومِينَ﴾، يعني يحفظ فرجه إلا من امرأته أو أمته فإنه لا يلام على ذلك، وإنما لا يلام فيهما إذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون الإتيان في غير المأوى، وفي حال الحيض والنفاس، فإنه محظور وهو على فعله ملوم.

[٧] ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾، أي: التمس وطلب سوى الأزواج والولائد المملوكة، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاعِلُونَ﴾، الظالمون المتجاوزون من الحلال إلى الحرام.

[٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ﴾، قرأ ابن كثير (لأماناتهم) على التوحيد ههنا وفي سورة المعارج، كقوله تعالى: (وعهدهم) والباقون^(١) بالجمع، كقوله عز وجل: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات

بعضها فوق بعض، يقال: طارقت النعل إذا جعلت بعضه فوق بعض. وقيل: سميت طرائق لأنها طرائق الملائكة. ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾، أي كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم كما قال الله تعالى: (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه). وقيل: ما تركناهم سدى بغير أمر ونهي. وقيل: وما كنا عن الخلق غافلين أي بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب.

[١٨] ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾، يعلمه الله. قال مقاتل: بقدر ما يكفيهم للمعيشة، ﴿فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ﴾، يريد ما يبقى في الغدران والمستنقعات. يتنفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر. وقيل: فأسكناه في الأرض ثم أخرجنا منها ينابيع، فماء الأرض كله من السماء، ﴿وَلِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾، حتى تهلكوا عطشاً وتهلك مواشيكم وتخرب أراضيكم.

[١٩] قوله تعالى: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾، يعني بالماء، ﴿جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾، في الجنات، ﴿فَوَاكِهَ كَثِيرَةٍ وَمِنَهَا تَأْكُلُونَ﴾، شتاء وصيفاً، وخصّ النخيل والأعناب بالذكر لأنها أكثر فواكه العرب.

[٢٠] ﴿وَشَجَرَةٍ﴾ أي: أنشأ لكم شجرة ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾، وهي الزيتون، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو (سيناء) بكسر السين. وقرأ الآخرون بفتحها، واختلفوا في معناه وفي (سين) في قوله تعالى: (وطور سينين) قال مجاهد: معناه البركة، أي: من جبل مبارك. وقال قتادة: معناه الحسن، أي من الجبل الحسن. وقال الضحاك: هو بالنبطية، ومعناه الحسن: وقال عكرمة: هو بالحبشية. وقال الكلبي: معناه الشجر، أي: جبل ذو شجر. وقيل: هو بالسريانية الملتفة بالأشجار. وقال مقاتل: كل جبل فيه أشجار مثمرة فهو سينا،

[١٣] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُفْفَةً﴾، يعني الذي هو الإنسان جعلناه نطفة، ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾، حريز وهو الرحم مكنّ وهيء لاستقرارها فيه إلى بلوغ أمدها.

[١٤، ١٥] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر (عظمًا) ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ بسكون الظاء على التوحيد فيهما، وقرأ الآخرون بالجمع لأن الإنسان ذو عظام كثيرة. وقيل: بين كل خلقتين أربعون عامًا. (فكسونا العظام لحماً)، أي ألبسنا، ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾، اختلف المفسرون فيه، فقال ابن عباس وغيره: هو نفخ الروح فيه. وقال قتادة: نبات الأسنان والشعر. وروى ابن جريج عن مجاهد: أنه استواء الشباب. وعن الحسن قال: ذكرًا أو أنثى. وروى العوفي عن ابن عباس: أن ذلك تصرف أحواله بعد الولادة من الاستهلال إلى الارتضاع، إلى القعود إلى القيام، إلى المشي إلى الفطام، إلى أن يأكل ويشرب، إلى أن يبلغ الحلم، ويتقلب في البلاد إلى ما بعدها. ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾، أي: استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال. ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، المصورين والمقدرين. والخلق في اللغة التقدير. وقال مجاهد: يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين، يقال: رجل خالق أي: صانع. وقال ابن جريج: إنما جمع الخالقين لأن عيسى كان يخلق كما قال: (إني أخلق لكم من الطين) فأخبر الله عن نفسه بأنه أحسن الخالقين. ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ﴾، والميت بالتشديد، والمات الذي لم يمت بعد وسيموت، والميت بالتخفيف من مات، ولذلك لم يجز التخفيف هنا. كقوله: (إنك ميت وإنهم ميتون).

[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُعْذَرُونَ﴾. [١٧] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾، أي: سبع سموات، سميت طرائق لتطارقها وهو أن

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبَ لَكُمْ فِيهَا أَفْوَكَهٖ كَثِيرَةً وَمِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغَ لِلَّذِينَ كَلِمَاتٍ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنَبِّحُوا بِطُغْيَانِ كُفْرٍ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوُّوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَضُّوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْزِيلُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ مِّنْ نَّاسٍ وَأَهْلًا لَّكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخْطِطُ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

تبع، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾، ألا يعبد سواه، ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾، يعني بإبلاغ الوحي ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾، الذي يدعوننا إليه نوح ﴿فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾، وقيل: ما سمعنا بهذا أي: بإرسال بشر رسولاً.

﴿٢٥﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾، يعني جنون، ﴿فترَضُّوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾، يعني إلى أن يموت فتستريحوا منه.

﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ﴾، يعني: أعني بإهلاكهم لتكذيبهم إياي.

﴿٢٧﴾ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْزِيلُ فَاسْلُكْ فِيهَا﴾، أدخل فيها، يقال: سلكته في كذا وأسلكته فيه، ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ مِّنْ نَّاسٍ وَأَهْلًا لَّكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾، يعني من سبق عليه الحكم بالهلاك. ﴿وَلَا تَخْطِطُ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾.

وسنين بلغة النبط. وقيل: هو فيعال من السناء وهو الارتفاع. قال ابن زيد: هو الجبل الذي نُودي منه موسى بين مصر وأيلة. وقال مجاهد: سينا اسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها لوجودها عنده. وقال عكرمة: هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل، ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة ويعقوب تبت بضم التاء وكسر الباء وقرأ الآخرون بفتح التاء وضم الباء، فمن قرأ بفتح التاء فمعناه تبت ثمر الدهن وهو الزيتون. وقيل: تبت ومعها الدهن، ومن قرأ بضم التاء، اختلفوا فيه فمنهم من قال: الباء زائدة معناه تبت الدهن كما يقال أخذت ثوبه وأخذت بثوبه، ومنهم من قال نبت وأنبت لغتان بمعنى واحد، ﴿وَصَبِغَ لِلَّذِينَ كَلِمَاتٍ﴾، الصبغ والصباغ الإدام الذي لون الخبز إذ غمس فيه وينصبغ، والإدام كل ما يؤكل مع الخبز سواء ينصبغ به الخبز ولا يصبغ. قال مقاتل: جعل الله في هذه الشجرة أدماً ودُهناً، فالأدم: الزيتون، والدهن: الزيت، وقال: خُصَّ الطور بالزيتون لأن أول الزيتون نبت بها. ويقال: لأن الزيتون أول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان.

﴿٢١﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾، يعني: آية تعتبرون بها، ﴿شَفِيقُكُمْ﴾، قرأ العامة بالنون، وقرأ أبو جعفر ههنا بالتاء وفتحها، ﴿مِمَّا فِي بَطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِمَّا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾، يعني: على الإبل في البر وعلى الفلك في البحر.

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوُّوا عِبَادُوا اللَّهَ وَحْدَهُ﴾، وحدوه، ﴿مَّا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ﴾، معبود سواه، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، أفلا تخافون عقوبته إذا عبدتم غيره.

﴿٢٤﴾ ﴿فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾، يعني: يتشرف بأن يكون له الفضل عليكم فيصير متبرعاً وأنتم له

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٤٤

سُورَةُ الْمُؤْمِنِينَ

فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَجَدْنَا
 مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ
 الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا
 مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا
 اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ
 الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِفُلَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتَرَفْتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 مَا هَذَا إِلَّا ابْشِرْ بَمِثْلِكُمْ بِأَكُلِّ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا
 تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾
 أَعْيَدْتُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾
 هَٰئِهِاتِ هَٰئِهِاتِ لِمَا تَوَعَّدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
 الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
 افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
 انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّیُصْبِحُنَّ نَدَمِينَ ﴿٤٠﴾
 فَآخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعَثَ اللَّهُ الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾

عبد الله.

[٣٦] ﴿هَٰئِهِاتِ هَٰئِهِاتِ لِمَا تَوَعَّدُونَ﴾، قال ابن عباس: هي كلمة بعد، أي: بعيد ما توعدون، قرأ أبو جعفر (هيات هيات) بكسر التاء، وقرأ نصر ابن عاصم بالضم، وكلها لغات صحيحة فمن نصب جعله مثل أين وكيف، ومن رفع جعله مثل أمس منذ وقط وحيث، ومن كسر جعله مثل أمس وهؤلاء، ووقف عليها أكثر القراء بالتاء، ويروى عن الكسائي الوقف عليها بالهاء.

[٣٧] ﴿إِنَّ هِيَ﴾، يعنون الدنيا، ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، قيل: فيه تقديم وتأخير، أي: نحيا ونموت لأنهم كانوا ينكرون البعث بعد الموت. وقيل: يموت الآباء ويحيا الأبناء. وقيل: يموت قوم ويحيا قوم. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾، بمششرين بعد الموت.

[٢٨، ٢٩] ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ﴾، اعتدلت ﴿أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَجَدْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يعني الكافرين، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم (منزلاً) بفتح الميم وكسر الزاي، أي يريد موضع النزول، قيل: هذا هو السفينة بعد الركوب، وقيل: هو الأرض بعد النزول، ويحتمل أنه أراد في السفينة، ويحتمل بعد الخروج، وقرأ الباقون منزلاً بضم الميم وفتح الزاي، أي إنزالاً مباركاً، فالبركة في السفينة النجاة وفي النزول بعد الخروج كثرة النسل من أولاده الثلاثة، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾.

[٣٠] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، يعني الذي ذكرت من أمر نوح والسفينة وإهلاك أعداء الله ﴿لَآيَةٍ﴾، لدلالات على قدرته، ﴿وَأَنَّ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾، يعني: وقد كنا. وقيل: وما كنا إلا مبتلين أي: مختبرين إياهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره للنظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم.

[٣١] ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، من بعد إهلاكهم، ﴿قُرُونًا آخَرِينَ﴾.

[٣٢] ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾، يعني هوداً وقومه. وقيل: صالحاً وقومه. والأول أظهر، ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

[٣٣] ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِفُلَاءِ الْآخِرَةِ﴾، أي المصير إلى الآخرة ﴿وَأَتَرَفْتُهُمْ﴾، نعمناهم ووسعنا عليهم، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾، يعني مما تشربون منه.

[٣٤] ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾، لمغبونون.

[٣٥] ﴿أَعْيَدْتُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ﴾، من قبوركم أحياء وأعاد إنكم لما طال الكلام، ومعنى الكلام: أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً مخرجون؟ وكذلك هو في قراءة

مُؤْمِنِينَ، يعني بحجة بينة من اليد والعصا. وغيرهما.

[٤٦] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾، تعظموا عن الإيمان، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَلِيلِينَ﴾، متكبرين قاهرين بالظلم.

[٤٧] ﴿فَقَالُوا﴾، يعني فرعون وقومه، ﴿أَتُؤْمِنُ بِشَرِّينَ مِثْلِكَ﴾، يعني: موسى وهارون، ﴿وَقَوْمَهُمَا لَنَا عِدَدُونَ﴾ مطيعون متذللون والعرب تسمي كل من دان للملك عابداً له.

[٤٨] ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾، بالغرق. [٤٩] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، التوراة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾، أي لكي يهتدي به قومه.

[٥١، ٥٠] ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾، دلالة على قدرتنا، ولم يقل آيتين، قيل: معناه شأنهما آية. وقيل: معناه جعلنا كل واحد منهما آية، كقوله تعالى: (كلنا الجنة آتت أكلها). ﴿وَوَاعَدْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبِّوَنَّهُ﴾، الربوة المكان المرتفع من الأرض، واختلفت الأقوال فيها، فقال عبدالله بن سلام: هي دمشق، وهو قول سعيد بن المسيب ومقاتل، وقال الضحاك: غوطة دمشق. وقال أبو هريرة: هي الرملة. وقال عطاء عن ابن عباس: هي بيت المقدس، وهو قول قتادة وكعب. وقال كعب: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً. وقال ابن زيد: هي مصر. وقال السدي: أرض فلسطين.

﴿ذَاتِ قُرْبَىٰ﴾ أي: مستوية منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها. ﴿وَعَمِيرٍ﴾، فالمعير الماء الجاري الظاهر الذي تراه العيون، مفعول من عانه يعنيه إذا أدركه البصر. قوله: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ﴾، قال الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي وجماعة: أراد به محمد ﷺ وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة. وقال بعضهم: أراد به عيسى وقيل: أراد به جميع الرسل عليهم السلام، ﴿كُلُّوا مِنِ الطَّيِّبَاتِ﴾، أي الحلالات،

[٣٨] ﴿إِنْ هُوَ﴾، يعني الرسول، ﴿إِلَّا رَجُلٌ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾، بمصدقين بالبعث بعد الموت.

[٤٠، ٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾. ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾، أي: عن قليل (وما) صلة، ﴿لَيُصِصَنَّ﴾، ليصيرن، ﴿نَارِمِينَ﴾، على كفرهم وتكذيبهم.

[٤١] ﴿فَاخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ﴾، يعني صيحة العذاب، ﴿بِالْحَقِّ﴾، قيل: أراد بالصيحة الهلاك. وقيل: صاح بهم جبريل صيحة فتصدعت قلوبهم، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ عُثَّةً﴾، وهو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان شجر، معناه: صيرناهم هلكى فيسوا ييس الغطاء من نبات الأرض، ﴿فَبَعَدًا لِّلْقَوْرِ آلِ الْفَالِغِينَ﴾.

[٤٢] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ﴾، يعني: أقواماً آخرين.

[٤٣] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾، يعني: ما تسبق أمة أجلها، (ومن) صلة أي: وقت هلاكها، ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾، وما يتأخرون عن وقت هلاكهم.

[٤٤] ﴿ثُمَّ لَنَا رِيسًا نُنَادِيكُمُ الْيَوْمَ﴾، يعني: مترادفين يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين، لأن بين كل نبين زماناً طويلاً وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي: يقال واترت الخبر إذا أتبت بعضه بعضاً وبين الخبرين مهمة. ﴿كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذِبٌ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْ بَعْضِهِمْ بَعْضًا﴾، بالهلاك، أي: أهلكتنا بعضهم في إثر بعض، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، يعني سمراً وقصصاً يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم، وهي جمع أحدثه. وقيل: جمع حديث. قال الأخفش: إنما هو في الشر وأما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحدثه إنما يقال صار فلان حديثاً، ﴿فَبَعَدًا لِّلْقَوْرِ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٤٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ

﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾، الصلاح هو الاستقامة على ما توجبه الشريعة، ﴿إِنِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

[٥٢] ﴿وَإِنَّ هَذِهِ﴾ قرأ أهل الكوفة وإن بكسر الألف على الابتداء وقرأ الباقون بفتح الألف وخفف ابن عامر النون وجعل إن صلة مجازة وهذه ﴿أَمْتَكُمْ﴾، وقرأ الباقون بتشديد النون على معنى وبأن هذا تقديره بأن هذه أمتكم، أي ملتكم وشريعتكم التي أنتم عليها، ﴿أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾، أي ملة واحدة وهي الإسلام، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾، أي: اتقوني لهذا، وقيل: معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين من قبلكم فأمركم واحد (وأنا ربكم فاتقون) فاحذروني وقيل: هو نصب بإضمار فعل، أي: اعلّموا أن هذه أمتكم أي ملتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون.

[٥٣] ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾، دينهم، ﴿بَيْنَهُمْ﴾، أي: تفرقوا فصاروا فرقاً يهوداً ونصارى ومجوساً، ﴿زُبُرًا﴾ أي: فرقاً وقطعاً مختلفة، واحدها زبور وهو الفرقة والطائفة، ومثله الزبرة وجمعها زبر، ومنه: (زبر الحديد) أي: صاروا فرقاً كزبر الحديد. وقرأ بعض أهل الشام (زبراً) بفتح الباء، قال قتادة ومجاهد: (زبراً) أي: كتباً يعني دان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذي دان به الآخرون. وقيل: جعلوا كتبهم قطعاً مختلفة آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وحرفوا البعض ﴿كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾، أي: بما عندهم منهم الذين، ﴿فَرِحُوا﴾، معجبون ومسرورون.

[٥٤] ﴿فَذَرُّهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾، قال ابن عباس: في كفرهم وضلالتهم، وقيل: عمايتهم، وقيل: غفلتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾، إلى أن يموتوا.

[٥٥] ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ﴾ ما نعطيهم ونجعله مدداً لهم من المال والبنين في الدنيا.

[٥٦] ﴿سُبَّاحٌ لَهُمْ فِي الْخَبَرِ﴾، أي: نجعل لهم في

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلَّ مَاجَاءٍ أُمَّةٍ رُسُلُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدَ الْفَوْزُ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٥٥﴾ فَقَالُوا اتَّوَمَّنَ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ ﴿٥٦﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٥٨﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٩﴾ يَأْتِيهِمُ الرُّسُلُ كُلُّوَامِنِ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٦١﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوا ﴿٦٢﴾ فَذَرُّهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٦٣﴾ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ ﴿٦٤﴾ سُبَّاحٌ لَهُمْ فِي الْخَبَرِ تِلْكَ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾

الخيرات ونقدمها ثواباً لأعمالهم لمرضاتنا عنهم، ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، إن ذلك استدراج لهم. ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال:

[٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾، أي: خائفون، والإشفاق: الخوف، والمعنى أن المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه، قال الحسن البصري: المؤمن من جمع إحساناً وخشية، والمنافق من جمع إساءة وأمناً.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾، يُصدّقون.

[٥٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾.

[٦٠] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾، أي: يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات، ورؤي عن عائشة أنها كانت تقرأ (والذين يأتون ما أتوا) أي: يعملون ما عملوا من أعمال البر، ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾، أن ذلك

لا بد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم من الشقاوة، هذا قول أكثر المفسرين. وقال قتادة: هذا ينصرف إلى المسلمين وأن لهم أعمالاً سوى ما عملوا من الخيرات هم لها عاملون، والأول أظهر.

[٦٤] ﴿حَقَّ إِذَا أَخَذْنَا مُرَفِيقَهُمْ﴾، أي: أخذنا أغنياءهم ورؤساءهم، ﴿بِالْعَذَابِ﴾، قال ابن عباس: هو السيف يوم بدر. وقال الضحاك: يعني الجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ، فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»^(١) فابتلاهم الله عز وجل بالقحط حتى أكلوا الكلاب والحيث. ﴿إِذَا هُمْ يَخْتَرُونَ﴾ يجزعون ويستغيثون وأصل الجأ رفع الصوت بالتضرع.

[٦٥] ﴿لَا تَحْزَنُوا الْيَوْمَ﴾، أي لا تضحجوا، ﴿إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُصْرُونَ﴾، لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم.

[٦٦] ﴿قَدْ كَانَتْ عَائِيتِي تُنْذِرُكُمْ﴾، يعني القرآن، ﴿فَكَثُرَ عَلَىٰ عَفْوِكُمْ نَكَصُونَ﴾ ترجعون القهقري تتأخرون عن الإيمان.

[٦٧] ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾، اختلفوا في هذه الكناية فأظهر الأقاويل أنها تعود إلى البيت الحرام كناية عن غير مذكور، أي: مستكبرين متعظمين بالبيت الحرام وتعظمهم به أنهم كانوا يقولون: نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحداً فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف، هذا قول ابن عباس ومجاهد وجماعة، وقيل: مستكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به. والأول أظهر، المراد منه

لا ينجيهم من عذاب الله وأن أعمالهم لا تقبل منهم، ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾، لأنهم يوقنون أنهم يرجعون إلى الله عز وجل. قال الحسن: عملوا الله بالطاعات واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله (والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة) أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه»^(٢).

[٦١] قوله عز وجل: ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَزَنِ﴾، يبادرون إلى الأعمال الصالحات، ﴿وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ﴾، أي: إليها سابقون، كقوله تعالى: (لما نهوا) أي: إلى ما نهوا، (ولما قالوا) ونحوها، وقال ابن عباس في معنى هذه الآية: سبقت لهم من الله السعادة. وقال الكلبي: سبقوا الأمم في الخيرات.

[٦٢] قوله: ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، أي: طاقتها فمن لم يستطع القيام فليصل قاعداً ومن لم يستطع الصوم فليفطر، ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَلْقَىٰ بِالْحَقِّ﴾، وهو اللوح المحفوظ ينطق بالحق يبين بالصدق، ومعنى الآية لا يكلف الله نفساً إلا وسعها إلا ما أطاقت من العمل، وقد أثبتنا عمله في اللوح المحفوظ، فهو ينطق به وبينه. وقيل: هو كتب أعمال العباد التي تكتبها الحفظة، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم.

[٦٣] ثم ذكر الكفار فقال: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ﴾، أي: في غفلة وجهالة، ﴿مِنْ هَٰذَا﴾، أي: من القرآن، ﴿وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ﴾، أي: للكفار أعمال خبيثة من المعاصي، والخطايا محكومة عليهم من دون ذلك، يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله تعالى في قوله: (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون)، ﴿هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾،

(١) أخرجه الترمذي في التفسير ١٩/٩ والإمام أحمد ٦/١٥٩-٢٠٦ والحاكم ٣٩٣/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والطبري ٣٤/١٨.
(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الدعوات ١١/١٩٣ ومسلم في المساجد رقم (٦٧٥) ٤٦٦/١.

الْحَرَمِ، ﴿سَمِرًا﴾، نصب على الحال، أي أنهم يسمرون بالليل في مجالسهم حول البيت، ووحد سامرًا وهو بمعنى السمار لأنه وضع موضع الوقت، أراد تهجرون ليلاً. وقيل: وحد سامر، ومعناه الجمع، كقوله: (ثم نخرجكم طفلاً)، ﴿تَهْجُرُونَ﴾، قرأ نافع (تهجرون) بضم التاء وكسر الجيم من الإهجار وهو الإفحاش في القول، أي تفحشون وتقولون الخنا، وذكر أنهم كانوا يسبون النبي ﷺ وأصحابه، وقرأ الآخرون (تهجرون) بفتح التاء وضم الجيم، أي: تعرضون عن النبي ﷺ وعن الإيمان والقرآن، وترفضونها. وقيل: هو من الهجر وهو القول القبيح، يقال: هجر يهجر هجرًا إذا قال غير الحق. وقيل: تهزؤون وتقولون ما لا تعلمون، من قولهم هجر الرجل في منامه إذا هذى.

[٦٨] ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا﴾، يعني يتدبروا ﴿الْقَوْلَ﴾، يعني ما جاءهم من القول وهو القرآن، فيعرفوا ما فيه من الدلالات على صدق محمد ﷺ، ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾، فأنكروا، يريد إنا قد بعثنا من قبلهم رسلاً إلى قومهم كذلك بعثنا محمدًا ﷺ إليهم. وقيل: أم بمعنى بل يعني جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين فلذلك أنكروا.

[٦٩] ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾، محمدًا ﷺ، ﴿فَهُمْ لَمْ يُنْكِرُوا﴾، قال ابن عباس: أليس قد عرفوا محمدًا ﷺ صغيرًا وكبيرًا وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود، وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الإعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والأمانة.

[٧٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾، جنون وليس كذلك، ﴿بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾، يعني بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل، ﴿وَكَثَرَهُمُ لِلْحَقِّ كَرَهُونَ﴾.

[٧١] ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾، قال ابن جريج ومقاتل والسدي وجماعة: الحق هو الله أي لو اتبع

الله مرادهم فيما يفعل، وقيل: لو اتبع مرادهم، فسمى لنفسه شريكًا وولداً كما يقولون: ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾، وقال الفراء والزجاج: والمراد بالحق القرآن أي لو نزل القرآن بما يحبون من جعل الشريك والولد على ما يعتقدونه (لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن)، وهو كقوله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا). ﴿بَلْ أَلْبَنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾، بما يذكرهم، قال ابن عباس: أي بما فيه فخرهم وشرفهم يعني القرآن، فهو كقوله تعالى: (لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم)، أي: شرفكم (وإنه لذكر لك ولقومك)، أي: شرف لك ولقومك. ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ﴾، يعني عن شرفهم، ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

[٧٢] ﴿أَمْ تَتْلُوهُمْ﴾، على ما جنتهم به، ﴿خَرَجًا﴾، أجرًا وجعلًا، ﴿فَخَرَجَ رِبَاكَ خَيْرٌ﴾، يعني

﴿وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجَوَانِ طُعَيْنَهُمْ يَعْصَهُونَ﴾ (٧٥) ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ﴾ (٧٦) ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذْ هُمْ فِيهِ مُبْسُوتُونَ﴾ (٧٧) ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٧٩) ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٨٠) ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ (٨١) ﴿قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَعُونُوهُمْ﴾ (٨٢) ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَءَاكِبَانَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨٣) ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٨٥) ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٨٦) ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ﴾ (٨٧) ﴿قُلْ مَنْ يَدِيرُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٨) ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ (٨٩)

وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، تبعثون.

[٨٠] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، أي: تدوير الليل والنهار في الزيادة والنقصان، قال الفراء: جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، ما ترون من صنعه فتعتبرون.

[٨١] ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾، أي: كذبوا كما كذب الأولون.

[٨٢] ﴿قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَعُونُوهُمْ﴾، لمحشورون، قالوا ذلك على طريق الإنكار في التعجب.

[٨٣] ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَءَاكِبَانَا هَذَا﴾، الوعد، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، أي: وعد آبائنا قوم زعموا أنهم رسل

ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾، قرأ حمزة والكسائي (خراجًا) (فخرج) كلاهما بالالف وقرأ ابن عامر كلاهما بغير ألف وقرأ الآخرون (خراجًا) بغير الألف (فخراج) بالالف.

[٧٣] ﴿وَلَنْكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وهو الإسلام.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ﴾، أي عن دين الحق، ﴿لَنَكُوبَنَّ﴾، لعادلون مائلون.

[٧٥] ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾، قحط وجدوبة ﴿لَلْجَوَانِ﴾، تهادوا، ﴿فِي طُعَيْنَهُمْ يَعْصَهُونَ﴾، ولم يترعوا عنه.

[٧٦] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾، وذلك أن النبي ﷺ دعا على قريش أن يجعل عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم القحط، فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ وقال: أشدك الله والرحم، ألسنت ترعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ فقال: بلى، فقال: قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فادع الله أن يكشف عنا هذا القحط، فدعا فكشف عنهم، فأنزل الله هذه الآية ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾، أي: ما خضعوا وما ذلوا لربهم، وأصله طلب السكون، ﴿وَمَا يَضُرُّهُمْ﴾، أي: لم يتضرعوا إلى ربهم بل مضوا على تمردهم.

[٧٧] ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، قال ابن عباس: يعني القتل يوم بدر وهو قول مجاهد، وقيل: هو الموت. وقيل: هو قيام الساعة، ﴿إِذْ هُمْ فِيهِ مُبْسُوتُونَ﴾، آيسون من كل خير.

[٧٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ أي: أنشأ لكم الأسماع ﴿وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ﴾، لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، أي: لم تشكروا هذه

النعم. [٧٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

الله فلم نر له حقيقة، ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، أكاذيب الأولين.

[٨٤] ﴿قُلْ﴾، يا محمد مجيباً لهم يعني أهل مكة، ﴿لَمِنَ الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا﴾، من الخلق، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، خالقها ومالكها.

[٨٥] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، ولا بدّ لهم من ذلك لأنهم يقولون أنها مخلوقة. ﴿قُلْ﴾ لهم إذا أقروا بذلك، ﴿أَفَلَا نَذْكُرُ﴾، فتعلمون أن من قدر على خلق الأرض ومن فيها ابتداء يقدر على إحيائهم بعد الموت.

[٨٦] ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّنِجِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

[٨٧] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، قرأ العامة (الله) ومثله ما بعده فجعلوا الجواب على المعنى كقول القائل للرجل: من مولاك؟ فيقول: لفلان، أي أنا لفلان وهو مولاي، وقرأ أهل البصرة فيها (الله) وكذلك هو في مصحف أهل البصرة وفي سائر المصاحف مكتوب بالالف كالأول، ﴿قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ﴾، تحذرون.

[٨٨] ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، الملكوت الملك والتاء فيه للمبالغة، ﴿وَهُوَ يُحْيِي﴾، أي: يؤمن من يشاء ﴿وَلَا يُكَاذِبُ عَلَيْهِ﴾، أي: لا يؤمن من أخافه الله أو يمنع هو من السوء من يشاء ولا يمنع منه من أَرَادَهُ بِسُوءٍ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، قيل: معناه أجبوا إن كنتم تعلمون.

[٨٩] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾، أي: تخدعون وتصرفون عن توحيد وطاعته، والمعنى: كيف يخيل لكم الحق باطلاً؟

[٩٠] ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾، بالصدق ﴿وَأَتَيْنَهُمُ الْكَذِبُونَ﴾، فيما يدعون من الشريك والولد.

[٩١] ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾، أي: من شريك، ﴿إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ مِمَّا خَلَقَ﴾، أي: تفرد بما خلقه فلم يرض أن يضاف

خلقه وإنعامه إلى غيره، ومنع الإله الآخر عن الاستيلاء على ما خلق. ﴿وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، أي: طلب بعضهم مغالبة بعض ففعل ملوك الدنيا فيما بينهم، ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾.

[٩٢] ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ قرأ أهل المدينة والكوفة غير حفص (عالم) برفع الميم على الابتداء، وقرأ الآخرون بجرها على نعت الله في سبحان الله، ﴿فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، أي: تعظم عما يشركون، ومعناه أنه أعظم من أن يوصف بهذا الوصف.

[٩٣] قوله: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي﴾، أي: إن أريدني، ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾، أي: ما أوعدتهم من العذاب.

[٩٤] ﴿رَبِّ﴾، أي: يا رب، ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوَرِ الظَّالِمِينَ﴾، أي: لا تهلكني بهلاكهم. [٩٥] ﴿وَإِنَّا عَلَيَّ أَنْ تُرِيكَ مَا نَعْدُهُمْ﴾، من العذاب لهم، ﴿لَقَدْ رَوْنُ﴾.

[٩٦] ﴿أَدْفَعْ بِأَلْنِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أي: ادفع بالخلعة التي هي أحسن هي الصفح والإعراض والصبر، ﴿الْسَّيِّئَةِ﴾، يعني أذاهم، أمرهم بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة، نسختها آية السيف. ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾، يكذبون ويقولون من الشرك.

[٩٧] ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾، أي: أمتنع وأعتصم بك، ﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾، قال ابن عباس: نزعاتهم. وقال الحسن: وسائسهم. وقال مجاهد: نفخهم ونفثهم. وقال أهل المعاني: دفعهم بالإغواء إلى المعاصي، وأصل الهمز شدة الدفع.

[٩٨] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونُ﴾، في شيء من أموري، وإنما ذكر الحضور لأن الشيطان إذا حضره يوسوسه.

بَلْ أَيْتَنَّهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٩﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ
وَمَا كُنَّا مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ عَلِيمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَعَلَىٰ عَمَائِكُمْ كُوتٌ ﴿١٠١﴾ قُلْ رَبِّ
إِمَّا تُرِيدُنِي مَبُوعِدُونَ ﴿١٠٢﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿١٠٤﴾
أَدْفَعْ يَا آلِيَّ هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يُصِفُونَ ﴿١٠٥﴾
وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿١٠٦﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١٠٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
أَرْجِعُونِ ﴿١٠٨﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٩﴾ فَإِذَا نَفَخَ
فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١١٠﴾
فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١١﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
خَالِدُونَ ﴿١١٢﴾ تَلَفَحَ وَجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالْعِخْلِقَانِ ﴿١١٣﴾

الثانية، قال: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة
فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي
مناد: هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق
فليأت إلى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على
والده وولده وزوجته أو أخيه فيأخذ منه، ثم قرأ ابن
مسعود (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون).
وفي رواية عطاء عن ابن مسعود: أنها الثانية فلا
أنساب بينهم أي: لا يتفاخرون بالأنساب يومئذ
كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون سؤال
تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا: من أنت
ومن أي قبيلة أنت؟ ولم يرد أن الأنساب تنقطع.
فإن قيل: قد قال ههنا (ولا يتساءلون) وقال في
موضع آخر: (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)؟
الجواب: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما:
أن للقيامة أحوالاً ومواطن ففي موطن يشتد عليهم

ثم أخبر أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث
يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت.

[٩٩] فقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
أَرْجِعُونِ﴾، ولم يقل أرجعني وهو يسأل الله وحده
الرجعة على عادة العرب فإنهم يخاطبون الواحد
بلفظ الجمع على وجه التعظيم كما أخبر الله تعالى
عن نفسه فقال: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له
لحافظون) ومثله كثير في القرآن. وقيل: هذا
الخطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه ابتداء
بخطاب الله لأنهم استغاثوا بالله أولاً ثم رجعوا إلى
مسألة الملائكة الرجوع إلى الدنيا.

[١٠٠] قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا
تَرَكْتُ﴾، أي: ضيعت أن أقول لا إله إلا الله.
وقيل: أعمل بطاعة الله. قال قتادة: ما تمنى أن
يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي
الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله،
فرحم الله امرءاً أعمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى
العذاب، ﴿كَلَّا﴾، كلمة ردع وزجر، أي: لا يرجع
إليها، ﴿إِنَّهَا﴾ يعني: سؤاله الرجعة، ﴿كَلِمَةٌ هُوَ
قَائِلُهَا﴾، ولا ينالها، ﴿وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ﴾، أي
أمامهم وبين أيديهم حاجز، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾،
والبرزخ الحاجز بين الشيئين، واختلفوا في معناه
ههنا، فقال مجاهد: حجاب بينهم وبين الرجوع
إلى الدنيا. وقال قتادة: بقية الدنيا. وقال
الضحَّاك: البرزخ ما بين الموت إلى البعث.
وقيل: هو القبر وهم فيه إلى يوم يبعثون.

[١٠١] ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾،
اختلفوا في هذه النفخة، فروى سعيد بن جبير عن
ابن عباس: أنها النفخة الأولى (ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الأرض) ﴿فَلَا
أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، (ثم نفخ فيه
أخرى فإذا هم قيام ينظرون) (وأقبل بعضهم على
بعض يتساءلون). وعن ابن مسعود: أنها النفخة

وكسرهما، مثل كوكب دُرِّي ودري، قال الفراء والكسائي: الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول، والضم بمعنى التسخير والاستعباد بالفعل واتفقوا في سورة الزخرف بأنه بمعنى التسخير، ﴿حَتَّىٰ أَتَوْكُمْ﴾ أي: أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم وتسخيرهم، ﴿ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾، نظيره (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) قال مقاتل: نزلت في بلال وعمار وخباب وصهيب وسلمان والفقراء من الصحابة، كان كفار قريش يستهزؤون بهم.

[١١١] ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَّوْا﴾، على أذاكم واستهزائكم في الدنيا، ﴿أَلَهُمْ هُمُ الْفَلَاحُ﴾، قرأ حمزة والكسائي (إنهم) بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بفتحها، فيكون في موضع المفعول الثاني إني جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز بالجنة.

[١١٢] ﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي: وقل إن، على الأمر والنهي. ومعنى الآية: قولوا أيها الكافرون، فأخرج الكلام مخرج الواحد، والمراد منه الجماعة إذا كان معناه مفهوماً ويجوز أن يكون الخطاب لكل واحد منهم، أي قل يا أيها الكافرون وقرأ ابن كثير: قل كم على الأمر، وقال أن على الخبر لأن الثانية جواب، وقرأ الآخرون قال فيهما جميعاً أي قال الله تعالى للكفار يوم البعث كم لبستم، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، أي: في الدنيا وفي القبور ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾.

[١١٣] ﴿قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدد من العذاب، ﴿فَسَلِّ الْعَادِينَ﴾، الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحسونها عليهم.

[١١٤] ﴿قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ﴾، أي: ما لبستم في الدنيا، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، سماه قليلاً لأن الواحد وإن طال مكثه في الدنيا فإنه يكون قليلاً في جنب

الخوف فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون، وفي موطن يفيقون إفاقة فيتساءلون.

[١٠٢] قوله: ﴿فَمَنْ قُلْتُ مَوْزِئُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[١٠٣] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوْزِئُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.

[١٠٤] ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾. أي: تسفع، وقيل: تحرق، ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾، عابسون.

[١٠٥] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَقَىٰ تِلْكَ عَلَيْنَا﴾، يعني القرآن تخوفون بها، ﴿فَكَفَرْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾.

[١٠٦] ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾، قرأ حمزة والكسائي: شقاوتنا بالألف وفتح الشين وهما لغتان أي: غلبت علينا شقوتنا التي كتبت علينا فلم نهتد. ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عن الهدى.

[١٠٧] ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي: من النار، ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾، لما تكره ﴿فَأَنَّا ظَالِمُونَ﴾.

[١٠٨] ﴿قَالَ أَخْسُوا﴾، أبعادوا، ﴿فِيهَا﴾، كما يقال للكلب إذا طرد اخساً، ﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾، في رفع العذاب فإني لا أرفعه عنكم فعند ذلك أيسر المساكين من الفرج، قال الحسن: هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعدها إلا الشهيق والزفير، ويصير لهم عواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون.

[١٠٩] ﴿إِنَّهُمْ﴾ الهاء في (إنه) عماد وتسمى أيضاً المجهولة، ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾، وهم المؤمنون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَّا فَاغْفِرَ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[١١٠] ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاءَ﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي (سخريا) بضم السين ههنا وفي سورة ص، وقرأ الباقون بكسرهما واتفقوا على الضم في سورة الزخرف. قال الخليل: هما لغتان مثل قولهم: بحر لُجِّي، ولججي بضم اللام

﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ مِنْ أَتَابِقِ تَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلَبْتَ عَلَيْنَا شَقِوْنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿٢٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿٢٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿٢٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَعِيرًا حَتَّىٰ أَسْوَأَكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿٣٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣١﴾ قُلْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ عِدَّةٌ سِنِينَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا لَيْسَ بِيَوْمٍ فَتَنَّا لَكُمُ الْيَوْمَ فِتْنَتُ الْعَادِينَ ﴿٣٣﴾ قُلْ إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَوَ أَنَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَيْنًا وَأَنَّا كُنتُمْ إِلَّا نِسَاءً لَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿٣٨﴾

سُورَةُ النُّورِ

ما يلبث في الآخرة لأن لثه في الدنيا والقبر متناه ﴿تَوَّأْتُكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، قدر لبثكم في الدنيا.

[١١٥] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾، لعباً وباطلاً لا لحكمة، وهو نصب على الحال، أي: عابثين. وقيل: للعبث، أي: لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب، وهو مثل قوله: (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) وإنما خلقتكم للعبادة وإقامة أوامر الله تعالى، ﴿وَأَنَّا كُنتُمْ إِلَّا نِسَاءً لَا تُرْجَعُونَ﴾، أي: أفحسبتم أنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للجزاء، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب: لا ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم. ثم نزه الله نفسه عما يصفه به المشركون.

[١١٦] فقال جل ذكره: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾، يعني السريـر الحسن. وقيل: المرتفع.

[١١٧] ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾، أي: لا حجة له به ولا بينة لأنه لا حجة في دعوى الشرك، ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾، يجازيه بعلمه كما قال تعالى: (ثم إن علينا حسابهم)، ﴿إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾. لا يسعد من جحد وكذب.

[١١٨] ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾.

(٢٤) سُورَةُ النُّورِ

[١] ﴿سُورَةٌ﴾، أي: هذه سورة، ﴿أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمر (وفرضناها) بتشديد الراء، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي: أوجبنا ما فيها من الأحكام وألزمناكم العمل بها. وقيل: معناه قدرنا ما فيها من الحدود، والفرض: التقدير، قال الله عز وجل: (نصف ما فرضتم) أي: قدرتم، ودليل التخفيف قوله: (إن الذي

فرض عليك القرآن)، وأما التشديد فمعناه فصلناه وبيناه. وقيل: هو بمعنى الفرض الذي هو بمعنى الإيجاب أيضاً والتشديد للتكثير لكثرة ما فيها من الفرائض، أي أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم إلى قيام الساعة. ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، واضحات، ﴿نَعَلِّمُكُمْ تَذَكُّرَاتٍ﴾، تتعظون.

[٢] قوله عز وجل: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾، أراد إذا كانا حرين بالغين عاقلين بكرين غير محصنين، فاجلدوا فاضربوا كل واحد منهما مائة جلدة، يقال جلده إذا ضرب جلده، كما يقال رأسه وبطنه، إذا ضرب رأسه وبطنه، وذكر بلفظ الجلد لثلاثي يروح ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم، وقد وردت السنة أنه يجلد مائة ويغرب عاماً^(١) وهو

(١) أخرج البخاري في الشهادات ٢٥٥/٥ أن رسول الله=

عن ابن عباس، وقال عكرمة: نزلت في نساء بمكة والمدينة، منهن تسع لهن رايات كرايات البطار يعرفن بها، منهن أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، فكان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية يتخذها مالكة، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة، فاستأذن رجل من المسلمين رسول الله ﷺ في نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه، فأنزل الله هذه الآية. وقال قوم: المراد من النكاح هو الجماع، ومعناه أن الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة والزانية لا تزني إلا بزنان أو مشرك، وهو قول سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم. ورواه الوالبي عن ابن عباس، قال يزيد بن هارون: إن جامعها وهو مستحل فهو مشرك، وإن جامعها وهو محرم فهو زان، وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول: إذا تزوج الزاني بالزانية فهما زانيان أبداً. وقال الحسن: الزاني المجلود لا ينكح إلا زانية مجلودة والزانية المجلودة لا ينكحها إلا زان مجلود. قال سعيد بن المسيب وجماعة: إن حكم الآية منسوخ، فكان نكاح الزانية حراماً بهذه الآية فنسخها قوله: (وأنكحوا الأيامى منكم) فدخلت الزانية في أيامى المسلمين.

[٤] قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِزُجَّاتٍ شَهْلَةٍ فَلَجِلْدُهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾، أراد بالرمي القذف بالزنا وكل من رمى محصناً أو محصنة بالزنا، فقال له: زنت أو يا زاني فيجب عليه جلد ثمانين جلدة، إن كان حراً وإن كان عبداً فيجلد أربعين وإن كان المقدوف غير محصن، فعلى القاذف التعزير وشرائط الإحصان خمسة: الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزاني حتى أن من زنى مرة في أول بلوغه ثم تاب وحسنت حالته وامتد عمره فقدفه

= أمر فيمن زنى ولم يحصن بجلد مائة وتغريب عام.

(١) آية: ١٦.

قول أكثر أهل العلم، وإن كان الزاني محصناً فعليه الرجم، ذكرناه في سورة النساء^(١) ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾، أي: رحمة ورقة، وقرأ ابن كثير (رأفة) بفتح الهمزة، والرأفة معنى يكون في القلب، لا ينهى عنه لأنه لا يكون باختيار الإنسان.. واختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: لا تأخذكم بهما رأفة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها، وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي. وقال جماعة: معناها ولا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب ولكن أوجعوهما ضرباً، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن. قال الزهري: يجتهد في حد الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب. وقال قتادة: يجتهد في حد الزنا ويخفف في الشرب والفرية. ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾، أي: في حكم الله، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَوْتُمُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، معناه أن المؤمن لا تأخذه الرأفة إذا جاء أمر الله تعالى، ﴿وَلَشَهَدَ﴾، وليحضر، ﴿عَدَاهُمَا﴾ حدهما إذا أقيم عليهما ﴿طَائِفَةٌ﴾، نفر، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال مجاهد والنخعي: أقله رجل واحد فما فوقه وقال عكرمة وعطاء: رجلان فصاعداً. وقال الزهري وقاتادة: ثلاثة فصاعداً. وقال مالك وابن زيد: أربعة بعدد شهود الزنا.

[٣] قوله: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها، فقال قوم: قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشاء، وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة فرغب أناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم، فاستأذنوا رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية (وحُرِّمَ ذلك على المؤمنين) أن يتزوجوا تلك البغايا لأنهن كن مشركات، وهذا قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقاتادة والزهري والشعبي، ورواية العوفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٥٠

سُورَةُ النُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النُّورِ وَأَنزَلْنَاهَا فَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ لِّبَيِّنَاتٍ لِّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عِدَاهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةَ أَن لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمْسَةَ أَن غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

والكسائي وحفص ويعقوب (أربع شهادات) برفع العين على خبر الابتداء، أي: فشهادة أحدهم التي تدرا الحد أربع شهادات، وقرأ الآخرون بالنصب أي: فشهادة أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين.

[٧] ﴿وَالْخَمْسَةَ أَن لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، قرأ نافع ويعقوب (أن) خفيفة وكذلك الثانية (لعنة الله) رفع، ثم يعقوب قرأ (غضب) بالرفع، وقرأ نافع (غَضِبَ) بكسر الضاد وفتح الباء على الفعل الماضي (الله) رفع، وقرأ الآخرون (أن) بالتشديد فيهما، (لعنة) نصب، و (غَضِبَ) بفتح الضاد على الاسم، (الله) جر، وقرأ حفص عن عاصم (والخامسة) الثانية نصب، أي ويشهد الشهادة الخامسة، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره في أن كالأولى.

قاذف فلا حد عليه. فإن أقر المқذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة من الشهود على زناه سقط الحد عن القاذف لأن الحد الذي وجب عليه حد الفرية وقد ثبت صدقه، وقوله: (والذين يرمون المحصنات) أي: يقذفون بالزنا المحصنات يعني المسلمات الحرائر العفائف ثم لم يأتوا بأربعة شهداء يشهدون على زناه فاجلدوهم ثمانين جلدة، أي: اضربوهم ثمانين جلدة. ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٥] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم إلى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف وإذا تاب وندم على ما قال وحسنت حاله قبلت شهادته، سواء تاب بعد إقامة الحد عليه أو قبلها، لقوله تعالى: (إلا الذين تابوا) وقالوا: الاستثناء يرجع إلى رد الشهادة وإلى الفسق فبعد التوبة تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق وذهب قوم إلى أن شهادة المحدود في القذف لا تقبل أبداً وإن تاب، وقالوا: الاستثناء يرجع إلى قوله: (وأولئك هم الفاسقون)، وذهب الشعبي إلى أن حد القذف يسقط بالتوبة، وقال: الاستثناء يرجع إلى الكل وعامة العلماء على أنه لا يسقط بالتوبة إلا أن يعفو عنه المқذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو، ولا يسقط بالتوبة. فإن قيل: إذا قبلتم شهادته بعد التوبة فما معنى قوله (أبدا) قيل: معناه لا تقبل شهادته أبداً ما دام هو مصراً على قذفه لأن أبد كل إنسان مدته على ما يليق بحاله، كما يقال: لا تقبل شهادة الكافر أبداً: يراد ما دام كافراً.

[٦] قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾، يقذفون نساءهم، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ﴾، يشهدون على صحة ما قالوا، ﴿إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾، غير أنفسهم، ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، قرأ حمزة

[٨] قوله: ﴿وَيَذَرُهَا﴾ يدفع، ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

[٩] ﴿وَالْحَنِيسَةَ أَنْ عَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾. وأراد بالعذاب الحد كما قال في أول السورة: (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) أي: أحدهما ومعنى الآية أن الزوج إذا عَزَّ وجب على المرأة حد الزنا، وإذا وجب عليها حد الزنا بلعانه فأرادت إسقاطه عن نفسها فإنها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فيما رمانى به، وتقول في الخامسة عليَّ غضبُ الله إن كان زوجي من الصادقين فيما رمانى به.

[١٠] قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾، جواب لولا محذوف يعني لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ورفع عنكم الحد باللعان، وإن الله تواب يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم فيما فرض من الحدود.

[١١] قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ بالكذب وهو أسوأ الكذب سُمي إفكاً لكونه مصروحاً عن الحق، من قوله: أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه «وهو ما مثل في عائشة رضي الله عنها عند تخلفها عن رسول الله ﷺ في أحد غزواته بعد أن أحضرها صفوان السلمي» وذلك أن عائشة تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف فمن رماها بالسوء قلب الأمر عن وجهه، ﴿عَصِيَّةٌ يَنْكُرُ﴾ أي جماعة منهم عبدالله بن أبي ابن سلول ومسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة ابن عبيد الله وغيرهم، ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾، يا عائشة ويا صفوان، وقيل: هو خطاب لعائشة ولأبويها وللنبي ﷺ ولصفوان، يعني لا تحسبوا الإفك شراً لكم، ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، لأن الله يأجركم على ذلك ويظهر براءتكم.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ﴾، يعني من العصبة الكاذبة ﴿مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِنْتِهَاءِ﴾، أي: جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه، ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه، قرأ يعقوب (كبره) بضم الكاف، وقرأ العامة بالكسر، قال الكسائي: هما لغتان. قال الضحاك: قام بإشاعة الحديث، وهو عبدالله بن أبي ابن سلول. وروى الزهري عن عروة عن عائشة (والذي تولى كبره منهم) قالت: عبدالله بن أبي ابن سلول، والعذاب الأليم هو النار في الآخرة.

[١٢] قوله: ﴿لَوْلَا﴾، هلا، ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ﴾ بإخوانهم، ﴿خَيْرًا﴾، قال الحسن: بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة، نظيره قوله تعالى: (ولا تقتلوا أنفسكم)، (فسلموا على أنفسكم). ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾، أي: كذب بين.

[١٣] ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾، على ما زعموا، ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، فإن قيل: كيف يصيرون عند الله كاذبين إذ لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت؟ قيل: عند الله أي في حكم الله وقيل: معناه كذبوهم بأمر الله. وقيل: هذا في حق عائشة ومعناه أولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي.

[١٤] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾، خضتم، ﴿فِيهِ﴾، من الإفك، ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، قال ابن عباس: أي عذاب لا انقطاع له يعني في الآخرة لأنه ذكر عذاب الدنيا من قبل، فقال تعالى: (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم)، وقد أصابهم فإنه قد جُلد وحُذِّ، وقد روث عمرة عن عائشة أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية حد أربعة نفر: عبدالله بن أبي وحسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمنة بنت جحش.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٥١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١٥] قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ: يَا أَيْسَرَكَ﴾، قال مجاهد ومقاتل: يرويه بعضكم عن بعض. وقال الكلبي: وذلك أن الرجل منهم يلقي الرجل فيقول: بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقياً، وكذا قرأه أبي بن كعب. وقال الزجاج: يلقيه بعضكم إلى بعض، وقرأت عائشة (تلقونه) بكسر اللام وتخفيف القاف من الولق وهو الكذب، ﴿وَتَقُولُونَ يَا أَهْلَكُمَا مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيئًا﴾، تظنون أنه سهل لا إثم فيه، ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الوزر.

[١٦] ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ﴾، هذا اللفظ ههنا بمعنى التعجب، ﴿هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾، يعني كذب عظيم يبهت ويتحير من عظمتة. وفي بعض الأخبار أن أم أيوب قالت لأبي أيوب الأنصاري: أما بلغك ما يقول الناس في عائشة؟ فقال أبو أيوب: سبحانك هذا بهتان عظيم، فنزلت الآية على وفق قوله.

[١٧] ﴿يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يحرم الله عليكم وقال مجاهد: ينهاكم الله. ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٨] ﴿وَيَسِّرُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾، بالأمر والنهي، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأمر عائشة وصفوان بن المعطل، ﴿حَكِيمٌ﴾، حكم ببراءتهما.

[١٩] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾، يعني يظهر ويذيع الزنا، ﴿فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، يعني عبد الله ابن أبي وأصحابه المنافقين، والعذاب في الدنيا الحد وفي الآخرة النار، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾، كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ بَرُّوهُ رَحِيمٌ﴾، جواب (لولا) محذوف يعني: لعاجلكم بالعقوبة، قال ابن عباس: يريد مسطحاً

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرِ مِنَّهُمْ مَا كَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ وَلَوْلَا جَاءَهُ وَعَلَيْهِ بَارِعَةٌ شَهَادَةٌ فَأُذِنَ لَهُمْ بِأَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَقُولُونَ بِالْإِثْمِ كَذِبٌ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيَسِّرُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

وحسان بن ثابت وحمته.

[٢١] قوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ يعني بالقبائح من الأفعال، ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾، كل ما يكرهه الله، ﴿وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ مَا زَكَا﴾، قال مقاتل: ما صلح. وقال ابن قتيبة: ما طهر، ﴿وَمَنْ مِّنْ أَحَدٍ﴾، والآية على العموم عند بعض المفسرين، قالوا: أخبر الله أنه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد. وقال قوم: هذا الخطاب للذين خاضوا في الإفك، ومعناه: ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، قال: ما قبل توبة أحد منكم، ﴿أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي﴾، يُطَهِّرُ، ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾، من الذنب بالرحمة والمغفرة، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

سورة النور

٣٥٢

الآيات ٢٢-٢٥

[٢٢] قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِي﴾، يعني ولا يحلف، وهو يفعل من الألية وهي القسم، وقرأ أبو جعفر يتأل بتقديم التاء وتأخير الهمزة، وهو يتفعل من الألية وهي القسم. ﴿أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾، يعني أولوا الغنى والسعة يعني أبا بكر الصديق ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني مسطحاً وكان مسكيناً مهاجراً بدرياً ابن خالة أبي بكر، حلف أبو بكر أن لا ينفق عليه، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾، عنهم خوضهم في أمر عائشة، ﴿أَلَا تَحِبُّونَ﴾، يخاطب أبا بكر، ﴿أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فلما قرأها النبي ﷺ على أبي بكر قال: بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح نفقته التي كانت ينفقها عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً^(١). وقال ابن عباس والضحاك: أقسم ناس من الصحابة فيهم أبو بكر ألا يتصدقون على رجل تكلم بشيء من الإفك ولا ينفعوهم، فأنزل الله هذه الآية.

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾، العفاف، ﴿الْفَلَاحِشَ﴾، عن الفواحش، ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾، والغافلة عن الفاحشة التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكانت عائشة كذلك، قوله تعالى: ﴿لِعَمَلُنَّ﴾، عذبوا، ﴿فِي الدُّنْيَا﴾، بالحد، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾، بالنار، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، قال مقاتل: هذا خاص في عبدالله بن أبي المنافق. ورؤي عن خصيف قال: قلت لسعيد بن جبير: من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة، فقال ذلك لعائشة خاصة. وقال قوم: هي لعائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة دون سائر المؤمنات وقال الآخرون: نزلت هذه الآية في أزواج النبي ﷺ وكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التي في أول السورة (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) إلى قوله (فإن الله غفور رحيم) فأنزل الجلد والتوبة.

[٢٤] ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي بالياء لتقديم الفعل وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿أَلَسِنْتُهُمْ﴾، وهذا قبل أن يختم على أفواههم، ﴿وَأَيَّدِيهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ﴾، يروى أنه يختم على الأفواه فتكلم الأيدي والأرجل بما عملت في الدنيا. وقيل: معناه تشهد السنة بعضهم على بعض وأيديهم وأرجلهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٥] ﴿يَوْمَ يُؤْفِكُهمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾، جزاءهم الواجب. وقيل: حسابهم العدل. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾، يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا. قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن عبدالله بن أبي كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة أن الله هو الحق المبين.

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٤٥٥/٨ ومسلم في التوبة رقم (٢٧٧٠) ٤/٢١٢٩.

المبرأة من السماء.

[٢٧] قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، قيل: معنى قوله: (حتى تستأذنوا) أي: حتى تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ أبي بن كعب، حتى تستأذنوا وكذلك كان يقرأ أبي بن كعب، والقراءة المعروفة تستأذنوا وهو بمعنى الاستئذان. وقيل: الاستئناس طلب الأئس وهو أن ينظر هل في البيت ناس فيؤذنها إني داخل. وقال الخليل: الاستئناس الاستبصار من قوله: آنتست نارا أي: أبصرتها. وقيل: هو أن يتكلم بتسبيحة أو تكبيرة أو يتنحج، يؤذن أهل البيت. وجملة حكم الآية أنه لا يدخل بيت الغير إلا بعد السلام والاستئذان. واختلفوا في أنه يقدم الاستئذان أم السلام؟ فقال قوم: يقدم الاستئذان فيقول: أأدخل سلام عليكم، لقوله تعالى: (حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها) والأكثر على أنه يقدم السلام فيقول: سلام عليكم أأدخل. وفي الآية تقديم وتأخير، تقديرها: حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا. وكذلك هو في مصحف عبدالله بن مسعود.

[٢٨] قوله: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾، أي إن لم تجدوا في البيوت أحدا يأذن لكم في دخولها فلا تدخلوها، ﴿حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ انْزِعُوا فَانْزِعُوا﴾، يعني إذا كان في البيت قوم فقالوا: ارجع فليرجع ولا يقعد على الباب ملازما، ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾، يعني الرجوع أظهر وأصلح لكم. قوله تعالى: ﴿رَأَىٰ اللَّهُ يَمَٰ تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ﴾، من الدخول بالإذن وغير الإذن، ولما نزلت آية الاستئذان قالوا: كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام وعلى ظهر الطريق، ليس فيها ساكن؟

[٢٩] فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ أي: بغير استئذان، ﴿فِيهَا

[٢٦] قوله سبحانه تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾، قال أكثر المفسرين: الخبيثات من القول والكلام للخبيثين من الناس. ﴿وَالْخَبِيثُونَ﴾، من الناس، ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾، من القول، ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾، من القول، ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾، من الناس، ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾، من الناس، ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾، من القول، والمعنى: أن الخبيث من القول لا يليق إلا بالخبيث من الناس والطيب لا يليق إلا بالطيب، فعائشة لا تليق بها الخبيثات من القول لأنها طيبة فتضاف إليها طيبات الكلام من المدح والثناء الحسن وما يليق بها. قال الزجاج: معناه لا يتكلم بالخبيثات إلا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات إلا الطيب من الرجال والنساء، وهذا ذم للذين قذفوا عائشة، ومدح للذين برؤوها بالطهارة. وقال ابن زيد: معناه الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبدالله بن أبي والشاكين في الدين، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء. يريد عائشة طيبها الله لرسوله الطيب ﷺ. ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ﴾ يعني: عائشة وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع كقوله تعالى: (فإن كان له إخوة) أي: إخوان. وقيل: أولئك مبرءون يعني الطيبين والطيبات منزهون، ﴿مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، فالمغفرة هي العفو عن الذنوب والرزق الكريم الجنة. ورؤي أن عائشة كانت تتفخر بأشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها، منها أن النبي ﷺ لم يتزوج بكرا غيرها، وقبض رسول الله ﷺ ورأسه في حجرها، ودفن في بيتها، وكان ينزل عليه الوحي وهو معها في لحافه، ونزلت براءتها من السماء، وأنها ابنة خليفة رسول الله ﷺ وصديقه، وخلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقا كريما، وكان مسروق إذا روى عن عائشة قال: حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٥٣

سُورَةُ النُّورِ

فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُوْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ازْجِعُوا فَازْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكُمْ لَعَالِمُونَ ﴿٢٨﴾ أَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ أَرْوَاحَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣١﴾

مَتَّعْ لَكُمْ، يعني منفعة لكم واختلفوا في هذه البيوت، فقال قتادة: هي الحانات والبيوت والمنازل المبنية للسابلة ليأووا إليها ويؤووا أمتعتهم إليها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة فيها بالنزول وإيواء المتاع والالتقاء من الحر والبرد. وقال ابن زيد: هي بيوت التجار وحوانيتهم التي بالأسواق يدخلونها للبيع والشراء وهو المنفعة. وقال إبراهيم النخعي: ليس على حوانيت السوق إذن، وقيل: هي جميع البيوت التي لا ساكن لها لأن الاستئذان إنما جاء لئلا يطلع على عورة فإن لم يخف ذلك فله الدخول بغير استئذان، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، أي: عن النظر إلى ما يحل النظر إليه. وقيل: (من) صلة يعني يغضوا أبصارهم. وقيل: هو ثابت لأن المؤمنين غير مأمورين بغض البصر أصلاً لأنه لا يجب الغض عما يحل النظر إليه، وإنما أمروا بأن يغضوا عما لا يحل النظر إليه، ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾، عما لا يحل، قال أبو العالية: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام، إلا في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه، ﴿ذَلِكَ﴾ يعني غرض البصر وحفظ الفرج، ﴿أَزْكَى لَهُمْ﴾، يعني خير لهم وأظهر، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾، يعني عليم بما يفعلون.

[٣١] قوله عز وجل: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾، عما لا يحل، ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾، عمن لا يحل. وقيل أيضاً: يحفظن فروجهن يعني يسترنها حتى لا يراها أحد، ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾، يعني لا يظهرن زينتهن لغير محرم، وأراد بها الزينة الخفية وهما زيتان خفية وظاهرة، فالخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط والقلائد، فلا يجوز

لها إظهارها، ولا للأجنبي النظر إليها، والمراد الزينة موضع الزينة. قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، أراد به الزينة الظاهرة، واختلف أهل العلم في هذه الزينة الظاهرة التي استثناه الله تعالى، قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي: هو الوجه والكفان. وقال ابن مسعود: هي الثياب بدليل قوله تعالى: (خذوا زينتكم عند كل مسجد)، وأراد بها الثياب وقال الحسن: الوجه والثياب. وقال ابن عباس: الكحل والخاتم والخضاب في الكف، فما كان من الزينة الظاهرة جاز للرجل الأجنبي النظر إليه إذا لم يخف فتنة وشهوة، فإن خاف شيئاً منها غرض البصر، قوله عز وجل: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾، يعني: ليلقين بمقانعهن، ﴿عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾، وصدورهن ليسترن بذلك شعورهن وصدورهن وأعناقهن وأقراطهن. قالت عائشة: رحم الله نساء

ب) (التابعين غير أولي الإربة) هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم إلا ذلك، ولا حاجة لهم في النساء، وهو قول مجاهد وعكرمة والشعبي. وعن ابن عباس أنه الأحقق العين. وقال الحسن: هو الذي لا يتشر ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن. وقال سعيد بن جبير: هو المعتوه وقال عكرمة: المجبوب. وقيل: هو المخنث. وقال مقاتل: الشيخ الهرم والعين والخصي والمجبوب ونحوه. ﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ﴾، أراد بالطفل الأطفال يكون واحداً وجمعاً، أي: لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها. وقيل: لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر، وهو قول مجاهد، وقيل: لم يطبقوا أمر النساء. وقيل: لم يبلغوا حد الشهوة. ﴿وَلَا يَضُرُّنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِعِلْمٍ مَا يُخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾، كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها لسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها، فنهيت عن ذلك. ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾، من التقصير الواقع في أمره ونهيه. وقيل: راجعوا طاعة الله فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة، ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة»^(١).

[٣٢] قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَّتَى بَيْنَكُمْ﴾، الأيامى جمع أيم وهو من لا زوج له من رجل أو امرأة يقال رجل: أيم وامرأة أيمة، وأيم، ومعنى الآية: زوجوا أيها المؤمنون من أحرار رجالكم ونسائكم ﴿وَأَصْلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾، وهذا الأمر أمر نذب واستحباب. يستحب لمن تافت

المهاجرات الأول لما أنزل الله عز وجل (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) شققن مروطهن فاخترن بها. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: يعني لا يضعن الجلباب ولا الخمار إلا لبعولتهن، أي إلا لأزواجهن، ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾، فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الباطنة ولا ينظرون إلى ما بين السرة والركبة، ويجوز للزوج أن ينظر إلى جميع بدنها غير أنه يكره له النظر إلى فرجها. قوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أراد أنه يجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة كالرجل المحرم، هذا إذا كانت المرأة مسلمة، فإن كانت كافرة فهل يجوز للمسلمة أن تنكشف لها. اختلف أهل العلم فيه، فقال بعضهم: يجوز كما يجوز أن تنكشف للمرأة المسلمة لأنها من جملة النساء، وقال بعضهم: لا يجوز لأن الله تعالى قال: (أو نسائهن) والكافرة ليست من نسائنا ولأنها أجنبية في الدين، وكانت أبعد من الرجل الأجنبي، قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾، اختلفوا فيها، فقال قوم: عبد المرأة محرم لها، فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفاً وأن ينظر إلى بدن مولاته إلا ما بين السرة والركبة، كالمحارم وهو ظاهر القرآن وقال قوم: هو كالأجنبي معها، وهو قول سعيد بن المسيب، وقال: المراد من الآية الإماء دون العبيد، قوله: ﴿أَوِ النَّسَائِ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو بكر غير بنصب الراء على القطع لأن (التابعين) معرفة و (غير) نكرة. وقيل: بمعنى (إلا) فهو استثناء معناه: يبدن زينتتهن للتابعين إلا ذا الإربة منهم فإنهن لا يبدن زينتتهن لمن كان منهم ذا إربة. وقرأ الآخرون بالجر على نعت (التابعين) والإربة والأرب الحاجة، والمراد

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء برقم (٢٠٧٢) ٤/٢٠٧٦ والمصنف في شرح السنة ٥٧١/٥.

نفسه إلى النكاح ووجد أهبة النكاح أن يتزوج، وإن لم يجد أهبة النكاح يكسر شهوته بالصوم، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(١). وقال رسول الله ﷺ: «تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم حتى بالسقط»^(٢). ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، قيل: الغنى ههنا القناعة. وقيل: اجتماع الرزقين رزق الزوج ورزق الزوجة. وقال عمر: عجبت لمن ابتغى الغنى بغير النكاح، والله عز وجل يقول: (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ). ورؤي عن بعضهم: أن الله تعالى وعد الغني بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى: (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)، وقال تعالى: (وإن يتفرقا يغني الله كلاً من سعته).

[٣٣] ﴿وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا﴾، أي: ليطلب العفة عن الحرام والزنا الذين لا يجدون مالا ينكحون به للصدقات والنفقة، ﴿حَقَّ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي يوسع عليهم من رزقه. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْنُونَ الْكِتَابَ﴾، أي: يطلبون المكاتب، ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾، سبب نزول هذه الآية ما روي أن غلاماً لحويطب بن عبد العزيز سأل مولاه أن يكتبه فأبى عليه، فأنزل الله هذه الآية فكانت حويطب على مائة دينار، ووهب له منها عشرين ديناراً فأذاها، وقتل يوم حنين في الحرب، والكتابة أن يقول الرجل لمملوك: كاتبك على كذا من المال ويسمي مالا معلوماً يؤدي ذلك في نجمين أو نجوم معلومة في كل نجم كذا، فإذا أدت فأنت حر، والعبد يقبل ذلك، فإذا أدى المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد أداء المال، وإذا أعتق بعد أداء المال فما فضل في يده من المال، يكون له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في

حال الكتابة في العتق، وإذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده إلى الرق، وما في يده من المال يكون لمولاه، وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى: (فكاتبوهم) أمراً يجب على المولى أن يكتب عبده الذي علم فيه خيراً إذا سأل العبد ذلك، على قيمته أو أكثر، وإن سأل على أقل من قيمته فلا يجب، وهو قول عطاء وعمرو بن دينار، وذهب أكثر أهل العلم إلى أنه أمر ندب واستحب، ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، اختلفوا في معنى الخير، فقال ابن عمر: قوة على الكسب. وهو قول مالك والثوري، وقال الحسن ومجاهد والضحاك: مالاً، كقوله تعالى: (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا) أي: مالاً، قال الزجاج: لو أراد به المال لقال إن علمتم لهم خيراً، وقال إبراهيم وابن زيد وعبيدة: صدقاً وأمانة. وقال طاوس وعمرو بن دينار: مالاً وأمانة. وقال الشافعي: وأظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الأمانة، فأحب أن لا يمنع من كتابته إذا كان هكذا. وحكى محمد بن سيرين عن عبيدة: إن علمتم فيهم خيراً أي: أقاموا الصلاة. وقيل: هو أن يكون العبد بالغا عاقلاً، فأما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لأن الابتغاء منهما لا يصح، وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي المراهق. قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَاثُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾، اختلفوا فيه فقال بعضهم: هذا خطاب للموالي يجب على المولى أن يحط عن مكاتبه من مال كتابته شيئاً، وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة، وبه قال الشافعي، ثم اختلفوا في قدره فقال قوم: يحط عنه ربع مال الكتابة، وهو قول علي ورواه بعضهم عن علي مرفوعاً، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما:

(١) أخرجه البخاري في النكاح ١٠٦/٩ ومسلم في النكاح رقم (١٤٠٠) ١٠١٨/٢. (٢) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ١٧٣/٦ عن سعيد بن أبي هلال مرسلًا.

يحط عنه الثلث. وقال الآخرون: ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء، وهو قول الشافعي وقال بعضهم: هو أمر استحباب، والوجوب أظهر، وقال قوم: أراد بقوله وآتوهم من مال الله أي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات، بقوله تعالى: (وفي الرقاب) وهو قول الحسن وزيد بن أسلم، وقال إبراهيم: هو حث لجميع الناس على معונتهم، قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْتَ تَحَصُّنًا﴾ الآية، نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق كانت له جارتان معادة ومسيكة، وكان يكرههما على الزنا بالضريبة يأخذها منهما، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون إماءهم، فلما جاء الإسلام أتيا رسول الله ﷺ وشكنا إليه، فأنزل هذه الآية: (ولا تكرهوا فتياتكم) إماءكم (على البغاء) أي الزنا (إن أردن تحصنًا) أي إذا أردن، وليس معناه الشرط لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا وإن لم يردن تحصنًا، كقوله تعالى: (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) أي إذا كنتم مؤمنين. وقيل: شرط إرادة التحصن لأن الإكراه إنما يكون عند إرادة التحصن، فإذا لم ترد التحصن بغت طوعًا، والتحصن التعفف، وقال الحسن بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير تقديرها: وأنكحوا الأيامى منكم إن أردن تحصنًا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء. ﴿لِنَنْتَعُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾، أي: لتطلبوا من أموال الدنيا يريد من كسبهن وبيع أولادهن، ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، يعني للمكروهات، والوزر على المكروه.

[٣٤] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُبِينَاتٍ﴾، من الحلال والحرام، ﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾، أي شبهًا من حالكم بحالهم أيها المكذبون، وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق من قبلهم من المكذبين، ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾،

للمؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر. [٣٥] قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: هادي أهل السموات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهده من الضلالة ينجون. وقال الضحاك: منور السموات والأرض، يقال: نور السماء بالملائكة ونور الأرض بالأنبياء. وقال مجاهد: مدبر الأمور في السموات والأرض. وقال أبي بن كعب والحسن وأبو العالية: مزين السموات والأرض، زين السماء بالشمس والقمر والنجوم، وزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين. ويقال: بالنبات والأشجار. قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي مثل نور الله تعالى في قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدي به كما قال فهو على نور من ربه، وكان ابن مسعود يقرأ مثل نوره في قلب المؤمن. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: مثل نوره الذي أعطى المؤمن. وقال بعضهم: الكناية عائدة إلى المؤمن، أي: مثل نور قلب المؤمن، وكان أبي يقرأ: (مثل نور من آمن به) وهو عبد جعل الإيمان والقرآن في صدره. وقال الحسن وزيد بن أسلم: أراد بالنور القرآن. وقال سعيد بن جبير والضحاك: هو محمد ﷺ. وقيل: أراد بالنور الطاعة، سمى طاعة الله نورًا وأضاف هذه الأنوار إلى نفسه تفضيلًا، ﴿كَاشِكُورَةٍ﴾، وهي الكوة التي لا منفذ لها فإن كان لها منفذ فهي كوة. وقيل: المشكاة حبشية. قال مجاهد: هي القنديل ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أي: سراج، أصله من الضوء، ومنه الصبح، ومعناه: كمصباح في مشكاة، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾، يعني القنديل، قال الزجاج: إنما ذكر الزجاج لأن النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء، وضوء يزيد في الزجاج، ثم وصف الزجاج، فقال: ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾، قرأ أبو عمر والكسائي (درئ) بكسر الدال والهمزة، وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والهمزة، فمن كسر

والدال فهو فعيل من الدرء وهو الدفع لأن الكوكب يدفع الشياطين من السماء وشُبَّه بحالة الدفع لأنه يكون في تلك الحالة أضواً وأنور، ويقال: هو من درأ الكوكب إذا اندفع منقبضاً فيتضاعف ضوءه في ذلك الوقت. وقيل: دُرِّي مكرر أي طالع، يقال: درأ النجم إذا طلع وارتفع. ويقال: درأ علينا فلان أي طلع وظهر، فأما رفع الدال مع الهمزة كما قرأ حمزة قال أكثر النحاة: هو لحن لأنه ليس في كلام العرب فعيل بضم الفاء وكسر العين، قال أبو عبيدة: وأنا أرى لها وجهاً وذلك أنها دروء على وزن فعول، مثل سبوح وقدوس، وقد استقلوا كثرة الضمات فردوا بعضها إلى الكسر، كما قالوا: عتيا وهو فعول من عتوت، وقرأ الآخرون (دُرِّي) بضم الدال وتشديد الياء بلا همز، أي: شديد الإنارة نسبت إلى الدر في صفائه وحسنه، وإن كان الكوكب أكثر ضوءاً من الدر لكنه يفضل الكوكب بضياؤه، كما يفضل الدر سائر الحب. وقيل: الكوكب الدرِّي واحد من الكواكب الخمسة العظام، وهي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد. وقيل: شُبَّه بالكوكب، ولم يشبهه بالشمس والقمر لأن الشمس والقمر يلحقهما الخسوف والكواكب لا يلحقها الخسوف. ﴿يُوقَدُ﴾ قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (توقد) بالتاء وفتحها وفتح الواو والدال أو تشديد القاف على الماضي يعني المصباح، أي: اتقد يقال توقدت النار إذا اتقدت. وقرأ أهل الكوفة غير حفص توقد بالتاء وضمها وفتح القاف خفيفاً، يعني الزجاجية أي: نار الزجاجية لأن الزجاجية لا توقد، وقرأ الآخرون بالياء وضمها خفيفاً يعني المصباح، ﴿مِنْ شَجَرٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾، أي من زيت شجرة مباركة، فحذف المضاف بدليل قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ﴾، وأراد بالشجرة المباركة الزيتون وهي كثيرة البركة، وفيها منافع كثيرة لأن الزيت يسرج به

وهو أضواً وأصفى الأدهان، وهو إدام وفاكهة، ولا يحتاج في استخراجها إلى إحصاء بل كل أحد يستخرجه، قوله تعالى: ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾، أي: ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة إذا طلعت، بل هي ضاحية الشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين، فيكون زيتها أضواً وهذا كما يقال: فلان ليس بأسود ولا بأبيض يريد ليس بأسود خالص ولا بأبيض خالص، بل اجتمع فيه كل واحد منهما. وقال السدي وجماعة: معناه أنها ليست في مقناة لا تصيبها الشمس ولا في مضحاة لا يصيبها الظل، فهي لا تضرها شمس ولا ظل. وقيل: معناه أنها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر، ولا في غرب يضرها البرد. وقيل: معناه هي شامية لأن الشام لا شرقي ولا غربي. وقال الحسن: ليست هذه من أشجار الدنيا ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وإنما هو مثل ضربه الله لنوره. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾، دهنها، ﴿يُضِيءُ﴾، من صفائه، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾، أي: قبل أن تصيبه النار، ﴿تُورُّ عَلَى نُورٍ﴾، يعني نور المصباح على نور الزجاجية. واختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل، فقال بعضهم: وقع هذا التمثيل لنور محمد ﷺ، قال ابن عباس لكعب الأحبار: أخبرني عن قوله تعالى: (مثل نوره كمشكاة) فقال كعب: هذا مثل ضربه الله لنبيه ﷺ، فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة، يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسه نار وقال بعضهم: وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن. روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال: هذا مثل المؤمن، فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره، والمصباح ما

سورة النور

٣٥٤

سورة النور

وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُم وَإِمَائِكُم إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾
وَلَيْسَتِ الْفِتْنَةُ لِلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ
وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَابِتُوهُمْ إِن
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۚ وَأَنُوحُوا لَهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا
تُكْرِهُوا فَيَتَنَكَّبُوا عَلَىٰ الْغَنَاءِ إِن آرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّبَنَاتِهِنَّ عَرَضَ الْحَيَوةِ
الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٧﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَادَمَ مِيثَاقَ مِثْلَيْنِ وَمِثْلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَقُوا
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٨﴾ ۖ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ ۚ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْيَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَنَضْرِبُ اللَّهُ الْاَمْثَلَ
لِلنَّاسِ ۖ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٩﴾ ۖ فِي بَيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَن تَرْفَعَ
وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ ۖ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٤٠﴾

جعل الله فيه من الإيمان، والقرآن في قلبه يوقد من شجرة مباركة وهي الإخلاص لله وحده، فمثله كمثل الشجرة التي التف بها الشجر خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس لا إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك المؤمن، قد احترس من أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال: إن أعطي شكر، وإن ابتلي صبر، وإن حكم عدل، وإن قال صدق، يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقة إياه نور على نور. وقال الحسن وابن زيد: هذا مثل القرآن، فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح يهتدى بالقرآن، والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة الوحي، (يكاد زيتها يضيء) تكاد حجة القرآن تتضح وإن لم يقرأ، نور على نور يعني القرآن نور من الله لخلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والإعلام قبل نزول القرآن، فازداد بذلك نوراً على نور قوله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لذين الإسلام وهو نور البصيرة وقيل: القرآن ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْاَمْثَلَ لِلنَّاسِ﴾، يبين الله الأشياء للناس تقريباً للأفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك، ﴿وَاللَّهُ يَكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٣٦] قوله: ﴿فِي بَيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ﴾، أي ذلك المصباح في بيوت. وقيل: يوقد في بيوت، والبيوت: هي المساجد، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: المساجد بيوت الله في الأرض، وروى صالح بن حيان عن ابن بريدة في قوله تعالى: (في بيوت أذن الله)، قال: إنما هي أربعة مساجد لم بينها إلا نبي: الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلها قبة، وبيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة بناه رسول الله ﷺ، ومسجد قباء أسس على التقوى بناه رسول الله ﷺ. قوله: ﴿أَن تَرْفَعَ﴾، قال مجاهد: أن تبني

نظيره قوله تعالى: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت) قال الحسن: أي تعظم أي لا يذكر فيه الخنا من القول. ﴿وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يتلى فيها كتابه، (يسبح)، قرأ ابن عامر وأبو بكر (يسبح) بفتح الباء على غير تسمية الفاعل والوقف على هذه القراءة عند قوله: (والآصال) وقرأ الآخرون بكسر الباء جعلوا التسبيح فعلاً للرجال، ﴿يُسَبِّحُ لَهُ﴾، أي: يصلي، ﴿فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾، أي بالغداة والعشي. قال أهل التفسير: أراد به الصلوات المفروضة. فالتى تؤدي بالغداة صلاة الصبح والتي تؤدي بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لأن اسم الأصيل يجمعهما. وقيل: أراد به صلاة الصبح والعصر.

[٣٧] قوله: ﴿رِجَالٌ﴾، قيل: خص الرجال

اشتغلوا بذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، أي بأحسن ما عملوا، يريد يجزيهم بحسانتهم، وما كان من مساوي أعمالهم لا يجزيهم بها، ﴿وَيُرِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾، ما لم يستحقوه بأعمالهم، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، ثم ضرب لأعمال الكفار مثلاً.

[٣٩] فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرِيبٍ يَّعِيقَةُ﴾، السراب الشعاع الذي يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري، يشبه الماء الجاري على الأرض يظنه من رآه ماء، فإذا قرب منه انفس فلم ير شيئاً، والقيعة: جمع القاع وهو المنبسط الواسع من الأرض، وفيه يكون السراب، ﴿يَحْسَبُهُ الْظَّالِمَانُ﴾، أي يتوهمه العطشان، ﴿مَاءً حَوْثًا إِذَا جَاءَهُ﴾، أي: جاء ما قد رأى أنه ماء. وقيل: جاء موضع السراب، ﴿لَّمَّا يَجِدُهُ شَيْئًا﴾، على ما قدره وحسبه، كذلك الكافر يحسب أن عمله نافعه فإذا أتاه ملك الموت واحتاج إلى عمله لم يجد عمله أغنى منه شيئاً ولا نفعه. ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِندَهُ﴾، أي عند عمله، أي وجد الله بالمرصاد. وقيل: قدم على الله، ﴿فَوَقَّعَهُ حِسَابُهُ﴾، أي جزاء عمله، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

[٤٠] ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾، وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار، يقول مثل أعمالهم من فسادها وجهالتهم فيها كظلمات، ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾، وهو العميق الكثير الماء، ولجة البحر: معظمه، ﴿يَغْشَاهُ﴾، يعلوه، ﴿مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾، متراكم، ﴿مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾، قرأ ابن كثير برواية القواس (سحاب) بالرفع والتنوين، ﴿ظَلُمَاتٍ﴾، بالجر على البدل من قوله: (أو كظلمات). وروى أبو الحسن البري عنه: (سحاب ظلمات) كلاهما بالإضافة، وقرأ الآخرون (سحاب ظلمات) كلاهما بالرفع والتنوين، فيكون تمام الكلام عند قوله (سحاب) ثم ابتداء فقال: (ظلمات)، ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ

بالذكر في هذه المساجد لأنه ليس على النساء جمعة ولا جماعة في المسجد، ﴿لَّا لَّهُمَّ﴾، لا تشغلهم، ﴿بِتِجَارَةٍ﴾، قيل: خص التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل به الإنسان عن الصلاة والطاعات، وأراد بالتجارة الشراء وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعاً لأنه ذكر البيع بعد هذا، كقوله: (وإذا رأوا تجارة) يعني الشراء، وقال الفراء: التجارة لأهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه. قوله: ﴿وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، عن حضور المساجد لإقامة الصلاة، ﴿وَأَقْرَابٍ﴾، أي: لإقامة، ﴿أَصْلَابَةٍ﴾، حذف الهاء وأراد أدهاءا في وقتها لأن من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة وأعاد ذكر إقامة الصلاة مع أن المراد من ذكر الله الصلوات الخمس لأنه أراد بإقام الصلاة حفظ المواقيت. روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد، فقال ابن عمر: فيهم نزلت: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام) ﴿وَأِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾، المفروضة، قال ابن عباس رضي الله عنه: إذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحسوها. وقيل: هي الأعمال الصالحة. ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾، قيل: تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشرك والكفر، وتنتفح أبصار من الأغطية. وقيل: تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء تخشى الهلاك وتطمع في النجاة، وتقلب الأبصار من هوله أي: ناحية يؤخذ بهم ذات اليمين أم ذات الشمال، ومن أين يؤتون الكتب أم من قبل الإيمان أم من قبل الشكائل، وذلك يوم القيامة. وقيل: فتقلب القلوب في الجوف فترتفع إلى الحنجرة فلا تنزل ولا تخرج، وتقلب البصر شخوصه من هول الأمر وشدته.

[٣٨] ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾، يريد أنهم

سورة النور

٣٥٥

الْمِائَةِ

رَجَالٌ لَا لَّهُمْ فِيهَا نِسَاءٌ وَلَا فَرْحٌ فِيهَا وَمِنْهَا أَشْجَارٌ وَلَا أَعْنَابٌ ۚ وَفِيهَا زُجُجٌ كَالزُّجْجِ ۚ وَأَنْتُمْ فِيهَا يُخَافُونَ يَوْمًا نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَلَا تَبْصُرُونَ ۚ لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَزِيَدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۚ (٢٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ شَرَابًا بِقِيَعَةٍ يُخَسِّبُهُ الظُّلُمَاتُ مَاءً حَرِيًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۚ (٢٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَبِيٍّ يَبْغَسُهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ ۚ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ ۚ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِرْهَا ۚ وَمِنْ لَبِيٍّ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَّا لَهُ مِنْ نُورٍ ۚ (٣٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَيِّجُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۚ (٣١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۚ (٣٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدَفَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۚ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَيَصْرِفُهُ ۚ عَنْ مَنْ يَشَاءُ ۚ يَكَادُ سُنْبُرُوه يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ۚ (٣٣)

بَعْضُ ۚ، ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر بعضها فوق بعض، أي: ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج فوق الموج، وظلمة السحاب على ظلمة الموج، وأراد بالظلمات أعمال الكافر وبالبحر اللحي قلبه، وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب الختم والطبع على قلبه. ﴿إِذَا أَخْرَجَ﴾، يعني الناظر، ﴿يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِرْهَا﴾، يعني لم يقرب من أن يراها من شدة الظلمة. وقال الفراء: (يكد) صلة أي لم يراها، قال المبرد: يعني لم يراها إلا بعد الجهد، كما يقول القائل: ما كدت أراك من الظلمة وقد رآه، ولكن بعد يأس وشدة. وقيل: معناه قرب من رؤيتها ولم يرها، كما يقال: كاد النعام يطير. ﴿وَمِنْ لَبِيٍّ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَّا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾، قال ابن عباس: من لم يجعل الله له دينًا وإيمانًا فلا دين له. وقيل: من لم يهده الله فلا إيمان له ولا يهديه أحد. وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتبس الدين في الجاهلية ويلبس المسوح فلما جاء الإسلام كفر. والأكثر على أنه عام في جميع الكفار.

[٤١] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَيِّجُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ﴾، باسطات أجنحتهن بالهواء. قيل: خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنها تكون بين السماء والأرض فتكون خارجة عن حكم من في السماء والأرض، ﴿كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ﴾، قال مجاهد: الصلاة لبني آدم، والتسبيح لسائر الخلق. وقيل: إن ضرب الأجنحة صلاة الطير وصوته تسبيحه. قوله: (كل قد علم) أي: كل مصل ومسيح علم الله صلاته وتسبيحه. وقيل: معناه كل مصل ومسيح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

[٤٢] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

[٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي﴾، يعني يسوق بأمره، ﴿سَحَابًا﴾، إلى حيث يريد، ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾، يعني يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾، متراكما بعضه فوق بعض، ﴿فَتَرَى الْوَدَفَ﴾، يعني المطر، ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾، وسطه وهو جمع الخلل، كالجبال جمع الجبل. ﴿وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾، يعني: ينزل البرد، و(من) صلة، وقيل: معناه وينزل من السماء من جبال أي مقدار جبال في الكثرة من البرد، (من) في قوله (من جبال) صلة أي: وينزل من السماء جبالاً من برد. وقيل: معناه وينزل من جبال في السماء تلك الجبال من برد. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أخبر الله عز وجل أن في السماء جبالاً من برد، ومفعول الإنزال محذوف تقديره: وينزل من السماء من جبال فيها

سُورَةُ النُّورِ

٣٥٦

الْمِائَةِ

يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾
 وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن
 يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ
 إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مُبِينَاتٍ
 وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
 ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ
 ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ
 الْبِرَّ وَاللَّهَ مُذْغَبِينَ ﴿٤٩﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَنَّهُمْ يُخَافُونَ
 أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾
 إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
 أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
 يَطُغْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾
 وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ
 لَا تُنْفِسُوا طَاعَةً مَّعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

برد، فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه. قال
 أهل النحو: ذكر الله تعالى (من) ثلاث مرات في
 هذه الآية فقوله: (من السماء) لابتداء الغاية لأن
 ابتداء الإنزال من السماء، وقوله تعالى: (من
 جبال) للتبعض لأن ما ينزله الله تعالى بعض تلك
 الجبال التي في السماء، وقوله تعالى: (من برد)
 للتجنيس لأن تلك الجبال من جنس البرد. ﴿فَيُصِيبُ
 بِهِ﴾، يعني بالبرد ﴿مَن يَشَاءُ﴾، فيهلك زروعه
 وأمواله، ﴿وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ﴾، فلا يضره، ﴿يَكَادُ
 سَنَا بَرْقُهُ﴾، يعني ضوء برق السحاب، ﴿يَذْهَبُ
 بِالْأَبْصَارِ﴾، من شدة ضوئه وبريقه.

[٤٤] ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، يصرفهما في
 اختلافهما وتعاقبهما يأتي بالليل ويذهب بالنهار
 ويذهب بالليل، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، يعني في ذلك
 الذي ذكرت من هذه الأشياء، ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي
 الْأَبْصَارِ﴾، يعني دلالة لأهل العقول والبصائر على
 قدرة الله تعالى وتوحيده.

[٤٥] قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾، قرأ
 حمزة والكسائي (خالق كل) بالإضافة، وقرأ
 الآخرون (خلق كل) على الفعل، ﴿مِّن مَّاءٍ﴾، يعني
 من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا
 يدخل فيه الملائكة ولا الجن، لأننا لا نشاهدهم.
 وقيل: أصل جميع الخلق من الماء، وذلك أن الله
 تعالى خلق ماء ثم جعل بعضه ريحاً فخلق منها
 الملائكة، وبعضه ناراً فخلق منها الجن، وبعضها
 طيناً فخلق منها آدم، ﴿فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾،
 كالحيات والحيتان والديدان، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى
 رِجْلَيْنِ﴾، مثل بني آدم والطير، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى
 أَرْبَعٍ﴾، كالبهائم والسباع، ولم يذكر من يمشي على
 أكثر من أربع مثل حشرات الأرض لأنها في
 الصورة كالتي يمشي على الأربع، وإنما قال: (من
 يمشي)، و (من) إنما تستعمل فيمن يعقل دون من
 لا يعقل من الحيات والبهائم، لأنه ذكر كل دابة،

فدخل فيه الناس وغيرهم، وإذا جمع اللفظ من
 يعقل ومن لا يعقل تجعل الغلبة لمن يعقل. ﴿يَخْلُقُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٤٦] ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾، إليك، ﴿ءَايَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ
 يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٤٧] ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾.

يعني المنافقين يقولونه، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى﴾، يعرض عن
 طاعة الله ورسوله، ﴿فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾، أي
 من بعد قولهم آمنا، ويدعو إلى غير حكم الله. قال
 الله تعالى: ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، نزلت هذه
 الآية في بشر المنافق كانت بينه وبين رجل من
 اليهود خصومة في أرض، فقال اليهودي: نتحاكم
 إلى محمد ﷺ، وقال المنافق: نتحاكم إلى كعب
 ابن الأشرف، فإن محمداً يحيف علينا، فأنزل الله
 هذه الآية.

معك، لئن خرجت خرجنا وإن أقمت أقمنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا، فقال تعالى: ﴿قُلْ﴾، لهم، ﴿لَا تَقْسِمُوا﴾ لا تحلفوا، وقد تم الكلام، ثم قال: ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾، يعني هذه طاعة بالقول وباللسان دون الاعتقاد، وهي معروفة يعني أمر عرف أنكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون، هذا معنى قول مجاهد رضي الله عنه. وقيل: معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل. وقال مقاتل بن سليمان: لكن منكم طاعة معروفة. ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[٥٤] ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا،﴾ يعني تولوا عن طاعة الله ورسوله، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ مَحْمَلٌ﴾، يعني على الرسول ما كُلِّفَ وأمر به من تبليغ الرسالة، ﴿وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ﴾، من الإجابة والطاعة، ﴿وَإِن تَطِيعُوا تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمُبَيِّنِ﴾، أي التبليغ البين.

[٥٥] قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، قال أبو العالية: في هذه الآية مكث النبي ﷺ بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه، وأمروا بالصبر على أذى الكفار، وكانوا يصبحون ويُمسُونَ خائفين ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة، وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم: أما يأتي علينا يوم نؤمن فيه ونضع السلاح، فأنزل الله هذه الآية: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم) أدخل اللام لجواب اليمين المضمرة، يعني والله ليستخلفنهم أي ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها، ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم (كما استخلف) بضم التاء وكسر اللام على ما لم يسم فاعله، وقرأ الآخرون بفتح التاء واللام لقوله تعالى: (وعد الله) قال قتادة: (كما استخلف) داود

[٤٨] ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾، الرسول يحكم بحكم الله، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾، يعني عن الحكم. وقيل: عن الإجابة.

[٤٩] ﴿وَإِن يَكُنْ لَهُمُ الْخُفُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ﴾، مطيعين منقادين لحكمه، يعني إذا كان الحق لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه لثقتهم بأنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضًا بالحق.

[٥٠] ﴿أَنَّى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَوْ ارْتَابُوا﴾، يعني شكوا، هذا استفهام ذم وتوبيخ، يعني هم كذلك، ﴿ثُمَّ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾، يعني بظلم، ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم بإعراضهم عن الحق.

[٥١] ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، إلى كتاب الله ورسوله، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾، هذا ليس على طريق الخبر لكنه تعليم أدب الشرع على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا، ونصب القول على الخبر واسمه في قوله تعالى: ﴿أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، يعني سمعنا الدعاء وأطعنا بالإجابة. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[٥٢] ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فيما ساءه وسره ويخشى الله على ما عمل من الذنوب. ﴿وَيَتَّقَ﴾، فيما بعد، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، الناجون، قرأ أبو عمرو وأبو بكر (يتقه) ساكنة الهاء، ويختلسها أبو جعفر ويعقوب وقالون، كما في نظائرها ويشبعها الباقون كسرًا، وقرأ حفص (يتقه) بسكون القاف واختلاس الهاء، وهذه اللغة إذا سقطت الياء للجزم يسكنون ما قبلها يقولون لم أشتر طعامًا بسكون الراء.

[٥٣] قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾، جهد اليمين أن يحلف بالله ولا حلف فوق الحلف بالله، ﴿لَئِن أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾، وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أينما كنت نكن

سُورَةُ النُّورِ

٣٥٧

الْمِائَةِ

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَمَا عَلَيْهِ مَحِيلٌ
وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٥٦﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
وَلَيَجْعَلَنَّ لَهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٧﴾
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرحَمُونَ ﴿٥٨﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مَعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
وَمَا وَدَّعُهُم أَن تَارَوْا لَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمُ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٠﴾ أَي أَفْعَلُوهَا
عَلَى رَجَاءِ الرَّحْمَةِ. ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ
عامر وحزمة (لا يحسن) بالياء أي لا يحسن الذين
كفروا أنفسهم، ﴿مَعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، وقرأ الآخرون
بالتاء يقول: لا تحسن يا محمد الذين كفروا
معجزين فائتين عنا، ﴿وَمَا وَدَّعُهُمُ التَّارَ وَلَيْسَ
الْمَصِيرُ﴾.

وسليمان وغيرهما من الأنبياء. وقيل: كما
استخلف الذين من قبلهم أي بني إسرائيل حيث
أهلك الجابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم
وديارهم، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾،
أي اختار، قال ابن عباس: يوسع لهم في البلاد
حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الأديان،
﴿وَلَيَجْعَلَنَّ لَهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي﴾، قرأ ابن كثير وأبو بكر ويعقوب
بالتخفيف من الإبدال، وقرأ الآخرون بالتشديد من
التبديل، وهما لغتان، وقال بعضهم: التبديل تغير
حال إلى حال، والإبدال رفع الشيء وجعل غيره
مكانه، ﴿مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي﴾، آمنين، ﴿لَا
يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾، فأنجز الله وعده وأظهر دينه
ونصر أوليائه وأبدلهم بعد الخوف أمنا وبسطا في
الأرض. ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾، أراد به كفران
النعمة، ولم يرد الكفر بالله، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ﴾، العاصون لله، قال أهل التفسير: أول
من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان
رضي الله عنه، فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل
عليهم الخوف حتى صاروا يقتلون بعد أن كانوا
إخوانا.

[٥٧، ٥٦] قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، أي افعلوها
على رجاء الرحمة. ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ
عامر وحزمة (لا يحسن) بالياء أي لا يحسن الذين
كفروا أنفسهم، ﴿مَعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، وقرأ الآخرون
بالتاء يقول: لا تحسن يا محمد الذين كفروا
معجزين فائتين عنا، ﴿وَمَا وَدَّعُهُمُ التَّارَ وَلَيْسَ
الْمَصِيرُ﴾.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمُ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، أي افعلوها
على رجاء الرحمة. ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قرأ
عامر وحزمة (لا يحسن) بالياء أي لا يحسن الذين
كفروا أنفسهم، ﴿مَعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، وقرأ الآخرون
بالتاء يقول: لا تحسن يا محمد الذين كفروا
معجزين فائتين عنا، ﴿وَمَا وَدَّعُهُمُ التَّارَ وَلَيْسَ
الْمَصِيرُ﴾.

النساء ولكن لم يبلغوا. ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾، أي ليستأذنوا
في ثلاث أوقات، ﴿مِّنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ
ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾، يريد المقل، ﴿وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ
الْعِشَاءِ﴾، وإنما خص هذه الأوقات لأنها ساعات
الخلوة ووضع الثياب فربما يبدو من الإنسان ما لا
يجب أن يراه أحد، أمر العبيد والصبيان بالاستئذان
في هذه الأوقات، وأما غيرهم فليستأذنوا في جميع
الأوقات ﴿ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي
(ثلاث) بنصب التاء بدلا من قوله: (ثلاث مرات)،
وقرأ الآخرون بالرفع، أي هذه الأوقات ثلاث
عورات لكم، سميت هذه الأوقات عورات لأن
الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته، ﴿لَيْسَ
عَلَيْكُمْ﴾، جناح ﴿وَلَا عَلَيْهِمْ﴾، على العبيد
والخدم والصبيان، ﴿جَنَاحُ﴾، في الدخول عليكم
من غير استئذان، ﴿بَعْدَهُنَّ﴾، أي بعد هذه الأوقات

الْمَرْءُ الْمُؤْمِنُ

٣٥٨

سُورَةُ النُّورِ

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَنْذِرُوا كَمَا اسْتَنْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاحِشُهُ أَوْ صُدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

الثلاثة، ﴿طَوَفُونَ عَلَيْكُمْ﴾، أي: العبيد والخدم يطوفون عليكم فيترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالهم بغير إذن، ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، أي يطوف بعضكم على بعض ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: منسوخ. قال ابن عباس رضي الله عنه: لم يكن للقوم ستور ولا حجاب، فكان الخدم والولائد يدخلون فرما يرون منهم ما لا يحبون، فأمروا بالاستئذان، وقد بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور فرأى أن ذلك أغنى عن الاستئذان، وذهب قوم إلى أنها غير منسوخة، روى سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال: سألت الشعبي عن هذه الآية (ليستأنذكم الذين ملكت أيمانكم) أم منسوخة هي؟ قال: لا والله، قلت: إن الناس لا يعملون بها، قال: الله المستعان^(١). وقال سعيد بن جبير في هذه الآية: أن ناسا يقولون: نسخت والله ما نسخت، ولكنها مما تهاون به الناس.

[٥٩] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ﴾ أي: الاحتلام يريد الأحرار الذين بلغوا، ﴿فَلْيَسْتَنْذِرُوا﴾، أي يستأذنون في جميع الأوقات في الدخول عليكم، ﴿كَمَا اسْتَنْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من الأحرار والكبار. وقيل: يعني الذين كانوا مع إبراهيم وموسى وعيسى، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ﴾، دلالاته. وقيل: أحكامه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾، بأمور خلقه، ﴿حَكِيمٌ﴾، بما دبر لهم. قال سعيد بن المسيب: يستأذن الرجل على أمه فإنما أنزلت هذه الآية في ذلك. وسئل حذيفة: يستأذن الرجل على والدته؟ قال: نعم إن لم يفعل رأى منها ما يكره.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾، يعني اللاتي قعدن عن الولد والحيض من الكبر لا يلدن ولا يحضن، واحداً قاعد بلا هاء. وقيل: قعدن عن الأزواج، وهذا معنى قوله: ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ

نِكَاحًا﴾، أي لا يردن الرجال لكبرهن، قال ابن قتيبة: سميت المرأة قاعداً إذا كبرت لأنها تكثر القعود. وقال ربيعة الرأي: هن العجز اللاتي إذا رأوهن الرجال استقذروهن، فأما من كانت فيها بقية من جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في هذه الآية، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾، عند الرجال، يعني يضعن بعض ثيابهن، وهي الجلباب والرداء الذي فوق الثياب، والقناع الذي فوق الخمار، فأما الخمار فلا يجوز وضعه، وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وأبي ابن كعب (أن يضعن من ثيابهن)، ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾، أي من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء إظهار زينتتهن، والتبرج هو أن تظهر المرأة

(١) أخرجه الطبري ١٨/١٦٢، ١٦٣ ونسبه السيوطي ٦/ ٣١٩ للفريابي.

من محاسنها ما ينبغي لها أن تتنزه عنه. ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾، فلا يلقين الجلباب والرداء، ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٦١] قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ الآية، اختلف العلماء في هذه الآية فقيل: (على) بمعنى في أي ليس في الأعمى يعني ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض. وقال مجاهد: نزلت الآية ترخصاً لهؤلاء في الأكل من بيوت من سمى الله في هذه الآية. وقال سعيد بن المسيب: كان المسلمون إذا غزوا خلفوا زمناهم ويدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، فكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون: لا ندخلها وهم غيب، فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم. قال الحسن: نزلت هذه الآية رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد. قال: تم الكلام عند قوله: (ولا على المريض حرج)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ كلام منقطع عما قبله. وقيل: لما نزل قوله: (لا تأكلوا أموالكم بالباطل) قالوا: لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾، أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم. قيل: أراد من أموال عيالكم وأزواجكم، وبيت المرأة كبيت الزوج. وقال ابن قتيبة: أراد من بيوت أولادكم نسب الأولاد إلى الآباء، كما جاء في الحديث: «أنت ومالك لأبيك»^(١)، ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ مِمَّا كُنْتُمْ مُفَاكِهَةً﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: عني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته، لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته، ولا يحمل ولا يدخر. وقال الضحاك: يعني في بيوت

عبيدكم ومماليككم، وذلك أن السيد يملك منزل عبده والمفاتيح الخزائن، لقوله تعالى: (وعنده مفاتيح الغيب) ويجوز أن يكون الذي يفتح به. قال عكرمة: إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن، فلا بأس أن يطعم الشيء السير. وقال السدي: الرجل يولي طعامه غيره يقوم عليه فلا بأس أن يأكل منه. وقال قوم: وما ملكتم مفاتيحه ما خزنتموه عندكم. قال مجاهد وقتادة: من بيوت أنفسكم مما أحرزتم وملكتم، ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾. الصديق الذي صدقك في المودة، والمعنى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا﴾، من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا، من غير أن تتزودوا وتحملوا. قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾، رخص لهم أن يأكلوا كيف شاءوا جميعاً أو أشتاتاً متفرقين، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، أي يسلم بعضكم على بعض، هذا في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن في بيته. وقال قتادة: إذا دخلت بيتك فسلم على أهلِكَ فهو أحق من سلمت عليه، وإذا دخلت بيتاً لا أحد فيه فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. ﴿تَحِيَّاتٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، نصب على المصدر أي تحيون تحية، ﴿مُبْرَكَةً طَيِّبَةً﴾، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: حسنة جميلة. وقيل: ذكر البركة والطيبة ههنا لما فيه من الثواب والأجر. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

[٦٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾، أي مع رسول الله ﷺ، ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾، يجمعهم من حرب حضرت أو صلاة أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور في أمر نزل، ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾، لم ينفروا عنه لم ينصرفوا عما

(١) أخرجه ابن ماجه في التجارات برقم (٢٢٩١) ٢/٧٦٩. قال في الزوائد: وإسناده صحيح ورجاله ثقات على شرط البخاري.

اجتمعوا له من الأمر، ﴿حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا﴾، قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ حيث يراه فيعرف أنه إنما قام يستأذن، فيأذن لمن شاء منهم. قال مجاهد: وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده. قال أهل العلم: وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بإذن، وإذا استأذن فلإمام إن شاء أذن له وإن شاء لم يأذن، وهذا إذا لم يكن له سبب يمنعه من المقام، فإن حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكون في المسجد فتحيض منهم امرأة أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج إلى الاستئذان. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾، أي أمرهم، ﴿فَأَذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾، في الانصراف، معناه إن شئت فأذن وإن شئت فلا تأذن، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٦٣] ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يقول احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه فإن دعاءه موجب لنزول البلاء بكم ليس كدعاء غيره. وقال مجاهد وقتادة: لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضًا يا محمد يا عبدالله، ولكن فخموه وشرفوه، فقولوا: يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع، ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْئُونَ﴾، أي: يخرجون ﴿مِنْكُمْ لَوْأَدًا﴾، أي يستر بعضهم بعضًا ويروغ في خيفة، فيذهب، واللواد مصدر لاوَدَ يُلاوِدُ مُلاوِدَةً، ولوآدًا، قيل: كان هذا في حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله ﷺ مخفين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لوآدًا أي يلوذ بعضهم ببعض، وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٣﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْئُونَ مِنْكُمْ لَوْأَدًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْشِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٥﴾

سُورَةُ الْمُرْقَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَهُ فَقْدِيرًا ﴿٢﴾

الجمعة واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار، ومعنى قوله: (قد يعلم الله) للتهديد بالمجازاة، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾، أي أمره، و (عن) صلة. وقيل: معناه يُعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه. ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي لثلا تصيبهم فتنة، قال مجاهد: بلاء في الدنيا، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وجيع في الآخرة. وقيل: عذاب أليم عاجل في الدنيا. ثم عظم نفسه.

[٦٤] فقال: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ملكًا وعبيدًا، ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾، من الإيمان والنفاق أي يعلم، و (قد) صلة ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾، يعني يوم البعث، ﴿فَيُنْشِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾، من الخير والشر، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

[١] ﴿تَبَارَكَ﴾، تفاعل، من البركة، عن ابن عباس: معناه جاء بكل بركة، دليله قوله الحسن: مجيء البركة من قبله. وقال الضحاك: تعظم، ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾، أي القرآن، ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾، محمد ﷺ. ﴿يَكُونُ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، أي: للجن والإنس. قيل: النذير هو القرآن. وقيل: محمد ﷺ.

[٢] ﴿الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَكَ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، مما يطلق عليه صفة المخلوق، ﴿فَقَدَرُوا نَفِيرًا﴾، فسواه وهياه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت، وقيل: قدر لكل شيء تقديرًا من الأجل والرزق، فجرت المقادير على ما خلق.

[٣] قوله عز وجل: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾، يعني عبدة الأوثان، ﴿مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً﴾، يعني: الأصنام، ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾، أي دفع ضرر ولا جلب نفع، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً﴾، أي إماتة ولا إحياء، ﴿وَلَا شُورًا﴾، أي بعثًا بعد الموت.

[٤] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني المشركين، يعني النضر بن الحارث وأصحابه، ﴿إِنَّ هَذَا﴾، ما هذا القرآن، ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾، كذب، ﴿أَفْتَرْتَهُ﴾، اختلقه محمد ﷺ، ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾، قال مجاهد: يعني اليهود. وقال الحسن: هو عبيد ابن الخضر الحبشي الكاهن. وقيل: جبر ويسار وعداس بن عبيد، كانوا بمكة من أهل الكتاب، فزعم المشركون أن محمدًا ﷺ يأخذ منهم، قال الله تعالى: ﴿فَقَدَّ جَاءُوا﴾، يعني قائلني هذه المقالة، ﴿ظُلُمًا وَّزُورًا﴾، أي بظلم وزور. فلما حذف الباء انتصب، يعني جاؤوا شركًا وكذبًا بنسبتهم كلام الله

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

٣٦٠

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شُورًا ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَ ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٣﴾ وَقَالُوا اسْطِطِرُّوا أَوْلَايَ أَكْتَتَبْتَهَا فِي شَيْءٍ عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأَصِيلًا ﴿٤﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُوًّا رَحِيمًا ﴿٥﴾ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُوبُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٦﴾ أَوْ يُنْفَخُ إِلَيْهِ كَرُورٌ أَوْ يَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعَيُّبٌ إِلَّا رَجُلًا مَسْجُورًا ﴿٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلِ فَضْلُوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٨﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ﴿٩﴾ لَمْ يَكُودُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

تعالى إلى الإفك والافتراء.

[٥] ﴿وَقَالُوا اسْطِطِرُّوا أَوْلَايَ أَكْتَتَبْتَهَا﴾، يعني النضر بن الحارث كان يقول: إن هذا القرآن ليس من الله وإنما هو مما سطره الأولون مثل حديث رستم واسفنديار، اكتبها انتسخها محمد من جبر ويسار وعداس، ومعنى اكتب يعني طلب أن يكتب له لأنه كان لا يكتب، ﴿فَعَيَّ تَمَلَّى عَلَيْهِ﴾، يعني تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها، ﴿بُكْرَةٌ وَأَصِيلًا﴾، غدوة وعشيًا. قال الله عز وجل ردًا عليهم:

[٦] ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ﴾، يعني القرآن، ﴿الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾، يعني الغيب، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُوًّا رَحِيمًا﴾.

[٧] ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ﴾، يعنون محمدًا ﷺ، ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾، كما نأكل نحن، ﴿وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ يلتبس المعاش كما نمشي فلا يجوز

تَغْطَا ۖ غَلِيَانًا كَالْغَضْبَانِ إِذَا غَلَى صَدْرُهُ مِنَ الْغَضَبِ. ﴿وَرَفِيرًا﴾ صوتًا. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَسْمَعُ التَّغِيظُ؟ قِيلَ: مَعْنَاهُ رَأَوْا وَعَلِمُوا أَنَّ لَهَا تَغِيظًا وَاسْمَعُوا لَهَا زَفِيرًا، وَقِيلَ: سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا أَيْ: صَوْتَ التَّغِيظِ مِنَ التَّلَهَبِ وَالتَّوَقُّدِ.

[١٣] ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَضِيقُ عَلَيْهِمْ كَمَا يَضِيقُ الزَّجُّ فِي الرَّمْحِ، ﴿مُقَرَّنِينَ﴾، مُصَفَّدِينَ قَدْ قَرَنْتَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ فِي الْأَغْلَالِ. وَقِيلَ: مُقَرَّنِينَ مَعَ الشَّيَاطِينِ فِي السَّلَاسِلِ، ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَيَلًا. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هَلَاكًا، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنْ أَوَّلَ مَنْ يَكْسِي حُلَّةَ مِنَ النَّارِ إِبْلِيسُ»، فَيُضْعَعُ عَلَى حَاجِبِيهِ وَيُسْحَبُهَا مِنْ خَلْفِهِ وَذَرِيَّتِهِ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا ثُبُورَاهُ، وَهُمْ يَنَادُونَ يَا ثُبُورَهُمْ حَتَّى يَقْفُوا عَلَى النَّارِ فَيَنَادُونَ يَا ثُبُورَاهُ وَيَنَادِي يَا ثُبُورَهُمْ، فَيَقَالُ لَهُمْ:

[١٤] ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾، قِيلَ: أَيْ هَلَاكَكُمْ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تَدْعُوا مَرَّةً وَاحِدَةً فَادْعُوا أَدْعِيَةً كَثِيرَةً.

[١٥] قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أَذِلَّةٌ﴾، يَعْنِي الَّذِي ذَكَرْتَهُ مِنْ صِفَةِ النَّارِ وَأَهْلِهَا، ﴿خَيْرٌ أَمَّ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً﴾، ثَوَابًا، ﴿وَمَصِيرًا﴾، مُرْجَعًا.

[١٦] ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُورًا﴾، مَطْلُوبًا وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ سَأَلُوا رَبَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حِينَ قَالُوا: رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رِسْلِكَ، يَقُولُ: كَانَ أُعْطِيَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ جَنَّةَ خُلْدٍ وَعْدًا وَعَدَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا وَمَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ ذَلِكَ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ: الطَّلَبُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ رَبَّنَا وَأَدْخَلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ.

[١٧] ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَيَعْقُوبُ وَحَفْصٌ (يُحْشَرُهُمْ) بِالْبَاءِ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالنُّونِ،

أَنْ يَمْتَازَ عَنَّا بِالنُّبُوَّةِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ لَهُ لَسْتُ أَنْتَ بِمَلِكٍ وَلَا بِمَلِكٍ، لِأَنَّكَ تَأْكُلُ وَالْمَلِكُ لَا يَأْكُلُ، وَلَسْتُ بِمَلِكٍ لِأَنَّ الْمَلِكَ لَا يَتَسَوَّقُ، وَأَنْتَ تَتَسَوَّقُ وَتَتَبَدَّلُ. وَمَا قَالُوهُ فَاسِدٌ لِأَنَّ أَكْلَهُ الطَّعَامَ لِكُونِهِ آدَمِيًّا وَمِثْلِهِ فِي الْأَسْوَاقِ لَتَوَاضُعِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ صِفَةً لَهُ وَشَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَا يَنَافِي النُّبُوَّةَ. ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ﴾، فَيُصَدِّقُهُ، ﴿فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾، دَاعِيًا.

[٨] ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْنَا كُرًى﴾، أَيْ: يَنْزِلُ عَلَيْهِ كُتْرٌ مِنَ السَّمَاءِ يَنْفَقُهُ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّرَدُّدِ وَالتَّصَرُّفِ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ، ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُمْ جَنَّةٌ﴾، بَسْتَانٌ، ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾، قَرَأَ حِمْزَةً وَالْكَسَائِي (نَأْكُلُ) بِالنُّونِ أَيْ نَأْكُلُ نَحْنُ مِنْهَا، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعَيَّلْنَا إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾، مَخْدُوعًا. وَقِيلَ: مَصْرُوفًا عَنِ الْحَقِّ.

[٩] ﴿انْظُرْ﴾، يَا مُحَمَّدُ، ﴿كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾، يَعْنِي الْأَشْبَاهَ، فَقَالَ: مَسْحُورٌ مُحْتَاجٌ وَغَيْرُهُ، ﴿فَضَلُّوا﴾، عَنِ الْحَقِّ، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾، إِلَى الْهَدْيِ وَمَخْرَجًا عَنِ الضَّلَالَةِ.

[١٠] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾، الَّذِي قَالُوا أَوْ أَفْضَلَ مِنَ الْكُتْرِ وَالبَسْتَانِ الَّذِي ذَكَرُوا وَرَوَى عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: يَعْنِي خَيْرًا مِنَ الْمَشْيِ فِي الْأَسْوَاقِ وَالتَّمَاسِ الْمَعَاشِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ الْخَيْرَ فَقَالَ: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا﴾، بَيْوتًا مُشِيدَةً، وَالعَرَبُ تَسْمِي كُلَّ بَيْتٍ مُشِيدٍ قَصْرًا.

[١١] قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾، بِالْقِيَامَةِ، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾، نَارًا مُسْتَعْرَةً.

[١٢] ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَّانٍ بَعِيدٍ﴾ ثَبِتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَدًّا فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْنَ عَيْنِي جَهَنَّمَ مُقْعَدًّا». قَالُوا: وَهَلْ لَهَا مِنْ عَيْنَيْنِ؟ قَالَ: نَعَمْ أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَّانٍ بَعِيدٍ﴾ وَقِيلَ: إِذَا رَأَتْهُمْ زَبَانِيَّتُهَا ﴿سَمِعُوا لَهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٦١

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَبَعُوا لَهُمْ أَعْيُنًا وَأَزْفَرُوا ۚ وَإِذَا
 أَلْقَاوْنَهَا كَانَ مَكَانًا خَصِيصًا مُمْرَينَ دَعَوْا هَٰؤُلَاءِ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
 لَأَنذَعُوهُنَّ الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَادْعُوهُنَّ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ
 أَذَلِك خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ
 لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ
 كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُورًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
 يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي
 هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا أَتَسْمِنُكَ مَا كَانَ
 يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ
 وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ
 كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا
 نَصْرًا وَمَنْ يظْلِم مَنكُم نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
 وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
 الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
 لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قال مجاهد: من الملائكة والجن والإنس وعيسى وعزير. وقال عكرمة والضحاك والكلبي: يعني الأصنام ثم يخاطبهم، ﴿فَيَقُولُ﴾، قرأ ابن عامر بالنون والآخرين بالياء، ﴿أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾، أخطأوا الطريق.

[١٨] ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ﴾، نزهوا الله من أن يكون معه إله، ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾، يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك بل أنت ولينا من دونهم. وقيل: ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك. وقرأ أبو جعفر (أن نتخذ) بضم النون وفتح الخاء فتكون (من) الثاني صلة، ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ﴾، في الدنيا بطول العمر والصحة والنعمة، ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾، تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن. وقيل: تركوا ذكركم وغفلوا عنه، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾، يعني هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان، رجل يقال له بائر، وقوم بور، وأصله من البوار وهو الكساد والفساد، ومنه بوار السلعة وهو كسادها. وقيل هو اسم مصدر كالزور يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث.

[١٩] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ﴾، هذا خطاب مع المشركين، أي: كذبكم المعبودون، ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾، إنهم آلهة، ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾، قرأ حفص بالتاء يعني العابدين، وقرأ الآخرون بالياء يعني: الآلهة. ﴿صَرْفًا﴾ يعني صرف العذاب عن أنفسهم، ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ يعني ولا نصر أنفسهم. وقيل: ولا نصركم أيها العابدون من عذاب الله بدفع العذاب عنكم وقيل: الصرف الحيلة، ومنه قول العرب: إنه ليسصرف أي يحتال، ﴿وَمَنْ يظْلِم﴾، يشرك، ﴿مَنكُم نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾. [٢٠] قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، يا محمد، ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ

الطَّعَامَ﴾، روى الضحاك عن ابن عباس قال: لما غير المشركون رسول الله ﷺ وقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، أنزل الله عز وجل هذه الآية، يعني ما أنا إلا رسول وما كنت بدعا من الرسل، وهم كانوا بشرًا يأكلون الطعام، ﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾. وقيل: معناه وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا قيل لهم مثل هذا أنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق كما قال في موضع آخر: ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾، أي بلية فالغني فتنة للفقير، يقول الفقير: ما لي لم أكن مثله، والصحيح فتنة للمريض، والشريف فتنة للوضيع. وقال ابن عباس: أي جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم، وترون من خلاقهم، وتتبعوا الهدى. وقيل: نزلت في ابتلاء

[٢٣] ﴿وَقَدِمْنَا﴾، وعمدنا، ﴿إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَعَجَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾، أي باطلا لا ثواب له، فهم لم يعملوه لله عز وجل. واختلفوا في الهباء قال علي: هو ما يرى في الكوة إذا وقع ضوء الشمس فيها كالغبار يمس بالأيدي، ولا يرى في الظل، وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد، والمنثور: المفروق، وقال ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير: هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر. وقال مقاتل: هو ما يسقط من حوافر الدواب عند السير. وقيل: الهباء المنثور ما يرى في الكوة والهباء المنبث هو ما تطيره الرياح من سنايك الخيل.

[٢٤] قوله عز وجل: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾، أي: من هؤلاء المشركين المتكبرين، ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾، موضع قائلة يعني أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة، قال ابن مسعود: لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، قال الأزهري: القيلولة والمقيل الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن مع ذلك نوم، لأن الله تعالى قال: (وأحسن مقيلا) والجنة لا نوم فيها.

[٢٥] قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّعَابِ﴾، أي عن الغمام الباء وعن يتعاقبان كما يقال: رميت عن القوس وبالقوس وتشقق بمعنى تشقق، أدغموا إحدى التاءين في الأخرى، وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة بتخفيف الشين ههنا، وفي سورة (ق) بحذف إحدى التاءين، وقرأ الآخرون بالتشديد، أي تنشق بالغمام وهو غمام أبيض رقيق مثل الضباب، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم. ﴿وَنَزَّلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا﴾، قرأ ابن كثير (ونزل) بنونين خفيف ورفع اللام، (الملائكة) نصب، قال ابن عباس: تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس، ثم تشقق السماء

الشريف بالوضع، وذلك أن الشريف إذا أراد أن يسلم فرأى الوضع قد أسلم قبله أنف، وقال: أسلم بعده فيكون له علي السابقة والفضل، فيقيم على كفره ويمتنع من الإسلام، فذلك افتتان بعضهم ببعض ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ يعني على هذه الحالة من الفقر والشدة والأذى، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بِصِيرًا﴾، بمن صبر وبمن جزع.

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، أي لا يخافون البعث، قال الفراء: الرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة، ومنه قوله تعالى: (ما لكم لا ترجون لله وقارًا) أي: لا تخافون الله عظمة. ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ﴾، فتخبرنا أن محمدا صادق، ﴿أَوْ رَأَى رَبًّا﴾، فيخبرنا بذلك، ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا﴾، أي تعظموا. ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾، بهذه المقالة، ﴿وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾. قال مجاهد: عتوا طغوا في القول والعتو أشد الكفر وأفحش الظلم. وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به.

[٢٢] ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ عند الموت. وقيل: في القيامة. ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾، للكافرين، وذلك أن الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة، ويقولون للكفار: لا بشرى لكم، هكذا قال عطية، وقال بعضهم: معناه أنه لا بشرى يوم القيامة للمجرمين، أي لا بشارة لهم بالجنة، كما يبشر المؤمنون. ﴿وَيَقُولُونَ جِئُوا نَحْنُ الْغَابِرُونَ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: تقول الملائكة: حراما محرما أن يدخل الجنة، إلا من قال لا إله إلا الله. وقال مقاتل: إذا خرج الكفار من قبورهم قالت لهم الملائكة: حراما محرما عليكم أن يكون لكم بشرى. وقال بعضهم: هذا قول الكفار للملائكة. قال ابن جريج: كانت العرب إذا نزلت بهم شدة رأوا ما يكرهون، قالوا: حجرا محجورا، فهم يقولونه إذا عاينوا الملائكة قال مجاهد: يعني عودا معادا يستعيذون به من الملائكة.

الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا، ومن الجن والإنس، ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها، ثم ينزل الكروبيون ثم حملة العرش.

[٢٦] ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ أي الملك الذي هو الملك الحق حقاً ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس: يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضي غيره. ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾، شديداً فهذا الخطاب يدل على أنه لا يكون على المؤمن عسيراً، وجاء في الحديث: «إنه يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوها في الدنيا»^(١).

[٢٧] ﴿يَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط تحسراً على ما فعل ﴿يَقُولُ يَلْبِثَنِي أَخَذْتُ﴾، في الدنيا، ﴿مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾، لبتني اتبعت محمداً ﷺ واتخذت معه سبيلاً إلى الهدى. [٢٨] ﴿يَتَوَلَّى لَبِثِي لَمْ أَخَذْ فَلَانَا خَلِيلًا﴾، يعني أبي بن خلف.

[٢٩] ﴿لَقَدْ أَصَلَّيْ عَنِ الذِّكْرِ﴾، عن الإيمان والقرآن، ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾، يعني الذكر مع الرسول ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾، وهو كل متمرد عات من الإنس والجن وكل من صد عن سبيل الله فهو شيطان. ﴿لِلْإِنْسَنِ خَذُولًا﴾، أي تاركاً يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب، وحكم هذه الآية عام في حق كل متحابين اجتماعاً على معصية الله. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحداً من يخال»^(٢).

[٣٠] ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾، يعني: ويقول الرسول في ذلك اليوم: ﴿يَرْبِّ إِنِّي قَوْمِي أَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾، يعني متروكاً فأعرضوا عنه، ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه. وقيل: جعلوه بمنزلة الهجر وهو الهذيان، والقول السيئ فزعموا أنه شعر وسحر، وهو قول النخعي ومجاهد. وقيل: قال

٣٦٢ سورة الفرقان
﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَتُنَزِّلُ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾
[٣١] ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا﴾ [٣٢] ﴿وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ إِذْ أَنْزَلَ فِيهِ الْفُورَانَ﴾
[٣٣] ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [٣٤] ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ وَتَكُونُ مِنَ الْفُورَانِ﴾
[٣٥] ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا [٣٦] ﴿وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ يَقُولُ يَلْبِثَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا [٣٧] ﴿يَتَوَلَّى لَبِثِي لَمْ أَخَذْ فَلَانَا خَلِيلًا﴾ [٣٨] ﴿لَقَدْ أَصَلَّيْ عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَنِ خَذُولًا [٣٩] ﴿يَرْبِّ إِنِّي قَوْمِي أَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [٤٠] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [٤١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [٤٢]

الرسول يعني محمداً ﷺ يشكو قومه إلى الله يارب: إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً فعزاه الله تعالى فقال:

[٣١] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا﴾، يعني كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا، ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾، يعني المشركين. قال مقاتل: يقول: لا يكبرن عليك فإن الأنبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فاصبر لأمري كما صبروا فإني ناصرك وهاديك، ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.

[٣٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٧٥/٣ وقال الهيثمي في المجمع ٣٣٧/١٠: وإسناده حسن على ضعف في رواية.
(٢) أخرجه أبو داود في الأدب ١٨٦/٧ والترمذي في الزهد ٧/٤٩ وقال: هذا حديث حسن غريب وصححه الحاكم ١٧١/٤ والإمام أحمد ٣٠٣/٢ والمصنف في شرح السنة ٧٠/١٣.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾
الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ
مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ
نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا
وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا
لَهُ الْأَمْثَلَ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَنَا عَلَىٰ الْغَرْبَةِ
الَّتِي أُمِطِرَتْ مَطَرُ السَّوَاءِ أَفْكَمَ يَكُونُوا يُرْوَاهَا بَلْ
كَانُوا لَا يَرْجُونَ شَوْكًَا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوعًا أَلَمْ يَكُنْ لَكَ بَعَثُ اللَّهِ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنَّكَ أَدَّ
لِيُضِلَّكَ عَنِ الْهَيْئَةِ لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ
مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

الرسول، فلذلك ذكر بلفظ الجمع. ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾
وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً، يعني لمن بعدهم عبرة،
﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾، في الآخرة، ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾،
سوى ما حل به من عاجل العذاب. ﴿وَعَادًا
وَتَمُودًا﴾، يعني وأهلكنا عَادًا وَثَمُودًا، ﴿وَأَصْحَابَ
الرَّسِّ﴾، اختلفوا فيه، قال وهب بن منبه: كانوا
أهل بئر قعودًا عليها وأصحاب مواشي يعبدون
الأصنام فوجه الله إليهم شعيبًا يدعوهم إلى الإسلام
فتمادوا في طغيانهم، وفي أذى شعيب عليه السلام
فبينما هم حوالي البئر في منازلهم انهارت بهم البئر
فخسف الله بهم وبديارهم ورباعهم، فهلكوا
جميعًا، والرس: البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة
والأجر فهو رس. وقال قتادة والكلبي: الرس بئر
بأرض اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله عز وجل،
وقال بعضهم: هم بقية ثمود وقوم صالح، وهم

وَحِدَةٌ ﴿٤٤﴾، كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل
على عيسى والزبور على داود، قال الله سبحانه
وتعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾، فعلنا، ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾،
يعني أنزلناه متفرقًا ليقوى به قلبك فتعبه وتحفظه فإن
الكتب أنزلت على الأنبياء يكتبون ويقرؤون، وأنزل
الله القرآن على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ، ولأن
من القرآن الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب
لمن سأل عن أمور ففرقناه ليكون أوعى لرسول الله
ﷺ وأيسر على العامل به. ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾، قال
ابن عباس: بيناه بيانًا، والترتيل التبيين في ترتل
وتبت. وقال السدي: فصلناه تفصيلًا. وقال
مجاهد: بعضه في إثر بعض. وقال النخعي
والحسن: فرقناه تفريقًا آية بعد آية.

[٣٣] ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾، يا محمد يعني هؤلاء
المشركين، ﴿بِمَثَلٍ﴾، يضربونه في إبطال أمرك
﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾، يعني بما ترد به ما جاؤوا به
من المثل وتبطله، فسمى ما يردون من الشبه مثلاً،
وسمى ما يدفع به الشبه حقًا، ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾،
يعني بيانًا وتفصيلًا، والتفسير تفصيل من الفسر وهو
كشف ما قد غطي، ثم ذكر ما لهؤلاء المشركين
فقال:

[٣٤] ﴿الَّذِينَ﴾، أي: هم الذين، ﴿يُحْشَرُونَ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾، فيساقون ويجرون، ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ
أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾، يعني مكانة ومنزلة، ويقال:
منزلاً ومصيراً ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، أخطأ طريقًا.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ
أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾، معينًا وظهيرًا.

[٣٦] ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا﴾، يعني القبط، ﴿فَدَمَرْنَاهُمْ﴾، فيه إضممار،
أي: فكذبوهما فدمرناهم، ﴿تَدْمِيرًا﴾، أهلكناهم
إهلاكًا.

[٣٧، ٣٨] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾، أي:
الرسول، ومن كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع

أخطأ طريقًا.

[٤٣] ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ﴾، وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر فإذا رأى حجرًا أحسن منه طرح الأول وأخذ الآخر، فعبده. وقال ابن عباس: أَرَأَيْتَ من ترك عبادة الله وخالفه ثم هوى حجرًا فعبده ما حاله عندي، ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾، يعني حافظًا، يقول: أَفَأَنْتَ عليه كفيل تحفظه من اتباع هواه وعبادة من يهوى من دون الله، أي لست كذلك.

[٤٤] ﴿أَلَمْ تَحَسْبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ ما تقول سماع طالب الإفهام، ﴿أَوْ يَقُولُونَ﴾، ما يعاينون من الحجة والإعلام، ﴿إِنْ هُمْ﴾، ما هم، ﴿إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، لأن البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لأربابها الذين يتعهدونها، وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم، ورزقهم، ولأن الأنعام تسجد وتسبح لله وهؤلاء الكفار لا يفعلون.

[٤٥] قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى مَدْرِكِ الظِّلِّ وَهُوَ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، جعله ممدودًا لأنه ظل لا شمس معه، كما قال في ظل الجنة: (وظل ممدود) لم يكن معه شمس. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَاهُ سَاكِنًا﴾، أي: دائمًا ثابتًا لا يزول، ولا تذهب الشمس. قال أبو عبيدة: الظل ما نسخته الشمس، وهو بالغداوة والفيء ما نسخ الشمس، وهو بعد الزوال، سُمي فيثًا لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾، يعني على الظل. ومعنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة، والأشياء تعرف بأضدادها.

[٤٦] ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾، يعني الظل، ﴿إِلَيْنَا قَبَضًا يَسِيرًا﴾، بالشمس التي تأتي عليه، والقبض جمع المنبسط من الشيء معناه أن الظل يعم جميع

أصحاب البئر التي ذكر الله تعالى في قوله: (وبئر معطلة وقصر مشيد). وقال سعيد بن جبير: كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله تعالى. وقال كعب ومقاتل والسدي: الرس بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيب النجار، وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس. وقيل: هم أصحاب الأخدود، والرس هو الأخدود الذي حفروه. وقال عكرمة: هم قوم رسوا نبيهم في بئر. وقيل: الرس المعدن وجمعه رساس، ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾، يعني وأهلكنا قرونًا كثيرًا بين عاد وأصحاب الرس. [٣٩] ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ﴾، يعني الأشباه في إقامة الحجة عليهم، فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار، ﴿وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا﴾، يعني أهلكنا إهلاكًا. وقال الأخفش: كسرنا تكسيرًا. قال الزجاج: كل شيء كسرتة وفتته فقد تَبَرَّه.

[٤٠] ﴿وَلَقَدْ أَنَوَّا عَلَى الْفَرِيقَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوْءِ﴾، يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط وكانت خمس قرى فأهلك الله أربعًا منها وبقيت واحدة، وهي أصغرهما وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث، ﴿أَفَكَمْ يَكُونُوا يَرَوْْنَهَا﴾، إذا مروا بهم في أسفارهم فيعتبروا ويتفكروا لأن مدائن قوم لوط كانت على طريقهم عند ممرهم إلى الشام، ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ﴾، لا يخافون، ﴿شُورًا﴾، بعثًا.

[٤١] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَخَذُونَكَ﴾، يعني ما يتخذونك، ﴿إِلَّا هُزُوءًا﴾، يعني مهزوءًا به، نزلت في أبي جهل كان إذا مر بأصحابه على رسول الله ﷺ قال مستهزئًا: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾.

[٤٢] ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا﴾، يعني قد قارب أن يضلنا، ﴿عَنِ الْهَيْئَةِ لَوْلَا أَنْتَ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾، يعني لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها، ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، من

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

٣٦٤

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَأَلَاغِمٍ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٨﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٩﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمْ الَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٥٠﴾
وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٥١﴾ لِنُخْشِيَ بِهِ بَلَدَهُ مِيتًا وَنُسْقِيَهُ
مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسٍ كَثِيرًا ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ
لِيَذْكُرُوا فَآبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥٤﴾ فَلَا نُنْجِي الْكَافِرِينَ
وَنَحْنُ هُمْ بِهِ جَاهِلًا كَثِيرًا ﴿٥٥﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَّ
الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ
نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٨﴾

الياء عوضًا عن النون.

[٥٠] ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾، يعني المطر مرة ببلد
ومرة ببلد آخر. قال ابن عباس: ما من عام بأمطر
من عام ولكن الله يصرفه في الأرض. وقرأ هذه
الآية. وقيل: المراد من تصريف المطر تصريفه
وابلاً وطلاً ورذاذاً ونحوها. وقيل: التصريف
راجع إلى الريح. ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ أي ليتذكروا ويفتكروا
في قدرة الله تعالى، ﴿فَآبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا
كُفُورًا﴾، جحوداً، وكفرانهم هو أنهم إذا مطروا
قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا. عن زيد بن خالد

الأرض قبل طلوع الشمس، فإذا طعلت الشمس
قبض الله الظل جزءاً فجزءاً قبضاً يسيراً أي خفياً.

[٤٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِبَاسًا﴾، أي
سترًا تستترون به، يريد أن ظلمته تغشى كل شيء،
كاللباس الذي يشتمل على لابس، ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾،
راحة لأبدانكم وقطعاً لعملكم، وأصل السبت
القطع، والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته.
﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾، أي يقظة وزماناً تنتشرون فيه
لابتغاء الرزق وتنتشرون لأشغالكم.

[٤٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ
رَحْمَتِهِ﴾، يعني المطر ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
طَهُورًا﴾، والطور هو الطاهر في نفسه المطهر
لغيره، فهو اسم لما يتطهر به كالسحور اسم لما
يتسحر به والفطور اسم لما يفطر به، والدليل عليه
ما رويناه أن النبي ﷺ قال في البحر: «هو الطهور
ماؤه الحل ميتته»^(١) وأراد به المطهر فالماء مطهر
لأنه يطهر الإنسان من الحدث والنجاسة، كما قال
في آية أخرى: (ويُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
ليطهركم به) فثبت به أن التطهير يختص بالماء،
وذهب أصحاب الرأي إلى أن الطهور هو الطاهر
حتى جوزوا إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة، مثل
الخل وماء الورد والمرق ونحوها، ولو جاز إزالة
النجاسة بها لجاز إزالة الحدث بها، وذهب بعضهم
إلى أن الطهور ما يتكرر منه التطهير كالصبور اسم
لمن يتكرر منه الصبر والشكور اسم لمن يتكرر منه
الشكر، وهو قول مالك حتى جَوَزَ الوضوء بالماء
الذي توضع منه مرة.

[٤٩] قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِنُخْشِيَ بِهِ﴾، أي:
بالمطر، ﴿بَلَدَهُ مِيتًا﴾، ولم يقل ميتة لأنه رجع به
إلى الموضع والمكان، ﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا﴾،
نسقي من ذلك الماء أنعاماً ﴿وَأَنْآسٍ كَثِيرًا﴾، أي
بشراً كثيراً، والأناسي جمع إنسي، وقيل: جمع
إنسان، وأصله أناسين مثل بستان وبساتين، فجعل

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ٢٢/١ وأبو داود في
الوضوء بماء البحر ٨٠/١ والترمذي فيما جاء في ماء البحر
٢٢٤/١ وقال: (حديث حسن صحيح) والنسائي في الطهارة
٥٠/١ وابن ماجه في الوضوء بماء البحر ١٣٦/١ وصححه
الحاكم ١٤٠/١.

[٥٥] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يعني هؤلاء المشركين، ﴿مَا لَا يَفْعَلُهُمْ﴾، إن عبده، ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾، إن تركوه، ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾، أي: معينًا للشيطان على ربه بالمعاصي. وقال الزجاج: أي يعاون الشيطان على معصية الله لأن عبادتهم الأصنام معاونه للشيطان. وقيل: معناه وكان الكافر على ربه ظهيرًا أي هينًا ذليلًا كما يقال: الرجل جعلني بظهير أي جعلني هينًا. ويقال: ظهر به إذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت إليه.

[٥٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، أي: منذرًا.

[٥٧] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، أي على تبليغ الوحي، ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾، فتقولوا إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه فلا تنبعه، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾، هذا من الاستثناء المنقطع، مجازة: لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا بالإنفاق من ماله في سبيله فعل ذلك، والمعنى: لا أسألكم لنفسي أجرًا ولكن لا أمنع من إنفاق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل إلى جنته.

[٥٨] ﴿وَوَكَّلْ عَلَىٰ آلِهِي الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَحْيِي مُحَمَّدًا﴾، أي صل له شكرًا على نعمه. وقيل: قل سبحان الله والحمد لله، ﴿وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾، عالمًا بصغيرها وكبيرها فيجازيهم بها.

[٥٩] ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾، أي بالرحمن، قال الكلبي: يقول فاسأل الخير بذلك يعني بما ذكرنا من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش: وقيل: الخطاب للرسول والمراد منه غيره لأنه كان مصدقًا به، والمعنى: أيها الإنسان لا ترجع في طلب العلم

الجهني أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم: قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي، وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»^(١).

[٥١] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾. رسولًا ينذرهم، لكن بعثناك إلى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة جميعها لتستوجب بصبرك على ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة.

[٥٢] ﴿فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ﴾ فيما يدعونك فيه من موافقتهم ومداونتهم. ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن، ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾، شديدًا.

[٥٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾، أي: خلطهما وأفاض أحدهما في الآخر، وقيل: أرسلهما في مجاريهما وخلاهما كما يرسل الخيل في المرح، وأصل المرح الخلط والإرسال، يقال: مرجت الدابة وأمرجتها إذا أرسلتها في المرعى وخليتها تذهب حيث تشاء، ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾، شديد العذوبة والفرات أعذب المياه، ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، شديد الملوحة. وقيل: أجاج أي مر، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ أي: حاجزًا بقدرته لئلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب، ﴿وَجَجَرًا مَخْجُورًا﴾ أي: سترًا ممنوعًا فلا يبغيان، فلا يفسد الملح العذب.

[٥٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ﴾، من النطفة، ﴿بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾، أي: جعله ذا نسب وذا صهر، قيل: النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه، فالنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها، وقيل - وهو الصحيح - النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة، وهو السبب المحرم للنكاح، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾.

(١) أخرجه مالك في الاستسقاء ١٩٢/١ والبخاري في الاستسقاء ٥٢٢/٢ ومسلم في الإيمان رقم (٧١) ٨٣/١ والمصنف في شرح السنة ٤١٩/٤.

بهذا إلى غيري. وقيل: الباء بمعنى عن أي: فاسأل عنه خبيراً وهو الله عز وجل. وقيل: جبريل عليه السلام.

[٦٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾، ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، كانوا يسمونه رحمن اليمامة. ﴿أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾، قرأ حمزة والكسائي (يامرنا) بالياء أي لما يأمرنا محمد بالسجود له، وقرأ الآخرون بالتاء أي لما تأمرنا أنت يا محمد، ﴿وَزَادَهُمْ﴾، يعني زادهم قول القائل لهم: (اسجدوا للرحمن) ﴿تَقْوَرًا﴾، عن الدين والإيمان.

[٦١] قوله عز وجل: ﴿نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾، قال الحسن ومجاهد وقتادة: (البروج) هي النجوم الكبار سميت بروجاً لظهورها، وقال عطية العوفي: بروجاً أي: قصوراً فيها الحرس، كما قال: (ولو كنتم في بروج مشيدة)، وقال عطاء عن ابن عباس: هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة، وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، فالحمل والعقرب بيتا المريخ، والثور والميزان بيتا الزهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجدي والدلو بيتا زحل. وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات، فالحمل والأسد والقوس مثلثة نارية، والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾، يعني الشمس كما قال: (وجعل الشمس سراجاً) وقرأ حمزة والكسائي (سرجاً) بالجمع يعني النجوم. ﴿وَقَمَرًا مِّنِيرًا﴾، والقمر قد

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥١﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٣﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٥٥﴾ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٥٧﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٠﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٢﴾

دخل في السرج على قراءة من قرأ بالجمع، غير أنه خصه بالذكر لنوع فضيلة، كما قال: (فيها فاكهة ونخل ورمان)، خص النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في الفاكهة. [٦٢] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾، اختلفوا فيها قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعني خلفاً وعوضاً يقوم أحدهما مقام صاحبه، فمن فاته عمله في أحدهما قضاه في الآخر. قال مجاهد: يعني جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض، وقال ابن زيد وغيره: يعني يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر فهما يتعاقبان في الضياء والظلمة والزيادة والنقصان، ﴿لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾، قرأ حمزة بتخفيف الدال والكاف وضمها من الذكر، وقرأ الآخرون بتشديدهما أي يتذكر ويتعظ ﴿أَوْ أَرَادَ

شُكْرًا، قال مجاهد: أي شكر نعمة ربه عليه فيهما.

[٦٣] قوله عز وجل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾، يعني أفاضل العباد. وقيل: هذه الإضافة للتخصيص والتفضيل، وإلا فالخلق كلهم عباد الله. ﴿الَّذِينَ يَسْتَوُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير أشربين ولا مرحين، ولا متكبرين، وقال الحسن: علماء وحكماء. وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة لا يسفهون، وإن سفه عليهم حلموا، والهون في اللغة الرفق واللين، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾، يعني السفهاء بما يكرهون، ﴿قَالُوا سَلَمًا﴾، قال مجاهد: سدادًا من القول. وقال مقاتل بن حيان: قولاً يسلمون فيه من الإثم. وقال الحسن: إن جهل عليهم جاهل حلموا ولم يجهلوا، وليس المراد منه السلام المعروف. وروى عن الحسن: معناه سلموا عليهم، دليله قوله عز وجل: (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ)، قال الكلبي وأبو العالية: هذا قبل أن يؤمر بالقتال، ثم نسختها آية القتال: وروي عن الحسن البصري أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: هذا وصف نهارهم، ثم قرأ (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) قال: هذا وصف ليلهم.

[٦٤] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْتَوُونَ لِرَبِّهِمْ﴾، يقال لمن أدرك الليل: بات نام أو لم ينم، يقال: بات فلان قلنًا، والمعنى يبيتون لربهم بالليل في الصلاة، ﴿سُجَّدًا﴾، على وجوههم، ﴿وَقِيَامًا﴾، على أقدامهم. قال ابن عباس: من صلى بعد العشاء الآخرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدًا وقائمًا.

[٦٥] قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾، يعني ملحًا دائمًا لازمًا غير مفارق من عذب به من الكفار، ومنه سمي الغريم لطلبه حقه والحاجة على

صاحبه وملازمته إياه. وقيل: غرامًا هلاكًا.

[٦٦] ﴿إِنَّمَا﴾، يعني جهنم، ﴿سَاءَتْ مُسَقَّرًا

وَمُقَامًا﴾، يعني بش موضع قرار وإقامة.

[٦٧] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾

واختلفوا في معنى الإسراف والإقتار، فقال بعضهم: الإسراف النفقة في معصية الله وإن قلت، والإقتار منع حق الله تعالى. وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج وقال الحسن في هذه الآية لم ينفقوا في معاصي الله ولم يمسكوا عن فرائض الله. وقال قوم: الإسراف مجاوزة الحد في الإنفاق، حتى يدخل في حد التبذير، والإقتار التقصير عما لا بد منه، وهذا معنى قول إبراهيم لا يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف، ﴿وَكَانَ بَيْنَكَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾، قصدًا وسطًا بين الإسراف والإقتار، حسنة بين السيتين.

[٦٨] قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ

إِلَهًا آخَرَ﴾، الآية. قال رجل: يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو الله ندًا وهو خلقك» قال: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»، فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾. قوله عز وجل (ومن يفعل ذلك)، أي شيئًا من هذه الأفعال، (يلق أثامًا)، يوم القيامة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما يريد جزاء الإثم. وقال أبو عبيدة: الآثام العقوبة. وقال مجاهد: الآثام واد في جهنم.

[٦٩] ﴿يُضْلَعُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ

مُهَنَّا﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر (يضاعف) (ويخلد)

و(يخلد) برفع الفاء والدال على الابتداء وشداد بن عامر (يضعف)، وقرأ الآخرون بجزم الفاء والدال على جواب الشرط.

[٦٩] ﴿يُضْلَعُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ

مُهَنَّا﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر (يضاعف) (ويخلد)

و(يخلد) برفع الفاء والدال على الابتداء وشداد بن عامر (يضعف)، وقرأ الآخرون بجزم الفاء والدال على جواب الشرط.

[٦٩] ﴿يُضْلَعُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ

مُهَنَّا﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر (يضاعف) (ويخلد)

و(يخلد) برفع الفاء والدال على الابتداء وشداد بن عامر (يضعف)، وقرأ الآخرون بجزم الفاء والدال على جواب الشرط.

[٦٩] ﴿يُضْلَعُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ

مُهَنَّا﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر (يضاعف) (ويخلد)

و(يخلد) برفع الفاء والدال على الابتداء وشداد بن عامر (يضعف)، وقرأ الآخرون بجزم الفاء والدال على جواب الشرط.

[٦٩] ﴿يُضْلَعُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ

مُهَنَّا﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر (يضاعف) (ويخلد)

و(يخلد) برفع الفاء والدال على الابتداء وشداد بن عامر (يضعف)، وقرأ الآخرون بجزم الفاء والدال على جواب الشرط.

[٦٩] ﴿يُضْلَعُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ

مُهَنَّا﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر (يضاعف) (ويخلد)

و(يخلد) برفع الفاء والدال على الابتداء وشداد بن عامر (يضعف)، وقرأ الآخرون بجزم الفاء والدال على جواب الشرط.

[٦٩] ﴿يُضْلَعُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ

مُهَنَّا﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر (يضاعف) (ويخلد)

و(يخلد) برفع الفاء والدال على الابتداء وشداد بن عامر (يضعف)، وقرأ الآخرون بجزم الفاء والدال على جواب الشرط.

[٦٩] ﴿يُضْلَعُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ

مُهَنَّا﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر (يضاعف) (ويخلد)

و(يخلد) برفع الفاء والدال على الابتداء وشداد بن عامر (يضعف)، وقرأ الآخرون بجزم الفاء والدال على جواب الشرط.

[٦٩] ﴿يُضْلَعُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ

مُهَنَّا﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر (يضاعف) (ويخلد)

الحنفية: لا يشهدون اللهو والغناء، قال ابن مسعود: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع. وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته، فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾، قال مقاتل: إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا، وهي رواية ابن أبي نجيع عن مجاهد، نظيره قوله: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه)، قال السدي: وهي منسوخة بآية القتال. قال الحسن والكلبي: اللغو المعاصي كلها يعني إذا مروا بمجلس اللهو والباطل مروا كرامًا مسرعين معرضين. يقال: تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكره نفسه عنه.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُؤْا﴾، لم يقعوا ولم يسقطوا، ﴿عَلَيْهَا صُغًا وَعُمِينَكَاءُ﴾، كأنهم صم عمي بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه. قال القتيبي: لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها وعمي لم يروها.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنَ﴾، يعني أولادًا أبرارًا أتقياء، يقولون: اجعلهم صالحين ففقر أعينًا بذلك. قال القرطبي: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل. وقاله الحسن: ووحد القررة لأنها مصدر وأصلها من القر لأن العرب تتأذى من الحر وتستروح إلى البرد وتذكر قررة العين عند السرور وسخنة العين عند الحزن، ويقال: دمع العين عند السرور بارد، وعند الحزن حار. وقال الأزهري: معنى قررة الأعين أن يصادف قلبه من يرضاه ففقر عينه به عن النظر إلى غيره. ﴿وَأَحْكَمْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، يعني أئمة يقتدون في الخير بنا. قال الحسن: نفتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون. وقال ابن عباس: اجعلنا أئمة

[٧٠] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾، قال قتادة: إلا من تاب وآمن وبربه وعمل عملًا صالحًا فيما بينه وبين ربه ﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْعُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، فذهب جماعة إلى أن هذا التبديل في الدنيا، قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والسدي والضحاك: يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدلهم بالشرك إيمانهم ويقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنا عفة وإحصانًا. وقال قوم: يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الإسلام حسنات يوم القيامة، وهو قول سعيد بن المسيب ومكحول، وقال بعضهم: إن الله عز وجل يمحو بالندم جميع السيئات، ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة.

[٧١] قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، قال بعض أهل العلم هذا في التوبة عن غير ما سبق ذكره في الآية الأولى من القتل والزنا، يعني من تاب من الشرك وعمل صالحًا أي: أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن، ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ﴾، أي يعود إليه بالموت، ﴿مَتَابًا﴾، حسنًا يفضل به على غيره ممن قتل وزنا فالتوبة الأولى وهو قوله: (ومن تاب) رجوع عن الشرك والثاني رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة. وقال بعضهم: هذه الآية أيضًا في التوبة عن جميع السيئات. ومعناه: ومن أراد التوبة وعزم عليها فليتب لوجه الله. وقوله: (يتوب إلى الله) خبر بمعنى الأمر، أي: ليتب إلى الله. وقيل: معناه فليعلم أن توبته ومصيره إلى الله.

[٧٢] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾، قال الضحاك وأكثر المفسرين: يعني الشرك. وقال علي ابن طلحة: يعني شهادة الزور. وقال ابن جريج: يعني الكذب. وقال مجاهد: يعني أعياد المشركين. وقيل: النوح، قال قتادة: لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم. وقال محمد ابن

هداة، كما قال: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا)، ولا تجعلنا أئمة ضلالة كما قال: (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار)، وقيل: هذا من المقرب يعني واجعل المتقين لنا إماماً واجعلنا مؤتمين مقتدين بهم، وهو قول مجاهد.

[٧٥] ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ﴾، يعني ينالون، ﴿الْعُرْفَةَ﴾، يعني الدرجة الرفيعة في الجنة والغرفة كل بناء مرتفع عال وقال عطاء: يريد غرف الدر والزبرجد في الجنة، ﴿يَمَّا صَبْرًا﴾، على أمر الله تعالى وطاعته. وقيل: على أذى المشركين. وقيل: عن الشهوات ﴿وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَمِيمًا﴾، أي ملكاً وقيل: بقاء دائماً، ﴿وَسَلَامًا﴾، أي: يسلم بعضهم على بعض. وقال الكلبي: يحيي بعضهم بالسلام، ويرسل الرب إليهم بالسلام. وقيل: سلاماً أي سلامة من الآفات،

[٧٦] ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي: موضع قرار وإقامة.

[٧٧] ﴿قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾، قال مجاهد وابن زيد: أي ما يصنع وما يفعل بكم؟ قال أبو عبيدة يقال: ما عبأت به شيئاً أي لم أعد، فوجوده وعدمه سواء، مجازة: أي وزن وأي مقدار لكم عنده، ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾، إياه، وقيل: لولا إيمانكم، وقيل: لولا عبادتكم، وقيل: لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام، فإذا آمنتم ظهر لكم قدر. وقال قوم: معناها قل ما يعبأ بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم إياه يعني أنه خلقكم لعبادته، كما قال: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون). وهذا قول ابن عباس ومجاهد، وقال قوم: قل ما يعبأ ما يبالي بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه آلهة، أو ما يفعل بعذابكم لولا شرككم، كما قال الله تعالى: (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) وقيل: ما يعبأ بعذابكم لولا دعاؤكم إياه في الشدائد، كما قال: (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله)، وقال:

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

٣٦٦

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنقُ أَثَامًا ﴿٧٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٧٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٨٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٨٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخَوِّعُوا عَلَيْهَا صُمْغًا وَعُمِيانًا ﴿٨٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا فَقَرَّ أَعْيُنُكَ وَاجْعَلْ لَنَا لِمُنْقِيْنَ إِمَامًا ﴿٨٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ يَمَّا صَبْرًا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَمِيمًا وَسَلَامًا ﴿٨٥﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٨٦﴾ قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٨٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

(فأخذناهم باللباساء والضراء لعلهم يتضرعون). وقيل: ﴿قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ يقول ما خلقتكم ولي إليكم حاجة إلا أن تسألوني فأعطيكم وتستغفروني فأغفر لكم. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾، أيها الكافرون يخاطب أهل مكة يعني إن الله دعاكم بالرسول إلى توحيده وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه. ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾، هذا تهذيبه لهم أي يكون تكذيبكم لزماً، قال ابن عباس: موتاً. وقال أبو عبيدة: هلاكاً. وقال ابن زيد: قتالاً. والمعنى يكون التكذيب لازماً لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله. وقال ابن جرير: عذاباً دائماً وهلاكاً مقيماً يلحق بعضكم ببعض واختلفوا فيه فقال قوم: هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون. وقيل: اللزام هو عذاب الآخرة.

(٢٦) سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

[١] ﴿طَسَرَ﴾ روى علي بن طلحة الوالبي عن ابن عباس: أنه قسم وهو من أسماء الله تعالى: وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن. وقال مجاهد: اسم للسورة. قال محمد بن كعب القرظي: أقسم الله بطوله وسنائه وملكه.

[٢] ﴿تِلْكَ﴾، أي هذه، ﴿إِنِّتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

[٣] ﴿لَعَلَّكَ بَئِجٌ﴾، قاتل، ﴿فَقَسَّكَ أَلاَ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، إن لم يؤمنوا ذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه وكان يحرص على إيمانهم، فأنزل الله هذه الآية.

[٤] ﴿إِن تَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَفُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾، قال قتادة: لو شاء الله لأنزل عليهم آية يذلون بها فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله. وقال ابن جريج: معناه لو شاء الله لأراهم أمراً من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية.

وقوله عز وجل: (خاضعين) ولم يقل خاضعة وهي صفة الأعناق، ففيه أقاويل: أحدها: أراد أصحاب الأعناق فحذف الأصحاب وأقام الأعناق مقامهم، لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون، جعل الفعل أولاً للأعناق ثم جعل خاضعين للرجال. وقال الأخفش: ردّ الخضوع على المضمر الذي أضاف الأعناق إليه. وقال قوم: ذكر الصفة لمجاورتها المذكر، وهو قوله على عادة العرب في تذكير المؤنث إذا أضافوه إلى مذكر، وتأنيث المذكر إذا أضافوه إلى المؤنث. وقيل: أراد فظلوا خاضعين فعبروا بالعنق عن جميع البدن، كقوله: (ذلك بما قدمت يداك) والزمناه طائرته في عنقه). وقال مجاهد: أراد بالأعناق الرؤساء والكبراء، أي فظلت كبراؤهم خاضعين، وقيل: أراد بالأعناق

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

٣٦٧

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَرَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَةُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَئِجٌ مَّقْسَكَ ﴿٣﴾ أَلاَ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ إِن تَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَفُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٥﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٦﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَّ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٨﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠﴾ وَلَإِذَا نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَفَقَهُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٣﴾ وَصَبِّحُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَايَ فَأَرْسِلُ إِلَى هَارُونَ ﴿١٤﴾ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٥﴾ قَالَ كَلَّا فَادْخُلَا يَدَيَّنَا إِنَّا أَمْعَمُكُمْ مُسْتَعِيعُونَ ﴿١٦﴾ فَأَتَا فِرْعَوْنَ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلَمْ تَأْتِنِيكَ فِينَا وَلِيدٌ وَلَئِذَا مِتْنَا مِّنْكُمْ كُنتُمْ سِنِينَ ﴿١٩﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَنَا لَئِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾

الجماعات، يقال: جاء القوم عنقاً عنقاً أي جماعات وطوائف. وقيل: إنما قال خاضعين على وفاق رؤوس الآي ليكون على نسق واحد.

[٥] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ﴾، وعظ وتذكير، ﴿مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ﴾، أي محدث إنزاله، فهو محدث في التنزيل. قال الكلبي: كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول، ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾، أي عن الإيمان به.

[٦] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ﴾، أي: فسوف يأتيهم، ﴿أَنْبَتُوا﴾، أخبار وعواقب، ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَّ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾، صنف وضرب، ﴿كَرِيمٍ﴾، حسن من النبات مما يأكل الناس والأنعام، يقال: نخلة كريمة إذا طاب حملها، وناقة كريمة إذا كثر لبنها. قال الشعبي:

ذُو رسالة رب العالمين، وقال أبو عبيدة: يجوز أن يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع، تقول العرب: هذا رسولي ووكلي وهذا وهؤلاء رسولي ووكلي، كما قال الله تعالى: (وهو لكم عدو)، وقيل: معناه كل واحد مَثَا رسول رب العالمين.

[١٧] ﴿أَنْ أَرْسَلَ﴾، أي بأن أرسل، ﴿مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، أي إلى فلسطين، ولا تستعبدكم، وكان فرعون استعبدكم أربعمئة سنة، وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفًا، فانطلق موسى إلى مصر وهارون بها فأخبره بذلك.

[١٨] ﴿قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾، صبيًا، ﴿وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ عُمَرَاكَ سِنِينَ﴾، وهو ثلاثون سنة.

[١٩] ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الْتِي فَعَلْتَ﴾، يعني قتل القبطي، ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، قال الحسن والسدي: يعني وأنت من الكافرين بالهلك الذي تدعيه، ومعناه: على ديننا هذا الذي تعيه. وقال أكثر المفسرين: معنى قوله وأنت من الكافرين يعني من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي، يقول ربيناك فينا فكافأنا أن قتلت مَثَا نفسًا وكفرت بنعمتنا. وهذا رواية العوفي عن ابن عباس: إن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر بالربوبية.

[٢٠] ﴿قَالَ﴾، موسى ﴿فَعَلَهَا إِذَا﴾، أي فعلت ما فعلت حينئذ، ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾، أي من الجاهلين، لم يأت من الله شيئًا. وقيل: من الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله. وقيل: من الضالين عن طريق الصواب من غير تعمد. وقيل: من المخطئين.

[٢١] ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾، إلى مدين، ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾، يعني النبوة، وقال مقاتل: يعني العلم والفهم، ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢٢] ﴿وَلَكَ نِعْمَةٌ تَنْهَى عَنْ أَنْ عَبْدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، اختلفوا في تأويلها فحملها بعضهم على الإقرار

الناس من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم.

[٨] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿لَايَةً﴾، دلالة على وجودي وتوحيدي وكمال قدرتي، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، مصدقين أي سبق علمي فيهم أن أكثرهم لا يؤمنون. وقال سيبويه: كان ههنا صلة مجازة: وما أكثرهم مؤمنين.

[٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، العزيز بالنقمة من أعدائه، ﴿الزَّجِيمُ﴾، ذو الرحمة بأوليائه.

[١٠] قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾، واذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى حين رأى الشجرة والنار، ﴿أَنْ أَنْتَ الْغَافِلِينَ﴾، يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية، وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب.

[١١] ﴿قَوْمٌ فَرَعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾، ألا يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته.

[١٢] ﴿قَالَ﴾، يعني موسى، ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

[١٣] ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ بتكذيبهم آيائي، و﴿وَلَا يَطْلُقُ لِسَانِي﴾، قال: هذا للعقدة التي كانت على لسانه، قرأ يعقوب (ويضيق)، (ولا ينطلق) بنصب القافين على معنى وأن يضيق، وقرأ العامة برفعهما ردًا على قوله: (إني أخاف)، ﴿فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَٰزُونَ﴾، ليؤازرنني ويظاهرنني على تبليغ الرسالة.

[١٤] ﴿وَقُلْ عَلَىٰ ذَنْبٍ﴾، أي دعوى ذنب، وهو قتله القبطي، ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾، أي يقتلونني به.

[١٥] ﴿قَالَ﴾، الله تعالى ﴿كَلَّا﴾، أي لن يقتلوك، ﴿فَإَذْهَبَا بِإِيتَانِنَا إِنَّنَا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾، سامعون ما يقولون، ذكر معكم بلفظ الجمع، وهما اثنان أجراهما مجرى الجماعة. وقيل: أراد معكما ومع بني إسرائيل نسمع ما يجيبكم فرعون.

[١٦] ﴿فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ولم يقل رسولا رب العالمين لأنه أراد الرسالة أنا

قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴿٢٦﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٧﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٨﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ مُّوقِنِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٣١﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٤﴾ لَئِنْ أَخَذْتُ بِالْغَايِبِ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٧﴾ فَأَتَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٨﴾ وَنَزَعِيدهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٤٠﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٤١﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ كُلُّ جَحَدٍ عَلَىٰكُم فَجَمَعَ السَّحَرَةَ ﴿٤٣﴾ لَمِيعَتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٤٤﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّجْتَمِعُونَ ﴿٤٥﴾

في البيان.

[٢٦] ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾.

[٢٧] ﴿قَالَ﴾، يعني فرعون، ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾، يتكلم بكلام لا نعقله ولا نعرف صحته، وكان عندهم أن من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل، فزاد موسى في البيان.

[٢٨] ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

[٢٩] ﴿قَالَ﴾، فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عن الجواب تكبراً عن الحق: ﴿لَئِنْ أَخَذْتُ بِالْغَايِبِ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ﴾، من المحبوسين.

[٣٠] ﴿قَالَ﴾ له موسى حين توعد بالسنن ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾، بآية مبينة، ومعنى الآية أنفعل ذلك وإن أتيتك بحجة بينة؟ وإنما قال ذلك موسى لأن من أخلاق الناس

وبعضهم على الإنكار، فمن قال هو إقرار قال عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه، ولم يقتله كما قتل سائر غلمان بني إسرائيل، ولم يستعبده كما استعبد بني إسرائيل، مجازة: بلى وتلك نعمة لك عليّ أن عبّدت بني إسرائيل، وتركنتي فلم تستعبدني. ومن قال: هو إنكار قال قوله: وتلك نعمة هو على طريق الاستفهام أي: أو تلك نعمة؟ حذف ألف الاستفهام، كقوله: (فهم الخالدون)؟ يقول: تمنّ عليّ أن ربيتني وتنسى جنايتك على بني إسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة؟ أو يريد: كيف تمنّ عليّ بالتربية وقد استعبدت قومي، ومن أهين قومه ذلّ، فتعبدك بني إسرائيل قد أحبط إحسانك إليّ، وقيل: معناه تمنّ عليّ بالتربية. وقوله: (أن عبّدت بني إسرائيل) أي باستعبادك بني إسرائيل وقتلك أولادهم، دُفعت إليك حتى ربيتني وكفلتني ولو لم تستعبدهم وقتلهم كان لي من أهل من يربيني ولم يلقوني في اليم، فأى نعمة لك عليّ؟ قوله: (عبّدت) أي اتخذتهم عبيداً، يقال: عبّدت فلاناً وأعبدته وتعبدته واستعبدته، أي اتخذته عبداً.

[٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، يقول: أي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله إليّ يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه مما هو سؤال عن جنس الشيء، والله منزّه عن الجنسية، فأجابه موسى عليه السلام يذكر أفعاله التي يعجز عن الإتيان بمثلها.

[٢٤] ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ مُّوقِنِينَ﴾، إنه خالقهما. قال أهل المعاني: أي كما توقنون هذه الأشياء التي تعابونها فأيقنوا أن إله الخلق هو الله عزّ وجلّ، فلما قال موسى ذلك تحير فرعون في جواب موسى.

[٢٥] ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ﴾، من أشراف قومه استبعاداً لقول موسى، ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾، وذلك أنهم كانوا يعتقدون أن آلهتهم ملوكهم، فزادهم موسى

سورة الشعراء

٣٦٩

الجزء التاسع عشر

لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَأَجْرُ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِن كُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا جَاهِلَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بَعْرَةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ ﴿٤٦﴾ فَأَلْوَاءُ أَمْتَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ أَمْسِرْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ
لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا أَقْطَعُ أَيْدِيكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صِلَتَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَرَرَ لَنَا
إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَنْطَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا
أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ
مُتَّبِعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ هَؤُلَاءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَلَهُمْ لَنَا لَعَايِطُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ حَتِّ وَغِيْوَنَ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزَ وَمَقَامِرٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ شَرْقِيَّةً ﴿٦٠﴾

﴿٤٨﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾

﴿٤٩﴾ قَالَ أَمْسِرْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ
الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا أَقْطَعُ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ
مِنْ خَلْفٍ وَلَا صِلَتَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾

﴿٥٠﴾ قَالُوا لَا ضَرَرَ لَنَا ضَرَرٌ، لا ضرر، ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا
مُنْقَلِبُونَ﴾.

﴿٥١﴾ إِنَّا نَنْطَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ
الْمُؤْمِنِينَ، من أهل زماننا.

﴿٥٢﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ
مُتَّبِعُونَ، يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين
الخروج من مصر.

﴿٥٣﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ، يحشرون
الناس يعني الشرط ليجمعوا السحرة. وقيل: حتى
يجمعوا له الجيش.

﴿٥٤﴾ إِنْ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ، عصابة ﴿قَلِيلُونَ﴾،

السكون إلى الإنصاف والإجابة إلى الحق بعد
البيان.

﴿٣١﴾ قَالَ له فرعون، ﴿فَأَتَتْ بِهِ﴾، فإننا لن
نسجنك حيثنذ، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿٣٢، ٣٣﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مِثْلَهُ،
فقال وهل غيرها، ﴿وَنَزَعَ﴾، موسى، ﴿يَدُهُ فَإِذَا هِيَ
بِضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ﴾.

﴿٣٤﴾ قَالَ فرعون. ﴿لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرُ
عَلِيمٍ﴾.

﴿٣٥﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ.

﴿٣٦﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَتَتْ فِي الدَّائِنِ حَاشِرِينَ.

﴿٣٧﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ.

﴿٣٨﴾ فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، وهو

يوم الزينة. وروي عن ابن عباس قال: وافق ذلك
اليوم يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم
النيروز.

﴿٣٩﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ، لتنظروا إلى
ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة.

﴿٤٠﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ،
لموسى، وقيل: إنما قالوا ذلك على طريق
الاستهزاء، وأرادوا بالسحرة موسى وهارون
وقومهما.

﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَأَجْرُ إِنْ
كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ.

﴿٤٢﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِن كُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

﴿٤٣﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ.

﴿٤٤﴾ فَأَلْقَوْا جَاهِلَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بَعْرَةَ فِرْعَوْنَ
إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ.

﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ.

﴿٤٦﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ.

﴿٤٧﴾ قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ.

والشرذمة القطعة من الناس غير الكثير، وجمعها شرادم.

[٥٥] ﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ﴾، يقال غاظه وأغاظه وغيظه إذا أغضبه، والغيط والغضب واحد، يقول: أغضبونا بمخالفتهم ديننا، وخروجهم من أرضنا بغير إذن منا.

[٥٦] ﴿وَأَنَّا لَجَبِيعٌ حَذِرُونَ﴾ قال أهل التفسير: حاذرون أي مؤدون ومقوون، أي: ذوو أداة وقوة مستعدون شاكون في السلاح، ومعنى حذرون أي خائفون شرهم. وقال الزجاج: الحاذر المستعد، والحذر المستيقظ. وقال الفراء: الحاذر الذي يحذرك الآن، والحذر المخوف. وكذلك لا تلقاه إلا حذرًا. والحذر اجتناب الشيء خوفًا منه.

[٥٧] ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ﴾، وفي القصة البساتين كانت ممتدة على حافتي النيل، ﴿وَعَيْوُنَ﴾، أنهار جارية.

[٥٨] ﴿وَكُنُوزٍ﴾، يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة، قال مجاهد: سماها كنوزًا لأنه لم يعط حق الله منها وما لم يعط حق الله فهو كنز وإن كان ظاهرًا ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾، أي مجلس حسن، قال المفسرون: أراد مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تحفها الأتباع. وقال مجاهد وسعيد بن جبير: هي المنابر.

[٥٩] ﴿وَكَذَلِكَ﴾، كما وصفنا، ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾، بهلاكهم، ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، وذلك أن الله تعالى ردّ بني إسرائيل إلى مصر بعدما أغرق فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والمساكن.

[٦٠] ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾، يعني لحقوهم في وقت إشراق الشمس، وهو إضاءتها أي أدرك قوم فرعون موسى وأصحابه وقت شروق الشمس.

[٦١] ﴿فَلَمَّا تَرَوْا الْجَمْعَانَ﴾، يعني تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا

لَمَذْكُونٌ﴾، يعني سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بهم.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾، موسى ثقة بوعد الله إياه ﴿كَلَّا﴾، لن يدركونا، ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، يدلني على طريق النجاة.

[٦٣] ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾، يعني فضربه فانفلق فانشق، ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾، قطعة من الماء، ﴿كَالظُّورِ الْعَظِيمِ﴾، كالجبل الضخم.

[٦٤] ﴿وَأَرْزَلْنَاهُ﴾ يعني قربنا، ﴿ثُمَّ الْآخِرِينَ﴾، يعني قوم فرعون، يقول: قدمناهم إلى البحر وقربناهم إلى الهلاك، وقال أبو عبيدة: وأزلنا: جمعنا، ومنه ليلة المزدلفة أي ليلة الجمع.

[٦٥] ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾.

[٦٦] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾، فرعون وقومه. وقال سعيد بن جبير: كان البحر ساكنًا قبل ذلك فلما ضربه موسى بالعصا اضطرب فجعل يمد ويجزر.

[٦٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، أي من أهل مصر، قيل: لم يكن آمن من أهل مصر إلا آسية امرأة فرعون وحزقيل المؤمن، ومريم بنت مأمويا التي دلت على عظام يوسف عليه السلام.

[٦٨] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾، العزيز في الانتقام من أعدائه، الرحيم بالمؤمنين حين أنجاهم.

[٦٩] قوله: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

[٧٠] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾، أي شيء تعبدون.

[٧١] ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ لَهَا عَبَدِينَ﴾، يعني نقيم على عبادتها. قال بعض أهل العلم: إنما قال: (فنظل) لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار، دون الليل، يقال: ظل يفعل كذا إذا فعل بالنهار.

[٧٢] ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ﴾، أي هل يسمعون

دعاءكم، ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾، قال ابن عباس: يسمعون لكم؟

[٧٣] ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ﴾، قيل: بالرزق، ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾، إن تركتم عبادتها.

[٧٤] ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آيَاتَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، معناه إنها لا تسمع قولاً ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا لكن اقتدينا بآبائنا، فيه إبطال التقليد في الدين.

[٧٦، ٧٥] ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۚ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾، الأولون.

[٧٧] ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾، يعني أعدائي ووحده على معنى أن كل معبود لكم عدو لي، فإن قيل:

كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي جمادات؟ قيل: معناه فإنهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة،

كما قال تعالى: (سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً)، وقال الفراء: هو من المقلوب أراد

فإنهم عدو لهم لأن من عاديته فقد عاداك. وقيل: فإنهم عدو لي على معنى إني لا أتوهم ولا أطلب

من جہتهم نفعا كما لا يتولى العدو ولا يطلب من جهته النفع، قوله: ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، اختلفوا في

هذا الاستثناء، قيل: هو استثناء منقطع، كأنه قال: فإنهم عدو لي لكن رب العالمين وليي. وقيل: إنهم

كانوا يعبدون الأصنام مع الله، فقال إبراهيم: كل من تعبدون أعدائي إلا رب العالمين. وقيل: إنهم

غير معبود لي إلا رب العالمين، فإني أعبد. وقال الحسين بن الفضل: معناه إلا من عند رب

العالمين، ثم وصف معبوده فقال: [٧٨] ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾، أي يرشدني إلى

طريق النجاة. [٧٩] ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾، أي يرزقني ويغذيني بالطعام والشراب، فهو رازقي ومن عنده

رزقي.

[٨٠] ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ﴾، أضاف المرض إلى نفسه وإن كان المرض والشفاء كله من الله، استعمالاً

سورة الشعراء

٣٧٠

سورة الشعراء

فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَنَّتَيْنِ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٨﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَ الْآخِرِينَ ﴿٦٩﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٧٠﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٧١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٣﴾ وَأَتْلَوْا عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا مِنْ عَالَمِ رَبِّنَا ﴿٧٦﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٧﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آيَاتَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٨٠﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٢﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٨٣﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨٦﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٧﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِيقِي بِالصِّلِحِ لِحَيَاتِي ﴿٨٨﴾

لحسن الأدب كما قال الخضر: (فأردت أن أعيها)، وقال: (فأراد ربك أن يلبغا أشدهما)، ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، أي يرثني من المرض.

[٨١] ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾، أدخل (ثم) ههنا للتراخي أي يميتني في الدنيا ويحييني في الآخرة.

[٨٢] ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾، أرجو، ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾، أي خطاياي يوم الحساب.

قال مجاهد: هو قوله: (إني سقيم)، وقوله: (بل فعله كبيرهم هذا)، وقوله لسارة: هذه أختي، وزاد

الحسن وقوله للكواكب: (هذا ربي). وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه وإخبار أنه لا تصلح الإلهية إلا لمن يفعل هذه الأفعال.

[٨٣] ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾، قال ابن عباس: معرفة حدود الله وأحكامه. وقال مقاتل: الفهم

معرفة حدود الله وأحكامه. وقال مقاتل: الفهم

والعلم. وقال الكلبي: النبوة، ﴿وَالْحَقِّي بِالصَّبْرِ﴾، بمن قبلي من النبيين في المنزلة والدرجة.

[٨٤] ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾، أي ثناء حسناً وذكرًا جميلًا وقبولًا عامًا في الأمم التي تجيء بعدي، فأعطاه الله ذلك فجعل كل أهل الأديان يتولونه ويشنون عليه. قال القتيبي: وضع اللسان موضع القول على الاستعارة لأن القول يكون به.

[٨٥] ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾، أي ممن تعطيه جنة النعيم.

[٨٦] ﴿وَأَغْفِرْ لَأَيِّئٍ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾، وقال هذا قبل أن يتبين له أنه عدو الله، كما سبق ذكره في سورة التوبة.

[٨٧] ﴿وَلَا تُخْزِنِي لَا تَفْضَحْنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾.

[٨٨، ٨٩] ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، أي خالص من الشرك والشك فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد، هذا قول أكثر المفسرين، قال سعيد بن المسيب: القلب السليم هو الصحيح، وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض. قال الله تعالى: (في قلوبهم مرض) قال ابن عثمان النيسابوري: هو القلب الخالي من البدعة المظمتة على السنة.

[٩٠، ٩١] ﴿وَأُزْلَفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾، للكافرين.

[٩٢، ٩٣] ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾، يوم القيامة، ﴿إِنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَبْصُرُونَكُمْ مِنْ الْعَذَابِ﴾، أو ينصرونكم لأنفسهم.

[٩٤] ﴿فَكَبَّكُوا فِيهَا﴾، قال ابن عباس: جمعوا. وقال مجاهد: دهورًا. وقال مقاتل: قذفوا. وقال الزجاج: طرح بعضهم على بعض. وقال القتيبي: ألقوا على رؤوسهم. ﴿هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾، يعني الشياطين، قاله قتادة ومقاتل. وقال الكلبي: كفره

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

٣٧١

الْبَاقِي

وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لَأَيِّئٍ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلَفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَبْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصَرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَبَّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَحُودُودُ إِلَاسٍ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ سَأَلْنَاكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمَجْرُومُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صِدِّيقِينَ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْذَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَلَنْ رَيْكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا عَلَيْهِمُ اجْعَلْ مِنْ لَاجِرِ أَجْرِي إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٠٩﴾ قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١٠﴾

الجن.

[٩٥] ﴿وَحُودُودُ إِلَاسٍ أَجْمَعُونَ﴾، وهم أتباعه ومن

أطاعه من الجن والإنس. ويقال: ذريته.

[٩٦] ﴿قَالُوا﴾ أي: قال الغاؤون للشياطين والمعبودين، ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾، مع المعبودين ويجادل بعضهم بعضًا.

[٩٧] ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

[٩٨] ﴿إِذْ سَأَلْنَاكُمْ﴾، نعدلكم، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فنعبدكم.

[٩٩] ﴿وَمَا أَضَلَّنَا﴾ أي: ما دعانا إلى الضلال،

﴿إِلَّا الْمَجْرُومُونَ﴾. قال مقاتل: يعني الشياطين. وقال الكلبي: إلا ولونا الذين اقتدينا بهم. وقال أبو العالية وعكرمة: يعني إبليس وابن آدم الأول وهو قابيل لأنه أول من سنّ القتل، وأنواع المعاصي.

يَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾، أي ما أعلم أعمالهم وصنائعهم، وليس علي من ذنابة مكاسبهم وأحوالهم شيء إنما كلفت أن أدعوهم إلى الله ولي منهم ظاهر أمرهم.

﴿١١٣﴾ [إِنْ حِسَابُهُمْ]، ما حسابهم، ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾، لو تعلمون ذلك ما عبتهم بصنائعهم. قال الزجاج: الصناعات لا تضر في الديانات. وقيل: معناه أي لم أعلم أن الله يهديهم ويضلهم ويوفقهم ويخذلهم.

﴿١١٤، ١١٥﴾ [وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ] هَ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ.

﴿١١٦﴾ [قَالُوا لَنْ لَّمْ تَنْتَهِ يَنْتُحْ]، عما تقول، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾، قال مقاتل والكلبي: من المقتولين بالحجارة. وقال الضحاك: من المشتمين.

﴿١١٧، ١١٨﴾ [قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ] هَ فَافْتَحْ، فاحكم، ﴿بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾، حكماً، ﴿وَيُخَيِّرْ وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿١١٩﴾ [فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ]، الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان كلها. ﴿١٢٠﴾ [ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ]، أي أغرقنا بعد

إنجاء نوح، وأهله: من بقي من قومه. ﴿١٢١﴾ [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ].

﴿١٢٢﴾ [وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ].

﴿١٢٣﴾ قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿١٢٤﴾ [إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ]، يعني في النسب لا في الدين، ﴿هُودُ آلَ نَافُثُونَ﴾.

﴿١٢٥﴾ [إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ]، على الرسالة، قال الكلبي: أمين فيكم قبل الرسالة فكيف تهموني اليوم.

﴿١٢٦﴾ [فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا].

﴿١٢٧﴾ [وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ]

﴿١٢٨﴾ [أَتَتَّبِعُونَ كُلَّ دَلِيلٍ]، قال الوالي عن ابن

﴿١٠٠﴾ [فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ]، أي: من يشفع لنا من الملائكة والنبیین والمؤمنين.

﴿١٠١﴾ [وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ]، أي قريب يشفع لنا يقوله الكفار حين تشفع الملائكة والنبیین والمؤمنون، والصديق هو الصادق في المودة بشرط الدين.

﴿١٠٢﴾ [فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ]، أي: رجعة إلى الدنيا، ﴿فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿١٠٣﴾ [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ].

﴿١٠٤﴾ [وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ] العزيز الذي لا يغالب، فالله عزيز وهو في وصف عزته رحيم.

﴿١٠٥﴾ قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾، قيل للحسن البصري: يا أبا سعيد رأيت قوله: (كذبت قوم نوح المرسلين) و(كذبت عاد المرسلين) و(كذبت ثمود المرسلين)، وإنما أرسل إليهم رسول واحد؟ قال: إن الآخر جاء بما جاء به الأول، فإذا كذبوا واحداً فقد كذبوا الرسل أجمعين.

﴿١٠٦﴾ [إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ]، في النسب لا في الدين. ﴿نُوحٌ آلَ نَافُثُونَ﴾.

﴿١٠٧﴾ [إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ]، على الوحي.

﴿١٠٨﴾ [فَاتَّقُوا اللَّهَ]، بطاعته وعبادته،

﴿وَأَطِيعُوا﴾، فيما أمركم به من الإيمان والتوحيد.

﴿١٠٩﴾ [وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ]، ثوابي ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿١١٠﴾ [فَاتَّقُوا اللَّهَ] بطاعته وعبادته ﴿وَأَطِيعُوا﴾.

﴿١١١﴾ [قَالُوا اتَّوَيْنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ] السفلة. وعن ابن عباس قال: الصاغة. وقال عكرمة: الحاقة والأساكفة.

﴿١١٢﴾ [قَالَ]، نوح، ﴿وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا

عباس: بكل شرف. وقال الضحاك ومقاتل والكلبي: بكل طريق، وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وعن مجاهد قال: هو الفج بين الجبلين. وعنه أيضًا: أنه المنطرة^(١). ﴿ءَايَةً﴾، علامة ﴿تَعَثُّونَ﴾، بمن مرّ بالطريق، والمعنى: أنهم كانوا يبنون المواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخرها منهم ويعبثوا بهم.

[١٢٩] ﴿وَتَّخِذُوا مَصَافِحَ﴾ ، قال ابن عباس :
أبنية . وقال مجاهد : قصوراً مشيدة . وعن الكلبي :
أنها الحصون . وقال قتادة : مأخذ الماء يعني
الحياض ، واحدها مصنعة ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ، أي
كأنكم تبقون فيها خالدين . والمعنى : أنهم كانوا
يستوثقون المصانع كأنهم لا يموتون .

[١٣٠] ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ﴾، أَخَذْتُمْ وَسُطُوتُمْ،
﴿بَطِشْتُمْ جَبْرِينَ﴾، قَتَلًا بِالسَّيْفِ وَضَرْبًا بِالسُّوْطِ،
وَالْجَبَارُ الَّذِي يَقْتُلُ وَيَضْرِبُ عَلَى الْغَضَبِ.
[١٣١] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[١٣٢] ﴿وَتَقُولُوا أَلَيْسَ الْأَمْرُ بِمَا نَعْمُونَ﴾ ، أي أعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم فقال:

وَحَنَّتِ ۝ ﴿١٣٣﴾ ﴿١٣٤﴾ أَمْذُكْرُ يَأْنَعِمِ وَيِّنَ ۝ وَحَنَّتِ
وَعُيُونُ ۝، يعني بساتين وأنهار.
﴿١٣٥﴾ ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾، قال ابن عباس: إن
عصيتُموني، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿١٣٦﴾ ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا ۖ﴾ ، يعني مستو عندنا ،
﴿وَأَعْظَتْ أُمُّ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ ، الوعظ كلام
يلين القلب بذكر الوعد والوعيد . قال الكلبي :
نهيتنا أم لم تكن من الناهين لنا .

[١٣٧] ﴿إِنْ هَذَا﴾ ، ما هذا ، ﴿إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ﴾ ،
قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو والكسائي
ويعقوب (خَلَقَ) بفتح الخاء وسكون اللام أي
اختلاق الأولين وكذبهم ، دليل هذه القراءة قوله
تعالى : (وتخلقون إفكاً) ، وقرأ الآخرون (خُلِقَ)

قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٧﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ ﴿١١٨﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾ إِنَّا إِنَّا لَا نَذَرُهُمِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْتُحِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١٢١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَبُونَ ﴿١٢٢﴾ فَأَفْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَاوَجَجْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾ فَأَجْبِئْهُمْ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكَ الْمَشْحُونِ ﴿١٢٤﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٧﴾ كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٨﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٩﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ أَتَنْتَوْنَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٣٣﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَالِحَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٣٤﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣٦﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٧﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٨﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٩﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٤٠﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٤١﴾

بضم الخاء واللام، أي عادة الأولين من قبلنا، وأمرهم أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب.

[۱۳۸] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ .

[۱۳۹] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

[١٤٠] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ .

[١٤١-١٤٦] قوله عز وجل: ﴿كَذَبَتْ ثمودُ الْمُرْسَلِينَ ۚ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ۖ أَلا تَتَّقُونَ ۚ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ أَتَتَزَكُّونَ فِي مَا هَهَذَا ۚ﴾، يعني في الدنيا ﴿ءَامِنِينَ ۚ﴾، من العذاب.

(١) بوزن المترية وهي المرقبة انظر مختار الصحاح ص ٦٦٧.

[١٤٧، ١٤٨] ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا﴾، ثمرها يريد ما يطلع منها من الثمر، ﴿هَضِيمٌ﴾، قال ابن عباس: لطيف، ومنه هضم الكشح إذا كان لطيفاً. وروى عطية عنه: يانع نضيج. وقال عكرمة: هو اللين. وقال الحسن: هو الرخو. وقال مجاهد: متهشم متفتت إذا مس، وذلك أنه ما دام رطباً فهو هضم، فإذا يبس فهو هشيم. وقال الضحاك ومقاتل: قد ركب بعضه بعضاً حتى هضم بعضه بعضاً، أي كسره. وقال أهل اللغة: هو المنضم بعضه إلى بعض في وعائه قبل أن يظهر. وقال الأزهري: الهضم هو الداخل بعضه في بعض من النصح والنومة. وقيل: هضم أي هاضم يهضم الطعام. وكل هذا للطافته.

[١٤٩] ﴿وَنَجَّاتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُّونًا فَرِهِينَ﴾، وقرئ: (فرهين)، قيل: معناهما واحد. وقيل: فرهين أي حاذقين بنحتها، من قولهم: فره الرجل فراهة فهو فاره، ومن قرأ (فرهين) قال ابن عباس: أشرين بطرين. وقال عكرمة: ناعمين. وقال مجاهد: شرهين. قال قتادة: معجبين بصنيعكم. قال السدي: متجبرين. وقال أبو عبيدة: مرحين. وقال الأخفش: فرحين. والعرب تعاقب بين الهاء والحاء مثل مدحته ومدته. قال الضحاك: كسين.

[١٥٠، ١٥١] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾، قال ابن عباس: المشرकिन. وقال مقاتل: هم التسعة الذين عقروا الناقة وهم.

[١٥٢] ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، بالمعاصي، ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾، لا يطيعون الله فيما أمرهم به.

[١٥٣] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾، قال مجاهد وقتادة: من المسحورين المخدوعين، أي ممن يسحر مرة بعد مرة. وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أي من المخلوقين المعلنين

٣٧٣ ﴿وَمَنْ يَعْدِلِينَ﴾ [١٥٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [١٥٥] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [١٥٦] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٥٧] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ الْأَتِفُونَ﴾ [١٥٨] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [١٥٩] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [١٦٠] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦١] ﴿أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هُنَّاءَ مَمِينٍ﴾ [١٦٢] ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [١٦٣] ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [١٦٤] ﴿وَنَجَّاتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُّونًا فَرِهِينَ﴾ [١٦٥] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [١٦٦] ﴿وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [١٦٧] ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [١٦٨] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [١٦٩] ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [١٧٠] ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [١٧١] ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [١٧٢] ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ [١٧٣] ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [١٧٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [١٧٥]

بالطعام والشراب، يقال: سحره أي علله بالطعام والشراب، يريد إنك تأكل الطعام والشراب ولست بملك، بل:

[١٥٤] ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ﴾، على صحة ما تقول. ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، أنك رسول الله إلينا.

[١٥٥] ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ﴾، حظ ونصيب من الماء، ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾.

[١٥٦] ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾، بعقر، ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٥٧] ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾، على عقربها حين رأوا العذاب.

[١٥٨] ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٥٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٦٥-١٦٠] قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ۚ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ۚ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ ۚ قَالَ مَقَاتِلُ: يعني جماع الرجال. ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، يعني من بني آدم.

[١٦٦] ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، قال مجاهد: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾، معتدون مجاوزون الحلال إلى الحرام.

[١٦٧] ﴿قَالُوا لَنْ لَوْ تَنْتَهِي بِنَا لَوْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾، من قريتنا.

[١٦٨] ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾، المبغضين، ثم دعا فقال:

[١٦٩] ﴿رَبِّ بَنِي وَاهِلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾، من العمل الخبيث.

[١٧٠، ١٧١] قال الله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجَعِينَ ۚ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِينَ﴾، وهي امرأة لوط بقيت في العذاب والهلاك.

[١٧٢] ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾، أي: أهلكتناهم.

[١٧٣] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾، قال وهب بن منبه: الكبريت والنار.

[١٧٤] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٧٥] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٧٦] قوله عز وجل: ﴿كَذَبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾، وهم قوم شعيب عليه السلام، قرأ العراقيون: (الآيكة) ههنا وفي ص بالهمزة وسكون اللام وكسر التاء، وقرأ الآخرون: (ليكة) بفتح اللام والتاء غير مهموز، جعلوها اسم البلدة، وهو لا ينصرف، ولم يختلفوا في سورة الحجر وق أنهما مهموزان مكسوران، والآيكة: الغيضة من الشجر الملتف.

٣٧٤ سورة الشعراء
كذبت قوم لوط المرسلين ﴿١٦٥﴾ إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون ﴿١٦٦﴾ إني لكم رسول أمين ﴿١٦٧﴾ فاتقوا الله وأطيعوا ﴿١٦٨﴾ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين ﴿١٦٩﴾ أتأتون الذكران ﴿١٧٠﴾ قال مقاتل: يعني جماع الرجال. ﴿من العالمين﴾، يعني من بني آدم. ﴿وتذرون ما خلق لكم من أنفسكم﴾، قال مجاهد: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال، ﴿بل أنتم قوم عادون﴾، معتدون مجاوزون الحلال إلى الحرام. ﴿قالتوا لن لو تنتهي بنا لو لتكونن من المخرجين﴾، من قريتنا. ﴿قال إني لعملكم من القالين﴾، المبغضين، ثم دعا فقال: ﴿رب بني واهلي مما يعملون﴾، من العمل الخبيث. ﴿فنجيناه وأهله أجمعين﴾، وهي امرأة لوط بقيت في العذاب والهلاك. ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾، أي: أهلكتناهم. ﴿وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين﴾، قال وهب بن منبه: الكبريت والنار. ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾. ﴿وإن ربك هو العزيز الرحيم﴾. ﴿كذب أصحاب لئكة المرسلين﴾، وهم قوم شعيب عليه السلام، قرأ العراقيون: (الآيكة) ههنا وفي ص بالهمزة وسكون اللام وكسر التاء، وقرأ الآخرون: (ليكة) بفتح اللام والتاء غير مهموز، جعلوها اسم البلدة، وهو لا ينصرف، ولم يختلفوا في سورة الحجر وق أنهما مهموزان مكسوران، والآيكة: الغيضة من الشجر الملتف.

[١٧٧] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾، ولم يقل أخوهم لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة في النسب، فلما ذكر مدين قال أخاهم شعيباً لأنه كان منهم، وكان الله تعالى بعثه إلى قومه أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة. ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

[١٧٨-١٨٠] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وإنما كانت دعوة هؤلاء الأنبياء كلهم فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على الدعوة وتبليغ الرسالة.

[١٨١] ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾،

الناقصين لحقوق الناس بالكيل والوزن.

[١٨٢-١٨٤] ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ وَلَا

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ ﴿١٨٥﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَلَئِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَلَئِنَّ زَيْرَ الْأُولِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْلَىٰ بِكُنْهُمْ أَيْهَ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَعِدَّاءُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

تَبَخَّسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ ۝، الخليفة، ﴿الْأُولِينَ﴾، يعني الأمم المتقدمين، والجبلية: الخلق، يقال: جُبِلَ أي خُلِقَ.

[١٨٥-١٨٨] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۝ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. أي من نقصان الكيل والوزن، وهو مجازيكم بأعمالكم، وليس العذاب إلي وما علي إلا الدعوة.

[١٨٩] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾، وذلك أنه أخذهم حرّ شديد، فكانوا يدخلون الأسراب فإذا دخلوها وجدوها أشدّ حرّاً فخرجوا فأظلمت عليهم سحابة وهي الظلة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا، ذكرناه في سورة هود^(١). ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُوعَدُونَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٩١] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٩٢، ١٩٣] قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّهُ﴾، يعني القرآن، ﴿لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص: (نزل) خفيف (الروح الأمين) برفع الحاء والنون، أي نزل جبريل بالقرآن. وقرأ الآخرون بتشديد الزاي وفتح الحاء والنون أي: نزل الله به جبريل لقوله عزّ وجلّ: (وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

[١٩٤] ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، يا محمد حتى وعيته، ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾، المخوفين.

[١٩٥] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾، قال ابن عباس: بلسان قريش ليفهموا ما فيه.

[١٩٦] ﴿وَإِنَّهُ﴾، أي ذكر إنزال القرآن، قاله أكثر المفسرين، وقال مقاتل: ذكر محمد ﷺ ونعته، ﴿لَئِي زَيْرٍ﴾، كتب ﴿الْأُولِينَ﴾.

[١٩٧] ﴿أَوْلَىٰ بِكُنْهُمْ أَيْهَ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، قرأ ابن عامر: (تكن) بالطاء آية بالرفع، جعل الآية اسماً وخبره: ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾، وقرأ الآخرون بالياء، (آية) نصب، جعلوا الآية خبر يكن، معناه: أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علم بني إسرائيل آية، أي علامة ودلالة على نبوة محمد ﷺ، لأن العلماء الذين كانوا من بني إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم، وهم عبدالله بن سلام وأصحابه. قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة فسألوهم عن محمد ﷺ، فقالوا: إن هذا لزمانه وإنا نجد في التوراة نعته وصفته، فكان ذلك آية على صدقه. قوله تعالى: (أَنْ يَعْلَمَهُ)، يعني يعلم محمد ﷺ، ﴿عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، قال عطية: كانوا خمسة:

رسل ينذرونهم.

[٢٠٩] ﴿ذِكْرَى﴾، محلها نصب أي ينذرونهم، تذكرة، وقيل: رفع أي تلك ذكرى، ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم.

[٢١٠] ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾، وذلك أن المشركين كانوا يقولون: إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد ﷺ، فقال جلّ ذكره: (وما تنزلت به) أي بالقرآن، الشياطين.

[٢١١] ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾، أن ينزلوا بالقرآن، ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، ذلك.

[٢١٢] ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ أي عن استراق السمع من السماء، ﴿لَمَعَزُولُونَ﴾، أي محجوبون بالشهب مرجومون.

[٢١٣] ﴿فَلَا نَنْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما يحذر به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق عليّ ولو اتخذت إلهاً غيري لعذبتك.

[٢١٤] ﴿وَأَنْذَرُ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت (وأندّر عشيرتك الأقربين) خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف يا صباحاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه فقال: «أرايتكم إن أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جربنا عليك كذباً قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبّا لك ما جمعتنا إلا لهذا؟! ثم قال: فنزلت (تبّت يدا أبي لهب وتب)^(١).

[٢١٥] قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾، يعني ألن جانبك، ﴿لِمَنِ ابْتَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٢١٦] ﴿إِنَّ عَصَاكَ فُقْلٌ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾، من الكفر وعبادة غير الله.

عبدالله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد. [١٩٨] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ﴾، يعني القرآن، ﴿عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾، جمع الأعجمي، وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان عربياً في النسب، والعجمي: منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحاً. ومعنى الآية: ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان.

[١٩٩] ﴿فَفَرَأَ عَلَيْهِمْ﴾، بغير لغة العرب، ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾، وقالوا: ما نفقه قولك، نظيره قوله عزّ وجلّ: (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فُصِّلَت آياتُه)، وقيل: معناه ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما آمنوا به أففة من أتباعه.

[٢٠٠] ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾، قال ابن عباس والحسن ومجاهد أدخلنا الشرك والتكذيب ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٢٠١] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، أي بالقرآن، ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، يعني عند الموت.

[٢٠٢] ﴿فَيَأْتِيهِمْ﴾، يعني العذاب، ﴿بَغْةً﴾، فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، به في الدنيا.

[٢٠٣] ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾، أي لنؤمن ونصدق، يتمنون الرجعة والنظرة. قال مقاتل: لما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب، قالوا: إلى متى توعدنا بالعذاب متى هذا العذاب؟ قال الله تعالى:

[٢٠٤، ٢٠٥] ﴿أَفَعَدَّيْنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۚ أَفَرِيَّتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾، كثيرة في الدنيا يعني كفار مكة ولم نهلكهم.

[٢٠٦] ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾، يعني بالعذاب.

[٢٠٧] ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾، به في تلك السنين. والمعنى أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فإذا أتاهم العذاب لم يُغن عنهم طول التمتع شيئاً، ويكون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط.

[٢٠٨] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا هَا مُنْذِرُونَ﴾،

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٧٣٧/٨ ومسلم في الإيمان رقم (٢٠٨) ١٩٣/١ والمصنف في شرح السنة ٣٢٧/١٣.

[٢١٧] ﴿وَتَوَكَّلْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام فتوكل بالفاء، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الباقون بالواو (وتوكل)، ﴿عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾، ليكيفيك كيد الأعداء.

[٢١٨] ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، إلى صلاتك، عن أكثر المفسرين. وقال مجاهد: الذي يراك أينما كنت وقيل: حين تقوم لدعائهم.

[٢١٩] ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدِينَ﴾، يعني يرى تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك. قال عكرمة وعطية عن ابن عباس: في الساجدين أي في المصلين. وقال مقاتل والكلبي: أي مع المصلين في الجماعة، يقول: يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك إذا صليت مع المصلين في الجماعة. وقال الحسن: وتقلبك في الساجدين أي تصرفك وذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين. وقال سعيد بن جبير: يعني وتصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك. والساجدون: هم الأنبياء. وقال عطاء عن ابن عباس: أراد تقلبك في أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة.

[٢٢٠] ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

[٢٢١] ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾، أخبركم، ﴿عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾، هذا جواب قولهم: (تتنزل عليه الشياطين). ثم بين فقال:

[٢٢٢] ﴿تَنَزَّلُ﴾، أي تنزل، ﴿عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾، كذاب، ﴿أُتِيمٍ﴾، فاجر، قال قتادة: هم الكهنة يسترق الجن السمع ثم يلقيون إلى أوليائهم من الإنس. وهو قوله عز وجل:

[٢٢٣] ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾، أي يستمعون من الملائكة مستقرين فيلقون إلى الكهنة، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾، لأنهم يخلطون به كذبًا كثيرًا.

[٢٢٤] قوله عز وجل: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾، قال أهل التفسير: أراد شعراء

سورة الشعراء ٣٧٦

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢١٧﴾ وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢١٨﴾ ذَكَرْنَاهُ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢١٩﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢٢١﴾ إِنَّهُمْ عَنْ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿٢٢٢﴾ فَلَا تَنْفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهَاهُ آخَرَفَتُكَ مِنْ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢٢٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّي مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢٢٧﴾ الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢٢٨﴾ وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢٢٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٣٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٣١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٣٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٣٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٣٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٣٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٣٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٣٧﴾

سورة النبأ ٣٧٦

الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ و(الغاوون)، هم الرواة الذين يروون هجاء النبي ﷺ والمسلمين. وقال قتادة ومجاهد: الغاوون هم الشياطين.

[٢٢٥] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾، من أودية الكلام، ﴿يَهِيمُونَ﴾، حاثرون وعن طريق الحق جاثرون، والهاثم: الذاهب على وجهه لا مقصد له. قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: في كل لغو يخوضون. وقال مجاهد: في كل فن يفتنون. وقال قتادة: يمدحون بالباطل ويستمعون ويهجون بالباطل، فالوادي مثل لفنون الكلام، كما يقال: أنا في وادٍ وأنت في وادٍ. وقيل: في كل وادٍ يهيمون أي على كل حرف من حروف الهجاء يصوغون القوافي.

[٢٢٦] ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾، أي:

[٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، أي يؤدون الصلاة بأركانها وشروطها، ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، يعطون ما وجب عليهم من زكاة أموالهم لأربابها، ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

[٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾، القبيحة حتى رأوها حسنة، ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾، أي يترددون فيها متحيرين.

[٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾، شدة العذاب في الدنيا بالقتل والأسر بيدر، ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ لأنهم خسروا أنفسهم وأهلهم وصاروا إلى النار.

[٦] ﴿وَبِئْسَ مَا كَانَتْ الْقُرْآنُ﴾، أي توتى القرآن، ﴿مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾، أي وحياً من عند الله الحكيم العليم.

[٧] قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ﴾، أي واذكر يا محمد إذا قال موسى لأهله في مسيره من مدين إلى مصر، ﴿إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا﴾، أي أبصرت ناراً، ﴿سَاتِيكُمْ بِهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، أي امكثوا مكانكم ساتيكم بخبر عن الطريق أو النار، وكان قد ترك الطريق، ﴿أَوْ عَنِكُمْ بِشَاهِبٍ قَبَسٍ﴾، قرأ أهل الكوفة بشهاب بالتونين جعلوا القبس نعتاً للشهاب، وقرأ الآخرون بلا تنوين على الإضافة، وهو إضافة الشيء إلى نفسه، لأن الشهاب والقبس متقاربان في المعنى، وهو العود الذي في أحد طرفيه فيه نار، وليس في الطرف الآخر نار. وقال بعضهم: الشهاب هو شيء ذو نور، مثل العمود، والعرب تسمي كل أبيض ذي نور شهاباً، والقبس: القطعة

(١) أخرجه عبد الرزاق في كتاب الجامع ٢٦٣/١١ وصححه ابن حبان ص ٤٩٤ من موارد الظمان والبيهقي في السنن ٢٣٩/١٠ والإمام أحمد في المسند ٤٥٦/٣ والمصنف في شرح السنة ٣٧٨/١٢.

(٢) أخرجه الترمذي في الأدب ١٣٧/٨ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وصححه الحاكم ٤٨٧/٣ والمصنف في شرح السنة ٣٧٧/١٢.

يكذبون في شعرهم يقولون فعلنا وفعلنا وهم كذبة، ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجيبون شعراء الجاهلية، ويهجون شعراء الكفار، وينافحون عن النبي ﷺ وأصحابه، منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك، فقال:

[٢٢٧] ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ: إن الله قد أنزل في الشعر ما أنزل فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل»^(١). وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح عن رسول الله ﷺ، ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله يؤيد حسان بروح القدس، ما ينافح أو يفاخر عن رسول الله»^(٢). ﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾، أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله، ﴿وَأَنْتَصِرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾، قال مقاتل: انتصروا في المشركين لأنهم بدأوا بالهجاء، ثم أوعد شعراء المشركين فقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ ﴿أَنَّى مُنْقَلَبِ يَنْفَلِتُونَ﴾، أي مرجع يرجعون بعد الموت. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إلى جهنم والسعير. والله أعلم.

(٢٧) سُورَةُ النمل

[١] ﴿طَسَّ﴾، قال ابن عباس: هو اسم من أسماء الله تعالى، وقد سبق الكلام في حروف الهجاء. ﴿بِئْسَ مَا كَانَتْ الْقُرْآنُ﴾، أي هذه آيات القرآن، ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾، يعني وآيات كتاب مبين.

[٢] ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني هو هدى من الضلالة وبشرى للمؤمنين المصدقين به بالجنة.

سورة النمل

٣٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَفِيضُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ
لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَائِغًا
مِنْهَا خَيْرٌ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا
جَاءَهَا نُورٌ أَنْ يُورِكَ فِي النَّارِ وَمِنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسَّى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقَى عَصَاهُ
فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْرِكًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَّى لَا تَخَفْ
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ
سُوءٍ فَإِنِّي عَفُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرَجَ يَمْضَاءً
مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي سَعْيٍ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَفُؤْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ
﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾

معنى أنه نادى موسى منها وأسمعه كلامه من جهتها، ثم نزه الله نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب، فقال جلّ ذكره. ﴿وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثم تعرف إلى موسى بصفاته، فقال:

[٩] ﴿يَمْوَسَّى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، والهاء في قوله: (إنه) عماد وليس بكناية، وقيل: هي كناية عن الأمر والشأن، أي الأمر والشأن أي المعبود أنا، ثم أرى موسى آية على قدرته، فقال:

[١٠] ﴿وَأَلْقَى عَصَاهُ فَلَمَّا رَآَهَا تَهْتَزُّ﴾، تتحرك، ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾، وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها، ﴿وَلَّى مُدْرِكًا﴾، وهرب من الخوف، ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾، ولم يرجع، يقال: عقب فلان إذا رجع، وكل راجع معقب. وقال قتادة: ولم يلتفت، فقال الله عز وجل: ﴿يَمْوَسَّى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُلُونَ﴾، يريد إذا أمنهم لا يخافون أما الخوف

من النار، ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾، تستدفنون من البرد وكان ذلك في شدة الشتاء.

[٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُورٌ أَنْ يُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، أي بورك على من في النار أو من في النار، والعرب تقول: باركه الله وبارك فيه وبارك عليه، بمعنى واحد. وقال قوم: البركة راجعة إلى موسى والملائكة، معناه: بورك في من طلب النار، وهو موسى عليه السلام، ومن حولها وهم الملائكة الذين حول النار، ومعناه: بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين حول النار، وهذا تحية من عند الله عز وجل لموسى بالبركة، كما حيا إبراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت. ومذهب أكثر المفسرين أن المراد بالنار النور، وذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه نارا، ومن في النار هم الملائكة، وذلك أن النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسبيح، ومن حولها موسى لأنه كان بالقرب منها، ولم يكن فيها. وقيل: من في النار ومن حولها جميعا الملائكة وقيل: من في النار موسى ومن حولها الملائكة، وموسى وإن لم يكن في النار كان قريبا منها كما يقال: بلغ فلان المنزل إذا قرب منه، وإن لم يبلغه بعد، وذهب بعضهم إلى أن البركة راجعة إلى النار. وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: معناه بُوركت النار. وروى سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: سمعت أبا يثرب يقرأ: أن بُوركت النار ومن حولها، (ومن) قد يأتي بمعنى ما وما) قد يكون صلة في الكلام، كقوله: (جند ما هنالك)، ومعناه: بورك في النار وفيمن حولها وهم الملائكة وموسى عليه السلام، وسمى النار مباركة كما سمي البقعة مباركة فقال: (في البقعة المباركة)، وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن في قوله: (بُورك من في النار)، يعني قدس من في النار، وهو الله عنى به نفسه، على

البرق، فذلك قوله: ﴿تَخْرُجُ بَيَّضًا مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ﴾، من غير برص، ﴿فِي تَسْجٍ ءَابِتٍ﴾، يقول هذه آية مع تسع آيات أنت مرسل بهن، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

[١٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَانِنًا مُبْصِرَةً﴾، بيّنة واضحة يبصر بها، ﴿فَالَوْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، ظاهر.

[١٤] ﴿وَجَعَلُوا بِهَا﴾، أي أنكروا الآيات ولم يقرأوا أنها من عند الله، ﴿وَأَسْتَفْتَنَاهَا أَنْفُسَهُمْ﴾، يعني علموا أنها من عند الله، قوله: ﴿ظُلُمًا وَعَلْوًا﴾، يعني شركًا وتكبرًا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى، ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[١٥] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾، يعني علم القضاء ومنطق الطير والدواب وتسخير الشياطين وتسبيح الجبال، ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾، بالنبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والإنس ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٦] ﴿وَوَرِّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده، وكان لداود تسعة عشر ابنًا، وأعطى سليمان ما أعطى داود من الملك، وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين. وقال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكًا من داود وأقضى منه، وكان داود أشد تعبدًا من سليمان، وكان سليمان شاكراً لنعم الله تعالى، ﴿وَقَالَ يَتَىٰهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾، سمى صوت الطير منطقًا لحصول الفهم منه، كما يفهم من كلام الناس ﴿وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، يؤتى الأنبياء والملوك، قال ابن عباس: من أمر الدنيا والآخرة. وقال مقاتل: يعني النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين والرياح، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾، الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا.

الذي هو شرط الإيمان فلا يفارقهم، قال النبي ﷺ: «أنا أخشاكم لله»^(١).

[١١] وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، واختلف في هذا الاستثناء، قيل: هذا إشارة إلى أن موسى حين قتل القبطي خاف من ذلك، ثم تاب فقال: ربّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي، فغفر له، قال ابن جريج: قال الله تعالى لموسى: إنما أخفكت لقتلك النفس. وقال: معنى الآية لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنوب يصيبه أحدهم، فإن أصابه أخافه حتى يتوب، فعلى هذا التأويل يكون الاستثناء صحيحًا وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله: (إلا من ظلم) ثم ابتداء الخبر عن حال من ظلم من الناس كافة، وفي الآية متروك استغنى عن ذكره بدلالة الكلام عليه، تقديره: فمن ظلم ثم بدّل حسنًا بعد سوء فإنني غفور رحيم. قال بعض العلماء: ليس هذا باستثناء من المرسلين لأنه لا يجوز عليهم الظلم، بل هو استثناء من المتروك في الكلام، معناه لا يخاف لديّ المرسلون، إنما الخوف على غيرهم من الظالمين، إلا من ظلم ثم تاب، وهذا من الاستثناء المنقطع، معناه: لكن من ظلم من سائر الناس فإنه يخاف، فإن تاب وبدّل حسنًا بعد سوء فإن الله غفور رحيم، يعني يغفر الله له ويزيل الخوف عنه. وقال بعض النحويين: إلا ههنا بمعنى ولا، يعني: لا يخاف لديّ المرسلون ولا من ظلم ثم بدّل حسنًا بعد سوء يقول: لا يخاف لدي المرسلون ولا المذنبون التائبون كقوله تعالى: (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم) يعني ولا الذين ظلموا، ثم أراه الله آية أخرى فقال:

[١٢] ﴿وَادْخُلْ يَدُكَ فِي جَيْبِكَ﴾، والعجيب حيث جيب من القميص، أي قطع، قال أهل التفسير: كانت عليه مدرعة من صوف لا كم لها ولا أزرار فأدخل يده في جيبه وأخرجها، فإذا هي تبرق مثل

(١) قطعة من حديث رواه البخاري في النكاح ١٠٤/٩ ومسلم في الصيام رقم (١١٠٨) ٧٧٩/٢.

سورة النمل

٣٧٨

الجزء التاسع عشر

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا
وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾
وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَّا مِنْكَ الطَّيْرُ
وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٩﴾ وَحُشِرَ
لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٢٠﴾
حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا
مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢١﴾
فَبَسَّ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي رَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٢﴾ وَتَفَقَّدَ
الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَىٰ الْهَدْيَ هَذَا أَمْ كَانَ مِنْ
الْغَائِبِينَ ﴿٢٣﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
أَوْ لِيَأْتِنِي إِسْطَظْنِي مِثْلِي ﴿٢٤﴾ فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِي يَاقِينَ ﴿٢٥﴾

[٢١] ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾،
لأقطعن حلقه، ﴿أَوْ لِيَأْتِنِي إِسْطَظْنِي مِثْلِي﴾، بحجة
بينة في غيبته، وعذر ظاهر.
[٢٢] ﴿فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾، أي غير طويل،
﴿فَقَالَ أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تَحْطُ بِهِ﴾، والإحاطة العلم
بالشيء من جميع جهاته، يقول: علمت ما لم تعلم
وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك، ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ
سَبَإٍ﴾ اسم البلد أو اسم رجل، ﴿بَنِي يَاقِينَ﴾، بخبر
﴿يَاقِينَ﴾، فقال سليمان: وما ذاك؟ قال:

[٢٣] ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَلِيكُمْ﴾، وكان اسمها
بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان،
وكان أبوها ملكًا عظيم الشأن، ﴿وَأُوتِيتِ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ﴾، يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة، ﴿وَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾، سرير ضخم كان مضروبًا من
الذهب مكللاً بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد

[١٧] قوله عز وجل: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ﴾، وجمع
لسليمان، ﴿جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾ في
مسيره، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، فهم يكفون. وقال مقاتل:
يوزعون يساقون، وقال السدي: يوزعون. وقيل:
يجمعون. وأصل الوزع الكف والمنع.

[١٨] قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ
النَّمْلِ﴾ قال كعب: إنه واد بالطائف، وقال قتادة
ومقاتل: هو أرض بالشام. ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ
ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾، ولم تقل: ادخلن لأنه لما جعل
لهم قولاً كالآدميين خوطبوا بخطاب الآدميين، ﴿لَا
يَحْطِمَنَّكُمْ﴾، لا يكسرتكم، ﴿سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾،
والحطم الكسر، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، فسمع سليمان
قولها. ومعنى الآية: إنكم لو لم تدخلوا مساكنكم
وطؤوكم ولم يشعروا بكم.

[١٩] قوله عز وجل: ﴿فَبَسَّ ضَاحِكًا مِّنْ
قَوْلِهَا﴾، قال الزجاج: أكثر ضحك الأنبياء التبسم.
وقوله: (ضاحكًا) أي متبسمًا. قيل: كان أوله
التبسم وآخره الضحك ثم حمد سليمان ربه على ما
أنعم عليه، ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾، ألهمني، ﴿أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي رَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾، أي
أدخلني في جملتهم، وأثبت اسمي مع أسمائهم
واحشرنني في زميرتهم، قال ابن عباس: يريد مع
إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ومن
بعدهم، من النبيين. وقيل: أدخلني الجنة برحمتك
من عبادك الصالحين.

[٢٠] قوله عز وجل: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرُ﴾، أي:
طلبها وبحث عنها، والتفقد طلب ما فقد، ومعنى
الآية: طلب ما فقد من الطير، ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَىٰ
الْهَدْيَ هَذَا﴾، أي ما للهدد لا أراه، ثم أدركه الشك
في غيبته، فقال: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾، يعني
أكان من الغائبين، والميم صلة، وقيل: أم بمعنى
بل، ثم أوعده على غيبته، فقال:

سُورَةُ النَّامِلِ

٣٧٩

الْمِائَةِ وَتِسْعُونَ

إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فُصَّدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٥﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٧﴾ قَالَ سَنْظُرُ
أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾ أَذْهَبَ بِكَتَنِي هَذَا
فَأَلْفَهُ إِلَهُهُمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا
الْمُلُوكُ إِنِّي آُلِيٌّ إِلَىٰ كُنُوزٍ كَرِيمٍ ﴿٣٠﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣١﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٢﴾
قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ أَفَتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ
تَشْهَدُونَ ﴿٣٣﴾ قَالُوا لَنْحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا نَاسٍ شَدِيدُوا لَأَمْرَ إِلَيْكَ
فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٥﴾
وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٦﴾

أَصْدَقْتَ، فيما أخبرت، ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ثم
كتب سليمان كتاباً من عبد الله سليمان بن داود إلى
بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم السلام
على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا عليّ وأتوني
مسلمين، قال ابن جريج: لم يزد سليمان على ما
قص الله في كتابه. وقال قتادة: وكذلك كل الأنبياء
كانت تكتب جملاً لا يطيّلون ولا يكثرّون، فلما
كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه. فقال
للهدد:

[٢٨] ﴿أَذْهَبَ بِكَتَنِي هَذَا فَأَلْفَهُ إِلَهُهُمْ ثُمَّ تَوَلَّى
عَنْهُمْ﴾، تنحّ عنهم فكن قريباً منهم، ﴿فَانْظُرْ مَاذَا
يَرْجِعُونَ﴾، يردون من الجواب. وقال ابن زيد: في
الآية تقديم وتأخير مجازها: اذهب بكتابي هذا
فألفه إليهم فانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم، أي
انصرف إليّ فأخذ الهدد الكتاب فأتى به إلى

الأخضر، وقوائمه من الياقوت والزمرد عليه سبعة
آيات على كل بيت باب مغلق.

[٢٤] ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فُصَّدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا
يَهْتَدُونَ﴾.

[٢٥] ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾، قرأ أبو جعفر والكسائي
(ألا يسجدوا) بالتخفيف وإذا وقفوا يقولون: ألا
يأثم يبتدون: اسجدوا، على معنى: ألا يا هؤلاء
اسجدوا، وجعلوه أمراً من عند الله مستأنفاً،
وحذفوا هؤلاء اكتفاءً بدلالة يا عليها، وذكر بعضهم
سماحاً من العرب ألا يا أرحمونا، يريدون ألا يا
قوم وعلى هذا يكون قوله ألا كلاماً معترضاً من غير
القصة إما من الهدد وإما من سليمان. قال أبو
عبيدة: هذا أمر من الله مستأنف يعني يا أيها الناس
اسجدوا. وقرأ الآخرون ألا يسجدوا بالتشديد
بمعنى: وزين لهم الشيطان أعمالهم لثلاث يسجدوا،
﴿لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ﴾، أي الخفي المخبأ، ﴿فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي ما خبأت. قال أكثر
المفسرين: خبء السماء: المطر، وخبء
الأرض: النبات. وفي قراءة عبدالله: (يخرج
الخبء من السموات والأرض)، ومن وفي
يتعاقبان تقول العرب: لاستخرجن العلم فيكم يريد
منكم. وقيل: معنى الخبء الغيب، يريد يعلم
غيب السموات والأرض، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا
تَعْلَمُونَ﴾، قرأ الكسائي وحفص عن عاصم بالتاء
فيهما لأن أول الآية خطاب على قراءة الكسائي
بتخفيف ألا، وقرأ الآخرون بالياء.

[٢٦] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾،
أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره. وعرش
ملكة سبأ وإن كان عظيماً فهو صغير وحقير في
جنب عرشه عز وجل، ثم ههنا كلام الهدد، فلما
فرغ الهدد من كلامه.

[٢٧] ﴿قَالَ﴾، سليمان للهدد ﴿سَنْظُرُ

بليقيس، فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها.

[٢٩] ﴿قَالَ﴾، لهم بلقيس، ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ﴾، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، أي كما قالت هي وهم أشراف الناس وكبرائهم ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْ كِتَابٍ﴾ يفعلون.

كريمًا)، قال عطاء والضحاك: سمته كريمًا لأنه كان مختومًا، وقال قتادة ومقاتل: كتاب كريم أي حسن، وروى عن ابن عباس: كريم أي شريف لشرف صاحبه، وقيل: سمته كريمًا لأنه كان مصدرًا بيسم الله الرحمن الرحيم، ثم بينت الكتاب.

[٣٠] فقالت: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾، وبينت المكتوب فقالت، ﴿وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. وانصرف، وإن كان نبيًّا لم يقبل الهدية ولم ير ضه منّا إلا أن نتبعه على دينه، فذلك قوله تعالى:

[٣١] ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ﴾، قال ابن عباس: أي لا تكبروا عليّ. وقيل: لا تتعظّموا ولا تترفعوا عليّ. ﴿فَنَاطِرُؤُهُ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾، فأهدت إليه، فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد مسرعا إلى سليمان.

وقيل: معناه لا تمتنعوا عليّ من الإجابة، فإن ترك الإجابة من العلو والتكبر، ﴿وَأَتَوْنِي مُسْلِمِينَ﴾، فأخبره الخبر كله، ثم رد سليمان الهدية. [٣٦] كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ

مؤمنين طائعين. قيل: هو من الإسلام، وقيل: هو
 أئِمْدُونِ بِمَالٍ فَمَّا ءَاتَيْنَ اللَّهَ، أعطاني الله من النبوة
 والدين والحكمة والملك، ﴿حَيْرٌ﴾، أفضل، ﴿مِمَّا﴾
 من الاستسلام.

[٣٢] ﴿قَالَتْ يَأْتِيَهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي أَمْرِي﴾، أشيروا عليّ فيما عرض لي وأجيبوني فيما أشاوركم فيه،

﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً﴾، قاضية وفاصلة، ﴿أَمْرٌ حَتَّى﴾ بعض، فأما أنا فلا أفرح بها وليست الدنيا من حاجتي لأن الله تعالى قد مكّني فيها وأعطاني منها شهودون، أي تحضرون.

[٣٣] ﴿قَالُوا﴾، مجيبين لها، ﴿تَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ﴾، ما لم يعط أحدًا، ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة، ثم قال للمنذر بن عمرو وأمير الوفد.

مقاتل: أرادوا بالقوة كثرة العدد وبالبأس الشديد الشجاعة، وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم

بذلك ثم قالوا، ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾، آيتها الملكة في القتال وتركه، ﴿فَانظُرِي﴾، من الرأي، ﴿مَاذَا صَعِرُونَ﴾، ذليلون إن لم يأتوني مسلمين، قال وهب

تَأْمُرِينَ، تَجْدِينَ لَأَمْرِكَ مَطِيعِينَ.

[٣٤] ﴿قَالَتْ﴾، بَلْقِيسُ مَجْبِيَةٌ لَهُمْ عَنِ التَّعْرِيطِ

وغيره من أهل الكتب: فلما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان قالت: قد عرفت والله ما هذا

لِلْقِتَالِ، ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾، عنوةً، ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾، ﴿أَفَسَدُوا﴾، خربوها، بملك وما لنا به طافه، فبعثت إلى سليمان: أي قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما

تدعو إليه من دينك فأقبل سليمان حيثنذ على جنوده.

[٣٨] ﴿قَالَ يَبْنَائِي الْمَوُؤُا إِلَيْكُمْ يَأْتِي عَرْشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُوِي سُليْمَانُ﴾، أي مؤمنين، وقال ابن عباس: طائعين، واختلفوا في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحضار عرشها، فقال أكثرهم: لأن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها فأراد يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها، وقيل: ليربها قدرة الله وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها، وقال قتادة: لأنه أعجبه صفته لما وصفه الهدهد فأحب أن يراه. قال ابن زيد: أراد أن يأمر بتكره وتغييره ليختبر بذلك عقلها.

[٣٩] ﴿قَالَ عَفَرْتُ مِنْ آلِي﴾، وهو المارد القوي، قال ابن عباس: العفريت الداهية. وقال الضحاك: هو الخبيث. وقال الربيع: الغليظ، قال الفراء: القوي الشديد، وقيل: هو صخرة الجنى، وكان بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه، ﴿أَنَا إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾، أي من مجلسك الذي تقضي فيه، قال ابن عباس: وكان له كل غداة مجلس يقضي فيه إلى متسع النهار، ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾، أي على حمله ﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾، على ما فيه من الجواهر، فقال سليمان: أريد أسرع من هذا.

[٤٠] ف ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾، واختلفوا فيه فقال بعضهم: هو جبريل. وقيل: هو ملك من الملائكة أيد الله به نبيه سليمان. وقال أكثر المفسرين: هو آصف بن برخيا، وكان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى، وقال محمد بن المنكدر: إنما هو سليمان، قال له عالم من بني إسرائيل آتاه الله علماً وفهماً: ﴿أَنَا إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، قال سليمان: هات، قال أنت النبي ابن النبي، وليس أحد أوجه عند الله منك فإن دعوت الله وطلبت إليه

كان عندك، فقال: صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت، وقوله تعالى: (قبل أن يرتد إليك طرفك) قال سعيد بن جبير: يعني من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى، وهو أن يصل إليك من كان منك على مدِّ بصرك. قال قتادة: قبل أن يأتيك الشخص من مدِّ البصر. وقال مجاهد: يعني إدامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئاً. قال وهب: تمتد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه، حتى أمثله بين يديك ﴿فَلَمَّا رَآهُ﴾، يعني رأى سليمان العرش، ﴿مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾، محمولاً إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف، ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَلْزِقَ أَشْكُرَ﴾، نعمه، ﴿أَمْ أَكْفَرُ﴾، فلا أشكرها، ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾، أي يعود نفع شكره إليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها، لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ﴾، عن شكره، ﴿كَرِيمٌ﴾، بأفضال على من يكفر نعمه.

[٤١] قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾، يقول: غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رآته، قال قتادة ومقاتل: هو أن يزداد فيه وينقص منه، ورؤي أنه جعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله، وجعل مكان الجواهر الأحمر أخضر ومكان الأخضر أحمر، ﴿نَنْظُرَ أَتَهْدِي﴾، إلى عرشها فتعرفه، ﴿أَمْ تَكُونُ مِنْ﴾، الجاهلين، ﴿الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾، إليه، إنما حمل سليمان على ذلك كما ذكره وهب ومحمد بن كعب وغيرهما: أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفتشى إليه أسرار الجن وذلك أن أمها كانت جنية، وإذا ولدت له ولداً لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده، فأساءوا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا: إن في عقلها شيئاً وإن رجلها كحافر الحمار وأنها شعراء الساقين فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها، وينظر إلى قدميها ببناء الصرح.

سورة النمل

٣٨٠

سورة النمل

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَسْمِعُونِي بِمَالِ آتِنِي ۖ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا
 آتَاكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ مَدِينَةٌ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ
 بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَنُلْغِيَنَّ عَنْهُمْ بَهْلًا وَهُمْ ذَوُوعُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ
 يَتَأْتِيَ الْأَمْلُؤُا أَيْكُم بِآتِنِي بِعَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾
 قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْغَيِّ ۖ أَنَا أَنِيكُ بِهِ ۖ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي
 عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ
 بِهِ ۖ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا
 مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيُبَلِّغُنِي عَنْ شُكْرِكُمْ ۖ أَكْفَرْتُمْ مِنْ شُكْرِكُمْ ۖ إِنَّمَا تَشْكُرُ
 لِنَفْسِكُمْ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَيْبَ غَيِّ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ قَالَ تَكَرَّوْا لَهَا عَرْشَهَا
 نَنْظُرَ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ
 أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۖ وَأَوْتِنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ
 ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ
 ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ
 سَاقِهَا ۖ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي
 ظَلَمْتُ نَفْسِي ۖ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَنِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

[٤٢] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ﴾، لها، ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾، قال مقاتل: عرفته لكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها. وقال عكرمة: كانت حكيمة لم تقل نعم خوفاً من أن تكذب، ولم تقل لا خوفاً من التكذيب، قالت: كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر، وقيل: اشتبه عليها أمر العرش لأنها تركته في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها، قيل لها فإنه عرشك فما أغنى عنك إغلاق الأبواب، فقالت: ﴿وَأَوْتِنَا الْعِلْمَ﴾، بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدية والرسول، ﴿مِنْ قَبْلِهَا﴾، من قبل الآية في العرش ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾، منقادين طائعين لأمر سليمان، وقيل: قوله: ﴿وَأَوْتِنَا العلم من قبلها﴾ قاله سليمان، يقول: وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة، وكنا مسلمين، هذا قول مجاهد. وقيل: معناه وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين لله.

[٤٣] قوله عز وجل: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، أي منعها ما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس أن تعبد الله، أي صدها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله، فعلى هذا التأويل يكون (ما) في محل الرفع. وقيل: معناه ما صدها عن عبادة الله نقصان عقلها كما قالت الجن: إن في عقلها شيئاً بل ما كانت تعبد من دون الله. وقيل: معناه وصدها سليمان ما كانت تعبد من دون الله أي منعها من ذلك وحال بينها وبينه فيكون محل (ما) نصباً، ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾، هذا استئناف أخبر الله تعالى أنها كانت من قوم يعبدون الشمس، فنشأت بينهم ولم تعرف إلا عبادة الشمس.

[٤٤] قوله: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ الآية، وذلك أن سليمان أراد أن ينظر إلى قدميها وساقها من غير أن يسألها كشفها لما قالت الشياطين: إن رجليها

كحافر الحمار وهي شعراء الساقين، أمر الشياطين فبنوا له صرحاً أي قصرًا من زجاج، وقيل: بيتاً من زجاج كأنه الماء بياضاً وقيل: الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء فكان الواحد إذا رآه ظنه ماء. وقيل: إنما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها، فلما جاءت قيل لها: ادخلي الصرح، ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾، وهي معظم الماء، ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا﴾، لتخوضه إلى سليمان فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس قدماً وساقاً إلا أنها كانت شعراء الساقين، فلما رأى سليمان ذلك ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾، مملس مستو، ﴿مِنْ قَوَارِيرَ﴾، وليس بماء، ثم إن سليمان دعاها إلى الإسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح فأجابت، و﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾، بالكفر، وقال مقاتل: لما رأت السرير والصرح علمت أن ملك سليمان من الله

سورة النمل

٣٨١

سورة النمل

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيعُوا نَارَكُمْ وَيَمْنُ مَعَكُمْ قَالَ طَاعَتُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ شَجَاعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا نَقَاسِمُوا بِاللَّهِ لَئِنِ سَمِعْنَا مِنْهُ لَفَعْلَانَا وَلَوْلَا لَوْلِيهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ مَكْرِهِمْ أَنَادَ مَرْتَنَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ يَوْمَئِذٍ خَاوِيَةٌ يُمَاطِلُوهَا فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفُلْجِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْإِنْسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

فَقَالَتْ: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بَعَادَةَ غَيْرِكُ، ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أَيِ أَخْلَصْتُ لَهُ التَّوْحِيدَ، وَقِيلَ: إِنَّمَا لَمَّا بَلَغْتَ الصَّرْحَ فَظَنَّتْهُ لُجَّةً، قَالَتْ فِي نَفْسِهَا إِنْ سَلِيمَانُ يُرِيدُ أَنْ يَغْرُقَنِي، وَكَانَ الْقَتْلُ عَلَيَّ أَهْوَى مِنْ هَذَا فَقَوْلُهَا: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ عَنَى بِذَلِكَ الظَّنَّ.

[٤٥] قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ، أَيِ أَنْ، ﴿عَبُدُوا اللَّهَ﴾، وَحْدَهُ، ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾، مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ، ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾، فِي الدِّينِ، قَالَ مُقَاتِلٌ وَاجْتِمَاعُهُمْ مَا ذَكَرَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَغْفَرُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ)، إِلَى قَوْلِهِ: (يَا صَالِحُ اتَّبِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ).

[٤٦] ف ﴿قَالَ﴾، لَهُمْ صَالِحٌ، ﴿يَتَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾، بِالْبَلَاءِ وَالْعَقُوبَةِ، ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾، الْعَافِيَةِ وَالرَّحْمَةِ، ﴿لَوْلَا﴾، هَلَا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ لَهُ﴾، بِالتَّوْبَةِ مِنْ كُفْرِكُمْ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

[٤٧] ﴿قَالُوا أَطِيعُوا نَارَكُمْ﴾، أَيِ تَسَاءَمْنَا، وَأَصْلُهُ تَطِيرُنَا، ﴿بِكُمْ وَيَمْنُ مَعَكُمْ﴾، قِيلَ: وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لِتَفْرِقَ كَلِمَتَهُمْ. وَقِيلَ: لِأَنَّهُ أَمْسَكَ عَنْهُمْ الْمَطَرُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ وَقَحَطُوا فَقَالُوا: أَصَابَنَا هَذَا الضَّرُّ وَالشَّدَّةُ مِنْ شَوْمِكُمْ وَشَوْمُ أَصْحَابِكُمْ، ﴿قَالَ طَاعَتُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، أَيِ مَا يَصِيْبُكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ بِأَمْرِهِ وَهُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْكُمْ، سَمِيَ طَائِرًا لِسُرْعَةِ نَزُولِهِ بِالْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَسْرَعَ مِنْ قَضَاءِ مُحْتَوَمٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الشَّوْمُ أَتَاكُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِكُفْرِكُمْ. وَقِيلَ: طَائِرُكُمْ أَيِ عَمَلُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ، سَمِيَ طَائِرًا لِسُرْعَةِ صَعُودِهِ إِلَى السَّمَاءِ. ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُفْتَنُونَ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَخْتَبِرُونَ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً)، وَقَالَ مُحَمَّدُ ابْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ: تَعَذِّبُونَ.

[٤٨] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾، يَعْنِي

مَدِينَةُ ثَمُودَ وَهِيَ الْحَجَرُ، ﴿شَجَاعَةٌ رَهْطٌ﴾، مِنْ أَبْنَاءِ أَشْرَافِهِمْ، ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾، وَهُمْ الَّذِينَ اتَّفَقُوا عَلَى عَقْرِ النَّاقَةِ وَهُمْ غَوَاةٌ قَوْمٌ صَالِحٌ وَرَأْسُهُمْ قَدَارُ بْنُ سَالِفٍ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى عَقْرَهَا؛ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي.

[٤٩] ﴿قَالُوا نَقَاسِمُوا بِاللَّهِ﴾، تَحَالَفُوا، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: احْلِفُوا بِاللَّهِ أَيُّهَا الْقَوْمُ، وَمَوْضِعُ نَقَاسِمُوا جَزَمَ عَلَى الْأَمْرِ، وَقَالَ قَوْمٌ: مَحَلُّهُ نَصَبٌ عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِي، يَعْنِي أَنَّهُمْ تَحَالَفُوا وَتَوَاتَفَوْا، تَقْدِيرُهُ: قَالُوا مَتَقَاسِمِينَ بِاللَّهِ، ﴿لَئِنِ سَمِعْنَا مِنْهُ لَفَعْلَانَا﴾، أَيِ: لَنَقْتُلَنَّ بَيِّنَاتٍ أَيْ لَيْلًا، ﴿وَأَهْلَهُ﴾، أَيِ قَوْمَهُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مَعَهُ، وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ وَحْمَزَةً وَالْكَسَائِيُّ (لَتَبِيتَنَّهُ) وَ(لَتَقُولَنَّ) بِالتَّاءِ فِيهِمَا وَضَمَّ لَامَ الْفِعْلِ عَلَى الْخَطَابِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالنُّونِ فِيهِمَا وَفَتْحَ لَامَ الْفِعْلِ، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْلِيهِ﴾، أَيِ لَوْلِي دَمِهِ، ﴿مَا

النمل

٣٨٢

سورة النمل

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلَا لَوْ طُوتِ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَبْطِهُرُونَ ﴿٥٧﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٥٨﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٥٩﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرُ مَا يَشْرِكُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴿٦١﴾ أَمَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسٍ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خَلْقَاءَ الْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا ذَكَرْتُمْ ﴿٦٣﴾ أَمَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾

أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَبْطِهُرُونَ﴾، من أديار الرجال.

﴿٥٧﴾ ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا﴾، قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا، ﴿مِنَ الْغَائِبِينَ﴾، أي الباقيين في العذاب.

﴿٥٨﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾، وهو الحجارة، ﴿فَسَاءَ﴾ فبس، ﴿مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾.

﴿٥٩﴾ قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، هذا خطاب لرسول الله ﷺ أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الأمم الخالية، وقيل: على جميع نعمه، ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾، قال مقاتل: هم الأنبياء والمرسلون، دليله قوله عز وجل: (وسلام على المرسلين)، وقال ابن عباس في رواية أبي مالك: هم أصحاب محمد ﷺ. وقال الكلبي: هم أمة محمد ﷺ. وقيل: هم كل المؤمنين من السابقين

شَهِدْنَا﴾، ما حضرنا، ﴿مَهْلِكِ أَهْلِهِ﴾، أي إهلاكهم، ولا ندري من قتله، ومن فتح الميم فمعناه هلاك أهله، ﴿وَأَنَّا لَصَادِقُونَ﴾، في قولنا ما شهدنا ذلك.

﴿٥٠﴾ ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا﴾، غدروا غدرا حين قصدوا تبيت صالح والفتك به، ﴿وَمَكْرَنَا مَكْرًا﴾، جزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿٥١﴾ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ مَكْرَهُمْ أَنَّا﴾، قرأ أهل الكوفة (أنا) بفتح الألف رداً على العاقبة، أي أنا دمرناهم، وقرأ الآخرون (إنا) بالكسر على الاستئناف، ﴿دَمَرْنَاهُمْ﴾، أي أهلكناهم التسعة. واختلفوا في كيفية هلاكهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهن الملائكة بالحجارة من حيث يرون الملائكة، فقتلهم. قال مقاتل: نزلوا في سفح جبل ينظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم، ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، أهلكهم الله بالصيحة.

﴿٥٢﴾ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾، نصب على الحال أي خالية، ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾، أي بظلمهم وكفرهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾، لعبرة، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، قدرتنا.

﴿٥٣﴾ ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، يقال: كان الناجون منهم أربعة آلاف.

﴿٥٤﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحَسَةَ﴾، وهي الفعلة القبيحة، ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، أي تعلمون أنها فاحشة. وقيل: معناه يرى بعضكم بعضاً وكانوا لا يستترون عتوا منهم.

﴿٥٥﴾ ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ﴾.

﴿٥٦﴾ ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا

واللاحقين، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، قرأ أهل البصرة وعاصم: (يشركون) بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، يخاطب أهل مكة وفيه إلزام الحجة على المشركين بعد هلاك الكفار، يقول: الله خير لمن عبده أم الأصنام خير لمن عبدها والمعنى: أن الله نجى من عبده من الهلاك، والأصنام لم تغن شيئاً عن عابديها عند نزول العذاب بهم.

[٦٠] ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، معناه ألهمكم خير أم الذي خلق السموات والأرض، ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، يعني المطر، ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ﴾، بساتين جمع حديقة، قال الفراء: الحديقة البستان المحاط عليه، فإن لم يكن عليه حائط فليس بحديقة، ﴿ذَلِكَ بِهَجَةٍ﴾، أي منظر حسن، والبهجة: الحسن يتهج به من يراه، ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾، أي ما ينبغي لكم، لأنكم لا تقدرון عليها. ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتُ﴾، استفهام على طريق الإنكار أي هل معه معبود سواه يعينه على صنعه بل ليس معه إله. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ﴾، يعني كفار مكة، ﴿يَعْدِلُونَ﴾، يشركون.

[٦١] ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾، لا تميد بأهلها، ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾، وسطها ﴿أَنْهَارًا﴾، تطرد بالمياه، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾، جبلاً ثوابت، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾، العذب والمالح، ﴿حَاجِزًا﴾، مانعاً لئلا يختلط أحدهما بالآخر، ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتُ﴾، توحيد ربهم وسلطانهم.

[٦٢] ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾، المكروب المجهود، ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾، الضر، ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾، سكانها يهلك قرناً وينشئ آخر. وقيل: يجعل أولادكم خلفاءكم وقيل: جعلكم خلفاء الجن في الأرض. ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتُ﴾، قرأ أبو عمرو بالياء والآخرون بالتاء.

[٦٣] ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾، إذا سافرتهم، ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾، أي قدام المطر، ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتُ﴾، مع الله تعالى الله عما يشركون.

[٦٤] ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، بعد الموت، ﴿وَمَنْ يُرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، أي من السماء المطر ومن الأرض النبات، ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتُ﴾، حجتكم على قولكم أن مع الله إلهاً آخر. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

[٦٥] ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾، نزلت في المشركين حيث سألو النبي ﷺ عن وقت قيام الساعة، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ﴾، متى، ﴿يُبْعَثُونَ﴾.

[٦٦] ﴿بَلْ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ﴾، قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو: (أدرك) على وزن أفعل أي بلغ ولحق، كما يقال: أدركه علمي إذا لحقه وبلغه، يريد ما جهلوا في الدنيا وسقط علمه عنهم أعلموه في الآخرة. وقال مجاهد: يدرك علمهم، ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾، ويعلمونها إذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم. قال مقاتل: بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا وعموا عنه في الدنيا وهو قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا﴾، يعني هم اليوم في شك من الساعة وقرأ الآخرون بل ادرك موصولاً مشدداً مع الألف بعد الدال المشدد، يعني تدارك وتتابع علمهم في الآخرة وتلاحق، وقيل: معناه اجتمع علمهم حين عاينوها في الآخرة أنها كائنه، وهم في شك منها في وقتهم، فيكون بمعنى الأول، وقيل: هو على طريق الاستفهام، معناه: هل تدارك وتتابع علمهم بذلك في الآخرة؟ يعني: لم يتتابع وضل وغاب علمهم به فلم يبلغوه ولم يدركوه، لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد يدل عليه، قراءة ابن عباس (بلى) بإثبات الياء، (أدرك) بفتح الألف على الاستفهام، يعني: لم يدرك،

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٣٨٣

سُورَةُ النَّمْلِ

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَسَبُوا بِرُءُوسِهِمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾
 قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
 أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ أَذْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ
 فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَبَاؤُنَا إِنَّا لِلْمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا
 هَذَا نَحْنُ وَءَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ
 ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى
 أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
 لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
 رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمِمَّنْ غَابَتْ
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
 يَفُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

﴿٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ، تخفي،
 صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ.

﴿٧٥﴾ وَمِمَّنْ غَابَتْ، أي جملة غائبة من مكتوم
 سرٍّ وخفي أمرٍ وشيءٍ غائب، ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا
 فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، أي في اللوح المحفوظ.

﴿٧٦﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ، أي
 يبين لهم، ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، من أمر
 الدين، قال الكلبي: إن أهل الكتاب اختلفوا فيما
 بينهم فصاروا أحزابًا يطعن بعضهم على بعض،
 فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه.

﴿٧٧﴾ وَإِنَّهُ، يعني القرآن ﴿لَهْدَى وَرَحْمَةً
 لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٧٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي، يفصل، ﴿بَيْنَهُمْ﴾، أي
 بين المختلفين في الدين يوم القيامة، ﴿بِحُكْمِهِ﴾،
 الحق، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، المنيع فلا يرد له أمر،

وجملة القول فيه أن الله أخبر أنهم إذا بعثوا يوم
 القيامة يستوي علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها
 من الثواب والعقاب، وإن كانت علومهم مختلفة
 في الدنيا، وذكر علي بن عيسى أن معنى (بل) ههنا
 لو ومعناه لو أدركوا في الدنيا ما أدركوا في الآخرة
 لم يشكوا بل هم في شك منها، بل هم اليوم في
 الدنيا في شك من الساعة. ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾،
 جمع عم وهو الأعمى القلب. قال الكلبي: يقول
 هم جهلة بها.

﴿٦٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا، يعني مشركي
 مكة، ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَبَاؤُنَا إِنَّا لِلْمُخْرَجُونَ﴾، من
 قبورنا أحياء، قرأ أهل المدينة (إذا) غير مستفهم
 (أئنا) بالاستفهام، وقرأ ابن عامر والكسائي (أئنا)
 بهمزة إننا بنونين، وقرأ الآخرون باستفهامها.

﴿٦٨﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا، أي هذا البعث، ﴿نَحْنُ
 وَءَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾، أي من قبل محمد وليس ذلك
 بشيء ﴿إِنْ هَذَا﴾، ما هذا، ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾،
 أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها.

﴿٦٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ
 عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ.

﴿٧٠﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ، على تكذيبهم إياك
 وإعراضهم عنك، ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾،
 نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا أعقاب مكة.

﴿٧١﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

﴿٧٢﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ، أي دنا وقرب،
 ﴿لَكُمْ﴾، وقيل تبعكم والمعنى ردفكم أدخل فيه
 اللام كما أدخل في قوله: (لربهم يرهبون) قال
 الفراء: اللام صلة زائدة كما تقول: نقدته مائة
 ونقدت له ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من العذاب فحل
 بهم ذلك يوم بدر.

﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ، قال
 مقاتل: على أهل مكة حيث لم يعجل عليهم
 العذاب، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾، ذلك.

﴿الْعَلِيمُ﴾، بأحوالهم فلا يخفى عليه شيء.
[٧٩] ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾،
البين.

[٨٠] ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكَلِمَ﴾، يعني الكفار، ﴿وَلَا تَشْعُرُ﴾، يعني الضم الدعاة إذا ولّوا مذبذبين، معرضين، فإن قيل ما معنى قوله: (ولوا مدبرين)، وإذا كانوا صمًا لا يسمعون سواء ولوا أو لم يولوا؟ قيل: ذكره على سبيل التأكيد والمبالغة. وقيل: الأصم إذا كان حاضراً فقد يسمع برفع الصوت ويفهم بالإشارة، فإذا ولى لم يسمع ولم يفهم. قال قتادة: الأصم إذا ولى مدبراً ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى إليه من الإيمان، ومعنى الآية أنهم لفرط إعراضهم عما يدعون إليه كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه، والأصم الذي لا يسمع.

[٨١] ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى﴾، قرأ الأعشى وحمزة (تهدى) بالتاء وفتحها على الفعل (العمي) بنصب الياء ههنا وفي الروم، وقرأ الآخرون بهادي بالياء على الاسم، (العمي) بكسر الياء، ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾، أي ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان، ﴿إِنْ تَسْمِعُ﴾، ما تسمع، ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾، إلا من يصدق بالقرآن أنه من الله، ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون.

[٨٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾، وجب العذاب عليهم، وقال قتادة: إذا غضب الله عليهم، ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾، واختلفوا في كلامها، فقال السدي: تكلمهم ببطان الأديان سوى دين الإسلام. وقال بعضهم: كلامها أن تقول لواحد هذا مؤمن، وتقول لآخر: هذا كافر. وقيل: كلامها ما قال الله تعالى: ﴿أَنْ لَكُمْ كَلِمٌ بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، قال مقاتل: تكلمهم بالعربية، فتقول: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون تخبر الناس أن أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث، قرأ أهل الكوفة (أن الناس) بفتح الألف أي بأن

الناس، وقرأ الباقر بالكسر على الاستئناف، أي إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قبل خروجها. قال ابن عمر: وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، وقرأ سعيد بن جبير وعاصم الجحدري وأبو رجاء العطاردي: (تكلمهم) وبفتح التاء وتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح، وقال أبو الجوزاء: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية (تكلمهم) أو (تكلم) قال: كل ذلك تفعل، تكلم المؤمن وتكلم الكافر.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ أي من كل قرن جماعة، ﴿يَمُنُّ بِكَذِبٍ يَأْتِيَانَا﴾، وليس من ههنا للتبعيض لأن جميع المكذبين يحشرون، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقوا إلى النار.

[٨٤] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهُ﴾، يوم القيامة، ﴿قَالَ﴾، الله لهم، ﴿أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عُلَمَاءُ﴾، ولم تعرفوها حق معرفتها، ﴿أَمَّا أَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، حين لم تفكروا فيها ومعنى الآية أكذبتم بآياتي غير عالمين بها ولم تفكروا في صحتها بل كذبتم بها جاهلين.

[٨٥] ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾، وجب العذاب، ﴿عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾، بما أشركوا، ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾، قال قتادة: كيف ينطقون ولا حجة لهم، نظيره قوله تعالى: (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون)، وقيل: لا ينطقون لأن أفواههم مختومة.

[٨٦] قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾، خلقنا، ﴿الْأَنْلَ لِنَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾، مضياً يبصر فيه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، يصدقون فيعتبرون.

[٨٧] قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي أَسْوَارِ﴾، والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل، وقال الحسن: الصور هي القرن، وأول بعضهم كلامه أن الأرواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الأرواح إلى

سُورَةُ النَّمْلِ

٣٨٤

الْأَنْعَامِ

وَلِأَنَّهُ هُذًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ آلْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْوَقُوفَ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَدَىٰ الْعَمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَيِّنَاتٍ فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يَكْذِبُ بَيِّنَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمًا أَمْ أَفَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لَيْلَتِكُمْ فُتُورًا فَهُمْ لَا يَهْتَفُونَ بِهَا فِي ذَلِكَ لَآيَةٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ نَبْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

الطاعة، ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾، قال ابن عباس: فمنها يصل الخير إليه يعني له من تلك الحسنة خير يوم القيامة، وهو الثواب والأمن من العذاب، أما أن يكون له شيء خير من الإيمان فلا لأنه ليس شيء خيراً من قوله لا إله إلا الله. وقيل: ﴿فله خير منها﴾ يعني رضوان الله، قال تعالى: (ورضوان من الله أكبر)، وقال محمد بن كعب: قال عبد الرحمن ابن زيد: ﴿فله خير منها﴾ يعني الأضعاف أعطاه الله تعالى بالواحدة عشرًا فصاعدًا، وهذا حسن لأن للأضعاف خصائص منها أن العبد يسأل عن عمله ولا يسأل عن الأضعاف، ومنها أن للشيطان سيلاً إلى عمله وليس له سبيل إلى الأضعاف ولا مطعم

(١) عزاه السيوطي في الدر (٢٤٩/٧) لأبي يعلى والدارقطني وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي.

الأجساد فتحيا بالأجساد، قوله: ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي فصعق كما قال في آية أخرى: (فصعق من في السموات ومن في الأرض)، أي ماتوا، والمعنى أنه يلقي عليهم الفرع إلى أن يموتوا وقيل: ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفرع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين، قوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، اختلفوا في هذا الاستثناء، روي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ سأل جبريل عن قوله: (إلا من شاء الله)، قال: هم الشهداء المقلدون أسياهم حول العرش^(١). وروى سعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس: هم الشهداء لأنهم أحياء عند ربهم لا يصل الفرع إليهم، وفي بعض الآثار: الشهداء ثنية الله أي الذين استشهدوا لله تعالى. وقال الكلبي ومقاتل: يعني جبريل ومكائيل وإسرافيل وملك الموت، فلا يبقى بعد النفخة إلا هؤلاء الأربعة ثم يقبض الله روح ميكائيل ثم روح ملك الموت، ثم روح جبريل فيكون آخرهم موتاً جبريل ﴿وَكُلُّ﴾ أي كل الذين أحيوا بعد الموت، ﴿أَتَوَهُ﴾، قرأ الأعمش وحمزة وحفص (أتوه) مقصوراً بفتح التاء على الفعل أي جاءوه، وقرأ الآخرون بالمد وضم التاء كقوله تعالى: (وكلهم آتاه يوم القيامة فرداً) ﴿دَاخِرِينَ﴾، صاغرين.

[٨٨] قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾، قائمة واقفة، ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾، أي تسير سير السحاب، ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾، نصب على المصدر، ﴿الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، يعني أحكم، ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة بالياء والباقون بالتاء.

[٨٩] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾، بكلمة الإخلاص وهي شهادة أن لا إله إلا الله، قال أبو معشر: كان إبراهيم يحلف ولا يستثني أن الحسنة لا إله إلا الله. وقال قتادة: بالإخلاص. وقيل: هي كل

للخصوم في الأضعاف ولأن الحسنة على استحقاق العبد والتضعيف كما يليق بكرم الرب تبارك وتعالى، ﴿وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمِيذٍ آمِنُونَ﴾، قرأ أهل الكوفة من فرع بالتونين يومئذ بفتح الميم، وقرأ الآخرون بالإضافة لأنه أعم فإنه يقتضي الأمن من جميع فرع ذلك اليوم، وبالتونين كأنه فرع دون فرع، ويفتح أهل المدينة الميم من يومئذ.

[٩٠] ﴿وَمِنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾، يعني الشرك، ﴿فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾، يعني ألقوا على وجوههم، يقال: كَبَّتْ الرجل إذا ألقىته على وجهه فانكب وأكب، وتقول لهم خزنة جهنم: ﴿هَذَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، في الدنيا من الشرك.

[٩١] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُزِيتُ﴾، يقول الله لرسوله ﷺ قل إنما أمرت، ﴿أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلَدِ﴾، يعني مكة، ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾، يعني جعلها الله حرماً آمناً لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها، ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾، خلقاً وملكاً، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، لله.

[٩٢] ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾، يعني وأمرت أن أتلى القرآن، ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ﴾، أي نفع اهتدائه يرجع إليه، ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾، عن الإيمان وأخطأ عن طريق الهدى، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾، من المخوفين فليس عليّ إلا البلاغ، نسختها آية القتال.

[٩٣] ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، على نعمه، ﴿سَيْرِكُ أَيَّلَهِ﴾، يعني يوم بدر من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوهم وأدبارهم، نظيره قوله عز وجل (سأريكم آياتي فلا تستعجلون)، وقال مجاهد: سيريكم آياته في السماء والأرض وفي أنفسكم، كما قال: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم)، ﴿فَعَرُفُونَهَا﴾، يعني تعرفون الآيات والدلالات،

سورة القصص

٣٨٥

سورة القصص

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمِيذٍ آمِنُونَ ﴿١﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٤﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيْرِكُ أَيَّلَهِ فَعَرُفُونَهَا وَمَا رَبِّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾

سورة القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ يُدَبِّحُ بُنَاءً هُمْ وَسْخِيءٌ نَسَاءً هُمْ إِنَّمَا كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَرَبُّكَ يَأْتِي النَّاسَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم.

(٢٨) سورة القصص

[١] ﴿طَسَمَ﴾.

[٢] ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

[٣] ﴿تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾،

بالصدق، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، يصدقون بالقرآن.

[٤] ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾، استكبر وتجبر وتعظم،

﴿فِي الْأَرْضِ﴾، أرض مصر، ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾

فرقاً وأصنافاً في الخدمة والتسخير، ﴿يَسْتَضِعُّ

طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾، أراد الطائفة بني إسرائيل، ثم فسّر

الاستضعاف فقال، ﴿يُدَبِّحُ بُنَاءً هُمْ وَسْخِيءٌ نَسَاءً هُمْ﴾

سعى هذا استضعافاً لأنهم عجزوا أو

استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمرؤا بالمعروف ولم ينهؤا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفؤهم إلى أن أنجاهم الله على يد نبيه.

[٨] ﴿فَالْقَظَةُ ۖ أَلْ فِرْعَوْنَ﴾، والالتقاط هو وجود الشيء من غير طلب، ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابًا وَحَزْنًا﴾، وهذه اللام تسمى لام العاقبة ولام الصيرورة لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عذابًا وحزنًا ولكن صار عاقبة أمرهم إلى ذلك، قرأ حمزة والكسائي (حُزنًا) بضم الحاء وسكون الزاي، وقرأ الآخرون بفتح الحاء والزاي وهما لغتان، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ هَمَمَنَ وَحَنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾، عاصين آثمين.

[٩] قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ دعه يكون قرة عين لي ولك، ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾، وروي أنها قالت له إنه أتاننا من أرض أخرى ليس من بني إسرائيل، ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، أن هلاكهم على يديه فاستحياه فرعون وألقى الله عليه محبته.

[١٠] وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرَجًا﴾، أي خاليًا من كل شيء إلا من ذكر موسى وهمه، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الحسن: فارغًا أي ناسيًا للوحي الذي أوحى الله إليها حين أمرها أن تلقيه في البحر ولا تخاف ولا تحزن، والعهد الذي عهد أن يرده إليها ويجعله من المرسلين، فجاءها الشيطان فقال: كرهت أن يقتله فرعون ورجاله فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله فألقيته في البحر، وأغرقته، فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه في النيل قالت: إنه وقع في يد عدوه الذي فررت منه، فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها. وقال أبو عبيدة: فارغًا أي فارغًا من الحزن لعلمها بصدق وعد الله تعالى وأنكر القتيبي هذا وقال: كيف يكون هذا والله تعالى

ضعفوا عن دفعه عن أنفسهم، ﴿إِنَّهُمْ كَانَتْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[٥] ﴿وَرِيدٌ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ﴾، يعني بني إسرائيل، ﴿وَتَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً﴾، قادة في الخير يقتدى بهم. وقال قتادة: ولاية وملوكًا دليله قوله عز وجل: (وجعلكم ملوكًا)، وقال مجاهد: دعاة إلى الخير. ﴿وَتَجْعَلَهُمْ الْوَرِثَةَ﴾، يعني أملاك فرعون وقومه يخلفونهم في مساكنهم.

[٦] ﴿وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، أوطن لهم في الأرض مصر والشام، ونجعلها لهم مكانًا يستقرون فيه، ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ﴾، قرأ الأعمش وحمزة والكسائي (يرى) بالياء وفتحها، ﴿فِرْعَوْنَ وَهَمَمَنَ وَحَنُودَهُمَا﴾، مرفوعات على أن الفعل لهم، وقرأ الآخرون بالنون وضمها وكسر الراء ونصب الياء ونصب ما بعده يوقع الفعل عليه، ﴿مَنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾، والحذر هو التوقي من الضرر، وذلك أنهم أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل فكانوا على وجل منه، فأراهم الله ما كانوا يحذرون.

[٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمِّ مُوسَى﴾ وهو وحي إلهام ولا وحي نبوة، قال قتادة: قذفنا في قلبها، وأم موسى يوحانذ بنت لاوى بن يعقوب، ﴿أَنَّ أَرْضِيهِ﴾، واختلفوا في مدة الرضاع، قيل: ثمانية أشهر. وقيل: أربعة أشهر. وقيل: ثلاثة أشهر كانت ترضعه في حجرها، وهو لا يبكي ولا يتحرك، ﴿فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ﴾، يعني من الذبح، ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾، واليم البحر وأراد ههنا النيل، ﴿وَلَا تَخَافِ﴾، قيل: لا تخافي عليه من الغرق، وقيل: من الضيعة، ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾، على فراقه، ﴿إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْنَا وَجَعَلْنَاهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾، روى عطاء عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن بني إسرائيل لما كثروا بمصر

وَنَمَكْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيْ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَنَ وَخُودُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيْهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَكَلِمَةً فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِ إِنَّا نَرَا دُورَهُ الْيَمِّ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَنَ وَخُودُهُمَا كَانُوا خَاطِعِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتْ أُمُّ مُوسَىٰ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ يَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا شَعْرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ قُودًا أُمِّ مُوسَىٰ فَرِحًا إِنَّ كَادَتْ لِتَبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيْهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَخَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

والنصح ضد الغش وهو تصفية العمل من شوائب الفساد، قالوا: نعم فأتينا بها، فانطلقت إلى أمها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها إليهم، فلما وجد الصبي ربح أمه قبل ثديها وجعل يمصه فذلك قوله تعالى:

﴿١٣﴾ ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾، برد موسى إليها، ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾، أي لئلا تحزن، ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾، برده إليها، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أن الله وعدها رده إليها.

﴿١٤﴾ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾، قال الكلبي: الأشد ما بين ثماني عشر سنة إلى ثلاثين سنة. وقال مجاهد وغيره: ثلاث وثلاثون سنة، ﴿وَاسْتَوَى﴾، أي بلغ أربعين سنة، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقيل: استوى انتهى شبابه ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، أي الفقه والعقل والعلم في الدين، فعلم موسى

يقول: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾، والأول أصح قوله عز وجل: (إن كادت لتبدي به)، قيل: الهاء في به راجعة إلى موسى أي كادت لتبدي به أنه ابنها من شدة وجدها. وقال عكرمة عن ابن عباس: كادت تقول وابناه. وقال مقاتل: لما رأت التابوت يرفعه موج ويضعه آخر خشيت عليه الفرق فكادت تصيح من شفقتها. وقال الكلبي: كادت تظهر أنه ابنها وذلك حين سمعت الناس يقولون لموسى بعدما شب: موسى بن فرعون، فشق عليها وكادت تقول: بلى هو ابني. وقال بعضهم: الهاء عائدة إلى الوحي أي كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله إليها أن يرده إليها، (لولا أن ربطنا على قلبها)، بالعصمة والصبر والتثبيت، ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، المصدقين لوعده الله حين قال لها: (إنا رادوه إليك).

﴿١١﴾ ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾، أي لمريم أخت موسى ﴿قُصِّيْهِ﴾، اتبعني أثره حتى تعلمي خبره، ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ﴾، أي عن بعد، وفي القصة أنها كانت تمشي جانبًا وتنظر اختلاسًا تري أنها لا تنظره، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، أنها أخته وأنها ترقبه، قال ابن عباس: إن امرأة فرعون كل همها من الدنيا أن تجد له مرضعة وكلما أتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها، فذلك قوله عز وجل:

﴿١٢﴾ ﴿وَخَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾، والمراد من التحريم المنع والمراضع جمع المرضع، ﴿مِنْ قَبْلِ أَيٍّ مِنْ قَبْلِ مَجِيءِ أُمِّ مُوسَىٰ فَلَمَّا رَأَتْ أُمَّتَ مُوسَىٰ الَّتِي أَرْسَلْتَهَا أُمُّهُ فِي طَلَبِهِ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُمْ: هَلْ أَدُلُّكُمْ؟ وَفِي الْقِصَّةِ أَنَّ مُوسَىٰ مَكَثَ ثَمَانِ لَيَالٍ لَا يَقْبَلُ ثَدْيًا وَيَصِيحُ وَهُمْ فِي طَلَبِ مَرْضَعَةٍ لَهُ، ﴿فَقَالَتْ﴾، يعني أخت موسى، ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ﴾، أي يضمونه ﴿لَكُمْ﴾، ويرضعونه، وهي امرأة قد قتل ولدها فأحب شيء إليها أن تجد صغيرًا ترضعه، ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾،

وحكم قبل أن يُبعث نبياً، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

[١٥] قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾، يعني دخل موسى المدينة، قال السدي: هي مدينة منف من أرض مصر. وقال مقاتل: كانت قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر. وقيل: مدينة عين الشمس، ﴿عَلَى جَبَلٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾، وهو وقت القائلة واشتغال الناس بالقيلوله. وقال محمد ابن كعب القرظي: دخلها فيما بين المغرب والعشاء. واختلفوا في السبب الذي من أجله دخل المدينة في هذا الوقت. قال السدي: وذلك أن موسى كان يُسمى ابن فرعون، فكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه فركب فرعون يوماً وليس عنده موسى، فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب فركب في أثره فأدركه المقييل بأرض منف فدخلها نصف النهار وليس في طرفها أحد، ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾، يختصمان ويتنازعان، ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾، من بني إسرائيل ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾، من القبط وقيل: هذا من شيعة وهذا من عدوه أي هذا مؤمن وهذا كافر، ﴿فَاسْتَعْنَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، والاستغاثة طلب الغوث فغضب موسى واشتد غضبه لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم، ولا يعلم الناس إلا أنه من قبل الرضاعة من أم موسى ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾، وقرأ ابن مسعود (فلكزه موسى) ومعناها واحد وهو الضرب بجميع الكف. وقيل: الوكز الضرب في الصدر واللكز في الظهر. وقال الفراء: معناهما واحد وهو الدفع، قال أبو عبيدة: الوكز الدفع بأطراف الأصابع ﴿فَفَضَّى عَلَيْهِ﴾، أي فقتله وفرغ من أمره، وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه، فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾، أي بين الضلالة.

الْمُحْسِنِينَ

٣٨٧

سُورَةُ الْقَصَصِ

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَانَيْتَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعْنَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَصْرَفَهُ بِأَلَمٍ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَنْ يَنْبِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَمْوَسَىٰ أَرِيدُ أَنْ نَتَمَلَّكَ كَمَا فَنَعَلْتَ نَفْسًا بِأَلَمٍ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنَّكَ أَلَمَلًا بِاتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٢﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٣﴾

[١٦] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾، بقتل القبطي من غير أمر، ﴿فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٧] ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾، بالمغفرة، ﴿فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا﴾، عوناً، ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾، قال ابن عباس: للكافرين وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً، وهو قول مقاتل، قال قتادة: لن أعين بعدها على خطيئة، قال ابن عباس: لم يستثن فابتلي به في اليوم الثاني.

[١٨] ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ﴾، أي في المدينة التي قتل فيها القبطي ﴿خَائِفًا﴾، من قتله القبطي، ﴿يَتَرَقَّبُ﴾، ينتظر سوءاً، والترقب: انتظار المكروه، قال الكلبي: ينتظر متى يؤخذ به، ﴿فَإِذَا الَّذِي اَسْتَصْرَفَهُ بِأَلَمٍ يَسْتَصْرِخُهُ﴾، يستغيثه ويصيح به من بُعد ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾، للإسرائيلي، ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ

قد خرج خائفاً بلا ظهر ولا حذاء ولا زاد، وكانت مدين على مسيرة ثمانية أيام من مصر، ﴿قَالَ عَسَىٰ رَيتَ أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، أي قصد الطريق إلى مدين، قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها.

[٢٣] ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾، وهو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم، ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾، جماعة، ﴿مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾، مواشيهم، ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ﴾، يعني سوى الجماعة، ﴿أَمْرأتَيْنِ تَذُودَانِ﴾، يعني تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر، قال الحسن: تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس. وقال قتادة: تكفان الناس عن أغنامهما. وقيل: تمنعان أغنامهما عن أن تشذ وتذهب. والقول الأول أصوبهما لما بعده وهو قوله: ﴿قَالَ﴾، يعني موسى للمراتين، ﴿مَا خَطَبُكُمَا﴾، ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس، ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي أَغْنَامَنَا﴾، ﴿حَتَّىٰ يُصَدِّرَ الرِّعَاءَ﴾، قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن عامر (يُصَدِّرُ) بفتح الياء وضم الدال على اللزوم، أي حتى يرجع الرعاء عن الماء، وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الدال أي حتى يصرفوا هم مواشيهم عن الماء، والبرعاء جمع راع مثل تاجر وتجار، ومعنى الآية: لا نسقي مواشينا حتى يصدر الرعاء لأننا امرأتان لا نطبق أن نستسقي ولا نستطيع أن نزاحم الرجال، فإذا صدروا سقينا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾، لا يقدر أن يسقي مواشيه، فلذلك احتجنا نحن إلى سقي الغنم. واختلفوا في اسم أبيهما، فقال مجاهد والضحاك والسدي والحسن: شعيب النبي عليه السلام. وقال وهب بن منبه وسعيد بن جبير: هو بيرون بن أخي شعيب، فلما سمع موسى قولهما رحمهما فاقطلع صخرة من رأس بئر لا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس، فسقى غنم

مُيِّنٌ، ظاهر الغواية قاتلت بالأمس رجلاً فقتلته بسببك، وتقاتل اليوم آخر وتستغثني عليه وقيل: إنما قال موسى للفرعوني: إنك لغوي مبين بظلمك. والأول أصوب وعليه الأكثرون أنه قال ذلك للإسرائيلي.

[١٩] ﴿فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾، وذلك أن موسى أدركته الرقة بالإسرائيلي فعذ يده ليبطش بالفرعوني فظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش له لما رأى من غضبه ومع قوله إنك لغوي مبين، ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ أَرِيدُ أَن نَقْتَلِي كَمَا قُتِلَتْ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ﴾، ما تريد، ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾، بالقتل ظلماً، ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾، فلما سمع القبطي ما قال الإسرائيلي علم أن موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق إلى فرعون وأخبره بذلك، وأمر فرعون بقتل موسى. قال ابن عباس: فلما أرسل فرعون الذباحين لقتل موسى أخذوا الطريق الأعظم.

[٢٠] ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾، من شيعه موسى، ﴿مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾، أي من آخرها ﴿يَسْعَىٰ﴾، أي يسرع في مشيه فأخذ طريقاً قريباً حتى سبق إلى موسى فأخبره وأنذره حتى أخذ طريقاً آخر، ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ أَلَمَلًا يَأْتِرُونَ بِكَ﴾، يعني أشراف قوم فرعون يتشاورون فيك، ﴿لَيَقْتُلَنَّكَ﴾، قال الزجاج: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك، ﴿فَأَخْرَجَ﴾، من المدينة، ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾، في الأمر لك بالخروج.

[٢١] ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾، موسى، ﴿حَابِئًا يَرْقُبُ﴾، أي ينتظر الطلب، ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، الكافرين.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا نَوَّحَ بِقَاءَ مَدْيَنَ﴾، أي قصد نحوها ماضياً يقال: داره تلقاء دار فلان إذا كانت محاذيتها، وأصله من اللقاء، قال الزجاج: يعني سلك الطريق التي يلقي مدين فيها، ومدين هو مدين بن إبراهيم سميت البلدة باسمه، وكان موسى

المرأتين. فذلك قوله:

[٢٤] ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾، ظل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أُنْزِلْتُ إِلَى مَن خَيْرٍ﴾، من طعام، ﴿فَقِيرٌ﴾، قال أهل اللغة: اللام بمعنى إلى يقال: هو فقير له وفقير إليه يقول: إني لما أنزلت إلي من خير أي طعام فقير محتاج، كان يطلب الطعام لجوعه. فلما رجعتا إلى أبيهما سريعاً قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحماً فسقى لنا أغنامنا، فقال لإحادهما: اذهبي فادعيه لي.

[٢٥] قال الله تعالى: ﴿فَجَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة، ولكن جاءت مسترة قد وضعت كُم درعها على وجهها استحياء ﴿قَالَتْ إِنَّكَ إِنِّي يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فمشت المرأة ومشى موسى خلفها، فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها، فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق إن أخطأت ففعلت ذلك، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾، يعني أمره أجمع، من قتله القبطي وقصد فرعون قتله، ﴿قَالَ لَا تَحْفَ بِحَوْتٍ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، يعني فرعون وقومه، وإنما قال هذا لأنه لم يكن لفرعون سلطان على أهل مدين.

[٢٦] ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَبَاطُ اسْتَجْرَةً﴾، اتخذه أجيلاً ليرعى أغنامنا، ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ﴾، يعني خير من استعملت من قوي على العمل وأداء الأمانة، فقال لها أبوها: وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أما قوته فإنه رفع حجراً من رأس البئر لا يرفعه إلا عشرة. وقيل: إلا أربعون رجلاً، وأما أمانته فإنه قال لي: امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك.

سورة القصص

٣٨٨

سورة القصص

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٧﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقَىٰ حَتَّىٰ يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٨﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أُنْزِلْتُ إِلَى مَن خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٩﴾ فَجَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ إِنِّي يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَحْفَ بِحَوْتٍ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَبَاطُ اسْتَجْرَةً إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبْنِيَنَّ بَنِيًّا أَمْشِيَّ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ فَصَيِّتْ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٣٣﴾

[٢٧] ﴿قَالَ﴾ شعيب عند ذلك، ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَتَيْنِ﴾ قيل: زوجه الكبرى وذهب أكثرهم إلى أنه زوجه الصغرى منهما واسمها صفورة وهي التي ذهبت لطلب موسى، ﴿عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ﴾، يعني أن تكون أجيلاً لي ثمان سنين، قال الفراء: يعني اجعل ثوابي من تزويجها أن ترعى غنمي ثمان حجاج، تقول العرب: أجرك الله بأجرك أي أثابك، والحجج السنون واحداً حجة، ﴿إِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾، أي إن أتممت عشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع، وليس بواجب عليك، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾، أن ألزمك تمام العشر إلا أن تتبرع، ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، قال عمر: يعني في حسن الصحبة والوفاء بما قلت.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾، موسى ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾،
يعني هذا الشرط بيني وبينك، فما شرطت علي
فلك وما شرطت أن تزوج إحداهما فلي، والأمر
بيننا، تم الكلام، ثم قال: ﴿أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ﴾،
يعني أي الأجلين (وما) صلة نصب بمعنى أتممت
أو فرغت من الثمان أو العشر، ﴿فَلَا عُدْوَتَ عَلَيَّ﴾
لا ظلم لي بأن أطالب بأكثر منهم، ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا
نَقُولُ وَكِيلٌ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: شهيد فيما
بيننا وبينك.

[٢٩] ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾، يعني أتمه وفرغ
منه، ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾، فخرج بأهله إلى جانب
مصر، ﴿ءَانَسَ﴾، يعني أبصر، ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ
نَارًا﴾، وكان في البرية في ليلة مظلمة شاتية شديدة
البرد وأخذ امرأته الطلق، ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي
ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾، يعني عن الطريق
لأنه كان قد أخطأ الطريق، ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ
النَّارِ﴾، يعني قطعة وشعلة من النار، وفيها ثلاث
لغات: قرأ عاصم (جذوة) بفتح الجيم، وقرأ حمزة
بضمها وقرأ الآخرون بكسرها، قال قتادة ومقاتل:
هي العود الذي قد احترق بعضه وجمعها أجدى،
﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾، تستدفئون.

[٣٠] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَلْطِي الْأَوْدِ
الْأَيْتَنِ﴾، يعني من جانب الوادي الذي عن يمين
موسى، ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾، لموسى جعلها الله
مباركة لأن الله كلم موسى هناك وبعثه نبياً. وقال
عطاء: يريد المقدسة، ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾، من ناحية
الشجرة، ﴿أَن يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٣١] ﴿وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَلِكُ﴾،
تتحرك، ﴿وَهُيَ الْحَيَّةُ الصَّغِيرَةُ مِنْ
سُرْعَةِ حَرَكَتِهَا﴾، هارباً منها، ﴿وَلَمْ
يَعْقِبْ﴾، لم يرجع فنودي، ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ
فِي يَدَيْهِ﴾، أدخل ﴿سَلَكُ﴾، أدخل ﴿يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ

الْمُؤْمِنِينَ

٣٨٩

سُورَةُ الْقَصَصِ

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾، انس من جانب
الطور نارا قال لأهله امكثوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُمْ
مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ
﴿٢٩﴾ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَلْطِي الْأَوْدِ الْأَيْتَنِ فِي الْبُقْعَةِ
الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَلِكُ كَانَتْهَا
جَانٌّ وَلِي مُدِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ
مِنَ الْآمِنِينَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ
غَيْرِ سُوٍّ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَلَذَكَ
بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ءَإِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ
أَن يَقْتُلُونِ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَإِخَىٰ هَارُونَ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَانًا
فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ ﴿٣٤﴾
﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَجُعَلْ لَّكُمَا سُلْطَانًا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

مِنْ غَيْرِ سُوٍّ﴾، برص فخرجت ولها شعاع كضوء
الشمس، ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾،
قرأ أهل الكوفة والشام بضم الواو وسكون الهاء
وبفتح الراء حفص، وقرأ الآخرون بفتحها وكلها
لغات بمعنى الخوف ومعنى الآية إذا هالك أمر يدك
ما ترى من شعاعها فأدخلها في جيبك تعد إلى
حالتها الأولى والجنح اليد كلها. وقيل: هو
العضد. وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله
عنهم: أمره الله بضم يده إلى صدره فيذهب عنه ما
ناله من الخوف عند معاينة الحية. وقيل: المراد من
ضم الجنح السكون يعني سكن روعك واخفض
عليك جأشك لأن من شأن الخائف أن يضطرب
قلبه ويرتعد بدنه، ومثله قوله: (واخفض لهما جناح
الذل من الرحمة) يريد الرفق، وقوله: (واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) أي ارفق بهم

سورة القصص

٣٩٠

سورة القصص

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّقْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَهْتَمِنَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاظْطَرَّ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَسْمَكًا يَدْعُونَ إِلَى التَّكْوِينِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَاطًا لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

﴿٣٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ، بالمحقق من المبطل، ﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾، يعني العقبى المحمودة في الدار الآخرة، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، يعني الكافرون. ﴿٣٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَهْتَمِنَ عَلَى الطِّينِ، يعني فاطبِخ لي الآجر، وقيل: إنه أول من اتخذ الآجر وبني به، ﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾، قصرًا عاليًا، وقيل: منارة، ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾، أنظر إليه وأقف على حاله، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، يعني موسى، ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، في زعمه أن للأرض وللخلق إلها غيري، وأنه رسوله.

﴿٣٩﴾ وَاسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ، قرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب: (يرجعون) بفتح الياء

وألن جانبك لهم، وقال الفراء: أراد بالجنح العصا، معناه اضمم إليك عصاك، وقيل: الرهب الكم بلغة حمير، قال الأصمعي: سمعت بعض الأعراب يقول: أعطني ما في رهبك أي في كملك، معناه اضمم إليك يدك وأخرجها من الكم، لأنه تناول العصا ويده في كمه، ﴿فَلَذَيْنِكَ﴾، يعني العصا واليد البيضاء، ﴿بُرْهَنَانِ﴾، آيتان، ﴿مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿٣٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ.

﴿٣٤﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا، وإنما قال ذلك للعقدة التي كانت في لسانه من وضع الجمرة في فيه، ﴿فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾، عونًا، يقال: رداته أي أعنته، ﴿يُصَدِّقُنِي﴾، قرأ ابن عمر وعامر وحمزة برفع القاف على الحال، أي رداً مصداقاً، وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الدعاء والتصديق لهارون في قول الجميع، قال مقاتل: لكي يصدقني فرعون، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾، يعني فرعون وقومه.

﴿٣٥﴾ قَالَ سَنُنْذِرُ عَصَاكَ بِأَخِيكَ، أي نقويك بأخيك وكان هارون يومئذ بمصر، ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾، حجة وبرهاناً، ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا﴾، أي لا يصلون إليكما بقتل ولا سوء لمكان آياتنا، وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: ونجعل لكما سلطاناً بآياتنا بما نعطيكما من المعجزات فلا يصلون إليكما، ﴿إِنَّمَا وَمِنْ أَتْبَعَكُمَا الْفَاطِلُونَ﴾، أي لكما ولأتباعكما الغلبة على فرعون وقومه.

﴿٣٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ، واضحات، ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّقْتَرَى﴾، مختلق ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾، بالذي تدعوننا إليه، ﴿فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾.

وكسر الجيم، والباقون بضم الباء وفتح الجيم.
[٤٠] ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُوذُهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾،
فألقيناهم، ﴿فِي آيَةٍ فَاظْطَرَّ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ
الظَّالِمِينَ﴾.

[٤١] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً﴾، قادة ورؤساء،
﴿يَكْذِبُونَ إِلَى الْكَارِ وَيَوْمَ الْفَيْصَةِ لَا يُصْرُونَ﴾، لا
ينجون من العذاب.

[٤٢] ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾، خزيًا
وعذابًا، ﴿وَيَوْمَ الْفَيْصَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾، من
المبعدين الملعونين، وقال أبو عبيدة: من
المهلكين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من
المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون، يقال:
قبحه الله وقبحه إذا جعله قبيحًا، ويقال: قبحه قبحًا
وقبوحًا إذا أبعد من كل خير.

[٤٣] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾، يعني قوم نوح
وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى، ﴿بَصَايِرَ
لِلنَّاسِ﴾، يعني ليبصروا بذلك الكتاب ويهتدوا به،
﴿وَهُدًى﴾، من الضلال لمن عمل به، ﴿وَرَحْمَةً﴾،
لمن آمن به، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، بما فيه من
المواعظ والبصائر.

[٤٤] ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾،
يعني بجانب الجبل الغربي، قاله قتادة والسدي،
وقال الكلبي: بجانب الوادي الغربي. قال ابن
عباس رضي الله عنهما: يريد حيث ناجى موسى
ربه، ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾، يعني عهدنا إليه
وأحكامنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه،
﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، الحاضرين ذلك المقام
فتذكره من ذات نفسك.

[٤٥] ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾، خلقنا أمما من بعد
موسى عليه السلام، ﴿فَنَطَّأَوْا عَلَيْهِمُ الْعُمُرَ﴾، أي
طالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله وميثاقه وتركوا
أمره، وذلك أن الله تعالى قد عهد إلى موسى وقومه

سُورَةُ الْقَصَصِ

٣٩١

الْبَقَرَةُ

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ
مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَّأُولُ عَلَيْهِمْ
الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ
آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ
الْطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا
مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ يُمْسِكُوا بِأَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا
رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا
لَوْلَا أَوْفَى بِمِثْلِ مَا أَوْفَى مُوسَى أَوْلَمَ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَى
مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُمْ لَكَافِرُونَ
﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ
هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

عهودًا في محمد والإيمان به، فلما طال عليهم
العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود
وتركوا الوفاء بها، ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾، مقيمًا،
﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾، كمقام موسى وشعب فيهم،
﴿تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾، تذكروهم بالوعد والوعيد،
قال مقاتل: يقول لم تشهد أهل مدين فتقرأ على
أهل مكة خبرهم، ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾، أي
أرسلناك رسولًا وأنزلنا عليك كتابًا فيه هذه
الأخبار، فتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها ولم
تخبرهم بها.

[٤٦] ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾، بناحية الجبل
الذي كلم الله عليه موسى، ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾، قيل: إذ
نادينا موسى خذ الكتاب بقوة، ﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ
رَبِّكَ﴾ أي ولكن رحمتناك رحمة بإرسالك
وبالوحي إليك وإطلاعك على الأخبار الغائبة

طلبت، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُبْعِثُ أَهْوَاءُ هُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هَدَىٰ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٥١] ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: بينا، قال الفراء: أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضاً قال قتادة: وصل لهم القول في هذا القرآن يعني كيف صنع بمن مضى. قال مقاتل: بينا لكفار مكة بما في القرآن من أخبار الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم، وقال ابن زيد: وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

[٥٢] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾، من قبل محمد ﷺ، وقيل: من قبل القرآن، ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾، نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، وقال مقاتل: بل هم أهل الإنجيل الذي قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي ﷺ. وقال سعيد بن جبیر: هم أربعون رجلاً قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي ﷺ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا: يا نبي الله! إن لنا أموالاً فإن أذنت لنا انصرفنا وجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها فأذن لهم فانصرفوا فاتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين، فنزل فيهم: (الذين آتيناهم الكتاب) إلى قوله تعالى: (ومما رزقناهم ينفقون)، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام، ثم وصفهم الله فقال:

[٥٣] ﴿وَإِذَا يُنَادِي عَلَيْهِمْ﴾، يعني القرآن، ﴿قَالُوا ءَأَمَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾، وذلك أن ذكر النبي ﷺ كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾، أي من قبل القرآن مسلمين مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد ﷺ أنه نبي حق.

عنك، ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَّذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾، يعني أهل مكة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

[٤٧] ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ﴾، عقوبة ونقمة، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعصية، ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾، هلا، ﴿أُرْسَلَتْ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وجواب لولا محذوف أي لعاجلناهم بالعقوبة، يعني لولا أنهم يحتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم. وقيل: معناه لما بعثناك إليهم رسولاً ولكن بعثناك إليهم لثلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

[٤٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾، يعني محمداً ﷺ، ﴿قَالُوا﴾، يعني كفار مكة، ﴿لَوْلَا﴾، هلا، ﴿أُوتِيَ﴾، محمد، ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾، من الآيات كاليد البيضاء والعصا، وقيل: مثل ما أوتي موسى كتاباً جملة واحدة. قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾، أي فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد، ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾، قرأ أهل الكوفة: (سحران) أي التوراة والقرآن تظاهرا يعني كل سحر يقوي الآخر نسب التظاهر إلى السحرين على الاتساع، قال الكلبي: كانت مقاتلتهم تلك حين بعثوا في أمر رسول الله ﷺ إلى رؤوس اليهود بالمدينة، فسألوهم عن محمد فأخبروهم أن نعته في كتابهم التوراة، فرجعوا فأخبروهم بقول اليهود، فقالوا: سحران تظاهرا، وقرأ الآخرون: (ساحران) يعنون محمداً وموسى عليهما السلام، لأن معنى التظاهر بالناس وأفعالهم أشبهه بالكتب، ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفِرُونَ﴾.

[٤٩] ﴿قُلْ﴾، لهم يا محمد ﴿فَأَنُؤُوا بِكِتَابِ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾، يعني من التوراة والقرآن، ﴿أَتَنَعَهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

[٥٠] ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾، أي لم يأتوا بما

سورة القصص

٣٩٢

سورة القصص

﴿٥٤﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ
 آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَا عَلَيْهِمْ
 قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٧﴾
 أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ
 السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ
 أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا إِنَّا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ
 لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِيلِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ
 اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٦٠﴾ وَقَالُوا إِن
 نَبِّعُ الْمُحْدَى مَعَكَ نَخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ
 حَرَمًا آمِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ تَمَرْتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِ
 بَطَرْتَ مَعِيشَتَهَا أَفَلَا تَمَسْكُهُمْ أَمْ تَتُسَكِّنُ مِنْ بَعْدِهَا
 إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٦٢﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ
 الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ آسَفًا لِيَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا
 كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٦٣﴾

الانتزاع بسرعة، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ
 حَرَمًا آمِنًا﴾، وذلك أن العرب في الجاهلية كانت
 تغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضاً وأهل
 مكة آمنون حيث كانوا، لحرمة الحرم، ومن
 المعروف أنه كان يأمن فيه الطباء من الذناب
 والحمام من الحداة، ﴿يُجِئُ﴾، قرأ أهل المدينة
 ويعقوب: (تجبي) بالتاء لأجل الثمرات،
 والآخرون بالياء للحائل بين الاسم المؤنث
 والفعل، أي يجلب ويجمع، ﴿إِلَيْهِ﴾، يقال:
 جبيت العامة في الحوض أي جمعته، قال مقاتل:
 يحمل إلى الحرم، ﴿تَمَرْتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقًا مِنْ لَدُنَّا
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أن ما يقوله حق.

[٥٤] ﴿أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾، لإيمانهم
 بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾،
 على دينهم، قال مجاهد: نزلت في قوم من أهل
 الكتاب أسلموا فأوذوا، قال ابن عباس رضي الله
 عنهما: يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك،
 قال مقاتل: يدفعون ما سمعوا من الأذى والشتم
 من المشركين بالصفح والعفو والمغفرة، ﴿وَمِمَّا
 رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، في الطاعة.

[٥٥] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾، القبيح من القول،
 ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾، وذلك أن المشركين كانوا يسبون
 مؤمني أهل الكتاب ويقولون: تبأ لكم تركتم دينكم
 فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم، ﴿وَقَالُوا إِنَّا أَعْمَلُنَا
 وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾، لنا ديننا ولكم دينكم، ﴿سَلَمٌ
 عَلَيْكُمْ﴾، ليس المراد منه سلام التحية ولكنه سلام
 المتاركة، معناه سلمتم منا لا نعاوضكم بالشتم
 والقبح من القول، ﴿لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِيلِينَ﴾، أي دين
 الجاهلين، يعني لا نحب دينكم الذي أنتم عليه.
 وقيل: لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسعة،
 وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال.

[٥٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾،
 أي أحببت هدايته. وقيل: أحببته لقربته، ﴿وَلَكِنَّ
 اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، قال مجاهد
 ومقاتل: بمن قُدِّر له الهدى، نزلت في أبي طالب
 قال له النبي ﷺ: قل لا إله إلا الله أشهد لك بها
 يوم القيامة، قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون:
 إنما حملة على ذلك الجزع لأقررت بها عينك،
 فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١).

[٥٧] ﴿وَقَالُوا إِن نَبِّعُ الْمُحْدَى مَعَكَ نَخْطِفُ مِنْ
 أَرْضِنَا﴾، أرض مكة، نزلت في الحارث بن عثمان
 ابن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبي ﷺ: إنا
 لنعلم أن الذي تقول حق ولكننا إن اتبعناك، على
 دينك خفتنا أن تخرجنا العرب من أرضنا مكة، وهو
 معنى قوله: (نتخطف من أرضنا)، والاختطاف

(١) أخرجه مسلم في الإيمان رقم (٢٤) ٥٥/١ والبخاري
 مطولاً بلفظ آخر في التفسير ٦٠٥/٨.

[٦٢] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، في الدنيا أنهم شركائي.

[٦٣] ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أوجب عليهم العذاب وهم رؤوس الضلالة، ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾، أي دعونا إلى الغي وهم الاتباع، ﴿أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾، أضللناهم كما ضللنا، ﴿تَرَانَا إِلَيْنَا﴾ منهم، ﴿مَا كَانُوا إِنَّا يَعْبُدُونَ﴾، برئ بعضهم من بعض وصاروا أعداء كما قال تعالى: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو).

[٦٤] ﴿وَقِيلَ﴾، للكفار، ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾، أي الأصنام لتخلصكم من العذاب، ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾، لم يجيبوهم، ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾، وجواب لو محذوف على تقدير لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا ما رأوا العذاب.

[٦٥] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾، أي يسأل الله الكفار، ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٦٦] ﴿فَعَمِيَتْ﴾، خفيت واشتبهت، ﴿عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾، أي الأخبار والأعداء، وقال مجاهد: الحجج، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، فلا يكون لهم عذر ولا حجة، ﴿فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ﴾: لا يجيبون، وقال قتادة: لا يحتجون، وقيل: يسكتون لا يسأل بعضهم بعضاً.

[٦٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَقَعِيَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾، من السعداء الناجين.

[٦٨] قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، نزلت هذه الآية جواباً للمشركين حين قالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفي، أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم. قوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لَهمُ الْخَيْرُ﴾، قيل: (ما) للإثبات، معناه: ويختار الله ما كان لهم الخير، أي يختار ما هو الأصلح والخير. وقيل: هو للنفي أي ليس إليهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله كما قال تعالى:

[٥٨] قوله عز وجل: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾، أي من أهل قرية، ﴿بَطَرْتُمْ مَعِيشَتَهَا﴾، أي في معيشتها، أي أشرت وطغت، قال عطاء: عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام، ﴿فَلَيْكَ مَسْكَنُهُمْ لَمْ تَشْكُرْ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يسكنها إلا المسافرون وما رأوا الطريق يوماً أو ساعة، معناه لم تسكن من بعدهم إلا سكوناً قليلاً. وقيل: معناه لم يعمر منها إلا أقالها وأكثرها خراب، ﴿وَكُنَّا نَخْنُ الْأَوْرَثِينَ﴾، كقوله: (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها).

[٥٩] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾، أي القرى الكافر أهلها، ﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا﴾، يعني في أكبرها وأعظمها رسولا ينذرهم وخص الأعظم ببعثة الرسول فيها لأن الرسول يبعث إلى الأشراف والأشراف يسكنون المدائن، والمواضع التي هي أم ما حولها، ﴿يَنلُّوا عَلَيْهِمْ عَائِنًا﴾، قال مقاتل: يخبرهم الرسول أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا، ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾، مشركون، يريد أهلكهم بظلمهم.

[٦٠] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ شَيْءٍ مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾، تتمتعون بها أيام حياتكم ثم هي إلى فناء وانقضاء، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، أن الباقي خير من الفاني، قرأ عامة القراء: (تعقلون) بالتاء وأبو عمرو بالخيار بين التاء والياء.

[٦١] ﴿أَفَنَنْ وَعَدْنَهُ وَعَدًّا حَسَنًا﴾، أي الجنة، ﴿فَهُوَ لَقِيهِ﴾، مصيبه ومدركه وصائر إليه، ﴿كَمْ مَنَعْنَهُ مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، ويزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ النار، قال قتادة: يعني المؤمن والكافر، قال مجاهد: نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل، وقال محمد بن كعب: نزلت في حمزة وعلي وأبي جهل، وقال السدي: نزلت في عمار والوليد بن المغيرة.

سورة القصص

٣٩٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٩﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧١﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٧٢﴾ وَقِيلَ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٤﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٧٥﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَحَسْبُكَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧٧﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٩﴾

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة، والخيرة اسم من الاختيار يقام مقام المصدر، وهي اسم للمختار أيضاً كما يقال: محمد خيرة الله من خلقه، ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. [٦٩] ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، يظهرون.

[٧٠] ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾، يحمد أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الآخرة في الجنة، ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾، فصل القضاء بين الخلق. قال ابن عباس رضي الله عنهما: حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل معصيته بالشقاء، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٧١] قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾، أخبروني يا أهل مكة، ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾، دائماً، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾، لا نهار معه، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾، بنهار تطلبون فيه المعيشة، ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، سماع فهم وقبول.

[٧٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني يا أهل مكة ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾، لا دليل فيه، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، ما أنتم عليه من الخطأ.

[٧٣] ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾، أي في الليل، ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالنهار، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، نعم الله عز وجل.

[٧٤] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، كرر ذكر النداء للمشركين لزيادة التقرير والتوبيخ.

[٧٥] ﴿وَنَزَعْنَا﴾، أخرجنا، ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾، يعني رسولهم الذي أرسل إليهم كما قال: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، ﴿فَقُلْنَا

هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾، حجتكم بأن معي شريكاً. ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ﴾، التوحيد، ﴿لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، في الدنيا.

[٧٦] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ قُرُونَكُمْ كَاتٍ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾، كان ابن عمه لأنه قارون بن يصر بن قاهث ابن لاوي بن يعقوب عليه السلام، وموسى بن عمران بن قاهث، وقال ابن إسحاق: كان قارون عم موسى كان أخا عمران، وهما ابنا يصر، ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة من قارون، ولكنه نافق كما نافق السامري، ﴿فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ﴾، قيل: كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل، فكان يبغى عليهم ويظلمهم، وقال قتادة: بغى عليهم بكثرة المال، وقال الضحاك: بغى عليهم بالشرك، وقيل: بغى عليهم بالكبر والعلو ﴿وَأَنبَأْنَاهُ مِنَ الْكُذُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾، هي جمع مفتاح وهو الذي يفتح به

الباب، هذا قول قتادة ومجاهد وجماعة، وقيل: مفاتيح خزائنه، كما قال: (وعنده مفاتيح الغيب) أي خزائنه ﴿لَنَسُوهُ بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾، لتثقلهم أي وتميل بهم إذا حملوها لثقلها، قال أبو عبيدة: هذا من المقلوب تقديره: ما إن العصبة لتنوء بها، يقال: ناء فلان بكذا إذا نهض به مثقلًا، واختلفوا في عدد العصبة، قال مجاهد: ما بين العشرة إلى خمسة عشر، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقال قتادة: ما بين العشرة إلى الأربعين. وقيل: أربعون رجلًا. وقيل: سبعون ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾، قال لقارون قومه من بني إسرائيل، ﴿لَا تَفْرَحْ﴾، لا تبطر ولا تأشر ولا تفرح، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾، الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم.

[٧٧] ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾، اطلب فيما أعطاك الله من الأموال والنعمة الجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه في رضا الله، ﴿وَلَا تَسْكُ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، قال مجاهد وابن زيد: لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا أن يعمل للآخرة وقال السدي: بالصدقة وصلة الرحم، وقال علي: لا تنس صحتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة، قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» الحديث صحيح مرسل^(١). قال الحسن: أمر أن يقدم الفضل ويمسك ما يغنيه، قال منصور بن زاذان في قوله: (ولا تنس نصيبك من الدنيا) قال: قوتك وقوت أهللك، ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، أي أحسن بطاعة الله كما أحسن الله إليك بنعمته وقيل: أحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك، ﴿وَلَا تَبْغِ﴾، لا تطلب، ﴿الْفَسَادَ فِي

٢٩٤

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَّا تَسْمَعُونَ ﴿٧٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ لَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَمْ لَّا تَبْصُرُونَ ﴿٧٩﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٠﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٨١﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٢﴾ إِنْ قَرُّوْنَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَعَنَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُتُبِ مَا أَنْ مَفَاتِحُهُ لِنُصُورِ بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٤﴾

الْأَرْضِ﴾، وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الأرض، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[٧٨] ﴿قَالَ﴾، يعني قارون، ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلاً لذلك فضّلني بهذا المال عليكم كما فضّلني بغيره، قيل: هو علم الكيمياء، قال سعيد ابن المسيب: كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع ابن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف

(١) أخرجه مرسلًا كما ذكر المصنف أبو نعيم في الحلية ٤/ ١٤٨ والخطيب البغدادي في اقتضاء العلم والعمل ص ٢١٨ وابن أبي شيبة في المصنف ١٣/ ٢٢٣ ووصله الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي وأخرجه المصنف في شرح السنة ١٤/ ٢٢٤ وابن المبارك في الزهد ص ٢ بسند صحيح. انظر فتح الباري ١١/ ٢٣٥.

ألم تعلم، وقال قتادة: ألم تر. قال الفراء: هي كلمة تقرير كقول الرجل أما ترى إلى صنع الله وإحسانه. وعن الحسن: أنه كلمة ابتداء تقديره أن الله ييسط الرزق. وقيل: هو تنبيه بمزلة إلا وقال قطرب: ويك بمعنى ويلك حذفت اللام منه وقال الخليل: وي مفصولة من كأن ومعناها التعجب كما يقول: وي لم فعلت ذلك، وذلك أن القوم تندموا فقالوا: وي متندمين على ما سلف منهم وكأن معناه أظن ذلك وأقدره، كما تقول: كأن الفرح قد أتاك أي أظن ذلك وأقدره، ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾، أي يوسع ويضيق، ﴿لَوْلَا أَن مِّنْ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾، قرأ حفص ويعقوب بفتح الخاء والسين وقرأ العامة بضم الخاء وكسر السين، ﴿وَيَكَانَهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿تَاكُ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا

[٨٢] ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ ، صار أولئك الذين تمنوا ما رزقه الله من المال والزينة يتندمون على ذلك التمني ﴿يَقُولُونَ وَيَكُنْ لِلَّهِ﴾ ، اختلفوا في معنى هذه اللفظة ، قال مجاهد :

سورة القصص

٣٩٦

سورة القصص

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي
أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتُ
تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنِّي رَبِّكَ
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ
اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا
يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا
لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ
جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

[٨٦] قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ
الْكِتَابُ﴾، أي يوحى إليك القرآن، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنِّي
رَبِّكَ﴾، قال الفراء: هذا من الاستثناء المنقطع
معناه لكن ربك رحمك فأعطاك القرآن، ﴿فَلَا
تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾، أي معيّنًا لهم على دينهم.
وقال مقاتل: وذلك حين دُعِيَ إلى دين آبائه فذكر
الله نعمه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه.

[٨٧] ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾، يعني
القرآن، ﴿بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، إلى
معرفة وتوحيده، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، قال
ابن عباس رضي الله عنهما: الخطاب في الظاهر
للنبي ﷺ والمراد به أهل دينه أي لا تظاهروا الكفار
ولا توافقوهم.

[٨٨] ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ﴾، أي فصل

لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾، قال الكلبي ومقاتل:
استكبارًا عن الإيمان، وقال عطاء: علوًا واستطالة
على الناس وتهاونًا بهم. وقال الحسن: لم تطلبوا
الشرف والعز عند ذي سلطانها. وعن علي رضي
الله عنه: أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة
وأهل القدرة، ﴿وَلَا فَسَادًا﴾، قال الكلبي: هو
الدعاء إلى عبادة غير الله. وقال عكرمة: أخذ
أموال الناس بغير حق. قال ابن جريج ومقاتل:
العمل بالمعاصي، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، أي
العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بأداء أمره
واجتناب معاصيه. قال قتادة: الجنة للمتقين.

[٨٤] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ
بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾.

[٨٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ
الْقُرْآنَ﴾، أي أنزل عليك القرآن - على قول أكثر
المفسرين - وقال عطاء: أوجب عليك العمل
بالقرآن، ﴿لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، إلى مكة، وذلك أن النبي
ﷺ لما خرج مهاجرًا إلى المدينة سار في غير الطريق
مخافة الطلب فلما أمن ورجع إلى الطريق نزل
الجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة
اشتاق إليها، فأثاه جبريل وقال: أتشتاق إلى بلدك
ومولذك؟ قال: نعم، قال: فإن الله تعالى يقول: (إن
الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) وهذه الآية
نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية. وروى سعيد
ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لرادك
إلى معاد﴾ إلى الموت. وقال الزهري وعكرمة: إلى
القيامة. وقيل: إلى الجنة. ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ
بِالْهُدَىٰ﴾، أي يعلم من جاء بالهدى وهذا جواب
لكفار مكة لما قالوا للنبي ﷺ: إنك لفي ضلال،
فقال الله عز وجل: قل لهم ربي أعلم من جاء بالهدى
أي يعلم من جاء بالهدى يعني نفسه، ﴿وَمَنْ هُوَ فِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، يعني المشركين ومعناه أعلم بالفريقين.

القضاء، ﴿وَالِيهِ تَرْجَعُونَ﴾، تردون في الآخرة فيجزئكم بأعمالكم.

(٢٩) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

الآية، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْكَلِيمُ﴾.

[٦] ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾، له ثوابه، والجهاد هو الصبر على الشدة ويكون ذلك في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، عن أعمالهم وعباداتهم.

[٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾، لنبطلنها يعني حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل، فالتكفير إذهاب السيئة بالحسنة، ﴿وَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، أي بأحسن أعمالهم وهو الطاعة، وقيل: نعطهم أكثر مما عملوا وأحسن، كما قال: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها).

[٨] قوله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾، أي برًا بهما عطفًا عليهما، معناه ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن، نزلت هذه الآية والتي في سورة لقمان والأحزاب في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأمه: حمزة بنت أبي سفيان ابن أمية بن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الأولين وكان بارًا بأمه قالت له أمه: ما هذا الدين الذي أحدثت؟! والله لا أكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت فتعير بذلك أبد الدهر، فجاء سعد إليها وقال: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني فكلي وإن شئت فلا تأكلي، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمر بالبر بوالديه والإحسان إليهما وأن لا يطعهما في الشرك، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾، جاء في الحديث: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(١)

[٢، ١] ﴿الْعَرَّةَ أَحْسَبَ النَّاسُ﴾، أظن الناس، ﴿أَنْ يَتْرَكُوا﴾ بغير اختبار ولا ابتلاء، ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾، أي بأن يقولوا، ﴿ءَأَمَكَا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم كلا لنختبرنهم ليبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب وقيل: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ بالأوامر والنواهي، وذلك أن الله تعالى أمرهم في الابتداء بمجرد الإيمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وسائر الشرائع فشق على بعضهم، فأنزل الله هذه الآية، ثم عزاهم فقال:

[٣] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ بَلَدِهِمْ﴾، يعني الأنبياء والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل، وابتلي بنو إسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب، ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِيْنَ صَدَقُوا﴾، في قولهم آمنا، ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾، والله أعلم بهم قبل الاختبار، ومعنى الآية: وليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه، وقال مقاتل: فليرين الله. وقيل: ليميز الله كقوله: (ليميز الله الخبيث من الطيب).

[٤] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾، يعني الشرك، ﴿أَنْ يَسْفُتُونَا﴾، يُعْجِزُونَا ويفوتونا فلا نقدر على الانتقام منهم، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، أي بش ما حكموا حين ظنوا ذلك.

[٥] ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومقاتل: من كان يخشى البعث والحساب، والرجاء بمعنى الخوف، وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: من كان يطمع في ثواب الله، ﴿فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ﴾. يعني ما وعد الله

(١) رواه الإمام أحمد ٦٦/٥ وصححه الحاكم ٤٤٣/٣ وأخرجه المصنف في شرح السنة ٤٤/١.

سورة العنكبوت

٣٩٧

الَّذِينَ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

وقيل: هو جزم على الأمر كأنهم أمروا أنفسهم بذلك فأكذبهم الله عز وجل فقال: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، أي فيما قالوا من حمل خطاياهم.

[١٣] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾، أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم، ﴿وَأَنفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾، أي أوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم، نظيره قوله عز وجل: (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم)، ﴿وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، سؤال توبيخ وتقريع.

[١٤] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾، فغرقوا، ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾، قال ابن عباس: مشركون.

ثم أوعد بالمصير إليه فقال: ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، أخبركم بصلح أعمالكم وسيئها فأجازيكم عليها.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾، في زمرة الصالحين وهم الأنبياء والأولياء، وقيل: في مدخل الصالحين، وهو الجنة.

[١٠] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾، أصابه بلاء من الناس افتتن، ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾، أي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة، أي جزع من عذاب الناس ولم يصبر عليه، فأطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه، هذا قول السدي وابن زيد، قالوا: هو المنافق إذا أُوذِيَ في الله رجع عن الدين وكفر، ﴿وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾، أي فتح ودولة للمؤمنين ﴿لَيَقُولُنَّ﴾، يعني هؤلاء المنافقين للمؤمنين، ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾، على عدوكم وكنا مسلمين وإنما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فكذبهم الله وقال: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾، من الإيمان والنفاق.

[١١] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، صدقوا فثبتوا على الإسلام عند البلاء، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾، بترك الإسلام عند نزول البلاء قال الشعبي: هذه الآيات العشر من أول السورة إلى ههنا مدنية وباقي السورة مكية.

[١٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾، قال مجاهد: هذا من قول كفار مكة لمن آمن منهم، وقال الكلبي ومقاتل: قاله أبو سفيان لمن آمن من قريش: اتبعوا سبيلنا ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبيكم، فذلك قوله: ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ أوزاركم، قال الفراء: لفظه أمر معناه خبر، مجازة: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم كقوله: (فليلقه اليم بالساحل)،

[١٥] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفَةِ﴾، يعني من الغرق، ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾، يعني السفينة ﴿ءَايَةً﴾، أي عبرة، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾، فإنها كانت باقية على الجودي مدة مديدة. وقيل: جعلنا عقوبتهم للغرق عبرة.

[١٦] قوله تعالى: ﴿وَأَبْرَاهِيمَ﴾، أي وأرسلنا إبراهيم، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾، أطيعوه وخافوه ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

[١٧] ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ أصنامًا، ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾، تقولون كذبًا، قال مقاتل: تصنعون أصنامًا بأيديكم فتسمونها آلهة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾، لا يقدرُونَ أن يرزقوكم، ﴿فَاتَّبِعُوا﴾، فاطلبوا، ﴿عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَإِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾، مثل عاد وثمود وغيرهم فأهلكوا، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَعُ أَلْمِيتِ﴾.

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾، كيف يخلقهم ابتداء نطفة ثم علقه ثم مضغه ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ في الآخرة بعد البعث ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

[٢٠] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ فانظروا إلى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم، ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾، أي ثم الله الذي خلقها ينشئها نشأة ثانية بعد الموت، فكما لم يتعذر عليه إحداثها مبتدئًا لا يتعذر عليه إنشاؤها معيدين ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢١] ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾، تردون.

[٢٢] ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ والخطاب مع آدميين وهم ليسوا في السماء؟ قال الفراء: معناه ولا من في السماء بمعجز أي لا

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَأَبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَاتَّبِعُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَعُ أَلْمِيتِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثِرَةِ اللَّهِ وَلَقَايَهُ أُولَئِكَ يَبْسُؤُا مِّن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

يعجزه أهل الأرض في الأرض ولا أهل السماء في السماء. وقال قطرب: معناه وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء لو كنتم فيها ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، أي من ولي يمنعكم مني ولا نصير ينصركم من عذابي.

[٢٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثِرَةِ اللَّهِ وَلَقَايَهُ﴾ بالقرآن وبالبعث، ﴿أُولَئِكَ يَبْسُؤُا مِّن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فهذه الآيات في تذكير أهل مكة وتحذيرهم، وهي معترضة في قصة إبراهيم ثم عاد إلى قصة إبراهيم، فقال جل ذكره:

[٢٤] ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾، وجعلها عليه بردًا وسلامًا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، يصدقون.

[٢٥] ﴿وَقَالَ﴾، يعني إبراهيم لقومه، ﴿إِنَّمَا

سورة العنكبوت

٣٩٩

سورة العنكبوت

فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَفَتُلَوِّهُنَّ وَحَرِّفُوهُ
فَأَنجَحَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٧﴾ ﴿فَمَا مِنْ لَوْطٍ وَقَالَ
إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ
وَعَآيَتَهُ آجِرَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ الصَّالِحِينَ
﴿٢٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَحِشَةَ
مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾
أَيُّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ
فِي نَكَاحِكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا
أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ
﴿٣١﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾

استفهام، واتفقوا على استفهام الثانية، ﴿لَأَتُونَ
الْفَحِشَةَ﴾، وهي إتيان الرجال، ﴿مَا سَبَقَكُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

[٢٩] ﴿أَيُّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ
السَّبِيلَ﴾، وذلك أنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن
يمرّ بهم من المسافرين، فترك الناس الممر بهم،
وقيل: تقطعون سبيل النسل بإيثار الرجال على
النساء، ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَكَاحِكُمُ الْمُنْكَرَ﴾، النادي
والندى والامتددي مجلس القوم ومتحدثهم ﴿فَمَا
كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾، لما أنكر عليهم لوط ما
يأتونه من القبائح، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾، له استهزاء
﴿أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، أن
العذاب نازل بنا، فعند ذلك.

[٣٠] ﴿قَالَ﴾، لوط، ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ
الْمُفْسِدِينَ﴾، بتحقيق قولي في العذاب.

أَتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾، قرأ ابن
كثير والكسائي وأبو عمرو ويعقوب: ﴿مَوَدَّةُ﴾ رفعاً
بلا تنوين، ﴿بَيْنِكُمْ﴾ خفضاً بالإضافة على معنى:
إن الذين اتخذتم من دون الله أوثاناً هي مودة
بينكم، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، ثم هي تنقطع ولا
تنفع في الآخرة، وقرأ حمزة وحفص (مودة) نصباً
بغير تنوين على الإضافة بوقوع الاتخاذ عليها، وقرأ
الآخرون ﴿مَوَدَّةُ﴾ منصوبة منونة بينكم بالنصب،
معناه إنكم اتخذتم هذه الأوثان مودةً بينكم في
الحياة الدنيا تتواردون على عبادتها وتتواصلون
عليها في الدنيا، ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، تتبرأ الأوثان من
عابديها وتتبرأ القادة من الأتباع وتلعن الأتباع
القادة، ﴿وَمَا وَنَّكُمْ﴾، جميعاً العابدون
والمعبودون، ﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾.

[٢٦] ﴿فَمَا مِنْ لَوْطٍ﴾، يعني صدقه وهو أول
من صدق إبراهيم وكان ابن أخيه، ﴿وَقَالَ﴾ يعني
إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾، فهاجر من كوثي
وهو من سواد الكوفة إلى حران ثم إلى الشام ومعه
لوط وامراته سارة وهو أول من هاجر، قال مقاتل:
هاجر إبراهيم عليه السلام وهو ابن خمس وسبعين
سنة، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[٢٧] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ
النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾، يقال: إن الله لم يبعث نبياً بعد
إبراهيم إلا من نسله، ﴿وَعَآيَتُهُ آجِرُهُ فِي الدُّنْيَا﴾،
وهو الثناء الحسن فكل أهل الأديان يتولونه، وقال
السدي: هو الولد الصالح، وقيل: هو أنه رأى
مكانه في الجنة، ﴿وَأَيْنُهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ الصَّالِحِينَ﴾،
أي في زمرة الصالحين. قال ابن عباس: مثل آدم
ونوح.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
إِنَّكُمْ﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو
بكر: ﴿أَيُّكُمْ﴾ بالاستفهام، وقرأ الباقر بلا

[٣١] ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾، من الله بإسحاق ويعقوب، ﴿قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾، يعني قوم لوط، والقرية سدوم، ﴿إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

[٣٢] ﴿قَالَ﴾، إبراهيم للرسل، ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا﴾، قالت الملائكة، ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّ﴾، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: (لننجيه) بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَدِيرِينَ﴾، أي الباقيين في العذاب.

[٣٣] ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾، ظن أنهم من الإنس، ﴿سَيِّءَ بِهِمْ﴾، حزن بهم، ﴿وَصَافَ بِهِمْ﴾، بمجيئهم ﴿ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ﴾، من قومك علينا، ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾، يهلكنا إياهم، ﴿إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَدِيرِينَ﴾، قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب: ﴿منجوك﴾ بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد.

[٣٤] ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾، قرأ ابن عامر بالتشديد، وقرأ الآخرون بالتخفيف، ﴿عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا﴾، عذابًا، ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾، قال مقاتل: الخسف والحصب، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا﴾، من قريات لوط، ﴿ءَايَةً بَيِّنَةً﴾، عبرة ظاهرة، ﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول، قال ابن عباس: الآية البينة هي آثار منازلهم الخربة. وقال قتادة: هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الأمة. وقال مجاهد: هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض.

[٣٦] ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾، أي وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبًا، ﴿فَقَالَ يَنْقُومَ بَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾، أي واخشوا اليوم الآخر، ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

[٣٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَاخْتَدَّهُمُ الرِّجْحَةُ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (٣١)
 قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَدِيرِينَ (٣٢)
 وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئَ بِهِمْ وَصَافَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَدِيرِينَ (٣٣)
 إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤)
 وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)
 وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومَ بَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦)
 فَكَذَّبُوهُ فَاخْتَدَّهُمُ الرِّجْحَةُ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ (٣٧)
 وَعَادَا وَثَمُودَا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلْتُمْ فَصْدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)
 وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾، أي وأهلكنا عادًا وثمود، ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾، منازلهم بالحجر واليمن، ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلْتُمْ فَصْدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾، عن سبيل الحق ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾، قال مقاتل والكلبي و قتادة: كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسون أنهم على هدى، وهم على الباطل، والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين، قال الفراء: كانوا عقاء ذوي بصائر.

[٣٨] ﴿وَعَادَا وَثَمُودَا﴾، أي وأهلكنا عادًا وثمود، ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿مِنْ مَسْكِنِهِمْ﴾، منازلهم بالحجر واليمن، ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلْتُمْ فَصْدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾، عن سبيل الحق ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾، قال مقاتل والكلبي و قتادة: كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسون أنهم على هدى، وهم على الباطل، والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين، قال الفراء: كانوا عقاء ذوي بصائر.

[٣٩] ﴿وَقُرُونًا وَفَرْعُونَ وَهَمَانَ﴾، أي وأهلكنا هؤلاء، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾، بالدلالات، ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيَةً﴾، أي فأتين من عذابنا.

[٤٠] ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُبِهِ فَوَئَتْهُمْ مِّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾، وهم قوم لوط، والحاصب الريح التي

تَحْمِلُ الْحَصَا وَهِيَ الْحَصَا الصَّغَارُ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾، يعني ثمود، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني قارون وأصحابه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾، يعني قوم نوح وفرعون وقومه، ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[٤١] ﴿مِثْلَ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولِيَاءَ﴾، أي الأصنام يرجون نصرها ونفعها، ﴿كَمِثْلِ الْعَنَكَبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا﴾، لنفسها تأوي إليه، وإن بيتها في غاية الضعف والوهن، لا يدفع عنها حرًا ولا بردًا، فكذلك الأوثان لا تملك لعابديها نفعًا ولا ضرًا. ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنَكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

[٤٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، قرأ أهل البصرة وعاصم يدعون بالياء لذكر الأمم قبلها، وقرأ الآخرون بالناء.

[٤٣] ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ﴾ الأشباه والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول يريد أمثال القرآن التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمة بأحوال كفار الأمم المتقدمة، ﴿نَضْرِبُهَا﴾، نبينها، ﴿لِلنَّاسِ﴾، قال عطاء ومقاتل: لكفار مكة، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾، أي ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله، عن جابر أن النبي ﷺ تلا هذه الآية فقال: (العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه).

[٤٤] قوله عز وجل: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، أي للحق وإظهار الحق، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، في خلقها، ﴿لَايَةً﴾، لدلالة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، على قدرته وتوحيده.

[٤٥] ﴿أَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، يعني القرآن، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، الفحشاء ما قبح من الأعمال

﴿وَقَرُوبَ﴾ و﴿فَرَعُونَ﴾ وَهَنَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مِثْلَ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولِيَاءَ كَمِثْلِ الْعَنَكَبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنَكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ تِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

والمنكر ما لا يعرف في الشرع، قال ابن مسعود وابن عباس: في الصلاة منتهى ومزدرج عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن منكر لم يزد بصلاته من الله إلا بعدًا. وقال الحسن وقتادة: من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه، وقال ابن عون: معنى الآية إن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها. وقيل: أراد بالصلاة القرآن، كما قال تعالى: (ولا تجهز بصلاتك) أي بقراءتك. وقيل: أراد أن يقرأ القرآن في الصلاة فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر قوله عز وجل: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، أي ذكر الله أفضل الطاعات، قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٤٦)
 وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْتَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۖ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾، وذلك أن اليهود وأهل مكة عرفوا أن محمداً نبي والقرآن حق فجحداوا. وقال قتادة: الجحود إنما يكون بعد المعرفة.

[٤٨] ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا﴾، يا محمد، ﴿مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾، يعني من قبل ما أنزل إليك الكتاب، ﴿وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾، يعني ولا تكتبه يعني لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي، ﴿إِذَا لَازَتْكَ الْمُبْطِلُونَ﴾، يعني لو كنت تقرأ أو تكتب قبل الوحي لشك المبطلون

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات ٣١٧/٩، وابن ماجه في الأدب رقم (٣٧٩٠) ١٢٤٥/٢ وصححه الحاكم في المستدرک ٤٩٦/١ ووافقه الذهبي، وأخرجه مالك في الموطأ ٢١١/١ والإمام أحمد في المسند ٤٤٧/٦ والمصنف في شرح السنة ١٦/٥ وقال: حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد ٥١٦/١٣ والمصنف في شرح السنة ٢٦٨/١.

لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: «ذكر الله» (١) وقال قوم: معنى قوله ولذكر الله أكبر أي ذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه وقال عطاء في قوله: ﴿إِنْ الصَّلَاةُ تَنهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، قال: ولذكر الله أكبر من أن تبقى معه معصية. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، قال عطاء: يريد لا يخفى عليه شيء.

[٤٦] قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، لا تخاصموهم، ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أي بالقرآن والدعاء إلى الله بآياته والتنبية على حججه، وأراد من قبل الجزية منهم، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: أي أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب، فجادلهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، ومجاز الآية: إلا الذين ظلموكم لأن جميعهم ظالم بالكفر، وقال سعيد بن جبیر: هم أهل الحرب ومن لا عهد له. قال قتادة ومقاتل: صارت منسوخة بقوله: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله). ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ يريد إذا أخبركم واحد منهم مما قبل الجزية بشيء مما في كتبهم فلا تجادلهم عليه، ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، ﴿وَالِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم» (٢).

[٤٧] قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ يعني كما أنزلنا إليهم الكتاب، ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْتَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، يعني مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه، ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾، يعني أهل مكة، ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾، وهم مؤمنو أهل مكة،

أني لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم يعني لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب، وقيل: يوم بدر، ﴿لَجَأَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْيَنَّهُمْ﴾، يعني العذاب وقيل: الأجل، ﴿بَعَثَهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، بإتيانه.

[٥٤] ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾، أعاده تأكيداً، ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ﴾، جامعة لهم لا يبقى أحد منهم إلا دخلها.

[٥٥] ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ﴾، يصيبهم ﴿الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾، يعني إذا غشيهم العذاب أحاطت بهم جهنم كما قال: (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش)، ﴿يَقُولُ ذُوقُوا﴾، قرأ نافع وأهل الكوفة: ﴿يَقُولُ﴾ بالياء أي ويقول لهم الموكل بعذابهم: ذوقوا، وقرأ الآخرون بالنون لأنه لما كان بأمره نسب إليه، ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، أي جزاء ما كنتم تعملون.

[٥٦] ﴿يَعْبُدُونَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾، قال مقاتل والكلبي: نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول: إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة، إن أرضي يعني المدينة واسعة آمنة، قال مجاهد: إن أرضي واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها. وقال سعيد ابن جبير: إذا عمل في الأرض بالمعاصي فاخرجوا منها فإن أرضي واسعة. وقال عطاء: إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فإن أرضي واسعة، وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتهيأ له العبادة. وقيل: نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا: نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة، فأنزل الله هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج. وقال مطرف بن عبد الله: أرضي واسعة أي رزقي لكم واسع فاخرجوا.

[٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، خوفهم بالموت لنهون عليهم الهجرة أي كل واحد ميت أينما كان

المشركون من أهل مكة، وقالوا: إنه يقرؤه من كتب الأولين وينسخه منها، قاله قتادة. وقال مقاتل: المبطلون هم اليهود، ومعناه إذا لشكوا فيك واتهموك، وقالوا: إن الذي نجد نعتة في التوراة أمني لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت.

[٤٩] ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَظِرُ﴾، قال الحسن: يعني القرآن آيات بينات، ﴿فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: بل هو - يعني محمداً ﷺ - ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب، لأنهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم، ﴿وَمَا يَحْكُدُ عَائِدْتَنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾.

[٥٠] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾، كما أنزل على الأنبياء من قبل، قرأ ابن كثير وحمة والكسائي وأبو بكر آية على التوحيد، وقرأ الآخرون آيات من ربه. قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا آيَاتِي عِنْدَ اللَّهِ﴾، وهو القادر على إرسالها إذا شاء أرسلها، ﴿وَلِنَا أَنَا نَزِيرٌ مُبِينٌ﴾، أنذر أهل المعصية بالنار، وليس إنزال الآيات بيدي.

[٥١] ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾، هذا الجواب لقولهم: (لولا أنزل عليه آيات من ربه) قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾، يعني أولم يكفهم من الآيات القرآن يتلى عليهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، في إنزال القرآن، ﴿لرَّحْمَةً وَذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، أي تذكيراً وعظة لمن آمن وعمل به.

[٥٢] ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾، أني رسوله وهذا القرآن كتابه ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾، قال ابن عباس: بغير الله. وقال قتادة: بعبادة الشيطان، ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[٥٣] ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾، نزلت في النضر بن الحارث حين قال: فأمطر علينا حجارة من السماء ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾، قال ابن عباس: ما وعدتك

فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت، ﴿ثُمَّ إِنِّي أَرْجِعُكُمْ﴾، فنجزيكم بأعمالكم، وقرأ أبو بكر: ﴿يُرْجِعُكُمْ﴾ بالياء.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي بالثاء ساكنة من غير همز فقال: ثوى الرجل إذا أقام وأثوبته إذا أنزلته منزلاً يقيم فيه، وقرأ الآخرون بالباء وفتحها وتشديد الواو وهمزة بعدها أي لننزلنهم، ﴿مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾، علالي، ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ﴾.

[٥٩] ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، يعتمدون.

[٦٠] ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾، وذلك أن النبي ﷺ قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون: «هاجروا إلى المدينة»، فقالوا: كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال، فمن يطعمنا بها ويسقينا؟ فأنزل الله: (وكأين من دابة ذات حاجة إلى غداء، ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أي لا ترفع رزقها معها ولا تدخر شيئاً لغد مثل البهائم والطير، ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾، حيث كنتم، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، السميع لأقوالكم لا نجد ما تنفق بالمدينة، العليم بما في قلوبكم.

[٦١] قوله تعالى: ﴿وَلَّيْن سَأَلْتَهُمْ﴾، يعني كفار مكة، ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَآيٌ يُوقِفُكُمْ﴾.

[٦٢] ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٦٣] ﴿وَلَّيْن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، على أن الفاعل لهذه الأشياء هو الله، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، وقيل: قل الحمد لله على إقرارهم لزوم النعمة عليهم، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، ينكرون

سورة العنكبوت

٤٠٣

سورة العنكبوت

وَسَتَّعِجْلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَ هُرَّ الْعَذَابِ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٢﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَوْمَ يَقْبِضُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ يَبْعَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن أَرْضِي وَسِعَةً فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ ﴿٥٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِنِّي أَرْجِعُكُمْ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَّيْن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَآيٌ يُوقِفُكُمْ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَّيْن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

التوحيد مع إقرارهم أنه الخالق لهذه الأشياء.

[٦٤] قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾، اللهو هو الاستماع بلذات الدنيا، واللعب العبث سميت بهما لأنها فانية ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَئِمَى الْحَيَوةِ﴾ أي الحياة الدائمة الباقية، والحيوان بمعنى الحياة أي فيها الحياة الدائمة، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، فناء الدنيا وبقاء الآخرة.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ﴾، وخافوا الغرق، ﴿دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، وتركوا الأصنام، ﴿فَلَمَّا بَجَّعْنَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾، هذا إخبار عن عنادهم وأنهم عند الشدائد يقرون أن القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده، فإذا زالت عادوا إلى كفرهم، قال عكرمة: كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت بهم الرياح ألقيوها في البحر وقالوا: يا رب يا رب.

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

٤٠٤

الْمِيقَاتِ

وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَاؤُ اللَّهِ تَخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمْنَعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيَنْخَطِفُ الْفُلُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ عَلَى الْأَرْوَامِ ﴿١﴾ غَلَبَتِ الْأَرْوَامُ ۖ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۚ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ يَنْصُرُهُمُ اللَّهُ يَنْصُرُهُمْ مِنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤﴾

(٣٠) سُورَةُ الرُّومِ

[٣-١] ﴿الَّذِينَ عَلَى الْأَرْوَامِ ۖ فِي آدْنَى الْأَرْضِ﴾ أي أقرب أرض الشام إلى أرض فارس، قال عكرمة: هي أذرعات وكسكر، وقال مجاهد: أرض الجزيرة. وقال مقاتل: الأردن وفلسطين. ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ أي الروم من بعد غلبة فارس إياهم، والغلب والغلبة لغتان، ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾، فارس.

[٤] ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾، والبضع ما بين الثلاث إلى السبع، وقيل: ما بين الثلاث إلى التسع. وقيل: ما دون العشرة. وقرأ عبدالله بن عمر وأبو سعيد الخدري والحسن وعيسى بن عمر: ﴿غَلَبَتِ﴾ بفتح الغين واللام، (سَيَغْلِبُونَ) بضم الياء وفتح

[٦٦] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾، هذا لام الأمر ومعناه التهديد والوعيد، كقوله: (اعملوا ما شئتم)، أي ليجحدوا نعمة الله في إنجائهم إياهم، ﴿وَلِيَتَمْنَعُوا﴾، قرأ حمزة والكسائي ساكنة اللام، وقرأ الباقون بكسرهما نسقاً على قوله: (ليكفروا) ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، وقيل: مَنْ كسر اللام جعلها لام كي وكذلك في ليكفروا، والمعنى لا فائدة لهم في الإشراف إلا الكفر والتمتع بما يتمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة.

[٦٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيَنْخَطِفُ الْفُلُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾، يسي بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمنون، ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾، بالأصنام والشيطان، ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾، بمحمد والإسلام، ﴿يَكْفُرُونَ﴾.

[٦٨] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، فزعم أن الله شريكاً وأنه أمر بالفواحش، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾، بمحمد ﷺ والقرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾، استفهام بمعنى التقرير، معناه: أما لهذا الكافر مأوى في جهنم.

[٦٩] ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾، الذين جاهدوا المشركين لنصرة ديننا، ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، لنثبتهم على ما قاتلوا عليه، وقيل: لنزيدهم هدى كما قال: (وزيد الله الذين اهتدوا هدى)، وقيل: لنوفقهم لإصابة الطريق المستقيمة هي التي توصل بها إلى رضا الله عز وجل وقيل: المجاهدة هي الصبر على الطاعات. قال الحسن: أفضل الجهاد مخالفة الهوى. وقال الفضيل بن عياض: والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل الجنة. وقال سهل بن عبدالله: والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة، ورؤي عن ابن عباس: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقباهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٠٥

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ. وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوا وَهَاجَرُوا ثُمَّ رُشِلُمْ بِالْيَتَنَتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السَّوَاءَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْسِلُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا إِشْرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِدُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْحَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

اللام، وقالوا: نزلت حين أخبر النبي ﷺ عن غلبة الروم فارس، ومعنى الآية: ألم غلبت الروم فارس في أدنى الأرض إليكم وهم من بعد غلبهم سيغلبهم المسلمون في بضع سنين، وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم. والأول أصح وهو قول أكثر المفسرين. ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾، من بعد دولة الروم على فارس ومن بعدها فأى الفريقين كان لهم الغلبة فهو بأمر الله وقضائه وقدره. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٥] ﴿يَنْصُرِ اللَّهُ﴾، الروم على فارس، قال السدي: فرح النبي ﷺ والمؤمنون، بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك، ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، الغالب، ﴿الْجِيمُ﴾، بالمؤمنين.

[٦] ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾، نصب على المصدر أي وعد الله وعدًا بظهور الروم على فارس، ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٧] ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعني أمر معاشهم كيف يكتسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وكيف يبنون ويعيشون ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾، ساهون عنها جاهلون لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها.

[٨] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، أي للحق، وقيل: لإقامة الحق، ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي لوقت معلوم إذ انتهت إليه فنيته وهو القيامة، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾.

[٩] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، أولم يسافروا في الأرض فينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم فيعتبروا، ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾، حرثوها وقلبوها للزراعة، ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾، أي أكثر مما عمرها أهل مكة، قيل: قال ذلك لأنه لم يكن

لأهل مكة حرث، ﴿وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾، فلم يؤمنوا فأهلكهم الله، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾، ينقص حقوقهم، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، يخس حقوقهم.

[١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا﴾ أي أساءوا العمل، ﴿أَسْوَءَ﴾، يعني الخلعة التي تسوؤهم وهي النار، وقيل: السوء اسم لجهم كما أن الحسنى اسم للجنة، ﴿أَن كَذَّبُوا﴾، أي لأن كذبوا، وقيل: تفسير السوء ما بعده وهو قوله أن كذبوا يعني ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملهم تلك السيئات على أن كذبوا، ﴿بَيِّنَاتٍ اللَّهُ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾، قرأ أهل الحجاز والبصرة: (عَاقِبَةُ) بالرفع أي ثم كان آخر أمرهم السوء، وقرأ الآخرون بالنصب على خبر كان، وتقديره: ثم كان السوء عاقبة الذين أساءوا.

[١١] قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾،

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

٤٠٦

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ
 فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
 وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
 الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ
 ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ
 تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
 أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
 إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْلَفَ الْأَسْبَابَ وَالْوُجُوهَ
 فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ
 وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
 لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ
 خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ
 بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

قال نافع بن الأزرق لابن عباس: هل تجد صلاة
 الخمس في القرآن؟ قال: نعم، وقرأ هاتين الآيتين،
 وقال: جمعت الآية صلاة الخمس وموافقتها.

[١٩] قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
 الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ
 تُخْرَجُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي (تخرجون) بفتح
 التاء وضم الراء، وقرأ الباقون بضم التاء وفتح
 الراء.

[٢٠] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾، أي
 خلق أصلكم يعني آدم من تراب، ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ
 بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾، تنبسطون في الأرض.

[٢١] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
 أَزْوَاجًا﴾، قيل: من جنسكم من بني آدم، وقيل: خلق
 حواء من ضلع آدم، ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ
 مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، جعل بين الزوجين المودة والرحمة

أي يخلقهم ابتداءً ثم يعيدهم بعد الموت أحياء،
 ولم يقل يعيدهم، رده إلى الخلق، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ﴾، فيجزئهم بأعمالهم.

[١٢] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾، قال
 قتادة والكلبي: يبأس المشركون من كل خير. وقال
 الفراء: ينقطع كلامهم وحجتهم. وقال مجاهد:
 يفتضحون.

[١٣] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُا
 وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾، جاحدين متبرئين
 يتبرؤون منها وتبرأ منهم.

[١٤] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ﴾، أي
 يتميز أهل الجنة من أهل النار. وقال مقاتل:
 يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار فلا يجتمعون
 أبداً.

[١٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ
 فِي رَوْضَةٍ﴾، وهي البستان الذي في غاية النضارة،
 ﴿يُحْبَرُونَ﴾، قال ابن عباس: يكرمون. وقال
 مجاهد وقاتادة: ينعمون. وقال أبو عبيدة: يسرون،
 والحبرة السرور، وقيل: الحبرة في اللغة كل نعمة
 حسنة والتجبر التحسين، وقال الأوزاعي عن يحيى
 ابن أبي كثير: تحبرون هو السماع في الجنة.

[١٦] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ
 الْآخِرَةِ﴾، أي البعث يوم القيامة، ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي
 الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

[١٧] قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَنَ اللَّهِ﴾، أي سبحوا
 الله ومعناه صلوا لله، ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾، أي تدخلوا
 في المساء وهو صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ
 تُصْبِحُونَ﴾، أي تدخلون في الصباح، وهو صلاة
 الصبح.

[١٨] ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قال ابن
 عباس: يحمده أهل السموات والأرض ويصلون له،
 ﴿وَعَشِيًّا﴾، أي صلوا لله عشياً يعني صلاة العصر،
 ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾، تدخلون في الظهيرة وهو الظهر،

فهما يتوادان ويتراحمان وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، في عظمة الله وقدرته.

[٢٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ﴾، يعني اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما، ﴿وَالْوَدَّيْكَ﴾، أيضاً وأسود وأحمر وأنتم ولد رجل واحد وامرأة واحدة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾، قرأ حفص: (للعالمين) بكسر اللام.

[٢٣] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾، أي منامكم بالليل وابتغاءكم من فضله بالنهار أي تصرفكم في طلب المعيشة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، سماع تدبر واعتبار.

[٢٤] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾، للمسافر من الصواعق، ﴿وطمعاً﴾، للمقيم في المطر. ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ﴾، يعني بالمطر، ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، أي بعد يبسا وجدوبتها، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

[٢٥] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرٍ﴾. قال ابن مسعود: قامتا على غير عمد بأمره. وقيل: يدوم قيامهما بأمره، ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾، قال ابن عباس: من القبور، ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾، منها وأكثر العلماء على أن معنى الآية ثم إذا دعاكم دعوة إذا أنتم تخرجون من الأرض.

[٢٦] ﴿وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ لَّمْ يَكُنْ مِنْهُ حَيَاتٌ﴾، مطيعون، قال الكلبي: هذا خاص لمن كان منهم مطيعاً، عن ابن عباس: كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العبادة.

[٢٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، يخلقهم أولاً ثم يعيدهم بعد الموت للبعث، ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾، قال الربيع بن خثيم وقتادة

٤٠٧
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرٍ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مِنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٌ قَلْبُونٌ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقْتِكُمْ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُمْ مَوَاطِنُ فَتَقَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَرَّ وَجْهَهُ لِلَّذِينَ خَنِيفًا فطَرَ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَاسِقُونَ وَلَكِن يَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

والكلبي: أي هو هين عليه وما شيء عليه بعزير. وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وقال مجاهد وعكرمة: وهو أهون عليه أي أيسر ووجهه أنه على طريق ضرب المثل أي هو أهون عليه على ما يقع في عقولكم، فإن الذي يقع في عقول الناس أن الإعادة تكون أهون من الإنشاء، أي الابتداء، وقيل: هو أهون عليه عندهم. وقيل: هو أهون عليه أي على الخلق يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفاً، ثم علماً ثم مضعاً إلى أن يصيروا رجالاً ونساء ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾، أي الصفة العليا ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: هي أنه ليس كمثله شيء، وقال قتادة: هي أنه لا إله إلا هو، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، في ملكه، ﴿الْحَكِيمُ﴾، في خلقه.

[٢٨] ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، أي بين

الذين فطرهم الله على الإسلام ﴿لَا بَدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ فمن حمل الفطرة على الدين قال: معناه. لا تبديل لدين الله وهو خبر بمعنى النهي أي لا تبدلوا دين الله، قال مجاهد وإبراهيم: معنى الآية الزموا فطرة الله أي دين الله واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك، ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾، المستقيم، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقيل: لا تبديل لخلق الله أي ما جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاء لا يبدل فلا يصير السعيد شقيًّا ولا الشقي سعيدًا.

[٣١] ﴿مُنِيبِينَ﴾ أي فأقم وجهك أنت وأمتك منيبن إليه لأن المخاطبة للنبي ﷺ ويدخل معه فيها الأمة كما قال: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء)، ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾، أي راجعين إليه بالتوبة مقبلين إليه بالطاعة ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[٣٢] ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ أي صاروا فرقًا مختلفة وهم اليهود والنصارى. وقيل: هم أهل البدع من هذه الأمة، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، أي راضون بما عندهم.

[٣٣] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾، قحط وشدة، ﴿دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾، مقبلين إليه بالدعاء ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مَنَّ رَحْمَةً﴾، خصبًا ونعمة، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

[٣٤] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ﴾، ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا، هذا خطاب تهديد فقال: ﴿فَتَسْعَوْا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، حالكم في الآخرة.

[٣٥] ﴿أَمْ أَرْزَأْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾، قال ابن عباس: حجة وعذراً، وقال قتادة: كتاباً، ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾، ينطق، ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ﴾، أي ينطق بشركهم ويأمرهم به.

[٣٦] ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾، أي البخصب وكثرة المطر، ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾، يعني فرح البطر، ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾، أي الجذب وقلة المطر ويقال الخوف والبلاء ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، من السيئات،

لكم شبهًا بحالكم، وذلك المثل من أنفسكم ثم بين المثل فقال: ﴿هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، أي عبيدكم وإمائكم، ﴿مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ﴾، من المال، ﴿فَأَنْتُمْ بِهِ سَوَاءٌ﴾، أي شرع أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم، ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، أي تخافون أن يشاركوكم في أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحرّ شريكه الحرّ في المال يكون بينهما أن ينفرد فيه بأمر دونه وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث، وهو يحب أن ينفرد به، قال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضًا فإذا لم تخافوا هذا من مواليكم ولم ترضوا ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي، ومعنى قوله: ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ أي أمثالكم من الأحرار كقوله: (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) أي بأمثالهم، ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ينظرون إلى هذه الدلائل بعقولهم.

[٢٩] ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، أشركوا بالله، ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾، في الشرك، ﴿يَغْيِرُ عَلَيْهِمْ﴾، جهلاً بما يجب عليهم، ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾، أي أضله الله، ﴿وَمَا لَهُمْ بِنَصْرِيتٍ﴾، مانعين يمنعونهم من عذاب الله عز وجل.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾، أي أخلص دينك لله، قاله سعيد بن جبير، وإقامة الوجه إقامة الدين، وقال غيره: سدد عملك، والوجه ما يتوجه إليه الإنسان ودينه وعمله مما يتوجه إليه لتسديده، ﴿حَنِيفًا مَّا نَآلًا مُّسْتَقِيمًا عَلَيْهِ﴾، فِطْرَتِ اللَّهِ، دين الله وهو نصب على الإغراء أي الزم فطرة الله، ﴿الَّتِي فِطَّرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، أي خلق الناس عليها وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين أن المراد بالفطرة الدين وهو الإسلام، وذهب قوم إلى أن الآية خاصة في المؤمنين هم

وَإِذْ أَمْسَأَسَ النَّاسُ ضُرْعَ دَعْوَاهُمْ مُبِينٍ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ
مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِحُوا مِنْهُمْ بَرِيهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٢٢﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا
ءَالَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ أَنْزَلْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانًا فَهُوَ يَسْحَكُ ﴿٢٤﴾ كَذَّبُوا بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْطِفُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ فَآتَى ذَا الْقُرْنَى
حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَاءَ آتَيْنَاهُ مِنْ رَبِّهَا
لَيَبْرُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيءُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَاءَ آتَيْنَاهُ مِنْ دَكُونٍ
تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ ﴿٢٩﴾ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعْسِكُمْ ثُمَّ يُعْجِبُكُمْ هَلْ مِنْ
شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ كُمْ مِنْ شَيْءٍ عَسْبَحْنَاهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾

الله فلا يربوا عند الله لأنه لم يرد به وجه الله تعالى، ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ مِنْ دَكُونٍ﴾، أعطيتهم من صدقة ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ﴾، فيضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها، فالمضعف ذو الأضعاف من الحسنات، تقول العرب: القوم مهزولون ومسمنون إذا هزلت أو سمت إيلهم.

[٤٠] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعْسِكُمْ ثُمَّ يُعْجِبُكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ كُمْ مِنْ شَيْءٍ عَسْبَحْنَاهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

[٤١] قوله عز وجل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، يعني قحط المطر وقلة النبات وأراد بالبر البوادي والمفاوز وبالبحر المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية. قال عكرمة: العرب تسمى المصر بحرًا يقال: أجذب البر وانقطعت مادة البحر، ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾، أي بشؤم

﴿إِذَا هُمْ يَقْطِفُونَ﴾، يياسون من رحمة الله، وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر الله عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة.

[٣٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿فَآتَى ذَا الْقُرْنَى حَقَّهُ﴾، من البر والصلة، ﴿وَالْمِسْكِينَ﴾، وحقه أن يتصدق عليه، ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾، يعني المسافر، وقيل: هو الضعيف، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾، يطلبون ثواب الله بما يعملون، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[٣٩] قوله عز وجل: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ مِنْ رَبِّهَا﴾، قرأ ابن كثير: (أتيتم) مقصوراً وقرأ الآخرون بالمد أي أعطيتهم، ومن قصر فمعناه ما جئتم من ربا ومجئتهم ذلك على وجه الإعطاء كما يقول: آتيت خطأ وأتيت صواباً فهو يؤول في معنى إلى قول من مد. ﴿لَيَبْرُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب: لتربوا بالتاء وضمها وسكون الواو على الخطاب أي لتربوا أنتم وتصيروا ذوي زيادة من أموال الناس، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها، ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا لقوله: ﴿فَلَا يَرِيءُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، في أموال الناس أي في اختطاف أموال الناس واجتذابها، واختلفوا في معنى الآية، فقال سعيد ابن جبير ومجاهد وطاوس وقتادة والضحاك وأكثر المفسرين: هو الرجل يعطي غيره العطية ليشبه أكثر منها فهذا جائز حلال لكن لا ثواب عليها في القيامة، وهو معنى قوله عز وجل: فلا يربوا عند الله، وكان هذا حراماً على النبي ﷺ خاصة لقوله تعالى: (ولا تمنن تستكثر) أي لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت، وقال النخعي: هو الرجل يعطي صديقه أو قريبه ليكثر ماله ولا يريد به وجه الله. وقال الشعبي: هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ما له التماس عونه لوجه

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

٤٠٩

الْبَاقِيَةُ

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقْرَرُوا وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ، مِنْ اللَّهِ يَوْمٌ يُمِيزُ بَصْدَعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ
كَفَرَ فَلَعَنَهُ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ بِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِجَزَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَنْ أَيْدِيهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَةً وَلِيَذِيقَكُمْ
مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُوكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ
فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا فَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾
وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾
فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

متفرقة، ﴿فَرَى الْوَدْقَ﴾، المطر، ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾،
وسطه، ﴿إِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، أي بالودق، ﴿مِنْ
عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، يفرحون بالمطر.
[٤٩] ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾، وقد كانوا ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ
عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾، أي آيسين، وقيل: وإن
كانوا أي وما كانوا إلا مبلسين، وأعاد قوله من قبله
تأكيداً، وقيل: الأولى ترجع إلى إنزال المطر
والثانية إلى إنشاء السحاب.

[٥٠] ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ أراد برحمة
الله المطر أي انظر إلى حسن تأثيره في الأرض،
قال مقاتل: أثر رحمة الله أي نعمته وهو النبت،
﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ
الْمَوْتَى، يعني أن ذلك الذي يحيي الأرض لمحيي
الموتى، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٥١] ﴿وَإِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ باردة مضرّة فأفسدت

ذنوبهم ﴿لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾، أي عقوبة
بعض الذي عملوا من الذنوب، ﴿وَلَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ﴾، عن الكفر وأعمالهم الخبيثة.

[٤٢] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾، لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية،
﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾، فأهلكوا بكفرهم.

[٤٣] ﴿فَأَقْرَرُوا وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾، المستقيم
وهو دين الإسلام ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ
اللَّهِ﴾، يعني يوم القيامة لا يقدر أحد على رده من
الله ﴿يَوْمَ يُمِيزُ بَصْدَعُونَ﴾، أي يتفرون فريق في الجنة
وفريق في السعير.

[٤٤] ﴿مَنْ كَفَرَ فَلَعَنَهُ كُفْرُهُ﴾، أي وبال كفره،
﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ بِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾، يوطئون
المضاجع ويسوونها في القبور.

[٤٥] ﴿لِجَزَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ
فَضْلِهِ﴾، قال ابن عباس: ليشيهم الله أكثر من ثواب
أعمالهم، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

[٤٦] قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ
مُبَشِّرَةً﴾، تبشر بالمطر، ﴿وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾،
نعمة المطر وهي الخصب، ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُوكُ فِي
الْبَحْرِ بِهَذِهِ الرِّيحِ﴾، ﴿بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾،
لتطلبوا من رزقه بالتجارة في البحر، ﴿وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ﴾، رب هذه النعم.

[٤٧] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى
قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، بالدلالات الواضحات على
صدقهم. ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾، عذبتنا الذين
كذبوهم، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾،
إنجائهم من العذاب ففي هذا تبشير للنبي ﷺ
بالظفر في العاقبة والنصر على الأعداء، قال
الحسن: أنجاهم مع الرسول من عذاب الأمم.

[٤٨] ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا﴾، أي
ينشره، ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، مسيرة يوم أو
يومين أو أكثر على من يشاء، ﴿وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا﴾، قطعاً

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

٤١٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

الزرع، ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ أي والنبت والزرع مصفرًا بعد الخضرة، ﴿ظَلُّوا﴾، لصاروا، ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي من بعد إصفرار الزرع، ﴿يَكْفُرُونَ﴾، يجحدون ما سلف من النعمة يعني أنهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذابًا على زرعهم جحدوا سالف نعمتي.

[٥٢] ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ النُّفُسَ الدَّاعِيَةَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.

[٥٣] ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

[٥٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾، قرئ بضم الضاد وفتحها، فالضم لغة قريش، والفتح لغة تميم، ومعنى من ضعف أي من نطفة يريد من ذي ضعف أي من ماء ذي ضعف كما قال تعالى: (ألم نخلقكم من ماء مهين)، ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾، من بعد ضعف الطفولية شبابًا وهو وقت القوة، ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، من الضعف والقوة والشباب والشيبة، ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾، بتدبير خلقه، ﴿الْقَدِيرُ﴾، على ما يشاء.

[٥٥] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾، يحلف المشركون، ﴿مَا لَنَا بِالدُّنْيَا﴾، إلا ساعة استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة، وقال مقاتل والكلبي: ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كما قال: (كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار). ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾، يصرفون عن الحق في الدنيا، قال الكلبي ومقاتل: كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا أن لا بعث، والمعنى أن الله أراد أن يفضحهم فحلفوا على شيء يبين لأهل الجمع أنهم كاذبون فيه، وكان ذلك بقضاء الله وبقدره بدليل قوله: ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ أي يصرفون عن الحق، ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال:

[٥٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه

من اللبث في القبور، وقيل: في كتاب الله أي في حكم الله، وقال قتادة ومقاتل: فيه تقديم وتأخير تقديره: وقال الذين في كتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يوم البعث يعني الذين يعلمون كتاب الله، وقرأوا قوله تعالى: (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون)، أي قالوا للمتكبرين لقد لبثتم، ﴿إِلَّا يَوْمَ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ﴾، الذي كنتم تنكرونه في الدنيا، ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل.

[٥٧] قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَذِي لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾، يعني عذرهم، ﴿وَلَا هُمْ يُسْعَفُونَ﴾، لا يطلب منهم العتبي والرجوع إلى الدنيا.

[٥٨] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ يَقُولُوا الدِّينُ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾، ما أنتم إلا على باطل.

[٥٩] ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله.

[٦٠] ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾، في نصرتك وإظهارك على عدوك ﴿وَلَا يَسْتَخْفِكَ﴾، لا يستجھلك معناه لا يحملتك الذين لا يوقنون على الجهل واتباعهم في الغي وقيل: لا يستخفن رأيك وحلمك، ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، بالبعث والحساب.

(٣١) سُورَةُ لَقْمَانَ

[٣-١] ﴿الْم ٥ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ٥ هُدًى وَرَحْمَةً﴾، قرأ حمزة (ورحمة) بالرفع على الابتداء أي هو هدى ورحمة، وقرأ الآخرون بالنصب على الحال ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾.

[٥، ٤] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٥ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[٦] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾، الآية. قال الكلبي ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة كان يتجر فيأتي الحيرة ويشترى أخبار العجم فيحدث بها قريشاً فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن، فأنزل الله هذه الآية. وقال مجاهد: يعني شراء القيان والمغنيين، ووجه الكلام على هذا التأويل من يشتري ذات لهو أو ذا لهو الحديث، وعن عبدالله بن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبیر قالوا: لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه، ومعنى قوله: ﴿يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ أي يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن، قال أبو الصباء البكري: سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال: هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات. وعن الضحاك قال: هو الشرك. وقال قتادة: هو كل لهو

ولعب، ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، يعني يفعله عن جهل. قال قتادة: بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق. وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ بنصب الدال عطفاً على قوله: ﴿لِيُضِلَّ﴾ وقرأ الآخرون بالرفع نسقاً على قوله: ﴿يَشْتَرِي﴾، ﴿أُولَئِكَ هُمُ عَذَابُ مُّهِينٍ﴾. [٧] ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَّى مُّسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَافَةٌ﴾ يعذاب أليم. [٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾.

[٩، ١٠] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٥ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْفَلَقِ فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ أَن تَبِيدَ بِكُمْ ٥ وَبَتْ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

٤١٢

سُورَةُ لُقْمَانَ

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعُظُهُ يَبْنَى لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَضَّلَهُ فِي عَمَلَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَى الصَّيْرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى ثَمَرٍ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَى إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنَى أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَى مَا أَمَّاكَ بِهِ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تَصْرَعْ حَذَاكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصَوَاتُ لَصُوتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَوْجٍ كَرِيمٌ، حسن.

[١١] «هَذَا»، يعني الذي ذكرت مما تعانون، «خَلَقَ اللَّهُ فَأَرْوِفُ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ»، من ألهمتكم التي تعبدونها، «بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

[١٢] قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ»، يعني العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور «إِنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ».

[١٣] «وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ»، واسمه أنعم ويقال: مشكم، «وَهُوَ يَعُظُهُ يَبْنَى لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»، قرأ ابن كثير: «يَبْنَى لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ» بإسكان الياء، وفتحها حفص، والباقون بالكسر، «يَبْنَى إِنَّهَا» بفتح الياء حفص، والباقون بالكسر، «يَبْنَى أَقِمِ الصَّلَاةَ» بفتح الياء البزي عن ابن كثير وحفص، وإسكانها القواس، والباقون بكسرها.

[١٤] «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ»، قال ابن عباس: شدة بعد شدة. وقال الضحاك: ضعفاً على ضعف. قال مجاهد: مشقة على مشقة. وقال الزجاج: المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة. ويقال: الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف، «وَفَضَّلَهُ»، أي فطامه، «فِي عَمَلَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَى الصَّيْرِ»، المرجع، قال سفيان بن عيينة في هذه الآية: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أديار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين.

[١٥] «وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا»، أي بالمعروف، وهو البر والصلة والعشرة الجميلة، «وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ»، أي دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي ﷺ وأصحابه، قال عطاء عن ابن

عباس: يريد أبا بكر وذلك أنه حين أسلم أناه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، فقالوا له: قد صدقت هذا الرجل وأمنت به؟ قال: نعم هو صادق فأمنوا به ثم حملهم إلى النبي ﷺ حتى أسلموا فهؤلاء لهم سابقة الإسلام أسلموا بإرشاد أبي بكر، قال الله تعالى: «وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ»، يعني أبا بكر، «ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»، وقيل: نزلت هاتان الآياتان في سعد بن أبي وقاص وأمه وقيل: الآية عامة في حق كافة الناس.

[١٦] «يَبْنَى إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ»، الكناية في قوله: «إِنَّهَا» راجعة إلى الخطيئة، وذلك أن ابن لقمان قال لأبيه: يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله؟ فقال: «يَبْنَى إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ

أعين: سمعت سفيان الثوري يقول في قوله: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾، قال: ضياح كل شيء تسيح لله إلا الحمام. وقال جعفر الصادق في قوله: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ قال: هي العطة القبيحة المنكرة.

[٢٠] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ﴾، أنتم وأكمل، ﴿نِعَمَ﴾ قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وحفص ﴿نِعَمَ﴾ بفتح العين والهاء على الجمع، وقرأ الآخرون منونة على الواحد ومعناها الجمع أيضًا كقوله: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)، ﴿ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾، قال عكرمة عن ابن عباس: النعمة الظاهرة الإسلام والقرآن والباطنة ما ستر عليك من الذنوب ولم يجعل عليك بالنقمة. وقال الضحاك: الظاهرة حسن الصورة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة. وقال مقاتل: الظاهرة تسوية الخلق والرزق والإسلام، والباطنة الإيمان. وقال الربيع: الظاهرة الجوارح والباطنة القلب، وقيل: الظاهرة الإقرار باللسان والباطنة الاعتقاد بالقلب. وقيل: الظاهرة تمام الرزق والباطنة حسن الخلق. وقال عطاء: الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة. وقال مجاهد: الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الأعداء والباطنة الإمداد بالملائكة. وقيل: الظاهرة الإمداد بالملائكة والباطنة إلقاء الرعب في قلوب الكفار. وقال سهل بن عبد الله: الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته، ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، نزلت في النضر بن الحارث وأبي ابن خلف وأميه بن خلف وأشباههم كان يجادلون النبي ﷺ في الله وفي صفاته بغير علم، ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٌ مُنِيرٌ﴾.

[٢١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، قال الله عز وجل: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾، وجواب

فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ، قال قتادة: تكن في جبل. وقال ابن عباس: في صخرة تحت الأرضين السبع ﴿أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾، باستخراجها، ﴿خَيْرٌ﴾، عالم بمكانها، قال الحسن: معنى الآية هي الإحاطة بالأشياء صغيرها وكبيرها.

[١٧] ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَاتْمِرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْتَهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾، يعني من الأذى، ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى فيهما من الأمور الواجبة التي أمر الله بها أو من الأمور التي يعزم عليها لوجوبها.

[١٨] ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ بتشديد العين من غير ألف وقرأ الآخرون ﴿تصاعر﴾ بالألف يقال: صعر وجهه وصاعر إذا مال وأعرض تكبرًا ورجل أصعر أي مائل العنق. قال ابن عباس: يقول لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك. وقال مجاهد: هو الرجل يكون بينك وبينه إحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه. وقال عكرمة: هو الذي إذا سلّم عليه لوى عنقه تكبرًا. وقال الربيع بن أنس وقاتدة: ولا تحتقرن الفقراء ليكن الفقر والغنى عندك سواء، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾. خيلاء تكبرًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ﴾، في مشيه ﴿فَخَوَّزَ﴾، على الناس.

[١٩] ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾، أي ليكن مشيك قصدًا لا تخيلًا ولا إسراعًا. وقال عطاء: امش بالوقار والسكينة، كقوله: (يمشون على الأرض هونا)، ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾، وقال مقاتل: اخفض صوتك، ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾، أقبح الأصوات، ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾، أوله زفير وآخره شهيق، وهما صوتا أهل النار، وقال موسى بن

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْعَىٰ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُہٗ ۚ إِنَّمَا مَرْجُعُهُمَٰ فَنِيئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ لَّئِن مَّتَّبِعْتُمُ قُلُوبًا ثُمَّ نَضَّضْتُمُ إِلَىٰ عَذَابِ غِلَظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ ۖ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

لو محذوف ومجازه يدعوهم فيتبعونه، يعني يتبعون الشيطان وإن كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾، يعني لله أي يخلص دينه لله ويفوض أمره إلى الله، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، في عمله، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾، أي اعتصم بالعهد الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه، ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

[٢٣] ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُہٗ ۚ إِنَّمَا مَرْجُعُهُمَٰ فَنِيئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

[٢٤] ﴿لَّئِن مَّتَّبِعْتُمُ قُلُوبًا﴾، أي نهمهم ليمتعوا بنعيم الدنيا قليلاً إلى انقضاء آجالهم، ﴿ثُمَّ نَضَّضْتُمُ إِلَىٰ عَذَابِ غِلَظٍ﴾، ثم لنجئهم ونردهم في الآخرة، ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غِلَظٍ﴾، وهو عذاب النار.

[٢٥] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٢٦] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

[٢٧] قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ قال قتادة: إن المشركين قالوا: إن القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينفد فيقطع فتزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ أي برت أقلاماً، ﴿وَالْبَحْرُ يَمْدُ﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب: (وَالْبَحْرُ) بالنصب عطفًا على (مَا)، والباقون بالرفع على الاستئناف ﴿يَمْدُ﴾ أي يزيده، وينصب فيه ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ من خلفه، ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾، وفي الآية اختصار تقديره: ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر يكتب بها كلام الله ما نفدت كلمات الله. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

[٢٨] ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةً﴾، أي كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

[٢٩] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزِيلُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُزِيلُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾، أي ذلك الذي ذكرت لتعلموا أن الله هو الحق، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

[٣١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَالَكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْعَمَتِ اللَّهُ﴾، إن ذلك من نعمة الله عليكم، ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾، عجائبه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾، على أمر الله ﴿شَكُورٍ﴾، لنعمه.

[٣٢] ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَاطِلٌ﴾، قال مقاتل: كالجبال. وقال الكلبي: كالسحاب. والظل جمع الظلة شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها وجعل الموج وهو واحد كالظل وهي جمع، لأن الموج يأتي منه شيء بعد شيء، ﴿دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤١٤

سُورَةُ السَّجْدَةِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
الْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْعَمَتِ اللَّهُ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ
كَالظُّلُمِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ إِلَى الْبَرِّ
فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٣٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُقَارِيكُمْ وَأَخْشَوُا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ
عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ
الْغُرُورُ ﴿٣٥﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي
أرض تموت» (١) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

(٣٢) سُورَةُ السَّجْدَةِ

[٢، ١] ﴿الْم ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾، قال مقاتل: لا شك فيه أنه تنزيل من
رب العالمين.

[٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾، بل يقولون ﴿افْتَرَيْنَاهُ﴾، وقيل:
الميم صلة أي يقولون افتراه، استفهام توبيخ،
وقيل: أم بمعنى الواو أي ويقولون افتراه، وقيل:

فَلَمَّا بَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ، أي عدل موف
في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له
يعني ثبت على إيمانه قيل: نزلت في عكرمة بن أبي
جهل هرب عام الفتح إلى البر فجاءتهم ريح
عاصف، فقال عكرمة: لئن أنجانا الله من هذا
لأرجعن إلى محمد ﷺ ولأضعن يدي في يده
فسكنت الريح، فرجع عكرمة إلى مكة فأسلم
وحسن إسلامه. وقال مجاهد: فمنهم مقتصد في
القول مضمّر للكفر. وقال الكلبي: مقتصد في
القول أي من الكفار لأن بعضهم كان أشد قولاً
وأغلب في الافتراء من بعض، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا
إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾، والختر أسوأ الغدر.

[٣٣] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُقَارِيكُمْ وَأَخْشَوُا يَوْمًا لَا
يَجْزِي﴾، لا يقضي ولا يغني، ﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا
مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ﴾، مغن، ﴿عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾، قال ابن
عباس: كل امرئ تهمة نفسه، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ
الْغُرُورُ﴾، يعني الشيطان. قال سعيد بن جبير: هو
أن يعمل المعصية ويتمنى المغفرة.

[٣٤] قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية
نزلت في الحارث بن عمرو من أهل البادية أتى
النبي ﷺ فسأله عن الساعة ووقتها وقال: إن أرضنا
أجدبت فمتى ينزل الغيث وتركت امرأتي حبلً،
فمتى تلد، وقد علمت أين ولدت فبأي أرض
أموت؟ فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ
السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي
نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ
تَمُوتُ﴾، وقرأ أبي بن كعب ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ﴾
والمشهور ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ﴾ لأن الأرض ليس فيها من
علامات التأنيث شيء. وقيل: أراد بالأرض
المكان، عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله
ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس: إن الله عنده علم
الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما

(١) أخرجه البخاري في الاستسقاء ٥٢٤/٢ والمصنف في
شرح السنة ٤٢٢/٤.

سُورَةُ السَّجْدَةِ

٤١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ تَزِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا
 مَّا أَتَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
 ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا
 تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ
 إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ
 عَلِيمُ الْغُيُوبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ
 كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ
 نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ رَسَوْنَهُ وَفَضَحَ فِيهِ
 مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا
 مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا أَلَمْ نَأْتِ الْآرْضَ آبَاءَنَا فَأَلْهَىٰ
 خَلْقَ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتُوقَنكُمْ
 مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ ثُمَّ أَلِىٰ رَبِّكُمْ تَرْجِعُونَ ﴿١١﴾

بعد فناء الدنيا، وانقطاع أمر الأمراء وحكم الحكام
 في يوم مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم
 القيامة، وأما قوله: خمسين ألف سنة فإنه أراد على
 الكافر يجعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين
 ألف سنة وعلى المؤمن دون ذلك حتى جاء في
 الحديث: «أنه يكون على المؤمن كقدر صلاة
 مكتوبة صلاها في الدنيا»^(١) وقال إبراهيم التيمي:
 لا يكون على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر،
 ويجوز أن يكون هذا إخبار عن شدته وهوله
 ومشقته.

[٦] ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغُيُوبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، معنى ذلك
 الذي صنع ما ذكره من خلق السموات والأرض

(١) أخرج نحوه الإمام أحمد في المسند ٧٥/٣ والمصنف
 في شرح السنة ١٢٩/١٥ قال الشيخ الأرنؤوط: وفيه ابن
 لهيعة سيء الحفظ وحسنه الهيثمي في المجمع ٣٣٧/١٠.

فيه إضمار مجاز فهم يؤمنون، أم يقولون افتراه، ثم
 قال: ﴿بَلْ هُوَ﴾، يعني القرآن، ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
 لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَهُمْ﴾، يعني لم يأتهم، ﴿مِنْ نَذِيرٍ
 مِّنْ قَبْلِكَ﴾، قال قتادة: كانوا أمة أمية لم يأتهم
 نذير قبل محمد ﷺ. وقال ابن عباس ومقاتل: ذاك
 في الفترة التي كانت بين عيسى عليه السلام وبين
 محمد ﷺ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

[٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
 فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ
 وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

[٥] ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أي يحكم الأمر وينزل القضاء
 والقدر، ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾، وقيل: ينزل
 الوحي مع جبريل من السماء إلى الأرض، ﴿ثُمَّ
 يَعْرُجُ﴾، يصعد ﴿إِلَيْهِ﴾، جبريل بالأمر، ﴿فِي يَوْمٍ
 كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، أي في يوم
 واحد من أيام الدنيا وقدره مسيرة ألف سنة
 خمسمائة نزوله وخمسمائة صعوده لأن ما بين
 السماء والأرض خمسمائة عام، يقول: لو سار فيه
 أحد من بني آدم لم يقطعه إلا في ألف سنة،
 والملائكة يقطعون في يوم واحد، هذا في وصف
 عروج الملك من الأرض إلى السماء، وأما قوله:
 (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره
 خمسين ألف سنة)، أراد مدة المسافة من الأرض
 إلى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل يسير جبريل
 والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين
 ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا، هذا كله
 معنى قول مجاهد والضحاك. وقوله: إليه أي إلى
 الله. وقيل: على هذا التأويل إلى مكان الملك
 الذي أمره الله عز وجل أن يعرج إليه. وقال
 بعضهم: ألف سنة وخمسون ألف سنة كلها في
 القيامة يكون على بعضهم أطول وعلى بعضهم
 أقصر، معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة
 أيام الدنيا، ثم يعرج أي يرجع الأمر والتدبير إليه

[١٢] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ﴾، المشركون، ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾، مطأطؤ رؤوسهم، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، حياء منه وندماً. ﴿رَبَّنَا﴾، أي يقولون: ربنا ﴿أَبْصَرْنَا﴾، ما كنا به مكذبين، ﴿وَسَمِعْنَا﴾، منك تصديق ما أتنا به رسلك. وقيل: أبصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فينا، ﴿فَارْجِعْنَا﴾، فارددنا إلى الدنيا، ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾، وجواب لو مضمّر مجازة لرأيت العجب.

[١٣] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾، رشدًا وتوفيقًا للإيمان، ﴿وَلَكِنْ حَقَّ﴾، وجب، ﴿الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْغِنَىٰ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، وهو قوله لإبليس: (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين)، ثم يقال لأهل النار، وقال مقاتل: إذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة.

[١٤] ﴿فَتَوَقُّوا يَمَا سَيْبْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾، أي تركتم الإيمان به في الدنيا، ﴿إِنَّا نَسِينَكُمُ﴾، تركناكم ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، من الكفر والتكذيب.

[١٥] قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾، وعظوا بها، ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾، سقطوا على وجوههم ساجدين، ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، قيل: صلوا بأمر ربهم، وقيل: قالوا: سبحان الله وبحمده، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، عن الإيمان والسجود له.

[١٦] ﴿نَتَجَافَىٰ﴾، ترتفع وتنبوا، ﴿جُنُودُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتهجدون بالليل، الذين يقومون للصلاة، واختلفوا في المراد بهذه الآية، قال أنس: نزلت فينا معشر الأنصار كُتَا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي ﷺ. وعن أنس أيضًا قال: نزلت في أناس من أصحاب النبي ﷺ كانوا يصلون من

عالم ما غاب عن عيان الخلق وما حضر، ﴿الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.

[٧] ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾، قرأ نافع وأهل الكوفة ﴿خَلَقَكُمْ﴾ بفتح اللام على الفعل وقرأ الآخرون بسكونها، أي أحسن خلق كل شيء، قال ابن عباس: أتقنه وأحكمه. قال قتادة: حسن. وقال مقاتل: علم كيف يخلق كل شيء، من قولك: فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه. وقيل: خلق كل حيوان على صورته لم يخلق البعض على صورة البعض، فكل حيوان كامل في خلقه حسن، وكل عضو من أعضائه مقدر بما يصلح به معاشه، ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾، يعني آدم.

[٨] ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾، يعني ذريته، ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾، نطفة سميت سلالة لأنها تسل من الإنسان ﴿مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ﴾، أي ضعف وهو نطفة الرجل.

[٩] ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾، ثم سوى خلقه، ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾، ثم عاد إلى ذريته، فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾، بعد أن كنتم نطفًا، ﴿السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، يعني لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدهونه.

[١٠] ﴿وَقَالُوا﴾، يعني منكري البعث، ﴿إِذَا ضَلَلْنَا﴾، هلكنا، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، وصرنا ترابًا وأصله من قولهم: ضل الماء في اللبن إذا ذهب، ﴿أَوْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، استفهام إنكار. قال الله عز وجل: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ﴾، أي بالبعث بعد الموت.

[١١] ﴿قُلْ يَنفُخُكُمْ﴾، يقبض أرواحكم، ﴿مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾، أي وكل بقبض أرواحكم وهو عزرائيل، والتوفي استيفاء المضروب للخلق في الأزل، معناه أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كتب عليه الموت ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، أي تصيرون إليه أحياء فيجزئكم بأعمالكم.

وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾
أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾
فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْهُمْ مُتَنَظِّرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

[١٩] ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ
الْمَأْوَىٰ﴾، التي يأوي إليها المؤمنون، ﴿تُرْلًا يَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ
يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾.

[٢١] ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ
الْأَكْبَرِ﴾، أي سوى العذاب الأكبر، ﴿لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ﴾ قال أبي بن كعب والضحاك والحسن
 وإبراهيم: العذاب الأدنى مصائب الدنيا
 وأسقامها، وهو رواية الوالي عن ابن عباس. وقال
 عكرمة عنه: الحدود. وقال مقاتل: الجوع سبع
 سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب.
 وقال ابن مسعود: هو القتل بالسيف يوم بدر، وهو
 قول قتادة والسدي، ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ يعني
 عذاب الآخرة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، إلى الإيمان،
 يعني من بقي منهم بعد بدر وبعد القحط.

[٢٢] قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ
 رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾، يعني
 المشركين، ﴿مُنْقِمُونَ﴾.

[٢٣، ٢٤] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي
 مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾، يعني فلا تكن في شك من لقاء
 موسى ليلة المعراج، قاله ابن عباس وغيره عن ابن
 عباس عن النبي ﷺ قال: «رأيت ليلة أُسري بي
 موسى رجلاً آدم طويلاً جعداً كأنه من رجال
 شنوءة^(١)» قال السدي: فلا تكن في مرية من لقائه
 أي من تلقى موسى كتاب الله بالرضا والقبول،
 ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾، يعني الكتاب وهو التوراة، وقال
 قتادة: موسى، ﴿هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وَجَعَلْنَا
 مِنْهُمْ، يعني من بني إسرائيل، ﴿آيَةً﴾، قادة في
 الخير يُقتدى بهم، يعني الأنبياء الذين كانوا فيهم.
 وقال قتادة: أتباع الأنبياء، ﴿يَهْدُونَ﴾، يدعون،
 ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾، قرأ حمزة والكسائي

بكسر اللام وتخفيف الميم أي لصبرهم وقرأ
 الباقر بفتح اللام وتشديد الميم، أي حين صبروا
 على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر،
 ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

[٢٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ﴾، يقضي، ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[٢٦] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾، لم يتبين، ﴿لَهُمْ كَمْ
 أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾، آيات الله وعظاته
 فيعتظون بها.

[٢٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ
 الْجُرُزِ﴾، أي اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها
 ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ﴾، من العشب

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق ٣١٤/٦ ومسلم في
 الإيمان برقم (١٦٥) ١٥١/١.

ومناة، وقل: إن لها شفاعة لمن عبدها، وندعك وربك، فشق ذلك على النبي ﷺ فقال عمر: يا رسول الله ائذن لنا في قتلهم، فقال: إني قد أعطيتهم الأمان، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر النبي ﷺ عمر أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ أي دُم على التقوى، كالرجل يقول لغيره وهو قائم: قم هاهنا أي اثبت قائمًا. وقيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الأمة. وقال الضحاك: معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم. ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ﴾ من أهل مكة يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعور، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾، من أهل المدينة عبدالله بن أبي وعبدالله بن سعد وطعمة. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾، لخلقه، قبل أن يخلقهم، ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم.

[٢] ﴿وَاتَّبَعَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾، قرأ أبو عمرو (يعملون خبيراً) و(يعملون بصيراً) بالياء فيهما وقرأ غيره بالتاء.

[٣] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثق بالله، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، حافظاً لك، وقيل: كفيلاً برزقك.

[٤] قوله عز وجل: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾، نزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري، وكان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمع، فقالت قریش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله قلبان، وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، وقال الزهري ومقاتل: هذا مثل ضربه الله عز وجل للمظاهر من امرأته وللمتبني ولد غيره، يقول: فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى تكون له أمان، ولا يكون له ولد واحد ابن رجلين. ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاحَكُمُ الَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُثْهَاتِكُمْ﴾ صورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، يقول الله تعالى: ما جعل نساءكم

والتبن، ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾، من الحبوب والأقوات، ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، قيل: أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم بين العباد، قال قتادة: قال أصحاب النبي ﷺ للكفار: إن لنا يوماً نتنعم فيه ونستريح ويحكم بيننا وبينكم، فقالوا استهزاء: متى هذا الفتح؟ أي القضاء والحكم، وقال الكلبي: يعني فتح مكة. وقال السدي: يوم بدر لأن أصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون لهم: إن الله ناصرنا ومظهرنا عليكم، فيقولون: متى هذا الفتح.

[٢٩] ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾، يوم القيامة، ﴿لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ﴾، ومن حمل الفتح على فتح مكة والقتل يوم بدر قال: معناه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، لا يمهلون ليتوبوا ويعتدروا.

[٣٠] ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، قال ابن عباس: نسختها آية السيف، ﴿وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾، قيل: انتظر موعدي لك بالنصر إنهم منتظرون بك حوادث الزمان. وقيل: انتظر عذابنا فيهم فإنهم منتظرون ذلك.

(٣٢) سورة الأحزاب

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾، نزلت في أبي سفيان ابن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور وعمرو بن سفيان السلمى، وذلك أنهم قدموا المدينة على عبدالله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر ابن الخطاب: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى

سُورَةُ الْاِحْزَابِ

٤١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحِي إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جُوفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَنْظُرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِأَسْمَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَرْوَاجُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولَ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

فيهم ووجوب طاعته عليهم. وقال ابن عباس وعطاء: يعني إذا دعاهم النبي ﷺ ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي ﷺ أولى بهم من أنفسهم، وقيل: هو أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذلك النفس دونه. وقيل: كان النبي ﷺ يخرج إلى الجهاد فيقول قوم: نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا، فترتل الآية، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة، أقرأوا إن شئتم» ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فأياها مؤمن مات وترك مالا فليريته عصبته من كانوا، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه» (٢).

(١) أخرجه البخاري في المغازي ٤٥/٨ ومسلم في الإيمان رقم (٦٣) ٨٠/١. (٢) أخرجه البخاري في الاستقراض ٦١/٥ ومسلم في الفرائض رقم (١٦١٩) ٣/١٢٣٨.

اللائي يقولون لهن هذا في التحريم كأمهاتكم، ولكنه منكر وزور، وفيه كفارة نذكرها إن شاء الله تعالى في سورة المجادلة. ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾، يعني من تنسبهموهم ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾، فيه نسخ التنبى، وذلك أن الرجل في الجاهلية كان يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود له يدعوه الناس إليه ويرث ميراثه. وكان النبي ﷺ أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، وتبناه قبل الوحي وأخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب، فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة، قال المنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك، فأنزل الله هذه الآية ونسخ التنبى، ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾، لا حقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد ﷺ نسب لا حقيقة له، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾، يعني قوله الحق، ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾، أي يرشدكم إلى سبيل الحق.

[٥] ﴿ادْعُوهُمْ لِأَسْمَائِهِمْ﴾، الذين ولدوهم، ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾، أعدل، ﴿عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾، يعني فهم إخوانكم، ﴿فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾، إن كانوا محررين وليسوا بنبيكم، أي سموهم بأسماء إخوانكم في الدين. وقيل: مواليتكم أي أوليائكم في الدين، ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾، قبل النهي فنسبتموه إلى غير أبيه، ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، ومن دعائهم إلى غير آبائهم بعد النهي. وقال قتادة: فيما أخطأتم به أن تدعوه لغير أبيه وهو يظن أنه كذلك ومحل (ما) في قوله تعالى: ﴿مَا تَعَمَّدَتْ﴾ خفض رداً على (ما) التي في قوله: ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ مجازة ولكن فيما تعمدت قلوبكم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ﴾ (١).

[٦] قوله عز وجل: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، يعني من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه

قوله عز وجل: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، وفي حرف أبي (وأزواجه وأمهاتهم)، وهو لهم وهن أمهات المؤمنين في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التأييد، لا في النظر إليهن والخلوة بهن، فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب، قال الله تعالى: (وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهم من وراء حجاب) ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، يعني في الميراث، قال قتادة: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة. قال الكلبي: آخى رسول الله ﷺ بين الناس، فكان يواخي بين رجلين فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته، حتى نزلت هذه الآية ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في حكم الله ﷻ ﴿بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، الذين آخى رسول الله ﷺ بينهم، ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ﴾، يعني ذوي القربات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرث بالإيمان والهجرة، نسخت هذه الآية الموارثة بالمآخاة والهجرة وصارت القرابة. قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾، أراد بالمعروف الوصية للذين يتولونه من المعاقدين، وذلك أن الله لما نسخ التوارث بالحلف والهجرة أباح أن يوصي الرجل لمن يتولاه بما أحب من ثلثه. وقال مجاهد: أراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة لحق الإيمان بالهجرة. وقيل: أراد بالآية إثبات الميراث بالإيمان والهجرة، يعني وأولوا الأرحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض، أي لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً يعني إلا أن توصوا لذوي قرباتكم بشيء وإن كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة، وهذا قول قتادة وعكرمة. ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾، أي كان الذي ذكر من أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في اللوح المحفوظ مسطوراً مكتوباً. وقال القرطبي: في التوراة.

[٧] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾، على الوفاء بما حملوا وأن يصدق بعضهم بعضاً ويشتر بعضهم بعض. قال مقاتل: أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله ويصدق بعضهم بعضاً وينصحووا لقومهم، ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ﴾، خص هؤلاء الخمسة بالذكر من النبيين لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولوا العزم من الرسل ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾، عهداً شديداً على الوفاء بما حملوا.

[٨] ﴿لِنَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾، يقول: أخذنا ميثاقهم لكي يسأل الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم مع علمه أنهم صادقون لتبكيك من أرسلوا إليهم. وقيل: ليسأل الصادقين عن علمهم الله عز وجل. وقيل: ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم في قلوبهم. ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[٩] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، وذلك حين حُوصِر المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق، ﴿إِذْ جَاءَكُمْ جُودٌ﴾، يعني الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِيحًا﴾، وهي الصبا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «نُصِرْتُ بالصبا وأهلك عاد بالدبور»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾، وهم الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ، فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحاً باردةً فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض فانهزموا من غير قتال. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

[١٠] ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾، أي من فوق

(١) أخرجه البخاري في الاستسقاء ٥٢/٢ ومسلم في الاستسقاء رقم (٩٠٠) ٦١٧/٢.

وَلِإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
لَيْسَ لِلصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنْكُمْ وَإِزَارَعْتِ الْأَبْصُرُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَلِإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ
مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ
مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ آفَاطِهِمْ هَاجَةٌ سَأَلُوا تَحِيَّةً
لَا تَوْهًا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا لَيْسَرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا
اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْثِرُونَ إِلَّا نَجْرًا وَإِنْ يَأْتِيهِمْ مَعِدَةُ اللَّهِ فَسَوْفَ

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴿١٢﴾ شك وضعف اعتقاد، ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾، وهو قول أهل النفاق: يعدنا
محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع
أن يجاوز رحله، هذا والله الغرور.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾، أي من المنافقين
وهم أوس بن قيطي وأصحابه، ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾،
يعني المدينة، قال أبو عبيدة: يثرب، وقال: هي
مدينة الرسول ﷺ في ناحية منها، وفي بعض
الأخبار أن النبي ﷺ نهى أن تسمى المدينة يثرب،
وقال: «هي طابة»، كانه كره هذا اللفظ ﴿لَا مُقَامَ
لَكُمْ﴾، قرأ العامة بفتح الميم أي لا مكان لكم
تزلون وتقيمون فيه، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي
وحفص بضم الميم أي لا إقامة لكم، ﴿فَارْجِعُوا﴾
إلى منازلكم عن اتباع محمد ﷺ، وقيل: عن
القتال إلى مساكنكم، ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ

الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم
مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري
في ألف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد
الأسدي في بني أسد وحبي بن أخطب في يهود بني
قريظة، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾، يعني من بطن الوادي
من قبل المغرب، وهم قريش وكنانة عليهم أبو
سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه، وأبو الأعور
ابن سفيان السلمي من قبل الخندق، وكان السبب
الذي جر غزوة الخندق - فيما قيل - إجلاء رسول
الله ﷺ بني النضير من ديارهم، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصُرُ﴾، مالت وشخصت من الرعب، وقيل:
مالت عن كل شيء فلم تنظر إلى عدوها، ﴿وَبَلَغَتِ
الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾، فزالت عن أماكنها حتى بلغت
الحلق من الفزع، والحنجرة جوف الحلقوم وهذا
على التمثيل عبر به عن شدة الخوف، قال الفراء:
معناه أنهم جبنوا وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن
تنتفخ رتته فإذا انتفخت الرئة رفعت القلب إلى
الحنجرة، ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره،
﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾، أي اختلفت الظنون فظن
المنافقون استئصال محمد ﷺ وأصحابه رضي الله
عنهم، وظن المؤمنون النصر والظفر لهم، قرأ أهل
المدينة والشام وأبو بكر: الظنوننا والرسولا
والسيلا بإثبات الألف وصلًا ووقفًا لأنها مثبتة في
المصاحف بالألف، وقرأ أهل البصرة وحمزة بغير
الألف في الحالين على الأصل، وقرأ الآخرون
بالألف في الوقف دون الوصل لموافقة رؤوس
الآي.

[١١] ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ﴾، أي عند ذلك اختبر،
﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾، بالحصص والقتال ليتبين المخلص من
المنافق، ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾، حركوا حركة
شديدة.

[١٢] ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾، معتب بن قشير،
وقيل: عبدالله بن أبي وأصحابه، ﴿وَالَّذِينَ فِي

[١٧] ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾، أي يمنعكم من عذابه، ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾، هزيمة، ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾، نصرة، ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾، أي قريبًا ينفعهم، ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾، أي ناصرًا يمنعهم.

[١٨] ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّنِينَ مِنْكُمْ﴾، أي المشبطين للناس عن رسول الله ﷺ ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾، أي ارجعوا إلينا ودعوا محمدًا فلا تشهدوا معه الحرب فإننا نخاف عليكم الهلاك، قال قتادة: هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يشبطن أنصار النبي ﷺ ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾، الحرب، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرًا.

[١٩] ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾، بخلاء بالفنقة في سبيل الله، وقال قتادة: بخلاء عند الغنيمة وصفهم الله باليخل والعجب، فقال: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْظِرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾، في الرؤوس من الخوف والعجب، ﴿كَأَلَّذِي يُفْتَنُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾، أي كدوران عين الذي يُغشى عليه من الموت، وذلك أن من قرب من الموت وغشيه أسبابه يذهب عقله ويشخص بصره، فلا يطرف، ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ﴾، آذوكم ورموكم في حال الأمن، ﴿بِالْأَسِنَّةِ حِدَادٍ﴾، ذربة، جمع حديد، يقال للخطيب الفصيح: الذرب اللسان مسلوق ومصلوق وسلاق وصلاق، قال ابن عباس: سلقوكم أي عضدوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة. وقال قتادة: بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة، يقولون: أعطونا فإننا قد شهدنا معكم القتال، فلستم أحق بالغنيمة منّا، فهم عند الغنيمة أشح قوم وعند البأس أجبن قوم، ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾، أي عند الغنيمة يشاحون المؤمنون، ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَوَفُّوا فَاْخَبَتِ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾، قال مقاتل: أبطل الله جهادهم، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

النَّبِيِّ، وهم بنو حارثة وبنو سلمة، ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾، أي خالية ضائعة، وهو مما يلي العدو ونخشى عليها السراق، وقرأ أبو رجاء العطاردي (عَوْرَةً) بكسر الواو، أي قصيرة الجدران يسهل دخول السراق عليها، فكذبهم الله فقال: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾، أي ما يريدون إلا الفرار.

[١٤] ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أي لو دخل عليهم المدينة هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الأحزاب ﴿مِنْ أَقْطَارِهَا﴾، جوانبها ونواحيها جمع قطر، ﴿ثُمَّ سِيلُوا الْقِتْنَةَ﴾، أي الشرك، ﴿لَأَنْتَوَاهَا﴾، لأعطوها، وقرأ أهل الحجاز لأتوها مقصورًا، أي لجاءوها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام، ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا﴾، أي ما احتبسوا عن الفتنة، ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾، ولأسرعوا الإجابة إلى الشرك طيبة به أنفسهم، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الحسن والفراء: وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلًا حتى يهلكوا.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾، أي من قبل غزوة الخندق، ﴿لَا يُولُّونَ الْأَدْبَرَ﴾، من عدوهم أي لا ينهزمون، قال يزيد بن رومان: هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها. وقال قتادة: هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة، قالوا: لئن أشهدنا الله قتالًا لنقاتلن فساق الله إليهم ذلك ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾، أي مسؤولًا عنه.

[١٦] ﴿قُلْ﴾، لهم ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾، الذي كتب عليكم لأن من حضر أجله مات أو قتل، ﴿وَإِذَا لَا تُمْنعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أي لا تمتعون بعد هذا الفرار إلا مدة آجالكم وهي قليل.

[٢٠] ﴿يَحْسَبُونَ﴾، يعني هؤلاء المنافقين، ﴿الْأَحْزَابِ﴾، يعني قريشًا وغطفان اليهود، ﴿لَمْ يَنْصَرِفُوا﴾، لم ينصرفوا عن قتالهم جبًا وفرقًا وقد انصرفوا، ﴿وَلَمَّا يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾، أي يرجعوا إليهم للقتال بعد الذهاب، ﴿يُودُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادَوْتَ فِي الْأَعْرَابِ﴾، أي يتمنوا لو كانوا في بادية مع الأعراب من الخوف والجبن، يقال: بدا يبدو بداوة إذا خرج إلى البادية، ﴿يَسْتَلُوتَ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ﴾، أخباركم وما آل إليه أمركم، وقرأ يعقوب: (يساءلون) مشددة ممدودة أي يتساءلون، ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾، يعني هؤلاء المنافقين، ﴿فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾، تعديرًا، أي يقتلون قليلًا يقيمون به عذرهم، فيقولون قد قاتلنا.

[٢١] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي قدوة صالحة، وهي فعلة من الانتساء، كالقدوة من الاقتداء اسم وضع موضع المصدر، أي به اقتداء حسن إن تصبروا دين الله وتوازرروا الرسول ولا تتخلفوا عنه، وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذ كُسرَتْ رُباعيته وجرح وجهه، وقُتل عمه وأوذى بضروب من الأذى فوَاسَاكُمْ مع ذلك بنفسه، فافعلوا أنتم كذلك أيضًا واستتوا بسنته، ﴿لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾، بدل من قوله: لكم، وهو تخصيص بعد تعميم للمؤمنين، يعني أن الأسوة برسول الله ﷺ لمن كان يرجو الله، قال ابن عباس: يرجو ثواب الله. وقال مقاتل: يخشى الله ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾، أي يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال، ﴿وَذَكَرَ اللَّهُ كَبِيرًا﴾ في جميع المواطن على السراء والضراء.

ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال:

[٢٢] ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا﴾، تسليمًا لأمر الله وتصديقًا لوعده، ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، وعد الله إياهم ما ذكر في

٢٠ ﴿قُلْ لَنَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنِ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّاتَمَنَّوْنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٦﴾ ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٧﴾ ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٨﴾ ﴿أَشْحَةً عَلَيْهِمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورًا أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جَدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَبْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَلَحَبَظَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿١٩﴾ ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادَوْتَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُوتَ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَبِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ ﴿٢٢﴾

سورة البقرة: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم)، إلى قوله: (ألا إن نصر الله قريب)، فالآية تتضمن أن المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلاء، فلما رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾، أي تصديقًا لله وتسليمًا لأمر الله. [٢٣] ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾، أي قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به، ﴿فَإِنْهُمْ مِّنْ قَضَىٰ نَحْبِهِمْ﴾، أي فرغ من نذره ووفى بعهده فصبر على الجهاد حتى استشهد، والنحب: النذر، والنحب: الموت أيضًا، قال مقاتل: قضى نخبه يعني أجله فقتل على الوفاء يعني حمزة وأصحابه. وقيل: قضى نخبه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد من قول العرب: نخب فلان في سببه

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٤﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٥﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْطِهِمْ لَمَّا بَايَعُوا أَنَّهُمْ وَاللَّيْلِ أَكْثَرُ غَافِلِينَ ﴿٢٦﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٧﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْكُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٨﴾ يَتَأَسَّأُ النَّبِيُّ قُلُوبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبُّهَا فَنفَعَالَيْكَ أَمْتَعْتَكُمْ وَأَسْرَحْتَكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٩﴾ وَلَن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلِلَّهِ الْآخِرَةُ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن بَاتَ مِنكُمْ فَهَاجِسِيهِنَّ مِّنْهُنَّ يُضَعِّف لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣١﴾

به الناس فأتاه رجال من بعد صلاة العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ: «لا يصلين أحد العصر إلّا في بني قريظة» فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك ولا عففهم به رسول الله ﷺ، قال: وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسًا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيكم رجل منكم؟» قالوا: بلى قال: فذاك إلى سعد بن معاذ، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتُسبي الذراري والنساء، فقال رسول الله ﷺ لسعد: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»، وكان فتح بني قريظة في آخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، وهم الرجال يقال:

يومه وليله أجمع إذا مدّ فلم ينزل، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾، الشهادة، وقال محمد بن إسحاق: فمنهم من قضى نحبه من استشهد يوم بدر وأحد ومنهم من ينتظر يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الأمرين إمّا الشهادة أو النصر، ﴿وَمَا بَدَّلُوا﴾ عهدهم ﴿تَبْدِيلًا﴾.

[٢٤] قوله عز وجل: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾، أي جزاء صدقهم، وصدقهم هو الوفاء بالعهد، ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، فيهديهم إلى الإيمان، ﴿إِن كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

[٢٥] ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من قريش وغطفان، ﴿بِغَيْطِهِمْ﴾، لم يشف صدورهم ببيل ما أرادوا، ﴿لَمَّا بَايَعُوا خَيْرًا﴾، ظفرا، ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾، بالملائكة والريح، ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾، قويًا في ملكه عزيزًا في انتقامه.

[٢٦] ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾،

أي عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ والمسلمين وهم بنو قريظة، ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾، حصونهم ومعاملهم، واحدها صيصية، ومنه قيل: للقرن ولشوكه الديك والحاقة صيصية، وذلك أن رسول الله ﷺ لما أصبح من الليلة التي انصرف الأحزاب فيها راجعين إلى بلادهم وانصرف النبي ﷺ والمؤمنون عن الخندق إلى المدينة، ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ فقال: قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال جبريل: عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة، وما رجعت الآن إلّا من طلب القوم. فقال: إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة فأمر النبي ﷺ مناديا فأذن أن مَنْ كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلّا في بني قريظة فلما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم، فتلاحق

إذا جعلته مثليه وضاعفته جعلته أمثاله. ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾، قال مقاتل: كان عذابها على الله ههنا وتضعيف عقوبتهن على الأمة لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الأمة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن، وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين.

[٣١] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ يَفْعَلْ﴾، يطع، ﴿مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ. وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرًا مَرْتَبًا﴾، أي مثل أجر غيرها، قال مقاتل: مكان كل حسنة عشرين حسنة. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُا رِزْقًا كَرِيمًا﴾، حسناً يعني الجنة.

[٣٢] ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسَنُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾، قال ابن عباس: يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم لدي ولم يقل كواحدة لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، قال الله تعالى: (لا نفرق بين أحد من رسله) وقال: (فما منكم من أحد عنه حاجزين)، ﴿إِنْ أَتَيْتَيْنِ﴾، الله أطعته، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾، لا تلن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام، ﴿فَيُطَمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾، أي فجور وشهوة، وقيل: نفاق، والمعنى لا تقلن قولاً يجد منافق أو فاجر به سبيلاً إلى الطمع فيكن، والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع، ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾، ما يوجبه الدين والإسلام بتصريح وبيان من غير خضوع.

[٣٣] ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم ﴿وَقَرْنَ﴾ بفتح القاف، وقرأ الآخرون بكسرهما فمن فتح القاف فمعناه: اقررن أي الزمن بيوتكن، من قولهم: قررت بالمكان أقر قرأ، ويقال: قررت أقر وقررت أقر وهما لغتان،

كانوا ستمائة، ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾، وهم النساء والذراري، يقال: كانوا سبعمائة وخمسين، ويقال: سبعمائة.

[٢٧] ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَيْتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا﴾، بعد، قال ابن زيد ومقاتل: يعني خيبر، قال قتادة: كنا نحدث أنها مكة. وقال الحسن: فارس والروم. وقال عكرمة: كل أرض تفتح إلى يوم القيمة. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رُؤْيَا لَهَا كُنْتُ نَزِدَتْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيْنَتْهَا فَنَعَالَيْنَ أُمَمَاتٍ﴾، متعة الطلاق، ﴿وَأَسْرَحَكُمْ سَرَاعًا كَمِيلًا﴾.

[٢٩] ﴿وَلِنْ كُنْتُ نَزِدَتْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، سبب نزول هذه الآية أن نساء النبي ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وأذينه بغيره بعضهن على بعض فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بعائشة، وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة، فروي الفرح في وجه رسول الله ﷺ وتابعتها على ذلك^(١). قال قتادة: فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقال: (لا يحل لك النساء من بعد).

[٣٠] ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ﴾، بمعصية ظاهرة وقال ابن عباس: المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق، ﴿يُضْطَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿نُضْعَفُ﴾ بالنون وكسر العين وتشديدها، ﴿الْعَذَابُ﴾ نصب، وقرأ الآخرون بالياء وفتح العين ﴿الْعَذَابُ﴾ رفع ويشدها أبو جعفر وأهل البصرة، وشدد أبو عمرو هذه وحدها لقوله: ﴿ضِعْفَيْنِ﴾، وقرأ الآخرون: (يُضَاعَفُ) بالالف وفتح العين، ﴿الْعَذَابُ﴾ رفع، وهما لغتان مثل بعد وبعاد، قال أبو عمرو وأبو عبيدة: ضعفت الشيء

(١) أي بقية نسائه، انظر فتح الباري ٥١٩/٨ مسلم (١٤٧٥) ١١٠٥/٢-١١٠٨، الطبري ١٥٦/٢١ شرح السنة ٢١٥/٩.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٢٢

سُورَةُ الْأَحْزَابِ

﴿وَمَنْ يَفْتَنَنَّكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَعْمَلْ صَالِحًا تَوَدَّهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (٣١) يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيْطُمَعَنَّ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣) وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (٣٤) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِمِينَ وَالصَّابِمَاتِ وَالْحَفَظِينَ وَالْحَفَظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣٥)

والحسن والحسين، قال زيد بن أرقم: أهل بيته من حُرِّمِ الصدقة عليه بعده، آل علي وآل عقیل وآل جعفر وآل عباس.

[٣٤] قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾، أي القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، قال قتادة: يعني السنة. وقال مقاتل: أحكام القرآن ومواعظه. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾، أي لطيفًا بأوليائه خيرًا بجميع خلقه.

[٣٥] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾، الآية. وذلك أن أزواج النبي ﷺ قلن: يا رسول الله إن الله ذكر الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير، فما فينا خير نذكر به، إنا نخاف ألا يقبل الله منا طاعة فأُنزل الله هذه الآية ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ﴾، المطيعين

فحذفت الراء الأولى التي هي عين الفعل لثقل التضعيف ونقلت حركتها إلى القاف كقولهم: في ظلمت ظلت ومن كسر القاف فقد قيل: هو من قررت أقر معناه أقرن بكسر الراء فحذفت الأولى ونقلت حركتها إلى القاف كما ذكرنا، وقيل: وهو الأصح أنه أمر من الوقار كقولهم من الوعد عدن ومن الوصل صلن أي كن أهل وقار وسكون، من قولهم: وقر فلان يقر وقورًا إذا سكن واطمأن، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ قال مجاهد وقتادة: التبرج هو التكسر والتغنج، وقال ابن أبي نجيح: هو التبختر. وقيل: هو إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال، ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾، اختلفوا في الجاهلية الأولى. قال الشعبي: هي ما بين عيسى ومحمد ﷺ. وقال أبو العالية: هي في زمن داود وسليمان عليهما السلام. وقال الكلبي: كان ذلك في زمن نمروذ الجبار، وروي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: الجاهلية الأولى بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة. وقال قتادة: هي ما قبل الإسلام. وقيل: الجاهلية الأولى ما ذكرنا والجاهلية الأخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان. وقيل: قد تذكر الأولى وإن لم يكن لها أخرى، كقوله تعالى: (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى)، ولم يكن لها أخرى. قوله تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، أراد بالرجس الإثم الذي نهى الله النساء عنه، قاله مقاتل، وقال ابن عباس: يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا، وقال قتادة: يعني السوء. وقال مجاهد: الرجس الشك، وأراد بأهل البيت نساء النبي ﷺ لأنهن في بيته، وهو رواية سعيد بن جبیر عن ابن عباس، وتلا قوله: (وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ)، وذهب أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهما إلى أنهم علي وفاطمة

[٣٧] ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾، الآية نزلت في زينب وذلك أن رسول الله ﷺ لما زوج زينب من زيد مكثت عنده حيناً ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: «إني أريد أن أفارق صاحبتي»، قال: ما لك أرا بك منها شيء؟ قال: لا والله يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني بلسانها، فقال له النبي ﷺ: «أمسك عليك زوجك»، ﴿وَأَتَى اللَّهَ﴾، في أمرها، ثم طلقها زيد، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾، بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾، بالتربية والإعتاق وهو زيد بن حارثة، ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾، يعني زينب بنت جحش، ﴿وَأَتَى اللَّهَ﴾ فيها ولا تفارقها، ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، أي تسر في نفسك ما الله مظهره، أي كان في قلبه لو فارقها لتزوجها، وقال ابن عباس: حبها. وقال قتادة: ود أنه طلقها، ابن عباس: قال ابن عباس والحسن: تستحييهم. وقيل: تخشى لائمة الناس أن يقولوا أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها. ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾، قال ابن عمر وابن مسعود وعائشة: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية. وروي عن مسروق قال: قالت عائشة: لو كتم النبي ﷺ شيئاً مما أوحى إليه لكتم هذه الآية ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾. وروى سفيان ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال: سألتني علي بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن في قوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾؟ قلت: يقول لما جاء زيد إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله! إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك، فقال: أمسك عليك زوجك واتق الله، فقال علي بن الحسين: ليس كذلك بل كان الله تعالى قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيداً سيطلقها، فلما جاء زيد وقال: إني أريد أن أطلقها

﴿وَالْقَيْنَتِ وَالصَّديقِ﴾ في إيمانهم وفيما ساءهم وسرهم، ﴿وَالصَّديقِ وَالصَّديقِ﴾، على ما أمر الله به، ﴿وَالصَّديقِ وَالصَّديقِ﴾، المتواضعين، ﴿وَالصَّديقِ﴾، وقيل: أراد به الخشوع في الصلاة ومن الخشوع ألا يلتفت، ﴿وَالصَّديقِ﴾، مما رزقهم الله، ﴿وَالصَّديقِ وَالصَّديقِ وَالصَّديقِ وَالصَّديقِ﴾، عما لا يحل، ﴿وَالصَّديقِ وَالصَّديقِ﴾، كثيرًا والذكر، قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرًا حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، الآية نزلت في زينب بنت جحش الأسدية وأخيها عبدالله بن جحش وأمهما أمية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، خطب رسول الله ﷺ زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله ﷺ اشترى زيداً في الجاهلية بعكاظ فأعتقه وتبناه، فلما خطب رسول الله ﷺ زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد أبت وقالت: أنا ابنة عمتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة فيها حدة، وكذلك كره أخوها ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾، يعني عبدالله ابن جحش، ﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ يعني أخته زينب، ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾، أي إذا أراد الله ورسوله أمراً وهو نكاح زينب لزيد ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ قرأ أهل الكوفة أن يكون بالياء للحائل بين التأنيث والفعل، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الخيرة من أمرهم، والخيرة الاختيار، والمعنى أن يريد غير ما أراد الله أو يمتنع مما أمر الله ورسوله به، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِينًا﴾، أي أخطأ خطأ ظاهراً فلما سمعا ذلك رضيا بذلك وسلموا، وجعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ وكذلك أخوها، فأنكحها رسول الله ﷺ زيداً فدخل بها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٢٣

سُورَةُ الْأَحْزَابِ

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٨﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْتَهُمَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْشَوْنَ اللَّهَ وَنَبِيَّهٗ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَانُوا بِاللَّهِ حَسِبًا ﴿٤١﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ كَثِيرًا ﴿٤٣﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٤﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٥﴾

الدعي وهو المتبني، يقول: زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته لتعلم أن زوجة المتبني حلال للمتبني، وإن كان قد دخل بها المتبني بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحل للأب. ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾، أي كان قضاء الله ماضيًا وحكمه نافذًا وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾، أي فيما أحل الله له، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾، أي كسنة الله، نصب بنزع الخافض، وقيل: نصب على الإغراء أي الزموا سنة الله، ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾، أي في الأنبياء الماضين أن لا يؤاخذهم بما أحل لهم وقيل: أشار بالسنة إلى النكاح فإنه من سنة الأنبياء عليهم السلام، وقيل: إلى كثرة الأزواج مثل داود وسليمان عليهما السلام، ﴿وَكَانَ

قال له: أمسك عليك زوجك، فعاتبه الله وقال: لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتُك أنها ستكون من أزواجك، وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة لأن الله علم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال: (زوجناكها) فلو كان الذي أضمره رسول الله ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها لأظهر ذلك لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره، فدل على أنه إنما غوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجة له وإنما أخفاه استحياءً أن يقول لزيد: التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي، وهذا قول حسن مرضي، وإن كان القول الآخر وهو أنه أخفى محبتها ونكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الأنبياء لأن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه في مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه المأثم، لأن الود وميل النفس من طبع البشر وقوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ أمر بالمعروف وهو حسن لا إثم فيه، قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾، لم يرد به أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق فإنه عليه السلام قد قال: (أنا أخشاكم لله وأتقاكم)، ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر أن الله تعالى أحق بالخشية في عموم الأحوال وفي جميع الأشياء. قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾، أي حاجة من نكاحها، ﴿زَوَّجْتَهُمَا﴾، وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبني تحل بعد الدخول بها، قال أنس: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ فتقول: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وزوجني الله من فوق سبع سموات. وقال الشعبي: كانت زينب تقول للنبي ﷺ: إني لأدُلُّ عليك بثلاث: ما من نسائك امرأة تدلي بهن: جدي وجدك واحد، إني أنكحنيك الله في السماء، وإن السفير لجبريل عليه السلام. ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾، إثم، ﴿فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾، والأدعياء جميع

أَمَرَ اللَّهُ قَدَرًا مَقْدُورًا، قضاءً مقضيًا كائنًا ماضيًا.

[٣٩] ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾، يعني سنة الله في الأنبياء الذين يبلغون رسالات الله، ﴿وَيُحْشِنُونَ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾، أي لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل الله لهم وفرض عليهم، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾، حافظًا لأعمال خلقه ومحاسبهم، ثم إن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب قال الناس: إن محمدًا تزوج امرأة ابنه.

[٤٠] ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾﴾، يعني زيد بن حارثة، أي ليس أبا أحد من رجالكم الذين لم يلداهم فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، فإن قيل: أليس أنه كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وكذلك الحسن والحسين، فإن النبي ﷺ قال للحسن: إن ابني هذا سيد؟ قيل: هؤلاء كانوا صغارًا لم يكونوا رجالًا. والصحيح ما قلنا: إنه أراد أبا أحد من رجالكم، ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، ختم الله به النبوة، وقرأ ابن عامر وابن عاصم: ﴿وَخَاتَمَ﴾ بفتح التاء على الاسم، أي آخرهم، وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل لأنه ختم به النبيين فهو خاتمهم. قال ابن عباس: يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنًا يكون بعده نبيًا. وروي عن عطاء عن ابن عباس: أن الله تعالى لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولدًا ذكرًا يصير رجلًا، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾. عن أبي سلمة قال: كان أبو هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه، ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيرون سواها فكننت أنا سدت موضع اللبنة، ختم بي البنيان وختم بي الرسل»^(١).

[٤١] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾، قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى

فريضة على عباده إلا جعل لها حدًا معلومًا وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدًا يُنتهى إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله فلذلك أمرهم به في كل الأحوال، فقال: (فاذكروا الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم). وقال: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ أي بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم، وفي السر والعلانية. وقال مجاهد: الذكر الكثير أن لا تنساه أبدًا.

[٤٢] ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾، أي صلُّوا له، ﴿بِكُرَّةٍ﴾، يعني صلاة الصبح، ﴿وَأُصِيلًا﴾، يعني صلاة العصر. وقال الكلبي: وأصيلًا صلاة الظهر والعصر والعشاءين. وقال مجاهد: يعني قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فعبر بالتسبيح عن أخواته. وقيل: المراد من قوله ذكرًا كثيرًا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث.

[٤٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾، فالصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين. قال السدي: قالت بنو إسرائيل لموسى: أيصلي ربنا فكبر هذا الكلام على موسى، فأوحى الله إليه أن قل لهم إني أصلي وأن صلاتي رحمتي، وقد وسعت رحمتي كل شيء، وقيل: الصلاة من الله على العبد هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده. وقيل: الشاء عليه ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، أي من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، يعني أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى النور، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

[٤٤] ﴿يَخَيِّرُهُم﴾، أي تحية المؤمنين، ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾، أي يرون الله، ﴿سَلَامٌ﴾، أي يسلم الله

(١) أخرجه المصنف في شرح السنة ٢٠١/١٣ وأخرج البخاري نحوه ٥٥٨/٦ وكذا مسلم ١٧٩١/٤.

عليهم، ويسلمهم من جميع الآفات. وروي عن البراء بن عازب قال: ﴿يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ يعني يلقون ملك الموت، لا يقبض روح مؤمن إلا يسلم عليه. وعن ابن مسعود قال: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: إن ربك يقرئك السلام. وقيل: تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم حتى يخرجون من قبورهم. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾، يعني الجنة.

[٤٥] قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، أي شاهدا للرسول بالتبليغ ومبشرا لمن آمن بالجنة ونذيرا لمن كذب بآياتنا بالنار.

[٤٦] ﴿وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ﴾، إلى توحيده وطاعته، ﴿بِآيَاتِهِ﴾، بأمره، ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾، سماه سراجا لأنه يهتدى به كالسراج يستضاء به في الظلمة.

[٤٧] ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾.

[٤٨] ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾، ذكرنا تفسيره في أول السورة، ﴿وَدَعِ أَذْهَبَهُمْ﴾، قال ابن عباس وقتادة: اصبر على أذاهم. وقال الزجاج: لا تجازهم عليه وهذا منسوخ بآياته القتال. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، حافظا.

[٤٩] قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾، فيه دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح، حتى لو قال لامرأة أجنبية: إذا نكحتك فأنت طالق، وقال: كل امرأة أنكحها فهي طالق، فنكح لا يقع الطلاق ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾، تجمعوها، ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ﴾، تحصونها بالأقراء والأشهر، ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾، أي أعطوهن ما يستمتعن به، قال ابن عباس: هذا إذا لم يكن سمي لها صداقا فلها المتعة فإن كان قد فرض لها صداقا فلها نصف

يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٥﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٦﴾ إِلَى اللَّهِ بِآيَاتِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٧﴾ وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْتِيهِمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٨﴾ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْهَبَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ فَمَتَّعُوهُنَّ وَسِرَّحُوهُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا ﴿٥٠﴾ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١﴾

الصداق ولا متعة لها. وقال قتادة: هذه الآية منسوخة بقوله: (فنصف ما فرضتم)، وقيل: هذا أمر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر، وذهب بعضهم إلى أنها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية، ﴿وَسِرَّحُوهُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا﴾، خلوا سبيلهن بالمعروف من غير ضرار.

[٥٠] قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾، أي مهورهن، ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾، رد عليك من الكفار بأن تسبي فتملك مثل صفيه وجويرية، وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له، ﴿وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ﴾، يعني نساء قريش، ﴿وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ﴾، يعني نساء بني زهرة، ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾، إلى المدينة فمن لم تهاجر منهن معه لم يجز له نكاحها. وروى أبو صالح عن أم

سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله
ورسوله والدار الآخرة، على أنهم أمهات المؤمنين
ولا ينكحن أبداً وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهم
ويرجي من يشاء فيرضين به قسم لهنّ أو لم يقسم،
أو قسم لبعضهنّ دون بعض أو فضل بعضهنّ في
النفقة والقسمة، فيكون الأمر في ذلك إليه يفعل
كيف يشاء، وكان ذلك من خصائصه، فرضين
بذلك واخترنه على هذا الشرط وقال مجاهد:
ترجي من تشاء منهم يعني تعزل من تشاء منهم بغير
طلاق وترد إليك من تشاء بعد العزل بلا تجديد
عقد. وقال ابن عباس: تطلق منهم وتمسك من
تشاء. وقال الحسن: ترك نكاح من شئت وتنكح
من شئت من نساء أمتك، قال: وكان النبي ﷺ إذا
خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها
رسول ﷺ. وقيل: تقبل من تشاء من المؤمنات
اللاتي يهين أنفسهن لك فتؤويها إليك وتترك من
تشاء فلا تقبلها ﴿وَمِنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾، أي
طلبت وأردت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلتهن عن
القسم، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ لا إثم عليك فأباح الله
له ترك القسم لهن حتى إنه ليؤخر من يشاء منهم في
نوبتها ويطأ من يشاء منهم في غير نوبتها، ويرد إلى
فراشه من عزلها تفضيلاً له على سائر الرجال،
﴿ذَلِكَ أَدْفَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عَنِّيهِمْ وَلَا يَعْزُبَكَ﴾، أي
التخيير الذي خيرتك في صحبتهم أقرب إلى
رضاهن وأطيب لأنفسهن وأقل لحزنهم إذا علمن
أن ذلك من الله عز وجل، ﴿وَبَرَضْتَ بِمَا
ءَاتَيْتَهُنَّ﴾، أعطيتهن، ﴿كُلُّهُنَّ﴾، من تقرير
وإرجاء وعزل وإيواء، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾،
من أمر النساء والميل إلى بعضهن، ﴿وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَلِيمًا﴾.

هانئ أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة خطبني فأنزل
الله هذه الآية فلم أحل له لأنني لم أكن من
المهاجرات وكنت من الطلقاء، ثم نسخ شرط
الهجرة في التحليل^(١). ﴿وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ
نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ
دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت
نفسها لك من غير صداق، فأما غير المؤمنة فلا
تحل له إذا وهبت نفسها منه، وأول بعضهم الهجرة
في قوله: ﴿الَّتِي هَاجَرَ مَعَكَ﴾ على الإسلام أي
أسلمن معك، وكان النكاح ينعقد في حقه بمعنى
الهة من غير ولي ولا شهود ولا مهر، وكان ذلك
من خصائصه ﷺ في النكاح لقوله تعالى: ﴿خَالِصَةً
لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كالزيادة على الأربع
ووجوب تخيير النساء كان من خصائصه لا مشاركة
لأحد معه فيه ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾، أي
أوجبنا على المؤمنين، ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾، من
الأحكام ألا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا إلا
بولي وشهود ومهر ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، أي
ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين، ﴿لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾، وهذا يرجع إلى أول الآية أي
أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة
لك لكي لا يكون عليك حرج وضيق، ﴿وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[٥١] ﴿تَرْجِي﴾، أي تؤخر، ﴿مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ
وَتُؤَيِّ﴾، أي تضم، ﴿إِلَيْكَ مَنْ نَشَاءُ﴾، اختلف
المفسرون في معنى الآية فاشهر الأقاويل أنه في
القسم بينهن وذلك أن التسوية بينهن في القسم
كانت واجبة عليه، فلما نزلت هذه الآية سقط عنه
وصار الاختيار إليه فيهن، قال أبو رزين وابن زيد:
نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين
على النبي ﷺ وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن
النبي ﷺ شهراً حتى نزلت آية التخيير فأمره الله عز
وجل أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة، وأن يخلي

(١) أخرجه الترمذي في التفسير ٧٤/٩ وقال: (حديث حسن
لا نعرفه إلا من هذا الوجه) والطبري ٢٠/٢٢ وصححه
الحاكم ٤٢٠/٢.

سُورَةُ الْاِحْزَابِ

٢٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَرْجِي مِنْ نَفْسِهِ مِنْهُمْ وَنُفُوزِي إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ بَغْيَتِ
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ آيَاتَهُنَّ
وَلَا يُخْزِيَنَّكَ وَبِرَضَاكَ بِمَا أَلَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ
النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا
﴿٥٢﴾ يَتَأْتِيهَا مِنَ الْيَمِينِ ءَأَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ
يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ
فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِجَدِثٍ إِنَّ
ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَعِجِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا
يَسْتَعِجِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ
وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ
لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ
مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ
تُبَدُّوا شَيْعًا أَوْ تُخَفَّوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

الحميم إذا انتهى حره، وإنى أن يفعل ذلك إذا
حان، إنى بكسر الهمزة مقصورة، فإذا فتحتها
مددت فقلت الاناء، وفيه لغتان: إنى بأني وأن يشين
مثل حان يحين، ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا
طَعِمْتُمْ﴾، أكلتم الطعام، ﴿فَانتَشِرُوا﴾، تفرقوا
واخرجوا من منزله، ﴿وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِجَدِثٍ﴾، ولا
طالبين الأنس للحديث، وكانوا يجلسون بعد
الطعام يتحدثون طويلاً فنهوا عن ذلك، ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ
كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَعِجِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجِي
مِنَ الْحَقِّ﴾، أي لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياءً،
﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، أي
من وراء ستر، فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن
ينظر إلى امرأة رسول الله ﷺ متنقبة كانت أو غير
متنقبة، ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من
الريب ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾،

[٥٢] قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ
وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب
(لَا تَحِلُّ) بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء من بعد يعني
من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك،
وذلك أن النبي ﷺ لما خيرهن فاخترن الله ورسوله
شكر الله لهن وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن
تطليقهن وعن الاستبدال بهن، هذا قول ابن عباس
وقتادة وقال مجاهد: معناه لا يحل لك اليهوديات
ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا أن تبدل بهن،
يقول ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود
والنصارى، يقول: لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا
نصرانية، إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ، أحل له ما ملكت
يمينه من الكتابيات أن يتسرى بهن وقال ابن زيد في
قوله: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾، كانت العرب
في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم، يقول الرجل
للرجل: بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي تنزل لي
عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي، فأنزل الله: ﴿وَلَا
أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾، يعني لا تبادل بأزواج غيرك
بأن تعطيه زوجك وتأخذ زوجته، إِلَّا مَا مَلَكَتْ
يمينك لا بأس أن تبدل بجارتك ما شئت، فأما
الحرائر فلا. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ﴾، يعني ليس لك أن تطلق أحداً من نسائك
وتنكح بدلها أخرى ولو أعجبك جمالها. قال ابن
عباس: يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة
جعفر بن أبي طالب، فلما استشهد جعفر أراد
رسول الله ﷺ أن يخطبها فنهى عن ذلك، ﴿إِلَّا مَا
مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما:
ملك بعد هؤلاء مارية، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
رَقِيبًا﴾، حافظاً.

[٥٣] ﴿يَتَأْتِيهَا مِنَ الْيَمِينِ ءَأَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ
إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ يقول: إلا أن تدعوا، ﴿إِلَى
طَعَامٍ﴾، فيؤذن لكم فتأكلونه، ﴿غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ﴾،
غير متظرين إدراكه ووقت نضجه، يقال: أنى

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا آبَائِئِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا مَمْلُوكَاتٍ أَيْمَنَهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا نَهْتِنَا وَتَمَامُنَا يَتَّخِذُهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَلْأَرْوَاحِ وَبَنَانِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيهِ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٨﴾ لَنْ يَنْفَعَهُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٩﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَقِفُوا أَخْذُوا وَقِفُوا نَفْتِيلًا ﴿٦٠﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦١﴾

عَلَيْهِ، أي ادعوا له بالرحمة، ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، أي حيّوه بتحية الإسلام. وقال أبو العالية: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشرا»^(١).

[٥٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾، قال ابن عباس: هم اليهود والنصارى والمشركون فأما اليهود فقالوا: عزيز ابن الله، ويد الله مغلولة وقالوا: إن الله فقير، وأما النصارى فقالوا: المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وأما المشركون

ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء، ﴿وَلَا أَنْ تَكُونُوا أَزْوَاجًا مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾، نزلت في رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال لئن قبض رسول الله ﷺ لأنكحن عائشة، قال مقاتل بن سليمان: هو طلحة ابن عبيد الله فأخبره الله عز وجل أن ذلك محرم، وقال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾، أي ذنبًا عظيمًا.

[٥٤] ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، نزلت فيمن أضمّر نكاح عائشة بعد رسول الله ﷺ، وقيل: قال رجل من الصحابة: ما بالناس يمنع من الدخول على بنات أعمامنا، فنزلت هذه الآية، ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: ونحن أيضًا نكلمهن من وراء الحجاب؟

[٥٥] فأنزل الله: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا آبَائِئِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا مَمْلُوكَاتٍ أَيْمَنَهُنَّ﴾، أي لا إثم عليهن في ترك الاحتجاب من هؤلاء ﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾، قيل: أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتابات الدخول عليهن، وقيل: هو عام في المسلمات والكتابات، وإنما قال: ﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾، لأنهن بين أجناسهن، ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنَهُنَّ﴾، واختلفوا في أن عبد المرأة هل يكون محرّمًا لها أم لا؟ فقال قوم: يكون محرّمًا لقوله عز وجل: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنَهُنَّ﴾، وقال قوم: هو كالأجنبي، والمراد من الآية الإماء دون العبيد، ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهَ﴾ أن يراكن غير هؤلاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَظِيمًا﴾، من أعمال العباد ﴿شَهِيدًا﴾.

[٥٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، قال ابن عباس: أراد إن الله يرحم النبي، والملائكة يدعون له. وعن ابن عباس أيضًا: يصلون يتبركون. وقيل: الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا

(١) أخرجه مسلم في الصلاة برقم (٤٠٨) ٣٠٦/١ والمصنف في شرح السنة ١٩٥/٣.

وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ^(١)، جمع الجلاب وهو الملاء التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار، وقال ابن عباس وأبو عبيدة: أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر، ﴿ذَلِكَ أَدَّتْ أَنْ يُعْرِفَنَّ﴾، أنهن حرائر، ﴿فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾، فلا يتعرضن لهن، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، قال أنس: مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنة فعلاها بالدرة، وقال: يالكاع أتشبهين بالحرائر، ألقى القناع.

[٦٠] قوله عز وجل: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَفَقِّهُونَ﴾، عن نفاقهم، ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، فجور، يعني الزنا، ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾، بالكذب وذلك أن ناسا منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ يوقعون في الناس الرعب وإذا التحم القتال ولوا وانهزموا، ويقولون: قد أتاكم العدو ونحوها. وقال الكلبي: كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويفشون الأخبار ﴿لِنُعْرِضَكَ بِهِمْ﴾، لنحرضك بهم ولنسلطنك عليهم، ﴿ثُمَّ لَا يَجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾، لا يسكنوك في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، حتى يخرجوا منها، وقيل: لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة.

[٦١] ﴿لَمُعُونِينَ﴾، مطرودين، نصب على الحال، ﴿أَتَيْنَ مَا تَفَعَّلُوا﴾، وجدوا وأدركوا، ﴿أُحْذَرُوا وَقَتِلُوا قَتِيلًا﴾، أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به.

[٦٢] ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾، أي كسنة الله، ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾، من المنافقين والذين فعلوا مثل هؤلاء، ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ لَسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

[٦٣] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ﴾، أي أي شيء يعلمك

فقالوا: الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه وقيل: معنى يؤذون الله: أي يلحدون في أسمائه وصفاته، وقال عكرمة: هم أصحاب التصاوير، عن أبي زرعة سمع أبا هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة»^(١) وقال بعضهم: (يؤذون الله) أي يؤذون أولياء الله، كقوله تعالى: (واستل القرية)، أي أهل القرية. فعن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب»^(٢)، وقال: «من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة»، ومعنى الأذى هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه.. ذكره على ما يتعارفه الناس بينهم والله عز وجل منزه عن أن يلحقه أذى من أحد. وإيذاء الرسول قال ابن عباس: هو أنه شج في وجهه وكسرت رباعيته. وقيل: شاعر ساحر معلم مجنون.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾، من غير أن عملوا ما أوجب أذاهم، وقال مجاهد: يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم، ﴿فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾، وقال مقاتل: نزلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويشتمونه. وقيل: نزلت في شأن عائشة. وقال الضحاک والكلبي: نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فيغمزون المرأة فإن سكنت اتبعوها وإن زجرتهم انتهوا عنها. ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن كانوا لا يعرفون الحرّة من الأمة لأن زي الكل كان واحد، يخرجون في درع وخمارة الحرّة والأمة كذلك فشكون ذلك إلى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء.

[٥٩] فقال جل ذكره: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رَوْحَ

(١) أخرجه البخاري في التوحيد ٥٢٨/١٣ ومسلم في اللباس برقم (٢١١١) ٣/١٦٧١. (٢) أخرجه البخاري في الرقاق ٣٤٠/١١.

أمر الساعة، ومتى يكون قيامها أي أنت لا تعرفه، ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ .

[٦٤-٦٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾، ظهرًا لبطن حين يسحبون عليها، ﴿يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾، في الدنيا.

[٦٧] ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾. قرأ ابن عامر ويعقوب: ساداتنا بكسر التاء وألف قبلها على جمع الجمع، وقرأ الآخرون بفتح التاء بلا ألف قبلها، ﴿وَكِبْرَاءَنَا فَاضْلَمْنَا السَّبِيلَ﴾.

[٦٨] ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾، أي ضِعْفِي عَذَابٍ غَيْرِهِمْ. قوله تعالى: ﴿وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾، قرأ عاصم كبيرًا بالباء. قال الكلبي: أي عَذَابًا كَثِيرًا، وقرأ الآخرون بالثاء كقوله تعالى: (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)، وهذا يشهد للكثرة أي مرة بعد مرة.

[٦٩] قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾، فطهره الله مما قالوا، ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبًا﴾، أي كريمًا ذا جاهٍ، يقال: وجه الرجل يوجهه وجهة فهو وجهه، إذا كان ذا جاه وقدر. قال ابن عباس: كان حفيظًا عند الله لا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه. وقال الحسن: كان مستجاب الدعوة. وقيل: كان محبًا مقبولًا.

[٧٠] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، قال ابن عباس: صوابًا. وقال قتادة: عدلًا. وقال الحسن: صدقًا. وقيل: مستقيمًا. وقال عكرمة: هو قول لا إله إلا الله.

[٧١] ﴿صَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾، قال ابن عباس: يتقبل حسناتكم. وقال مقاتل: يترك أفعالكم، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، أي ظفر بالخير كله.

[۷۲] قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَذُكُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يَنْبَشِّرُكُمْ إِذَا مَرَقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَعِنَى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

منه، وقيل: الحمد لله في الآخرة هو حمد أهل الجنة كما قال الله تعالى: (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن)، و(الحمد لله الذي صدقنا وعده)، «وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ».

[٢] «يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ»، أي يدخل فيها من الماء والأموات، «وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا»، من النبات والأموات إذا حشروا، «وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ»، من الأمطار، «وَمَا يَعْرُجُ»، يصعد، «فِيهَا»، من الملائكة وأعمال العباد، «وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ».

[٣] «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ»، الساعة، «عَالِمِ الْغَيْبِ»، قرأ أهل المدينة والشام: «عَلِمِ» بالرفع على الاستئناف وقرأ الآخرون بالجر على نعت الرب، أي وربِّي عالم الغيب، وقرأ حمزة والكسائي: «علام» على

والأرض والجبال، هذا قول ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف. وقال بعضهم: المراد من العرض على السموات والأرض، عرضها على من على أهل السموات والأرض، عرضها على من فيها من الملائكة. وقيل: على أهلها كلها دون أعيانها، كقوله تعالى: (واستل القرية) أي أهل القرية. والأول أصح، وهو قول العلماء «فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا»، أي خفن من الأمانة أن لا يؤدينا فيلحقهن العقاب، «وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ»، يعني آدم عليه السلام، فقال الله لآدم: إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تقبها فهل أنت آخذها بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت، وإن أسأت عوقبت، فتحملها آدم «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا»، قال ابن عباس: ظلومًا لنفسه جهولًا لأمر الله وما احتمل من الأمانة. وقال الكلبي: ظلومًا حين عصى ربه، جهولًا لا يدري ما العقاب في ترك الأمانة. وقال مقاتل: ظلومًا لنفسه جهولًا بعاقبة ما تحمّل.

[٧٣] قوله عز وجل: «لَيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ»، وقال مقاتل: ليعذبهم بما خانوا الأمانة ونقضوا الميثاق، «وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا»، يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الأمانة. وقال ابن قتيبة: أي عرضنا الأمانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله، ويظهر إيمان المؤمن فيتوب الله عليه أي يعود عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات.

(٣٤) سُورَةُ سَبَأٍ

[١] «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ»، ملكًا وخلقًا، «وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ»، كما هو له في الدنيا، لأن النعم في الدارين كلها

وزن فعال، وجر الميم، ﴿لَا يَعْزُبُ﴾، لا يغيب، ﴿عَنْهُ يُقَالُ ذَرَقٌ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾، أي من الذرة، ﴿وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

[٤] ﴿لَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ﴾، يعني الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، حسن يعني في الجنة.

[٥] ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾، في إبطال أدلتنا، ﴿مُعْجِزِينَ﴾، يحسبون أنهم يفوتونا، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ﴾، قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب: ﴿أَلِيمٌ﴾ بالرفع ههنا وفي الجاثية على نعت العذاب، وقرأ الآخرون بالخفض على نعت الرجز، وقال قتادة: الرجز سوء العذاب.

[١٠] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِمَّا فَضَّلْنَا﴾، يعني النبوة والكتاب، وقيل: الملك. وقيل: جميع ما أوتي من حسن الصوت وتلين الحديد وغير ذلك مما خص به، ﴿يَجْأَلُ﴾، أي وقلنا: يا جبال، ﴿أُوبِي﴾، أي سبحي، ﴿مَعَهُ﴾، إذا سبح، وقال القتيبي: أصله من التأويب في السير وهو أن يسير النهار كله فيتنزل ليلاً بالتسبيح معه. وقال وهب: نوحى معه، ﴿وَالطَّيْرُ﴾، عطف على موضع الجبال، لأن كل منادى في موضع النصب. وقيل: معناه وسخرنا وأمرنا الطير أن تسبح معه. وقرأ يعقوب: ﴿وَالطَّيْرُ﴾ بالرفع رداً على الجبال أي أوبي أنت والطير ﴿وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ﴾، حتى كان الحديد في يده كالشمع والعجين يعمل فيه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة،

[١١] ﴿أَن أَعْمَلَ سَيِّغَتٍ﴾، دروعاً كواصل واسعات طوالة تسحب في الأرض، ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾، واسرد نسج الدروع، يقال لصانعه: السرد والزراد، يقول: قدر المسامير في حلق الدرع أي لا تجعل المسامير دقاً فتفتل ولا غلاظاً فتكسر الحلق، ويقال: السرد المسمار في الحلقة، يقال: درع مسرودة أي مسمورة الحلق، وقدر في السرد اجعله على القصد وقدر الحاجة، ﴿وَأَعْمَلُوا صُلْحًا﴾، يريد داود وآله، ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٦] ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، يعني مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه. وقال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ، ﴿الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ﴾، يعني القرآن، ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾، يعني أنه من عند الله، ﴿وَيَهْدِي﴾، يعني القرآن، ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾، وهو الإسلام.

[٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، منكبين للبعث متعجبين منه، ﴿هَلْ نَدُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْسِكُمْ﴾، أي يخبركم يعنون محمداً ﷺ، ﴿إِذَا مَرَقَتْ كُلُّ مَرْقٍ﴾، قُطِعَتْ كل تقطيع وفُرِقَتْ كل تفريق وصرتم تراباً ﴿إِنكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يقول لكم إنكم لفي خلق جديد.

[٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾، ألف استفهام دخلت على ألف الوصل ولذلك نصبت، ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ يقولون: أزعم كذباً أم به جنون، قال الله تعالى رداً عليهم: ﴿يَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾، من الحق في الدنيا.

[٩] قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، فيعلموا أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسماوي محيطة بهم لا يخرجون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٢٩

سُورَةُ سَبَأٍ

[١٢] ﴿وَلَسَلِمْنَ النَّجَى﴾، أي وسخرنا لسليمان الريح، وقرأ أبو بكر عن عاصم الريح بالرفع أي سخر له الريح، ﴿عُدُّوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾، أي سير عُدُّوْ تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر وسير رواحها مسيرة شهر، وكانت تسير في يوم واحد مسيرة شهرين ﴿وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ﴾، أي أذننا له عين النحاس، والقطر النحاس ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾، بأمر ربه، قال ابن عباس: سخر الله الجن لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به، ﴿وَمِنَ يَزْجٍ﴾، أي يعدل، ﴿وَمِنْهُمْ﴾، من الجن، ﴿عَنَ أَمْرِنَا﴾، الذي أمرنا به من طاعة سليمان، ﴿نَذْفُهُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾، في الآخرة، وقال بعضهم: في الدنيا وذلك أن الله عز وجل وكل بهم ملكًا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقت.

[١٣] ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ﴾، أي مساجد والأبنية المرتفعة قوله: ﴿وَتَمْثِيلٍ﴾ أي كانوا يعملون له تماثيل أي صورًا من نحاس وصفر وشبه وزجاج ورخام. وقيل: كانوا يصورون السباع والطيور. وقيل: كانوا يتخذون صور الملائكة والأنبياء والصالحين في المسجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة، ولعلها كانت مباحة في شريعتهم، كما أن عيسى كان يتخذ صورًا من الطين فينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله. ﴿وَحِفَانٍ﴾، أي قصاع واحدها جفنة، ﴿كَجَوَابٍ﴾، كالحياض التي يجبي فيها الماء أي يجمع واحدها جاية ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾، أي وقفنا: اعملوا آل داود شكرًا، مجازة: اعملوا يا آل داود بطاعة الله شكرًا له على نعمه، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، أي العامل بطاعتي شكرًا لنعمتي قيل: المراد من آل داود هو داود نفسه. وقيل: داود وسليمان وأهل بيته.

[١٤] ﴿فَلَمَّا قُضِيَنا عَلَيْهِ الْمَوْتُ﴾، أي على سليمان، قال أهل العلم: كان سليمان عليه السلام

أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن شَاءَ نَحْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطْ عَلَيْهِمُ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يٰجِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ الْحَدِيدُ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَبِغْتِ وَقَدَّرِ فِي السَّيِّدِ وَاعْمَلُوا صِلًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسَلِمْنَ النَّجَى عُدُّوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزْجِ مِنْهُمْ عَنَ أَمْرِنَا نَذْفُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَحِفَانٍ كَجَوَابٍ وَقَدُورًا سَبِغْتِ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قُضِيَنا عَلَيْهِ الْمَوْتُ مَا دَفْنُكُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ فَلَمَّا خُرَّيْنَتِ الْجِنُّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

يتجرد في بيت المقدس السنة والستين، والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء ويعلمون ما في غد، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئًا على عصاه فمات قائمًا وكانت الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياته وينظرون إليه يحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته قبل ذلك، فمكثوا يدأبون له بعد موته حولًا كاملاً حتى أكلت الأرض عصا سليمان، فخر ميتًا فعلموا بموته فذلك قوله: ﴿مَا دَفْنُكُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾، وهي الأرضة التي، ﴿تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ﴾، يعني عصاه ﴿فَلَمَّا خُرَّ﴾، أي سقط على الأرض، ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾، أي علمت الجن وأيقنت، ﴿أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾، أي في

عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم، وقالوا: ما نعرف الله عز وجل علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعم عنا إن استطاع، فذلك قوله تعالى: ﴿فَاعْرُضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾، والعرم جمع عرمة وهي السكر الذي يحبس به الماء، وقال ابن الأعرابي: العرم السيل الذي لا يطاق وقيل: العرم الوادي وأصله من العرامة وهي الشدة والقوة ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِحَبَّتَيْهِمْ جَبَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْلٍ خَمْطٍ﴾، وقرأ العامة بالتنونين، وقرأ أهل البصرة: (أَكْلٍ خَمْطٍ) بالإضافة، الأكل الثمر، والخمط الأراك وثمره يقال له البربر، هذا قول أكثر المفسرين، وقال المبرد والزجاج: كل نبت قد أخذ طعمًا من المرارة حتى لا يمكن أكله هو خمط. وقال ابن الأعرابي: الخمط ثمر شجرة يقال له فسوة الضبع، على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به، فمن جعل الخمط اسمًا للمأكول فالتنونين في أكل حسن، ومن جعله أصلًا وجعل الأكل ثمرة فلاضافة فيه ظاهرة، والتنونين سائغ تقول العرب: في بستان فلان أعناب كرم، يترجم عن الأعناب بالكرم لأنها منه، ﴿وَأَنْثِلْ وَشَيْءٌ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾، فالأنثل هو الطرفاء، وقيل: هو شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه، والسدر شجر النبق ينتفع بورقه لغسل اليد ويغرس في البساتين، ولم يكن هذا من ذلك، بل كان سدرًا بريًا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشيء، قال قتادة: كان شجر القوم من خير الشجر فصوره الله من شر الشجر بأعمالهم.

[١٧] ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾، أي ذلك الذي فعلنا بهم جزيناكم بكفرهم، ﴿وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾ أي وهل يجازى مثل هذا الجزاء إلا الكفور، وقال مجاهد: يجازى أي يعاقب. وقال في العقوبة: يجازى، وفي المثوبة يجزى. قال مقاتل: هل يكافأ بعمله السيئ إلا الكفور لله في نعمه. قال الفراء: المؤمن يُجْزَى ولا يجازى أي

التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت يظنونه حيًا، أراد بذلك أن يعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب، لأنهم كانوا يظنون أنهم يعلمون الغيب، لغلبة الجهل عليهم، وذكر الأزهري أن معناه تبينت الجن، أي ظهرت وانكشفت الجن للإنس، أي ظهر أمرهم أنهم لا يعلمون لأنهم كانوا قد شبهوا على الإنس ذلك، وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس: تبينت الإنس أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، أي علمت الإنس وأيقنت ذلك، وقرأ يعقوب: ﴿تَبَيَّنَتْ﴾ بضم التاء وكسر الياء أي أعلمت الإنس والجن، ذكر بلفظ ما لم يسم فاعله، وتبين لازم ومتعد.

[١٥] قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسُلَيْمٍ﴾، روى أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك القطيعي، قال: قال رجل: يا رسول الله أخبرني عن سبأ كان رجلًا أو امرأة أو أرضًا؟ قال: كان رجلًا من العرب وله عشرة من الولد ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾، قرأ حمزة وحفص ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ بفتح الكاف على الواحد وقرأ الكسائي بكسر الكاف وقرأ الآخرون ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ على الجمع وكانت مساكنهم بمأرب من اليمن، ﴿ءَايَةُ﴾، دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا، ثم فسر الآية فقال: ﴿جَبَّتَانِ﴾، أي هي جبتان بستانان، ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾، أي عن يمين الوادي وشماله. وقيل: عن يمين من أتاها وشماله، وكان لهما وادٍ قد أحاطت الجبتان بذلك الوادي ﴿كُلُوا﴾، أي وقيل لهم: كلوا، ﴿مِنْ رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾، يعني من ثمار الجبتين ﴿وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾، أي على ما رزقكم من النعمة والمعنى اعملوا بطاعته، ﴿بَلَدٌ طَيِّبٌ﴾، أي أرض سبأ بلدة طيبة ليست بسبخة أي طيبة الهواء، ﴿وَرَبِّ غَفُورٌ﴾، قال مقاتل: وربكم إن شكرتموه فيما رزقكم رب غفور للذنوب.

[١٦] ﴿فَاعْرُضُوا﴾، قال وهب: أرسل الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبيًا فدعواهم إلى الله وذكروهم نعمه

يجزى للثواب بعمله ولا يكافأ بسيئاته.

[١٨] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَكَرْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر هي قرى الشام، ﴿قَرْيَ ظَهْرَةَ﴾، متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها، وكان متجرهم من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقلون بأخرى وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام. وقيل: كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمئة قرية متصلة من سبأ إلى الشام، ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾، أي قدرنا سيرهم بين هذه القرى وكان مسيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم، فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار ﴿سَيَرُوا فِيهَا﴾، أي وقلنا لهم: سيروا فيها، وقيل: هو أمر بمعنى الخبر أي مكانهم من السير فكانون يسيرون فيها ﴿لِيَأْتِيَ وَيَأْتِيَا﴾، أي بالليلي والأيام أي وقت شتم، ﴿وَأَمِينٌ﴾، لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا، فبطروا وطغوا ولم يصبروا على العافية، وقالوا: لو كانت جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن تشتهي.

[١٩] ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾، فاجعل بيننا وبين الشام فلولات ومفاوز لركب فيها الرواحل وتزود الأزواد، فعجل الله لهم الإجابة. وقال مجاهد: بطروا النعمة وسئموها الراحة ﴿وَوَطِّمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، بالبطر والطغيان. قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم، ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾، فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾، لعبرا ودلالات، ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾، عن معاصي الله، ﴿شَكُورٍ﴾، لأنعمه، قال مقاتل: يعني المؤمن من هذه الأمة صبوراً على البلاء شاكراً للنعماء قال مطرف: هو المؤمن إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر.

[٢٠] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ

سورة سبأ

٤٣٠

سورة سبأ

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّ مِنْ رَزَقَهُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خِطٍ وَأَنْثَى وَنَسِيَ عَنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَهْرَةَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَأْتِيَ وَيَأْتِيَا أَمِينٌ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَطَلَّمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَوْمُ الْآخِرَةِ مَنَ هُوَ مِنْهَا فِي شَاكٍ وَرَبِّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

ظَنَّهُ﴾، قرأ أهل الكوفة: (صَدَّقَ) بالتشديد أي ظن فيهم ظناً حيث قال: (فبعزتك لأغوينهم أجمعين) (ولا تجد أكثرهم شاكرين) فصدَّقَ ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم إياه، وقرأ الآخرون بالتخفيف أي صدق عليهم في ظنه بهم أي على أهل سبأ. وقال مجاهد: على الناس كلهم إلا من أطاع الله، ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال السدي عن ابن عباس: يعني المؤمنين كلهم لأن المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين، وقد قال الله تعالى: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان)، يعني المؤمنين. وقيل: هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه.

[٢١] قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾، أي ما كان تسليطنا إياه عليهم، ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَوْمُ الْآخِرَةِ مَنَ هُوَ مِنْهَا فِي شَاكٍ﴾، أي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٥﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَهْبَأْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ لَّكُمْ مِيعَادٌ وَلَا تَسْتَعْجِلُونَّ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَفِدُّونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تَأْتِيَنَا بِهِذَا الْقُرْآنُ إِنَّا وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ نَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا أَوْلَا أَنْتُمْ لَكُمُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾

الأرض النبات، ﴿قُلِ اللَّهُ﴾، أي إن لم يقولوا: رازقنا الله، فقل أنت إن رازقكم هو الله، ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. ليس هذا على طريق الشك ولكن على جهة الإنصاف في الحجاج كما يقول القائل للآخر: أهدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب، والمعنى ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال، فالنبي ﷺ ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال، فكذبهم من غير أن يصرح بالكذب. وقال بعضهم: أو بمعنى الواو والألف فيه صلة، كأنه قال: وإنا وإياكم لعلَى هدى أو في ضلال مبين يعني نحن على الهدى وأنتم على الضلال. [٢٥] ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. [٢٦] ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾، يعني يوم القيامة،

إلا لنعلم أي لنرى ونميز المؤمن من الكافر، وأراد علم الوقوع والظهور، وقد كان معلوماً عنده بالغيب، ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ﴾ رقيب. [٢٢] ﴿قُلْ﴾، يا محمد لكفار مكة، ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾، أنهم آلهة، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾، وفي الآية حذف أي ادعوهم ليكشفوا الضر الذي نزل بكم في سني الجوع، ثم وصفها فقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، من خير وشر ونفع وضر ﴿وَمَا لَهُمْ﴾، أي للآلهة، ﴿فِيهِمَا﴾، في السموات والأرض، ﴿مِنْ شِرْكِ﴾، من شركة، ﴿وَمَا لَهُمْ﴾، أي وما لله، ﴿مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ﴾، عون. [٢٣] ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ الله في الشفاعة، قاله تكذيباً لهم حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ويجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله له أن يشفع له، وقرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي: ﴿أُذِنَ﴾ بضم الهمزة، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب بفتح الفاء وكسر الزاي في ﴿فُزِعَ﴾ أي كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم، فالتفريع إزالة الفزع كالتمريض والتفريد، واختلفوا في الموصوفين بهذه الصفة، فقال قوم: هم الملائكة، ثم اختلفوا في ذلك السبب فقال بعضهم إنما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل، وقال بعضهم: إنما يفزعون حذراً من قيام الساعة. وقال جماعة: الموصوفون بذلك المشركين. قال الحسن وابن زيد: حتى إذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت بهم إقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا: الحق، فأقروا به حين لا ينفعهم الإقرار. [٢٤] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فالرزق من السموات ومن

الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ

٤٣٢

سُورَةُ سَبَأٍ

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَكُمْ
عَنِ الْهَدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٩﴾
وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٠﴾
قُلْ إِن رَّحِي بِسْطِ الرِّزْقِ لَمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا
زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ أَجْرٌ لَّهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ
بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
أَبْنَاءِنا مَعَ جُرِينَ أَوْلِيَّكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ
إِن رَّحِي بِسْطِ الرِّزْقِ لَمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرْ لَهُ وَمَا
أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٤﴾

ترك الإيمان.

﴿٢٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ
مَكْرَ الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ، أي مكركم بنا في الليل
والنهار، والعرب تضيف الفعل إلى الليل والنهار
على توسع في الكلام.

وقيل: مكر الليل والنهار وهو طول السلامة
وطول الأمل فيهما، كقوله تعالى: (فطال عليهم
الأمَدُ فقسَتْ قُلُوبُهُمْ). إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ
وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا، وأظهروا الندامة،
وقيل: أخفوا، وهو من الأضداد، لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ
وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا، في النار
والأتباع والمتبوعين جميعًا. هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ من الكفر والمعاصي في الدنيا.

(١) أخرجه البخاري في التيمم ٤٣٥/١ ومسلم في المساجد
رقم (٥٢١) ٣٧٠/١ والمصنف في شرح السنة ١٩٦/١٣.

﴿ثُمَّ يَفْتَحْ﴾، يقضي، ﴿يَسْنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتْحُ
الْعَلِيمُ﴾.

[٢٧] ﴿قُلْ أَرَأَيْتِ الَّذِينَ أَحَقَّتْ بِهِ شُرَكَاءُ﴾،
أي أعلموني الذين ألحقتموهم به أي بالله شركاء
في العبادة معه هل يخلقون وهل يرزقون، ﴿كَلَّا﴾،
لا يخلقون ولا يرزقون، ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾،
الغالب على أمره، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره لخلقه فأني
يكون له شريك في ملكه.

[٢٨] قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً
لِّلنَّاسِ﴾، يعني للناس أحمرهم وأسودهم، ﴿بَشِيرًا
وَنَذِيرًا﴾، أي مبشرا ومنذرا، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ﴾، وروينا عن جابر أن النبي ﷺ قال: «كان
النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس
عامة»^(١) وقيل: كافة أي كافا يكفهم عما هم عليه
من الكفر، والهاء للمبالغة.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ
صَادِقِينَ﴾، يعني القيامة.

[٣٠] ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَعِجُونَ عَنْهُ سَاعَةً
وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾، أي لا تتقدمون عليه يعني يوم
القيامة، وقال الضحاك: يوم الموت لا تتأخرون
عنه ولا تتقدمون بأن يزداد في أجلكم أو ينقص منه.

[٣١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا
الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، يعني التوراة
والإنجيل، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾، يا محمد، ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ
مُوقِفُونَ﴾، محبسون، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ
إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾، يرد بعضهم إلى بعض القول
في الجدال، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾، استحققوا
وهم الأتباع، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾، وهم القادة
والأشراف، ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾، أي أنتم
منعتمونا عن الإيمان بالله ورسوله.

[٣٢] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾، أجابهم
المتبوعون في الكفر، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ
صَدَدْنَكُمْ عَنِ الْهَدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمُونَ﴾،

يخلفه على المنفق، إما أن يجعله في الدنيا وإما أن يدخره له في الآخرة، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾، خير من يعطي ويرزق. وروينا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك»^(١) وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»^(٢).

[٤٠] قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾، قرأ يعقوب وحفص ﴿يُحْشَرُهُمْ﴾، ويقول بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالنون، ﴿جَمِيعًا﴾ يعني هؤلاء الكفار، ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءُ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ﴾، في الدنيا، قال قتادة: هذا استفهام تقرير، كقوله تعالى لعيسى: (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ)، فتتبرأ منهم الملائكة.

[٤١] ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ﴾، تنزيهاً لك، ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾، أي نحن نتولاك ولا نتولاهم، ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾، يعني الشياطين، فإن قيل لهم: كانوا يعبدون الملائكة فكيف وجه قوله: ﴿يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾، قيل: أراد الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة، فهم كانوا يطيعون الشياطين في عبادة الملائكة، فقوله ﴿يَعْبُدُونَ﴾ أي يطيعون الجن، ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾، يعني مصدقون للشياطين.

[٤٢] ثم يقول الله: ﴿قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا﴾، بالشفاعة، ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ بالعذاب، يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضرر، ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَإِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا﴾، يعنون محمدًا ﷺ، ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُ

[٣٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيْبٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾، رؤساؤها وأغنياؤها، ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَقَالُوا﴾، يعني قال المترفون للفقراء الذين آمنوا، ﴿تَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾، ولو لم يكن الله راضيًا بما نحن عليه من الدين والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد، ﴿وَمَا تَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾، أي إن الله أحسن إلينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا.

[٣٦] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، يعني إن الله يبسط الرزق ويقدر ابتلاءً وامتحاناً لا يدل البسط على رضا الله عنه ولا التضيق على سخطه، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أنها كذلك.

[٣٧] ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى﴾، أي قربي، قال الأخفش: قربي اسم مصدر كأنه قال: بالتي تقربكم عندنا تقريباً، ﴿إِلَّا مَن ءَامَنَ﴾، يعني من آمن ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، قال ابن عباس يريد إيمانه وعمله يقربه مني، ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا﴾، أي يضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة إلى سبعمئة ﴿وَهُمْ فِي الْعَرْشَاتِ ءَامِنُونَ﴾، قرأ حمزة: (في الغرفة) على واحدة، وقرأ الآخرون بالجمع لقوله: (لنبوأنهم من الجنة غرفاً).

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ﴾، يعملون، ﴿فِي ءَابِتِنَا﴾، في إبطال حجتنا، ﴿مُعْجِزِينَ﴾، معاندين يحسبون أنهم يعجزوننا ويفوتوننا، ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

[٣٩] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾، يعطي خَلْفَهُ قال سعيد بن جبیر: ما كان في غير إسراف ولا تقثير فهو يخلفه، وقال الكلبي: ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم في الخير من نفقة فهو

(١) أخرجه البخاري في التوحيد ١٣/٤٦٤ ومسلم في الزكاة برقم (٩٩٣) ٢/٦٩٠.

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة ٣/٣٠٤ ومسلم في الزكاة برقم (١٠١٠) ٢/٧٠٠.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٣٣

الْقُرْآنِ

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَقُولُ الْمَلَكُ الْأَوَّلُ إِنَّا كُنَّا نُؤْمَرُ بِعِبَادَتِهِمْ فَاعْبُدُونَا ﴿٤٤﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كُنَّا نَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلَيْكُمُ الْيَوْمَ لَآئِمٌ بِبَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَوْفَوْا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا أَفْكٌ مُفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مِثْنُ ﴿٤٧﴾ وَمَاءِ الْيَنْبُوتِ مِمَّنْ كُتِبَ يُدْرَسُونَ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ نَذِيرٍ قَبْلِكَ مِنْ نَذِيرٍ الْعَرَبِ قَبْلِكَ نَبِيٌّ وَلَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ ﴿٤٨﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، مِنْ الْأُمَمِ رَسَلْنَا وَهُمْ عَادُ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطَ وَغَيْرِهِمْ، ﴿وَمَا بَلَّغُوا﴾ يعني هؤلاء المشركين، ﴿وَمَا عَشَارَ﴾، أي عشر، ﴿مَا آتَيْنَاهُمْ﴾، أي أعطينا الأمم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر، ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ، أي إنكاره وتغييره عليهم، يُحذِّرُ كَفَارَ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ.

﴿٤٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ أي بخصلة واحدة، ثم يبين تلك الخصلة فقال: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾، أي لأجل الله، ﴿مِثْنِ﴾، أي اثنين اثنين، ﴿وَفَرَدَيْ﴾، أي واحدًا واحدًا، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾، جميعًا أي تجتمعون فتتظرون وتتحدرون وتفردون، فتفكرون في حال محمد ﷺ فتعلموا، ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾، أي جنون، وليس المراد من القيام القيام الذي هو ضد الجلوس وإنما هو قيام بالأمر الذي هو في طلب الحق، كقوله: (وَأَنْ تَقُومُوا لِلتَّائِمِ بِالْقِسْطِ). ﴿إِنْ هُوَ﴾، ما هو، ﴿إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، قال مقاتل: تم الكلام عند قوله (ثم تفكروا) أي في خلق السموات والأرض فتعلموا أن خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال: ما بصاحبكم من جنة.

﴿٥٠﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ﴾، على تبليغ الرسالة، ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾، جعل ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾، يقول: قل لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجرا فتفهموني، ومعنى قوله: ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي لم أسألكم شيئًا كقول

يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا أَفْكٌ مُفْتَرٍ، يعنون القرآن، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مِثْنُ﴾، أي بين.

﴿٤٤﴾ ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ﴾، يعني هؤلاء المشركين، ﴿مِنْ كُتُبٍ يُدْرَسُونَهَا﴾، يقرؤونها، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾، أي لم يأت العرب قبلك نبي ولا نزل عليهم كتاب.

﴿٤٥﴾ ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من الأمم رسلنا وهم عاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وغيرهم، ﴿وَمَا بَلَّغُوا﴾ يعني هؤلاء المشركين، ﴿وَمَا عَشَارَ﴾، أي عشر، ﴿مَا آتَيْنَاهُمْ﴾، أي أعطينا الأمم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر، ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ، أي إنكاره وتغييره عليهم، يُحذِّرُ كَفَارَ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ.

﴿٤٦﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ أي بخصلة واحدة، ثم يبين تلك الخصلة فقال: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾، أي لأجل الله، ﴿مِثْنِ﴾، أي اثنين اثنين، ﴿وَفَرَدَيْ﴾، أي واحدًا واحدًا، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾، جميعًا أي تجتمعون فتتظرون وتتحدرون وتفردون، فتفكرون في حال محمد ﷺ فتعلموا، ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾، أي جنون، وليس المراد من القيام القيام الذي هو ضد الجلوس وإنما هو قيام بالأمر الذي هو في طلب الحق، كقوله: (وَأَنْ تَقُومُوا لِلتَّائِمِ بِالْقِسْطِ). ﴿إِنْ هُوَ﴾، ما هو، ﴿إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، قال مقاتل: تم الكلام عند قوله (ثم تفكروا) أي في خلق السموات والأرض فتعلموا أن خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال: ما بصاحبكم من جنة.

﴿٤٧﴾ ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ﴾، على تبليغ الرسالة، ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾، جعل ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾، يقول: قل لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجرا فتفهموني، ومعنى قوله: ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي لم أسألكم شيئًا كقول

القاتل: ما لي من هذا فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه شيء، ﴿إِنْ أَجْرِي﴾، ما ثوابي، ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿٤٨﴾ ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾، والقذف الرمي بالسهم والحصى، والكلام، ومعناه أتى بالحق وبالوحي ينزله من السماء فيقذفه إلى الأنبياء، ﴿عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾، رفع بخبر إن أي وهو علام الغيوب.

﴿٤٩﴾ ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾، يعني القرآن والإسلام، ﴿وَمَا يَدْعُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾، أي ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية يبدى شيئًا أو يعيد، كما قال تعالى: (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه)، وقال قتادة: الباطل هو إبليس، وهو قول مقاتل والكليبي، وقيل: الباطل الأصنام.

﴿٥٠﴾ ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾، وذلك أن كفار مكة يقولون له: إنك قد ضللت حين تركت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٣٤

سُورَةُ فَاطِرٍ

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُدْعَى الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤١﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ
فَأِنَّمَا ضَلَلْتُ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّي إِنَّهُ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٤٢﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَالِقُوتِ وَأَخْذُوا مِنْ
مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤٣﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ
مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ
بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٥﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَأَفْعَلُ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّريبٍ ﴿٤٦﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ
أَجْنَحَةٍ مِّثْلَىٰ وَتِلْكَ وَرُبُّكَ يُزِيدُ الْخَلْقَ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا
وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَأْتِيهَا
النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَهَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَافْتَوْفَكُوا ﴿٣﴾

محمدًا بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون. وقال
قتادة: يرحمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا
نار.

[٥٤] ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾، أي الإيمان
والتوبة والرجوع إلى الدنيا. وقيل: نعيم الدنيا
وزهرتها، ﴿كَأَفْعَلُ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾، يعني بنظرائهم
ومن كان على مثل حالهم من الكفار، ﴿مِّنْ قَبْلُ﴾،
أي لم يقبل منهم الإيمان والتوبة في وقت اليأس،
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ﴾، من البعث ونزول العذاب
بهم، ﴿مُرِيبٌ﴾، موقع لهم الريبة والتهمة.

(٣٥) سُورَةُ فَاطِرٍ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، خالقهما
ومبدعهما على غير مثال سبق، ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا

دين آبائك، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا
أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ أي إثم ضلالتني على نفسي، ﴿وَأِنْ
أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَحْمَةً﴾، من القرآن والحكمة،
﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾.

[٥١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا﴾، قال قتادة: عند
البعث حين يخرجون من قبورهم، ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾، أي
فلا يفوتوني كما قال: (ولات حين مناص)، وقيل:
إذا فرغوا فلا فوت ولا نجاة، ﴿وَأَخْذُوا مِنْ مَّكَانٍ
قَرِيبٍ﴾، قال الكلبي: من تحت أقدامهم، وقيل:
أخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها، وحيثما كانوا
فهم من الله قريب، لا يفوتونه. وقيل: من مكان
قريب يعني عذاب الدنيا. وقال الضحاك: يوم بدر.
وقال ابن أبزى: خسف بالبيداء، وفي الآية حذف
تقديره: ولو ترى إذ فرغوا لرأيت أمرًا تعتبر به.

[٥٢] ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾، حين عاينوا العذاب،
قيل: عند اليأس وقيل: عند البعث. ﴿وَأَنَّى﴾، من
أين، ﴿لَهُمُ التَّنَاقُشُ﴾ التناوش بالمد والهمزة، بواو
صافية من غير مد ولا همز، ومعناه التناول أي
كيف تناول ما بعد عنهم، وهو الإيمان والتوبة،
وقد كان قريبًا في الدنيا فضيعوه، ومن همز قيل:
معناه هذا أيضًا. وقيل: التناوش بالهمزة من النبس
وهو حركة في إبطاء، يقال: جاء نبشًا أي مبطلًا
متأخرًا، والمعنى من أين لهم الحركة فيما لا حيلة
لهم فيه، وعن ابن عباس قال: يسألون الرد إلى
الدنيا فيقال: وأنى لهم الرد إلى الدنيا، ﴿مِنْ مَّكَانٍ
بَعِيدٍ﴾، أي من الآخرة إلى الدنيا.

[٥٣] ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾، أي
بالقرآن، وقيل: بمحمد ﷺ، من قبل أن يعاينوا
العذاب وأحوال القيامة، ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ
مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾، قال مجاهد، يرمون محمدًا بالظن لا
باليقين، وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن، ومعنى
الغيب: هو الظن لأنه غاب علمه عنهم، والمكان
البعيد بعدهم عن علم ما يقولون، والمعنى يرمون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٣٥

سُورَةُ فَاطِرٍ

وَأَن يَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ وَلِلَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
 وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُودُو فَاخْتَدُوهُ
 عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا
 فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ
 عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
 الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنَتْهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيْتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ الْأَرْضَ بَعْدَ
 مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدِ الْغَزَا فَلِلَّهِ الْغَزَا جَمِيعًا
 إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
 يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ
 ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نَّفْسَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
 وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ نَفْسٍ
 وَلَا يَمُوتُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ .

[٨] قوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾، قال ابن عباس: نزلت في أبي جهل ومشركي مكة، وقال سعيد بن جبيرة: نزلت في أصحاب الأهواء والبدع. وقال قتادة: منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم فأما أهل الكباير فليسوا منهم لأنهم لا يستحلون الكباير، ﴿أَفَمَن زُيِّنَ﴾ شبه وموه (عليه) وحسن ﴿لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ أي قبيح عمله، ﴿فَرَآهُ حَسَنًا﴾، زين له الشيطان ذلك بالوسواس، وفي الآية حذف مجازة: أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقًا كمن هداه الله فرأى الحق حقًا والباطل باطلا، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾، وقيل: جوابه تحت قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ﴾، فيكون معناه أفمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهب نفسك عليه حسرة،

أُولَى أَجْنَحَةٍ، ذوي أجنحة ﴿مَثْنٍ وَثُلَّةٍ وَرِجْعٍ﴾، قال قتادة ومقاتل: بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة أجنحة، ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله، ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾، وقال ابن مسعود في قوله عز وجل: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى)، قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح، وقال ابن شهاب في قوله يزيد في الخلق ما يشاء قال: حسن الصوت. وعن قتادة قال: هو الملاحاة في العينين. وقيل: هو العقل والتمييز. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢] ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾، قيل: من مطر وزرق، ﴿فَلَا يُمَسِّكُ لَهَا﴾، لا يستطيع أحد حبسها، ﴿وَمَا يُمَسِّكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، فيما أمسك ﴿الْحَكِيمُ﴾، فيما أرسل من مطر وزرق.

[٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿غَيْرِ﴾ بجر الراء، وقرأ الآخرون برفعها على معنى هل خالق غير الله، لأن ﴿مِنْ﴾ زيادة، وهذا استفهام على طريق التقرير كأنه قال لا خالق غير الله، ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، أي من السماء المطر ومن الأرض النبات، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تَوْفُكُونَ﴾.

[٤] ﴿وَأَن يَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾، يعزي نبيه ﷺ، ﴿وَاللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾.

[٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾، يعني وعد القيامة، ﴿فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾، وهو الشيطان.

[٦] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخَذُوهُ عَدُوًّا﴾، أي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه، ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾، أي أشياعه وأولياءه ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، أي ليكونوا في السعير، ثم بين حال موافقيه ومخالفه فقال:

[٧] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا

فرائضه، فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه ردّ كلامه على عمله، وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، فمن قال حسناً وعمل غير صالح ردّ الله عليه قوله، ومن قال حسناً وعمل صالحاً يرفعه العمل ذلك بأن الله يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، وجاء في الحديث: «لا يقبل الله قولاً إلا بعمل ولا قولاً ولا عملاً إلا بنية»^(١) وقال قوم: الهاء في قوله يرفعه راجعة إلى العمل الصالح أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عمل إلا أن يكون صادراً عن التوحيد، وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل، وقيل: الرفع من صفة الله عز وجل معناه: العمل الصالح يرفعه الله عز وجل. وقال سفيان بن عيينة: العمل الصالح الخالص يعني أن الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأفعال، دليله قوله عز وجل: (فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)، فجعل نقیض الصالح الشرك والرياء، ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السُّيُوتَ﴾، قال الكلبي: أي الذين يعملون السيئات. وقال مقاتل: يعني الشرك. وقال أبو العالية: يعني الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة، كما قال الله تعالى: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك)، وقال مجاهد وشهر بن حوشب: هم أصحاب الرياء. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، يبطل ويهلك في الآخرة.

[١١] قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ نُرَابٍ، أَي آدَمَ، ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾، يعني نسله، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكراناً وإناثاً ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ نَفْسٍ﴾، لا يطول عمره، ﴿وَلَا يُقْصِرُ مِنْ عُمرِهِ﴾، يعني من عمر آخر، كما يقال

أي تتحسر عليه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات. وقال الحسن بن الفضل: فيه تقديم وتأخير مجازه: أفمن زُين له سوء عمله فرآه حسناً فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، والحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر، ومعنى الآية: لا تهتم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا، قرأ أبو جعفر فلا تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك نصب، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

[٩] ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرَ سَحَابًا فَسَقَنَّا إِلَىٰ بَلَدٍ مِتٍّ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ من القبور.

[١٠] قوله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾، وقال الفراء: معنى الآية من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعاً، وقال قتادة: من كان يريد العزة فليتعز بطاعة الله، معناه: الدعاء إلى طاعة من له العزة، أي فليطلب العزة من عند الله بطاعته، كما يقال: من كان يريد المال فالمال لفلان، أي فليطلبه من عنده وذلك أن الكفار عبدوا الأصنام وطلبوا بها التعزز كما قال الله: (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلاً)، وقال: (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً)، ﴿إِلَيْهِ﴾، أي إلى الله، ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، وهو قوله لا إله إلا الله، وقيل: هو قول الرجل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقيل: الكلم الطيب ذكر الله. وعن قتادة: إليه يصعد الكلم الطيب أي يقبل الله الكلم الطيب. قوله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، أي يرفع العمل الصالح الكلم الطيب، فالهاء في قوله يرفعه راجعة إلى الكلم الطيب، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبیر والحسن وعكرمة وأكثر المفسرين. وقال الحسن وقاتة: الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء

(١) هكذا رواه البغوي بغير سنده، وتبعه عليه الخازن في تفسيره، وذكر الإمام الطبري في تفسيره ج ٢٢ ص ٨٠ أنه عزاه لقتادة.

فلان: عندي درهم ونصفه أي نصف درهم آخر،
﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾، وقيل: قوله ولا ينقص من عمره
منصرف إلى الأول ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، أي
كتابة الأجل والأعمار على الله هين.

[١٢] قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾، يعني
العذب والمالح ثم ذكرهما فقال، ﴿هَذَا عَذْبٌ
فُرَاتٌ﴾، طيب، ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾، أي جائر في الخلق
هنيء، ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، شديد الملوحة. وقال
الضحَّاك: هو المر. ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا
طَرِيًّا﴾، يعني الحيتان من العذب والمالح جميعًا
﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾، أي من المالح دون العذب
﴿تَلْبَسُونَهَا﴾، يعني اللؤلؤ. وقيل: نسب اللؤلؤ
إليهما، عيون عذبة تمتاز بالملح فيكون اللؤلؤ من
ذلك، ﴿وَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاحِرُ﴾، جوارى مقبلة
ومدبرة بريح واحدة، ﴿لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾،
بالتجارة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على نعمه.

[١٣] ﴿يُولِجُ آلِيلٌ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي
الَّيْلِ وَسَخَرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾، يعني الأصنام، ﴿مَا يَمْلِكُونَ
مِنْ قِطْمِيرٍ﴾، وهو لفافة النواة، وهي القشرة
الرقيقة التي تكون على النواة.

[١٤] ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ﴾، يعني إن تدعوا الأصنام،
﴿لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾، ما
أجابوكم، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ﴾،
يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياها، يقولون: ما
كنتم إيانا تعبدون. ﴿وَلَا يَنْتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾، يعني
نفسه أي لا ينبتك أحد مثلي خبير عالم بالأشياء.

[١٥] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾، إلى
فضل الله والفقير المحتاج، ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ﴾، الغني عن خلقه المحمود في إحسانه
إليهم.

[١٦، ١٧] ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاحِرُ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ آلِيلٌ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ
النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ
وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ وَلَا يَنْتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ
﴿١٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بَعِيزٌ ﴿١٧﴾ وَلَا تَرَى وَارِدًا وَرَدَّ أُخْرَىٰ وَإِنْ
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بَعِيزٌ، شديد.

[١٨] ﴿وَلَا تَرَى وَارِدًا وَرَدَّ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾،
أي نفس مثقلة بذنوبها غيرها، ﴿إِلَىٰ جَمَلِهَا﴾، أي
حمل ما عليها من الذنوب، ﴿لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ
كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾، أي ولو كان المدعو ذا قرابة له ابنه
أو أباه أو أمه أو أخاه. قال ابن عباس: يلقى الأب
والأم ابنه فيقول: يا بني احمل عني بعض ذنوبي،
فيقول: لا أستطيع حسبي ما علي. ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ﴾، يخافون، ﴿رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾، ولم يروه.
وقال الأخفش: تأويله أي إنذارك إنما ينفع الذين
يخشون ربهم بالغيب، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ﴾،
أصلح وعمل خيرا، ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾، لها
ثوابه، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

[١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾، يعني
الجاهل والعالم. وقيل: الأعمى عن الهدى

والبصير بالهدى، أي المؤمن والمشرک.

[٢٠] ﴿وَلَا الظُّلُمْتُ وَلَا النُّورُ﴾، يعني الكفر والإيمان.

[٢١] ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾، يعني الجنة والنار، قال ابن عباس: الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار. وقيل: الحرور يكون بالنهار مع الشمس.

[٢٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوْتُ﴾، يعني المؤمنين والكفار. وقيل: العلماء والجهال. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ﴾، حتى يتعظ ويحيب، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾، يعني الكفار شبههم بالأموات في القبور حين لم يحيبوا.

[٢٣] ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾، ما أنت إلا منذر تخوفهم بالنار.

[٢٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾، ما من أمة فيما مضى ﴿إِلَّا خَلَا﴾، سلف، ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾، نبي منذر.

[٢٥] ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾، بالكتب ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾، الواضح كرر ذكر الكتاب بعد ذكر الزبر على طريق التأكيد.

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، أي إنكاري.

[٢٧] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَرَقَ وَخُطوطٌ وَأَحَدُهَا جَدَّةٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا وَجَدُ مُدَدٍ وَإِسْطَبْرَقٌ وَجَمْعٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرِيبٌ مُسَوِّدٌ﴾، يعني سود غرابيب على التقديم والتأخير، يقال: أسود غريب أي شديد السواد تشبيهاً بلون الغراب، أي طرائق سود.

[٢٨] ﴿وَمِنْ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ﴾، ذكر الكناية لأجل ﴿مِنْ﴾، وقيل: رد الكناية إلى ما في الإضمار، مجازة: ومن الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٣٧

سُورَةُ فَاطِرٍ

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَلَا الظُّلُمْتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٣﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوْتُ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٥﴾ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٦﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٧﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿٨﴾ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٩﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرِيبٌ مُسَوِّدٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿١٣﴾ إِنْ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿١٤﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١٥﴾

والدواب والأنعام ما هو مختلف ألوانه، ﴿كَذَلِكَ﴾، يعني كما اختلف ألوان الثمار والجيال، وتم الكلام هنا ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني قال النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»^(١). وقال مسروق: كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾، أي عزيز في ملكه غفور لذنوب عباده.

[٢٩] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾، يعني قرأوا القرآن، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا

(١) قطعة من حديث رواه البخاري في التفسير ٢٨٠/٨ ومسلم في الفضائل برقم (٢٣٥٩) ٤/١٨٢٣.

مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَكْبُورَ ﴿٣٠﴾، لن تفسد ولن تهلك، والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب، قال الفراء: قوله يرجون جواب لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾.

[٣٠] ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾، جزاء أعمالهم بالثواب، ﴿وَيَرْيَدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾، قال ابن عباس: يعني سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع أذن، ﴿إِنَّهُمْ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾، قال ابن عباس: يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم.

[٣١] ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، يعني القرآن، ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، من الكتب، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾.

[٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾، يعني الكتاب الذي أنزلنا إليك الذي ذكر في الآية الأولى وهو القرآن جعلناه ينتهي إلى، ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، ويجوز أن يكون ﴿ثُمَّ﴾ بمعنى الواو، أي وأورثنا، كقوله: (ثم كان من الذين آمنوا)، أي وكان من الذين آمنوا، ومعنى أورثنا أعطينا لأن الميراث عطاء، قاله مجاهد.

وقيل: أورثنا أي أخرجنا، ومنه الميراث لأنه آخر عن الميت، ومعناه أخرجنا القرآن عن الأمم السالفة وأعطيناكموه، وأهلنا له الذين اصطفينا من عبادنا، قال ابن عباس: يريد أمة محمد ﷺ، ثم قسمهم ورتبهم فقال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ اختلاف المفسرون في معنى الظالم والمقتصد والسابق، فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين قرأ هذه الآية: «أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حسابًا يسيرًا، وأما الظالم لنفسه فيحسب في المقام حتى يدخله الهيم، ثم يدخل الجنة»^(١) ثم قرأ هذه الآية: (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ).

وقال عقبة بن صهبان: سألت عائشة عن قول الله عز وجل: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية، فقالت: يا بني كلهم في الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم، فجعلت نفسها معنا. وقال مجاهد والحسن وقتادة: فمنهم ظالم لنفسه وهم أصحاب المشئمة، ومنهم مقتصد هم أصحاب الميمنة، ومنهم سابق بالخيرات هم السابقون المقربون من الناس كلهم. وعن ابن عباس قال: السابق: المؤمن المخلص، والمقتصد: المرائي، والظالم: الكافر نعمة الله غير الجاحد لها، لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال: (جنات عدن يدخلونها)، وقال بعضهم: يذكر ذلك عن الحسن، قال: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته، والظالم من رجحت سيئاته على حسناته. وقيل: الظالم من كان ظاهره خيرًا من باطنه، والمقتصد الذي يستوي ظاهره وباطنه، والسابق الذي باطنه خير من ظاهره، وقيل: الظالم من وَّخَدَ الله بلسانه ولم يوافق فعله قوله، والمقتصد من وَّخَدَ الله بلسانه وأطاعه بجوارحه، والسابق من وَّخَدَ الله بلسانه وأطاعه بجوارحه وأخلص له عمله. وقيل: الظالم التالي للقرآن، والمقتصد القارئ له العالم به، والسابق القارئ له العالم به العامل بما فيه. وقيل: الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر، والسابق الذي لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة، وقال سهل بن عبد الله: السابق العالم، والمقتصد المتعلم، والظالم الجاهل وقال بعضهم: المراد بالظالم الكافر ذكره الكلبي. وقيل: المراد

(١) قال الهيثمي في المجمع ٩٥/٧: رواه الطبراني وأحمد باختصار. وأخرجه الحاكم ٤٢٦/٢ والطبري ١٣٧/٢٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٣٨

سُورَةُ فَاطِرٍ

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَهْلَنَّا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبِّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

منه المناق، فعلى هذا لا يدخل الظالم في قوله: (جنات عدن يدخلونها) وحمل هذا القائل الاصطفاء على الاصطفاء في الخلقة وإرسال الرسول إليهم وإنزال الكتب. والأول هو المشهور أن المراد من جميعهم المؤمنون، وعليه عامة أهل العلم. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ أي: سابق إلى الجنة وإلى رحمة الله بالخيرات أي بالأعمال الصالحات، ﴿يُذِنُ اللَّهُ﴾ أي أمر الله وإرادته، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾، يعني إيراثنهم الكتاب.

[٣٣] ثم أخبر بثوابهم فقال: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾، يعني الأصناف الثلاثة، قرأ أبو عمرو (يَدْخُلُونَهَا) بضم الياء وفتح الخاء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

[٣٤] ﴿وَقَالُوا﴾ أي ويقولون إذا دخلوا الجنة، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾، والحزن واحد كالبخل والبخل. قال ابن عباس: حزن النار.

وقال قتادة: حزن الموت. وقال مقاتل: حزنوا لأنهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم. وقال عكرمة: حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات. وقال القاسم: حزن زوال النعم وتقلب القلب، وخوف العقابة، وقيل: حزن أهوال يوم القيامة. وقال الكلبي: ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة وقال الزجاج: أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاشٍ أو لمعادٍ ﴿إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

[٣٥] ﴿الَّذِي أَهْلَنَّا﴾، أنزلنا، ﴿دَارَ الْمَقَامَةِ﴾، أي الإقامة، ﴿مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾، أي لا يصيبنا فيها عياء ولا مشقة، ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾، عياء من التعب.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾، أي لا يهلكون فيستريحوا

كقوله عز وجل: (فوكزه موسى فقضى عليه)، أي قتله. وقيل: لا يقضى عليهم الموت فيموتوا، كقوله: (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك) أي ليقض علينا الموت فنستريح، ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾، من عذاب النار، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾، كافر، قرأ أبو عمرو (يُجْزَى) بالياء وضمتها وفتح الزاي ﴿كُلُّ﴾ رفع على غير تسمية الفاعل، وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الزاي ﴿كُلُّ﴾ نصب.

[٣٧] ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ﴾، يستغيثون ويصيحون، ﴿فِيهَا﴾ وهو افعال من الصراخ وهو الصياح يقولون، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾، منها من النار، ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، في الدنيا من الشرك والسيئات، فيقول الله لهم توبيخاً ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُ﴾، قيل: هو

الْأَنْزِلَ

٤٣٩

الْأَنْزِلَ

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا
يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ
كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ
أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّمَا ظَنَّمُوا
بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَا إِذَا نَمَسَّهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ
إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ
جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ
مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ
لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ
الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا
﴿٤٣﴾ أُولَئِكَ يَسِرُّونَ فِي الْأَرْضِ فَیَنْظُرُونَ كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ
فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

الآخرة غرور وباطل.

[٤١] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾، أي: كيلا تزولا، ﴿وَلَئِنْ زَالَا إِذَا
نَمَسَّهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾، أي ما يمسكهما أحد
من بعده، أي أحد سواه، ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾،
فإن قيل: فما معنى ذكر الحلم ههنا؟ قيل: لأن
السموات والأرض همت بما همت به من عقوبة
الكفار فأمسكهما الله تعالى عن الزوال لحلمه
وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة.

[٤٢] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾، يعني كفار
مكة لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا:
لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم،
وأقسموا بالله وقالوا: لو أتى رسول الله لنكوننَّ

البلوغ. وقال عطاء وقتادة والكلبي: ثمان عشرة
سنة. وقال الحسن: أربعون سنة. وقال ابن
عباس: ستون سنة، يروى ذلك عن علي وهو العمر
الذي أعذر الله تعالى إلى ابن آدم، عن أبي هريرة
عن النبي ﷺ قال: «أعذر الله تعالى إلى امرئ
آخر أجله حتى بلغه ستين سنة»^(١) ﴿وَجَاءَكُمْ
النَّذِيرُ﴾، يعني محمداً ﷺ، هذا قول أكثر
المفسرين. وقيل: القرآن. وقال عكرمة وسفيان بن
عيينة ووکیع: هو الشيب. معناه: أولم نعمركم
حتى شبتم. ويقال: الشيب نذير الموت. وفي
الأثر: ما من شعرة تبيض إلا قالت لأختها:
استعدي فقد قرب الموت. قوله: ﴿فَذُرُّوْا فَمَا
لِظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.

[٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

[٣٩] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي
يخلف بعضكم بعضاً، وقيل: جعلكم أمة خلفت
من قبلها. ورأت فيمن قبلها، ما ينبغي أن تعتبر به،
﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾، أي عليه وبال كفره ﴿وَلَا
يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْتًا﴾، غضباً ﴿وَلَا
يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾.

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ﴾، أي جعلتموهم شركائي بزعمكم يعني
الأصنام، ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي
السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا﴾، قال مقاتل: هل أعطينا
كفار مكة كتاباً، ﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾، قرأ ابن
كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص ﴿يَنْتَهُ﴾ على
التوحيد، وقرأ الآخرون ﴿بَيِّنَتٍ﴾ على الجمع،
يعني دلائل واضحة منه في ذلك الكتاب من
ضروب البيان، ﴿بَلْ إِنَّمَا يَدُّوْنَ﴾، أي ما يعدُّوْ،
﴿الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾، الغرور ما يغر
الإنسان مما لا أصل له، قال مقاتل: يعني ما يعد
الشیطان كفار بني آدم من شفاعة الآلهة لهم في

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ٢٣٨/١١.

(٣٦) سُورَةُ يَس

[١] ﴿يَس﴾، وَنَ، قرأ بإخفاء النون فيهما ابن عامر والكسائي وأبو بكر وورش بخلف عنه في: نون والقلم، والباقون يظهرون فيهما، واختلفوا في تأويل (يس) حسب اختلافهم في حروف التهجي، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قسم، يروى عنه أن معناه: يا إنسان بلغه طيء، يعني محمداً ﷺ، وهو قول الحسن وسعيد بن جبير وجماعة. وقال أبو العالية: يا رجل. وقال أبو بكر الوراق: يا سيد البشر.

[٢] ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾.

[٣] ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، أقسم الله بالقرآن بأن محمداً ﷺ من المرسلين، وهو ردّ على الكفار حيث قالوا: (لست مرسلًا).
[٤] ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، هو خبر بعد خبر، أي إنك لمن المرسلين وإنك على صراط مستقيم. وقيل: معناه إنك لمن المرسلين الذين هم على صراط مستقيم.

[٥] ﴿نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص (تنزيل) بنصب اللام كأنه قال نزل تنزيلاً، وقرأ الآخرون بالرفع، أي هو تنزيل العزيز الرحيم.

[٦] ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾، قيل: (ما) للنفي أي لم يُنذر آبائهم لأن قريشاً لم يأتهم نبي قبل محمد ﷺ. وقيل (ما) بمعنى الذي أي لتنذر قوماً بالذي أنذر آبائهم، ﴿فَهُمْ غَفِلُونَ﴾، عن الإيمان والرشد.

[٧] ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾، وجب العذاب، ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، هذا كقوله: (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين).

[٨] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً﴾ قال أهل

أهدى ديناً منهم، وذلك قبل مبعث النبي ﷺ، فلما بعث محمد كذبه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾، رسول، ﴿لَيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ أِهْدَى الْأُمَمِ﴾، يعني من اليهود والنصارى، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾، محمد ﷺ، ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾، أي ما زادهم مجيئه إلا تباعدًا عن الهدى..

[٤٣] ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، نصب ﴿أَسْتَكْبَرُوا﴾ على البدل من النفور، ﴿وَمَكَرَ السَّيِّئُ﴾، يعني العمل القبيح، أضيف المكر إلى صفته، قال الكلبي: هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبي ﷺ، وقرأ حمزة (وَمَكَرَ السَّيِّئُ) ساكنة الهمزة تخفيفاً وهي قراءة الأعمش، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ﴾، أي لا يحل ولا يحيط المكر السيئ، ﴿إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، فقتلوا يوم بدر، وقال ابن عباس: عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك. والمعنى: إن وبال مكرهم راجع إليهم، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾، ينتظرون، ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾، إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.

[٤٤] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ﴾، يعني ليفوت عنه، ﴿مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

[٤٥] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾، من الجرائم، ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا﴾، يعني على ظهر الأرض كناية عن غير مذكور، ﴿مِنْ ذَاتِهِ﴾، كما كان في زمان نوح أهلك الله ما على ظهر الأرض إلا من كان في سفينة نوح، ﴿وَلَا يَكُنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أهل طاعته وأهل معصيته.

المعاني: هذا على طريق المثل، ولم يكن هناك غل، أراد: منعناهم عن الإيمان بموانع، فجعل الأغلال مثلاً لذلك، قال الفراء: معناه إنا حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله كقوله تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) معناه لا تمسكها عن النفقة. ﴿فَهَيَّ إِلَىٰ آلِ الْأَذْقَانِ﴾، وهي كناية عن الأيدي وإن لم يجر لها ذكر لأن الغل يجمع اليد إلى العنق، معناه: إنا جعلنا في أيديهم وأعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان، ﴿فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ المقمح الذي رفع رأسه وغض بصره، يقال: بعير قامح إذا روى من الماء فأقمح إذا رفع رأسه وغض بصره. قال الأزهري: أراد أن أيديهم لما غُلَّتْ إلى أعناقهم رفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم، فهم مرفوعوا الرؤوس برفع الأغلال إياها.

[٩] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص (سدًّا) بفتح السين، وقرأ الآخرون بضمها، ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ فأعميناهم من التغشية وهي التغطية، ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، سبيل الهدى.

[١٠] ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾، يعني إنما ينفع إنذارك من اتبع الذكر يعني القرآن فعمل بما فيه، ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَنَشِرُهُ بِمَغْفِرٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾، حسن وهو الجنة.

[١٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾، عند البعث، ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾، من الأعمال من خير وشر، ﴿وَأَثَرَهُمْ﴾، أي ما سوا من سنة حسنة أو سيئة، قال النبي ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مَنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا»^(١).

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ دَانِيَةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَأَبْرَأَ اللَّهُ كَانَ يُعَادِيهِ بِصِيرَةٍ ۝٤٥

سُورَةُ الْيُسُفٰى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسٰٓ ۝١ وَالْقُرْءَانَ الْحَكِيمِ ۝٢ اِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَ ۝٣ عَلٰٓى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ۝٤ نَزَّلَ الْغُرٰٓىزَ الرَّحِيْمِ ۝٥ لِّنُنْذِرَ قَوْمًا مَّاۤ اُنْذِرْءَاۤ اَبَآؤُهُمْ فَهُمْ غٰفِلُوْنَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلٰٓى اَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ ۝٧ اِنَّا جَعَلْنَا فِيْٓ اَعْنَاقِهِمْ اَغْلٰلًا فَهِيَ اِلَى الْاَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُوْنَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنْۢ بَيْنِ اَيْدِيْهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَاَغْشَيْنٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُوْنَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَاَنذَرْتَهُمْ اَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ ۝١٠ اِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ فَنَشِرُهُ بِمَغْفِرٍ وَّاَجْرٍ كَرِيْمٍ ۝١١ اِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتٰى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوْا وَاَثَرُهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ اَحْصَيْنٰهُ فِيْٓ اِمَامٍ مُّبِيْنٍ ۝١٢

وقال قوم: قوله: (ونكتب ما قدموا وآثارهم) أي: خطاهم إلى المسجد. روي عن أبي سعيد الخدري قال: شكت بنو سلمة بعد منازلهم من المسجد فأنزل الله تعالى: (ونكتب ما قدموا وآثارهم)^(١). قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾ حفظناه وعددناه وبيّناه، ﴿فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾، وهو اللوح المحفوظ.

[١٣] قوله عز وجل: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾، يعني اذكر لهم شيئاً مثل حالهم من قصة أصحاب القرية وهي أنطاكية، ﴿إِذَا جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾، يعني رسل عيسى عليه الصلاة والسلام.

(١) أخرجه مسلم في الزكاة رقم (١٠١٧) ٧٠٤/٢ والمصنف في شرح السنة ١٥٩/٦.

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير ٩٤/٩ وقال (حديث حسن غريب) وصححه الحاكم ٤٢٨/٢.

سُورَةُ يَس

٤٤١

الْمَدِينَةُ

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٤﴾
 إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا
 إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ
 الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا
 الْإِنشَاءَ لِنَمْلِكُ لِلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧﴾ وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلْغَ الْمُبِينِ ﴿١٨﴾
 قَالُوا إِنَّا نَطِّيرُنَا بِكُمْ لَيْنَ لَمْ نَنْتَهُوا لِنَرْجِئَنَّكُمْ وَلِيَمَسَّكُمْ
 مِنْنَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾ قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ
 بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ
 يَسْعَى قَالَ يَنْفَوِّمُ أَتَّبِعُكَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ أَتَّبِعُكُمْ مِنْ
 لَا يَشْكُرُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَالِي لَا أُعْبِدُ إِلَّا اللَّهَ
 فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴿٢٣﴾ أَتَتَّخِذُونَ دُونَهُ إِلَهًا إِنْ
 يُرَدِّدِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا
 يُنْقِذُونَ ﴿٢٤﴾ إِنِّي إِذْ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٥﴾ إِنِّي أَمِنْتُ
 بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٢٦﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي
 يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٨﴾

[١٤] فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾، قال وهب: اسمهما يوحنا وبولس، ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا﴾، يعني فقوينا ﴿بِثَالِثٍ﴾، برسول ثالث وهو شمعون، وقرأ أبو بكر عن عاصم (فَعَزَّزْنَا) بالتخفيف وهو بمعنى الأول كقولك: شددنا وشددنا، بالتخفيف والتثقيل، وقيل: أي فغلبننا من قولهم من عَزَّ بَزَّ. وقال كعب: الرسولان صادق وصدوق، والثالث شلوم، وإنما أضاف الله الإرسال إليه لأن عيسى إنما بعثهم بأمره تعالى، ﴿فَقَالُوا﴾، جميعًا لأهل أنطاكية، ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾.

[١٥] ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾، ما أنتم إلا كاذبون فيما تزعمون.

[١٦] ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلْغَ الْمُبِينِ﴾.

[١٨] ﴿قَالُوا إِنَّا نَطِّيرُنَا بِكُمْ﴾، تشاءمنا بكم وذلك أن المطر حبس عنهم حين قدم الرسل عليهم، فقالوا: أصابنا هذا بشؤمكم، ﴿لَيْنَ لَمْ نَنْتَهُوا لِنَرْجِئَنَّكُمْ﴾، لنقتلنكم، وقال قتادة: بالحجارة ﴿وَلِيَمَسَّكُمْ مِنْنَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[١٩] ﴿قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾، يعني شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني أصابكم الشؤم من قبلكم.

وقال ابن عباس والضحاك: حظكم من الخير والشر، ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾، يعني وعظمت بالله، وهذا استفهام محذوف، الجواب: إن ذكركم وعظمت بالله تطيرتم بنا، وقرأ أبو جعفر (أَنْ) بفتح الهمزة المليئة ذكركم بالتخفيف، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾، مشركون مجاوزون الحد.

[٢٠] قوله عز وجل: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾، وهو حبيب النجار، وقال السدي: كان قصَّارًا. وقال وهب: كان رجلًا يعمل الحرير وكان سقيمًا قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند أقصى

باب من أبواب المدينة، وكان مؤمنًا ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيقسمه نصفين، فيطعم نصفًا لعياله ويتصدق بنصفه، فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم، ﴿قَالَ يَنْفَوِّمُ أَتَّبِعُكَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢١] ﴿أَتَّبِعُكُمْ مِنْ لَا يَشْكُرُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾، قال قتادة: كان حبيب في غار يعبد الله، فلما بلغه خبر الرسل أتاهم فأظهر دينه، فلما انتهى حبيب إلى الرسل قال لهم: تسألون عن هذا أجرًا؟ قالوا: لا، فأقبل على قومه فقال: (يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون)، فلما قال ذلك قالوا له: وأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بآلههم؟

[٢٢] فقال: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ﴾، قرأ حمزة ويعقوب (مالي) بإسكان الياء،

عقوبتهم.

[٢٩] فقال تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾،

وقرأ أبو جعفر: صيحة واحدة، بالرفع جعل الكون بمعنى الوقوع. قال المفسرون: أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة، ﴿فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾، ميتون.

[٣٠] ﴿يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ﴾، قال عكرمة: يعني

يا حسرتهم على أنفسهم والحسرة شدة الندامة، وفيه قولان: أحدهما يقول الله تعالى: (يا حسرة) وندامة وكآبة على العباد يوم القيامة حين لم يؤمنوا بالرسول، والآخر أنه من قول الهالكين. قال أبو العالية: لما عاينوا العذاب قالوا: يا حسرة أي ندامة على العباد يعني على العباد يعني الرسول الثلاثة حيث لم يؤمنوا بهم، فتمنوا الإيمان حين لم ينفعهم. قال الأزهري: الحسرة لا تدعى ودعاؤها تنبيه المخاطبين. وقيل العرب تقول: يا حسرتي ويا عجباً على طريق المبالغة والنداء عندهم بمعنى التنبيه، فكأنه يقول: أيها العجب هذا وقتك؟ وأيتها الحسرة هذا أوانك؟ حقيقة المعنى أن هذا زمان الحسرة والتعجب، ثم بين سبب الحسرة والندامة، فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٣١] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾، ألم يخبروا يعني أهل مكة، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾، والقرن أهل كل عصر، سموا بذلك لاقترانهم في الوجود، ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، أي لا يعودون إلى الدنيا فلا يعتبرون بهم.

[٣٢] ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٍ﴾، قرأ عاصم وحمزة (لما) بالتشديد ههنا وفي الزخرف والطارق، وافق ابن عامر إلا في الزخرف، ووافق أبو جعفر في الطارق، وقرأ الآخرون بالتخفيف، فمن شدد جعل (إن) بمعنى الجحد، و(لما) بمعنى إلا، تقديره: وما كل إلا جميع، ومن خفف جعل (إن) للتحقيق

والآخرون بفتحها. قيل: أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع إليهم، لأن الفطرة أثر النعمة، وكانت عليه أظهر، وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم أليق. وقيل: إنهم - لما قال: اتبعوا المرسلين - أخذوه فرفعوه إلى الملك، فقال له الملك: أفأنت تتبعهم؟ فقال: (ومالي لا أعبد الذي فطرني)، يعني وأي شيء لي إذا لم أعبد الخالق، (وإليه ترجعون) تردون عند البعث فيجزيكم بأعمالكم.

[٢٣] ﴿أَتَأْتِدُّ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾، استفهام بمعنى الإنكار، أي لا أتخذ من دونه آلهة، ﴿إِنْ يُرِدِ الْرَحْمَنُ بِضُرٍّ﴾، بسوء ومكره، ﴿لَا تَنْفَعُ عَنِّي﴾، لا تدفع عني، ﴿شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ أي لا شفاعة لها أصلاً فتغني ﴿وَلَا يَقْدُونَ﴾، من ذلك المكروه، وقيل: لا ينقذون من العذاب لو عذبي الله إن فعلت ذلك.

[٢٤] ﴿إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، خطأ ظاهر.

[٢٥] ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾، يعني فاسمعوا مني، فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه.

[٢٦] فذلك قوله: ﴿فَبَلَّغْ لَنَا الْجَنَّةَ﴾، فلما أفضى إلى الجنة، ﴿قَالَ بَلَّغْتَ قَوْمِي يَعْمُونَ﴾.

[٢٧] ﴿يَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾، يعني بغفران ربي لي، ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾، تمنى أن يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه، ليرغبوا في دين الرسل، فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل لهم القمة، فأمر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم.

[٢٨] فذلك قوله: ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾، يعني الملائكة، ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾، وما كنا نفعل هذا بل الأمر في إهلاكهم كان أيسر مما يظنون. وقيل: معناه (وما أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ) أي على قوم حبيب من بعد قتله من جند وما كُنَّا مُنْزِلِينَ، ننزلهم على الأمم إذا أهلكناهم، كالطوفان والصاعقة والريح، ثم بين

سورة يس

٤٤٢

الجزء الثالث والعشرون

﴿وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُزِلِينَ﴾ (٣٨) إِنَّ كَانَتْ الْأَصْحَابَةُ وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَعِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَحْضَرُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٤٢﴾ وَءَايَةٌ لَهُمْ أَنَّ الْأَرْضَ الَّتِي كَانَتْهُمْ أَجْنَابًا فِيهَا يَأْكُلُونَ ﴿٤٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٤٤﴾ وَمِنْ ثَمَرِهِمْ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ﴿٤٥﴾ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَءَايَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٤٨﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴿٤٩﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٥٠﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٥١﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٥٢﴾

و(ما) صلة، مجازة: كلٌ جميعٌ، ﴿لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾. [٣٣] ﴿وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي كَانَتْهُمْ أَجْنَابًا﴾، بالمطر، ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾، يعني الحنطة والشعير وما أشبههما، ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾، أي من الحب. [٣٤] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾ بساتين، ﴿مِنْ نَجِيلٍ﴾ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا، في الأرض، ﴿مِنْ الْعُيُونِ﴾.

[٣٥] ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾، أي من الثمر الحاصل بالماء، ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (عملت) بغير هاء، وقرأ الآخرون (عملته) بالهاء أي يأكلون من الذي عملته، ﴿أَيْدِيهِمْ﴾، من الزرع والغرس، والهاء عائدة إلى (ما) التي هي بمعنى الذي. وقيل: ما للنفي في قوله ما عملته أيديهم أي وجدوها معمولة ولم تعمله أيديهم، ولا صنع لهم فيها، وهذا معنى قول الضحاک ومقاتل، وقيل: أراد العيون والأنهار التي لم تعملها يد خلق مثل دجلة والفرات والنبيل ونحوها، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾، نعمة الله.

[٣٦] ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾، أي الأصناف كلها، ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾، من الثمار والحبوب، ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، يعني الذكور والإناث، ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾، مما خلق من الأشياء من دواب البر والبحر.

[٣٧] ﴿وَءَايَةٌ لَهُمُ﴾، تدل على قدرتنا، ﴿أَنَّ اللَّيْلَ نَسْلَخُ﴾، ننزع ونكشط، ﴿مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾، داخلون في الظلمة، ومعناه نذهب النهار ونجيء بالليل، وذلك أن الأصل هي الظلمة والنهار داخل عليها، فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل، فتظهر الظلمة.

[٣٨] ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾، أي إلى مستقر لها. قيل: إلى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة. وقيل: إنها تسير حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها، ثم ترجع فذلك مستقرها لأنها لا

تجاوزها. وقيل: مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف، ونهاية هبوطها في الشتاء، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس: والشمس تجري لا مستقر لها، وهي قراءة ابن مسعود أي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية أبداً ذلك تقدير العزيز العليم.

[٣٩] ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ﴾، أي قدرنا له، قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة (القمر) برفع الراء لقوله: (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر)، وقرأ الآخرون بالنصب لقوله: (قدرناه) أي قدرنا القمر، ﴿مَنَازِلَ﴾، وقد ذكرنا عددها في سورة يونس^(١) فإذا صار القمر إلى آخر المنازل دق فذلك قوله: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾، والعرجون عود العذق

(١) انظر هنا (ص ٣٩٠) من هذا المختصر.

الذي عليه شماريخ فإذا قدم عتق ويس وتقرس واصفر، فشبه القمر في دقته وصفوته في آخر المنازل به.

[٤٠] ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾، أي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه، ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا أَلِيلٌ سَابِقُ النَّهَارِ﴾، أي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته. وقيل: لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر، لا يطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء، وإذا اجتمعا وأدرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة. وقيل (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) أي تجتمع معه في فلك واحد (ولا الليل سابق النهار) أي لا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما فاصل، ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، يجرون.

[٤١] ﴿وَعَايَةُ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، والمراد بالذرية الآباء والأجداد، واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد، ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾، أي المملوء، وأراد سفينة نوح، وهؤلاء من نسل من حمل مع نوح، وكانوا في أصلا بهم.

[٤٢] ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾، قيل: أراد به السفن التي عملت بعد سفينة نوح على هيئتها. وقيل: أراد بالسفن التي تجري في الأنهار فهي في الأنهار كالفلك الكبار في البحار، هذا قول قتادة والضحاك وغيرهما، وروي عن ابن عباس: أنه قال: (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون)، يعني الإبل فالإبل في البر كالسفن في البحر.

[٤٣] ﴿وَإِنْ شَأْنُ نَفْعِهِمْ فَلَا صَرِيحٌ﴾، أي لا مغيث، ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يَنْفَعُونَ﴾، ينجون من الغرق. قال ابن عباس: ولا أحد يتقدمهم من عذابي.

[٤٤] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾، إلى انقضاء آجالهم، يعني إلا أن يرحمهم ويمتعمهم إلى

سورة يس

٤٤٣

سورة يس

وَعَايَةُ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ شَأْنُ نَفْعِهِمْ فَلَا صَرِيحٌ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَنْفَعُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْشَأَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَحْدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَيُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَكُنْ مِنْ مَعْبُودَاتِكَ مَرْقَدًا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا صَيْحَةً وَحْدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا لِمَ لَا تُنْزِلُ مِنْ سَّمَائِكَ مَاءً فَتَكُونَ الْأَنْهَارُ يَنْسِلُونَ ﴿٥٤﴾

حين آجالهم.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾، قال ابن عباس: ما بين أيديكم يعني الآخرة، فاعملوا لها وما خلفكم يعني من الدنيا فاحذروها، ولا تغتروا بها. وقيل: ما بين أيديكم وقائع الله فيمن كان قبلكم من الأمم، وما خلفكم عذاب الآخرة، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، والجواب محذوف تقديره: إذا قيل لهم هذا أعرضوا عنه، دليله ما بعده.

[٤٦] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، أي دلالة على صدق محمد ﷺ، ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾، أعطاكم الله، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ﴾، أنرزق، ﴿مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾، وذلك

رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَكَ، يخرجون من القبور أحياء، ومنه قيل للولد: نسل لخروجه من بطن أمه.

[٥٢] ﴿قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، قال أبي بن كعب وابن عباس وقتادة: إنما يقولون هذا لأن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين، فيرقدون فإذا بعثوا بعد النفخة الأخيرة وعابنوا القيامة دعوا بالويل. وقال أهل المعاني: إن الكفار إذا عابنوا جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم، فقالوا: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟ ثم قالوا: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، أقروا حين لم ينفعهم الإقرار. وقيل: قالت الملائكة لهم: (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون). قال مجاهد: يقول الكفار: (من بعثنا من مرقدنا) فيقول المؤمنون: (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون).

[٥٣] ﴿إِنْ كَانَتْ﴾، ما كانت، ﴿إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَةً﴾، يعني النفخة الأخيرة، ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

[٥٤] ﴿فَالْيَوْمَ لَا تَفْطَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تَحْزَنُ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٥٥] ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَلْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (في شغل) اختلفوا في معنى الشغل، قال ابن عباس: في افتضاض الأبار. وقال وكيع بن الجراح: في السماع. وقال الكلبي: في شغل عن أهل النار وعمّا هم فيه لا يهتمهم أمرهم ولا يذكرونهم. وقال الحسن: شُغِلُوا بما في الجنة من النعيم عمّا فيه أهل النار من العذاب. وقال ابن كيسان: في زيارة بعضهم بعضًا. وقيل: في ضيافة الله تعالى. ﴿فَكَهُونٌ﴾، قرأ أبو جعفر (فكهون) حيث كان، وافقه حفص في المطففين؛ وهما لغتان مثل الحاذر والحذر، أي ناعمون. قال مجاهد والضحاك: معجبون بما هم فيه. وعن ابن عباس قال: فرحون.

أن المؤمنين قالوا لكفار مكة: أنفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم أنه لله، وهو ما جعلوه لله من حروثهم وأنعامهم، قالوا: أنطعم أنرزق من لو يشاء الله أطعمه رزقه، ثم لم يرزقه مع قدرته عليه، فنحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله، وهذا مما يتمسك به البخلاء، يقولون: لا نعطي من حرمة الله، وهذا الذي يزعمون [باطل] لأن الله أغنى بعض الخلق وأقر بعضهم ابتلاء، فمنع الدنيا من الفقير لا بخلاً وأمر الغني بالإنفاق لا حاجة إلى ماله، ولكن ليلو الغني بالفقير فيما أمر وفرض له في مال الغني، ولا اعتراض لأحد على مشيئة الله وحكمه في خلقه، ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، يقول الكفار للمؤمنين: ما أنتم إلا في خطأ بين في اتباعكم محمداً وترك ما نحن عليه.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾، أي القيامة والبعث، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

[٤٩] قال الله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾، أي ما ينتظرون، ﴿إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَةً﴾، قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى، ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾، يعني يختصمون في أمر الدنيا من البيع والشراء، ويتكلمون في المجالس والأسواق، قرأ حمزة (يخصمون) بسكون الخاء وتخفيف الصاد، أي يغلب بعضهم بعضًا بالخصام، وقرأ الآخرون بتشديد الصاد، أي يختصمون، أدغمت التاء في الصاد.

[٥٠] قوله عز وجل: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾، أي لا يقدرון الإيصاء. قال مقاتل: عجلوا عن الوصية فماتوا، ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾، ينقلبون، والمعنى أن الساعة لا تمهلهم لشيء.

[٥١] ﴿وَفُتِحَ فِي الصُّورِ﴾، وهي الأخيرة نفخة البعث، وبين النفختين أربعون سنة، ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾، يعني القبور، واحدها: جدث، ﴿إِلَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ فِيهَا فَكِهَةٌ وَهُمْ مَائِدُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بِبَنِي آدَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ تَعْمَرَ نُكَسِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنْذِرَ مَنِ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

[٦٣] ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾، بها في الدنيا.

[٦٤] ﴿أَصْلَوْهَا﴾، ادخلوها ﴿الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٦٥] ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، هذا حين ينكر الكفار كفرهم وتكذيبهم الرسل بقولهم (ما كنا مشركين)، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم.

[٦٦] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾، أي أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق، وهو معنى الطمس كما قال الله: (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) يقول: كما أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة، ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾، فتابدوا إلى الطريق، ﴿فَأَنَّى

[٥٦] ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾، أي حلائلهم، ﴿فِي ظِلِّ﴾، قرأ حمزة والكسائي ظلل بضم الظاء من غير ألف، جمع ظلة، وقرأ العامة (في ظلال) بالألف وكسر الظاء على جمع ظل، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، يعني السرر في الحجال واحدها أريكة. قال ثعلب: لا تكون أريكة حتى يكون عليها حجلة. ﴿مُتَكِفُونَ﴾، ذوو اتكاء.

[٥٧] ﴿هُمْ فِيهَا فَكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾، يتمنون ويشتهون.

[٥٨] ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾، أي يقول الله لهم قولاً، وقيل: يسلم عليهم في ديارهم. وقيل: تسلم عليهم الملائكة من ربهم. وقال مقاتل: تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم. وقيل: يعطيهم السلامة يقول: اسلموا السلامة الأبدية.

[٥٩] ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾، قال مقاتل: اعتزلوا اليوم من الصالحين. قال أبو العالية: تميزوا. وقال السدي: كونوا على حدة. وقال الزجاج: انفردوا عن المؤمنين. قال الضحاك: إن لكل كافر في النار بيتاً يدخل ذلك البيت ويردم بابه بالنار فيكون فيه أبد الآبدين، لا يرى ولا يرى.

[٦٠] ﴿أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بِبَنِي آدَمَ﴾، ألم أمرم يا بني آدم، ﴿أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾، أي لا تطيعوا الشيطان في معصية الله، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، ظاهر العداوة.

[٦١] ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي﴾، أطيعوني ووجدوني، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٢] ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم (جبالاً) معناها: الخلق والجماعة أي خلقاً كثيراً، ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾، ما أتاكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس، ويقال لهم لما دنوا من النار.

الآخرون بالياء أي لينذر القرآن، ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾، يعني مؤمنًا حي القلب لأن الكافر كالميت في أنه لا يتدبر ولا يتفكر، ﴿وَيَحْيَى الْقَوْلَ﴾، ويجب حجة العذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٧١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾، تولينا خلقه بإبداعنا من غير إعانة أحد، ﴿أَنَعَمَّا فَهَمَّ لَهُمْ مَلَكُوتٌ﴾، ضابطون قاهرون، أي لم يخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرُونَ على ضبطها بل هي مسخرة لهم.

[٧٢] وهي قوله: ﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾، سخرناها لهم، ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾، أي ما يركبون وهي الإبل، ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾، من لحمانها.

[٧٣] ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾، أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها ونسلها، ﴿وَمَسَارِبٌ﴾، من ألبانها، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾، رب هذه النعم.

[٧٤] ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّهُمْ يُنصُّرُونَ﴾، يعني: لتمنعهم من عذاب الله، ولا يكون ذلك قط.

[٧٥] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾، قال ابن عباس: لا تقدر الأصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب. ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ﴾، أي الكفار جندٌ للأصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيرًا ولا تستطيع لهم نصرًا. وقيل: هذا في الآخرة يُؤتى بكل معبود من دون الله تعالى ومعه أتباعه الذين عبدوه كأنهم جند محضرون في النار.

[٧٦] ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾، يعني قول كفار مكة في تكذيبك، ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبَيِّرُونَ﴾، في ضمايرهم من التكذيب، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، من عبادة الأصنام أو ما يعلنون بالستهم من الأذى.

[٧٧] قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾، جدل بالباطل، ﴿مُتَّبِعٌ﴾، بين الخصومة، يعني أنه مخلوق من نطفة ثم يخاصم، فكيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع

يُصِرُّونَ، فكيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم؟ يعني: لو نشاء لأضللناهم عن الهدى، وتركناهم عميًا يترددون، فكيف يبصرون الطريق حينئذ؟ هذا قول الحسن والسدي، وقال ابن عباس وقتادة ومقاتل وعطاء: معناه لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم، فأعميناهم عن غيهم، وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى، فأبصروا رشدهم، (فأنى يبصرون) ولم أفل ذلك بهم؟

[٦٧] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَاتَتِهِمْ﴾، يعني مكانهم، يريد: لو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم، وقيل: لو نشاء لجعلناهم حجارة، وهم قعود في منازلهم لا أرواح لهم. ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾، يعني إلى ما كانوا عليه، وقيل: لا يقدرُونَ على ذهاب ولا رجوع.

[٦٨] ﴿وَمِن نُّعْمَةِ نُكَسُّهُ فِي الْخَلْقِ﴾ أي نرده إلى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق. وقيل: نكسه في الخلق أي نضعف جوارحه بعد قوتها ونردها إلى نقصانها بعد زيادتها. ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾، فيعتبروا ويعلموا أن الذي قدر على تصريف أحوال الإنسان يقدر على البعث بعد الموت.

[٦٩] قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾، قال الكلبي: إن كفار مكة قالوا: إن محمدًا شاعر، وما يقوله شعر، فأنزل الله تكذيبًا لهم: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) أي ما يتسهل له ذلك وما كان يتزن له بيت من الشعر، حتى إذا تمثل بيت شعر جرى على لسانه منكسرًا، ﴿إِنَّ هُوَ﴾، يعني ما القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾، موعظة، ﴿وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾، فيه الفرائض والحدود والأحكام.

[٧٠] ﴿لِنُنذِرَ﴾، قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب (لتنذر) بالتاء وكذلك في الأحقاف، وافق ابن كثير في الأحقاف، أي لتنذر يا محمد، وقرأ

سورة الصافات

٤٤٥

سورة الصافات

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا
مَلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَأَتَّخِذُوا
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْخَضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ وَمَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا أَوَّلُ بَرٍّ أَوْ تَوَنُّبٍ
خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعَظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ
مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سورة الصافات

(٢٧) سورة الصافات

[١] ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾، قال ابن عباس، رضي الله عنهما والحسن وقتادة: هم الملائكة في السماء يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة، وقيل: هم الملائكة تصف أجنتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد. وقيل: هي الطيور دليله قوله تعالى: (والطير صافات).

[٢] قوله تعالى: ﴿فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا﴾، يعني تزجر السحاب وتسوقه، وقال قتادة: هي زواجر القرآن تنهي وتزجر عن القبائح.

[٣] ﴿فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا﴾، هم الملائكة يتلون ذكر

الخصومة، نزلت في أبي بن خلف الجمحي خاصم النبي ﷺ في إنكار البعث، وأتاه بعظم قد بلي ففتته بيده، فقال: أترى يحيى الله هذا بعد ما رم؟ فقال النبي ﷺ: «نعم ويبعثك ويدخلك النار» فأنزل الله هذه الآيات (١).

[٧٨] ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾، بدء أمره ثم، ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعَظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، بالية، ولم يقل رميمة لأنه معدول عن فاعله وكل ما كان معدولاً عن وجهه ووزنه كان مصروفاً عن أخواته، كقوله: (وما كانت أملك بغيا)، أسقط الهاء لأنها كانت مصروفة عن باعية.

[٧٩] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا﴾، خلقها، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

[٨٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾، قال ابن عباس: هما شجرتان يقال لأحدهما: المَرْخ والأخرى: العَفَّار، فمن أراد منهم النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء، فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار بإذن الله عز وجل، تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار، وقال الحكماء: في كل شجر نارٌ إلا العناب. ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾، تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر، ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان.

[٨١] فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ﴾، قرأ يعقوب يقدر بالياء على الفعل، ﴿عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ﴾، أي قل بلى هو قادر على ذلك، ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾، يخلق خلقاً بعد خلق، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بجميع ما خلق.

[٨٢] ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

[٨٣] ﴿فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ﴾، أي ملك، ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

(١) أخرجه الطبري ٢٣/٣٠ والواحدي في أسباب النزول.

[٧] ﴿وَجِظًا﴾. أي وحفظناها حفظًا. ﴿مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾، متمرّد يرمون بها.

[٨] ﴿لَّا يَسْمَعُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص (يَسْمَعُونَ) بتشديد السين والميم، أي لا يسمعون، فأدغمت التاء في السين، وقرأ الآخرون بسكون السين خفيف الميم، ﴿إِلَى الْمَلَا الْأَعْلَى﴾، أي إلى الكتيبة من الملائكة، والملا الأعلى هم الملائكة لأنهم في السماء ومعناه أنهم لا يستطيعون الاستماع إلى الملا الأعلى، ﴿وَيَقْدُفُونَ﴾، يرمون، ﴿مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾، من كل آفاق السماء بالشهب.

[٩] ﴿دُحُورًا﴾، يبعدونهم عن مجالس الملائكة، يقال: دحره دحرًا ودحورًا إذ طرده وأبعده، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾، دائم، قال مقاتل: دائم إلى النفخة الأولى لأنهم يحرقون ويتخللون.

[١٠] ﴿إِلَّا مَن خَفِيَ الْخُطْفَةَ﴾، اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة، ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾، لحقه، ﴿شِهَابٌ مُّاقِبٌ﴾، كوكب مضى قوي لا يخطئه يقتله، أو يحرقه أو يخبله، وإنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون إليه طمعًا في السلامة ونيل المراد، كراكب السفينة، قال عطاء: سمي النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقبًا لأنه يتقهم.

[١١] ﴿فَأَسْتَفْتِهِمْ﴾، يعني سلهم يعني أهل مكة، ﴿أَمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا﴾، يعني من السموات والأرض والجبال، وهذا استفهام بمعنى التقرير أي هذه الأشياء أشد خلقًا كما قال: (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس)، وقال: (أنتم أشد خلقًا أم السماء)، وقيل: (أم من خلقنا) يعني من الأمم الخالية، لأن (من) يذكر فيمن يعقل، يقول: إن هؤلاء ليسوا بأحكم خلقًا من غيرهم من الأمم، وقد أهلكتهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هؤلاء من العذاب؟! ثم ذكر خلق الإنسان، فقال: ﴿إِنَّا

الله عز وجل. وقيل: هم جماعة قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله تعالى به، وجواب القسم:

[٤] قوله: ﴿إِنَّ إِلَهَهُمْ لَوَاحِدٌ﴾، وقيل: فيه إضممار، أي ورب الصفات والزاجرات والتاليات، وذلك أن كفار مكة قالوا: (أجعل الآلهة إلها واحدًا)؟ فأقسم الله بهؤلاء.

[٥] ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾، أي مطالع الشمس، فإن قيل: قد قال في موضع: (رب المشرق والمغرب)، وقال في موضع: (رب المشرق ورب المغربين) وقال في موضع: (رب المشرق والمغرب)، فكيف وجه التوفيق بين هذه الآيات؟ قيل: أما قوله: (رب المشرق والمغرب)، أراد به جهة المشرق وجهة المغرب. وقوله: (رب المشرقين ورب المغربين) أراد مشرق الشتاء ومشرق الصيف، وأراد بالمغربين: مغرب الشتاء ومغرب الصيف. وقوله: (رب المشرق والمغرب)، أراد الله تعالى أنه خلق للشمس ثلثمائة وستين كوة في المشرق وثلثمائة وستين كوة في المغرب على عدد أيام السنة، تطلع الشمس كل يوم من كوة منها، وتغرب في كوة منها لا ترجع إلى الكوة التي تطلع الشمس منها من ذلك اليوم إلى العام المقبل، فهي المشرق والمغرب، وقيل: كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه الشمس فهو مغرب، كأنه أراد رب جميع ما شرقت عليه الشمس وغربت.

[٦] ﴿إِنَّا زَيْنًا أَلَمَاءَ الدُّنْيَا زِينَةُ الْكَوَاكِبِ﴾، قرأ عاصم، برواية أبي بكر (بزينة) منونة، (الكواكب) نصب أي بتزييننا الكواكب وقرأ حمزة وحفص (بزينة) منونة (الكواكب) خفضًا على البدل، أي بزينة بالكواكب، أي زينها بالكواكب. وقرأ الآخرون (بزينة الكواكب)، بلا تنوين على الإضافة. قال ابن عباس: بضوء الكواكب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالَّتِيلَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَهُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِنَةِ الْكُوكَبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيَقْدِفُونَ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُخْرًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِيَّا مَنْ حِطْفَ
الْخُطْفَةِ فَابْتِغَاهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفِينَهُمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا
أَمْ مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ﴿١٤﴾
وَقَالُوا إِن هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ آءَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا
آءَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ آءَا بَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾
فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَٰذَا
يَوْمُ الَّذِينَ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِّنْ دُونِ
اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾

خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ، يعني جيد خُرٍّ لاصق يعلق باليد، ومعناه: اللازم إبدل الميم باء كأنه يلزم اليد. وقال مجاهد والضحاك: متن.

[١٢] ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾، قرأ حمزة والكسائي بضم التاء، وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس، والعجب من الله عز وجل ليس كالتعجب من الآدميين كما قال: (يفسخرون منهم سخر الله منهم) وقال عز وجل: (نسو الله فنيهم) والعجب من الآدميين إنكاره وتعظيمه، والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار والذم، وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا، وقرأ الآخرون بفتح التاء على خطاب النبي ﷺ: أي عجبت من تكذيبهم إياك، ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾، يعني وهم يسخرون من تعجبك. قال قتادة: عجب النبي ﷺ من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم، وذلك أن النبي ﷺ كان يظن أن كل من يسمع القرآن يؤمن به، فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به، فعجب من ذلك النبي ﷺ، فقال الله تعالى: (بل عجبت ويسخرون).

[١٣] ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾، يعني إذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون.

[١٤] ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾، قال ابن عباس ومقاتل يعني انشقاق القمر، ﴿يَسْتَسْخَرُونَ﴾، يسخرون ويستهزؤون، وقيل: يستدعي بعضهم عن بعض السخرية.

[١٥] ﴿وَقَالُوا إِن هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، يعني سحر بين.

[١٦] ﴿آءَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا نَمَبْعُوثُونَ﴾.

[١٧] ﴿آءَا بَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾، أي وآبائنا الأولون.

[١٨] ﴿قُلْ نَعَمْ﴾، تبعثون، ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾، صاغرون، والدخور أشد الصغار.

[١٩] ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ أي قصة البعث أو القيامة،

﴿زَجْرَةٌ﴾، أي صيحة، ﴿وَاحِدَةٌ﴾، يعني نفخة البعث، ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾، أحياء.

[٢٠] ﴿وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾، أي يوم الحساب ويوم الجزاء.

[٢١] ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾، يوم القضاء، وقيل: يوم الفصل بين المحسن والمسيء، ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

[٢٢، ٢٣] ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي أشركوا، اجمعوهم إلى الموقف للحساب والجزاء، ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾، أشياعهم وأتباعهم وأمثالهم، قال

قتادة والكلبي: كل من عمل مثل عملهم فأهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا.

وقال الضحاك ومقاتل: وقرناءهم من الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة. وقال الحسن:

وَأَزْوَاجَهُمُ الْمَشْرَكَاتِ. ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾، مَن دُونِ

اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ.

اللَّهُ، في الدنيا، يعني الأوثان والطواغيت. وقال مقاتل: يعني إبليس وجنوده، واحتج بقوله: (أن لا تعبدوا الشيطان)، ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْحَكِيمِ﴾، قال ابن عباس: دلّوهم إلى طريق النار. وقال ابن كيسان: قدّمهم. والعرب تسمي السابق هادياً.

[٢٤] ﴿وَقَفُّوهُمْ﴾، واحبسوهم، يقال: وقفته وقفاً فوقف وقوفاً. قال المفسرون: لما سيقوا إلى النار حبسوا عند الصراط لأن السؤال عند الصراط، فقيل: وقفوهم ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾، قال ابن عباس: عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

[٢٥] ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾، أي لا تتناصرون، يقال لهم توييخاً: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً، يقول لهم خزنة النار هذا جواب لأبي جهل حيث قال يوم بدر: (نحن جميع منتصر).

[٢٦] فقال الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ كَافِرُونَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾، قال ابن عباس: خاضعون. وقال الحسن: منقادون، يقال استسلم للشيء إذ انقاد له وخضع له، والمعنى: هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة لهم.

[٢٧] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، أي الرؤساء والأتباع ﴿يَسْتَأْذِنُونَ﴾، يتخاصمون.

[٢٨] ﴿قَالُوا﴾، أي الأتباع للرؤساء، ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾، أي من قبل الدين ففضلونا عنه وثرونا أن الدين ما تفضلونا به، قاله الضحاك، وقال مجاهد: عن الصراط الحق، واليمين عبارة عن الدين والحق، وقال بعضهم: كان الرؤساء يحلفون لهم أن ما يدعونهم إليه هو الحق، فمعنى قوله: (تأتوننا عن اليمين) أي من ناحية الإيمان التي كنتم تحلفونها فوثقنا بها. وقيل: عن اليمين أي عن القوة والقدرة، كقوله: (لأخذنا منه باليمين)، والمفسرون على القول الأول.

[٢٩] ﴿قَالُوا﴾، يعني الرؤساء للأتباع، ﴿بَلْ لَوْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، لم تكونوا على الحق فضلكم عنه،

أي إنما الكفر من قبلكم.

[٣٠] ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾، من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا، ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِيْنَ﴾، ضالين.

[٣١] ﴿فَحَقَّ﴾، وجب، ﴿عَلَيْنَا﴾، جميعاً، ﴿قَوْلَ رَبِّنَا﴾، يعني كلمة العذاب، وهي قوله: (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين). ﴿إِنَّا لَنَدَافِقُونَ﴾، العذاب، أي أن الضال والمضل جميعاً في النار.

[٣٢] ﴿فَأَعْوَيْنَكُمْ﴾، فأضللناكم عن الهدى ودعوناكم إلى ما كنا عليه، ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾، ضالين.

[٣٣] قال الله: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، الرؤساء والأتباع.

[٣٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكْ تَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾، قال ابن عباس: الذين جعلوا الله شركاء.

[٣٥] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها.

[٣٦] ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَأْكُلُ أَلْهَتَنَا لِشَاغِرٍ يُجْنُونَ﴾، يعني النبي ﷺ.

[٣٧] قال الله عز وجل ردّاً عليهم: ﴿بَلْ جَاءَ، مُحَمَّد، بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾، أي أنه أتى بما أتى به الرسل قبله.

[٣٨، ٣٩] ﴿إِنَّكُمْ لَنَدَافِقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، في الدنيا من الشرك.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾، الموحدين.

[٤١] ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾، يعني بكرة وعشياً كما قال: (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً).

[٤٢] ﴿فَوَكَيْتُمْ﴾ جمع الفاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها، وهي كل طعام يؤكل للتلذذ لا للقت، ﴿وَهُمْ مُكْرِمُونَ﴾، بثواب الله.

[٤٣، ٤٤] ﴿فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾، عَلَى سُرُرٍ

مَالِكٌ لَا تَاصِرُونَ ﴿٤٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٤٨﴾ قَالُوا بَلْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَغَيْنَ ﴿٥٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٥١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٥٢﴾ فَأَنَّهُمْ بِوَمِيزٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا آلَ الْهَيْتِ نَاسِئًا يَجْنُونَ ﴿٥٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٥٨﴾ وَمَا تَجْنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٦١﴾ فَوَكَهَهُمْ كُنُوزُهُمْ كُنُوزُهُمْ ﴿٦٢﴾ فِي حَتِّ النَّعِيمِ ﴿٦٣﴾ عَلَى سُرٍّ مُقْبِلِينَ ﴿٦٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٦٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٦٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٦٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٦٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا قَاتِلْهُمْ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٧١﴾

مُنْقَلِبِينَ ﴿٧٢﴾، لا يرى بعضهم قفا بعض.

[٤٥] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ﴾، إناء فيه شراب ولا يكون كأساً حتى يكون فيه شراب، وإلا فهو إناء، ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾، خمر جارية في الأنهار ظاهرة تراها العيون.

[٤٦] ﴿بَيْضَاءَ﴾، قال الحسن: خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن، ﴿لَذَّةٌ﴾، أي لذیذة، ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾.

[٤٧] ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾، قال الشعبي: لا تغتال عقولهم فتذهب بها. قال الكلبي: إثم. وقال قتادة: وجع البطن. وقال الحسن: صداع. وقال أهل المعاني: الغول فساد يلحق في خفاء، يقال: اغتاله اغتيالاً إذا أفسد عليه أمره في خفية، وخمرة الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد، منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقيء والبول، ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي (ينزفون) بكسر الزاي وافقهما عاصم في الواقعة، وقرأ الآخرون بفتح الزاي فيهما فمن فتح الزاي فمعناه: لا يغلبهم على عقولهم ولا يسكرون، يقال: نزف الرجل فهو منزوف ونزيف إذا سكر، ومن كسر الزاي فمعناه: لا ينزف شرابهم، يقال: أنزف الرجل فهو منزوف إذا فنيته خمره.

[٤٨] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾، حابسات الأعين غاضات الجفون، قصرن أعينهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم، ﴿عِينٌ﴾، أي حسان الأعين، يقال: رجل أعين وامرأة عينة ونساء عين.

[٤٩] ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾، جمع البيضة، ﴿مَكْنُونٌ﴾، مضمون مستور، وإنما ذكر المكنون والبيض جمع لأنه رده إلى اللفظ. قال الحسن: شبههن ببيض النعامة تكنها بالريش من الريح والغبار حين خروجها، فلونها أبيض في صفة. ويقال: هذا أحسن ألوان النساء أن تكون المرأة (بيضاء) مشربة

صفرة، والعرب تشبهها ببيضة النعامة.

[٥٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾، يعني أهل الجنة في الجنة يسأل بعضهم بعضاً عن حاله في الدنيا.

[٥١] ﴿قَالُوا قَاتِلْهُمْ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، يعني من أهل الجنة، ﴿إِنِّي كَانُ لِي قَرِينٌ﴾، في الدنيا ينكر البعث. قال مجاهد: كان شيطاناً. وقال الآخرون: كان من الإنس. وقال مقاتل: كانا أخوين. وقال الباقون: كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا، وهما اللذان قص الله تعالى خبرهما في سورة الكهف في قوله تعالى: (واضرب لهم مثلاً رجلين).

[٥٢] ﴿يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمَصْدُوقِينَ﴾، بالبعث.

[٥٣] ﴿لَئِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾،

مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكار.

[٥٤] ﴿قَالَ﴾، الله تعالى لأهل الجنة: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ﴾، إلى النار. وقيل: يقول المؤمن لإخوانه من أهل الجنة: هل أنتم مطلعون إلى النار لنتظر كيف منزلة أخي فيقول أهل الجنة: أنت أعرف به منا.

[٥٥] ﴿فَاطَّلَعَ﴾، قال ابن عباس: إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى النار، فاطلع هذا المؤمن، ﴿فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾، فرأى قريبه في وسط النار، وإنما سُمي وسط الشيء سواء لا استواء الجوانب منه.

[٥٦] ﴿قَالَ﴾ له، ﴿تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتَزِدَّيْنِ﴾ والله لقد كدت أن تهلكني، قال مقاتل: والله لقد كدت أن تغويني، ومن أغوى إنساناً فقد أهلكه.

[٥٧] ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾، رحمته وإنعامه عليّ بالإسلام، ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، معك في النار.

[٥٨، ٥٩] ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ۝ إِلَّا مَوَلَّتْنَا الْأُولَى﴾، في الدنيا، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾، قال بعضهم: يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت: أَمَا نحن بمبتلين؟ فتقول لهم الملائكة: لا.

[٦٠] فيقولون: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وقيل: إنما يقولونه على جهة الحديث بنعمة الله عليهم في أنهم لا يموتون ولا يعذبون. وقيل: يقوله المؤمن لقربه على جهة التوبيخ بما كان ينكره.

[٦١] قال الله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾، أي لمثل هذا المنزل ولمثل هذا النعيم الذي ذكره من قوله: (أولئك لهم رزق معلوم)، إلى (فليعمل العاملون).

[٦٢] ﴿أَذِلَّةٌ﴾. أي ذلك الذي ذكر لأهل الجنة، ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ سَجَرَةُ الزُّقُومِ﴾، التي هي نزل أهل النار، والزقوم: شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم، يُكره أهل النار على تناولها، فهم يتزقمونهم على أشد كراهية، ومنه قولهم: تزقّم الطعام إذا

٤٤٨
سُورَةُ الصَّافَّاتِ
يَقُولُ أَهْلُكَ لِمَنِ الْمَصْدَقِينَ ﴿٥٤﴾ ۖ ذَا مِمْنًا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظًا ۖ إِنَّا نَمْدِينُ ﴿٥٥﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ ﴿٥٦﴾ ۖ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٧﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتَزِدَّيْنِ ﴿٥٨﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٩﴾ ۖ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٦٠﴾ ۝ إِلَّا مَوَلَّتْنَا الْأُولَى ۖ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٦١﴾ ۖ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٢﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ ۖ أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ سَجَرَةُ الزُّقُومِ ﴿٦٤﴾ ۖ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٥﴾ ۖ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٦﴾ ۖ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٧﴾ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا لَئِن مِّنْهُمُ الْبَاطِلُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ إِنْ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَابًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ إِنْ مَرَجَعَهُمْ لِآلِ الْجَحِيمِ ﴿٧٠﴾ ۖ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِينَ ﴿٧١﴾ ۖ فَهُمْ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ۖ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٤﴾ ۖ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٥﴾ ۖ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنَعْمِ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٦﴾ ۖ وَنَجِّنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٧﴾

تناوله على كره ومشقة.

[٦٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾، للكافرين، وذلك أنهم قالوا: كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر؟

[٦٤] فقال الله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾، قعر النار، وقال الحسن: أصلها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتنا.

[٦٥] ﴿طَلْعُهَا﴾، ثمرها سمي طلعا لطلوعه، ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم الشياطين بأعيانهم شبه بها لقبحها، لأن الناس إذا وصفوا شيئا بغاية القبح قالوا: كأنه شيطان - وإن كانت الشياطين لا تُرى - لأن قبح صورتها متصور في النفس، وهذا معنى قول ابن عباس والقرطبي، وقال بعضهم: أراد بالشياطين الحيات، والعرب تُسمي الحية القبيحة المنظر

شيطاناً. وقيل: هي شجرة قبيحة مرة متنتة تكون في البداية تسميها العرب رؤوس الشياطين.

[٦٦] ﴿فَاتَّيَّمُ لَأَكُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ كُنُوا يَعْلَمُونَ﴾، والماء حشو الوعاء بما لا يحتمل الزيادة عليه.

[٦٧] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا﴾، خلطاً ومزاجاً، ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾، من ماء حار شديد الحرارة، يقال: إنهم إذا أكلوا الزقوم شربوا عليه الحميم فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوباً له.

[٦٨] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾، بعد شرب الحميم، ﴿إِلَى الْحَمِيمِ﴾، وذلك أنهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم كما يورد الإبل الماء، ثم يردون إلى الجحيم، دل عليه قوله تعالى: (يطوفون بينها وبين حميم آن)، وقرأ ابن مسعود: (ثم إن منقلبهم إلى الجحيم).

[٦٩، ٧٠] ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا وَجْدُوا﴾، عابوا، ﴿صَالِينَ﴾. ﴿فَهُمْ عَلَىٰ عَاتِرِهِمْ هِرْعُونَ﴾، يسرعون، قال الكلبي: يعملون مثل أعمالهم.

[٧١] ﴿وَلَقَدْ صَلَّ بِلَهُمْ أَكْثَرَ الْأَوَّلِينَ﴾، من الأمم الخالية.

[٧٢، ٧٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ۚ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾، الكافرين أي كان عاقبتهم العذاب.

[٧٤] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾، الموحدين نجوا من العذاب.

[٧٥] ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ﴾، دعا ربه على قومه فقال: (إني مغلوب فانتصر) ﴿فَلَنَعَمَ الْمُجِيبُونَ﴾، نحن يعني أجبنا دعاءه وأهلكنا قومه.

[٧٦] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾، الغم العظيم الذي لحق قومه وهو الغرق.

[٧٧] ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا مَّرْبُوعًا﴾، وأراد أن الناس كلهم من نسل نوح، روى الضحاك عن ابن عباس قال: لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم، قال سعيد

ابن المسيب: كان ولد نوح ثلاث: سام وحام وياث، فسام أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السودان، وياث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك.

[٧٨] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾، أي أبقينا له ثناء حسناً وذكرًا جميلًا فيمن بعده من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة.

[٧٩] ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾، أي سلام عليه منا في العالمين. وقيل: أي تركنا عليه في الآخرين أن يصلّي عليه إلى يوم القيامة.

[٨٠] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في العالمين.

[٨١، ٨٢] ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾، يعني الكفار.

[٨٣، ٨٤] ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِهِ﴾، أي من أهل دينه وملته وسته، ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾. ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، مخلص من الشرك والشك.

[٨٥] ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾، استفهام توبيخ.

[٨٦] ﴿أَلَيْسَ إِلَٰهَهُ دُونُ اللَّهِ تُبْدُونَ﴾، يعني أتأفكون إفكا وهو أسوأ الكذب، وتعبدون آلهة سوى الله.

[٨٧] ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم.

[٨٨، ٨٩] ﴿فَنَظَرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾، قال ابن عباس: كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة، وكان لهم من الغد عيد ومجمع وكانوا يدخلون على أصنامهم ويفرشون لهم الفراش، ويصنعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم إلى عيدهم، زعموا التبرك عليه فإذا انصرفوا من عيدهم أكلوه، فقالوا لإبراهيم: ألا

سورة الصافات

٤٤٩

الجزء الثالث والعشرون

تخرج غداً معنا إلى عيدنا، فنظر إلى النجوم فقال: إني سقيم، قال ابن عباس: مطعون، وكانوا يفرون من الطاعون فراراً عظيماً. قال الحسن: مريض. وقال مقاتل: وجع. وقال الضحاك: سأسقم.

[٩٠] ﴿فَنُلْوَ عَنْهُ مُدِيرِينَ﴾، إلى عيدهم فدخل إبراهيم على الأصنام فكسرها.

[٩١] كما قال الله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ﴾، مال إليها ميلاً في خفية، ولا يقال راغ حتى يكون صاحبه مخفياً لذهابه ومجيئه، ﴿فَقَالَ﴾ استهزاء بها. ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾، يعني الطعام الذي بين أيديكم. [٩٢، ٩٣] ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ فرأى عليهم ضرراً باليمين، أي كان يضربهم بيده اليمنى لأنها أقوى على العمل من الشمال. وقيل: باليمين أي بالقوة. وقيل: أراد به القسم أي بالقسم الذي سبق منه وهو قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَا كِيدَ لَأَصْنَامِكُمْ﴾.

[٩٤] ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾، يعني إلى إبراهيم، ﴿يَرْفُؤُونَ﴾، يسرعون، وذلك أنهم أخبروا بصنيع إبراهيم بالهتيم فأسرعوا إليه ليأخذوه، وقرأ الأعمش وحمزة (يزفون) بضم الياء وقرأ الآخرون بفتحها، وهما لغتان. وقيل بضم الياء: أي يحملون دوابهم على الجذ والإسراع.

[٩٥] ﴿قَالَ﴾، لهم إبراهيم على وجه الحجاج، ﴿تَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾، يعني ما تنحتون بأيديكم.

[٩٦] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، بأيديكم الأصنام.

[٩٧] ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾، معظم النار، قال مقاتل: بنوا له حائطاً من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً، وملؤوه من الحطب وأوقدوا فيه النار فطرحوه فيها. [٩٨] ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾، شراً وهو أن يحرقوه، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلَ﴾، أي المقهورين حيث سلم الله تعالى إبراهيم ورده كيدهم.

[٩٩] ﴿وَقَالَ﴾، يعني إبراهيم، ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾، أي مهاجر إلى ربي، والمعنى: أهاجر دار

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَرَكَعًا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ مِنْ شِعْبِهِ إِِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَكَاءَ الْهَيْةِ دُونِ اللَّهِ تَرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَظَنَرْنَاهُ فِي النَّجْمِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَنُلْوَ عَنْهُ مُدِيرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ ﴿٩١﴾ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٣﴾ فَرَأَىٰ عَلَيْهِمْ ضَرًّا بِالْيَمِينِ ﴿٩٤﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُؤُونَ ﴿٩٥﴾ قَالَ تَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٦﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٨﴾ فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلَ ﴿٩٩﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَنْبَأْتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَن شَاءِ اللَّهِ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٣﴾

الكفر وأذهب إلى مرضات ربي، قاله بعد الخروج من النار، كما قال: (إني مهاجر إلى ربي)، ﴿سَيِّدِينَ﴾، إلى حيث أمرني بالمصير إليه وهو الشام. قال مقاتل: فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد.

[١٠٠] فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، يعني هب لي ولداً صالحاً من الصالحين.

[١٠١] ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، قيل بغلام في صغره حليم في كبره، ففيه بشارة أنه نبي وأنه يعيش فينتهي في السن حتى يوصف بالحلم.

[١٠٢] ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ﴾، قال ابن عباس وقتادة: يعني المشي معه إلى الجبل. وقال مجاهد عن ابن عباس: لما شب حتى بلغ سعيه سعي إبراهيم، والمعنى: بلغ أن يتصرف معه ويعينه في عمله. قال الكلبي: يعني العمل لله تعالى، وهو

سورة الصافات

٤٥٠

سورة الصافات

فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَلَهُ لِلْجَيْنِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْ أَلْبَتُوا الْمُمِينُ ﴿١٠٦﴾ وَنَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَتَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَشِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنْ يَأْسُ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُون بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

قول الحسن ومقاتل بن حيان وابن زيد، قالوا: هو العبادة لله تعالى، واختلفوا في سنه، قيل: كان ابن ثلاث عشرة سنة. وقيل: كان ابن سبع سنين. قوله تعالى: ﴿فَكَالَ يَبْنَىٰ إِيَّيَّ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ﴾، اختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي أمر إبراهيم بذبحه بعد اتفاق أهل الكتابين على أنه إسحاق، فقال قوم: هو إسحاق وإليه ذهب من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس. وقال آخرون: هو إسماعيل، وإليه ذهب عبدالله بن عمر، وكلا القولين يروى عن رسول الله ﷺ، ومن ذهب إلى أن الذبيح إسحاق احتج من القرآن بقوله: (فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي) أمر بذبح من بُشِّر به، وليس في القرآن أنه بُشِّر بولد سوى إسحاق، كما قال في سورة هود: (فبشرناها بإسحاق)، ومن ذهب إلى أنه إسماعيل احتج بأن الله تعالى ذكر البشارة بإسحاق بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال: (وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين)، دل على أن المذبوح غيره، ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قرأ حمزة والكسائي (تري) بضم التاء وكسر الراء ماذا تشير، وإنما أمره ليعلم صبره على أمر الله تعالى وعزيمته على طاعته، وقرأ العامة بفتح التاء والراء إلا أبا عمرو فإنه يُميل الراء، قال له ابنه: ﴿قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾، وقال ابن إسحاق وغيره: فلما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه: يا بني خذ الحبل والمدينة نطلق إلى هذا الشعب نحطب، فلما خلا إبراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما أمر، ﴿قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾، انقادا وخضعوا لأمر الله تعالى، قال قتادة: أسلم إبراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه، ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَيْنِ﴾، أي صرعه على الأرض. قال ابن عباس: أضجعه على الأرض والجهة بين الجبينين.

[١٠٤، ١٠٥] ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾، تم الكلام هنا ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، والمعنى: إنا كما عفونا عن إبراهيم عند ذبح ولده نجزي من أحسن في طاعته، قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه.

[١٠٦] ﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْ أَلْبَتُوا الْمُمِينُ﴾، الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ابنه. وقال مقاتل: البلاء هنا النعمة، وهي أن فدي ابنه بالكبش، فإن قيل: كيف قال صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح؟ قيل: جعله مصداقاً لأنه قد أتى بما أمكنه، والمطلوب إسلامهما لأمر الله تعالى وقد فعلا.

[١٠٧] قوله: ﴿وَنَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾، فنظر إبراهيم فإذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن، فقال: هذا فداء لابنك فاذبحه دونه، فكبر جبريل

المرسلين. وهذا قول عكرمة، وقال الآخرون: هو نبي من أنبياء بني إسرائيل. قال ابن عباس: هو ابن عم اليسع. قال محمد بن إسحاق: هو إلياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران.

[١٢٤، ١٢٥] ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ أَتَدْعُونَ ۞ أَتَعْبُدُونَ، ﴿بَعْلًا﴾، وهو اسم صنم لهم كانوا يعبدونه، ولذلك سميت مدينتهم بعلبك، قال مجاهد وعكرمة وقتادة: البعل الرب بلغة أهل اليمن. ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾، فلا تعبدونه.

[١٢٦] ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب (الله ربكم ورب) بنصب الهاء والباءين على البدل، وقرأ الآخرون برفعهن على الاستئناف.

[١٢٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾، في النار. [١٢٨] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾، من قومه فإنهم نجوا من العذاب.

[١٢٩، ١٣٠] ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾، قرأ نافع وابن عامر (آل ياسين) بفتح الهمزة مشبعة وكسر اللام مقطوعة لأنها في المصحف مفصولة، وقرأ الآخرون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة، فمن قرأ (آل يس) مقطوعة قيل: أراد آل محمد ﷺ، وهذا القول بعيد لأنه لم يسبق له ذكر، وقيل: أراد إلياس، والقراءة المعروفة بالوصل، واختلفوا فيه، فقد قيل: إلياسين لغة في إلياس مثل إسماعيل واسماعيلين وميكائيل وميكائين، وقال الفراء: هو جمع أراد إلياس وأصحابه وأتباعه من المؤمنين، فيكون بمنزلة الأشعرين والأعجمين بالتخفيف، وفي حرف عبدالله بن مسعود: سلام على إدراسين يعني إدريس وأتباعه، لأنه يقرأ: وإن إدريس لمن المرسلين.

[١٣١-١٣٥] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنْ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ جَاءَتْهُ وَأَهْلُهُ

وكبر الكباش وكبر إبراهيم وكبر ابنه، فأخذ إبراهيم الكباش فأتى به المنحر من منى فذبحه، قال مجاهد: سماه عظيمًا لأنه متقبل. وقال الحسين بن الفضل: لأنه كان من عند الله. وقيل: عظيم في الشخص. وقيل: في الثواب.

[١٠٨] ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾، أي تركنا له في الآخرين ثناء حسنًا.

[١٠٩-١١٢] ﴿سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۝ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ﴾، فمن جعل الذبيح إسماعيل قال: بشره بعد هذه القصة بإسحاق نبيًا جزاء لطاعته، ومن جعل الذبيح إسحاق قال: بشر إبراهيم بنبوة إسحاق. رواه عكرمة عن ابن عباس. قال: بشر به مرتين حين ولد وحين نبي.

[١١٣] ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ﴾، يعني على إبراهيم في أولاده، ﴿وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾، يكون أكثر الأنبياء من نسله، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾، أي مؤمن، ﴿وَضَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾، أي كافر، ﴿مُتِيئٌ﴾، أي ظاهر الكفر.

[١١٤] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾، أنعمنا عليهم بالنبوة.

[١١٥] ﴿وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا﴾، بني إسرائيل، ﴿وَمِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾، أي الغم العظيم وهو الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم. وقيل: من الغرق.

[١١٦] ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾، يعني موسى وهارون وقومهما، ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾، على القبط.

[١١٧] ﴿وَوَيْلٌ لَّهُمَا مِنَ الْكُتُبِ الْمُسَيِّئَةِ﴾، أي المستنير وهو التوراة.

[١١٨-١٢٢] ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ وَتَرْكُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٢٣] قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ إِلَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، روي عن عبدالله بن مسعود قال: إلياس هو إدريس. وفي مصحفه: وإن إدريس لمن

فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٣٦﴾ لِأَعْبَادِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٣٧﴾ وَإِنَّا كَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِن لُّوطًا
لِّمِنَ الرُّسُلِ ﴿١٤٠﴾ إِذْ جَاءَهُ وَآهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٤١﴾ إِلَّا عَجُوزًا
فِي الْغَيْرِينَ ﴿١٤٢﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٤٣﴾ وَإِنَّا لَنُفَرِّقُهُمْ
مُّصْبِحِينَ ﴿١٤٤﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٤٥﴾ وَإِن يَؤُوسَ لِمَنِ
الرُّسُلِ ﴿١٤٦﴾ إِذْ أَتَى إِلَى الْمَلِكِ الْمَشْهُونَ ﴿١٤٧﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤٨﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٩﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ
كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٥٠﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٥١﴾
فَبَدَّدَهُ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٥٢﴾ وَأَبْتَسْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّن يَّقُطِينَ ﴿١٥٣﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٥٤﴾
فَتَأَمَّلُوا فَتَنَعْنَهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٥٥﴾ فَاسْتَفْتَاهُمُ أَلَيْكَ الْبَنَاتُ
وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٥٦﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ
شَاهِدُونَ ﴿١٥٧﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكَهَمَ لِقَوْلِهِمْ ﴿١٥٨﴾ وَلَدَ
اللَّهُ وَانَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٩﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٦٠﴾

أَجْمَعِينَ ﴿١٣٦﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ ﴿١٣٧﴾، أي الباقيين في العذاب.

[١٣٦] ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾، والتدمير الإهلاك.

[١٣٧] ﴿وَإِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، على آثارهم

ومنازلهم، ﴿مُصْبِحِينَ﴾، وقت الصباح.

[١٣٨] ﴿وَبِالْأَيْلِ﴾، يريد تمرّون بالنهار وبالليل

عليهم إذا ذهبتم إلى أسفاركم ورجعتم، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، فتعتبرون.

[١٣٩] قوله تعالى: ﴿وَإِن يَؤُوسَ لِمَنِ الرُّسُلِ﴾،

أي من جملة رسل الله.

[١٤٠] ﴿إِذْ أَتَى إِلَى الْمَلِكِ الْمَشْهُونَ﴾، يعني

هرب، قال ابن عباس رضي الله عنهما ووهب:

كان يونس وعد قومه العذاب فلما تأخر عنهم

العذاب خرج كالمستور منهم، فقصد البحر فركب

السفينة، فاحتبست السفينة فقال الملاحون: ههنا

عبد آبق من سيده، فافترعوا فوقعت القرعة على

يونس، فافترعوا ثلاثاً فوقعت على يونس، فقال

يونس: أنا الآبق، وزج نفسه في الماء.

[١٤١] فذلك قوله عز وجل: ﴿فَسَاهَمَ﴾، فقارع

والمساهمة إلقاء السهام على جهة القرعة، ﴿فَكَانَ

مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾، أي المقروعين.

[١٤٢] ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾، ابتلعه، ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾،

أت بما يلام عليه.

[١٤٣] ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾، من

الذاكرين الله قبل ذلك وكان كثير الذكر، وقال ابن

عباس: من المصلين. وقال وهب: من العابدين.

وقال الحسن: ما كانت له صلاة في بطن الحوت

ولكنه قدم عملاً صالحاً. وقال الضحاك: شكر الله

تعالى له طاعته القديمة. وقيل: (فلولا أنه كان من

المسبحين) في بطن الحوت. قال سعيد بن جبير:

يعني قوله: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين).

[١٤٤] ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، لصار

بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة.

[١٤٥] ﴿فَبَدَّدَهُ﴾، طرحناه، ﴿بِالْعُرَاءِ﴾، يعني

على وجه الأرض، قال السدي: بالساحل،

والعراء: الأرض الخالية عن الشجر والنبات.

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾، عليل كالفرخ الممّط، وقيل: كان

قد بلي لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة.

[١٤٦] ﴿وَأَبْتَسْنَا عَلَيْهِ﴾، أي له، وقيل: عنده،

﴿شَجَرَةً مِّن يَّقُطِينَ﴾، يعني القرع على قول جميع

المفسرين، وقال الحسن ومقاتل: كل نبت يمتد

وينسط على وجه الأرض ليس له ساق ولا يبقى

على الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطين،

قال مقاتل بن حيان: فكان يونس يستظل بالشجرة

وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها بكرة

وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي، فإن

قيل: قال ههنا: (فنبذناه بالعراء)، وقال في موضع

كذبيهم، ﴿لَيَقُولُنَّ ۚ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.
 [١٥٣] ﴿أَصْطَفَى﴾، قرأ أبو جعفر (لكاذبون)،
 (اصطفى) موصولاً على الخبر عن قول المشركين،
 وعند الوقف يتبدلان: اصطفى بكسر الألف،
 وقراءة العامة بقطع الألف لأنها ألف استفهام
 دخلت على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل
 وبقيت ألف الاستفهام مفتوحة مقطوعة، مثل
 أستكبرت ونحوها، ﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾.
 [١٥٤] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، لله بالبنات ولكم
 بالبنين.

[١٥٥] ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، أفلا تتعظون.
 [١٥٦] ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾، برهان بين على
 أن الله ولداً.

[١٥٧] ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾، الذي لكم فيه حجة،
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، في قولكم.

[١٥٨] ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجًّا﴾. قال مجاهد
 وقناة: وأراد بالجنة الملائكة سموها جنة لاجتنابهم
 عن الأبصار. وقال ابن عباس: حي من الملائكة
 يقال لهم الجن، ومنهم إبليس، قالوا: هم بنات
 الله. وقال الكلبي: قالوا - لعنهم الله - بل تزوج
 من الجن فخرج منها الملائكة، تعالى الله عن
 ذلك، وقد كان زعم بعض قريش أن الملائكة بنات
 الله، فقال أبو بكر الصديق: فمن أمهاتهم؟ قالوا:
 سروات الجن. وقال الحسن: معنى النسب أنهم
 أشركوا الشياطين في عبادة الله، ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ
 إِنَّهُمْ﴾، يعني قائل هذا القول، ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾، في
 النار ثم نزه نفسه عما قالوا فقال:

[١٥٩، ١٦٠] ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۚ إِنَّا
 عِبَادُ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾، هذا استثناء من المحضرين
 يعني أنهم لا يحضرون.

(١) - أخرجه الترمذي في التفسير ٩٧/٩ وقال: (حديث
 غريب) والطبري ١٠٤/٢٣.

آخر: (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء)،
 فهل ما يدل على أنه لم ينبذ، قيل: لولا هناك يرجع
 إلى الذم، معناه: لولا نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو
 مذموم، ولكن تداركه النعمة فنبذ وهو غير مذموم.

[١٤٧] ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾، قال قتادة:
 أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن
 يصيبه ما أصابه، وقوله: (وأرسلناه) أي وقد
 أرسلناه، وقيل: كان إرساله بعد خروجه من بعد
 بطن الحوت إليهم، وقيل: إلى قوم آخرين. ﴿أَوْ
 يَزِيدُونَ﴾، قال مقاتل والكلبي: معناه بل
 يزيدون. وقال الزجاج: (أو) ههنا على أصلها،
 ومعناه أو يزيدون على تدبركم وظنكم، كالرجل
 يرى قوماً فيقول هؤلاء ألف أو يزيدون فالشك على
 تقدير المخلوقين، والأكثر من ألف أن معناه
 ويزيدون، واختلفوا في مبلغ تلك الزيادة، فقال ابن
 عباس ومقاتل: كانوا عشرين ألفاً، ورواه أبي بن
 كعب عن رسول الله ﷺ^(١)، وقال الحسن: بضعا
 وثلاثين ألفاً. وقال سعيد بن جبير: سبعين ألفاً.

[١٤٨] ﴿فَأَمَّاؤُا﴾، يعني الذين أرسل إليهم
 يونس بعد معاينة العذاب، ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾، أي
 حين انقضاء آجالهم. وتقدم قبل ذلك في سورة
 يونس آية (٩٨).

[١٤٩] قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾، فاسأل يا
 محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ، ﴿أَلَرَبُّكَ الْبَنَاتُ
 وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾، وذلك أن جهينة وبنو سلمة بن
 عبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله، تعالى الله
 عما يقول الظالمون علواً كبيراً، يقول: جعلوا لله
 البنات وأنفسهم البنين.

[١٥٠] ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا﴾، معناه:
 أخلقنا الملائكة إناثاً، ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾،
 حاضرون خلقنا إياهم، نظيره قوله: (أشهدوا
 خلقهم).

[١٥١، ١٥٢] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾، من

[١٦١] قوله عز وجل: ﴿فَاتَّكُمُ﴾، يقول لأهل مكة، ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾، من الأصنام.

[١٦٢] ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾، على ما تعبدون، ﴿بِقَتْنَيْنِ﴾، بمضلين أحداً.

[١٦٣] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾، إلا من قدر الله أنه سيدخل النار أي سبق له في علم الله الشقاوة.

[١٦٤] قوله تعالى: ﴿وَمَا مِثًا إِلَّا لِمُ مَقَامٍ مَّعْلُومٍ﴾، أي ما منا ملك إلا له مقام معلوم في السموات يعبد الله فيه، قال ابن عباس: ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح.

[١٦٥] ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾، قال قتادة: هم الملائكة صفوا أقدامهم. وقال الكلبي: صفوف الملائكة في السماء للعبادة كصفوف الناس في الأرض.

[١٦٦] ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ السَّخُونَ﴾، أي المصلون المنزهون الله عن السوء، يخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين، كما زعمت الكفار، ثم أعاد الكلام إلى الإخبار عن المشركين فقال:

[١٦٧] ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾، أي وقد كانوا يعني أهل مكة، ﴿يَقُولُونَ﴾، لام التأكيد.

[١٦٨] ﴿عِنْدَنَا ذِكْرُ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾، أي كتاباً مثل كتاب الأولين.

[١٦٩، ١٧٠] ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ فكفروا به، أي فلما أتاهم ذلك الكتاب كفروا به، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، هذا تهديد لهم.

[١٧١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْفَنَّا عِبَادَنَا الْمُرْسَلِينَ﴾، وهي قوله: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي).

[١٧٢، ١٧٣] ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُتَّصُونَ﴾ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ، أي حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة.

[١٧٤] ﴿فَقَوْلٌ﴾، أعرض، ﴿عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾، قال ابن عباس: يعني الموت. وقال مجاهد: يوم

سورة الصافات

٤٥٢

سورة الصافات

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ

﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِإِيكِيسِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ

نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا

يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ الْإِعْبَادَ لِلَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾

مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِقَتْنَيْنِ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِثًا إِلَّا

لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَأَنَا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَأَنَا لَنَحْنُ السَّخُونَ ﴿١٦٦﴾

وَلَنْ كُنَّا يَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْنَا عِنْدَنَا ذِكْرُ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا

عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ

سَبَقَتْ كَيْفَنَّا عِبَادَنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُتَّصُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ

جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَقَوْلٌ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرْتُمْ فَسَوْفَ

يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعِدْنَا يَأْأَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ

صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرْتُمْ فَسَوْفَ

يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾

وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سورة الصافات

بدر. وقال السدي: حتى يأمرك بالقتال. وقيل: إلى أن يأتيهم عذاب الله. قال مقاتل بن حيان: نسختها آية القتال.

[١٧٥] ﴿وَأَبْصَرْتُمْ﴾، إذا نزل بهم العذاب، ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾، ذلك. فقالوا متى هذا العذاب؟

[١٧٦، ١٧٧] فقال الله عز وجل: ﴿أَفَعِدْنَا يَأْأَسْتَعْجِلُونَ﴾ فَإِذَا نَزَلَ، يعني العذاب، ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾، قال مقاتل: بحضرتهم. وقيل: بفنائهم. قال

الفراء: العرب تكفي بذكر الساحة عن القوم، ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾، فبئس صباح الكافرين الذين أئذروا بالعذاب، ثم كرر ما ذكرنا تأكيداً لوعيد العذاب فقال:

[١٧٩، ١٨٠] ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ وَأَبْصَرْتُمْ، العذاب إذا نزل بهم، ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾، ثم نزه نفسه:

الكسائي: قوله: (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ)، وهذا ضعيف لأنه تخلل بين هذا القسم وهذا الجواب أفاصيص وأخبار كثيرة، وقال القتيبي: (بل) لندارك كلام ونفي آخر، ومجاز الآية: إن الله أقسم بـ ص والقرآن ذي الذكر أن الذين كفروا من أهل مكة في عزة حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق خلاف وعداوة لمحمد ﷺ، وقال مجاهد: (في عزة): معازين^(١).

[٣] ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾، يعني من الأمم الخالية، ﴿فَنَادَوْا﴾، استغاثوا عند نزول العذاب وهول النعمة، ﴿وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ﴾، أي ليس حين نزول العذاب بهم حين فرار، والمناص مصدر ناص ينوص، هو الفرار والتأخر، يقال: ناص ينوص إذا تأخر وباص ييوص إذا تقدم، ولات بمعنى ليس بلغة أهل اليمن، وقال النحويون: هي لا، زيدت فيها التاء، كقولهم: رَبٌّ وَرُبَّتْ وَثُمَّ وَثُمْتَ، وأصلها هاء وصلت بلا، فقالوا: لاه، كما قالوا ثمة فجعلوها في الوصل تاء والوقف عليه بالتاء عند الزجاج، وعند الكسائي بالهاء لاه، وذهب إلى أن التاء زيدت في حين والوقف على ولا، ثم يتبدى: تحين، وهو اختيار أبي عبيد، وقال: كذلك وجدت في مصحف عثمان.

[٤] ﴿وَعَجَبُوا﴾، يعني الكفار الذين ذكرهم الله عز وجل في قوله: (بل الذين كفروا)، ﴿أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾، يعني رسولاً من أنفسهم ينذرهم، ﴿وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾.

[٥] ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ كيف يسع الخلق كلهم إله واحد، ﴿إِنَّ هَذَا لَنَنْبَأٌ عَجَابٌ﴾، أي عجب، والعجب والعجاب واحد، كقولهم رجل كريم وكُرام وكبير وكبار وطويل وطوال وعريض وعُراض.

(١) في نسخة أخرى: (متعازين).

[١٨٠] فقال: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾، الغلبة والقوة، ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾، من اتخاذ صاحبة والأولاد.

[١٨١] ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾، الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع.

[١٨٢] ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء عليهم السلام.

(٢٨) سُورَةُ ص

[١] ﴿صَّ﴾، قيل: هو قسم، وقيل: هو اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجي في أوائل السور، وقال محمد بن كعب القرظي: ص مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد. وقال الضحاك: معناه صدق الله. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: صدق محمد ﷺ، ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾، أي ذي البيان، وقال الضحاك: ذي الشرف، دليله قوله تعالى: (وإنه لذكر لك ولقومك)، وهو قسم، واختلفوا في جواب القسم، قيل جوابه قد تقدم، وهو قوله (ص) أقسم الله بالقرآن أن محمداً قد صدق. وقال الفراء: ص معناه وجب وحق فهي جواب قوله: (والقرآن)، كما تقول: نزل والله، وقيل: جواب القسم محذوف تقديره: والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقول الكفار، ودلّ على هذا المحذوف.

[٢] قوله تعالى: ﴿يَلِ اللَّيْنِ كَفَرُوا﴾، قال قتادة: موضع القسم قوله: (بل الذين كفروا)، كما قال (والقرآن المجيد ه بل عجبا). وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: بل الذين كفروا ﴿فِي عِزِّهِ وَشِقَاقِهِ﴾ والقرآن ذي الذكر، وقال الأخفش: جوابه قوله تعالى: (إن كلُّ إلا كذب الرسل)، كقوله: (تالله إن كنا) وقوله: (والسما والطارق - إن كل نفس)، وقيل: جوابه قوله: (إن هذا لرزقنا)، وقال

سُورَةُ ص

٤٥٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾
 كَرَاهُكَامٍ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَُوا وَلَا تَجِئْ بِمَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَجَعَلُوا
 أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكُفَرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾
 أَجْعَلِ لِلَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلَقُوا لِلْمَلَأِ
 مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَى آلِ الْهَيْكَمِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾
 مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقٌ نَجِسٌ ﴿٧﴾ أَنْزَلَ
 عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابَ
 ﴿٨﴾ أَمْرٌ عِنْدَ هَرَجٍ أَنْ رَحْمَةَ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْرٌ لَهُمْ
 مَلَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾
 جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
 نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ
 لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابِ ﴿١٣﴾ إِنْ كُلِّ إِلَّا كَذَبُ الرُّسُلِ
 فَحَقَّ عِقَابٌ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُهُمْ إِلَّا الْأَصْحَابُ وَاحِدَةٌ مَأَلَاهَا
 مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَاعًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

وهذا أمر توبيخ وتعجيز .

[١١] ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ﴾، أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالكَ، و(ما) صلة، ﴿مَهْزُومٌ﴾، مغلوب، ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾، أي من جملة الأجناد يعني قريشًا، قال قتادة: أخبر الله تعالى نبيه ﷺ وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين، وقال سيهزم الجمع ويولون الدبر، فجاء تأويلها يوم بدر، وهنالكَ إشارة إلى بدر ومصارعهم، (من الأحزاب)، أي: من جملة الأحزاب، أي: هم من القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الأنبياء بالكذب، فقهرها وأهلكوا .

[١٢] ثم قال معزيًا لنبيه ﷺ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ﴾، قال ابن عباس ومحمد بن كعب: ذو البناء المحكم، وقيل: أراد ذو الملك الشديد الثابت، وقال القتيبي: تقول العرب هم في

[٦] ﴿وَأَنْطَلَقُوا لِلْمَلَأِ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَى آلِ الْهَيْكَمِ﴾، أي انطلقوا من مجلسهم الذي كانوا فيه ويقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على آلهم أي اثبتوا على عبادة آلهم، ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾، أي لأمر يراد بنا، وذلك أن عمر لما أسلم وحصل للمسلمين قوة لمكانه قالوا: إن هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد لشيء يراد بنا، وقيل: يراد بأهل الأرض، وقيل: يراد بمحمد أن يملك علينا .

[٧] ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾، أي بهذا الذي يقوله محمد من التوحيد، ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾، قال ابن عباس والكلبي ومقاتل: يعنون في النصرانية لأنها آخر الملل وهم لا يوحدون، بل يقولون ثالث ثلاثة. وقال مجاهد وقتادة: يعنون ملة قريش ودينهم الذي هم عليه، ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقٌ﴾، كذب واقتعال .

[٨] ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ﴾، القرآن، ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾، وليس بأكبرنا ولا أشرفنا، يقوله أهل مكة، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾، أي وحيي وما أنزلت، ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِي﴾، أي لم يذوقوا عذابي، ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول .

[٩] ﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمْ﴾، أعندهم، ﴿حَزَانٍ رَحْمَةً رَبِّكَ﴾، يعني نعمة ربك مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤوا، ونظيره (أهم يقسمون رحمة ربك) أي نبوة ربك، ﴿الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾، العزيز في ملكه الوهاب وهب النبوة لمحمد ﷺ .

[١٠] ﴿أَمْرٌ لَهُمْ مَلَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، أي ليس لهم ذلك، ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾، أي إن ادعوا شيئًا من ذلك فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء فليأتوا منها بالوحي إلى من يختارون، قال مجاهد وقتادة: أراد بالأسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء، وكل ما يوصلك إلى شيء من باب أو طريق فهو سببه،

فقال الفراء وأبو عبيدة: الفتح بمعنى الراحة والإفاقة، كالجواب من الإجابة، وذهب بها إلى إفاقة المريض من علته، والفوق بالضم ما بين الحلبتين وهو أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع اللبن فما بين الحلبتين فوق، أي أن العذاب لا يمهلهم بذلك القدر، وقيل: هما أيضاً مستعارتان من الرجوع، لأن اللبن يعود إلى الضرع بين الحلبتين، وإفاقة المريض رجوعه إلى الصحة.

[١٦] ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾، قال سعيد بن جبیر عن ابن عباس: يعني كتابنا، والقطّ الصحيفة التي أحصت كل شيء، قال الكلبي: لما نزلت في الحاقة: (فأما من أوتي كتابه يمينه)، (وأما من أوتي كتابه بشماله)، قالوا استهزاء: عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب. وقال سعيد ابن جبیر: يعنون حفظنا ونصيبتنا من الجنة التي تقول. وقال الحسن وقتادة ومجاهد والسدي: يعني عقوبتنا ونصيبتنا من العذاب. وقال عطاء: قال النضر بن الحارث، هو قولهم: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء. وعن مجاهد قال: قطنا حسابنا، ويقال لكتاب الحساب قط. وقال أبو عبيدة والكسائي: القطّ الكتاب بالجوائز.

[١٧] قال الله تعالى: ﴿أَصْرِي عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، أي على ما يقوله الكفار من تكذيبك، ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾، قال ابن عباس: أي القوة في العبادة، وقيل: ذو القوة في الملك. ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، رجع إلى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره، قال ابن عباس: مطيع. قال سعيد بن جبیر: مسبح بلغة الحبش.

[١٨] ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا لِجِبَالٍ مَّعْبُورٍ﴾، كما قال: (وسخرنا مع داود الجبال)، ﴿يُسَبِّحُنَّ﴾ بتسبيحه،

عز ثابت الأوتاد، يريدون أنه دائم شديد، وأصل هذا أن بيوتهم كانت تثبت بالأوتاد، وقال الضحاك: ذو القوة والبطش. وقال عطية: ذو الجنود والجمع الكثير، يعني أنهم كانوا يقوون أمره، ويشدون ملكه، كما يقوي الوند الشيء، وسميت الأجناد أوتاداً لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم، وهو رواية عطية عن ابن عباس، وقال الكلبي ومقاتل: (الأوتاد) جمع الوند وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها، وكان إذا غضب على أحد مده مستلقياً بين أربعة أوتاد يشد كل يد ورجل منه إلى سارية ويتركه كذلك في الهواء بين السماء والأرض حتى يموت. وقال مجاهد ومقاتل بن حيان: كان يمد الرجل مستلقياً على الأرض ثم يشد يديه ورجليه ورأسه على الأرض بالأوتاد. وقال السدي: كان يمد الرجل ويشده بالأوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات^(١). وقال قتادة وعطاء: كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب عليها بين يديه.

[١٣] ﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾، الذي تحزبوا على الأنبياء، فاعلم أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب.

[١٤] ﴿إِنْ كُلُّ مَا كَلَّ﴾، ما كل، ﴿إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ﴾، وجب عليهم ونزل بهم عذابي.

[١٥] ﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾، ينتظر، ﴿هَؤُلَاءِ﴾، يعني: كفار مكة، ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾، وهي نفخة الصور، ﴿مَا لَهَا مِنْ قَوَاتٍ﴾، قرأ حمزة والكسائي (فوق) بضم الفاء، وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان، فالفتح لغة قريش والضم لغة تميم، قال ابن عباس وقتادة: من رجوع، أي: ما يرد ذلك الصوت فيكون له رجوع. وقال مجاهد: نظرة. وقال الضحاك: مثوية، أي صرف ورد، والمعنى أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف، وفرق بعضهم بين الفتح والضم،

(١) سيأتي الكلام على ذلك في سورة الفجر آية (١٠).

منهما حين هجما عليه في محرابه بغير إذنه، فقال: ما أدخلكما عليّ، ﴿قَالُوا لَا تَحْفَظْ خَصَمَانِ﴾، أي نحن خصمان ﴿بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾، جئناك لتقضي بيننا، فإن قيل: كيف قال: (بغى بعضنا على بعض) وهما ملكان لا يبغيان؟ قيل: معناه رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر، وهذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من أحدهما. ﴿فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُنْطِطْ﴾، أي لا تجرّ، يقال: شطّ الرجل شططاً وأشطّ إشطاطاً إذا جار في حكمه، ومعناه مجاوزة الحد، وأصل الكلمة من شطّ الدار وأشطّ إذا بعُدَت. ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾، أرشدنا إلى طريق الصواب والعدل، فقال داود لهما: تكلمّا.

[٢٣] فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾، أي على ديني وطريقتي، ﴿لَمْ يَسْعَ وَتَسْعُونَ نَجَّةً﴾، يعني امرأة، ﴿وَلَيْ نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾، أي امرأة واحدة، والعرب تكني بالنجعة عن المرأة، قال الحسين بن الفضل: هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لأنه لم يكن هناك نجاج ولا بغى فهو كقولهم: ضرب زيد عمراً أو اشترى بكرّاً داراً، ولا ضرب هنالك ولا شراء ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا﴾، قال ابن عباس: أعطينها. قال مجاهد: انزل لي عنها. وحقيقته ضمها إليّ فاجعلني كافلاً، وهو الذي يعولها وينفق عليها والمعنى: طلقها لأتزوجها، ﴿وَعَزَّيْنِي﴾، وغلبني، ﴿فِي الْحُطَابِ﴾، أي في القول. وقيل: قهرني لقوة ملكه. وقال الضحاك: يقول إن تكلم كان أفصح مني وإن حارب كان أبطش مني، وحقيقة المعنى: أن الغلبة كانت له لضعفي في يده، وإن كان الحق معي وهذا كله تمثيل لأمر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضمها إلى نساءه.

[٢٤] ﴿قَالَ﴾، أي قال داود، ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ

﴿بِالْعَصِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾، قال الكلبي: غدوة وعشية والإشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها. وفسره ابن عباس: بصلاة الضحى.

[١٩] قوله عز وجل: ﴿وَالطَّيْرِ﴾، أي وسخرنا له الطير، ﴿تَحْشُرُهُ﴾، مجموعة إليه تسبح معه، ﴿كُلُّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾، مطيع رجاع إلى طاعته بالتسبيح، وقيل: أبواب معه أي مسبح.

[٢٠] ﴿وَشَدَدًا مُّلكَهُ﴾، أي قويناه بالحرس والجنود، قال ابن عباس: كان أشد ملوك الأرض سلطاناً كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةُ﴾، يعني النبوة والإصابة في الأمور، ﴿وَفَصَّلَ الْحُطَابِ﴾، قال ابن عباس: بيان الكلام، وقال ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل: علم الحكم والتبصر في القضاء. وقال علي بن أبي طالب: هو أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر، لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به. ويروى ذلك عن أبي بن كعب قال: فصل الخطاب الشهود والأيمان. وهو قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح. وروي عن الشعبي: أن فصل الخطاب هو قول الإنسان بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد، إذا أراد الشروع في كلام آخر، وأول من قاله داود عليه السلام.

[٢١] قوله عز وجل: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا الْمِحْرَابَ﴾ فما شعر وهو يصلي إلا وهما بين يديه جالسين، يقال: كانا جبريل وميكائيل، فذلك قوله عز وجل: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾، خبر الخصم، (إذا سوروا المحراب)، صعدوا وعلوا، يقال: تسورت الحائط والسور إذا علوته، وإنما جمع الفعل وهما اثنان لأن الخصم اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، ومعنى الجمع في الاثنین موجود، لأن معنى الجمع ضم شيء إلى شيء هذا كما قال الله تعالى: (فقد صغت قلوبكما).

[٢٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾، خاف

نَجِّكَ إِلَى نَجَاجِهِ، أي بسؤاله نعتجتك ليضمها إلى نجاجه، فإن قيل: كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه؟ قيل: معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك، وقيل: قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾، الشركاء ﴿يَلْبِغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، يظلم بعضهم بعضًا، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإنهم لا يظلمون أحدًا. ﴿وَقِيلَ مَا هُمْ﴾، أي قليل هم، و(ما) صلة، يعني: الصالحين الذين لا يظلمون قليل، قالوا: فلما قضى بينهما داود نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك وصعد إلى السماء، فعلم داود أن الله تعالى ابتلاه، وذلك قوله: ﴿وَطَنَّ دَاوُدُ﴾، أيقن وعلم، ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾، إنما ابتليناه، وقال القائلون بتزيه الأنبياء في هذه القصة: إن ذنب داود إنما كان أنه تمنى أن تكون امرأة أوريا حلالاً له، فاتفق غزو أوريا وتقدمه في الحرب وهلاكه، فلما بلغ قتله داود لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده إذا هلك، ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهي عظيمة عند الله ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾، أي ساجدًا، عبّر بالركوع عن السجود لأن كل واحد منهما فيه انحناء، قال الحسين بن الفضل: سألتني عبدالله بن طاهر عن قوله: (وخرّ راكعًا) هل يقال للراكع خرّ؟ قلت: لا، ومعناه فخرّ بعدما كان راكعًا أي [سجد]. ﴿وَأَنَابَ﴾، أي رجع وتاب.

[٢٥] ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾، يعني ذلك الذنب، ﴿وَإِنَّ لَهُ﴾، بعد المغفرة، ﴿عِندَنَا﴾، يوم القيامة، ﴿لِرُفْقَى﴾ لقربة ومكانة، ﴿وَحُسْنَ مَّعَاقِبٍ﴾، أي حسن مرجع ومقلب.

[٢٦] قوله عز وجل: ﴿يَذَرُ دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تدبر أمور العباد بأمرنا، ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾، بالعدل، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا

٤٥٤ ﴿أَصْرًا عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يَسْتَسْقِي بِأَعْيُنِهِ وَالْإِشْرَاقِ﴾ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرِ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا إِلَى الْحَرَابِ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ قَالَ أَكُنْتُمَا هَٰذَا فِي الْخُطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِّكَ إِلَىٰ نَجَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ يَلْبِغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لِرُفْقَىٰ وَحُسْنَ مَّعَاقِبٍ ﴿٢٥﴾ يَذَرُ دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

سُوا يَوْمَ الْحِسَابِ، أي بأن تركوا الإيمان بيوم الحساب. وقال الزجاج: بتركهم العمل لذلك اليوم. وقال عكرمة والسدي: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا، أي تركوا القضاء بالعدل.

[٢٧] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾، قال ابن عباس: لا لثواب ولا لعقاب. ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني أهل مكة هم الذين ظنوا أنهم خلُقوا لغير شيء، وأنه لا بعث ولا حساب. ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.

[٢٨] ﴿أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، قال مقاتل: قال كفار قريش للمؤمنين: إنا نعطي في الآخرة من الخير ما يُعطون، فنزلت هذه الآية: ﴿أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾، أي المؤمنين كالكفار. وقيل: أراد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٥٥

سُورَةُ ص

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ
﴿٣٠﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو
الْأَلْبَابِ ﴿٣١﴾ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدَانِ هُوَ وَآوَابُ
﴿٣٢﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِيفَتُ الْجَبَادِ ﴿٣٣﴾ فَقَالَ إِنِّي
أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٤﴾
رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٦﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ
لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنِّ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٧﴾
فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِجَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٨﴾ وَالشَّيْطَانُ
كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٩﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٠﴾ هَذَا
عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤١﴾ وَإِن لَّمْ يَكُنِ الْإِنسَانُ لَشَافِعًا
مَّتَابٍ ﴿٤٢﴾ وَإِذْ كَرَّمْنَا نُوحًا وَآوَابَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ
بُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤٣﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٤﴾

يعنفه الله على عقر الخيل إذ كان ذلك أسفًا على ما
فاته من فريضة ربه عز وجل. وقال بعضهم: إنه
ذبحها ذبحًا وتصدق بلحومها، وكان الذبح على
ذلك الوجه مباحًا في شريعته. وقال قوم: معناه أنه
حبسها في سبيل الله وكوى سوقها وأعناقها بكى
الصدقة. وقال الزهري وابن كيسان: إنه كان يسمح
سوقها وأعناقها بيده يكشف الغبار عنها حبا لها
وشفقة عليها، وهذا قول ضعيف، والمشهور هو
الأول.

﴿٣٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾،
اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه، ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ
جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾، أي رجع إلى ملكه بعد أربعين يومًا
فلما رجع.

﴿٣٥﴾ ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ
مِّن بَعْدِي﴾، قال مقاتل وابن كيسان: لا يكون لأحد

بالمؤمنين أصحاب محمد ﷺ، أي لا نجعل ذلك.
﴿٢٩﴾ ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾، أي هذا
الكتاب أنزلناه إليك، ﴿مُبْرَكٌ﴾، كثير خيره ونفعه،
﴿لِيَذَّبُوا﴾، أي ليتدبروا، ﴿ءَايَاتِهِ﴾، وليتفكروا
فيها، وقرأ أبو جعفر (ليتدبروا) بباء واحدة
وتخفيف الدال، قال الحسن: تدبر آياته اتباعه،
﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾، ليتعظ، ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

﴿٣١، ٣٠﴾ قوله عز وجل: ﴿وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ
نِعَمَ الْعَبْدَانِ إِنَّهُ أَعْيَنُ﴾، إذ عُرِضَ عَلَيْهِ الصَّفِيفَتُ
الْجَبَادِ، والصفافن هي الخيل القائمة على ثلاث
قوائم وأقامت واحدة على طرف الحافر من يد أو
رجل، يقال: صفن الفرس يصفن صفونًا إذا قام
على ثلاثة قوائم، وقلب أحد حوافره. وقيل:
الصفافن في اللغة القائم. والجياد الخيار السريع،
واحدها جواد. وقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما: يريد الخيل السوابق.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾، أي أثرت
حب الخير وأراد بالخير الخيل، والعرب تعاقب
بين الرء واللام، فتقول: ختل الرجل وخترته،
أي خدعته، وسميت الخيل خيرًا لأنه معقود
بنواصيها الخير، الأجر والمغنم، قال مقاتل: يعني
المال فهي الخيل التي عرضت عليه. ﴿عَن ذِكْرِ
رَبِّي﴾، يعني عن الصلاة وهي صلاة العصر. ﴿حَتَّى
تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾، أي توارت الشمس بالحجاب أي
استترت بما يحجبها عن الأبصار.

﴿٣٣﴾ ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾، أي ردوا الخيل علي
فردوها، ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾، قال أبو
عبيدة: طفق يفعل مثل: ما زال يفعل، والمراد
بالمسح القطع، فجعل يضرب سوقها وأعناقها
بالسيف، هذا قول ابن عباس والحسن وقادة
ومقاتل وأكثر المفسرين، وكان ذلك مباحًا له لأن
نبي الله لم يكن يقدم على محرم، ولم يكن يتوب
عن ذنب بذنب آخر. وقال محمد بن إسحاق: لم

رَبُّهُ إِلَىٰ مَسْنَىٰ الشَّيْطَانُ يُنْصَبُ، بمشفقة وضر، قرأ أبو جعفر (بُنْصَب) بضم النون والصاد، وقرأ يعقوب بفتحهما، وقرأ الآخرون بضم النون وسكون الصاد، ومعنى الكل واحد. قال قتادة ومقاتل: بنصب في الجسد، ﴿وَعَذَابٌ﴾، في المال وقد ذكرنا قصة أيوب في سورة الأنبياء عليهم السلام [آية ٨٣].

[٤٢] فلما انقضت مدة بلائه قيل له: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾، اضرب برجلك الأرض ففعل فنبعت عين ماء، ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ﴾، فأمره الله يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة فركض الأرض برجله الأخرى فنبعت عين أخرى ماء عذب بارد، فشرب منها فذهب كل داء كان بباطنه، فقلوه: ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ﴾، يعني الذي اغتسل منه بارد، ﴿وَسَرَابٌ﴾، أراد الذي شرب منه.

[٤٣، ٤٤] ﴿وَوَعَدْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ۝ وَخَذَ بِيَدِكَ ضِغْنًا﴾، وهو ملء الكف من الشجر أو الحشيش، ﴿فَأَضْرَبَ بِهِ وَلَا تَحْتَّ﴾، في يمينك وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فأمره الله أن يأخذ ضغناً يشتمل على مائة عود صغار ويضربها ضربة واحدة، ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

[٤٥] ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا﴾، قرأ ابن كثير (عبدنا) على التوحيد، وقرأ الآخرون (عبادنا) بالجمع، ﴿إِذْ يَرْهَمُ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي﴾، قال ابن عباس: أولي القوة في طاعة الله، ﴿وَالْأَنْصَارِ﴾، في المعرفة بالله أي البصائر في الدين، قال قتادة ومجاهد: أعطوا قوة في العبادة وبصرًا في الدين.

[٤٦] ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ﴾، اصطفيناهم، ﴿بِإِخْلَاصٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾، قرأ أهل المدينة (بخالصه) مضافاً وقرأ الآخرون بالتنوين، فمن أضاف فمعناه: أخلصناهم بذكر الدار الآخرة وأن يعملوا لها، والذكرى بمعنى الذكر، قال مالك بن دينار: نزعنا

من بعدي، قال عطاء بن أبي رباح: يريد هب لي ملكاً لا تسلبني في آخر عمري، وتعطيه غيري كما استلبته فيما مضى من عمري. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُهَا﴾، قيل: سأل ذلك ليكون آية لنبوته ودلالة على رسالته، ومعجزة، وقيل: سأل ذلك ليكون علماً على قبول توبته حيث أجاب الله دعاءه ورد إليه ملكه، وزاده فيه. وقال مقاتل بن حيان: كان لسليمان ملكاً ولكنه أراد بقول: (لا ينبغي لأحد من بعدي) تسخير الرياح والطير والشياطين، بدليل ما بعده.

[٣٦] قوله عز وجل: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً﴾، لينة ليست بعاصفة، ﴿حَبَّتْ أَصَابٌ﴾، حيث أراد، تقول العرب: أصاب الصواب فأخطأ الجواب تريد أراد الصواب.

[٣٧] ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾، أي سخرنا له الشياطين، ﴿كُلِّ بَنَاءٍ﴾، يبنون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، ﴿وَعَوَاصٍ﴾، يستخرجون له اللآلئ من البحر، وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر.

[٣٨] ﴿وَالْآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾، مشدودين في القيود، أي وسخرنا له آخرين يعني مرده الشياطين سخرها له حتى قرنهم في الأصفاد.

[٣٩] ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾، أي قلنا له هذا عطاؤنا، ﴿فَأَمَّنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾، الممن هو الإحسان إلى من تشيئه ومن لا تشيئه، معناه: أعط من شئت وأمسك ممن شئت، ﴿بِعَيرِ حِسَابٍ﴾، لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت. قال الحسن: ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه تبعة، إلا سليمان فإن أعطى أجر، وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة. وقال مقاتل: هذا في أمر الشياطين، يعني: خل من شئت منهم وأمسك من شئت في وثاقتك لا تبعة عليك فيما تتعاطاه.

[٤٠] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لُزُومَ مَنَاقِبٍ﴾.

[٤١] قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٥٦

سُورَةُ ص

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَادْكُرْ إسماعيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَتَابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ تُمْسِكُ لَهَا الْأُيُوتُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرِيفِ أُنْرَابٍ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنَ نِقَادٍ ﴿٥٤﴾ هَذَا أَوَّلُ اللَّطِيفِينَ لَشَرِّ مَتَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَسْأَلُونَ لَهَا هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٦﴾ هَذَا أَيُّهَا النَّارُ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمُرْجَائِيكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَسَّمْتُمْ لَنَا فَيَسْأَلُونَ الْفَرَارِ ﴿٥٧﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٥٨﴾

فليذوقوه، والحميم الماء الحار الذي انتهى حره وغساق، قرأ حمزة والكسائي وحفص (وغساق) حيث كان بالتشديد، وخففها الآخرون، فمن شدد جعله اسمًا على فعال نحو الخباز والطباخ، ومن خفف جعله اسمًا على فعال نحو العذاب، واختلفوا في معنى الغساق، قال ابن عباس: هو الزمهرير يحرقهم ببرده، كما تحرقهم النار بحرّها. قال مقاتل ومجاهد: هو الذي انتهى برده. وقيل: هو الممتن بلغة الترك. وقال قتادة: هو ما يغسق أي ما يسيل من القيح والصدید من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة، من قولهم غسقت عينه إذا انصبت، والغسق الانصباب.

[٥٨] ﴿وَأَحَرٌ﴾، قرأ أهل البصرة (وآخر) بضم الألف على جمع أخرى، مثل الكبرى والكبير، واختاره أبو عبيدة لأنه نعت بالجمع، فقال:

من قلوبهم حبّ الدنيا وذكرها، وأخلصناهم بحب الآخرة وذكرها. وقال قتادة: كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله عزّ وجلّ. وقال السدي: أخلصوا بخوف الآخرة. وقيل: معناه أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة. قال ابن زيد ومن قرأ بالتثنية: فمعناه بخلة خالصة، وهي ذكرى الدار، فيكون ذكرى الدار بدلًا عن الخالصة. وقيل: أخلصناهم: جعلناهم مخلصين، بما أخبرنا عنهم من ذكر الآخرة.

[٤٧-٤٩] ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ وَاذْكُرْ إسماعيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ هَذَا ذِكْرٌ، أي هذا الذي يتلى عليكم ذكر، وقيل ذكر أي شرف وذكر جميل تذكرون به ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَتَابٍ﴾.

[٥٠] ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ تُمْسِكُ لَهَا الْأُيُوتُ﴾، أي أبوابها مفتحة لهم.

[٥١، ٥٢] ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرِيفِ أُنْرَابٍ، مستويات الأسنان، بنات ثلاثة وثلاثين سنة، واحدها ترب. وعن مجاهد قال: متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن.

[٥٣] ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ﴾، قرأ ابن كثير (يوعدون) بالياء ههنا وفي (ق) أي ما يوعد المتقون، وافق أبو عمرو ههنا وقرأ الباقون بالتاء فيهما، أي قل للمؤمنين: هذا ما توعدون، ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾، أي في يوم الحساب.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَكُمْ مِنْ نِقَادٍ﴾، فناء وانقطاع.

[٥٥] ﴿هَذَا﴾، أي الأمر هذا ﴿وَإِنَّ لِلطَّغِيَّينَ﴾، للكافرين، ﴿لَشَرِّ مَتَابٍ﴾، مرجع.

[٥٦] ﴿جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا﴾، يدخلونها ﴿فَيَنْسُ الْهَذَا﴾.

[٥٧] ﴿هَذَا﴾ أي هذا العذاب، ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾، قال الفراء: أي هذا حميم وغساق

[٦٣] ﴿أَتَخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا﴾، قرأ أهل البصرة وحزمة والكسائي: (من الأشرار اتخذناهم) وصل، ويكسرون الألف عند الابتداء، وقرأ الآخرون بقطع الألف وفتحها على الاستفهام، قال أهل المعاني:

القراءة الأولى أولى لأنهم علموا أنهم اتخذوهم سَخِرِيًّا فلا يستقيم الاستفهام، وتكون أم على هذه القراءة بمعنى بل، ومن فتح الألف قال هو على اللفظ لا على المعنى ليعادل (أم) في قوله: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾، قال الفراء: هذا من الاستفهام الذي معناه التوبيخ والتعجب، (أم زاعت) أي مالت (عنهم الأبصار)، ومجاز الآية: ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سَخِرِيًّا لم يدخلوا معنا النار؟ أم دخلوها فراغت عنهم أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا؟ وقيل: أم هم في النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا؟ فقال ابن كيسان: يعني أم كانوا خيراً منا ولكن نحن لا نعلم، وكانت أبصارنا تريغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئاً.

[٦٤] ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿لِحَقِّ﴾ ثم بين فقال، ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾، أي تخاصم أهل النار في النار لحق.

[٦٥] ﴿قُلْ﴾، يا محمد لمشركي مكة، ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾، مخوف، ﴿وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾.

[٦٦] ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.

[٦٧] قوله: ﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿هُوَ﴾، يعني القرآن، ﴿نَبِيًّا عَظِيمٌ﴾، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة، وقيل: هو يعني القيامة لقوله: (عم يسئالون ه عن النبأ العظيم).

[٦٨، ٦٩] ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ه مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْأَعْلَى﴾، يعني الملائكة، ﴿إِذْ يَخْطُبُونَ﴾، يعني في شأن آدم عليه السلام، حين قال الله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها).

أزواج، وقرأ الآخرون بفتح الهمزة مشبعة على الواحد، ﴿مِنْ سَكَلَةٍ﴾، مثله أي مثل الحميم والغساق، ﴿أَزْوَاجٌ﴾، أي أصناف آخر من العذاب.

[٥٩] ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَصِمٌ مَعَكُمْ﴾، قال ابن عباس: هذا هو أن القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع قالت الخزنة للكفار: هذا يعني الأتباع فوج: جماعة مقتحم معكم النار، أي داخلوها كما أنتم دخلتموها، والفوج القطيع من الناس وجمعه أفواج، والاقترحام الدخول في الشيء رمياً بنفسه فيه، قال الكلبي: إنهم يضربون بالمقامع حتى يوقعوا أنفسهم في النار خوفاً من تلك المقامع، فقالت القادة: ﴿لَا مَرْجَا بِهِمْ﴾، يعني بالأتباع، ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾، أي داخلوها كما صلينا.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾، فقال الأتباع للقادة، ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْجَا بِكُمْ﴾، والمرحب والرحب: السعة، تقول العرب: مرحباً وأهلاً وسهلاً أي أتيت رحباً وسعة، وتقول: لا مرحباً بك أي لا رحبت عليك الأرض. ﴿أَنْتُمْ قَدْ مَتُّوهُ لَنَا﴾، يقول الأتباع للقادة: أنتم بدأتُم بالكفر قبلنا وشرعتم وستنتموه لنا وقيل: أنتم قدمتم هذا العذاب لنا بدعائكم إيانا إلى الكفر، ﴿فَيَسَّ الْقَرَارُ﴾، أي فبس دار القرار جهنم.

[٦١] ﴿قَالُوا﴾، يعني الأتباع، ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾، أي شرعه وسنه لنا، ﴿فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾، أي ضعف عليه العذاب في النار. قال ابن مسعود: يعني حيّات وأفاعي.

[٦٢] ﴿وَقَالُوا﴾، يعني صناديد قريش وهم في النار، ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رَجُلًا كَمَا نَقَدُّهُمْ﴾، في الدنيا، ﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾، يعنون فقراء المؤمنين: عماراً وخبأباً وصهيياً وبلاًاً وسلمان رضى الله عنهم، ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء، فقالوا:

[٧٠] ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، قال الفراء: إن شئت جعلت (أنما) في موضع رفع أي ما يوحى إليّ إلا الإنذار، وإن شئت جعلت المعنى: ما يوحى إليّ إلا أنني نذير مبين. وقرأ أبو جعفر: (إنما) بكسر الألف، لأن الوحي قول.

[٧١] قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾، يعني آدم عليه السلام.

[٧٢-٧٥] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾، أتممت خلقه، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُم سَجِدِينَ﴾ فسجد الملائكة كلُّهم أجمعون ٥ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٥ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكْبَرْتَ ٥ أَلْف استفهام دخلت على ألف الوصل، ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ الْقَالِينَ﴾، المتكبرين، استفهام توبيخ وإنكار، يقول: استكبرت بنفسك حتى آيت السجود؟ أم كنت من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم؟.

[٧٦، ٧٧] ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ٥ قَالَ فَأَخْرِجْهُنَّ﴾، أي من الجنة، وقيل: من السموات. وقال الحسن وأبو العالية: أي من الخلقة التي أنت فيها. قال الحسن بن الفضل: هذا تأويل صحيح لأن إبليس تجبر وافتخر بالخلقة، فغير الله خلقته فاسود وقبح بعد حسنه، ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾، مطرود.

[٧٨-٨١] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ٥ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ٥ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ٥ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾، وهو النفخة الأولى.

[٨٢-٨٤] ﴿قَالَ فِعْرَئِكَ لِأَعْرَبْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ٥ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ٥ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾، قرأ عاصم وحزمة ويعقوب: (فالحق) برفع القاف على الابتداء وخبره محذوف تقديره: الحق مني، ونصب الثانية أي: وأنا أقول الحق، قاله مجاهد، وقرأ الآخرون بنصبهما، واختلفوا في وجههما، قيل: نصب الأول على الإغراء كأنه قال: الزم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٥٧

سُورَةُ ص

وَقَالُوا مَا لَنَا لَنَرِي رَجُلًا كَنُاعِدُهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ اتَّخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ رَآغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ وَمَنِ إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْفَقِيرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَنِيئًا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ لَشَرٍّ مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْهُنَّ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فِعْرَئِكَ لِأَعْرَبْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

الحق، والثاني بإيقاع القول عليه أي أقول الحق. وقيل: الأول قسم أي فبالحق وهو الله عز وجل فانصب بنزع الخافض، وهو حرف الصفة، وانتصاب الثاني بإيقاع القول عليه. وقيل: الثاني تكرار القسم، أقسم الله بنفسه.

[٨٥، ٨٦] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ٥ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، على تبليغ الرسالة، ﴿مِّنْ أَجْرٍ﴾، جُعِلَ، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾، المتقولين القرآن من تلقاء نفسي، وكل من قال شيئاً من تلقاء نفسه فقد تكلفه.

[٨٧] قوله: ﴿إِنَّ هُوَ﴾، ما هو يعني القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾، موعظة، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾، للخلق أجمعين.

[٨٨] ﴿وَلَعَلَّغْنَا﴾، أُنِمْ يا كفار مكة، ﴿نَبَأُ﴾، خبر صدقه، ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾، قال ابن عباس وقتادة: بعد الموت. وقال عكرمة: يعني يوم القيامة. وقال

الكلبي: من بقي علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا، ومن مات عِلْمُهُ بعد موته. قال الحسن: ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين.

(٣٩) سُورَةُ الزَّمَرِ

[١] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾، أي هذا تنزيل الكتاب. وقيل: تنزيل الكتاب مبتدأ وخبره، ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، أي تنزيل الكتاب من الله لا من غيره.

[٢] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾، قال مقاتل: لم ينزله باطلا لغير شيء، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾، الطاعة.

[٣] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْغَالِصُ﴾، قال قتادة: شهادة

أن لا إله إلا الله. وقيل: لا يستحق الدين الخالص إلا الله. وقيل: الدين الخالص من الشرك هو الله. ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾، أي من دون الله، ﴿أُولِيَاءَ﴾، يعني الأصنام، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾، أي قالوا ما نعبدهم، ﴿إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، وكذلك قرأ ابن مسعود وابن عباس، قال قتادة: وذلك أنهم

كانوا إذا قيل لهم: من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والأرض؟ قالوا: الله، فيقال لهم: فما معنى عبادتكم الأوثان؟ قالوا: ليقربونا إلى الله زلفى، أي قربى، وهو اسم أقيم في مقام المصدر، كأنه قال: إلا ليقربونا إلى الله تقريبا ويشفعوا لنا عند الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾، يوم القيامة، ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، من أمر الدين، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾، لا يرشد لدينه من كذب فقال: إن الآلهة لتشفع. وكفى باتخاذ الآلهة دونه كذبا وكفرا.

[٤] ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى﴾، لاختار، ﴿وَمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، يعني الملائكة، كما قالوا: لو أردنا أن نتخذ لهموا لاتخذناه من لدنا، ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَنَهُ﴾، تنزيها له عن ذلك

سورة الزمر

٤٥٨

سورة الزمر

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَا مَلَانَ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَعَنَ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزَّمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاْعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُوِّرُ أَلْيَلٌ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُوِّرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾

وعما لا يليق بطهارته، ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

[٥] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُوِّرُ أَلْيَلٌ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُوِّرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾، قال قتادة: يغشى هذا هذا، كما قال: (يغشى الليل النهار)، وقيل: يدخل أحدهما على الآخر كما قال: (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل)، وقال الحسن والكلبي: ينقص من الليل فيزيد في النهار، وينقص من النهار فيزيد في الليل، فما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل، ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة، وأصل التكوير اللف والجمع، ومنه: كَوَّرَ العمامة. ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾.

[٦] ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، يعني آدم، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، يعني حواء، ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾،

سورة الزمر

٤٥٩

سورة الزمر

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ
مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَنْزَلَ خَلَقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ
اللَّهَ عَنَىٰ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ
لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾
وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ
نِعْمَةً مِّنْهُ نَسَىٰ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا
لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ
النَّارِ ﴿٨﴾ أَمِنْ هُوَ قَتَيْتَ أَمَّا الْبَلَّ سَاجِدًا وَفَإِمَّا يَحْدُرُ
الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةً رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَآءِ الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَتَّبِعُوا الَّذِينَ
آمَنُوا أَنْفَعُوا رَبِّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةُ إِنَّمَا تُؤْفَىٰ الضُّرُّونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

كشفه، ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾، يعني الأوثان، ﴿لِيُضِلَّ
عَنْ سَبِيلِهِ﴾، ليزل عن دين الله، ﴿قُلْ﴾، لهذا
الكافر، ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾، في الدنيا إلى
أجلك، ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، قيل: نزلت في
عتبة بن ربيعة. وقال مقاتل: نزلت في أبي حذيفة
ابن المغيرة المخزومي. وقيل: عام في كل كافر.

[٩] ﴿أَمِنْ هُوَ قَتَيْتَ﴾، قرأ ابن كثير ونافع
وحزمة (أمن) بتخفيف الميم، وقرأ الآخرون
بتشديدها، فمن شدد فله وجهان، أحدهما: أن
تكون الميم في (أم) صلة، فيكون معنى الكلام
استفهامًا وجوابه محذوفًا، مجازة: أمن هو قانت
كمن هو غير قانت؟ كقوله: (أفمن شرح الله صدره
للإسلام)، يعني كمن لم يشرح صدره. والوجه
الآخر: أنه عطف على الاستفهام، مجازة: الذي
جعل الله أندادًا خير أمن هو قانت؟ ومن قرأ

معنى الإنزال ههنا: الإحداث والإنشاء، كقوله
تعالى: (أنزلنا عليكم لباسًا يُؤاري)، وقيل: إنه أنزل
الماء الذي هو سبب نبات القطن الذي يكون منه
اللباس، وسبب النبات الذي تبقى به الأنعام. وقيل:
(وأنزل لكم من الأنعام) جعلها لكم نزلًا ورزقًا،
﴿ثَمَنِيَّةً أَنْزَلَ﴾، أصناف، مرّ تفسيرها في سورة
الأنعام آية (١٤٣). ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا
مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾، نطفة ثم علقه ثم مضغة، كما قال الله
تعالى: (وقد خلقكم أطوارًا)، ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾،
قال ابن عباس: ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة
المشيمة، ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ﴾، أي الذي خلق هذه
الأشياء، ﴿رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى
تُصْرَفُونَ﴾، عن طريق الحق بعد هذا البيان.

[٧] ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَىٰ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ
لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾، قال ابن عباس والسدي: لا يرضى
 لعباده المؤمنين الكفر، وهم الذين قال الله تعالى:
(إن عبادي ليس لك عليهم سلطان)، فيكون عامًا
في اللفظ خاصًا في المعنى، كقوله تعالى: (عينا
يشرب بها عباد الله)، يريد بعض العباد، وأجراه
قوم على العموم، وقالوا: لا يرضى لأحد من
عباده الكفر، ومعنى الآية: لا يرضى لعباده الكفر
أن يكفروا به، ويروى ذلك عن قتادة، وهو قول
السلف، قالوا: كفر الكافر غير مرضي لله عزّ
وجلّ، وإن كان بإرادته، ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾، تؤمنوا
بربكم وتطيعوه، ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾، فيشيكم عليه، قرأ
أبو عمرو (يرضه لكم) ساكنة الهاء، ويختلسها أهل
المدينة وعاصم وحزمة، والباقون بالإشباع، ﴿وَلَا
تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

[٨] ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾،
راجعًا إليه مستغيثًا به، ﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾،
أعطاه نعمة منه، ﴿نَسَىٰ﴾، ترك، ﴿مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ
مِنْ قَبْلُ﴾، أي نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٦٠

سُورَةُ الزُّمَرِ

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
 أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
 ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ
 قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا
 ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ
 وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِيَ عِبَادَهُ يَتَعَبدُونَ ﴿١٦﴾
 وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى
 فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
 أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾
 أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَلَمْ يَأْتِهِ تَقْدِيرٌ مِنَ النَّارِ ﴿١٩﴾
 لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا رَبَّهُمْ هُمْ عَرَفُوا مِنْ قَوْفِهَا عَرَفَ مَبْنِيَّةَ تَجَرَى
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
 أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
 يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
 يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

البلاء، وصبروا وهاجروا. قال علي رضي الله عنه: كل مطيع يكال له كيلاً ويوزن له وزناً إلا الصابرين، فإنه يحصى لهم حثياً. قال الله تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)، حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل.

[١١] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾، مخلصاً له التوحيد لا أشرك به شيئاً.

[١٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾، من هذه الأمة.

[١٣] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وعبدت غيره، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وهذا حين دُعي إلى دين آبائه.

[١٤، ١٥] ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ ٥ فاعبدوا ما شئتم من دونه، أمر توبيخ وتهديد، ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ

بالتخفيف فهو ألف استفهام دخلت على معناه: أهذا كالذي جعل لله أنداداً؟ وقيل: الألف في (أمن) بمعنى حرف النداء، تقديره: يا من هو قانت، والعرب تنادي بالألف كما تنادي بالياء، فتقول: أبني فلان ويا بني فلان، فيكون معنى الآية: قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار، ويا من هو قانت ﴿ءَأَنَاءَ أَتَيْلٌ﴾، إنك من أهل الجنة، قاله ابن عباس، وفي رواية عطاء: نزلت في أبي بكر الصديق. وقال الضحاك: نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وعن ابن عمر أنها نزلت في عثمان، وعن الكلبي أنها نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان، والقانت: المقيم على الطاعة. قال ابن عمر: القنوت قراءة القرآن وطول القيام، وأناء الليل: ساعاته، ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾، يعني في الصلاة، ﴿يَتَحَدَّرُ الْآخِرَةَ﴾، يخاف الآخرة، ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾، يعني كمن لا يفعل شيئاً من ذلك، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قيل: الذين يعلمون عمار، والذين لا يعلمون: أبو حذيفة المخزومي، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.

[١٠] ﴿قُلْ يَتَعَبدُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُولُ رَبِّكُمْ﴾، بطاعته واجتناب معاصيه، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾، أي آمنوا وأحسنوا العمل، حسنة يعني الجنة، قاله مقاتل. وقال السدي: في هذه الدنيا حسنة يعني الصحة والعافية، ﴿وَأَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾، قال ابن عباس: يعني ارتحلوا من مكة. وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي. وقيل: نزلت في مهاجري الحبشة. وقال سعيد بن جبير: من أمر بالمعاصي ببلد فليهرب منها إلى غيرها. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، الذي صبروا على دينهم فلم يتركوه للأذى. وقيل: نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه، حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بهم

ابن عمرو بن نفيل وأبو ذر الغفاري وسلمان
الفارسي. والأحسن: قول لا إله إلا الله.

[١٩] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾، قال ابن
عباس رضي الله عنهما: من سبق في علم الله أنه
من أهل النار. وقيل: كلمة العذاب قوله: (لأملأن
جهنم) وقيل: كلمة العذاب قوله: «هؤلاء في النار
ولا أبالي»^(٢). ﴿أَفَأَنْتَ تُنْفِذُ مَن فِي النَّارِ﴾، أي لا
تقدر عليه. قال ابن عباس: يريد أبا لهب وولده.

[٢٠] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَفَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَرْفٌ مِّنْ فَوْقَهَا
عَرْفُ مَبْنِيَّةٍ﴾، أي منازل في الجنة رفيعة وفوقها
منازل أرفع منها، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا
يُخْلِفُ اللَّهُ الْوَعْدَ﴾، أي وعدهم الله تلك الغرف
والمنازل وعدًا لا يخلفه.

[٢١] قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ﴾، أدخل ذلك الماء، ﴿يَنْبُتُ بِهِ﴾،
عيونًا وركابًا، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، قال الشعبي: كل ماء
في الأرض فمن السماء نزل، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ﴾،
بالماء ﴿زَرْعًا تَحْنِطُ الْأَنْهَارُ﴾، أحمر وأصفر وأخضر،
﴿ثُمَّ يَهَيِّجُ﴾، ييسس، ﴿فَرَنَّهُ﴾، بعد خضرته
ونضرتة، ﴿مُصْفًى ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا﴾، فتاتًا
متكسرًا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

[٢٢] قوله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ
لِلْإِسْلَامِ﴾، وسَّعه لقبول الحق، ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ
رَّبِّهِ﴾، كمن ألقى الله قلبه؟ قوله عز وجل: ﴿قَوْلٌ
لِّقَسِيَّةٍ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾،
قال مالك بن دينار: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من
قسوة قلب، وما غضب الله عز وجل على قوم إلا
نزع منهم الرحمة.

[٢٣] قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ
كِتَابًا مُّتَشَدِّدًا﴾، يشبه بعضه بعضًا في الحسن،
ويصدق بعضه بعضًا ليس فيه تناقض ولا اختلاف.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٣٩/٥.

(٢) ما بين المعكوفتين من نسخة محمد النمر وزملائه.

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ﴾، أزواجهم وخدمهم،
﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾، قال ابن
عباس: وذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلًا في
الجنة وأهلًا، فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل
والأهل له، ومن عمل بمعصية الله دخل النار،
وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة
الله. وقيل: خسران النفس بدخول النار، وخسران
الأهل بأن يفرق بينه وبين أهله، وذلك هو الخسران
المبين.

[١٦] ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ﴾، أطباق
سرادقات من النار ودخانها، ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾،
فراش ومهاد من نار إلى أن ينتهي إلى القعر، سمي
الأسفل ظلًا لأنها ظلل لمن تحتهم نظير ما قوله عز
وجل: (لهم من جهنم مهادٌ ومن فوقهم غواشٍ).
﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبُدُونَ﴾.

[١٧، ١٨] ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ﴾، الأوثان،
﴿أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾، رجعوا إلى عبادة الله،
﴿لَهُمُ الْبَشْرَى﴾، في الدنيا بالجنة وفي العقبى
بالمغفرة، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ هَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾، القرآن
﴿فَيَسْتَمِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾، قال السدي: أحسن ما
يؤمرون به فيعملونه. وقيل: هو أن الله ذكر في
القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو، والعفو
أحسن الأمرين. وقيل: ذكر العزائم [والرخص
فيتبعون الأحسن وهو العزائم]^(١). وقيل: يستمعون
القرآن وغير القرآن فيتبعون القرآن. وقال عطاء عن
ابن عباس: آمن أبو بكر بالنبي ﷺ فجاءه عثمان
وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد ابن
أبي وقاص وسعيد بن زيد، فسألوه فأخبرهم بإيمانه
فآمنوا، فنزلت فيهم: (فبشر عباد ه الذين يستمعون
القول فيتبعون أحسنه)، وكله حسن. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ
هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، وقال ابن زيد:
نزلت (والذين اجتنبوا الطاغوت) الآيتان في ثلاثة
نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله، زيد

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٤٦١

سُورَةُ الزُّمَرِ

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ قَوِيلٌ
لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْ لِيَكُ فِي صُلْبِكَ مِثْمِينَ ﴿٢٢﴾
اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَدِّدًا مِّثْمَانِي نَقَشَ مِنْهُ
جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن
يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَهْدِ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّبِعِ بَوَاجِهَهُ سُوءَ
الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَاَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي
هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ
شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مِيتٌ وَلِيَهُمْ مِّيتُونَ
﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ
مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، يتعظون.
[٢٨] ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، نصب على الحال، ﴿غَيْرَ
ذِي عِوَجٍ﴾، قال ابن عباس: غير مختلف. قال
مجاهد، غير ذي لبس. قال السدي: غير مخلوق.
ويروى ذلك عن مالك بن أنس، وحكي عن سفيان
ابن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس
بخالق ولا مخلوق. ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، الكفر
والتكذيب.

[٢٩] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا﴾، قال الكسائي
نصب رجلاً لأنه تفسير للمثل، ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ
مُتَشَكِّسُونَ﴾، متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم،
يقال رجل شكس شرس إذا كان سيء الخلق
مخالفاً للناس لا يرضى بالإنصاف. ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا
لِرَجُلٍ﴾، قرأ أهل مكة والبصرة (سالماً) بالالف أي

﴿مَثَانِي﴾، يُثْنَى فِيهِ ذَكَرُ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالْأَمْرِ
وَالنَهْيِ وَالْأَخْبَارِ وَالْأَحْكَامِ، ﴿نَقَشَ﴾، تضطرب
وتشتمز، ﴿مِنَهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾،
والاقشعرار تغير في جلد الإنسان عند الوجع
والخوف، وقيل: المراد من الجلود القلوب أي
قلوب الذين يخشون ربهم، ﴿ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ
وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، أي لذكر الله، أي إذا ذكرت
آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله، وإذا
ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم، كما
قال الله تعالى: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)،
وحقيقة المعنى: أن قلوبهم تقشع من الخوف
وتلين عند الرجاء. ﴿ذَلِكَ﴾، يعني أحسن
الحديث، ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن
يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَهْدِ مِنْ هَادٍ﴾.

[٢٤] ﴿أَفَمَن يَتَّبِعِ بَوَاجِهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ﴾، أي
شدته، ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، قال مجاهد: يجز على
وجهه في النار. وقال عطاء: يرمى به في النار
منكوساً فأول شيء تمسه النار وجهه. قال مقاتل:
هو أن الكافر يُرمى به في النار مغולה يداه إلى
عنقه، وفي عنقه صخرة مثل جبل عظيم من
الكبريت فتشتعل النار في الحجر، وهو معلق في
عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عن
وجهه، للأغلال التي في عنقه ويده. ومجاز الآية:
أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من
العذاب؟ ﴿وَقِيلَ﴾، يعني تقول الخزنة ﴿لِلظَّالِمِينَ
ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، أي وباله.

[٢٥] ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، من قبل
كفار مكة كذبوا الرسل، ﴿فَاَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾، يعني وهم آمنون غافلون من
العذاب.

[٢٦] ﴿فَاَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ﴾، العذاب والهوان،
﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٣٠) ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣١) ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٢) ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهم أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٣) ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ (٣٤) ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٣٥) ﴿قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣٦) ﴿مَنْ يَأْتِ بِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٣٧)

خالصاً له لا شريك ولا منازع له فيه، وقرأ الآخرون (سلاًماً) بفتح اللام من غير ألف، وهو الذي لا ينازع فيه من قولهم: هو لك سلم، أي مسلم لا منازع لك فيه. ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾، هذا مثل ضربه الله عز وجل للكافر الذي يعبد آلهة شتى، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد، وهذا استفهام إنكار أي لا يستويان، ثم قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي لله الحمد كله دون غيره من المعبودين. ﴿بَلْ أَكْذَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ما يصيرون إليه والمراد بالأكثر الكل.

[٣٠] ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾، أي ستموت، ﴿وَأَنْتُمْ مَيِّتُونَ﴾. أي سيموتون، قال الفراء والكسائي: الميت بالتشديد من لم يموت وسيموت، الميت بالتخفيف من فارقه الروح، ولذلك لم يخفف هنا.

[٣١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾، قال ابن عباس: يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم.

[٣٢] قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾، فزعم أن له ولداً وشريكاً، ﴿وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ﴾، بالقرآن، ﴿إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾، منزل ومقام، ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾، استفهام بمعنى التقرير.

[٣٣] ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾، قال ابن عباس: (والذي جاء بالصدق) يعني رسول الله ﷺ جاء بلا إله إلا الله (وصدق به) الرسول أيضاً بلغه إلى الخلق. وقال السدي: والذي جاء بالصدق جبريل جاء بالقرآن، وصدق به محمد ﷺ تلقاه بالقبول. وقال الكلبي وأبو العالية: والذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ، وصدق به أبو بكر رضي الله عنه. وقال قتادة ومقاتل: والذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ، وصدق به هم المؤمنون، لقوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، وقال

عطاء: والذي جاء بالصدق الأنبياء وصدق به الأتباع، وحيث أن يكون الذي بمعنى الذين، وقال الحسن: هم المؤمنون صدقوا به في الدنيا وجاؤوا به في الآخرة. وفي قراءة عبدالله بن مسعود: والذين جاؤوا بالصدق وصدقوا به. (أولئك هم المتقون).

[٣٤، ٣٥] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ليُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا، يسترها عليهم بالمغفرة، ﴿وَيَجْزِيَهم أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، قال مقاتل: يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي.

[٣٦] قوله عز وجل: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ؟﴾ يعني محمداً ﷺ، وقرأ أبو جعفر وحمة والكسائي: (عباده) بالجمع يعني الأنبياء عليهم السلام، قصدهم قومهم بالسوء كما قال: (وهمت

كل أمة برسولهم ليأخذوه) فكفاهم الله شر من عاداهم ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾، وذلك أنهم خَوْفُوا النبي ﷺ معرة معادة الأوثان. وقالوا: لتكفرن عن شتم آلهتنا أو ليصينك منهم خبل أو جنون، ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾، منيع في ملكه منتقم من أعدائه.

[٣٨] ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ حَافِيَةٌ عَنْ رَحْمَتِهِ﴾، قرأ أهل البصرة (كاشفات) و(ممسكات) بالتثنية، (ضره) و(رحمته) بنصب الراء والتاء، وقرأ الآخرون بلا تنوين وجر الراء والتاء على الإضافة، قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ عن ذلك فسكتوا، فقال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾، ثقتي به واعتمادي عليه، ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾، يثق به الواثقون.

[٣٩، ٤٠] ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من يأتيه عذابٌ يُخْرِجُهُ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ، أي ينزل عليه عذاب دائم.

[٤١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾، وبال ضلالتة عليه، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾، بحفيظ وريب لم توكل بهم ولا تؤخذ بهم.

[٤٢] قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾، أي الأرواح، ﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾، فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء آجالها، وقوله: (حين موتها) يريد موت أجسادها. ﴿وَالَّذِي لَمْ يَمُتْ﴾، يريد يتوفى الأنفس التي لم تمت، ﴿فِي مَنَامِهَا﴾، والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز،

سورة الزمر

٤٦٣

سورة الزمر

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ أَوْلَوْكَانَا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَأَهُمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَهُمْ بِكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَتَسَبَّبُونَ ﴿٤٧﴾

ولكل إنسان نفسان إحداهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت فتزول بزوالها النفس، والأخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام، وهو بعد النوم يتنفس. ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾، فلا يردها إلى الجسد، قرأ حمزة والكسائي (قضي) بضم القاف وكسر الضاد وفتح الباء، (الموت) رفع على ما لم يسم فاعله، وقرأ الآخرون بفتح القاف والضاد، (الموت) نصب لقوله عز وجل: (الله يتوفى الأنفس). ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾، ويرد الأخرى، وهي التي لم يقض عليها الموت، إلى الجسد، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، إلى أن يأتي وقت موته، ويقال للإنسان نفس وروح، فعند النوم يخرج النفس ويبقى الروح. وعن علي قال: تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد، فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى

جسده، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾،
للدلالات على قدرته حيث لم يغلط في إمساك ما
يمسك من الأرواح وإرسال ما يرسل منها. قال
مقاتل: لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث،
يعني إن توفي نفس النائم وإرسالها بعد توفي دليل
على البعث.

[٤٣] ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ﴾، يا
محمد، ﴿أَوَلَوْ كَانُوا﴾، وإن كانوا يعني
الآلهة، ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾، من الشفاعة، ﴿وَلَا
يَعْقِلُونَ﴾، أنكم تعبدونهم، وجواب هذه محذوف
تقديره: وإن كانوا بهذه الصفة تتخذونهم.

[٤٤] ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾، قال مجاهد:
لا يشفع أحد إلا بإذنه، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ﴾، نفرت.
وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: انقبضت عن
التوحيد. وقال قتادة: استكبرت. وأصل
الاشمئزاز النفور والاستكبار، ﴿فَلَوْبُ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾،
يعني الأصنام، ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ﴾، يفرحون، قال
مجاهد ومقاتل: وذلك حين قرأ النبي ﷺ سورة
والنجم فألقى الشيطان في أمنيته: تلك الغرائق
العلی، وفرح به الكفار.

[٤٦] ﴿قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ﴾.

[٤٧] قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا
فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَثَلَاثَ مِائَةِ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾،
قال مقاتل: ظهر لهم حين بُعثوا ما لم يحتسبوا في
الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة. قال السدي: ظنوا
أنها حسنات فبدت لهم سيئات، والمعنى أنهم
كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام فلما عوقبوا

عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا.
[٤٨] ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾، أي
مساوئ أعمالهم من الشرك والظلم بأولياء الله.
﴿وَحَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٤٩] ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾، شدة، ﴿دَعَانَا ثُمَّ
إِذَا حَوَّلْنَاهُ﴾، أعطيناه، ﴿نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ
عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، أي على علم من الله أني له أهل. وقال
مقاتل: على خير علمه الله عندي، وذكر الكناية
لأن المراد من النعمة الإنعام، ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾،
يعني تلك النعمة فتنة استدراج من الله وامتحان
وبلية. وقيل: بل الكلمة التي قالها فتنة. ﴿وَلَكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أنه استدراج وامتحان.

[٥٠] ﴿فَدَعَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، قال مقاتل:
يعني قارون فإنه قال: (إنما أُوتيته على علم
عندي)، ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، فما أغنى
عنهم الكفر من العذاب شيئاً.

[٥١] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾، أي جزاؤها
يعني العذاب، ثم [أوعد] كفار مكة فقال: ﴿وَالَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ
بِمُعْجِزِينَ﴾، بفاتئين لأن مرجعهم إلى الله عز وجل.

[٥٢] ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾،
أي يوسع الرزق لمن يشاء، ﴿وَيَقْدِرُ﴾، أي يقتر على
من يشاء، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٣] قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا
عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أراد بالإسراف
ارتكاب الكبائر. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

[٥٤] قوله عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾،
أقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة، ﴿وَأَسْلِمُوا لَهْ﴾،
وأخلصوا له التوحيد، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
ثُمَّ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

[٥٥] ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّنْ
رَّبِّكُمْ﴾، يعني القرآن، والقرآن كله حسن،

سُورَةُ الزَّمَرِ

٤٦٤

سُورَةُ الزَّمَرِ

وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ عَانَاهُ إِذْ خَوَّلَتْهُ
نِعْمَةٌ مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أَوتَيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى
عَنَّهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٦١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٢﴾
قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن
رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ
﴿٦٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَبُونَ ﴿٦٤﴾ وَأَسْعَوْا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَعَثَةً وَأَنَّهُ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي
عَلَىٰ مَا قَرَّرْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٦٦﴾

الْبَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٧﴾، عن الإيمان.

[٦١] ﴿وَنَجِّىَ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (بمفازاتهم) بالالف على الجمع، أي بالطرق التي تؤديهم إلى الفوز والنجاة، وقرأ الآخرون (بمفازتهم) على الواحد لأن المفازة بمعنى الفوز، أي ينجيهم بفوزهم من النار بأعمالهم الحسنة. قال المبرد: المفازة مفعلة من الفوز، والجمع حسن كالسعادة والسعادات. ﴿لَا يَسْأَلُهُمُ الشُّوْءُ﴾، لا يصيبهم المكروه، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٦٢] ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، أي الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها.

[٦٣] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي مفاتيح خزائن السموات والأرض، واحدها مقلاد، مثل

ومعنى الآية ما قاله الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معصيته فإن في القرآن ذكر القبيح لتجنبه وذكر الأدون لثلا يرغب فيه، وذكر الأحسن لتثوره. قال السدي: الأحسن ما أمر الله به في الكتاب، ﴿وَمِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعَثَةً وَأَنَّهُ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

[٥٦] ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾، يعني لثلا تقول نفس، قال المبرد: أي بادروا واحذروا أن تقول نفس. وقال الزجاج: خوف أن تصيروا إلى حال تقولون هذا القول، ﴿بِحَسْرَتِي﴾، يا ندامتا، والتحسر الاغتمام على ما فات، وأراد يا حسرتي على الإضافة، لكن العرب تحول ياء الكناية ألفا في الاستغاثة، فتقول: يا ويلتا ويا ندامتا، وربما ألحقوا بها الياء بعد الألف ليدل على الإضافة، وكذلك قرأ أبو جعفر يا حسرتاي، وقيل: معنى قوله يا حسرتا يا أيتها الحسرة هذا وقتك، ﴿عَلَىٰ مَا قَرَّرْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾، قال الحسن: قصرت في طاعة الله. وقال مجاهد: في أمر الله. وقال سعيد ابن جبير: في حق الله. وقيل: ضيعت في ذات الله. وقيل: معناه قصرت في الجانب الذي يردني إلى رضا الله. والعرب تسمي الجنب جانباً، ﴿وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾، المستهزئين بدين الله وكتابه ورسوله والمؤمنين، قال قتادة: لم يكفه أن ضييع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعته.

[٥٨، ٥٩] ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أو تقول حين ترى العذاب، ﴿عِبَانًا، ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾، رجعة إلى الدنيا، ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، الموحدين.

[٥٩] يقال لهذا القائل: ﴿عَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ عَائِتِي﴾، يعني القرآن، ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾، وقلت إنها ليست من الله، ﴿وَأَسْتَكْبَرْتَ﴾، تكبرت عن الإيمان بها، ﴿وَكُنْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٠] ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾، فزعمو أن له ولداً وشريكاً، ﴿وَجُوهُهُمْ مُّسْوَدَّةٌ

سُورَةُ الزَّمَرِ

٤٦٥

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

أَوْتَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾
 أَوْتَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ
 مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَكَأً يَاتِيكَ فَكَذَّبْتَ بِهَا
 وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ
 تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي
 جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيَسْأَلُ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا
 بِمَقَارِنِهِمْ لَا يَمْسُهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يُحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ
 خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ
 هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا
 الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ
 أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ، أَيِ الَّذِي عَمِلْتَهُ قَبْلَ الشُّرْكَ
 وَقِيلَ: هَذَا أَدَبٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَنَبِيٍّ وَتَهْدِيدٌ
 لِّغَيْرِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ عَصَمَهُ مِنَ الشُّرْكَ. ﴿وَلَنَكُونَنَّ
 مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. ﴿٦٥﴾
 ﴿بَلَىٰ لِلَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾،
 لِإِنْعَامِهِ عَلَيْكَ. ﴿٦٦﴾

وحده، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾، أي في الصور،
 ﴿أُخْرَى﴾، أي مرة أخرى، ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ
 يَنْظُرُونَ﴾، من قبورهم ينتظرون أمر الله فيهم.
 ﴿٦٩﴾ قوله عز وجل: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾،
 أضاءت، ﴿بِنُورٍ رَّحِيمًا﴾، بنور خالقها، وذلك حين
 يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارون
 في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم
 الصحو. وقال الحسن والسدي: بعدل ربها، وأراد
 بالأرض عرصات القيامة، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾، أي
 كتاب الأعمال، ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ﴾، قال
 ابن عباس: يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ
 الرسالة، وهم أمة محمد ﷺ. وقال عطاء: يعني
 الحفظة يدل عليه قوله تعالى: (وجاءت كل نفس

مفتاح، مفاتيح. وقال قتادة ومقاتل: مفاتيح
 السماوات والأرض بالرزق والرحمة. وقال
 الكلبي: خزائن المطر وخزائن النبات. ﴿وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿٦٤﴾ قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ؟﴾ قال مقاتل: وذلك أن كفار
 قريش دعوه إلى دين آبائهم. قرأ أهل الشام
 (تأمروني) بنونين خفيفتين على الأصل، وقرأ أهل
 المدينة بنون واحدة خفيفة على الحذف، وقرأ
 الآخرون بنون واحدة مشددة على الإدغام.

﴿٦٥﴾ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ
 أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾، أي الذي عملته قبل الشرك
 وهذا خطاب مع رسول الله ﷺ، والمراد منه غيره.
 وقيل: هذا أدب من الله عز وجل لنبيه وتهديد
 لغيره، لأن الله تعالى عصمه من الشرك. ﴿وَلَنَكُونَنَّ
 مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿٦٦﴾ ﴿بَلَىٰ لِلَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾،
 لإِنْعَامِهِ عَلَيْكَ.

﴿٦٧﴾ قوله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ
 قَدْرِهِ﴾، ما عظموه حق عظمتهم حين أشركوا به، ثم
 أخبر عن عظمتهم فقال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ
 وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، قال رسول الله ﷺ: «يطوي
 الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى،
 ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون
 ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول:
 أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون»، هذا
 حديث صحيح أخرجه مسلم^(١).

﴿٦٨﴾ قوله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ
 فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي ماتوا من الفزع،
 وهي النفخة الأولى، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، اختلفوا
 في الذين استثناهم عز وجل، وقد ذكرناهم في
 سورة النمل، قال الحسن: إلا من شاء الله يعني الله

(١) في صفات المنافقين برقم (٢٧٨٦) ٤/٢١٤٧.

سُورَةُ

٤٦٦

الزُّمَرِ

معها سائق وشهيد)، ﴿وَفُضِّيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾، أي بالعدل، ﴿وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ﴾، أي لا يزداد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم.

[٧٠] ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾، أي ثواب ما عملت، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾، قال عطاء: يريد أني عالم بأفعالهم لا أحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد.

[٧١] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ سَوْقًا عَنِيفًا، ﴿زُمَرًا﴾، أفواجًا بعضها على إثر بعض، كل أمة على حدة. قال أبو عبيدة والأخفش: زمرًا أي جماعات في تفرقة، واحداها زمرة. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك، قرأ أهل الكوفة (فتحت) بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾، توبيخًا وتقريعًا لهم، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، من أنفسكم، ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُم وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ وَجِبَتْ﴾، ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، وهو قوله: (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين).

[٧٢، ٧٣] ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ وسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ يريد أن خزنة الجنة يسلمون عليهم ويقولون طبتم. قال ابن عباس: طاب لكم المقام. قال قتادة: هم إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى إذا هذبوا وطيبوا أدخلوا الجنة.

[٧٤] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾، أي أرض الجنة. وهو قوله عز وجل: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون). ﴿نَتَّبِعُ﴾، نزل، ﴿مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾، قال الله تعالى

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿١٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُم وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٢٤﴾

﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾، ثواب المطيعين.

[٧٥] ﴿وَرَى الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾، أي محدقين محيطين بالعرش، المحيطين بحوافه أي بجوانبه، ﴿يَسْبُحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، قيل: هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لأن التكليف متروك في ذلك اليوم، ﴿وَفُضِّيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾، أي قضي بين أهل الجنة والنار بالعدل، ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يقول أهل الجنة: شكرًا حين تم وعد الله لهم.

(٤٠) سُورَةُ غَافِرٍ

[١] قوله عز وجل: ﴿حَمَّ﴾، قد سبق الكلام في حروف التهجي. قال السدي عن ابن عباس: حم اسم الله الأعظم. وروى عكرمة عنه قال: الر

سُورَةُ الْاٰخِرَةِ

٤٦٧

سُورَةُ الْاٰخِرَةِ

وَرَأَى الْمَلٰٓئِكَةَ حَافِئَاتٍ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُوْنَ بِحَمْدِ رَبِّهِنَّ وَقَضٰى بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ الْاٰخِرَةِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللّٰهِ الْعَزِیْزِ الْعَلِیْمِ ﴿٢﴾ غَافِرٍ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِیْدِ الْعِقَابِ ذِی الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَیْهِ الْمَصِیْرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَدِّلُ فِیْ ءَایَاتِ اللّٰهِ إِلَّا الَّذِیْنَ كَفَرُوا فَلَا یَعْرِضُكَ تَقْلُبُهُمْ فِی الْبَلَدِ ﴿٤﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

أَخِيذًا ﴿١﴾ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا، لِيُطْلُوا، ﴿٢﴾ بِهِ الْحَقَّ، الذي جاء به الرسل ومجادلتهم مثل قولهم: (إن أنتم إلا بشر مثلنا)، (ولولا أنزل علينا الملائكة) ونحو ذلك. ﴿٣﴾ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ ﴿٤﴾.

﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ، يعني كما حقت كلمة العذاب على الأمم المكذبة حقت ﴿٦﴾ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، من قومك، ﴿٧﴾ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ، قال الأخفش: لأنهم أو بأنهم أصحاب النار.

﴿٧﴾ قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾، حملة العرش والطائفون به وهم الكروبيون، وهم سادة الملائكة. قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، يصدقون بأنه واحد لا شريك له ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا﴾، يعني يقولون ربنا، ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً

وَحَمَّ وَنُون، حروف الرحمن مقطعة. وقال سعيد ابن جبير وعطاء الخراساني: الحاء افتتاح أسمائه حكيم حميد حي حليم حنان، والميم افتتاح أسمائه ملك مجيد منان. وقال الضحاك والكسائي: معناه قضى ما هو كائن كأنه أشار إلى أن معناه حَمَّ بضم الحاء وتشديد الميم، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر حم بكسر الحاء، والباقون بفتحها.

﴿٣، ٢﴾ ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللّٰهِ الْعَزِیْزِ الْعَلِیْمِ﴾ يعني غَافِرِ الذَّنْبِ، سائر الذنب و﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾، يعني التوبة مصدر تاب يتوب توبًا. وقيل: التوب جمع توبة مثل دومة ودوم وحومة وحوم. قال ابن عباس: غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله، وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله. ﴿شَدِیْدُ الْعِقَابِ﴾، لمن لا يقول لا إله إلا الله، ﴿ذِی الطَّوْلِ﴾، ذي الغنى عمن لا يقول لا إله إلا الله. قال مجاهد: ذي الطول ذي السعة والغنى. وقال الحسن: ذو الفضل. قال قتادة: ذو النعم: ذو القدرة وأصل الطول الإنعام الذي تطول مدته على صاحبه. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَیْهِ الْمَصِیْرُ﴾.

﴿٤﴾ ﴿مَا يُجَدِّلُ فِیْ ءَایَاتِ اللّٰهِ﴾، في دفع آيات الله بالتكذيب والإنكار، ﴿إِلَّا الَّذِیْنَ كَفَرُوا﴾، قال أبو العالية: آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن: (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا)، وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) قوله تعالى: ﴿فَلَا یَعْرِضُكَ تَقْلُبُهُمْ فِی الْبَلَدِ﴾، تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم، فإن عاقبة أمرهم العذاب، نظيره قوله عَزَّ وَجَلَّ: (لَا یَغْنَىٰ لَكَ الْغِنَىٰ وَالْغِنَىٰ وَالْغِنَىٰ) (لَا یَغْنَىٰ لَكَ الْغِنَىٰ وَالْغِنَىٰ وَالْغِنَىٰ) (لَا یَغْنَىٰ لَكَ الْغِنَىٰ وَالْغِنَىٰ وَالْغِنَىٰ).

﴿٥﴾ ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، وهم الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من [بعد] قوم نوح، ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾، قال ابن عباس: ليقتلوه ويهلكوه. وقيل: ليأسروه. والعرب تسمي الأسير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٦٨

الْأَنْعَامِ

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَفَهُمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُسَادُّونَ لِمَقْتِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتُنَزِّلُنَا وَأُحْيِيْنَا أَتُنَزِّلُنَا وَتُبْرَأُنَا بَدُنُونا رَبَّنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَدْرُونا لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

الآخرة. ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾، أي من خروج من النار إلى الدنيا فنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك، نظيره: (هل إلى مردٍّ من سبيل).

[١٢] قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾، وفيه متروك استغني عنه للدلالة الظاهر عليه، مجازة: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك، وهذا العذاب والخلود في النار بأنكم إذا دعي الله وحده كفرتم أي إذا قيل لا إله إلا الله أنكروا، وقلم: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً)، ﴿وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، غيره، ﴿تُؤْمِنُوا﴾، تصدقوا ذلك الشرك، ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾. الذي لا أعلى منه ولا أكبر.

وَعَلَمًا﴾، قيل: نصب على التفسير، وقيل: على النقل، أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، ﴿فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾، دينك. ﴿وَفَهُمُ عَذَابُ الْجَحِيمِ﴾، قال مطرف: أنصح عباد الله للمؤمنين هم الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين.

[٨] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ﴾، آمن، ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، قال سعيد بن جبیر: يدخل المؤمن الجنة فيقول: أين أبي أين أمي أين ولدي أين زوجتي؟ فيقال: إنهم لم يعملوا مثل عملك، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم^(١).

[٩] ﴿وَفَهُمُ السَّيِّئَاتِ﴾، العقوبات، ﴿وَمَنْ تَقَى السَّيِّئَاتِ﴾، أي ومن تقه السيئات يعني العقوبات، وقيل: جزاء السيئات، ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُسَادُّونَ﴾، يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم، وعابوا العذاب، فيقال لهم: ﴿لِمَقْتِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾، يعني لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم عند حلول العذاب بكم.

[١١] ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتُنَزِّلُنَا وَأُحْيِيْنَا أَتُنَزِّلُنَا وَتُبْرَأُنَا بَدُنُونا رَبَّنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقتادة والضحاك: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما موتتان وحياتان، وهذا كقوله تعالى: (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميّتكم ثم يحييكم)، وقال السدي: أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم للسؤال، ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا في

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٦٩

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
 اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ
 لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ
 يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾
 وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ
 شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ
 كَانُواهُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُ فِي الْأَرْضِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ
 بِدُونِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ
 قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا
 وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمْعَنَ وَقَفَرُوا
 فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ
 عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا
 نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾

أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى
 الحناجر، فهي لا تعود إلى أماكنها وهي لا تخرج
 من أفواههم فيموتوا ويستريحوا، ﴿كَظِيمٍ﴾،
 مكرويين ممتلئين خوفاً وحزناً، والكظم تردد الغيظ
 والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به. ﴿مَا
 لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ﴾، قريب ينفعهم، ﴿وَلَا شَفِيعَ
 يُطَاعُ﴾ فيشفع فيهم.

﴿١٩﴾ ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ أي خيانتها وهي
 مسارقة النظر إلى ما لا يحل. قال مجاهد: نظر
 الأعين إلى ما نهى الله عنه. ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.
 ﴿٢٠﴾ ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ
 دُونِهِ﴾، يعني الأوثان، ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾، لأنها
 لا تعلم شيئاً ولا تقدر على شيء ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ
 السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.
 ﴿٢١﴾ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ

﴿١٣﴾ ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ، وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ
 السَّمَاءِ رِزْقًا﴾، يعني المطر الذي هو سبب
 الأرزاق، ﴿وَمَا يَنْدَكُرُ﴾، وما يتعظ بهذه الآيات
 ﴿إِلَّا مَنْ يُلِيبُ﴾، يرجع إلى الله تعالى في جميع
 أموره.

﴿١٤﴾ ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، الطاعة
 والعبادة. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿١٥﴾ ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾، رافع درجات الأنبياء
 والأولياء في الجنة ﴿ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ﴾، ينزل
 الوحي، سماء روحاً لأنه تحيا به القلوب كما تحيا
 الأبدان بالأرواح، ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾، قال ابن عباس: من
 قضائه. وقيل: من قوله. وقال مقاتل: بأمره. ﴿عَلَى
 مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ﴾، أي لينذر النبي بالوحي،
 ﴿يَوْمَ أَنْذَقَ﴾، وقرأ يعقوب بالتاء أي لتندر أنت يا
 محمد يوم التلاق، يوم يلتقي أهل السماء وأهل
 الأرض. وقال قتادة: ومقاتل: يلتقي فيه الخلق
 والخالق. قال ابن زيد: يتلاقى العباد. وقال ميمون
 ابن مهران: يلتقي الظالم والمظلوم والخصوم.
 وقيل: يلتقي العابدون والمعبودون. وقيل: يلتقي فيه
 المرء مع عمله.

﴿١٦﴾ ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزَوْنَ﴾، خارجون من قبورهم
 ظاهرون لا يستترهم شيء، ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾،
 من أعمالهم وأحوالهم، ﴿نَتَّى﴾، ويقول الله تعالى
 في ذلك اليوم بعد فناء الخلق، ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ
 الْيَوْمَ﴾، فلا أحد يجيبه فيجيب بنفسه فيقول، ﴿لِلَّهِ
 الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾، الذي قهر الخلق بالموت.

﴿١٧﴾ ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾،
 يُجْزَى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ﴿لَا
 ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾، يعني يوم القيامة
 سميت بذلك لأنها قريبة إذ كل ما هو آت
 قريب، نظيره قوله عز وجل: (أزفت الآزفة)، أي
 قربت القيامة. ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾، وذلك

عِقْبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَأَنَارًا فِي الْأَرْضِ، فلم ينفعهم ذلك. ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾، يدفع عنهم
العذاب.

[٢٢-٢٥] ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك العذاب الذي نزل
بهم، ﴿يَأْتِيهِمْ كَأَن تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُمْ قَوْمٌ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٥ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٥ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَلُمْنَا
وَقَرُّونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ٥ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ
مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا﴾، يعني فرعون وقومه، ﴿أَقْتُلُوا أَنسَاءَ
الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، قال قتادة: هذا غير القتل
الأول لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان،
فلما بعث موسى عليه السلام أعاد القتل عليهم،
فمعهنا أعيدها عليهم القتل، ﴿وَأَسْتَحْيُوا
نِسَاءَهُمْ﴾، ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى
ومظاهرة، ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ﴾، وما مكر
فرعون وقومه واحتياهم، ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، أي
يذهب كيدهم باطلاً، ويحقق بهم ما يريد الله عز
وجل.

[٢٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾، لملئه، ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ
مُوسَى﴾، وإنما قال هذا لأنه كان في خاصة قوم
فرعون من يمنعه من قتله خوفاً من الهلاك، ﴿وَلْيَدْعُ
رَبَّهُ﴾، أي وليدع موسى ربه الذي يزعم أنه أرسله
إلينا فيمنعه منا، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ﴾، أن يغير،
﴿وَدِينَكُمْ﴾، الذي أنتم عليه، ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي
الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ أراد بالفساد تبديل الدين وعبادة
غيره.

[٢٧، ٢٨] ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾، لما توعد فرعون
بالقتل، ﴿إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا
يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ٥ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾، واختلفوا في هذا المؤمن
قال مقاتل والسدي: كان قبطياً ابن عم فرعون وهو
الذي حكى الله عنه فقال: (وجاء رجل من أقصى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

٤٧٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ
اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي
يَعِدُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمُ
لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْ
بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا
أَهْدِيكُمْ إِلَّا لِسَبِيلِ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقَوْمُ إِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ بِرَبِّ ظَالِمٍ الْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مَدْبِرِينَ
مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

المدينة يسعى)، وقال قوم: كان إسرائيلياً، ومجاز
الآية: وقال رجل مؤمن يكتُم إيمانه من آل فرعون،
وكان اسمه حزيبيل عند ابن عباس، وأكثر العلماء.
وقال ابن إسحاق: كان اسمه جبريل. وقيل: كان
اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبيباً.
﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾، لأن يقول ربي
الله، ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي بما يدل
على صدقه، ﴿وَإِن يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾، لا
يضركم ذلك، ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا﴾، فكذبتموه وهو
صادق، ﴿يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُّكُمْ﴾، قال أبو
عبيد: المراد بالبعض الكل، أي إن قتلتموه وهو
صادق أصابكم ما وعدكم من العذاب. قال
الليث: (بعض) ههنا صلة، يريد: يصيبكم الذي
يعدكم. وقال أهل المعاني: هذا على الظاهر في
الحجاج كأنه قال أقل ما في صدقه أن يصيبكم

فذلك قوله تعالى: (والملك على أرجائها)، وقوله: (يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا).

[٣٢-٣٤] ﴿يَوْمَ تُولُوفُنَّ مُدْبِرِينَ﴾، منصرفين عن

موقف الحساب إلى النار. وقال مجاهد: فارين

غير معجزين، ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾،

يعصمكم من عذابه، ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ، يعني يوسف بن

يعقوب من قبل، أي من قبل موسى، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾،

يعني قوله أرباب متفرقون خير أم الله الواحد

القهار، ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾، قال

ابن عباس: من عبادة الله وحده لا شريك له،

﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾، مات، ﴿فَلْتَمَزْ لَنْ يَبْعَكَ اللَّهُ

مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾، أي أقمت على كفركم وظننتم أن

لا يجدد عليكم الحجة، ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ

هُوَ مُسْرِفٌ﴾، مشرك ﴿مُتْرَابٌ﴾، شك.

[٣٥] ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾، قال

الزجاج: هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني الذين

يجادلون في آيات الله أي في إبطالها بالتكذيب،

﴿يَغْيِرُ سُلْطَانِي﴾، حجة، ﴿أَنَّهُمْ﴾، من الله، ﴿كَبُرَ

مَقْتًا﴾، أي كبر ذلك الجدل مقتًا، ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ

الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ

جَبَّارٍ﴾، قرأ أبو عمرو وابن عامر (قلب) بالتثنية،

قرأ الآخرون بالإضافة، دليله قراءة عبدالله بن

مسعود (على قلب كل متكبر جبار).

[٣٦، ٣٧] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾، لوزيره، ﴿يَهْمَمُنْ

أَبْنِي لِي صَرِمًا﴾، والصرح البناء الظاهر الذي لا

يخفى على الناظر وإن بعد وأصله من التصريح وهو

الإظهار، ﴿أَلَعَلِّي أَتْلُعُ آلَاسْتَبَبَ﴾ هـ أسبَبَ

بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم، فذكر البعض ليجب الكل، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾، إلى دينه، ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾، مشرك، ﴿كَذَابٌ﴾، على الله.

[٢٩] ﴿يَقَوْمُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي

الْأَرْضِ﴾، غالبيين في أرض مصر، ﴿فَمَنْ يَصُرُّنَا مِنْ

بِأْسِ اللَّهِ﴾، من يمنعا من عذاب الله، ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾،

والمعنى لكم الملك اليوم فلا تعرضوا لعذاب الله

بالتكذيب وقتل النبي، فإنه لا مانع من عذاب الله إن

حل بكم، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ﴾، من الرأي

والنصيحة، ﴿إِلَّا مَا أَرَى﴾، لنفسه. وقال الضحاك:

ما أعلمكم إلا ما أعلم، ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ

الرَّشَادِ﴾، ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ

يَوْمِ الْأَحْزَابِ هـ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ

بَعْدِهِمْ﴾، أي مثل عادتهم في الإقامة على التكذيب

حتى أتاهم العذاب، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾، أي

لا يهلكهم قبل إيجاب الحجة عليهم.

[٣١] ﴿وَيَقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾، يوم

القيامة يُدعى كل أناس بإمامهم وينادي بعضهم

بعضًا، فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار،

وأصحاب النار أصحاب الجنة، وينادي أصحاب

الأعراف، ويُنادى بالسعادة والشقاوة، ألا إن فلان

ابن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا،

وفلان ابن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها

أبدًا، وينادي حين يذبح الموت: يا أهل الجنة

خلدوا فلا موت، ويا أهل النار خلدوا فلا موت،

وقرأ ابن عباس والضحاك: يوم التناد بتشديد الدال

أي يوم التنافر، وذلك أنهم هربوا فندوا في الأرض

كما تند الإبل إذا شردت عن أربابها. وقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٧١

سُورَةُ غَافِرٍ

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَاذْكُرُوا فِي شَيْءٍ
مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ
مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُرْتَابٌ ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
أَتَتْهُمْ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ
يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَهْمُنُنْ أَبْنَىٰ لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٤٠﴾ أَسْبَابَ
السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعَ إِلَىٰ آلِ اللَّهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا
وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٤١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا يَقَوْمِ اتَّبِعُوا أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٤٢﴾
يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ
دَارُ الْقَرَارِ ﴿٤٣﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَوْنَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٤﴾
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَوْنَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٥﴾

الأعرج، على جواب لعل بالفاء، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾،
يعني موسى، ﴿كَذِبًا﴾، فيما يقولون إن له ربًّا
غيري، ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ
السَّبِيلِ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب (وصدَّ) بضم
الصاد نسقًا على قوله: (زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ) قال ابن
عباس: صده الله عن سبيل الهدى. وقرأ الآخرون
بالفتح أي صدَّ فرعونُ الناس عن السبيل. ﴿وَمَا
كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾، يعني وما كيده في
إبطال آيات الله وآيات موسى إلا في خسارة وهلاك.
﴿٣٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَقَوْمِ اتَّبِعُوا أَهْدِيكُمْ
سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، طريق الهدى.

﴿٣٩﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾،
متعة تتفنون بها مدة ثم تنقطع، ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ
دَارُ الْقَرَارِ﴾ التي لا تزول.

﴿٤٠﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ
عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَوْنَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾،
قال مقاتل: لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من
الخير.

﴿٤١﴾ وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ﴾، يعني
مالك كما تقول العرب: مالي أراك حزينا؟ أي
مالك؟ يقول: أخبروني عنكم كيف هذه الحال
أدعوكم إلى النجاة من النار بالإيمان بالله،
﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾، إلى الشرك الذي يوجب
النار، ثم فسر فقال:

﴿٤٢﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ
لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَرِيزِ الْفَقْرِ﴾، العزيز
في انتقامه ممن كفر، الغفار للذنوب أهل التوحيد.

﴿٤٣﴾ لَا جَرَمَ﴾، حقا، ﴿إِنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾،
أي إلى الوثن، ﴿لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي
الْآخِرَةِ﴾، قال السدي: لا يستجيب لأحد في
الدنيا ولا في الآخرة، يعني ليست له استجابة
[دعوة]. وقيل: ليست له دعوة إلى عبادته في الدنيا

لأن الأوثان لا تدعي الربوبية، ولا تدعو إلى
عبادتها، وفي الآخرة تتبرأ من عابديها. ﴿وَأَنْ مَرَدَّنَا
إِلَى اللَّهِ﴾، مرجعنا إلى الله فيجازي كلا بما
يستحق، ﴿وَأَنْتَ الْمُسْرِفِينَ﴾، المشركين، ﴿هُمْ
أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

﴿٤٤﴾ فَسَدِّكُرُونَا مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾، إذا عابتم
العذاب حين لا ينفعكم الذكر، ﴿وَأَفْرِضْ أَمْرِي إِلَى
اللَّهِ﴾، وذلك أنهم توعدوه لمخالفته دينهم، ﴿إِنَّ
اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، يعلم المحق من المبطل ثم
خرج المؤمنين من بينهم، فطلبوه فلم يقدروا عليه.

﴿٤٥﴾ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ
مَا مَكْرُوهًا﴾، ما أرادوا به من الشر، قال قتادة:
نجا مع موسى وكان قبطيا، ﴿وَحَاقَ﴾، نزل،
﴿يَا لِفِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾، الغرق في الدنيا والنار
في الآخرة.

الْبَلَدِ

٤٧٢

وَالْأَعْدَاءِ

﴿وَيَقَوْمٌ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ (٤٦) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرُ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٧﴾ لَأَجْرَهُ إِنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآيَاتُ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٨﴾ فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٩﴾ فَوَقَدَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٥٠﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٥١﴾ وَقِيلَ مِنَ الْإِدْخَالِ، أَيِ يَقَالُ لِلْمَلَائِكَةِ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَرِيدُ أَلْوَانَ الْعَذَابِ غَيْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْذِبُونَ بِهِ مِنْذُ أَغْرَقُوا. ﴿٥٢﴾ وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ، أَيِ اذْكُرْ يَا مُحَمَّدٌ لِقَوْمِكَ إِذْ يَخْتَصِمُونَ يَعْنِي أَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ ﴿٥٣﴾ فَيَقُولُ الضَّعِيفَتَوُ اللَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا، فِي الدُّنْيَا، ﴿٥٤﴾ فَهَلْ أَنتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ، وَالتَّبَعُ يَكُونُ وَاحِدًا وَجَمْعًا فِي قَوْلِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَاحِدَهُ تَابِعٌ، وَقَالَ أَهْلُ الْكُوفَةِ: هُوَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ وَجَمْعُهُ أَتْبَاعٌ. ﴿٥٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۖ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ، حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ، ﴿٥٦﴾ لِحِزْنِهِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ. ﴿٥٧﴾ قَالُوا، يَعْنِي حِزْنَةَ جَهَنَّمَ لَهُمْ، ﴿٥٨﴾ أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا، أَنْتُمْ إِذَا رَبَّكُمْ، أَيِ إِنَّا لَا نَدْعُو لَكُمْ لَأَنْهُمْ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، أَيِ يَبْطُلُ وَيُضِلُّ وَلَا يَنْفَعُهُمْ. ﴿٥٩﴾ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

بالغلبة والقهر. وقال الضحاك: بالحجة وفي الآخرة بالعذاب. وقيل: بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة، وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين فهم منصورون بالحجة على من خالفهم، وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوأهم وإهلاك أعدائهم ونصرهم بعد أن قتلوا بالانتقام من أعدائهم، كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل، قتل به سبعون ألفًا، فهم منصورون بأحد هذه الوجوه، ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُومُ الْحَفَظَةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ لِلرُّسُلِ بِالتَّبْلِيغِ وَعَلَى الْكُفَّارِ بِالتَّكْذِيبِ.

﴿٥٢﴾ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ﴾، إِنْ اعْتَرَدُوا عَنْ كُفْرِهِمْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَابُوا لَمْ يَنْفَعَهُمْ، ﴿وَلَهُمُ الْعَذَابُ﴾، الْبَعْدُ مِنَ الرَّحْمَةِ، ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾، يَعْنِي جَهَنَّمَ.

[٤٦] وذلك قوله: ﴿النَّارُ﴾، هي رفع على البدل من السوء، ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، صباحًا ومساءً، قال ابن مسعود: أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى النار ويقال: يا آل فرعون هذه مأواكم حتى تقوم الساعة. وقال قتادة ومقاتل والسدي والكلبي: تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيًا ما دامت الدنيا. ثم أخبر الله عن مستقرهم يوم القيامة فقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾، أي يقال لهم ادخلوا يا آل فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ، وقيل من الإدخال، أي يقال للملائكة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب. قال ابن عباس: يريد ألوان العذاب غير الذي كانوا يَعْذِبُونَ بِهِ مِنْذُ أَغْرَقُوا.

[٤٧] ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ﴾، أي اذكر يا محمد لقومك إذ يختصمون يعني أهل النار في النار ﴿فَيَقُولُ الضَّعِيفَتَوُ اللَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾، في الدنيا، ﴿فَهَلْ أَنتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾، والتبع يكون واحدًا وجمعًا في قول أهل البصرة، واحده تابع، وقال أهل الكوفة: هو جمع لا واحد له وجمعه أتباع.

[٤٨، ٤٩] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۖ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾، حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ، ﴿لِحِزْنِهِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾.

[٥٠] ﴿قَالُوا﴾، يعني حِزْنَةَ جَهَنَّمَ لَهُمْ، ﴿أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا﴾، أَنْتُمْ إِذَا رَبَّكُمْ، أَيِ إِنَّا لَا نَدْعُو لَكُمْ لَأَنْهُمْ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، أَيِ يَبْطُلُ وَيُضِلُّ وَلَا يَنْفَعُهُمْ.

[٥١] قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

[٥٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾، قال مقاتل: الهدى من الضلالة، يعني التوراة، ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾، التوراة.

[٥٤] ﴿هُدًى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾.

[٥٥] ﴿فَاصْبِرْ﴾، يا محمد على أذاهم، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾، في إظهار [دينك] وإهلاك أعدائك ﴿حَقٌّ﴾، قال الكلبي: نسخت آية القتال آية الصبر، ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ﴾، هذا تعبد من الله ليزيده به درجة وليصير سنة لمن بعده، ﴿وَسَيَحْجِمُكَ رَيْكَ﴾، صلّ شاكراً لربك، ﴿يَالْعِشْيَ وَالْإِبْكَرَ﴾، قال الحسن: يعني صلاة العصر وصلاة الفجر. وقال ابن عباس: الصلوات الخمس.

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ﴾، ما في قلوبهم والصدر موضع القلب، فكنى به عن القلب لقرب الجوار، ﴿إِلَّا كِبْرُ﴾، قال ابن عباس: ما يحملهم على تكذيبك إلا ما في صدورهم من الكبر والعظمة، ﴿مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾، قال مجاهد: ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر، لأن الله عز وجل مذلهم. قال ابن قتيبة: إن في صدورهم إلا تكبر على محمد ﷺ، وطمع في أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك. قال أهل التفسير: نزلت في اليهود وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: إن صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان، فيبلغ سلطانه البر والبحر، ويرد الملك إلينا، قال الله تعالى: ﴿فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾، من فتنة الدجال، ﴿إِنَّهُمْ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

[٥٧] ﴿لَخَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، مع عظمهما، ﴿أَكْبَرُ﴾، أعظم في الصدور، ﴿مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾، أي من إعادتهم بعد الموت، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾، يعني الكفار، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها. وقال قوم: أكبر أي أعظم من خلق الدجال، (ولكن أكثر

٤٧٣ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾، قال مقاتل: الهدى من الضلالة، يعني التوراة، ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾، التوراة.

[٥٤] ﴿هُدًى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾.

[٥٥] ﴿فَاصْبِرْ﴾، يا محمد على أذاهم، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾، في إظهار [دينك] وإهلاك أعدائك ﴿حَقٌّ﴾، قال الكلبي: نسخت آية القتال آية الصبر، ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ﴾، هذا تعبد من الله ليزيده به درجة وليصير سنة لمن بعده، ﴿وَسَيَحْجِمُكَ رَيْكَ﴾، صلّ شاكراً لربك، ﴿يَالْعِشْيَ وَالْإِبْكَرَ﴾، قال الحسن: يعني صلاة العصر وصلاة الفجر. وقال ابن عباس: الصلوات الخمس.

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ﴾، ما في قلوبهم والصدر موضع القلب، فكنى به عن القلب لقرب الجوار، ﴿إِلَّا كِبْرُ﴾، قال ابن عباس: ما يحملهم على تكذيبك إلا ما في صدورهم من الكبر والعظمة، ﴿مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾، قال مجاهد: ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر، لأن الله عز وجل مذلهم. قال ابن قتيبة: إن في صدورهم إلا تكبر على محمد ﷺ، وطمع في أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك. قال أهل التفسير: نزلت في اليهود وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: إن صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان، فيبلغ سلطانه البر والبحر، ويرد الملك إلينا، قال الله تعالى: ﴿فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾، من فتنة الدجال، ﴿إِنَّهُمْ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

[٥٧] ﴿لَخَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، مع عظمهما، ﴿أَكْبَرُ﴾، أعظم في الصدور، ﴿مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾، أي من إعادتهم بعد الموت، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾، يعني الكفار، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها. وقال قوم: أكبر أي أعظم من خلق الدجال، (ولكن أكثر

الناس)، يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا نَتَذَكَّرُونَ﴾، قرأ أهل الكوفة (تذكرون) بالناء، وقرأ الآخرون بالياء لأن أول الآيات وآخرها خبر عن قوم.

[٥٩] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ﴾، أي القيامة لآتية لا ريب فيها. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، أي اعبدوني دون غيري أجيبكم وأتبعكم وأغفر لكم، فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الإثابة استجابة، عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «إن الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: (ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٧٤

الْباقِي

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّبَةٌ لَّآرَبٍ فِيهَا وَلَكِن مَّا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْيَلَّ لِلتَّسْكُنِ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسَ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٣﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٤﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

يُؤْفَكُ مِنْ قَبْلِ، أي من قبل أن يصير شيخاً. ﴿وَلْيَبْلُغُوا﴾، جميعاً، ﴿أَجَلًا مُّسَمًّى﴾، وقتاً معلوماً محدوداً لا تتجاوزونه، يريد أجل الحياة إلى الموت، ﴿وَعَنْكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، أي لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته.

[٦٩، ٦٨] ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ يُجْعِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ، يعني القرآن يقولون ليس من عند

عبادتي سيدخلون جهنم داخرين^(١) عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «من لم يدع الله غضب الله عليه»^(٢)، وقيل: الدعاء: هو الذكر والسؤال، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين ذليلين.

[٦٣-٦١] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْيَلَّ لِلتَّسْكُنِ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسَ لَا يَشْكُرُونَ﴾ دَيْكُمُ اللَّهُ وَشَكُمْ خَيْرًا مِنْهُ لَمْ يَكُنْ إِلَهُ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ كَذَلِكَ، يعني كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل، كذلك ربنا أفككم عن الحق بآيَاتِ اللَّهِ يُجْعِدُونَ.

[٦٥، ٦٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾، فراشاً، ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾، سقفاً كالقبة، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾، قال مقاتل: خلقكم فأحسن خلقكم. قال ابن عباس: خلق ابن آدم قائماً معتدلاً يأكل ويتناول بيده، وغير ابن آدم يتناول بفيه. ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، قيل: هو من غير رزق الدواب ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قال الفراء: هو خير وفيه إضمار الأمر، مجازة: فادعوه واحمدوه. وروي عن مجاهد عن ابن عباس قال: من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله عز وجل: (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين).

[٦٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وذلك حين دعي إلى الكفر.

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ رَّبِّ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾، أي أطفالاً، ﴿ثُمَّ لِيَتَّبِعُوا أَشْدَّكُمْ ثُمَّ لِيَتَّخِذُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٤١/٢ والترمذي في التفسير ١٢١/٩ وقال (حديث حسن صحيح) والنسائي في التفسير ٢٥٣/٢ وابن ماجه في الدعاء برقم (٣٨٢٨) ٢/ ١٢٥٨ والحاكم ٤٩٠/١ وصححه ووافقه الذهبي والمصنف في شرح السنة ١٨٨/٥. (٢) أخرجه أحمد (٤٤٢/٢)، البخاري في الأدب المفرد (٦٥٨)، والترمذي (٣٣٧٣) وابن ماجه (٣٨٢٧)، والحاكم (٤٩١/١)، والمصنف في شرح السنة (رقم ١٣٨٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٧٥

سُورَةُ غَافِرٍ

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ رُأْسٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَبُوءُ مِنْ قَبْلِ وَلِّبَلُّغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧١﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا فَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٧٢﴾ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ أَنَّى يَصْرَفُونَ ﴿٧٣﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا بِهِ ۖ رُسُلُنَا فُسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧٥﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٦﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنِمْ مَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ۖ مِنْ قَدْ نَاهَاهُمْ فَلَا نَرَاهُمْ ۖ قِيلَ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا ۖ قِيلَ أَنْكُرُوا ۖ وَقِيلَ: مَعْنَاهُ بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا يَنْفَعُ وَيُضِرُّ ۖ وَقَالَ الْحَسَنِ بْنِ الْفَضْلِ: أَي لَمْ نَكُنْ نَصْنَعُ مِنْ قَبْلُ شَيْئًا أَي ضَاعَتْ عِبَادَتُنَا لَهَا، كَمَا يَقُولُ مِنْ ضَاعَ عَمَلُهُ: مَا كُنْتُ أَعْمَلُ شَيْئًا ۖ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَذَلِكَ﴾ أَي كَمَا أَضِلُّ هَؤُلَاءِ، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ ۖ

مِنْهَا ۖ، بَعْضُهَا، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَتَاعٌ﴾، فِي أَصَوافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَلْبَانِهَا ۖ ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾، تَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ مِنْ بِلْدٍ إِلَى بِلْدٍ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَاتِكُمْ، ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾، أَي عَلَى الْإِبِلِ فِي الْبَرِّ وَعَلَى السَّفَنِ فِي الْبَحْرِ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) ۖ

[٨١] ﴿وَرِيبِكُمْ ءَايَاتِهِ﴾، دَلَائِلُ قُدْرَتِهِ، ﴿فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ ۖ

[٨٢] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَانَسًا فِي الْأَرْضِ﴾، يَعْنِي مَصَانِعَهُمْ وَقُصُورَهُمْ، ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ﴾، لَمْ يَنْفَعَهُمْ، ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، وَقِيلَ: هُوَ بِمَعْنَى الْإِسْتِهَامِ، وَمَجَازُهُ: أَي شَيْءٌ أَغْنَى عَنْهُمْ كَسْبُهُمْ؟

اللَّهُ، ﴿أَنَّى يَصْرَفُونَ﴾، كَيْفَ يَصْرَفُونَ عَنْ دِينِ الْحَقِّ ۖ قِيلَ: هُمُ الْمُشْرِكُونَ ۖ وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ وَجُمَاعَةٍ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْقُدْرَةِ ۖ

[٧١، ٧٠] ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فُسُوفَ يَعْلَمُونَ ۖ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾، يَجْرُونَ ۖ

[٧٢] ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾، قَالَ مُقَاتِلٌ: تَوَقَّدَ بِهِمُ النَّارُ ۖ وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَصِيرُونَ وَقُودًا لِلنَّارِ ۖ

[٧٤، ٧٣] ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنِمْ مَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ۖ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟﴾ يَعْنِي الْأَصْنَامَ، ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾، فَقَدْ نَاهَاهُمْ فَلَا نَرَاهُمْ، ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾، قِيلَ: أَنْكُرُوا ۖ وَقِيلَ: مَعْنَاهُ بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا يَنْفَعُ وَيُضِرُّ ۖ وَقَالَ الْحَسَنِ بْنِ الْفَضْلِ: أَي لَمْ نَكُنْ نَصْنَعُ مِنْ قَبْلُ شَيْئًا أَي ضَاعَتْ عِبَادَتُنَا لَهَا، كَمَا يَقُولُ مِنْ ضَاعَ عَمَلُهُ: مَا كُنْتُ أَعْمَلُ شَيْئًا ۖ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَذَلِكَ﴾ أَي كَمَا أَضِلُّ هَؤُلَاءِ، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ ۖ

[٧٥] ﴿ذَلِكُمْ﴾ الْعَذَابُ الَّذِي نَزَلَ بِكُمْ، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ تَبْطُرُونَ وَتَأْشُرُونَ، ﴿فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقُّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تَفْرَحُونَ وَتَخْتَالُونَ ۖ

[٧٧، ٧٦] ﴿أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ۖ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ ۖ، بِنَصْرِكَ، ﴿حَقٌّ فَايْمًا تَرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾، مِنْ الْعَذَابِ فِي حَيَاتِكَ، ﴿أَوْ نَوَفِّتُكَ﴾، قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ ذَلِكَ بِهِمْ، ﴿فَالْيَنَّا يُرْجَعُونَ﴾ ۖ

[٧٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾، خَبَرَهُمْ فِي الْقُرْآنِ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، بِأَمْرِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾، قَضَاؤُهُ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ، ﴿فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَابِتُونَ﴾ ۖ

[٨٠، ٧٩] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٧٦

سُورَةُ الْاِنْفِصَالِ

وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ اَنْ يَّاتِيَ
بِشَايَةٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللَّهِ فَاِذَا جَاءَ اَمْرُ اللَّهِ فَضَىٰ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ
هٰذَا لَكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اَللّٰهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْاَنْعَمَ
لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
مَنْفَعٌ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
اَلْفَاكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَرَبِّكُمْ اَيُّتِيهِ فَاَيُّ اَيَّتِ
اَللّٰهُ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ اَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْاَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا اَكْثَرُ مِنْهُمْ وَاَشَدَّ
قُوَّةً وَّءَاثَارًا فِي الْاَرْضِ فَمَا اَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا يَمَاعًا عِنْدَهُمْ
مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَهْتَفُونَ بِسِتْرِهِمْ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوْا بَاسًا قَالُوا اَمَّا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ
مُشْرِكِيْنَ ﴿٨٤﴾ فَلَمَّ يَكُ يَنْفَعُهُمْ اِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا سَلَّتْ
اَللّٰهُ اَلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هٰذَا لَكَ الْكُفْرُونَ ﴿٨٥﴾

[٨٣، ٨٤] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
فَرَحُوا﴾، رضوا، ﴿يَمَّا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ﴾، قال
مجاهد هو قولهم نحن أعلم لن نبعث ولن نعذب،
سمي ذلك علماً على ما يدعونه وهو في الحقيقة
جهل. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَهْتَفُونَ﴾، فلما رأوا
بأساً قالوا آمناً بالله وحده وكفّرنا بما كنا به
مُشْرِكِينَ، يعني تبارنا مما كنا نعدل بالله.
[٨٥] ﴿فَلَمَّا يَكُ يَنْفَعُهُمْ اِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا﴾،
عذابنا، ﴿سَلَّتْ اَللّٰهُ﴾، قال نصبها بترغ الخافض،
أي كسنة الله. وقيل: على المصدر. وقيل: على
الإغراء أي احذروا سنة الله، ﴿اَلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي
عِبَادِهِ﴾، وتلك السنة أنهم إذا عاينوا عذاب الله
آمَنُوا، ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب.
﴿وَخَسِرَ هٰذَا لَكَ الْكُفْرُونَ﴾، بذهاب نعيم الدارين،
قال الزجاج: الكافر خاسر في كل وقت، ولكنهم
يتبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب.

(٤١) سُورَةُ فَصَّلَتْ

خلاف في الدين وحاجز في الملة فلا نوافقك على
ما تقول، ﴿فَاعْمَلْ﴾، أنت على دينك، ﴿إِنَّا
عَمِلُونَ﴾، على ديننا.

[٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، يعني كواحد منكم
ولولا الوحي ما دعوتكم، وهو قوله: ﴿يُوحِىْ إِلَىٰ
أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُهُ وَحْدٌ﴾، قال الحسن: علمه الله
التواضع، ﴿فَسَتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾، توجهوا إليه بالطاعة
ولا تميلوا عن سبيله، ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾، من ذنوبكم،
﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُصْرِكِينَ﴾.

[٧] ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، قال ابن
عباس: الذين يقولون لا إله إلا الله وهي زكاة
الأنفس، والمعنى: لا يطهرون أنفسهم من الشرك
بالتوحيد. وقال الحسن وقتادة: لا يقرون بالزكاة
ولا يرون إبتاءها واجباً وكان يقول: الزكاة قنطرة
الإسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك.

[٢، ١] ﴿حَتَّىٰ تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قال
الأخفش: تنزيل مبتدأ وخبره قوله عز وجل:

[٣] ﴿يَكُنْ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ بينت آياته ﴿قُرْءَانًا
عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، اللسان العربي ولو كان بغير
لسانهم ما علموه ونصب قرآنًا بوقوع البيان عليه أي
فصلناه قرآنًا.

[٤] ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، نعتان للقرآن أي بشيراً
لأولياء الله ونذيراً لأعدائه، ﴿فَاعْرِضْ أَكْثَرَهُمْ هُمُ
لَا يَسْمَعُونَ﴾، أي لا يصغون إليه تكبراً.

[٥] ﴿وَقَالُوا﴾، يعني مشركي مكة ﴿قُلُوبُنَا فِي
أَكِنَّةٍ﴾، في أغطية، ﴿مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾، فلا نفقه
ما تقول، ﴿وَفِيْءًا ذَانَنَا وَقَرَّ﴾، صمم فلا نسمع ما
تقول، والمعنى: إنا في ترك القبول عندك بمنزلة
من لا يفهم ولا يسمع، ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾،

وقال الضحاك ومقاتل: لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون. وقال مجاهد: لا يكون أعمالهم ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

[٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، قال ابن عباس: غير مقطوع. وقال مقاتل: غير منقوص، ومنه المنون لأنه ينقص منه الإنسان وقوته، وقيل: غير ممنون عليهم به. وقال مجاهد: غير محسوب. وقال السدي: نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمي، إذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم كأصح ما كانوا يعملون فيه

[٩] قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، يوم الأحد ويوم الاثنين، ﴿وَجَعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٠] ﴿وَجَعَلَ فِيهَا آي فِي الْأَرْضِ، رُؤسَىٰ جبالًا ثوابت، ﴿مِّن فَوْقَهَا﴾، من فوق الأرض، ﴿وَنَزَّلَ فِيهَا﴾ أي في الأرض بما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والثمار، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾، قال الحسن ومقاتل: قسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم. وقال عكرمة والضحاك:

قدّر في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد. قال الكلبي: قدر الخبز لأهل قطر والذرة لأهل قطر والسّمك لأهل قطر وكذلك أقواتها. ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾، يريد خلق ما في الأرض وقدر الأقوات في يومين يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع الأحد والاثنين أربعة أيام، رد الآخر على الأول في الذكر ﴿سَوَاءٌ لِّلسَّالِينَ﴾ قرأ أبو جعفر ﴿سَوَاءٌ﴾ رفع على الابتداء، أي هي سواء، وقرأ يعقوب بالجر على نعت قوله: (في أربعة أيام)، وقرأ الآخرون (سواء) نصب على المصدر استوت استواء، ومعناه: سواء للسائلين عن ذلك. قال قتادة والسدي: من سأل عنه فهكذا الأمر سواء لا زيادة ولا نقصان جواباً لمن سأل في كم خلقت الأرض والأقوات.

سُورَةُ فَصَّلَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝١ نَزِيلٌ مِّن رَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كَتَبْتُ فَصَّلَاتٍ ءَاتِيَتْهُ، ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ۝٣ نَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا أَأَتُونَا بِأَكْتَوٍ وَمَا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي ءَادَانَا وَقُرْءَانٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝٧ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَجَعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رُؤسَىٰ مِن فَوْقَهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِّلسَّالِينَ ۝١٠ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١١

[١١] ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾، أي عمد إلى خلق السماء، ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾، وكان ذلك الدخان بخار الماء، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾، أي اتينا ما أمركما أي افعلاه، كما يقال: اتت ما هذا الأحسن أي افعله. وقال طاوس عن ابن عباس: اتينا أعطيا، يعني أخرجنا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد. قال ابن عباس: قال الله عز وجل: أَمَا أَنْتَ يَا سَمَاءُ فَأُطْلِعِي شَمْسَكَ وَقَمَرَكَ وَنَجُومَكَ، وَأَنْتَ يَا أَرْضُ فَشَقِي أَنْهَارَكَ وَأَخْرَجِي ثِمَارَكَ وَنَبَاتَكَ، وقال لهما افعلما ما أمركما طوعاً وإلا ألجأتكما إلى ذلك حتى تفعلاه كرهاً فأجابتا بالطوع، ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، ولم يقل طائعتين لأنه ذهب به إلى السموات والأرض ومن فيهن، مجازة: أتينا بما فينا طائعين، فلما وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٧٨

سُورَةُ فَصَلَتٍ

فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مِنْ مَلَكٍ
كَهُمْ فَأَنَّا بِنَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كُفْرُونا ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِرَهُمْ
عَذَابَ الْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ آخَرٌ وَأَحْزَنُ وَهُمْ
لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى
الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ
أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمْ هَاشِدٌ
عَلَيْهِمْ سَمِعُوهُمْ وَأَبْصَرُوهُمْ وَخَلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾، أي أتمهن وفرغ من خلقهن، ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾، قال عطاء عن ابن عباس: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله. وقال قتادة والسدي: يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها. وقال مقاتل: وأوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي، وذلك يوم الخميس والجمعة. ﴿وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾، وكواكب، ﴿وَحِفْظًا﴾ لها ونصب حفظًا على المصدر، أي حفظناها بالكواكب حفظًا من الشياطين الذين يسترقون السمع، ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكر من صنعه، ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾، في ملكه، ﴿الْعَلِيمِ﴾، بخلقه.

[١٣] قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾، يعني هؤلاء المشركين عن الإيمان بعد هذا البيان، ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ﴾، خوفتكم، ﴿صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾، أي هلاكًا مثل هلاكهم، والصاعقة: المهلكة من كل شيء.

[١٤] ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾، يعني عادًا أو ثمودًا، ﴿الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، أراد بقوله: (من بين أيديهم) الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم من قبلهم، (ومن خلفهم) يعني من بعد الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم الذين أرسلوا إليهم هود وصالح، فالكنية في قوله من بين أيديهم راجعة إلى عاد وثمود وفي قوله (ومن خلفهم) راجعة إلى الرسل، ﴿إِلَّا﴾، بأن لا، ﴿تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ﴾، بدل هؤلاء الرسل، ﴿مَلَكًا﴾، أي لو شاء ربنا دعوة الخلق لأنزل ملائكة، ﴿فَأَنَّا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كُفْرُونا﴾.

[١٥] قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، وذلك أن هودًا هددهم بالعذاب، فقالوا: من أشد منا قوة، ونحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا،

وكانوا ذوي أجسام طوال، قال الله تعالى ردًا عليهم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

[١٦] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾، عاصفة شديدة الصوت، من الصرة وهي الصيحة. وقيل: هي الباردة من الصر وهو البرد، ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب (نَحْسَاتٍ) بسكون الحاء، وقرأ الآخرون بكسرها أي نكدات مشؤومات ذات نحوس. وقال الضحاك: أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودامت الرياح عليهم من غير مطر، ﴿لِنَنْذِرَهُمْ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾، أي عذاب الهون والذل، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ آخَرٌ وَأَحْزَنُ﴾، أشد إهانة ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

[١٧] ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾، دعوانهم، قاله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٧٩

سُورَةُ فَصَلَتٍ

وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوْنَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٠﴾ فَإِنْ يَصِيرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢١﴾ وَقِيَصْنَا لَهُمْ قِرَاءَ فَرْيَنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَنِيِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَاسْمُوهَ هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْفِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَمْحَدُونَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْغَنِيِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَ مِنَ الْآسَفِينَ ﴿٢٦﴾

أخبر عن حالهم فقال:

[٢٤] ﴿فَإِنْ يَصِيرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾، مسكن لهم، ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾، يسترضوا وطلبوا العتبي، ﴿فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾، المرصين، والمعتب الذي قبل عتابه وأجيب إلى ما سأل، يقال: أعتبني فلان أي أرضاني بعد إسقاطه إياي، واستعبته طلبت منه أن يعتب أي يرضى.

[٢٥] ﴿وَقِيَصْنَا لَهُمْ﴾، أي بعثنا ووكلنا، وقال مقاتل: هيأنا. وقال الزجاج: سبينا لهم. ﴿قِرَاءَ﴾، نظراء من الشياطين حتى أضلوهم، ﴿فَرْيَنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، من أمر الدنيا حتى آثروه على الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، من أمر الآخرة فدعوهم إلى التكذيب به وإنكار البعث، ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ﴾، مع أمم، ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَنِيِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

مجاهد، وقال ابن عباس: بيئنا لهم سبيل الهدى. وقيل: دللناهم على الخير والشر، كقوله (هديناه السبيل)، ﴿فَاسْتَجَبُوا أَلْعَنَى عَلَى الْهَدْيِ﴾ فاختاروا الكفر على الإيمان ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صِعْقَةُ الْعَذَابِ﴾، أي هلكة العذاب ﴿أَلْهُونَ﴾، أي ذي الهون أي الهوان وهو الذي يهينهم ويجزيهم، ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[١٩، ٢٠] ﴿وَنَحْنُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْفَوْنَ﴾ وبوم يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ، قرأ نافع ويعقوب: (نحشر) بالنون، (أعداء) نصب، وقرأ الآخرون بالياء ورفعها وفتح الشين (أعداء) رفع أي يجمع إلى النار، ﴿فَهُمْ يُورَعُونَ﴾، يساقون ويدفعون إلى النار، وقال قتادة والسدي: يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا.

[٢٠] ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾، جاؤوا النار ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾، أي بشراتهم، ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقال السدي وجماعة: المراد بالجلود الفروج. وقال مقاتل: تنطق جوارحهم بما كتبت الألسن من عملهم.

[٢١] ﴿وَقَالُوا﴾، يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار، ﴿لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، تم الكلام ههنا. وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وليس هذا من جواب الجلود، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٢٢] ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوْنَ﴾، أي تستخفون - عند أكثر أهل العلم. وقال مجاهد: تتقون. وقال قتادة: تظنون. ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

[٢٣] قوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَكُنْكُمْ، أي ظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعلمون، أرداكم. قال ابن عباس: طرحكم في النار، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، ثم

مجاهد وعكرمة: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، قال ابن عباس: عند الموت. وقال قتادة ومقاتل: إذ قاموا من قبورهم. قال وكيع بن الجراح: البشرى تكون في ثلاث مواطن: عند الموت وفي القبر وعند البعث. ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾، من الموت. وقال مجاهد: لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة. ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾، على ما خلفتم من أهل وولد، فإننا نخلفكم في ذلك كله. وقال عطاء ابن أبي رباح: لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإني أغفرها لكم، ﴿وَأَنبَشِرُوا بِأَلْحَتِهِ الَّتِي كُتِبَتْ تَوَعْدُونَ﴾.

[٣١] ﴿تَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ﴾، تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة: نحن أولياؤكم أنصاركم وأحباؤكم، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، أي في الدنيا والآخرة. قال السدي: تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة يقولون لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُ أَنفُسُكُمْ﴾، من الكرامات واللذات، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾، في الجنة ﴿مَا تَدْعُونَ﴾، تتمنون.

[٣٢، ٣٣] ﴿تُزَلَّ﴾، رزقا، ﴿مِنْ عَفْوٍ رَحِيمٍ ۝ وَمَنْ أَحْسَنُ فَوْلاً يَمَن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾، إلى طاعته، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، قال ابن سيرين: هو رسول الله ﷺ دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله. وقال الحسن: هو المؤمن الذي أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه، وعمل صالحا في إجابته، وقال: إني من المسلمين. وقالت عائشة: أرى هذه الآية نزلت في المؤذنين. وقال عكرمة: هو المؤذن أبو إمامة الباهلي وعمل صالحا صلى ركعتين بين الأذان والإقامة. وقال قيس بن أبي حازم: هو الصلاة بين الأذان والإقامة.

[٢٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من مشركي قريش، ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾، قال ابن عباس: يعني الغطوا فيه، وكان بعضهم يوصي إلى بعض: إذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر واللغو. قال مجاهد: والغوا فيه بالمكاء والصفير. وقال الضحاك: أكثروا الكلام فيختلط عليه ما يقول. وقال السدي: صبحوا في وجهه. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾، محمدا على قراءته.

[٢٧] ﴿فَلَنَذِقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَثْوَى الَّذِي﴾، يعني بأسوأ الذي، أي بأقبح الذي، ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، في الدنيا وهو الشرك بالله.

[٢٨] ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت من العذاب الشديد، ﴿جَزَاءً أَعَدَّ اللَّهُ﴾، ثم بين ذلك الجزاء فقال: ﴿النَّارُ﴾، أي هو النار، ﴿لَهُمْ فِيهَا﴾، أي في النار، ﴿دَارُ الْخُلْدِ﴾، دار الإقامة لا انتقال منها، ﴿جَزَاءً يَدَّ كَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْدِثُونَ﴾.

[٢٩] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي في النار يقولون، ﴿رَبَّنَا أَرِ النَّارَ الَّذِينَ أَضَلْنَا مِنْ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ﴾، يعنون إبليس وقابيل الذي قتل أخاه لأنهما سنا المعصية، ﴿تَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَفْدَانَا﴾، في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾، ليكونا في الدرك الأسفل من النار. قال ابن عباس: ليكونا أشد عذابا منا.

[٣٠] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾، سئل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال: أن لا تشرك بالله شيئا. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب. وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: أخلصوا العمل لله. وقال علي رضي الله عنه: أدوا الفرائض. وقال ابن عباس: استقاموا على أداء الفرائض. وقال الحسن: استقاموا على أمر الله تعالى فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته. وقال

[٣٤] قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾، قال الفراء: (لا) ههنا صلة، معناه: لا تستوي الحسنة والسيئة، يعني الصبر والغضب، والحلم والجهل، والعفو والإساءة. ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، قال ابن عباس أمر بالصبر عند الغضب، وبالحلم عند الجهل، وبالعفو عند الإساءة. ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾، يعني إذا فعلت ذلك خضع لك عدوك وصار الذي بينك وبينه عداوة، ﴿كَأَنَّهُ وَلِيُّ حَمِيمٍ﴾، كالصديق والقريب. قال مقاتل ابن حيان: نزلت في أبي سفيان بن حرب، وذلك أنه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي ﷺ، ثم أسلم فصار ولياً بالإسلام، حميماً بالقرابة.

[٣٥] ﴿وَمَا يُلْقِئُهَا﴾، ما يلقي هذه الخصلة وهي دفع السيئة بالحسنة، ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، على كظم الغيظ واحتمال المكروه، ﴿وَمَا يُلْقِئُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، في الخير والثواب، وقال قتادة: الحظ العظيم الجنة، أي ما يلقيها إلا من وجبت له الجنة.

[٣٦] ﴿وَمَا يَرْغَبُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾، لاستعاضتك وأقوالك، ﴿الْعَلِيمُ﴾، بأفعالك وأحوالك.

[٣٧] قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾، إنما قال ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ بالتأنيث لأنه أجراها على طريق جمع التكسير، ولم يجرها على طريق التغليب للمذكر على المؤنث، ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

[٣٨] ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا﴾، عن السجود، ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾، يعني الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ لا يملون ولا يفترون: ﴿[٣٩] وَمِنْ آيَاتِهِ﴾، دلائل قدرته، ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾، يابسة غبراء لا نبات فيها، ﴿فَإِذَا

٤٨٠

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا أَنْتَزِلْ عَلَيْنَا مَلَكًا كَذَلِكَ الْأَتَخِفُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٧﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ أَتُكْم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣٨﴾ تَزَلَّ مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٩﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٤١﴾ وَمَا يُلْقِئُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِئُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَإِمَّا يَرِغَبُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٤٤﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٤٥﴾

أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ فَهَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي آمَنَّا لَمُحِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٦﴾

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾، يميلون عن الحق في أدلتنا، قال مجاهد: يلحدون في آياتنا بالمكاء والتصدية واللغو واللغو. قال قتادة: يكذبون في آياتنا. قال السدي: يعاندون ويشاقون. قال مقاتل: نزلت في أبي جهل. ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يَلْقَى فِي النَّارِ﴾، وهو أبو جهل، ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي بَعْدَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، قيل: هو حمزة. وقيل: عثمان. وقيل: عمار بن ياسر. ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾، أمر تهديد ووعد، ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، عالم فيجازيكم به.

[٤١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾، بالقرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، ثم أخذ في وصف الذكر وترك جواب: (إن الذين كفروا)، على تقدير الذين كفروا بالذكر

يجازون بكفرهم. وقيل: خبره قوله من بعد: (أولئك يُنادون من مكان بعيد)، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبٌ عَزِيزُونَ، قال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما: كريم على الله: قال قتادة: أعزه الله عز وجل فلا يجد الباطل إليه سبيلاً.

[٤٢] وهو قوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾، قال قتادة والسدي: الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه. قال الزجاج: معناه أنه محفوظ من أن ينقص منه، فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزداد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، وعلى هذا معنى: الباطل الزيادة والنقصان. وقال مقاتل: لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله، ولا يجيء من بعده كتاب فيطله. ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾، ثم عزى نبيه ﷺ على تكذيبهم.

[٤٣] فقال: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾، من الأذى، ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُولِ مِنْ قَبْلِكَ﴾، يقول إنه قد قيل للأنبياء والرسل قبلك ساحر كما يقال لك، وكذبوا كما كذبت، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ مَعْفَرَةٍ﴾، لمن تاب وآمن بك وودى عذاب نيران، لمن أصر على التكذيب.

[٤٤] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾، أي جعلنا هذا الكتاب الذي تقرأه على الناس، ﴿قُرْآنًا عَجَبًا﴾، بغير لغة العرب، ﴿لَقَالُوا لَوْ كُنَّا فَصِلْتُ دِينَهُ﴾، هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها، ﴿عَجَبًا وَعَرَفْنَاهُ﴾، يعني أكتاب أعجمي ورسول عربي؟ وهذا استفهام على وجه الإنكار، أي أنهم كانوا يقولون: المنزل عليه عربي والمنزل أعجمي. قال مقاتل: وذلك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي، وكان يهودياً أعجمياً، يعني أبا فكيهة، فقال المشركون: إنما يعلمه يسار فضربه سيده، وقال: إنك تعلم محمداً، فقال يسار: هو يعلمني، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿قُلْ﴾، يا محمد ﴿هُوَ﴾، يعني القرآن، ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْرَتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَحْفَظُونَ عَلَيْنَا أَفَنُلْقِي فِي النَّارِ خَيْرًا مَن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ الذِّكْرِ لَمَجَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُولِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَبًا لَقَالُوا لَوْ كُنَّا فَصِلْتُ دِينَهُ لَنَافَعُنَا غِيٌّ وَعَرَفْنَاهُ وَلَهُ الَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

وَشِفَاءٌ﴾، لما في القلوب، وقيل: شفاء من الأوجاع، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾، قال قتادة: عموا عن القرآن وصموا عنه فلا ينتفعون به، ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾، أي أنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أن من دعي [من] مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم، وهذا مثل لقلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾، فمصدق ومكذب كما اختلف قومك في كتابك، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾، في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن، ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾، لفرغ من عذابهم وعجل إهلاكهم، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾، من صدقك، ﴿مُرِيبٍ﴾، موقع لهم الريبة. [٤٦] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا

رَبُّكَ يَظْلَمُ لِلْعَبِيدِ.

[٤٧] ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، أي علمها إذا سئل عنها مردود إليه لا يعلمه غيره، ﴿وَمَا تَخْجُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ أوعيتها واحدها: كَيْمٌ ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾، إلا بإذنه، يقول: يرد إليه علم الساعة كما يرد إليه علم الثمار والنتاج. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾، ينادي الله المشركين، ﴿إِنَّ شُرَكَايَ﴾، الذين كنتم تزعمون أنها آلهة، ﴿قَالُوا﴾، يعني المشركين، ﴿ءَاذَنَّاكَ﴾، أعلمناك، ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾، أي من شاهد بأن لك شريكاً لما عاينوا العذاب تبرأوا من الأصنام.

[٤٨] ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾، يعبدون، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، في الدنيا، ﴿وَطَنُوا﴾، أيقنوا، ﴿مَا لَهُمْ مِنْ نَجِصٍ﴾، مهرب.

[٤٩] ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ﴾، لا يمل الكافر، ﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾، أي لا يزال يسأل ربه الخير، يعني المال والغنى والصحة، ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾، الشدة والفقر، ﴿فَيُتَوَسَّسُ﴾، من روح الله، ﴿فَتُحْطَ﴾، من رحمته.

[٥٠] ﴿وَلَيْنَ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾، آتيناه خيراً وعافية وغنى، ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّتْهُ﴾، من بعد شدة وبلاء أصابته، ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾، أي بعملِي وأنا محبوب بهذا، ﴿وَمَا أَطُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾، يقول هذا الكافر لست على يقين من البعث، فإن كان الأمر على ذلك، ورُدَدْتُ إلى ربي إن لي عنده للحسنى، أي الجنة أي كما أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة. ﴿فَلْيَنْتَهِزِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لثَوَقَفْتُهُمْ عَلَىٰ مَسَاوِي أَعْمَالِهِمْ، ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

[٥١] ﴿وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ عَرَضَ وَنَحْنُ بِجَانِبِهِ﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ، كثير، والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة، يقال: أطال

بِالْخَالِصَةِ

٤٨٢

بِالْخَالِصَةِ

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْجُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَتَيْنَ شُرَكَايَ قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ ﴿٤٧﴾ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَطَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِصٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُتَوَسَّسُ فَنُحْطَ ﴿٤٩﴾ وَلَيْنَ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَطُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلْيَنْتَهِزِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ عَرَضَ وَنَحْنُ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثَمٌّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَرُّهُمْ ﴿٥٣﴾ عَائِلَتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَهْتَفُوا بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٍ﴾ ﴿٥٥﴾

فلان الكلام والدعاء وأعرض، أي أكثر.

[٥٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾، هذا القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثَمٌّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾، خلاف للحق بعيد عنه أي فلا أحد أضل منكم.

[٥٣] ﴿سَرُّهُمْ عَائِلَتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني منازل الأمم الخالية. ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾، بالبلاء والأمراض. وقال قتادة: في الآفاق يعني وقائع الله في الأمم، وفي أنفسهم يوم بدر. وقال مجاهد والحسن والسدي والكلبي: في الآفاق ما يفتح من القرى على محمد ﷺ والمسلمين، وفي أنفسهم فتح مكة. ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾، يعني دين الإسلام. وقيل: القرآن يتبين لهم أنه من عند الله. وقيل: محمد ﷺ يتبين لهم أنه مؤيد من قبل الله تعالى. وقال عطاء وابن

سُورَةُ الشُّورَى

٤٨٣

سُورَةُ الشُّورَى

سُورَةُ الشُّورَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ عَسَقٌ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ
 الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
 وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
 الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
 ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
 حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
 السَّعِيرِ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ
 مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝
 أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
 إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝

كثير (يوحى) بفتح الحاء وحجته قوله: (أوحينا إليك)، ﴿وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، وعلى هذه القراءة قوله ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، تبين للفاعل كأنه قيل: من يوحى؟ فقيل: الله العزيز الحكيم، وقرأ الآخرون (يوحى) بكسر الحاء، إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم. قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أخبار الغيب.

[٥، ٤] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ، أي كل واحدة منها تتفطر فوق التي تليها من قول المشركين: (اتخذ الله ولداً) نظيره في سورة مريم: (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً) (لقد جئتم شيئا إداً) (تكاد السماوات يتفطرن منه). ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، من المؤمنين، ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

زيد: في الآفاق يعني أقطار السماء والأرض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والأنهار، وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، حتى يتبين لهم أنه الحق. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنْتُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَاهِدٌ﴾، قال مقاتل: أولم يكف ربك لأنه على كل شيء شهيد شاهد لا يغيب عنه شيء.

[٥٤] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾، في شك من البعث، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطٌ﴾، أحاط بكل شيء علماً.

(٤٢) سُورَةُ الشُّورَى

[٢، ١] ﴿حَمْدٌ ۝ عَسَقٌ﴾، سئل الحسين بن الفضل لِمَ يَقْطَعُ حَمْدُ عَسَقٍ وَلَمْ يَقْطَعْ كَهَيْعِصٍ؟ فقال: لأنها سور أوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره، ولأنهما عداً آيتين، وأخواتها مثل كهيعص المص المر عُدَّتْ آية واحدة. وقيل: لأن أهل التأويل لم يختلفوا في كهيعص وأخواتها أنها حروف التهجى لا غير، واختلفوا في حم فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلاً، وقال: معناها: حَمُّ أي قُضِيَ ما هو كائن، وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حَ حَلِمَهُ، م مجده، ع علمه، س سناؤه، ق قدرته، أقسم الله بها. وقال شهر بن حوشب وعطاء بن أبي رباح: حَ حرب يعز فيها الذليل ويدل فيها العزيز من قريش، م ملك يتحول من قوم إلى قوم، ع عدو لقريش يقصدهم، س سبى يكون فيهم، ق قدرة الله النافذة في خلقه، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحيت إليه حم عسق.

[٣] فلذلك قال: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾، وقرأ ابن

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَرْوَاجًا﴾، أصنافًا ذكورًا وإناثًا، ﴿يَذَرُوكُمْ﴾، يخلقكم، ﴿فِيهِ﴾، أي في الرحم. وقيل: في البطن. وقيل: على هذا الوجه من الخلقة. قال مجاهد: نسلًا بعد نسل من الناس والأنعام. وقيل: في بمعنى الباء أي يذروكم به. وقيل: معناه يكثركم بالتزويج. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، مثل صلة أي ليس هو كشيء فأدخل المثل للتوكيد، كقوله: (فإن آمنوا بمثل ما آمتم به)، وقيل: الكاف صلة، مجازه: ليس مثله شيء. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس له نظير. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

[١٢] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، مفاتيح الرزق في السموات والأرض. قال الكلبي: المطر والنبات. ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ لأن مفاتيح الرزق بيده، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ﴾، بين وسن لكم، ﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾، وهو أول أنبياء الشريعة. قال مجاهد: أوصيناك وإياه يا محمد دينًا واحدًا. ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، من القرآن وشرائع الإسلام، ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾، واختلفوا في وجه الآية، فقال قتادة: تحليل الحلال وتحريم الحرام. وقال الحكم: تحريم الأمهات والبنات والأخوات. وقال مجاهد: لم يبعث الله نبيًا إلا أوصاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة، فذلك دينه الذي شرع لهم. وقيل: هو التوحيد والبراءة من الشرك. وقيل: هو ما ذكر من بعد وهو قوله ﴿أَن آفِكُوا الَّذِينَ وَلَا تَنَفَرُوا فِيهِ﴾، بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والآلة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة، ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾، من التوحيد ورفض الأوثان ثم قال: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ﴾، يصطفي لدينه من عباده من يشاء، ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾، يُقبل إلى طاعته.

[٦] ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظٌ عَلَيْهِمْ﴾، يحفظ أعمالهم ويحصى عليها ليجازيهم بها، ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾، لم يوكلك الله عليهم حتى تؤخذ بهم.

[٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾، مثل ما ذكرنا، ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾، مكة يعني أهلها، ﴿وَمَن حَوْلَهَا﴾، يعني قرى الأرض كلها، ﴿وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾، أي تنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين وأهل السموات والأرضين، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، لا شك في الجمع أنه كائن ثم بعد الجمع يتفرقون ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ﴾ فضل من الله، ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ عدل من الله عز وجل.

[٨] قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: على دين واحد. وقال مقاتل: على ملة الإسلام كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾، ﴿وَلَكِن يَدْخُلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِي﴾، في دين الإسلام، ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾، الكافرون، ﴿مَا لَهُمْ مِّن وَلِيٍّ﴾، يدفع عنهم العذاب، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾، يمنعهم من النار.

[٩] ﴿أَرِ اتَّخَذُوا﴾، بل اتخذوا أي الكافرون، ﴿مِن دُونِهِ﴾، أي من دون الله، ﴿أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: وليك يا محمد وولي من اتبعك، ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾، من أمر الدين، ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾، يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾، الذي يحكم بين المختلفين هو ﴿رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

[١١] ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّن أَنفُسِكُمْ أَرْوَاجًا﴾، من مثل خلقكم حلائل، قيل: إنما قال من أنفسكم لأنه خلق حواء من ضلع آدم،

[١٤] ﴿وَمَا نَفَرُوا﴾، يعني أهل الأديان المختلفة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني أهل الكتاب: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾، بأن الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك، ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾، أي للبغي، قال عطاء: يعني بغيا بينهم على محمد ﷺ، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾، في تأخير العذاب عنهم، ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾، وهو يوم القيامة، ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾، بين من آمن وكفر، يعني أنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْكَيْتَ﴾، يعني اليهود والنصارى، ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، أي من بعد أنبيائهم، وقيل: من بعد الأمم الخالية. وقال قتادة: معناه من قبلهم أي من قبل مشركي مكة. ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيٌ﴾، أي من محمد ﷺ.

[١٥] ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾، أي فإلى ذلك كما يقال دعوت [إلى] فلان وفلان، وذلك إشارة إلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد، ﴿وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾، أي اثبت على الدين الذي أمرت به، ﴿وَلَا تَلْبَعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَمَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾، أي آمنت بكتب الله كلها، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾، أن أعدل بينكم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الأحكام. وقيل: لأعدل بينكم في جميع الأحوال والأشياء، ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا﴾، يعني إلهنا واحد وإن اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله، ﴿لَا حُجَّةَ﴾، لا خصومة، ﴿يَبْنَئْنَا وَيَبْنَؤُكُمْ﴾، نسختها آية القتال، فإذا لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة، ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾، في المعاد لفصل القضاء، ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

[١٦] ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾، يخاصمون في دين الله تعالى نبيه ﷺ، وقال قتادة: هم اليهود قالوا: كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم، فنحن

سُورَةُ الشُّورَى

٤٨٤

سُورَةُ الشُّورَى

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لِيَافِئَكُمْ فِيهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا نَفَرُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْكَيْتَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيٌ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَلْبَعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَمَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا لَكُمْ لَحُجَّةٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

خير منكم، فهذه خصومتهم. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُمْ﴾، أي استجاب له الناس فأسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزته، ﴿مُجْتَنِّمٌ دَاحِضَةٌ﴾، خصومتهم باطله، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، في الآخرة.

[١٧] ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾، قال قتادة ومجاهد ومقاتل: العدل، سُمي العدل ميزانا لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله تعالى بالوفاء، ونهى عن البُخس. ﴿وَمَا يَذُرُكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾، ولم يقل قريبة لأن تأنيثها غير حقيقي، ومجازه: الوقت قريب. وقال الكسائي: إتيانها قريب.

قال مقاتل: ذكر النبي ﷺ الساعة ذات يوم وعنده قوم من المشركين، فقالوا تكذيبا: متى تكون الساعة؟

[١٨] فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهَا غَيْرُ آيَةٍ، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾، أَي خَافُونَ، ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾، أَنَّهَا آيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارِؤْنَ﴾، يَخَاصِمُونَ وَقِيلَ يَدْخُلُهُمُ الْمَرِيَّةُ وَالشَّكُّ، ﴿فِي السَّاعَةِ لَنِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

[١٩] ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: حَفِيٌّ بِهِمْ. قَالَ عِكْرِمَةُ: بَارٌّ بِهِمْ. قَالَ السَّيِّدِي: رَفِيقٌ. قَالَ مَقَاتِلُ: لَطِيفٌ بِالْبَرِّ وَالْفَاجِرِ حَيْثُ لَمْ يَهْلِكْهُمْ جَوْعًا بِمَعَاصِيهِمْ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾، وَكُلُّ مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ مِنْ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ وَذِي رُوحٍ فَهُوَ مِمَّنْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ. قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ: اللَّطْفُ فِي الرِّزْقِ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ جَعَلَ رِزْقَكَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَالثَّانِي أَنَّهُ لَمْ يَدْفَعْهُ إِلَيْكَ مَرَّةً وَاحِدَةً. ﴿وَهُوَ الْقَلَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

[٢٠] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾، الْحَرْثُ فِي اللُّغَةِ: الْكَسْبُ، يَعْنِي مَنْ كَانَ يَرِيدُ بَعْمَلِهِ الْآخِرَةَ، ﴿زِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾، بِالتَّضْعِيفِ بِالْوَاحِدِ عَشْرَةٌ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الزِّيَادَةِ، ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾، يَرِيدُ بَعْمَلِهِ الدُّنْيَا، ﴿تُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾، قَالَ قَتَادَةُ: أَي نَوْتُهُ بِقَدَرِ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، كَمَا قَالَ: (عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ). ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾، لِأَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ لِلْآخِرَةِ.

[٢١] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾، يَعْنِي كَفَّارِ مَكَّةَ، يَقُولُ أَلَهُمْ آلِهَةٌ سَنُّوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: شَرَعُوا لَهُمْ دِينًا غَيْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ حَكَمَ فِي كَلِمَةِ الْفَصْلِ بَيْنَ الْخَلْقِ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَيْثُ قَالَ: (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ) ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾، لَفُرْغَ مِنْ عَذَابِ الَّذِينَ يَكْذِبُونَكَ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾،

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ جُحُودُهُمْ دَاحِضَةً عَنْ دَرَجَاتِهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا ذَرَفُوكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارِؤْنَ فِي السَّاعَةِ لَنِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَلَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقَعُ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عَنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

المشركين، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فِي الْآخِرَةِ.

[٢٢] ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾، الْمَشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿مُشْفِقِينَ﴾، وَجَلِينَ، ﴿مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقَعُ بِهِمْ﴾، جَزَاءُ كَسْبِهِمْ وَقَعُ بِهِمْ، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عَنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

[٢٣] ﴿ذَلِكَ الَّذِي﴾، ذَكَرْتُ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، ﴿يَبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فَإِنَّهُمْ أَهْلُهُ، ﴿قُلْ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهٖ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يَعْنِي أَنْ تَحْفَظُوا قِرَابَتِي وَتُودُونِي وَتَصَلُّوا رَحْمِي. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا أَنْ تَحْفَظُونِي فِي قِرَابَتِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَلَيْسَ كَمَا يَقُولُ الْكَذَّابُونَ. وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الْقُرْبَى إِلَى اللَّهِ، يَقُولُ: إِلَّا التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ وَالتَّوَدُّدَ إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا
 اسْتَكْبَرُ عَلَيْهٖ اَجْرٌ اِلَّا الْمُوَدَّةُ فِي الْقُرْبٰى وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ
 لَهٗ فِيهَا حُسْنًا اِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ شَكُورٌ ﴿٢٤﴾ اَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰى عَلَى اللَّهِ
 كَذِبًا اِنْ يَشِآءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلٰى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَيِّطُ الْحَقَّ
 يَكَلِّمُتِهٖ اِنَّهٗ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ ﴿٢٥﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ
 عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُوْنَ ﴿٢٦﴾
 وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيْدُهُمْ مِنْ فَضْلِهٖ
 وَالْكَافِرُوْنَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ ﴿٢٧﴾ وَلَوْ سَـَّطَ اللَّهُ الرِّزْقَ
 لِعِبَادِهٖ لَبْغَوْا فِي الْاَرْضِ وَلٰكِنْ يُنْزِلُ بِقُدْرِ مَآئِئَةٍ اِنَّهٗ يُعَادِيهِمْ
 خَيْرٌ بَصِيْرٌ ﴿٢٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْۢ بَعْدِ مَا قَطَطُوا
 وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهٗ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيْدُ ﴿٢٩﴾ وَمِنْ اٰيٰتِهٖ خَلْقُ
 السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَاۡبِئَةٍ وَهُوَ عَلٰى جَمْعِهِمْ
 اِذَا يَشَآءُ قَدِيْرٌ ﴿٣٠﴾ وَمَا اَصْحٰبُكُمْ مِنْ مُّصِیۡقَةٍ فَمَا
 كَسَبَتْ اَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيْرٍ ﴿٣١﴾ وَمَا اَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ
 فِي الْاَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُوْبِ اللَّهِ مِنْ وَلٰى وَلَا نَصِيْرٍ ﴿٣٢﴾

قوم، فقال: قبله يقبل التوبة عن عباده، ويعده ويزيدهم من فضله.

﴿٢٦﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا، أي ويحبب الذين آمنوا، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، إذا دعوهم، وقال عطاء عن ابن عباس: ويشب الذين آمنوا. ﴿وَيَزِيْدُهُمْ مِنْ فَضْلِهٖ﴾، سوى ثواب أعمالهم تفضلاً منه. وقال أبو صالح عنه: يُشَفِّعُهُمْ في إخوانهم، ويزيدهم من فضله قال في إخوان إخوانهم. ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿وَلَوْ سَـَّطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾، قال خباب ابن الأرت: فينا نزلت هذه الآية، وذلك أننا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيّاها فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿وَلَوْ سَـَّطَ اللَّهُ الرِّزْقَ﴾ وسع الله الرزق ﴿لِعِبَادِهِ﴾، ﴿لَبْغَوْا﴾، لطفوا وعتوا، ﴿فِي الْاَرْضِ﴾، قال ابن عباس: بغهم

الصالح. وقال بعضهم: معناه إلا أن تودوا قرباتي وعترتي وتحفظوني فيهم. وقوله: ﴿إِلَّا الْمُوَدَّةُ فِي الْقُرْبٰى﴾، ليس باستثناء متصل بالأول حتى يكون ذلك أجراً في مقابلة أداء الرسالة، بل هو منقطع، ومعناه: ولكنني أذكركم المودة في القربى وأذكركم قرباتي منكم ﴿وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهٗ فِيهَا حُسْنًا﴾، أي من يكتسب طاعةً نزل له فيها حسناً بالتضعيف، ﴿اِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ﴾، للذنوب، ﴿شَكُورٌ﴾، للقليل حتى يضاعفها.

﴿٢٤﴾ ﴿اَمْ يَقُولُونَ﴾، بل يقولون يعني كفار مكة، ﴿افْتَرٰى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا اِنْ يَشِآءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلٰى قَلْبِكَ﴾، قال مجاهد: نربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم، وقولهم إنه مفتر، قال قتادة: يعني يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما أتاك، فأخبرهم أنه لو افترى على الله كذباً لفعل به ما أخبر عنه في هذه الآية، ثم ابتداء فقال: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير مجازه: والله يمحو الباطل. فهو في محل رفع ولكنه حذف منه الواو في المصحف على اللفظ كما حذف من قوله: (ويدع الإنسان) و(سندع الزبانية) أخبر أن ما يقولونه باطل يمحوه الله، ﴿وَيُخَيِّطُ الْحَقَّ يَكَلِّمُتِهٖ﴾، أي الإسلام بما أنزل من كتابه، وقد فعل الله ذلك فمحاه باطلهم وأعلى كلمة الإسلام، ﴿اِنَّهٗ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾، قال ابن عباس: يريد أوليائه وأهل طاعته، قيل: التوبة ترك المعاصي نيةً وفعلاً، والإقبال على الطاعة نيةً وفعلاً، قال سهل بن عبد الله: التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة. ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾، إذا تابوا فلا يؤاخذهم بها ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿تَفْعَلُونَ﴾ بالتاء، وقالوا: هو خطاب للمشركين، وقرأ الآخرون بالياء لأنه بين خبرين عن

[٣٣] ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾، التي تجريها، ﴿فَيُظِلِّلْنَ﴾، يعني الجواري، ﴿رَوَاكِدَ﴾، ثوابت ﴿عَلَى ظَهَرِهِ﴾، على ظهر البحر لا تجري، ﴿إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، أي لكل مؤمن لأن صفة المؤمن الصبر في الشدة والشكر في الرخاء.

[٣٤] ﴿أَوْ يُوقِنُ﴾، يهلكهن ويغرقهن، ﴿بِمَا كَسَبْنَ﴾، أي بما كسبت ركبانهن من الذنوب، ﴿وَيَعْفَ عَنْ كَثِيرٍ﴾، من ذنوبهن فلا يعاقب عليها.

[٣٥] ﴿وَيَعْلَمُ﴾، قرأ أهل المدينة والشام: (يعلم) برفع الميم على الاستئناف كقوله عز وجل في سورة براءة: (ويتوب الله على من يشاء)، وقرأ الآخرون بالنصب على الصرف والجزم إذا صرف عنه معطوفه نصب، وهو كقوله تعالى: (ويعلم الصابرين)، صرف من حال الجزم إلى النصب استخفافاً وكراهية لتوالي الجزم. ﴿الَّذِينَ يُجِدِّلُونَ فِي عَايِنِنَا مَا لَهُمْ مِّنْ حِصَصٍ﴾، أي يعلم الذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله بعد البعث أن لا مهرب لهم من عذاب الله.

[٣٦] ﴿فَمَا أُوْنِيْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾، من رياش الدنيا، ﴿فَمَتَّعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا﴾، ليس من زاد المعاد، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾، من الثواب، ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَحْمَتِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، فيه بيان أن المؤمن والكافر يستويان في أن الدنيا متاع لهم يتمتعان بها فإذا صار إلى الآخرة كان ما عند الله خيراً للمؤمن.

[٣٧] ﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ كَثِيرًا مِّنَ آيَاتِنَا﴾ قد ذكرنا معنى الكبائر في سورة النساء [آية: ٣١] ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾،

(١) ضعيف: أخرجه هناد في الزهد (رقم ٤٣١)، وعزاه في الدر (٩/٦) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر، وأخرج ابن جرير (٢٥/٢١) والبيهقي في الشعب وعبد بن حميد نحوه عن قتادة مرسلاً، وأخرج نحوه ابن عساكر وابن مردويه عن البراء، وفي الصحيحين عن عائشة بمعناه وقد صححه الألباني في الجامع الصغير بلفظ: «ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب وما يدفع الله عنه أكثر».

طلبهم منزلة بعد منزلة ومركباً بعد مركب وملبساً بعد ملبس، ﴿وَلَكِنْ يُزِيلُ﴾، أرزاقهم، ﴿يَقْدِرُ مَا يَشَاءُ﴾، كما يشاء نظراً منه لعباده ولحكمة اقتضتها قدرته، ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾.

[٢٨] قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْقَيْثَ﴾، المطر، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾، يعني من بعد ما يئس الناس منه وذلك أدعى لهم إلى الشكر، قال مقاتل: حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا، ثم أنزل الله المطر فذكّرهم الله نعمته، ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾، ييسط مطره، كما قال: (وهو الذي يُرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته). ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾، لأهل طاعته، ﴿الْحَكِيمُ﴾، عند خلقه.

[٢٩] ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾، يعني يوم القيامة.

[٣٠] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام (بما كسبت) بغير فاء وكذلك هو في مصاحفهم، فمن حذف الفاء جعل (ما) في أول الآية بمعنى الذي أصابكم بما كسبت أيديكم. ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾، قال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر»^(١).

[٣١] ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ﴾، بفائتين، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، هرباً يعني لا تعجزونني حيث ما كنتم ولا تسبقونني، ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

[٣٢] قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ﴾، يعني السفن، واحدها جارية وهي السائرة، ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾، أي الجبال، قال مجاهد: القصور واحدها علم، وقال الخليل بن أحمد: كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم.

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٨﴾ إِنَّ شَاءَ يُسْكِنُ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٩﴾ أَوْ يُوقِفَهُنَّ مِمَّا كَسَبُوا يَعْرِفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٤٠﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ حِصٍّ ﴿٤١﴾ مَا أَوْتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ وَفُتِنَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كِتَابَ الْإِنَّمِ وَالْفَوْحِشِ وَإِذَا مَا عَصَبُوا لَهُمْ يَعْرِفُونَ ﴿٤٣﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْفُونَ ﴿٤٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٤٥﴾ يَنْتَقِمُونَ مِنْ ظَالِمِيهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْتَدُوا. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: جَعَلَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ صَنَفَيْنِ: صَنَفٌ يَعْفُونَ عَنْ ظَالِمِيهِمْ فَبَدَأَ بِذِكْرِهِمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ: (وَإِذَا مَا عَصَبُوا لَهُمْ يَغْفِرُونَ)، وَصَنَفٌ يَنْتَصِرُونَ مِنْ ظَالِمِيهِمْ وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَسْتَدْلُوا إِذَا قَدَرُوا عَفَا. قَالَ عَطَاءٌ: هُمْ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمُ الْكَفَارَ مِنْ مَكَّةَ وَبَغَا عَلَيْهِمْ مَكْنَهُمُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى انْتَصَرُوا مِنْ ظَلَمِهِمْ، ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ الْإِنْتِصَارَ فَقَالَ:

قَالَ السَّيِّدِي: يَعْنِي الزَّنَا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَمَقَاتِلٌ: مَا يُوْجِبُ الْحَدَّ. ﴿وَإِذَا مَا عَصَبُوا لَهُمْ يَعْرِفُونَ﴾، يَحْلُمُونَ وَيَكْظُمُونَ الْغَيْظَ وَيَتَجَاوِزُونَ.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾، أَجَابُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِ، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾، يَتَشَاوِرُونَ فِيهَا يَبْدُو لَهُمْ وَلَا يَعْبَلُونَ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْفُونَ﴾.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾، الظُّلْمُ وَالْعُدَاوَى، ﴿هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾، يَنْتَقِمُونَ مِنْ ظَالِمِيهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْتَدُوا. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: جَعَلَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ صَنَفَيْنِ: صَنَفٌ يَعْفُونَ عَنْ ظَالِمِيهِمْ فَبَدَأَ بِذِكْرِهِمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ: (وَإِذَا مَا عَصَبُوا لَهُمْ يَغْفِرُونَ)، وَصَنَفٌ يَنْتَصِرُونَ مِنْ ظَالِمِيهِمْ وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَسْتَدْلُوا إِذَا قَدَرُوا عَفَا. قَالَ عَطَاءٌ: هُمْ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمُ الْكَفَارَ مِنْ مَكَّةَ وَبَغَا عَلَيْهِمْ مَكْنَهُمُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى انْتَصَرُوا مِنْ ظَلَمِهِمْ، ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ الْإِنْتِصَارَ فَقَالَ:

[٤٠] ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾، سَمِيَ الْجَزَاءُ سَيِّئَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ سَيِّئَةً لِتَشَابُهِمَا فِي الصُّورَةِ. قَالَ مَقَاتِلٌ: يَعْنِي الْقَصَاصُ فِي الْجَرَاحَاتِ وَالْأَسْبَابِ. قَالَ مُجَاهِدٌ وَالسَّيِّدِي: هُوَ جَوَابُ الْقَبِيحِ إِذَا قَالَ لَهُ أَحَدٌ أَخْزَاكَ اللَّهُ يَقُولُ أَخْزَاكَ اللَّهُ، وَإِذَا شَتَمَكَ فَاشْتَمَهُ بِمِثْلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْتَدِي. وَقَالَ هِشَامُ بْنُ حَبِيبَةَ: الْجَارِحُ إِذَا جَرَحَ يَقْتَصُ مِنْهُ وَلَيْسَ هُوَ أَنْ يَشْتَمَكَ فَشَتَمَهُ. ثُمَّ ذَكَرَ الْعَفْوَ فَقَالَ: ﴿فَمَنْ عَفَا﴾، [عَمَنَ] ظَلَمَهُ، ﴿وَأَصْلَحَ﴾، بِالْعَفْوِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ظَالِمِهِ، ﴿فَاجْرُ عَلَى اللَّهِ﴾، قَالَ الْحَسَنُ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ أَجْرٌ فَلْيَقُمْ فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ. ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الَّذِينَ يَبْدَأُونَ بِالظُّلْمِ.

[٤١] ﴿وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ أَيُّ بَعْدَ ظَلَمِ الظَّالِمِ إِيَّاهُ، ﴿فَأُولَئِكَ﴾، يَعْنِي الْمُتَنْصِرِينَ، ﴿مَا

عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾، بِعَقُوبَةٍ وَمُؤَاخَذَةٍ.

[٤٢] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾، يَبْدَأُونَ بِالظُّلْمِ، ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يَعْمَلُونَ فِيهَا بِالْمَعَاصِي، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٤٣] ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ﴾، فَلَمْ يَنْتَصِرْ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾، الصَّبْرَ وَالتَّجَاوُزَ، ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، حَقَّقَهَا وَجَزَمَهَا. قَالَ مَقَاتِلٌ: مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا. قَالَ الزَّجَّاجُ: الصَّابِرُ يُؤْتَى بِصَبْرِهِ الثَّوَابَ، فَالرَّغْبَةُ فِي الثَّوَابِ أَتَمُّ عَزْمًا.

[٤٤] ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾، فَمَالَهُ مِنْ أَحَدٍ يُلِي هِدَايَتَهُ بَعْدَ إِضْلَالِ اللَّهِ إِيَّاهُ أَوْ يَمْنَعُهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾، يَسْأَلُونَ الرَّجْعَةَ فِي الدُّنْيَا.

[٤٥] ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾، أَيُّ عَلَى النَّارِ،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَتٍ مِّنَ الدَّلِيلِ يَتَبَرَّونَ
 مِّنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ
 خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ
 فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ
 مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٧﴾ أَسْتَجِيبُوا
 لِرَبِّكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِّنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ
 مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّكِيرٍ ﴿٤٨﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا
 فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِلَّا أَلْبَلَعُ وَإِنَّا إِذَا
 أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبًا وَإِنْ نَضِيبُ سَيِّئَةٍ
 يَمَاقِدَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٩﴾ اللَّهُ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً
 وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٥٠﴾ أَوْ يُرْجِيهِمْ ذَكَرًا وَإِنِشَاءً
 وَيَجْعَلُ مِّنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥١﴾ وَمَا كَانَ
 لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
 رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ ﴿٥٢﴾

أنثى.

[٥٠] ﴿أَوْ يُرْجِيهِمْ ذَكَرًا وَإِنِشَاءً﴾، يجمع له
 بينهما فيولد له الذكور والإناث، ﴿وَيَجْعَلُ مِّنْ يَشَاءُ
 عَقِيمًا﴾، فلا يلد ولا يولد له. قيل: هذا في
 الأنبياء عليهم السلام (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً) يعني
 لو طأ لم يولد له ذكر إنما ولد له ابنتان، (وَيَهَبُ لِمَنْ
 يَشَاءُ الذَّكَورَ) يعني إبراهيم عليه السلام لم يولد له
 أنثى، (أَوْ يُرْجِيهِمْ ذَكَرًا وَإِنِشَاءً) يعني محمداً ﷺ
 ولد له بنون وبنات، ﴿وَيَجْعَلُ مِّنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾
 يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما، وهذا
 على وجه التمثيل، والآية عامة في حق كافة
 الناس، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

[٥١] قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ
 اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾، وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ ألا
 تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى

﴿خَشِيعَتٍ﴾، خاضعين متواضعين، ﴿مِّنَ الدَّلِيلِ
 يَتَبَرَّونَ مِّنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ﴾، خفي النظر لما عليهم من
 الدل يسارقون النظر إلى النار خوفاً منها وذلك في
 أنفسهم. وقيل: (من) بمعنى الباء أي بطرف خفي
 ضعيف من الدل. وقيل: إنما قال: (مِنْ طَرَفٍ
 خَفِيٍّ) لأنه لا يفتح عينه إنما ينظر ببعضها. وقيل:
 معناه ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عمياً
 والنظر بالقلب خفي. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ
 الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾،
 قيل: خسروا أنفسهم بأن صاروا إلى النار وأهليهم
 بأن صاروا لغيرهم في الجنة. ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي
 عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾.

[٤٦] ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِّنْ دُونِ
 اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾، طريق إلى
 الصواب وإلى الوصول إلى الحق في الدنيا والجنة
 في العقبى قد استدت عليهم طرق الخير.

[٤٧] ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾، أجبوا داعي الله يعني
 محمداً ﷺ، ﴿مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾،
 لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ
 مَّلْجَأٍ﴾ تلجأون إليه ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّكِيرٍ﴾
 من منكر يغير ما بكم.

[٤٨] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾، عن الإجابة، ﴿فَمَا
 أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِلَّا أَلْبَلَعُ﴾، ما عليك، ﴿إِلَّا
 أَلْبَلَعُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾، قال ابن
 عباس: يعني الغنى والصحة. ﴿فَرَحَ بِهِآُ وَإِنْ نَضِيبُ
 سَيِّئَةٍ﴾، قحط، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ
 كَفُورٌ﴾، أي لما تقدم من نعمة الله عليه ينسى
 ويوجد بأول شدة جميع ما سلف من النعم.

[٤٩] ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، له التصرف
 فيهما بما يريد، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ
 إِنِشَاءً﴾، فلا يكون له ولد ذكر، قيل: من يمن
 المرأة تكبيرها بالأنثى قبل الذكر لأن الله تعالى بدأ
 بالإناث، ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾، فلا يكون له

ونظر إليه؟ فقال: لم ينظر موسى إلى الله عز وجل فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ يوحى إليه في المنام أو بالإلهام، ﴿أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾، يسمعه كلامه ولا يراه كما كلمه موسى عليه الصلاة والسلام، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾، إما جبريل أو غيره من الملائكة ﴿فَيُوحِي بِآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ﴾، أي يوحى ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء، قرأ نافع: (أو يُرْسِل) برفع اللام على الابتداء، (فيوحى) ساكنة الياء، وقرأ الآخرون بنصب اللام والياء عطفًا على محل الوحي لأن معناه: وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحى إليه أو يرسل رسولًا ﴿إِنَّمَا عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾.

[٥٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، أي كما. أوحينا إلى سائر رسلنا، ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾، قال ابن عباس: نبوة. وقال الحسن: رحمة. وقال السدي ومقاتل: وحيا. وقال الكلبي: كتابًا. وقال الربيع: جبريل. وقال مالك بن دينار: يعني القرآن. ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي﴾، قبل الوحي، ﴿مَا أَلْكَتُبُ وَلَا أَلَايْمَنُ﴾، يعني شرائع الإيمان ومعالمه، قال محمد ابن إسحاق بن خزيمة: الإيمان في هذا الموضع الصلاة، ودليله قوله عز وجل: (وما كان الله ليضيع إيمانكم) وأهل الأصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحي وكان النبي ﷺ يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم، ولم يتبين له شرائع دينه ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾، قال ابن عباس: يعني الإيمان. وقال السدي: يعني القرآن. ﴿تَهْدِي بِهِ﴾ نرشد به، ﴿مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾، أي لتدعو، ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، يعني الإسلام.

[٥٣] ﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾، أي أمور الخلائق كلها في الآخرة.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُبُ وَلَا أَلَايْمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥١﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الزَّخْرَفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ فِي أُولَى الْأَلْفَبِ لَدِينًا لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴿٣﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٤﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٥﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٨﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٩﴾

(٤٣) سُورَةُ الزَّخْرَفِ

[٢، ١] ﴿حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾، أقسم بالكتاب الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة من الشريعة.

[٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، قوله جعلناه أي صيرنا هذا الكتاب عربيًا. وقيل: بيناه. وقيل: سميناه. وقيل: وصفناه، يقال جعل فلان زيدًا أعلم الناس، أي وصفه بهذا كقوله تعالى: (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا) وقوله: (جعلوا القرآن عظيمًا)، وقال (أجعلتم سقاية الحاج)، كلها بمعنى الوصف والتسمية.

[٤] ﴿وَإِنَّهُ﴾، يعني القرآن، ﴿فِي أُولَى الْأَلْفَبِ﴾،

يَهُ يَسْتَهْزِئُونَ، كاستهزاء قومك بك، يُعْزِي نبيه ﷺ.

[٨] ﴿فَاهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾، أي أقوى من قومك يعني الأولين الذين أهلكوا بتكذيب الرسل، ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾، أي صفتهم وسنتهم وعقوبتهم، فعاقبة هؤلاء كذلك في الإهلاك.

[٩] ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمُ﴾، أي سألت قومك، ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾، وأقروا بأن الله خالقها، وأقروا بعزه وعلمه ثم عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم، إلى ههنا تم الأخبار عنهم ثم ابتداءً لآل على نفسه بصنعه فقال:

[١٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، إلى مقاصدكم في أسفاركم.

[١١] ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾، أي بقدر حاجتكم إليه لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أهلكهم. ﴿فَأَنْشَرْنَا﴾، أحيينا، ﴿يَهُ بِلَدَةٍ مَوْتًا كَذَلِكَ﴾، أي كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك، ﴿تُخْرِجُونَ﴾، من قبوركم أحياء.

[١٢] ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾، أي الأصناف كلها. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَاحِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾، في البر والبحر.

[١٣] ﴿لَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾، ذكر الكناية لأنه ردها إلى (ما)، ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾، بتسخير المراكب في البر والبحر، ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾، ذلل لنا هذا، ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾، مطيقين، وقيل: ضابطين.

[١٤] ﴿وَإِنَّا إِلَٰك رَبَّنَا لَمُخْلِوْنَ﴾، لمنصرفون في المعاد.

[١٥] قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾، أي نصيبًا وبعضًا وهو قولهم: الملائكة بنات الله، ومعنى الجعل ههنا الحكم بالشيء والقول كما

في اللوح المحفوظ، قال قتادة: أم الكتاب أصل الكتاب، وأم كل شيء أصله. قال ابن عباس: أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب بما يريد أن يخلق، فالكتاب عنده، ثم قرأ (وَأَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ)، ﴿لَدَيْنَا﴾، فالقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال: (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ). ﴿لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾، قال قتادة: يخبر عن منزلته وشرفه، أي إن كذبتم بالقرآن يا أهل مكة فإنه عندنا لعلِّي رفيعٌ شريف محكم من الباطل.

[٥] ﴿أَفَنْضِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾، يقال: ضربت عنه وأضربت عنه إذا تركته وأمسكت عنه، والصفح مصدر قولهم صفحت عنه إذا أعرضت عنه، وذلك بأن توليه صفحة وجهك وعنقك والمراد بالذكر القرآن، ومعناه: أفتترك عنكم الوحي ونمسك عن إنزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من أجل أنكم أسرفتم في كفركم وتركتم الإيمان؟ استفهام بمعنى الإنكار، أي لا نفعل ذلك، وهذا قول قتادة وجماعة، قال قتادة: والله لو كان هذا القرآن رُفِعَ حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكن الله عاد عليهم بعائدته ورحمته، فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله. وقيل: معناه أفنضرب عنكم بذكرنا إياكم صافحين معرضين. قال الكسائي والسدي: أفنطوي عنكم الذكر طيًا فلا تدعون ولا توعظون. وقال الكلبي: أفتترككم شدي لا نأمركم ولا ننهاكم. وقال مجاهد والسدي: أفعرض عنكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم. ﴿أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي بكسر الهمزة على معنى إذ كنتم كقولهم: (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)، وقرأ الآخرون بالفتح على معنى لأن كنتم مسرفين مشركين.

[٦، ٧] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ه وََمَا يَأْتِيهِمْ﴾، أي وما كان يأتيهم، ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا

تقول: جعلت زيذاً أفضل الناس، أي وصفته وحكمت به، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾، يعني الكافر، ﴿لَكُفُورٌ﴾، جحد لنعم الله، ﴿مُتِّينٌ﴾، ظاهر الكفران.

[١٦] ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾، هذا استفهام توبيخ وإنكار، يقول: اتخذ ربكم لنفسه البنات، ﴿وَأَصْفَكُمْ بِالْبَنِينَ﴾، كقوله: (أفأصفاكم ربكم بالبني واتخذ من الملائكة إناثاً).

[١٧] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾، بما جعل الله شيئاً وذلك أن ولد كل شيء يشبهه، يعني إذا بُشِّرَ أحدهم بالبنات كما ذكر في سورة النحل: (وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى)، ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾، من الغيظ والحزن.

[١٨] ﴿أَوْ مِّنْ يُنْسَوْنَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: (ينشأ) بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين، أي يُرَبَّى، وقرأ الآخرون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين، أي ينبت ويكبر، ﴿فِي الْحَلِيِّ﴾، في الزينة يعني النساء، ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ﴾، في المخاصمة غير مبين للحجة من ضعفهن وسفههن، قال قتادة: في هذه الآية قلما تتكلم امرأة تريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها، (أو من)، في محل من ثلاثة أوجه: الرفع على الابتداء، والنصب على الإضمار، مجازة: أو من ينشأ في الحلية يجعلونه بنات الله، والخفض رداً على قوله: (مما يخلق)، وقوله: (بما ضرب).

[١٩] ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ أَنْثًا﴾، قرأ أهل الكوفة وأبو عمرو (عباد الرحمن) بالباء والألف بعدها ورفع الدال كقوله تعالى: (بل عباد مكرمون)، وقرأ الآخرون: (عند الرحمن) بالنون ونصب الدال على الظرف وتصديقه كقوله عز وجل: (إن الذين عند ربك) الآية، ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾، قرأ أهل المدينة على ما لم يسم فاعله،

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَحَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٧﴾ لَتَسْتَوِيَ أَعْلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٨﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٩﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّا لِلْإِنْسَانِ لَكُفُورٌ مُّبِينٌ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿٢١﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ أَوْ مِّنْ يُنْسَوْنَ فِي الْحَلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ أَنْثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنَّ شُهَدَاتُهُمْ وَيُسْتَلُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٥﴾ أَمْ أَنِ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ فَهُمْ بِهٖ مُّسْتَمْسِكُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَ نَا عَلٰى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٧﴾

ولينوا الهمزة الثانية بعد الاستفهام، أي أحضروا خلقهم، وقرأ الآخرون بفتح الشين أي أحضروا خلقهم حين خلُقوا، وهذا كقوله: (أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون)، ﴿سَتَكُنَّ شُهَدَاتُهُمْ﴾، على الملائكة أنهم بنات الله، ﴿وَيُسْتَلُونَ﴾، عنها، قال الكلبي ومقاتل: لما قالوا هذا القول سألهم النبي ﷺ فقال: «ما يُدريكم أنهم بنات الله؟ قالوا: سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا»، فقال الله تعالى: (سَتَكُنَّ شُهَدَاتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ)، عنها في الآخرة.

[٢٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾، يعني الملائكة، قاله قتادة ومقاتل والكلبي، وقال مجاهد: يعني الأوثان وإنما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا إياها لرضاء منها بعبادتها. قال الله تعالى: ﴿مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾، فيما يقولون ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا

يَخْرُصُونَ ﴿٢١﴾ مَا هُمْ إِلَّا كَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَضِيَ مِنَّا بَعَادَتَهَا، وَقِيلَ: إِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ، فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ إِنَاثٌ وَأَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ.

[٢١] ﴿أَمْ ءَلَيْتُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ﴾، أَي مِّن قَبْلِ الْقُرْآنِ بَأَن يَعْبُدُوا غَيْرَ اللَّهِ، ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْمِكُونَ﴾.

[٢٢] ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾، عَلَى دِينٍ وَمِلَّةٍ، قَالَ مُجَاهِدٌ: عَلَى إِمَامٍ. ﴿وَإِنَّا عَلَى ءَاثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾، جَعَلُوا أَنفُسَهُمْ بَاتِّبَاعِ آبَائِهِمُ الْأَوَّلِينَ مُهْتَدِينَ.

[٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾، أَغْنِيَاؤُهَا وَرُؤَسَاؤُهَا، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾، بِهِمْ.

[٢٤] ﴿قَالَ﴾، قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَفْصٌ: (قَالَ) عَلَى الْخَبَرِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ (قُلْ) عَلَى الْأَمْرِ ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ﴾، قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: (جِئْنَاكُمْ) عَلَى الْجَمْعِ، وَالْآخَرُونَ (جِئْتَكُمْ) عَلَى الْوَاحِدِ، ﴿بَاهْدَى﴾، بَدِينِ أَصُوبٍ، ﴿مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ﴾، قَالَ الزَّجَّاجُ: قَالَ لَهُمْ: أَتَتَّبِعُونَ مَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ وَإِنْ جِئْتُمْ بِأَهْدَى مِنْهُ فَابْأُوا أَن يَقْبَلُوهُ، وَ﴿قَالُوا إِنَّا يَمَّا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

[٢٥] ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنظَرُ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٢٦، ٢٧] قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّنْكُمْ، أَي بَرِيءٌ، وَلَا يُثْنِي الْبَرَاءَ وَلَا يَجْمَعُ وَلَا يُوْثِّ لَأَنَّهُ مُصَدَّرٌ وَضَعُ مَوْضِعِ النِّعْتِ. ﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي﴾، يَرِشْدُنِي لَدِينِهِ.

[٢٨] ﴿وَجَعَلَهَا﴾، يَعْنِي هَذِهِ الْكَلِمَةَ، ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ وَتَقَادَةُ: يَعْنِي كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ أَي فِي ذَرِيَّتِهِ. قَالَ تَقَادَةُ: لَا يَزَالُ فِي ذَرِيَّتِهِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وَيُوحِدُهُ. وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: يَعْنِي جَعَلَ وَصِيَّةَ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي أَوْصَى بِهَا بَنِيهِ بَاقِيَةً فِي نَسْلِهِ وَذَرِيَّتِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنظَرُ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْغَرَبَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٢٨﴾ يَتَّبِعُونَ رِجْمَتَ رَبِّكَ ثُمَّ يَسْمَنُ بِلَيْسَانِهِمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلْطَانًا وَرِجْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٠﴾

عَزَّ وَجَلَّ (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ)، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: يَعْنِي قَوْلُهُ: (أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)، وَقَرَأَ: (هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ)، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، لَعَلَّ أَهْلَ مَكَّةَ يَتَّبِعُونَ هَذَا الدِّينَ وَيَرْجِعُونَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ إِلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ وَيَرْجِعُونَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

[٢٩] ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَءَابَاءَهُمْ﴾، يَعْنِي الْمَشْرِكِينَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ أَعَاجِلْهُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى كُفْرِهِمْ، ﴿حَقٌّ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾، يَعْنِي الْقُرْآنَ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: الْإِسْلَامُ. ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾، يَبِينُ لَهُمُ الْأَحْكَامَ وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَكَانَ مِنْ حَقِّ هَذَا الْإِنْعَامِ أَن يُطِيعُوهُ، فَلَمْ يَفْعَلُوا، وَعَصَوْا.

[٣٠، ٣١] وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾، يَعْنِي الْقُرْآنَ، ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ۝ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْغَرَبَيْنِ عَظِيمٍ﴾، يَعْنُونَ

الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف، قاله قتادة، وقال مجاهد: عتبة بن ربيعة من مكة، وابن عبد ياليل الثقفي من الطائف. وقيل: الوليد بن المغيرة من مكة، ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي. ويروى هذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

[٣٢] قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّقْرَّبُونَ﴾، أي يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه، ولم يرج ثوابه، يقال: عشوت إلى النار أعشو عشواً، إذا قصدتها مهتدياً بها، وعشوت عنها أعرضت عنها، كما يقول: عدلت إلى فلان وعدلت عنه وملت إليه وملت عنه. قال القرطبي: يولي ظهره عن ذكر الرحمن وهو القرآن. قال أبو عبيدة والأخفش: يظلم بصرف بصره عنه. قال الخليل بن أحمد: أصل العشو النظر ببصر ضعيف. وقرأ ابن عباس: (وَمَنْ يَعِشْ) بفتح الشين أي يعم، يقال عشى يعشي عشيّاً إذا عمي فهو أعشى، وامرأة عشواء. ﴿نَفِضَ لَهُ شَيْطَانًا﴾، قرأ يعقوب: (يقيض) بالياء، والباقون بالنون، نُسِبَ له شيطاناً ونضّته إليه ونسلطه عليه، ﴿فَهُوَ لَمْ يَرَيْنْ﴾، لا يفارقه يزين له العمى ويخيل إليه أنه على الهدى.

[٣٧] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾، يعني الشياطين، ﴿لَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾، أي ليمنعونهم عن الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾، ويحسب كفار بني آدم أنهم على هدى.

[٣٨] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾، قرأ أهل العراق غير أبي بكر: (جاءنا) على الواحد يعنون الكافر، وقرأ الآخرون: جاءنا، على الثنية يعنون الكافر وقرينه قد جُعلا في سلسلة واحدة. ﴿قَالَ﴾، الكافر لقرينه الشيطان، ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾، أي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر: القمران،

الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف، قاله قتادة، وقال مجاهد: عتبة بن ربيعة من مكة، وابن عبد ياليل الثقفي من الطائف. وقيل: الوليد بن المغيرة من مكة، ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي. ويروى هذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

[٣٢] قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّقْرَّبُونَ﴾، أي يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه، ولم يرج ثوابه، يقال: عشوت إلى النار أعشو عشواً، إذا قصدتها مهتدياً بها، وعشوت عنها أعرضت عنها، كما يقول: عدلت إلى فلان وعدلت عنه وملت إليه وملت عنه. قال القرطبي: يولي ظهره عن ذكر الرحمن وهو القرآن. قال أبو عبيدة والأخفش: يظلم بصرف بصره عنه. قال الخليل بن أحمد: أصل العشو النظر ببصر ضعيف. وقرأ ابن عباس: (وَمَنْ يَعِشْ) بفتح الشين أي يعم، يقال عشى يعشي عشيّاً إذا عمي فهو أعشى، وامرأة عشواء. ﴿نَفِضَ لَهُ شَيْطَانًا﴾، قرأ يعقوب: (يقيض) بالياء، والباقون بالنون، نُسِبَ له شيطاناً ونضّته إليه ونسلطه عليه، ﴿فَهُوَ لَمْ يَرَيْنْ﴾، لا يفارقه يزين له العمى ويخيل إليه أنه على الهدى.

[٣٣] ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، أي لولا أن يصيروا كلهم كفاراً فيجتمعون على الكفر، ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُثْبِتْهُمُ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾، مصاعد ودرجاً من فضة، ﴿عَلَيْهَا يَطْهَرُونَ﴾، يعلون ويرتقون، يقال: ظهرت على السطح إذا علوته.

[٣٤] ﴿وَلِيُثْبِتْهُمْ أَنبَاءٌ﴾، من فضة، ﴿وَسُرُرًا﴾ أي وجعلنا لهم سرراً من فضة، ﴿عَلَيْهَا يَنْكَبُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَزُخْرَفًا﴾، أي ولجعلنا مع ذلك لهم زخرفاً وهو الذهب، نظيره: (أو يكون لك بيت من زخرف)، ﴿وَإِنَّ كُلَّ ذَلِكُمْ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾،

ولأبي بكر وعمر: العمران. وقيل: أراد بالمشركين مشرق الصيف ومشرق الشتاء، والأول أصح، ﴿فَلَيْسَ الْقَرِينُ﴾، قال أبو سعيد الخدري: إذا بُعث الكافر زَوْجَ بقرينه الشيطان فلا يفارقه حتى يصير إلى النار.

[٣٩] ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ أَلْيَوْمَ﴾، في الآخرة، ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾، أشركتم في الدنيا، ﴿أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، يعني لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم العذاب، لأن لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الأوفر من العذاب. وقال مقاتل: لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر.

[٤٠] ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّةَ أَوْ تَهْدِي أَلْعَمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب لا يؤمنون.

[٤١] ﴿فَإِنَّمَا نَذِيرٌ لِّكَ﴾، بأن نميتك قبل أن نعذبهم، ﴿فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾، بالقتل بعدك.

[٤٢] ﴿أَوْ نُرِيكَ﴾، في حياتك، ﴿الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾، من العذاب، ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾، قادرون متى شئنا عذبناهم، وأراد به مشركي مكة انتقم منهم يوم بدر، وهذا قول أكثر المفسرين، وقال الحسن وقتادة: عنى به أهل الإسلام من أمة محمد ﷺ، وقد كان بعد النبي ﷺ نقمة شديدة في أمته، فأكرم الله نبيه وذهب به ولم يره في أمته إلا الذي يقر عينه، وأبقى النقمة بعده.

[٤٣] ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٤٤] ﴿وَإِنَّهُ﴾، يعني القرآن، ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ﴾، أي لشرف لك، ﴿وَلَقَوْمِكَ﴾، من قريش، نظيره: (لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم)، أي شرفكم، ﴿وَسَوْفَ تَسْأَلُونَ﴾، عن حقه وأداء شكره. قال مجاهد: القوم هم العرب، فالقرآن لهم شرف إذ

٤٩٢ ﴿وَلْيُسْوَئِهِمْ أَبْوَابُ وَسُرَرٌ عَلَيْهِمْ يَكُونُونَ﴾ [٣٩] ﴿وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُنَّ لَكُمْ لَمَامَتٌ لِّعَيَّةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٤٠] ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [٤١] ﴿وَأَنْتُمْ لِمَصْدُوقِهِمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [٤٢] ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسَ الْقَرِينُ﴾ [٤٣] ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ أَلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [٤٤] ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّةَ أَوْ تَهْدِي أَلْعَمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [٤٥] ﴿فَإِنَّمَا نَذِيرٌ لِّكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾ [٤٦] ﴿أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾ [٤٧] ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٤٨] ﴿وَلَا تُدْرِكُكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [٤٩] ﴿وَمَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [٥٠] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٥١] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ [٥٢]

نزل بلغتهم، ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب، حتى يكون الأكثر لقريش ولبنی هاشم. وقيل: ذلك شرف لك بما أعطاك من الحكمة ولقومك المؤمنين بما هداهم الله به، وسوف تسألون عن القرآن وعمّا يلزمكم من القيام بحقه.

[٤٥] ﴿وَسَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ﴾، اختلفوا في هؤلاء المسؤولين، قال عطاء عن ابن عباس: لما أسري بالنبي ﷺ بعث الله له آدم وولده من المرسلين، فأذن جبريل ثم أقام، وقال يا محمد تقدم فصل بهم، فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل: سل يا محمد من أرسلنا قبلك من رسلنا، الآية، قال رسول الله ﷺ: «لا أسأل فقد اكتفيت»، وهذا قول الزهري وسعيد ابن جبیر وابن زيد، قالوا: جمع الله له المرسلين

سورة الزخرف

٤٩٣

سورة الزخرف

وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا هَذَا هَذَا السَّاحِرُ أَدْعُنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْتَهِمُوا إِلَيَّ يَوْمَ يُصْعَقُونَ فِي مِلْكَ مُصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأُ بِكَ مَقَرِّينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاغَوْا فِيهِمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا أَسْفَوْنَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا صُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَلَهْنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا صَرَبْنَاهُ إِلَّا لَاجِدًا بَلْ هُوَ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

ليلة أسري به وأمره أن يسألهم فلم يشك ولم يسأل. وقال أكثر المفسرين: سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت إليهم الأنبياء هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد؟ يدل عليه قراءة عبدالله وأبي: (واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا)، ومعنى الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل.

[٤٦، ٤٧] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَصْتَعْزُونَ﴾، استهزاء.

[٤٨] ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾، قريبتها وصاحبها التي كانت قبلها، ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾، بالسنين والظوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس، فكانت هذه دلالات لموسى، وعذاباً لهم، فكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، عن كفرهم.

[٤٩] ﴿وَقَالُوا﴾، لموسى لما عاينوا العذاب، ﴿يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ﴾، يا أيها العالم الكامل الحاذق، إنما قالوا هذا توقيراً وتعظيماً له لأن السحر عندهم كان علماً عظيماً وصفةً ممدوحة، وقيل: معناه يا أيها الذي غلبنا بسحره. وقال الزجاج: خاطبوه به لما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر. ﴿أَدْعُنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْكَ﴾، أي بما أخبرتنا من عهده إليك إن آمنا كشف عنا العذاب فاسأله يكشف عنا العذاب، ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾، مؤمنون فدعا موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا.

[٥٠] فذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾، ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

[٥١] ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْتَهِمُوا إِلَيَّ يَوْمَ يُصْعَقُونَ فِي مِلْكَ مُصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِ يَوْمَ يُصْعَقُونَ فِي مِلْكَ مُصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِ قَتَادَةَ: تجري بين

يدي في جناني وبساتيني. وقال الحسن: بأمرى. ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، عظمتي وشدة ملكي.

[٥٢] ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾، بل أنا خير، (أم) بمعنى بل وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين، وقال الفراء: الوقف على قوله (أم) وفيه إضمار مجازة أفلا تبصرون أم تبصرون، ثم ابتداء فقال أنا خير، ﴿مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾، ضعيف حقير يعني موسى، قوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾، يفصح بكلامه للثغته التي في لسانه.

[٥٣] ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾، إن كان صادقاً، ﴿أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾، قرأ حفص ويعقوب (أسورة) جمع سوار، وقرأ الآخرون (أسورة) على جمع الأسورة، وهي جمع الجمع. قال مجاهد: كانوا إذا سؤدوا رجلاً سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته، فقال فرعون: هلا

منا محمد إلا أن نعبد وننخذ إلهًا كما عبدت
النصارى عيسى.

[٥٨] ﴿وَقَالُوا ۖ إلهُنا خَيْرٌ أَمَ هُوَ ۚ﴾، قال قتادة:

أم هو يعنون محمدًا فنعبد ونطيعه ونترك آلهتنا.

وقال السدي وابن زيد أم هو يعنون عيسى، قالوا:

يزعم محمد أن كل ما عُبد من دون الله في النار

فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير

والملائكة في النار، وقال الله تعالى: ﴿مَا صَرَّوْهُ ۚ﴾،

يعني هذا المثل، ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ﴾، خصومة بالباطل

وقد علموا أن المراد من قوله: (وما تعبدون من

دون الله حصب جهنم)، هؤلاء الأصنام. ﴿بَلْ هُمْ

قَوْمٌ خَصِمُونَ ۚ﴾.

[٥٩] ثم ذكر عيسى فقال: ﴿إِنَّ هُوَ ۚ﴾، ما هو

يعني عيسى عليه السلام، ﴿إِلَّا عَبْدٌ أُنْعِمْنَا عَلَيْهِ ۚ﴾،

بالنبوة، ﴿وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا ۚ﴾ آية وعبرة، ﴿لِيَتَذَكَّرَ

بِآيَاتِنَا ۚ﴾، يعرفون به قدرة الله عز وجل على ما

يشاء حيث خلقه من غير أب.

[٦٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً ۚ﴾، أي ولو

نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلًا منكم ملائكة، ﴿فِي

الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ۚ﴾، يكونون خلفاء منكم يعمرُونَ

الأرض ويعبدونني ويطيعونني. وقيل: يخلف

بعضهم بعضًا.

[٦١] ﴿وَإِنَّهُ ۚ﴾، يعني عيسى عليه السلام ﴿لَعَلَّم

لِلسَّاعَةِ ۚ﴾، يعني نزوله من أشراط الساعة يُعلم به

قربها، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقاتدة: (إنه

لَعَلَّم لِلسَّاعَةِ) بفتح اللام والعين أي أماره وعلامة،

وقال الحسن وجماعة: وإنه يعني وإن القرآن لعلم

للساعة يعلمكم قيامها، ويخبركم بأحوالها

وأحوالها، ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ۚ﴾، فلا تشكن فيها، قال

ابن عباس: لا تكذبوا بها، ﴿وَأَتَّبِعُونَ ۚ﴾، على

التوحيد، ﴿هَذَا ۚ﴾، الذي أنا عليه، ﴿صِرْطُ

مُسْتَقِيمٍ ۚ﴾.

[٦٢] ﴿وَلَا يَصْدَقُكُمْ ۚ﴾، لا يصرفنكم،

ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب إن كان سيدًا
تجب علينا طاعته. ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ

مُفْتَرِينَ ۚ﴾، متابعين يتابع بعضهم بعضًا يشهدون له

بصدقه ويعينونه على أمره.

[٥٤] قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ ۚ﴾، أي

استخف فرعون قومه القبط، أي وجدهم جهالًا.

وقيل: حملهم على الخفة والجهل. يقال استخفه

عن رأيه إذا حمله على الجهل وأزاله عن الصواب،

﴿فَاطَاعُوهُ ۚ﴾، على تكذيب موسى، ﴿إِنَّهُمْ كَاذِبُونَ قَوْمًا

فَاقِبِينَ ۚ﴾.

[٥٦، ٥٥] ﴿فَلَمَّا ۖءَاسَفُونَا ۚ﴾، أغضبونا،

﴿أَنفَعَمْنَا مِنهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۚ﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ

سَلَفًا ۚ﴾ هم الماضون المتقدمون من الأمم، يقال:

سلف يسلف إذا تقدم، والسلف من تقدم من الآباء

فجعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون، ﴿وَمِثْلًا

لِلْآخِرِينَ ۚ﴾، عبرة وعظة لمن بقي بعدهم. وقيل:

سلفًا لكفار هذه الأمة إلى النار ومثلاً لمن يجيء

بعدهم.

[٥٧] ﴿وَلَمَّا ۖصُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مِثْلًا ۚ﴾، قال ابن

عباس وأكثر المفسرين: إن الآية نزلت في مجادلة

عبدالله بن الزبيري مع النبي ﷺ في شأن عيسى

عليه السلام، لما نزل قوله تعالى: (إنكم وما

تعبدون من دون الله حصب جهنم)، وقد ذكرناه في

سورة الأنبياء عليهم السلام. ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ

يَصِيدُونَ ۚ﴾، قرأ أهل المدينة والشام والكسائي

(يصدون) بضم الصاد، أي يعرضون، وقرأ

الآخرون بكسر الصاد، واختلفوا في معناه، قال

الكسائي: هما لغتان مثل يعرثون ويعرثون، وشد

عليه يشد ويشد، ونم بالحديث ينم وينم، وقال ابن

عباس: معناه يضجون. وقال سعيد بن المسيب:

يصيحون. وقال الضحاك: يعجون. وقال قتادة:

يجزعون. وقال القرظي: يضجرون. لما ضرب

ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون يقولون ما يريد

الْحَقُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

٤٩٤

الْحَقُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَأَنَّهُ لَعَلَّكُمْ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُونَ بِهَا وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَأُتِّينَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْيَّاءَ اللَّهِ هُوَ رَبُّكُمْ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ ﴿٦٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٠﴾ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٧١﴾ يَتَّبِعُهُمُ الْيَوْمَ وَلَا أُنْصِرُ تَحْرُوتُونَ ﴿٧٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٧٣﴾ أَذْخَلُوا الْجَنَّةَ أَتَمَّ وَأَزْوَاجُهُمْ مُتَّحِرُونَ ﴿٧٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٥﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٧﴾

﴿الشَّيْطَانُ﴾، عن دين الله، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

[٦٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾، بالنسبة، ﴿وَلَأُتِّينَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾، من أحكام التوراة، قال قتادة: يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا على أمر عيسى. قال الزجاج: الذي جاء به عيسى في الإنجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه، وبين لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه. ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْيَّاءَ اللَّهِ﴾.

[٦٤-٦٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكُمْ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾. ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ﴾. هَلْ يَنْظُرُونَ، هل ينتظرون، ﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾، يعني أنها تأتيهم لا محالة فكانهم ينتظرونها، ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾، فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

[٦٧] ﴿الْأَخْلَاءُ﴾، على المعصية في الدنيا، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، يوم القيامة، ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، إلا المتحابين في الله عز وجل على طاعة الله عز وجل.

[٦٨، ٦٩] ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْيَوْمَ وَلَا أُنْصِرُ تَحْرُوتُونَ﴾، أي يقال لهم يا عبادي، ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْيَوْمَ وَلَا أُنْصِرُ تَحْرُوتُونَ﴾، الذين آمنوا بآياتنا، فيأيأس الناس منها غير المسلمين.

[٧٠] ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْيَوْمَ وَلَا أُنْصِرُ تَحْرُوتُونَ﴾، تسرون وتنعمون.

[٧١] ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْيَوْمَ وَلَا أُنْصِرُ تَحْرُوتُونَ﴾، جمع صحيفة وهي القصعة الواسعة، ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾، جمع كوب وهو إناء مستدير مدور الرأس لا عرى لها، ﴿وَفِيهَا﴾، أي في الجنة، ﴿مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٧٢، ٧٣] ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٧٤-٧٦] ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾، المشركين، ﴿فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾. لَا يُفَرِّقُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسَوُونَ وَمَا

ظَنَّهُمْ أَنَّهُمْ أَكْبَرُ مِنْهُمْ ظَالِمِينَ ٥ وَكَادُوا يَمْلِكُونَ، يدعون خازن النار، ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْيَوْمَ وَلَا أُنْصِرُ تَحْرُوتُونَ﴾، ليمتنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد ألف سنة، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ تُكَلِّمُونَ﴾، مقيمون في العذاب.

[٧٨] ﴿قَالَ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ﴾، يقول أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِحَقِّ كَذِبُونَ﴾.

[٧٩] ﴿قَالَ كَيْفَ تَأْمُرُونَ﴾، أحكموا ﴿أَمْرًا﴾، في المكر برسول الله ﷺ، ﴿وَأَنْ مَبْرُومُونَ﴾، محكمون أمراً في مجازاتهم، قال مجاهد: إن كادوا شراً كدتهم مثله.

[٨٠، ٨١] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾، ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم، ﴿بَلَى﴾، نسمع ذلك ونعلم، ﴿وَرُسُلَنَا﴾ أيضاً من الملائكة يعني الحفظة، ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُوبُونَ﴾.

قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ، يعني إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم، فأنا أول من عبده بأنه واحد لا شريك له ولا ولد. قال ابن عباس: (إن كان) أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين الشاهدين له بذلك، جعل (إن) بمعنى الجحد. قال السدي: معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك، ولكن لا ولد له. وقيل: العابدين بمعنى الآنفين، يعني أول الجاحدين والمنكرين لما قلتهم. ويقال: معناه أنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد، يقال: عبد يعبد - إذا أنف أو غضب - عبداً. وقال قوم: قل ما يقال: عَبْدَ فهو عابد، إنما يقال: عَبْدَ فهو عَبْدٌ.

[٨٢] ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عما يقولون من الكذب.

[٨٣] ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا﴾، في باطلهم، ﴿وَيَلْعَبُوا﴾، في دنياهم، ﴿حَقًّا يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، يعني يوم القيامة.

[٨٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾، قال قتادة: يُعبد في السماء وفي الأرض لا إله إلا هو، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾، في تدبير خلقه، ﴿الْعَلِيمُ﴾، بمصالحهم.

[٨٥] ﴿وَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، قرأ ابن كثير والكسائي (يرجعون) بالياء، والآخرين بالطاء.

[٨٦] ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾، وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم عُبدوا من دون الله، ولهم الشفاعة، وعلى هذا يكون (من) في محل الرفع، وقيل: (من) في محل الخفض، وأراد بالذين يدعون عيسى وعزير والملائكة، يعني أنهم لا يملكون الشفاعة إلا لمن شهد الحق، والأول أصح، وأراد بشهادة الحق قوله لا إله إلا الله كلمة التوحيد، ﴿وَهُمْ

٤٩٥

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُتَسَاوِينَ ﴿٧٥﴾ لَا يُفَرِّغُهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٦﴾ وَمَا ظَنَنَّا لَهُمْ لَكِن كَانُواهُمْ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَقَادُوا إِلَيْنَا لِكَيْ يُفَضَّ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكَ مَدْكُوتٌ ﴿٧٧﴾ فَقَدْ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمُ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَقًّا يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

يَعْلَمُونَ، بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم. [٨٧] ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، يصرفون عن عبادته.

[٨٨] ﴿وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ﴾، يعني قول محمد ﷺ شاكياً إلى ربه يا رب، ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قرأ عاصم وحمزة (وقيله) بجر اللام والهاء على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله يا رب، وقرأ الآخرون بالنصب، وله وجهان: أحدهما معناه: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله يا رب، والثاني: وقال قيله.

[٨٩] ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾. أعرض عنهم، ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾، معناه المتاركة، كقوله تعالى: (سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين)، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، قرأ أهل المدينة والشام بالطاء، وقرأ الباقون بالياء، وقال مقاتل: نسختها آية السيف.

(٤٤) سُورَةُ الدَّخَانِ

[٣-١] ﴿حَمَّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾، قال قتادة وابن زيد: هي ليلة القدر أنزل الله القرآن في ليلة القدر من أم الكتاب إلى السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ نجوماً في عشرين سنة. وقال آخرون هي ليلة النصف من شعبان ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾.

[٤] ﴿فِيهَا﴾، أي في الليلة المباركة، ﴿يَفْرُقُ﴾، أي يفصل، ﴿كُلِّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، محكم، وقال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال حتى الحُجَّاج، يقال: يحج فلان ويحج فلان، قال الحسن ومجاهد وقتادة: يرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق، وما يكون في تلك السنة، وقال عكرمة: هي ليلة النصف من شعبان يرم فيها أمر السنة وتنسخ الأحياء من الأموات فلا يزداد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد.

[٥] ﴿أَمْرًا﴾، أي أنزلنا أمراً، ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾، قال الفراء: نُصِبَ عَلَى مَعْنَى فِيهَا يَفْرُقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ فَرَقًا وَأَمْرًا، أي نأمر أمراً ببيان ذلك. ﴿إِذْ كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾، محمداً ﷺ ومن قبله من الأنبياء.

[٦، ٧] ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، قال ابن عباس رافة مني بخلقي ونعمتي عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل. وقال الزجاج: أنزلناه في ليلة مباركة للرحمة، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، قرأ أهل الكوفة: (رب) جرّاً رداً على قوله: (من ربك)، ورفع الآخرون رداً على قوله: (هو السميع العليم)، وقيل: على الابتداء، ﴿إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ﴾، أن الله رب السموات والأرض.

سُورَةُ الدَّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَمَّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝ إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَاذْكُرْبِهِمْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُّؤْمِنُونَ ۝ أَتَى لَهُمُ الْدُكْرَىٰ وَفَجَاءَهُمُ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّجُ الْبَلَاءِ ۝ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ۝ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝ أَنْ أَدُّوا إِلَيْنَا عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝

[٨، ٩] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾، من هذا القرآن، ﴿يَلْعَبُونَ﴾ يهزؤون به لاهون عنه.

[١٠، ١١] ﴿فَاذْكُرْبِهِمْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، تقديره: هو عذاب إلهي ويجوز: أن يكون حكاية لكلامهم بما بعده، أي يقولون هذا عذاب أليم.

[١٢، ١٣] ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُّؤْمِنُونَ ۝ أَتَى لَهُمُ الْدُكْرَىٰ﴾، من أين لهم التذكر والاعتاظ؟ يقول: كيف يتذكرون ويتعظون؟ ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾، ظاهر الصدق يعني محمداً ﷺ.

[١٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾، أعرضوا عنه، ﴿وَقَالُوا مُعَلَّجُ الْبَلَاءِ﴾، أي يعلمه بشر، ﴿نَجْثُونَ﴾.

[١٥] قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾، أي عذاب الجوع ﴿قَلِيلًا﴾، أي زماناً يسيراً، قال

ليلتهم وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده، ف قيل له: اترك البحر رهوا كما هو، ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾، أخبر موسى أنه يغرقهم ليطمئن قلبه في تركه كما جاوزه، ثم ذكر ما تركوا بمصر.

[٢٦، ٢٥] فقال: ﴿كَمْ تَرَكُوا﴾، يعني بعد الغرق، ﴿مِن جَنْتٍ وَيُنُونٍ ۝ وَرُجُوعٍ وَمَقَابٍ كَرِيمٍ﴾، مجلس شريف، قال قتادة: الكريم الحسن.

[٢٧] ﴿وَنَعْمَةٍ﴾، ومتعة وعيش لين، ﴿كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾، ناعمين وفاكهين أشربين بطرين. [٢٨] ﴿كَذَلِكَ﴾، قال الكلبي: كذلك أفعّل بمن عصاني، ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ﴾، يعني بني إسرائيل.

[٢٩] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾، وذلك أن المؤمن إذا مات تبكي عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده، ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكي الأرض عليه. ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾، لم يُنظروا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها.

[٣٠] ﴿وَلَقَدْ جِئْنَا بِنِيَ إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ أَلْمِهِينَ﴾، قتل الأبناء واستحياء النساء والتعب في العمل.

[٣١، ٣٢] ﴿مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ۝ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ﴾، يعني مؤمني بني إسرائيل، ﴿عَلَىٰ عِلْرٍ﴾ بهم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، على عالمي زمانهم.

[٣٣] ﴿وَأَلَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾، قال قتادة: نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى، والنعمة التي أنعمها عليهم. قال ابن زيد: ابتلاهم بالرخاء والشدة، وقرأ (ويلوكم بالشر والخير فتنة).

[٣٤، ٣٥] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾، يعني مشركي مكة ﴿يَقُولُونَ ۝ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾، أي لا موة إلا هذه التي نموتها في الدنيا، ثم لا بعث بعدها. وهو

مقاتل: إلى يوم بدر. ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾، إلى كفركم. [١٦] ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ﴾، وهو يوم بدر، ﴿إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾، وهذا قول ابن مسعود وأكثر العلماء وقال الحسن: يوم القيامة، وروى عكرمة ذلك عن ابن عباس.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾، بلونا، ﴿قَبْلَهُمْ﴾، قبل هؤلاء، ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾، على الله وهو موسى بن عمران.

[١٨] ﴿أَن أَدُورَ إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ﴾، يعني بني إسرائيل أطلقهم ولا تعذبهم، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، على الوحي.

[١٩] ﴿وَأَن لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾، أي لا تتجبروا عليه بترك طاعته، ﴿إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ﴾، ببرهان بين على صدق قلبي، فلما قال ذلك توعدوه بالقتل.

[٢٠] فقال: ﴿وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُون﴾، أن تقتلون، وقال ابن عباس: تشتمون وتقولوا هو ساحر. وقال قتادة: ترجموني بالحجارة.

[٢١] ﴿وَإِن لَّرُؤُوسُهُمْ لِي فَاغْرُلُون﴾، فاتركوني لا معي ولا عليّ. وقال ابن عباس: فاعتزلوا أذاي باليد واللسان، فلم يؤمنوا.

[٢٢] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ﴾، مشركون فأجابه الله وأمره أن يسري.

[٢٣] فقال: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾، أي ببني إسرائيل، ﴿إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾، يتبعكم فرعون وقومه.

[٢٤] ﴿وَاتْرِكْ الْبَحرَ﴾، إذا قطعته أنت وأصحابك، ﴿رَهْوًا﴾، ساكنا على حالته وهيئته، بعد أن ضربته ودخلته، معناه لا تأمره أن يرجع اتركه حتى يدخله آل فرعون، وأصل الرهو: السكون. وقال مقاتل: معناه اترك البحر راهياً أي ساكناً، فسمي بالمصدر، أي ذا رهو. وقال كعب: اتركه طريقاً. قال قتادة: طريقاً يابساً. قال قتادة: لما قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه

قوله: ﴿وَمَا تَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾، بمبعوثين بعد موتنا.

[٣٧، ٣٦] ﴿فَأَنذَرْنَا نَارَيْنَا﴾، الذين ماتوا، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أنا نبعث أحياء بعد الموت، ثم خوفهم مثل عذاب الأمم الخالية فقال: ﴿أَهْمُ حَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعُ﴾، أي ليسوا خيراً منهم، يعني أقوى وأشد وأكثر من قوم تبع. قال قتادة: هو تبع الحميري، وكان سارَ بالجيش حتى حير الحيرة، وبني سمرقند وكان من ملوك اليمن، سُمي تبعاً لكثرة أتباعه، وكل واحد منهم يسمى تبعاً لأنه يتبع صاحبه، وكان هذا الملك يعبد النار فأسلم ودعا قومه إلى الإسلام وهم حمير، فكذبوه ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، من الأمم الكافرة ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ إِنْهُمْ كَانُوا يُجْرِمُونَ﴾.

[٣٩، ٣٨] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، قيل: يعني للحق وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾، يوم يفصل الرحمن بين العباد، ﴿بِمَقْتَدَرِهِمْ أَجْعَلُ﴾، يوافي يوم القيامة الأولون والآخرين.

[٤١] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً﴾، لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئاً، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾، لا يُمنعون من عذاب الله.

[٤٢] ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾، يريد المؤمنين فإنه يشفع بعضهم لبعض، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾، في انتقامه من أعدائه، ﴿الرَّحِيمُ﴾، بالمؤمنين.

[٤٤، ٤٣] ﴿إِنَّ شَجَرَتَ لَرْقُومٍ هِيَ طَعَاءُ آلَإِيمٍ﴾، أي ذي الإثم، وهو أبو جهل.

[٤٦، ٤٥] ﴿كَأَلْمُهْلِ﴾، وهو دردي الزيت الأسود، ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾، قرأ ابن كثير وحفص (يغلي) بالياء، جعلوا الفعل للمهل، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الشجرة، ﴿فِي الْبُطُونِ﴾ أي بطون الكفار، ﴿كَغَلِي الْحَمِيرِ﴾، كالماء الحار إذا اشتد

٤٩٧ ﴿وَأَنْ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ ﴿وَإِنِّي عَذْتُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزُّ لِي﴾ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ﴾ ﴿فَأَسْرِعْ بَعَادِي لِئَلَّا آتَاكُمْ مَتَّبِعُونَ﴾ ﴿وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ ﴿كَذَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْثُونَ﴾ ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا إِبْرَاهِيمَ مِنْ آلِ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَخْرَجْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمِنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَأَلَيْنَاهُمْ مِنَ الْأَلْبَتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ ﴿فَأَنذَرْنَا نَارَيْنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنْهُمْ كَانُوا يُجْرِمُونَ﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

غليانه.

[٤٧] قوله تعالى: ﴿خَذُوهُ﴾، أي يقال للزبانية خذوه يعني الأثيم، ﴿فَاعْتَلُوهُ﴾، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر وأبو عمرو بكسر التاء، وقرأ الباقون بضمها، وهما لغتان، أي ادفعوه وسوقوه، يقال: عتله يعتله عتلاً إذا ساقه بالعنف والدفع وال جذب، ﴿إِلَىٰ سَوَاءٍ الْجَحِيمِ﴾، وسطه.

[٤٨] ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾، قال مقاتل: إن خازن النار يضربه على رأسه فينقب رأسه عن دماغه، ثم يصب فيه ماء حميماً قد انتهى حره.

[٤٩] ثم يقال له: ﴿ذُقْ﴾، هذا العذاب، ﴿إِنَّكَ﴾، قرأ الكسائي (أنك) بفتح الألف، أي لأنك كنت تقول أنا العزيز الكريم، وقرأ الآخرون بكسرها على الابتداء، ﴿أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾،

عند قومك بزعمك، وذلك أن أبا جهل كان يقول: أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم، فقول له هذا اللفظ خزنة النار على طريق الاستهزاء والتوبيخ.

[٥٠] ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمَرُّونَ﴾ ، تشكُّون فيه
ولا تؤمنون به . ثم ذكر مستقر المتقين ، فقال :

[٥١] ﴿إِنَّ الْمُفَيَّنَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾، قرأ أهل المدينة والشام: (في مقام) بضم الميم على المصدر، أي في إقامة، وقرأ الآخرون بفتح الميم، أي في مجلس أمين، أمتوا فيه من الغير، أي من الموت ومن الخروج منه.

[٥٢-٥٤] ﴿فِي حَنْتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَرْقٍ مُتَقَلِّيلٍ ۝ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾ ، أي كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم ، ﴿يَحُورُ عَيْنٍ﴾ ، أي قرناهم بهن ليس من عقد التزويج لأنه لا يقال: زوجته بامرأة، قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجاً لهن كما يزوّج النعل بالنعل، أي جعلناهم اثنين اثنين، والهور هن النساء النقيات البيضاء. قال مجاهد: يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن. وقال أبو عبيدة: الحور هنّ شديديات بياض الأعين الشديديات سوادها واحدها أحور، والمرأة حوراء، والعين جمع العناء وهي عظيمة العينين.

[٥٥] ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾، اشتهوها، ﴿ءَامِنِينَ﴾، من نقادها ومن مضرتها. وقال قتادة: آمنين من الموت والأوصاب والشياطين.

[٥٦] ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾، أي سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، وقيل: إنما استثنى الموتة الأولى وهي في الدنيا من موت في الجنة لأن السعداء حين يموتون يصيرون بلطف إلى أسباب الجنة، يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم في الجنة، فكان موتهم في الدنيا كأنهم في الجنة لاتصلهم [بأسبابها] ومشاهدتهم إياها. ﴿وَوَقَّهْمُ عَذَابُ الْجَحِيمِ﴾.

٤٩٨

إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يَغْنَىٰ مَوْلَىٰ
عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ
إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾
طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ
الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَأَعْيَتُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾
يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَنَكِهَةٍ أَمِينٍ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ
إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا
مِنْ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِاسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْقِطْ إِنَّهُمْ مُّرْتَضُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الْجَنَّةِ

[٥٧] ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾، أي فعل ذلك بهم
فضلاً منه، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٥٨] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾، سهّلنا القرآن كناية عن غير مذكور، ﴿بِلِسَانِكَ﴾، على لسانك، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، يتعظون.

﴿٥٩﴾ ﴿فَارْتَبِّ﴾، فانتظر النصر من ربك. وقيل: فانتظر لهم العذاب، ﴿إِنَّهُمْ مُّرْتَبُونَ﴾، منتظرون قهرك بزعمهم.

(٤٥) سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

﴿١٤-٤﴾ حمّ ۝ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ ۝، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب (آيات) (وَصَرِيف الرِّيَّاحِ آيَات) بكسر

سورة العنكبوت

٤٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝١ نَزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَانٍ ۝٤ آيَاتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ رِّزْقٍ فَأَخْبَاهُ الْأَرْضُ بِعَدْمِهَا وَتَصَرَّفَ الرِّيحُ ۝٦ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ۝٧ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ۝٨ وَبِئْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٩ سَمِعَ آيَاتِ
اللَّهِ تُنَلِّىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُ مُسْتَكْبِرًا ۝١٠ كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرَةً لِّعِبَادٍ أَلِيمٍ
۝١١ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَ هَازِلًا ۝١٢ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ۝١٣ مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٤ هَٰذَا
هُدًى وَلَٰذِينَ كَفَرُوا يُزَادُ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ ۝١٥ مِّنْ رِّجْزٍ أَلِيمٍ ۝١٦
اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ
فَضْلِهِ ۝١٧ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٨ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۝١٩ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢٠

التاء فيهما ردًا على قوله: (آيات) وهو في موضع
النصب، وقرأ الآخرون برفعهما على الاستئناف
على أن العرب تقول إن لي عليك مالًا وعلى أخيك
مال، ينصبون الثاني ويرفعونه، ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾،
أنه لا إله غيره.

[٥] ﴿فَأَخْبَاهُ الْأَرْضُ بِعَدْمِهَا وَتَصَرَّفَ الرِّيحُ﴾
يَرْفِقُ، يعني الغيث الذي هو سبب أرزاق العباد،
﴿وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِّزْقٍ فَأَخْبَاهُ الْأَرْضُ بِعَدْمِهَا وَتَصَرَّفَ الرِّيحُ﴾.

[٦] ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾،
يريد هذا الذي قصصنا عليك من آيات الله نقصها
عليك بالحق، ﴿مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾، بعد كتاب
الله، ﴿وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِّزْقٍ فَأَخْبَاهُ الْأَرْضُ بِعَدْمِهَا وَتَصَرَّفَ الرِّيحُ﴾،
والكسائي وأبو بكر ويعقوب: (تؤمنون) بالتاء على
معنى قل لهم يا محمد فبأي حديث تؤمنون، وقرأ
الآخرون بالياء.

[٧] ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، كذاب صاحب إثم
يعني النضر بن الحارث.

[٨، ٩] ﴿سَمِعَ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلِّىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُ مُسْتَكْبِرًا ۝١٠ كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرَةً لِّعِبَادٍ أَلِيمٍ﴾
﴿كَانَ فِي أُذُنِهِ وَقَرَا﴾، ﴿فَبَشِيرَةً لِّعِبَادٍ أَلِيمٍ﴾
﴿وَقَرَا فِي أُذُنِهِ وَقَرَا﴾، قال مقاتل: من القرآن ﴿وَقَرَا﴾
﴿أَخَذَ هَازِلًا ۝١٢ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، وذكر بلفظ
الجمع ردًا إلى كل في قوله: (لكل أفَّاك أثيم).

[١٠] ﴿مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾، أمامهم، ﴿جَهَنَّمُ﴾، يعني
أنهم في الدنيا ممتعون بأموالهم ولهم في الآخرة
النار يدخلونها، ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا﴾، من
الأموال، ﴿شَيْئًا وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ﴾، ولا
ما عبدوا من دون الله من الآلهة، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ﴾.

[١١] ﴿هَٰذَا﴾، يعني هذا القرآن، ﴿هُدًى﴾،
بيان من الضلالة، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُزَادُ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ ۝١٥ مِّنْ رِّجْزٍ أَلِيمٍ﴾.

[١٢، ١٣] ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ الْفُلُكُ﴾

فيه بأمره، ولتبتغوا من فضله، ولعلكم تشكرون ۝ وسخر لكم ما
في السموات وما في الأرض، ومعنى تسخيرها أنه
خلقها لمنافعنا، فهو مسخر لنا من حيث إنا نستفيع
به، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا﴾، قال ابن
عباس: جميعًا منه كل ذلك رحمة منه. قال
الزجاج: كل ذلك تفضل منه وإحسان. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

[١٤] ﴿قُلِ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ
الْحَيَاةِ﴾، أي لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته،
قال ابن عباس ومقاتل: نزلت في عمر بن الخطاب
رضي الله عنه، وذلك أن رجلًا من بني غفار شتمه
بمكة فهم عمر رضي الله تعالى عنه أن يبطش به،
فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يعفو عنه. وقال
القرطبي والسدي: نزل في أناس من أصحاب
رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية ثم نسخها آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمُ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ وَءَاتَيْنَاهُم بَيْنَتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِّن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا يَنهَهُمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾ هَذَا صِرَاطٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُم كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٣﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٤﴾

القتال. ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ﴿لنجزى﴾ بالنون، قرأ الآخرون بالياء، أي ليجزي الله، وقرأ أبو جعفر (ليجزى) بضم الياء الأولى وسكون الثانية وفتح الزاي، قال أبو عمرو: وهو لحن. قال الكسائي: معناه ليجزي الجزاء قوماً، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[١٦، ١٧] ﴿مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمُ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾، التوراة، ﴿وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، الحلالات يعني المن والسلوى، ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ أي عالمي زمانهم، قال ابن عباس: لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب إليه منهم.

[١٧] ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾، يعني العلم بمبعث محمد ﷺ وما بين لهم من أمره، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِّن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا يَنهَهُمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾، يا محمد ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾، سنة وطريقة بعد موسى، ﴿مِّنَ الْأَمْرِ﴾، من الدين، ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يعني مراد الكافرين، وذلك أنهم كانوا يقولون له ارجع إلى دين آبائك، فإنهم كانوا أفضل منك.

[١٩] فقال جل ذكره: ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئاً إن اتبعت أهواءهم، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٢٠] ﴿هَذَا﴾، يعني القرآن، ﴿بَصَائِرُ﴾، معالم، ﴿لِلنَّاسِ﴾، في الحدود والأحكام يبصرون بها، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

[٢١] ﴿أَمْ حَسِبَ﴾، بل حسب، ﴿الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾، اكتسبوا المعاصي والكفر ﴿أَن نَّجْعَلَهُم كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، نزلت في نفر من مشركي مكة، قالوا للمؤمنين: لئن كان ما تقولون

حقاً لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا، ﴿سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب (سواء) بالنصب أي نجعلهم سواء، يعني أحسبوا أن حياة الكافرين ﴿وَمَمَاتُهُمْ﴾ كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر أي محياهم ومماتهم سواء فالضمير فيهما يرجع إلى المؤمنين والكافرين جميعاً، معناه المؤمن مؤمن محياه ومماته أي في الدنيا والآخرة والكافر كافر محياه ومماته في الدنيا والآخرة، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، بس ما يقضون.

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

[٢٣] ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾، قال ابن عباس والحسن وقتادة: معناه ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركه لأنه لا يؤمن بالله

الْحَقُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

٥٠١

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا
إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا نُفِثَ
عَلَيْهِمْ نَبْتُنَا يَنْبِتْ مَا كَانُوا يُحِبُّونَ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُوبَاتُ يَا أَيُّهَا
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٦﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ
الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمَبْطُلُونَ
﴿٢٨﴾ وَرَأَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ هَذَا كِتَابُنَا يُطِيقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ
مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٠﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣١﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
تُجْرِمُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذْ قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ
مَا نَنْدَرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا أَطْنَاءَ مَا نَحْنُ مُسْتَقْبِرِينَ ﴿٣٣﴾

ولا يخافه، ولا يحرم ما حرم الله. وقال الآخرون:
معناه اتخذ معبوده هواه فيعبد ما تهواه نفسه. قال
سعيد بن جبير: كانت العرب يعبدون الحجارة
والذهب والفضة، فإذا وجدوا شيئاً أحسن من
الأول رموه وكسروه، وعبدوا الآخر. قال الشعبي:
إنما سُمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه في النار،
﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، منه بعاقبة أمره وقيل على ما
سبق في عمله أنه ضال قبل أن يخلقه، ﴿وَخَتَمَ﴾،
طبع، ﴿عَلَىٰ سَمْعِهِ﴾ فلم يسمع الهدى، ﴿وَقَلْبِهِ﴾،
فلم يعقل الهدى، ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًوَةً﴾، قرأ
حمزة والكسائي غشوة بفتح الغين وسكون الشين،
والباقون غشاوة ظلمة فهو لا يبصر الهدى، ﴿فَمَنْ
يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾، أي فمن يهديه بعد أن أضله
الله، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

[٢٤] ﴿وَقَالُوا﴾، يعني منكري البعث، ﴿مَا هِيَ
إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾، أي ما الحياة إلا حياتنا الدنيا،
﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، أي يموت الآباء ويحيا الأبناء،
وقال الزجاج: يعني نموت ونحيا، فالواو
للاجتماع، ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، أي وما يقيننا إلا
مرُّ الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار.
﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾، أي الذي قالوه، ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾، أي
لم يقولوه عن علم، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

[٢٥-٢٧] ﴿وَإِذَا نُفِثَ عَلَيْهِمْ نَبْتُنَا يَنْبِتْ مَا كَانُوا يُحِبُّونَ﴾
إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُوبَاتُ يَا أَيُّهَا كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٥ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ٥ أي ليوم القيامة،
﴿لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٥ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ
الْمَبْطُلُونَ﴾، يعني الكافرين هم أصحاب الأباطيل،
يظهر في ذلك اليوم خسرانهم بأن يصيروا إلى النار.

[٢٨] ﴿وَرَأَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِئَةً﴾، باركة على الركب
وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء
من الله، قال سلمان الفارسي: إن في القيامة ساعة
هي عشر سنين يختر الناس فيها جثاة على ركبهم

حتى إبراهيم عليه السلام ينادي ربه لا أسألك إلا
نفسي. ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾، الذي فيه أعمالها،
ويقال لهم، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٢٩] ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾، يعني ديوان الحفظه. ﴿يُطِيقُ
عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾، يشهد عليكم ببيان شاف، فكانه
ينطق. وقيل: المراد بالكتاب اللوح المحفوظ. ﴿إِنَّا
كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، أي تأمر الملائكة
بنسخ أعمالكم، أي بكتبتها وإثباتها عليكم. وقيل
تستنسخ أي تأخذ نسخه، وذلك أن الملكين يرفعان
عمل الإنسان فيثبت الله منه ما كان له فيه ثواب أو
عقاب، ويطرح منه الغلو نحو قولهم هلم واذهب،
وقيل: الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ
الملائكة كل عام ما يكون أعمال من بني آدم،
والاستنساخ لا يكون إلا من أصل، فينسخ كتاب من
كتاب. وقال الضحاك: تستنسخ أي يثبت. وقال

السدي: تكتب. وقال الحسن: تحفظ.

[٣٠] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَةٍ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾، الظفر الظاهر.

[٣١] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يقال لهم، ﴿فَأَعْتَرَ تَكُنَّ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاستَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾، متكبرين كافرين.

[٣٢] ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾، قرأ حمزة: (والساعة) نصب عطفها على الوعد وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء، ﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾، أي ما نعلم ذلك إلا حدسًا وتوهمًا. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ﴾، أنها كائنة.

[٣٣] ﴿وَبَدَأْتُمْ﴾ في الآخرة، ﴿سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا﴾، في الدنيا أي جزاؤها ﴿وَإِنَّمَا كَانُوا بِهِمْ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[٣٤، ٣٥] ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمُ﴾، نترككم في النار، ﴿كَأَنِّي سَمِعْتُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾، تركتم الإيمان والعمل للقاء هذا اليوم، ﴿وَمَا وَدَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ ذلكم بأنكم أنفدتم آيات الله هزؤا وعزفكم الحيوة الدنيا، حتى قلتم: لا بعث ولا حساب، ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾، قرأ حمزة والكسائي بفتح الباء وضم الراء، وقرأ الآخرون بضم الباء وفتح الراء، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾، لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله، لأنه لا يقبل ذلك اليوم عذرًا ولا توبة.

[٣٦، ٣٧] ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وله الكبرياء، العظمة، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

(٤٦) سُورَةُ الْأَحْقَافِ

[٣-١] ﴿حَمْدٌ ۝ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۝﴾، يعني يوم القيامة وهو الأجل الذي

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

٥٠٢

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

وَبَدَأْتُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٦﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمُ كَأَنِّي سَمِعْتُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَا وَدَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ذَلِكَ بِمَا كَانُوا أَتَعَذَّتُمُ ءَايَاتِ اللَّهِ هَزُؤًا وَعَزَفْتُمْ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٨﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٩﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَّاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَقُولِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا أَتُنَقِّرُ مِنْ عَلَمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْفَاسِخَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

تنتهي إليه السموات والأرض، وهو إشارة إلى فنائهما، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا﴾، خوفوا به في القرآن من البعث الحساب، ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

[٤] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَقُولِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا﴾، أي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون، ﴿أَوْ أَتُنَقِّرُ مِنْ عَلَمٍ﴾، قال الكلبي: أي بقية من علم يؤثر على الأولين، أي يسند إليهم. قال مجاهد وعكرمة ومقاتل: رواية عن الأنبياء وقال قتادة: خاصة من علم. وأصل الكلمة من الأثر وهو الرواية، يقال: أثرت الحديث أثرًا وأثارة، ومنه قيل للخبر: أثر. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

[٥] ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْفَاسِخَةِ﴾، يعني الأصنام لا تجيب عابديها إلى

الْحَقُّ لَمْ يَأْتِ

٥٠٣

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُتِلَتْ عَلَيْهِمْ أَنِ اتَّبِعُوا قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَجَاءٌ هُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْعِلُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدَعَا مِنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَنِيعَ إِلَّا مَا يُوْحِي إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَقَامَ مَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا أَفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمَنْ قَبْلَهُ كُتِبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كُتِبَ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا يُنْذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

الآية، وأنزل: (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً)، فبين الله تعالى ما يفعل به وبهم وقالت جماعة: قوله (وما أدري ما يفعل بي وبكم) في الدنيا، أما في الآخرة فقد علم أنه في الجنة، وأن من كذبه فهو في النار، ثم اختلفوا فيه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ رأى رسول الله ﷺ فيما يرى النائم وهو بمكة أرضاً ذات سبخ ونخل رفعت له يهاجر إليها، فقال له أصحابه: متى تهاجر إلى الأرض التي أريت فسكت، فأنزل الله تعالى هذه الآية: (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم)، أترك في مكاني أم أخرج أنا وأنتم إلى الأرض التي رفعت لي، وقال بعضهم: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إلى ماذا يصير عاقبة أمري وأمركم في الدنيا، بأن أقيم معكم في مكانكم أم أخرج كما خرجت

شيء يسألونها، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾، يعني أبداً ما دامت الدنيا، ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفُوتُونَ﴾، لأنها جماد لا تسمع ولا تفهم.

[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾، جاحدين بيانه قوله: (تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون).

[٧] ﴿وَإِذَا نُتِلَتْ عَلَيْهِمْ أَنِ اتَّبِعُوا قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، يسمون القرآن سحراً.

[٨] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾، محمد من قبل نفسه، فقال الله عز وجل: ﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، لا تقدرون أن تردوا عني عذابه إن عذبتني على افترائي، فكيف أفترى على الله من أجلكم، ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾، الله أعلم، ﴿بِمَا تُفْعِلُونَ فِيهِ﴾، تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه إنه سحر. ﴿كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، أن القرآن جاء من عنده، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، في تأخير العذاب عنكم، قال الزجاج: هذا دعاء لهم إلى التوبة، معناه: إن الله عز وجل غفور لمن تاب منكم رحيم به.

[٩] ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ﴾، أي لست بأول مرسل، قد بعث قبلي كثير من الأنبياء، فكيف تنكرون نبوتي. ﴿وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾، اختلف العلماء في معنى هذه الآية، فقال بعضهم: معناه ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة، فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون، فقالوا: واللوات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله إلا واحد، وما له علينا من مزية وفضل، ولولا أنه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعل به، فأنزل الله: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)، فقالت الصحابة: هنيئاً لك يا نبي الله قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات)

يدعوننا إليه محمد خيراً ما سبّقنا إليه فلان وفلان.
وقال الكلبي: الذين كفروا أسد وغطفان، قالوا
للذين آمنوا يعني جهينة ومزينة: لو كان ما جاء به
محمد خيراً ما سبّقنا إليه رعاء البهم: قال الله
تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾، يعني بالقرآن كما
اهتدى به أهل الإيمان، ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ
قَدِيرٌ﴾، كما قالوا أساطير الأولين.

[١٢] ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي ومن قبل القرآن،
﴿كَتَبْتُ مُوسَى﴾، يعني التوراة، ﴿إِمَامًا﴾، يقتدى
به، ﴿وَرَحْمَةً﴾، من الله لمن آمن به ﴿وَهَذَا كِتَابٌ
مُصَدِّقٌ﴾، أي القرآن مصدق للكتب التي قبله،
﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾، نصب على الحال، وقيل: بلسان
عربي، ﴿لِنُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعني مشركي
مكة، قرأ أهل الحجاز والشام ويعقوب: ﴿لِنُنْذِرَ﴾
بالتاء على خطاب النبي ﷺ، وقرأ الآخرون
بالباء يعني الكتاب، ﴿وَنُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾،
﴿وَنُشْرَى﴾ في محل الرفع، أي هذا كتاب مصدق
وبشرى.

[١٣، ١٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا فَلَا
خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٥] قوله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾، يريد شدة
الطلق ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ﴾، فطامه ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾،
يريد أقل مدة الحمل وهي ستة أشهر وأكثر مدة
الرضاع أربعة وعشرون شهراً، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ
أَشَدُّهُ﴾، نهاية قوته، وغاية شبابه واستوائه، وهو ما
بين ثماني عشرة سنة إلى أربعين سنة، فذلك قوله:
﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ وقال السدي والضحاك: نزلت
في سعد بن أبي وقاص، وقد مضت القصة. وقال
الآخرون: نزلت في أبي بكر الصديق وأبيه أبي
قحافة عثمان بن عمرو، وأمه أم الخير بنت صخر
ابن عمرو. قال علي بن أبي طالب: الآية نزلت في

الأنبياء من قبلي، أم أقتل كما قتل الأنبياء من
قبلي، وأنتم أيها المصدّقون لا أدري تخرجون معي
أم تتركون، أم ماذا يفعل بكم أيها المكذبون،
أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم، أي
شيء يفعل بكم، كما فعل بالأمم المكذبة؟ ثم أخبر
الله عز وجل أنه يظهر دينه على الأديان، فقال:
(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله)، وقال في أمته: (وما كان الله
ليعذبهم وأنّ فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون)، فأخبر الله ما يصنع به وبأمته ﴿إِنْ أَتَيْتُ
إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، أي ما أتبع إلا القرآن، ولا أبتدع
من عندي شيئاً، ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

[١٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾، معناه: أخبروني ماذا
تقولون، ﴿إِنْ كَانُ﴾، يعني القرآن، ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَكُفِّرْتُمْ بِهِ﴾، أيها المشركون، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي
إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾، المثل: صلة يعني عليه، أي
على أنه من عند الله، ﴿فَأَمِنَ﴾، يعني الشاهد،
﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾، عن الإيمان به واختلفوا في هذا
الشاهد قال قتادة والضحاك: هو عبدالله بن سلام،
شهد على نبوة المصطفى ﷺ وآمن به، واستكبر
اليهود فلم يؤمنوا. وقال الآخرون: الشاهد هو
موسى بن عمران. وقال الشعبي قال مسروق في
هذه الآية: والله ما نزلت في عبدالله بن سلام، لأن
حم نزلت بمكة وإنما أسلم عبدالله بن سلام
بالمدينة، ونزلت هذه الآية في محاجة كانت من
رسول الله ﷺ لقومه، ومثل القرآن التوراة فشهد
موسى على التوراة ومحمد ﷺ على القرآن، وكل
واحد يصدق الآخر. وقيل: هو نبي من بني
إسرائيل فأمن واستكبرتم فلم تؤمنوا.

[١١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من اليهود،
﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانُ﴾، دين محمد ﷺ، ﴿خَيْرًا مَّا
سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾، يعني عبدالله بن سلام وأصحابه،
وقال قتادة نزلت في مشركي مكة، قالوا: لو كان ما

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

٥٠٤

الْأَحْقَافِ

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
 كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ
 أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
 عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي
 ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
 نَقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
 الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقُ الَّذِي كَانُوا يَعْدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ
 لَوْلَايَ أَفِي لَكُمْ أَنْتُمْ عَادُوا أَنْ آخُرَ أَفْجَاءَ وَوَعَدَ اللَّهُ حَقًّا قَوْلُهُ
 قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِغِيانِ اللَّهَ وَلَيْكَلَّ آمِنًا وَوَعَدَ اللَّهُ حَقًّا قَوْلُهُ
 مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأُولِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
 الْقَوْلُ فِي أُمُورِهِمْ فَكَذَّبُوا عَنْ قُلُوبِهِمْ وَأَلَّاسٌ لِّاتِهِمْ كَانُوا
 خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ
 لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ نَعْرُضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبَتْكُمْ طِينَتُكُمْ
 فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمَنَعْتُمْ بِهَا فَاَلْيَوْمَ يُحْزَنُونَ عَذَابُ الْهُونِ
 بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَيَا كُنْتُمْ تَقْسِفُونَ ﴿٢٠﴾

في عبدا لله . وقيل في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل
 إسلامه كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام وهو يأبى ،
 ويقول: أحيوا لي عبدا لله بن جدعان وعامر بن
 كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون ،
 وأنكرت عائشة رضي الله عنها أن يكون هذا في
 عبد الرحمن بن أبي بكر ، والصحيح أنها نزلت في
 كافر عاق لوالديه ، قاله الحسن وقتادة ، وقال
 الزجاج: قول من قال إنها نزلت في عبد الرحمن
 ابن أبي بكر قبل إسلامه ، يطله قوله :

[١٨] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الآية ،
 أعلم الله تعالى أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة
 العذاب ، وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين
 فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب ، ومعنى
 أولئك الذين حقت عليهم القول وجب عليهم
 العذاب ، مع أمم ،

أبي بكر أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من
 المهاجرين أسلم أبواه غيره ، أوصاه الله بهما ، ولزم
 ذلك من بعده ، وكان أبو بكر صاحب النبي ﷺ وهو
 ابن ثماني عشرة سنة والنبي ﷺ ابن عشرين سنة في
 تجارة إلى الشام ، فلما بلغ أربعين سنة ونُبئ النبي
 ﷺ آمن به ودعا ربه ف ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ ، ألهمني ،
 ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ ،
 بالهداية والإيمان ، ﴿وَأَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ ، قال
 ابن عباس : وأجابه الله عز وجل فأعتق تسعة من
 المؤمنين يعذبون في الله ، ولم يرد شيئا من الخير
 إلا أعانه الله عليه ، ودعا أيضا فقال : ﴿وَأَصْلِحْ لِي
 فِي ذُرِّيَّتِي﴾ ، فأجابه الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا
 جميعاً ، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً
 فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ وابنه أبو بكر وابنه عبد
 الرحمن بن أبي بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق
 كلهم أدركوا النبي ﷺ ، ولم يكن ذلك لأحد من
 الصحابة . قوله : ﴿وَتُبْتُ إِلَيْكَ رَبِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ .

[١٦] ﴿وَتُبْتُ إِلَيْكَ رَبِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ،
 يعني أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا ،
 وكلها حسن ، والأحسن بمعنى الحسن ، فيثيبهم
 عليها ، ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ ، فلا نعاقبهم عليها
 ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ ، مع أصحاب الجنة ، ﴿وَعَدَّ
 الصَّدَقُ الَّذِي كَانُوا يَعْدُونَ﴾ ، وهو قوله عز وجل :
 (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من
 تحتها الأنهار) .

[١٧] ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِي لَكُمْ أَنْتُمْ عَادُوا أَنْ آخُرَ أَفْجَاءَ﴾ ، إذ دعواه إلى
 الإيمان بالله والإقرار بالبعث ، ﴿أَفِي لَكُمْ﴾ ، وهي
 كلمة كراهية ، ﴿تَعْدُونَ أَنْ آخُرَ أَفْجَاءَ﴾ ، من قبري حيا ،
 ﴿وَعَدَّ الصَّدَقُ الَّذِي كَانُوا يَعْدُونَ﴾ ، فلم يبعث منهم أحد ،
 ﴿وَهُمَا يَسْتَفِغِيانِ اللَّهَ﴾ ، يستصرخان ويستغنيان الله
 عليه ويقولان له : ﴿يَا رَبِّ اجْعَلْ لَنَا آيَةً﴾ ،
 ﴿هَذَا﴾ ، ما هذا الذي تدعواني إليه ،
 ﴿لَاؤَيْنَ﴾ ، قال ابن عباس والسدي ومجاهد: نزلت

مَنْ لَيْعِنَ وَالْإِنْسَ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٩﴾

[١٩] ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتْ مِمَّا عَمِلُوا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد من سبق إلى الإسلام، فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو بساعة. قال مقاتل: ولكل فضائل بأعمالهم فيوفيه الله جزاء أعمالهم. وقيل: ولكل يعني ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين درجات، يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم، فيجازيهم عليها. قال ابن زيد: في هذه الآية درج أهل النار تذهب سفلاً، ودرج أهل الجنة تذهب علواً. ﴿وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ﴾، ليكتمل لهم ثواب أعمالهم، ﴿وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾، فيقال لهم، ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: (أأذهبتم)، بالاستفهام، ويهزم ابن عامر همزتين، والآخرين بلا استفهام على الخبر وكلاهما فصيحان، لأن العرب تستفهم بالتوبيخ، وترك الاستفهام فتقول: أذهبت ففعلت كذا؟ ﴿وَأَسْتَنْعَمْتُمْ بِهَا﴾، يقول: أذهبت طيباتكم يعني اللذات وتمتعتم بها ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾، أي العذاب الذي فيه ذل وخزي، ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، تتكبرون، ﴿فِي الْأَرْضِ بَغْيَ الْحَقِّ وَإِذَا كُنْتُمْ تُفْسِقُونَ﴾، فلما وبخ الله الكافرين بالتمتع بالطيبات في الدنيا أثر النبي ﷺ وأصحابه والصالحون اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة.

[٢١] قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرُوا مَا عَمِلُوا﴾، يعني هوداً، ﴿إِذْ أَنْذَرْتُمْ قَوْمَهُمْ بِالْأَحْقَافِ﴾، قال ابن عباس: الأحقاف واد بين عُمان ومهرة. وقال مقاتل: كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له: مهرة، وإليها تنسب الإبل المهرية، وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم. قال قتادة: ذكر لنا

سورة الأحقاف

٥٥

سورة الأحقاف

﴿وَأَذْكُرُوا مَا عَمِلُوا﴾ إِذْ أَنْذَرْتُمْ قَوْمَهُمْ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذِيرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۖ أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢٢﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَّكِفَ عَنْ آلِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا تَعْبُدُونَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَىكُمْ قَوْمًا بَٰجِلُونَ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّا لَا مُسْتَكِنَ لَهُمْ كَذَلِكَ يُجْزَى الْقَوْمُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ مَكَنْتُمْ فِي مَاءِ كُنَّ كَمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْهَمَ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْهَمُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ ﴿٢٧﴾ بَاتَيْنَا لِلَّهِ وَحَافٍ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا آيَاتِنَا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَكَرْكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْرُقُونَ ﴿٣٠﴾

أن عادًا كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر. والأحقاف جمع حقف وهي المستطيل المعوج من الرمال. قال ابن زيد: هي ما استطال من الرمل، كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلاً، قال الكسائي: هي ما استدار من الرمال، ﴿وَقَدْ خَلَّتِ النَّذِيرُ﴾، مضت الرسل، ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، أي من قبل هود، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾، إلى قومهم، ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[٢٢] ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَّكِفَ﴾، لتصرفنا، ﴿عَنْ آلِهَتِنَا﴾، أي عن عبادتها، ﴿فَإِنَّا بِمَا تَعْبُدُونَ﴾، أن من العذاب، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، أن العذاب نازل بنا.

[٢٣] ﴿قَالَ﴾، هود، ﴿إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، وهو يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾،

من الوحي إليكم، ﴿وَلَكَيْفَ أَنْذَرْتُمْ قَوْمًا فَجَهُلُونَ﴾. [٢٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾، يعني ما يُوعَدُونَ به من العذاب، ﴿عَارِضًا﴾، سحابًا يعرض أي يبدو في ناحية من السماء ثم يطبق السماء، ﴿مُتَّعِلًا أَوْدِيَّتِهِمْ﴾، فخرجت عليهم سحابة سوداء من وادٍ لهم يقال له: المغيث، وكانوا قد حبس عنهم المطر، فلما رأوها استبشروا، ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطِيرٌ﴾، يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فجعلت الريح تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جردة.

[٢٥] ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾، مرت به من رجال عاد وأموالها، ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾، فأول ما عرفوا أنها عذاب رأوا ما كان خارجًا من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت أبوابهم وصرعتهم، وأمر الله الريح فأمالت عليهم الرمال، وكانوا تحت الرمل سبع ليالٍ وثمانية أيام، لهم أنين، ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم في البحر ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾، قرأ عاصم وحزمة ويعقوب (يُرى) بضم الياء (مسكنهم) برفع النون يعني لا يرى شيء إلا مسكنهم، وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها، (مسكنهم) نصب يعني لا ترى أنت يا محمد إلا مسكنهم لأن السكان والأنعام بادت بالريح، فلم يبق إلا هود ومن آمن معه. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيْمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ﴾، يعني فيما لم نمكنكم فيه من قوة الأبدان وطول العمر وكثرة المال. قال المبرد: (ما) في قوله (فيما) بمنزلة الذي، (إن) بمنزلة ما، وتقديره: ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ

مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوَّلَكُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿مِنْ الْفُرَى﴾، كحجر ثمود وأرض سدوم ونحوهما، ﴿وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ﴾ الحجج والبيانات، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، عن كفرهم فلم يرجعوا، فأهلكناهم، يخوف مشركي مكة.

[٢٨] ﴿فَلَوْلَا﴾، فهلا ﴿نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾، يعني الأوثان التي اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله عز وجل، القربان كل ما يتقرب به إلى الله عز وجل، وجمعه قربابين، كالرهبان والرهابين، ﴿بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ﴾، قال مقاتل بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب، ﴿وَذَلِكَ إِنْكُهُمْ﴾، أي كذبهم الذي كانوا يقولون: إنها تقربهم إلى الله عز وجل وتشفع لهم، ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾، يكذبون أنها آلهة.

[٢٩] ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ﴾، اختلفوا في عدد ذلك النفر، فقال ابن عباس: كانوا سبعة من جن نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلا إلى قومهم. وقال آخرون: كانوا تسعة. وروى عاصم عن زر بن حبیش: كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن. ﴿فَلَمَّا خَصَّوْهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾، قالوا: صه. قال بعضهم لبعض: أنصتوا واسكتوا لنستمع إلى قراءته، فلا يحول بيننا وبين الاستماع شيء، فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم، ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾، فرغ من تلاوته، ﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ﴾، انصرفوا إليهم، ﴿مُنْذِرِينَ﴾، مخوفين داعين بأمر رسول الله ﷺ.

[٣٠] ﴿قَالُوا يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ﴾، قال عطاء: كان دينهم اليهودية، لذلك قالوا: إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسى.

[٣١] ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾، يعني محمدًا

﴿وَأَمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، (من) صلة أي ذنوبكم، ﴿وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ آلِيمٍ﴾ وفيه دليل على أنه ﷺ كان مبعوثاً إلى الجن والإنس جميعاً. قال مقاتل: لم يبعث قبله نبي إلى الإنس والجن جميعاً. واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن، فقال: ليس لهم ثواب إلا نجاتهم من النار، وحكى سفيان عن ليث قال: الجن ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم كونوا تراباً، وهذا مثل البهائم. وقال الآخرون: يكون لهم الثواب في الإحسان كما يكون عليهم العقاب في الإساءة كالإنس. وقال جرير عن الضحاك: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون. وقال عمر بن عبد العزيز: إن مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها.

[٣٢] ﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾، لا يعجز الله فيفوته، ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾، أنصار يمنونهم من الله، ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

[٣٣] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾، لم يعجز عن إبداعهن، ﴿بِقَدِيرٍ﴾، هكذا قراءة العامة، واختلفوا في وجه دخول الباء فيه، فقال أبو عبيدة والأخفش: الباء زائدة للتأكيد، كقوله: (تنبت بالدهن)، وقال الكسائي والفراء: العرب تدخل الباء في الاستفهام مع الجحد فتقول: ما أظنك بقائم ﴿عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣٤] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾، فيقال لهم، ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّئَا قَالِ﴾، أي فيقال لهم، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، قال ابن عباس: ذوو الحزم. وقال الضحاك: ذوو الجد والصبر. واختلفوا فيهم، فقال ابن زيد: كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبياً إلا كان ذا

٥٠٦
﴿وَأَذْهَبْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٣٦﴾ قَالُوا يَتَّبِعُونَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٧﴾ يَقُولُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ آلِيمٍ ﴿٣٨﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْيَ بِخَلْقِهِنَّ يَقْدِرْ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّئَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٤١﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يَهْدِي لَكِ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٢﴾﴾

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

عزم وحزم، ورأي وكمال عقل، وإنما أدخلت من للتجنيس لا للتبعض كما يقال: اشترت أكسية من الخز وأردية من البز. وقال بعضهم: الأنبياء كلهم أولوا عزم إلا يونس بن متى لعجلة كانت منه، ألا ترى أنه قيل للنبي ﷺ: (ولا تكن كصاحب الحوت)، وقال قوم: هم نجباء الرسل المذكورين في سورة الأنعام، وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)، وقال الكلبي: هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين. وقيل: هم ستة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى، عليهم السلام، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء. وقال مقاتل: هم ستة: نوح صبر على أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح، ويعقوب صبر على فقد

مُحَمَّدٌ، قال سفيان الثوري: يعني لم يخالفوه في شيء، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (الذين كفروا وصدوا) مشركوا مكة والذين آمنوا وعملوا الصالحات الأنصار. ﴿كَفَرُ عَنْهُمْ سَوَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾، حالهم، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: عصمهم أيام حياتهم، يعني أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا.

[٣] ﴿ذَلِكَ يَأْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾، الشيطان، ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، يعني القرآن ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾، أشكالهم، قال الزجاج: كذلك يبين الله أمثال حسنات المؤمنين، وإضلال أعمال الكافرين.

[٤] ﴿إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾، نصب على الإغراء، أي: فاضربوا رقابهم يعني: أعناقهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾، بالغتم في القتل وقهرتموهم، ﴿فَشُدُّوا أَلْوَانَكُمْ﴾، يعني في الأسر حتى لا يفلتوا منكم، والأسر يكون بعد المبالغة في القتل، كما قال: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض)، ﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءُ﴾، يعني بعد أن تأسروهم فإما أن تمنوا عليهم من إطلاقهم من غير عوض، وإما أن تفادوهم فداءً، واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هي منسوخة بقوله ﴿فَأَمَّا تَتَقَفُّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾، ويقولون: (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) قالوا: لا يجوز المنّ على من وقع في الأسر من الكفار ولا الفداء، وذهب آخرون إلى أن الآية محكمة والإمام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار إذا وقعوا في الأسر بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين، قال ابن عباس: لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل في الأسارى ﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءُ﴾،

ولده وذهاب بصره، ويوسف صبر على البثر والسجن، وأيوب صبر على الضر. وقال ابن عباس وقتادة: هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع، فهم مع محمد ﷺ خمسة، قلت: ذكرهم الله على التخصيص في قوله: (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم)، وفي قوله تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً) الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾، أي ولا تستعجل العذاب لهم، فإنه نازل بهم لا محالة، كأنه ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال، ثم أخبر عن قرب العذاب فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾، من العذاب في الآخرة، ﴿لَوْ يَلْبِثُوا﴾، في الدنيا، ﴿إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾، أي إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار، لأن ما مضى وإن كان طويلاً كأن لم يكن، ثم قال: ﴿بَلَّغْ﴾، أي هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم، والبلاغ بمعنى التبليغ، ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾، بالعذاب إذا نزل ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾، الخارجون من أمر الله، قال الزجاج: تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله إلا القوم الفاسقون، ولهذا قال قوم: ما في الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية

(٤٧) سُورَةُ مُحَمَّدٍ

[١] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْيُنُهُمْ﴾، أبطلها فلم يقبلها، وأراد بالأعمال ما فعلوا من إطعام الطعام وصلة الأرحام، قال الضحاك: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ، وجعل الدائرة عليهم.

[٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٠٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهذا هو الأصح والاختيار، لأنه عمل به رسول الله ﷺ والخلفاء بعده.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾، أي أثنائها وأحمالها، يعني حتى تضع أهل الحرب السلاح، فيمسكوا عن الحرب، وأصل الوزر ما يحتمل الإنسان، فسمى الأسلحة أوزاراً لأنها تحمل، وقيل: الحرب هم المحاربون كالشرب والركب، وقيل: الأوزار الآثام، ومعناه حتى يضع المحاربون آثامها، بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله. وقيل: حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا، ومعنى الآية: أثنوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام وقال الكلبي:

حتى يسلموا أو يسالموا، وقال الفراء: حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم، ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار، ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾، فأهلكهم وكفاكم أمرهم بغير قتال، ﴿وَلَكِنْ﴾، أمركم بالقتال، ﴿يَلْتَلُوا بَعْضُكُمْ مِنْ قَتْلِ مَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الثَّوَابِ وَمَنْ قَتَلَ مِنَ الْكُفَّارِ إِلَى الْعَذَابِ﴾، ﴿وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قرأ أهل البصرة وحفص: (قتلوا) بضم القاف وكسر التاء خفيف، يعني الشهداء، وقرأ الآخرون ﴿فَتَلْتَلَوْا﴾ بالالف من المقاتلة، وهم المجاهدون، ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُكُمْ﴾، قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد، وقد فشيت في المسلمين الجراحات والقتل.

[٥] ﴿سَيِّدِيهِمْ﴾، أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الدرجات، ﴿وَيُضِلِّجْ بِالْهَمِّ﴾، يُرضي خصماءهم ويقبل أعمالهم. [٦] ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾، أي بين لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا إلى مساكنهم لا

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ يَأْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَنُمُوهُمَوْ فَشَدُّوا الرِّقَابَ فَمَا مَتَابِعِدُوا مَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٤﴾ سَيِّدِيهِمْ وَيُضِلِّجْ بِالْهَمِّ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٦﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا وَإِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْهُمْ وَيُنِيتُ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلُ أَعْمَالِهِمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾

يخطؤونها ولا يستدلون عليها أحداً، كأنهم سكانها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى إلى درجته، وزوجته وخدمه إلى منزله وأهله في الدنيا، هذا قول أكثر المفسرين، وروى عطاء عن ابن عباس: (عرفها لهم) أي طيها لهم من العرف، وهو الریح الطيبة وطعام معرف أي مطيب.

[٧] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ﴾، أي دينه ورسوله، ﴿يَنْصُرْكُمْ﴾، على عدوكم، ﴿وَيُنِيتُ أَقْدَامَكُمْ﴾، عند القتال.

[٨] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ﴾، قال ابن عباس: بُعْدًا لَهُمْ. وقال أبو العالية: سقوطاً لهم. وقال الضحاك: خيبة لهم. وقال ابن زيد: شقاء لهم. قال الفراء: هو نصب على المصدر، على سبيل الدعاء. وقيل: في الدنيا العثرة، وفي الآخرة التردى في النار. ويقال للعائر: تعسا إذا لم يريدوا

قيامه، وضده لَعَا إذا أرادوا قيامه، ﴿وَأَصْلَ أَعْمَلَهُمْ﴾، لأنها كانت في طاعة الشيطان.

[٩] ﴿ذَلِكَ﴾ التعس والإضلال، ﴿يَأْتُهُمْ كَرْهُو مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْطِ أَعْمَلَهُمْ﴾، ثم خَوْفُ الكفار فقال: [١٠] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، أي أهلكهم، ﴿وَالْكَافِرِينَ أَصْنَفًا﴾، أي لم يؤمنوا، يتوعد مشركي مكة.

[١١] ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وليهم وناصرهم، ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾، لا ناصر لهم، ثم ذكر مال الفريقين فقال:

[١٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَنْوُونَ﴾، في الدنيا، ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾، ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم، وهم لاهون ساهون عما في غد، قيل: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع، ﴿وَالنَّارُ مَوْىً لَهُمْ﴾.

[١٣] ﴿وَكَايْنٍ مِنْ رَبِّهِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ رَبِّكَ﴾، أي أشد قوة من أهل مكة، ﴿الَّتِي أَخْرَجَكَ﴾، أي أخرجك أهلها، قال ابن عباس: كم رجال هم أشد من أهل مكة؟ يدل عليه قوله: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾، ولم يقل: أهلكناها، ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾.

[١٤] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾، يقين من دينه، محمد والمؤمنون، ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾، يعني عبادة الأوثان، وهم أبو جهل والمشركون.

[١٥] ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾، أي صفتها، ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾، آجن متغير متن، قرأ ابن كثير (أسن) بالقصر، والآخرين بالمد، وهما لغتان يقال: أسن الماء يأسن أسناً، وآسن يأسن ويأسن، وأجن يأجن ويأجن، أسونا وأجونا إذا تغير، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ﴾، للذيدة، ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾، لم تندسها

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

٥٠٨

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَنْوُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَوْىً لَهُمْ ﴿٩﴾ وَكَأَيْنٍ مِنْ رَبِّهِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ رَبِّكَ الَّتِي أَخْرَجَكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٠﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١١﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنْفَا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٤﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنْتُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذَكَرْتَهُمْ ﴿١٥﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٦﴾

الأرجل ولم تندسها الأيدي، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾، أي من كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار، ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾، شديد الحر تسعر عليه جهنم منذ خلقت، إذا أدني منهم يشوي وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم فإذا شربوه، ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾، فخرجت من أديبارهم، والأمعاء جميع ما في البطن من الحوايا واحدها معي.

[١٦] ﴿وَمِنْهُمْ﴾، يعني من هؤلاء الكفار، ﴿مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾، وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاوناً به وتغافلاً، ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾، يعني فإذا خرجوا من عندك، ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، من الصحابة، ﴿مَاذَا قَالَ﴾: محمد، ﴿أَنْفَا﴾، يعني الآن، وهو من الائتلاف ويقال: ائتنت الأمر أي ابتدأته وأنف الشيء

الآخرة إلى الجنة أو إلى النار. وقال مقاتل وابن جرير: متقلبكم منصرفكم لأشغالكم بالنهار ومثواكم مأواكم إلى مضاجعكم بالليل. وقال عكرمة: متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات ومثواكم مقامكم في الأرض. وقال ابن كيسان: متقلبكم من ظهر إلى بطن ومثواكم مقامكم في القبور، والمعنى: أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها.

[٢٠] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، حرصاً منهم على الجهاد، ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾، تأمرنا بالجهاد، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً تُحْكِمُ فِيهَا الْقِتَالَ﴾، قال قتادة: كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين، ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، يعني المنافقين، ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾، شزراً بتحديق شديد، كراهية منهم للجهاد وجبناً عن لقاء العدو، ﴿نَظَرَ الْمَعْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾، كما ينظر الشاخص بصره عند الموت، ﴿فَأُولَى لَهُمْ﴾، وعيد وتهديد، ومعنى قولهم في التهديد أولى لك أي وليك وقاربك ما تكره.

[٢١] ثم قال: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾، وهذا ابتداء محذوف الخبر تقديره: طاعة وقول معروف أمثل، أي لو أطاعوا وقالوا قولاً معروفاً كان أمثل وأحسن. وقيل: مجازه يقول هؤلاء المنافقون قبل نزول السورة المحكمة: طاعة، رفع على الحكاية أي أمرنا طاعة أو منّا طاعة، وقول معروف حسن. وقيل: هو متصل بما قبله واللام في قولهم بمعنى الباء، مجازه: فأولى بهم طاعة الله ورسوله، وقول معروف بالإجابة، أي لو أطاعوا كانت الطاعة والإجابة أولى بهم، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء. ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾، أي جد الأمر ولزم فرض القتال وصار الأمر معزوماً، ﴿فَلَزَّ سَدَقُوا﴾، في إظهار الإيمان والطاعة، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، وقيل: جواب إذا محذوف تقديره فإذا عزم

أوله، قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ كان يخطب ويعيب المنافقين، فإذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال رسول الله ﷺ؟ قال ابن عباس: وقد سئلت فيمن سئل، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، فلم يؤمنوا، ﴿وَالْبَعُوْا أَهْوَاءَهُمْ﴾، في الكفر والنفاق.

[١٧] ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا﴾، يعني المؤمنين، ﴿زَادَهُمْ﴾، ما قال الرسول، ﴿هُدًى وَآلَتْهُمْ نَفْسُهُمْ﴾، وفقهم للعمل بما أمرهم به، وهو التقوى، قال سعيد بن جبیر: وآتاهم ثواب تقواهم.

[١٨] ﴿لَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾، أي أماراتها وعلاماتها واحداً شرط، وكان النبي ﷺ من أشراط الساعة ﴿فَإِنَّ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذَكَرْتَهُمْ﴾، فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة، نظيره: (يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى).

[١٩] ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، قيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به غيره، وقيل: معناه فاثبت عليه. وقال الحسين بن الفضل: فازدّد علماً على علمك. وقال أبو العالية وابن عيينة: هو متصل بما قبله معناه: إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفرج عند قيامها إلا إلى الله. وقيل: فاعلم أنه لا إله إلا الله أن الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لأحد إلا الله، ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدَيْكَ﴾، أمر بالاستغفار مع أنه مغفور له لتستن به أمته ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، هذا إكرام من الله تعالى لهذه الأمة حيث أمر نبيهم ﷺ أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾، قال ابن عباس والضحاك: متقلبكم متصرفكم ومتشركم في أعمالكم في الدنيا، ومثواكم مصيركم في

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

٥٠٩

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ
تُحْكِمَةٌ وَذُكْرُ فِيهَا الْقِتَالِ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَعْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ
طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ
لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢٢﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا
فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٤﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ
أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم
مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ
لَهُمْ ﴿٢٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ
اللَّهُ سَتُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ
﴿٢٧﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَضْرِيُوتٍ وَجُوهُهُمْ
وَأَدْبَارُهُمْ ﴿٢٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ
وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٩﴾ أَمْ حَسِبَ
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ﴿٣٠﴾

عن نفسه أنه يفعل ذلك، وتروى هذه القراءة
عن يعقوب، وقرأ الآخرون (وَأَمْلَى لَهُمْ) بفتح
الألف أي وأملى الشيطان لهم مد لهم في الأمل.
[٢٦] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾، يعني المنافقين أو اليهود،
﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾، وهم
المشركون، ﴿سَتُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾، في
التعاون على عداوة محمد ﷺ والقعود عن الجهاد،
وكانوا يقولونه سرًا فأخبر الله تعالى عنهم ﴿وَاللَّهُ
يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾، قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بكسر
الهمزة على المصدر والباقيون بفتحها على جمع
السر.

[٢٧] ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَضْرِيُوتٍ
وَجُوهُهُمْ وَأَدْبَارُهُمْ﴾.
[٢٨] ﴿ذَلِكَ﴾، أي الضرب، ﴿بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا
آسَخَطَ اللَّهُ﴾، قال ابن عباس: بما كتموا من

الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا، ولو صدقوا الله
لكان خيرًا لهم.

[٢٢] ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾، فلعلكم، ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾،
أعرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه، ﴿أَنْ تُفْسِدُوا
فِي الْأَرْضِ﴾، تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية،
فتفسدوا في الأرض بالمعصية والبغي وسفك
الدماء، وترجعوا إلى الفرقة بعدما جمعكم الله
بالإسلام. ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾، قرأ يعقوب:
(وتقطعوا) بفتح التاء خفيف، والآخرون بالتشديد
من التقطيع على التكثير لأجل الأرحام، قال قتادة:
كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله، ألم
يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصوا
الرحمن؟ وقال بعضهم: هو من الولاية. وقال
المسيب بن شريك والفراء: يقول فهل عسيتم إن
وليتم أمر الناس أن تفسدوا في الأرض بالظلم،
نزلت في بني أمية وبني هاشم، يدل عليه قراءة على
ابن أبي طالب (توليتهم) بضم التاء والواو وكسر
اللام، يقول إن وليتكم ولاية جائزة خرجتم معهم
في الفتنة وعاونتوهم.

[٢٣] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى
أَبْصَرَهُمْ﴾ عن الحق.

[٢٤] ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ
أَقْفَالُهَا﴾، فلا تفهم مواضع القرآن وأحكامه، و
(أم) بمعنى (بل).

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾، رجعوا
كفارًا، ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾، قال
قتادة: هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ
بعد ما عرفوه ووجدوا نفعه في كتابهم، وقال ابن
عباس والضحاك والسدي: هم المنافقون،
﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾، زين لهم القبيح، ﴿وَأَمْلَىٰ
لَهُمْ﴾، قرأ أهل البصرة بضم الألف وكسر اللام
وفتح الياء على ما لم يسم فاعله، وقرأ مجاهد:
بإرسال الياء على وجه الخبر من الله عز وجل

التوراة وكفروا بمحمد ﷺ، ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾، كرهوا ما فيه رضوان الله، وهو الطاعة والإيمان، ﴿فَاحْطِ أَعْمَلَهُمْ﴾.

[٢٩] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، يعني المنافقين، ﴿أَنْ لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَّهُمْ﴾، أن لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيديها حتى يعرفوا نفاقهم، واحدا ضغن، قال ابن عباس: حسدهم.

[٣٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ﴾، أي لأعلمناكم وعرفناكم، ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾، بعلامتهم، قال الزجاج: المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها. قال أنس: ما خفي على رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم. ﴿وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾، في معناه ومقصده، واللحن: وجهان صواب وخطأ، فالفعل من الصواب لَحْنٌ يَلْحَنُ لَحْنًا فهو لَحِنٌ إذا فطن للشيء، ومنه قول النبي ﷺ: «ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض»، والفعل من الخطأ لَحَنٌ يَلْحَنُ لَحْنًا فهو لَاحِنٌ، والأصل فيه إزالة الكلام عن جهته، والمعنى إنك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بهم، فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي ﷺ إلا عرفه بقوله، ويستدل بفحوى كلامه على فساد خلقه وعقيدته، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾.

[٣١] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾، ولنعاملنكم معاملة المختبر بأن نأمركم بالجهاد والقتال، ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾، أي علم الوجود، يريد حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره، ﴿وَنَبْلُوَنَّكُمْ لَخَبَارِكُمْ﴾، أي نظهرها ونكشفها بإباء من يأبى القتال، ولا يصبر على الجهاد، وقرأ أبو بكر عن عاصم ﴿وليبلونكم حتى يعلم﴾، ويبلو بالياء فيهن، لقوله تعالى: (والله يعلم أعمالكم)، وقرأ الآخرون

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٥١٠

بِسْمِ اللَّهِ

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ لَخَبَارِكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُ أَعْمَلَهُمْ ﴿٣٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ لَا عَلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكَنَّ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ الْوَدُّ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَنْتُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنُكُمْ أَمْوَالُكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ سَأَلْتُمُوهُمَا فَيُحْفِكُمْ تَبَحُّلًا وَيُخْرِجُ أَصْغَنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا نَسْفَعُهَا لِأَنْتُمْ تَدْعُونَ لِنُفِيقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

بالنون فيهن، لقوله تعالى (ولو نشاء لأريناكم) وقرأ يعقوب (ونبلوا) ساكنة الواو ردًا على قوله (ونبلونكم) وقرأ الآخرون بالفتح ردًا على قوله (حتى نعلم).

[٣٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: رسول الله ﷺ، ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾، إنما يضررون أنفسهم، ﴿وَسَيُحِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾، فلا يرون لها ثوابًا في الآخرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم المطعمون يوم بدر، ونظيرها قوله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ).

[٣٣] ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾، قال عطاء: بالشك والنفاق، وقال الكلبي: بالرياء والسمعة. وقال الحسن:

وإلى هذا القول ذهب ابن عُيينة، يدل عليه سياق الآية:

[٣٧] ﴿إِنْ يَسْتَكْبِرُوا فَخُفِّكُم﴾، أي يجهدكم ويلحف عليكم بمسألة جميعها، يقال: أحفى فلان فلانًا إذا جهده، وألحف عليه بالمسألة، ﴿يَبْطَلُوا﴾، بها فلا تعطوها، ﴿وَيُخْرِجْ أَصْعَنُكُمْ﴾، بغضكم وعداوتكم، قال قتادة: علم الله أن في مسألة الأموال خروج الأضعاف.

[٣٨] ﴿هَاتِئْنَ هَؤُلَاءِ نُدَّعُونَ لِسَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني إخراج ما فرض الله عليكم، ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلْ﴾، بما فرض عليه من الزكاة، ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَخْشَى لِنَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾، عن صدقاتكم وطاعتكم، ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾، إليه وإلى ما عنده من الخير. ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾، بل يكونوا أمثل منكم وأطوع لله منكم، قال الكلبي: هم كندة والنخع، وقال الحسن: هم العجم. وقال عكرمة: فارس والروم.

(٤٨) سُورَةُ الْفَتْحِ

[١] قوله عز وجل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، أي قضينا لك قضاءً بينًا. وقال الضحاك: إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا بغير قتال، وكان الصلح من الفتح المبين، واختلفوا في هذا الفتح، عن أنس: أنه فتح مكة، وقال مجاهد: فتح خيبر، والأكثر أن على أنه صلح الحديبية، ومعنى الفتح فتح المنغلق، والصلح مع المشركين بالحديبية كان متعذرًا حتى فتحه الله عز وجل.

[٢] ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ في الجاهلية قبل الرسالة، ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ إلى وقت نزول هذه

بالمعاصي والكبائر. وقال أبو العالية: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع الإخلاص ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزلت هذه الآية فخافوا الكبائر بعد أن تحبط الأعمال، وقال مقاتل: لا تمنوا على رسول الله ﷺ فتبطلوا أعمالكم، نزلت في بني أسد وسنذكره في سورة الحجرات إن شاء الله تعالى^(١).

[٣٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، هم أصحاب القلب وحكمها عام.

[٣٥] ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾، لا تضعفوا ﴿وَدَّعُوا إِلَى السَّلَِّ﴾، أي لا تدعوا إلى الصلح، ابتداء منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى الصلح، وأمرهم بحربهم حتى يسلموا، ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾، الغالبون، قال الكلبي: آخر الأمم لكم وإن غلبوكم في بعض الأوقات، ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾، بالعون والنصرة ﴿وَلَنْ يَزِيَّكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾، لن ينقصكم شيئًا من ثواب أعمالكم، يقال: وتره يتره وترًا إذا نقص حقه، قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك: لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها.

[٣٦] ثم حض علي طلب الآخرة فقال: ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعَبٌ وَلَهْوٌ﴾، باطل وغرور، ﴿وَإِنْ تَوَمَّنَا وَتَتَّقُوا﴾، الفواحش، ﴿يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ﴾، جزاء أعمالكم في الآخرة ﴿وَلَا يَسْتَلْكُمْ﴾، ربكم ﴿أَمْوَالُكُمْ﴾، لإيتاء الأجر بل يأمركم بالإيمان والطاعة ليشيكم عليها الجنة، نظيره قوله: (ما أريد منهم من رزق)، وقيل: لا يسألكم محمد أموالكم، نظيره: (قل ما أسألكم عليه من أجر)، وقيل معنى الآية: لا يسألكم الله ورسوله أموالكم كلها في الصدقات، إنما يسألونكم غيضًا من فيض، ربع العشر فطيخوا بها نفسًا، وقروا بها عينًا

سُورَةُ الْفَتْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾
وَيَبْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيَعَذِّبُ
الْمُتَفَقِّهِينَ وَالْمُتَفَقِّهَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ
يَا اللَّهُ ظَلَمَ السُّوءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩﴾ .

﴿٧-٩﴾ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لَتُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۝ أَي تعينوه وتنصروه،
﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾، تعظموه وتفخموه هذه الكنايات
راجعة إلى النبي ﷺ وههنا وقف، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾،
أي تسبحوا الله يريد تصلوا له، ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾،
بالغداة والعشي.

﴿١٠﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾، يا محمد بالحديية
على ألا يفروا، ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ﴾، لأنهم باعوا
أنفسهم من الله بالجنة، ﴿يُدُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، قال
ابن عباس رضي الله عنهما: يد الله بالفداء لما
وعدهم من الخير فوق أيديهم. وقال السدي:
كانوا يأخذونه بيد رسول الله ﷺ ويباعونه، ويد الله
فوق أيديهم في المبايعه، ﴿فَمَنْ نَكَتْ﴾، نقض

السورة. وقيل: ما تأخر مما يكون، وقال سفيان
الثوري: ما تقدم مما عملت في الجاهلية وما تأخر
كل شيء لم تعمله، ويذكر مثل ذلك على طريق
التأكيد، وقال عطاء الخراساني: ما تقدم من ذنبك:
يعني ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك، وما تأخر
ذنوب أمتك بدعوتك. ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾،
بالنبوة والحكمة، ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾، أي
يثبتك عليه، والمعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام
النعمة بالمغفرة والهداية إلى الصراط المستقيم وهو
الإسلام. وقيل: ويهديك أي يهدي بك.

﴿٣﴾ ﴿وَيَبْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ غالبًا. وقيل: معزًا.

﴿٤﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾، الطمأنينة
والوقار، ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، لثلاث تنزعج نفوسهم
لما يرد عليهم، قال ابن عباس: كل سكينه في
القرآن فهي طمأنينة إلا التي في سورة البقرة،
﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾، قال ابن عباس: بعث
الله رسوله بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوه
زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم
الجهاد، حتى أكمل لهم دينهم، فكلما أمروا بشيء
فصدقوه ازدادوا تصديقًا إلى تصديقهم. وقال
الضحاك: يقينًا مع يقينهم. قال الكلبي: هذا في
أمر الحديية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق،
﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿٥﴾ ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ
عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ عن أنس أن الصحابة قالوا لما
نزل (ليغفر لك الله) هنيئًا مريئًا فما يفعل بنا فنزل:
(ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات)

﴿٦﴾ ﴿وَيَعَذِّبُ الْمُتَفَقِّهِينَ وَالْمُتَفَقِّهَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ﴾، يريد أهل النفاق بالمدينة وأهل الشرك
بمكة، ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَلَمَ السُّوءَ﴾، أن لن ينصر
محمداً والمؤمنين، ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ﴾،
بالعذاب والهلاك، ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ
اللَّهُ فَمِئُتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ
مِنَ الْأَعْرَابِ سَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ
بِالَّذِينَ نَهَيْتَهُمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ﴿١٢﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَّنْ يَقْلِبَ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى
أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَرَبَّتْ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا السَّوْءِ
وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٣﴾ وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا
أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١٥﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى
مَغَائِرِ لَنَا خُذُوا هَازِرُونَا نَنِيْعَكُمْ بِرِيْدُوْنَ أَنْ يُسَدِّلُوا
كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَنِيْعُونَا كَذَلِكَ قَالَهُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

السَّوْءِ، وذلك أنهم قالوا: إن محمدًا وأصحابه
أكله رأس، فلا يرجعون، فأين تذهبون معه انتظروا
ما يكون من أمرهم. ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾، هلكي
لا تصلحون لخير.

[١٣-١٥] ﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ ٥ ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء
ويُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥
سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ، يعني هؤلاء الذين تخلفوا عن
الحديبية، ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ﴾، سرتم وذهبتم أيها
المؤمنون، ﴿إِلَى مَغَائِرِ لَنَا خُذُوا هَازِرُونَا﴾، يعني غنائم
خير، ﴿دُرُونَا نَنِيْعَكُمْ﴾، إلى خير نشهد معكم قتال
أهلها، وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية
وعدهم الله فتح خير وجعل غنائمها لمن شهد
الحديبية خاصة عوضًا عن غنائم أهل مكة إذا
انصرفوا عنهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيئًا،

البيعة، ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾، عليه وباله، ﴿وَمَنْ
أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾، ثبت على البيعة، ﴿فَمِئُتِيهِ
أَجْرًا عَظِيمًا﴾، وهو الجنة.

[١١] ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾، قال
ابن عباس ومجاهد: يعني أعراب بني غفار ومزينة
وجهينة، وأشجع وأسلم، وذلك أن رسول الله ﷺ
حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرًا
استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي
ليخرجوا معه حذرًا من قريش أن يعرضوا له
بحرب، أو يصدوه عن البيت، فأحرم بالعمرة
وساق معه الهدي ليعلم الناس أنه لا يريد حربًا،
فتناقل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا واعتلوا
بالشغل، فأنزل الله تعالى فيهم: (سَيَقُولُ لَكَ
المُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ) يعني الذين خلفهم الله عزَّ
وجلَّ عن صحبتك، فإذا انصرفت من سفرك إليهم
فعاتبهم على التخلف عنك، ﴿سَعَلْنَا أَمْوَالَنَا
وَأَهْلُونَا﴾، يعني النساء والذراري أي لم يكن لنا من
يخلفنا فيهم ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾، تخلفنا عنك،
فكذبهم الله عزَّ وجلَّ في اعتذارهم فقال: ﴿يَقُولُونَ
بِالَّذِينَ نَهَيْتَهُمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾، من أمر الاستغفار،
فإنهم لا يبالون استغفر لهم النبي ﷺ أو لا، ﴿قُلْ
فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾،
سوءًا، ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾، قرأ حمزة والكسائي:
(ضرًّا) بضم الضاد، وقرأ الآخرون بفتحها لأنه
قابله بالنفع والنفع ضد الضر، وذلك أنهم ظنوا أن
تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر، ويعجل
لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم
الله تعالى: إن أراد بهم شيئًا من ذلك لم يقدر أحد
على دفعه. ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

[١٢] ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَّنْ يَقْلِبَ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنُونَ
إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾، أي ظننتم أن العدو يستأصلهم
فلا يرجعون، ﴿وَرَبَّتْ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، زين
الشیطان ذلك الظن في قلوبكم، ﴿وظَنَّتُمْ ظَنًّا

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّ عَوْنٍ إِلَى قَوْمِ أُولَى بِأَسْ شَدِيدٍ
تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ
عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ
وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتُ جَدِّ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ
كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ
النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتُكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ نَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوَلَوْ الْأَدْبَرُ لَمْ يَجْعَلْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ بُدْلًا

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾،
يريدون أن يغيروا مواعيد الله تعالى لأهل الحديبية
بغنيمة خبير خاصة، وقال مقاتل: يعني أمر الله نبيه
ﷺ ألا يسير منهم أحد، قال ابن زيد: هو قول الله
عز وجل: (فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا
معي أبداً)، والأول أصوب، وعليه عامة أهل
التأويل، ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾، إلى خبير، ﴿كَذَلِكَ
قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾، أي من قبل مرجعنا إليكم أن
غنيمة خبير لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها
نصيب، ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾، أي يمتنعكم
الحسد من أن نصيب معكم الغنائم، ﴿بَلْ كَانُوا لَا
يَفْقَهُونَ﴾، لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من
الدين، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، منهم وهو من صدق الله
والرسول.

[١٦] ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّ عَوْنٍ إِلَى قَوْمِ
أُولَى بِأَسْ شَدِيدٍ﴾، قال ابن عباس ومجاهد وعطاء:
هم أهل فارس. وقال كعب: هم الروم. وقال
الحسن: فارس والروم. وقال سعيد بن جبيرة:
هوازن وثقيف. وقال قتادة: هوازن وغطفان يوم
حنين. وقال الزهري ومقاتل وجماعة: هم بنو
حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب. قال
رافع بن خديج: كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم
حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم
هم. وقال ابن جريج: دعاهم عمر رضي الله عنه
إلى قتال فارس. وقال أبو هريرة: لم يأت تأويل
هذه الآية بعد. ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا
يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾، يعني الجنة، ﴿وَإِنْ
تَوَلَّوْا﴾، تعرضوا ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾، عام
الحديبية، ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، وهو النار،
فلما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة: كيف بنا يا
رسول الله؟

حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ
جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا
أَلِيمًا.

[١٨] ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ
يُبَايِعُونَكَ﴾، بالحديبية على أن يناجزوا قريشاً ولا
يفروا، ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، وكانت سمرة، ﴿فَعَلِمَ مَا
فِي قُلُوبِهِمْ﴾، من الصدق والوفاء، ﴿فَأَنْزَلَ
السَّكِينَةَ﴾، الطمأنينة والرضا، ﴿عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا
قَرِيبًا﴾، يعني فتح خيبر.

[١٩] ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾، من أموال يهود
خيبر، وكانت خيبر ذات عقار وأموال، فاقسمها
رسول الله ﷺ بينهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

[٢٠] ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾،
وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة،
﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾، يعني خيبر، ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ

[١٧] فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾،
يعني في التخلف عن الجهاد، ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ

كفار مكة، ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أن تطوفوا به عام الحديبية، ﴿وَالْهَدْيِ﴾، أي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله ﷺ وكانت سبعين بدنة، ﴿مَعَكُوفًا﴾، محبوسًا، يقال: عكفته عكفًا إذا حبسته وعكوفًا لازم، كما يقال: رجع رجعًا ورجوعًا، ﴿أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ﴾، منحره وحيث يحل نحره يعني الحرم، ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنِينَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾، يعني المستضعفين بمكة، ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾، لم تعرفوهم، ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾، بالقتال وتوقعوا بهم، ﴿فَتَصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، قال ابن زيد: معرة إثم. وقال ابن إسحاق: غرم الدية. وقيل: الكفارة لأن الله أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب - إذا لم يعلم إيمانه - الكفارة دون الدية، فقال: (فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة)، وقيل: هو أن المشركين يعيرونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم، والمعرة المشقة، يقول: لولا أن تطؤوا رجالًا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم بهم كفارة أو يلحقكم سبة، وجواب لولا محذوف، تقديره: لأذن لكم في دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك. ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، فاللام في ليدخل متعلق بمحذوف دلّ عليه معنى الكلام، يعني حال بينكم وبين ذلك ليدخل الله في رحمته في دين الإسلام من يشاء من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها، ﴿لَوْ تَرَكُوا﴾، لو تميزوا يعني المؤمنين من الكفار، ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، بالسبي والقتل بأيديكم، وقال بعض أهل العلم: لعذبنا جواب لكلامين أحدهما: (لولا رجال)، والثاني: (لو تزيلوا)، ثم قال: (ليدخل الله في رحمته من يشاء)، يعني المؤمنين والمؤمنات، وقوله: (في رحمته)، أي جنته. وقال قتادة في هذه الآية: إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة.

عَنكُمْ﴾، وذلك أن النبي ﷺ لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يُغيروا على عيال المسلمين وذرايرهم بالمدينة، فكفّ الله أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، وقيل: كفّ أيدي الناس عنكم يعني أهل مكة بالصلح، ﴿وَلَتَكُونَ﴾، كفهم وسلامتكم، ﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، على صدقك ويعلموا أن الله هو المتولي حياطتهم وحراستهم في مشاهدهم ومغيبيهم، ﴿وَهَدْيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾، يشترك على الإسلام ويزيدكم بصيرة ويقينًا بصلح الحديبية، وفتح خيبر.

[٢١] قوله عز وجل: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾، أي وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدرُوا عليها، ﴿فَدَّ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾، حتى يفتحها لكم كأنه حفظها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها، قال ابن عباس: علم الله أنه يفتحها لكم، واختلفوا فيها، فقال ابن عباس ومقاتل: هي فارس والروم، وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم، بل كانوا خولًا لهم حتى قدروا عليها بالإسلام. وقال الضحاك وابن زيد: هي خيبر وعدها الله نبيه ﷺ قبل أن يصيبها، ولم يكونوا يرجونها. وقال قتادة: هي مكة. وقال عكرمة: حنين. وقال مجاهد: ما فتحوا حتى اليوم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَبِيرًا﴾.

[٢٢] ﴿لَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني أسد وغطفان وأهل خيبر، ﴿لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ﴾، لانهزموا، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوتَ وِيَاءَ وَلَا نَصِيرًا﴾.

[٢٣] ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾، أي كسنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

[٢٤] قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

[٢٥] قوله عز وجل: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني

[٢٦] ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ لَعْمِيَّةً﴾، حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت عام الحديبية، ولم يقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم، وأنكروا محمداً رسول الله ﷺ، والحمية: الأنفة، يقال: فلان ذو حمية إذا كان ذا غضب وأنفة. قال مقاتل: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا، فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللوات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه ﴿حِمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ﴾، التي دخلت قلوبهم، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، حتى لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم، ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾، قال ابن عباس وأكثر المفسرين: كلمة التقوى «لا إله إلا الله». وروي عن أبي بن كعب مرفوعاً. وقال علي وابن عمر: كلمة التقوى لا إله إلا الله والله أكبر. وقال عطاء بن أبي رباح: هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وقال عطاء الخراساني: هي لا إله إلا الله محمد رسول الله. وقال الزهري: هي بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿وَكَاُنُوا أَحَقَّ بِهَا﴾، من كفار مكة، ﴿وَأَهْلُهَا﴾، أي وكانوا أهلها في علم الله لأن الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير، ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

[٢٧] ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رُسُولَهُ الرُّبَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ﴾، وذلك أن النبي ﷺ أرى في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين، ويحلقون رؤوسهم ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحبوا أنهم داخلو مكة عامهم ذلك، فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك، فأُنزل الله هذه الآية. وروي عن مجمع بن [جارية] الأنصاري: قال شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الأباعر، فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥١٤

سُورَةُ الْفَتْحِ

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٦﴾ هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ، وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّكُوهُمْ فَتَصِيْبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٧﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ لَعْمِيَّةً حِمِيَّةً أَلْعَلَّهَا يَفْتَنُونَ لَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلُهَا وَكَانَ اللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رُسُولَهُ الرُّبَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٩﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٣٠﴾

بعضهم: ما بال الناس؟ فقالوا: أوحى إلى رسول الله ﷺ، قال فخرجنا نرجف، فوجدنا النبي ﷺ واقفاً على راحلته عند كراع الغميم، فلما اجتمع إليه الناس قرأ: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)، فقال عمر: أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: (نعم والذي نفسي بيده) (١)، ففيه دليل على أن المراد بالفتح صلح الحديبية، وتحقق الرؤيا كان في العام المقبل، فقال جل ذكره: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق)، أخبر أن الرؤية التي أراه إياها في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام صدقٌ وحقٌ. قوله: (لتدخلن) يعني وقال: لتدخلن. وقال ابن كيسان: لتدخلن من قول رسول الله ﷺ

(١) أخرجه أحمد (٤٢٠/٣)، وأبو داود (٥٢/٢)، والحاكم (١٣١/٢) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووقفه الذهبي.

أن يدخلهم الجنة، ﴿وَرِضْوَانًا﴾، أن يرضى عنهم، ﴿سِيمَاهُمْ﴾، أي علامتهم، ﴿فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، اختلفوا في هذا السيماء، فقال قوم: هو نورٌ وبياض في وجوههم يوم القيامة يعرفون به أنهم سجدوا في الدنيا، وهو رواية عطية العوفى عن ابن عباس، قال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس: استنارت وجوههم من كثرة ما صلّوا. وقال شهر بن حوشب: تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر. وقال آخرون: هو السميت الحسن والخشوع والتواضع. وهو رواية الوالبي عن ابن عباس قال: ليس بالذي ترون لكنه سيماء الإسلام وسجيته وسمته وخشوعه. وهو قول مجاهد: والمعنى أن السجود أورثهم الخشوع والسميت الحسن الذي يُعرفون به. وقال الضحاك: هو صفرة الوجه من السهر. وقال الحسن: إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى. قال عكرمة وسعيد بن جبير: هو أثر التراب على الجباه. قال أبو العالية لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب. وقال عطاء الخراساني: دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس. ﴿ذَلِكَ﴾، الذي ذكرت، ﴿مَثْلُهُمْ﴾، صفتهم ﴿فِي التَّوْرَةِ﴾، ههنا تم الكلام ثم ذكر نعتهم في الإنجيل، فقال: ﴿وَمَثَلُهُ﴾، صفتهم، ﴿فِي الْإِنْجِيلِ كَرَجٌ أَخْرَجَ سَطَكُمُ﴾ أراد فراخه، يقال أسطأ الزرع فهو مشطى، إذا أفرخ، قال مقاتل: هو نبت واحد فإذا خرج ما بعده فهو شطؤه. وقال السدي: هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى. قوله: ﴿فَأَزْرُهُ﴾، قرأ ابن عامر: (فأزره) بالقصر. والباقون بالمد، أي قواه وأعانه وشدّ أزره، ﴿فَأَسْتَغْلَظُ﴾، ذلك الزرع، ﴿فَأَسْتَوِي﴾، أي تمّ وتلاحق نباته وقام، ﴿عَلَى

لأصحابه حكاية عن رؤياه، فأخبر الله عن رسول الله ﷺ أنه قال ذلك، وإنما استثنى مع علمه بدخولها بإخبار الله تعالى، تأديباً بأداب الله، حيث قال له: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله). وقال أبو عبيدة: (إن) بمعنى إذ مجازة: إذ شاء الله، كقوله: (إن كنتم مؤمنين)، وقال الحسين ابن الفضل: يجوز أن يكون الاستثناء من الدخول لأن بين الرؤيا وتصديقها سنة، ومات في تلك السنة ناس فمجاز الآية: لتدخلن المسجد الحرام كلكم إن شاء الله، وقيل الاستثناء واقع على الأمر لا على الدخول، لأن الدخول لم يكن فيه شك، كقول النبي ﷺ عند دخول المقبرة: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»^(١)، فالاستثناء راجع إلى اللحق بأهل لا إله إلا الله لا إلى الموت. ﴿مُخْلِفِينَ رُءُوسَكُمْ﴾، كلها، ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾، بأخذ بعض شعورها، ﴿لَا تَخَافُوتَ عِلْمَ مَا لَمْ تعلمُوا﴾، أن الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول، وهو قوله تعالى: (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) الآية. ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾، أي من قبل دخولكم المسجد الحرام، ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾، وهو صلح الحديبية عند الأكرين، وقيل: فتح خيبر.

[٢٨] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾، على أنك نبي صادق صالح فيما تخبر.

[٢٩] ﴿تُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ﴾، تمّ الكلام ههنا، قال ابن عباس، شهد له بالرسالة، ثم قال مبتدئاً ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، قالوا: وفيه واو الاستئناف أي والذين معه من المؤمنين، ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، غلاظ عليهم كالأسد على فريسته لا تأخذهم فيهم رافة، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، متعاطفون متوادون بعضهم لبعض، كالولد مع الوالد، كما قال: (أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين). ﴿تَرَبَّيْتُمْ زُرَّكُمَا سُبْحَاءً﴾، أخبر عن كثرة صلاتهم ومدادومتهم عليها، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ﴾،

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في الجنائز برقم (٩٧٥) ٦٧١/٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُ
فِي الْإِنْجِيلِ كَرِجَ أَخْرَجَ سَطَكُهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَعَاظَ فَاَسْتَوَى
عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرْعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾

سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانفُوا لِلَّهِ
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يُعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ لِلنَّفْيِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

سُوْقِهِ، أصوله، ﴿يُعْجِبُ الزَّرْعَ﴾، أعجب ذلك
زراعه، هذا مثل ضربه الله عز وجل لأصحاب
محمد ﷺ في الإنجيل أنهم يكونون قليلاً، ثم
يزدادون ويكثرون. قال قتادة: مثل أصحاب رسول
الله ﷺ في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم يبتون
نبات الزرع يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر.
وقيل: الزرع محمد والشفاء أصحابه والمؤمنون،
﴿لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، أي إنما كثرتهم وقواهم
ليكونوا غيظاً للكافرين. قال مالك بن أنس: من
أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ
فقد أصابته هذه الآية. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾، قال ابن جرير: يعني من الشفاء
الذي أخرجه الزرع، وهم الداخلون في الإسلام
بعد الزرع إلى يوم القيامة، ورد الهاء والميم على
معنى الشفاء لا على لفظه، ولذلك لم يقل: منه،
﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني الجنة. والله أعلم.

(٤٩) سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

فأمرهم أن يعيدوا الذبح، وروى مسروق عن عائشة
أنه في النهي عن صوم يوم الشك، أي لا تصوموا
قبل أن يصوم نبيكم. وقال قتادة: نزلت الآية في
ناس كانوا يقولون لو أنزل في كذا، وصنع في كذا
وكذا، فكره الله ذلك. وقال مجاهد: لا تفتأوا على
رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه.
وقال الضحاك: يعني في القتال وشرائع الدين لا
تقضوا أمراً دون الله ورسوله. ﴿وَأَنفُوا لِلَّهِ﴾، في
تضييع حقه ومخالفة أمره، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾،
لأقوالكم، ﴿عَلِيمٌ﴾، بأفعالكم.

﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ
النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ،
أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ولا يرفعوا أصواتهم عنه
ولا ينادونه كما ينادي بعضهم بعضاً، ﴿أَن تَحْبَطَ
أَعْمَالُكُمْ﴾، لئلا تحبط حسناتكم. وقيل: مخافة أن

﴿١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ﴾، قرأ يعقوب: (لا تقدموا) بفتح التاء
والدال، من التقدم أي لا تتقدموا، وقرأ الآخرون
بضم التاء وكسر الدال، من التقديم، وهو لازم
بمعنى التقدم، مثل بين وبين، وقيل: هو متعد على
ظاهره والمفعول محذوف، أي: لا تقدموا القول
والفعل بين يدي الله ورسوله. قال أبو عبيدة تقول
العرب: لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب،
أي لا تعجل بالأمر والنهي دونه، ومعنى: بين
اليدين الأمام والقدام: أي لا تقدموا بين يدي
أمرهما ونهيهما. واختلفوا في معناه، روى الشعبي
عن جابر أنه في الذبح يوم الأضحى، وهو قول
الحسين، أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي ﷺ،
وذلك أن ناساً ذبحوا قبل صلاة النبي ﷺ،

تحبط حسناتكم، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

[٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْصُونَ﴾، يخفصون ﴿أَصَوْتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ إجلالاً له، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّفْثَى﴾، اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾، قرأ العامة بضم الجيم، وقرأ أبو جعفر فتح الجيم، وهما لغتان، وهي جمع الحُجْر، والحُجْر جمع الحُجْرة فهي جمع الجمع. وقال ابن عباس: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى بني العنبر وأمر عليهم عينة ابن حصن الفزاري، فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عينة بن حصن وقدم بهم على رسول الله ﷺ، فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري، ففعلوا بنادون: يا محمد اخرج إلينا، ويصيحون، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، وصفهم بالجهل وقلة العقل.

[٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، قال مقاتل: لكان خيراً لهم لأنك كنت تعتقهم جميعاً وتطلقهم بلا فداء، ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وقال قتادة: نزلت في ناس من أعراب بني تميم جاؤوا إلى النبي ﷺ فنادوا على الباب: اخرج إلينا يا محمد.

[٦] قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَيَّنُوا﴾، الآية نزلت في الوليد بن عقبة ابن أبي مُعيط، بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق بعد الوقعة مصداً وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع به القوم تلقوه تعظيماً لأمر رسول الله ﷺ، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وهم أن

الْحَجَرَاتِ

٥١٦

سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجَالَتِهِمْ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَعَلِمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّاهُمْ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَقِنَا لَهَا الَّذِي تَبَغَّى حَتَّىٰ نَقِيَّ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْضُوا أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْتَخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

يغزوهم، وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدومه، وقال له: انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار، ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء، فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير، فانصرف إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر^(١)، فأنزل الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق) يعني الوليد بن عقبة، (بنياً)، بخبر، ﴿فَتَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا﴾، كي لا تصيبوا بالقتل والقتال، ﴿قَوْمًا﴾، برأء، ﴿بِمِجَالَتِهِمْ فَتُصْحِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، من إصابتكم بالخطأ.

(١) أخرجه الطبري ١٢٣/٢٦ والإمام أحمد ٢٧٩/٤ وعبد الرزاق في التفسير ٢/٢٣١.

﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، التنابر التفاعل من النبر وهو اللقب، وهو أن يدعى الإنسان بغير ما سُمي به. قال عكرمة: وهو قول الرجل للرجل: يا فاسق يا منافق يا كافر. وقال الحسن: كان اليهودي والنصراني يسلم، فيقال له بعد إسلامه يا يهودي يا نصراني، فنهوا عنه ذلك. قال عطاء: هو أن تقول لأخيك: يا كلب يا حمار يا خنزير. وروي عن ابن عباس قال: التنابر بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فُهي أن يعير بما سلف عن عمله، ﴿يَسْأَلُ الْإِسْمَ الْفُسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾، أي بسئ الاسم أن يقول: يا يهودي أو يا فاسق بعد ما آمن وتاب، وقيل معناه: إن من فعل ما نُهي عنه من السخرية واللمز والنبر فهو فاسق، وبسئ الاسم الفسوق بعد الإيمان، فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق، ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ﴾، من ذلك ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ وأراد أن يظنَّ بأهل الخير شرًا، ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، قال سفيان الثوري: الظن ظنان أحدهما إثم، وهو أن تظن وتتكلم به، والآخر ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم. ﴿وَلَا يَجَسَّسُوا﴾، التجسس هو البحث عن عيوب الناس، نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من عيوب الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها، ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، يقول: لا يتناول بعضكم بعضًا بظهر الغيب بما يسوء مما هو فيه، قال رسول الله ﷺ: «أندرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»^(١).

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة برقم (٢٥٨٩) ٤/٢٠٠١ والمصنف في شرح السنة ١٣/١٣٨.

[٧] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾، فاتقوا الله أن تقولوا باطلاً أو تكذبوه، فإن الله يخبره ويعرفه أحوالكم فتفتضحوا، ﴿لَوْ يَطِيعُكُمْ﴾، أي الرسول، ﴿فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾، مما تخبرونه به فيحكم بآيكم، ﴿لَعَنَ﴾، لَأثَمْتُمْ وهلكتم، والعنت: الإثم والهلاك. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمُ الْإِيمَنُ﴾، فجعله أحب الأديان إليكم، ﴿وَرَسَنَةٌ﴾، حسنة، ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾، حتى اخترتموه، وتطيعوا رسول الله ﷺ، ﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ﴾، قال ابن عباس: يريد الكذب، ﴿وَالْعَصْيَانَ﴾، جميع معاصي الله، ثم عاد من الخطاب إلى الخبر، وقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾، المهتدون.

[٨] ﴿فَضْلًا﴾، أي كان هذا فضلاً، ﴿مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾.

[٩] قوله عز وجل: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ بالدعاء إلى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما، ﴿فَإِن بَعَثَ إِحْدَاهُمَا تَعَدَّتْ إِحْدَاهُمَا﴾، عَلَى الْآخَرَى، وأبت الإجابة إلى حكم كتاب الله، ﴿فَقَاتِلُوا آلِي تَبَعٍ حَتَّى تَفْزَ﴾، ترجع، ﴿إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾، في كتابه وحكمه، ﴿فَإِن فَاءَتْ﴾، رجعت إلى الحق، ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾، بحملهما على الإنصاف والرضا بحكم الله، ﴿وَأَقْسِطُوا﴾، اعدلوا، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، في الدين والولاية، ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، إذا اختلفا واقتتلا، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره، ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾.

[١١] وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ أي رجال من رجال، والقوم اسم يجمع الرجال والنساء، وقد يختص بجمع الرجال، ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، أي لا يعب بعضكم بعضًا، ولا يطعن بعضكم على بعض،

الْحَجْرَاتِ

٥١٧

سُورَةُ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يَخِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلَيْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ في سنة جدبة فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر، فأفسدوا طرق المدينة بالعدرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله ﷺ ويقولون: أتتكَ العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأثقال والعيال والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، يمتنون على النبي ﷺ، ويريدون الصدقة، ويقولون أعطنا، فأنزل الله فيهم هذه الآية. وقال السدي: نزلت في الأعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح، وهم أعراب من جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار، كانوا يقولون: آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنفروا إلى الحديبية تخلفوا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية فيهم، (قالت الأعراب آمنا) صدقنا، ﴿قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا﴾

فَكَرِهْتُمُوهُ، قَالَ مجاهد: لما قيل لهم (أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا)، قالوا: لا، قيل: (فكرهتموه) أي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبًا. وقال الزجاج: تأويله: إن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحم أخيك، وهو ميت لا يحس بذلك، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ يعني آدم وحواء أي إنكم متساوون في النسب. ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾، جمع شعب بفتح الشين، وهي رؤوس القبائل مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج، سموا شعوبًا لتشعبهم واجتماعهم، كشعب أغصان الشجر، والشعب من الأضداد يقال: شعب أي جمع وشعب أي فرق. ﴿وَقَبَائِلَ﴾، هي دون الشعوب، واحدها قبيلة وهي ك بكر من ربيعة وتميم من مضر، ودون القبائل العماثر، واحدها عمارة، بفتح العين وهي كشياب من بكر ودارم من تميم، ودون العماثر البطون، واحدها بطن، وهي كبنى غالب ولؤي من قريش، ودون البطون الأفخاذ واحدها فخذ وهم كبنى هاشم وأميه من بني لؤي، ثم الفصائل والعشائر واحدها فصيلة وعشيرة، وليس بعد العشيرة حي يُوصف به وقيل: الشعوب من العجم، والقبائل من العرب، والأسباط من بني إسرائيل. وقال أبو روق: الشعوب من الذين لا يعتزون إلى أحد، بل يتسبون إلى المدائن والقري، والقبائل العرب الذين يتسبون إلى آبائهم. ﴿لِتَعَارَفُوا﴾، ليعرف بعضكم بعضًا في قرب النسب وبعده، لا ليتفاخروا. ثم أخبر أن أرفعهم منزلة عند الله أتقاهم فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ، قال قتادة في هذه الآية: إن أكرم الكرم التقوى، ولأم اللؤم الفجور.

[١٤] قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾، الآية

(٥٠) سُورَةُ ق

[١] ﴿قَ﴾ قال ابن عباس: هو قسم، وقيل: هو اسم للسورة، وقيل: هو اسم من أسماء القرآن. وقال القرطبي: هو مفتاح اسمه القدير، والقادر والقاهر والقريب والقباض. ﴿وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾، الشريف الكريم على الله الكثير الخير واختلفوا في جواب هذه القسم، فقال أهل الكوفة: جوابه بل عجبوا وقيل: جوابه محذوف، مجازة: والقرآن المجيد لتبعث. وقيل: جوابه قوله ما يلفظ من قول. وقيل: قد علمنا.

[٢] ﴿بَلْ نَحْنُ بِمَبْعُوثٍ إِنْ جَاءَهُمْ مُّذِرٌ﴾، مخوف، ﴿مَنْهُمْ﴾، يعرفون نسبه وصدقه وأمانته، ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، غريب.

[٣] ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾، نبعث، ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه، ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ﴾، أي رد إلى الحياة ﴿بَعِيدٌ﴾، وغير كائن أي يبعد أن نبعث بعد الموت.

[٤] قال الله عز وجل: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾، أي ما تأكل من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمه شيء. قال السدي: هو الموت، يقول: قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى، ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِظٌ﴾، محفوظ من الشياطين ومن أن يدس ويتغير، وقيل: حفظ أي حافظ لعدتهم وأسمائهم.

[٥] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾، بالقرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيعٍ﴾، مختلط، قال سعيد بن جبير ومجاهد: ملتبس. قال قتادة: في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه. وقال الحسن: ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم. وذكر الزجاج معنى اختلاط أمرهم فقال: هو أنهم يقولون للنبي ﷺ مرة شاعر، ومرة ساحر، ومرة

أَسْلَمْنَا، انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبي، ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، فأخبر أن حقيقة الإيمان التصديق بالقلب، وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالأبدان لا يكون إيماناً دون التصديق بالقلب والإخلاص، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، ظاهرًا وباطنًا سرًا وعلانية. قال ابن عباس: تخلصوا الإيمان، ﴿لَا يَلِكُكُمْ﴾، قرأ أبو عمر (بألتكم) بالآلف كقوله تعالى: (وما ألتناهم)، والآخرون بغير ألف وهما لغتان معناهما لا ينقصكم، يقال: ألت ألتنا ولات بليت ليتنا إذا نقص، ﴿فَبِمَا أَعْمَلِكُمْ شَيْئًا﴾، أي لا ينقص من ثواب أعمالكم شيئًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ثم بين حقيقة الإيمان.

[١٥] فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾، لم يشكوا في دينهم، ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، في إيمانهم. فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الأعراب رسول الله ﷺ يحلفون بالله إنهم مؤمنون صادقون، وعرف الله غير ذلك منهم.

[١٦] فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ أَعْلِمُونِ اللَّهُ بِدِينِكُمْ﴾، والتعليم هاهنا بمعنى الإعلام، ولذلك قال بدينكم وأدخل الباء فيه، يقول أتخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، أي لا يحتاج إلى إخباركم.

[١٧] ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْمُوًا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾، أي بإسلامكم، ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، إنكم مؤمنون.

[١٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِتْرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، قرأ ابن كثير بالياء وقرأ الآخرون بالتاء.

٥١٨

سُورَةُ ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَوِ ادَّعَيْنَا وَكَانُوا بآيَاتِنَا لَا رَحْمَ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِیْظٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِیْحٍ ﴿٥﴾ أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنَيْنَاهَا وَزَيْنَهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ، جِبَالًا ثَوَابِتٍ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِیجٌ، حَسَنٌ كَرِیْمٌ بِهِیجٌ به، أي يسر.

﴿٨﴾ بَصِيرَةٌ، أي جعلنا ذلك تبصرة، وَذَكَرْنَاهُ، أي تبصيرًا وتذكيرًا، لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ، أي ليبصروا به ويتذكر به.

﴿٩﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا، كثير الخير وفيه حياة كل شيء وهو المطر، فَأَنْبَتْنَا بِهِ، جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ، يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد فأضاف الحب إلى الحصيد، وهما واحد لاختلاف اللفظين، كما يقال: مسجد الجامع وربيع الأول. وقيل: حب الحصيد أي وحب التبت الحصيد.

﴿١٠﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ، قال مجاهد وعكرمة وقاتدة: طوالًا، يقال: بسقت النخلة بسوقًا إذا طالت. وقال سعيد بن جبیر: مستويات. ﴿لَهَا طَلْعٌ﴾، ثمر وحمل، سمي بذلك لأنه يطلع، والطلع أول ما يظهر قبل أن ينشق، ﴿نَضِيدٌ﴾، متراكب متراكم منضود بعضه على بعض في أكامه، فإذا خرج من أكامه فليس بنضيد.

﴿١١﴾ رَزَقًا لِلْعِبَادِ، أي جعلناها رزقًا للعباد، وَأَحْيَيْنَا بِهِ، أي بالمطر، ﴿بَلَدَةً مَيْتًا﴾، أنبتنا فيها الكلا، ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾، من القبور.

﴿١٢-١٤﴾ قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَنُوحٌ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۖ وَالْأَيْكَةَ وَفِرْعَوْنَ وَنُوحٌ ۖ وَهُوَ تَبِعَ الْحَمِيرِ، واسمه أسعد

أبو كرب، قال قتادة: ذم الله قومه ولم يذمه، ذكرنا قصته في سورة الدخان^(١) ﴿كُلُّ كَذَّبَ الرَّسْلِ﴾، أي كل من هؤلاء المذكورين كذب الرسل، ﴿فَقُوْ وَعِدَ﴾، وجب لهم عذابي، ثم أنزل جوابًا لقولهم ذلك رجع بعيد.

﴿١٥﴾ ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾، يعني أعجزنا حين خلقناهم أولاً فنعبا بالإعادة وهذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا بالخلق الأول وأنكروا البعث، ويقال لكل من عجز عن شيء عبي به. ﴿بَلْ هُمْ فِي لَيْسٍ﴾، أي في شك، ﴿مَنْ خَلَقَ جَدِيدَ﴾، وهو البعث.

﴿١٦﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسُّوْهُ بِهِ نَفْسُهُ﴾، يحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره، ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾، أعلم به، ﴿مَنْ حَبَلٍ

﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ﴾، أي ذلك اليوم يوم الوعيد الذي وعده الله للكفار أن يعذبهم فيه. قال مقاتل. يعني بالوعيد العذاب أي يوم وقوع الوعيد.

[٢١] ﴿وَجَاءَتْ﴾، ذلك اليوم، ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ﴾، يسوقها إلى المحشر، ﴿وَشَهِيدٌ﴾، يشهد عليها بما عملت، وهو عمله، قال الضحاك: السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الأيدي والأرجل، وهي رواية العوفي عن ابن عباس. وقال الآخرون: هما جميعاً من الملائكة.

[٢٢] فيقول الله لها، ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾، اليوم في الدنيا، ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾، الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك، ﴿فَبَصُرُكَ الْيَوْمَ حَيِّدٌ﴾، نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا. وروي عن مجاهد قال: يعني نظرك إلى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك.

[٢٣] ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾، الملك الموكل به، ﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾، معد محضر، وقيل: (ما) بمعنى (من)، وقال مجاهد: يقول هذا الذي وكلتني به من ابن آدم حاضر عندي قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله.

[٢٤] فيقول الله عز وجل لقريته: ﴿أَلْقِيََا فِي جَهَنَّمَ﴾، هذا خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب، يقولون: ويلك ارحلها وازجرها وخذاها وأطلقها، للواحد، قال الفراء: وأصل ذلك أن أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه وسفره اثنان، فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ومنه قولهم في الشعر للواحد خليلي. وقال الزجاج: هذا أمر للسائق والشهيد، وقيل: للمتقين. ﴿كُلُّ كَفَّارٍ عَيْنِي﴾، عاص معرض عن الحق. قال عكرمة ومجاهد: مجانب للحق معاند لله.

[٢٥] ﴿مَنَاجٍ لِلنَّارِ﴾، أي للزكاة المفروضة وكل حق وجب في ماله، ﴿مُعْتَرٍ﴾، ظالم لا يقر بتوحيد الله ﴿مُرِيبٍ﴾، شاك في التوحيد، ومعناه: داخل في الريب.

أَلْوَرِيدِ﴾، لأن أبعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضاً، ولا يحجب علم الله شيء، وحبل الوريد عرق العنق، وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين، يتفرق في سائر البدن، والحبل هو الوريد، فأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين.

[١٧] ﴿إِذْ يَلْقَىٰ الْمُتَلَفِّيَانِ﴾، إذ يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾، أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات. ﴿عَمِيدٌ﴾، أي قاعد، ولم يقل قعيدان لأنه أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فاكتمى بأحدهما عن الآخر، هذا قول أهل البصرة، وقال أهل الكوفة: أراد قعوداً كالرسول يجعل للاثنتين والجمع، كما قال الله تعالى في الاثنتين: (فقلوا إنا رسول رب العالمين)، قيل: أراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم. قال مجاهد: القعيد الرصيد.

[١٨] ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ﴾، ما يتكلم من كلام فيلفظه أي يرميه من فيه، ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾، حافظ، ﴿عَيْنٌ﴾، حاضر أينما كان. قال الحسن: إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين عند غائطه وعند جماعه.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾، غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله، ﴿بِالْحَقِّ﴾، أي بحقيقة الموت، وقيل: بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعيان. وقيل: بما يؤول إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاوة. ويقال: لمن جاءته سكرة الموت، ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتُ مِنْهُ حَيِّدٌ﴾، تميل، قال الحسن: تهرب. قال ابن عباس: تكره، وأصل الحيد الميل، يقال: حدث عن الشيء أحياناً حَيِّداً ومحيداً إذا ملت عنه.

[٢٠] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، يعني نفخة البعث،

[٢٦] ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾، وهو النار.

[٢٧] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾، يعني الشيطان الذي قُبِضَ لهذا الكافر، ﴿رَبَّنَا مَا أَفْقَيْتَهُ﴾، ما أضلته وما أغويته، ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾، عن الحق فيتبرأ منه شيطانه، قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل: قال قرينه يعني الملك، قال سعيد بن جبير: يقول الكافر يا رب إن الملك زاد علي في الكتابة، فيقول الملك: ربنا ما أطعته، يعني ما زدت عليه وما كتبت إلا ما قال وعمل، ولكن كان في ضلال بعيد، طويل لا يرجع عنه إلى الحق.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾، يعني يقول الله ﴿لَا تَخْصِمُوهُ لَدَىٰ وَقَدْ فَتَنَّا رَبَّهُ﴾، في القرآن وأندرتكم وحذرتكم على لسان الرسول، وقضيت عليكم ما أنا قاضٍ.

[٢٩] ﴿مَا نَسَبَ قَوْمٌ لَدَىٰ﴾، لا تبديل لقولي وهو قوله: (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)، وقال قوم: معنى قوله: (ما يبدل القول لدي) أي: لا يكذب القول عندي، ولا يغير القول عن وجهه لأنني أعلم الغيب. وهذا قول الكلبي واختيار الفراء، لأنه قال: (ما يبدل القول لدي) ولم يقل ما يبدل لي. ﴿وَمَا تَكُنْ لَهُمْ﴾، فأعاقبهم بغير جرم.

[٣٠] ﴿يَوْمَ نَسْفَعُ بِهِ﴾، قرأ نافع وأبو بكر بالياء، أي يقول الله لقوله: (قال لا تختصموا لدي)، وقرأ الآخرون بالنون، ﴿نَسْفَعُ الْمَلَائِكَةَ﴾، وذلك لما سبق لها من وعده إياها أنه يملؤها من الجنة والناس، وهذا السؤال من الله عز وجل لتصديق خبره وتحقيق وعده، ﴿نَسْفَعُ بِهِ﴾، جهنم، ﴿نَسْفَعُ بِهِ﴾، قيل: معناه قد امتلأت فلم يبق في موضع لم يمتلئ، فهو استفهام إنكار، هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان، وقيل: هذا استفهام بمعنى الاستزادة، وهو قول ابن عباس في رواية أبي صالح، وعلى هذا يكون السؤال بقوله:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوسُ بِهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿٢٦﴾ إِذْ يَنْتَقِلُ الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ مُعِيدٌ ﴿٢٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿٢٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿٢٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٣٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٣١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ هَذَا مَا لَدَىٰ عِتِيدٌ ﴿٣٣﴾ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ عِتِيدٌ ﴿٣٤﴾ مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٣٦﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ رَبَّنَا مَا أَفْقَيْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣٧﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوهُ لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكَ بِالْوَعِيدِ ﴿٣٨﴾ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٣٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴿٤٠﴾ وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ الْمُتَّقِينَ غَيْرِ بَعِيدٍ ﴿٤١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِظٍ ﴿٤٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ وَجَاءَهُ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٤٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٤٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٤٥﴾

(هل امتلأت)، قيل دخول جميع أهلها فيها، وروي عن ابن عباس: أن الله تعالى سبقت كلمته (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)، فلما سبق أعداء الله إليها لا يلقى فيها فوج إلا ذهب فيها ولا يملؤها شيء.

[٣١] ﴿وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ﴾، قُرِئَتْ وأدْنيت، ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، الشرك، ﴿غَيْرِ بَعِيدٍ﴾، ينظرون إليها قبل أن يدخلوها.

[٣٢] ﴿وَمَا تَكُنْ لَهُمْ﴾، قرأ ابن كثير بالياء والآخرين بالتاء، يقال لهم: هذا الذي ترونه ما توعدون على ألسنة الأنبياء عليهم السلام، ﴿لِكُلِّ﴾، رجاع إلى الطاعة عن المعاصي، قال سعيد ابن المسيب: هو الذي يُذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب. وقال الشعبي ومجاهد: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها. وقال الضحاك: هو التواب.

يجدون مفراً عن الموت، يموتون فيصيرون إلى عذاب الله.

[٣٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، فيما ذكرت من العبر والعذاب وإهلاك القرى، (الذكرى)، تذكرة وعظة، ﴿لَنْ كَانَ لَمُ قَلْبٍ﴾، قال ابن عباس: أي عقل. قال الفراء: هذا جائز في العربية، تقول: مالك قلب وما قلبك معك، أي ما عقلك معك. وقيل: له قلب حاضر مع الله. ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾، استمع القرآن، واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره، تقول العرب: ألقى إلي سمعك، يعني استمع، ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ يعني حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه. [٣٨] قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾، إعياء وتعب.

[٣٩] ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، من كذبهم فإن الله لهم بالمرصاد، وهذا قبل الأمر بقتالهم، ﴿وَسَيَحْمَدُ رَبَّكَ﴾، أي صلّ حمداً لله، ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾، يعني صلاة الصبح، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾، يعني صلاة العصر. وروى عن ابن عباس قال: قبل الغروب الظهر والعصر.

[٤٠] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾، يعني صلاة المغرب والعشاء. وقال مجاهد: ومن الليل أي صلاة الليل أي وقت صلي. ﴿وَأَذِّنْ الشُّجُودَ﴾، قرأ أهل الحجاز وحمة: (وإدبار السجود) بكسر الهمزة، مصدر أدبر إدباراً، وقرأ الآخرون بفتحها على جمع الدبر. قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والحسن والشعبي والنخعي والأوزاعي: أدبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب، وأدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر، وقال مجاهد: قوله: (أدبار السجود) هو التسييح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات.

[٤١] قوله عز وجل: ﴿وَأَسْتَعِمْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾، أي واستمع يا محمد صيحة القيامة

وقال ابن عباس وعطاء: هو المسيح، من قوله: (يا جبال أوبي معه) وقال قتادة: هو المصلي. ﴿حَفِظَ﴾، قال ابن عباس: الحافظ لأمر الله، وعنه أيضاً: هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها. قال قتادة: حفيظ لما استودعه الله من حقه. قال الضحاك: المحافظ على نفسه المتعهد لها. قال الشعبي: المراقب. قال سهل بن عبد الله: هو المحافظ على الطاعات والأوامر.

[٣٣] ﴿مَنْ حَسِيَ الرَّحْمَنَ إِلْفَيْبٍ﴾، محل (من) جر على نعت الأواب. وقيل رفع على الاستئناف، ومعنى الآية: من خاف الرحمن وأطاعه بالغيب ولم يره. وقال الضحاك والسدي: يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد. قال الحسن: إذا أرخى الستر وأغلق الباب. ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾، مخلص مقبل إلى طاعة الله.

[٣٤] ﴿أَخْلَوْهَا﴾، أي يقال لأهل هذه الصفة: ادخلوها، أي ادخلوا الجنة. ﴿سَلَامٌ﴾، بسلامة من العذاب والهموم. وقيل: بسلام من الله وملائكته عليهم. وقيل: بسلامة من زوال النعم، ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ﴾.

[٣٥] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾، وذلك أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما شاءوا، ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه، وهو قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، يعني الزيادة لهم في النعيم مما لم يخطر ببالهم. وقال جابر وأنس: هو النظر إلى وجه الله الكريم.

[٣٦] قوله عز وجل: ﴿وَكَمْ أَمَلَكْنَا بَلَّهْمَ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾، ضربوا وساروا وتقلبوا وطافوا، وأصله من الثقب وهو الطريق كأنهم سلكوا كل طريق، ﴿هَلْ مِنْ مَّحِصٍ﴾، فلم يجدوا محيصاً من أمر الله. وقيل: هل من محيص: مفراً من الموت؟ فلم يجدوا منه مفراً، وإنذار لأهل مكة وأنهم على مثل سبيلهم لا

٥٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الذاريات

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي
 الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ
 لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
 مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
 قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
 وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَغِمْ يَوْمَ يُبَادُ الْأُمُودُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ
 ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
 نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّوُ الْأَرْضُ
 عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
 وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾ فَأَلْحَمَلَتْ وَفَرَا ﴿٢﴾ فَأَلْحَمَلَتْ سُرًّا ﴿٣﴾
 فَأَلْمَسَتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

والنشور يوم ينادي المنادي، قال مقاتل: يعني
 إسرافيل ينادي بالحشر يا أيها العظام البالية
 والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور
 المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل
 القضاء.

[٤٢] ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾، وهي
 الصيحة الأخيرة، ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾، من القبور.
 [٤٣، ٤٤] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ۝
 يَوْمَ تَشَقُّوُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾، جمع سريع أي
 يخرجون سراعًا، ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا﴾، جمع علينا
 ﴿يَسِيرٌ﴾.

[٤٥] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾، يعني كفار مكة في
 تكذيبك، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾، بمسلط تجبرهم
 على الإسلام إنما بعثت مذكرًا، ﴿فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ
 يَخَافُ وَعِيدَ﴾، أي ما أوعدت به من عصائي من
 العذاب. قال ابن عباس: قالوا: يا رسول الله لو
 خوفتنا، فنزلت: (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد).

(٥١) سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

[١] ﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا﴾، يعني الرياح التي [تذرو]
 التراب ذروًا، يقال: ذرت الريح التراب وأذرت.
 [٢] ﴿فَأَلْحَمَلَتْ وَفَرَا﴾، يعني السحاب التي تحمل
 ثقلًا من الماء.

[٣] ﴿فَأَلْحَمَلَتْ سُرًّا﴾، هي السفن تجري في
 الماء جريًا سهلًا.

[٤] ﴿فَأَلْمَسَتِ أَمْرًا﴾، هي الملائكة يقسمون
 الأمور بين الخلق على ما أمروا به، أقسم بهذه
 الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته.

[٥] ثم ذكر المقسم عليه فقال: ﴿إِنَّمَا تُوْعَدُونَ﴾،
 من الثواب والعقاب، ﴿لَصَادِقٌ﴾.

[٦] ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾، الحساب والجزاء، ﴿لَوَاقِعٌ﴾،
 لكائن.

[٧] ثم ابتداء قسمًا آخر فقال: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ
 الْحُبُكِ﴾، قال ابن عباس وقتادة وعكرمة: ذات
 الخلق الحسن المستوي، يقال للنساج إذا نسج
 [الثوب] فأجاد: ما أحسن [حبكه]! قال سعيد بن
 جبير: ذات الزينة. قال الحسن: حُبكت بالنجوم.
 قال مجاهد: هي المتقنة البنيان. وقال مقاتل
 والكلبي والضحاك: ذات الطرائق كحبك الماء إذا
 ضربته الريح، وحبك الرمل والشعر الجعد، ولكنها
 لا ترى لبعدها من الناس، وهي جمع حبك
 وحيكة، وجواب القسم قوله في الآية التالية:

[٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿لَنَى قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾،
 في القرآن وفي محمد ﷺ، تقولون في القرآن سحر
 وكهانة وأساطير الأولين، وفي محمد ﷺ ساحر
 وشاعر ومجنون. وقيل: لفي قول مختلف أي
 مصدق ومكذب.

[٩] ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾، يصرف عن الإيمان به من صرف حتى يكذبه، يعني من حرمه الله الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن. وقيل (عن) بمعنى: من أجل، أي يصرف من أجل هذا القول المختلف أو بسببه عن الإيمان من يصرف. وذلك أنهم كانوا يتلقون الرجل إذا أراد الإيمان فيقولون: إنه ساحر وكاهن ومجنون، فيصرفونه عن الإيمان.

[١٠] ﴿قُلِ الْخَرَصُونَ﴾، لعن الكذابين، يقال: تخرص على فلان الباطل، وهم المقتسمون الذين اقتسموا القول في النبي ﷺ ليصرفوا الناس عن دين الإسلام. وقال مجاهد: هم الكهنة.

[١١] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾، غفلة وعمى وجهالة، ﴿سَاهُونَ﴾ لاهون غافلون عن أمر الآخرة، والسهو: الغفلة عن الشيء، وهو ذهاب القلب عنه.

[١٢] ﴿يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾، يقولون: يا محمد متى يوم الجزاء، يعني يوم القيامة تكديبا واستهزاء. [١٣] قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ هُمْ﴾، أي يكون هذا الجزاء في يوم هم ﴿عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾، أي: يعذبون ويحرقون بها كما يفتن الذهب بالنار. وقيل: (على) بمعنى الباء أي بالنار، وتقول لهم خزنة النار:

[١٤] ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾، عذابكم، ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾، في الدنيا تكديبا به.

[١٥، ١٦] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ﴾، أعطاهم، ﴿رُزْقُهُمْ﴾، من الخير والكرامة، ﴿يَنْهَمُّ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾، قبل دخولهم الجنة، ﴿مُحْسِنِينَ﴾، في الدنيا.

[١٧] ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، والهجوع النوم بالليل دون النهار، و(ما) صلة، والمعنى: كانوا يهجعون قليلا من الليل أي يصلون أكثر الليل، وقيل: معناه كان الليل الذي ينامون فيه كله قليلا، وهذا معنى قول سعيد بن جبير عن ابن

وَأَسْمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ﴿٩﴾ قُلِ الْخَرَصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رُزْقُهُمْ إِنَّهُمْ كَانَُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا لَأَنفَعَهُمْ يَسْتَفْعِلُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَوَقِّينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رُزْقٌ لِّلْمُتَوَقِّينَ ﴿٢٢﴾ قُورِبَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لِحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَارْجِعْ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَعَجَلٌ سَمِينٌ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

عباس، يعني: كانوا قل ليلة تمر بهم إلا صلوا فيها شيئا إما من أولها أو من أوسطها، ووقف بعضهم على قوله: (قليلًا) أي كانوا من الناس قليلا، ثم ابتدأ: (من الليل ما يهجعون)، وجعله جحداً، أي: لا ينامون بالليل البتة، بل يقومون للصلاة والعبادة.

[١٨] ﴿وَإِلَّا لَأَنفَعَهُمْ يَسْتَفْعِلُونَ﴾، قال الحسن: لا ينامون من الليل إلا أقله، وربما نشطوا فمدوا إلى السحر، ثم أخذوا في الأسحار بالاستغفار. وقال الكلبي ومجاهد ومقاتل: وبالأسحار يصلون، وذلك أن صلاتهم بالأسحار لطلب المغفرة.

[١٩] قوله عز وجل: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾، السائل الذي يسأل الناس، والمحروم الذي ليس له في الغنيمة سهم، ولا يجري عليه من الفيء شيء، هذا قول ابن عباس وسعيد بن

المسيب، قال: المحروم الذي ليس له في الإسلام سهم، ومعناه في اللغة: الذي مُنِع الخير والعطاء. وقال قتادة والزهري: المحروم المتعفف الذي لا يسأل. وقال زيد بن أسلم: هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته. وهو قول محمد بن كعب القرظي، قال: المحروم صاحب الحاجة، ثم قرأ: (إنا لمغرمون ٥ بل نحن محرومون).

[٢٠، ٢١] ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾، عبر، ﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾، إذا ساروا فيها، من الجبال والبحار والأشجار والثمار وأنواع النبات. ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾، آيات إذا كانت نقطة ثم علقه ثم مضغة ثم عظما إلى أن نفخ فيها الروح. وقال عطاء عن ابن عباس: يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع. ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، قال مقاتل: أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث.

[٢٢] ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾، قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق، ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾، قال عطاء: من الثواب والعقاب. وقال مجاهد: من الخير والشر. وقال الضحاك: وما توعدون من الجنة والنار، ثم أقسم بنفسه فقال:

[٢٣] ﴿تَوَرَبَّ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾، أي: ما ذكرت من أمر الرزق لحق، ﴿يَسْتَلْ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾، فتقولون: لا إله إلا الله. وقيل: شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق آدمي، كما تقول: إنه لحق كما أنت ههنا، وإنه لحق كما أنك تتكلم، والمعنى: إنه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة. قال بعض الحكماء: يعني كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره.

[٢٤] قوله عز وجل: ﴿هَلْ أَنْتَ بِحَدِيثِ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾، وهم الملائكة الذين جاؤوه بالبشرى كما في سورة هود آية (٦٩)، ﴿الْمُكْرِمِينَ﴾، قيل: سماهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كراما عند الله، وقد قال الله تعالى في وصفهم: (بل عباد مكرمون)، وقيل: لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وكان إبراهيم أكرم الخليفة، وضيف الكرام مكرمون. وقيل: لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم بتعجيل قراهم، والقيام بنفسه عليهم بطلاقة الوجه. وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد: خدمته بنفسه إياهم. وروي عن ابن عباس: سماهم مكرمين لأنهم جاؤوا غير مدعوين.

[٢٥] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ﴾، إبراهيم، ﴿سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ﴾، أي: غرباء لا نعرفكم، قال ابن عباس: قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم. وقيل: إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان. وقال أبو العالية: أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض.

[٢٦] ﴿وَرَأَى﴾، فعدل ومال، ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ يُعْجِلُ سَمِينٌ﴾، مشوي.

[٢٧-٢٩] ﴿فَرَقَهُ إِلَهِهُمُ﴾، ليأكلوا فلم يأكلوا، ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ٥ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحَفُّ وَبَشَرُهُمْ يُعَلِّمُهُمْ عَلَيْهِ ٥ فَفَلَّتْ أَمْرَانُهُمْ فِي صَرْفٍ﴾، أي: صحيحة، قيل: لم يكن ذلك إقبالا من مكان إلى مكان، وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني، بمعنى أخذ في شتمي، أي أخذت تُؤلول كما قال الله تعالى: (قالت يا ويلتى)، ﴿فَصَكَتَ وَجْهَهَا﴾، قال ابن عباس: لطمت وجهها. وقال الآخرون: جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبا، كعادة النساء إذا أنكرن شيئا، وأصل الصك: ضرب الشيء بالشيء العريض. ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾، مجازة: أتلد عجوز عقيم، وكانت سارة لم تلد قبل ذلك.

[٣٠] ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾، أي: كما قلنا لك قال ربك: إنك ستلدين غلاما، ﴿إِنَّهُ هُوَ

الْحِكْمِ الْعَلِيمِ .

[٣٢، ٣١] ﴿قَالَ﴾، إبراهيم، ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ٥ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين، يعني قوم لوط.

[٣٤، ٣٣] ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جَارَءً مِنْ طِينٍ﴾ معلمة، ﴿عند ربك للفسرين﴾، قال ابن عباس: للمشركين، والشرك أسرف الذنوب وأعظمها.

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾، أي: في قري قوم لوط، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وذلك قوله: (فأسر بأهلك بقطع من الليل).

[٣٦] ﴿فَمَا وَحَدَّا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ﴾، أي غير أهل بيت، ﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، يعني لوطاً وابنتيه، وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعاً لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم.

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾، أي في مدينة قوم لوط، ﴿آيَةً﴾، عبرة، ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، أي علامة للخائفين تدلهم على أن الله تعالى أهلكتهم فيخافون مثل عذابهم.

[٣٨] ﴿وَفِي مُوسَى﴾، أي وتركنا في إرسال موسى آية وعبرة. وقيل: هو معطوف على قوله: (وفي الأرض آيات للموقنين)، وفي موسى، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، بحجة ظاهرة.

[٣٩] ﴿فَتَوَلَّى﴾، أي فأعرض وأدبر عن الإيمان، ﴿بِرَبِّهِ﴾، أي بجمعه وجنوده الذين [كان] يتقوى بهم، كالركن الذي يقوى به البنيان، نظيره قوله: (أو أوي إلى ركن شديد)، ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾، قال أبو عبيدة: (أو) بمعنى الواو.

[٤٠] ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾، أغرقناهم فيه، ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾، أي آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل.

[٤١] ﴿وَفِي عَادٍ﴾، أي وفي إهلاك عاد أيضاً آية، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾، وهي التي لا خير فيها

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

٥٢٢

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣٢) قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين (٣٣) لنرسل عليهم جارة من طين (٣٤) ونرسل عليهم جارة من طين (٣٥) فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين (٣٦) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (٣٧) وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم (٣٨) وفي موسى (٣٩) إذ أرسلناه إلى فرعون بسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٤٠) فتولى بركه وقال سحر أو مجنون (٤١) فأخذناه وجنوده (٤٢) فنبدلهم في آلهم وهو ملهم (٤٣) وفي عاد (٤٤) إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم (٤٥) ما نذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالريم (٤٦) وفي ثمود (٤٧) إذ قيل لهم تمنعوا حتى حين (٤٨) فعتوا عن أمر ربهم (٤٩) فأخذتهم الصلصة وهم ينظرون (٥٠) فما استطاعوا من قيام وما كانوا مُنصِرِينَ (٥١) وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قومًا فاسقين (٥٢) والسماء بدينها باييدٍ وإنا لموسعون (٥٣) والأرض فرشتها فنعيم المنهذون (٥٤) ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (٥٥) ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين (٥٦) ولا تجعلوا مع الله الهاء آخر إني لكم منه نذير مبين (٥٧)

ولا بركة ولا تلقح شجرًا ولا تحمل مطرًا.

[٤٢] ﴿مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ﴾، من أنفسهم وأنعامهم ومواشيهم وأموالهم، ﴿إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّيمِ﴾، كالشيء الهالك البالي، وهو نبات الأرض إذا يبس وديس. قال مجاهد: كالتين اليابس. قال قتادة: كريم الشجر. قال أبو العالية: كالتراب المدقوق. وقيل: أصله من العظم البالي.

[٤٣] ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ﴾، يعني وقت فناء آجالهم، وذلك أنهم لما عقروا الناقة قيل لهم: تمتعوا ثلاثة أيام.

[٤٤] ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّلَٰصَةُ﴾، يعني بعد مضي الأيام الثلاثة، وهي الموت في قول ابن عباس، قال مقاتل: يعني العذاب، والصاعقة: كل عذاب مهلك، وقرأ الكسائي: (الصلصة)، وهي

عبدالله: فروا مما سوى الله إلى الله. ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٥ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

[٥٢] ﴿كَذَلِكَ﴾، أي كما كذبك قومك يا محمد وقالوا: ساحر أو مجنون، كذلك ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، من قبل كفار مكة، ﴿مِن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنَّ﴾.

[٥٣، ٥٤] قال الله تعالى: ﴿أَتَوْاصُوا بِهٖ﴾، أي أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضاً بالكذب وتواطؤوا عليه؟ والألف فيه للتوبيخ، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾، قال ابن عباس: حملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك، ﴿فَقَوْلَ عَنَّهُمْ﴾، فأعرض عنهم، ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾، لا لوم عليك فقد أديت الرسالة وما قصرت فيما أمرت به. قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله ﷺ واشتد ذلك على أصحابه، وظنوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنهم.

[٥٥] فأنزل الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فطابت أنفسهم. قال مقاتل: معناه عظ بالقرآن كفار مكة، فإن الذكرى تنفع من في علم الله أن يؤمن منهم. وقال الكلبي: عظ بالقرآن من آمن من قومك، فإن الذكرى تنفعهم.

[٥٦] ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، قال الكلبي والضحاك وسفيان: هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين، يدل عليه قراءة ابن عباس: (وما خلقت الجن والإنس - من المؤمنين - إلا ليعبدون)، ثم قال في آية أخرى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس)، وقال بعضهم: وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي والأشقياء منهم إلا لمعصيتي، وهذا معنى قول زيد ابن أسلم، قال: هم على ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة. وقال علي بن أبي طالب رضي

الصوت الذي يكون من الصاعقة، ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾، يرون ذلك عياناً.

[٤٥] ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِن فَعَامٍ﴾، فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض. قال قتادة: لم ينهضوا من تلك الصرعة، ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ﴾، متقمين متاً. قال قتادة: ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله.

[٤٦] ﴿وَقَوْمٌ نُّوحٌ﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: (وقوم) بجر الميم، أي وفي قوم نوح، وقرأ الآخرون بنصبها بالحمل على المعنى، وهو أن قوله: (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم)، معناه: أغرقناهم، كأنه قال: أغرقناهم وأغرقنا قوم نوح. ﴿مِن قَبْلُ﴾، أي من قبل هؤلاء، وهم عاد وثمود وقوم فرعون، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَالْأَسْمَاءُ بَيَّنَّتْهَا بِأَيِّدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لقادرون. وعنه أيضاً: لموسعون الرزق على خلقنا. وقيل: ذو سعة. وقال الضحاك: أغنياء، دليله قوله عز وجل: (وعلى الموسع قدره)، قال الحسن: المطيقون.

[٤٨] ﴿وَالْأَرْضُ فَرَشْتَهَا﴾، بسطناها ومهدناها لكم، ﴿فَنِعْمَ الْمُهَذَّبُونَ﴾، الباسطون نحن. قال ابن عباس: نعم ما وطأت لعبادي.

[٤٩] ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رُجَجِينَ﴾، صنفين ونوعين مختلفين كالسما والارض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر، والسهل والجبل والشتاء والصيف، والجن والإنس، والذكر والأنثى، والنور والظلمة، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والجنة والنار، والحق والباطل، والحلو والمر. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فتعلمون أن خالق الأزواج فرد.

[٥٠، ٥١] ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾، فاهربوا من عذاب الله إلى ثوابه، بالإيمان والطاعة. قال ابن عباس: فروا منه إليه واعملوا بطاعته. وقال سهل بن

الله عنه: إَلا ليعبدون أي إَلا لِأمرهم أَن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي، يُؤيده قوله عزّ وجلّ: (وما أمروا إَلا ليعبدوا إلهًا واحدًا)، وقال مجاهد: إَلا ليعرفوني. وهذا أحسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده، دليله قوله تعالى: (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله)، وقيل: معناه إَلا ليخضعوا إليّ ويتذلّلوا، ومعنى العبادة في اللغة، التذلّل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله، ومتذلّل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجًا عمّا خُلِق عليه قدر ذرة من نفع أو ضرر. وقيل: إَلا ليعبدون إَلا ليوحدون، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فييوحد في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء.

[٥٧] ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ زَرْقٍ﴾، أي أن يرزقوا
أحدًا من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ
يُطْعَمُونَ﴾، أي أن يطعموا أحدًا من خلقي، وإنما
أسند الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيال الله ومن
أطعم عيال أحد فقد أطعمه. ثم بين أن الرزاق هو
لا غيره فقال:

[٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾، يعني لجميع خلقه، ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾، وهو القوي المقتدر المبالغ في القوة والقدرة.

[٥٩] ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، كفروا من أهل مكة، ﴿ذُنُوبًا﴾، نصيبًا من العذاب، ﴿مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾، مثل نصيب أصحابهم الذين أهلكوا من قوم نوح وعاد وثمود، وأَصْلُ الذُّنُوبِ في اللغة: الدلو العظيمة المملوءة ماء، ثم استعمل في الحظ والنصيب، ﴿فَلَا يَسْتَعْمِلُونَ﴾، بالعذاب، يعني أنهم أخرّوا إلى يوم القيامة.

[٦٠] يدل عليه قوله عز وجل: ﴿قَوْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، يعني يوم القيامة، وقيل: يوم بدر.

٥٢٣
 كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنَّوْنَ
 ٥٢ أَتَوْا صَوَابَهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغَوْنَ ﴿٥٢﴾ فَنُفِّلْنَاهُمْ فَمَا أَتَتْ
 بِمَعْلُومٍ ﴿٥٣﴾ وَذَكَرْنَا لِلَّذِينَ نَفَعْنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا
 خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٤﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ
 وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ
 ٥٦ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ
 ٥٧ قَوْلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٥٧﴾

سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْطُّورِ ﴿١﴾ وَكُنْتَ مَسْطُورًا ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَشْهُورٍ ﴿٣﴾ وَالْأَيْتِ
الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرَ الْمُسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ
مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ
الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ
حَهُمْ دَعَا ﴿١٢﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿١٤﴾

(٥٢) سُورَةُ الطُّورِ

[١] ﴿وَٱلْأُتُور﴾، أراد به الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام بالأرض المقدسة، أقسم الله تعالى به.

[۲] ﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٌ﴾ مكتوب.

[٣] ﴿فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾، الرق: ما يُكتب فيه، وهو أديم المصحف، والمنشور المپسوط، واختلفوا في هذا الكتاب، قال الكلبي: هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة [وموسى يسمع صرير القلم]. وقيل: هو اللوح المحفوظ. وقيل: هو دواوين الحفظة تخرج إليهم يوم القيامة منشورة، فأخذ يمينه وأخذ بشماله. دليله قوله عز وجل: (وَنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا).

[٤] ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾، بكثرة الغاشية والأهل،

[١٣] ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ﴾، يدفعون، ﴿إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا﴾، دفعًا بعنف وجفوة، وذلك أن خزنة جهنم يغلقون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يُدفعونهم إلى النار دفعًا على وجوههم، وزجًا في أفقيتهم حتى يردوا النار، فإذا دنوا منها قال لهم خزنتها:

[١٤] ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، في الدنيا.

[١٥] ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾، وذلك أنهم كانوا ينسبون محمدًا ﷺ إلى السحر، وإلى أنه يغطي على الأبصار بالسحر، فوبّخوا به، وقيل لهم: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾.

[١٦] ﴿أَصْلَحَ هَاتَا﴾، قاسوا شدتها، ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾، الصبر والجزع، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[١٧، ١٨] ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتِ وَيَعْمُرُونَ فِيهَا﴾، معجبين بذلك ناعمين، ﴿يَمَّا ءَانَهُمْ رَيْثُمْ وَوَقْتَهُمْ رَيْثُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ﴾، ويقال لهم:

[١٩] ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾، مأمون العاقبة من التخمّة والسقم، ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿مُنْكِكِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾، موضوعة بعضها إلى جنب بعض، ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾.

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾، اختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: معناها والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان يعني أولادهم الصغار والكبار، فالكبار بإيمانهم بأنفسهم، والصغار بإيمان آبائهم، فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعًا لأحد الأبوين ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، المؤمنين في الجنة بدرجاتهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكملةً لأبائهم لتقرّ بذلك أعينهم، وقال آخرون: معناه والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم البالغون بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم، أخبر الله عزّ وجلّ أنه

وهو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له: الضُّراح، حرمة في السماء كحرمة الكعبة في الأرض يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون إليه أبدًا.

[٥] ﴿وَالسَّمَاءِ الَّرُّوعِ﴾، يعني السماء، نظيره قوله عزّ وجلّ: (وجعلنا السماء سقًا محفوظًا).

[٦] ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾، قال محمد بن كعب القرظي والضحاك: يعني الموقد المحمى. وقال مجاهد والكلبي: المسجور المملوء، يقال: سجرت الإناء إذا ملأته. وقال الحسن وقاتدة وأبو العالية: هو اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب. وقال الربيع بن أنس: هو المختلط العذب بالملح. وروى الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي أنه قال في البحر المسجور: هو بحر تحت العرش، سعته كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين، فيه ماء غليظ يقال له: بحر الحيوان. تمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحًا فينبئون في قبورهم. هذا قول مقاتل. أقسم الله بهذه الأشياء.

[٧] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾، نازل كائن.

[٨] ﴿مَا لَمْ يَنْ دَافِعْ﴾، مانع، ثم بين أنه متى يقع فقال:

[٩] ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾، أي تدور كدوران الرحي وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة. قال قتادة: تتحرك. قال عطاء الخراساني: تختلف أجزاءها بعضها في بعض. وقيل: تضطرب، والمور يجمع هذه المعاني فهو في اللغة: الذهاب والمجيء والتردد والدوران والاضطراب.

[١٠] ﴿وَسِيرُ الْجِبَالِ سِيرًا﴾، فتزول عن أماكنها وتصير هباءً منثورًا.

[١١، ١٢] ﴿فَوَيْلٌ﴾، فشدّة عذاب، ﴿يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين هم في حَوْضٍ يَلْعَبُونَ، يخوضون في الباطل يلعبون غافلين لا هين.

يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا أن يجتمعوا إليه، يدخلهم الجنة بفضلهم ويلحقهم بدرجته بعمل أبيه، من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئاً، فذلك قوله: ﴿وَمَا أَلْتَنَّهُمْ﴾ أي ما نقصناهم يعني الآباء، ﴿مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾، قال مقاتل: كل امرئ كافر بما عمل من الشرك مرتين في النار، والمؤمن لا يكون مرتين، لقوله عز وجل: (كل نفس بما كسبت رهينة) (إلا أصحاب اليمين) ثم ذكر ما يزيدهم من الخير والنعمة.

[٢٢] فقال: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ﴾، زيادة على ما كان لهم، ﴿وَلَحَرٍ مِّمَّا يَشْتَبُونَ﴾، من أنواع اللحمان. [٢٣] ﴿يَنْتَزِعُونَ﴾، يتعاطون ويتناولون، ﴿فِيهَا كَأَسَا لَا لَغْوٌ فِيهَا﴾، وهو الباطل. وقال مقاتل بن حيان: لا فضول فيها. وقال سعيد بن المسيب: لا رفث فيها. وقال ابن زيد: لا سباب ولا تخاصم فيها. وقال القتيبي: لا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا. ﴿وَلَا تَأْسِيرُ﴾، أي لا يكون منهم ما يؤثمهم. قال الزجاج: لا يجري بينهم ما يلغي ولا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا بشربة الخمر. وقيل: لا يأثمون في شربها.

[٢٤] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾، بالخدمة، ﴿غِلْمَانٌ لَهُمْ كَانَتْهُمْ﴾، في الحسن والبياض والصفاء، ﴿لَوْلُؤُكُمْ كُنُوزٌ﴾، مخزون مصون لم تمسه الأيدي. قال سعيد بن جبیر: مكنون يعني في الصدف.

[٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾، يسأل بعضهم بعضاً في الجنة. قال ابن عباس: يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا.

[٢٦] ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا﴾، في الدنيا، ﴿مُشْفِقِينَ﴾، خائفين من العذاب.

[٢٧] ﴿فَمَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، بالمغفرة، ﴿وَوَقَّنَا عَذَابَ السُّمُورِ﴾، قال الكلبي: عذاب النار. وقال الحسن: السُّمُوم اسم من أسماء جهنم.

أَسْحَرَهُذَا أَمْ أَتَشْرُ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا فَأَصْبَرُوا أَوْ لَا تُصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُودٍ ﴿١٧﴾ فَكَاهِنِينَ يَمُوءُ إِلَيْهِمْ رَيْحُهُمْ وَوَقَّتُهُمْ مِنْهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كَلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَكِبِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحَرٍ مِّمَّا يَشْتَبُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْتَزِعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسِيرُ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَانَتْهُمْ لَوْلُؤُكُمْ كُنُوزٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السُّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبُّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَاصِبِينَ ﴿٣١﴾

[٢٨] ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾، في الدنيا، ﴿نَدْعُوهُ﴾، نخلص له العباد، ﴿إِنَّهُ﴾، قرأ أهل المدينة والكسائي (أنه) بفتح الألف، أي لأنه أو بأنه. وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف، ﴿هُوَ الْبَرُّ﴾، قال ابن عباس: اللطيف. وقال الضحاك: الصادق فيما وعد ﴿الرَّحِيمُ﴾.

[٢٩] ﴿فَذَكِّرْ﴾، يا محمد بالقرآن أهل مكة، ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾، برحمته وعصمته، ﴿بِكَاهِنٍ﴾، تتدع القرآن وتخبر بما في غد من غير وحي، ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾، نزلت في الذين اقتسموا عقاب مكة يرمون رسول الله ﷺ بالكهانة والسحر والجنون والشعر.

[٣٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾، بل يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخراصين. ﴿شَاعِرٌ﴾، أي هو شاعر، ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ﴾، حوادث الدهر وصروفه

هم الخالقون لأنفسهم فلا يجب عليهم الله أمر؟
 [٣٦] ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، فيكونوا هم الخالقين، ليس الأمر كذلك، ﴿بَلْ لَا يُقُونُ﴾.
 [٣٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ﴾، قال عكرمة: يعني النبوة. قال مقاتل: بأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤوا؟ قال الكلبي: خزائن المطر والرزق، ﴿أَمْ هُمُ الْمُضَيِّطُونَ﴾، المسلطون الجبارون، قال عطاء: أرباب قاهرون فلا يكونوا تحت أمر ونهي، ويفعلون ما شاؤوا.
 [٣٨] ﴿أَمْ لَهُمْ شُلٌّ﴾، مرقى ومصعد إلى السماء، ﴿يَسْتَعِينُونَ فِيهِ﴾، أي يستمعون عليه الوحي، كقوله: (ولأصلبتكم في جذوع النخل) أي عليها، أي ألهم سلم يرتقون به إلى السماء، فيستمعون الوحي ويعلمون أن ما هم عليه حق بالوحي، فهم متمسكون به كذلك؟ ﴿فَلْيَاتِ مُسْتَعِئُهُمْ﴾، إن ادعوا ذلك، ﴿بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾، بحجة بينة.
 [٣٩] ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَتْ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾، هذا إنكار عليهم حين جعلوا الله ما يكرهون، كقوله: (فاستفتهم ألبك البنات ولهم البنون).
 [٤٠] ﴿أَمْ تَنْهَاهُمْ أَجْرًا﴾، جعلاً على ما جئتهم به ودعوتهم إليه من الدين، ﴿فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّقْتَدُونَ﴾، أنقلهم ذلك الغرم الذي تسألهم، فمنعهم ذلك عن الإسلام.
 [٤١] ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾، أي علم ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم الرسول من أمر القيامة والبعث باطل. وقال قتادة: هذا جواب لقولهم: (تربص به رب المنون)، يقول: أعندهم علم الغيب حتى علموا أن محمداً ﷺ يموت قبلهم؟ ﴿فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾، قال القتيبي: فهم يكتبون أي يحكمون، والكتاب الحكم، قال النبي ﷺ للرجلين اللذين تخاصما إليه: «أقضي بينكما بكتاب الله»، أي بحكم الله، وقال ابن عباس: معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به؟

فيموت ويهلك كما هلك من قبله من الشعراء، ويتفرق أصحابه وأن أباه مات شاباً ولحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه، والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى الموت، سُمياً بذلك لأنهما يقطعان الأجل.
 [٣١] ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾، انتظروا بي الموت، ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُرْصِيعِينَ﴾، من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم فتعذبوا يوم بدر بالسيف.
 [٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُهُمْ﴾، عقولهم، ﴿بِهَذَا﴾، وذلك أن عظماء قريش كانوا يُوصفون بالأحلام والعقول، فأزرى الله بعقولهم حين لم تتم لهم معرفة الحق من الباطل، ﴿أَمْ هُمْ﴾، بل هم، ﴿قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.
 [٣٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ فَقَوْلُهُ﴾، أي تخلق القرآن من تلقاء نفسه، والتقول: تكلف القول، ولا يستعمل ذلك إلا في الكذب وليس الأمر كما زعموا، ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، بالقرآن استكباراً.
 [٣٤] ثم ألزمهم الحجة فقال: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾، أي مثل القرآن في نظمه وحسن بيانه، ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾، أن محمداً تقوله من تلقاء نفسه.
 [٣٥] ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾، قال ابن عباس: من غير رب، ومعناه: أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق، وذلك مما لا يجوز أن يكون، لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فلا بد له من خالق، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق، ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾، لأنفسهم ذلك في البطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق، فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً فليؤمنوا به، ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخطابي، قال الزجاج: معناه أخلقوا باطلاً لا يحاسبون ولا يؤمرون؟ وقال ابن كيسان: أخلقوا عبثاً وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون، فهو كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير شيء، أي لغير شيء، أم

[٤٢] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾، مكرًا بك ليهلكوك، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾، أي هم المجزيون بكيدهم يريد أن ضرر ذلك يعود عليهم، ويحيق مكرهم بهم، وذلك أنهم مكروا به في دار الندوة فقتلوا بيدر.

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾، يرزقهم وينصرهم، ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، قال الخليل: ما في هذه السورة من ذكر أم كلمة استفهام وليس بعطف.

[٤٤] ﴿وَإِنْ رَوْا كَسْفًا﴾، قطعة، ﴿مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾، هذا جواب لقولهم: (فأسقط علينا كسفاً من السماء)، يقول: لو عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم، ﴿يَقُولُوا﴾، لمعاندتهم هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾، بعضه على بعض يسقينا.

[٤٥] ﴿فَدَرَهُمْ حَتَّى يَلْقَوا﴾، يُعَايِنُوا، ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾، يموتون، أي حتى يعاينوا الموت.

[٤٦] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾، أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع.

[٤٧] ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، كفروا، ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾، أي عذاباً في الدنيا قبل عذاب الآخرة. قال ابن عباس: يعني القتل يوم بدر. وقال مجاهد: هو الجوع والقحط سبع سنين. وقال البراء بن عازب: هو عذاب القبر. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أن العذاب نازل بهم.

[٤٨] ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، إلى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم، ﴿فَإِنَّكَ بِأَيْنُنَا﴾، أي بمرأى منا، قال ابن عباس: نرى ما يعمل بك. وقال الزجاج: معناه أنك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إلى مكروهك. ﴿وَسَيَجْزِيكِ رَبُّكَ حِينَ تَقُومِينَ﴾، قال سعيد بن جبير وعطاء: أي قل حين تقوم من مجلسك: سبحانك اللهم وبحمدك، فإن كان المجلس خيراً ازددت إحساناً، وإن كان غير ذلك

٥٢٥

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ (٣٢) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣) ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٣٤) ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) ﴿أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ﴾ (٣٦) ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمْ الْمُضْطَرُونَ﴾ (٣٧) ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَاسٍ يَسْتَعِينُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَعِينُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (٣٨) ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ (٣٩) ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ (٤٠) ﴿أَمْ عَنْدهُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ (٤١) ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ (٤٢) ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٤٣) ﴿وَإِنْ رَوْا كَسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ (٤٤) ﴿فَدَرَهُمْ حَتَّى يَلْقَوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ (٤٥) ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٤٦) ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٧) ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٤٨) ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ (٤٩)

سُورَةُ النَجْمِ

كان كفارة له. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: معناه صلَّ لله حين تقوم من مقامك. وقال الضحاك والربيع: إذا قمت إلى الصلاة فقل: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك. وقال الكلبي: هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش إلى أن يدخل في صلاته.

[٤٩] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾، أي صلَّ له، قال مقاتل: يعني صلاة المغرب والعشاء. ﴿وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾، يعني ركعتين قبل صلاة الفجر، وذلك حين تدبر النجوم أي تغيب بضوء الصبح، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الضحاك: هو فريضة صلاة الصبح.

(٥٣) سُورَةُ النّجْمِ

الله، وهو بالأفق الأعلى. ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّكَ﴾ .
[٩، ٨] قوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّكَ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، اختلفوا في معناه، فقيل: جبريل فمعنى الآية: ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض، فتدلى فنزل إلى محمد ﷺ، فكان منه قاب قوسين أو أدنى، بل أدنى، وقال آخرون: ثم دنا الربُّ عزّ وجلّ من محمد ﷺ فتدلى، فقرب منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وقال مجاهد: دنا جبريل من ربه. وقال الضحاك: دنا محمد ﷺ من ربه فتدلى فأهوى للسجود، فكان منه قاب قوسين أو أدنى، ومعنى قوله: (قاب قوسين) أي قدر قوسين، والقاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن المقدار، والقوس: ما يرمى به، فأخبر أنه كان بين جبريل وبين محمد ﷺ مقدار قوسين.

[١٠] ﴿فَأَوْحَى﴾، أي أوحى الله، ﴿إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾، محمد ﷺ، قال ابن عباس، معناه أوحى جبريل إلى رسول الله ﷺ ما أوحى إليه ربه عزّ وجلّ. قال سعيد بن جبیر: أوحى إليه: (ألم يجدك يتيماً فأوى) إلى قوله تعالى: (ورفعنا لك ذكرك)، وقيل: أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك.

[١١] ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾، قرأ أبو جعفر: ما كذب بتشديد الذال، أي: ما كذب قلب محمد ﷺ ما رأى بعينه تلك الليلة، بل صدقه وحققه، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي ما كذب فؤاد محمد ﷺ الذي رأى، بل صدقه، يقال: كذبه إذا قال له الكذب، وصدقه إذا قال له الصدق، مجازة: ما كذب الفؤاد فيما رأى، واختلفوا في الذي رآه، فقال قوم: رأى جبريل، وقال آخرون: هو الله عزّ وجلّ. ثم اختلفوا في معنى الرؤية، فقال بعضهم: جعل بصره في فؤاده فرأى بفؤاده، وهو قول ابن عباس، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه.

[١] ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾، قال ابن عباس - في رواية الوالبي والعوفي -: يعني الثريا إذا سقطت وغابت، وهويه مغيبه، وقال مجاهد: هي نجوم السماء كلها حين تغرب، لفظه واحد ومعناه الجمع، سُمي الكوكب نجماً لظلوله، وكل طالع نجم يقال: نجم السن والقرن والنبت إذا طلع. عن ابن عباس: ما تُرمى بها الشياطين عند استراقهم السمع، وقيل: المراد بالنجم القرآن سُمي نجماً لأنه نزل نجوماً متفرقة في عشرين سنة، وسمي التفريق: تنجيماً، والمفروق: منجماً، والهوى: النزول من أعلى إلى أسفل.

[٢-٣] وجواب القسم. قوله: ﴿مَا صَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾، يعني محمداً ﷺ ما ضل عن طريق الهدى، ﴿وَمَا عَوَّى ۝ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾، يعني بالهوى يريد لا يتكلم بالباطل، وذلك أنهم قالوا: إن محمداً ﷺ يقول القرآن من تلقاء نفسه.

[٤] ﴿إِنْ هُوَ﴾، ما نطقه في الدين، وقيل: القرآن، ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، يعني وحي من الله يُوحى إليه.

[٥] ﴿عَلَّمُهُ شَدِيدُ الْفُؤَى﴾، وهو جبريل، والْفُؤَى جمع القوة.

[٦] ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾، قوة وشدة في خلقه، يعني جبريل. قال ابن عباس: ذو مرة يعني ذو منظر حسن. وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن. ﴿فَاسْتَوَى﴾، يعني جبريل.

[٧] ﴿وَهُوَ﴾، يعني محمداً ﷺ، ومعنى الآية: استوى جبريل ومحمد عليهما السلام ليلة المعراج، ﴿بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾، وهو أقصى الدنيا عند مطلع الشمس، وقيل: فاستوى يعني جبريل، وهو كناية عن جبريل أيضاً، أي قام في صورته التي خلقه

سورة النجم

٥٢٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ (٢) وَمَا يَنْطُقُ
عَنِ الْمُهْوَىٰ ۝ (٣) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ (٥)
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ (٧) ثُمَّ دَنَّىٰ فَقَدَّىٰ ۝ (٨)
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝ (١٠)
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ (١١) أَفَتَسْمُرُونَ عَلَىٰ مَا بَرَأَ ۝ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ
نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝ (١٤) عِنْدَ جَنَّةِ الْمَأْوَىٰ ۝ (١٥)
إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ
مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝ (١٨) أَفَرَأَيْتُمْ أَكَلَتْ أَمْزَاقٌ مِنَ السَّمَاءِ ۝ (١٩)
النَّازِلَةِ الْأُخْرَىٰ ۝ (٢٠) أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ الْأُولَىٰ ۝ (٢١) أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ
الْأُولَىٰ ۝ (٢٢) أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ الْأُولَىٰ ۝ (٢٣) أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ
الْأُولَىٰ ۝ (٢٤) أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ الْأُولَىٰ ۝ (٢٥) أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ
الْأُولَىٰ ۝ (٢٦) أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ الْأُولَىٰ ۝ (٢٧) أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ
الْأُولَىٰ ۝ (٢٨) أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ الْأُولَىٰ ۝ (٢٩) أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكُتُبُ
الْأُولَىٰ ۝ (٣٠)

[١٢] ﴿أَفْتَسْمُرُونَ عَلَىٰ مَا بَرَأَ﴾، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: (أفتمرونه) بفتح التاء بلا ألف، أي أفتمجدونه، تقول العرب: مريت الرجل حقه إذا جحدته، وقرأ الآخرون: (أفتمارونه) بالألف وضم التاء، على معنى أفتمجدولونه على ما يرى، وذلك أنهم جادلوه حين أسري به، فقالوا: صف لنا بيت المقدس.

[١٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، يعني رأى جبريل في صورته التي خلق عليه نازلاً من السماء نزلة أخرى. وذلك أنه رآه في صورته مرتين، مرة في الأرض ومرة في السماء.

[١٤] ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾، وعلى قول ابن عباس معنى: (نزلة أخرى) هو أنه كانت للنبي ﷺ عرجات في تلك الليلة لمسألته التخفيف من أعداد الصلوات، فيكون لكل عرجة نزلة، فرأى ربه في بعضها، والسدرة شجرة النبق، وقيل لها: سدرة المنتهى لأنه إليها ينتهي علم الخلق.

[١٥] ﴿عِنْدَ جَنَّةِ الْمَأْوَىٰ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: جنة المأوى جنة يأوي إليها جبريل والملائكة. وقال مقاتل والكلبي: تأوي إليها أرواح الشهداء.

[١٦] ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾، قال ابن مسعود: فراش من ذهب، وقال مقاتل: تغشاها الملائكة وقال السدي: من الطيور، وعن الحسن قال: غشيتها نور رب العزة فاستنارت.

[١٧] ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾، أي ما مال بصر النبي ﷺ يميناً ولا شمالاً وما طغى، أي ما جاوز ما رأى. وقيل: ما جاوز ما أمر به وهذا وصف أدبه في ذلك المقام إذ لم يلتفت جانباً.

[١٨] ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾، يعني الآيات العظام. وقيل: أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره وعوده.

[١٩] قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ أَكَلَتْ أَمْزَاقٌ مِنَ السَّمَاءِ ۝ (١٩)﴾، هذه أسماء

أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها.

[٢٠] ﴿وَمِنَ السَّمَاءِ ۝ (٢٠)﴾ قال قتادة: هي لخزاعة كانت بقديد، وقال ابن زيد: بيت كان بالمشلل يعبده بنو كعب. قال الضحاك: مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبدونها أهل مكة. وقال بعضهم: اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها، وأما قوله: ﴿النَّازِلَةِ الْأُخْرَىٰ﴾، فالثالثة نعت لمناة أي الثالثة للصنمين في الذكر، ومعنى الآية: أفرأيتم أخبرونا أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومنات بنات الله، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

[٢١، ٢٢] فقال الله تعالى منكراً عليهم: ﴿الْأَكْمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ۝ (٢١)﴾، قال ابن عباس وقتادة: أي قسمة جائزة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم. قال مجاهد ومقاتل: قسمة

[٣٠] ثم صَغَّرَ رأيهم فقال: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾، أي ذلك نهاية علمهم وقدر عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة. وقيل: لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم أن الملائكة بنات الله، وأنها تشفع لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن. ﴿إِنَّ رَيْكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾، أي هو عالم بالفريقين فيجازيهم.

[٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، وهذا معترض بين الآية الأولى وبين قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَلَيْهِمْ﴾، فاللام في قوله: (ليجزي) متعلق بمعنى الآية الأولى، لأنه إذا كان أعلم بهم جازى كلًّا بما يستحقه، الذين أسأوا أي أشركوا بما عملوا من الشرك، ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنِ﴾، وخذوا ربهم بالحسنى بالجنة، وإنما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك، ولذلك قال: (ولله ما في السماوات وما في الأرض).

[٣٢] ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ﴾، اختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: هذا استثناء صحيح، واللمم: من الكبائر والفواحش، ومعنى الآية: إلا أن يلزم بالفاحشة مرة ثم يتوب، ويقع الواقعة ثم ينتهي، وأصل اللمم والإلمام ما يعملها الإنسان الحين بعد الحين، ولا يكون له إعادة ولا إقامة عليه. وقال آخرون: هذا استثناء منقطع مجازه لكن اللمم، ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش، ثم اختلفوا في معناه، فقال بعضهم: هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به، وقال بعضهم: هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا، وقال الكلبي: اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدًّا في الدنيا ولا عذابًا في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش، والوجه الآخر هو: الذنب

عوجاء. وقال الحسن: غير معتدلة. [٢٣] ﴿إِنْ هِيَ﴾، ما هذه الأصنام، ﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أُتْمَرَ وَأَبَاوُكُم مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾، حجة وبرهان بما تقولون إنها آلهة، ثم رجع إلى الخبر بعد المخاطبة فقال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾، في قولهم إنها آلهة، ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾، وهو ما زين لهم الشيطان، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾، البيان بالكتاب والرسول أنها ليست بآلهة، وأن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار.

[٢٤] ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾، أيظن الكافر أن له ما يتمنى ويشتهي من شفاعاة الأصنام.

[٢٥] ﴿لِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾، ليس كما ظن الكافر وتمنى، بل لله الآخرة والأولى لا يملك أحدٌ فيهما شيئًا إلا بإذنه.

[٢٦] ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾، ممن يعبدهم هؤلاء الكفار ويرجون شفاعتهم عند الله، ﴿لَا تَتَنَّى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾، في الشفاعاة، ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَبِرَحْمَةٍ﴾، أي من أهل التوحيد. قال ابن عباس: يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه، وجمع الكناية في قوله: شفاعتهم والملك واحد لأن المراد من قوله: (وكم من ملك)، الكثرة فهو كقوله: (فما منكم من أحد عنه حاجزين).

[٢٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْئُونَ الْمَلَائِكَةَ نَسِيَةً الْأُولَى﴾، أي بتسمية الأنثى حين قالوا: إنهم بنات الله.

[٢٨] ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾، قال مقاتل: معناه ما يستيقنون أنهم إناث، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾، والحق بمعنى العلم أي لا يقوم الظن مقام العلم. وقيل: الحق بمعنى العذاب، أي أظنهم لا ينقذهم من العذاب.

[٢٩] ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾، يعني القرآن. وقيل: الإيمان، ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه. وقال سعيد بن المسيب: هو ما لم على القلب أي خطر. وقال الحسين بن الفضل: اللمم النظرة من غير تعمد فهو مغفور، فإن أعاد النظر فليس بلمم وهو ذنب، ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾، قال ابن عباس: لمن فعل ذلك وتاب، تم الكلام ههنا، ثم قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾، أي خلق أباكم آدم من التراب، ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَحْجَةُ﴾، جمع جنين، سمي جنيناً لاجتنانه في البطن، ﴿فِي بُطُونٍ أُمَهْتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، قال ابن عباس: لا تمدحوها. قال الحسن: علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة، فلا تركوا أنفسكم، فلا تبرؤوها عن الآثام ولا تمدحوها بحسن أعمالها. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَتَقَى﴾، أي برّ وأطاع وأخلص العمل لله تعالى.

[٢٣] قوله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾، نزلت في الوليد بن المغيرة، كان قد اتبع النبي ﷺ على دينه فغيره بعض المشركين، وقال: أتركت دين الأشياخ وضلللتهم؟ قال: إني خشيت عذاب الله فضمن الذي عاتبه إن هو أعطاه كذا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله، فرجع الوليد إلى الشرك وأعطى الذي عيّره بعض ذلك المال الذي ضمن ومنعه تمامه، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ أدبر عن الإيمان.

[٣٤] ﴿وَأَعْطَى﴾، صاحبه، ﴿قَلِيلًا وَكَذِبًا﴾، بخل بالباقي، ومعنى أكدى: يعني قطع، وأصله من الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر، تقول العرب: أكدى الحافر وأجبل إذا بلغ في الحفر الكدية والجبل.

[٣٥] ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بِرَى﴾، ما غاب عنه ويعلم أن صاحبه يتحمل عنه عذابه.

[٣٦] ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ﴾، لم يخبر، ﴿بِمَا فِي صُحُفٍ مُوسَى﴾، يعني: أسفار التوراة.

٥٢٧ سورة النجم
إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونُ الْمَلِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يَغْنَى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَيَجْزَى الَّذِينَ اسْتَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوْحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَحْجَةُ فِي بُطُونٍ أُمَهْتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَتَقَى ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَكَذِبًا ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بِرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بَيْنَ مَا فِي صُحُفٍ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٦﴾ أَلَا نَزَرُ وَأَنْزَرُهُ وَزَرَأُ أُخْرَى ﴿٣٧﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ سَعَاهُ سَوْفَ يَرَى ﴿٣٩﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى ﴿٤٠﴾ وَأَنْهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٤١﴾ وَأَنْهُ هُوَ آمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٤٢﴾

[٣٧] ﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾، وفي صحف إبراهيم عليه السلام، ﴿الَّذِي وَفَّى﴾، تَمَّ وأكمل ما أمر به. قال الحسن وسعيد بن جبير وقناة: عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه إلى خلقه. قال مجاهد: وفى بما فُرض عليه. قال الربيع: وفى رؤياه وقام بذبح ابنه. وقال عطاء الخراساني: استكمل الطاعة. وقال أبو العالية: وفى سهام الإسلام. والتوفية الإتمام. وقال الضحاك: وفى ميثاق المناسك.

[٣٨] ثُمَّ بَيَّنَّ مَا فِي صُحُفِهِمَا فَقَالَ: ﴿أَلَا نَزَرُ وَأَنْزَرُهُ وَزَرَأُ أُخْرَى﴾، أي لا تحمل نفس حاملة حمل أخرى، ومعناه: لا تؤخذ نفس بإثم غيرها.

[٣٩] ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾، أي عمل كقوله: (إن سعيكم لشتى)، وهذا أيضًا في صحف إبراهيم وموسى.

[٤٠] ﴿وَأَنْ سَعَاهُ سَوْفَ يَرَى﴾، في ميزانه يوم

أعطى وقنع. وقال ابن زيد: أغنى أكثر، وأقنى أقل، وقرأ: (يسط الرزق لمن يشاء ويقدر)، وقال الأخفش: أقنى أفقر. وقال ابن كيسان: أولد. [٤٩] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾، وهو كوكب

خلف الجوزاء وكانت خزاعة تعبدها. [٥٠] ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾، وهم قوم هود أهلکوا بريح صرصر فكان لهم عقب فكانوا عادًا الأخرى.

[٥١] ﴿وَنُوحًا﴾، وهم قوم صالح أهلکهم الله بالصيحة، ﴿فَأَنبَأْ﴾، منهم أحدًا.

[٥٢] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾، أي أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، ﴿إِنَّمَا كَانُوا هُمِ الظَّالِمُونَ﴾، لطول دعوة نوح إياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب.

[٥٣] ﴿وَالْمُؤَلَّفَكَ﴾، يعني: قرى قوم لوط، ﴿أَهْوَى﴾، أسقط أي أهواها جبريل بعد ما رفعها إلى السماء.

[٥٤] ﴿فَسَنَّاها﴾، ألبسها الله، ﴿مَا عَشَى﴾، يعني الحجارة المنضودة المسومة.

[٥٥] ﴿فَإِنَّ إِلَاءَ رَبِّكَ﴾، نعم ربك أيها الإنسان، وقيل: أراد الوليد بن المغيرة، ﴿نَتَمَارَى﴾، تشك وتجادل، قال ابن عباس: تكذب.

[٥٦] ﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾، يعني محمدًا، ﴿مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَى﴾، أي رسول من الرسل أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم، وقال قتادة: يقول أنذر محمدًا كما أنذر الرسل من قبله.

[٥٧] ﴿أَرَفَتِ الْأَفْئِدَةُ﴾، دنت القيامة واقتربت الساعة.

[٥٨] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾، أي مظهرة مقيمة كقوله تعالى: (لا يجليها لوقتها إلا هو)، والهاء فيه للمبالغة أو على تقدير نفس كاشفة، ويجوز أن تكون الكاشفة مصدرًا كالخيالة والعافية، والمعنى: ليس لها من دون الله كاشف، أي لا

القيامة، مأخوذة من: من أريته الشيء. [٤١] ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى﴾، الأكمل والأتم أي يجزي الإنسان بسعيه، يقال: جزيت فلانًا سعيه وبسعيه.

[٤٢] ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾، أي منتهى الخلق ومصيرهم إليه، وهو مجازيهم بأعمالهم. وقيل: منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الآمال.

[٤٣] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾، فهذا يدل على أن كل ما يعمل الإنسان بقبضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء، قال مجاهد والكلبي: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار. وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر. قال عطاء بن أبي مسلم: يعني فرح وأحزن، لأن الفرح يجلب الضحك، والحزن يجلب البكاء.

[٤٤] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾، أي أمات في الدنيا وأحيا للبعث. وقيل أمات الآباء وأحيا الأبناء. وقيل: أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة.

[٤٥] ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾، من كل حيوان.

[٤٦] ﴿مِن تَطْفِئَةٍ إِذَا تُنقِى﴾، أي تصب في الرحم، يقال منى الرجل وأمنى وقيل: تُقَدَّر، يقال: منيت الشيء إذا قدرته.

[٤٧] ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَاءَ الْآخِرَى﴾، أي الخلق الثاني للبعث يوم القيامة.

[٤٨] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾، قال أبو صالح: أغنى الناس بالأموال، وأقنى أي: أعطى القنية وأصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية. قال الضحاك: أغنى بالذهب والفضة وصنوف الأموال وأقنى بالإبل والبقر والغنم. وقال قتادة والحسن: أقنى أخدم. وقال ابن عباس: أغنى وأقنى: أعطى فأرضى. قال مجاهد ومقاتل: أقنى أرضى بما

يكشف عنها ولا يظهرها غيره. وقيل: معناه ليس لها رادّ يعني إذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد.

[٥٩، ٦٠] ﴿إِن هَذَا الْحَدِيثُ﴾، يعني القرآن، ﴿تَعْجِبُونَ وَتَصْحَكُونَ﴾ الاستهزاء، ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾، لما فيه من الوعد والعيد.

[٦١] ﴿وَأَنْتُمْ سِيدُونَ﴾، لاهون غافلون، والسمود الغفلة عن الشيء واللهو، يقال: دع عتاً سمودك أي لهوك، هذا رواية الوالبي والعوفي عن ابن عباس، وقال عكرمة عنه: هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا، وقال الضحاك: أشرون بطرون.

[٦٢] ﴿فَاتَّبِعُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾، أي واعبدوه.

(٥٤) سُورَةُ الْقَمَرِ

[١] ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾، دنت القيامة، ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾، عن أنس بن مالك: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما^(١).

[٢] ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾، أي ذاهب وسوف يذهب ويبتل من قولهم مرّ الشيء واستمر إذا ذهب، مثل قولهم: قرّ واستقر، هذا قول مجاهد وقتادة، وقال أبو العالية والضحاك: مستمر أي قوي شديد يعلو كل سحر، من قولهم: مرّ الحبل إذا صلب واشتدّ، وأمرته أنا إذا أحكمت فتله واستمر الشيء إذا قوي واستحكم.

[٣] ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾، أي كذبوا النبي ﷺ وما عاينوا من قدرة الله عزّ وجلّ، واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الباطل، ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾، قال الكلبي: لكل أمر حقيقة ما كان منه في الدنيا فيظهر وما كان منه في الآخرة فيعرف. وقال قتادة: كل أمر مستقر فالخير مستقر بأهل

سُورَةُ الْقَمَرِ

٥٢٨

سُورَةُ الْقَمَرِ

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٥٥﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تَثَقَى ﴿٥٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأَخْرَى ﴿٥٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿٥٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴿٥٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٦٠﴾ وَثَمُودَ إِثْبَى ﴿٦١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَى ﴿٦٢﴾ وَالْمُؤَنَفَكَةَ أَهْوَى ﴿٦٣﴾ فَخَسَّنَا مَا غَشَى ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ نَسْمَايَ ﴿٦٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذَرِ الْأُولَى ﴿٦٦﴾ أَرَأَيْتِ الْآرَافَةَ ﴿٦٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٦٨﴾ إِنْ هَذَا الْحَدِيثُ تَعْجِبُونَ ﴿٦٩﴾ وَتَصْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٧٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٧١﴾ فَاتَّبِعُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٧٢﴾

سُورَةُ الْقَمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿٣﴾ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٥﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ نَسْمَايَ ﴿٧﴾

الخير، والشر مستقر بأهل الشر. وقيل كل أمر من خير أو شر مستقر قراره، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار. وقيل: يستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب. وقال مقاتل: لكل حديث منتهى. وقيل: كل ما قدر كائن وواقع لا محالة.

[٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾، يعني أهل مكة، ﴿مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾، من أخبار الأمم المكذبة في القرآن، ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾، مصدر بمعنى الازدجار، أي نهى وعظة، يقال زجرته وازدجرته إذا نهته عن السوء، وأصله مزجرجر، فُلِّيتِ التاء دالاً.

[٥] ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾، يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية في الزجر، ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾، يجوز

ماء السماء و ماء الأرض، وإنما قال: التقى الماء والالتقاء لا يكون من واحد إنما يكون بين اثنين فصاعدًا لأن الماء يكون جمعًا وواحدًا، ﴿عَلَى أَمْرِ قَدْرٍ﴾، أي قضي عليهم في أم الكتاب. وقال مقاتل: قدر الله أن يكون الماءان سواء فكأننا على قدر.

[١٣] ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾، يعني نوحًا، ﴿عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسْرٍ﴾، أي سفينة ذات ألواح، ذكر النعت وترك الاسم، أراد بالألواح خشب السفينة العريضة، (ودسر) أي المسامير التي تشد بها الألواح، واحدها دسار ودسير، يقال: دسرت السفينة إذا شدتها بالمسامير. وقال الحسن: الدسر صدر السفينة سميت بذلك لأنها تدرس الماء بجوئتها، أي تدفع. وقال مجاهد: هي عوارض السفينة. وقيل: أضلاعها. وقال الضحاك: الألواح جانبها، والدسر أصلها وطرفها.

[١٤] ﴿نَحْنُ بِأَعْيُنِنَا﴾، أي بمرأى منا. وقال مقاتل بن حيان: بحفظنا، ومنه قولهم للمودع: عين الله عليك. وقال سفيان: بأمرنا. ﴿جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾، يعني فعلنا به وبهم من إنجاء نوح وإغراق قومه ثوابًا لمن كان كفر به وجُحد أمره، وهو نوح عليه السلام، وقيل: (من) بمعنى (ما) أي جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين أغرقهم، أو جزاء لِمَا صنع بنوح وأصحابه، وقرأ مجاهد (جزاء لمن كان كفر) بفتح الكاف والفاء، يعني كان الغرق جزاء لمن كان كفر بالله وكذب رسوله.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ﴾، يعني الفعلة التي فعلنا، ﴿بِآيَةٍ﴾، يعتبر بها. وقيل: أراد السفينة. قال قتادة: أبقاها الله بياقر دي من أرض الجزيرة، عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾، أي متذكر متعظ معتبر خائف مثل عقوبتهم.

أن تكون (ما) نفيًا على معنى فليست تغني النذر، ويجوز أن يكون استفهامًا، والمعنى: فأني شيء تغني النذر إذا خالفوهم وكذبوهم، كقوله: (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)، والنذر جمع نذير.

[١٦] ﴿فَقَوْلًا عَنْهُمْ﴾، أي أعرض عنهم، نسختها آية القتال. قيل: ههنا وقف تام. وقيل: فتول عنهم. ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾، أي إلى يوم الداعي، قال مقاتل: هو إسرافيل ينفخ قائمًا على صخرة بيت المقدس، ﴿إِلَى شَيْءٍ تُكْرِرُ﴾، منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظامًا.

[١٧] ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ في قراءة عبدالله: (خاشعة أبصارهم)، أي: ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب. ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَعْدَابِ﴾، من القبور، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾، منبت حيارى، وذكر المنتشر على لفظ الجراد، نظيرها: (كالفراش المبعوث)، وأراد أنهم يخرجون فزعين لا جهة لأحد منهم يقصدها كالجراد لا جهة لها تكون مختلطة بعضها في بعض.

[١٨] ﴿مُتَهَيِّئِينَ﴾، مسرعين مقبلين، ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾، إلى صوت إسرافيل، ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾، صعب شديد.

[١٩] قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾، أي قبل أهل مكة، ﴿قَوْمٌ نُوحٌ فَاكذبوا عبدنا﴾، نوحًا، ﴿وَقَالُوا بَحْنُونَ وَازْدَجَرُوا﴾، أي زجروه عن دعوته ومقاتله بالشم والوعيد، وقالوا: (لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين)، وقال مجاهد: معنى ازدجر أي استطير جنونًا.

[٢٠] ﴿فَدَعَا نُوحٌ﴾، ربه، وقال، ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾، مهزور، ﴿فَأَنْصَرْ﴾، فانتقم لي منهم. [٢١] ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ﴾، منصب انصبابًا شديدًا لم يقطع أربعين يومًا. [٢٢] ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾، يعني

سورة القمر

٥٢٩

سورة القمر

خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾
 مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَبَتْ
 قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
 رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ
 ﴿١١﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَمَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ دَرَّ ﴿١٢﴾
 وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ
 كَفِرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ذَرَّكَنَّاهُ آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
 عَذَابِي وَنُذِرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسْرَنَا الْفَرَّانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ
 ﴿١٧﴾ كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
 رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ شَدِيدِ دَائِمِ الشُّؤْمِ، اسْتَمَرَّ عَلَيْهِمْ
 بَنَحُو سَنَةٍ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَهْلُكِهِ، قِيلَ: كَانَ
 ذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فِي آخِرِ الشَّهْرِ. ﴿٢٠﴾ نَزَعَ النَّاسُ، ثُمَّ تَرَمَى بِهِمْ عَلَى
 رُؤُوسِهِمْ فَتَدَقَّ رِقَابُهُمْ. وَرَوَى أَنَّهُمَا كَانَتَا تَنْزِعُ
 النَّاسَ مِنْ قُبُورِهِمْ، ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾، قَالَ ابْنُ
 عَبَّاسٍ: أَصُولُهَا، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَوْرَاكُ نَخْلٍ. ﴿مُتَفَعِّرٍ﴾،
 مُتَقَلِّعٌ مِنْ مَكَانِهِ سَاقِطٌ عَلَى الْأَرْضِ وَوَاحِدُ الْأَعْجَازِ عَجَزٌ،
 مِثْلُ عَضْدٍ وَأَعْضَادٍ، وَإِنَّمَا قَالَ: (أَعْجَازُ نَخْلٍ) وَهِيَ أَصُولُهَا الَّتِي قَطَعْتَ
 فُرُوعَهَا لِأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ تَبِينُ رُؤُوسَهُمْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ،
 فَتَبْقَى أَجْسَادُهُمْ بِلَا رُؤُوسٍ. ﴿٢١-٢٣﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرٍ هَ وَلَقَدْ يَسْرَنَا
 الْفَرَّانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ هَ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ،
 بِالْإِنْذَارِ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ صَالِحٌ. ﴿٢٤﴾ فَقَالُوا أَشْرًا، آدَمِيًّا، مِتْنَا وَحَدًّا تَلْعَعُ،
 وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ وَهُوَ وَاحِدٌ، ﴿إِنَّا إِذَا لَفَى ضَلَلَلٌ﴾،
 خَطَأٌ وَذَهَابٌ عَنِ الصَّوَابِ، ﴿وَسُعُرٌ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَذَابٌ.
 وَقَالَ الْحَسَنُ: شِدَّةُ عَذَابٍ. وَقَالَ قَتَادَةُ: عَنَاءٌ، يَقُولُونَ: إِنَّا إِذَا لَفَى
 عَنَاءٌ وَعَذَابٌ مِمَّا يُلْزِمُنَا مِنْ طَاعَتِهِ. قَالَ سَفْيَانُ بْنُ عَيْنَةَ:
 هُوَ جَمْعُ سَعِيرٍ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: جَنُونٌ، يُقَالُ

ناقعة مسعورة إذا كانت خفيفة الرأس هائمة على وجهها. وقال وهب: وسُعُرٌ: أي بُعِدَ عن الحق. ﴿٢٥﴾ ﴿أَلْفَى الذِّكْرُ﴾، أُنْزِلَ الذِّكْرُ: الْوَحْيُ،
 ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنَيْنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾، بَطَرٌ مُتَكَبِّرٌ يَرِيدُ
 أَنْ يَتَعَظَّمَ عَلَيْنَا بِادْعَائِهِ النَّبَوَةِ، وَالْأَشْرُ الْمَرْحُ وَالْتَجَبَرُ.

﴿٢٦﴾ ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾، قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحْمَزَةً: (سَتَعْلَمُونَ)، بِالتَّاءِ عَلَى مَعْنَى قَالَ صَالِحٌ لَهُمْ، وَقَرَأَ
 الْآخَرُونَ بِالْيَاءِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَيَعْلَمُونَ عَذَابُ﴾،
 حِينَ يَنْزِلُ بِهِمُ الْعَذَابُ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 وَذَكَرَ الْغَدَ لِلتَّقْرِيبِ عَلَى عَادَةِ النَّاسِ، يَقُولُونَ: إِنْ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا،
 ﴿مَنْ الْكَذَّابُ الْآثِرُ﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾، أَيِ بَاعَثُوهَا وَمَخْرَجُوهَا مِنْ الْهَضْبَةِ الَّتِي سَأَلُوا أَنْ يَخْرِجَهَا مِنْهَا،
 وَذَلِكَ أَنَّهُمْ تَعَتَّوْا عَلَى صَالِحٍ، فَسَأَلُوهُ أَنْ

يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشاء، فقال الله تعالى: ﴿فِنَّهُ لَهُمْ﴾، محنة واختباراً لهم، ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾، فانتظر ما هم صانعون، ﴿وَاصْطَبِرْ﴾، على ارتقابهم، وقيل: على ما يصيبك من الأذى.

[٢٨] ﴿وَنَبِّئَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾، وبين الناقة، يوم لها ويوم لهم، وإنما قال: «بينهم» لأن العرب إذا أخبرت عن بني آدم وعن البهائم غلبت بني آدم على البهائم، ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾، نصيب من الماء، ﴿مُخَضَّرٌ﴾، يحضره من كانت نوبته، فإذا كان يوم الناقة حضرت شربها، وإذا كان يومهم حضروا شربهم، وأحضر وحضر بمعنى واحد، قال مجاهد: يعني يحضرون الماء إذا غابت الناقة، فإذا جاءت الناقة حضروا اللبن.

[٢٩] ﴿فَادَاؤُا صَاحِبِهِمْ﴾، وهو قدار بن سالف، ﴿فَنَاطِلُ الْنَاقَةِ بِسَيْفِهِ﴾، أي فعقرها.

[٣٠] ﴿كَفَّكَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾، ثم بين عذابهم.

[٣١] فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾، قال عطاء: يريد صيحة جبريل عليه السلام، ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحُظْرِ﴾، كيس الشجر إذا تحطم والعرب تسمي كل شيء كان رطباً فيس هشيمًا. وقال قتادة: كالعظام النخرة المحترقة. وقال سعيد بن جبير: هو التراب الذي يتناثر من الحائط.

[٣٢-٣٤] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّيرٍ﴾
 ٥ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُّوطٍ بِالْأُنْذَرِ ٥ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا، ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي الحصا، قال الضحاك: يعني صغار الحصى. وقيل: الحصباء هي الحجر الذي دون ملء الكف، وقد يكون الحاصب الرامي، فيكون المعنى على هذا: أرسلنا عليهم عذاباً يحصبهم، يعني يرميهم بالحجارة، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾، يعني لوطاً وابنتيه، ﴿بِجَنَّتِهِمْ﴾، من العذاب، ﴿بِسَحْرِ﴾.

سورة القمر

٥٣٠

سورة القمر

وَنَبِّئَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّخَضَّرٌ ﴿٢٨﴾ فَادَاؤُا صَاحِبِهِمْ
 فَنَاطِلُ الْنَاقَةِ بِسَيْفِهِ ﴿٢٩﴾ فَكَفَّكَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
 صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحُظْرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
 لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّيرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُّوطٍ بِالْأُنْذَرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا
 عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِنَّا عِنْدَنَا
 كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا
 بِالْأُنْذَرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا
 عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمُ بَكْرَةٌ عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾
 فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّيرٍ
 ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذْرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَآخَذْنَاهُمْ
 أَخَذَ عِزِّ مُقَدِّرٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارًا كَرِهَ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَهُمْ بَرَاءَةٌ
 فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ كُلُّ شَيْءٍ مُّنْصَرٌّ ﴿٤٤﴾ سَيَمُزُّهُمْ الْجَمْعُ
 وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ
 ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ
 عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

[٣٥] ﴿نِعْمَةٌ مِنَّا عِنْدَنَا﴾ يعني جعلناه نعمة منا عليهم حيث أنجيناهم، ﴿كَذَلِكَ﴾، يعني كما أنعمنا على آل لوط، ﴿نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾، قال مقاتل: مَنْ وَحَدَ الله لم يعذبه مع المشركين.

[٣٦] ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾، لوط، ﴿بَطْشَتَنَا﴾، أخذنا إياهم بالعقوبة، ﴿فَتَمَارَوْا بِالْأُنْذَرِ﴾، شكوا بالإنذار وكذبوا ولم يصدقوا.

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾، طلبوا أن يسلم إليهم أضيافه ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾، وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا الباب ليدخلوا، قالت الرسل للوط: خلّ بينهم وبين الدخول فإننا رسل ربك لن يصلوا إليك، فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه بإذن الله فتركهم عمياً يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب، فأخرجهم لوط عمياً لا يبصرون. قوله: ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ يعني صيرناها

قال سعيد بن المسيب: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لما نزلت: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) كنت لا أدري أي جمع سيهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في درعه ويقول: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر^(١)، أي أعظم داهية وبليّة وأشدّ مرارة من الأسر والقتل يوم بدر.

[٤٧] ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾، المشركين، ﴿فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾، قيل: في ضلال بعد عن الحق. قال الضحاك: وسعر أي نار تسعر عليهم. وقيل: في ضلال: ذهاب عن طريق الجنة في الآخرة، وسُعر: نار مسعرة، قال الحسين بن فضل: إن المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الآخرة. وقال قتادة: في عناء وعذاب.

[٤٨] ثم بيّن عذابهم فقال: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾، يجرون، ﴿فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾، ويقال لهم ﴿دُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

[٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، أي ما خلقناه فمقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ، قال الحسن: قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له.

[٥٠] ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾، قوله: (واحدة)، ترجع إلى المعنى دون اللفظ، أي: وما أمرنا إلا مرة واحدة، وقيل: معناه وما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلا كلمة واحدة: كن فيكون، لا مراجعة فيها كلمح بالبصر. قال عطاء عن ابن عباس: يريد أن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر. وقال الكلبي عنه: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كطرف البصر.

[٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾، أشباهكم

كسائر الوجه لا يُرى لها شق، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الضحاك: طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل، فقالوا: قد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا، فلم يروهم فرجعوا. ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَذُكِّرْ﴾، أي ما أنذركم به لوط من العذاب.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً﴾، جاءهم وقت الصبح، ﴿عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾، دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم إلى عذاب الآخرة، وقيل: عذاب حق. [٣٩-٤١] ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَذُكِّرْ﴾ ٥ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾ ٥ ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾، يعني موسى وهارون عليهما السلام، وقيل: هي الآيات التي أنذرهم بها موسى.

[٤٢] ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾، وهي الآيات التسع، ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ﴾، بالعذاب، ﴿أَخَذَ عَزِيزٌ﴾، غالب في انتقامه، ﴿مُقَدِّرٌ﴾، قادر على إهلاكهم لا يعجزه ما أراد بهم، ثم خوف أهل مكة فقال:

[٤٣] ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكَ﴾، أشدّ وأقوى من الذين أحللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون؟ وهذا استفهام بمعنى الإنكار، أي ليسوا بأقوى منهم، ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ﴾، من العذاب، ﴿فِي الزُّبُرِ﴾، في الكتب أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية.

[٤٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾، يعني كفار مكة، ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ﴾، قال الكلبي: نحن جميع أمرنا منتصر من أعدائنا، والمعنى: نحن يدٌ واحدة على من خالفنا، منتصر ممن عادانا، ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الآي.

[٤٥] قال الله تعالى: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ﴾، يعني كفار مكة، ﴿وَيَوَلُّونَ الذُّبُرَ﴾، يعني الأدبار فوحد لأجل رؤوس الآي، كما يقال: ضربنا منهم الرؤوس وضربنا منهم الرأس إذا كان الواحد يؤدي معنى الجمع.

[٤٦] ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾،

ونظراءكم في الكفر من الأمم السالفة، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، متعظ يعلم أن ذلك حق فيخاف ويعتبر.

[٥٢] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾، يعني فعله الأشياء من خير وشر، ﴿فِي الزُّبُرِ﴾، في كتاب الحفظ، وقيل: في اللوح المحفوظ.

[٥٣] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾، من الخلق وأعمالهم وأجالهم، ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾، مكتوب، يقال: سطرت واستطرت وكتبت واكتتبت.

[٥٤] ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتٍ﴾، بساتين، ﴿وَنَهْرٍ﴾، أي أنهار، ووحدته لأجل رؤوس الآي، وأراد أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل. وقال الضحاك: يعني في ضياء وسعة، ومنه النهار. وقرأ الأعرج: (ونهر) بضمين جمع النهار يعني لا ليل لهم.

[٥٥] ﴿فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ﴾، في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ﴾، ملك قادر لا يعجزه شيء.

(٥٥) سُورَةُ الرَّحْمَنِ

[١] ﴿الرَّحْمَنُ﴾ نزلت حين قالوا: وما الرحمن؟ وقيل: هو جواب لأهل مكة حين قالوا: إنما يعلمه بشر.

[٢] ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، قال الكلبي علم القرآن محمداً. وقيل: علم القرآن يسره للذكر.

[٣] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾، يعني آدم عليه السلام.

[٤] ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، أسماء كل شيء، وقيل: علمه اللغات كلها، وكان آدم يتكلم بسبعمئة لغة أفضلها العربية. وقال الآخرون: الإنسان اسم جنس، وأراد به جميع الناس، علمه البيان: النطق والكتابة والفهم والإفهام حتى عرف ما يقول وما يقال له، وقال السدي: علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به. وقال ابن كيسان: (خلق الإنسان)

٥٣١

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ
فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ
فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾
عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ
وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾
أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ
وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾
فِيهَا فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَدَاتٌ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ
وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَبْنَ
مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٦﴾

يعني محمداً ﷺ (علمه البيان) يعني بيان ما كان وما يكون لأنه كان يبين عن الأولين والآخرين وعن يوم الدين.

[٥] ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾، قال مجاهد: كحسبان الرحي يدوران في مثل قطب الرحا، قال غيره: معناه أي يجريان بحساب ومنازل لا يعدونها، قاله ابن عباس وقتادة، وقال ابن زيد وابن كيسان: يعني بهما تحسب الأوقات والآجال، وقال الضحاك: يجريان بقدر.

[٦] ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾، النجم ما ليس له ساق من النبات، والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء، وسجودهما سجود ظلهما كما قال: (يتفيؤ ظلالة عن اليمين والشمال سجداً لله) وقال مجاهد: النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه.

[٧] ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾، فوق الأرض، ﴿وَوَضَعَ

[١٣] ﴿فَإِنِّي ءَالَاءٌ رَّبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ﴾، أيها الثقلان يريد من هذه الأشياء المذكورة وكرر هذه الآية في هذه السورة تقريراً للنعمة وتأكيداً في التذكير بها على عادة العرب في الإبلاغ والإشباع، يعدد على الخلق آلاءه ويفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها، كقول الرجل لمن أحسن إليه وتابع عليه بالأيادي وهو ينكرها ويكفرها: ألم تكن فقيراً فأغنيتك أفنتكر هذا؟ ألم تكن عرياناً فكسوتك أفنتكر هذا؟ ألم تكن خاملاً فعززتك أفنتكر هذا؟ ومثل هذا التكرار سائع في كلام العرب حسنٌ تقريراً.

[١٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾. [١٥] ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾، وهو أبو الجن وقال الضحاك: هو إبليس، ﴿مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾، وهو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه. قال مجاهد: وهو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت، من قولهم مرج أمر القوم إذا اختلط. [١٦، ١٧] ﴿فَإِنِّي ءَالَاءٌ رَّبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ۝ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾، مشرق الصيف ومشرق الشتاء. ﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾، مغرب الصيف ومغرب الشتاء. [١٨] ﴿فَإِنِّي ءَالَاءٌ رَّبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ﴾.

[١٩] ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾، العذب والمالح أرسلهما وخلّاهما ﴿بِلَقْيَانِ﴾.

[٢٠] ﴿يَنْهَمَا بَرِّحَ﴾، حاجز من قدرة الله تعالى، ﴿لَّا يَنْغِيَانِ﴾، لا يختلطان ولا يتغيران ولا يبغي أحدهما على صاحبه. وقال قتادة: لا يطغيان على الناس بالغرق.

[٢١] ﴿فَإِنِّي ءَالَاءٌ رَّبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ﴾.

[٢٢] ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة (يخرج) بضم الياء وفتح الراء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الراء، ﴿الْوُزُوُّ وَالْمَرَجَاتُ﴾، وإنما يخرج من المالح دون العذب، وهذا جائز في كلام العرب أن يذكر شيئان ثم يخص أحدهما بفعل كما

﴿الْمِيزَانُ﴾، قال مجاهد: أراد بالميزان العدل، المعنى أنه أمر بالعدل، يدل عليه قوله تعالى:

[٨] ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾، أي لا تجاوزوا العدل. وقال الحسن وقتادة والضحاك: أراد به الذي يوزن به ليوصل به الإنصاف والانتصاف، وأصل الوزن التقدير. ألا تطغوا: يعني لثلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان.

[٩] ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾، بالعدل، وقال أبو الدرداء وعطاء: معناه أقيموا لسان الميزان بالعدل. قال ابن عيينة: الإقامة باليد والقسط بالقلب، ﴿وَلَا تُخْسِرُوا﴾، ولا تنقصوا ﴿الْمِيزَانَ﴾، ولا تطففوا في الكيل والوزن.

[١٠] ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾، للخلق الذين بثهم فيها.

[١١] ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ﴾، يعني أنواع الفواكه، قال ابن كيسان: ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى، ﴿وَالْتَلَّ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾، الأوعية التي يكون فيها التمر، لأن تمر النخل يكون في غلاف ما لم ينشق، واحدها كم، وكل ما ستر شيئاً فهو كم، وكمة، ومنه كم القميص، ويقال للقلنسوة كمة، قال الضحاك: ذات الأكمام أي ذات الغلف. وقال الحسن: أكمامها ليفها. وقال ابن زيد: هو الطلع قبل أن ينفث.

[١٢] ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾، أراد بالحب جميع الحبوب التي يثمت بها. قال مجاهد: هو ورق الزرع. والعصف ورق كل شيء يخرج منه الحب، وقال ابن عباس: هو التبن. وعنه: هو ورق الزرع الأخضر إذا قطع رؤوسه ويسر، نظيره: (كعصف مأكول). ﴿وَالرِّيحَانُ﴾، هو الرزق في قول الأكثرين، قال ابن عباس: كل ريحان في القرآن فهو رزق. قال الحسن وابن زيد: هو ريحانكم الذي يشم، قال الضحاك: العصف هو التبن والريحان ثمرته.

قال عز وجل: (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم) وكان الرسل من الإنس دون الجن وقال بعضهم: يخرج من ماء السماء وماء البحر. قال ابن جريج: إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف أفواها فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة، واللؤلؤة ما عظم من الدر، والمرجان صغارها.

[٢٣، ٢٤] ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ وَلَهُ الْجَوَارِ﴾، السفن الكبار، ﴿الْمُنَشَّاتُ﴾، وقرأ حمزة وأبو بكر: المنشآت بكسر الشين، أي المنشآت السير يعني اللاتي ابتدأن وأنشأن السير، وقرأ الآخرون بفتح الشين أي المرفوعات وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض. وقيل: هي ما رفع قلعه من السفن، وأما ما لم يرفع قلعه فليس من المنشآت. وقيل: المخلوقات المسخرات، ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾، كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبال في البر.

[٢٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٢٦] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾، أي على الأرض من حيوان فإنه، ﴿فَانِ﴾، هالك.

[٢٧] ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾، أي مكرم أنبيائه وأوليائه بلطفه مع جلاله وعظمته.

[٢٨، ٢٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، من ملك وإنس وجن. وقال قتادة: معناه لا يستغني عنه أهل السماء والأرض. قال ابن عباس: فأهل السماوات يسألونه المغفرة وأهل الأرض يسألونه الرزق والتوبة والمغفرة. وقال مقاتل: يسأله أهل الأرض الرزق والمغفرة، وتسأله الملائكة أيضًا لهم الرزق والمغفرة. ﴿يَوْمَ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، قال مقاتل: نزلت في اليهود حين قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئًا. قال المفسرون: من شأنه أن يحيي ويميت ويرزق، ويعزّز قومًا ويدلّ قومًا ويشفي مريضًا ويفك عانيًا

رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْخٌ لَا يَتَّعِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٢٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَفَرُ لَكُمْ إِلَيْهِ الْفَلَاقُ ﴿٣١﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمْشِعُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِذَا اسْتَعْظَمُوا أَنْ تَفْعُدُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا أَنْ تَفْعُدُوا إِلَى أَسْطِنِ ﴿٣٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَذٍ لَا يَنْسِلُ عَنْ دُنْيَيْهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

ويفرج مكروبًا ويجيب داعيًا ويعطي سائلًا ويفخر ذنبًا إلى ما لا يحصى من أفعاله وأحداثه في خلقه ما يشاء.

[٣٠، ٣١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ سَفَرُ لَكُمْ﴾، وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة، كقول القائل لأتفرغن لك، وما به شغل، وهذا قول ابن عباس والضحاك، وإنما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن. وقال آخرون: معناه ستقصدم بعد الترك والإمهال وتأخذ في أمركم، كقول القائل الذي لا شغل له: قد تفرغت لك. وقال بعضهم: إن الله وعد أهل التقوى وأ وعد أهل الفجور، ثم قال: سنفرغ لكم مما وعدناكم، وأخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم، فتم ذلك ونفرغ منه، وإلى هذا ذهب الحسن ومقاتل. ﴿إِلَيْهِ الْفَلَاقُ﴾، أي الجن والإنس، سميا ثقلين

الورد، وهو الأبيض الذي يضرب إلى الحمرة والصفرة، ﴿كَالَّذِينَ﴾، جمع دهن، شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل، وشبه الورد في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه، وهو قول الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع، وقال عطاء بن أبي رباح: كالدهان كعصير الزيت يتلون في الساعة ألواناً. وقال مقاتل: كدهن الورد الصافي. وقال ابن جريج تصوير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم. وقال الكلبي: كالدهان أي كالأديم الأحمر وجمعه أدهنة ودهن.

[٣٩، ٣٨] ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَيَوْمِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾، قال الحسن وقتادة: لا يسألون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم، لأن الله عز وجل علمها منهم، وكتبت الملائكة عليهم، وهي رواية العوفي عن ابن عباس. وعنه أيضاً: لا تسأل الملائكة المجرمين لأنهم يعرفونهم بسيماهم، دليله ما بعده، وهذا قول مجاهد. وعن ابن عباس في الجمع بين هذه الآية وبين قوله: (فوريك لنسألنهم أجمعين)، قال: لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا؟ وعن عكرمة أنه قال: إنها مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها. وعن ابن عباس أيضاً لا يسألون سؤال شفقة ورحمة وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ. وقال أبو العالية: لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم. [٤١، ٤٠] ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِهِمْ﴾، وهو سواد الوجوه وزرقة العيون، كما قال جل ذكره: (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)، ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأُذُنِ﴾، تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ويلقون في النار.

[٤٢] ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٤٣] ثم يقال لهم ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا

لأنهما ثقلا على الأرض أحياء وأمواتاً. [٣٣، ٣٢] ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَمْشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَفْذُوقُوا﴾، أي تجوزوا وتخرجوا، ﴿مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي من جوانبهما وأطرافهما، ﴿فَأَنْفُذُوا﴾، معناه إن استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السماوات والأرض فاهربوا واخرجوا منها، والمعنى حيثما كنتم أدرككم الموت، كما قال جل ذكره: (أيما تكونوا يدرككم الموت)، وقيل: يقال لهم هذا يوم القيامة إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا، ﴿لَا تَفْذُوكَ إِلَّا يَسُلْطَنِي﴾، أي: بملك، وقيل: بحجة، والسلطان: القوة التي يتسلط بها على الأمر، فالملك والقدرة والحجة كلها سلطان، يريد حيثما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني. وروي عن ابن عباس قال: معناه: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا ولن تعلموه إلا بسلطان أي بيينة من الله عز وجل.

[٣٤] ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ﴾، وهو اللهب الذي لا دخان فيه، هذا قول أكثر المفسرين. وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار، ﴿وَنَحَّاسٌ﴾ قال سعيد بن جبير والكلبي: النحاس الدخان، وهو رواية عطاء عن ابن عباس، وقال مجاهد وقتادة: النحاس هو الصفر المذاب يصب على رؤوسهم، وهو رواية العوفي عن ابن عباس. وقال عبدالله بن مسعود النحاس هو المهمل. ﴿فَلَا تَنْصَرِكُنَّ﴾، أي فلا تمتنعان من عذاب الله ولا يكون لكم ناصر منه.

[٣٧، ٣٦] ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَإِذَا أَنْشَقَّتْ﴾، انفرجت، ﴿السَّمَاءُ﴾، فصارت أبواباً لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾، أي كلون الفرس

[٤٨] فقال: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾، أغصان واحدها

فنن، وهو الغصن المستقيم طولاً. وهذا قول مجاهد وعكرمة والكلبي، وقال عكرمة: ظل الأغصان على الحيطان. قال الحسن: ذواتا ظلال. قال ابن عباس: ألوان، وقال قتادة: ذواتا فضل وسعة على ما سواهما.

[٤٩، ٥٠] ﴿فَيَأْتِيْ أَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾، قال ابن عباس: بالكرامة والزيادة على أهل الجنة. قال الحسن: تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسيل. وقال عطاء: إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين.

[٥١، ٥٢] ﴿فَيَأْتِيْ أَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَّجْرَجٍ﴾، صنفان ونوعان، قيل: معناه إن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطباً ويابساً. قال ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو.

[٥٣، ٥٤] ﴿فَيَأْتِيْ أَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُشْكَيْنَ عَلَى فُرُشٍ﴾، جمع فراش، ﴿بَطَائِنُهَا﴾، جمع بطانة وهي التي تحت الظهارة. وقال الزجاج: وهي مما يلي الأرض. ﴿مِنْ إِسْتَرْبٍ﴾، وهو ما غلظ من الديباج. قال ابن مسعود وأبو هريرة: هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر؟ وقال ابن عباس: وصف البطائن وترك الظواهر لأنه ليس في الأرض أحد يعرف ما الظواهر. ﴿وَحَيِّ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾، الجنى ما يجتنى من الثمار، يريد ثمرهما دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم. قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنيتها ولي الله إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً. قال قتادة: لا يرد أيديهم عنها بُعد ولا شوك.

[٥٥، ٥٦] ﴿فَيَأْتِيْ أَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهَا قَصِيرَتُ الْأَطْرَفِ﴾، غاضبات الأعين، قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ولا يردن غيرهم، ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ﴾، لم يجامعن ولم يفترعهن،

المُجْرِمُونَ، المشركون.

[٤٤] ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِإٍ آَنٍ﴾، قد انتهى حره. قال الزجاج: أنى يأنى فهو أن إذا انتهى في النضج، والمعنى: أنهم يسعون بين الجحيم والحميم فإذا استغاثوا من حر النار جعل عذابهم الحميم الآني الذي صار كالْمُهْل، وهو قوله: (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل)، وقال كعب الأحبار: أن وادٍ من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله تعالى بهم خلقاً جديداً فيلقون في النار، وذلك قوله: (يطوفون بينها وبين حميم آن).

[٤٥] ﴿فَيَأْتِيْ أَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، وكل ما ذكر الله تعالى من قوله: (كل من عليها فان) إلى ههنا مواعظ وزواجر وتخويف، وكل ذلك نعمة من الله تعالى لأنها تزجر عن المعاصي، ولذلك ختم كل آية بقول (فبأي آلاء ربكما تكذبان)، ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه.

[٤٦] فقال: ﴿وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾، أي مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية والشهوة. وقيل: قيام ربه عليه بيانه قوله: (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) وقال إبراهيم النخعي ومجاهد: هو الذي يهيم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله. وقوله: ﴿جَنَّتَانِ﴾، قال مقاتل: جنة عدن وجنة نعيم. قال محمد بن علي الترمذي: جنة لخوفه ربه وجنة لتركه شهوته. قال الضحاك: هذا لمن راقب الله في السر والعلانية بعلمه ما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عمل من خير أفضى به إلى الله لا يحب أن يطلع عليه أحد. وقال قتادة: إن المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله ودأبوا بالليل والنهار.

[٤٧] ﴿فَيَأْتِيْ أَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، ثم وصف الجنتين.

سورة الرحمن

٥٣٣

سورة الرحمن

يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ سِيعَتَهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٥١﴾ فَإِنِّي
 ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ
 ﴿٥٣﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حِمِيمٍ ءَانِ ﴿٥٤﴾ فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٥﴾ وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٥٨﴾ فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ فِيهِمَا عِتَابٌ
 تَجْرِيانِ ﴿٦٠﴾ فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ
 زَوَّجَانِ ﴿٦٢﴾ فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ
 بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْبٍ وَيَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٦٤﴾ فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُنَّ
 وَلَا جَانٌ ﴿٦٦﴾ فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ
 وَالْمَرْجَانُ ﴿٦٨﴾ فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ هَلْ جَزَاءُ
 الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٧٠﴾ فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٧١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٧٢﴾ فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٧٣﴾ مُدْهَمَمَتَانِ ﴿٧٤﴾ فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ فِيهِمَا
 عِتَابٌ نَضَّاجَتَانِ ﴿٧٦﴾ فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾

عَيْنَانِ نَضَّاجَتَانِ ﴿٧٨﴾، فوارتان بالماء لا تنقطعان،
 والنضخ فوران الماء من العين.

[٦٨، ٦٧] ﴿فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥ فِيهِمَا
 فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾، قال بعضهم: ليس النخل
 والرمّان من الفاكهة، والعامة على أنها من الفاكهة،
 وإنما أعاد ذكر النخل والرمّان وهما من جملة
 الفواكه للتخصيص والتفصيل.

[٧٠، ٦٩] ﴿فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥ فِيهِمَا
 عِتَابٌ﴾ يعني في الجنّات الأربع، ﴿خَيْرٌ حَسَنٌ﴾، روى
 الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت: قلت لرسول الله
 ﷺ: أخبرني عن قوله: (خيرات حسان)، قال:
 «خيرات الأخلاق حسان الوجه»^(١).

(١) رواه الإمام الطبري في تفسيره، بإسناده مرفوعاً إلى النبي
 ﷺ، ج ٢٧/٩٢.

وأصله من الدم، ومنه قيل للمحائض طامث، كأنه
 قال: لم يدمهن بالجماع، ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُنَّ وَلَا جَانٌ﴾،
 قال مقاتل: لأنهن خلقهن في الجنة. فعلى قوله
 هؤلاء من حور الجنة. وقال الشعبي: هن من نساء
 الدنيا لم يمسن منذ أنشئن، وهو قول الكلبي:
 يعني لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه
 إنس ولا جان.

[٥٨، ٥٧] ﴿فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥ كَأَنَّهُنَّ
 الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾، قال قتادة: صفاء الياقوت في
 بياض المرجان.

[٥٩، ٦٠] ﴿فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥ هَلْ جَزَاءُ
 الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾، أي ما جزاء من أحسن في
 الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة. وقال ابن
 عباس: هل جزاء من قال: لا إله إلا الله وعمل بما
 جاء به محمد ﷺ إلا الجنة.

[٦٢، ٦١] ﴿فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥ وَمِن دُونِهِمَا
 جَنَّتَانِ﴾، أي من دون الجنّتين الأوليين جنتان
 أخريان. قال ابن عباس: من دونهما في الدرج.
 وقال ابن زيد: من دونهما في الفضل. وقال أبو
 موسى الأشعري: جنتان من ذهب للسابقين وجنتان
 من فضة للتابعين. وقال ابن جريج: هن أربع
 جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة
 زوجان، وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين (فيها
 فاكهة ونخل ورمّان). وقال الكسائي: (ومن
 دونهما) أي أمامهما. وقبلهما، يدل عليه قول
 الضحاك: الجنتان الأوليان من ذهب وفضة
 والأخريان من ياقوت.

[٦٤، ٦٣] ﴿فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥
 مُدْهَمَمَتَانِ﴾، ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة
 خضرتهما، لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى
 السواد، يقال: ادهام الزرع إذا علاه السواد ريباً
 ادهيماً فهو مدهام.

[٦٦، ٦٥] ﴿فَإِنِّي ءَالَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥ فِيهِمَا

وقيل: إذا نزلت صيحة القيامة، وهي النفخة الأخيرة.

[٢] ﴿لَيْسَ لَوْعِنَا﴾، لمجيئها ﴿كَاذِبَةٌ﴾ كذب، كقوله: (لا تسمع فيها لاغية)، أي لغو، يعني أنها تقع صدقاً وحَقّاً. والكاذبة اسم كالعافية والنازلة. [٣] ﴿حَاطِصَةُ رَافِعَةٍ﴾، تخفض أقواماً إلى النار، وترفع آخرين إلى الجنة. وقال عطاء عن ابن عباس: تخفض أقواماً كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع أقواماً كانوا في الدنيا مستضعفين.

[٤] ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾، حركت وزلزلت زلزلة، قال الكلبي: إن الله إذا أوحى إليها اضطربت فرقاً. قال المفسرون: ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما عليها من الجبال وغيرها. وأصل الرج في اللغة التحريك، يقال: رججته فارتج.

[٥] ﴿وَيُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾، قال عطاء ومقاتل ومجاهد: فتت فتاً فصارت كالديق المبسوس وهو المبلول. قال سعيد بن المسيب والسدي: كسرت كسراً، وقال الكلبي: سيرت على وجه الأرض تسييراً. قال الحسن: قلعت من أصلها فذهبت، نظيرها: (فقل ينسفها ربي نسفاً) قال ابن كيسان: جعلت كثيراً مهياً بعد أن كانت شامخة طويلة.

[٦] ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُتْبِنًا﴾، غباراً متفرقاً كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء. [٧] ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا﴾، أصنافاً، ﴿ثَلَاثَةً﴾.

[٨] ثم فسرها فقال: ﴿فَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾، هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وقال ابن عباس: هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه، وقال الله لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي. وقال الضحاك: هم الذين

[٧١، ٧٢] ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ﴾، محبوسات مستورات في الحجال، يقال: امرأة مقصورة وقصيرة إذا كانت مخدرة مستورة لا تخرج. وقال مجاهد: يعني قصرن طرفهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يغيبن بهن بدلاً، ﴿فِي الْحِيَارِ﴾، جمع خيمة.

[٧٣-٧٦] ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَهُنَّ فَبَلَّهِنَّ وَلَا جَانٌّ ۝ فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَقَرٍ حَضِرٍ﴾، قال سعيد بن جبير: الرفرف رياض الجنة خضر مخضبة. ويروى ذلك عن ابن عباس، واحدتها رفرقة، وقال: الرفارف جمع الجمع، وقيل: الرفرف البسط، وهو قول الحسن ومقاتل والقرظي. وروى العوفي عن ابن عباس: الرفرف فضول المجالس والبسط، وقال الضحاك وقتادة: هي مجالس خضر فوق الفرش. وقال ابن كيسان: هي المرافق. وقال ابن عيينة: الزرابي. وقال غيره: كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرق. ﴿وَعَبْقَرِيَّ حِسَانٍ﴾، هي الزرابي والطنافس الشخان، وهي جمع واحدها عبقرية، وقال قتادة: العبقرى عتاق الزرابي، وقال أبو العالية: هي الطنافس المخملة إلى الرقة. وقال القتيبي: كل ثوب موشى عند العرب عبقرى. وقال أبو عبيدة هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشي. قال الخليل: كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم عند العرب عبقرى، ومنه قول النبي ﷺ في عمر رضي الله عنه: «فلم أر عبقرياً يفري فريه»^(١).

[٧٧، ٧٨] ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ بَرَزَكُ أَمْ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، قرأ أهل الشام (ذو الجلال) بالواو وكذلك هو في مصاحفهم إجراءً على الاسم.

(٥٦) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في فضائل الصحابة ٤١/٧، ومسلم في فضائل الصحابة برقم (٢٣٩٣) ٤/ ١٨٦٢.

يعطون كتبهم بأيمانهم. وقال الحسن والربيع: هم الذين كانوا ميامين مباركين على أنفسهم، وكانت أعمارهم في طاعة الله وهم التابعون بإحسان، ثم عجب نبيه ﷺ، فقال: ﴿مَا أَحَبُّ الِّمَيَّنَةِ﴾، وهذا كما يقال: زيد ما زيد يراد زيد شديد.

[٩] ﴿وَأَحَبُّ الِّمَيَّنَةِ مَا أَحَبُّ الشَّعَةِ﴾، يعني أصحاب الشمال، والعرب تسمي اليد اليسرى الشؤمي، ومنه يسمى الشام واليمن، لأن اليمن عن يمين الكعبة، والشام عن شمالها، وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار. وقال ابن عباس: هم الذين كانوا على شمال آدم عند إخراج الذرية وقال الله لهم: هؤلاء في النار ولا أبالي. وقال الضحاك: هم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم. وقال الحسن: هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمارهم في المعاصي.

[١٠] ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾، قال ابن عباس: السابقون إلى الهجرة هم السابقون في الآخرة. وقال عكرمة: السابقون إلى الإسلام. قال ابن سيرين: هم الذين صلوا إلى القبلتين، دليله قوله: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار)، قال الربيع بن أنس: السابقون إلى إجابة الرسول ﷺ في الدنيا هم السابقون إلى الجنة في العقبى. وقال مقاتل: إلى إجابة الأنبياء صلوات الله عليهم بالإيمان. وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: إلى الصلوات الخمس. وقال الضحاك: إلى الجهاد. وقال سعيد بن جبير: هم المسارعون إلى التوبة وإلى أعمال البر. قال الله تعالى: (سابقوا إلى مغفرة من ربكم)، ثم أثنى عليهم فقال: (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لهم سابقون)، قال ابن كيسان: والسابقون إلى كل ما دعا الله إليه. وروي عن كعب قال: هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة. وقيل: هم أولهم رواحاً إلى المسجد وأولهم خروجاً في سبيل الله. وقال القرظي: إلى

سورة الواقعة

٥٣٤

سورة الواقعة

فِيهَا فَكَّهَةٌ وَنَحْلٌ وَرَمَانٌ ﴿١٨﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿١٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرٌ حَسَنٌ ﴿٢٠﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٢٢﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْفُسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٢٤﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٥﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رُفْرَفٍ خَضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حَسَنِ ﴿٢٦﴾ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٧﴾ نَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٨﴾

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَنُسَّتِ الْجِبَالُ نَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَبُ الِّمَيَّنَةِ مَا أَحَبُّ الِّمَيَّنَةِ ﴿٨﴾ وَأَحَبُّ الِّمَيَّنَةِ مَا أَحَبُّ الشَّعَةِ ﴿٩﴾ الشَّعَةُ ﴿١٠﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٣﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٥﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٦﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ ﴿١٧﴾

كل خير.

[١١] ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾، من الله. [١٢، ١٣] ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٥ ثَلَاثَةٌ مِنْ الْأَوَّلِينَ﴾، أي من الأمم الماضية من لدن آدم عليه السلام إلى زمان نبينا ﷺ، والثلاثة: الجماعة غير محصورة العدد. [١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، يعني من هذه الأمة، قال الزجاج: الذين عاينوا جميع النبين من لدن آدم عليه الصلاة والسلام وصدقوهم، أكثر ممن عاين النبي ﷺ. [١٥] ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾، منسوجة كما توضن حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض. قال المفسرون: هي موصولة منسوجة بالذهب والجواهر. وقال الضحاك: موضونة مصفوفة. [١٦] ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ﴾، لا ينظر بعضهم في قفا بعض.

[٢٦، ٢٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا تَأْتِيًا ۚ إِلَّا قِيلًا﴾، أي قولاً: ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾، نصبهما اتباعاً لقوله قِيلًا أي يسمعون قِيلًا سلامًا سلامًا. قال عطاء: يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال جل ذكره: [٢٨، ٢٧] ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۚ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾، لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع منه، هذا قول ابن عباس وعكرمة. وقال الحسن: لا يعقر الأيدي. قال ابن كيسان: هو الذي لا أذى فيه. قال الضحاك ومجاهد: هو الموقر حملاً.

[٢٩] ﴿وَطَلْحٍ﴾، أي موز، واحدها طلحة، عن أكثر المفسرين. وقال الحسن: ليس هو بالموز ولكنه شجر لها ظل بارد طيب. قال الفراء وأبو عبيدة: الطلح عند العرب شجر عظام لها شوك. وروى مجاهد عن الحسن بن سعيد قال: قرأ رجل عند علي رضي الله عنه: ﴿وَطَلْحٍ مَنُضُودٍ﴾، فقال: وما شأن الطلح إنما هو طلع منضود ثم قرأ (طلعها هضيم) قلت: يا أمير المؤمنين إنها في المصحف بالحاء أفلا تحولها؟ فقال: إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول، والمنضود المتراكم الذي قد نضد بالحمل من أوله إلى آخره، ليس هو سوق بارزة، قال مسروق: أشجار الجنة من عروقتها إلى أفنانها ثمر كله.

[٣٠] ﴿وَطَلٍّ مَمْدُودٍ﴾، دائم لا تنسخه الشمس والعرب تقول للشيء الذي لا ينقطع ممدود.

[٣١] ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾، مصبوب يجري دائماً في غير أخدود لا ينقطع.

[٣٣، ٣٢] ﴿وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ۚ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾، قال ابن عباس: لا تقطع إذا جنت ولا تمتنع من أحد أراد أخذها. وقال بعضهم: لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان، كما ينقطع أكثر ثمار الدنيا إذا جاء الشتاء، ولا يتوصل إليها إلا بالثمن. وقال القتيبي: يعني لا يحظر عليها كما

[١٧] ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾، للخدمة، ﴿وَلَدَنٌ﴾، غلمان، ﴿مُخَلَّدُونَ﴾، لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون. وقال الفراء: تقول العرب لمن كبر ولمن شمت إنه مخلد. قال ابن كيسان: يعني ولداناً لا يحولون من حالة إلى حالة. قال سعيد بن جبيرة: مقرطون يقال خلد جاريته إذا حلاها بالخلد، وهو القرط. قال الحسن: هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها لأن الجنة لا ولادة فيها فهم خدام أهل الجنة.

[١٨] ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ﴾، فالأكواب جمع كوب وهي الأقداح المستديرة الأفواه لا أذان لها ولا عرى، والأباريق وهي ذوات الخراطيم سميت أباريق لبريق لونها من الصفاء. ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾، خمر جارية.

[١٩] ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾، لا تصدع رؤوسهم من شربها، ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾، أي لا يسكرون، هذا إذا قرئ بفتح الزاي ومن كسر فمعناه لا يتفد شرابهم. [٢٠] ﴿وَفِكَهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾، يختارون ما يشتهون، يقال تخيرت الشيء إذا أخذت خيره.

[٢١] ﴿وَلَحْرِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَبُونَ﴾، قال ابن عباس: يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلاً بين يديه على ما اشتهى، ويقال إنه يقع على صحيفة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يطير فيذهب.

[٢٢] ﴿وَحُورٍ عِينٍ﴾، قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي: بكسر الراء والنون، أي وبحور عين، وقيل: معناه ويكرمون بفاكهة ولحم طير وحور عين. وقرأ الباقون بالرفع أي ويطوف عليهم حور عين. وقال الأخفش: رفع على معنى لهم حور عين، وجاء في تفسيره حور عين بيض ضخام العيون.

[٢٣] ﴿كَأَمْثَلِ الزُّلْفَىٰ أَلَمْ تَكُنْ﴾، المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي.

[٢٤] ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

يحظر على بساتين الدنيا .

[٣٤] ﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾، قال علي رضي الله عنه : (وفرش مرفوعة) على الأسرة . وقال جماعة من المفسرين : بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية . وقيل : أراد بالفرش النساء والعرب تسمى المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة ، مرفوعة رفعت بالجمال والفضل على نساء الدنيا دليل هذا التأويل قوله في عقبه :

[٣٥] ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾، خلقناهن خلقا جديداً ، قال ابن عباس : يعني الآدميات العجز الشمط ، يقول خلقناهن بعد الهرم خلقا آخر .

[٣٦] ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾، عذارى ، وقال المسيب ابن شريك : هن عجائز الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقا جديداً كلما أتاها أزواجهن وجدوهن أبكاراً . وذكر المسيب عن غيره أنهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا . وقال مقاتل وغيره : هن الحور العين أنشأهن الله لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن أبكاراً عذارى وليس هناك وجع .

[٣٧] ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب أي عواشق محبات إلى أزواجهن . وقال أسامة بن زيد عن أبيه : عرباً حسنات الكلام . ﴿أَرْبَابًا﴾، مستويات في السن على سن واحد .

[٣٨] قوله عز وجل : ﴿لأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، يريد أنشأناهن لأصحاب اليمين .

[٣٩] ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأُولِينَ﴾، من المؤمنين الذين كانوا قبل هذه الأمة .

[٤٠] ﴿وَلِلَّهِ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، من مؤمني هذه الأمة ، وذهب جماعة إلى أن الثلثين جميعاً من هذه الأمة .

[٤١، ٤٢] قوله تعالى : ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَاءَ الشِّمَالِ هـ فِي سَمُومٍ﴾، ريح حارة ، ﴿وَحَمِيمٍ﴾، ماء حار .

[٤٣] ﴿وَطَلٍ مِّنْ يَّحْمُومٍ﴾، دخان شديد السواد ،

بِطُوفٍ عَلَيْهِمْ وَلَدَنٌ مُّخْلَدُونَ ﴿١٧﴾

٥٣٥

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

بِطُوفٍ عَلَيْهِمْ وَلَدَنٌ مُّخْلَدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كُوفٍ وَابَارِقٍ وَكَاسٍ مِّنْ نَّعِينِ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يَرْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهْطَ مَمَائِكَ حَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحَرَّ طَيْرٌ مِّمَّا يَشْتَبُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ الثُّلُوفِ الْمَكُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَطَلٍ مَّدْودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكَهْطَ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأُولِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَطَلٍ مِّنْ يَّحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا صُرُوفًا عَلَى الْخَنَةِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَا بَابُنَا أَلَّا نُولَٰنَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّتِ الْأُولَىٰ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

تقول العرب : أسود يحموم إذا كان شديد السواد ، وقال الضحاك : النار سوداء وأهلها سود ، وكل شيء فيها أسود . وقال ابن كيسان : الحموم اسم من أسماء النار .

[٤٤] ﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾، قال قتادة : لا بارد المنزل ولا كريم المنظر . وقال سعيد بن المسيب : ولا كريم : ولا حسن ، نظيره (من كل زوج كريم) . وقال مقاتل : طيب .

[٤٥] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾، يعني في الدنيا ، ﴿مُتْرَفِينَ﴾، منعمين .

[٤٦] ﴿وَكَانُوا صُرُوفًا﴾، يقيمون ، ﴿عَلَى الْخَنَةِ الْعَظِيمِ﴾، على الذنب الكبير وهو الشرك . وقال الشعبي : (الخنث العظيم) اليمين الغموس . ومعنى هذا : أنهم كانوا يحلفون أنهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك .

شئنا. وقال الحسن: أي نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم، يعني: إن أردنا أن نفعل ذلك ما فاتنا ذلك. وقال سعيد بن المسيب: فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود تكون بيرهوت كأنها الخطاطيف. وبرهوت: وإد باليمن.

[٦٢] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾، الخلق الأولى ولم تكونوا شيئاً. ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾، أي قادر على إعادتكم كما قدرت على إبدائكم.

[٦٣] ﴿أَوَرَيْتُمْ مَا تَحْرُوثُ﴾، يعني: تثيرون من الأرض وتلقون فيها من البذر.

[٦٤] ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾، تنبتونه، ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾، المنبتون.

[٦٥] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا﴾، قال عطاء: تبناً لا قمح فيه، وقيل: هشيماً لا ينتفع به في مطعم وغذاء، ﴿فَطَلَّتُمْ﴾، وأصله فظللتم، حُذفت إحدى اللامين تخفيفاً. ﴿تَفْكُهُونَ﴾، تعجبون بما نزل بكم في زرعكم، وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل.

وقيل: تندمون على نفقاتكم، وهو قول يمان، نظيره: (فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها) [الكهف: ٤٢]، وقال الحسن: تندمون على ما سلف منكم من المعصية التي أوجبت تلك العقوبة. وقال عكرمة: تتلاومون. وقال ابن كيسان: تحزنون. قال الكسائي: هو تلهف على ما فات وهو من الأضداد، تقول العرب: تفككت أي: تنعمت، وتفككت أي: حزنت.

[٦٦] ﴿إِنَّا لَمَعْرُوُونَ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم (أئنا) بهزتين وقرأ الآخرون على الخبر، ومجاز الآية فظلمت تفكهون وتقولون إنا لمغرمون. وقال مجاهد وعكرمة: لموقع^(١) بنا. وقال ابن عباس وقتادة: معذبون، والغرام: العذاب. وقال

[٤٧] ﴿وَكَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ أَيَّدَا مِنَّا وَكُنَّا شُرَكَاءَ وَعِظَمًا إِنَّا لَمَعْرُوُونَ﴾، قرأ أبو جعفر ونافع والكسائي ويعقوب (أئدا) مستفهماً، (إننا) بتركه، وقرأ الآخرون بالاستفهام فيهما.

[٤٨-٥٥] ﴿أَوَّءَاءُ الْوَأُ الْوَأُ ۝ قُلْ إِنَّ الْآلَيْنِ وَالْآخِرِينَ ۝ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ أُنِيتُمْ أَفْئَاتُ الْكَذِبُونَ ۝ لَاكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ۝ فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝ فَشَرِبُوا شَرِبَ الْهِيمِ ۝ وَالْهِيمِ﴾ الإبل العطاش، قال عكرمة وقتادة: الهيام داء يصيب الإبل لا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك. يقال: جمل أهيم، وناقه هيماء، والإبل هيم. وقال الضحاك وابن عيينة: (الهيم) الأرض السهلة ذات الرمل.

[٥٦] ﴿هَذَا زُرْعُكُمْ﴾، يعني ما ذكر من الزقوم والحميم، أي رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم، ﴿يَوْمَ الَّذِينَ﴾، يوم يجازون بأعمالهم، ثم احتج عليهم في البعث:

[٥٧] فقال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ﴾، قال مقاتل: خلقناكم ولم تكونوا شيئاً وأنتم تعلمون ذلك، ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿تَصَدَّقُونَ﴾، بالبعث.

[٥٨] ﴿أَوَرَيْتُمْ مَا تَحْنُونَ﴾، تصبون في الأرحام من النطف.

[٥٩، ٦٠] ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾، يعني أنتم تخلقون ما تمنون بشراً، ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ۝ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَهُمُ الْوَتَّ﴾، قال مقاتل: فمنكم من يبلغ الهرم ومنكم من يموت صبيّاً وشابّاً. وقال الضحاك: تقديره إنه جعل أهل السماء وأهل الأرض فيه سواء، فعلى هذا يكون معنى (قدَرنا): قضينا. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْبِقِينَ﴾، بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم وإبدالكهم بأمثالكم فذلك قوله عز وجل:

[٦١] ﴿عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْرُكُمْ﴾، يعني نأتي بخلق مثلكم بدلاً منكم، ﴿وَنُنَشِّئُكُمْ﴾، نخلقكم ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، من الصور، قال مجاهد: في أي خلق

(١) في نسخة: (لموقع بنا).

سورة الواقعة

٥٣٦

سورة الواقعة

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾
فَالثَّوْنُ مِنْهَا الْبُطُونُ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ
شَرْبَ الْهَمِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزْلُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا
تَصَدَّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ
الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَى أَنْ نُبْدِلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطْلًا فَنَطْلَحُهُمْ تَفْكُهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنْ أَلْمَعْتُمُونِ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ
﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْحًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ
﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ
نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَفِتْنًا لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ فَلَا أَقْسَمُ
بِمَوْعِدِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

الضحاك وابن كيسان: غرنا أموالنا وصار ما
أنفقنا غرمًا علينا، والمغرم: الذي ذهب ماله بغير
عوض وهو قوله:

[٦٧] ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾، محدودون ممنوعون،

أي حُرمانا ما كنا نطلبه من الربيع في الزرع.

[٦٨-٧٠] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ هـ أَأَنْتُمْ

أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ، السحاب، واحدها مُزْنَةٌ، ﴿أَمْ

نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ هـ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَمْحًا، قال ابن

عباس: شديد الملوحة، قال الحسن: مرًا. ﴿فَلَوْلَا

تَشْكُرُونَ﴾.

[٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾، تقدحون

وتستخرجون من زندكم.

[٧٢، ٧٣] ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾، التي تقدح

منها النار وهي المرخ والعفار، ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾، خلقناها يعني نار الدنيا،

﴿تَذَكُّرًا﴾، للنار الكبرى إذا رآها الراي ذكر

جهنم، قاله عكرمة ومجاهد ومقاتل. وقال عطاء:

موعظة يتعظ بها المؤمن، ﴿وَمَتَاعًا﴾، بلغة ومنفعة،

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، المسافرين. والمقوي: النازل في

الأرض، والقي والقوا هو: القفر الخالية البعيدة

من العمران، يقال أقوت الدار إذا خلت من

سكانها، والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادي

والأسفار، فإن منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم

وذلك أنهم يوقدون بها ليلاً لتهرب منهم السباع

ويهددي بها الضلال وغير ذلك من المنافع، هذا

قول أكثر المفسرين.

وقال مجاهد وعكرمة: (للمقوين) يعني:

للمستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين

والحاضرين يستضيئون بها في الظلمة ويصطلون من

البرد، ويتنفعون بها في الطبخ والخبز. قال

الحسن: بلغة للمسافرين يتبلغون بها إلى أسفارهم،

وقال ابن زيد: للجائعين تقول العرب أقويت منذ

كذا وكذا أي ما أكلت شيئًا. قال قطرب:

(المقوي) من الأضداد يقال للفقير مقوٍ لخلوه من
المال، ويقال للغني مقوٍ لقوته على ما يريد، يقال:
أقوى الرجل إذا قويت دوابه وكثر ماله، وصار إلى
حالة القوة، والمعنى أن فيها متاعًا للأغنياء
والفقراء جميعًا لا غنى لأحد عنها.

[٧٤] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

[٧٥] قوله عز وجل: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْعِدِ

النُّجُومِ﴾، قال أكثر المفسرين: معناه أقسم و(لا)

صلة، وكان عيسى بن عمر يقرأ: (فلا أقسم) على

التحقيق. وقيل: قوله (لا) رد لما قاله الكفار في

القرآن إنه سحر وشعر وكهانة، معناه ليس الأمر كما

يقولون ثم استأنف القسم، فقال (أقسم بمواقع

النجوم). قرأ حمزة والكسائي. (بموقع) على

التوحيد. وقرأ الآخرون (بمواقع) على الجمع.

قال ابن عباس: أراد نجوم القرآن فإنه كان نزل على

٥٣٧

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

إِنَّمَا لَقَرْنَا أَنْ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُ الْكَافِرُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَمْرَمَدِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفْرِيقِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الصَّالِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَرْزُلُ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَنَصْلٍ جَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

رسول الله ﷺ متفرقاً نجومًا. وقال جماعة من المفسرين: أراد مغارب النجوم ومساقطها. وقال عطاء بن أبي رباح: أراد منازلها. وقال الحسن: أراد انكدارها وانتشارها يوم القيامة.

[٧٧، ٧٦] ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ٥﴾، يعني هذا الكتاب وهو موضع القسم، ﴿لَقَرْنَا كَرِيمٌ﴾، عزيز مكرم لأنه كلام الله. قال بعض أهل المعاني: الكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير.

[٧٨] ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾، مصون عند الله في اللوح المحفوظ من الشياطين.

[٧٩] ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾، أي ذلك الكتاب المكنون، ﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة، وروى حسان عن الكلبي قال: هم السفرة الكرام البررة. وروى محمد بن الفضل عنه: لا يقرؤه إلا الموحدون. قال عكرمة: وكان ابن عباس ينهى أن يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن. قال الفراء: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به. وقال قوم: معناه لا يمسه إلا المطهرون من الأحداث والجنابات. وظاهر الآية نفي ومعناها نهى، قالوا: لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا المحدث حمل المصحف ولا مسه، وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم، وبه قال مالك والشافعي. وقال الحكم وحامد وأبو حنيفة: يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسّه بغلاف، والأول قول أكثر الفقهاء.

[٨٠] ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي القرآن منزل من عند رب العالمين، سمي المنزل تنزيلاً على اتساع اللغة، كما يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق.

[٨١] ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُ الْكَافِرُونَ﴾، يعني القرآن، ﴿أَنْتُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿تُكْذِبُونَ﴾، قال ابن عباس: مكذبون. وقال مقاتل بن حيان: كافرون، نظيره:

(وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ)، والمدهن والمدهان الكذاب والمنافق، وهو من الإدهان وهو الجري في الباطن على خلاف الظاهر، هذا أصله ثم قيل للمكذب مدهن وإن صرح بالكذب والكفر.

[٨٢] ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾، حظكم ونصيبكم من القرآن، ﴿أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾، قال الحسن في هذه الآية: خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به. وقال جماعة من المفسرين: معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون. وقال الهيثم بن عدي: إن من لغة أزدشوة: ما رزق فلان بمعنى ما شكر وهذا في الاستسقاء بالأنواء وذلك أنهم كانوا يقولون إذا مطروا: مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك من فضل الله تعالى، فقيل لهم: أتجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقتم يعني شكر رزقكم التكذيب، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

الله أي رزق الله. وقال آخرون: هو الريحان الذي يشم قال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه. ﴿وَجَنَّتْ بَعِيرٌ﴾، قال أبو بكر الوراق: الروح النجاة من النار، والريحان دخول دار القرار. [٩١، ٩٠] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمِتُوفَى، مِنْ أَصْحَابِ

الْيَمِينِ ۖ فَسَلِّمْ لَهُ ۖ إِنَّكَ كَنْزُ اللَّهِ لَئِنْ سَأَلْتَهُ لَقَدْ جَاءَهُ مِنْ رَبِّهِ الْغَيْبُ ۚ﴾، أي سلامة لك يا محمد منهم فلا تهتم لهم فإنهم سلموا من عذاب الله، أو أنك ترى فيهم من تحب من السلامة. قال مقاتل: هو أن الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم. وقال الفراء وغيره: فسلام لك إنهم من أصحاب اليمين، أو يقال لصاحب اليمين: سلام لك إنك من أصحاب اليمين، فألقيت إن كان الرجل يقول إني مسافر عن قليل، فتقول له: أنت مصدق مسافر عن قليل، وقيل: فسلام لك أي عليك من أصحاب اليمين.

[٩٢] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ﴾، بالبعث، ﴿الضَّالِّينَ﴾، عن الهدى وهم أصحاب المشأمة.

[٩٣] ﴿فَنَزَّلُ مِنَ جَمِيمٍ﴾، فالذي يعد لهم حميم جهنم.

[٩٤] ﴿وَنَصْلَةٍ جَمِيمٍ﴾، وإدخال نار عظيمة.

[٩٥] ﴿إِنَّ هَذَا﴾، يعني ما ذكر من قصة المحتضرين، ﴿لَوْ حَقُّ الْيَقِينِ﴾، أي الحق اليقين أضافه إلى نفسه.

[٩٦] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، قيل: فصل بذكر ربك وأمره، وقيل: الباء زائدة أي فسبح اسم ربك العظيم.

(٥٧) سُورَةُ الْحَدِيدِ

[٣-١] ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، يعني

[٨٣] قوله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا﴾، فهلا، ﴿إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾، أي بلغت النفس الحلقوم عند الموت.

[٨٤] ﴿وَأَنْتَ حَيٌّ نَظُرُونَ﴾، يريد وأنتم يا أهل الميت تنظرون إليه متى تخرج نفسه. وقيل: معنى قوله: (تنظرون) أي إلى أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئاً.

[٨٥] ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾، بالعلم والقدرة والرؤية. وقيل: ورسنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم، ﴿وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ﴾، الذين حضروه.

[٨٦] ﴿فَلَوْلَا﴾، فهلا ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾، مملوكين، وقال أكثرهم: محاسبين ومجزيين.

[٨٧] ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أي تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعدما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله: (فلولا إذا بلغت الحلقوم) وعن قوله (فلولا إن كنتم غير مدينين) بجواب واحد، ومثله قوله عز وجل: (فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم) أجيبا بجواب واحد، معناه: إن كان الأمر كما تقولون أنه لا بعث ولا حساب ولا إله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم، وإذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم وهو الله عز وجل فآمنوا به، ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال:

[٨٨] ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفْرِيقِينَ﴾، وهم السابقون.

[٨٩] ﴿فَرُوحٌ﴾، قرأ يعقوب (فروح) بضم الراء والباقون بفتحها فمن قرأ بالضم، قال الحسن معناه: تخرج روحه في الريحان، وقال قتادة: الرُّوح: الرحمة أي له الرحمة، وقيل: معناه فحياة وبقاء لهم، ومن قرأ بالفتح معناه: فله روح وهو الراحة، وهو قول مجاهد. وقال سعيد بن جبير: فرح. وقال الضحاك: مغفرة ورحمة. ﴿وَرَحِيحَانٌ﴾، استراحة، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: رزق. وقال مقاتل: هو الرزق بلسان حمير، يقال خرجت أطلب ريحان

هو الأول قبل كل شيء بلا ابتداء بل كان هو ولم يكن شيء موجوداً، والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء، تفتى الأشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شيء، والباطن العالم بكل شيء، هذا معنى قول ابن عباس. وقال يمان: هو الأول القديم والآخر الرحيم، والظاهر الحليم، والباطن العليم. وقال السدي: هو الأول بيره إذ عرفك توحيده، والآخر بجوده إذ عرفك التوبة على ما جنيت، والظاهر بتوفيقه إذ وفقك للسجود له، والباطن بستره إذا عصيته فستر عليك. وقال الجنيد: هو الأول بشرح القلوب، والآخر بغفران الذنوب، والظاهر بكشف الكروب، والباطن بعلم الغيوب. وسأل عمر رضي الله تعالى عنه كعباً عن هذه الآية فقال: معناها إن علمه بالأول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٤] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، بالعلم، ﴿أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. [٥] ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

[٦، ٧] ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٥ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، يخاطب كفار مكة، ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَخِّلِينَ فِيهِ﴾، مملكين فيه يعني المال الذي كان بيد غيرهم فأهلكهم وأعطاه قريشاً فكانوا في ذلك المال خلفاء ممن مضوا. ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

[٨] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾، قرأ أبو عمرو (أخذ) بضم الهمزة وكسر الخاء (ميثاقكم) برفع القاف على ما لم يسم فاعله، وقرأ الآخرون بفتح الهمزة والحاء

سورة الحديد

٥٣٨

سورة الحديد

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَخِّلِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبْنَئُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِيٰ مِنْكُمْ مَن أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَتْلَ أُولَٰئِكَ وَكَأَنَّ اللَّهَ فَخْرٌ وَاللَّهُ يَبْصُرُ مَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿١٠﴾ مَن ذَا الَّذِي يقرض الله قرضاً حسناً فيضعفه له وله أجر كريم ﴿١١﴾

ونصب القاف، أي: أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام، بأن الله ربكم لا إله لكم سواه، قاله مجاهد. وقيل: أخذ ميثاقكم بإقامة الحجج والدلائل التي تدعو إلى متابعة الرسول ﷺ. ﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، يوماً، فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والإعلام ببعثة محمد ﷺ ونزول القرآن.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ﴾، محمد ﷺ، ﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، يعني بالقرآن، ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾، الله بالقرآن، ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، وقيل: ليخرجكم الرسول بالدعوة من الظلمات إلى النور أي من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يقول: أي شيء لكم في ترك

نستضيء من نوركم، وذلك أن الله تعالى يعطي المؤمنين نوراً على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، ويعطي المنافقين أيضاً نوراً خديعة لهم، وهو قوله عز وجل: (وهو خادعهم)، بينما هم يمشون إذا بعث الله عليهم ريحاً وظلمة فأطفا نور المنافقين، فذلك قوله: (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا) مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين. وقال الكلبي: بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين: انظرونا نفتس من نوركم، ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾، قال ابن عباس: يقول لهم المؤمنون، وقال قتادة: تقول لهم الملائكة: ارجعوا وراءكم من حيث جئتم، ﴿فَالْتَبَسُوا نَوْراً﴾، فاطلبوا هناك لأنفسكم نوراً فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا، فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيئاً فينصرفون إليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين، وهو قوله: ﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُوراً﴾، أي سور، والباء صلة يعني بين المؤمنين والمنافقين، وهو حائط بين الجنة والنار، ﴿لَهُ﴾ أي لذلك السور، ﴿بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾، أي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة ﴿وَوَظَاهِرُهُ﴾، أي خارج ذلك السور، ﴿مِن قِبَلِهِ﴾، أي من قبل ذلك الظاهر، ﴿الْعَذَابُ﴾، وهو النار.

[١٤] ﴿يَنَادُوهُمْ﴾ يعني: ينادون المنافقون المؤمنين من وراء السور حين حجب بينهم بالسور وبقوا في الظلمة: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾، في الدنيا نصلي ونصوم: ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَلَتَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، أهلكتموها بالفناق والكفر، واستعملتموها في المعاصي والشهوات، وكلها فتنة، ﴿وَوَرِثْتُمْ﴾ بالإيمان والتوبة. وقال مقاتل: وتربصتم بمحمد ﷺ وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه،

الإلفاق فيما يقرب من الله وأتمم ميتون تاركون أموالكم، ثم بين فضل من سبق بالإلفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾، يعني فتح مكة في قول أكثر المفسرين، وقال الشعبي: هو صلح الحديبية، ﴿وَقَتْلَ﴾، يقول: لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله ﷺ قبل فتح مكة مع من أنفق وقاتل بعده، ﴿أُولَٰئِكَ أَعْطِمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ﴾، أي كلا الفريقين وعدهم الله الجنة. قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها. وقرأ ابن عامر (وكل) بالرفع، ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[١٢، ١١] ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم، يعني على الصراط، ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾، يعني عن أيমানهم. قال بعضهم: أراد جميع جوانبهم فعبّر ببعض عن الكل وذلك دليلهم إلى الجنة، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتي نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتي نوره كالرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره أعلى إيهامه فيطفا مرة ويقد مرة. وقال الضحاك ومقاتل: يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم كتبهم يريد أن كتبهم التي أعطوها بأيمانهم ونورهم بين أيديهم، وتقول لهم الملائكة: ﴿يُسْرِكُمْ﴾ اليوم جئت تجرى من تحبها الأنهر خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم.

[١٣] ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا﴾، قرأ الأعمش وحزمة: (انظرونا) بفتح الهمزة وكسر الظاء يعني أمهلونا. وقيل: انتظرونا. وقرأ الآخرون بحذف الألف في الوصل وضمها في الابتداء وضم الظاء، تقول العرب: انتظرني وأنظرني يعني انتظرني. ﴿نَقَّيْسٌ مِّنْ نُورِكُمْ﴾،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٣٩

سُورَةُ الْحَدِيدِ

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ
 بُشْرَتُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ
 هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٦﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لَئِذَا
 آمَنَّا أَنْظَرُونَا نَقْتَسِبَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَارْءَاكُمْ فَانْتَسُوا نَارًا
 فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ يَسُورُهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ
 الْعَذَابُ ﴿١٧﴾ يُنَادِيهِمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ
 أَنْفُسَكُمْ وَتَرَفْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ
 اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٨﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا
 مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
 ﴿١٩﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ
 وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ
 فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾
 أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ
 لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْمُضْذِقِينَ وَالْمُضْذِقَاتِ وَأَقْرَضُوا
 اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهِمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٢٢﴾

اليهود والنصارى، ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾، الزمان
 بينهم وبين أنبيائهم، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، قال ابن
 عباس: مألوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله،
 والمعنى أن الله عز وجل ينهى المؤمنين أن يكونوا
 في صحبة القرآن كاليهود الذين قست قلوبهم لما
 طال عليهم الدهر. ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾، يعني
 الذين تركوا الإيمان بعمى ومحمد عليهما الصلاة
 والسلام.

[١٧، ١٨] وقوله عز وجل: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ
 الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٥
 إِنَّ الْمُضْذِقِينَ وَالْمُضْذِقَاتِ﴾، قرأ ابن كثير وأبو بكر عن
 عاصم: بتخفيف الصاد فيهما من التصديق أي
 المؤمنين والمؤمنات، وقرأ الآخرون بتشديدهما،
 أي المتصدقين والمتصدقات أدغمت التاء في
 الصاد، ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، بالصدقة والنفقة

﴿وَارْتَبْتُمْ﴾، شككتم في نبوته وفيما أوعدكم به،
 ﴿وَعَرَّيْتُمْ الْأَمَانِي﴾، الأباطيل وما كنتم تتمنون من
 نزول الدوائر بالمؤمنين، ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾، يعني
 الموت، ﴿وَعَرَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾، يعني الشيطان، قال
 قتادة: ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم
 الله في النار.

[١٥] ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ بدل وعوض
 بأن تفدوا أنفسكم من العذاب، ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا﴾، يعني المشركين، ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ
 مَوْلَاكُمْ﴾، صاحبكم وأولى بكم لما أسلفتم من
 الذنوب ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

[١٦] قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ
 تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، قال الكلبي ومقاتل:
 نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة، وذلك أنهم
 سألو سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عن
 التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت: (نحن نقص
 عليك أحسن القصص)، فأخبرهم أن القرآن أحسن
 قصصاً من غيره، فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء
 الله، ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزل:
 (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا)، فكفوا عن
 سؤاله ما شاء الله ثم عادوا فقالوا: حدثنا عن
 التوراة فإن فيها العجائب فنزلت هذه الآية. فعلى
 هذا تأويل قوله: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع
 قلوبهم لذكر الله)، يعني في العلانية وباللسان.
 وقال الآخرون: نزلت في المؤمنين. قال عبدالله بن
 مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه
 الآية: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر
 الله)، إلا أربع سنين. وقال ابن عباس: إن الله
 استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث
 عشرة سنة من نزول القرآن، فقال: (ألم يأن)، ألم
 يحن للذين آمنوا أن تخشع ترق وتلين وتخضع
 قلوبهم لذكر الله، ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾، وهو القرآن،
 ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾، وهم

سُورَةُ الْحَدِيدِ

٥٤٠

الْحَدِيدُ

في سبيل الله عز وجل، ﴿يُضَعَّفُ لَهُمْ﴾، ذلك القرض ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، ثواب حسن وهو الجنة.

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، والصديق الكثير الصدق، قال مجاهد: كل من آمن بالله ورسله فهو صديق وتلا هذه الآية. قال الضحاك: هم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحزمة، وتاسعهم عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته. ﴿وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، اختلفوا في نظم هذه الآية منهم من قال: هي متصلة بما قبلها والواو واو النسق، وأراد بالشهداء المؤمنين المخلصين. وقال الضحاك: هم الذين سميناهم. وقال مجاهد: كل مؤمن صديق شهيد، وتلا هذه الآية. وقال قوم: تم الكلام عند قوله: (هم الصديقون) ثم ابتدأ فقال: والشهداء عند ربهم، والواو واو الاستئناف، وهو قول ابن عباس ومسروق وجماعة، ثم اختلفوا فيهم فقال قوم: هم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة، يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مقاتل بن حيان. وقال مقاتل بن سليمان: هم الذين استشهدوا في سبيل الله، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، بما عملوا من العمل الصالح، ﴿وَوُورُهُمْ﴾، على الصراط ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

[٢٠] قوله عز وجل: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾، أي أن الحياة الدنيا، (ما) صلة أي إن الحياة في هذه الدار، ﴿لَعِبٌ﴾، باطل لا حاصل له، ﴿وَلَهُمْ﴾، فرح ثم ينقضي، ﴿وَزِينَةٌ﴾، منظر تزينون به، ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾، يفخر به بعضكم على بعض، ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، أي مباهاة

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَوُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارِينَ بَأْتِهِ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرِيَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَكَفَّ تَفَكُّرَكُمْ وَوَلَّىٰ اللَّهُ لَا يَجِبُ كُلُّ مُحْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاؤُنَّ لَا يُحِبُّ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

بكثره الأموال والأولاد، ثم ضرب لها مثلاً فقال ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾، أي الزراع، ﴿بَأْتِهِ﴾، ما نبت من ذلك الغيث، ﴿ثُمَّ يَهِيْجُ﴾، ييس، ﴿فَتَرِيَهُ مُضْفَرًا﴾، بعد خضرته ونضرت، ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾، يتحطم ويتكسر بعد يسه ويفنى، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، قال مقاتل: لأعداء الله، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾، لأوليائه وأهل طاعته، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، قال سعيد بن جبير: متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة، ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه.

[٢١] ﴿سَابِقُوا﴾، سارعوا، ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، لو وُصل بعضها ببعض، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيمِ، فبين أن أحدا لا يدخل الجنة إلا بفضل الله.

[٢٢] قوله عز وجل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾، يعني قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار، ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾، يعني الأمراض وفقد الأولاد، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾، يعني اللوح المحفوظ، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾، من قبل أن نخلق الأرض والأنفس. قال ابن عباس: من قبل أن نبرأ المصيبة. وقال أبو العالية: يعني النسمة، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، أي إثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل.

[٢٣] ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾، تحزنوا، ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾، من الدنيا، ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، قرأ أبو عمرو بقصر الألف لقوله ﴿فَاتَكُمْ﴾ فجعل الفعل له، وقرأ الآخرون (آتاكم) بمد الألف، أي: أعطاكم. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾، متكبر بما أوتي من الدنيا، ﴿فَخُورٍ﴾، يفخر به على الناس.

[٢٤] ﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ﴾، قيل: هو في محل الخفض على نعت المختال. وقيل: هو رفع بالابتداء وخبره فيما بعده. ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾، أي يعرض عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

[٢٥] قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾، بالآيات والحجج، ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾، يعني العدل. وقال مقاتل بن سليمان: هو ما يوزن به أي ووضعنا الميزان كما قال: (والسما رفعها)، بأن وضع الميزان ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، ليتعاملوا بينهم بالعدل، ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾، قال أهل المعاني معنى قوله: (أنزلنا الحديد)، أنشأنا وأحدثنا، أي أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صناعته بوحيه. وقال قطرب: هذا من النزل كما يقال أنزل الأمير على فلان نزلا

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ بَصُرِهِ وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُلِهِ يُؤْذِكُمْ كَفَايْنٍ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْرِفْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٩﴾ لَيْسَ لَكَ أَلْهَلٌ إِلَّا الْكِتَابُ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَإِنْ أَلْفُ ضَلَّ بِإِذْنِ اللَّهِ تَوْبَتَهُ مِنْ شَاءَ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣٠﴾

حسنا فمعنى الآية أنه جعل ذلك نزلا لهم. ومثله قوله: (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج). ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، قوة شديدة يعني السلاح للحرب. قال مجاهد: فيه جنة وسلاح يعني آلة الدفع وآلة الضرب، ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾، مما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفأس والإبرة ونحوها إذ هو آلة لكل صنعة، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾، أي أرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليعلم الله وليرى الله، ﴿مَنْ بَصُرَهُ﴾، أي دينه، ﴿وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ﴾، أي قام بنصرة الدين لم ير الله ولا الآخرة وإنما يحمد ويثاب من أطاع الله بالغيب. ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، قوي في أمره عزيز في ملكه.

[٢٦، ٢٧] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ

وَالْخَتَانِ، فما رعوها يعني الطاعة والملة حق رعايتها كناية عن غير مذكور، فاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم، وهم أهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون، وهم الذين ابتدعوا الرهبانية، وإليه ذهب مجاهد. معنى قوله: (إلا ابتغاء رضوان الله)، على هذا التأويل: ما أمرناهم وما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وما أمرنا لهم بالترهب. ﴿وَيَحْمِلُ لَكُمْ ثُورًا تَمْسُونَ بِهِ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: يعني على الصراط، كما قال: (نورهم يسعى بين أيديهم)، ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النور هو القرآن. وقال مجاهد: هو الهدى والبيان، أي يجعل لكم سبيلاً واضحاً في الدين تهتدون به، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. [٢٩] ثم قال: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾، قال قتادة: حسد الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب المؤمنين منهم، فأنزل الله تعالى: (لئلا يعلم أهل الكتاب)، قال مجاهد: قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا به، فأنزل الله تعالى: (لئلا يعلم أهل الكتاب) أي ليعلم ولا صلة، ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، أي ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا أجر لهم، ولا نصيب لهم في فضل الله، ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

(٥٨) سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ

[١] ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾، الآية نزلت في خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس ابن الصامت وكانت حسنة الجسم وكان به لم فآرادها فأبت، فقال لها: أنت عليّ كظهر أمي، ثم ندم على ما قال وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية، فأنت رسول الله ﷺ، فقالت: يا

فَسِقُونَ ه تَمَّ فَتَيْنَا عَلَى ءَاثَرِهِمْ يُرْسِلْنَا وَفَقَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَوَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ، على دينه ﴿رَأْفَةً﴾، وهي أشد الرقة، ﴿وَرَحْمَةً﴾، كانوا متوادين بعضهم لبعض، كما قال الله تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ: (رحماء بينهم)، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾، من قبل أنفسهم وليس هذا بعطف على ما قبله وانتصابه بفعل مضمر كأنه قال: وابتدعوا رهبانية أي جاؤوا بها من قبل أنفسهم، ﴿مَا كُنْنَاهَا﴾، أي ما فرضناها، ﴿عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾، يعني ولكنهم ابتغوا رضوان الله بتلك الرهبانية، وتلك الرهبانية ما حملوا أنفسهم من المشاق في الامتناع من المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعب في الجبال، ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، أي لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وكفروا بدين عيسى فتهودوا وتنصروا ودخلوا في دين ملوكهم وتركوا الترهيب، وأقام منهم أناس على دين عيسى عليه الصلاة والسلام حتى أدرکوا محمداً ﷺ فآمنوا به، وذلك قوله تعالى: ﴿فَتَأْتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنهُمْ أَجْرَهُمْ﴾، وهم الذين ثبتوا عليها وهم أهل الرأفة والرحمة، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾، وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة والسلام.

[٢٨] فقال الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾، الخطاب لأهل الكتابين من اليهود والنصارى، يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد ﷺ ﴿وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾، محمد ﷺ، ﴿يُؤْتِكُمْ كَهَاتَيْنِ﴾، نصيبين، ﴿مِّن رَّحْمَتِهِ﴾، يعني يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى عليه الصلاة والسلام والإنجيل، وبمحمد ﷺ والقرآن، وقال قوم: انقطع الكلام عند قوله (رحمة) ثم قال: ورهبانية ابتدعوها وذلك أنهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة

سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ

٥٤٢

سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ

سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ
مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا الَّتِي
وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ كُمْ تَوْعُظُونَ
بِهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالُكُمْ خَيْرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ذَلِكَ لِمَنْ تَوَضَّعَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا
كَكَائِبٍ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ لِّلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا
عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوءَ مَا لَهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَشَهِيدٌ ﴿٦﴾

رَقَبَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا والمراد بالتماس المجامعة
فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر عنها ما لم
يكفر سواء أراد التكفير بالإعتاق أو بالصيام أو
بالإطعام، وعند مالك: إن أراد التكفير بالإطعام
يجوز له الوطء قبله لأن الله تعالى قيد العتق
والصوم بما قبل المسيس وقال في الإطعام: (فمن
لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً) ولم يقل: (من قبل
أن يتماساً) وعند الآخرين الإطلاق في الطعام
محمول على المقيد في العتق والصيام. ﴿ذَلِكَ كُمْ
تَوْعُظُونَ بِهِ﴾، تؤمرون به، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ﴾.

[٤] ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾، يعني الرقبة، ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ

رسول الله إن زوجي ظاهر مني، وقد ندم فهل من
شيء يجمعني وإياه، فقال رسول الله ﷺ: «حُرِّمَتْ
عليه» فقالت أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي،
فجعلت تراجع رسول الله ﷺ، فأنزل الله (قد سمع
الله) الآيات^(١)، ومعنى قوله (قول التي تجادلك)
وتخاصمك وتحاورك وتراجعك في زوجها،
﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾، مراجعتكما
الكلام، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، سميع لما
تتاجيه وتتضرع إليه، بصير بمن يشكو إليه.

[٢] ثم ذم الظهار فقال: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ
نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، أي ما اللواتي
يجعلونهن من زوجاتهم كالأمهات، المعنى ليس
هنَّ بأمهاتهم، ﴿إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ﴾، أي ما أمهاتهم،
﴿إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ﴾،
لا يعرف في شرع ﴿وَزُورًا﴾، كذباً، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ
غَفُورٌ﴾، عفا عنهم وغفر لهم بإيجاب الكفارة
عليهم.

[٣] ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ اختلف أهل العلم في العود فقال
أهل الظاهر: هو إعادة لفظ الظهار، وهو قول أبي
العالية، وقال: (ثم يعودون لما قالوا) أي إلى ما
قالوا، أي أعاده مرة أخرى، فإن لم يكرر اللفظ
فلا كفارة عليه، وذهب قوم إلى أن الكفارة تجب
بنفس الظهار والمراد من العود هو العود إلى ما
كانوا عليه في الجاهلية من نفس الظهار، وهو قول
مجاهد والثوري. وقال قوم: المراد من العود
الوطء، وهو قول الحسن وقتادة وطاوس
والزهري، وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطأها، وقال
قوم هو العزم على الوطء، وهو قول مالك
وأصحاب الرأي، وفسر ابن عباس العود بالندم،
فقال: يندمون فيرجعون إلى الألفة ومعناه هذا. قال
الفراء: يقال عاد فلان لما قال أي فيما قال وفي
نقض ما قال، يعني رجع عما قال، قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ

(١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير ٢٧٧/٢ وصححه الحاكم

٤٨١/٢ وانظر تفسير ابن كثير ٣١٩/٤.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٤٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ
 مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
 وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ
 بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
 نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ
 وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذْ جَاءَكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
 بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
 جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا
 تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا
 بِالْيَرِّ وَاللَّقْوَىٰ وَأَنْقُذُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى
 مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسْتَحْوَفَّ الْمُجَلِّسُ فَاسْتَحْوَفَّسَحَ
 اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ امْشُرُوا فَاَمْشُرُوا وَارْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٩﴾

يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾، وذلك أن النبي ﷺ كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه، ﴿وإِذَا جَاءَكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾، وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ، ﴿وَيَقُولُونَ﴾، السام عليك، والسام الموت وهم يوهمونهم أنهم يقولون السلام عليك، وكان النبي ﷺ يرد عليهم فيقول: «عليكم» فإذا خرجوا قالوا: ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ يريدون لو كان نبيا حقا لعذبنا الله بما نقول، قال الله عز وجل: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُ الْمَصِيرُ﴾.

[٩] فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾، أي كفعل المنافقين واليهود، وقال مقاتل أراد بقوله: (آمنوا) المنافقين أي آمنوا بلسانهم. قال عطاء: يريد الذي آمنوا

مُتَنَابِعِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطَاعَهُمْ سِتِينَ مَسْكِينًا، يعني المظاهر إذ لم يستطع الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة لا يصبر عن الجماع يجب عليه إطعام ستين مسكينا، ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، لتصدقوا ما أتى به الرسول ﷺ من الله عز وجل، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، يعني ما وصف من الكفارات في الظهار، ﴿وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾، قال ابن عباس: لمن جحدته وكذب به.

[٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، أي يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما، ﴿كُتِبَ﴾، أذلوا وأخزوا وأهلكوا، ﴿كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾، إليك، ﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

[٦، ٧] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾، حفظ الله أعمالهم، ﴿وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ، أي من سرار ثلاثة يعني من المسارة، أي: ما من شيء يناجي به الرجل صاحبيه، ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، بالعلم، وقيل: معناه ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا إلا هو رابعهم بالعلم يعلم نجواهم ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾، نزلت في اليهود والمنافقين وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم يوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوءهم، فيحزنون لذلك، فلما طال ذلك عليهم وكثر شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم ألا يتناجوا دون المسلمين، فلم يتنهبوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فأنزل الله: (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) أي المناجاة ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾، أي

[١٢] قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَجَيَّأُ الرَّسُولُ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ﴾، أمام مناجاتكم، ﴿صَدَقَ﴾، قال ابن عباس: وذلك أن الناس سألوا رسول الله ﷺ وأكثروا حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف على نبيه وبشطهم ويردعهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقة على المناجاة مع الرسول ﷺ، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، يعني تقديم الصدقة على المناجاة، ﴿وَأَطِئُوا فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به معفو عنهم.

[١٣] ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا﴾، قال ابن عباس: أبخلتم؟ والمعنى: أخفتم العيلة والفاقة إن قدمتم، ﴿بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَتْ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا﴾، ما أمرتم به، ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، تجاوز عنكم ولم يعاقبكم بترك الصدقة، وقيل: الواو صلة مجازة فإن لم تفعلوا تاب الله عليكم تجاوز عنكم وخفف عنكم، ونسخ الصدقة. قال مقاتل بن حيان: كان ذلك عشر ليال ثم نسخ. وقال الكلبي: ما كانت إلا ساعة من نهار. ﴿فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ﴾، المفروضة، ﴿وَأَوُْوا زَكَاةً﴾، الواجبة، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٤] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، نزلت في المنافقين تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين إليهم وأراد بقوله: (غضب الله عليهم)، اليهود، ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾، يعني المنافقين ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية ولا من اليهود والكافرين، كما قال: (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء)، ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، قال السدي ومقاتل: نزلت في عبدالله ابن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينما رسول الله ﷺ في حجرة من حجراته إذ قال: «يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان» فدخل عبدالله بن

بزعمهم قال لهم لا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، ﴿وَتَنَجَّوْا بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[١٥] ﴿إِنَّمَا اتَّخَذَ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾، أي من تزوين الشيطان، ﴿لِيُحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي إنما يزين لهم ذلك ليحزن المؤمنين، ﴿وَلَيْسَ﴾، التناجي، ﴿بِضَارِهِمْ شَيْئًا﴾، وقيل: ليس الشيطان بضارهم شيئاً، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه، فإن ذلك يحزنه».

[١٦] قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾، أي توسعوا في المجلس، قرأ الحسن وعاصم: في المجالس لأن الكل جالس مجلساً معناه ليتفسح كل رجل في مجلسه، وقرأ الآخرون (في المجلس) على التوحيد لأن المراد منه مجلس النبي ﷺ، فافسحوا: أوسعوا، يقول فسح يفسح فسحاً إذا وسع في المجلس، ﴿يَسَّحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، يوسع الله لكم الجنة، والمجالس فيها، ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا﴾ أي ارتفعوا، قيل: ارتفعوا عن مواضعكم حتى تُوسِعُوا لإخوانكم، وقال مجاهد وأكثر المفسرين: معناه إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى مجالس كل خير وحق فقوموا لها ولا تقصروا، ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾، بطاعتهم لرسوله ﷺ وقيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لإخوانهم، ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْآلَةَ﴾، من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم، ﴿دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، قال الحسن: قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال: أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم فإن الله تعالى يقول: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)، المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾

(٥٩) سُورَةُ الْحَشْرِ

[١، ٢] ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، يعني بني النضير، ﴿مَنْ دِيرِهِمْ﴾، التي كانت بيثرب، قال ابن إسحاق: كان إجلاء بني النضير بعد مرجع النبي ﷺ من أحد، وفتح قريظة عند مرجعه من الأحزاب وبينهما ستان. ﴿لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾، قال الزهري: كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا. قال ابن عباس: من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول حشر إلى الشام، قال لهم النبي ﷺ: «اخرجوا» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر» ثم يحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام، وقال الكلبي: إنما قال لأول الحشر لأنهم كانوا أول من أُجلي من أهل الكتاب من جزيرة العرب، ثم أُجلي آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال مرة الهمداني: كان أول الحشر من المدينة، والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحاء من الشام في أيام عمر. وقال قتادة: كان هذا أول الحشر، والحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾، أيها المؤمنون، ﴿أَنْ يَخْرُجُوا﴾، من المدينة لعزتهم ومنعتهم، وذلك أنهم كانوا أهل حصون وعقار ونخيل كثيرة، ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنْ اللَّهِ﴾، أي وطن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله، ﴿فَأَنَّهُمْ اللَّهُ﴾، أي أمر الله وعذابه، ﴿مَنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾، وهو أنه أمر نبيه ﷺ

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهمُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

بقتالهم وإجلالهم وكانوا لا يظنون ذلك، ﴿وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾، بقتل سيدهم كعب بن الأشرف، ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال الزهري: وذلك أن النبي ﷺ لما صالحهم على أن لهم ما أقلت الإبل كانوا ينظرون إلى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون منها ما يستحسنونه فيحملونه على إبلهم، ويخرب المؤمنون باقيها. قال ابن زيد: كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران ويقلعون الخشب حتى الأوتاد يخربونها لئلا يسكنها المؤمنون حسداً منهم وبغضاً. قال قتادة: كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم في أديارها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٤٦

سُورَةُ الْحَشْرِ

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْقُرَى وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْمَسْكِينِ وَأُولَئِكَ السَّبِيلُ إِلَى كَيْفَ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا رُسُلُ اللَّهِ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَوَوَّأُوا الذَّارَ وَالْإِيمَنُ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

الأرض وأنتم تفسدون، دعوا هذا النخل قائما هو لمن غلب عليه، فأخبر الله تعالى أن ذلك ياذنه.

[٦] ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾، أي: رده على رسوله، يقال: فاء يفيء أي رجع وفاءها الله، ﴿مَنْهُمْ﴾، أي من يهود بني النضير، ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾، أوضعتم، ﴿عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾، يقال: وجف الفرس والبعير يجف وجيفا وهو سرعة السير، وأوجفه صاحبه إذا حملة على السير، وأراد بالركاب الإبل التي تحمل القوم. وذلك أن بني النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله ﷺ أن يقسمها بينهم، كما فعل بغنائم خيبر، فبين الله تعالى في هذه الآية أنها فيء لم يوجب المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا إليها شقة ولا نالوا مشقة ولم يلقوا حربا. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

فيخرجون إلى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ﷺ، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾، فاتعظوا وانظروا فيما نزل بهم، ﴿يَتَأُولَى الْأَبْصَرِ﴾، يا ذوي العقول والبصائر.

[٤، ٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾، الخروج من الوطن، ﴿لَعَذَّبْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾، بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة، ﴿وَلَكِنْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلَدٌ﴾، ذلك، الذي لحقهم، ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[٥] ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾، الآية، وذلك أن رسول الله ﷺ لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخليهم وإحراقها، فجنح أعداء الله عند ذلك وقالوا: يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل؟ فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض، فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا، واختلفوا في ذلك فقال بعضهم: لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا.

وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها، فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم، أخبر الله في هذه الآية إن ما قطعتموه وما تركوه فبإذن الله، ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ﴾، واختلفوا في اللينة فقال قوم: النخل كلها لينة ما خلا العجوة، وقال مجاهد وعطية: هي النخل كلها من غير استثناء، وقال سفيان: هي كرام النخل. وقال مقاتل: هي ضرب من النخل يقال لثمرها اللون، وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارج يغيب فيها الضرس، وكان من أجود تمرهم وأعجبها إليهم، وكانت النخلة الواحدة منها ثمنها ثمن وصيف، وأحب إليهم من وصيف، فلما رأوهم يقطعونها شق ذلك عليهم وقالوا للمؤمنين: إنكم تكرهون الفساد في

وجلّ، ﴿وَنَصْرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، في إيمانهم. قال قتادة: هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والعشائر وخرجوا حباً لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من شدة.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾، وهم الأنصار تبوؤوا الدار توطنوا الدار، أي المدينة اتخذوها دار الهجرة والإيمان، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي أسلموا في ديارهم وآثروا الإيمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ بستين. ونظم الآية والذين تبوؤوا الدار من قبلهم أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم، وقد آمنوا لأن الإيمان ليس بمكان تبوؤ، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُودْرِهِمْ حَاجَةً﴾، حزاة وغيتاً وحسداً، ﴿وَمِمَّا أُوتُوا﴾، أي مما أعطى المهاجرين دونهم من الفيء، وذلك أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعط منها الأنصار قطابت أنفس الأنصار بذلك، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾، أي يؤثرون على إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم، ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون، وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم، ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، الشح في كلام العرب: البخل ومنع الفضل. وفرّق العلماء بين الشح والبخل. قال ابن عمر: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمح عين الرجل إلى ما ليس له، وقال سعيد بن جبير: الشح هو أخذ الحرام ومنع الزكاة. وقيل: الشح هو الحرص الشديد الذي يحمله على ارتكاب المحارم.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، يعني التابعين وهم الذين يجيؤون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان والمغفرة، فقال:

شَيْءٌ قَدِيرٌ، فجعل أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة.

[٧] قوله عز وجل: ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾، يعني من أموال كفار أهل القرى، قال ابن عباس: هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عربية، ﴿فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآلِ السَّبِيلِ﴾، قد ذكرنا في سورة الأنفال حكم الغنيمة وحكم الفيء: أن مال الفيء كان لرسول الله في حياته يضعه حيث يشاء وكان ينفق منه على أهله نفقة سنتهم ويجعل ما بقي مجعل مال الله، ﴿كَى لَا يَكُونَ دُولَةً﴾، قرأ العامة بالياء، (دولة) نصب أي لكيلا يكون الفيء دولة، وقرأ أبو جعفر (تكون) بالتاء (دولة) بالرفع على اسم كان أي كيلا يكون الأمر إلى دولة، وجعل الكينونة بمعنى الوقوع وحيث لا خبر له والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم، ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾، يعني بين الرؤساء والأقوياء، معناه كيلا يكون الفيء دولة بين الأغنياء والأقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا اغتنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه، وهو المربع، ثم يصطفي منها بعد المربع ما شاء، فجعله الله لرسوله ﷺ يقسمه فيما أمر به، ثم قال ﴿وَمَا إِلَيْكُمْ﴾، أعطاكم، ﴿الرَّسُولُ﴾، من الفيء والغنيمة، ﴿فَتُخَذُوا وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ﴾، من الغلول وغيره، ﴿فَإَنْهَوْا﴾، وهذا نازل في أموال الفيء، وهو عام في كل ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

ثم بين من له الحق في الفيء فقال:

[٨] ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً﴾، رزقاً ﴿وَمِنْ اللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾، أي أخرجوا إلى دار الهجرة طلباً لرضا الله عز

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَإِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾، غشًا وحسدًا وبغضًا، ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، فكل من كان في قلبه غلٌ على أحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم، فإنه ليس ممن عناء الله بهذه الآية، لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل: المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجًا من أقسام المؤمنين. قال ابن أبي ليلى الناس على ثلاثة منازل: المهاجرين، والذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم، فاجتهد أن لا تكون خارجًا من هذه المنازل، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ، فسببتموهم! سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها»^(١)، وقال مالك بن مغول: قال عمر بن شراحيل الشعبي: يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سُئِلَت اليهود من خير أهل ملتكم؟ فقالت: أصحاب موسى عليه السلام، وسُئِلَت النصارى من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: حواري عيسى عليه السلام، وسُئِلَت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد ﷺ! أمروا بالاستغفار لهم فسببهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفرق شملهم، وإدحاض حجتهم، أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة^(٢)، قال مالك بن أنس: من يبغض أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى)، حتى أتى على هذه الآية.

[١١] قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٤٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلِكَنَّ أَدَبُكُمْ لَيُضْرَبُوا لَيَضْرَبُوا وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيَنْصُرُوهُمْ وَلَا يَنْصُرُوهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢﴾ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرَّبُوا ذُفُوًا وَإِلَافًا وَكُفْرًا كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾

نَافَقُوا﴾، أي أظهروا خلاف ما أضمرنا يعني عبدالله بن أبي ابن سلول وأصحابه، ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، وهم اليهود من بني قريظة والنضير جعل المنافقين إخوانهم في الدين، لأنهم كفار مثلهم. ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾، من المدينة، ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا﴾، يسألنا خذلانكم وخلافكم، ﴿أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ﴾، يعني المنافقين، ﴿لَكَاذِبُونَ﴾.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢٥/١٥، ويشهد له ما أخرجه في التفسير عن عروة قال: قالت لي عائشة: يا ابن أخي، أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسببهم.
(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٤٦١/٨٥، وذكره ابن تيمية في منهاج السنة ٢٦-٢٣/١ وقال: هذا الأثر قد روي عن عبدالرحمن بن مالك بن مغول من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضًا.

النضير وكان بينهما ستان. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. ثم ضرب مثلاً للمنافقين واليهود جميعاً في تخادعهم.

[١٦] فقال: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾، أي مثل المنافقين في غرورهم بني النضير وخذلانهم كمثل الشيطان، ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٧] ﴿وَكَانَ عَقِبَهُمَا﴾، يعني الشيطان وذلك الإنسان ﴿أَنْهَى فِي النَّارِ خَلِيدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الْفَٰكِلِينَ﴾، قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل لليهود بني النضير والمنافقين من أهل المدينة، وذلك أن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ بإجلاء بني النضير عن المدينة ففسد المنافقون إليهم، وقالوا: لا تجيبوا محمداً إلى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فإن قاتلكم فإننا معكم وإن أخرجكم خرجنا معكم، فأجابوهم ودرّبوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين، حتى جاءهم النبي ﷺ فناصره الحرب يرجون نصر المنافقين، فخذلوهم وتبرؤوا منهم.

[١٨] قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانْتَظِرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ﴾، يعني ليوم القيامة، أي لينظر أحدكم أي شيء قدم لنفسه عملاً صالحاً ينجيهِ أم سيئاً يوبقه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٩] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾، تركوا أمر الله، ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾، أي حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيراً، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾.

[٢٠] ﴿لَا يَسْتَوِي أَحَبُّ النَّارِ وَأَحَبُّ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَٰكِرُونَ﴾.

[٢١] قوله عز وجل: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشَعًا مُّصَدَّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، قيل: لو جعل في الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخضع وتشقق وتصدع من خشية الله مع صلابته ووزانته،

[١٢] ﴿لَٰنِ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَٰنِ قُتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾، وكان الأمر كذلك، فإنهم أخرجوا من ديارهم فلم يخرج المنافقون معهم، وقوتلوا فلم ينصروهم، قوله تعالى: ﴿وَلَٰنِ نَّصْرُهُمْ لِيُؤْتِيَنَّ الْأَذَىٰ﴾، أي لو قدر وجود نصرهم. قال الزجاج: معناه لو قصدوا نصر اليهود لولوا الأدبار منهزمين، ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾، يعني بني النضير لا يصيرون منصورين إذا انهزم ناصرهم.

[١٣] ﴿لَآئِنَّ﴾، يا معشر المسلمين، ﴿أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾، أي يرهبونكم أشد من رهبتهم من الله، ﴿ذَٰلِكَ﴾، أي ذلك الخوف منكم، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، عظمة الله.

[١٤] ﴿لَا يَفْقَهُونَكُمْ﴾، يعني اليهود، ﴿جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ مُحَصَّنَةٍ﴾، أي لا يبرزون لقتالكم إنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران، وهو قوله: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو (جدار) على الواحد، وقرأ الآخرون (جدر) بضم الجيم والبدال على الجمع. ﴿بِأَسْهُمَ يَبْهَمُ شَدِيدٌ﴾، أي بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضاً شديدة. وقيل: بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد، فإذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾، متفرقة مختلفة، قال قتادة: أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة شهادتهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق. وقال مجاهد: أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

[١٥] ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني مثل هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم، ﴿قَرِيبًا﴾، يعني مشركي مكة، ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾، يعني القتل بيد، وكان ذلك قبل غزوة بني النضير، قاله مجاهد. وقال ابن عباس: كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع. وقيل: مثل قريظة كمثل بني

حذرًا من أن لا يؤدي حق الله عز وجل في تعظيم القرآن، والكافر يعرض عما فيه من العبر كأن لم يسمعها، يصفه بقساوة القلب، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

[٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، الغيب ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه، والشهادة ما شاهدوه وما علموه، ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

[٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾، الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به، ﴿السَّلَامُ﴾، الذي سلم من النقائص، ﴿الْمُؤْمِنُ﴾، قال ابن عباس: هو الذي آمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه، وهو من الأمان الذي هو ضد التخويف كما قال: (وآمنهم من خوف)، وقيل: معناه المصدق لرسله بإظهار المعجزات، والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب، وللكافرين بما أوعدهم من العقاب، ﴿الْمُهَيِّمُ﴾، الشهيد على عباده بأعمالهم، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل، يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبًا على الشيء، وقيل: هو في الأصل مؤيمن قلبت الهمزة هاء، كقولهم أرقق وهرقت، ومعناه المؤمن، وقال الحسن: الأمين. وقال الخليل: هو الرقيب الحافظ وقال ابن زيد: المصدق. وقال سعيد بن المسيب والضحاك: القاضي. وقال ابن كيسان: هو اسم من أسماء الله تعالى في الكتب والله أعلم بتأويله. ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾، قال ابن عباس: الجبار هو العظيم، وجبروت الله عظمتة، وهو على هذا القول صفة ذات الله، وقيل: هو من الجبر وهو الإصلاح، يقال: جبرت الكسر والأمر، وجبرت العظم إذا أصلحته بعد الكسر، فهو يغني الفقير ويصلح الكسير. وقال السدي ومقاتل: هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد. وسئل بعضهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٤٨

سُورَةُ الْحُشْرِ

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانْتَظِرْ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٧٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٨٠﴾ لَوْ أَنَّا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشَعًا مُّصَدَّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٨١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٨٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٨٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨٤﴾

سُورَةُ الْمُمتَحِنَةِ

الْبَاقِي

عن معنى الجبار فقال: هو القهار الذي إذا أراد أمرًا فعله لا يحجزه عنه حاجز. ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾، الذي تكبر عن كل سوء. وقيل: المتعظم عما لا يليق به وأصل الكبير والكبرياء الامتناع. وقيل: ذو الكبرياء وهو الملك، ﴿سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

[٢٤] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ﴾، المقدر والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره، كما قال يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق، ﴿الْبَارِئُ﴾، المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود ﴿الْمُصَوِّرُ﴾، الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض. هذه صورة الأمر أي مثاله، فأولاً يكون خلقًا ثم برءًا ثم تصويرًا. ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

سُورَةُ الْمُحْتَمَةِ

سُورَةُ الْمُحْتَمَةِ

٥٤٩

سُورَةُ الْمُحْتَمَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِ
وَأَنْبِيَائِهِ مَرْضَاتٍ لِّيُثَبِّتُ بِهِمُ الْيُسُوسَ وَأَنَا أََعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِنْ
يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ وَالسِّبْغَ
بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْلَا آلُكُمْ ۝ إِنْ تَنْفَعُكُمْ آلُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ
إِنَّا بَرَاءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَّلْنَا
بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ۝ إِلَّا
قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُشْفِقَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
رَبَّنَا عَلَّمَكْ تَوْكَانًا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

[٢] ﴿إِنْ يَتَّقَوْكُمْ﴾، يظفروا بكم وَيَرَوْكُمْ، بالضرب
﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾، بالضرب
والقتل، ﴿وَالسِّبْغَ بِالسُّوءِ﴾، بالشتم، ﴿وَوَدُّوا لَوْلَا
تَكْفُرُونَ﴾، كما كفروا. يقول: لا تناصحوهم فإنهم
لا يناصحونكم ولا يوادونكم.
[٣] ﴿إِنْ تَنْفَعُكُمْ آلُكُمْ﴾، معناه لا يدعونكم
ولا يحملنكم ذنوب أرحامكم وقرباتكم وأولادكم
التي بمكة إلى خيانة الرسول ﷺ والمؤمنين وترك
مناصحتهم وموالاة أعدائهم فلن تنفعكم أرحامكم،
﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾، الذين عصيتهم الله لأجلهم، ﴿يَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ﴾، فيدخل أهل طاعته الجنة
وأهل معصيته النار ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(١) أخرجه البخاري في الجهاد ١٤٣/٦ ومسلم في فضائل
الصحابة برقم (٢٤٩٤) ١/٤. ١٩٤١.

[١] ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ
أَوْلِيَاءَ﴾ قال المفسرون: نزلت الآية في حاطب بن
أبي بلتعة حين كتب إلى ناس بمكة من المشركين
يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله
ﷺ: يا حاطب ما هذا؟ قال: يا رسول الله لا
تعجل عليّ إني كنت امرأ مخلصاً في قريش، وكان
من معك من المهاجرين لهم قربات يحمون بها
أهلهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب
فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرباتي، ولم أفعله
ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام،
فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه قد صدقكم» فقال
عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق،
فقال: «إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع
على من شهد بدراً فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت
لكم» فأنزل الله هذه السورة (١) ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمُ
بِالْمُودَّةِ﴾، قيل: أي المودة، والباء زائدة كقوله:
(ومن يرد فيه بإلحاد بظلم)، وقال الزجاج: معناه
تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ وسره بالمودة التي
بينكم وبينهم، ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾، الواو للحال أي
وحالهم أنهم كفروا، ﴿بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾، يعني
القرآن ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾، من مكة، ﴿أَنْ
تُؤْمِنُوا﴾، أي لأن آمنتم، كأنه قال يفعلون ذلك
لإيمانكم، ﴿بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ﴾، هذا شرط
جوابه متقدم وهو قوله: (لا تتخذوا عدوي وعدوكم
أولياء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وقد كفروا بما جاءكم من
الحق إن كنتم خرجتم)، ﴿جِهَادًا فِي سَبِيلِ وَأَنْبِيَائِهِ
مَرْضَاتٍ لِّيُثَبِّتُ بِهِمُ الْيُسُوسَ﴾، قال مقاتل بالنصيحة،
﴿وَأَنَا أََعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾، من المودة للكفار ﴿وَمَا
أَعْلَنْتُمْ﴾، أظهرتم بالستكم، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ
ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، أخطأ طريق الهدى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَّبِعِ الْهُدَىٰ هُوَ الْفَضْلُ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةَ اللَّهِ وَقِيَرًا وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَٰكُمْ إِخْرَاجَكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ
هُم الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَتُ
مُهَاجِرَتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَنِهِنَّ فَإِن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ لَهُنَّ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ
مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُم أَن تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ
وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمُ مَا أَنْفَقُوا
ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَيْءٌ مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابَقْتُمْ فَذَٰلِكَ دَلِيلُكَ دَهَبَتْ
أَرْوَاحُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

بَيْنَهُمْ، أَي من كفار مكة، ﴿مَوَدَّةٌ﴾، ففعل الله ذلك بأن أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء وإخواناً وخالطوهم وناكحوهم، ﴿وَاللَّهُ قَوِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ثم رخص الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال:

﴿٨﴾ ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾، أي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم، ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾، تعدلوا فيهم بالإحسان والبر، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، قال ابن عباس: نزلت في خزاعة كانوا قد صالحوا النبي ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحداً، فرخص الله في برهم ثم ذكر الذين نهاهم عن صلتهم فقال:

﴿٩﴾ ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَٰكُمْ إِخْرَاجَكُمْ﴾، وهم مشركو

﴿٤﴾ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾، قدوة ﴿حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، من أهل الإيمان ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾، من المشركين، ﴿إِنَّا بُرَءُوكُمْ﴾، جمع بريء، ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كُفْرًا يَكُرُّهُ﴾، جحدنا وأنكرنا دينكم، ﴿وَبَدَا يَنِينًا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾، يأمر حاطباً والمؤمنين بالافتداء بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، والذين معه من المؤمنين في التبرؤ من المشركين، ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾، يعني لكم أسوة حسنة في إبراهيم وأموره إلا في استغفاره لأبيه المشرك، فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان قد قال لأبيه: لأستغفرن لك، ثم تبرأ منه على ما ذكرناه في سورة التوبة ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾، يقول إبراهيم لأبيه: ما أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله إن عصيته وأشركت به، ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾، يقول إبراهيم ومن معه من المؤمنين، ﴿وَالِإِلَٰهِنَا إِلَٰهُكَ الْمُبِينُ﴾.

﴿٥﴾ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قال الزجاج: لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنوا. وقال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون: لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك. ﴿وَأَعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿٦﴾ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾، أي في إبراهيم ومن معه ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾، هذا بدل من قوله لكم، وبيان أن هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾، يعرض عن الإيمان ويوال الكفار، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾، عن خلقه، ﴿الْحَكِيمُ﴾، فوالى أوليائه وأهل طاعته. قال مقاتل: فلما أمر الله المؤمنين بعبادة الكفار عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا لهم العداوة والبراءة، ويعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله:

﴿٧﴾ ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم

مكة، ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ أَفْلَحُونَ﴾.

المؤمنون بحكم الله عز وجل وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرأوا بحكم الله فيما أمروا من أداء نفقات المسلمين على نسائهم.

[١١] فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِنْ فَانَكُورُ﴾، أيها المؤمنون، ﴿شَقِيَّةٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾، فلحقن بهم مرتدات، ﴿فَعَايَنَهُمْ﴾، قال المفسرون: معناه غنمتم أي غزوتهم فأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة، وقيل: ظهرتم وكانت العاقبة لكم، وقيل: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم ﴿فَتَأْتُوا الذِّبْنَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾، إلى الكفار منكم، ﴿مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾، عليهم من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار. وقيل: فعاقبتم المرتدة بالقتل ﴿وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

[١٢] قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَيِّنُكَ﴾، الآية، وذلك يوم فتح مكة لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال، وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه، وهو يبايع النساء بأمر رسول الله ﷺ ويبايعهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متتعبة متكررة مع النساء خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها، فقال رسول الله ﷺ: أبايعهن ﴿عَلَّ أَنْ لَا يَشْرَكَكَ بِاللَّهِ شَيْءٌ﴾، فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأييناك أخذته على الرجال، وبايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط، فقال النبي ﷺ: ﴿وَلَا يَشْرَقَنَّ وَلَا يَزِينَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾، وهي أن تقذف ولداً على زوجها ليس منه، قالت هند: والله إن البهتان لقبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرِفِي﴾، قالت هند: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء. فأقر النسوة بما أخذ عليهن، قوله: ﴿وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ﴾ أراد وأد البنات الذي كان يفعل أهل

[١٠] قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الذِّبْنَ ءَامَوًا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ قال ابن عباس: امتحانها أن تستحلف ما خرجت لبغض زوجها ولا عشقاً لرجل من المسلمين، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا لحدث أحدثته، ولا لالتماس دنيا، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام وحباً لله ولرسوله. ﴿اللَّهُ أَكْبَرُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾، أي هذا الامتحان لكم والله أعلم بإيمانهن، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾، ما أحل الله مؤمنة لكافر، ﴿وَأَتَوْهُنَّ﴾، يعني أزواجهن الكفار، ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾، عليهن يعني المهر الذي دفعوا إليهن، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾، أي مهورهن، أباح الله نكاحهن للمسلمين، وإن كان لهن أزواج في دار الكفر لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار، ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُفَّارِ﴾، والعصم جمع العصمة وهي ما يعتصم به من العقد والنسب، والكوافر جمع الكافرة، ونهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، يقول من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها، فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما. قال الزهري: فلما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأتين كانتا له بمكة مشركتين ﴿وَسَلُّوا﴾ أيها المؤمنون، ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ﴾، أي إن لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاسألوا ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ممن تزوجها منهم، ﴿وَلَيْسَلُوا﴾، يعني المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾، من المهر ممن تزوجها منكم، ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قال الزهري: لولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يرد الصداق، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد، فلما نزلت هذه الآية أقر

للمؤمنين وهم كاذبون.

[٣] ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا﴾، قوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ في موضع رفع، فهو كقولك بش رجلًا أخوك، ومعنى الآية أي عظم ذلك في المقت والبغض عند الله، أي إن الله يبغض بغضًا شديدًا أن تقولوا ﴿مَا لَا تَقْعَلُونَ﴾، أي تعدوا من أنفسكم شيئًا ثم لم تفوا به.

[٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾، أي يصفون أنفسهم عند القتال صفاً ولا يزولون عن أماكنهم، ﴿كَأَنَّهُمْ بُنَيْنٌ مَرْصُورٌ﴾، قد رص بعضه ببعض أي ألزق بعضه ببعض وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل. وقيل: أحكم بالرصاص.

[٥] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾، من بني إسرائيل، ﴿يَقَوْمِ لِمَ تَوَدُّونَنِي﴾، وذلك حين رموه بالأدرة، ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، والرسول يعظم ويحترم، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾، عدلوا عن الحق، ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، أمالها عن الحق، يعني أنهم لما تركوا الحق بإيذاء نبيهم أمال الله قلوبهم عن الحق، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ قال الزجاج: يعني لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق.

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَحْيَىٰ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾، والألف فيه للمبالغة في الحمد، وله وجهان أحدهما أنه مبالغة من الفاعل أي الأنبياء كلهم حمادون لله عز وجل وهو أكثر حمداً لله من غيره، والثاني أنه مبالغة من المفعول أي الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مناقباً وأجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد بها ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

[٨، ٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥ يُرِيدُونَ ٥ نور الله بأفواههم والله ممّن نوره ولو كره الكافرون ٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥٢

سُورَةُ الصَّفِّ

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَحْيَىٰ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُمِّنُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ٩ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ عَلَيْكُمْ تَنجِيحًا مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ١٠ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ١٣ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَا مَنَّا طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ١٤

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

[١٠] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ عَلَيْكُمْ تَنجِيحًا مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾، قرأ ابن عامر: تنجيكم بالتشديد والآخرين بالتخفيف، ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، نزل هذا حين قالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعلنا، وجعل ذلك بمنزلة التجارة لأنهم يربحون فيها رضا الله ونيل جنته والنجاة من النار، ثم بين تلك التجارة فقال:

[١١، ١٢] ﴿تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٥ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٣] ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾، ولكم خصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة

﴿نَصَرَ مِنْ اللَّهِ وَفَتَحَ قَرِيبٌ﴾، قال الكلبي: هو النصر على قريش، وفتح مكة. وقال عطاء: يريد فتح فارس والروم. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة ثم حضهم على نصرة الدين وجهاد المخالفين.

[١٤] فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّينَ﴾، أي انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام، ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾، أي من ينصرني مع الله، ﴿قَالَ لِحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا تَطَافُكُنَّ مِنَ بَنَاتِ إِسْرَءِيلَ وَكَثُرَتْ طَافُكُنَّ﴾، قال ابن عباس: يعني في زمن عيسى عليه السلام، وذلك أنه لما رُفِعَ تفرق قومه ثلاث فرق: فرقة قالوا: كان الله فارفع، وفرقة قالوا: كان ابن الله فرفعه إليه، وفرقة قالوا: كان عبد الله ورسوله فرفعه الله إليه وهم المؤمنون، واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس، فافقتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمداً ﷺ فظهرت المؤمنة على الكافرة، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنبَأْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَذُوبِهِمْ فَأَصْحَحُوا ظُهُورَهُنَّ﴾، غالبين، وروى مغيرة عن إبراهيم قال: فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد ﷺ أن عيسى كلمة الله وروحه.

(٦٢) سُورَةُ الْجُمُعَةِ

[٢٠، ١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾، يعني العرب كانت أمة أمية لا تكتب ولا تقرأ ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾، يعني محمداً ﷺ نسبه نسبهم، ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ بَيْنِهِ وَبَيْنَهُمْ أَلَيْسَ بِالْحِكْمَةِ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، أي ما كانوا قبل بعثة الرسول إلا في ضلال مبين يعبدون الأوثان.

[٣] ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ﴾ أي المؤمنين الذين يدينون

بدينهم، لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم، فإن المسلمين كلهم أمة واحدة، واختلف العلماء فيهم فقال قوم: هم العجم وقال عكرمة ومقاتل: هم التابعون. وقال ابن زيد: هم جميع من دخل في الإسلام بعد النبي ﷺ ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، أي لم يدركوهم ولكنهم يكونون بعدهم. وقيل: لما يلحقوا بهم أي في الفضل والسابقة لأن التابعين لا يدركون شأوا الصحابة. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[٤] ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، يعني الإسلام والهداية. ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٥] قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا النَّورَةَ﴾، أي كلفوا القيام بها والعمل بما فيها، ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾، لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها، ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا﴾، أي كتباً من العلم واحداً سفر، قال الفراء: هي الكتب

الزهرى: عند خروج الإمام. وقال الضحاك: إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء، ﴿ذَلِكُمْ﴾، الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، من المبايعة، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، مصالح أنفسكم، واعلم أن صلاة الجمعة من فروض الأعيان فتجب على كل من جمع العقل والبلوغ والحرية والذكورة والإقامة إذا لم يكن له عذر فمن تركها استحق الوعيد، أما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما، لأنهما ليسا من أهل أن يلزمهما فرض الأبدان لنقصان أبدانهما، ولا جمعة على النساء بالاتفاق.

[١٠] قوله عز وجل: ﴿إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، أي إذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم، ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، يعني الرزق وهذا أمر إباحة كقوله: (وإذا حللتم فاصطادوا)، قال ابن عباس: إن شئت فاخرج وإن شئت فاقعد وإن شئت فصل إلى العصر، وقيل: فانتشروا في الأرض ليس لطلب الدنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله. وقال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول: (وابتغوا من فضل الله) هو طلب العلم. ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

[١١] قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ الآية، عن جابر بن عبد الله قال: أقبلت غير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ، فثار الناس إلا اثني عشر رجلاً فأنزل الله: (وإذا رأوا تجارة أو لهو انفضوا إليها)^(١) وأراد باللهو الطبل. وقيل: كانت العير إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق. وقوله: ﴿انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ رد الكناية إلى التجارة لأنها أهم. وقال علقمة: سئل عبدالله بن عمر: أكان النبي ﷺ يخطب قائماً

(١) أخرجه البخاري في التفسير (٦٤٣/٨)، ومسلم في الجمعة (٥٩٠/٢) رقم (٨٦٣).

العظام يعني كما أن الحمار يحملها ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها، كذلك اليهود يقرؤون التوراة ولا ينتفعون بها لأنهم خالفوا ما فيها، ﴿بَشَرٌ مِّثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الأنبياء يعني من سبق في علمه أنه لا يهديهم.

[٦] ﴿قُلْ بَيَّأْتُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾، محمد ﷺ وأصحابه، ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾، فادعوا بالموت على أنفسكم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أنكم أبناء الله وأحباؤه فإن الموت هو الذي يوصلكم إليه.

[٨، ٧] ﴿وَلَا يَتَنَوَّهْ أَبَدًا بِمَا قَلَمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ٥ قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَدَى فَمَرُوتٍ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْفِيكُمْ ثُمَّ رُدُّونَ إِلَىٰ عِلِيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْفِقُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

[٩] قوله عز وجل: ﴿بَيَّأْتُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾، أي في يوم الجمعة وأراد بهذا النداء الأذان عند قعود الإمام على المنبر للخطبة ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، أي: فامضوا إليه واعملوا له، وليس المراد من السعي الإسراع إنما المراد منه العمل والفعل، كما قال: (وإذا تولى سعى في الأرض)، وقال: (إن سعيكم لشتى)، وكان عمر بن الخطاب يقرأ: (فامضوا إلى ذكر الله) وكذلك هي في قراءة عبدالله بن مسعود. وقال الحسن: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع. وعن قتادة في هذه الآية: فاسعوا إلى ذكر الله، قال: فالسعي أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها (إلى ذكر الله) أي الصلاة، وقال سعيد بن المسيب: (فاسعوا إلى ذكر الله) قال هو موعظة الإمام، ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾، يعني البيع والشراء لأن اسم البيع يتناولهما جميعاً. وإنما يحرم البيع والشراء عند الأذان الثاني، وقال

أو قاعدًا؟ قال: أما تقرأ: (وتركوك قائمًا) وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلي على النبي ﷺ ويوصي بتقوى الله، هذه الثلاثة فرض في الخطبتين جميعًا، ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية فلو ترك واحدة من هذه الخمس لا تصح جمعته عند الشافعي، وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه. وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة، وهو مأمور بالخطبة ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ النَّجْرَةِ﴾، أي ما عند الله من الثواب على الصلاة والنبات مع النبي ﷺ خير من اللهو ومن التجارة، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾، لأنه موجد الأرزاق فيآه فاسألوا ومنه فاطلبوا.

(٦٣) سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

[١] ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾، يعني عبدالله بن أبي ابن سلول وأصحابه، ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا.

[٢] ﴿أَخْذُوا أَيْمَنَهُمْ جَنَّةً﴾، ستره، ﴿فَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، منعوا الناس عن الجهاد والإيمان بمحمد ﷺ، ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٣] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾، أقرأوا باللسان إذا رأوا المؤمنين، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾، إذا خلوا إلى المشركين ﴿فَطُغِيَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، بالكفر، ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان.

[٤] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾، يعني أن لهم أجسامًا ومناظر، ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾، فتحسب أنه صدق، قال عبدالله بن عباس: كان عبدالله بن أبي جسيمًا فصيحا ذلق اللسان، فإذا قال سمع النبي ﷺ قوله: ﴿كَانَتْهُمْ

٥٥٤

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

يَتَّيْنَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ثُوْدَى لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْهُوْا أَنْفُسُوْا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ أَخْذُوا أَيْمَنَهُمْ جَنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغِيَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَانَتْهُمْ حُسْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوْا فَاحْذَرُهُمْ فَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَوْفَكُونَ ﴿٤﴾

حُسْبٌ مُسْنَدَةٌ، أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام (مسندة) ممالة إلى جدار من قولهم أسندت الشيء إذا أملتة، وأراد أنها ليست بأشجار تثمر ولكنها خشب مسندة إلى حائط، ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾، أي لا يسمعون صوتًا في العسكر إن نادى مناد أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة إلا ظنوا من جبنهم وسوء ظنهم أنهم يرادون بذلك وظنوا أنهم قد أتوا، لما في قلوبهم من الرعب. وقيل: ذلك لكونهم على وجل من أن ينزل الله فيهم أمرًا يهتك أستارهم ويبيح دماءهم ثم قال: ﴿هُمُ الْعُدُوْا﴾، هذا ابتداء وخبره، ﴿فَاحْذَرُهُمْ﴾، ولا تأمنهم، ﴿فَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾، لعنهم الله ﴿أَنْفٌ يَوْفَكُونَ﴾، يصرفون عن الحق.

[٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَلَوْ رُؤُسُهُمْ﴾، أي عطفوا وأعرضوا بوجوههم رغبة

عن الاستغفار ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾، يُعرضون عما دُعوا إليه، ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾، متكبرون عن استغفار رسول الله ﷺ لهم.

[٦] ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾، يا محمد، ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ قيل لعبدالله بن أبي ابن سلول في مرض موته: اذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلولى رأسه ثم قال: أمرتوني أن أؤمن فأمنت، وأمرتوني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد ﷺ! فأنزل الله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُؤُوسَهُمْ) الآية.

[٧] ونزل: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾، يتفرقوا، ﴿وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فلا يعطي أحدًا شيئًا إلا بإذنه ولا يمنعه إلا بمشيئته، ﴿وَلَكِنَّ الْمُتَفَقِّهِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أن أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

[٨] ﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾، عن غزوة بني المصطلق، ﴿لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضَ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَرَسُولُهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، فعزة الله قهره من دونه، وعزة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها، وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم. ﴿وَلَكِنَّ الْمُتَفَقِّهِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، ولو علموا ما قالوا هذه المقالة.

[٩] قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال المفسرون: يعني الصلوات الخمس نظيره قوله (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) ﴿وَمَنْ يَعْصِ ذَٰلِكَ﴾ أي من شغله ماله وولده عن ذكر الله ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[١٠] ﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد زكاة الأموال، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ

وَأِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُتَفَقِّهِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضَ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَفَقِّهِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَعْصِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخْرَجْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقْتُ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

الْمَوْتُ، فيسأل الرجعة، ﴿فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخْرَجْتَنِي﴾، هلا أخرتني أمهلتي، وقيل: (لا) صلة فيكون الكلام بمعنى التمني أي لو أخرتني، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقْتُ﴾، فأتصدق وأزكي مالي، ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، أي من المؤمنين نظيره، قوله تعالى: (ومن صلح من آبائهم)، هذا قول مقاتل وجماعة، وقالوا: نزلت الآية في المنافقين. وقيل: نزلت الآية في المؤمنين. والمراد بالصلاح هنا الحج، وروى الضحاك وعطية عن ابن عباس أنه قال: ما من أحد يموت وكان له مال لم يؤد زكاته وأطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعة عند الموت، وقرأ هذه الآية.

[١١] ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، قرأ أبو بكر (يعملون) بالياء وقرأ الآخرون بالتاء.

(٦٤) سُورَةُ التَّغَابُنِ

سُورَةُ التَّغَابُنِ

٥٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُفَخَكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكُفُرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَعَفَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُغْنِيَ عَنْهُمْ قُلُوبُ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْحُجَّةِ ذَلِكَ يَوْمُ الْتَغَابُنِ وَمَنْ يَزُومَنَّ بِاللَّهِ وَعَمَلٌ صَالِحًا يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيَذْخُلْهُ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

لحقهم من العذاب في الدنيا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، في الآخرة.

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾، العذاب، ﴿بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾، ولم يقل: يهدينا لأن البشر وإن كان لفظه واحد فإنه في معنى الجمع، وهو اسم الجنس لا واحد له من لفظه، وواحد إنسان، ومعناه ينكرون ويقولون آدمي مثلنا يهدينا، ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَعَفَى اللَّهُ﴾، عن إيمانهم، ﴿وَاللَّهُ غَفِيٌّ﴾، عن خلقه، ﴿حَمِيدٌ﴾، في أفعاله، ثم أخبر عن إنكارهم البعث.

[٨، ٧] فقال جل ذكره: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُغْنِيَ عَنْهُمْ قُلُوبُ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فتأمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا، وهو القرآن، ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٢، ١] ﴿يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُفَخَكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ، قال ابن عباس: إن الله خلق بني آدم مؤمنًا وكافرًا ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنًا وكافرًا، وقال جماعة: معنى الآية إن الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا، لأن الله تعالى ذكر الخلق ثم وصفهم بفعالهم، فقال ﴿فَنُفَخَكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ ثم اختلفوا في تأويلها، فروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: فمنكم كافر في حياته مؤمن في العاقبة، ومنكم مؤمن في حياته كافر في العاقبة. وقال عطاء بن أبي رباح: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب. وقيل: فمنكم كافر بأن الله تعالى خلقه وهو مذهب الدهرية، ومنكم مؤمن بأن الله خلقه. وجملة القول فيه: أن الله خلق الكافر، وكفره فعلاً له وكسباً، وخلق المؤمن، وإيمانه فعلاً له وكسباً، فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيتته، فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه، والكافر بعد خلق الله تعالى إياه يختار الكفر لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه، وهذا طريق أهل السنة والجماعة من سلكه أصاب الحق وسلم من الجبر والقدر.

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

[٥، ٤] ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ، يخاطب كفار مكة، ﴿نَبُوءُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾، يعني الأمم الخالية، ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾، يعني ما

سُورَةُ التَّغَابُنِ

٥٥٧

سُورَةُ التَّغَابُنِ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِيرِ ﴿٩﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ سَبِيلَهُ وَاللَّهُ يَهْدِ كُلَّ شَيْءٍ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴿١٠﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ زَوْجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥﴾ إِن تَقْرُبُوا اللَّهَ يَضْعَفْ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٦﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧﴾

سُورَةُ الْاِطْلَاقِ

بالغو عنهم والصفح.

[١٥] ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، بلاء واختبار وشغل عن الآخرة، يقع بسببها الإنسان في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، قال بعضهم: لما ذكر الله العداوة أدخل فيه من للتبعيض، فقال: (إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم) لأن كلهم ليسوا بأعداء، ولم يذكر «من» في قوله: (إنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) لأنها لا تخلو عن الفتنة واشتغال القلب.

[١٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، أي أطقم، هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: (اتقوا الله حق تقاته) ﴿وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾، الله ورسوله، ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾، أي أنفقوا من أموالكم خيرًا لأنفسكم، ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حتى يعطي حق الله من ماله ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[٩] ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾، يعني يوم القيامة يجمع فيه أهل السموات والأرض، ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾، وهو تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ والمراد، فالمغبون من غبن عن أهله ومنازله في الجنة فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان، ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِيرِ﴾.

[١١] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، بإرادته وقضائه، ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ﴾، فيصدق أنه لا يصيبه مصيبة إلا بإذن الله ﴿يَهْدِ سَبِيلَهُ﴾، يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضائه، ﴿وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

[١٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾.

[١٣] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٤] قوله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ زَوْجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾، قال ابن عباس: هؤلاء رجال من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يهاجروا إلى المدينة فمنعهم أزواجهم وأولادهم، وقالوا صبرنا على إسلامكم فلا نصبر على فراقكم فطاعوهم، وتركوا الهجرة، فقال تعالى: (فاحذروهم) أن تطيعوهم وتدعو الهجرة، ﴿وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، هذا فيمن أقام على الأهل والولد ولم يهاجر فإذا هاجر رأى الذين سبقوه بالهجرة وقد فقهوا في الدين هم أن يعاقب زوجته وولده الذين يبتطوهم عن الهجرة، وإن لحقوا به في دار الهجرة لم ينفع عليهم ولم يصبهم بخير، فأمرهم الله عز وجل

[١٧، ١٨] ﴿إِنْ تَقُصُّوا عَلَى اللَّهِ قُرْبًا حَسَنًا يُضَاعَفْ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ٥ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

(٦٥) سُورَةُ الطَّلَاقِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾، نادى النبي ﷺ ثم خاطب أمته لأنه السيد المقدم، فخطاب الجميع معه، وقيل: مجازه يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم النساء، أي إذا أردتم تطليقهن، كقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أي إذا أردت القراءة. ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾، أي لظهرهن بالذي يقضيه من عدتهن ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾، أي عدد أقرائها فاحفظوها، قيل: أمر بإحصاء العدة لفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثاً. وقيل: للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾، أراد به إذا كان المسكن الذي طلقها فيه للزوج لا يجوز أن يخرجها منه، ﴿وَلَا يَخْرُجَنَّ﴾، ولا يجوز لها أن تخرج ما لم تنقض العدة، فإن خرجت لغير ضرورة أو حاجة أثمت ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾، قال ابن عباس: الفاحشة المبينة: أن تبدأ على أهل زوجها فيحل إخراجها، وقال جماعة: أراد بالفاحشة أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها، ثم ترد إلى منزلها، ويروى ذلك عن ابن مسعود، وقال قتادة: معناه إلا أن يطلقها على نشوزها فلها أن تتحول من بيت زوجها. والفاحشة: النشوز. وقال ابن عمر والسدي: خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعدها، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلاقتين، وهذا يدل على أن

سُورَةُ الطَّلَاقِ

٥٥٨

سُورَةُ الطَّلَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهَا فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَبِرِزْقِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّتِي يَسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ رَزَقْتُمُوهُنَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِيضْ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

المستحب أن يفرق الطلقات، ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى إذا ندم أمكنته المراجعة.

[٢] ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهَا﴾، أي قربن من انقضاء عدتهن، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾، أي راجعوهن، ﴿بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾، أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فبين منكم، ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾، على الرجعة أو الفراق أمر بالإشهاد على الرجعة وعلى الطلاق، ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾، أيها الشهود، ﴿ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾، قال عكرمة والشعبي والضحاك: ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجاً إلى الرجعة، وأكثر المفسرين قالوا: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابناً له يسمى مالكا فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أسر العدو ابني وشكا

سُورَةُ الطَّلَاقِ

٥٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَسْكِنُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ وَلَا نَضَازُوهُمْ لِضَعْفِ قُوَّتِهِمْ وَإِنْ كُنْ أُولَئِكَ حَمَلٌ فَانْفِقُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَانْزِلُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمَضْرُوعٌ لَهُ أُخْرَى ﴿٦﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعِيَّتِهِ وَمَنْ قَدِرْ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكُفَّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَّهُمْ سَبَّحَ اللَّهُ بَعْدَ عَشْرِ سُرٍّ ﴿٧﴾ وَكَانَ مِّنْ قَرِيْبَةٍ عَنَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بِنَهْجِهَا عَذَابًا لَّكَرًّا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَقِيْبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَانْفِقُوا اللَّهَ يَتَاوَلَى الْأَلْبَنِي الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لِرَبِّكَ ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بِنَهْيِهِ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

تؤذوهم، ﴿لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ﴾، مساكنهم فيخرجون، ﴿وَإِنْ كُنْ أُولَئِكَ حَمَلٌ فَانْفِقُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، فيخرجون من عدتهن. ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾، أي أرضعن أولادكم، ﴿فَانْزِلُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾، على إرضاعهن، ﴿وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾، ليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف، وقال الكسائي: شاوروا، قال مقاتل: بتراضي الأب والأم على أجر مسمى، والخطاب للزوجين جميعًا، يأمرهم أن يأتوا بالمعروف وبما هو الأحسن، ولا يقصدوا

(١) أورد الواحدي بغير سند، وأورده السيوطي في الدر (٦/ ٢٣٣) من رواية ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وكذا أخرجه الثعلبي من هذا الوجه كما في الكافي الشافي لابن حجر، وأخرجه الطبري من طريق سالم أبي الجعد مرسلًا، ووصله الحاكم عن جابر. وفي سنده عبيد الله بن كثير تركه الأزدي، ورواه الخطيب في تاريخه من طريق جوير (متروك) عن الضحاك.

إليه أيضًا الفاقة، فقال له النبي ﷺ: «اتق الله واصبر وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله» ففعل الرجل ذلك، فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو، فأصاب إيلًا وجاء إلى أبيه. ﴿٣﴾

﴿وَبَرِّقَتْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسَبُ﴾، ما ساق من الغنم. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وابن مسعود: هو أن يعلم أنه من قبل الله وأن الله رازقه. وقال الربيع بن خثيم: (يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا) من كل شيء ضاق على الناس. وقال أبو العالية: (يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا) من كل شدة. وقال الحسن: (مَخْرَجًا) عما نهاه الله عنه. ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، يتق الله فيما: نابه كفاه ما أهمه ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ أي منفذه أمره، مُنْضٍ في خلقه قضاءه. ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، أي جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء أجلًا ينتهي إليه.

﴿٤﴾ قوله عز وجل: ﴿وَالَّتِي يَلِيسَ مِنَ الْمَجِيزِ مِنْ نَسَائِكُمْ﴾، فلا يرجون أن يحضن، ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾، أي شككتهم فلم تدرؤا ما عدتهن، ﴿فَعَدَّتُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ﴾، يعني الصغار اللاتي لم يحضن فعدتهن أيضًا ثلاثة أشهر، وهذا كله في عدة الطلاق، أما المتوفي عنها زوجها فعدها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لا تحيض، وأما الحامل فعدها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة.

﴿٥﴾ ﴿ذَلِكَ﴾، يعني ما ذكر من الأحكام، ﴿أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾.

﴿٦﴾ ﴿أَسْكِنُوهُمْ﴾، يعني مطلقات نساكنكم ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾، (من) صلة أي أسكنوهم حيث سكنتم، ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾، سعتكم وطاقتكم يعني إن كان موسرًا يوسع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان فقيرًا فعلى قدر الطاقة، ﴿وَلَا تُضَازُّوهُمْ﴾، لا

سُورَةُ الْحَرَامِ

٥٦٠

سُورَةُ الْحَرَامِ

سُورَةُ الْحَرَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْصَاتَ أَرْوَاحٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ تَبَأَى الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَاتٍ بَدَلَتْ عَيْدَاتٍ سَخِرَتْ نَيْسَتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

وتبشيرها بأن الخلافة بعده في أبي بكر وفي أبيها عمر رضي الله عنها، وأطلع الله تعالى نبيه عليه، عرف حفصة وأخبرها ببعض ما أخبرته به عائشة وهو تحريم الأمة وأعرض عن بعض يعني ذكر الخلافة، كره رسول الله ﷺ أن ينتشر ذلك في الناس، ﴿فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ﴾، أي أخبر النبي ﷺ حفصة بما أظهره الله عليه، ﴿قَالَتْ﴾، حفصة، ﴿مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا﴾، أي من أخبرك بأنني أفشيت السر؟ ﴿قَالَ تَبَأَى الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

[٤] ﴿إِنْ نُبَا إِلَى اللَّهِ﴾، أي من التعاون على النبي ﷺ بالإيذاء يخاطب عائشة وحفصة ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، أي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما التوبة. قال ابن زيد: مالت قلوبكما بأن سرهما ما كره رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته. قوله: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾، أي تتظاهرا

فهو كما لو حلف ألا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكل، يروى ذلك عن أبي بكر وعائشة، وبه قال الأوزاعي وأبو حنيفة رضي الله عنه.

[٣] ﴿وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا﴾، وهو تحريم فتاته على نفسه، وقوله لحفصة: لا تخبري بذلك أحدا. وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: أسر أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة. قال الكلبي: أسر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتي من بعدي. وقال ميمون بن مهران: أسر إليها أن أبا بكر خليفتي من بعدي. ﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾، أخبرته به حفصة عائشة، ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾، أي أطلع الله تعالى نبيه على أنها أنبأت به، ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ﴾، قرأ عبد الرحمن السلمي والكسائي (عرف) بتخفيف الراء أي عرف بعض الفعل الذي فعلته من إفشاء سره، أي غضب من ذلك عليها وجازاها به، من قول القائل لمن أساء إليه لأعرفن لك ما فعلت، أي لأجازينك عليه، وجازاها به عليه بأن طلقها، فلما بلغ ذلك عمر قال: لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله ﷺ، فجاء جبريل وأمره بمراجعتها، واعتزل رسول الله ﷺ نساء شهرًا وقعد في مشربة أم إبراهيم مارية، حتى نزلت آية التخيير. وقال مقاتل بن حيان: لم يطلق رسول الله ﷺ حفصة وإنما هم بطلاقها فاتاه جبريل عليه السلام، وقال: لا تطلقها فإنها صوامة قوامه وإنها من جملة نسائك في الجنة، فلم يطلقها. وقرأ الآخرون (عرف) بالتشديد أي عرف حفصة بعد ذلك الحديث، أي أخبرها ببعض القول الذي كان منها، ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾، يعني لم يعرفها إياه، ولم يخبرها به. قال الحسن: ما استقصى كريم قط، قال الله تعالى: (عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ)، وذلك أن النبي ﷺ لما رأى الكراهية في وجه حفصة أراد أن يترضاها فأسر إليها شيئين: تحريم الأمة على نفسه

وتعاونوا على أذى النبي ﷺ، قرأ أهل الكوفة بتخفيف الظاء، والآخرين بتشديدها، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾، أي وليه وناصره. قوله: ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، روي عن ابن مسعود وأبي بن كعب: (وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال الكلبي: هم المخلصون الذي ليسوا بمنافقين. قوله: ﴿وَالْمَلَكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أي: أعوان للنبي ﷺ، وهذا من الواحد الذي يؤدي عن الجمع، كقوله (وحسن أولئك رفيقا).

[٥] ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾، أي واجب من الله إن طلقكن رسوله، ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ﴾، خاضعات لله بالطاعة، ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾، مصداقات بتوحيد الله، ﴿فَتِنَّتٍ﴾، طائعات، وقيل: داعيات، وقيل مصليات، ﴿يَتَّبِعْتِ عَيْدَتِي سَيِّحَتٍ﴾، صائحات، وقال زيد بن أسلم: مهاجرات. وقيل: يسحن معه حيث ما ساح، ﴿تَنَبَّيْتَ وَأَنْبَكَارًا﴾، وهذا في الإخبار عن القدرة لا عن الكون لأنه قال: (إِنْ طَلَّقَكُنَّ) وقد علم أنه لا يطلقهن وهذا كقوله: (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)، وهذا إخبار عن القدرة، لا في الوجود أمة هم خير من أمة محمد ﷺ.

[٦] قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا أَنْفُسُهُمْ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: أي بالانتهاء عما نهاكم الله تعالى عنه والعمل بطاعته، ﴿وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر، وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك نارا، ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ﴾، يعني خزنة النار ﴿غَلاظٌ﴾، فظاظ على أهل النار ﴿شِدَادٌ﴾، أقوياء يدفع الواحد منهم بالدفع الواحدة سبعين ألفا في النار وهم الزبانية لم يخلق الله فيهم الرحمة، ﴿لَا يَصُومُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

[٨،٧] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٦١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُجْزَى اللَّهُ النَّاسَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ جُهْدًا الْكَفَّارُ وَالْمُتَّقِينَ وَغَلاظٌ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتٍ تُوْجِدُ امْرَأَتَ لَوْطٍ كَانَتْ تَحْتُ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتٍ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخَيِّ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخَيِّ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَفَرِحَ عِمْرَانُ إِذْ أَنْصَبَ فَرَجَهَا فَفَخَفَ فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتِ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا مِنَ الْقَبْلِينَ ﴿١٢﴾

تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٥ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا أي توبة ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تاب منه، واختلفوا في معناه قال عمر وأبي ومعاذ: التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب، كما لا يعود اللبن إلى الضرع. قال الحسن: هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ألا يعود فيه. قال الكلبي: أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن. قال سعيد بن المسيب: توبة تنصحون بها أنفسكم. قال القرطبي: يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وإضمام ترك العود بالجنان ومهاجرة سئى الأخوان. ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُجْزَى اللَّهُ النَّاسَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ أي لا يعذبهم الله بدخول النار، ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

ابن عباس: وعمله، قال: جماعه. ﴿وَيَجْنِي مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ﴾، الكافرين.

[١٢] ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَتَ فَرْجَهَا فَفَعَحْنَا فِيهِ﴾، أي في جيب درعها، ولذلك ذكر الكناية، ﴿مِنْ زَوْجِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا﴾، يعني الشرائع التي شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة، ﴿وَكُتِبَ﴾ أراد الكتب التي أنزلت على إبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام. ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْفَتَنِينَ﴾، أي من القوم القاتنين المطيعين لربها ولذلك لم يقل من القاتنات. وقال عطاء: من القاتنين أي من المصلين، ويجوز أن يريد بالقاتنين رهطها وعشيرتها فإنهم كانوا أهل صلاح مطيعين لله.

(٦٧) سُورَةُ الْمُلْكِ

[١، ٢] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يريد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة. وقال قتادة: أراد موت الإنسان وحياته في الدنيا، وجعل الله الدنيا دار حياة وفناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء. قيل: إنما قدم الموت لأنه إلى القهر أقرب. وقيل: قدمه لأنه أقدم، لأن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوهما، ثم طرأت عليها الحياة ﴿يَبْلُوكُمْ﴾، فيما بين الحياة إلى الموت، ﴿أَيْتَكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾، روي عن ابن عمر مرفوعاً (أحسن عملاً) أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله. وقال الفضيل بن عياض: أحسن عملاً أخلصه وأصوبه. وقال: العمل لا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً. فالخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة. وقال الحسن: أيكم أزهد في الدنيا وأترك لها. وقال الفراء: لم تقع البلوى على أي إلا

وَيَأْتِيَنَّهُمْ﴾، على الصراط، ﴿يَقُولُونَ﴾، إذ طفق نور المنافقين، ﴿رَبِّكَ أَتَيْمٌ لَنَا نُورًا وَأَغْفِرَ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوِيَهُمْ جَهَنَّمُ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾، ثم ضرب الله مثلاً للصالحين والصالحات من النساء.

[١٠] فقال جل ذكره: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ﴾، واسمها واعلة، ﴿وَأَمْرَأَتَ لُوطٍ﴾، واسمها واهلة. وقال مقاتل: والعة ووالهة، ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾، وهما نوح ولوط عليهما السلام، ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾، قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتها أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون، وإذا آمن به أحد أخبرت به الجبابة. وأما امرأة لوط فإنها كانت تدل قومه على أضيافه، إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار، وإذا نزل بالنهار دخنت ليعلم قومه أنه نزل به ضيف. وقال الكلبي: أسرتا النفاق وأظهرتا الإيمان، ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، لم يدفعا عنهما مع نبوتها عذاب الله، ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِخِينَ﴾، قطع الله بهذه الآية طمع كل من يركب المعصية أن ينفعه صلاح غيره، ثم أخبر أن معصية غيره لا تضره إذا كان مطيعاً.

[١١] فقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾، وهي آسية بنت مزاحم، قال المفسرون: لما غلب موسى السحرة آمنت امرأة فرعون، ولما تبين لفرعون إسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس. قال سلمان: كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فإذا انصرفوا عنها ظلتها الملائكة ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾، فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رآته ﴿وَجْنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾، قال مقاتل: وعمله يعني الشرك. وقال أبو صالح عن

سُورَةُ الْمَلِكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَمُّونَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَسَوْفَ نَأْتِيهِمْ فَنَسُفَحَقَّ لَهُمْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

[٩] ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا﴾، للرسول، ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾.

[١٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾، من الرسل ما جاؤونا به، ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾، منهم، وقال ابن عباس: لو كنا نسمع الهدى أو نعقل فنعلم به، ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، قال الزجاج: لو كنا نسمع سمع من يعي ويتفكر أو نعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من أهل النار.

[١١] ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَسَوْفَ نَأْتِيهِمْ فَنَسُفَحَقَّ لَهُمْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

[١٢، ١٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، وأيسر قولكم أو أجهروا به، إنه علم يذات الصدور، قال ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا، فقال بعضهم لبعض:

وبينهما إضمار، كما تقول: بلوتكم لأنظر أيكم أطوع، ومثله سلهم أيهم بذلك زعيم أي سلهم وانظر أيهم ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، في انتقامه ممن عصاه، ﴿الْقَوِيُّ﴾، لمن تاب إليه.

[٣] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾، طبقًا على طبق بعضها فوق بعض، ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾ ومعناه: ما ترى يا ابن آدم في خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض، بل هي مستقيمة مستوية وأصله من الفوت وهو أن يفوت بعضها بعضًا لقلة استوائها، ﴿فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ﴾، كرر النظر، معناه: انظر ثم ارجع، ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾، شقوق وصدوع.

[٤] ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾، قال ابن عباس: مرة بعد مرة، ﴿يَنْقَلِبْ﴾، ينصرف ويرجع ﴿إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾، صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾، كليل منقطع لم يدرك ما طلب.

[٥] ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾، أراد الأدنى من الأرض وهي التي يراها الناس. وقوله: (بمصابيح) الكواكب، واحدها مصباح، وهو السراج سمي الكوكب مصباحا لإضاءته، ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا﴾، مرامي، ﴿لِلشَّيَاطِينِ﴾، إذا استرقوا السمع، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾، في الآخرة، ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾، النار الموقدة.

[٦، ٧] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَمُّونَ الْمَصِيرَ﴾، إذا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا، وهو أول نهيق الحمار وذلك أقبح الأصوات، ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾، تغلي بهم كغلي المزجل. وقال مجاهد: تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل.

[٨] ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾، تنقطع، ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾، من تغيظها عليهم، قال ابن قتيبة: تكاد تشق غيظًا على الكفار، ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾، جماعة منهم، ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾، سؤال توبيخ، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾، رسول ينذركم.

أَسْرُوا قَوْلَكُمْ كَي لَا يَسْمَعَ إِلَهُ مُحَمَّدٍ.

[١٤] فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾، أَلَا يَعْلَمُ مَا فِي الصُّدُورِ مِنْ خَلْقِهَا، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، لَطِيفَ عِلْمِهِ فِي الْقُلُوبِ، الْخَبِيرُ بِمَا فِيهَا مِنَ السَّرِّ وَالْوَسْوَسةِ. وَقِيلَ: (مَنْ) يَرْجِعُ إِلَى الْمَخْلُوقِ، أَيْ أَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ مَخْلُوقَهُ.

[١٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾، سَهْلًا لَا يَمْتَنِعُ الْمَشْيُ فِيهَا بِالْحَزُونَةِ، ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: فِي جِبَالِهَا. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: فِي أَكَامِهَا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: فِي طَرَفِهَا وَفَجَاجِهَا. قَالَ الْحَسَنُ: فِي سَبْلِهَا. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: فِي أَطْرَافِهَا. وَقَالَ مِقَاتِلٌ: فِي نَوَاحِيهَا. قَالَ الْفَرَّاءُ: فِي جَوَانِبِهَا. وَالْأَصْلُ فِي الْكَلِمَةِ الْجَانِبُ ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾، مِمَّا خَلَقَهُ رِزْقًا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ، ﴿وَالْيَاقُوتُ﴾، أَيْ وَالْيَاقُوتُ تَبْعُوثُ مِنْ قُبُورِكُمْ.

[١٦] ثُمَّ خَوْفُ الْكُفَّارِ فَقَالَ: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيْ عَذَابُ مَنْ فِي السَّمَاءِ إِنْ عَصَيْتُمُوهُ، ﴿أَنْ يَخْصِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾، قَالَ الْحَسَنُ: تَتَحَرَّكُ بِأَهْلِهَا. وَقِيلَ: تَهْوِي بِهِمْ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحْرُكُ الْأَرْضَ عِنْدَ الْخُسْفِ بِهِمْ حَتَّى تَلْقِيَهُمْ إِلَى أَسْفَلٍ تَعْلُو عَلَيْهِمْ وَتَمُرُ فَوْقَهُمْ. يُقَالُ: مَارِ يَمُورُ إِذَا جَاءَ وَذَهَبَ.

[١٧] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾، رِيحًا ذَاتَ حَجَرَةٍ كَمَا فَعَلَ بِقَوْمِ لُوطَ. ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾، فِي الْآخِرَةِ وَعِنْدَ الْمَوْتِ، ﴿كَيْفَ نَذِيرٌ﴾، أَيْ إِنْذَارِي إِذَا عَايَنْتُمْ الْعَذَابَ.

[١٨] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يَعْنِي كُفَّارِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرٌ﴾، أَيْ إِنْكَارِي عَلَيْهِم بِالْعَذَابِ.

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتٍ﴾، تَصَفُّفُ أَجْنَحَتِهَا فِي الْهَوَاءِ، ﴿وَبَقِصَصٍ﴾، أَجْنَحَتِهَا بَعْدَ الْبَسْطِ، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾، فِي حَالِ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ أَنْ يَسْقُطْنَ، ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾.

سُورَةُ الْمَلِكِ

٥٦٣

سُورَةُ الْمَلِكِ

وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٧﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرٌ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتٍ وَبَقِصَصٍ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿٢١﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٢﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ لَئِلْ جُؤَافٍ عَتُورٍ ﴿٢٣﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مِثْلَ آبَائِهِمْ أَوْ أَمْ وَهَدَىٰ أَمِنْ يَتَّبِعُونَ سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مِمَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٧﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٨﴾

[٢٠] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ﴾، اسْتَهْزَأَ بِكُمْ بِإِنْكَارِكُمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيْ مَنَعَةٌ لَكُمْ، ﴿يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾، يَمْنَعُكُمْ مِنْ عَذَابِهِ وَيُدْفَعُ عَنْكُمْ مَا أَرَادَ بِكُمْ. ﴿إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾، أَيْ فِي غُرُورٍ مِنَ الشَّيْطَانِ يَغْرَهُمْ بِأَنَّ الْعَذَابَ لَا يَنْزِلُ بِهِمْ.

[٢١] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾، أَيْ مِنَ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ الْمَطَرُ إِنْ أَمْسَكَ اللَّهُ عَنْكُمْ، ﴿لَئِلْ جُؤَافٍ عَتُورٍ﴾، تَمَادَوْا فِي الضَّلَالِ، ﴿وَنُفُورٍ﴾، تَبَاعَدُ مِنَ الْحَقِّ.

[٢٢] ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلًا فَقَالَ: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مِثْلَ آبَائِهِمْ أَوْ أَمْ وَهَدَىٰ أَمِنْ يَتَّبِعُونَ سَوِيًّا﴾، رَاكِبًا رَأْسَهُ فِي الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ أَعْمَى الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ لَا يَبْصُرُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَهُوَ الْكَافِرُ. قَالَ قَتَادَةُ: رَاكِبًا عَلَى الْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا فَحْشَرَهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿أَهْدَىٰ أَمِنْ يَتَّبِعُونَ سَوِيًّا﴾، مَعْتَدِلًا يَبْصُرُ الطَّرِيقَ وَهُوَ، ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾،

[٣٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾، أي غائراً ذاهباً في الأرض لا تناله الأيدي والدلاء، قال الكلبي ومقاتل: يعني ماء زمزم، ﴿فَن يَأْتِكُمْ يَمْلَأُ مِعِينٍ﴾، ظاهر تراه العيون وتناله الأيدي والدلاء. وقال عطاء عن ابن عباس: معين أي جار.

(٦٨) سُورَةُ الْقَلَمِ

[١] ﴿ت﴾ اختلفوا فيه فقال بعضهم: إن نون آخر حروف الرحمن، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس. وقال الحسن وقتادة والضحاك: النون الدواة. وقيل: هو قسم أقسم الله به. وقيل: فاتحة السورة ﴿وَالْقَلَمِ﴾، هو الذي كتب الله به الذكر ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، يكتبون أي ما تكتب الملائكة الحفظة من أعمال بني آدم.

[٢] ﴿مَا أَنْتَ بِنَبِيٍّ﴾، نبوة، ﴿رَبِّكَ يَمْجُؤُونَ﴾، هذا جواب لقولهم (يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون) فأقسم الله بالنون والقلم وما يكتب من الأعمال أي: إنك لا تكون مجنوناً وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة. وقيل: بعصمة ربك. وقيل: هو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله. وقيل: معناه ما أنت بمجنون والنعمة لربك، كقولهم: سبحانه اللهم وبحمدك أي والحمد لك. [٣] ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾، أي منقوص ولا مقطوع بصبرك على اقترائهم عليك.

[٤] ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: دين عظيم لا دين أحب إلي ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام. وقال الحسن: هو آداب القرآن، وقال قتادة: هو ما كان ياتر به من أمر الله وينتهي عنه من نهي الله، والمعنى إنك لعلى الخلق الذي أمرك الله به في القرآن. وقيل: سمي الله خلقه عظيماً لأنه امثل تأديب الله إيّاه بقوله: (خذ العفو) [الأعراف: ١٩٨] الآية.

وهو مؤمن. قال قتادة: يمشي يوم القيامة سوياً. [٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، قال مقاتل: يعني أنهم لا يشكرون رب هذه النعم.

[٢٤-٢٧] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ إِنَّمَا أَلِيقُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهُ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ عَلَىٰ قَوْلِ أَكْثَرِ الْمَفْسَرِينَ. وقال مجاهد: يعني العذاب ببدر، ﴿زُلْفَةً﴾، أي قريباً وهو اسم يوصف به المصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والاثنان والجمع، ﴿سَيِّئَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، اسودت وعلتها الكآبة، فالمعنى قبحت وجوههم بالسواد، يقال ساء الشيء يسوء فهو سيئ إذا قبح، وسيئ يساء إذا قبح، ﴿رَقِيلٌ﴾ لها أي قال لهم الخزنة، ﴿هَذَا﴾، أي هذا العذاب، ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾، تفتعلون من الدعاء أي أن تدعوه وتتمنوه أنه يجعله لكم، وقرأ يعقوب: تدعون بالتخفيف، وهي قراءة قتادة ومعناها واحد مثل تذكرون وتذكرون.

[٢٨] ﴿قُلْ﴾، يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك، ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾، من المؤمنين، ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾، فأبقاها إلى منتهى آجالنا، ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، فإنه واقع بهم لا محالة. وقيل: معناه أرايتم إن أهلكني الله فيعذبني ومن معي أو رحمتنا فيغفر لنا، فنحن مع إيماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا، لأن حكمه نافذ فينا، فمن يجير الكافرين فمن يجيركم ويمنعكم من عذابه وأنتم كافرون، وهذا معنى قول ابن عباس.

[٢٩] ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ﴾، الذي نعبده، ﴿ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ﴾، قرأ الكسائي بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أي ستعلمون عند معاينة العذاب من الضال منا أنحن أم أنتم؟.

[٥] قوله عز وجل ﴿فَسَبِّحْهُ وَبُصِّرْهُ﴾، فسترى يا محمد ويرون يعني أهل مكة إذا نزل بهم العذاب.
[٦] ﴿يَأْتِيَكُمُ الْمَفْتُونُ﴾، قيل معناه بأيكم المجنون. فالمفتون مفعول بمعنى المصدر، وقيل: الباء بمعنى (في) مجازة: فستبصر وبصرون في أي الفريقين المجنون في فريقك أم في فريقهم؟
وقيل: بأيكم المفتون وهو الشيطان الذي فتن بالجنون، وهذا قول مجاهد. وقال آخرون: الباء فيه زائدة معناه: أيكم المفتون؟ أي المجنون الذي فتن بالجنون، وهذا قول قتادة.

[٧، ٨] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فلا تطلع الكذابين، يعني مشركي مكة فإنهم كانوا يدعونهم إلى دين آبائهم فيها أن يطيعهم.

[٩] ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فِدْهَنُونَ﴾، قال الضحاك: لو تكفر فيكفرون. وقال الكلبي: لو تلين لهم فيلينون لك. قال الحسن: لو تصانعهم في دينك فيصانعون في دينهم. قال زيد بن أسلم: لو تنافق وتراخي فيناقفون.

[١٠] ﴿وَلَا تُطْع كُلَّ حَلَاظٍ﴾، كثير الحلف بالباطل. قال مقاتل: يعني الوليد بن المغيرة. وقيل: الأسود بن عبد يغوث. وقال عطاء: الأخنس بن شريق. قوله: ﴿مُهَيْنٍ﴾، ضعيف حقير. قيل: هو فاعيل من المهانة وهي قلة الرأي والتميز. وقال ابن عباس: كذاب، وهو قريب من الأول لأن الإنسان إنما يكذب لمهانة نفسه عليه.

[١١] ﴿هَازٍ﴾، مغتاب يأكل لحوم الناس بالطنع والغيبة، وقال الحسن: هو الذي يغمز بأخيه في المجلس، كقوله (همزة) ﴿مَشَاءَ بَنِيهِ﴾، فئات يسعى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم.

[١٢] ﴿مَنَاعَ الْخَيْرِ﴾، بخيل بالمال، قال ابن عباس: مناع للخير أي للإسلام يمنع ولده وعشيرته عن الإسلام، يقول: لئن دخل واحد منكم في دين

سُورَةُ الْقَلَمِ

٥٦٤

سُورَةُ الْقَلَمِ

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَ وُجُوهَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَبَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْقَلَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّكَ لَأَجْرَاعٍ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ وَيُصِيرُ لَكَ الْكَافِرِينَ ﴿٥﴾ يَأْتِيَكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ وَلَا تُطْعُ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فِدْهَنُونَ ﴿٩﴾ حَلَاظٍ مُهَيْنٍ ﴿١٠﴾ هَازٍ مُنَادٍ مَشَاءَ بَنِيهِ ﴿١١﴾ مَنَاعَ الْخَيْرِ ﴿١٢﴾ عَتَلٌ لِّدِينٍ ﴿١٣﴾ إِذَا تَنَادَى عَلَيْهِ إِتْنَا قَالَ كَأْسُ طَيْرٍ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤﴾

محمد لا أنفعه بشيء أبداً. ﴿مُعْتَدٍ﴾، ظلوم يتعدي الحق، ﴿أَنِيرٍ﴾، فاجر.

[١٣] ﴿عَتَلٌ﴾، العتل: الغليظ الجافي. وقال الحسن: هو الفاحش الخلق، السيئ الخلق. قال الفراء: هو الشديد الخصومة في الباطل. وقال الكلبي: هو الشديد في كفره، وكل شديد عند العرب عتل، وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾، أي مع ذلك يريد مع ما وصفناه به، ﴿زَنِيمٍ﴾، وهو الدعي الملتصق بالقوم، وليس منهم، قال عطاء عن ابن عباس: يريد مع هذا هو دعي في قريش وليس منهم. قال مرة الهمداني: إنما ادعاه أبوه بعد ثمانين عشرة سنة. وقيل: الزنيم الذي له زنة كزنة الشاة. وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: نعت من لا يعرف حتى قيل: زنيم فعرف، وكانت له زنة في عتقه

[١٩] ﴿ظَلَّافَ عَلَيَّا طَائِفٌ﴾، عذاب، ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾، ليلاً ولا يكون الطائف إلا بالليل وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فأحرقتها، ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

[٢٠] ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾، كالليل المظلم الأسود، الأسود بلغة خزيمه.

[٢١] ﴿فَتَنَادَا مُصْبِحِينَ﴾، نادى بعضهم بعضاً لما أصبحوا.

[٢٢] ﴿أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَرِّكَ﴾ يعني الثمار والزروع والأعقاب، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ﴾، قاطعين للنخل.

[٢٣] ﴿فَانْطَلَقُوا﴾، مشوا إليها، ﴿وَهُمْ يَنْخَفُونَ﴾، يتسارون يقول بعضهم لبعض سراً.

[٢٤، ٢٥] ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ۝ وَعَدُوا عَلَى حَرِّ﴾، الحرء في اللغة يكون بمعنى القصد والمنع والغضب، قال الحسن وقتادة وأبو

العالية،: على جد وجهه. وقال القرطبي ومجاهد وعكرمة: على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم، وهذا على معنى القصد لأن القاصد إلى الشيء جاد مجمع على الأمر. وقال أبو عبيدة والقيتي: غدوا من بيتهم على منع المساكين، وقال الشعبي وسفيان: على حق وغضب من المساكين. وعن ابن عباس: على قدرة، ﴿قَدِيرِينَ﴾، عند أنفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينها وبينهم أحد.

[٢٦] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ﴾، أي لما رأوا الجنة محترقة قالوا: إنا لمخطوون الطريق أضللنا مكان جنتنا ليست هذه بجنتنا.

[٢٧] فقال بعضهم: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَقُونَ﴾، حرمتنا خيرها ونفعها لمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء.

[٢٨] ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾، أعدلهم أعقلهم وأفضلهم، ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾، هلا تستثنون، أنكر عليهم ترك الاستثناء في قولهم ليصرمنها مصبحين، وسمي الاستثناء تسبيحاً لأنه تعظيم لله وإقرار بأنه لا يقدر أحد على شيء إلا بمشيئته. وقيل: هلا تسبحون

يعرف بها. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزئمتها. قال ابن قتيبة: لا نعلم أن الله وصف أحداً ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة، فألحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة.

[١٤] ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وأبو بكر ويعقوب (أأن) بالاستفهام وقرأ الآخرون: بلا استفهام على الخبر، فمن قرأ بالاستفهام فمعناه: ألأن كان ذا مال وبنين.

[١٥] ﴿إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، أي جعل مجازاة النعم التي خولها من البنين والمال الكفر بآياتنا. وقيل: معناه ألأن كان ذا مال وبنين تطيعه. ومن قرأ على الخبر فمعناه: لا تطع كل خلاف مهين لأن كان ذا مال وبنين، أي لا تطعه لماله وبنيه، ﴿إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

[١٦] ثم أوعده فقال: ﴿سَسِمُّهُ عَلَى الْخُرطومِ﴾، الخرطوم الأنف. قال أبو العالية ومجاهد: أي نسود وجهه فنجعل له علماً في الآخرة يعرف به وهو سواد الوجه. قال الفراء: خص الخرطوم بالسمة وأنه في مذهب الوجه لأن بعض الشيء يعبر به عن كله. وقال ابن عباس: سنحطمه بالسيف، وقد فعل ذلك يوم بدر. وقال قتادة: سنلحق به شيئاً لا يفارقه، وقد ألحق الله بما ذكر من عيوبه عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة، كالوسم على الخرطوم. وقال الضحاك والكسائي: سنكويه على وجهه..

[١٧، ١٨] ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾، يعني اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع، ﴿كَمَا بَلَوْنَا﴾، ابتلينا، ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ بستان باليمن ﴿إِذْ أَقْبَمُوا﴾، حلفوا، ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾، ليقطعن ثمرها إذا أصبحوا قبل أن يعلم المساكين، ﴿وَلَا يَسْتَنُونَ﴾، لا يقولون إن شاء الله.

سورة القلم

٥٦٥

سورة القلم

سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا لَنُوتُهُمْ كَمَا نُوْنَا أَحْمَبَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْبَمُوا
لَيْسَ مِنْهَا مُصِيبِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ طَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ
وَهُوَ تَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادُوا مُصِيبِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ
أَعِدُوا عَلَىٰ حَرْفِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنطَلَقُوا وَهُمْ يَخِفُّونَ ﴿٢٣﴾
أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْفٍ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ عَنْ غُرُورٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْزَأَقُلَّ
لَكُمْ لَوْ لَا تَسْمِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا نَبِيلًا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ
﴿٣٤﴾ أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَرِيمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ
لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا خَيْرٌ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَنُ
عَلَيْنَا بِلِغَةِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنْ لَكُمْ لِمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ
بِذَلِكَ رَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

ما للمسلمين.

[٤١] ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾، أي عندهم شركاء لله أرباب تفعل هذا. وقيل: شهداء يشهدون لهم بصدق ما يدعونه. ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

[٤٢] ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾، قيل: عن أمر فطيع شديد، قال ابن عباس: هو أشد ساعة في القيامة. قال سعيد بن جبير: يوم يكشف عن ساق: عن شدة الأمر. وقال ابن قتيبة: تقول العرب للرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه إلى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقه، ويقال إذا اشتد الأمر في الحرب: كشفت الحرب عن ساق. قوله عز وجل: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، يعني الكفار والمنافقون، تصير أصلابهم كصياصي البقر فلا يستطيعون السجود.

الله وتقولوا: سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم. وقيل: هلا تستغفرونه من فعلكم.

[٢٩] ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾، نزهوه عن أن يكون ظالماً فيما فعل وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، بمنعنا المساكين.

[٣٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتْلَمُونَ﴾، يلوم بعضهم بعضاً في منع المساكين حقوقهم ونادوا على أنفسهم بالويل.

[٣١] ﴿قَالُوا نَبِيلًا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، في منعنا حق الفقراء. وقال ابن كيسان: طغينا نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما صنع آبائنا من قبل.

[٣٢] ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا: ﴿عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِذْ إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾، قال عبدالله بن مسعود: بلغني أن القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان.

[٣٣] ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾، أي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

[٣٤] ثم أخبر بما عنده للمتقين فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾، فقال المشركون: إنا نعطي في الآخرة أفضل مما تعطون. فقال الله تكذيباً لهم.

[٣٥-٣٧] ﴿أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَرِيمِينَ﴾، ما لكم كيف تحكمون؟ ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾، نزل من عند الله، ﴿فِيهِ﴾، في هذا الكتاب، ﴿تَدْرُسُونَ﴾، تقرأون.

[٣٨] ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ﴾، في ذلك الكتاب، ﴿لَمَّا خَيْرٌ﴾، تختارون وتستتهون.

[٣٩] ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَنُ﴾، عهود ومواثيق، ﴿عَلَيْنَا بِلِغَةٍ﴾، مؤكدة عاهدناكم عليها، فاستوثقت بها منا فلا تنقطع، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ﴾ لأنفسكم من الخير والكرامة عند الله.

[٤٠] ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ رَعِيمٌ﴾، كفيل أي أيهم يكفل لهم بأن لهم في الآخرة

[٤٣] ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾، وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤوسهم من السجود ووجوههم أشد بياضاً من الثلج، وتسود وجوه الكافرين والمنافقين: ﴿رَفَعَهُمْ ذِلَّةً﴾، يغشاهم ذل الندامة والحسرة، ﴿وَيَذْكُرُوا يَذْعُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾، قال إبراهيم التيمي: يعني إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة. وقال سعيد ابن جبير: كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون، ﴿وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾، أصحاء فلا يأتونه، قال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلا عن الذين يتخلفون عن الجماعات.

[٤٤] ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾، أي فدعني والمكذبين بالقرآن، وخل بيني وبينهم. قال الزجاج: معناه لا تشغل قلبك به وكله إلي فإني أكفيك أمره، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾، سنأخذهم بالعذاب، ﴿مَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾، فعذبوا يوم بدر.

[٤٥-٤٨] ﴿وَأَمْلِ لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۝ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ۝ أَمْ عَنْدهُمْ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ۝ اصْبِرْ عَلَى أَذَاهِمَ لِقِضَاءِ رَبِّكَ ۝ وَلَا تَكُنْ ۝ فِي الضُّجُرِ وَالْعَجَلَةِ ۝ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ۝ وَهُوَ يونس بن متى ۝ إِذْ نَادَىٰ ۝ رَبَّهُ وَهُوَ فِي بطن الحوت ۝ وَهُوَ مَكْطُومٌ ۝ مملوء غمًا. [٤٩] ﴿وَلَا أَنْ تَذْكُرُكَ ۝ أدركه ۝ رَيْعَةً مِنْ رَبِّهِ ۝ حين رحمه وتاب عليه ۝ لَيْتَ بِالْعَرَاءِ ۝ لطحرج بالفضاء من بطن الحوت ۝ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۝ يذم ويلام بالذنب.

[٥٠، ٥١] ﴿فَاجْنِبْهُ رَبُّهُ ۝ اصطفاه ۝ فَجَعَلَهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ۝ وَإِنْ يَكَاذِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَرْفُؤُنَاكَ بِأَبْصَرِهِ ۝ وذلك أن الكفار أرادوا أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين فنظروا إليه قوم من قریش، وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه، قال ابن عباس: معناه ينفذونك، يقال: زلق السهم إذا أنفذ، قال السدي: يصيبونك بعيونهم. قال النضر بن شميل: يعينونك. وقيل: يزيلونك. وقال الكلبي: يصرعونك. وقيل:

سورة القلم

٥٦٦

سورة القلم

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ رَفَعَهُمْ ذِلَّةً وَقَدْ كَانُوا يَذْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَمْلِ لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عَنْدهُمْ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْطُومٌ ﴿٤٨﴾ وَلَا أَنْ تَذْكُرُكَ رَيْعَةً مِنْ رَبِّهِ لَيْتَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْنِبْهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَاذِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَرْفُؤُنَاكَ بِأَبْصَرِهِ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَنْجُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

سورة القلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقُومَ فِيهَا صَرْعَى كَانَهُمْ أَعْجَارٌ مَحْلَخَاوِيَةٌ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة. قال ابن قتيبة: ليس يريد أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه، وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء، يكاد يسقطك. وقال الزجاج: يعني من شدة عداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك، وهذا مستعمل في الكلام يقول القائل: نظر إلي نظراً يكاد يصرعني، ونظراً يكاد يأكلني، يدل على صحة هذا المعنى أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن. وهو قوله: ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾، وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية فيحدثون إليه النظر بالبغضاء، ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَنْجُونٌ﴾، أي ينسبونه لجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن.

[٥٢] فقال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾، يعني القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، قال ابن عباس: موعظة

عجوزًا لأنها عجز الشتاء. وقيل: سميت بذلك لأن عجوزًا من قوم عاد دخلت سرًا فتبعها الريح، فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب. ﴿حُسُومًا﴾، قال مجاهد وقتادة: متتابعة ليس فيها فترة، فعلى هذا هو حسم الكي، وهو أن يتابع على موضع الداء بالكموة حتى يبرأ، ثم قيل لكل شيء توبع: حاسم، وجمعه حسوم، مثل شاهد وشهود، وقال الكلبي ومقاتل: حسومًا دائمة. وقال النضر بن شميل: حسمتهم قطعهم وأهلكتهم، والحسم: القطع والمنع ومنه حسم الداء. قال الزجاج: أي تحسمهم حسومًا تفنيهم وتذهبهم. وقال عطية: شومًا كأنها حسمت الخير عن أهلها. ﴿فَرَى الْقَوْمَ فِيهَا﴾، أي في تلك الليالي والأيام، ﴿صَرَخُوا﴾، هلكى جمع صريع، ﴿كَانَتْ أَعْجَازٌ نَخْلٌ خَاوِيَةٌ﴾، ساقطة، وقيل: خالية الأجواف.

[٨] ﴿لَهُمْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾، أي من نفس باقية يعني لم يبق منهم أحد.

[٩] ﴿وَمَاءٌ فَرْعُونَ وَمِنْ قَبْلِهِ﴾، قرأ أهل البصرة والكسائي: بكسر القاف وفتح الباء أي ومن معه من جنوده وأتباعه، وقرأ الآخرون: بفتح القاف وسكون الباء. أي ومن قبله من الأمم الكافرة، ﴿وَالْمُؤَنِّكَتُ﴾، يعني أي قرى قوم لوط يريد أهل المؤنككات. وقيل: يريد الأمم الذين اتفكروا بخطيئتهم، ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾، أي بالخطيئة والمعصية وهي الشرك.

[١٠] ﴿فَنَعَصُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾، يعني لوطًا وموسى، ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾، نامية، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: شديدة. وقيل: زائدة على عذاب الأمم.

[١١] ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾، أي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه يعني زمن نوح عليه السلام، ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾، أي حملنا آبائكم وأنتم

للمؤمنين. قال الحسن: دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية.

(٦٩) سُورَةُ الْحَاقَّةِ

[١] ﴿الْحَاقَّةُ﴾، يعني القيامة سميت حاقة لأنها حقت فلا كاذبة لها. وقيل: لأن فيها حواق الأمور وحقائقها، ولأن فيها يحق الجزاء على الأعمال، أي يجب، يقال: حق عليه الشيء إذا وجب يحق حقوقًا.

[٢] ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾. هذا استفهام معناه التفتيح لشأنها، كما يقال: زيدٌ ما زيد، على التعظيم لشأنه.

[٣] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾، أي أنك لا تعلمها إذ لم تعانها ولم تر ما فيها من الأهوال.

[٤] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾، قال ابن عباس وقتادة: بالقيامة سميت قارعة لأنها تفرق قلوب العباد بالمخافة. وقيل: كذبت بالعذاب الذي أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم ففرق قلوبهم.

[٥] ﴿فَأَنَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾، أي بطغيانهم وكفرهم. قيل: هي مصدر، وقيل: نعت، أي بأفعالهم الطاغية، وهذا معنى قول مجاهد، كما قال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ وقال قتادة: بالصيحة الطاغية، وهي التي جاوزت مقادير الصياح فأهلكتهم.

[٦] ﴿وَأَنَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾، عتت على خزانها فلم تطعمهم ولم يكن لهم عليها سبيل، وجاوزت المقدار فلم يعرفوا كم خرج منها.

[٧] ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾، أرسلها عليهم. وقال مقاتل: سلطها عليهم. ﴿سَجَّ لِيَالٍ وَثَمِينَةٍ آيَاتٍ﴾، قال وهب: هي الأيام التي تسميها العرب أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة. قيل: سميت

في أصلابهم، ﴿فِي الْبَارِيَةِ﴾، في السفينة التي تجري في الماء.

[١٢] ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾، أي لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا من إغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه، ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾، عبرة وعظة ﴿وَتَعِبًا﴾ أي تحفظها، ﴿أُذُنٌ رَّعِيَّةٌ﴾، أي حافظة لما جاء من عند الله. قال قتادة: أذن سمعت وعقلت ما سمعت. قال الفراء: لتحفظها كل أذن فتكون عبرة وموعظة لمن يأتي بعد.

[١٣] ﴿فَإِذَا تُفِخَ فِي الصُّورِ فَفَحَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾، وهي النفخة الأولى.

[١٤] ﴿وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾، رفعت أماكنها، ﴿فَدَكَّا﴾، كُسِرَتَا، ﴿دَكَّةٌ﴾ كسرة، ﴿وَاحِدَةٌ﴾، فصارتا هباءً منثورًا.

[١٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، قامت القيامة.

[١٦] ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَفِي يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾، ضعيفة قال الفراء: وهيها تشققها.

[١٧] ﴿وَالْمَلَكُ﴾، يعني الملائكة، ﴿عَلَى أَرْجَائِيهَا﴾، نواحيها، وأقطارها ما لم ينشق منها، واحداها رجا وتثنيته رجوان. قال الضحاك: تكون الملائكة على حافاتهما حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالأرض ومن عليها. ﴿وَيَجْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾، أي فوق رؤوسهم يعني الحملة، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، يوم القيامة، ﴿ثَمَنِيَّةٌ﴾، أي ثمانية أملاك. وروي عن ابن عباس أنه قال: فوقهم يومئذ ثمانية أي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله.

[١٨] ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾، على الله، ﴿لَا تَخْفَى﴾، قرأ بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾، أي فعله خافية. قال الكلبي: لا يخفي على الله منكم شيء. قال أبو موسى: يعرض الناس ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجداول ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعندها تطاير الصحف فأخذ بيمينه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكْتُ بِالْخَطِئَةِ ﴿١﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ﴿٢﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْبَارِيَةِ ﴿٣﴾ لِنَجْعَلَهَا لُكْرًا تَذْكِرَةً وَتَعِبًا أُذُنٌ رَّعِيَّةٌ ﴿٤﴾ وَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَفَحَّةٌ وَاحِدَةٌ ﴿٥﴾ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدَكَّا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿٧﴾ وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَفِي يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿٨﴾ وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِيهَا وَيَجْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿٩﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٠﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِإِيمِينِهِ فَقَوْلُهَا أَوْمٌ أَرْوَةٌ أَوْ كِتَابِيَّةٌ ﴿١١﴾ إِنِّي طَلَنْتُ أَنْفَ مُلْتَقٍ حَسَابِيَّةٍ ﴿١٢﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿١٣﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٤﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿١٥﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَقَوْلُهَا يَلْتَنِي لَزَأْتُ كِتَابِيَّةٍ ﴿١٧﴾ وَلَزَأْتُ مَا حَسَابِيَّةٍ ﴿١٨﴾ يَلْتَنِيهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿١٩﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَةَ ﴿٢٠﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّتِي ﴿٢١﴾ خَذُوهُ فَعُولُهُ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٢٤﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٢٥﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿٢٦﴾

وأخذ بشماله.

[١٩] وذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِإِيمِينِهِ فَقَوْلُهَا أَوْمٌ أَرْوَةٌ أَوْ كِتَابِيَّةٌ﴾، الهاء في ﴿كِتَابِيَّةٍ﴾ هاء الوقف.

[٢٠] ﴿إِنِّي طَلَنْتُ﴾ علمت وأيقنت، ﴿أَنْفَ مُلْتَقٍ حَسَابِيَّةٍ﴾، أي أحاسب في الآخرة.

[٢١] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾، يعني حالة من العيش، ﴿رَاضِيَةٍ﴾، مرضية.

[٢٢] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، رفيعة.

[٢٣] ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾، ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا يقطعون كيف شاؤوا.

[٢٤] ويقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾، قدمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحة، ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾، الماضية يريد أيام الدنيا.

[٣٧] ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخِطُوطُ﴾، أي الكافرون.
 [٣٨، ٣٩] ﴿فَلَا أَقْسَرُ﴾، لا ردّ لكلام
 المشركين كأنه قال: ليس كما يقول المشركون
 أقسم، ﴿يَمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾، أي بما ترون
 وبما لا ترون. قال قتادة: أقسم بالأشياء كلها
 فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات. وقال:
 أقسم بالدنيا والآخرة. وقيل: ما تبصرون ما على
 وجه الأرض وما لا تبصرون ما في بطنها. وقيل:
 ما تبصرون من الأجسام وما لا تبصرون من
 الأرواح. وقيل: ما تبصرون: الإنس وما لا
 تبصرون: الملائكة والجن. وقيل: النعم الظاهرة
 والباطنة. وقيل: ما تبصرون: ما أظهر الله للملائكة
 واللوح والقلم، وما لا تبصرون ما استأثر بعلمه فلم
 يطلع عليه أحدًا.
 [٤٠] ﴿إِنَّمَا﴾ يعني القرآن، ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾،
 أي تلاوة رسول كريم يعني محمدًا ﷺ.
 [٤١، ٤٢] ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا
 يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر
 ويعقوب (يؤمنون، ويذكرون) بالياء فيهما، وقرأ
 الآخرون: بالياء، وأراد بالقليل نفي إيمانهم أصلًا
 كقولك لمن لا يزور: قلما تأتينا وأنت تريد لا تأتينا
 أصلًا.
 [٤٣، ٤٤] ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَوْ لَقَوْلُكَ﴾،
 تخرّص واختلق، ﴿عَلَيْنَا﴾، محمد، ﴿بَعْضُ
 الْأَقَاوِيلِ﴾، وأتى بشيء من عند نفسه.
 [٤٥] ﴿لَاخِذْنَا مِنهُ بِالْيَمِينِ﴾، قيل (من) صلة،
 مجازة: لأخذناه وانتقمنا منه باليمين أي بالحق،
 كقوله: (كنتم تأتوننا عن اليمين)، أي من قبل الحق.
 وقال ابن عباس: لأخذناه بالقوة والقدرة، وقيل:
 معناه لأخذنا بيده اليمين، وهو مثل معناه: لأذلناه،
 وأهاناه كالسلطان، إذا أراد الاستخفاف ببعض من
 بين يديه، يقول لبعض أعوانه: خذ بيده فأقمه.
 [٤٦] ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنهُ الْوَتِينَ﴾، قال ابن عباس: أي

[٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾، قال ابن
 السائب: تُلَوَّى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى
 كتابه. وقيل: تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف
 ظهره ثم يعطى كتابه. ﴿فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَأُوتَ كِتَابِي﴾،
 يتمنى أنه لم يؤت كتابه لما يرى فيه من قبائح أعماله.
 [٢٦، ٢٧] ﴿وَلَوْ أَدْرِمَا حِسَابِي ۝ يَلَيْتَنِي كَأَنِّي
 الْقَاضِي﴾، يقول: يا ليت الموتة التي متها في الدنيا
 كانت القاضية من كل ما بعدها، والقاطعة للحياة،
 فلم أحي بعدها. والقاضية موت لا حياة بعدها،
 يتمنى أنه لم يبعث للحساب. قال قتادة: يتمنى
 الموت وإن لم يكن عنده في الدنيا شيء أكره من
 الموت.
 [٢٨] ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾، لم يدفع عني من
 عذاب الله شيئًا.
 [٢٩] ﴿هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِي﴾، ضلت عني حجتني،
 عن أكثر المفسرين، وقال ابن زيد: زال عني ملكي
 وقوتي. قال مقاتل: يعني حين شهدت عليه
 الجوارح بالشرك. يقول الله لخزنة جهنم:
 [٣٠] ﴿خُذُوهُ فَعَلُوهُ﴾، اجمعوا يده إلى عنقه.
 [٣١] ﴿ثُمَّ لِّلْجَحِيمِ صَوُّهُ﴾، أي أدخلوه الجحيم.
 [٣٢] ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾،
 فأدخلوه فيها. قال ابن عباس: سبعون ذراعًا بذراع
 الملك، فيدخل في دبره ويخرج من منخره. وقيل:
 يدخل في فيه ويخرج من دبره.
 [٣٣، ٣٤] ﴿إِنَّمَا كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۝ وَلَا يَحْضُرُ
 عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾، لا يطعم المسكين في الدنيا ولا
 يأمر أهله بذلك.
 [٣٥] ﴿فَلْيَسَّرْ لَهُ الْيَوْمَ هَهْنَا حِمِيمٌ﴾، قريب ينفعه
 ويشفع له.
 [٣٦] ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غِسْلِينٍ﴾، وهو صديد أهل
 النار مأخوذ من الغسل كأنه غُسَالَةٌ جروحهم
 وقروحهم. قال الضحاك والربيع: هو شجر يأكله
 أهل النار.

نياط القلب، وهو قول أكثر المفسرين. وقال مجاهد: الحبل الذي في الظهر. وقيل: هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه.

[٤٧] ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزٌ﴾، مانعين يحجزونا عن عقوبته، والمعنى: أن محمداً لا يتكلف الكذب لأجلكم، مع علمه بأنه لو تكلمه لعاقبناه، ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه، وإنما قال: (حاجزين) بالجمع وهو فعل واحد رداً على معناه كقوله: (لا نفرق بين أحد من رسله).

[٤٨] ﴿وَإِنَّهُ﴾، يعني القرآن، ﴿لَنَذْكُرَنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾، أي لعظة لمن اتقى عقاب الله. [٤٩، ٥٠] ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ وإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ، يوم القيامة يندمون على ترك الإيمان به.

[٥١] ﴿وَإِنَّهُمْ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾، أضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين. [٥٢] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

(٧٠) سُورَةُ الْمَعَارِجِ

[١] ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾، قرأ أهل المدينة والشام (سأل) بغير همز وقرأ الآخرون: بالهمز، فمن همز فهو من السؤال، ومن قرأ بغير همز قيل: هو لغة في السؤال، يقال: سأل يسأل مثل خاف يخاف، وقيل: هو من السيل، وسأل وإد من أودية جهنم، يروى ذلك عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والأول أصح. واختلفوا في الباء في قوله: ﴿بِعَذَابٍ﴾، قيل: هي بمعنى (عن) كقوله: (فاسأل به خبيراً) أي عنه خبير، ومعنى الآية سأل سائل عن عذاب، ﴿وَأَفْرِجْ﴾، نازل كائن على من ينزل، ولمن ذلك العذاب.

[٢] فقال الله مبيناً مجيباً لذلك السائل: ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾، وذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبي

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

٥٦٨

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِطُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تَبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزَّلَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَنَذْكُرَنَّ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَزَنُّهُمْ قُرْبَىٰ ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْهِلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا ﴿١٠﴾

ﷺ بالعذاب قال بعضهم لبعض: من أهل العذاب؟ ولمن هو؟ سلوا عنه محمداً فسأله فأنزل الله: (سأل سائل بعذاب واقع O للكافرين) أي هو للكافرين، هذا قول الحسن وقتادة. وقيل: التاء صلة ومعنى الآية: دعا داع وسأل سائل عذاباً واقعاً للكافرين أي على الكافرين، اللام بمعنى على، وهو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب، فقال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، الآية، فنزل به ما سأل يوم بدر فقتل صبراً. وهذا قول ابن عباس ومجاهد. ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾.

[٣] ﴿مِنْ اللَّهِ﴾، أي بعذاب من الله، ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾، قال ابن عباس: أي ذي السموات، سماها معارج لأن الملائكة تعرج فيها. وقال سعيد ابن جبير: ذي الدرجات. وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم، ومعارج الملائكة.

يُصْرَوْهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنَهُ ۖ
وَصَحْبَتَهُ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّدُ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۖ كَلَّا إِنَّمَا لَطَفُ ۖ نَزَاعَةٌ لِلنَّسْوَى ۖ تَدْعُوا
مَنْ أَدْبَرُ نَوْتِكُمْ ۖ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۖ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ
إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جُرُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۖ إِلَّا
الْمُصْلِينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۖ وَالَّذِينَ فِي
أُمُورِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۖ لِلنَّسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۖ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِيَوْمِ الدِّينِ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۖ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۖ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ لَأَمْسَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۖ
وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۖ
أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُلْكُمُ مَهْطِعِينَ ۖ
عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ۖ أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ
أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۖ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ۖ

لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنَهُ ۖ

[١٢، ١٣] ۖ وَصَحْبَتَهُ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتِهِ ۖ عشيرته التي فصل منهم. وقال مجاهد: قبيلته. وقال غيره: أقربائه الأقربين. ۖ الَّتِي تُؤَيِّدُ ۖ أي تضمه ويأوي إليها.

[١٤] ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۖ يود لو يفتدي بهم جميعًا، (ثُمَّ يُنْجِيهِ)، ذلك الفداء من عذاب الله.

[١٥] ۖ كَلَّا ۖ لا ينجيهم من عذاب الله شيء، ثم ابتداء فقال: ۖ إِنَّمَا لَطَفُ ۖ، وهي اسم من أسماء جهنم. وقيل: هي الدركة الثانية، سميت بذلك لأنها تتلظى أي تتلهب.

[١٦] ۖ نَزَاعَةٌ لِلنَّسْوَى ۖ وهي الأطراف: اليدان، والرجلان، والأطراف. وقال مجاهد: لجلود الرأس. وروى إبراهيم بن المهاجر عنه: اللحم

[٤] ۖ مَرَجُ الْمَتْنِكَةِ وَالرُّوحِ ۖ، يعني جبريل عليه السلام، ۖ إِلَيْهِ ۖ أي إلى الله عز وجل، ۖ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۖ، من سني الدنيا. قال عكرمة وقتادة: هو يوم القيامة. وقال الحسن أيضًا: هو يوم القيامة. وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني الدنيا. وقيل: معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة. وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس ومقاتل.

[٥] ۖ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَبِيلًا ۖ، يا محمد على تكذيبهم، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.

[٦، ٧] ۖ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ، يعني العذاب، ۖ وَرَأَيْنَهُ قَرِيبًا ۖ، لأن ما هو آت قريب وهو يوم القيامة.

[٨] ۖ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ۖ، كعكر الزيت. وقال الحسن: كالفضة إذا أذيت.

[٩] ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۖ، كالصوف المصبوغ. ولا يقال عهن إلا للمصبوغ. وقال مقاتل: كالصوف المنفوش.

[١٠] ۖ وَلَا يَسْتَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۖ، قرأ البزي عن ابن كثير (لا يسأل) بضم الياء أي لا يسأل حميم عن حميم، أي لا يقال له: أين حميمك؟ وقرأ الآخرون: بفتح الياء، أي لا يسأل قريب قريبًا لشغله بشأن نفسه.

[١١] ۖ يُصْرَوْهُمْ ۖ، يرونهم وليس في القيامة مخلوق إلا وهو نصب عين صاحبه من الجن والإنس فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرباته فلا يسأله، ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه. قال ابن عباس: يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعده. وقيل: يبصرونهم يعرفونهم أي يعرف الحميم حميمه حتى يعرفه، ومع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه ۖ يَوْمَ الْمُجْرِمِ ۖ، يتمنى المشرك،

[٣٥، ٣٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ .

[٣٦] ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، أي فما بال الذين كفروا، كقوله: (فما لهم عن التذكرة معرضين)، ﴿فَبِكَلِّكَ مَظْهَعِينَ﴾ ، مسرعين مقبلين إليك مادي أعناقهم ومديمي النظر إليك متطلعين نحوك، نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه ويستهزئون به ويكذبونه، فقال الله تعالى: ما لهم ينظرون إليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون.

[٣٧] ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ ، حلقاً ورفقاً .
[٣٨] ﴿أُطِيعُ كُلَّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ أَن يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ ، قال ابن عباس: معناه أطيع كل رجل منهم أن يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون ويتنعم فيها وقد كُذِّبَ نبي؟

[٣٩] ﴿كَلَّا﴾ ، لا يدخلها، ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ ، أي من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، نبه الناس على أنهم خلقوا من أصل واحد وإنما يتفاضلون ويستوجبون الجنة بالإيمان والطاعة.

[٤٠، ٤١] ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ ، يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه، ﴿إِنَّا لَقَدِيرُونَ ۝ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ ، على أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ .

[٤٢] ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا﴾ ، في باطلهم، ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ ، في دنياهم، ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُونَ﴾ ، نسختها آية القتال.

[٤٣] ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْجَنَاتِ﴾ ، أي القبور، ﴿سِرَاعًا﴾ ، إلى إجابة الداعي، ﴿كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ﴾ ، قرأ ابن عامر وحفص (نصب) بضم النون والصاد، وقرأ الآخرون: بفتح النون وسكون الصاد، يعنون إلى شيء منصوب، يقال: فلان نُصِبَ عيني. وقال الكلبي: إلى علم ودراية. ومن قرأ بالضم. قال

دون العظام. قال مقاتل: تنزع النار الأطراف فلا تترك لحماً ولا جلدًا. وقال الضحاك: تنزع الجلد واللحم عن العظام.

[١٧] ﴿تَدْعُوا﴾ ، النار إلى نفسها، ﴿بَنَ أَذْرَبَ﴾ ، على الإيمان، ﴿وَتَوَلَّى﴾ ، عن الحق فتقول إلي يا مشرك إلي يا منافق إلي إلي. قال ابن عباس: تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب.

[١٨] ﴿وَجَمَعَ﴾ ، أي جمع المال، ﴿فَأَوْعَى﴾ ، أمسكه في الوعاء ولم يؤدِّ حق الله منه.

[١٩] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ، روى السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: الهلوع الحريص على ما لا يحل له. وقال سعيد بن جبير: شحيحاً. وقال عكرمة: ضجوراً. وقال الضحاك والحسن: بخيلاً. وقال قتادة: جزوعاً. وقال مقاتل: ضيق القلب. والهلع. شدة الحرص، وقلة الصبر. وقال عطية عن ابن عباس: تفسيره ما بعده.

[٢٠، ٢١] وهو قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ ، يعني إذا أصابه الفقر لم يصبر، وإذا أصابه المال لم يُنفق.

[٢٢] ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ ، استثنى الجمع من الواحد لأن الإنسان في معنى الجمع.

[٢٣] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ . يقيمونها في أوقاتها يعني الفرائض.

[٢٤-٢٣] ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلْسَائِلِ وَالْحُرُورِ ۝ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوحِهِمْ خَفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ زَاهُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ أي يقومون فيها بالحق ولا يكتُمونها ولا يغيرونها.

٥٧٠

سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمُسْتَرْقِ وَالْغَرْبِ إِنَّا الْقَادِرُونَ ﴿١﴾ عَلَى أَنْ نُبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٢﴾ فَذَرَهُمْ خَوْضًا وَطِلْعًا أُحْشَى يَلْقَوْنَ أَهْلَهُمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سَرَّاعًا أَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ
﴿٤﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذُلٌّ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٥﴾

سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقُولُونَ إِنِّي لَكُمُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا
فِي مَا ذُنِبُوا وَاسْتَعْشَوْا بِنِسَابِهِمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

[٩] ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ أي كررت الدعاء
معلنًا، ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾، قال ابن عباس: يريد
الرجل بعد الرجل، أكلمه سرًا بيني وبينه، أدعوه
إلى عبادتك وتوحيديك.

[١٠، ١١] ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝
يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾، وذلك أن قوم نوح
لما كذبوه زمانًا طويلًا حبس الله عنهم المطر وأعقم
أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت أولادهم
وأموالهم ومواشيهم، فقال لهم نوح: استغفروا
ربكم من الشرك، أي استدعوا المغفرة بالتوحيد،
يرسل السماء عليكم مدرارًا.

[١٢، ١٣] ﴿وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾، قال عطاء:
يكثر أموالكم وأولادكم ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَجَعَلْ لَكُمْ
أَنْهَارًا ۝ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، قال ابن عباس
ومجاهد: لا ترون لله عظمة. وقال سعيد بن جبير:

مقاتل والكسائي: يعني إلى أوثانهم التي كانوا
يعبدونها من دون الله. قال الحسن: يسرعون إليها
أيهم يستلمها أولًا ﴿يُوفِضُونَ﴾، أي يسرعون.
[٤٤] ﴿خَشِيعَةً﴾، ذليلة خاسعة ﴿أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ
ذُلٌّ﴾، يغشاهم هوان، ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾،
يعني يوم القيامة.

(٧١) سُورَةُ نُوحٍ

[١] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾،
بأن أنذر قومك، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾،
المعنى: إنا أرسلناه لينذرهم بالعذاب إن لم
يؤمنوا.

[٢] ﴿قَالَ يَقُولُونَ إِنِّي لَكُمُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، أنذركم وأبين
لكم.

[٣، ٤] ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۝ يَغْفِرْ
لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، (من) صلة أي يغفر لكم
ذنوبكم. وقيل: يعني ما سلف من ذنوبكم إلى وقت
الإيمان، وذلك بعض ذنوبهم، ﴿وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ
مُّسَمًّى﴾، أن يعافيكم إلى منتهى آجالهم فلا
يعاقبكم، ﴿إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ﴾، يقول آمنوا قبل الموت، تسلموا من
العذاب، فإن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولا
يمكنكم الإيمان.

[٥، ٦] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ
دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾، نفارًا وإدبارًا عن الإيمان والحق.

[٧] ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾، إلى الإيمان بك،
﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا فِي مَا ذُنِبُوا﴾، لثلا يسمعون
دعوتي، ﴿وَاسْتَعْشَوْا بِنِسَابِهِمْ﴾، غطوا بها وجوههم
لثلا يروني، ﴿وَأَصْرُوا﴾، على كفرهم،
﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾، عن الإيمان بك، ﴿اسْتِكْبَارًا﴾.

[٨] ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾، معلنًا: بالدعاء.
قال ابن عباس: بأعلى صوتي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٧١

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته. وقال الكلبي: لا تخافون الله حق عظمته. والرجاء: بمعنى الخوف، والوقار: العظمة، اسم من التوقير وهو التعظيم. قال الحسن: لا تعرفون الله حقاً ولا تشكرون له نعمة. قال ابن كيسان: ما لكم لا ترجون في عبادة الله أن يثيبكم على توفيركم إياه خيراً.

[١٤] ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، تارات، حال بعد حال، نطفة ثم علقه ثم مضغة إلى تمام الخلق.

[١٥] ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾، قال الحسن: يعني في السماء الدنيا، كما يقال: آتيت بني تميم وإنما أتى بعضهم، وفلان متوارٍ في دور بني فلان وهو في دار واحدة.

[١٦] ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾، مصباحاً مضيئاً.

[١٧] ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾، أراد مبدأ

خلق أبي البشر آدم خلقه من الأرض، والناس ولده، قوله: (نباتاً) اسم جعل في موضع المصدر أي نباتاً، قال الخليل: مجازه: أنبتكم فنبتم نباتاً.

[١٨] ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾، بعد الموت، ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾، منها يوم البعث أحياء، ﴿إِخْرَاجًا﴾.

[١٩] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾، فرشها وبسطها لكم.

[٢٠] ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾، طرقاً واسعة.

[٢١] ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمُ عَصَوْنِي﴾، يعني لم يجيبوا دعوتي، ﴿وَاتَّبَعُوا مِنْ لَدُنْهُمْ مَالَهُمْ وَوَلَدَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾، يعني اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين هم لم يزددهم كثرة المال والولد إلا ضللاً في الدنيا وعقوبة في الآخرة.

[٢٢] ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾، أي كبيراً عظيماً، يقال: كبير وكبار، بالتخفيف، وكبار بالتشديد، شدد للمبالغة، كلها بمعنى واحد كما يقال: أمر عجيب وعجاب بالتشديد أشد في المبالغة،

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأُمُورٍ وَبَيْنَ وَجْهِكُمْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمُ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَدُنْهُمْ مَالَهُمْ وَوَلَدَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَنْذِرُنَا الْهَتَكُمْ وَلَا تَنْذِرُنَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَنْفُوثٌ وَيَعُوقُ وَشَرًّا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَبِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرُقُوا فَأَدْحَلُوا أَرَأَيْتُمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَنْذِرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِذْ تَنْذِرُهمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا الْفَاجِرَ كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا لَبَارًا ﴿٢٨﴾

واختلفوا في مكرهم. قال ابن عباس: قالوا قولاً عظيماً. قال الضحاك: افتروا على الله وكذبوا رسله. وقيل: منع الرؤساء أتباعهم عن الإيمان بنوح وحرشهم على قتله.

[٢٣] ﴿وَقَالُوا﴾، لهم ﴿لَا تَنْذِرُنَا الْهَتَكُمْ﴾، أي عبادتها، ﴿وَلَا تَنْذِرُنَا وَدَا﴾، قرأ أهل المدينة بضم الواو والباقون بفتحها، ﴿وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَنْفُوثٌ وَيَعُوقُ وَشَرًّا﴾، هذه أسماء ألهمتهم. قال محمد بن كعب: هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح، فلما ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بهم ويأخذون بعدهم مأخذهم في العبادة فجاءهم إبليس وقال لهم: لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة، ففعلوا ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدهم، فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك

ابن متوشلخ واسم أمه سمحاء بنت أنوش وكاناً مؤمنين، ﴿وَلَمَن دَخَلَ بَيْتَهُ﴾، داري ﴿مُؤْمِنًا﴾، وقال الضحاك والكلبي: مسجدي. وقيل: سفيتي. ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، هذا عام في كل من آمن بالله وملائكته وصدق الرسل، ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾، هلاكاً ودماراً فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم.

(٧٢) سُورَةُ الْجِنِّ

[١] ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ، وَكَانُوا تِسْعَةً مِّنْ جِنِّ نَّصِيبِينَ. وَقِيلَ: سَبْعَةٌ، اسْتَمَعُوا قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ ذَكَرْنَا خَيْرَهُمْ فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ. ﴿فَقَالُوا﴾، لما رجعوا إلى قومهم، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾، قال ابن عباس: بليغاً أي قرأنا ذا عجب يعجب منه لبلاغته.

[٢] ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان، ﴿فَتَأْمَنَّا بِرَبِّهِ وَلَكِنْ نُّشْرِكُ بِرَبِّنَا أَهْدَ﴾. [٣] ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ جَدُّ رَبِّنَا﴾ جلال ربنا وعظمته، قاله مجاهد وعكرمة وقتادة، يقال: جد الرجل أي عظم، ومنه قول أنس: إذا كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا، أي عظم قدره، وقال السدي: (جد ربنا) أي أمر ربنا. وقال الحسن: غنى ربنا. ومنه قيل للجد: حظ، ورجل مجدود. وقال ابن عباس: قدرة ربنا. قال الضحاك: فعله. وقال القرظي: آلاؤه ونعمائوه على خلقه. وقال الأخفش: علا ملك ربنا. ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾. قيل: تعالى جلالة وعظمته عن أن يتخذ صاحبةً وولداً.

[٤] ﴿وَأَنْتُمْ كَانْتُمْ يَقُولُونَ سَفِينًا﴾، هو إبليس، ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾، كذباً وعدواناً وهو وصفه بالشريك والولد.

[٥] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾، حسبنا، ﴿أَن لَّنْ نَّقُولَ الْإِنسُ

وَسُمِّيَتْ تِلْكَ الصُّورُ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِأَنَّهُمْ صَوَّرُوهَا عَلَى صُورِ أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

[٢٤] ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، أي ضل بسبب الأصنام كثير من الناس كقوله عز وجل: (رَبِّ إِنَّهُنْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ)، وقال مقاتل: أضل كبرائهم كثيراً من الناس. ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾، هذا دعاء عليهم بعدما أعلم الله نوحاً أنهم لا يؤمنون، وهو قوله: (أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ).

[٢٥] ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ﴾، أي من خطبائهم، (وما) صلة، وقرأ أبو عمرو (خطاياهم) وكلاهما جمع خطيئة، ﴿أَعْرِفُوا﴾، بالطوفان، ﴿فَأَذَلُّوا تَارَةً﴾، قال الضحاك: هي في حالة واحدة في الدنيا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب، وقال مقاتل: فأدخلوا ناراً في الآخرة، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾، لم يجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله الواحد القهار.

[٢٦] ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾، أحداً يدور في الأرض فيذهب ويجيء من الدوران، وقال القتبي: إن أصله من الدار أي نازل دار.

[٢٧] ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾، قال ابن عباس والكلبي ومقاتل: كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول: احذر هذا فإنه كذاب وإن أبي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير عليه، ﴿وَلَا يَلْدُوا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا﴾، قال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وغيرهم: إنما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم، وأعقم أرحام نسائهم وأيبس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة. وقيل: سبعين سنة، وأخبر الله نوحاً أنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمناً فحيث دعا عليهم فأجاب الله دعاءه، وأهلكهم كلهم.

[٢٨] ﴿رَبِّ أَعْرِضْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾، واسم أبيه لمك

سُورَةُ الْجِنِّ

٥٧٢

سُورَةُ الْجِنِّ

سُورَةُ الْجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَنِيعَهُ وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَهَا مِْلَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمِيعِ فَمِنَ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شُهْبًا بِرَصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمِنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَارِقٌ قِدَادًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُهْدَىٰءَ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحَافُ بِخَسَا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

حالاتهم، وأصلها من القد وهو القطع، قال مجاهد: يعنون مسلمين وكافرين، وقيل: أهواء مختلفة وقال ابن كيسان: شيعًا وفرقًا لكل فرقة هوى كأهواء الناس. وقال سعيد بن جبير: ألوانًا شتى. وقال أبو عبيدة: أصنافًا.

[١٢] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾، علمنا وأيقنا، ﴿أَن لَّنْ نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي لن نفوته إن أراد بنا أمرًا، ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾، إن طلبنا.

[١٣] ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُهْدَىٰءَ﴾، القرآن وما أتى به محمد، ﴿آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحَافُ بِخَسَا﴾، نقصانًا من عمله وثوابه، ﴿وَلَا رَهَقًا﴾، ظلمًا. وقيل: مكروها يغشاها.

[١٤] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾، وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ، ﴿وَمِمَّا أَلْفَسَطُونَ﴾، الجاثرون العادلون عن الحق. قال ابن عباس: الذين جعلوا لله ندًا،

وَالْجِنُّ، قرأ يعقوب (تقول) بفتح الواو وتشديدها ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، أي كنا نظنهم صادقين في قولهم: إن لله صاحبة وولدًا حتى سمعنا القرآن.

[٦] قال الله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾، وذلك أن الرجل من العرب في الجاهلية كان إذا سافر فأمسى في الوادي قال: أعوذ بسيد سفهاء قومه، فبييت في أمن وجوار منهم حتى يصبح ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، يعني زاد الإنس الجن باستعاذتهم بقادتهم ﴿رَهَقًا﴾، قال ابن عباس: إنمًا. وقال مجاهد: طغيانًا. وقال مقاتل: غيًا. وقال الحسن: شرًا. وقال إبراهيم: عظمة وذلك أنهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانًا، يقولون: سدا الجن والإنس، والرهق في كلام العرب الإثم وغشيان المحارم.

[٧] ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾، يقول الله تعالى: إن الجن ظنوا، ﴿كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾، يا معشر الكفار من الإنس، ﴿أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾، بعد موته.

[٨] ﴿وَأَنَّا﴾، يقول الجن، ﴿لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾، قال الكلبي: السماء الدنيا، ﴿فَوَجدْنَهَا مِْلَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾، من الملائكة ﴿وَشُهْبًا﴾، من النجوم.

[٩] ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾. من السماء، ﴿مَقْعِدًا لِّلسَّمِيعِ﴾، أي كنا نستمع، ﴿فَمَن يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شُهْبًا بِرَصَدًا﴾، أرصد له ليرمي به، قال ابن قتيبة: إن الرجم كان قبل مبعث النبي ﷺ ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة، وكانوا يسترقون في بعض الأحوال، فلما بعث النبي ﷺ منعوا من ذلك أصلًا. ثم قالوا:

[١٠] ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمِنُ فِي الْأَرْضِ﴾، يرمي الشهب، ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

[١١] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾. دون الصالحين. ﴿كُنَّا طَارِقٌ قِدَادًا﴾، أي جماعات متفرقين وأصنافًا مختلفة، والفدة: القطعة من الشيء، يقال: صار القوم قددًا إذا اختلفت

سورة الجن

٥٧٣

سورة الجن

وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ الْإِبْلَغُ مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تُوَعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رِبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

يخلصوا الله الدعوة إذا دخلوا المساجد وأراد بها المساجد كلها. وقال الحسن: أراد بها البقاع كلها لأن الأرض جعلت كلها مسجدًا للنبي ﷺ. وقال سعيد بن جبير: قالت الجن للنبي ﷺ: كيف لنا أن نشهد معك الصلاة ونحن ناؤون؟ فتزلت: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾.

وروي عن سعيد بن جبير أيضًا: أن المراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان وهي سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان، يقول: هذه الأعضاء التي تقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره. فإن جعلت المساجد مواضع الصلاة فواحدًا مسجد بكسر الجيم، وإن جعلتها الأعضاء فواحدًا مسجد بفتح الجيم.

[١٩] ﴿وَأَنَّمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾، يعني النبي ﷺ، ﴿يَدْعُوهُ﴾، يعني يعبدّه ويقرأ القرآن وذلك حين كان

يقال: أقسط الرجل إذا عدل فهو مسقط، وقسط إذا جار فهو قاسط. ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾، أي قصدوا طريق الحق وتوخوه.

[١٥] ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾، الذين كفروا، ﴿فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، كانوا وقود النار يوم القيامة.

[١٦] ثم رجع إلى كفار مكة فقال: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾، اختلفوا في تأويلها، فقال قوم: لو استقاموا على طريق الحق والإيمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين، ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾، كثيرًا، قال مقاتل: وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين. وقالوا: معناه لو آمنوا لوسعنا عليهم في الدنيا وأعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا، وضرب الماء الغدق مثلا لأن الخير والرزق كله في المطر، كما قال: (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم) الآية. وقال: (لو أن أهل القوى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء) الآية.

[١٧] وقوله تعالى: ﴿لِنَفْسِهِمْ فِيهِ﴾، أي لنخبرهم كيف شكرهم فيما حوّلوا. وقال آخرون: معناها وأن لو استقاموا على طريقة الكفر والضلالة لأعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدرأجا حتى يفتنوا بها فنعذبهم كما قال الله: (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء) الآية.

﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾، قال ابن عباس: شاقًا، والمعنى ذا صعيد أي ذا مشقة. قال قتادة: لا راحة فيه. وقال مقاتل: لا فرح فيه. قال الحسن: لا يزداد إلا شدة. والأصل فيه أن الصعود يشق على الإنسان.

[١٨] ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾، يعني المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله المؤمنين أن

أبلغ بلاغاً من الله فإنما أنا مرسل به لا أملك إلا ما ملكت. ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، ولم يؤمن، ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا أَبَداً﴾.

[٢٤] ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾، يعني العذاب يوم القيامة، ﴿فَسِعِلُّوا﴾، عند نزول العذاب، ﴿مَنْ أضعُفُ ناصراً وأقلُّ عدداً﴾، أهم أم المؤمنين.

[٢٥] ﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ﴾، أي ما أدري، ﴿أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ﴾، من العذاب وقيل: يوم القيامة، ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً﴾.

[٢٦، ٢٧] ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾، رفع على نعت أجلاً وغاية تطول مدتها يعني: أن علم وقت العذاب غيب لا يعلمه إلا الله. قوله (ربي)، وقيل: هو عالم الغيب، ﴿فَلَا يَظْهَرُ﴾، لا يطلع، ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾، إلا من يصطفيه لرسالته فيظهره على ما يشاء من الغيب لأنه يستدل على نبوته بالآية المعجزة التي تخبر عن الغيب، ﴿فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُمُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَداً﴾، ذكر بعض الجهات دلالة على جميعها رصداً أي يجعل بين يديه وخلفه من الملائكة يحفظونه من الشياطين أن يسترقوا السمع، ومن الجن أن يستمعوا الوحي فيلقوا إلى الكهنة. قال مقاتل وغيره: كان الله إذا بعث رسولاً أتاه إبليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصداً من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين، فإذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فاحذروه، وإذا جاءه ملك قالوا له: هذا رسول ربك.

[٢٨] ﴿لِيَعْلَمَ﴾، قرأ يعقوب ليعلم بضم الياء أي ليعلم الناس، ﴿أَنَّ﴾ الرسل، ﴿قَدْ أبلغُوا﴾، وقرأ الآخرون: بفتح الياء أي ليعلم الرسول أن الملائكة قد أبلغوا، ﴿وَرَسَلْتُ رَبَّهُمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شيء، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدْداً﴾، قال ابن عباس: أحصى ما خلق

يصلي ببطن نخلة ويقرأ القرآن، ﴿كَادُوا﴾، يعني الجن، ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾، أي يركب بعضهم بعضاً، ويزدحمون حرصاً على استماع القرآن، هذا قول الضحاك ورواية عطية عن ابن عباس. وقال سعيد بن جبير عنه: هذا من قول النفر الذين رجعوا إلى قومهم من الجن أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي ﷺ واقتدائهم به في الصلاة. وقال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني لما قام عبدالله بالدعوة تلبدت الإنس والجن، وتظاهروا عليه ليطلوا الحق الذي جاءهم به، ويطفئوا نور الله فأبى الله إلا أن يتم نوره، ويتم هذا الأمر وينصره على من ناوأه، وأصل اللبد الجماعات بعضها فوق بعض، ومنه سمي اللبد الذي يفرش لتراكمه وتلبد الشعر إذا تراكم.

[٢٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾، قرأ أبو جعفر وعاصم وحمزة (قل) على الأمر، قرأ الآخرون (قال) يعني رسول الله ﷺ: إنما أدعو ربي، قال مقاتل: وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: لقد جئت بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نجبرك، فقال لهم: إنما أدعو ربي، ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.

[٢١] ﴿قُلْ إِنِّي لَا أملكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾، لا أقدر أن أدفع عنكم ضراً، ﴿وَلَا رَشَداً﴾، أي لا أسوق لكم أو إليكم رشداً، أي خيراً، يعني أن الله يملكه.

[٢٢] ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾، لن يمنعني منه أحد إن عصيته. ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾، ملجأ أميل إليه. ومعنى الملتحد أي المائل، قال السدي: حرزاً. وقال الكلبي: مذخلاً في الأرض مثل السرب.

[٢٣] ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾، ففيه الجوار والأمن والنجاة، قاله الحسن. قال مقاتل: ذلك الذي يجبرني من عذاب الله، يعني التبليغ. وقال قتادة: إلا بلاغاً من الله فذلك الذي أملكه بعون الله وتوقيفه. وقيل: لا أملك لكم ضراً ولا رشداً لكن

وعرف عدد ما خلق فلم يفته علم شيء حتى مثاقيل الذر والخردل، ونصب (عددًا) على الحال، وإن شئت على المصدر، أي عدّ عددًا.

(٧٣) سُورَةُ الْمَزْمَلِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ﴾، أي الملتف بثوبه، وأصله المتمزمل أدغمت التاء في الزاي، ومثله المدثر أدغمت التاء في الدال، يقال: ترمّل وتذرّ بثوبه إذا تغطى به. وقال السدي: أراد يا أيها النائم قم فصل. قال الحكماء: كان هذا الخطاب للنبي ﷺ في أول الوحي قبل تبليغ الرسالة، ثم خوطب بعد بالنبي والرسول.

[٢] ﴿وَأَنْتَ أَتَىٰ لَإِلَّا قَلِيلًا﴾، أي للصلاة، (إِلَّا قَلِيلًا)، وكان قيام الليل فريضة في الابتداء ثم بين قدره فقال:

[٣] ﴿يَصْبُحُ أَوْ آتَىٰ مِنْهُ قَلِيلًا﴾، إلى الثالث.

[٤] ﴿أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ﴾، على النصف إلى الثلثين، وخيره بين هذه المنازل، فكان النبي ﷺ وأصحابه يقومون على هذه المقادير، وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان، فكان يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب، واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله: (فاقرأوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى) الآية، فكان بين أول السورة وآخرها سنة، وقال مقاتل وابن كيسان: كان هذا بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس، ﴿وَرَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مِثْلَ الْبَرَدِ﴾، قال ابن عباس: بينه بيانًا. قال الحسن: اقرأه قراءة بينة. قال مجاهد: ترسل فيه ترسلًا. قال قتادة: ثبت فيه ثبوتًا. وعن ابن عباس أيضًا: اقرأه على هيتك ثلاث آيات أو أربعًا أو خمسًا.

[٥] ﴿إِنَّا سُلِّقْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: شديدًا. قال الحسن: إن الرجل ليهذ السورة ولكن العمل بها ثقیل. قال قتادة: ثقیلاً هو والله فرائضه وحدوده. قال مقاتل: ثقیل لما فيه من الأمر والنهي والحدود. قال أبو العالیه: ثقیل بالوعد والوعيد والحلال والحرام. وقال محمد بن كعب: ثقیل على المنافقين. قال الحسين ابن الفضل: قولاً خفيفاً على اللسان ثقیلاً في الميزان. قال الفراء: ثقیلاً ليس بالخفيف السفساف لأنه كلام ربنا. قال ابن زيد: هو والله ثقیل مبارك كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة.

[٦] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾، أي ساعاتها كلها، وكل ساعة منه ناشئة، سميت بذلك لأنها تنشأ أي تبدو، ومنه نشأت السحابة إذا بدت، وكل ما حدث بالليل وبدأ فقد نشأ فهو ناشئ، والجمع ناشئة. وقال ابن أبي مليكة: سألت ابن عباس وابن الزبير عنها، فقالا: الليل كله ناشئة. وقال سعيد بن جبیر وابن زيد: أي ساعة قام من الليل فقد نشأ وهو بلسان الحبش القيام، يقال: نشأ فلان أي قام. وقالت عائشة: الناشئة القيام بعد النوم. وقال ابن كيسان: هي القيام من آخر الليل. وقال عكرمة: هي القيام من أول الليل. وقال الحسن: كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة من الليل. وقال الأزهري: ناشئة الليل قيام الليل، مصدر جاء على فاعلة كالعافية بمعنى العفو. ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾، قرأ ابن عامر وأبو عمر: وطأ بكسر الواو ممدوداً بمعنى المواطأة والموافقة، يقال وطأت فلاناً مواطأة القلب والسمع والبصر واللسان، بالليل تكون أكثر مما يكون بالنهار. وقرأ الآخرون: بفتح الواو وسكون الطاء أي أشد على المصلي وأثقل من صلاة النهار، لأن الليل للنوم والراحة. وقال قتادة: أثبت في الخير وأحفظ

سُورَةُ الْمَزْمَلِ

٥٧٤

سُورَةُ الْمَزْمَلِ

سُورَةُ الْمَزْمَلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قُرْ أَيْلَ الْإِقْلِيلِ ﴿٢﴾ نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾
 أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَبِّ الْقُرْآنِ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا
 ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّكَ فِي
 النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾
 رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ
 عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ
 أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾
 وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
 وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِيدًا
 عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَصْنَى فِرْعَوْنُ وَالرَّسُولُ
 فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَنْشُقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ
 الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفِطِرَةٌ كَانَتْ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾
 إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

[١١] ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾،
 نزلت في صناديد قريش المستهزئين. وقال مقاتل
 ابن حيان: نزلت في المطعميين ببدر فلم يكن إلا
 يسيرٌ حتى قتلوا ببدر.
 [١٢] ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾، عندنا في الآخرة،
 ﴿أَنْكَالًا﴾، قيودًا عظامًا لا تنفك أبدًا، واحدها
 نكل. قال الكلبي: أغلا من حديد، ﴿وَجَحِيمًا﴾.
 [١٣] ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾، غير سائغة يأخذ بالحق
 لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع. ﴿وَعَذَابًا
 أَلِيمًا﴾.
 [١٤] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾، أي تتزلزل
 وتحرك، ﴿وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلًا﴾، رملاً سائلاً،
 قال الكلبي: هو الرمل الذي أخذت منه شيئاً تبعك
 ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هيلًا إذا حركت
 أسفله حتى انهال من أعلاه.

للقراءة. وقال الفراء: أثبت قياماً أي أوطأ للقيام
 وأسهل للمصلي من ساعات النهار، لأن النهار
 خلق لتصرف العبادة، والليل للخلوة فالعبادة فيه
 أسهل. وقيل: أشد نشاطاً. وقال ابن زيد: أفرغ له
 قلباً من النهار لأنه لا تعرض فيه حوائج. وقال
 الحسن: أشد وطأً في الخير وأمنع من الشيطان.
 ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾، وأصوب قراءة وأصح قولاً لهدأة
 الناس وسكون الأصوات. وقال الكلبي: أبين قولاً
 بالقرآن، وفي الجملة عبادة الليل أشد نشاطاً وأتم
 إخلاصاً وأكثر بركة وأبلغ في الثواب.

[٧] ﴿إِنَّكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾، أي تصرفاً
 وتقلباً وإقبالاً وإدباراً في حوائجك وأشغالك،
 وأصل السبح سرعة الذهاب، ومنه السباحة في
 الماء. وقيل: سبْحًا طَوِيلًا أي فراغاً وسعة لنومك
 وتصرفك في حوائجك فصل من الليل، وقرأ يحيى
 ابن يعمر (سبْحًا) بالخاء المعجمة أي استراحة
 وتخفيفاً للبدن.

[٨] ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾، بالتوحيد والتعظيم،
 ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾، قال ابن عباس وغيره: أخلص
 إليه إخلاصاً. قال الحسن: اجتهد. وقال ابن زيد:
 تفرغ لعبادته. وقال سفيان: توكل عليه توكلًا.
 وقيل: انقطع إليه في العبادة انقطاعاً، وهو الأصل
 في الباب، يقال: تبتلت الشيء أي قطعته، والتبتيل:
 تفعل، منه يقال: بتلته فتبتل، المعنى: بتل إليه
 نفسك، ولذلك قال: تبتيلًا. قال ابن زيد التبتل
 رفض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند الله تعالى.

[٩] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، قرأ أهل الحجاز
 وأبو عمرو وحفص (رب) برفع الباء على الابتداء،
 وقرأ الآخرون: بالجر على نعت الرب في قوله:
 (اذكر اسم ربك)، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾،
 قِيمًا بأَمُورِكَ ففوضها إليه.

[١٠] ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا
 جَمِيلًا﴾، نسختها آية القتال.

عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة، ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة، ثم ركع، فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال: إن الله عز وجل يقول: فاقروا ما تيسر منه.

قوله عز وجل: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضٍ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، يعني المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله، ﴿وآخَرُونَ يَقْنَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، لا يطبقون قيام الليل، روى إبراهيم عن ابن مسعود قال: أيما رجل جلب شيئاً ما إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء، ثم قرأ عبدالله: (وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، وآخرون يقاتلون في سبيل الله). ﴿فَاقْرَأُوا مَا يَسَّرَ مِنْهُ﴾، أي ما تيسر عليكم من القرآن. قال أهل التفسير كان هذا في صدر الإسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس، وذلك قوله ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا اللَّهَ قُرْصًا حَسَنًا﴾، قال ابن عباس: يريد ما سوى الزكاة من صلة الرحم، وقرى الضيف. ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾، تجدوا ثوابه في الآخرة أفضل مما أعطيتهم، ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾، من الذي أخرجتم، ولم تقدموه ﴿وَأَسْتَفِرُّوا اللَّهَ﴾، لذنوبكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

(٧٤) سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ

[٢، ١] قوله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۖ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾، أي أنذر كفار مكة.

[٣] ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾، أي عظمه عما يقوله عبدة الأوثان.

[٤] ﴿وَيَايَا فَطَهْرٍ﴾، قال قتادة ومجاهد: نفسك فطهر من الذنب، فكنى عن النفس بالثوب، وهو

[١٥] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾.

[١٦] ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾، شديداً ثقيلاً، يعني عاقبناه عقوبة غليظة يخوف كفار مكة.

[١٧] ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾، أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إذ كفرتم في الدنيا يعني لا سبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتم يوم القيامة؟ وقيل: معناه كيف تتقون العذاب يوم القيامة، وبأي شيء تحصنون منه إذا كفرتم؟ ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾، شمطاً من هوله وشدته، وذلك حين يقال لآدم قم فابعث بعث النار من ذريتك.

[١٨] ثم وصف هول ذلك اليوم فقال: ﴿الْأَسْمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ بِهِ﴾، متشقق لنزول الملائكة به أي: بذلك المكان. وقيل: الهاء ترجع إلى الرب أي بأمره وهيبته، ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾، كائناً.

[١٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾، أي آيات القرآن ﴿تَذَكُّرٌ﴾، تذكير وموعظة ﴿فَمَنْ شَاءَ أُخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾، بالإيمان والطاعة.

[٢٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾، أقل ﴿مِنَ ثُلَاثٍ أَيْلٍ وَيُصَفِّمُ وَلِيُّهُمَا﴾، يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه، ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ أَيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، قال عطاء: يريد لا يفوته علم ما تفعلون، أي أنه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومون من الليل، ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾، قال الحسن: قاموا حتى انتفخت أقدامهم، فنزل: (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ)، لن تطيقوه. وقال مقاتل: كان الرجل يصلي الليل كله، مخافة ألا يصيب ما أمر به من القيام، فقال: علم أن لن تحصوه: لن تطيقوا معرفة ذلك. ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾، فعاد عليكم بالعفو والتخفيف، ﴿فَاقْرَأُوا مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾، يعني في الصلاة، قال الحسن: يعني في صلاة المغرب والعشاء. قال قيس بن حازم: صليت خلف ابن

سُورَةُ الْمَدَّثَرِ

٥٧٥

الْمَدَّثَرِ

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ كُلِّ لَيْلٍ وَنُقِصَهُ، فَلَئِنْ وَسَّعْتَهُ لَمِنْ
الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا يَنْسُرُ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِيمٌ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى
وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ
يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا يَنْسُرُ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا وَمَا تَقْدِمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ تُجِدُوهُ
عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ غَفُورٍ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

سُورَةُ الْمَدَّثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَدَّثَرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾
فَإِذَا نَقَرُ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ
غَيْرِ سِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا
مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهْدَتْ لَهُ النَّهْيَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَرْيَدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأَرْهَقُهُ سُجُودًا ﴿١٧﴾

لا تمنن بالنبوة على الناس فتأخذ عليها أجراً أو عرضاً من الدنيا.

[٧] ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾، قيل: فاصبر على طاعته وأوامره ونواهيه لأجل ثواب الله. وقال مجاهد: فاصبر لله على ما أوديت فيه. وقال ابن زيد: معناه حملت أمراً عظيماً فيه محاربة العرب والعجم فاصبر عليه لله عز وجل. وقيل: فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله.

[٨] ﴿فَإِذَا نَقَرُ فِي النَّاقُورِ﴾، أي نفخ في الصور، وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل يعني النفخة الثانية.

[٩] ﴿فَذَلِكْ﴾ أي النفخ في الصور، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾، شديد. [١٠] ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، يعسر فيه الأمر عليهم، ﴿غَيْرِ سِيرٍ﴾، غير هين.

قول إبراهيم والضحاك والشعبي والزهري. وقال عكرمة: سئل ابن عباس عن قوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، فقال: لا تلبسها على معصية ولا على غدر. وروى أبو روق عن الضحاك معناه: وعملك فأصلح. قال السدي: يقال للرجل إذا كان صالحاً إنه لطاهر الثياب، وإذا كان فاجراً إنه لخبث الثياب. وقال سعيد بن جبير: وقلبك ونيتك فطهر. وقال الحسن والقرظي: وخلقك فحسن. وقال ابن سيرين وابن زيد: أمر بتطهير الثياب من النجاسات التي لا تجوز الصلاة معها، وذلك أن المشركين كانوا لا يتطهرون ولا يطهرون ثيابهم. وقال طائوس: وثيابك فقصر لأن تقصير الثياب طهرة لها.

[٥] ﴿وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ المراد بالرجز الأوثان، قال: فاهجرها ولا تقربها. وقيل: الزاي فيه منقلبة عن السين، والعرب تعاقب بين السين والزاي لقرب مخرجهما، ودليل هذا التأويل قوله: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾، وروي عن ابن عباس أن معناه: اترك المآثم. وقال أبو العالية والربيع: الرجز بضم الراء الصنم، وبالكسر النجاسة والمعصية. قال الضحاك: يعني الشرك. وقال الكلبي: يعني العذاب، ومجاز الآية: اهجر ما أوجب لك العذاب من الأعمال.

[٦] ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾، أي لا تعط مالك مصانعة لتعطى أكثر منه، وهذا قول أكثر المفسرين. وقال قتادة: لا تعط شيئاً طمعاً لمجازاة الدنيا، يعني أعط لربك وأرد به الله. وقال الحسن: معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره، قال الربيع: لا يكثرن عملك في عينك فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل. وروى خفيف عن مجاهد: ولا تضعف أن تستكثر من الخير، من قولهم: حبل منين إذا كان ضعيفاً دليلاً قراءة ابن مسعود (وَلَا تَمْنُنْ أَنْ تَسْتَكْثِرَ مِنَ الْخَيْرِ)، وقال ابن زيد معناه:

[٢٣] ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾، عن الإيمان، ﴿وَأَسْتَكْبَر﴾، تكبر حين دعي إليه.

[٢٤] ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا﴾، ما هذا الذي يقرأه محمد، ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّؤْتَر﴾، يروى ويحكى عن السحرة.

[٢٥] ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلَ الْبَشَرِ﴾، يعني يساراً وجبراً فهو يأثره عنهما. وقيل: يرويه عن مسيلمة صاحب اليمامة.

[٢٦] قال الله تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ﴾، سأدخله ﴿سَفَر﴾، وسفر اسم من أسماء جهنم.

[٢٧، ٢٨] ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا سَفَرٌ لَا بَقِي وَلَا لَذْرُ﴾، أي لا بقي ولا تذر فيها شيئاً إلا أكلته وأهلكته. وقال مجاهد: لا تمت ولا تحيي يعني لا بقي من فيها حياً ولا تذر من فيها ميتاً، كلما احترقوا جدوا. وقال السدي: لا بقي لهم لحماً ولا تذر لهم عظماً. وقال الضحاك: إذا أخذت فيهم لم تبقي منهم شيئاً وإذا أعيدوا لم تذرهم حتى تفنيهم، ولكل شيء ملالة وفترة إلا جهنم.

[٢٩] ﴿لَوَاحُةٌ لِلْبَشَرِ﴾، مغيرة للجلد حتى تجعله أسود، يقال: لاحة السقم والحزن إذ غيره، قال مجاهد: تلفح الجلد حتى تدعه أشد سواداً من الليل. وقال ابن عباس وزيد بن أسلم: محرقة للجلد. وقال الحسن وابن كيسان: تلوح لهم جهنم حتى يروها عياناً.

[٣٠] ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾، أي على النار تسعة عشر من الملائكة، وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر.

[٣١] ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾، لا رجالاً آدميين فمن ذا يغلب الملائكة؟ ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾، أي عددهم في القلة، ﴿إِلَّا قِتْنَةَ اللَّزِينِ كَفَرُوا﴾، أي ضلالة لهم ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾، لأنه مكتوب في التوراة والإنجيل إنهم تسعة عشر، ﴿وَيَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْنَا﴾، يعني من آمن من أهل

[١١] قوله عز وجل: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾، أي خلقته في بطن أمه وحيداً فريداً لا مال له ولا ولد، نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي كان يسمى الوحيد في قومه.

[١٢] ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾، أي كثيراً. قيل: هو ما يمد بالنماء كالزروع والضرع والتجارة.

[١٣] ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾ حضوراً بمكة لا يغيبون عنه وكانوا عشرة، قاله مجاهد وقتادة. وقال مقاتل: كانوا سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس، أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة.

[١٤] ﴿وَوَهَّدْتُ لَهُ تَهْجِيدًا﴾، أي بسطت له في العيش وطول العمر بسطاً. وقال الكلبي: يعني المال بعضه على بعض كما يمهّد الفرش.

[١٥] ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ﴾، يرجو، ﴿أَنْ أَرْيَدَ﴾، أي أن أزيده مالاً، وولداً، وتمهيداً.

[١٦] ﴿كَلَّا﴾، لا أفعل ولا أزيده، قالوا: فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك. ﴿إِنَّمَا كَانَ لِنَكْتَا عِينَدَا﴾، معانداً.

[١٧] ﴿سَأُجِئُهُمْ صَعُودًا﴾، سأكلّفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها.

[١٨] ﴿إِنِّي فَكَّرْتُ﴾ في محمد والقرآن ﴿وَقَدَّرْتُ﴾ في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد والقرآن.

[١٩] ﴿فَقِيلَ﴾، لعن، وقال الزهري: عذب، ﴿كَيْفَ فَذَرَ﴾، على طريق التعجب والإنكار والتوبيخ.

[٢٠] ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ فَذَرَ﴾، كرهه للتأكيد، وقيل: معناه لعن على أي حال قدر من الكلام، كما يقال لأضربه كيف صنع أي على أي حال صنع.

[٢١] ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾، في طلب ما يدفع به القرآن ويرده.

[٢٢] ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾، كلع وقطب وجهه ونظر بكراهية شديدة كالمهتم المتفكر في شيء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٧٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّهُ فَعَّرَ قَدْرَ ﴿٣٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٣٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَسَرَ ﴿٤٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٤٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٤٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٤٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٤٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٤٧﴾ لَا تُبْقَى وَلَا نَذْرٌ ﴿٤٨﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٤٩﴾ عَلَيْهِمْ تِسْعَةٌ عَشَرَ ﴿٥٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَحْصَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴿٥١﴾ قَالَ مَقَاتِلُ: هَذَا جَوَابُ أَبِي جَهْلٍ حِينَ قَالَ: أَمَا لِمُحَمَّدٍ أَعْوَانٌ إِلَّا تِسْعَةٌ؟ قَالَ عطاء: وما يعلم جنود ربك إلا هو يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار، لا يعلم عدتهم إلا الله، والمعنى إن تسعة عشر هم خزنة النار، ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمهم إلا الله عز وجل، ثم رجع إلى ذكر سقر فقال: ﴿وَمَا هِيَ﴾، يعني النار، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾، إلا تذكرة وموعظة للناس.

[٣٢] ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾، هذا قسم يقول حقًا.

[٣٣] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ دبر الليل وأدبر إذا ولى ذاهبًا.

[٣٤] ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْرَقَ﴾، أضواء وتبين.

[٣٥] ﴿إِنَّمَا لِأَحَدَى الْكَبِيرِ﴾، يعني أن سقر لإحدى الأمور العظام، وواحد الكبير كبرى، قال مقاتل والكلبي: أراد بالكبير دركات جهنم وهي سبعة: جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية.

[٣٦] ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾، يعني النار نذيرًا للبشر. قال الحسن: والله ما أُنذر الله بشي أدهى منها.

[٣٧] ﴿لَمِنْ شَأْنٍ﴾، بدل من قوله للبشر: ﴿مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقُوا﴾، في الخير والطاعة، ﴿أَوْ يَتَّخِرُوا﴾، عنها في الشر والمعصية، والمعنى: أن الإنذار قد حصل لكل واحد ممن آمن أو كفر.

[٣٨] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، مرتهنة في النار

بكسبها مأخوذة بعملها.

[٣٩] ﴿إِلَّا أَصْحَابُ الْآيَاتِ﴾، فإنهم لا يرتنون

بذنوبهم في النار ولكن يغفرها الله لهم. قال قتادة علق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين. واختلفوا فيهم روي عن علي رضي الله عنه أنهم أطفال المسلمين. وروى أبو ظبيان عن ابن عباس: هم الملائكة. وقال مقاتل: هم أصحاب الجنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق، حين قال الله لهم: «هؤلاء في الجنة ولا أبالي» وعنه أيضًا: هم الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم، وعنه أيضًا: هم الذين كانوا ميامين على أنفسهم. وقال الحسن: هم المسلمون المخلصون. وقال القاسم: كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر إلا من اعتمد على الفضل، وكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به، ومن اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ به.

الأسد هربت، كذلك هؤلاء المشركين إذا سمعوا النبي ﷺ يقرأ القرآن هربوا منه. قال عكرمة: هي

ظلمة الليل، ويقال لسواد أول الليل قسورة [٥٢] ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا

مُنشَرَةً﴾، قال المفسرون: إن كفار قريش قالوا لرسول الله ﷺ: ليصبح عند رأس كل رجل منا

كتاب منشور من الله أنك لرسوله تؤمر فيه باتباعك. قال الكلبي: إن المشركين قالوا: يا محمد بلغنا أن

الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبًا عند رأسه ذنبه وكفارته، فأتينا بمثل ذلك، والصحف الكتب

وهي جمع الصحيفة ومنشورة منشورة. [٥٣] فقال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾، لا يؤتون

الصحف. وقيل: حقًا وكل ما ورد عليك منه فهذا وجهه ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾، أي لا يخافون

عذاب الآخرة، والمعنى أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلة.

[٥٤] ﴿كَلَّا﴾، حقًا، ﴿إِنَّهُ﴾، يعني القرآن، ﴿نَذِيرَةً﴾، موعظة.

[٥٥] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾، اتعظ به.

[٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾، قرأ نافع ويعقوب: تذكرون بالتاء والآخرين بالياء، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ

اللَّهُ﴾، قال مقاتل: إلا أن يشاء الله لهم الهدى. ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْغَفْرِ﴾، أي أهل أن تتقى

محارمه وأهل أن يغفر لمن اتقاه.

(٧٥) سُورَةُ الْقِيَامَةِ

[١] ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾، قرأ القواس عن ابن كثير (لأقسم) الحرف الأول بلا ألف قبل الهمزة.

[٢] ﴿لَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾، بالألف، وكذلك قرأ عبد الرحمن الأعرج، على معنى أنه أقسم بيوم

القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة، والصحيح أنه أقسم بهما جميعًا و(لا) صلة فيهما أي أقسم بيوم

[٤٠، ٤١] ﴿فِي جَنَّتٍ يَنْشَأُونَ﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ، المشركين.

[٤٢] ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾، أدخلكم، ﴿فِي سَفَرٍ﴾، فأجابوا.

[٤٣] ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾، الله. [٤٤-٤٧] ﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾ وَكُنَّا نَحْوُ

الْبَاطِلِ، ﴿مَعَ الْفَاضِلِينَ﴾ وَكُنَّا نَكُذِّبُ يَوْمَ الَّذِينَ حَتَّى أَتَيْنَا آلِيَيْنَ، وهو الموت.

[٤٨] قال عز وجل: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾. قال ابن مسعود: تشفع الملائكة

والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين، فلا يبقى في النار إلا أربعة، ثم تلا: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ

مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ إلى قوله: (يَوْمَ الَّذِينَ)، قال عمران ابن الحصين: الشفاعة نافعة لكل واحد دون هؤلاء

الذين تسمعون. [٤٩] ﴿فَمَا لَمْ عَنِ التَّنْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾، عن مواعظ

القرآن معرضين نصب على الحال، وقيل صاروا معرضين.

[٥٠] ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ﴾، جمع حمار، ﴿مُسْتَنْفِرَةٌ﴾،

قرأ أهل المدينة والشام بفتح الفاء، وقرأ الباقون بكسرها، فمن قرأ بالفتح فمعناها منفرة مذعورة،

ومن قرأ بالكسر فمعناها نافرة، يقال: نفر واستنفر بمعنى واحد، كما يقال عجب واستعجب.

[٥١] ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾، قال مجاهد وقتادة والضحاك: القسورة جماعة الرماة لا واحد لها من

لفظها، وهي رواية عطاء عن ابن عباس. وقال سعيد بن جبير: هم القناص وهي رواية عطية عن

ابن عباس. وقال زيد بن أسلم: من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسور وقسورة. وعن

أبي المتوكل قال: هي لفظ القوم وأصواتهم. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: هي حبال

الصيادين. وقال أبو هريرة: هي الأسد، وهو قول عطاء والكلبي، وذلك أن الحمر الوحشية إذا عاينت

[٥] ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾، يقول: لا يجهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه لكنه يريد أن يفجر أمامه أي يمضي قدمًا في معاصي الله ما عاش راكبًا رأسه لا يترع عنها ولا يتوب، هذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي. وقال سعيد بن جبير: ليفجر أمامه يقدم على الذنب ويؤخر التوبة فيقول: سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله. وقال الضحاك: هو الأمل يقول: أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت. وقال ابن عباس وابن زيد: يكذب بما أمامه من البعث والحساب. وأصل الفجور الميل وسمي الفاسق والكافر فاجرًا لميله عن الحق.

[٦] ﴿يَسْتَلْ أَتَىٰ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، أي متى يكون ذلك تكذيبًا به.

[٧] قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ قال قتادة ومقاتل: شخص البصر فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا. قيل: ذلك عند الموت. وقال الكلبي: عند رؤية جهنم تبرق أبصار الكفار. وقال الفراء والخليل: برق بالكسر أي فزع وتحير لما يرى من العجائب، وبرق بالفتح أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ.

[٨] ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾، أظلم وذهب نوره وضوؤه. [٩] ﴿وَجُمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾، أي صارا أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران. وقيل: يجمع بينهما في ذهاب الضياء. وقال عطاء بن يسار: يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى. وقيل: يجمعان ثم يقذفان في النار. وقيل: يجمعان فيطلعان من المغرب.

[١٠] ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾، أي الكافر المكذب ﴿يَوْمَئِذٍ أَتَى الْقَمَرُ﴾، أي المهرب وهو موضع الفرار. وقيل: هو مصدر أي أين الفرار.

[١١] قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾، لا حصن

القيامة وبالنفس اللوامة. وقال أبو بكر بن عياش: هو تأكيد للقسم كقولك لا والله. وقال الفراء: (لا) ردًا لكلام المشركين المنكرين، ثم ابتداء فقال: أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة ﴿وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ الْوَلَوَامَةِ﴾ قال سعيد بن جبير وعكرمة: تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء. قال قتادة: اللوامة: الفاجرة. قال مجاهد: تندم على ما فات وتقول: لو فعلت ولم أفعل. قال الفراء: ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيرًا قالت: هلا ازددت، وإن عملت شرًا قالت: ليتني لم أفعل. قال الحسن: هي النفس المؤمنة قال: إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلامي ما أردت بأكلامي. وإن الفاجر يمضي قدمًا لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها. قال مقاتل: هي النفس الكافرة تلوم نفسها في الآخرة على ما فرطت في أمر الله في الدنيا.

[٣] ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ يعني الكافر ﴿أَلَّنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ﴾ بعد التفرق والبلى فتحياه، قيل: ذكر العظام وأراد نفسه لأن العظام قالب النفس لا يستوي الخلق إلا باستوائها. وقيل: هو خارج على قول المنكر أو يجمع الله العظام كقوله: (قال من يحيي العظام وهي رميم).

[٤] ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ﴾، أي تقدر يريد بل قادرين على أكثر من ذا، مجاز الآية: بلى تقدر على جمع عظامه وعلى ما هو أعظم من ذلك، وهو: ﴿عَلَىٰ أَنْ سُوِّيَ بَنَاهُ﴾، أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئًا واحدًا كخف البعير وحافر الحمار، فلا يرتفق بها بالقبض والبسط والأعمال اللطيفة، كالكتابة والخيطة وغيرها، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الزجاج وابن قتيبة: معناه ظن الكافر أنا لا تقدر على جمع عظامه بلى تقدر على أن نعيد السلاميات على صغرها فتؤلف بينها حتى نسوي البنان، فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر.

ولا حرز ولا ملجأ. وقال السدي: لا جبل وكانوا إذا فزعوا لجؤوا إلى الجبل فتحصنوا به. وقال تعالى: لا جبل يومئذ يمنعهم.

[١٢] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ أي مستقر الخلق. وقال عبدالله بن مسعود: المصير والمرجع نظيره قوله تعالى: (إلى ربك الرجعى) (وإلى الله المصير) وقال السدي: المنتهى، نظيره: (وإن إلى ربك المنتهى).

[١٣] ﴿يَبْئُتُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: بما قدم قبل الموت من عمل صالح وسيئ، وما أخر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها. وقال عطية عن ابن عباس: بما قدم من المعصية وآخر من الطاعة. وقال قتادة: بما قدم من طاعة الله وآخر من حق الله فضيعه. وقال مجاهد: بأول عمله وآخره. وقال عطاء: قدم في أول عمره وما أخر في آخر عمره. وقال زيد بن أسلم: بما قدم من أمواله لنفسه وما أخر خلفه للورثة.

[١٤] ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾، قال عكرمة ومقاتل والكلبي: معناه بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله، وهي سمعه وبصره وجوارحه، ودخل الهاء في البصيرة لأن المراد بالإنسان هنا جوارحه ويحتمل أن يكون معناه بل الإنسان على نفسه بصيرة، يعني لجوارحه، فحذف حرف الجر كقوله: (وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي لأولادكم، ويجوز أن يكون نعتاً لاسم مؤنث، أي بل الإنسان على نفسه عين بصيرة. وقال أبو العالية وعطاء: بل الإنسان على نفسه شاهد وهي رواية العوفي عن ابن عباس. والهاء في بصيرة للمبالغة، دليل هذا التأويل قوله عز وجل: (كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً).

[١٥] ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ﴾، يعني يشهد عليه الشاهد ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه، كما قال: (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم). وهذا قول

٥٧٧
سُورَةُ الْقِيَامَةِ
فَإِنَّهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿١٨﴾ فَأَلْهَمَهُم مِّنَ الْتَذَكُّرِ مُعْرِضِينَ ﴿١٩﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٢٠﴾ فَزَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٢١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنْشَرَةً ﴿٢٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿٢٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٢٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّفْيِ وَأَهْلُ الْغَفْوَةِ ﴿٢٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيْخَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَىٰ مَنْ شِئِيَ بَنَانُهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ يُفْجَرُ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ سَأَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا نُفِثَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يَبْئُتُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ ﴿١٥﴾ لَا تَحْرِكُهُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَجْعَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قُرَأَتْهُ فَانْتَبِهْ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا نَبَأَهُ ﴿١٩﴾

مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وعطاء. قال الفراء: ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره، ومعنى الإلقاء: القول كما قال: (فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون). وقال الضحاك والسدي: (ولو ألقى معاذيرُهُ) يعني ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب، وأهل اليمن يسمون الست معذاراً وجمعه معاذير، ومعناه على هذا القول: وإن أسبل الست ليخفي ما كان يعمل فإن نفسه شاهدة عليه.

[١٦] قوله عز وجل ﴿لَا تَحْرِكُهُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَجْعَلَ بِهِ﴾ كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي كان يحرك لسانه وشفثه فيشتد عليه، وكان يعرف منه فانزل الله عز وجل هذه الآية (١).

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٦٨٢/٨، ومسلم في الصلاة رقم (٤٤٨) ٢٣٠/١.

على الموت.

[٢٧] ﴿وَقِيلَ مَنْ رَافٍ﴾، أي قال من حضره الموت: هل من طبيب يرقيه ويداويه فيشفيه برقيته أو دوائه، وقال قتادة: التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئاً. وقال سليمان التيمي ومقاتل بن سليمان: هذا من قول الملائكة يقول بعضهم لبعض: من يرقى بروحه فتصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

[٢٨] ﴿وَلَطَّ﴾، أي قن الذين بلغت روحه التراقي، ﴿أَنَّهُ الْفَرَّاقُ﴾، من الدنيا.

[٢٩] ﴿وَالْفَتَى السَّائِىَ السَّائِىَ﴾، قال قتادة: الشدة بالشدة. قال عطاء: شدة الموت بشدة الآخرة. قال سعيد بن جبیر: تابعت عليه الشدائد. قال السدي: لا يخرج من كرب إلا جاءه أشد منه. قال ابن عباس: أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، وقال مجاهد: اجتمع فيه الحياة والموت، وقال الضحاك: الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه. وقال الحسن: هما ساقاه إذا التفتا في الكفن. وقال الشعبي: هما ساقاه إذا التفتا عند الموت.

[٣٠] ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَافُ﴾، أي مرجع العباد إلى الله يساقون إليه.

[٣١] ﴿لَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾، يعني أبا جهل لم يصدق بالقرآن ولا صلى لله.

[٣٢] ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾، عن الإيمان.

[٣٣] ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى آهِلِهِ﴾، رجع إليهم، ﴿يَتَمَطَّى﴾، يتبخر ويختال في مشيه، قيل: أصله يتمطط أي يتمدد، والمط هو المد.

[٣٤، ٣٥] ﴿أَوَّلَكَ لَكَ فَأَوَّلَكَ ۝ ثُمَّ أَوَّلَكَ لَكَ فَأَوَّلَكَ﴾، هذا

وعيد على وعيد من الله عز وجل لأبي جهل، وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد. وقال بعض العلماء: معناه إنك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به، تقال للرجل حيث يصيبه مكروه

[١٧] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، قال: علينا أن نجمله في صدرك، وقرآنه.

[١٨] ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنشَأَ قُرْآنَهُ﴾، فإذا أنزلناه فاستمع.

[١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾، علينا أن نبينه بلسانك، وكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل.

[٢٠، ٢١] ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي يختارون الدنيا على العقبى ويعملون لها يعني كفار مكة.

[٢٢، ٢٣] ﴿وَجُودٌ بِوَمِذٍ﴾، يوم القيامة ﴿نَاصِرَةٌ﴾، قال ابن عباس: حسنة، وقال مجاهد: مسرورة. وقال ابن زيد: ناعمة. وقال مقاتل: يبض يعلوها النور. وقال السدي: مضية. وقال يمان: مسفرة. وقال الفراء: مشرقة بالنعيم. يقال: نصر الله وجهه ينصر نصرًا، ونصره الله، وأنصره، ونصر وجهه، ينصر، نصره، ونصرة. قال الله تعالى: (تعرف في وجوههم نصره النعيم)، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، قال ابن عباس وأكثر الناس: تنظر إلى ربها عيانًا بلا حجاب. قال الحسن: تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنصر وهي تنظر إلى الخالق.

[٢٤] ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ بِآيَةٍ﴾، عابسة كالحة مغبرة مسودة.

[٢٥] ﴿نَظَرُ أَنْ يُفَعَلَ بِهَا فَافِرَةٌ﴾، تستيقن أن يعمل بها عظمة من العذاب، والفاقرة: الداهية العظيمة، والأمر الشديد يكسر فقار الظهر. قال سعيد بن المسيب: قاصمة الظهر. قال ابن زيد: هي دخول النار. وقال الكلبي: هي أن يحتجب عن رؤية الرب عز وجل.

[٢٦] ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ﴾، يعني النفس كناية عن غير المذكور، ﴿الترقي﴾، فحشرج بها عند الموت، والترقي جمع الترقوة، وهي العظام بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشراف

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

٥٧٨

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

كَلَامٌ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿١﴾ وَيَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٣﴾
إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٤﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٥﴾ تَفْطِنُ أَنْ تُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٦﴾
كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّفَاثَةَ ﴿٧﴾ وَقِيلَ مِنْ رَأَقٍ ﴿٨﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٩﴾ وَالْفَتَفَ
السَّاقِ بِالسَّاقِ ﴿١٠﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿١١﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا ضَلَّى ﴿١٢﴾
وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَتَلَكَا ﴿١٣﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمْتَطِعُ ﴿١٤﴾ أُولَى لَكَ
فَأُولَى ﴿١٥﴾ ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى ﴿١٦﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿١٧﴾
أَلَمْ يَكُنْ نَطْفَةً مِنْ مَيِّ يَمْنَى ﴿١٨﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً مُفَلَقَةً فَسَوًى ﴿١٩﴾ فَبَعَلَ مِنْهُ
الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٢٠﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٢١﴾

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَاهُ الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا وَاعْتَدْنَا لِلْغَافِلِينَ أَعْدًا
الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٤﴾

يستوجب. وقيل: هي كلمة تقولها العرب لمن قاربه المكروه. وأصلها من الولي وهو القرب، قال الله تعالى: (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار).

[٣٦] ﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾، هملاً لا يؤمر ولا ينهى، قال السدي: معناه المهمل وإبلٌ سدى إذا كانت ترعى حيث شاءت بلا راع.

[٣٧] ﴿أَلَمْ يَكُنْ نَطْفَةً مِنْ مَيِّ يَمْنَى﴾ تصب في الرحم، قرأ حفص عن عاصم: (يمنى) بالياء وهي قراءة الحسن، وقرأ الآخرون: بالتاء لأجل النطفة.

[٣٨] ﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً مُفَلَقَةً فَسَوًى﴾، فجعل فيه الروح وسوى خلقه.

[٣٩] ﴿فَبَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾، وخلق من مائه أولاداً ذكوراً وإناثاً.

[٤٠] ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾، الذي فعل هذا، ﴿يُقَدِّرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾

(٧٦) سُورَةُ الْإِنْسَانِ

[١] ﴿هَلْ أَتَى﴾، قد أتى، ﴿عَلَى الْإِنْسَانِ﴾، يعني آدم عليه السلام، ﴿حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ قبل أن ينفخ فيه الروح، ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾، لا يذكر ولا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به، يريد: كان شيئاً ولم يكن مذكوراً، وذلك من حين خلقه من طين إلى أن نفخ فيه الروح.

[٢] ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُ الْإِنْسَانَ﴾، يعني ولد آدم، ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ﴾، يعني مني الرجل ومني المرأة. ﴿أَمْشَاجٍ﴾، أخلاط واحدها مشج ومشيج، مثل خدن وخدين، قال ابن عباس والحسن ومجاهد والربيع: يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد، وقال الضحاك: أراد بالأمشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء وصفراء، وقال يمان: كل لونين اختلطا فهو أمشاج، وقال

قتادة: هي أطوار الخلق: نطفة، ثم علقه ثم مضغة، ثم عظمًا ثم يكسوه لحماً ثم يشئه خلقاً آخر. ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾، نختبره بالأمر والنهي، ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، قال بعض أهل العربية: وفيه تقديم وتأخير، مجازة: فجعلناه سميعاً بصيراً لنبتليه، لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة.

[٣] ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾، أي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة، وعرفناه طريق الخير والشر. ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، إما مؤمناً سعيداً وإما كافراً شقيّاً. وقيل: معنى الكلام الجزاء يعني بينا له الطريق إن شكر أو كفر.

[٤] ثم بين ما للفريقين فقال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا﴾، يعني في جهنم، ﴿وَأَعْتَدْنَا فِي أَيْدِيهِمْ تَغْلٌ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾، وقوداً شديداً.

[٥] ﴿إِنَّ الْأَبْتَرَّ﴾، يعني المؤمنين الصادقين في إيمانهم المطيعين لربهم، ﴿يَشْرَبُونَ﴾، في الآخرة، ﴿مِنْ كَأْسٍ﴾، فيه شراب ﴿كَانَ مِرْاجُهَا كَافُورًا﴾، قال قتادة: يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك، قال عكرمة: مزاجها طعمها، وقال أهل المعاني: أراد كالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرده، لأن الكافور لا يشرب، وهو كقوله (حتى إذا جعله نارًا) أي كنار، وهذا معنى قول مجاهد ومقاتل ومجاهد: يمازجه ريح الكافور. وقال ابن كيسان: طيب بالكافور والمسك والزنجبيل. قال عطاء والكلبي: الكافور اسم لعين ماء في الجنة.

[٦] ﴿عَيْنًا﴾، نصب تبعًا للكافور وقيل: نصب على المدح. وقيل: أعني عينًا. وقال الزجاج: الأجود أن يكون المعنى من عين، ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾، قيل: يشربها والباء صلة. وقيل: بها أي منها، ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس: أولياء الله، ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾، أي يقودونها حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم، كمن يكون له نهر يفجره ههنا إلى حيث يريد.

[٧] ﴿يُؤْفُونَ بِالْأَنْدَرِ﴾، هذا من صفاتهم في الدنيا أي كانوا في الدنيا كذلك، قال قتادة: أراد يوفون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة، وغيره من الواجبات، ومعنى النذر الإيجاب. وقال مجاهد وعكرمة: إذا نذروا في طاعة الله وفوا به، ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾، فاشيًا ممتدًا، يقال: استطار الصبح إذا امتد وانتشر. قال مقاتل: كان شره فاشيًا في السموات: فانشقَّت وتناثرت الكواكب، وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة، وفي الأرض: فنسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء.

[٨] ﴿وَيُطْمَوْنَ الْطَغَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾، أي على حب الطعام وقلته وشهوتهم له وحاجتهم إليه. وقيل:

على حب الله، ﴿مُسْكِنًا﴾، فقيرا لا مال له، ﴿وَيَسِيرًا﴾، صغيرًا لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾، قال مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء: هو المسجون من أهل القبلة. وقال قتادة: أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك. وقيل: الأسير المملوك. وقيل المرأة، يقول النبي ﷺ: «اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان»^(١) أي أسراء.

[٩] ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لِرَبِّهِ اللَّهِ لَا تُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾، والشكور مصدر كالعقود والدخول والخروج. قال مجاهد وسعيد بن جبير: إنهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم، فأنسى عليهم.

[١٠] ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾، تعبس فيه الوجه من هوله وشدته، ونسب العبوس إلى اليوم، كما يقال: يوم صائم وليل نائم. وقيل: وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة، ﴿قَطَرِيرًا﴾، قال قتادة ومجاهد ومقاتل: القمطير الذي يقبض الوجه والجباه بالتعبس. وقال الكلبي: العبوس الذي لا انبساط فيه، والقمطير: الشديد، قال الأخفش: القمطير: أشد ما يكون من الأيام وأطول في البلاء، يقال: يوم قمطير وقماطر إذا كان شديدًا تريها.

[١١] ﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ﴾، الذي يخافون، ﴿وَلَقَّعَهُمْ نَصْرَةً﴾، حسنًا في وجوههم، ﴿وَسُرُورًا﴾، في قلوبهم.

[١٢] ﴿وَبَرَّزَهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾، على طاعة الله واجتتاب معصيته، وقال الضحاك: على الفقر. وقال عطاء: على الجوع. ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾، قال

(١) قطعة من حديث أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ٢١٢/٣، والترمذي في أبواب الرضاع ٣٢٦/٤ وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه في النكاح برقم (١٨٥١) / ١. ٥٩٤.

الزنجبيل

٥٧٩

الزنجبيل

عَيْنَا يَتَرَّبُ عِبَادَ اللَّهِ يَفْجُرُوهَا تَفْجِيرًا ﴿١٦﴾ يُوفُونَ بِالْأَنْدَرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿١٧﴾ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَشِيئَتِهِمْ
وَيَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ الْيُسْرَى ﴿١٨﴾ إِنَّمَا نُنْطِغُكُمْ لِرُوحِ اللَّهِ لَئِنْ رُبِمُكُمْ بِجَزَاءٍ وَلَا شُكُورًا
﴿١٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿٢٠﴾ فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرُّ ذَلِكَ
الْيَوْمِ وَلَقَدْ هَمَمْنَا أَنْ نَمُوتَهُمْ بِمَا صَبَرُوا وَجَنَّةٍ وَحَرِيرًا
﴿٢١﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شُمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿٢٢﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ أَقْطُفُهَا نَذِيرًا ﴿٢٣﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ
مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿٢٤﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿٢٥﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿٢٦﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴿٢٧﴾
﴿٢٨﴾ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا
﴿٢٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٣٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ
خُضْرٌ وَسَبْغٌ وَهَلُوحٌ أَسْوَدٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٣١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٣٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٣٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَقْطَعْ
مِنْهُمْ أَيْمَانًا أَوْ كُفُورًا ﴿٣٤﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٣٥﴾

حديقة الجرية. قال أبو العالية ومقاتل بن حيان: سميت سلسيلاً لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم، تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان، وشراب الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك. قال الزجاج: سميت سلسيلاً لأنها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق، ومعنى قوله: (تسمى) أي توصف لأن أكثر العلماء على أن سلسيلاً صفة لا اسم.

﴿١٩﴾ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا، قال عطاء: يريد في بياض اللؤلؤ وحسنه، واللؤلؤ إذا نثر من الخيط على البساط، كان أحسن منه منظوماً. وقال أهل المعاني: إنما شبهوا بالمشثور لانتشارهم في الخدمة، فلو كانوا صفًا لشبهوا بالمنظوم.

﴿٢٠﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرًا، أي إذا رأيت ببصرك

الحسن: أدخلهم الله الجنة والبسم الحرير.

﴿١٣﴾ ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ نصب على الحال، ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، السرر في الحجال، ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعا، ﴿لَا يَرُونَ فِيهَا شُمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾، أي صيفًا ولا شتاءً. قال مقاتل: يعني شمسًا يؤذيهم حرها ولا زمهريًا يؤذيهم برده، لأنهما يؤذيان في الدنيا. والزمهري: البرد الشديد. ﴿١٤﴾ ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾، أي قريبة منهم ظلال أشجارها، ونصب (دانية) بالعطف على قوله: (مُتَّكِئِينَ)، وقيل: على موضع قوله: (لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريًا) ويرون (دانية)، وقيل: على المدح. ﴿وَذُلَّتْ﴾، سُخِّرَتْ وَفُتِرَتْ، ﴿فُقُوتُهَا﴾، ثمارها، ﴿نَذِيرًا﴾، يأكلون من ثمارها قيامًا وقعودًا ومضطجعين، ويتناولونها كيف شاؤوا على أي حال كانوا.

﴿١٥، ١٦﴾ ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ، قال المفسرون: أراد بياض الفضة في صفاء القوارير، فهي من فضة في صفاء الزجاج، يرى ما في داخلها من خارجها، ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾، قدروا الكأس على قَدَرِ رِيْهِمْ لا يزيد ولا ينقص، أي قدرها لهم السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها ثم يسقون.

﴿١٧﴾ ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾، يشوق ويطرب، والزنجبيل: مما كانت العرب تستطيه جدًا، فوعدهم الله تعالى أنهم يسقون في الجنة الكأس المزوجة بزنجبيل الجنة. قال مقاتل: لا يشبه زنجبيل الدنيا. قال ابن عباس: كل ما ذكره الله في القرآن مما في الجنة وسماء ليس له في الدنيا مثل. وقيل: هو عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل. قال قتادة: يشربها المقربون صرفًا، ويمزج لسائر أهل الجنة.

﴿١٨﴾ ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾، قال قتادة: سلسة متقادة لهم يصرفونها حيث شاؤوا، قال مجاهد:

ونظرت به ثم يعني في الجنة، ﴿رَأَيْتَ نِعْمًا﴾، لا بوصف، ﴿وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾، وهو أن أدناهم منزلة ينظر إلى ملكه في مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه. قال مقاتل والكلبي: هو أن رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه إلا بإذنه. وقيل: ملكًا لا زوال له.

[٢١] ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ﴾، قرأ أهل المدينة وحزمة (عالِيهم) ساكنة الياء مكسورة الهاء، فيكون في موضع رفع بالابتداء، وخبره ثياب سندس، وقرأ الآخرون بنصب الياء وضم الهاء على الصفة، أي فوقهم، وهو نصب على الظرف، ثياب سندس ﴿خَضِرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، قيل: طاهرًا من الأقدار والإقذاء لم تدنسه الأيدي والأرجل كخمر الدنيا. وقال أبو قلابة وإبراهيم: إنه لا يصير بولًا نجسًا ولكنه يصير رشحًا في أبدانهم، كريح المسك، وذلك أنهم يؤتون بالطعام فيأكلون، فإذا كان آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور، فيشربون فتطهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحًا يخرج من جلودهم أطيب من المسك الإذفر، وتضمير بطونهم وتعود شهوتهم. وقال مقاتل: هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد.

[٢٢] ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾، أي ما وصف من نعيم الجنة كان لكم جزاء بأعمالكم، وكان سعيكم عملكم في الدنيا بطاعة الله مشكورًا، قال عطاء: شكرتكم عليه وأثبتكم أفضل الثواب.

[٢٣] قوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾، قال ابن عباس: متفرقًا آية بعد آية، ولم ينزل جملة واحدة.

[٢٤] ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مَنْهُمْ﴾، يعني من مشركي مكة، ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾، يعني وكفورًا، والألف صلة.

سُورَةُ الْاِنْسَانِ

٥٨٠

سُورَةُ الْاِنْسَانِ

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٣٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَجُحُودٌ الْعَاجِلَةِ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا ﴿٣٧﴾ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْنَهُمْ تَبَدِيلًا ﴿٣٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٣٩﴾ وَمَا نَشَاءُ وَلَا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِي وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٤١﴾

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَصْفَتُ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشْرِتُ شَرْكًا ﴿٣﴾ فَالْفَرَقَتُ فَرَقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَتُ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عِذْرًا أَوْ ذَنْدَرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفْعٍ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَزْدَرِكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَنْهَكَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَنْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

[٢٥، ٢٦] قوله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، يعني صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾، يعني التطوع بعد المكتوبة.

[٢٧] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾، يعني كفار مكة ﴿يُحْبُونَ الْعَاجِلَةَ﴾، أي الدار العاجلة وهي الدنيا. ﴿وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾، يعني أمامهم، ﴿يَوْمًا نَقِيلًا﴾، شديدًا وهو يوم القيامة. أي يتركون فلا يؤمنون به ولا يعملون له.

[٢٨] ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا﴾، قوينا وأحكمنا، ﴿أَسْرَهُمْ﴾، قال مجاهد وقتادة ومقاتل: أسرهم أي خلقهم، يقال رجل حسن الأسر أي الخلق، وقال الحسن: يعني أوصالهم شددنا بعضها إلى بعض بالعروق والعصب. وروي عن مجاهد في تفسير الأسر قال: الفرج يعني موضع مصرفي البول

[٥] ﴿فَالْمَلَكُوتِ ذِكْرًا﴾، يعني الملائكة تلقي الذكر إلى الأنبياء، نظيرها: (يلقي الروح من أمره).
 [٦] ﴿عَذْرًا أَوْ تَذَرًا﴾، أي للإعذار والإنذار.
 [٧] ﴿إِن مَّا تُوعِدُونَ﴾، من أمر الساعة والبعث، ﴿لَوْعًا﴾، لكائن ثم ذكر متى يقع.
 [٨] فقال: ﴿فَإِذَا الْجُوشُومُ طُمِسَتْ﴾، محي نورها.
 [٩] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُجِّرَتْ﴾، شقت.
 [١٠] فقال: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ﴾، قلعت من أماكنها.

[١١] ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَّتْ﴾ جمعت لميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم.
 [١٢] ﴿لَأَيَّ يَوْمٍ أُخِلَّتْ﴾، أي أخرت، وضرب الأجل لجمعهم فعجب العباد من ذلك اليوم.
 [١٣] ثم بين فقال: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾، قال ابن عباس: يوم فصل الرحمن بين الخلائق.

[١٤-١٦] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هَ أَزْ تُنْهَكُ الْأَوَّلِينَ، يعني الأمم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم.
 [١٧] ﴿ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ﴾، السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب، يعني كفار مكة بتكذيبهم محمدًا ﷺ.

[١٨-٢٠] ﴿كَذَلِكَ نَفْعُ الْإِجْرِمِينَ﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هَ أَلَمْ تَخْلُقْهُ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ، يعني النطفة.
 [٢١] ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾، يعني الرحم.
 [٢٢] ﴿إِنْ قَدَرُ مَعْلُومٍ﴾، وهو وقت الولادة.
 [٢٣] ﴿فَقَدَرْنَا﴾، قرأ أهل المدينة والكسائي (فقدَرنا) بالتشديد من التقدير، وقرأ الآخرون: بالتخفيف من القدرة، لقوله: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾، وقيل: معناهما واحد، وقوله: (فنعمة القادرون) أي المقدرون.

[٢٤، ٢٥] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ هَ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِنَانًا، وعاء، ومعنى الكُفْتُ: الضم والجمع، يقال: كفت الشيء إذا ضمه وجمعه. وقال الفراء:

والغائط إذا خرج الأذى انقبضا. ﴿وَإِذَا شِتْنَا بَدَلْنَا﴾ أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا، أي إذا شتينا أهلكتناهم وأتينا بأشباههم فجعلناهم بدلًا منهم.
 [٢٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾، يعني هذه السورة، ﴿تَذَكُّرٌ﴾، تذكير وعظة، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾، وسيلة للطاعة.

[٣٠، ٣١] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي لستم تشاؤون إلا بمشيئة الله عز وجل، لأن الأمر إليه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ٥ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ، أي المشركين. ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

(٧٧) سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

[١] ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾، يعني الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس. وقيل: عرفًا أي كثيرًا، تقول العرب: الناس إلى فلان عرف واحد، إذا توجهوا إليه فأكثروا، هذا معنى قول مجاهد وقادة، قال مقاتل: يعني الملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه، وهي رواية مسروق عن ابن مسعود.
 [٢] ﴿فَالْعَصْفَتِ عَصَا﴾، يعني الرياح الشديدة الهبوب.

[٣] ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾، يعني الرياح اللينة. وقال الحسن: هي الرياح التي يرسلها الله بشرًا بين يدي رحمته. وقيل: هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر. وقال مقاتل: هم الملائكة ينشرون الكتب.

[٤] ﴿فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا﴾، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: يعني الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل. وقال قتادة والحسن: هي آي القرآن تفرق بين الحلال والحرام. وروي عن مجاهد قال: هي الرياح تفرق السحاب وتبدده.

يريد تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتاً في بطنها، أي تحوزهم.

[٢٧، ٢٦] وهو قوله: ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا فِيهَا رُؤُوسًا ۖ جِبَالًا شَمَخَاتٍ ۖ عَالِيَاتٍ ۖ وَأَسْفَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ۖ عَذَابًا ۖ﴾.

[٢٨] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ﴾ قال مقاتل: وهذا كله أعجب من البعث الذي تكذبون به، ثم أخبر أنه يقال لهم يوم القيامة:

[٢٩] ﴿أُطْلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۖ﴾ في الدنيا.

[٣٠] ﴿أُطْلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۖ﴾ يعني دخان جهنم إذا ارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق. وقيل: يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث: نور ودخان ولهب، فأما النور فيقف على رؤوس المؤمنين، والدخان يقف على رؤوس المنافقين، واللهب الصافي يقف على رؤوس الكافرين.

[٣١] ثم وصف ذلك الظل فقال: ﴿لَا ظِلِّلٌ ۖ يَظِلُّ مِنَ الْحَرِّ ۖ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهِبِ ۖ﴾ قال الكلبي: لا يرد لهب جهنم عنكم، والمعنى أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللهب.

[٣٢] ﴿إِنَّمَا ۖ﴾ يعني جهنم، ﴿تَرْمِي بِشَكْرِ ۖ﴾ وهو ما تطاير من النار، واحدها شررة. ﴿كَالْقَصْرِ ۖ﴾ وهو البناء العظيم، قال ابن مسعود: يعني الحصون. وقال عبد الرحمن بن عباس عن قوله: ﴿إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ﴾ قال: هي الخشب العظام المقطعة.

[٣٣] ﴿كَأَنَّهُ ۖ﴾ رد الكناية إلى اللفظ، ﴿جَمَلَتْ ۖ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص (جمالة) على جمع الجمل مثل حجر وحجارة، وقرأ يعقوب بضم الجيم بلا ألف، أراد الأشياء العظام المجموعة، وقرأ الآخرون (جمالات) بالألف وكسر الجيم على جمع الجمال، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير: هي حبال السفن يجمع بعضها إلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٧﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢٨﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٩﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ﴿٣٠﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣١﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٣٢﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رُؤُوسًا شَمَخَاتٍ وَأَسْفَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٣٤﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ أُنْطِلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٣٦﴾ أُنْطِلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٧﴾ لَا ظِلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهِبِ ﴿٣٨﴾ إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ﴿٣٩﴾ كَأَنَّهُ جَمَلَتْ صَفْرًا ﴿٤٠﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤١﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٤٣﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٤﴾ هَذَا يَوْمٌ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٤٥﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمُ كَيْدٌ فَيَكِيدُونَ ﴿٤٦﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ إِنَّكَ لَكُلِّ تَجْرَى الْحُسَيْنِ ﴿٤٨﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ كَلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا كَذَّبْنَا بِكُمُ الْيَوْمَ الْفَصْلَ ﴿٥١﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٢﴾ كَلُّوا وَتَمَنَعُوا أَفْلَاحًا إِنَّكُمْ تَجْرُمُونَ ﴿٥٣﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْجِعُوا لَا يَرْجِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٧﴾

بعض، حتى يكون كأوساط الرجال، ﴿صَفْرًا﴾، جمع الأصفر، يعني لون النار، وقيل: الصفر معناه السود لأنه جاء في الحديث: إن شر نار جهنم أسود كالقير، والعرب تسمي سود الإبل صفرًا لأنه يشوب سوادها شيء من صفرة كما يقال لبيض الطباء: آدم؛ لأن بياضها يعلوه كدره.

[٣٥، ٣٤] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ۖ﴾ أي في القيامة لأن فيها مواقف، ففي بعضها يختصمون ويتكلمون، وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون.

[٣٦] ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۖ﴾ قال الجنيد: أي لا عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه. [٣٨، ٣٧] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ﴾ بين أهل الجنة والنار، ﴿جَمَعْتُمْكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۖ﴾ يعني مكذبي هذه الأمة والأولين الذين كانوا أنبياءهم.

[٣٩] ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِدُونُ﴾، قال مقاتل: إن كانت لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم.

[٤٠، ٤١] ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظُلُلٍ﴾، جمع ظل أي في ظلال الشجر، ﴿وَعُيُونٍ﴾، الماء.

[٤٢] ﴿وَفُورِكَهٖ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾.

[٤٣] ويقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هِنًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، في الدنيا بطاعتي.

[٤٤، ٤٥] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٤٦] ثم قال لكفار مكة: ﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا فِيلًا﴾، في الدنيا، ﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾، مشركون بالله عز وجل مستحقون للعذاب.

[٤٧-٤٨] ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾، يعني صلوا، ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾، لا يصلون، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون.

[٤٩، ٥٠] ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ فَإِنِّي حَدِيثٌ قَدِيمٌ﴾، أي بعد القرآن، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، إذا لم يؤمنوا به.

(٧٨) سُورَةُ النَّبَا

[١] ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، أي عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون، وذلك أن النبي ﷺ لما دعاهم إلى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت، وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون: ماذا جاء به محمد ﷺ.

[٢] ثم ذكر أن تساؤلهم عماذا فقال: ﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾، قال مجاهد والأكثر: هو القرآن، دليله قوله: (قل هو نبأ عظيم)، وقال قتادة: هو البعث.

[٣، ٤] ﴿الَّذِي هُوَ فِيهِ تُخْتَلَفُونَ﴾، فمصدق

سُورَةُ النَّبَاِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُخْتَلَفُونَ ﴿٣﴾
 كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾
 وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ سُبُلًا ﴿٩﴾
 وَجَعَلْنَا الْآيِلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾
 إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتٍ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَنَابِتًا ﴿٢٢﴾ لِيُثْبِتْنَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَدْخُلُونُ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا أَحْمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاءً ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

ومكذب، ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾، كلا نفي يقول: هم سيعلمون عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الأمور.

[٥] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾، وعيد لهم على إثر وعيد. ثم ذكر صنائعه ليعلموا توحيده.

[٦] فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾، فراشا.

[٧] ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾، للأرض حتى لا تميد.

[٨] ﴿وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا﴾، أصنافا ذكورا وإناثا.

[٩] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ سُبُلًا﴾، أي راحة لأبدانكم.

[١٠] ﴿وَجَعَلْنَا الْآيِلَ لِبَاسًا﴾، غطاء وغشاء يستر كل شيء بظلمته.

[١١] ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾، المعاش: العيش

وكل ما يعاش فيه فهو معاش، أي جعلنا منها سببا للمعاش والتصرف في المصالح.

[١٢] ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾، يريد سبع سموات.

[١٣] ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾، يريد سبع سموات.

[١٤] ﴿لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾، يريد سبع سموات.

[١٥] ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾، يريد سبع سموات.

فيها أحقاباً) فوالله ما هو إلا إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر إلى الأبد، فليس للأحقاب عدة إلا الخلود.

[٢٤] ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾، قال الحسن وعطاء: لا يذوقون فيها برداً أي روحاً وراحة. قال مقاتل: لا يذوقون فيها برداً ينفعهم من حر ولا شراباً ينفعهم من عطش.

[٢٥] ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾، الغساق: الزمهرير يحرقهم ببرده. وقيل: صديد أهل النار.

[٢٦] ﴿جَزَاءً وَفَاءً﴾، أي جازيناهم جزاء وافق أعمالهم.

[٢٧] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾، لا يخافون أن يحاسبوا، والمعنى: أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم يحاسبون.

[٢٨] ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، أي بما جاء به الأنبياء، ﴿كَذَّابًا﴾، يعني تكذيباً.

[٢٩] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾، أي وكل شيء من الأعمال بيناه في اللوح المحفوظ.

[٣٠] ﴿فَذُوقُوا﴾، أي يقال لهم فذوقوا، ﴿فَلَنَزِيدَنَّكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

[٣١] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾، فوز ونجاة من النار، وقال الضحاك: متزهاً.

[٣٢] ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾، يريد أشجار الجنة وثمارها.

[٣٣] ﴿وَكُوَاعِبَ﴾، جوارى نواهد قد تكعبت ثديهن، واحدها كاعب، ﴿أَرْبَابًا﴾، مستويات في السن.

[٣٤] ﴿وَكُأْسًا وَهَافًا﴾، قال ابن عباس والحسن: مترعة مملوءة. وقال سعيد بن جبير ومجاهد: متتابعة. قال عكرمة: صافية.

[٣٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً﴾، باطلاً من الكلام، ﴿وَلَا كَذَبًا﴾، تكذيباً، لا يكذب بعضهم بعضاً.

[١٣] ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾، يعني الشمس، ﴿وَهَاجًا﴾، مضيئاً منيراً.

[١٤] ﴿وَأَرْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾، يعني الرياح التي تعصر السحاب، وقال أبو العالية: المعصرات هي السحاب، ﴿مَاءً ثَجَاجًا﴾، أي صباباً. وقال قتادة: متتابعاً يتلو بعضه بعضاً.

[١٥] ﴿لَنُخْرِجَنَّهُ﴾، أي بذلك الماء، ﴿حَبًّا﴾، وهو ما يأكله الناس، ﴿وَنَبَاتًا﴾، ما تنبت الأرض مما تأكله الأنعام.

[١٦] ﴿وَجَنَّتِ الْأَفَاقُ﴾، ملتفة بالشجر.

[١٧] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾، يوم القضاء بين الخلق، ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾، لما وعد الله من الثواب والعقاب.

[١٨] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، زمراً زمراً من كل مكان للحساب.

[١٩] ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾، أي شفت لنزول الملائكة، ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾، أي ذات أبواب. وقيل: تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبواباً وطرقاً.

[٢٠] ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾، عن وجه الأرض، ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، أي هباءً منبثاً لعين الناظر كالسراب.

[٢١] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾، طريقاً وممرًا فلا سبيل لأحد إلى الجنة حتى يقطع النار. وقيل: كانت مرصاداً أي معدة لهم، وقيل: هو من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته، والمرصاد فيه العدو. وقوله: (إن جهنم كانت مرصاداً)، أي ترصد الكفار.

[٢٢] ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾، للكافرين، ﴿مَتَابًا﴾، مرجعاً يرجعون إليه.

[٢٣] ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، جمع حقب، والحقب الواحد: ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة. قال الحسن: إن الله لم يجعل لأهل النار مدة، بل قال: (لا يبين

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَارِجَ (٣٦) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٧) وَكَوَاعِبَ أَزْوَاجًا (٣٨) وَكَأْسًا
 دِهَاقًا (٣٩) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا (٤٠) - جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ
 حِسَابًا (٤١) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ
 مِنْهُ خِطَابًا (٤٢) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
 إِلَّا مَن أِذْنًا لَّهَ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٤٣) ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَن
 شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَكَابِئًا (٤٤) إِنَّا أَنذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
 يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ ثَرِيًّا (٤٥)

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا (١) وَالنَّشِيطَاتِ نَشَاطًا (٢) وَالسَّيِّحَاتِ سَبَّحًا (٣)
 فَالسَّيِّغَاتِ سَبَّحًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ (٦)
 تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَرُهَا
 خَشِيعَةٌ (٩) يَقُولُونَ إِنْ نَا لَمُرْدُودُونَ فِي الْخَافِرَةِ (١٠) إِنْ ذَا كُنَّا
 عِظَمًا مِّغْرَةً (١١) قَالُوا لَئِنْ كُنَّا لَكُرَّةَ خَاسِرَةٍ (١٢) فَلِئَظْمَاهِ زَجْرَةٌ
 وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥)

[٢] ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشَاطًا﴾، هي الملائكة تنشط نفس المؤمن، أي تحل حلاً رقيقاً فتقبضها، كما ينشط العقال من يد البعير، أي يحل برفق.

[٣] ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبَّحًا﴾، هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلمونها سلاً رقيقاً، ثم يدعونها حتى تستريح كالسباح بالشيء في الماء يرفق به.

وقال قتادة: هي النجوم والشمس والقمر، قال الله تعالى: (وكل في فلك يسبحون)، وقال عطاء: هي السفن.

[٤] ﴿فَالسَّيِّغَاتِ سَبَّحًا﴾، قال مجاهد: هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح.

وقال مقاتل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. وقال قتادة: هي النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير. وقال عطاء: هي الخيل.

[٥] ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾، قال ابن عباس: هم

[٣٦] ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾، أي جازاهم جزاءً وأعطاهم عطاءً حساباً أي كافياً وافياً، يقال: أحسبت فلاناً أي أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي.

[٣٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾، قال مقاتل: لا يقدر الخلق على أن يكلموا الرب إلا بإذنه. وقال الكلبي: لا يملكون شفاعاً إلا بإذنه.

[٣٨] ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾، أي في ذلك اليوم، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾، واختلفوا في هذا الروح، قال الشعبي والضحاك: هو جبريل. وقال عطاء عن ابن عباس: الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقاً أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام وحده صفّاً وقامت الملائكة كلهم صفّاً واحداً، وقال مجاهد وقتادة وأبو صالح: الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفّاً والملائكة صفّاً، وقال الحسن: هم بنو آدم، ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَن أِذْنًا لَّهَ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، في الدنيا، أي حقاً وقيل: قال: لا إله إلا الله.

[٣٩] ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ﴾، الكائن الواقع يعني يوم القيامة، ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَكَابِئًا﴾، مرجعاً وسبيلاً بطاعته، أي فمن شاء رجع إلى الله بطاعته.

[٤٠] ﴿إِنَّا أَنذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾، يعني العذاب في الآخرة، وكل ما هو آت قريب. ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، أي كل امرئ يرى في ذلك اليوم ما قدم من العمل مثبتاً في صحيفته، ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ ثَرِيًّا﴾، يتمنى ذلك.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ (٧٩)

[١] ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا﴾، يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم، كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد، والمراد بالإغراق: المبالغة في المد.

الملائكة وُكِّلُوا بأمور عرفهم الله عزَّ وجلَّ العمل بها.

وجواب هذه الأقسام محذوف على تقديره: لتبعن ولتحاسبن. وقيل: جوابه قوله: إن في ذلك لَعبرة لمن يخشى. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: يوم ترتجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقاً.

[٦] قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾، يعني النفخة الأولى يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ويموت منها جميع الخلق.

[٧] ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾، وهي النفخة الثانية ردت الأولى وبينهما أربعون سنة. قال قتادة: هما صيحتان فالأولى تमित كل شيء والأخرى تحيي كل شيء بإذن الله عزَّ وجلَّ. وقال مجاهد: وأصل الرجفة: الصوت والحركة.

[٨] ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾، خائفة قلقة مضطربة.

[٩] ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾، ذليلة كقوله: (خاشعين من الذل) الآية.

[١٠] ﴿يَقُولُونَ﴾، يعني المنكرين للبعث إذا قيل لهم: إنكم مبعوثون من بعد الموت: ﴿أَوَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ؟﴾ أي إلى أول الحال وابتداء الأمر فنصير أحياء بعد الموت كما كنا.

[١١] ﴿أَوَإِذَا كُنَّا عِظْمًا تَحَرُّرَةً﴾ بالية.

[١٢] ﴿قَالُوا﴾، يعني المنكرين، ﴿تِلْكَ إِذَا كَرُّهُ خَاسِرَةٌ﴾، رجعة خائبة، يعني إن رددنا بعد الموت لنخسر بما يصيبنا بعد الموت.

[١٣] قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾، يعني النفخة الأخيرة، ﴿نَجْوَةٌ﴾، صيحة، ﴿وَحِدَةٌ﴾، يسمعونها.

[١٤] ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾، يعني وجه الأرض أي صاروا على وجه الأرض بعد ما كانوا في جوفها.

[١٥] قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾، يقول قد جاءك يا محمد حديث موسى.

سورة النازعات

٥٨٤

سورة النازعات

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ يَا لَوْلَا الْمَقَدِّسُ طُوى ﴿٦﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبَ ﴿٨﴾ وَاهْدِيكَ إِلَىٰ رِيكِ فَتَخْشَى ﴿٩﴾ فَارْتُلْ آيَةَ الْكُبْرَى ﴿١٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿١١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَى ﴿١٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿١٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿١٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿١٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿١٦﴾ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ حَقًّا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿١٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿١٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿١٩﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٢٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٢١﴾ وَالْجِبَالُ أَوْسَاهَا ﴿٢٢﴾ مَنَّاعٌ لِّكُرٍّ لَا تَعْلَمُهُمْ ﴿٢٣﴾ إِذَا جَاءَ بِطَائَمَتُهُ الْكُبْرَى ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يَنْدُكِرُ الْإِنْسَانُ مَأْسَى ﴿٢٥﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴿٢٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٢٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٢٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣١﴾ يَسْتَخْلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّامَ مَرْسَهَا ﴿٣٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرِنَهَا ﴿٣٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَهَا ﴿٣٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّن يَخْشَى ﴿٣٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُؤْتَاهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا لَعْنَةً وَأُخْصِلَهَا ﴿٣٦﴾

سورة النازعات

[١٦] ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ يَا لَوْلَا الْمَقَدِّسُ طُوى﴾.

[١٧] فقال يا موسى: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾، علا وتكبر وكفر بالله.

[١٨] ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبَ﴾، قرأ أهل الحجاز ويعقوب بتشديد الزاي: أي تتركى وتتطهر من الشرك، وقرأ الآخرون بالتخفيف أي تسلم وتصلح، قال ابن عباس: تشهد أن لا إله إلا الله.

[١٩] ﴿وَاهْدِيكَ إِلَىٰ رِيكِ فَتَخْشَى﴾، أي أدعوك إلى عبادة ربك وتوحيده فتخشى عقابه.

[٢٠] ﴿فَارْتُلْ آيَةَ الْكُبْرَى﴾، وهي العصا واليد البيضاء.

[٢١] ﴿فَكَذَّبَ﴾، بأنهما من الله ﴿وَعَصَى﴾.

[٢٢] ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾، تولى وأعرض عن الإيمان ﴿يَسْعَى﴾، يعمل بالفساد في الأرض.

[٢٣] ﴿فَحَشَرَ﴾، فجمع قومه وجنوده،

﴿فَكَادَى﴾، لما اجتمعوا. [٢٤] ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، فلا رب فوقى. وقيل: أراد أن الأصنام أرباب وأنا ربكم وربها. [٢٥] ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾، أي في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار. [٢٦] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى، ﴿لَعِبْرَةً﴾، عظة، ﴿لِمَن يَخْشَى﴾، الله عز وجل.

[٢٧] ثم خاطب منكري البعث فقال: ﴿أَنُتُمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ﴾، يعني أخلقكم بعد الموت أشد عندكم وفي تقديركم أم السماء؟ وهما في قدرة الله واحد، ثم وصف من خلق السماء فقال: ﴿بَنَاهَا﴾. [٢٨] ﴿رَفَعَ سَكَكَهَا﴾، سقفها ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾، بلا شقوق ولا فطور.

[٢٩] ﴿وَأَغْطَشَ﴾، أظلم، ﴿لَيْلَهَا﴾، والغطش والغبش الظلمة، ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾، أبرز وأظهر نهارها ونورها، وأضافهما إلى السماء لأن الظلمة والنور كلاهما ينزل من السماء. [٣٠] ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾، بعد خلق السماء، ﴿دَحْنَهَا﴾، بسطها، والدحو: البسط.

[٣١-٣٤] ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۝ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۝ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۝ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾، يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقامت القيامة، وسميت القيامة طامة لأنها تطم على كل هائلة من الأمور فتعلو فوقها وتغمر ما سواها، والطامة عند العرب: الداهية التي لا تستطاع. [٣٥] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾، ما عمل في الدنيا من خير وشر.

[٣٦] ﴿وَوُزِّرَتْ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾، قال مقاتل: يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق. [٣٧] ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى﴾، في كفره. [٣٨] ﴿وَوَازَرَ الْجَنَّةَ الدُّنْيَا﴾، على الآخرة. [٣٩، ٤٠] ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۝ وَأَمَّا مَن حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾، عن المحارم التي تشتهيها.

[٤١، ٤٢] ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ۝ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾، متى ظهورها وثبوتها. [٤٣] ﴿فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرِنَا﴾، لست في شيء من علمها وذكرها، أي لا تعلمها. [٤٤] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا﴾، أي منتهى علمها عند الله. [٤٥] ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا﴾، أي إنما ينفع إنذارك من يخافها. [٤٦] ﴿كَأَنَّهُمْ﴾، يعني كفار قريش، ﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾، يعاينون يوم القيامة، ﴿لَّزَّ يَلْبِثُوا﴾، في الدنيا وقيل: في قبورهم، ﴿إِلَّا عِشَّةً أَوْ ضَحُوتًا﴾، معناه آخر يوم أو أوله.

(٨٠) سُورَةُ عَبَسَ

[١] ﴿عَبَسَ﴾، كبح، ﴿وَتَوَلَّى﴾، أعرض بوجهه. [٢] ﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾، وهو ابن أم مكتوم واسمه عبدالله بن شريح الفهري، وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ، وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب وأبي بن خلف، وأخاه أمية يدعوهم إلى الله، يرجو إسلامهم، فقال ابن أم مكتوم: يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله، فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأنزل الله هذه الآية، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه قال: «مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي»^(١).

(١) أنظر أسباب النزول للواحدي ص ٥١٧، وقال ابن حجر في الكافي الشافعي ص ١٨١: «ذكره الثعلبي بلا إسناد، وأخرج ابن أبي حاتم من رواية العوفي عن ابن عباس نحوه، وذكره الطبري من رواية سعيد عن قتادة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يَبْرَأُ ۚ (٣) أَوْ يَذْكُرُ فَنُفَعُهُ ۖ (٤) أَلَمْ يَسْتَعِذَّ ۚ (٥) فَأَنْتَ لَمُخَصَّدِي ۚ (٦) وَمَا عَلَيْكَ الْأَلْبُرُكُ ۚ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ (٨) وَهُوَ يَخْشَى ۚ (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۚ (١٠) كَلَّا إِنَّمَا تَذْكُرُ ۚ (١١) فَمِنْ شَأْنِ ذِكْرِهِ ۚ (١٢) فِي ضَعْفٍ مُكْرَمٍ ۚ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۚ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۚ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۚ (١٦) قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ۚ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ (١٨) مِنْ نُفْطَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۚ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۚ (٢٠) ثُمَّ أَمَانَةً فَآفَقَرَهُ ۚ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ۚ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ۚ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ (٢٤) أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۚ (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۚ (٢٦) فَأَبْنَيْنَا فِيهَا جَبًّا ۚ (٢٧) وَعَبْنَا وَفَضًّا ۚ (٢٨) وَزَيَّنَّاهَا وَمَا أَفْضَلُ ۚ (٢٩) وَحَدَّائِنَا عَلَيْهَا ۚ (٣٠) وَفَلَكُهَا وَابًّا ۚ (٣١) مَنَعْنَا كُرْمَهُ ۚ (٣٢) وَلَا نَعْمِكُمْ ۚ (٣٣) فَادْجَاءَتْ الصَّاخَةُ ۚ (٣٤) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ (٣٥) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۚ (٣٦) وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ ۚ (٣٧) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَذِ شَأْنٌ ۚ (٣٨) يُغْنِيهِ ۚ (٣٩) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ ۚ (٤٠) صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۚ (٤١) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۚ (٤٢) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۚ (٤٣) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرَةُ ۚ (٤٤)

[٣] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يَبْرَأُ﴾، يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك.

[٤] ﴿أَوْ يَذْكُرُ﴾، يتعظ، ﴿فَنُفَعُهُ الذِّكْرُ﴾، الموعظة.

[٥] ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعِذَّ﴾، قال ابن عباس: عن الله وعن الإيمان بما له من المال.

[٦] ﴿فَأَنْتَ لَمْ تَصْدَقْ﴾، تتعرض له وتقبل عليه وتصغي إلى كلامه.

[٧] ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾، ألا يؤمن ولا يهتدي، إن عليك إلا البلاغ.

[٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾، يمشي يعني ابن أم مكتوم.

[٩] ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾، الله عز وجل.

[١٠] ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾، تشاغل وتعرض عنه.

[١١] ﴿كَلَّا﴾، زجر أي لا تفعل بعدها مثلها، ﴿إِنَّهَا﴾، يعني هذه الموعظة ﴿تَذْكُرُ﴾، موعظة وتذكير للخلق.

[١٢] ﴿فَمِنْ شَأْنِ﴾، من عباد الله ﴿ذِكْرُهُ﴾، أي اتعظ به.

ثم أخبر عن جلالته عنده فقال:

[١٣] ﴿فِي ضَعْفٍ مُكْرَمٍ﴾، يعني اللوح المحفوظ.

وقيل: كتب الأنبياء، دليله قوله تعالى: (إن هذا لفي الصحف الأولى ○ صحف إبراهيم وموسى).

[١٤] ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾، رفعة القدر عند الله عز وجل.

وقيل: مرفوعة يعني في السماء السابعة. ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾، لا يمسها إلا المطهرون، وهم الملائكة.

[١٥] ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾، قال ابن عباس ومجاهد:

كتبة، وهم الملائكة الكرام الكاتبون، وقال الآخرون: هم الرسل من الملائكة واحدهم سفير، وهو الرسول، وسفير القوم الذي يسعى بينهم بالصلح.

[١٦] ثم أثنى عليهم فقال: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾، أي

كرام على الله بررة مطيعين جمع بار.

[١٧] قوله عز وجل: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ﴾، أي لعن

الكافر ﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾، ما أشد كفره مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده، على طريق التعجب.

ثم بين من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم أن الله خالقه.

[١٨] فقال: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾، لفظه استفهام ومعناه التقرير.

[١٩] ثم فسره فقال: ﴿مِنْ نُّفْطَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾،

أطوارًا: نطفة ثم علقه إلى آخر خلقه.

[٢٠] ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾، أي طريق خروجه من

بطن أمه، وقال الحسن ومجاهد: يعني طريق الحق والباطل سهل له العلم به، وقيل: يسر على كل

أحد ما خلقه له وقدر عليه.

[٢١] ﴿ثُمَّ أَمَانَةً فَآفَقَرَهُ﴾، جعل له قبرًا يوارى فيه.

[٣٩] ﴿صَاحِكَةً﴾ ، بالسرور ، ﴿مُسْتَبْشِرَةً﴾ ، فرحة

بما نالت من كرامة الله عز وجل .

[٤٠] ﴿وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ ، سواد وكآبة مما

يشاهدونه من الغم والهم .

[٤١] ﴿رَهَقَهَا فَزْرَةٌ﴾ ، تعلوها وتغشاها ظلمة

وكسوف .

[٤٢] ﴿أُولَئِكَ﴾ ، الذين يصنع بهم هذا ، ﴿هُمْ

الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ﴾ ، جمع الكافر والفاجر .

(٨١) سُورَةُ التَّكْوِيرِ

[١] ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أصل التكوير جمع

بعض الشيء إلى بعض ، فمعناه أن الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف ، فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها .

[٢] ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ ، أي تناثرت من

السماء وتساقت .

[٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ، على وجه الأرض

فصارت هباءً منبثًا .

[٤] ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ ، وهي النوق الحوامل

التي أتى على حملها عشرة أشهر ، واحداثها عشراء لما جاءهم من أهوال يوم القيامة .

[٥] ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ﴾ ، يعني دواب البر ،

﴿حُثِرَتْ﴾ ، جمعت بعد البعث ليقترض لبعضها من بعض .

[٦، ٧] ﴿وَإِذَا الْيَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ، قال ابن عباس:

أوقدت فصارت نارًا تضطرم . وقال مجاهد

ومقاتل: يعني فجر بعضها في بعض العذب

والمالح ، فصارت البحور كلها بحرًا واحدًا . وقيل:

صارت مياهها بحرًا واحدًا من الحميم لأهل النار .

وقال الحسن: يست . ﴿وَإِذَا الْنُفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ، يقرن

بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ،

ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار ،

[٢٢] ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرْنَاهُ﴾ ، أحياء بعد موته .

[٢٣] ﴿كَلَّا﴾ ، رد عليه أي ليس كما يقول ويظن

هذا الكافر ، ﴿لَمَّا يَقُضْ مَا أَمَرُوا﴾ ، أي لم يفعل ما

أمره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه ، ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر .

[٢٤] فقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ، كيف

قدره ربه ودبره له وجعله سببًا لحياته .

[٢٥] ثم بين فقال: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ ، يعني

المطر .

[٢٦] ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ ، بالنبات .

[٢٧] ﴿فَأَلْبَسْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ ، يعني الحبوب التي

يتغذى بها .

[٢٨] ﴿وَعَبًّا وَقَضْبًا﴾ ، وهو القث الرطب ، سمي

بذلك لأنه يقضب في كل الأيام أي يقطع .

[٢٩] ﴿وَزَيْتُونًا﴾ ، وهو ما يعصر منه الزيت ،

﴿وَنَخْلًا﴾ ، جمع نخلة .

[٣٠] ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ ، غلاظًا ، وقال مجاهد

ومقاتل: الغلب الشجر الملتفة بعضها في بعض .

[٣١] ﴿وَفِكَهَةً﴾ ، يريد ألوان الفواكه ، ﴿وَأَنَّا﴾ ،

يعني الكلاء والمرعى الذي لم يزرعه الناس ، مما

يأكله الأنعام والدواب . قال عكرمة: الفاكهة ما

يأكل الناس ، والأب ما يأكله الدواب .

[٣٢] ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ﴾ ، منفعة لكم يعني الفاكهة ،

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ ، يعني العشب .

[٣٣] ثم ذكر القيامة فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاطَةُ﴾ ،

يعني صيحة القيامة سميت بذلك لأنها تصخ

الأسماع أي تبلغ في أسماعها حتى تكاد تصمها .

[٣٤-٣٦] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَوَّلُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأَوَّلُهُ وَأَوَّلُهُ ۝

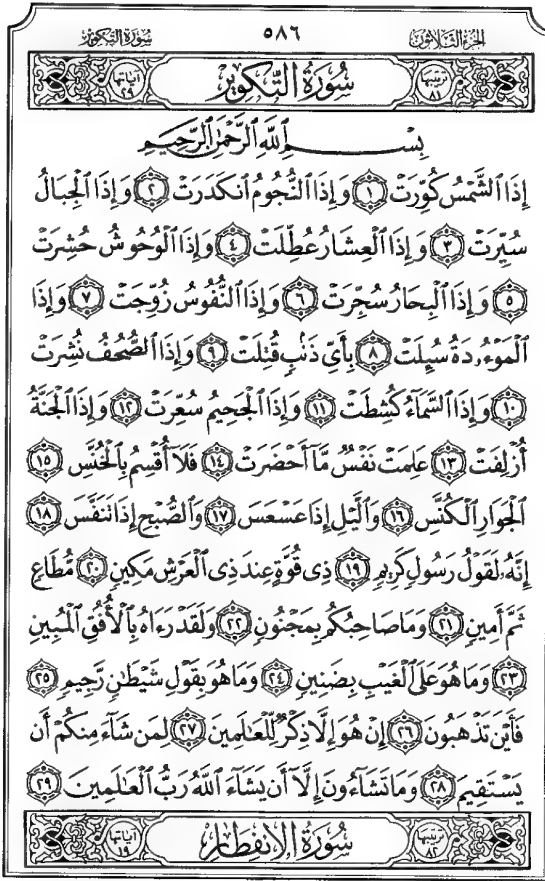
وَصَحْبُهُ وَنَبِيُّهُ﴾ ، لا يلتفت إلى واحد منهم لشغله

بنفسه .

[٣٧] ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ ، يشغله عن

شأن غيره .

[٣٨] ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ ، مشرقة مضيئة .



وهذا قول عكرمة. وقال الحسن وقتادة: ألحق كل امرئ بشيعته، اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني، وقال عطاء ومقاتل: زوجت نفوس المؤمنين بالبحور العين، وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين. وروي عن عكرمة قال: وإذا النفوس زوجت رُدتُّ الأرواح في الأجساد.

[٨] ﴿وَإِذَا الْمَوْتُ دَسَّيْتُ﴾، وهي الجارية المدفونة حية.

[٩] ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنها تقول: قُتِلْتُ بغير ذنب.

[١٠] ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾، يعني صحائف الأعمال تنتشر للحساب.

[١١] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾، قال الفراء: نزع فطويت. وقال الزجاج: قلعت كما يقلع السقف.

وقال مقاتل: تكشف عمن فيها. ومعنى الكشط رفعك شيئاً عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام.

[١٢] ﴿وَإِذَا الْجَبْعِيمُ سُعِرَتْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وحفص عن عاصم (سعرت) بالتشديد،

وقرأ الباقر بالتخفيف أي أوقدت لأعداء الله.

[١٣] ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾، قُرِبَتْ لأولياء الله.

[١٤] ﴿عَلِمَتْ﴾ عند ذلك كل ﴿نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾، من خير أو شر، وهذا جواب لقوله: (إذا الشمس كورت) وما بعدها.

[١٥، ١٦] قوله عز وجل: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنَسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾، معناه أقسم بالخنس، قال قتادة:

هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار، فتخفى فلا ترى، وقال ابن زيد: معنى الخنس أنها تخنس أي تتأخر عن مطالعها في كل عام تأخيراً تتأخره عن تعجيل ذلك الطلوع، تخنس عنه بتأخرها. والكنس أي تكنس بالنهار فلا ترى.

[١٧] ﴿وَالْأَيْلُ إِذَا عَسَّسَ﴾، قال الحسن: أقبل بظلامه. وقال الآخرون: أدبر: تقول العرب:

عسس الليل وسعسع إذا أدبر ولم يبق منه إلا اليسير.

[١٨] ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَّسَ﴾، أقبل وبدا أوله وقيل امتد ضوءه وارتفع.

[١٩] ﴿إِنَّهُ﴾، يعني القرآن، ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، يعني جبريل أي نزل به جبريل عن الله تعالى.

[٢٠] ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾، في المنزل.

[٢١] ﴿مُطَاعٍ تَمَّ أَمِينٍ﴾، أي في السموات طيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة إياه أنهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله ﷺ، وفتح خزانة الجنة أبوابها بقوله، (أمين) على وحي الله ورسالته إلى أنبيائه.

[٢٢] ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾، يقول لأهل مكة وما صاحبكم يعني محمداً ﷺ بمجنون. وهذا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ
وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا
كِنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الذِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا لَهُمْ عَنْهَا بِعَايِينَ ﴿١٦﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ ﴿١٨﴾
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا كَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ
مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

[٢] ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾، تساقطت.

[٣] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾، فجر بعضها في بعض،

واختلط العذب بالملح فصارت بحراً واحداً.

[٤] ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾، بحثت وقلب ترابها

وبيعث من فيها من الموتى أحياء.

[٥] ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، قيل: ما

قدمت من عمل صالح أو سيئ، وما أخرت من سنة

حسنة أو سيئة. وقيل: ما قدمت من الصدقات

وأخرت من التركات.

[٦] ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾، ما

خدعك وسوّل لك الباطل حتى أضعت ما وجب

عليك، والمعنى: ماذا أمنك من عقابه؟

[٧] ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ﴾، قرأ أهل

الكوفة بالتخفيف فصرفك وأمالك إلى أي صورة

شاء حسناً وقيحاً وطويلاً وقصيراً. وقرأ الآخرون:

أيضاً من جواب القسم أقسم على أن القرآن نزل به
جبريل، وأن محمداً ليس كما يقوله أهل مكة،
وذلك أنهم قالوا إنه مجنون، وما يقول من عند
نفسه.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾، يعني رأى النبي ﷺ جبريل
عليه السلام على صورته، ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾، وهو
الأفق الأعلى من ناحية المشرق.

[٢٤] ﴿وَمَا هُوَ﴾، يعني محمداً ﷺ، ﴿عَلَى
الْغَيْبِ﴾، أي الوحي، وخبر السماء وما أطلع عليه
مما كان غائباً عنه من الأنبياء والقصص،
﴿بُصَيِّنٍ﴾، يقول: إنه يأتيه علم الغيب فلا يبخل به
عليكم بل يعلمكم ويخبركم به، ولا يكتمه كما
يكتُم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوأنا.

[٢٥] ﴿وَمَا هُوَ﴾، يعني القرآن، ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ
رَّجِيمٍ﴾، قال الكلبي: يقول إن القرآن ليس بشعر ولا
كهانة كما قالت قريش.

[٢٦] ﴿فَإِنَّ تَذْهَبُونَ﴾، أي أين تعدلون عن هذا
القرآن، وفيه الشفاء والبيان، قال الزجاج: أي
طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت
لكم.

[٢٧] ثم بين فقال: ﴿إِنَّ هُوَ﴾، أي ما القرآن،
﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾، موعظة للخلق أجمعين.

[٢٨] ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾، أي يتبع الحق
ويقيم عليه.

[٢٩] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾،
أي أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه وأنهم لا
يقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله وفيه إعلام أن
أحدًا لا يعمل خيراً إلا بتوفيق الله ولا شراً إلا
بخذلانه.

(٨٢) سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، انشقت.

الناس أي أخذوا منهم، و(من)، و(على) يتعاقبان.
[٣] ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾، أي كالوا

لهم أو وزنوا لهم أي للناس، وقوله: (بخسرون) أي ينقصون.

[٥، ٤] ﴿أَلَا يَظُنُّ﴾، يستيقن، ﴿أُولَئِكَ﴾، الذين يفعلون ذلك، ﴿أَنَّهُمْ مُّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، يعني يوم القيامة.

[٦] ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾، من قبورهم، ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي لأمره ولجزائه ولحسابه.

[٧] قوله عز وجل: ﴿كَلَّا﴾، ردع أي ليس الأمر على ما هم عليه فليرتدعوا، وتام الكلام هنا، وقال الحسن: كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقاً، ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ﴾، الذي كتبت فيه أعمالهم، ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾، قال عبدالله بن عمرو: (سجين) هي الأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار. وقال عطاء الخراساني: هي الأرض السفلى، وفيها إبليس وذريته، وقال وهب: هي آخر سلطان إبليس، وقال عكرمة: ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ أي لفي خسار وضلال. وقال الأخفش: هو فعل من السجن، كما يقال: فسق وشرب، معناه لفي حبس وضيق شديد.

[٨] ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا سَحِينٌ﴾، قال الزجاج: أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك.

[٩] ﴿كِتَابٌ مَّرْثُومٌ﴾، ليس هذا تفسير السجين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله: إن كتاب الفجار أي هو كتاب الفجار مرقوم، أي مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب، لا ينسى ولا يمحي حتى يجازوا به.

[١٠-١٣] ﴿وَلِيَّ يَوْمٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ۝ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

[١٤] ﴿كَلَّا﴾، قال مقاتل: أي لا يؤمنون، ثم استأنف فقال: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

بالتشديد أي قومك وجعلك معتدل الخلق والأعضاء.

[٨] ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، قال مجاهد: في أي شبه من أب أو أم أو خال أو عم، وذكر الفراء قولاً آخر، إما طويلاً أو قصيراً أو حسناً أو غير ذلك.

[٩] ﴿كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ﴾، بالجزاء والحساب.

[١٠] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾، رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم.

[١١] ﴿كِرَامًا﴾، على الله، ﴿كَبِيرِينَ﴾، يكتبون أقوالكم وأعمالكم.

[١٢] ﴿يَعْمَلُونَ مَا فَعَلُوا﴾، من خير أو شر.

[١٣] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾، الأبرار الذين بروا وصدقوا في إيمانهم بأداء فرائض الله عز وجل واجتناب معاصيه.

[١٤، ١٥] ﴿وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي حَبِيرٍ ۝ يَصَلُّونَهَا﴾، يدخلونها، ﴿يَوْمَ الَّذِينَ﴾، يوم القيامة.

[١٦] ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾.

[١٧] ثم عظم ذلك اليوم، فقال: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾، كرر تفخيماً لشأنه.

[١٨، ١٩] فقال: ﴿ثُمَّ مَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ سِتًّا﴾، قال مقاتل: يعني نفس كافرة شيئاً من المنفعة، ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾، أي يوم لا يملك الله في ذلك اليوم أحداً شيئاً كما ملكهم في الدنيا.

(٨٣) سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

[١] ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، يعني الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون حقوق الناس.

[٢] ثم بين المطففين من هم فقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾، وأراد إذا اكتالوا من

٥٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينَ ﴿٧﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَحِبَ ﴿٨﴾ كِتَابَ مَرْقُومٍ ﴿٩﴾ وَقُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كَلْمٌ مُعْتَدٍ أُثِيمٌ ﴿١٢﴾ إِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِ إِشْنَا قَالَ أَسْطِطُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ لَأَنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهٖ تَكْذِبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا عَلَيْنَا ﴿١٩﴾ كِتَابَ مَرْقُومٍ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَاكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُمُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِّسُونَ ﴿٢٦﴾ وَزَرَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَنَّا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

ليس هذا بتفسير عليين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله: (إن كتاب الأبرار لفي عليين)، أي مكتوب أعمالهم كما ذكرنا في كتاب الفجار.

[٢١] ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، يعني الملائكة الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب، أو ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين.

[٢٢، ٢٣] ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرَاكِ يَنْظُرُونَ﴾، إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعمة، وقال مقاتل: ينظرون إلى عدوهم كيف يعذبون.

(١) أخرجه الترمذي في التفسير ٢٥٣/٩ وقال: (حديث حسن صحيح)، والنسائي في التفسير ٥٠٥/٢ وفي عمل اليوم والليلة ص ٣١٧، وابن ماجه في الزهد برقم (٤٢٤٤) ١٤١٨/٢، والإمام أحمد في المسند ٢٩٧/٢، والطبري ٩٨/٣٠، وصححه الحاكم ٥١٧/٢، وابن حبان برقم (١٧٧١)، والمصنف في شرح السنة ٨٩/٥.

قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها، وإن زاد زادت حتى تعلق قلبه»، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه^(١)، وأصل الرين الغلبة، يقال: رانت الخمر على عقله تَرِينُ رَيْنًا وريونًا إذا غلبت عليه حتى سكر، ومعنى الآية: غلبت على قلوبهم المعاصي وأحاطت بها. قال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب. قال ابن عباس: ران على قلوبهم: طبع عليها. [١٥] ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، قال ابن عباس: كلا يريد: لا يصدقون، ثم استأنف فقال: (إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)، قال بعضهم: عن كرامته ورحمته ممنوعون. وقال قتادة: هو ألا ينظر إليهم ولا يزكيهم. وقال المفسرين: عن رؤيته.

ثم أخبر أن الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال:

[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾، لداخلو النار. [١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾، أي تقول لهم الخزنة، ﴿هَٰذَا﴾، أي هذا العذاب، ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾.

[١٨] ﴿كَلَّا﴾، قال مقاتل: لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه.

ثم بين محل كتاب الأبرار فقال: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾، عليين في السماء السابعة تحت العرش، وقال ابن عباس: هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه، وقال كعب وقتادة: هو قائمة العرش اليمنى. وقال عطاء عن ابن عباس: هو الجنة. وقال الضحاك: سدرة المنتهى، وقال بعض أهل المعاني: علو بعد علو وشرف بعد شرف، ولذلك جمعت بالياء والنون.

[٢٠، ١٩] ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا عَلَيْنَا ۝ كِتَابَ مَرْقُومٍ﴾،

[٣٤] ﴿فَالْيَوْمَ﴾، يعني في الآخرة، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ الْكَافَرِ يَضْحَكُونَ﴾، إذا اطلعوا من الجنة إلى أعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا.

[٣٥] ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، من الدر والياقوت، ﴿يَنْظُرُونَ﴾، إليهم في النار.

[٣٦] قال الله تعالى: ﴿هَلْ تُؤْبَ﴾، هل جوزي، ﴿الْكَافَرُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، أي جزاء استهزائهم بالمؤمنين ومعنى الاستفهام هاهنا: التقرير. وثوب وأثيب وأثاب بمعنى واحد.

(٨٤) سُورَةُ الانْشِقَاقِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾، انشقاقها من علامات القيامة.

[٢] ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾، أي سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته، من الأذن وهو الاستماع، ﴿وَحُفَّتْ﴾، أي وحق لها أن تطيع ربها.

[٣] ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾، مد الأديم العكاظي، وزيد في سعتها.

[٤] ﴿وَأَلْقَتْ﴾، أخرجت، ﴿مَا فِيهَا﴾، من الموتى والكنوز، ﴿وَعَلَّتْ﴾، خلت منها.

[٥] ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ﴾، واختلفوا في جواب (إذا) قيل: جوابه محذوف تقديره: إذا كانت هذه الأشياء يرى الإنسان الثواب والعقاب.

[٦] وقيل جوابه: ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾، ومجازه إذا السماء انشقت لقي كل كادح ما عمله. وقيل: جوابه وأذنت، وحيثئذ تكون الواو زائدة ومعنى قوله: (كادح إلى ربك كدحًا)، أي ساع إليه في عملك، والكدح: سعي الإنسان وجهده في الأمر من الخير والشر حتى يكدح ذلك فيه، أي يؤثر ﴿فَمَلَقَيْهِ﴾، أي ملاقي جزاء عملك خيرًا كان أو شرًا.

[٧، ٨] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْقَتْ كَيْبَهُ﴾، ديوان أعماله،

[٢٤] ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾، إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة مما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض.

[٢٥] ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾، خمر صافية طيبة، ﴿مَخْتُومٍ﴾، ختم ومنع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه الأبرار. وقال مجاهد: (مختوم) أي مطين.

[٢٦] ﴿خِتَمُهُ﴾، أي طينه، ﴿مِسْكٍ﴾، كأنه ذهب إلى هذا المعنى، قال ابن زيد: ختامه عند الله مسك وختام خمر الدنيا طين ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله عز وجل.

[٢٧] ﴿وَمِنْ أَمْنِهِمْ مِنْ تَسْبِيحٍ﴾، شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم، وأصل كلمة السنام من العلو، يقال للشيء المرتفع: سنام، ومنه سنام البعير.

[٢٨] ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾، (عينًا) نصب على الحال، (يشرب بها) أي منها، وقيل: يشرب بها المقربون صرفًا.

[٢٩] قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾، أشركوا يعني كفار قريش، ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من فقراء المؤمنين. ﴿يَضْحَكُونَ﴾، وبهم يستهزؤون.

[٣٠] ﴿وَإِذَا مَرَأُوا بِهِمْ﴾، يعني مر المؤمنون بالكفار، ﴿يَتَفَامَرُونَ﴾، والغمز الإشارة بالجفن والحاجب، أي يشيرون إليهم بالأعين استهزاء.

[٣١] ﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا﴾، يعني الكفار، ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ انقلبوا فكهين، معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكرهم.

[٣٢] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾، رأوا أصحاب النبي ﷺ، ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾، يأتون محمدًا ﷺ يرون أنهم على شيء.

[٣٣] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾، يعني المشركين، ﴿عَلَيْهِمْ﴾، يعني على المؤمنين، ﴿حَافِظِينَ﴾، أعمالهم أي لم يوكلا بحفظ أعمالهم.

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٥﴾ هَلْ تُؤْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٦﴾

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنُ لَهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنُ لَهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ بِأَيِّهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًا حَامِلٌ فِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى
كِتَابَهُ، يَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقْلُ
إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَى إِنَّ رَيْبَهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسَمُ
بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمْ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

[٢٠، ١٩] ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، قرأ أهل مكة وحزمة والكسائي (لتركن) بفتح الباء، يعني لتركن يا محمد. قال الشعبي ومجاهد: سماء بعد سماء، قال الكلبي: يعني تصعد فيها. ويجوز أن يكون درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى والرفعة، قال ابن عباس: (لتركن طبقاً عن طبق) حالاً بعد حال، قال: هذا نبيكم ﷺ. وقيل: أراد به السماء تتغير لوناً بعد لون، فتصير تارة كالدهان وتارة كالمهل، فتتشق بالغمام مرة وتطوى أخرى.

وقرأ الآخرون: بضم الباء لأن المعنى بالناس أشبه لأنه ذكر من قبل: فأما من أوتي كتابه بيمينه، وشماله وذكر من بعده (فما لهم لا يؤمنون)، وأراد

(١) أخرجه البخاري في العلم ١٩٦/١ ومسلم في الجنة وصفة نعيمها رقم (٢٨٧٦) ٢٢٠٤/٤.

﴿يَمِينِهِ﴾ ٥ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قال النبي ﷺ: «من حُوسِبَ عُذِبَ» قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله أليس يقول الله عز وجل: (فسوف يحاسب حساباً يسيراً)؟ فقال: «إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش في الحساب يهلك» (١).

[٩] ﴿وَنَقْلُ إِلَى أَهْلِهِ﴾، يعني في الجنة من الحور العين والآدميات، ﴿مَسْرُورًا﴾، بما أوتي من الخير والكرامة.

[١٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾، فتغل يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره.

[١١] ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾، ينادي بالويل والهلاك إذا قرأ كتابه يقول: يا ويلاه يا ثبوراه.

[١٢، ١٣] ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ ٥ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾، يعني في الدنيا باتباع هواه وركوب شهوته.

[١٤] ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾، أن لن يرجع إلينا ولن يبعث.

[١٥] ثم قال: ﴿بَلَى﴾، أي ليس كما ظن بل يحور إلينا ويبعث ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾، خلقه إلى أن يبعثه.

[١٦] قوله عز وجل: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالشَّفَقِ﴾، قال مجاهد: هو النهار كله. وقال عكرمة: ما بقي من النهار، وقال ابن عباس وأكثر المفسرين: هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس. وقال قوم: هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة.

[١٧] ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾، أي جمع وضم يقال: وسقته أسقه وسقاً أي جمعته، واستوسقت الإبل إذا اجتمعت وانضمت، والمعنى: والليل وما جمع وضم ما كان بالنهار منتشراً من الدواب، وذلك أن الليل إذا أقبل أوى كل شيء إلى مأواه.

[١٨] ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾، اجتمع واستوى وتم نوره وهو في الأيام البيض.

لتركن حالًا بعد حال وأمرًا بعد أمر في موقف القيامة، يعني الأحوال تتقلب بهم فيصرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا. (عن) بمعنى بعد، وقال مقاتل: يعني الموت ثم الحياة ثم الموت ثم الحياة. وقال عطاء: مرة فقيرًا ومرة غنيًا. وقال عمرو بن دينار عن ابن عباس: يعني الشدائد والأحوال والموت، ثم البعث ثم العرض. وقال عكرمة: حالًا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، استفهام إنكار.

[٢١] ﴿وَإِذَا قُريُّ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾، لا يصلون.

[٢٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ﴾، بالقرآن والبعث.

[٢٣] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾، في صدورهم من التكذيب. قال مجاهد: يكتمون.

[٢٤، ٢٥] ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، غير مقطوع ولا منقوص.

(٨٥) سُورَةُ الْبُرُوجِ

[١، ٢] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْوَعُودِ﴾، هو يوم القيامة.

[٣] ﴿وَشَهِيدٍ وَشُهِودٍ﴾ الأكثرون: أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة. وروي عن ابن عمر: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر. قال سعيد بن المسيب: الشاهد يوم التروية، والمشهود يوم عرفة. وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة، ثم تلا: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا) وقال: ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود. وقال عبد العزيز بن

سُورَةُ الْبُرُوجِ

٥٩٠

سُورَةُ الْبُرُوجِ

سُورَةُ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْوَعُودِ ۝ وَشَهِيدٍ وَشُهِودٍ ۝ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ۝ أَلَمْ تَرَ ذَاتَ الْوُفُودِ ۝ أَذْهَبَ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۝ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَبَعِيدٌ ۝ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ۝ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ۝ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجَنُودِ ۝ وَرَاعُونَ وَتُمُودُ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ۝ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ۝

سُورَةُ الْبُرُوجِ

يحيى: الشاهد محمد ﷺ، والمشهود الله عز وجل، بيانه قوله: (وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا). وعن مجاهد قال: الشاهد آدم والمشهود يوم القيامة. وقال عكرمة: الشاهد الإنسان والمشهود يوم القيامة، وعن ابن عباس: الشاهد هو الله عز وجل والمشهود يوم القيامة. وقال الحسين بن الفضل: الشاهد هذه الأمة والمشهود سائر الأمم، وقيل: الشاهد أعضاء بني آدم، بيانه: (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم).

[٤] ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾، أي لعن، والأخدود: الشق المستطيل في الأرض كالنهر، وجمعه أخاديد.

[٥] ﴿أَلَمْ تَرَ ذَاتَ الْوُفُودِ﴾، بدل من الأخدود، قال الربيع بن أنس: نجى الله المؤمنين الذين ألقوا في

إن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة لشديد، كقوله: (إن أخذه أليم شديد).

[١٣] ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيُعِيدُ﴾، أي يخلقهم أولاً في الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت.

[١٤] ﴿وَهُوَ الْعَفْوَ﴾، لذنوب المؤمنين، ﴿الْوَدُودُ﴾، المحب لهم.

[١٥] ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾، قرأ حمزة والكسائي (المجيد) بالجر على صفة العرش أي السرير العظيم. وقيل: أراد حسنه فوصفه بالمجد كما وصفه بالكرم، فقال: (رب العرش الكريم)، ومعناه الكمال، والعرش: أحسن الأشياء وأكملها، وقرأ الآخرون بالرفع على صفة ذو العرش.

[١٦] ﴿نَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، لا يعجزه شيء يريد ولا يمتنع منه شيء طلبه.

[١٧] قوله عز وجل ﴿هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾، قد أتاك خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الأنبياء، ثم بين من هم؟

[١٨، ١٩] فقال: ﴿وَعَوْنَ وَتَمُودَ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، من قومك يا محمد، ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾، لك وللقرآن كذاب من قبلهم، ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار.

[٢٠] ﴿وَاللَّهُ يَنْ وَرَائِهِمْ خُطُّ﴾، عالم بهم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم.

[٢١] ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾، كريم شريف كثير الخير، ليس كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة.

[٢٢] ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾، قرأ نافع محفوظ بالرفع على نعت القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف، قال الله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون)، وقرأ الآخرون بالجر على نعت اللوح وهو الذي يُعرف باللوح المحفوظ، وهو أم الكتاب، ومنه تنسخ الكتب، محفوظ من الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان.

النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم.

[٦] ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾، أي عند النار جلوس يعذبون المؤمنين. قال مجاهد: كانوا قعوداً على الكراسي عند الأخدود.

[٧] ﴿وَهُمْ﴾، يعني الملك وأصحابه الذين خلدوا الأخدود، ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، من عرضهم على النار وإرادتهم أن يرجعوا إلى دينهم، ﴿شُهُودٌ﴾، حضور.

[٨] ﴿وَمَا تَقْصُوا مِنْهُمْ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كرهوا منهم، ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾، قال مقاتل: ما عابوا منهم. وقيل: ما علموا فيهم عيباً. قال الزجاج: ما أنكروا عليهم ذنباً إلا إيمانهم بالله، ﴿الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾.

[٩] ﴿الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، من أفعالهم، ﴿شَهِيدٌ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾، عذبوا وأحرقوا، ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، يقال: فنت الشيء إذ أحرقته، نظيره: (يومهم على النار يفتنون)، ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾، بكفرهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، بما أحرقوا المؤمنين. وقيل: ولهم عذاب الحريق في الدنيا، وذلك أن الله أحرقهم بالنار التي أحرقوا بها المؤمنين، ارتفعت إليهم من الأخدود، قاله الربيع بن أنس والكلبي.

[١١] ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾، واختلفوا في جواب القسم فقال بعضهم: جوابه (قتل أصحاب الأخدود)، يعني لقد قتل، وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج. وقال قتادة: جوابه:

[١٢] ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، قال ابن عباس:

سُورَةُ الطَّارِقِ (٨٦)

[١] ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾، وهذا قسم، والطارق النجم يظهر بالليل، وما أتاك ليلاً فهو طارق.
[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾.

[٣] ثم فسره فقال: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾، أي المضيء المنير، قال مجاهد: المتوهج.

[٤] ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ﴾، جواب القسم، ﴿لَمَّا عَلَيهَا حَافِظٌ﴾، كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكتسب من خير وشر. قال ابن عباس: هم الحفظة من الملائكة.

[٥] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾، أي فليفتكر من أي شيء خلقه ربه، أي فلينظر نظر المتفكر.

[٦] ثم بين فقال: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾، مدفوق أي مصبوب في الرحم، وهو المني، فاعل بمعنى مفعول كقوله: (عيشة راضية)، والدفق الصب وأراد ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق منهما، وجعله واحداً لامتزاجهما.

[٧] ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، يعني صلب الرجل وترائب المرأة والترائب جمع التريبة وهي عظام الصدر والنحر.

[٨] ﴿إِنَّهُمْ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾، قال مجاهد: على رد النطفة في الإحليل. وقال عكرمة: على رد الماء في الصلب الذي خرج منه. وقال الضحاك: إنه على رد الإنسان ماءً كما كان من قبل لقادر، وقال قتادة: إن الله تعالى على بعث الإنسان وإعادته بعد الموت قادر. وهذا أولى الأقاويل.

[٩] لقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ سَرَائِرُ﴾، وذلك يوم القيامة تبلى السرائر تظهر الخفايا. قال عطاء بن أبي رباح: السرائر فرائض الأعمال، كالصوم والصلاة والوضوء والاغتسال من الجنابة، فإنها سرائر بين الله تعالى وبين العبد، فلو شاء العبد لقال: صمْتُ

سُورَةُ الطَّارِقِ

٥٩١

سُورَةُ الطَّارِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُمْ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَأَلْهَمَنْ فُوقَهُ لَآ نَاصِرَ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ لَمَقُولٌ قَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلُ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُونًا ﴿١٧﴾

سُورَةُ الْأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ﴿٦﴾ إِنْ لَمْ يَشَأْ اللَّهُ لَنَنْبَعِثَنَّ أَجْهَرًا وَمَا نَخْفَى ﴿٧﴾ وَتُسْرَكَ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَعَى ﴿٨﴾ فذَكَرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى ﴿٩﴾ سَيَذَكِّرُنَّ خِشْيَا ﴿١٠﴾ وَيُنَجِّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلُ النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ نَدَّ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصْلَى ﴿١٥﴾

ولم يصم، وصليت ولم يصل.

[١٠] ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾، أي ما لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة يتمتع بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره من الله.

[١١] ثم ذكر قسمًا آخر فقال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾، أي ذات المطر لأنه يرجع كل عام ويتكرر. وقال ابن عباس: هو السحاب يرجع المطر.

[١٢] ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾، أي تصدع وتنشق عن النبات والأشجار والأنهار.

[١٣] وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾، يعني القرآن، ﴿لَمَقُولٌ قَصْلٌ﴾، حق وجد يفصل بين الحق والباطل.

[١٤] ﴿وَمَا هُوَ بِأَهْزَلُ﴾، باللعب والباطل.

[١٥] ثم أخبر عن مشركي مكة فقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾، يخافون النبي ﷺ ويظهرون ما هم على خلافه.

نسخ الله تلاوته من القرآن، ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾، من القول والفعل، ﴿وَمَا يَخْفَى﴾، منهما، والمعنى: أنه يعلم السر والعلانية.

[٨] ﴿وَنُيِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾، قال مقاتل: نهون عليك عمل الجنة، وهو معنى قول ابن عباس: نيسرك لأن تعمل خيراً، واليسرى عمل الخير. وقيل: نوفقك للشرعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة.

[٩] ﴿فَذَكِّرْ﴾، عظم بالقرآن، ﴿إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى﴾، الموعظة والتذكير، والمعنى: نفعت أو لم تنفع.

[١٠] ﴿سَيَذَكِّرْ﴾، سيتعظ، ﴿مَنْ يَحْشَى﴾، الله عز وجل.

[١١] ﴿وَيَنْجِبَهَا﴾، أي يتجنب الذكرى ويتباعد عنها، ﴿الْأُنْفَى﴾، الشقي في علم الله.

[١٢] ﴿الَّذِي يَصَلِّيُ النَّارَ الْكُبْرَى﴾، العظيمة والفضيلة لأنها أعظم وأشد حرًا من نار الدنيا.

[١٣] ﴿لَمْ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾، فيستريح، ﴿وَلَا يَحْيَى﴾، حياة تنفعه.

[١٤] ﴿قَدْ أفلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾، تطهر من الشرك وقال: لا إله إلا الله، وقال الحسن: من كان عمله زاكياً. وقال آخرون: هو صدقة الفطر.

[١٥] ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾، قال: خرج إلى العيد فصلى صلاته، وقيل: الصلاة هاهنا الدعاء.

[١٦] ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

[١٧] ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، قال عرفة الأشجعي: كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا: أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ قلنا: لا، قال: لأن الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها، وأن الآخرة نعتت لنا وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل.

[١٨] ﴿إِنَّ هَذَا﴾، يعني ما ذكر من قوله: (قد أفلح من تزكى)، إلى أربع آيات، ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾، أي الكتب الأولى التي أنزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح المتزكي والمصلي وإيثار الخلق

[١٦] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾، وكيد الله استدراجهم إياهم من حيث لا يعلمون.

[١٧] ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ﴾، قال ابن عباس: هذا وعيد من الله عز وجل لهم، ﴿أَتَمَلَهُمْ تَمَلُّؤًا﴾، قليلاً ومعنى مهل وأمهل انظر ولا تعجل فأخذهم الله يوم بدر، ونسخ الإمهال بآية السيف.

(٨٧) سُورَةُ الْأَعْلَى

[١] ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، يعني قل سبحان ربي الأعلى، وقال قوم: معناه نزه ربك الأعلى عما يصفه به الملحدون، وقال آخرون: نزه تسمية ربك بأن تذكره وأنت معظم ولذكرك محترم.

[٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾، قال الكلبي: خلق كل ذي روح فسوى اليمين والرجلين والعينين. قال الزجاج: خلق الإنسان مستويًا، ومعنى سوى: عدل قامته.

[٣] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ قال مجاهد: هدى الإنسان لسييل الخير والشر والسعادة والشقاوة، وهدى الأنعام لمراتها. وقال مقاتل والكلبي: قدر لكل شيء مسلكه فهدى، عرفها كيف يأتي الذكر الأنثى. وقيل: قدر الأرزاق فهدى لاكتساب الأرزاق والمعاش. وقيل: خلق المنافع في الأشياء وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها.

[٤] ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾، أنبت العشب وما ترعاه النعم، من بين أخضر وأصفر وأحمر وأبيض.

[٥] ﴿لَجَعَلَهُمُ﴾، بعد الخضرة، ﴿غُثَاءً﴾، هشيماً بالياً، كالغثاء الذي تراه فوق السيل. ﴿أَخْوَى﴾، أسود بعد الخضرة، وذلك أن الكلاً إذا جف ويسد أسود.

[٧، ٦] ﴿سَنُفِرُّكَ﴾، سنعلمك بقراءة جبريل عليك، ﴿فَلَا تَسْءَى﴾، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، أن تنساه وما

الحياة الدنيا على الآخرة، وأن الآخرة خير وأبقى .
[١٩] ثم بين الصحف فقال: ﴿صُفِّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾، قال عكرمة والسدي: هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى .

(٨٨) سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

[١] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، قد أتاك حديث القيامة تغشى كل شيء بالآهوال .
[٢] ﴿وَجُوهٌ يَوْمِذٍ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿خَاشِعَةٌ﴾، ذليلة .
[٣] ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِيَةٌ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم لا يقبل الله منهم اجتهادًا في ضلالة، يدخلون النار يوم القيامة، ومعنى النصب الدأب في العمل بالتعب، وقال عكرمة والسدي: عاملة في الدنيا بالمعاصي، ناصبة في الآخرة في النار، وقال الحسن: لم تعمل لله في الدنيا فأعملها وأنصبها في النار .

[٤] ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾، قال ابن عباس: قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله .
[٥] ﴿تَشْتَقِي مِنْ عَيْنٍ عَانِيَةٍ﴾، متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت، فدفعوا إليها وردًا عطاشًا . قال المفسرون: لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت، هذا شرابهم، ثم ذكر طعامهم فقال:

[٦، ٧] ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾، قال مجاهد: هو نبت ذو شوك لا طيُّ بالأرض، تسميه قريش الشبرق فإذا هاج سموها الضريع، وهو أخبث طعام وأبشعه، قال ابن زيد: أما في الدنيا فإن الضريع الشوك اليابس الذي ليس له ورق، وهو في الآخرة شوك من نار ﴿لَا يُسِينُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ .

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ ٥٩٢

بَلْ تَوَسَّوْنَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَنفَقَ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۖ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۖ

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۖ وَجُوهٌ يَوْمِذٍ خَاشِعَةٌ ۖ عَامِلَةٌ نَّاصِيَةٌ ۖ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ۖ تَشْتَقِي مِنْ عَيْنٍ عَانِيَةٍ ۖ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۖ لَا يُسِينُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۖ وَجُوهٌ يَوْمِذٍ نَّاعِمَةٌ ۖ لَسَعِيَهَا رَاضِيَةٌ ۖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۖ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۖ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۖ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۖ وَزَرَرَاتٍ مَثْنُوتَةٌ ۖ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۖ فَذَكِّرْ ۖ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۖ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ۖ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۖ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۖ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۖ

[٨] ثم وصف أهل الجنة فقال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾، قال مقاتل: في نعمة وكرامة .
[٩] ﴿لَسَعِيَهَا رَاضِيَةٌ﴾ في الدنيا، ﴿رَاضِيَةٌ﴾، في الآخرة حين أعطيت الجنة بعملها .
[١٠، ١١] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾، لغوا وباطلا .
[١٢-١٤] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۖ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾، عندهم .
[١٥] ﴿وَنَمَارِقُ﴾، وسائد ومرافق، ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾، بعضها بجانب بعض واحداها نمرقة بضم النون .
[١٦] ﴿وَزَرَرَاتٍ﴾، يعني البسط العريضة ﴿مَثْنُوتَةٌ﴾، مبسوطة، وقيل: متفرقة في المجالس .
[١٧] ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، قال أهل التفسير: لما نعت الله تعالى في هذه السورة ما في الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه، فذكر

لأنه قرن به الليالي العشر.

[٢] ﴿وَيَا لَيْلٍ عَشْرٍ﴾، روي عن ابن عباس: أنها العشر الأول من ذي الحجة، وقال أبو روق عن الضحاك: هي العشر الأول من شهر رمضان. وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: هي العشر الأواخر من شهر رمضان. وقال يمن بن رباب: هي العشر الأول من المحرم التي عاشرها يوم عاشوراء.

[٣] ﴿وَالشَّفَعُ وَالْوَتْرُ﴾ اختلفوا في الشفع والوتر، قيل: الشفع الخلق، قال الله تعالى: (وخلقناكم أزواجًا) والوتر: هو الله عز وجل، وقال مجاهد ومسروق: الشفع الخلق كله، والوتر هو الله، قال الله تعالى: (قل هو الله أحد)، قال الحسن وابن زيد: الشفع والوتر الخلق كله منه شفع ومنه وتر. وروى قتادة عن الحسن قال: هو العدد منه شفع ومنه وتر. وقال قتادة: هما الصلوات منها شفع ومنها وتر.

[٤] ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَسَّرُ﴾، أي إذا سار وذهب كما قال: (والليل إذ أدبر)، وقال قتادة: إذا جاء وأقبل وأراد كل ليلة.

[٥] ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾، أي فيما ذكرت، ﴿سَمٌّ﴾، أي مفع ومكتفى في القسم، ﴿لَيْلَى حَجَرٍ﴾، لذي عقل سمي بذلك لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا ينبغي، وأصل الحجر المنع وجواب القسم قوله: (إن ربك لبالمرصاد)، واعترض بين القسم وجوابه قوله عز وجل.

[٦، ٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، قال الفراء: ألم تخبر. وقال الزجاج: ألم تعلم ومعناه التعجب. ﴿كَيْفَ فَكَلَّ رَبُّكَ عِبَادَ ۝ إِرْمَ﴾، يخوف أهل مكة يعني كيف أهلكهم، وهم كانوا أطول أعمارًا وأشد قوة من هؤلاء، واختلفوا في إرم فقال سعيد بن المسيب: إرم ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ دمشق، وبه قال عكرمة، وقال القرظي: هي الإسكندرية، وقال مجاهد: هي أمة.

لهم الله تعالى صنعه فقال: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) وكانت الإبل أعظم عيش العرب، لهم فيها منافع كثيرة فكما صنع لهم ذلك في الدنيا صنع لأهل الجنة فيها ما صنع.

[١٨] ﴿وَالِىَ السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾، عن الأرض حتى لا ينالها شيء يغيرها.

[١٩] ﴿وَالِىَ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾، على وجه الأرض مرساة لا تزول.

[٢٠] ﴿وَالِىَ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾، بسطت، قال عطاء عن ابن عباس: هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الأرض غيري؟

[٢١، ٢٢] ﴿تَذَكَّرْ إِنَّكَ أَنْتَ مُذَكَّرٌ ۝ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾، بمسلط تقتلهم وتكرهم على الإيمان، نسختها آية القتال.

[٢٣] ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾، استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى، ﴿وَكَفَرَ﴾، بعد التذكير.

[٢٤] ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾، وهو أن يدخله النار. وإنما قال الأكبر لأنهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والقتل والأسر.

[٢٥] ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾، رجوعهم بعد الموت، يقال: آب يؤوب أوبًا وإيابًا.

[٢٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾، يعني جزاءهم بعد المرجع إلى الله عز وجل.

(٨٩) سُورَةُ الْفَجْرِ

[١] ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم الله عز وجل بالفجر، روى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو انفجار الصبح كل يوم. وهو قول عكرمة، وقال عطية عنه: صلاة الصبح، وقال قتادة: هو فجر أول يوم من المحرم تنفجر منه السنة. وقال الضحاك: فجر ذي الحجة

وقيل: معناه القديمة. وقال قتادة ومقاتل: هم قبيلة من عاد.

[٨] ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾، وسموا ذات العماد لهذا لأنهم كانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة، وقال بعضهم: سمو ذات العماد لطول قامتهم. قال ابن عباس: يعني طولهم مثل العماد. وقوله: (لم يخلق مثلها في البلاد)، أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة، وهم الذين قالوا: (من أشدُّ منا قوة)، وقيل: سمو ذات العماد لبناء بناء بعضهم.

[٩] ﴿وَتُمُودٌ﴾، أي وبشمود، ﴿الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ﴾، قطعوا الحجر، ﴿بِالْوَادِ﴾، يعني وادي القرى كانوا يقطعون الجبال فيجعلون فيها بيوتاً. [١٠] ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾، سمي بذلك لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد، وقد ذكرناه في سورة ص^(١).

[١١] ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾، يعني عاداً وثمود وفرعون عملوا في الأرض بالمعاصي وتجبروا. [١٢، ١٣] ﴿فَاكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ، قال قتادة: يعني لونا من العذاب صبه عليهم، قال أهل المعاني: هذا على الاستعارة لأن السوط عندهم غاية العذاب، فجرى ذلك لكل نوع من العذاب. قال الزجاج: جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب.

[١٤] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَلَرِّصَادٍ﴾، قال ابن عباس: يعني بحيث يرى ويسمع ويبصر ما تقول وتفعل وتهجس به العباد. قال الكلبي: عليه طريق العباد لا يفوته أحد. قال مقاتل: يمر الناس عليه، والمرصاد والمرصد: الطريق. وقيل: مرجع الخلق إلى حكمه وأمره وإليه مصيرهم. وقال الحسن وعكرمة: يرصد أعمال بني آدم. والمعنى: أنه لا يفوته شيء من أعمال العباد كما لا يفوت من هو بالمرصاد.

سُورَةُ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْأَعْمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَتُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَاكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِبَلَرِّصَادٍ ﴿١٤﴾ وَالْإِنْسَنُ إِذَا مَآ أَبْلَغَهُ رَبُّهُ فَآكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْصُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّاجِمًا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَبْعَثُ الرَّالِاسْنَ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾

[١٥] ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَنُ إِذَا مَا أَبْلَغَهُ﴾، امتحنه، ﴿رَبُّهُ﴾، بالنعمة، ﴿فَآكْرَمَهُ﴾، بالمال، ﴿وَنَعَّمَهُ﴾، بما وسع عليه، ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾، بما أعطاني. [١٦] ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾، بالفقر، ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾، أي ضيق عليه رزقه. وقيل: قدر بمعنى قتر وأعطاه قدر ما يكفيه. ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾، أذلني بالفقر، وهذا يعني به الكافر تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته.

[١٧] فقال: ﴿كَلَّا﴾، لم أبتله بالغنى لكرامته ولم أبتله بالفقر لهوانه، فأخبر أن الإكرام والإهانة لا تدور على المال وسعة الرزق، ولكن الفقر والغنى بتقديره فيوسع على الكافر لا لكرامته، ويقدر على المؤمن لا لهوانه، إنما يكرم المرء

لآخرتي التي لا موت فيها.

[٢٦، ٢٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا وَلَا يُوثِقُ وَاقَهُ أَحَدٌ﴾، بفتح الذال والثاء على معنى لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله يومئذ، ولا يوثق كوثاقه يومئذ، وقيل: هو رجل بعينه، وهو أمية بن خلف، يعني لا يعذب كعذاب هذا الكافر أحد، ولا يوثق كوثاقه أحد، بكسر الذال والثاء، أي لا يعذب أحد من الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ، ولا يوثق كوثاقه أحد، يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب، والوثاق وهو الإسار في السلاسل والأغلال.

[٢٧] قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾، إلى ما وعد الله المصدقة بما قال الله.

[٢٨] ﴿أَرْجَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، إلى الله، ﴿رَاضِيَةً﴾، بالثواب، ﴿مَرْضِيَّةً﴾، عنك.

[٢٩] ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾، أي مع عبادي في جنتي. وقيل: في جملة عبادي الصالحين المطيعين المصطفين.

[٣٠] ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

(٩٠) سُورَةُ الْبَلَدِ

[١] ﴿لَا أَقْسِمُ﴾، يعني أقسم، ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، يعني مكة.

[٢] ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ﴾، أي حلال، ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم، أحل الله لنبيه ﷺ مكة يوم الفتح، حتى قاتل وقتل وأمر بقتل ابن خطل، وهو متعلق بأستار الكعبة، ومقيس بن صبابه وغيرهما، فأحل دماء قوم وحرّم دماء قوم، والمعنى: أن الله تعالى لما أقسم بمكة دلّ ذلك على عظيم قدرها من حرمتها فوعد نبيه ﷺ أنه يحلها له حتى يقاتل فيها، وأن يفتحها على يده

بطاعته وبهيئته بمعصيته، ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾، لا تحسنوا إليه. وقيل: لا تعطونه حقه.

[١٨] ﴿وَلَا تَحْضُوتُمْ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾، أي لا تأمرون بإطعامه، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة (تحاضون) بفتح الحاء وألف بعدها أي لا يحض بعضكم بعضًا عليه.

[١٩] ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾، أي الميراث، ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾، شديدًا يأكل نصيبه ونصيب غيره، وذلك أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون نصيبهم. قال ابن زيد: الأكل اللم الذي يأكل كل شيء يجده لا يسأل عنه أحلال هو أم حرام، ويأكل الذي له ولغيره.

[٢٠] ﴿وَتَحْبُوتُونَ أَمْوَالَ حَبَا جَمًّا﴾، أي كثيرًا يعني يحبون جمع المال ويولعون به، يقال: جم المال في الحوض إذا كثر واجتمع.

[٢١] ﴿كَلَّا﴾، ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر. وقال مقاتل: أي لا يفعلون ما أمرو به من إكرام اليتيم وإطعام المسكين، ثم أخبر عن تلهمهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم، فقال عز من قائل: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾، مرة بعد مرة وكسر كل شيء على ظهرها من جبل وبناء وشجر فلم يبق على ظهرها شيء.

[٢٢] ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، قال عطاء: يريد صفوف الملائكة، وأهل كل سماء صف على حدة. قال الضحاك: أهل كل سماء إذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفًا مختلطين بالأرض ومن فيها فيكون سبع صفوف.

[٢٣] ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ﴾، يعني يوم يجاء بجهنّم، ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾، يتعظ ويتوب الكافر، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾، قال الزجاج: يظهر التوبة ومن أين له التوبة.

[٢٤] ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، أي قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الآخرة، أي

فهذا وعد من الله عز وجل بأن يحلها له.

[٣] ﴿وَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾، يعني آدم عليه السلام وذريته.

[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، روى الوالبي عن ابن عباس: في نصب. قال الحسن: يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة. وقال قتادة: في مشقة فلا تلقاه إلا يكابد أمر الدنيا. وقال سعيد بن جبير: في شدة. وقال عطاء عن ابن عباس: في شدة خلق حمله وولادته ورضاعه، وغطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته.

[٥] ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾، أي يظن من شدته أن لن يقدر عليه الله تعالى.

[٦] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾، يعني أنفقت، ﴿مَا لَا بُدَّ﴾، أي كثيراً بعضه على بعض من التلييد في عداوة محمد ﷺ.

[٧] ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾، قال سعيد بن جبير وقاتدة: أيظن أن الله لم يره، ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه، وأين أنفقه؟

[٨، ٩] فقال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾، قال قتادة: نعم الله متظاهرة يقررك بها كيما تشكر.

[١٠] ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، قال أكثر المفسرين: طريق الخير والشر، والحق والباطل، والهدى والضلالة، وقال محمد بن كعب عن ابن عباس: وهديناه النجدين قال: الثديين، وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك، والنجد: طريق ارتفاع.

[١١] ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعُقْبَةَ﴾، يقول: فهلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب وإطعام السغبان، فيكون خيراً له من إنفاقه على عداوة محمد ﷺ، هذا قول ابن زيد وجماعة، وقيل: فلا اقتحم العقبة أي لم يقتحمها ولا جاوزها. والاقترام: الدخول في الأمر الشديد، وذكر العقبة هنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى

سُورَةُ الْبَلَدِ

٥٩٤

الْبَلَدِ

يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿١﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَلَا يُوثِقُ وِقَافُهُ أَحَدًا ﴿٣﴾ تَبَايَنَّا النَّفْسَ الْمُطْمِئِنَّةَ ﴿٤﴾ أَرْجَى إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُرْضِيَةً ﴿٥﴾ فَأَدْخِلْنِي عِنْدَ ﴿٦﴾ وَأَدْخِلْ جَنَّتِي ﴿٧﴾

سُورَةُ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّ ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا أَفْنَحُمُ الْعُقْبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتَرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانُ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَّصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا بِلَهْنَاهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارُ مُؤَصَّدَةٍ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

والشيطان في أعمال البر، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة، تقول لم يحمل على نفسه المشقة بعثت الرقبة ولا طعام، وهذا معنى قول قتادة. وقيل: إنه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فإذا أعتق رقبة وأطعم كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها، وروي عن ابن عمر: أن هذه العقبة جبل في جهنم، وقال الحسن وقاتدة: عقبة شديدة في النار دون الجسر، فاقترحموها بطاعة الله تعالى. وقال ابن زيد: يقول فهلا سلك الطريق التي فيها النجاة ثم بين ما هي فقال:

[١٢-١٤] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ ۝ فَكُ رَقَبَةً ۝ أَوْ إِطْعَمَ﴾ أراد بفك الرقبة إعتاقها وإطلاقها، ومن أعتق رقبة كانت الرقبة فداء من النار، وقال عكرمة قوله: (فك رقبة)، يعني فك رقبة من الذنوب بالتوبة. ﴿أَوْ إِطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾، مجاعة،

يقال: سغب يسغب سغبًا إذا جاع.

[١٥] ﴿يَتِمَّمَا ذَا مَقَرَّةٍ﴾، أي ذا قرابة يريد يتيمًا بينك وبينه قرابة.

[١٦] ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾، قد لصق بالتراب من فقره وضره. وقال مجاهد عن ابن عباس: هو المطروح في التراب لا يقيه شيء. والمتربة مصدر ترب يترب تربًا ومتربة إذا افتقر.

[١٧] ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ثم بين أن هذا القرب إنما تنفع مع الإيمان، وقيل: (ثم) بمعنى الواو، ﴿وَتَوَاصَوْا﴾، أوصى بعضهم بعضًا، ﴿بِالْقُرْبَى﴾، على فرائض الله وأوامره، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾، برحمة الناس.

[١٨-٢٠] ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمُنْمَنَةِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا بَيْنَهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۖ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾، مطبقة عليهم أبوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم، يقال: أصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقتة.

(٩١) سُورَةُ الشَّمْسِ

[١] ﴿وَالشَّائِسِ وَخُنْهَا﴾، قال مجاهد والكلبي: ضوءها، والضحي: حين تطلع الشمس، فيصفوا ضوءها. قال قتادة: هو النهار كله. وقال مقاتل: حرها، كقوله في طه: (ولا تضحي)، يعني لا يؤذيك الحر.

[٢] ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾، تبعها وذلك في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس، تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور. وقال الزجاج: وذلك حين استدار يعني كمل ضوءه فصار تابعا للشمس في الإنارة وذلك في الليالي البيض.

[٣] ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾، يعني إذا جلى الظلمة كناية عن غير مذكور لكونه معروفا.

[٤] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾، يعني يغشى الشمس

حين تغيب فتظلم الآفاق.

[٥] ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾، قال الكلبي: ومن بناها وخلقها، وقال عطاء: يريد والذي بناها. وقال الفراء والزجاج: (ما) بمعنى المصدر، أي وبنائها كقوله: (بما غفر لي ربي).

[٦] ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا﴾، بسطها.

[٧] ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾، عدل خلقها وسوى أعضائها، قال عطاء: يريد جميع ما خلق من الجن والإنس.

[٨] ﴿فَالْمُهَمَّاتِ جُؤْرَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة: بين لها الخير والشر. وقال في رواية عطية: علمها الطاعة والمعصية. وروى الكلبي عن أبي صالح عنه: عرفها ما تأتي وما تتقي. وقال سعيد بن جبير: ألزمها فجورها وتقواها. قال ابن زيد: جعل فيها ذلك يعني بتوفيقه إياها للتقوى، وخذلانه إياها للفجور. واختار الزجاج هذا، وحمل الإلهام على التوفيق والخذلان، وهذا يبين أن الله عز وجل خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور.

[٩] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، وهذا موضع القسم أي فازت وسعدت نفس زكاها الله، أي أصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة.

[١٠] ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، أي خانت وخسرت نفس أضلها الله فأفسدها. وقال الحسن: معناه قد أفلح من زكى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله عز وجل، (وقد خاب من دساها) أهلكتها وأضلها وحملها على المعصية، فجعل الفعل للنفس، ودساها أصله: دسها من التدسيس، وهو إخفاء الشيء، فأبدلت السين الثانية ياء، والمعنى هنا: أخملها وأخفى محلها بالكفر والمعصية.

[١١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾، بطغيانها وعدوانها أي الطغيان حملهم على التكذيب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّاسِ وَخُحْنَهَا ١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ٣
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا ٦
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ٨ قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ رَزَّهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ١٠ كَذَبَتْ ثُمُودُ
بِطْعُونِهَا ١١ إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
نَاقَةُ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ١٥

سُورَةُ النَّاقَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ٣
إِنْ سَعَيْكُمْ لَشِقَىٰ ٤ فَمَا مَنَ أُعْطِيَ وَالْفَنَىٰ ٥ وَصَدَّقَ الْحَسَنَىٰ ٦
فَسَيِّئُ الْمَسْرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنْ يَحْلُ وَأَسْتَفَىٰ ٨ وَكَذَّبَ الْحَسَنَىٰ ٩
فَسَيِّئُ الْمَسْرَىٰ ١٠ وَمَا يَنْفَعُهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ١١ إِنَّ عَلَيْنَا
لِلْهَدَىٰ ١٢ وَلِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ١٣ فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْطَنُ ١٤

[٤] قوله: ﴿إِنْ سَعَيْكُمْ لَشِقَىٰ﴾، إن أعمالكم لمختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطيا.
[٥] ﴿فَمَا مَنَ أُعْطِيَ وَالْفَنَىٰ﴾، (أعطى) ماله في سبيل الله، (واتقى) ربه.

[٦] ﴿وَصَدَّقَ الْحَسَنَىٰ﴾، قال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك: وصدق بلا إله إلا الله، وهي رواية عطية عن ابن عباس: وقال مجاهد: بالجنة دليله قوله تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى) يعني الجنة. وقيل: صدق بالحسنى أي بالخلف، أي أيقن أن الله تعالى سيخلفه. وهي رواية عكرمة عن ابن عباس. وقال قتادة ومقاتل والكلبي: بموعد الله عز وجل الذي وعده أي يفي به.

[٧] ﴿فَسَيِّئُ الْمَسْرَىٰ﴾، فسنيته في الدنيا، ﴿لِلْمَسْرَىٰ﴾، أي للخلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله عز وجل.

[١٢] ﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا﴾، أي قام، والانبعث: هو الإسراع في الطاعة للباعث، أي كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا لما انبعث أشقاها وهو قدار بن سالف، وكان أشقر أزرق قصيرا قام لعقر الناقة.

[١٣] ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾، صالح، ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾، أي احذروا عقر ناقة الله. وقال الزجاج: منصوب على معنى ذروا ناقة الله، ﴿وَسُقْيَاهَا﴾، شربها أي ذروا ناقة الله وذروا شربها من الماء، فلا تعرضوا للماء يوم شربها.

[١٤، ١٥] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، يعني صالحا، ﴿فَعَقَرُوهَا﴾، يعني الناقة. ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾، قال عطاء ومقاتل: فدمر عليهم ربهم فأهلكهم. قال المدرج: الدمدمة الهلاك باستتصال. ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾، بتكذيبهم الرسول وعقرها الناقة، ﴿فَسَوَّاهَا﴾، فسوى الدمدمة عليهم جميعا، وعمهم بها فلم يفلت منهم أحد. وقال الفراء: سوى الأمة وأنزل العذاب بصغيرها وكبيرها، يعني سوى بينهم، ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، عاقبتها. قال الحسن: معناه لا يخاف الله من أحد تبعه في إهلاكهم. وهي رواية عن ابن عباس، وقال الضحاك والسدي والكلبي: هو راجع إلى العاقر في الكلام تقديم وتأخير تقديره: إذا انبعث أشقاها ولا يخاف عقباها.

(٩٢) سورة الليل

[١] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾، أي يغشى النهار بظلمة فيذهب بضوئه.

[٢] ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾، بان وظهر من بين الظلمة.
[٣] ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾، يعني ومن خلق، وقيل: هي (ما) المصدرية أي خلق الذكر والأنثى. قال مقاتل والكلبي: يعني آدم وحواء.

[٢٠] ﴿إِلَّا﴾، لكن ﴿ابْتَغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾، يعني لا يفعل ذلك مجازاة لأحد بيد له عنده، ولكنه يفعله ابتغاء وجه ربه الأعلى في الدار الآخرة.

[٢١] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾، بما يعطيه الله عز وجل في الآخرة من الجنة والكرامة جزاء على ما فعل.

(٩٣) سورة الضحى

[١] قوله عز وجل: ﴿وَالضُّحَى﴾، أقسم بالضحى وأراد به النهار كله بدليل أنه قابله بالليل إذا سجد، نظيره قوله: (أن يأتيهم بأسنا ضحي)، أي نهارًا. وقال قتادة ومقاتل: يعني وقت الضحى، وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس، واعتدال النهار في الحر والبرد والصيف والشتاء.

[٢] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾، قال الحسن: أقبل بظلامه، وهي رواية العوفي عن ابن عباس، وقال الوالي عنه: إذا ذهب، قال عطاء والضحاك: غطى كل شيء بالظلمة. وقال مجاهد: استوى. وقال قتادة وابن زيد: سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك. يقال: ليل ساج وبحر ساج إذا كان ساكنًا.

[٣] قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾، هذا جواب القسم: أي ما تركك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك.

[٥، ٤] ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾، قال عطاء عن ابن عباس: هو الشفاعة في أمته حتى يرضى، وهو قول علي والحسن، قيل: (ولسوف يعطيك ربك) من الثواب. وقيل: من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين، (فترضى).

ثم أخبره الله عز وجل عن حالته التي كان عليها قبل الوحي، وذكره نعمه فقال جل ذكره:

[٦] ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَكَوَّى﴾، ألم يجدك يتيماً

[٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ يَبْخَلْ﴾، بالنفقة في الخير، ﴿وَأَسْتَفْتَى﴾، عن ثواب الله فلم يرغب فيه.

[٩، ١٠] ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى ۝ فَنَسِيحُهُ لِلْعُسْرَى﴾، سنهته للشر بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضي الله، فيستوجب به النار. قال مقاتل: نعرس عليه أن يأتي خيراً.

[١١] ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾، الذي بخل به، ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾، قال مجاهد: إذا مات. وقال قتادة وأبو صالح: هوى في جهنم.

[١٢] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾، يعني البيان. قال الزجاج: علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال، وهو قول قتادة، قال: على الله بيان حلاله وحرامه. قال الفراء: يعني من سلك الهدى فعلى الله سبيله، كقوله تعالى: (وعلى الله قصد السبيل)، يقول: من أراد الله فهو على السبيل القاصد.

[١٣] ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾، فمن طلبهما من غير مالكما فقد أخطأ الطريق.

[١٤] ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿فَارَاكَ تَلَطَّى﴾، أي تلتطى يعني تتوقد وتتوهج.

[١٥، ١٦] ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي كَذَّبَ﴾، الرسول، ﴿وَتَوَلَّى﴾، عن الإيمان.

[١٧] ﴿وَسَيَجْزِيهَا الْآتَقَى﴾، يريد بالآشقى الشقي، وبالآتقى التقى.

[١٨] ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾، يعطي ماله، ﴿يَتَزَكَّى﴾، يطلب أن يكون عند الله زاكياً لا رياء ولا سمعة، يعني أبا بكر الصديق، في قول الجميع، قال ابن الزبير: كان أبو بكر يبتاع الضعفة فيعتقهم، فقال أبوه: أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك؟ قال: منع ظهري أريد، فنزل: (وسيجزيها الآتقى) إلى آخر السورة.

[١٩] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدُكَ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾، يد يكافئه عليها.

سورة الضحى

٥٩٦

سورة الضحى

لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا الْإِنْفَى (١٥) الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيَجْزِيهَا
الْإِنْفَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ
نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)

سورة الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَافَى (٣)
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهْدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩)
(١٠) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١١) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١٢)

سورة الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ (٢) الَّذِي
أَقْنَصَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)

(٩٤) سورة الشرح

[١] ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، ألم نفتح ونوسع
ونلين لك قلبك بالإيمان والنبوة والعلم
والحكمة؟.

[٢] ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾، قال الحسن
ومجاهد وقتادة والضحاك: حططنا عنك الذي
سلف منك في الجاهلية، وقال الحسين بن
الفضل: يعني الخطأ والسهو. وقيل: ذنوب أمتك
فأضافها إليه لاشتغال قلبه بهم.

[٣] ﴿الَّذِي أَقْنَصَ ظَهْرَكَ﴾، أثقل ظهرك فأوهنه
حتى سمع له نقيض أي صوت. وقال عبد العزيز
ابن يحيى وأبو عبيدة: يعني خففنا عنك أعباء النبوة
والقيام بأمرها.

صغيراً فقيراً حين مات أبوك ولم يخلفا لك مالا
ولا مأوى، فجعل لك مأوى تأوي إليه، وضمك
إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك
المؤنة.

[٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهْدَى﴾، يعني ضالاً عما
أنت عليه فهداك للتوحيد والنبوة: قال الحسن
والضحاك وابن كيسان: (ووجدك ضالاً) عن معالم
النبوة وأحكام الشريعة غافلاً عنها، فهداك إليها،
وقيل: ضالاً في شعاب مكة فهداك إلى جددك عبد
المطلب.

[٨] ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾، أي فقيراً فأغناك
بمال خديجة ثم بالغنائم، وقال مقاتل: فرضاك بما
أعطاك من الرزق واختاره الفراء. وقال: لم يكن
غنياً عن كثرة المال ولكن الله رضاء بما آتاه وذلك
حقيقة الغنى. ثم أوصاه باليتامى والفقراء.

[٩] فقال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، قال مجاهد:
لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيماً. وقال الفراء
والزجاج: لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه،
وكذا كانت العرب تفعل في أمر اليتامى، تأخذ
أموالهم وتظلمهم حقوقهم.

[١٠] ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، قال المفسرون:
يريد السائل على الباب، يقول: لا تنهره لا تزجره
إذا سألك، فقد كنت فقيراً فإما أن تطعمه وإما أن
ترده رداً ليناً، يقال: نهره وانتهره إذا استقبله بكلام
يزجره. قال قتادة: رد السائل برحمة ولين، وروي
عن الحسن في قوله: (أما السائل فلا تنهر)، قال:
طالب العلم.

[١١] ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، قال مجاهد:
يعني النبوة، وقال الليث عن مجاهد: يعني القرآن
وهو قول الكلبي، أمره أن يقرأه، وقال مقاتل:
أشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من
جبر اليتيم والهدي بعض الضلالة والإغناء بعد
العيلة، والتحدث بنعمة الله شكرًا.

في جميع أحوالك . قال الزجاج : أي اجعل رغبتك إلى الله وحده .

(٩٥) سورة التين

[١] ﴿وَالَّتَيْنِ وَالتَّيْنُونَ﴾ ، قال ابن عباس : هو تينكم الذي تأكلونه وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت . وقيل : خص التين بالقسم لأنها فاكهة مختصة لا عجم فيها ، شبيهة بفواكه الجنة . والزيتون شجرة مباركة جاء بها الحديث وهو تمر ودهن يصلح للاصطباغ والاصطباح . وقال عكرمة : هما جبلان . قال قتادة : التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس لأنهما يبتنان التين والزيتون . وقال الضحاك : هما مسجدان بالشام . قال ابن زيد : التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس . وقال محمد بن كعب : التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيليا .

[٢] ﴿وَلَوْ رِ سِينِ﴾ ، يعني الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وذكرنا معناه عند قوله : (وشجرة تخرج من طور سيناء) .

[٣] ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ، أي الآمن ، يعني مكة يأمن فيه الناس في الجاهلية والإسلام ، هذه أقسام والمقسم عليه قوله :

[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ، أعدل قامة وأحسن صورة ، وذلك أنه خلق كل حيوان منكباً على وجهه إلا الإنسان خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده مزيناً بالعقل والتمييز .

[٥] ﴿ثُمَّ رَدَدْتَهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ﴾ ، يريد إلى الهرم وأرذل العمر ، فينقص عقله ويضعف بدنه ،

[٤] ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية (ورفعنا لك ذكرك) ، قال : قال الله تعالى : «إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي»^(١) ، وعن الحسن قال : (ورفعنا لك ذكرك) إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ . وقال عطاء عن ابن عباس : يريد الأذان والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر ، ولو أن عبداً عبد الله وصدقه في كل شيء ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع بشيء ، وكان كافراً . ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة ، وذلك أنه كان بمكة في شدة .

[٦، ٥] فقال : ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسراً ورخاءً بأن يظهرهم عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جتته به ، إن مع العسر يسراً كرهه لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء . وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ : «أبشروا قد جاءكم اليسر ، لن يغلب عسرٌ يسرين» .

[٧] ﴿إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ ، أي فاتعب والنصب : التعب ، قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبي : فإذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء ، وارغب إليه في المسألة يعطك . وروى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه قال : إذا صليت فاجتهد في الدعاء والمسألة . وقال ابن مسعود : إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل . وقال الشعبي : إذا فرغت من التشهد فادعُ لدينك وآخرتك . وقال الحسن وزيد بن أسلم : إذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك . وقال منصور عن مجاهد : إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب في عبادة ربك وصل . وقال حيان عن الكلبي : إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب ، أي : استغفر لذنبك وللمؤمنين .

[٨] ﴿وَلِإِنَّ رَبَّكَ فَارْعَبْ﴾ ، قال عطاء : تضرع إليه راهباً من النار راغباً في الجنة . وقيل : فارغب إليه

(١) أخرجه الطبري ٣٠/ ٢٣٥ ، وأبو يعلى في المسند ٢/ ١٣١ ، وابن حبان برقم (١٧٧٢) ص ٤٣٩ من موارد الظمان وفيه ابن لهيعة وقد اختلط ، وروايات دراج عن أبي الهيثم فيها ضعف .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٩٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ ﴿٥﴾
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالِّدِينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْعَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَفْرَأَيْتَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَفَرَأَيْتَ أَقْرَأَ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴿٦﴾ أَن رَّاهُ اسْتَفْقَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَتَّبِعُ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهَدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ بِرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ
لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فليدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾
سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا نَطْعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾

والسافلون هم الضعفاء والزمنى والأطفال، فالشيخ الكبير من هؤلاء جميعاً، وأسفل سافلين نكرة تعم الجنس، وفي مصحف عبدالله (أسفل السافلين). وقال الحسن وقتادة ومجاهد: يعني ثم رددناه إلى النار، يعني إلى أسفل السافلين، لأن جهنم بعضها أسفل من بعض.

[٦] ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فإنهم لا يردون إلى النار. ومن قال بالقول الأول قال: رددناه أسفل سافلين، فزالت عقولهم وانقطعت أعمالهم، فلا يكتب لهم حسنة إلا الذين آمنوا. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإنه يكتب لهم بعد الهرم، والخرف، مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، غير مقطوع لأنه يكتب له كصالح ما كان يعمل. قال الضحاك: أجر غير عمل ثم قال: إلزاماً للحجة.

[٧] ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾، أيها الإنسان ﴿بَعْدُ﴾، أي بعد هذه الحجة والبرهان، ﴿بِالَّذِينَ﴾، بالحساب والجزاء والمعنى، ألا تتفكر في صورتك وشبابك وهرمك فتعتبر وتقول إن الذي فعل ذلك قادر على أن يعثني ويحاسبني، فما الذي يكذبك بالمجازاة بعد هذه الحجج.

[٨] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾، بأقضى القاضين، قال مقاتل: يحكم بينك وبين أهل التكذيب يا محمد.

سورة العلق (٩٦)

[١] ﴿أَفْرَأَيْتَ يَاسِرَ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، أكثر المفسرين على أن هذه أول سورة نزلت من القرآن، وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ والمعنى: اذكر اسمه، أمر أن يتبدى القراءة باسم الله تأديباً، ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ قال الكلبي: يعني الخلائق ثم فسره فقال:

[٢] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ يعني ابن آدم، ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾، جمع علقه.

[٣] ﴿أَقْرَأَ﴾، كرره تأكيداً، ثم استأنف فقال: ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾، فقال الكلبي: الحليم عن جهل العباد لا يعجل عليهم بالعقوبة.

[٤] ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾، يعني الخط والكتابة.

[٥] ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، من أنواع الهدى والبيان. وقيل: علم آدم الأسماء كلها. وقيل: الإنسان ههنا محمد ﷺ، بيانه: «وعلمك ما لم تكن تعلم».

[٦] ﴿كَلَّا﴾، حقاً ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾، ليتجاوز حده ويستكبر على ربه.

[٧] ﴿أَن﴾، لأن، ﴿رَّاهُ اسْتَفْقَى﴾، أن رأى نفسه غنياً، قال الكلبي: يرتفع عن منزلة إلى منزلة في اللباس والطعام وغيرهما.

الزجاج: هم الملائكة الغلاظ الشداد، قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله.

[١٩] ثم قال: ﴿كَلَّا﴾، ليس الأمر على ما عليه أبو جهل، ﴿لَا نَطْعُهُ﴾، في ترك الصلاة، ﴿وَأَسْجُدْ﴾، صلّ الله، ﴿وَأَقْرَبْ﴾، من الله.

(٩٧) سورة القدر

[١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، يعني القرآن كناية عن غير مذكور، أنه أنزله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، فوضعه في بيت العزة، ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام نجومًا في عشرين سنة.

[٢] ثم عجب نبيه فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾، سُميت ليلة القدر لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام، يقدر الله فيها أمر السنة في عباده وبلاده إلى السنة المقبلة، كقوله تعالى: (فيها يفرق كل أمر حكيم) واختلفوا في وقتها فقال بعضهم: إنها كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت، وعامة الصحابة والعلماء على أنها باقية إلى يوم القيامة. وقال بعضهم: هي ليلة من ليالي السنة، والجمهور من أهل العلم: على أنها في شهر رمضان، واختلفوا في تلك الليلة، قال أبو رزين العقيلي: هي أول ليلة من شهر رمضان. وقال الحسن: ليلة سبع عشرة، وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر. والصحيح والذي عليه الأكثرون: أنها في العشر الأواخر من شهر رمضان، أبهم الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا في العبادة ليالي رمضان طمعًا في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، واسمه الأعظم في الأسماء، ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي ليتنبهوا عن جميعها، وأخفى قيام الساعة

[٨] ﴿إِنَّ إِلَٰهَ رَبِّكَ الرَّحْمَنُ﴾، أي المرجع في الآخرة.

[٩، ١٠] ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾، نزلت في أبي جهل نهى النبي ﷺ عن الصلاة، ومعنى أرايت ههنا تعجيب للمخاطب، وكرر هذه اللفظة للتأكيد.

[١١] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ أُمْدَيْنِ﴾، يعني العبد المنهي، وهو محمد ﷺ.

[١٢] ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾، يعني بالإخلاص والتوحيد.

[١٣] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾، يعني أبا جهل، ﴿وَتَوَلَّى﴾، عن الإيمان، وتقدير نظم الآية: أرايت الذي ينهي عبدًا إذا صلى وهو على الهدى، وأمر بالتقوى، والناهي مكذب متولٍ عن الإيمان، فما أعجب من هذا!

[١٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ﴾، يعني أبا جهل، ﴿يَأْنِ لِلَّهِ بِرَأْيِ﴾، ذلك فيجازه به.

[١٥] ﴿كَلَّا﴾، لا يعلم ذلك، ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ﴾، عن إيذاء محمد ﷺ وتكذيبه، ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾، لنأخذ بناصيته فلنجرنه من النار، كما قال: (فيؤخذ بالنواصي والأقدام)، يقال: سفعت بالشيء إذا أخذته وجذبه جذبًا شديدًا، والناصية: شعر مقدم الرأس.

[١٦] ثم قال على البدل: ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾، أي صاحبها كاذب خاطئ، قال ابن عباس: لما نهى أبو جهل رسول الله ﷺ عن الصلاة انتهره رسول الله ﷺ، فقال أبو جهل: أنتهزني؟ فوالله لأملأنّ عليك هذا الوادي إن شئت خيلًا جردًا ورجالًا مردًا.

[١٧] قال الله عز وجل: ﴿فَلْيَعْنِ نَادِيَهُ﴾، أي قومه وعشيرته، أي فليستنصر بهم.

[١٨] ﴿سَنَعْنُ الزَّبَانِيَةَ﴾، جمع زبني مأخوذ من الزبن، وهو الدفع، قال ابن عباس: يريد زبانية جهنم سموا بها لأنهم يدفعون أهل النار إليها، قال

ليجتهدوا في الطاعات حذرًا من قيامها

[٣] ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: معناه عمل صالح في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

[٤] قوله عز وجل: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ﴾، يعني جبريل عليه السلام معهم، ﴿فِيهَا﴾، أي في ليلة القدر، ﴿يَأْذِنُ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، أي بكل أمر من الخير والبركة، كقوله: (يحفظونه من أمر الله) أي بأمر الله.

[٥] ﴿سَلَّمَ﴾، قال عطاء: يريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته. قال الشعبي: هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر. قال الكلبي: الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنًا أو مؤمنة سلموا عليه من ربه حتى يطلع الفجر. وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿يَأْذِنُ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ثم ابتداء فقال: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ أي ليلة القدر سلام وخير كلها، ليس فيها شر. قال الضحاك: لا يُقَدَّرُ الله في تلك الليلة ولا يقضي إلا السلامة. وقال مجاهد: يعني أن ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا، ولا أن يحدث فيها أذى، ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾، أي إلى مطلع الفجر.

(٩٨) سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

[١] ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، وهم اليهود والنصارى، ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾، وهم عبدة الأوثان، ﴿مُنْفَكِينَ﴾، زائلين منفصلين، يقال: فككت الشيء فانفك أي انفصل، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، لفظه مستقبل ومعناه الماضي أي حتى أتتهم الحجة الواضحة، يعني محمدًا ﷺ أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم إلى الإسلام والإيمان، فهذه الآية فيمن آمن من

سُورَةُ الْقَدْرِ

٥٩٨

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

سُورَةُ الْقَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

الفريقين، أخبر أنهم لم ينتهوا عن الكفر حتى أتاهم الرسول فدعاهم إلى الإيمان فآمنوا فأنقذهم الله من الجهل والضلالة.

[٢] ثم فسر البينة فقال: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو﴾، يقرأ، ﴿صُحُفًا﴾، كتابًا، يريد ما يتضمنه الصحف من المكتوب فيها، وهو القرآن لأنه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب، قوله: ﴿مُطَهَّرَةً﴾، من الباطل والكذب والزور.

[٣] ﴿فِيهَا﴾، أي في الصحف، ﴿كُتِبَ﴾، يعني الآيات والأحكام المكتوبة فيها، ﴿قِيمَةٌ﴾، عادلة مستقيمة غير ذات عوج.

[٤] ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، في أمر محمد ﷺ، ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾، أي البيان في كتبهم أنه نبي مرسل. قال المفسرون: لم يزل أهل

الكتاب مجتمعين في تصديق محمد ﷺ حتى بعثه الله، فلما بُعث تفرقوا في أمره واختلفوا، فأمن به بعضهم، وكفر آخرون. ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم فقال:

[٥] ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾، يعني هؤلاء الكفار، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني إلا أن يعبدوا الله، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، قال ابن عباس: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بإخلاص العبادة لله موحدين ﴿حُفَاءَ﴾، مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، المكتوبة في أوقاتها ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾، عند محلها، ﴿وَذَلِكُمْ﴾، الذي أمروا به، ﴿دِينُ الْقَلِيمَةِ﴾، أي الملة والشريعة المستقيمة. وقيل: القيمة هي الكتب التي جرى ذكرها، أي وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو إليه وتأمر به.

[٦] ثم ذكر ما للفريقين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾.

[٨، ٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۚ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسَنَ رَبُّهُ﴾، وتناهى عن المعاصي، وقيل: الرضا ينقسم إلى قسمين رضا به ورضا عنه، فالرضا به: ربًّا ومُدبِّرًا، والرضا عنه: فيما يقضي ويقدر.

(٩٩) سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

[١] ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾، حركت الأرض حركة شديدة لقيام الساعة، ﴿زَلْزَالَهَا﴾، تحريكها.

[٢] ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْفَالَهَا﴾، موتاها وكنوزها فتلقياها على ظهرها.

[٣] ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا؟﴾ قيل: في الآية تقديم وتأخير تقديره:

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

٥٩٩

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسَنَ رَبُّهُ ۚ

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا ۖ (١) وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْفَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)

سُورَةُ الْعَنَّاكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَنَيْنِ صَبْحًا (١) فَالْمُورِتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغْرِبِ صَبْحًا (٣) فَاتْرَنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَّطَنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) ۚ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَافِئُ الْقُبُورِ (٩)

[٤] ﴿يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، فيقول الإنسان: ما لها، أي تخبر الأرض بما عمل عليها.

[٥] ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ أي أمرها بالكلام وأذن لها بأن تخبر بما عمل عليها.

[٦] قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ﴾، يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض، ﴿أَشْتَاتًا﴾، متفرقين فأخذ ذات اليمين إلى الجنة وأخذ ذات الشمال إلى النار ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾، قال ابن عباس: ليروا جزاء أعمالهم، والمعنى أنهم يرجعون عن الموقف فرقًا لينزلوا منازلهم من الجنة والنار.

[٧] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، وزن نملة صغيرة أصغر ما يكون من النمل. ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾.

[٨] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، قال ابن عباس: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرًا أو شرًّا

وقال الحسن: هو الذي يعد المصائب وينسى النعم. وقال عطاء: هو الذي لا يعطي في النائية مع قومه. وقال أبو عبيدة: هو قليل الخير، والأرض الكنود التي لا تثبت شيئاً.

[٧] ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾، قال أكثر المفسرين: وإن الله على كونه كنوداً لشاهد. وقال ابن كيسان: الهاء راجعة إلى الإنسان أي إنه شاهد على نفسه بما يصنع.

[٨] ﴿وَإِنَّهُ﴾، يعني الإنسان ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾، أي لحب المال، ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي لبخيل، أي إنه من أجل حب المال لبخيل. يقال للبخيل: شديد ومتشدد. وقيل: معناه وإنه لحب الخير لقوي أي شديد الحب للخير، أي المال.

[٩] ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾، هذا الإنسان، ﴿إِذَا بُعِرَ﴾، أثير وأخرج، ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾. [١٠] ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾، أي مُيِّز وأبرز ما فيها من خير أو شر.

[١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾، جمع الكناية لأن الإنسان اسم الجنس، ﴿يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾، عالم، قال الزجاج: الله خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى أنه يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم.

(١٠١) سُورَةُ الْقَارِعَةِ

[١] ﴿الْقَارِعَةُ﴾، اسم من أسماء القيامة لأنها ترقع القلوب بالفرع.

[٢] ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾، تهويل وتعظيم.

[٣، ٤] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾، الفراش الطير التي تراها تتهافت في النار والمبثوث المفرق. وقال الفراء: كغوغاء الجراد شبه الناس عند البعث بها يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضاً من الهول

في الدنيا إلا أراه الله له يوم القيامة، فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيرد حسناته ويعذب بسيئاته.

(١٠٠) سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

[١] ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ هي الخيل العادية في سبيل الله تضبح، والضبح صوت أجوافها إذا عَدَتْ، وقوله: (ضَبْحًا) نصب على المصدر، مجازة: والعاديات تضبح ضَبْحًا. وقال علي: هي الإبل في الحج تعدو من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى.

[٢] ﴿فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا﴾ هي الخيل توري النار بحوافرها إذا سارت في الحجارة، يعني والقادحات قدحاً يقدحن بحوافرهن، وقال مجاهد وزيد بن أسلم: هي مكر الرجال، يعني رجال الحرب، والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه: أما والله لأقدحن لك ثم لأورين لك.

[٣] ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾، هي الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح، هذا قول أكثر المفسرين. وقال القرطبي: هي الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى، والسنة ألا تدفع حتى تصبح والإغارة سرعة السير.

[٤] ﴿فَأَنزَلَ بِهِ﴾، أي هيجن بمكان سيرها كناية عن غير مذكور لأن المعنى مفهوم، ﴿نَقْعًا﴾، غباراً والنقع الغبار.

[٥] ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾، أي دخلن به وسط العدو، قال القرطبي: يعني جمع منى أقسم الله بهذه الأشياء.

[٦] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: لكنود لكفور جحود لنعم الله تعالى. قال الكلبي: هو بلسان مضر وربيعية: الكفور، وبلسان كندة وحضرموت: العاصي.

كما قال: (كانهم جراد منتشر).

[٥] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾، كالصوف المندوف.

[٦، ٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، رجحت حسناته، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾، مرضية في الجنة. قال الزجاج: ذات رضا يرضاها صاحبها. [٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾، رجحت سيئاته على حسناته.

[٩] ﴿فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾، مسكنه النار سمي المسكن أمًّا لأن الأصل في السكون إلى الأمهات، والهاوية اسم من أسماء جهنم، وهو الهواة لا يدرك قعرها، وقال قتادة: وهي كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد، يقال: هوت أمه. وقيل: أراد أم رأسه يعني أنهم يهون في النار على رؤوسهم، وإلى هذا التأويل ذهب قتادة وأبو صالح.

[١٠] ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ﴾ يعني الهاوية وأصلها ما هي أدخل الهاء فيها للوقف ثم فسرهما. [١١] فقال: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾، أي حارة قد انتهى حرها.

(١٠٢) سُورَةُ التَّكَاثُرِ

[١] ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، شغلتمكم المباهاة والمفاخرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه.

[٢] ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، حتى متم ودفنتم في المقابر، ثم رد الله عليهم فقال:

[٣] ﴿كَلَّا﴾، ليس الأمر بالتكاثر، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وعيد لهم، ثم تكرر تأكيدًا فقال: [٤] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، قال الحسن ومقاتل: هو وعيد بعد وعيد والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت.

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

٦٠٠

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۖ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١﴾

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ

﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا

مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ

﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ

﴿٩﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ

تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ

عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا

عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

وقال الضحاك: (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) يعني الكفار، (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) يعني المؤمنين وكان يقرأ الأولى بالتاء والثانية بالياء.

[٥] ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾، أي علمًا يقينًا فأضاف العلم إلى اليقين كقوله: (لهو حق اليقين)، وجواب (لو) محذوف أي لو تعلمون علمًا يقينًا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر. قال قتادة: كنا نتحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعته بعد الموت.

[٦] ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾، قرأ ابن عامر والكسائي (لثرون) بضم التاء من أريته الشيء، وقرأ الآخرون: بفتح التاء أي ترونها بأبصاركم من بعد. [٧] ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾، مشاهدة ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾.

[٨] ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ عن ابن مسعود رفعه قال: (ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)

قال: «الأمن والصحة». وقال قتادة: إن الله يسأل كل ذي نعمة عما أنعم عليه. وروي عن ابن عباس قال: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العبيد فيم استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، قال عكرمة: عن الصحة والفراغ. وقال سعيد بن جبير: عن الصحة والفراغ والمال، قال محمد بن كعب: يعني عما أنعم عليكم بمحمد ﷺ. وقال أبو العالية: عن الإسلام والسنن. وقال الحسين بن الفضل: تخفيف الشرائع وتيسير القرآن.

(١٠٣) سُورَةُ الْعَصْرِ

[١] ﴿وَالْعَصْرِ﴾، قال ابن عباس: والدهر. قيل: أقسم به لأن فيه عبرة للناس. وقيل: معناه ورب العصر، وكذلك في أمثاله. وقال ابن كيسان: أراد بالعصر الليل والنهار، يقال لهما العصران. وقال الحسن: من بعد زوال الشمس إلى غروبها. وقال قتادة: آخر ساعة من ساعات النهار. وقال مقاتل: أقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى.

[٢] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ خَاسِرٌ﴾، أي خسران ونقصان، قيل: أراد به الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين، والخسران ذهاب رأس مال الإنسان في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي، وهما أكبر رأس ماله.

[٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإنهم ليسوا في خسران، ﴿وَتَوَّصَّوْا﴾، أوصى بعضهم بعضاً، ﴿بِالْحَقِّ﴾، بالقرآن قاله الحسن وقاتدة، وقال مقاتل: بالإيمان والتوحيد، ﴿وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ﴾، على أداء الفرائض وإقامة أمر الله. وروى ابن عون عن إبراهيم قال: أراد أن الإنسان إذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع إلا المؤمنين فإنهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها

سُورَةُ الْعَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ خَاسِرٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْهَمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمْزٍ لَمَزَةً ﴿١﴾ الَّتِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَدَ لَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْخَطْمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخَطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْعَدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّا عَلَيْنَاهُمْ مَوْعِدَةً ﴿٨﴾ فِي عَمْدٍ مُدَدَةٍ ﴿٩﴾

سُورَةُ الْفَيْتَنِكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّتِي تَرَكَّيْفَ فَعْلٍ رَبِّكَ بِأَحْصَابِ الْفَيْلِ ﴿١﴾ الَّتِي جَعَلَ كَيْدَهُ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

في شبابهم وصحتهم.

(١٠٤) سُورَةُ الْهَمَزَةِ

[١] ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمْزٍ لَمَزَةً﴾، قال ابن عباس: هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العنت، ومعناها واحد وهو العياب. وقال مقاتل: الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه. وقال أبو العالية والحسن: بضده، وقال سعيد بن جبير وقاتدة: الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم، واللمزة الطعان عليهم. وقال ابن زيد: الهمزة الذي يهزم الناس بيده ويضربهم، واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم. وقال سفيان الثوري: ويهزم بلسانه ويلمز بعينه. ومثله قال ابن كيسان: الهمزة الذي يؤدي

سُورَةُ الْفِيلِ (١٠٥)

[١] ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ «أبرهة بن الصياح وأتباعه الذين قصدوا هدم الكعبة».

[٢] ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾، كيدهم يعني مكروهم وسعيهم في تخريب الكعبة. وقوله: في تضليل عما أرادوا، ضلل كيدهم حتى لم يصلوا إلى الكعبة، وإلى ما أرادوه بكيدهم. وقال مقاتل: في خسارة وقيل: في بطلان.

[٣] ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضًا. وقيل: أقاطيع كالإبل المؤبلة. قال أبو عبيدة: أبابيل جماعات في تفرقة، يقال: جاءت الخيل أبابيل من ههنا وههنا. قال ابن عباس: كانت طيرًا لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب. وقال عكرمة: لها رؤوس كرؤوس السباع. قال الربيع: لها أنياب كأنياب السباع. وقال سعيد بن جبير: خضر لها مناقير صفر. وقال قتادة: طير سود جاءت من قبل البحر فوجًا فوجًا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره لا تصيب شيئًا إلا هشمته.

[٤] ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾، قال ابن مسعود: صاحت الطير ورمتهم بالحجارة فبعث الله ريحًا فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع منها حجر على رجل إلا خرج من الجانب الآخر، وإن وقع على رأسه خرج من دبره.

[٥] ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّأْكُولٍ﴾، كزرع وتين أكلته الدواب فرائته فييس وتفرقت أجزاؤه، شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث. قال مجاهد: العصف ورق الحنطة. وقال قتادة: هو التبن. وقال ابن عكرمة: كالحب إذا أكل فصار أجوف. وقال ابن عباس: هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له.

جليسه بسوء اللفظ، واللمزة الذي يومض بعينه ويشير برأسه، ويرمز بحاجبه. وهما لغتان للفاعل نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس، وأصل الهمز: الكسر والعض على الشيء بالعنف.

[٢] ثم وصفه فقال: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدُوهُ﴾، أحصاه، وقال مقاتل: استعده وادخره وجعله عتادًا له، يقال: أعددت الشيء وعددته إذا أمسكته.

[٣] ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾، في الدنيا يظن أنه لا يموت مع يساره.

[٤] ﴿كَلَّا﴾، رد عليه أن لا يخلده ماله، ﴿لَيُبَدِّلَنَّهُ﴾، ليطرحن، ﴿فِي الْخُطْمَةِ﴾، في جهنم، والخطمة من أسماء النار مثل سقر ولظى سميت خطمة لأنها تحطم العظام وتكسرها.

[٥-٧] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ هـ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقِ هـ، أي التي بلغ ألمها ووجعها إلى القلوب، والاطلاع والبلوغ التطلع بمعنى واحد، يحكى عن العرب متى طلعت أرضنا أي بلغت، ومعنى الآية: أنها تأكل كل شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده، قاله القرطبي والكلبي.

[٨] ﴿إِنَّا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾، مطبقة مغلقة.

[٩] ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ قال ابن عباس: أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد، وفي أعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الأبواب، وقال قتادة: بلغنا أنها عمد يعذبون بها في النار. وقيل: هي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار، أي أنها مطبقة عليهم بأوتاد ممددة وهي في قراءة عبدالله (بعمد) بالباء، قال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم ثم سدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم ريح، والممددة من صفة العمد، أي مطولة فتكون أرسخ من القصيرة.

(١٠٦) سُورَةُ قُرَيْشٍ

[١] ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ عد بعضهم سورة الفيل .
وهذه السورة واحدة لا فصل بينهما وقالوا: اللام في ﴿لَا إِلَافَ﴾ تتعلق بالسورة التي قبلها، وذلك أن الله تعالى ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة، وقال: ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾، وقال الزجاج: المعنى جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قریش، أي هلك أصحاب الفيل لتبقى قریش، وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف. وقال مجاهد: ألفوا ذلك فلا يشق عليهم في الشتاء والصيف.

والعامة على أنهما سورتان، واختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله: (لإيلاف) قال الكسائي والأخفش: هي لام التعجب، يقول: اعجبوا لإيلاف قریش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة رب البيت. وقال الزجاج: هي مردودة إلى ما بعدها تقديره: فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف. وقال ابن عيينة: لنعمتي على قریش، وقریش هم ولد النضر بن كنانة، وكل من ولده النضر فهو قرشي، ومن لم يلد النضر فليس بقرشي.

[٢] قوله تعالى: ﴿لَإِنْفِهِمْ﴾، بدل من الإيلاف الأول، ﴿رَحَلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾، ﴿رَحَلَةَ﴾ نصب على المصدر، أي ارتحالهم رحلة الشتاء والصيف، كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة إحداهما في الشتاء إلى اليمن لأنها أدفاً، والأخرى في الصيف إلى الشام. وكان الحرم وادياً جذباً لا زرع فيه ولا ضرع، وكانت قریش تعيش بتجارتهم ورحلتهم، وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء، كانوا يقولون: قریش سكان حرم الله وولاة بيته، فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة وأمرهم الله بعبادة

سُورَةُ الْقُرْآنِ ٦٠٢ سُورَةُ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ ١ لَإِنْفِهِمْ رَحَلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ٤

سُورَةُ الْمَاعُونِ ٧٧ سُورَةُ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ١ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ٢ وَلَا يُحِصُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ٣ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ٧

سُورَةُ الْكَوْثَرِ ٢٠ سُورَةُ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ٣

رب البيت فقال:

[٣] ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، أي الكعبة.
[٤] ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾، أي من بعد جوع بحمل الميرة إلى مكة، ﴿وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾، بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم في رحلتهم.

(١٠٧) سُورَةُ الْمَاعُونِ

[١] ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾، أي بالجزاء والحساب.
[٢] ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾، يقهره ويدفعه عن حقه، والدع: الدفع بالعنف والجفوة.
[٣] ﴿وَلَا يُحِصُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾، لا يطعمه ولا يأمر بإطعامه لأنه يكذب بالجزاء.

في الحديث.

[٢] قوله عز وجل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ﴾، قال محمد بن كعب: إن إناسًا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله، فأمر الله نبيه ﷺ أن يصلي وينحر لله عز وجل. وقال عكرمة وعطاء وقتادة: فصلُّ لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك. وقال سعيد بن جبير ومجاهد: فصلُّ الصلوات المفروضة بجمع، وانحر البدن بمنى.

[٣] قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ﴾، عدوك ومبغضك، ﴿هُوَ الْآبَرُ﴾، هو الأقل الأذل المنقطع دابره.

(١٠٩) سُورَةُ الْكَافِرُونَ

[٢، ١] ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، في الحال.

[٥-٣] ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، في الحال، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾، في الاستقبال، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، في الاستقبال، وهذا خطاب لمن سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون، وذلك أنهم قالوا: إن شرك أن ندخل في دينك عامًّا فادخل في ديننا عامًّا، فنزلت هذه السورة.

[٦] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾، الشرك، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾، الإسلام.

[٥، ٤] ﴿تَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، سئل رسول الله ﷺ عن (الذين هم عن صلاتهم ساهون)، قال: «إضاعة الوقت»^(١)، قال ابن عباس: هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس، ويصلونها في العلانية إذا حضروا.

[٦] لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرْأَوْنَ﴾، وقال في وصف المنافقين: «وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يُرْأَوْنَ الناس»، وقال قتادة: ساه عنها لا يبالي صلى أم لم يصل. قيل: لا يرجون لها ثوابًا إن صلوا ولا يخافون عقابًا إن تركوا. وقال مجاهد: غافلون عنها يتهاونون بها. وقال الحسن: هو الذي إن صلاها صلاها رياءً، وإن فاتته لم يندم. وقال أبو العالية: لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها وسجودها.

[٧] ﴿وَيَسْتَعُونَ الْمَاعُونَ﴾، روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: هي الزكاة. وقال عبدالله بن مسعود: الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك. وقال مجاهد: الماعون العارية. وقال عكرمة: أعلاها الزكاة المعروفة، وأدناها عارية المتاع. وقيل: الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار.

(١٠٨) سُورَةُ الْكَوْثَرِ

[١] ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ عن ابن عباس قال: الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير: إن أناسًا يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه. قال الحسن: هو القرآن. قال عكرمة: النبوة والكتاب. والمعروف: أنه نهر في الجنة أعطاه الله رسول الله ﷺ كما جاء

(١) أخرجه البيهقي في السنن ٢/٢١٤ مرفوعًا وموقوفًا، وأبو يعلى في المسند موقوفًا ١/٣٣٦ والطبري ٣٠/٣١١ والمصنف في شرح السنة ٢/٢٤٦.

(١١٠) سُورَةُ النَّصْرِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ يا محمد على من عاداك وهم قريش، والفتح فتح مكة.

[٢] ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾، زمراً وأرسالاً القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم من غير قتال. قال الحسن: لما فتح الله عز وجل مكة على رسوله قالت العرب بعضها البعض: إذا ظفر محمد بأهل الحرم، وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا بعد أن كانوا يدخلون واحداً واحداً، واثنين اثنين.

[٣] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فإنك حينئذ لاحق به. قال ابن عباس: لما نزلت هذه السورة علم النبي ﷺ أنه نعيث إليه نفسه. قال الحسن: أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالزيادة في العمل الصالح. قال قتادة ومقاتل: عاش النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة سبعين يوماً.

(١١١) سُورَةُ الْمَسَدِ

[١] ﴿تَبَّتْ أَيُّ خَابَتْ وَخَسِرَتْ﴾ يَدَا أَيُّ لَهَبٍ أَيُّ هُوَ، أخبر عن يديه والمراد به نفسه على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله. وقيل: اليد صلة، كما يقال: يد الدهر ويد الرزايا والبلايا. وقيل: المراد به ماله وملكه، يقال: فلان قليل ذات اليد، يعنون به المال والثياب والخسار والهلاك. وأبو لهب هو ابن عبدالمطلب عم النبي ﷺ واسمه عبد العزى ﴿وَتَبَّتْ﴾ أبو لهب، وقرأ عبدالله: وقد تبَّت. قال الفراء: الأول دعاء، والثاني خبر، كما يقال: أهلكه الله، وقد فعل.

سُورَةُ الْكَافُرُونَ ٦٠٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَتَّيَبُهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

سُورَةُ النَّصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

سُورَةُ الْمَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَيُّ لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصِلُنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

[٢] ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ أي ما يغني، وقيل: أي شيء يغني عنه ماله، أي ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع من المال؟ وكان صاحب مواش ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ قيل: يعني ولده لأن ولد الإنسان من كسبه كما جاء في الحديث: «أطيب ما يأكل أحدكم من كسبه، وأن ولده من كسبه»^(١).

[٣] ثم وعده بالنار فقال: ﴿سَيَصِلُنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾، أي ناراً تلتهب عليه.

[٤] ﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾، أم جميل بنت حرب بن أمية

(١) حديث صحيح روى من طرق بالفاظ متقاربة أخرجه أبو داود في الإجازات ١٨٢/٥، والترمذي في الأحكام ٤/٥٩٢، وقال: حديث حسن، والنسائي في البيوع ٢٤١/٧، وابن ماجه في التجارات برقم (٢٢٩٠-٢٦٨/٧)، والدارمي في البيوع ٢٤٧/٢، وصححه ابن حبان ص ٢٦٨ من موارد الظمان.

يولد سيموت ومن يرث يورث منه. قال أبو وائل شقيق بن سلمة: هو السيد الذي قد انتهى سُودُهُ. وعن ابن عباس قال: هو السيد الذي قد كمل في جميع أنواع السُودد. وعن سعيد بن جبير أيضًا: هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله. وقيل: هو السيد المقصود في الحوائج. وقال قتادة: الصمد الباقي بعد فناء خلقه. وقال عكرمة: الصمد الذي ليس فوقه أحد. وقال الربيع: الذي لا تعتريه الآفات. قال مقاتل بن حيان: الذي لا عيب فيه.

[٤، ٣] ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَكِّدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، قرأ حمزة وإسماعيل (كفؤًا) ساكنة الفاء مهموزًا، وقرأ حفص عن عاصم بضم الفاء من غير همز، وقرأ الآخرون بضم الفاء مهموزًا، وكلها لغات صحيحة، ومعناه: المثل أي هو أحد، وقيل: هو على التقديم والتأخير مجازة: لم يكن له أحد كفؤًا أي مثلاً. قال مقاتل: قال مشركو العرب: الملائكة بنات الله، وقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فأكذبهم الله ونفى عن ذاته الولادة والمثل.

أخت أبي سفيان ﴿حَمَلَةَ الْحَطَبِ﴾، قال زيد والضحاك: كانت تحمل الشوك والعضاء فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ، وأصحابه لتعقرهم، وهي رواية عطية عن ابن عباس. وقال قتادة ومجاهد والسدي: كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث فتلقي العداوة بين الناس، وتوقد نارها كما توقد النار الحطب، يقال: فلان يحطب على فلان إذا كان يُغري به.

[٥] ﴿فِي جِدِّهَا﴾، في عنقها، وجمعه أجياد، ﴿حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ﴾، واختلفوا فيه قال ابن عباس وعروة بن الزبير: سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعًا تدخل في فيها وتخرج من دبرها، ويكون سائرها في عنقها وأصله من المسد وهو الفتل، والمسد ما قتل وأحكم من أي شيء كان، يعني السلسلة التي في عنقها ففتلت من الحديد فتلاً محكمًا. وروى الأعمش عن مجاهد: من مسد أي من حديد. قال ابن زيد: حبل من شجر ينبت باليمن يقال له مسد، قال قتادة: قلادة من ودع. وقال الحسن: كانت خرزات في عنقها.

(١١٢) سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

(١١٢) سُورَةُ الْفَلَقِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، أراد بالفلق الصبح، وهو قول أكثر المفسرين، وروي عن ابن عباس: أنه سجن في جهنم. وقال الكلبي: وإد في جهنم. وقال الضحاك: يعني الخلق، والأول هو المعروف.

[٣، ٢] ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ المراد به القمر إذا خسف واسود: وَقَب أي دخل في الخسوف أو أخذ في الغيوبة وأظلم. وقال ابن عباس: الغاسق الليل إذا أقبل بظلمته من

[١] ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، روى أبو العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي واحد، ولا فرق بين الواحد والأحد.

[٢] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، قال ابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير: الصمد الذي لا جوف له. قال الشعبي: الذي لا يأكل ولا يشرب. وقيل: تفسيره ما بعده. روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال: الصمد الذي لم يلد ولم يولد لأن من

سُورَةُ الْاِنْشَاءِ

٦٠٤

سُورَةُ الْاِنْشَاءِ

سُورَةُ الْاِنْشَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

سُورَةُ الْفَالِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْغِيَّةِ وَالنَّاسِ ⑥

والناس، فسمى الجن ناسًا كما سماهم رجالًا، فقال: (وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن).

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

المشرق ودخل في كل شيء وأظلم، والغسق الظلمة، يقال غسق الليل وأغسق إذا أظلم، وهو قول الحسن ومجاهد، يعني: الليل إذا أقبل ودخل، والوقوب: الدخول، وهو دخول الليل بغروب الشمس. قال مقاتل: يعني ظلمة الليل إذا دخل سواده في ضوء النهار. وقيل: سمي الليل غاسقًا لأنه أبرد من النهار، والغسق البرد.

[٤] ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها. قال أبو عبيدة: هن بنات لبيد بن الأعصم سحرن النبي ﷺ.

[٥] ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، يعني اليهود فإنهم كانوا يحسدون النبي ﷺ.

سُورَةُ النَّاسِ (١١٤)

[١-٤] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④﴾، يعني الشيطان يكون مصدرًا واسمًا، قال الزجاج: يعني الشيطان ذا الوسواس، الخناس الرجاء، وهو الشيطان جائم على قلب الإنسان، فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس. قال: الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربه خنس. ويقال: رأسه كراس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يُمْتِيهِ ويحدّثه، فإذا ذكر الله خنس وإذا لم يذكر رجع فوضع رأسه.

[٥] فذلك: ﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾، بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع.

[٦] ﴿مِنْ الْغِيَّةِ وَالنَّاسِ﴾، يعني يدخل في الجني كما يدخل في الإنسي، ويوسوس الجني كما يوسوس الإنسي، قاله الكلبي، وقوله: (في صدور الناس) أراد بالناس ما ذكر من بعد وهو الغِيَّةُ

الفهرس

| الموضوع | الصفحة | الموضوع | الصفحة |
|----------------------------------|--------|----------------------------|--------|
| كلمة الناشر | ٥ | ٢٥- سُورَةُ الْفِرْقَانِ | ٦٦٣ |
| كلمة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان | ٦ | ٢٦- سُورَةُ الشُّعَرَاءِ | ٦٧٦ |
| مقدمة المؤلف | ٩ | ٢٧- سُورَةُ النَّمْلِ | ٦٩٠ |
| ترجمة الإمام البغوي | ١٢ | ٢٨- سُورَةُ الْقَصَصِ | ٧٠٤ |
| ١- سُورَةُ الْفَاتِحَةِ | ١٣ | ٢٩- سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ | ٧٢٠ |
| ٢- سُورَةُ الْبَقَرَةِ | ١٦ | ٣٠- سُورَةُ الرُّومِ | ٧٢٩ |
| ٣- سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ | ١١٢ | ٣١- سُورَةُ لُقْمَانَ | ٧٣٧ |
| ٤- سُورَةُ النِّسَاءِ | ١٦٣ | ٣٢- سُورَةُ السَّجْدَةِ | ٧٤١ |
| ٥- سُورَةُ الْمَائِدَةِ | ٢١٨ | ٣٣- سُورَةُ الْأَحْزَابِ | ٧٤٦ |
| ٦- سُورَةُ الْأَنْعَامِ | ٢٥٣ | ٣٤- سُورَةُ سَبَأٍ | ٧٦٤ |
| ٧- سُورَةُ الْأَعْرَافِ | ٢٩٤ | ٣٥- سُورَةُ فَاطِرٍ | ٧٧٣ |
| ٨- سُورَةُ الْأَنْفَالِ | ٣٤١ | ٣٦- سُورَةُ يَسٍ | ٧٨١ |
| ٩- سُورَةُ التَّوْبَةِ | ٣٦٣ | ٣٧- سُورَةُ الصَّافَاتِ | ٧٩٠ |
| ١٠- سُورَةُ يُوسُفَ | ٤٠٠ | ٣٨- سُورَةُ صٍ | ٨٠٣ |
| ١١- سُورَةُ هُودٍ | ٤١٩ | ٣٩- سُورَةُ الزُّمَرِ | ٨١٣ |
| ١٢- سُورَةُ يُوسُفَ | ٤٤١ | ٤٠- سُورَةُ غَافِرٍ | ٨٢٣ |
| ١٣- سُورَةُ الرَّعْدِ | ٤٦٨ | ٤١- سُورَةُ فُصِّلَتْ | ٨٣٤ |
| ١٤- سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ | ٤٨٠ | ٤٢- سُورَةُ الشُّورَى | ٨٤٢ |
| ١٥- سُورَةُ الْحَجَرِ | ٤٨٩ | ٤٣- سُورَةُ الزَّخْرَفِ | ٨٥٠ |
| ١٦- سُورَةُ النَّحْلِ | ٤٩٩ | ٤٤- سُورَةُ الدَّخَانِ | ٨٦٠ |
| ١٧- سُورَةُ الْإِسْرَاءِ | ٥١٨ | ٤٥- سُورَةُ الْجَاثِيَةِ | ٨٦٣ |
| ١٨- سُورَةُ الْكَهْفِ | ٥٤٠ | ٤٦- سُورَةُ الْأَحْقَافِ | ٨٦٧ |
| ١٩- سُورَةُ مَرْيَمَ | ٥٦٢ | ٤٧- سُورَةُ مُحَمَّدٍ | ٨٧٤ |
| ٢٠- سُورَةُ طه | ٥٧٧ | ٤٨- سُورَةُ الْفَتْحِ | ٨٨٠ |
| ٢١- سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ | ٥٩٥ | ٤٩- سُورَةُ الْحَجَرَاتِ | ٨٨٧ |
| ٢٢- سُورَةُ الْحَجِّ | ٦١٢ | ٥٠- سُورَةُ قٍ | ٨٩١ |
| ٢٣- سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ | ٦٢٩ | ٥١- سُورَةُ الذَّارِيَاتِ | ٨٩٦ |
| ٢٤- سُورَةُ التَّوْرِ | ٦٤٢ | ٥٢- سُورَةُ الطُّورِ | ٩٠١ |

| | | | |
|------|-----------------------------|------|-----------------------------|
| ١٠١١ | ٨٥- سُورَةُ الْبُرُوجِ | ٩٠٦ | ٥٣- سُورَةُ النُّجُمِ |
| ١٠١٣ | ٨٦- سُورَةُ الطَّارِقِ | ٩١١ | ٥٤- سُورَةُ الْقَمَرِ |
| ١٠١٤ | ٨٧- سُورَةُ الْأَعْلَى | ٩١٦ | ٥٥- سُورَةُ الرَّحْمَنِ |
| ١٠١٥ | ٨٨- سُورَةُ الْغَاشِيَةِ | ٩٢٢ | ٥٦- سُورَةُ الْوَاقِعَةِ |
| ١٠١٦ | ٨٩- سُورَةُ الْفَجْرِ | ٩٢٩ | ٥٧- سُورَةُ الْحَدِيدِ |
| ١٠١٨ | ٩٠- سُورَةُ الْبَلَدِ | ٩٣٥ | ٥٨- سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ |
| ١٠٢٠ | ٩١- سُورَةُ الشَّمْسِ | ٩٤٠ | ٥٩- سُورَةُ الْحَشْرِ |
| ١٠٢١ | ٩٢- سُورَةُ اللَّيْلِ | ٩٤٦ | ٦٠- سُورَةُ الْمُمْتَحِنَةِ |
| ١٠٢٢ | ٩٣- سُورَةُ الضُّحَى | ٩٤٩ | ٦١- سُورَةُ الصَّفِّ |
| ١٠٢٣ | ٩٤- سُورَةُ الشَّرْحِ | ٩٥١ | ٦٢- سُورَةُ الْجُمُعَةِ |
| ١٠٢٤ | ٩٥- سُورَةُ التِّينِ | ٩٥٣ | ٦٣- سُورَةُ الْمَنَافِقِ |
| ١٠٢٥ | ٩٦- سُورَةُ الْعَلَقِ | ٩٥٥ | ٦٤- سُورَةُ التَّغَابُنِ |
| ١٠٢٦ | ٩٧- سُورَةُ الْقَدْرِ | ٩٥٧ | ٦٥- سُورَةُ الطَّلَاقِ |
| ١٠٢٧ | ٩٨- سُورَةُ الْبَيِّنَةِ | ٩٥٩ | ٦٦- سُورَةُ التَّحْرِيمِ |
| ١٠٢٨ | ٩٩- سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ | ٩٦٢ | ٦٧- سُورَةُ الْمُلْكِ |
| ١٠٢٩ | ١٠٠- سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ | ٩٦٥ | ٦٨- سُورَةُ الْقَلَمِ |
| ١٠٢٩ | ١٠١- سُورَةُ الْقَارِعَةِ | ٩٧٠ | ٦٩- سُورَةُ الْحَاقَةِ |
| ١٠٣٠ | ١٠٢- سُورَةُ التَّكْوِيْنِ | ٩٧٣ | ٧٠- سُورَةُ الْمَعَارِجِ |
| ١٠٣١ | ١٠٣- سُورَةُ الْعَصْرِ | ٩٧٦ | ٧١- سُورَةُ نُوحٍ |
| ١٠٣١ | ١٠٤- سُورَةُ الْهُمَزَةِ | ٩٧٨ | ٧٢- سُورَةُ الْجِنِّ |
| ١٠٣٢ | ١٠٥- سُورَةُ الْفِيلِ | ٩٨٢ | ٧٣- سُورَةُ الْمَزْمَلِ |
| ١٠٣٣ | ١٠٦- سُورَةُ قُرَيْشٍ | ٩٨٤ | ٧٤- سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ |
| ١٠٣٣ | ١٠٧- سُورَةُ الْفَاعِلِ | ٩٨٨ | ٧٥- سُورَةُ الْقِيَامَةِ |
| ١٠٣٤ | ١٠٨- سُورَةُ الْكَوْثَرِ | ٩٩٢ | ٧٦- سُورَةُ الْإِنْسَانِ |
| ١٠٣٤ | ١٠٩- سُورَةُ الْكَافِرِينَ | ٩٩٦ | ٧٧- سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ |
| ١٠٣٥ | ١١٠- سُورَةُ النَّصْرِ | ٩٩٨ | ٧٨- سُورَةُ النَّبَاِ |
| ١٠٣٥ | ١١١- سُورَةُ الْمَسَدِ | ١٠٠٠ | ٧٩- سُورَةُ النَّازِعَاتِ |
| ١٠٣٦ | ١١٢- سُورَةُ الْإِخْلَاصِ | ١٠٠٢ | ٨٠- سُورَةُ عَبَسَ |
| ١٠٣٦ | ١١٣- سُورَةُ الْفَلَقِ | ١٠٠٤ | ٨١- سُورَةُ التَّكْوِيْنِ |
| ١٠٣٧ | ١١٤- سُورَةُ النَّاسِ | ١٠٠٦ | ٨٢- سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ |
| ١٠٣٩ | - الْفَهْرَسُ | ١٠٠٧ | ٨٣- سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ |
| | | ١٠٠٩ | ٨٤- سُورَةُ الْإِنْشِقَاقِ |